مختصر

تفسير البغوي

المسمى بـ"معالم الت يل"

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود

الفراء البغوي الشافعي

المتوفى سنة (٥١٦ هـ)

اختصار وتعليق

الدكتور عبد الله بن أحمد بن علي الزيد

مقدمة

كلمة الناشر

بِسْمِ اللهِ الرحْمَن الرحِيم

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على النبي الأمي وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فهذا اختصار تفسيري اختصره فضيلة الدكتور عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، حفظه الله، من تفسير الإمام الحافظ الفقيه المتهد أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، البغوي المسمى بـ " معالم الت يل ".

وتفسيره الكامل الذي منه هذا الاختصار من أجل كتب التفسير بالمأثور، يسرد فيه التفسير بالقرآن - أي يجمع بين الآيات ذات المعنى الواحد ليوضح معنى الكلمة التي تضمنتها - ويأتي بالأحاديث مع أسانيدها كما يذكر أقوال الصحابة ومن بعدهم من أئمة التفسير وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشري أم القرطبي أم البغوي أو غير هؤلاء؟ فأجاب قائلًا:

" وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة - البغوي " وعنه قال: " تفسيره مختصر من تفسير الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة ".

فلما كان تفسيره بذه المكانة العظمى وأثنى على اختصاره غير واحد من أهل العلم، أعدنا طبعه من جديد بعد التنسيق مع المختصر.

عملنا في هذا الكتاب:

١ - طبع الكتاب في مجلد واحد لأول مرة بلونين.

٢ - وضع المصحف كاملًا، وكذلك أخذ الآيات القرآنية المفسرة برسم المصحف من الحاسب الآلي تجنبًا للأخطاء المطبعية.

٣ - تصحيح الأخطاء التي نبه عليها فضيلة الدكتور عبدالله الزيد، فضلًا عن الأخطاء

التي استدركها أعضاء لجنة البحث العلمي بدار السلام.

٤ - تم طباعة الكتاب على ورق شمواه.

ونحن عندما نقدم هذا السفر الجليل بين يدي القارئ الكريم، نتضرع إلى الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم. هذا... ونشكر كل من سعى لإخراج هذا العمل في ثوبه الجديد. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

خادم الكتاب والسنة

عبد الملك مجاهد

بِسْمِ اللهِ الرحْمَنِ الرحِيمِ

تقريظ لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان آل فوزان

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان، وعلى آله وأصحابه أولي العلم والعرفان. وبعد:

فإن تفسير الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تفسير جيد، شهد العلماء بجودته وإتقانه وتمشيه على مذهب السلف في المنهج والاعتقاد، إلا أنه طويل بالنسبة لحاجة غالب الناس اليوم، فالناس اليوم بحاجة إلى تفسير مختصر موثوق.

فلذلك اتجهت همة أخينا الشيخ الدكتور عبد الله بن أحمد بن علي الزيد إلى اختصار هذا التفسير وتقريبه للناس. وقد اطلعت على نموذج من عمله فوجدته عملًا جيدًا ومنهجًا سديدًا، حيث إنه يختار من هذا التفسير ما يوضح الآيات بأقرب عبارة وأسهلها، فهو مختصر جيد مفيد. جزى الله أخانا الشيخ عبد الله على عمله هذا خيرًا وغفر الله للإمام البغوي ورحمه، جزاء ما ترك للمسلمين من علم نافع ومنهج قويم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

في (١٤١٣/١٠/١٣ هـ)

بِسْمِ اللهِ الرحْمَنِ الرحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، ولمن استمسك به هدى ونورًا... والصلاة والسلام على من أرسله بالهدى والبينات سراجًا منيرًا، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا كتاب ربهم وعملوا على جمعه وضبطه وتدوينه ليصل إلى من بعدهم بصورته التي بها نزل.

وبعد: فإن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ والدعوة العظمى من الله تعالى إلى التوحيد الخالص والطريق المستقيم، وقد تولى الله حفظه من التحريف والتبديل والتغيير والمعارضة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (١) .

وها هو قد مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان ولا يزال كما وعد الله محفوظًا كما أنزل لم يتغير فيه عما نزل حرف ولا كلمة، ولا ترتيب، وسيبقى كذلك إلى آخر الدهر.

وقد ظهر لي من خلال عملي حاجة الناس إلى تفسير مختصر يجمع بين علمي الرواية والدراية، يكون في متناول الكل، يتميز بخلوه من المخالفات الشرعية والعقدية، وذلك لأن الوقت في هذا العصر أصبح قليلًا جدا بسبب تزاحم المعلومات في كل العلوم، فرأيت من المناسب اختيار تفسير مختصر يلبي حاجة من أراد الاطلاع على معاني كلام الله سبحانه وتعالى. وقد اطلعت على كثير من المختصرات فوجدت بعضها يهتم بجانب واحد من جوانب إعجاز القرآن كمباحث الإعراب ونكت البلاغة، والبعض الآخر لا يخلو مما يستوجب النظر، ومنها ما يستطرد لعلوم أخرى لا يُحتاج إليها في فهم القرآن.

ولما كان تفسير الإمام البغوي - رحمه الله - المسمى (معالم التنـزيل) يجمع بين علمي

(١) سورة الحجر آية : ٩.

الرواية والدراية مع وضوح العبارة، وجمعه لكثير من المعاني التي يذكرها المفسرون بأسلوب سهل مقتضب بعيدًا عن الألغاز والتعمية مع ما يتميز به من الالتزام بمذهب السلف الصالح في الـال العقدي وما خص به من ثناء العلماء والأئمة، وما حظي به من القبول لدى الأمة، فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة، الزمخشري؟ أم القرطبي؟ أم البغوي؟ فأجاب في فتواه (ج ٢ - ص ١٩٣) ما نصه: " أسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة: البغوي ".

وقال محمد رشيد رضا في مقدمة طبعته له عام ١٣٤٣ هجرية: " هذا التفسير من أشهر كتب التفسير في العناية بما رُوي عن مفسري السلف وبيان معاني الآيات وأحكامها ".

وهو من أجود التفاسير وأنفعها وأشملها أيضًا، إلا أنه يشتمل على روايات كثيرة وبعض القصص الإسرائيلية والأمور التي يغني بعضها عن بعض، ولم يسبق حسب علمي أن قام أحد باختصاره، لذا قمت بذا العمل لنفسي أولًا، وحرصًا مني على تقريبه وتسهيله لمن يرغب في تفسير موثق لإمام من أئمة أهل السنة والجماعة، أسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد والقبول.

منهج البغوي في تفسيره:

١ - من المعلوم أن أحسن طرق التفسير هي تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، ثم بالسنة فإنا شارحة للقرآن وموضحة له، ثم بأقوال الصحابة فإنم أدرى بذلك حيث إنم حضروا التـ يل وشاهدوا من القرائن والأحوال ما لم يعلمه غيرهم، ثم بأقوال التابعين الذين تعلموا على الصحابة وأخذوا عنهم، وهذا ما اتخذه البغوي منهجًا له في تفسيره.

٢ - سلك البغوي - رحمه الله - مسلكًا متوسطًا بلفظ موجز وسهل بعيدًا عن الاستطراد والحشو، جاء في مقدمة تفسيره: (جمعت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألوا كتابًا متوسطًا بين الطويل الممل والقصير المخل) اهـ.

٣ - ما ذكره من الأحاديث النبوية الشريفة فغالبها يسوقها بأسانيدها التي اشترط فيها الصحة أو الحسن، وقد وضح ذلك بقوله: (ما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وفق آية أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليها مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير).

٤ - ما ذكره عن الصحابة والتابعين فغالبًا يذكره بلا إسناد وذلك لأنه ذكر في مقدمته إسناده إلى كل من يروي عنهم.

٥ - يذكر أقوال السلف في تفسير الآية ولا يرجح بعضها على بعض في كثير من الأحيان إشارة منه - رحمه الله - إلى أن معنى الآية قد يحتمل جميع المعاني أو أكثرها، وهذه ميزة تميز بها تفسير البغوي قلما توجد في غيره.

٦ - يتحاشى ذكر المسائل الكلامية ويكتفي بإيراد منهج السلف فيها.

٧ - يذكر البغوي بعض الأخبار الإسرائيلية عند تفسير بعض الآيات التي تحكي قصص أهل الكتاب وهو مقل منها بالنسبة لغيره من المفسرين.

٨ - يذكر بعضر الأحكام الفقهية والقراءات المشهورة، وأسباب الـ ول في تفسيره.

عملي في التفسير:

ما يجده القارئ في هذا المختصر هو كله من كلام البغوي فقد التزمت بنصه التزامًا تاما ولم أتصرف فيه بالزيادة إلا ما استدعى السياق إضافته لربط كلام البغوي بعضه ببعض كواو العطف ونحوها، ليبقى التفسير بأسلوبه السهل الميسر وجماله الناصع مع تمام الترابط والانسجام، وقد جعلت ما أضفته بين قوسين تمييزًا له عن كلام البغوي... ومن هذا يعلم أن جميع ما في هذا المختصر هو من كلام البغوي، فإذا ورد فيه قوله: (قد روينا أو حدثنا) أو نحو ذلك فالقائل هو: البغوي، وقد حرصت على هذا المنهج لما لكلام الإمام البغوي - رحمه الله - من ميزة لدى العلماء تجعل الاطمئنان إليه أكثر والوثوق به أحرى، وما عملته في الاختصار لا يخرج في الغالب عن أحد الأمور التالية:

١ - استبعاد ما لا ضرورة له في بيان معاني الآيات من الروايات والأسانيد المطولة والأحكام التي لا حاجة لها والاقتصار من سند الحديث عند ذكره على اسم الصحابي الذي روى الحديث عن رسول الله ﷺ وتركت لمن أراد الاستزادة الرجوع إلى الأصل المختصر.

٢ - إذا تعددت الأحاديث التي يوردها المؤلف على وفق معاني الآيات الكريمة اقتصرت على ذكر حديث واحد منها وقد أقتصر على موضع الشاهد من الحديث إذا كان يؤدي المعنى المقصود.

٣ - جرى تخريج الأحاديث الشريفة التي وردت في المختصر.

٤ - الإبقاء ما أمكن على الآيات التي استشهد با المؤلف على طريقته في تفسير القرآن بالقرآن مع جعلها بين قوسين مختلفين عن أقواس الآيات المفسرة.

٥ - تجريد المختصر من الإسرائيليات ما أمكن إلا ما روى منها عن رسول الله ﷺ أو أقره.

٦ - عند تعدد ذكر الآثار أكتفي منها بما يكشف معنى الآية.

٧ - جرى حذف بعض القراءات وخاصة إذا لم يترتب على المحذوف منها تغير المعنى.

الطبعة التي اعتمدت عليها:

اعتمدت في عملي هذا على الطبعة المستقلة الكاملة لتفسير الإمام البغوي في طبعتها الثانية عام (١٤٠٧) هجرية التي حققها الأستاذان خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، وقد قابلت ما أشكل فيها على طبعة عام (١٣٤٣) هجرية التي طبعت على حاشية تفسير الإمام ابن كثير. وبعد فراغي من العمل خرجت الطبعة الجديدة التي حققها الإخوة محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش فاستفدت منها في مقابلة بعض العبارات المشكلة وفي بعض التخريجات للأحاديث النبوية الشريفة واكتفيت بذلك عن المقابلة على مخطوطة الكتاب

وذلك لأن هذه الأخيرة طبعة مقابلة على مخطوطة الكتاب كما جاء في مقدمتها [1].

أسأل الله الكريم أن ينفع بعملي هذا وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم. وجزى الله خيرًا من ينبهني على خطأ يجده فليراسلني على ص. ب (٣٤٠٦٥٥) الرياض (١١٣٣٣)، ومن ينتفع بما فيه فيدعو لي من وراء الغيب دعوة خير صادقة، والله الموفق وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الرياض في **(٩/٢٢ / ١٤٢٢ هجرية)**

د. عبد الله بن أحمد بن علي الزيد

(١) وقد جرى إعادة صف الكتاب في هذه الطبعة الثانية التي استدرك فيها كثير مما فات في الطبعة الأولى وجرى تنقيح الطباعة وتدقيقها.

بِسْمِ اللهِ الرحْمَنِ الرحِيمِ

ترجمة الإمام البغوي

هو الإمام العلامة الحافظ المفسر المحدث الفقيه محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي من أئمة السلف الصالح المتمسكين بالكتاب والسنة.

ولد في بلدة (بغشور أو: بغ) وإليها نسبته وهي من بلاد خراسان، وذلك في أوائل العقد الرابع من القرن الخامس الهجري.

ونشأ البغوي شافعي المذهب غير متعصب لإمامه ولا مندد بغيره من العلماء، بل سلك مسلك أهل الاختيار والترجيح والتصحيح.

ومنهجه في العقيدة منهج السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم فلم يشغل نفسه بنظريات المتفلسفة وخلافات المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وإنما التزم بمنهج أهل السنة والجماعة ناشرًا له ومدافعًا عنه.

وقد تنقل البغوي في كثير من البلاد طلبا للعلم إلى أن استقر في (مروالروز) الوطن الثاني للبغوي، وبقي فيها إلى أن وافته المنية عن نيف وثمانين سنة فيما بين عام (٥١٠ هـ) إلى (٥١٦ هـ) على خلاف في ذلك.

وقد أجمع علماء أهل السنة على جلالة قدر الإمام البغوي ورسوخ علمه بالكتاب والسنة وعلومهما، وصفه من ترجم له: بشيخ الإسلام ومحيي السنة وعلامة زمانه وأنه دينًا ورعًا عابدًا حافظًا ثبتًا ثقة حجة صحيح العقيدة.

وهو من أئمة الحديث الشريف، واسع المعرفة بمتونه وأسانيده وأحوال رجاله. كما أنه إمام في الفقه والأحكام. وإمام في التفسير وعلوم القرآن الكريم.

وقد خلف مؤلفات كثيرة منها شرح السنة، ومصابيح السنة، ومعالم التنزيل وهو أصل هذا المختصر والتهذيب في فقه الإمام الشافعي. وغير ذلك كثير.

وأخذ الإمام البغوي العلم عن أئمة عصره وكبار الحفاظ والمحدثين في زمانه منهم: الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي المتوفى سنة (٤٦٢ هـ)، ومحدث مرو

عبد الواحد بن أحمد المليحي الهروي المتوفى سنة (٤٦٣ هـ)، والإمام علي بن يوسف الجويني شيخ الحجاز المتوفى (٤٦٣ هـ) وغيرهم.

وقد روى عنه تلاميذ عدة منهم مجد الدين العطاردي الأصولي والمحدث الطائي الهمذاني وآخرون. رحم الله البغوي رحمة واسعة ورحمنا معه بمنه وكرمه إنه على ذلك قدير.

(١) سورة الفاتحة

أسماء سورة الفاتحة

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، وهي مكية على قول الأكثرين، وقال مجاهد: مدنية، وقيل: نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة. والأول أصح أنا مكية لأن الله تعالى من على الرسول ﷺ بقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ (١)، والمراد منها: فاتحة الكتاب، وسورة الحجر مكية، فلم يكن يمن عليه بها قبل نزولها.

قوله تعالى بِسْمِ اللهِ الرحْمَن الرحِيم

[١] قوله: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) الباء زائدة يخفض ما بعدها، مثل من وعن، والمتعلق به محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: ابدأ بسم الله أو قل بسم الله، وأسقطت الألف من الاسم طلبًا للخفة لكثرة استعمالها، فإن قيل: ما معنى التسمية من الله لنفسه؟ قيل: هو تعليم للعباد كيف يستفتحون القراءة.

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ﴾ (٣) قال الخليل وجماعة: هو اسم علم خاص بالله ﷻ لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد، مثل زيد وعمرو، وقال جماعة: هو مشتق، ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل: من أله إلاهة أي: عبد عبادة، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما " ويذرك وإلاهتك " أي: عبادتك. معناه أنه المستحق للعبادة دون غيره، وقيل: أصله إله، قال الله عز وجل. ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ (٤)، قال المبرد: هو قول العرب: ألهت إلى فلان أي سكنت إليه، قال الشاعر:

ألهت إليها والحوادث جمة

(١) سورة الحجر آية : ٨٧.

(٢) سورة الفاتحة آية : ١.

(٣) سورة الفاتحة آية : ١.

(٤) سورة المؤمنون آية : ٩١.

فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، يقال: ألهت إليه أي: فزعت إليه. وقيل: أصل الإله ولاه، فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح وأشاح، اشتقاقه من الوله لأن العباد يولهون إليه، أي يفزعون إليه في الشدائد ويلجؤون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه، وقيل: هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك.

قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ [1] قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنا ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح با للتيمن والتبرك، وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنا ليست من الفاتحة وليست من سائر السور، فإنما كتبت للفصل، وذهب جماعة إلى أنا من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة، واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات والآية الأولى عند من يعدها من الفاتحة ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ [2] وابتداء الآية الأخيرة ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾ [3]، ومن لا يعدها من الفاتحة قال: ابتداؤها ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ﴾ [4] وابتداء الآية الآخيرة ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [5].

---

(١) سورة الفاتحة آية : ١.

(٢) سورة الفاتحة آية : ١.

(٣) سورة الفاتحة آية : ٧.

(٤) سورة الفاتحة آية : ٢.

(٥) سورة الفاتحة آية : ٧.

قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم

[٢، ٣] قوله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ [(١)] لفظه خبر كأنه يخبر عن المستحق للحمد هو الله ﷻ وفيه تعليم الخلق تقديره: قولوا الحمد لله، والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة، يقال: حمدت فلانًا على ما أسدى إلي من نعمة، وحمدته على علمه وشجاعته، والشكر لا يكون إلا على النعمة، والحمد أعم من الشكر إذ لا يقال: شكرت فلانًا على علمه، فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا.

قوله: ﴿ لِلَّهِ ﴾ [(٢)] اللام فيه للاستحقاق كما يقال: الدار لزيد. قوله: ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [(٣)]، فالرب يكون بمعنى المالك كما يقال لمالك الدار: رب الدار، ويقال: رب الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح يقال: رب فلان الضيعة يربها إذا أتمها وأصلحها، فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم، ولا يقال للمخلوق: هو الرب معرفًا، إنما يقال: رب كذا مضافًا، لأن الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل.

والعالمين: جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه، واختلفوا في العالمين، قال ابن عباس: هم الجن والإنس، لأنهم مكلفون بالخطاب، قال الله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [(٤)]: وقال قتادة ومجاهد والحسن: جميع المخلوقين، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢.
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢.
(٣) سورة الفاتحة الآيتان : ٢، ٣.
(٤) سورة الفرقان آية : ١.
(٥) سورة الشعراء الآيتان : ٢٣، ٢٤.

قوله تعالى مَالِكِ يَوْمِ الدين

[٤] قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [1] قرأ عاصم والكسائي ويعقوب ﴿ مَٰلِكِ ﴾ [2] وقرأ الآخرون " ملك " قال قوم: معناهما واحد مثل فرهين وفارهين وحذرين وحاذرين، ومعناهما الرب، يقال: رب الدار ومالكها، وقيل: المالك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر عليه أحد غير الله، قال ابن عباس ومقاتل والسدي: ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب، وقال قتادة: الدين الجزاء، ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعًا، كما يقال: كما تدين تدان، قال محمد بن كعب القرظي: ملك يوم لا ينفع فيه إلا الدين، وقال يمان بن رباب: الدين القهر، يقال: دنته فدان، أي: قهرته فذل، وقيل: الدين الطاعة، أي: يوم الطاعة، وإنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكًا للأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ [3].

قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين

[٥] قوله: ﴿ إِيَّاكَ ﴾ [4]، إيا كلمة ضمير خصت بالإضافة إلى المضمر.

قوله: ﴿ نَعۡبُدُ ﴾ [5] أي: نوحدك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع، وسمي العبد عبدًا لذلته وانقياده يقال: طريق معبد أي: مذلل، ﴿ وَإِيَّاكَ

(١) سورة الفاتحة آية : ٤.
(٢) سورة الفاتحة آية : ٤.
(٣) سورة الفرقان آية : ٢٦.
(٤) سورة الفاتحة آية : ٥.
(٥) سورة الفاتحة آية : ٥.

﴿ نَسۡتَعِينُ ۝ ﴾[1]، نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا.

قوله تعالى اهْدِنَا الصرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

[٦] قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ﴾[2]، اهدنا: أرشدنا، وقال علي وأبي بن كعب: ثبتنا، كما يقال للقائم: قم حتى أعود إليك، أي: دم على ما أنت عليه، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية، بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة.

﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾[3]: وصراط قرئ بالسين وهو الأصل، سمي سراطًا لأنه يسرط السابلة، ويقرأ بالزاي وقرأ حمزة بإشمام الزاي وكلها لغات صحيحة، والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

والصراط المستقيم: قال ابن عباس وجابر: هو الإسلام وهو قول مقاتل، وقال ابن مسعود: هو القرآن وروي عن علي مرفوعًا: " الصراط المستقيم كتاب الله "[4]. وقال سعيد بن جبير: طريق الجنة، وقال سهل بن عبد الله: طريق السنة والجماعة، وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله ﷺ وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحباه، وأصله في اللغة الطريق الواضح.

قوله تعالى صِرَاطَ الذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغْضُوبِ عَلَيهِمْ وَلَا الضالينَ

[٧] ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[5] أي: مننت عليهم بالهداية والتوفيق، قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل:

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٥.

(٢) سورة الفاتحة آية : ٦.

(٣) سورة الفاتحة آية : ٦.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١٧٢/١ وضعفه أحمد شاكر في تعليقه عليه.

(٥) سورة الفاتحة آية : ٧.

هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين. وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يغيروا دينهم، وقال عبد الرحمن: هم النبي ومن معه، وقال أبو العالية: هم الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال عبد الرحمن بن زيدان: رسول الله ﷺ وأهل بيته، وقال شهر بن حوشب: هم أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته.

قوله: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [(١)] يعني: غير صراط الذين غضبت عليهم.

﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ [(٢)] أي: وغير الضالين عن الهدى، وأصل الضلال الهلاك والغيبوبة، يقال: ضل الماء في اللبن إذا هلك وغاب، و " غير " ههنا بمعنى لا، ولا بمعنى غير، وقيل: ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [(٣)] هم اليهود والضالون هم النصارى، لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [(٤)] [المائدة: ٦٠] وحكم على النصارى بالضلال فقال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ ﴾ [(٥)] [المائدة: ٧٧]، وقال سهل بن عبد الله: غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة.

والسنة للقارئ أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة " آمِين "، مفصولاً عن الفاتحة بسكتة، وهو مخفف ويجوز ممدودًا ومقصورًا، ومعناه اللهم اسمع واستجب.

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٧.

(٢) سورة الفاتحة آية : ٧.

(٣) سورة الفاتحة آية : ٧.

(٤) سورة المائدة آية : ٦٠.

(٥) سورة المائدة آية : ٧٧.

فصل في فضل فاتحة الكتاب

قال رسول الله ﷺ ﴿ والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وإنا لهي السبع المثاني التي آتاني الله ﷻ ﴾ [(١)]، هذا حديث حسن صحيح [(٢)].

وعن ابن عباس قال: ﴿ بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل إذ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب فتح من السماء ما فتح قط، قال: فـ ـو ل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: " أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفًا منهما إلا أعطيته ﴾ [(٣)]، صحيح [(٤)].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام ﴾ [(٥)].

وعن أبي هريرة قال: ﴿ سمعت رسول الله ﷺ يقول: " قال الله ﷻ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل " قال

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٤٢٧), الترمذي فضائل القرآن (٢٨٧٥), النسائي الافتتاح (٩١٤), أبو داود الصلاة (١٤٥٧), أحمد (٣٥٧/٢), الدارمي فضائل القرآن (٣٣٧٣).

(٢) رواه الترمذي في فضائل القرآن باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ١٧٨/٨ - ١٨٠، وأحمد في المسند ٤١٢/٢ - ٤١٣، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٣٦٧/٢، وأخرجه المصنف في شرح السنة ٤٤٦/٤، ٤٤٧.

(٣) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٦), النسائي الافتتاح (٩١٢).

(٤) رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم (٨٠٦) ٥٥٤/١، والنسائي في افتتاح الصلاة ١٣٨/٢ والمصنف في شرح السنة ٤٦٦/٤.

(٥) مسلم الصلاة (٣٩٥), الترمذي تفسير القرآن (٢٩٥٣), النسائي الافتتاح (٩٠٩), أبو داود الصلاة (٨٢١), ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٣٨), أحمد (٢٨٦/٢), مالك النداء للصلاة (١٨٩).

رسول الله ﷺ " اقرؤوا يقول العبد ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [1] يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [2] يقول الله: أثنى علي عبدي، يقول العبد: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [3]، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [4]، يقول الله ﷻ هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [5]، يقول الله: (فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل ﴾ صحيح [6].

(١) سورة الفاتحة آية : ٢.
(٢) سورة الفاتحة آية : ٣.
(٣) سورة الفاتحة آية : ٤.
(٤) سورة الفاتحة آية : ٥.
(٥) سورة الفاتحة الآيتان : ٦، ٧.
(٦) رواه مسلم في الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة رقم (٣٩٥) ٢٩٦/١، والمصنف في شرح السنة ٤٧/٣.

(٢) سورة البقرة

قوله تعالى الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتقِينَ....

[١] ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ [(١)] قال الشعبي وجماعة: الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سر القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان با، قال أبو بكر الصديق: في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور، وقال علي: إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي.

وقال جماعة: هي معلومة المعاني، فقيل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾ [(٢)]، الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق، وقيل في ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ ﴾ [(٣)] أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بن أنس في الم: الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد، وقال محمد بن كعب: الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: معنى ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ [(٤)] أنا الله أعلم، ومعنى المص أنا الله أعلم وأفصل، ومعنى ﴿ الٓر ﴾ [(٥)] أنا الله أرى، ومعنى ﴿ الٓمٓر ﴾ [(٦)] أنا الله أعلم وأرى. قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفا من كلمة تريدها كقولهم:

---

(١) سورة البقرة آية : ١.

(٢) سورة مريم آية : ١.

(٣) سورة الأعراف آية : ١.

(٤) سورة البقرة آية : ١.

(٥) سورة يونس آية : ١.

(٦) سورة الرعد آية : ١.

قلت لها ففي فقالت لي قاف [١]

أي: وقفت.

وعن سعيد بن جبير قال: هي أسماء الله تعالى مقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول: ﴿ الٓمٓر ﴾[٢]، و: ﴿ حمٓ ۝١ ﴾[٣]، و: ﴿ نٓ ﴾[٤]، فيكون الرحمن، وكذلك سائرها إلا أنا لا نقدر على وصلها.

وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن، وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء السور، وبيانه أن القائل إذا قال قرأت ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ ﴾ [٥] عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالمص، وروي عن ابن عباس: أنا أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بذه الحروف لشرفها وفضلها لأنا مباني كتبه الم لة ومبادئ أسمائه الحسنى.

[٢] قوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ ﴾ [٦] أي: هذا الكتاب وهو القرآن، وأصل الكتاب الضم والجمع، وسمي الكتاب كتابًا لأنه جمع حرف إلى أحرف.

قوله تعالى: ﴿ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾[٧]، أي: لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق، وقيل: هو خبر بمعنى النهي أي: لا ترتابوا فيه.

قوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [٨] أي: هو هدى، أي: رشد وبيان لأهل

---

(١) هذا الرجز للوليد بن عقبة انظر تفسير الطبري ٢١٢/١.

(٢) سورة الرعد آية : ١.

(٣) سورة غافر آية : ١.

(٤) سورة القلم آية : ١.

(٥) سورة الأعراف آية : ١.

(٦) سورة البقرة آية : ٢.

(٧) سورة البقرة آية : ٢.

(٨) سورة البقرة آية : ٢.

التقوى، وقيل: هو نصب على الحال، أي: هاديًا، تقديره، لا ريب فيه في هدايته للمتقين، والهدى ما يهتدي به الإنسان. للمتقين، أي: للمؤمنين، قال ابن عباس: المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجز بين شيئين، ومنه يقال: اتقى بترسه أي: جعله حاجزًا بين نفسه وبين ما يقصده. فكأن المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزًا بينه وبين العذاب وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى.

[٣]: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) موضع (الذين) خفض؛ نعتًا للمتقين، يؤمنون يصدقون، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ (٢) أي: بمصدق لنا، وهو في الشريعة: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فسمي الإقرار والعمل إيمانًا لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه، والإسلام هو الخضوع والانقياد فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانًا إذا لم يكن معه تصديق، وذلك لأن الرجل قد يكون مستسلمًا في الظاهر غير مصدق في الباطن ويكون مصدقًا في الباطن غير منقاد في الظاهر، والإيمان مأخوذ من الأمان فسمي المؤمن مؤمنًا لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه.

﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ (٣) ما كان مغيبًا من العيون، قال ابن عباس: الغيب ههنا كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان، وقيل: الغيب ههنا هو الله تعالى، وقيل: القرآن وقال الحسن: الآخرة، وقال ابن جريج: الوحي.

---

(١) سورة البقرة آية : ٣.

(٢) سورة يوسف آية : ١٧.

(٣) سورة البقرة آية : ٣.

قوله: ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1]، أي: يديمونا ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانا وهيئاتا، يقال: قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطّيًا حقوقه، أو المراد با الصلوات الخمس، ذكر بلفظ الواحد. والصلاة في اللغة: الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾[2] أي: ادع لهم، وفي الشريعة اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء.

قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ ﴾[3]، أي: أعطيناهم، والرزق اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والعبد، وأصله في اللغة: الحظ والنصيب.

﴿ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[4]: يتصدقون، قال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، وهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

[٤] قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾[5]، يعني: القرآن. ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾[6]: من التوراة والإنجيل وسائر الكتب الم لة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتب. قوله: ﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[7]، أي: بالدار الآخرة، سميت الدنيا: دنيا لدنوها من الآخرة، وسميت الآخرة: آخرة لتأخرها وكونا بعد الدنيا ﴿ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾[8]، أي: يستيقنون أنا كائنة، من الإيقان

---

(١) سورة البقرة آية : ٣.

(٢) سورة التوبة آية : ١٠٣.

(٣) سورة البقرة آية : ٣.

(٤) سورة البقرة آية : ٣.

(٥) سورة البقرة آية : ٤.

(٦) سورة البقرة آية : ٤.

(٧) سورة البقرة آية : ٤.

(٨) سورة البقرة آية : ٤.

وهو العلم، وقيل: الإيقان واليقين علم عن استدلال، ولذلك لا يسمى الله موقنًا ولا علمه يقينًا إذ ليس علمه عن استدلال.

[5] قوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ [1] أي: أهل هذه الصفة ﴿ عَلَىٰ هُدًى ﴾ [2]، أي: رشد وبيان وبصيرة. ﴿ مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ [3]: الناجون والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء، أي باقون في النعيم المقيم، وأصل الفلاح: القطع والشق، ومنه سمي الزارع: فلاحًا لأنه يشق الأرض، فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ....

[6] قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [4] يعني مشركي العرب، قال الكلبي: يعني اليهود، والكفر هو الجحود، وأصله: من الستر ومنه سمي الليل كافرًا لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسمي الزارع كافرًا لأنه يستر الحب بالتراب، فالكافر يستر الحق بجحوده، والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلًا ولا يعترف به، وكفر به، وكفر الجحود هو أن يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود، وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب، وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب.

وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له.

---

(1) سورة البقرة آية : 5.
(2) سورة البقرة آية : 5.
(3) سورة البقرة آية : 5.
(4) سورة البقرة آية : 6.

قوله: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [1] متساو لديهم ﴿ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ ﴾ [2]: خوفتهم وحذرتم، والإنذار: إعلام مع تخويف وتحذير، فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرًا. ﴿ أَمۡ ﴾ [3]: حرف عطف على الاستفهام، ﴿ لَمۡ ﴾ [4]: حرف جزم لا يلي إلا الفعل، لأن الجزم يختص بالأفعال. ﴿ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ ﴾ [5]: وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله.

ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

[٧] ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ ﴾ [6] أي: طبع الله ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [7] فلا تعي خيرًا ولا تفهمه، وحقيقة الختم: الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه، ومنه الختم على الباب، قال أهل السنة: أي حكم على قلوبم بالكفر لما سبق من علمه الأول فيهم، وقال المعتزلة: جعل على قلوبم علامة تعرفهم الملائكة با، ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ ﴾ [8]، أي: على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وأراد على أسماعهم كما قال على قلوبم، وإنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع. ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ [9]: هذا ابتداء كلام، غشاوة أي: غطاء فلا يرون الحق.

---

(١) سورة البقرة آية : ٦.

(٢) سورة البقرة آية : ٦.

(٣) سورة البقرة آية : ٦.

(٤) سورة البقرة آية : ٦.

(٥) سورة البقرة آية : ٦.

(٦) سورة البقرة آية : ٧.

(٧) سورة البقرة آية : ٧.

(٨) سورة البقرة آية : ٧.

(٩) سورة البقرة آية : ٧.

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧ ﴾ [1] أي: في الآخرة، وقيل: القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى، والعذاب: كل ما يعني الإنسان ويشق عليه، قال الخليل: العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده، ومنه الماء العذب لأنه يمنع العطش.

[٨] قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [2] نزلت في المنافقين وأكثرهم من اليهود، والناس: جمع إنسان، وسمي به لأنه عهد إليه فنسي، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ ﴾ [3]، وقيل: لظهوره من قولهم أي أبصرت، وقيل: لأنه يستأنس به. ﴿ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [4] أي: بيوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ ﴾ [5].

[٩] ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [6] أي: يخالفون الله، وأصل الخداع في اللغة الإخفاء، ومنه المخدع للبيت الذي يخفي فيه المتاع، فالمخادع يظهر خلاف ما يضمر. وقيل: أصل الخداع: الفساد، معناه: يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضمروا من الكفر ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [7]، أي ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمنا وهم غير مؤمنين. ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [8] لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله يطلع نبيه ﷺ على

(١) سورة البقرة آية : ٧.
(٢) سورة البقرة آية : ٨.
(٣) سورة طه آية : ١١٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٨.
(٥) سورة البقرة آية : ٨.
(٦) سورة البقرة آية : ٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٩.
(٨) سورة البقرة آية : ٩.

نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى، ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[1] أي: لا يعلمون أنم يخدعون أنفسهم وأن وبال خداعهم يعود عليهم.

[١٠] ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[2]: شك ونفاق، وأصل المرض الضعف، سمي الشك في الدنيا مرضًا لأنه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن، ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[3]، لأن الآيات كانت تـ ل تترى آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفرًا ونفاقًا ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4]: مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبم، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾[5]: ما للمصدر، أي: بتكذيبهم الله ورسوله في السر.

قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرض قَالُوا إِنمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ.....

[١١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ﴾[6]، يعني: للمنافقين، وقيل: لليهود، أي: قال لهم المؤمنون: ﴿ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[7]، بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، وقيل: معناه لا تكفروا، والكفر أشد فسادًا في الدين، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴾[8]: يقول هذا القول كذبًا كقولهم آمنا وهم كاذبون.

[١٢] ﴿ أَلَآ ﴾[9]: كلمة تنبيه ينبه با المخاطب، ﴿ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ ﴾[1]

(١) سورة البقرة آية : ٩.
(٢) سورة البقرة آية : ١٠.
(٣) سورة البقرة آية : ١٠.
(٤) سورة البقرة آية : ١٠.
(٥) سورة البقرة آية : ١٠.
(٦) سورة البقرة آية : ١١.
(٧) سورة البقرة آية : ١١.
(٨) سورة البقرة آية : ١١.
(٩) سورة البقرة آية : ١٢.

﴿ ٱلۡمُفۡسِدُونَ ﴾ [1] أنفسهم بالكفر، والناس بالتعويق عن الإيمان، ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [2] أي: لا يعلمون أنهم مفسدون، لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح، وقيل: لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب.

[١٣] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ﴾ [3] أي: للمنافقين، وقيل: لليهود: ﴿ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ [4]: عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب، وقيل: كما آمن المهاجرون والأنصار، ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ﴾ [5] أي: الجهال، فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة. بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء؟ قيل: إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين، فأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [6]، أنهم كذلك، والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم، من قولهم: ثوب سفيه أي: رقيق، وقيل: السفيه: الكذاب الذي يتعمد بخلاف ما يعلم.

[١٤] ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [7]، يعني: هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [8] كإيمانكم ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ ﴾ [9] رجعوا،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢.
(٢) سورة البقرة آية : ١٢.
(٣) سورة البقرة آية : ١٣.
(٤) سورة البقرة آية : ١٣.
(٥) سورة البقرة آية : ١٣.
(٦) سورة البقرة آية : ١٣.
(٧) سورة البقرة آية : ١٤.
(٨) سورة البقرة آية : ١٤.
(٩) سورة البقرة آية : ١٤.

ويجوز أن يكون من الخلوة، و ﴿ إِلَىٰ ﴾[1]، بمعنى: الباء أي: بشياطينهم، وقيل: إلى بمعنى مع، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ ﴾ [2] أي: مع أموالكم ﴿ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾[3]، أي: رؤسائهم وكهنتهم، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له، والشيطان: المتمرد العاتي من الجن والإنس ومن كل شيء، وأصله البعد، يقال: بئر شطون، أي: بعيدة العمق، سمي الشيطان شيطانًا لامتداده في الشر وبعده من الخير، وقال مجاهد: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾[4]، أي: على دينكم ﴿ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ﴾ [5] بمحمد ﷺ وأصحابه بما نُظهر من الإسلام.

[١٥] ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ ﴾[6]: يتركهم ويمهلهم، والمد والإمداد واحد، وأصله الزيادة إلا أن المد كثيرًا ما يأتي في الشر، والإمداد في الخير، قال الله تعالى في المد ﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩ ﴾[7]، وقال في الإمداد: ﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ ﴾[8]، ﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ ﴾[9]. ﴿ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ ﴾ [10] أي: في

(١) سورة البقرة آية : ١٤.
(٢) سورة النساء آية : ٢.
(٣) سورة البقرة آية : ١٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١٤.
(٥) سورة البقرة آية : ١٤.
(٦) سورة البقرة آية : ١٥.
(٧) سورة مريم آية : ٧٩.
(٨) سورة الإسراء آية : ٦.
(٩) سورة الطور آية : ٢٢.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٥.

ضلالتهم، وأصل الطغيان: مجاوزة الحد، ومنه: طغى الماء ﴿ يَعۡمَهُونَ ﴾[1]، أي يترددون في الضلالة متحيرين.

قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين......

[١٦] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾[2]: بالإيمان ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمۡ ﴾ [3] أي: استبدلوا الكفر، أي: ما ربحوا في تجارتهم ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[4]: من الضلالة، وقيل: مصيبين في تجارتهم.

[١٧] ﴿ مَثَلُهُمۡ ﴾[5]: شبههم، وقيل: صفتهم، والمثل قول سائر في عرف الناس يعرف به منه الشيء، وهو أحد أقسام القرآن السبعة، ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ﴾[6]: يعني الذين بدليل سياق الآية ﴿ ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا ﴾[7]: أوقد نارًا، ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ ﴾ [8] النار ﴿ مَا حَوۡلَهُۥ ﴾[9]، أي: حول المستوقد ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾[10]، قال ابن عباس: نزلت في المنافقين، يقول: مثلهم في نفاقهم

(١) سورة البقرة آية : ١٥.
(٢) سورة البقرة آية : ١٦.
(٣) سورة البقرة آية : ١٦.
(٤) سورة البقرة آية : ١٦.
(٥) سورة البقرة آية : ١٧.
(٦) سورة البقرة آية : ١٧.
(٧) سورة البقرة آية : ١٧.
(٨) سورة البقرة آية : ١٧.
(٩) سورة البقرة آية : ١٧.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٧.

كمثل رجل أوقد نارًا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي في ظلمة خائفًا متحيرًا، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أَمِنُوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين، ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف، وقيل: ذهاب نورهم في القبر، وقيل: في القيامة حيث يقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم، وقيل: ذهاب نورهم بإظهار عقيدتهم على لسان النبي ﷺ فضرب النار مثلًا، ثم لم يقل: أطفأ الله نورهم لكن عبر بإذهاب النور عنه، لأن النار نور وحرارة فيذهب نورهم وتبقى الحرارة عليهم، وقال مجاهد: إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة، وقال عطاء: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي ﷺ واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به.

ثم وصفهم الله فقال:

[١٨] ﴿ صُمٌّ ﴾ [١] أي: هم صم عن الحق لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا، ﴿ بُكۡمٌ ﴾ [٢] خرس عن الحق لا يقولونه، أو أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق، ﴿ عُمۡيٌ ﴾ [٣] أي: لا بصائر لهم، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له، ﴿ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝١٨ ﴾ [٤] عن الضلالة إلى الحق.

[١٩] ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٍ ﴾ [٥] أي: كأصحاب صيب، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين، بمعنى: إن شئت مثلهم بالمستوقد، وإن شئت بأهل الصيب، والصيب: المطر وكل ما

(١) سورة البقرة آية : ١٨.
(٢) سورة البقرة آية : ١٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١٨.
(٤) سورة البقرة آية : ١٨.
(٥) سورة البقرة آية : ١٩.

نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب، فعيل من صاب يصوب، أي: نزل ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[1] أي: من السحاب، وقيل: هي السماء بعينها، والسماء كل ما علاك فأظلك، وهي من أسماء الأجناس يكون واحدًا وجمعًا. ﴿ فِيهِ ﴾[2] أي: في الصيب، وقيل: في السماء، أي: في السحاب ﴿ ظُلُمَٰتٌ ﴾[3] جمع ظلمة ﴿ وَرَعْدٌ ﴾[4]: وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، ﴿ وَبَرْقٌ ﴾[5]: وهو النار التي تخرج منه ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾[6]: جمع صاعقة، وهي الصيحة التي يموت من يسمعها أو يغشى عليه، ويقال لكل عذاب مهلك: صاعقة.

قوله: ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾[7]، أي: مخافة الهلاك، ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[8]، أي: عالم بم، وقيل: جامعهم، قال مجاهد: يجمعهم فيعذبم، وقيل: مهلكهم، دليله قوله تعالى. ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾[9] أي تلكوا جميعًا.

[٢٠] ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ ﴾[10]، أي: يقرب، يقال: كاد يفعل إذا قرب ولم يفعل،

(١) سورة البقرة آية : ١٩.
(٢) سورة البقرة آية : ١٩.
(٣) سورة البقرة آية : ١٩.
(٤) سورة البقرة آية : ١٩.
(٥) سورة البقرة آية : ١٩.
(٦) سورة البقرة آية : ١٩.
(٧) سورة البقرة آية : ١٩.
(٨) سورة البقرة آية : ١٩.
(٩) سورة يوسف آية : ٦٦.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٠.

﴿ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ ﴾ [(١)]: يختلسها، والخطف استلاب بسرعة ﴿ كُلَّمَآ ﴾ [(٢)] متى ما، ﴿ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾ [(٣)]، أي: وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات، من صفتها أن الساري لا يمكنه المشي فيها، ورعد من صفته أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توقده، فهذا مثل ضربه الله للقرآن، وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطر حياة الأبدان، والظلمات: ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خوفوا به من الوعيد، وذكر النار، والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد، وذكر الجنة، فالكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه، لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت، يكاد البرق يخطف أبصارهم أي: القرآن يبهر قلوبهم. وقيل: هذا مثل ضربه الله للإسلام، فالمطر: الإسلام، والظلمات: ما فيه من البلاء والمحن، والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق: ما فيه من الوعد، ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾ [(٤)] يعني: أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذرًا من الهلاك، والله محيط بالكافرين: جامعهم، يعني: لا ينفعهم هربهم لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم، ﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ ﴾ [(٥)] يعني: دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ ﴾ [(٦)] يعني: أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة، وقيل: معناه كلما نالوا غنيمة

(١) سورة البقرة آية : ٢٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٠.
(٤) سورة البقرة آية : ١٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٠.

وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا: إنا معكم، وإذا أظلم عليهم يعني: رأوا شدة وبلاء تأخروا وقاموا، أي: وقفوا ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾[1]، أي: بأسماعهم ﴿ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ ﴾[2] الظاهرة، كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، وقيل: لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذي لهم بمنزلة السمع والبصر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[3]: قادر.

قوله تعالى: يَا أَيهَا الناسُ اعْبُدُوا رَبكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلكُمْ تَتقُونَ....

[٢١] قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾[4]، قال ابن عباس: يا أيها الناس: خطاب أهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة، وهو ههنا عام إلا من حيث إنه لا يدخله الصغار والمجانين ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ﴾[5]: وحدوا، قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد، ﴿ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾[6]: والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[7]، أي وخلق الذين من قبلكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[8]: لكي تنجوا من العذاب، وقيل: معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء.

[٢٢] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾[9]، أي بساطًا، وقيل: منامًا، وقيل:

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٢١.
(٥) سورة البقرة آية : ٢١.
(٦) سورة البقرة آية : ٢١.
(٧) سورة البقرة آية : ٢١.
(٨) سورة البقرة آية : ٢١.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٢.

وطاء، أي: ذللها ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها، والجعل ههنا بمعنى: الخلق، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾[1]: سقفًا مرفوعًا، ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[2]، أي: من السحاب، ﴿ مَآءً ﴾[3]، وهو المطر، ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[4]: من ألوان الثمرات وأنواع النبات، ﴿ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ ﴾[5]: طعامًا لكم وعلفًا لدوابكم، ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[6]، أي: أمثالًا تعبدونهم كعبادة الله، وقال أبو عبيدة: الند الضد، وهو من الأضداد، والله تعالى بريء من المثل والضد، ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[7]: أنه واحد خالق هذه الأشياء.

[٢٣] ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ ﴾[8]، أي: وإن كنتم في شك، لأن الله تعالى علم أنهم شاكون ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾[9]، يعني: القرآن، ﴿ عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾[10]: محمد، ﴿ فَأْتُواْ ﴾[11]: أمر تعجيز، ﴿ بِسُورَةٍ ﴾[12]، والسورة قطعة من القرآن

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٢.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٢.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٣.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٣.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٣.
(١١) سورة البقرة آية : ٢٣.
(١٢) سورة البقرة آية : ٢٣.

معلومة الأول والآخر. ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[(1)]، أي: مثل القرآن، ومن: صلة، كقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾[(2)]، وقيل: الهاء في مثله راجعة إلى محمد ﷺ يعني: من مثل محمد ﷺ أمي لا يحسن الخط والكتابة، ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم ﴾[(3)]، أي: واستعينوا بآلهتكم التي تعبدونا، ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[(4)]، وقال مجاهد: ناسًا يشهدون لكم، ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[(5)]: أن محمدًا ﷺ تقوله من تلقاء نفسه، فلما تحداهم عجزوا، فقال:

[٢٤] ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾[(6)]، فيما مضى ﴿ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾[(7)] أبدًا فيما بقي، وإنما قال ذلك لبيان الإعجاز، وأن القرآن كان معجزة النبي ﷺ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله، قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾[(8)]، أي: فآمنوا واتقوا بالإيمان النار، ﴿ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ ﴾[(9)]، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر التهابًا، وقيل: جمع الحجارة، وهو دليل على عظم تلك النار، وقيل: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن

(١) سورة البقرة آية : ٢٣.
(٢) سورة النور آية : ٣٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٤.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٤.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٤.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٤.

دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾[١]، ﴿ أُعِدَّتۡ ﴾[٢]: هيئت ﴿ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٣].

[٢٥] قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[٤]، أي: أخبر، والبشارة: كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب، ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٥]، أي: الفعلات الصالحات، يعني: المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات قال معاذ: العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء: العلم والنية والصبر والإخلاص، ﴿ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ ﴾[٦]: جمع الجنة، والجنة: البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سميت بها لاجتنانها وتسترها بالأشجار، وقال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ﴾[٧] أي: من تحت أشجارها ومساكنها ﴿ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾[٨] أي: المياه في الأنهار، لأن النهر لا يجري، وقيل: من تحتها أي: بأمرهم، والأنهار جمع نهر، سمي به لسعته وضيائه، ومنه النهار ﴿ كُلَّمَا ﴾[٩]: متى ما، ﴿ رُزِقُواْ ﴾[١٠]: أطعموا ﴿ مِنۡهَا ﴾[١١]

(١) سورة الأنبياء آية : ٩٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٤.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٤.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٥.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٥.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٥.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٥.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٥.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٥.
(١١) سورة البقرة آية : ٢٥.

أي: من الجنة، ﴿ مِن ثَمَرَةٍ ﴾ [1] أي: ثمرة، ومن: صلة. ﴿ رِّزۡقًا ﴾ [2]: طعامًا، ﴿ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ ﴾ [3] قيل: من قبل في الدنيا، وقيل: الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم، فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى، ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ ﴾ [4]: رزقًا ﴿ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ [5]، قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابهًا في الألوان مختلفًا في الطعوم، وقال الحسن وقتادة: متشابهًا أي: يشبه بعضها بعضًا في الجودة، أي: كلها خيار لا رذالة فيها، وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا، غير أنها أطيب، وقيل: متشابهًا في الاسم مختلفًا في الطعم، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي.

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمۡ فِيهَآ ﴾ [6]: في الجنان ﴿ أَزۡوَٰجٌ ﴾ [7]: نساء وجوار، يعني: من الحور العين، ﴿ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [8]: من الغائط والبول والحيض والنفاس والبصاق والمخاط والمني والولد وكل قذر، وقيل: مطهرة عن مساوئ الأخلاق ﴿ وَهُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٢٥ ﴾ [9]، دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا....

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٥.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٥.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٥.

(٧) سورة البقرة آية : ٢٥.

(٨) سورة البقرة آية : ٢٥.

(٩) سورة البقرة آية : ٢٥.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ [١] يذكر شبها، ﴿ مَّا بَعُوضَةً ﴾ [٢] ما: صلة، أي: مثلاً بالبعوضة، وبعوضة: نصب بدل عن المثل، والبعوض صغار البق، سميت بعوضة لأنها كانت بعض البق، ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [٣]، يعني: الذباب والعنكبوت، وقال أبو عبيدة: أي: فما دونها، كما يقال: فلان جاهل، فيقال: وفوق ذلك، أي: وأجهل. ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [٤]: بمحمد والقرآن، ﴿ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ﴾ [٥]، يعني: المثل هو ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ [٦]: الصدق ﴿ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ ﴾ [٧] أي: بهذا المثل، فلما حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع، ثم أجابهم فقال: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [٨] مـن الكفـار، وذلك أنهم يكذبون فيزدادون ضلالاً، ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ ﴾ [٩]، أي بهذا المثل ﴿ كَثِيرًا ﴾ [١٠] من المؤمنين فيصدقونه، والإضلال هو الصرف عن الحق إلى الباطل، وقيل: هو الهلاك، يقال: ضل الماء في اللبن إذا هلك،

(١) سورة البقرة آية : ٢٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٦.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٦.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٦.

﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[1]: الكافرين، وأصل الفسق: الخروج، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها، ثم وصفهم فقال:

[٢٧] ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ ﴾[2]: يخالفون ويتركون، وأصل النقض: الكسر، ﴿ عَهۡدَ ٱللَّهِ ﴾[3]: أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ ﴾[4]؟ ﴿ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾[5]، وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ في قوله: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[6]، الآية، وقيل: أراد به العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويبينوا نعته، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾[7]: توكيده، والميثاق: العهد المؤكد، ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾[8]، يعني: الإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الرسل عليهم السلام وقيل: أراد به الأرحام، ﴿ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[9]: بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[10]: المغبونون.

ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب:

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٧٢.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٧٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ٨١.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٧.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٧.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٧.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٧.

[٢٨] ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾[1]؟ بعد نصب الدلائل ووضوح البرهان.

ثم ذكر الدلائل فقال: ﴿ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا ﴾[2]: نطفًا في أصلاب آبائكم، ﴿ فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ﴾[3]: في الأرحام والدنيا، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ﴾[4] عند انقضاء آجالكم، ﴿ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ﴾[5]: للبعث، ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ ﴾[6]، أي: تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾[7]، لكي تعتبروا وتستدلوا، وقيل: لكي تنتفعوا، ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[8]، قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ ﴾[9]: خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدوع، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩ ﴾[10].

[٣٠] ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ ﴾[11]، أي: وقال ربك وإذ زائدة، وقيل: معناه واذكر إذ قال ربك، وكذلك كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله، إذ وإذا: حرفا توقيت إلا أن إذ

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٨.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٨.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٨.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٩.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٩.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٩.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٩.
(١١) سورة البقرة آية : ٣٠.

للماضي وإذا للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر. ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[1]، جمع ملك، وأراد به الملائكة الذين كانوا في الأرض ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2]، أي: بدلا منكم، والمراد بالخليفة ههنا آدم ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾[3]: بالمعاصي، ﴿ وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾[4] بغير حق ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾[5]، قال الحسن: نقول: سبحان الله وبحمده هو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الآدميين ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[6]، أي: نثني عليك بالقدس والطهارة عما لا يليق بعظمتك وجلالك، وقيل: ونطهر أنفسنا لطاعتك، وقيل: ونـ هك، واللام: صلة، وقيل: لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب الحكمة فيه، قَالَ الله :﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠ ﴾[7] من المصلحة فيه، وقيل: إني أعلم أن في ذريته من يطيعني ويعبدني من الأنبياء والأولياء والصلحاء، وقيل: إني أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس، وقيل: إني أعلم أنم يذنبون وأنا أغفر لهم.

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٠.

(٢) سورة البقرة آية : ٣٠.

(٣) سورة البقرة آية : ٣٠.

(٤) سورة البقرة آية : ٣٠.

(٥) سورة البقرة آية : ٣٠.

(٦) سورة البقرة آية : ٣٠.

(٧) سورة البقرة آية : ٣٠.

قوله تعالى وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثم عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ....

[٣١] قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1]: سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: لأنه كان آدم اللون، فلما خلقه الله ﷻ علمه أسماء الأشياء، وذلك أن الملائكة قالوا لما قال الله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً ﴾[2] ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقًا أكرم عليه منا وإن كان غيرنا أكرم عليه فنحن أعلم منه لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم، قال ابن عباس: علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة، وقيل: اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة، وقيل: أسماء ذريته، وقيل: صنعة كل شيء ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾[3] إنما قال: ﴿ عَرَضَهُمۡ ﴾[4]، ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل، كما يكنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور، وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة، فالكناية راجعة إلى الشخوص، فلذلك قال عرضهم ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي ﴾[5] أخبروني ﴿ بِأَسۡمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[6]، إني لا أخلق خلقًا إلا وكنتم أفضل وأعلم منه.

فقالت الملائكة إقرارًا بالعجز:

---

(١) سورة البقرة آية : ٣١.
(٢) سورة البقرة آية : ٣٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٣١.
(٤) سورة البقرة آية : ٣١.
(٥) سورة البقرة آية : ٣١.
(٦) سورة البقرة آية : ٣١.

[٣٢] ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ ﴾[١]: تـ يهًا لك، ﴿ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ ﴾[٢]، معناه: إنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[٣] بخلقك ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[٤] في أمرك، والحكيم له معنيان: أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل، والثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد، وأصل الحكمة في اللغة: المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل.

فلما ظهر عجزهم.

[٣٣] قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾[٥]، أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء وذكر الحكمة التي لأجلها خلق، ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ ﴾[٦] الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ ﴾[٧] يا ملائكتي ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٨]، ما كان منهما وما يكون ﴿ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ ﴾[٩]، قال الحسن وقتادة: يعني قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها، ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾[١٠]: قولكم لن يخلق الله خلقًا أكرم عليه منا، قال ابن عباس هو: إن إبليس مر على جسد آدم لا روح فيه، فقال: لأمر

(١) سورة البقرة آية : ٣٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٣٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٣٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٣٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٣٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٣٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٣٣.
(٨) سورة البقرة آية : ٣٣.
(٩) سورة البقرة آية : ٣٣.
(١٠) سورة البقرة آية : ٣٣.

ما خلق هذا، ثم دخل في فيه وخرج من دبره، وقال: إنه خلق لا يتماسك لأنه أجوف، ثم قال للملائكة الذين معه: أرأيتم إن فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربنا، فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت عليه لأهلكنه ولئن سلط علي لأعصينه، فقال الله تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ [1] يعني ما تبديه الملائكة من الطاعة، ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2] يعني إبليس من المعصية.

[٣٤] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ [3] اختلفوا في هذا الخطاب مع الملائكة، فقال بعضهم: مع الذين كانوا سكان الأرض والأصح أنه مع جميع الملائكة، لقوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [4]، وقوله: ﴿ ٱسْجُدُوا۟ ﴾ [5]، فيه قولان: الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله ﷻ وامتثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله ﷻ ﴿ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ ﴾ [6]، ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض إنما كان انحناء فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام، وقيل: معنى قوله: ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ [7] أي: إلى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله ﷻ ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾ [8] يعني: الملائكة،

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٣.

(٢) سورة البقرة آية : ٣٣.

(٣) سورة البقرة آية : ٣٤.

(٤) سورة الحجر آية : ٣٠.

(٥) سورة البقرة آية : ٣٤.

(٦) سورة يوسف آية : ١٠٠.

(٧) سورة البقرة آية : ٣٤.

(٨) سورة البقرة آية : ٣٤.

﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ﴾ [1]، وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث، فلما عصى غير اسمه وصورته، فقيل: إبليس لأنه أبلس من رحمة الله تعالى، أي: يئس، واختلفوا فيه، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: كان إبليس من الملائكة، وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ ﴾ [2]، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة، والأول أصح لأن خطاب السجود كان مع الملائكة، وقوله: ﴿ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ [3]، أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة، وقال سعيد بن جبير: من الذين يعملون في الجنة وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموا جنا لاستتارهم عن الأعين، وإبليس كان منهم.

قوله: ﴿ أَبَىٰ ﴾ [4] أي: امتنع فلم يسجد، ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴾ [5] أي: تكبر عن السجود لآدم، ﴿ وَكَانَ ﴾ [6] أي: وصار ﴿ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ ﴾ [7]، وقال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة. قوله تعالى:

[٣٥] ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا ﴾ [8]: واسعًا

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٤.
(٢) سورة الكهف آية : ٥٠.
(٣) سورة الكهف آية : ٥٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٣٤.
(٥) سورة البقرة آية : ٣٤.
(٦) سورة البقرة آية : ٣٤.
(٧) سورة البقرة آية : ٣٤.
(٨) سورة البقرة آية : ٣٥.

كثيرًا، ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [(١)]: كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما، ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [(٢)]، يعني: بالأكل، قال بعض العلماء: وقع النهي على جنس من الشجر، وقال آخرون: على شجرة مخصوصة ﴿ فَتَكُونَا ﴾ [(٣)]: فتصيرا ﴿ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [(٤)]، أي: الضارين أنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

قوله تعالى فَأَزَلَّهُمَا الشيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِما كَانَا فِيهِ....

[٣٦] ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ [(٥)]: استزل ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [(٦)] آدم وحواء، أي: دعاهما إلى الزلة ﴿ عَنْهَا ﴾ [(٧)] عن الجنة ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ ﴾ [(٨)]: من النعيم ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ ﴾ [(٩)]: انزلوا إلى الأرض، يعني: آدم وحواء وإبليس والحية ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ ﴾ [(١٠)] أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية، وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس، وقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ [(١١)] موضع قرار

(١) سورة البقرة آية : ٣٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٣٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٣٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٣٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٣٦.
(٦) سورة البقرة آية : ٣٦.
(٧) سورة البقرة آية : ٣٦.
(٨) سورة البقرة آية : ٣٦.
(٩) سورة البقرة آية : ٣٦.
(١٠) سورة البقرة آية : ٣٦.
(١١) سورة البقرة آية : ٣٦.

﴿ وَمَتَـٰعٌ ﴾ [1] بلغة ومستمتع ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [2] إلى انقضاء آجالكم.

[٣٧] ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ﴾ [3] التلقي: هو قبول عن فطنة وفهم، وقيل: هو التعلم، ﴿ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ ﴾ [4] اختلفوا في تلك الكلمات، قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن: هي قوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [5] الآية، وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي: هو قوله: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءًا وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين، وقال عبيد بن عمير: هي أن آدم قال: يا رب أرأيت ما أتيت، أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرتَه عليّ قبل أن تخلقني؟ قال الله تعالى: لا بل شيء قدرته عليكم قبل أن أخلقك، قال: يا رب فكما قدرته قبل أن تخلقني فاغفر لي، وقيل: هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء. قوله: ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ ﴾ [6]: فتجاوز عنه ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ﴾ [7]: يقبل توبة عباده ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [8]: بخلقه.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ ﴾ [9]، يعني: هؤلاء الأربعة وقيل

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٣٦.
(٣) سورة البقرة آية : ٣٧.
(٤) سورة البقرة آية : ٣٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٣٧.
(٧) سورة البقرة آية : ٣٧.
(٨) سورة البقرة آية : ٣٧.
(٩) سورة البقرة آية : ٣٨.

الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوط الثاني من السماء الدنيا إلى الأرض ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم ﴾ [1]، أي فإن يأتكم يا ذرية آدم ﴿ مِّنِّي هُدًى ﴾ [2]، أي: رشد وبيان شريعة، وقيل: كتاب ورسول، ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [3] فيما يستقبلهم ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [4] على ما خلفوا، وقيل: لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة.

[٣٩] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [5]: جحدوا ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ [6] بالقرآن ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [7]: يوم القيامة، ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [8]: لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [9] يا أولاد يعقوب، ومعنى إسرائيل: عبد الله ﴿ اذْكُرُوا ﴾ [10]: احفظوا، والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، وقيل: أراد به الشكر، وذكر بلفظ الذكر، لأن في الشكر ذكرًا وفي الكفران نسيانًا، قال

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٣٨.
(٣) سورة البقرة آية : ٣٨.
(٤) سورة البقرة آية : ٣٨.
(٥) سورة البقرة آية : ٣٩.
(٦) سورة البقرة آية : ٣٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٣٩.
(٨) سورة البقرة آية : ٣٩.
(٩) سورة البقرة آية : ٤٠.
(١٠) سورة البقرة آية : ٤٠.

الحسن: ذكر النعمة شكرها، ﴿ نِعۡمَتِيَ ﴾ [(١)]، أي: نعمي، لفظها واحد ومعناها جمع ﴿ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [(٢)]، أي: على أجدادكم وأسلافكم، قال قتادة: هي النعم التي خصت بنو إسرائيل: فلق البحر، وإنجاؤهم من فرعون بإغراقه، وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المن والسلوى، وإنزال التوراة، في نعم كثيرة لا تحصى، وقال غيره: هي جميع النعم التي لله ﷻ على عباده، ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ ﴾ [(٣)]: بامتثال أمري ﴿ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ ﴾ [(٤)]: بالقبول والثواب ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ ﴾ [(٥)]: فخافوني في نقض العهد.

قوله تعالى وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَولَ كَافِرٍ بِهِ....

[٤١] ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ ﴾ [(٦)] يعني القرآن، ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ ﴾ [(٧)]، أي: موافقًا لما معكم من التوراة في التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي ﷺ ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ ﴾ [(٨)]، أي: بالقرآن، يريد من أهل الكتاب، لأن قريشًا كفرت قبل اليهود بمكة، معناه ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن فتتابعكم اليهود على ذلك فتبوءوا بآثامكم وآثامهم، ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ ﴾ [(٩)]، أي ولا تستبدلوا ﴿ بِـَٔايَٰتِي ﴾ [(١)]: ببيان

(١) سورة البقرة آية : ٤٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٤٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٤٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٤٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٤٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٤١.
(٧) سورة البقرة آية : ٤١.
(٨) سورة البقرة آية : ٤١.
(٩) سورة البقرة آية : ٤١.

صفة محمد ﷺ ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [٢] أي: عوضًا يسيرًا من الدنيا، وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مأكلة يصيبونا من سفلتهم وجهالهم يأخذون كل عام منهم شيئًا معروفًا من زروعهم وضروعهم ونقودهم، فخافوا أنم إن بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتم تلك المأكلة، فغيروا نعته وكتموا اسمه، فاختاروا الدنيا على الآخرة ﴿ وَإِيَّىٰ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ [٣] فاخشوني.

[٤٢] ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ [٤]، أي لا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفة محمد ﷺ والأكثرون على أنه أراد لا تلبسوا الإسلام باليهودية والنصرانية، وقال مقاتل: إن اليهود أقروا ببعض صفة محمد ﷺ وكتموا بعضا ليصدقوا في ذلك، فقال ولا تلبسوا الحق الذي تغيرون بالباطل، يعني: بما تكتمونه، فالحق بيانم والباطل كتمانم، ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ [٥]، أي: لا تكتموه، يعني: نعت محمد ﷺ ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٦] أنه نبي مرسل.

[٤٣] ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [٧]، يعني: الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها، ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [٨] أدوا زكاة أموالكم المفروضة، فهي مأخوذة من زكاة الزرع إذا نما وكثر، وقيل: من تزكى، أي تطهر، وكلا المعنيين موجودان في الزكاة لأن فيها تطهير أو

---

(١) سورة البقرة آية : ٤١.
(٢) سورة البقرة آية : ٤١.
(٣) سورة البقرة آية : ٤١.
(٤) سورة البقرة آية : ٤٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٤٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٤٢.
(٧) سورة البقرة آية : ٤٣.
(٨) سورة البقرة آية : ٤٣.

تنمية للمال، ﴿ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[1]، أي صلوا مع المصلين محمد ﷺ وأصحابه، وذكر بلفظ الركوع لأن الركوع ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، وكأنه قال صلوا صلاة ذات ركوع، قيل: وإعادته بعد قوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[2] لهذا، أي: صلوا مع الذين في صلواتم ركوع، فالأول مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام مخصوصين، وقيل: هذا حث على إقام الصلاة جماعة كأنه قال لهم: صلوا مع المصلين الذين سبقوهم بالإيمان.

[٤٤] ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ ﴾[3]، أي: بالطاعة، نزلت في علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المؤمنين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ اثبت على دينه فإن أمره حق، وقوله صدق، وقيل: هو خطاب لأحبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة، ثم خالفوا وغيروا نعت محمد ﷺ ﴿ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾[4]، أي: تتركون أنفسكم فلا تتبعونه، ﴿ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ ﴾[5]: تقرءون التوراة فيها نعته وصفته، ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[6]: أنه حق فتتبعون، والعقل مأخوذ من عقال الدابة، وهو ما يشد به ركبة البعير فيمنعه عن الشرود، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود.

[٤٥] ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ ﴾[7]: على ما يستقبلكم من أنواع البلاء، وقيل: على طلب

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٤٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٤٤.
(٤) سورة البقرة آية : ٤٤.
(٥) سورة البقرة آية : ٤٤.
(٦) سورة البقرة آية : ٤٤.
(٧) سورة البقرة آية : ٤٥.

الآخرة، ﴿ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾[1]: أراد حبس النفس عن المعاصي، وقيل: أراد بالصبر: الصبر على أداء الفرائض، وقال مجاهد: الصبر: الصوم، ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يزهده في الدنيا والصلاة ترغبه في الآخرة، وقيل: الواو بمعنى " على " أي: واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾[2]، ﴿ وَإِنَّهَا ﴾[3]، ولم يقل وإنما، رد الكناية إلى كل واحد منهما، أي وإن كل خصلة منهما وقيل: معناه واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، وبالصلاة وإنا لكبيرة، فحذف أحدهما اختصارًا، ﴿ لَكَبِيرَةٌ ﴾[4]، أي: لثقيلة ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥ ﴾[5]، يعني: المؤمنين، وقال الحسن: الخائفين، وقيل: المطيعين، وقال مقاتل بن حيان: المتواضعين، وأصل الخشوع: السكون، قال الله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ ﴾[6]، فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

قوله تعالى الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ....

[٤٦] ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾[7]: يستيقنون، فالظن من الأضداد يكون شكًا ويقينًا، كالرجاء يكون أمنًا وخوفًا. ﴿ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ﴾[8]: معاينوا ﴿ رَبِّهِمۡ ﴾[9]: في الآخرة،

(١) سورة البقرة آية : ٤٥.
(٢) سورة طه آية : ١٣٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٤٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٤٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٤٥.
(٦) سورة طه آية : ١٠٨.
(٧) سورة البقرة آية : ٤٦.
(٨) سورة البقرة آية : ٤٦.
(٩) سورة البقرة آية : ٤٦.

وهو رؤية الله تعالى، وقيل: المراد من اللقاء الصيرورة إليه، ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [1]: فيجزيهم بأعمالهم.

[٤٧] ﴿ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [2]، أي: عالمي زمانكم، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في حق الأبناء.

[٤٨] ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ﴾ [3]: واخشوا عقاب يوم، ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ ﴾ [4]. لا تقضي نفس ﴿ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [5] أي: حقًّا لزمها، وقيل لا تغني، وقيل لا تكفي شيئًا من الشدائد ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ [6] إذا كانت كافرة ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [7]، أي فداء، ﴿ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ [8]: يمنعون من عذاب الله.

[٤٩] ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ ﴾ [9]، أي أسلافكم وأجدادكم فاعتدها منة عليهم، لأنهم نجوا بنجاتهم، ﴿ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ [10]: أتباعه وأهل دينه، وفرعون هو الوليد بن

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٦.

(٢) سورة البقرة آية : ٤٧.

(٣) سورة البقرة آية : ٤٨.

(٤) سورة البقرة آية : ٤٨.

(٥) سورة البقرة آية : ٤٨.

(٦) سورة البقرة آية : ٤٨.

(٧) سورة البقرة آية : ٤٨.

(٨) سورة البقرة آية : ٤٨.

(٩) سورة البقرة آية : ٤٩.

(١٠) سورة البقرة آية : ٤٩.

مصعب بن الريان، وكان من القبط ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾[(١)]: يكلفونكم ويذيقونكم ﴿ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ﴾[(٢)]: أشد العذاب وأسوأه، وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة هكذا كالإبل السائمة في البرية، وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدمًا وخولًا، وصنفهم في الأعمال فصنف يبنون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليه الجزية، وقيل: تفسير قوله: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ﴾[(٣)]: ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ ﴾[(٤)]، فهو مذكور على وجه البدل من قوله: ﴿ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ﴾[(٥)] ﴿ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ ﴾[(٦)] يتركونن أحياء، وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن نارًا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي فيها، ولم يتعرض لبني إسرائيل، فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا: يولد ولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٤٩ ﴾[(٧)]، قيل: البلاء: المحنة، أي: في سومهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة، وقيل: البلاء: النعمة، أي في إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة، فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر، قال الله تعالى: ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ﴾[(٨)].

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٩.

(٢) سورة البقرة آية : ٤٩.

(٣) سورة البقرة آية : ٤٩.

(٤) سورة البقرة آية : ٤٩.

(٥) سورة البقرة آية : ٤٩.

(٦) سورة البقرة آية : ٤٩.

(٧) سورة البقرة آية : ٤٩.

(٨) سورة الأنبياء آية : ٣٥.

[٥٠] ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾[١]، قيل: معناه فرقنا لكم، وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه، وسمي البحر بحرًا لاتساعه، ومنه قيل للفرس: بحر إذا اتسع في جريه، وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسير ببني إسرائيل من مصر ليلًا وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنسانًا ما بين رجل وامرأة، فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل، وعلى مقدمة عسكره هامان في ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألفًا من دهم الخيل سوى سائر الشيات فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر ونظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس، فبقوا متحيرين فقالوا: يا موسى كيف نصنع وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾[٢] فأوحى الله إليه ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ ﴾[٣]، فضربه وظهر فيه اثنا عشر طريقًا لكل سبط طريق حتى عبروا البحر سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ ﴾[٤]: من آل فرعون والغرق ﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾[٥]، وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منفلقًا خاض البحر فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم وأغرقهم أجمعين، وذلك بمرأى من بني إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٦] إلى مصارعهم،

---

(١) سورة البقرة آية : ٥٠.
(٢) سورة الشعراء الآيتان : ٦١، ٦٢.
(٣) سورة الشعراء آية : ٦٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٥٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٥٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٥٠.

وقيل: إلى إهلاكهم.

قوله تعالى وَإِذْ وَاعَدْنا مُوسَى أَرْبعِينَ لَيْلَةً ثُم اتخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ...

[٥١]: ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ ﴾ [١] اسم عبري عُرّب وهو بالعبرانية الماء والشجر، وسمي به لأنه أخذ من بين الماء والشجر، ثم قلبت الشين المعجمة سينًا في العربية، ﴿ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ [٢]، أي: انقضاءها، ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وذلك أن بني إسرائيل لما أمنوا من عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليهما فوعد الله موسى ي ل عليهم التوراة، فقال موسى لقومه: إني ذاهب لميقات ربكم آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون، وواعدهم أربعين ليلة، ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري وكان رجلًا صائغًا ورأى موضع قدم الفرس تَخْضر من ذلك، وكان منافقًا أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر فصاغ لهم عجلًا في ثلاثة أيام فقال السامري: هذا إلهكم وإله موسى، وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين، فلما مضى عشرون يومًا ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة، وقيل: كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة، فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات، ورأوا العجل وسمعوا قول السامري، فعكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه، وقيل: كلهم عبدوه إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح، وقال الحسن: كلهم عبدوه إلا هارون وحده، فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ [٣]، أي: إلهًا ﴿ مِنۢ بَعۡدِهِۦ

(١) سورة البقرة آية : ٥١.

(٢) سورة البقرة آية : ٥١.

(٣) سورة البقرة آية : ٥١.

﴿ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ۝٥١ ﴾[1]: ضارون لأنفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها.

[٥٢] ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم ﴾[2]: محونا ذنوبكم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾[3]: من بعد عبادتكم العجل، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢ ﴾[4]: لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي إليكم، قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية، وقال الحسن: شكر النعمة ذكرها.

قوله تعالى:

[٥٣] ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[5]، يعني التوراة، ﴿ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾[6]، قال مجاهد: هو التوراة أيضًا ذكرها باسمين، قال الكسائي: الفرقان نعت الكتاب، والواو زائدة، يعني الكتاب الفرقان، أي: المفرق بين الحلال والحرام، وقال يمان بن ريان: أراد بالفرقان انفراق البحر كما قال: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ ﴾[7]، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣ ﴾[8]: بالتوراة.

[٥٤] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾[9] الذين عبدوا العجل ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ

(١) سورة البقرة آية : ٥١.
(٢) سورة البقرة آية : ٥٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٥٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٥٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٥٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٥٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٥٠.
(٨) سورة البقرة آية : ٥٣.
(٩) سورة البقرة آية : ٥٤.

﴿ أَنفُسَكُم ﴾[(١)]: ضررتم بأنفسكم: ﴿ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾[(٢)]: إلهًا قالوا: فأي شيء نصنع؟ قال: ﴿ فَتُوبُوٓاْ ﴾[(٣)]: فارجعوا ﴿ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾[(٤)]: خالقكم، قالوا: كيف نتوب؟ قال: ﴿ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[(٥)]، يعني: ليقتل البريء منكم المجرم، ﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾[(٦)]، أي: القتل، ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ ﴾[(٧)]، فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا: نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية محتبين، وقيل لهم: من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته، وأصلت القوم عليهم الخناجر، وكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره، فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى، قالوا: يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضًا فكانوا يقتلونهم إلى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون عليهما السلام وبكيا وتضرعا وقالا: يا رب هلكت بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل، فكشف عن ألوف من القتلى فكان من قتل منهم شهيدًا ومن بقي مكفر عنه ذنوبه، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾[(٨)]، أي: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ﴾[(٩)]: القابل للتوبة، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ٥٤ ﴾[(١٠)]

(١) سورة البقرة آية : ٥٤.
(٢) سورة البقرة آية : ٥٤.
(٣) سورة البقرة آية : ٥٤.
(٤) سورة البقرة آية : ٥٤.
(٥) سورة البقرة آية : ٥٤.
(٦) سورة البقرة آية : ٥٤.
(٧) سورة البقرة آية : ٥٤.
(٨) سورة البقرة آية : ٥٤.
(٩) سورة البقرة آية : ٥٤.
(١٠) سورة البقرة آية : ٥٤.

بهم.

[٥٥]، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (١)، وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين رجلًا من قومه من خيارهم فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل، وسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه، وأسمعهم الله إني أنا الله لا إله إلا أنا، فلما فرغ موسى أقبل إليهم فقالوا له: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة معاينة، وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية، فقال: جهرة ليعلم أن المراد منه العيان، ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ (٢)، أي: الموت، وقيل: نار جاءت من السماء فأحرقتهم، ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ﴾ (٣)، أي: ينظر بعضكم لبعض حين أخذكم الموت، وقيل: تعلمون، والنظر يكون بمعنى العلم، فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد هلك خيارهم؟ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي، أتلكنا بما فعل السفهاء منا، فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلًا رجلًا، بعدما ماتوا يومًا وليلة ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى:

[٥٦] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم ﴾ (٤): أحييناكم, والبعث: إثارة الشيء عن محله، يقال: بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث، ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ (٥)، قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم، ولو ماتوا بآجالهم لم يُبعثوا إلى يوم القيامة، ﴿ لَعَلَّكُمْ

(١) سورة البقرة آية : ٥٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٥٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٥٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٥٦.
(٥) سورة البقرة آية : ٥٦.

﴿تَشۡكُرُونَ ٥٦﴾[1].

قوله تعالى وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَن وَالسلْوَى....

[٥٧] ﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ ﴾[2]، في التيه تقيكم حر الشمس والغمامُ من الغم، وأصله: التغطية والستر، سُمي السحاب غمامًا لأنه يُغطي وجه الشمس، وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كن يسترهم فشكوا إلى موسى فأرسل الله تعالى غمامًا أبيض رقيقًا أطيب من غمام المطر، وجعل لهم عمودًا من نور يُضيء لهم الليل إذ لم يكن لهم قمر، ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ ﴾[3] أي: في التيه، والأكثرون: عن أن المن هو الترنجبين، وقال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد، وقال وهب: هو الخبز الرقاق، قال الزجاج: جملة المنّ من يمن الله به من غير تعب ﴿كُلُوا﴾[4]: أي: وقلنا لهم كلوا: ﴿ مِن طَيِّبَٰتِ ﴾[5]: حلالات، ﴿ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ ﴾[6]، ولا تدخروا لغدٍ، ففعلوا فقطع الله ذلك عنهم، ودود وفسد ما ادخروا، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧﴾[7]، أي: وما بخسوا بحقنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستيجابهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ي ل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى.

(١) سورة البقرة آية : ٥٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٥٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٥٧.
(٤) سورة البقرة آية : ٥٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٥٧.
(٦) سورة البقرة آية : ٥٧.
(٧) سورة البقرة آية : ٥٧.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [١]، سميت القرية قرية لأنا تجمع أهلها، ومنه المقراة للحوض لأنا تجمع الماء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أريحاء وقيل: بلقاء، وقال مجاهد: بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الرملة والأردن وفلسطين وتدمر، وقال مقاتل: إيليا، وقال ابن كيسان: الشام، ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ [٢]: موسعًا عليكم ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ ﴾ [٣]، يعني: بابًا من أبواب القرية، وكـان لها سبعـة أبواب ﴿ سُجَّدًا ﴾ [٤]، أي: رُكَّعًا خضعًا منحنين، وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكرًا لله تعالى، ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ [٥]، قال قتادة: حط عنا خطايانا، أمروا بالاستغفار، وقال ابن عباس: لا إله إلا الله، لأنا تحط الذنوب ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ ﴾ [٦]: من الغفر وهو الستر، فالمغفرة: تستر الذنوب ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [٧]: ثوابًا من فضلنا.

[٥٩] ﴿ فَبَدَّلَ ﴾ [٨]: فغير ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [٩]: أنفسهم، وقالوا: ﴿ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [١٠]، وذلك أنم بدّلوا قول الحطة بالحنطة استخفافًا بأمر الله

(١) سورة البقرة آية : ٥٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٥٨.
(٣) سورة البقرة آية : ٥٨.
(٤) سورة البقرة آية : ٥٨.
(٥) سورة البقرة آية : ٥٨.
(٦) سورة البقرة آية : ٥٨.
(٧) سورة البقرة آية : ٥٨.
(٨) سورة البقرة آية : ٥٩.
(٩) سورة البقرة آية : ٥٩.
(١٠) سورة البقرة آية : ٥٩.

تعالى ﴿ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [1] قيل: أرسل الله عليهم طاعونًا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفًا، ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ [2]: يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى.

قوله تعالى وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا...

[٦٠] ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ ﴾ [3]: طلب السقيا ﴿ لِقَوۡمِهِۦ ﴾ [4]، وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل، فأوحى إليه كما قال: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ﴾ [5] وكانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب عليه السلام، فأعطاها موسى عليه السلام، قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَجَرَ ﴾ [6]، اختلفوا فيه قال وهب: لم يكن حجرًا معينًا بل كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيونًا، لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر سبطًا ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم، وقال الآخرون: كان حجرًا معينًا بدليل أنه عرّفه بالألف واللام، وقال ابن عباس: كان حجرًا خفيفًا مربعًا على قدر رأس الرجل، كان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه، قوله تعالى: ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ [7]، أي: فضرب فانفجرت أي

(١) سورة البقرة آية : ٥٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٥٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٦٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٦٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٦٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٦٠.
(٧) سورة البقرة آية : ٦٠.

سالت، ﴿ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾[1]: على عدد الأسباط، ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ ﴾[2]: موضع شربهم، لا يدخل سبط على غيره في شربه، ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾[3]، أي: وقلنا لهم: كلوا من المنّ والسلوى واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله يأتيكم بلا مشقة، ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٦٠ ﴾[4]، والعثي، أشد الفساد، يقال: عثى يعثي عثيًا، وعثا يعثو عثوًا، وعاث يعيث عيثًا.

قوله تعالى:

[٦١] ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾[5]، وذلك أنهم أجمعوا وسئموا من أكل المن والسلوى وإنما قال: على طعام واحد وهما اثنان، لأن العرب تعّبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين وقيل: كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فكانا كطعام واحد ﴿ فَٱدْعُ لَنَا ﴾[6]: فسل لأجلنا ﴿ رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا ﴾[7]، قال ابن عباس: الفوم الخبز، وقال عطاء: الحنطة، وقال القتيبي رحمه الله تعالى: الحبوب التي تُؤكل كلها، وقال الكلبي: الثوم، ﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ ﴾[8]، ﴿ قَالَ ﴾[9]، لهم موسى عليه السلام: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ

(١) سورة البقرة آية : ٦٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٦٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٦٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٦٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٦١.
(٦) سورة البقرة آية : ٦١.
(٧) سورة البقرة آية : ٦١.
(٨) سورة البقرة آية : ٦١.
(٩) سورة البقرة آية : ٦١.

﴿ ٱلَّذِى هُوَ أَدۡنَىٰ ﴾[١] أخس وأردأ ﴿ بِٱلَّذِى هُوَ خَيۡرٌۚ ﴾[٢]: أشرف وأفضل ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا ﴾[٣]، يعني: فإن أبيتم إلّا ذلك فانزلوا مصرًا من الأمصار، وقال الضحاك: هو مصر موسى وفرعون، والأول أصح لأنه لو أراده لم يصرفـه، ﴿ فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ ﴾[٤]: من نبات الأرض، ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ﴾[٥]: جُعلت عليهم، وألزموا: ﴿ ٱلذِّلَّةُ ﴾[٦] والذل والهوان، قيل: بالجزية ﴿ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ ﴾[٧]: الفقر، سُمي الفقير مسكينًا لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة، فترى اليهود وإن كانوا مياسير كأنم فقراء، وقيل: الذلة هي فقر القلب فلا ترى في أهل الملل أذل وأحرص على المال من اليهود، ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾[٨]: رجعوا، ولا يقال: باءَ إلّا بالشر، وقال أبو عبيدة: احتملوا وأقروا به، ومنه الدعاء أبوءُ لك بنعمتك علي وأبوءُ بذنبي، أي: أقر، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[٩]، أي: الغضب، ﴿ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[١٠]: بصفة محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة، ويكفرون بالإنجيل والقرآن، ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[١١]،

---

(١) سورة البقرة آية : ٦١.

(٢) سورة البقرة آية : ٦١.

(٣) سورة البقرة آية : ٦١.

(٤) سورة البقرة آية : ٦١.

(٥) سورة البقرة آية : ٦١.

(٦) سورة البقرة آية : ٦١.

(٧) سورة البقرة آية : ٦١.

(٨) سورة البقرة آية : ٦١.

(٩) سورة البقرة آية : ٦١.

(١٠) سورة البقرة آية : ٦١.

(١١) سورة البقرة آية : ٦١.

تفرد نافع بهمز النبي وبابه، فيكون معناه: المخبر، من أنبأ يُنبئ، والقراءة المعروفة تَرْكُ الهمزة، وله وجهان: أحدهما هو أيضًا من الأنباء تركت الهمزة فيه تخفيفًا لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة، وهي المكان المرتفع، فعلى هذا يكون (النبيين) على الأصل، ﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[1]، أي بلا جرم ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[2]: يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

[٦٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾[3]، يعني: اليهود، سموا به لقولهم إنا هُدنا إليك، أي: ملنا إليك، وقيل. لأنهم هادوا، أي: تابوا عن عبادة العجل، وقيل: لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى عليه السلام ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾[4]، سُموا به لقول الحواريين: نحن أنصار الله، وقال مقاتل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة، وقيل: لاعتزائهم إلى نصرة وهي قرية كان ي لها عيسى عليه السلام ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾[5] قرأ أهل المدينة والصابين والصابون بترك الهمزة، والباقون بالهمزة، وأصله الخروج، يقال: صبأ فلان أي خرج من دين إلى دين آخر، قال عمر بن الخطاب وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، قال عمر: تحل ذبائحهم مثل ذبائح أهل الكتاب, وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم، ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[6]، فإن قيل: كيف يستقيم قوله من آمن بالله وقد ذكر في ابتداء الآية إن الذين آمنوا؟ قيل: اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم: أراد بقوله: إن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين، فقال

(١) سورة البقرة آية : ٦١.
(٢) سورة البقرة آية : ٦١.
(٣) سورة البقرة آية : ٦٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٦٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٦٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٦٢.

قوم: هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ قبل المبعث وهم طلاب الدين، مثل حبيب النجار، وقس بن ساعدة، وسلمان الفارسي، فمنهم من أدرك النبي ﷺ وتابعه، ومنهم من لم يدركه، وقيل: هم المؤمنون من الأمم الماضية، وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة، والذين هادوا الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدلوا، والنصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك والصابئون زمن استقامة أمرهم، من آمن أي: من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالوفاة، ويجوز أن يكون الواو مضمرًا، أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة.

وقال بعضهم: إن المذكورين بالإيمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة، ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم: الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهوديّة والنصرانيّة بعد التبديل، والصابئون بعض أصناف الكفار، من آمن بالله واليوم الآخر من هذه الأصناف بالقلب واللسان، ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[1]، وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن (مَن) يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾[2]: في الدنيا ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3]: في الآخرة.

[٦٣] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾[4]: عهدكم يا معشر اليهود ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾[5]، وهو الجبل بالسريانية قال ابن عباس: أمر الله تعالى جبلًا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم، وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة على

(١) سورة البقرة آية : ٦٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٦٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٦٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٦٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٦٣.

موسى عليه السلام، فأمر موسى قومه أن يقبلوها ويعملوا بأحكامها، فأبوا أن يقبلوها للآصار والأنفال التي هي فيها، وكانت شريعة ثقيلة، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلًا على قدر عسكرهم فرفعه فوق رؤوسهم مثل قامة الرجل كالظلة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم ﴿ خُذُواْ ﴾[(١)]، أي: قلنا لهم خذوا ﴿ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم ﴾[(٢)]: أعطيناكـم ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾[(٣)]: بجدّ واجتهاد ومواظبة، ﴿ وَٱذْكُرُواْ ﴾[(٤)]: وادرسوا ﴿ مَا فِيهِ ﴾[(٥)]، وقـيل: احـفظوا واعـملوا ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٦)]، لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العُقبى، فإن قبلتم وإلّا رضختكم بهذا الجبل فلما رأوا أنْ لا مهرب لهم عنها قبلوا وسجدوا، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار سنة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا.

[٦٤] ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم ﴾[(٧)]: أعرضتـم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ ﴾[(٨)]: مـن بعدما قبلتـم التـوراة، ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾[(٩)] يعني بالإمهـال والإدراج وتأخير العذاب عنكـم، ﴿ لَكُنتُم ﴾[(١٠)] لصرتم

(١) سورة البقرة آية : ٦٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٦٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٦٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٦٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٦٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٦٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٦٤.
(٨) سورة البقرة آية : ٦٤.
(٩) سورة البقرة آية : ٦٤.
(١٠) سورة البقرة آية : ٦٤.

﴿ مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]: من المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة، وقيل: من المعذبين في الحال كأنه رحمهم بالإمهال.

[٦٥]، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾[2]، أي: جاوزوا الحد، وأصل السبت القطع، قيل: سُمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل: لأن اليهود أُمروا فيه بقطع الأعمال والقصة فيه أنم كانوا زمن داود عليه السلام حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع، فإذا مضى السبت تفرقن ولزمن قعر البحر فلا ُيرى شيء منها، ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما ُنهيتم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر، وشرعوا منه إليها الأنار، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا يسوقون الحيتان إلى الحياض يوم السبت ولا يأخذونا، ثم يأخذونا يوم الأحد، وقيل كانوا ينصبون الحبائل والشخوص يوم الجمعة، وُيخرجونا يوم الأحد، ففعلوا ذلك زمانًا ولم ت ل عليهم عقوبة، فتجرؤوا على الذنب وقالوا: وقد أحِلّ لنا، فأخذوا وأكلوا وملّحوا وباعوا واشتروا وكثر مالهم، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية - وكانوا نحوًا من سبعين ألفًا - ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثني عشر ألفًا، فلما أبى الـرمون قبول نصحهم قالوا: والله لا ُنساكِنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار وعبروا بذلك سنتين، فلعنهم داود عليه السلام وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذات يوم من بابم ولم يخرج من الـرمين أحد ولم يفتحوا بابم، فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميع قردة لها أذناب يتعاوون، قال قتادة: صار الشبان قردة والشيوخ خنازير،

(١) سورة البقرة آية : ٦٤.

(٢) سورة البقرة آية : ٦٥.

فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا قال الله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً ﴾ [1]: أمر تحويل وتكوين، ﴿ خَاسِئِينَ ﴾ [2]: مُبعـدين مطرودين والخسأ: الطرد والإبعاد.

قوله تعالى فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ...

[٦٦] ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ [3]، أي: جعلنا عقوبتهم بالمسخ ﴿ نَكَالًا ﴾ [4]، أي: عقوبة وعبرة، والنكال: اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جُعلت العقوبة جزاءً عليه، ومنه النكول عن اليمين، وهو الامتناع، وأصله من النكل وهو القيد ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ [5]، قال قتادة: أراد بما بين يديها يعني: ما سبق من الذنوب، أي: جعلنا تلك العقوبة جزاءً لما تقدّم من ذنوبهم قبل نيهم عن أخذ الصيد، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ [6]: ما حضر من الذنوب التي أخذوا با، وهي العصيان بأخذ الحيتان، وقال أبو العالية والربيع: عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعِبرة لمن بعدهم أن يَسْتنوا بسنّتهم، و (ما) الثانية بمعنى: من، وقيل: جعلناها أي: جعلنا قرية أصحاب السبت عِبرة لما بين يديها، أي: القرى التي كانت مبنية في الحال، وما خلفها وما يحدث من القرى بعدُ ليتعظوا ﴿ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [7]: للمؤمنين من أمة محمد ﷺ فلا يفعلون مثل فعلهم.

[٦٧] قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [8]:

(١) سورة البقرة آية : ٦٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٦٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٦٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٦٦.
(٥) سورة البقرة آية : ٦٦.
(٦) سورة البقرة آية : ٦٦.
(٧) سورة البقرة آية : ٦٦.
(٨) سورة البقرة آية : ٦٧.

البقرة هي الأنثى من البقر، يقال: هي مأخوذة من البقر وهي الشق، سُميت به لأنا تبقر الأرض، أي: تشقها للحراثة، والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائهم، ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس إلى موسى يدّعي عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى، قال الكلبي: وذلك قبل نزول قسامة في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه، فأمرهم الله بذبح بقرة، فقال لهم موسى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ﴾ (1)، أي: تستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه ﴿ قَالَ ﴾ (2) موسى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ (3): أمتنع بالله ﴿ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ ﴾ (4) أي: من المستهزئين بالمؤمنين، وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال، لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله ﷻ استوصفوها، ولو أنم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأتْ عنهم، ولكنهم شدّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

[68] ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ ﴾ (5)، أي: ما سّنها ﴿ قَالَ ﴾ (6)

---

(1) سورة البقرة آية : 67.
(2) سورة البقرة آية : 67.
(3) سورة البقرة آية : 67.
(4) سورة البقرة آية : 67.
(5) سورة البقرة آية : 68.
(6) سورة البقرة آية : 68.

موسى ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ ﴾ [1]، يعني فسأل الله تعالى فقال إنه يعني: إن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ [2]، أي لا كبيرة ولا صغيرة، والفارض: المسنة التي لا تلد، والبكر: الفتية الصغيرة التي لم تلد قط، ﴿ عَوَانٌۢ ﴾ [3]: وسط نصف ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ [4]، أي: بين السنين، يقال: عونت المرأة تعوينًا إذا زادت على الثلاثين ﴿ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [5]: من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال.

[٦٩] ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ [6]، قال ابن عباس: شديدة الصفرة، وقال قتادة: صاف، وقال الحسن: الصفراء السوداء، والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع، إنما يقال أصفر فاقع، وأسود حالك وأحمر قانئ وأخضر ناضر وأبيض بقق للمبالغة، ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [7]: إليها يعجبهم حُسنها وصفاء لونا.

[٧٠] ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ [8] أسائمة أم عاملة؟ ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ [9]، ولم يقل تشابت لتذكير لفظ البقر، كقوله تعالى: ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ

(١) سورة البقرة آية : ٦٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٦٨.
(٣) سورة البقرة آية : ٦٨.
(٤) سورة البقرة آية : ٦٨.
(٥) سورة البقرة آية : ٦٨.
(٦) سورة البقرة آية : ٦٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٦٩.
(٨) سورة البقرة آية : ٧٠.
(٩) سورة البقرة آية : ٧٠.

﴿ مُّنقَعِرٖ ﴾[1]، وقال الزجاج: أي جنس البقر تشابه، أي: التبس واشتبه أمره علينا فلا نتدي إليه ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴾[2]: إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ ﴿ وأيْم الله لو لم يستثنوا لَما بُيِّنتْ لهم إلى آخر الأبد ﴾[3].

قوله تعالى قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ...

[٧١] ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ ﴾[4]: مذللة بالعمل، يقال: رجل ذلول بين الذل ودابة ذلولة بيّنة الذل، ﴿ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[5]: تقلبها للزراعة، ﴿ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ ﴾[6]، أي: ليست بسانية، ﴿ مُسَلَّمَةٞ ﴾[7]: بريئة من العيوب، ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾[8]: لا لون لها سوى لون جميع جلدها، قال عطاء: لا عيب فيها، قال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد، ﴿ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾[9]، أي: بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه، وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا مع الفتى فاشتروها بملء مَسْكها ذهبًا ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[10]: من غلاء ثمنها، وقال محمد بن كعب:

---

(١) سورة القمر آية : ٢٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٧٠.
(٣) رواه الإمام الطبري في تفسيره جـ ٢٧٥/١ وابن كثير ١٩٩/١ وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.
(٤) سورة البقرة آية : ٧١.
(٥) سورة البقرة آية : ٧١.
(٦) سورة البقرة آية : ٧١.
(٧) سورة البقرة آية : ٧١.
(٨) سورة البقرة آية : ٧١.
(٩) سورة البقرة آية : ٧١.
(١٠) سورة البقرة آية : ٧١.

وما كادوا يجدونا باجتماع أوصافها، وقيل: ما كادوا يفعلُونَ من شدة اضطرابم واختلافهم فيها.

[٧٢] قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾[1]: هذا أول القصة، وإن كان مؤخرًا في التلاوة، واسم القتيل عاميل، ﴿ فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾[2] قال ابن عباس ومجاهد: معناه فاختلفتم، وقال الربيع بن أنس: تدافعتم، أي: يحيل بعضكم على بعض، من الدرء: وهو الدفع، فكان كل واحد يدفع عن نفسه، ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ ﴾[3]، أي: مظهر: ﴿ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[4]، فإن القاتل كان يكتم القتل.

[٧٣] قوله ﷻ ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ ﴾[5]، يعني: القتيل، ﴿ بِبَعْضِهَا ﴾[6] أي: ببعض البقرة ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا بإذن الله تعالى وأوداجه، أي: عروق العنق تشخب دمًا، وقال: قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾[7]: كما أحيا عاميل، ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[8]، قيل: تمنعون أنفسكم من المعاصي.

[٧٤] قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾[9]، أي يبست وجفت، جفاف القلب:

---

(١) سورة البقرة آية : ٧٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٧٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٧٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٧٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٧٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٧٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٧٣.
(٨) سورة البقرة آية : ٧٣.
(٩) سورة البقرة آية : ٧٤.

خروج الرحمة واللين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودت، ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾[1]: من بعد ظهور الدلالات، قال الكلبي: قالوا بعد ذلك نحن لم نقتله، فلم يكونوا قط أعمى قلبًا ولا أشد تكذيبًا لنبيهم منهم عند ذلك، أي ﴿ فَهِيَ ﴾[2]: في الغِلْظَة والشدة: ﴿ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ﴾[3]، قيل: أو بمعنى الواو، كقوله: ﴿ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ ﴾[4] أي: بل يزيدون. وإنّما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لأن الحديد قابل للين، فإنه يلين بالنار، وقد لان لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قط، ثـم فضّل الحجارة على القلب القاسي فقال: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ﴾[5]، قيل: أراد به جـميع الحجارة، وقيل: أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للأسباط، ﴿ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ ﴾[6]: أراد بـه عيونًا دون الأنـهار، ﴿ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ ﴾[7]: ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ ﴾[8]: وقلوبكـم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود، فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى؟ قيل: الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه، ومذهب أهل السنة والجماعة أن لله تعالى علمًا في الجمادات وسائر الحيوانات، سوى العقلاء لا يقف

(١) سورة البقرة آية : ٧٤.
(٢) سورة البقرة آية : ٧٤.
(٣) سورة البقرة آية : ٧٤.
(٤) سورة الصافات آية : ١٤٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٧٤.
(٦) سورة البقرة آية : ٧٤.
(٧) سورة البقرة آية : ٧٤.
(٨) سورة البقرة آية : ٧٤.

عليه غير الله، فلها صلاة وتسبيح وخشية، كما قال جلّ ذكره: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ (١) وقال: ﴿ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلٌّ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ ﴾ (٢) وقال: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴾ (٣) الآية، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله ﷻ ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ ﴾ (٤): بساهٍ ﴿ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (٥): وعيد وتديد، وقيل: بتارك عقوبة ما تعملون، بل يجازيكم به.

[٧٥] قوله ﷻ ﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ ﴾ (٦): أفترجون، يريد محمدًا وأصحابه، ﴿ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ ﴾ (٧): تصدقكم اليهود بما تخبرونم به؟ ﴿ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (٨)، يعني: التوراة، ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ (٩): يغيرون ما فيها من الأحكام، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ (١٠): علموه، غيّروا صفة محمد ﷺ وآية الرجم ﴿ وَهُمۡ

---

(١) سورة الإسراء آية : ٤٤.
(٢) سورة النور آية : ٤١.
(٣) سورة الحج آية : ١٨.
(٤) سورة البقرة آية : ٧٤.
(٥) سورة البقرة آية : ٧٤.
(٦) سورة البقرة آية : ٧٥.
(٧) سورة البقرة آية : ٧٥.
(٨) سورة البقرة آية : ٧٥.
(٩) سورة البقرة آية : ٧٥.
(١٠) سورة البقرة آية : ٧٥.

يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1]: أنم كاذبون.

(١) سورة البقرة آية : ٧٥.

قوله تعالى وَإِذَا لَقُوا الذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمنا....

[٧٦] قوله ﷻ ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [(١)]، قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني: منافقي اليهود الذين آمنوا بألسنتهم إذا لقوا المؤمنين المخلصين، ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [(٢)]: كإيمانكـم، ﴿ وَإِذَا خَلَا ﴾ [(٣)]: رجع ﴿ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ [(٤)]، كـعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود، لأمرهـم على ذلك، ﴿ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [(٥)]: بما قص الله عليكـم في كتابكم أن محمدًا حق وقوله صدق، والفتاح: القاص، وقال الكسائي: بما بينه لكم من العلم بصفة محمد ﷺ ونعته، وقال الواقدي: بما أنزل الله عليكم وأعطاكم ﴿ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ ﴾ [(٦)]: ليخاصموكم به، ويعني: أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا بقولكم عليكم، فيقولوا: قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم، ثم لا تتبعونه؟. وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد ﷺ آمنوا به فإنه حق، ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به؟. ويعني: لتكون لهم الحجة عليكم. ﴿ عِندَ رَبِّكُمۡۚ ﴾ [(٧)] في الدنيا والآخرة وقيل: إنهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنايات، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم، ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله، وقال مجاهد: هو قول يهود قريظة، قال بعضهم لبعض حين قال لهم

(١) سورة البقرة آية : ٧٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٧٦.
(٣) سورة البقرة آية : ٧٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٧٦.
(٥) سورة البقرة آية : ٧٦.
(٦) سورة البقرة آية : ٧٦.
(٧) سورة البقرة آية : ٧٦.

النبي ﷺ ﴿ يا إخوان القردة والخنازير، فقالوا: من أخبر محمدًا بذا؟ ما خرج هذا إلّا منكم ﴾ [1] ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [2].

[٧٧] قوله ﷻ ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ [3]: يخفون، ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [4]: يبدون، يعني اليهود.

[٧٨] وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ [5]، أي: من اليهود أميون لا يحسنون القراءة والكتابة جمع: أمّي، ومنسوب إلى الأم كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يعلم كتابة ولا قراءة، وروي عن الرسول ﷺ أنه قال: ﴿ إنا أمة أمّيّة ﴾ [6] [7] أي: لا نكتب ولا نحسب، وقيل: هو منسوب إلى أمّ القرى وهي مكة، ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [8]، قرأ أبو جعفر. (أماني)، بتخفيف الياء، كل القرآن، حذف إحدى الياءين تخفيفًا، وقراءة العامة بالتشديد، وهو جمع: أمنية وهي التلاوة، وقال الله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [9]، أي: في قراءته، قال

(١) أخرجه الطبري ٢٥٢/٢ تحقيق أحمد شاكر وذكره ابن كثير ٢٠٧/١ تحقيق الوادعي.
(٢) سورة البقرة آية : ٧٦.
(٣) سورة البقرة آية : ٧٧.
(٤) سورة البقرة آية : ٧٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٧٨.
(٦) البخاري الصوم (١٨١٤), مسلم الصيام (١٠٨٠), النسائي الصيام (٢١٤١), أبو داود الصوم (٢٣١٩), أحمد (٤٣/٢).
(٧) رواه البخاري في الصوم باب قول النبي لا نكتب ولا نحسب ١٣٦/٤، ومسلم في الصيام رقم (١٠٨٠) ٧٦١/٢ والمصنف في شرح السنة ٢٢٨/٦.
(٨) سورة البقرة آية : ٧٨.
(٩) سورة الحج آية : ٥٢.

أبو عبيدة: إلا تلاوة وقراءة عن ظهر القلب لا يقرؤونه من كتاب، وقيل: يعلمونه حفظًا وقراءة لا يعرفون معناه، قال ابن عباس: يعني غير عارفين بمعاني الكتاب، وقال مجاهد وقتادة: إلّا كذبًا وباطلًا، قال الفراء: إلا أماني: الأحاديث المفتعلة وأراد بها الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم، ثم أضافوها إلى الله من تغيير نعت النبي ﷺ وغيره.

وقال الحسن وأبو العالية: هي من التمني وهي أمانيهم الباطلة التي يتمنونا على الله ﷻ مثل قولهم: ﴿ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾ (١)، وقولهم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ ﴾ (٢)، وقولهم: ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾ (٣)، فعلى هذا تكون إلا بمعنى (لكن)، أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم، ﴿ وَإِنۡ هُمۡ ﴾ (٤)، وما هم ﴿ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٥)، يعني: وما يظنون إلا ظنا وتوهمًا لا يقينًا قاله قتادة والربيع، وقال مجاهد: يكذبون.

[٧٩]، قوله ﷻ ﴿ فَوَيۡلٞ ﴾ (٦)، قال الزجاج: ويل، كلمة تقولها العرب لكل واقع في هلكة، وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والثبور، وقال ابن عباس: شدة العذاب، وقال سعيد بن المسيب: ويل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانْمَاعتَ ولَذابتْ من شدة حرّها ﴿ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ

(١) سورة البقرة آية : ١١١.
(٢) سورة البقرة آية : ٨٠.
(٣) سورة المائدة آية : ١٨.
(٤) سورة البقرة آية : ٧٨.
(٥) سورة البقرة آية : ٧٨.
(٦) سورة البقرة آية : ٧٩.

﴿ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاًۖ ﴾[1]، وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكانت صفته فيها: حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة القامة فغيروها وكتبوا مكانا: طوال أزرق سبط الشعر، فإذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤوا ما كتبوه فيجدونه مخالفًا لصفته ويُكذّبونه، قال الله تعالى: ﴿ فَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[2]، يعني: كتبوه بأنفسهم اختراعًا من تغيير نعته ﷺ ﴿ وَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩ ﴾[3]: من المآكل، ويقال: من المعاصي.

[٨٠] ﴿ وَقَالُواْ ﴾[4]، يعني اليهود ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ ﴾[5]: لن تصيبنا النار، ﴿ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ ﴾[6]: قدرًا مقدرًا ثم يزول عنا العذاب، واختلفوا في هذه الأيام، فقال ابن عباس ومجاهد: كانت اليهود يقولون: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يومًا واحدًا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام، وقال قتادة وعطاء: يعنون أربعين يومًا التي عبد فيها آباؤهم العجل، وقال الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمرنا فأقسم الله ليعذبنا أربعين يومًا فلن تمسنا النار إلا أربعين يومًا تحلة القسم، فقال الله ﷻ تكذيبًا لهم، ﴿ قُلۡ ﴾[7]: يا محمد ﴿ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[8] ألف استفهام دخلت على ألف الوصل،

---

(١) سورة البقرة آية : ٧٩.

(٢) سورة البقرة آية : ٧٩.

(٣) سورة البقرة آية : ٧٩.

(٤) سورة البقرة آية : ٨٠.

(٥) سورة البقرة آية : ٨٠.

(٦) سورة البقرة آية : ٨٠.

(٧) سورة البقرة آية : ٨٠.

(٨) سورة البقرة آية : ٨٠.

﴿ عَهۡدٗا ﴾ [1] موثقًا أن لا يعذبكم إلا هذه المدة ﴿ فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ ﴾ [2] وعده ﴿ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨٠ ﴾ [3] ثم قال:

قوله تعالى بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ....

[٨١] ﴿ بَلَىٰ ﴾ [4]، وبلى وبل: حرفا استدراك، ومعناهما نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل، ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ ﴾ [5]، يعني الشرك ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ [6] والإحاطة: الإحـداق بالشيء من جميع نواحيه، قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو العالية والربيع وجماعة: هي الشرك يموت عليه، وقيل: السيئة الكبيرة والإحاطة به أن يصر عليها فيموت غير تائب قاله عكرمة والربيع بن خيثم، قال الواحدي رحمه الله في تفسيره الوسيط: المؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية لأن الله تعالى أوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته، وتقدمت منه سيئة وهي الشرك والمؤمن وإن عمل الكبائر لم يوجد منه الشرك، وقال مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنبًا ارتفعت حتى يغشى القلب، وهي الرين ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨١ ﴾ [7] .

[٨٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا

(١) سورة البقرة آية : ٨٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٨٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٨٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٨١.
(٥) سورة البقرة آية : ٨١.
(٦) سورة البقرة آية : ٨١.
(٧) سورة البقرة آية : ٨١.

﴿ خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1] .

[٨٣] قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[2]: في التوراة والميثاق العهد الشديد، ﴿ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ ﴾[3]، أي: وصيناهم بالوالدين، ﴿ إِحۡسَانٗا ﴾[4] برًا بما وعطفًا عليهما ونزولًا عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى، ﴿ وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[5] أي: وبذي القرابة، والقربى مصدر كالحسنى، ﴿ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾[6]، جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له ﴿ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾[7]، يعني الفقراء، ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾[8]: صدقًا وحقًا في شأن محمد ﷺ فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته لا تكتموا أمره، وقال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانوهم عن المنكر، وقيل: هو اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين، أي: قولًا حسنًا ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾[9] أعرضتم عن العهد والميثاق، ﴿ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ ﴾[10]، وذلك أن قومًا منهم آمنوا، ﴿ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[11]. كإعراض آبائكم.

(١) سورة البقرة آية : ٨٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٨٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٨٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٨٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٨٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٨٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٨٣.
(٨) سورة البقرة آية : ٨٣.
(٩) سورة البقرة آية : ٨٣.
(١٠) سورة البقرة آية : ٨٣.
(١١) سورة البقرة آية : ٨٣.

[٨٤] قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ ﴾[(١)]، أي: لا تريقون ﴿ دِمَآءَكُمْ ﴾[(٢)]، أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾[(٣)]: لا ُيخرج بعضكـم بعضًا من داره، وقيل: لا تسيئوا جوار من جاوركـم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركـم، ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾[(٤)]: بذا العهد أنه حق وقبلتم، ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٨٤ ﴾[(٥)]: اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتعترفون بالقبول.

[٨٥] قوله ﷻ ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾[(٦)]، يعني: يا هؤلاء، وهؤلاء للتنبيه، ﴿ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾[(٧)]، أي يقتل بعضكم بعضًا، ﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم ﴾[(٨)] تتظاهرون والظهير: العون ﴿ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[(٩)]: بالمعصية والظلم، ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ ﴾[(١٠)]، قرأ حمزة (أسرى)، وهما جمع أسير، ومعناهما واحد، (تفدوهم): بالمال وتنقذوهم، وقرأ أهل المدينة وعاصم ﴿ تُفَـٰدُوهُمْ ﴾[(١١)]،

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٤.

(٢) سورة البقرة آية : ٨٤.

(٣) سورة البقرة آية : ٨٤.

(٤) سورة البقرة آية : ٨٤.

(٥) سورة البقرة آية : ٨٤.

(٦) سورة البقرة آية : ٨٥.

(٧) سورة البقرة آية : ٨٥.

(٨) سورة البقرة آية : ٨٥.

(٩) سورة البقرة آية : ٨٥.

(١٠) سورة البقرة آية : ٨٥.

(١١) سورة البقرة آية : ٨٥.

أي: تبادلوهم، أراد مفاداة الأسير بالأسير، وقيل: معنى القراءتين واحد، ومعنى الآية: قال السدي: إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضًا ولا يُخرج بعضهم بعضًا من ديارهم، وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه، وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج، وكانوا يقتتلون في حرب سنين، فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم وبنو النضير مع حلفائهم وإذا غلبوا خرّبوا ديارهم وأخرجوهم منها، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وإن كان الأسير من عدوهم، فتعيرهم العرب ويقولون: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم، فيقولون فلم تقاتلوهم؟ قالوا: إنا نستحي أن تذل حلفاؤنا، فعيرهم الله تعالى بذلك ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ (1)، فكأن الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتال وترك الإخراج وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم وفداء أسراهم، فأعرضوا عن الكل إلا الفداء، قال الله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (2)، قال مجاهد يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك، ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ ﴾ (3): يا معشر اليهود ﴿ إِلَّا خِزْيٌ ﴾ (4): عذاب وهوان، ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (5)، فكان خزي بني قريظة القتل والسبي، وخزي بني النضير الجلاء والنفي من منازلهم إلى أذرعات وأريحاء من الشام، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ

(1) سورة البقرة آية : 85.
(2) سورة البقرة آية : 85.
(3) سورة البقرة آية : 85.
(4) سورة البقرة آية : 85.
(5) سورة البقرة آية : 85.

﴿ ٱلْعَذَابِ ۗ ﴾[1] وهو عذاب النار ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2].

قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة....

[٨٦] قوله ﷻ ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ﴾[3]: استبدلوا ﴿ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ ﴾[4]. يهون ﴿ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[5]، لا يُمنعون من عذاب الله عزّ وجلّ.

[٨٧] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾[6]: أعطينا ﴿ مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[7]: التوراة جملة واحدة، ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾[8]: وأتبعنا، ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ ﴾[9]: رسولًا بعد رسول، ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾[10]: الدلالات الواضحات، وهي ما ذكر الله في سورة آل عمران والمائدة، وقيل: أراد الإنجـيل، ﴿ وَأَيَّدْنَـٰهُ ﴾[11]: قويناه ﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾[12] اختلفوا في روح القدس، قال الربيع وغيره: أراد الروح الذي لا نفخ فيه، والقدس هو الله نحو بيت الله وناقة الله، وقيل: أراد بالقدس: الطهارة، يعني. الروح

(١) سورة البقرة آية : ٨٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٨٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٨٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٨٦.
(٥) سورة البقرة آية : ٨٦.
(٦) سورة البقرة آية : ٨٧.
(٧) سورة البقرة آية : ٨٧.
(٨) سورة البقرة آية : ٨٧.
(٩) سورة البقرة آية : ٨٧.
(١٠) سورة البقرة آية : ٨٧.
(١١) سورة البقرة آية : ٨٧.
(١٢) سورة البقرة آية : ٨٧.

الطاهرة، قال قتادة والسدي والضحاك: روح القدس جبريل عليه السلام، وقيل: وصف جبريل بالقدس أي بالطهارة، لأنه لم يقترف ذنبًا، وقال الحسن: القدس هو الله وروحه جبريل، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [1]، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم الذي كان يحيي به الموتى، ويري الناس العجائب، وقيل: هو الإنجيل جعل له روحًا كما جعل القرآن روحًا لمحمد ﷺ لأنه سبب لحياة القلوب.

فلما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه السلام، فقالوا: يا محمد لا مثلَ عيسى كما تزعُم عملتَ، ولا كما يُقص علينا من الأنبياء فعلت، فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقًا، قال الله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ ﴾ [2]: يا معشر اليهود ﴿ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [3]: تكبرتم وتعظمتم عن الإيمان، ﴿ فَفَرِيقًا ﴾ [4]: طائفة ﴿ كَذَّبْتُمْ ﴾ [5]: مثل عيسى ومحمد ﷺ ﴿ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [6] مثل زكريا ويحيى وشعيب، وسائر من قتلوا من الأنبياء عليهم السلام.

[٨٨] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ [7]، يعني اليهود، ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ [8]، جمع أغلف وهو الذي عليه

(١) سورة النحل آية : ١٠٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٨٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٨٧.
(٤) سورة البقرة آية : ٨٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٨٧.
(٦) سورة البقرة آية : ٨٧.
(٧) سورة البقرة آية : ٨٨.
(٨) سورة البقرة آية : ٨٨.

غشاوة، معناه: عليها غشاوة فلا تسمع ولا تفقه ما يقول، قال الله ﷻ ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[1]: طردهم الله وأبعدهم عن كل خير ﴿ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]، قال قتادة: معناه لا يؤمن منهم إلا قليل، لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، أي: فقليلاً يؤمنون، وقال معمر: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، أي: فقليل يؤمنون.

[٨٩] ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[3]، يعني القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ ﴾[4]: موافق ﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾[5]، يعني: التوراة، ﴿ وَكَانُواْ ﴾[6] يعني: اليهود، ﴿ مِن قَبْلُ ﴾[7]: من قبل مبعث محمد ﷺ ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾[8]: يستنصرون، ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[9]: على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا أحزنهم أمر ودهمهم عدوّ: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ ﴾[10]، يعني محمدًا ﷺ من غير بني إسرائيل وعرفوا نعته وصفته،

(١) سورة البقرة آية : ٨٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٨٨.
(٣) سورة البقرة آية : ٨٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٨٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٨٩.
(٦) سورة البقرة آية : ٨٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٨٩.
(٨) سورة البقرة آية : ٨٩.
(٩) سورة البقرة آية : ٨٩.
(١٠) سورة البقرة آية : ٨٩.

﴿ كَفَرُواْ بِهِۦۚ ﴾ [1] بغيًا وحسدًا، ﴿ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩ ﴾ [2].

[٩٠] ﴿ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [3]، بئس ونعم فعلان ماضيان وُضعا للمدح والذم، لا يتصرفان تصرف الأفعال، معناه: بئس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق ﴿ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [4]، يعني: القرآن، ﴿ بَغۡيًا ﴾ [5] أي: حسدًا، وأصل البغي: الفساد، يقال: بغى الجرح إذا فسد، والبغي: الظلم، وأصله الطلب، والباغي طالب الظلم والحاسد يظلم المحسود جهده طلبًا لإزالة نعمة الله تعالى عنه ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [6]، أي النبوة والكتاب ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ﴾ [7]: محمد ﷺ ﴿ فَبَآءُو ﴾ [8]: رجعوا ﴿ بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ ﴾ [9]، أي مع غضب، قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال قتادة: الأول بكفرهم بعيسى والإنجيل، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن وقال السدي: الأول بعبادة العجل، والثاني بالكفر بمحمد ﷺ ﴿ وَلِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [10]: الجاحدين بنبوة محمد ﷺ من الناس كلهم، ﴿ عَذَابٞ مُّهِينٞ

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٨٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٩٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٩٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٩٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٩٠.
(٧) سورة البقرة آية : ٩٠.
(٨) سورة البقرة آية : ٩٠.
(٩) سورة البقرة آية : ٩٠.
(١٠) سورة البقرة آية : ٩٠.

﴿٩٠﴾ ﴿ [1]: مخزٍ يُهانون فيه.

قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ....

[٩١] قوله ﷻ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[2]، يعني: القرآن، ﴿ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾[3]، يعني: التوراة، يكفينا ذلك ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾[4]، أي بما سـواه من الكتب، وقال أبو عبيدة: بما بعده، ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾[5]، يعني القرآن، ﴿ مُصَدِّقًا ﴾[6]، نُصـب علـى الحال، ﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾[7]: من التوراة، ﴿ قُلْ ﴾[8]: لهم يا محمد ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ ﴾[9]، أي قتلتم، ﴿ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[10]: بالتوراة، وقد نُهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

[٩٢] قوله ﷻ ﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[11] بالـدلالات الواضحة

---

(١) سورة البقرة آية : ٩٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٩١.
(٣) سورة البقرة آية : ٩١.
(٤) سورة البقرة آية : ٩١.
(٥) سورة البقرة آية : ٩١.
(٦) سورة البقرة آية : ٩١.
(٧) سورة البقرة آية : ٩١.
(٨) سورة البقرة آية : ٩١.
(٩) سورة البقرة آية : ٩١.
(١٠) سورة البقرة آية : ٩١.
(١١) سورة البقرة آية : ٩٢.

والـمعجزات الباهرة، ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾[1]، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل، ﴿ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[2].

[٩٣] قوله ﷻ ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ ﴾[3]، أي استجيبوا وأطيعوا، سميت الطاعة والإجابة: سمعًا على المجاز، لأنه سبب للطاعة والإجابة، ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا ﴾[4]: قولك، ﴿ وَعَصَيۡنَا ﴾[5]: أمرَكَ، وقيل: سمعنا بالأذن، وعصينا بالقلوب ﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ ﴾[6]، أي: حب العجل، أي معناه: أُدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها، كإشراب اللون لشدة الملازمة، قوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ ﴾[7]: أن تعبدوا العجل من دون الله، أي: بئس إيمان يأمر بعبادة العجل، ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[8]: بزعمكم وذلك أنهم قالوا: نؤمن بما أُنزل علينا، فكذبهم الله عزّ وجلّ.

[٩٤] قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[9]، وذلك أن اليهود ادّعوا دعاوى باطلة مثل قولهم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ ﴾[10]، و

---

(١) سورة البقرة آية : ٩٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٩٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٩٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٩٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٩٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٩٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٩٣.
(٨) سورة البقرة آية : ٩٣.
(٩) سورة البقرة آية : ٩٤.
(١٠) سورة البقرة آية : ٨٠.

﴿ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾[1]، وقولهم: ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾[2] فكـذبم الله ﷻ وألزمهم الحُجة فقال: قل لهم يا محمد إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله، يعني: الجنة، ﴿ خَالِصَةً ﴾[3]، أي خاصة ﴿ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ ﴾[4]، أي: فأريدوه أو اسألوه، لأن من علم أن الجنة مأواه حنّ إليها، ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت، فاستعجلوه بالتمني، ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ ﴾[5]: في قولكم، وقيل: فتمنوا الموت، أي: ادعو بالموت على الفرقة الكاذبة.

[٩٥] قال الله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ ﴾[6]، لعلمهم أنم في دعواهم كاذبون، وأراد بما قدمت أيديهم ما قدموه من الأعمال، وأضاف العمل إلى اليد لأن أكثر جنايات الإنسان تكون باليد، فأضيف إلى اليد أعماله، وإن لم يكن لليد فيها عمل، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٥ ﴾[7].

قوله تعالى وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ الناس عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الذِينَ أَشْرَكُوا....

[٩٦] ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ ﴾[8]، اللام لام القسم، والنون تأكيد للقسم، تقديره: والله لتجدنّهم يا محمد، يعني: اليهود ﴿ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ

(١) سورة البقرة آية : ١١١.
(٢) سورة المائدة آية : ١٨.
(٣) سورة البقرة آية : ٩٤.
(٤) سورة البقرة آية : ٩٤.
(٥) سورة البقرة آية : ٩٤.
(٦) سورة البقرة آية : ٩٥.
(٧) سورة البقرة آية : ٩٥.
(٨) سورة البقرة آية : ٩٦.

﴿ أَشْرَكُواْ ۚ ﴾[1]، قيل: هو متصل بالأول، أي: وأحرص من الذين أشركوا، وقيل: تم الكلام بقوله: ﴿ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾[2]، ثم ابتدأ ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ ﴾[3]، وأراد بالذين أشركوا المجوس ﴿ يَوَدُّ ﴾[4]: يريد ويتمنى، ﴿ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[5]، يعني: تعمير ألف سنة، وهي تحية المجوس فيما بينهم يقول الله تعالى: اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك، ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ ﴾[6]: مُباعده ﴿ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾[7]: من النار ﴿ أَن يُعَمَّرَ ۗ ﴾[8]، أي: طول عمره لا يبعده من العذاب ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[9].

[97] قوله ﷻ ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾[10]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: « إن حبرًا من أحبار اليهود، يقال له عبد الله بن صوريا قال للنبي ﷺ أي ملك يأتيك من السماء؟ قال: جبريل، قال: ذلك عدونا من الملائكة، ولو كان ميكائيل لآمنّا بك، إن جبريل ينزل العذاب والقتال والشدة وإنه عادانا مرارًا » ﴿ فَإِنَّهُۥ ﴾[11]،

---

(١) سورة البقرة آية : ٩٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٩٦.
(٣) سورة البقرة آية : ٩٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٩٦.
(٥) سورة البقرة آية : ٩٦.
(٦) سورة البقرة آية : ٩٦.
(٧) سورة البقرة آية : ٩٦.
(٨) سورة البقرة آية : ٩٦.
(٩) سورة البقرة آية : ٩٦.
(١٠) سورة البقرة آية : ٩٧.
(١١) سورة البقرة آية : ٩٧.

يعني: جبريل ﴿ نَزَّلَهُۥ ﴾[1]، يعني: القرآن، كناية عن غير مذكور، ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾[2]: يا محمد ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[3]: بأمر الله ﴿ مُصَدِّقًا ﴾[4]: موافقًا ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[5]: لما قبله من الكتب، ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[6]، قوله ﷻ :

[٩٨] ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[7]: خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولها في قوله: ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾[8]، تفضيلًا وتخصيصًا والواو فيهما بمعنى " أو " يعني: من كان عدوا لأحد هؤلاء فإنه عدو للكل، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[9].

قال ابن صوريا: ما جئتنا بشيء نعرفه فأنزل الله تعالى:

[٩٩] ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾[10]: واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام، ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[11]: الخارجون عن أمر الله عزّ وجلّ.

---

(١) سورة البقرة آية : ٩٧.
(٢) سورة البقرة آية : ٩٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٩٧.
(٤) سورة البقرة آية : ٩٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٩٧.
(٦) سورة البقرة آية : ٩٧.
(٧) سورة البقرة آية : ٩٨.
(٨) سورة البقرة آية : ٩٨.
(٩) سورة البقرة آية : ٩٨.
(١٠) سورة البقرة آية : ٩٩.
(١١) سورة البقرة آية : ٩٩.

[١٠٠] ﴿أَوَكُلَّمَا﴾[(١)]، واو العطف عليها ألف الاستفهام، ﴿عَـٰهَدُواْ عَهْدًا﴾[(٢)]، يعني: اليهود عاهدوا: لئن خرج محمد ﷺ لَتؤمنن به، فلما خرج إليهم محمد ﷺ كفروا به، وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود: أن لا يعاونوا المشركين على قتاله، فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير، دليله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ﴾[(٣)]، ﴿نَّبَذَهُۥ﴾[(٤)]: طرحه ونقضه ﴿فَرِيقٌ﴾[(٥)]: طوائف ﴿مِّنۡهُمۚ﴾[(٦)]: من اليهود، ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠٠﴾[(٧)].

[١٠١] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[(٨)]، يعني: محمدًا ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾[(٩)]، يعني: التوراة، وقيل: القرآن، ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٠١﴾[(١٠)] قال الشعبي: كانوا يقرؤون التوراة ولا يعملون بها.

قوله تعالى وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ....

(١) سورة البقرة آية : ١٠٠.
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٠.
(٣) سورة الأنفال آية : ٥٦.
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٠.
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٠.
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٠.
(٧) سورة البقرة آية : ١٠٠.
(٨) سورة البقرة آية : ١٠١.
(٩) سورة البقرة آية : ١٠١.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٠١.

[١٠٢] ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ﴾ [(١)] يعني: اليهود ﴿ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ [(٢)]، أي: ما تلت، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كانت تتلو، أي: تقرأ، قال ابن عباس رضي الله عنه تتبع وتعمل به، وقال عطاء: تحدث وتتكلم به، ﴿ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَـٰنَۖ ﴾ [(٣)]، أي: في ملكه وعهده ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَـٰنُ ﴾ [(٤)]: بالسحر، وقيل: لم يكن سليمان كافرًا يسحر ويعمل به ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [(٥)] معنى لكن نفي الخبر الماضي وإثبات المستقبل، ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾ [(٦)]، قيل معنى السحر: العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [(٧)] أي: العالم، والصحيح أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم، ولكن العمل به كفر.

وقوله عز وجلّ: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ ﴾ [(٨)]، أي: ويعلمون الذي أنزل على الملكين، أي: إلهامًا وعلمًا، فالإنزال: بمعنى الإلهام والتعليم، وقيل: واتبعوا ما أنزل على الملكين ﴿ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَۚ ﴾ [(٩)] هما اسمان سريانيان ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٧) سورة الزخرف آية : ٤٩.
(٨) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٩) سورة البقرة آية : ١٠٢.

﴿ أَحَدٍ ﴾[1]، أي: أحدًا و (مِنْ) صلة ﴿ حَتَّىٰ ﴾[2]: ينصحاه أولًا، ﴿ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾[3]: ابتلاءٌ ومحنة ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[4]، أي:، لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر، وأصل الفتنة: الاختبار والامتحـان ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾[5] وهو أن يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويبغض كل واحد إلى صاحبه قال الله تعالى: ﴿ وَمَا هُم ﴾[6]، قيل: أي السحرة. وقيل: الشياطين، ﴿ بِضَآرِّينَ بِهِۦ ﴾[7]، أي: بالسحر ﴿ مِنْ أَحَدٍ ﴾[8]، أي أحدًا ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[9]، أي: بعلمه وتكوينه، فالساحر يسحر والله يكون، قال سفيان الثوري: معناه إلا بقضائه وقدرته ومشيئته، ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ ﴾[10]، يعني: السحر يضرهم، ﴿ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ ﴾[11]: يعني اليهود، ﴿ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾[12]: أي اختار السحر، ﴿ مَا لَهُۥ فِى

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٧) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٨) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٩) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(١١) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(١٢) سورة البقرة آية : ١٠٢.

﴿ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[1]، أي: في الجنة، ﴿ مِنۡ خَلَٰقٖۚ ﴾[2]، من نصيب ﴿ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ ﴾[3]: باعوا به ﴿ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾[4]، حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق، ﴿ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ ﴾[5].

[١٠٣] ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ﴾[6] بمحمد ﷺ والقرآن، ﴿ وَٱتَّقَوۡاْ ﴾[7]: اليهودية والسحر، ﴿ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ ﴾[8]. لكان ثواب الله إياهم خيرًا لهم، ﴿ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣ ﴾[9].

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾[10]، وذلك أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله، من المراعاة، أي: ارعنا سمعك، أي: فرّغ سمعك لكل منا وكانت هذه اللفظة سبا قبيحًا بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: هي من الرعونة كانوا إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانًا قالوا: راعنا، بمعنى: يا أحمق، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب محمدًا سرا فأعلنوا به الآن، فكـانوا يأتونه

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٣.
(٧) سورة البقرة آية : ١٠٣.
(٨) سورة البقرة آية : ١٠٣.
(٩) سورة البقرة آية : ١٠٣.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٠٤.

ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾ [1] لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلًا إلى شتم رسول الله ﷺ ﴿ وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا ﴾ [2]، أي انظر إلينا، وقيل: انتظرنا وتأنّ بنا ﴿ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ ﴾ [3]: ما تؤمرون به وأطيعوا، ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [4]، يعني: اليهود، ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [5].

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [6] أي: ما يحب وما يتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني: اليهود، ﴿ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ ﴾ [7]، أي: خير ونبوة، و (مِنْ)، صلة، ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ ﴾ [8]: بنبوته، ﴿ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [9]، والفضل ابتداء إحسان بلا علّة، وقيل: المراد بالرحمة الإسلام والهداية.

قوله تعالى مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا....

[١٠٦] قوله ﷻ ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [10] وذلك أن المشركين قالوا إن محمدًا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٤.
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٤.
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٤.
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٤.
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٥.
(٧) سورة البقرة آية : ١٠٥.
(٨) سورة البقرة آية : ١٠٥.
(٩) سورة البقرة آية : ١٠٥.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٠٦.

يقول اليوم قولًا ويرجع عنه غدًا، كما أخبر الله: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ [(١)]، قالوا إنما أنت مفتر فأنزل: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [(٢)]، فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية، والنسخ في اللغة شيئان، أحدهما: بمعنى التحويل والنقل، ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحوّل من كتاب إلى كتاب، فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ، والثاني: يكون بمعنى الرفع، يقال: نسَخت الشمسُ الظلّ، أي: ذهبت به وأبطلته، فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخًا وبعضه منسوخًا، وهو المراد من الآية ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [(٣)] أي: ننسها عن قلبك وقيل: ننسها أي نأمر بتركها، يقال: أنسيت الشيء، إذا أمرت بتركه ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ [(٤)]، أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أن آية خير من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير، ﴿ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ ﴾ [(٥)]: في المنفعة والثواب، فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل، وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [(٦)]: من النسخ والتبديل، لفظه استفهام ومعناه تقرير، أي: إنك تعلم.

[١٠٧] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم ﴾ [(٧)]: يا معشر

(١) سورة النحل آية : ١٠١.
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٦.
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٦.
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٦.
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٦.
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٦.
(٧) سورة البقرة آية : ١٠٧.

الكفار عند نزول العذاب، ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1]: مما سوى الله ﴿ مِن وَلِيّٖ ﴾[2]: قريب وصديق، وقيل: والٍ، وهو القيم بالأمور ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧ ﴾[3]: ناصر يمنعكم من العذاب.

[١٠٨] قوله: ﴿ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ ﴾[4]، نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، فقال تعالى: ﴿ أَمۡ تُرِيدُونَ ﴾[5]، يعني: أتريدون، فالميم صلة، وقيل: بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمدًا ﷺ ﴿ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ ﴾[6]، سأله قومه ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾[7] وقيل: إنهم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلًا، كما أن موسى سأله قومه فقالوا: أرنا الله جهرة، ففيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾[8]: يستبدل الكفر بالإيمان ﴿ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨ ﴾[9]: أخطأ وسط الطريق، وقيل: قصد السبيل.

[١٠٩] قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[10]، أي تمنى وأراد

(١) سورة البقرة آية : ١٠٧.
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٧.
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٧.
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٨.
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٨.
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٨.
(٧) سورة النساء آية : ١٥٣.
(٨) سورة البقرة آية : ١٠٨.
(٩) سورة البقرة آية : ١٠٨.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٠٩.

كثير من أهل الكتاب من اليهود: ﴿ لَوۡ يَرُدُّونَكُم ﴾[(١)]، يا معشر المؤمنين ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾[(٢)]، نُصب علـى المصدر، أي: يحسدونكم حسدًا، ﴿ مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[(٣)]، أي: من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك، ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾[(٤)]. في التوراة أن قـول محمد ﷺ صدق ودينه حق، ﴿ فَٱعۡفُواْ ﴾[(٥)]: فاتركوا ﴿ وَٱصۡفَحُواْ ﴾[(٦)]، وتجـاوزوا، فالعفو: المحو، والصفح: الإعراض، وكان هذا قبل آية القتال، ﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾[(٧)]، بعذابه القتل والسبي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة: هو أمره بقتالهم في قوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾[(٨)] إلى قوله: ﴿ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾[(٩)]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩ ﴾[(١٠)].

[١١٠] ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ ﴾[(١١)]: تسلفوا

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٩.
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٩.
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٩.
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٩.
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٩.
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٩.
(٧) سورة البقرة آية : ١٠٩.
(٨) سورة التوبة آية : ٢٩.
(٩) سورة التوبة آية : ٢٩.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٠٩.
(١١) سورة البقرة آية : ١١٠.

﴿ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ ﴾[1]: طاعة وعمل صالح ﴿ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ ﴾[2]، وقيل: أراد بالخير المال من زكاة أو صدقة تجدوه عند الله حتى الثمرة واللقمة مثل أحد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

قوله تعالى وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنةَ إِلا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيهُمْ...

[١١١] ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾[4]، أي يهوديا ﴿ أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ ﴾[5]، وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا ولا دين إلا دين اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ولا دين إلا دين النصرانية قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ ﴾[6]، أي: شهواتم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق، ﴿ قُلْ ﴾[7]: يا محمد ﴿ هَاتُوا۟ ﴾[8]، أصله آتوا ﴿ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾[9] حجتكم على ما زعمتم، ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[10]. ثم قال ردا عليهم:

[١١٢] ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾[11]، أي: ليس كما قالوا بل الحكم للإسلام،

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٠.
(٢) سورة البقرة آية : ١١٠.
(٣) سورة البقرة آية : ١١٠.
(٤) سورة البقرة آية : ١١١.
(٥) سورة البقرة آية : ١١١.
(٦) سورة البقرة آية : ١١١.
(٧) سورة البقرة آية : ١١١.
(٨) سورة البقرة آية : ١١١.
(٩) سورة البقرة آية : ١١١.
(١٠) سورة البقرة آية : ١١١.
(١١) سورة البقرة آية : ١١٢.

وإنما يدخل الجنة من أسلم وجهه ﴿ لِلَّهِ ﴾[1]، أي: أخلص دينه لله، وقيل: أخلص عبادته لله، وقيل: خضع وتواضع لله، وأصل الإسلام الاستسلام والخضوع، وخص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[2]: في عمله، وقيل: مؤمن، وقيل: مخلص، ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[3].

[١١٣] قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾[4]، نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتم، فقالت لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ ﴾[5]، وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب، وقيل: معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف، فدل تلاوتم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونم على الباطل، ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[6]، يعني: آباءهم الذين مضوا، ﴿ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ ﴾[7]، قال مجاهد: يعني عوام النصارى، وقال مقاتل: يعني مشركي العرب، كذلك قالوا في نبيهم

(١) سورة البقرة آية : ١١٢.
(٢) سورة البقرة آية : ١١٢.
(٣) سورة البقرة آية : ١١٢.
(٤) سورة البقرة آية : ١١٣.
(٥) سورة البقرة آية : ١١٣.
(٦) سورة البقرة آية : ١١٣.
(٧) سورة البقرة آية : ١١٣.

محمد ﷺ وأصحابه: إنم ليسوا على شيء من الدين، وقال عطاء: أمم كانت قبل اليهود والنصارى، مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، قالوا لنبيهم: إنه ليس على شيء، ﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ ﴾[1]: يقضي بين المحق والمبطل، ﴿ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣ ﴾[2]: من الدين.

[١١٤] قوله: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾[3]، الآية نزلت في الذين غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس فكان خرابا إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ومن أظلم) أي: أكفر (ممن منع مساجد الله) يعني: بيت المقدس ومحاريبه ﴿ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ ﴾[4]، وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يدخلها - يعني بيت المقدس - بعد عمارتا رومي إلا خائفا لو علم به قتل ﴿ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ ﴾[5]: عذاب وهوان، قال قتادة: هو القتل للحربي والجزية للذمي، قال مقاتل والكلبي: تفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية ورومية وعمورية، ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤ ﴾[6]، وهو النار.

وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد: نزلت في مشركي مكة، وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا منعوا

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٣.
(٢) سورة البقرة آية : ١١٣.
(٣) سورة البقرة آية : ١١٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١١٤.
(٥) سورة البقرة آية : ١١٤.
(٦) سورة البقرة آية : ١١٤.

رسول الله ﷺ من أن يعمره بذكر الله فقد سعوا في خرابا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ ﴾[1]، يعني: أهل مكة، يقول: أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم، ففتحها عليهم وأمر النبي ﷺ مناديًا ينادي ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك [2] فهذا خوفهم، وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم، ﴿ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ ﴾ [3] الذل والهوان والقتل والسبي والنفي.

[١١٥] ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ ﴾[4]، ملكا وخلقا ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ ﴾[5]، أي غني يعطي من السعة، قال الفراء: الواسع الجود الذي يسع عطاؤه كل شيء، قال الكلبي: واسع المغفرة ﴿ عَلِيمٞ ١١٥ ﴾ [6] بنياتهم حيثما صلوا ودعوا.

قوله تعالى وَقَالُوا اتخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبحَانَهُ بَل لَهُ مَا فِي السمَاوَاتِ وَالأَرض كُل لَهُ قَانِتُونَ....

[١١٦] قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ ﴾[7]، قرأ ابن عامر (قالوا)، بلا واو، وقرأ الآخرون ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ ﴾ [8] نزلت في يهود المدينة حيث قالوا: عزير

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٤.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة باب ما يستر من العورة ٤٧١/١ وفي الحج والمغازي، ومسلم في الحج باب لا يحج بالبيت مشرك رقم (١٣٤٧) ٩٨٢/٢ والمصنف شرح السنة ٢١/٧ ، .

(٣) سورة البقرة آية : ١١٤.

(٤) سورة البقرة آية : ١١٥.

(٥) سورة البقرة آية : ١١٥.

(٦) سورة البقرة آية : ١١٥.

(٧) سورة البقرة آية : ١١٦.

(٨) سورة البقرة آية : ١١٦.

ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ ﴾ [1]، نزه وعظم نفسه، قوله تعالى: ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [2]: عبيدا وملكا، ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [3]، قال مجاهد وعطاء والسدي: مطيعون، وقال عكرمة ومقاتل: مقرون له بالعبودية، وقال ابن كيسان: قائمون بالشهادة، وأصل القنوت القيام، واختلفوا في حكم الآية فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص، وقال مقاتل: هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس، وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام في جميع الخلق، لأن لفظ " كل " يقتضي الإحاطة بالشيء حيث لا يشذ منه شيء وقيل: قانتون مذللون مسخرون لما خلقوا له.

[١١٧] قـولـه عز وجـل: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [4]، أي: مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق، ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴾ [5]، أي: قدره، وقيل: أحكـمه وأتقنه، وأصل القضاء: الفراغ، ومنه قيل لمن مات: قضى عليه لفراغه من الدنيا، ومنه قضاء الله وقدره، لأنه فرغ منه تقديرا أو تدبيرا ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [6]، فإن قيل كيف قال: فَإِنمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ والمعدوم لا يخاطب؟ قيل: قال ابن الأنباري معناه: فإنما يقول له، أي لأجل تكوينه، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب، وقيل: هو وإن كان معدوما ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح الخطاب.

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٦.

(٢) سورة البقرة آية : ١١٦.

(٣) سورة البقرة آية : ١١٦.

(٤) سورة البقرة آية : ١١٧.

(٥) سورة البقرة آية : ١١٧.

(٦) سورة البقرة آية : ١١٧.

[١١٨] قوله ﷻ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اليهود، وقال مجاهد: النصارى، وقال قتادة: مشركو العرب، ﴿ لَوۡلَا ﴾[2]: هلا ﴿ يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾[3]: عيانا بأنك رسوله ﴿ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ ﴾[4]: دلالة علامة على صدقك، قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم ﴾[5]، أي: كفار الأمم الخالية، ﴿ مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾[6]، أي: أشبه بعضهم بعضا في الكفر والقسوة وطلب المحال، ﴿ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨ ﴾[7].

[١١٩] ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾[8]، أي: بالصدق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالقرآن وقال ابن كيسان: بالإسلام وشرائعه، وقال مقاتل: معناه لم نرسلك عبثا إنما أرسلناك بالحق.

قوله ﷻ ﴿ بَشِيرٗا ﴾[9]، أي: مبشرا لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم، ﴿ وَنَذِيرٗاۖ ﴾[10]، أي: منذرا مخوفا لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم.

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٨.
(٢) سورة البقرة آية : ١١٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١١٨.
(٤) سورة البقرة آية : ١١٨.
(٥) سورة البقرة آية : ١١٨.
(٦) سورة البقرة آية : ١١٨.
(٧) سورة البقرة آية : ١١٨.
(٨) سورة البقرة آية : ١١٩.
(٩) سورة البقرة آية : ١١٩.
(١٠) سورة البقرة آية : ١١٩.

قرأ نافع ويعقوب: ﴿ وَلَا تَسْـَٔلْ ﴾[1]: على النهي وقيل: هو على معنى قولهم لا تسأل عن شر فلان فإنه فوق ما تحسب، وليس على النهي، وقرأ الآخرون ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ ﴾[2] بالرفع، على النفي بمعنى: ولست بمسئول عنهم ﴿ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾[3] والجحيم معظم النار.

[١٢٠]، قوله ﷻ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾[4]، وذلك أنم يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعونه أنه إن أمهلهم اتبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه أنك وإن هادنتهم فلا يرجون با، وإنما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ ﴾[5]، إلا باليهودية، ﴿ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾[6] إلا بالنصرانية، والملة الطريقة، ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾[7]، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة كقوله: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[8]، ﴿ بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ ﴾[9]: البيان بأن دين الله هو الإسلام والقبلة قبلة إبراهيم عليه السلام وهي الكعبة، ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[10].

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٩.
(٢) سورة البقرة آية : ١١٩.
(٣) سورة البقرة آية : ١١٩.
(٤) سورة البقرة آية : ١٢٠.
(٥) سورة البقرة آية : ١٢٠.
(٦) سورة البقرة آية : ١٢٠.
(٧) سورة البقرة آية : ١٢٠.
(٨) سورة الزمر آية : ٦٥.
(٩) سورة البقرة آية : ١٢٠.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٢٠.

[١٢١] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾[1]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل السفينة قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا أربعين رجلًا، اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا، وقال الضحاك: هم من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام بن يهودا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يا مين وعبد الله بن صوريا، وقال قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل: هم المؤمنون عامة، ﴿ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾[2]، قال الكلبي: يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس، والهاء راجعة إلى محمد ﷺ وقال الآخرون: هي عائدة إلى الكتاب، واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود رضي الله عنه يقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه، وقال الحسن: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابه ويكلون علم ما أشكل عليهم إلى عالمه، وقال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾[3].

قوله تعالى يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ....

[١٢٢] ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ ﴾[4].

[١٢٣] ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣ ﴾[5].

(١) سورة البقرة آية : ١٢١.
(٢) سورة البقرة آية : ١٢١.
(٣) سورة البقرة آية : ١٢١.
(٤) سورة البقرة آية : ١٢٢.
(٥) سورة البقرة آية : ١٢٣.

[١٢٤] ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾ [(١)] وهو إبراهيم بن تارخ هو آزر بن ناخور، ومعنى الابتلاء: الاختبار والامتحان والأمر، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء لأنه عالم بهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا، واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم (فأتمهن) قال قتادة: أداهن، قال الضحاك: قام بهن، وقال يمان: عمل بهن، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ ﴾ [(٢)]: يقتدى بك في الخير، ﴿ قَالَ ﴾ [(٣)] إبراهيم: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ ﴾ [(٤)]: ومن أولادي أيضًا فاجعل أئمة يقتدى بهم، ﴿ قَالَ ﴾ [(٥)] الله تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ ﴾ [(٦)] لا يصيب ﴿ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾ [(٧)]. أي من كان منهم ظالما لا يصيبه، قال عطاء بن أبي رباح: عهدي رحمتي، وقال السدي: نبوتي، وقيل: الإمامة، قال مجاهد: ليس لظالم أن يطاع في ظلمه، ومعنى الآية: لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالما من ولدك، وقيل: أراد بالعهد الأمان من النار، وبالظالم المشرك.

[١٢٥] قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ ﴾ [(٨)]، يعني: الكعبة، ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [(٩)]: مرجعا لهم، قال مجاهد وسعيد بن جبير: يثوبون إليه من كل جانب ويحجون، قال ابن عباس

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢٤.
(٢) سورة البقرة آية : ١٢٤.
(٣) سورة البقرة آية : ١٢٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١٢٤.
(٥) سورة البقرة آية : ١٢٤.
(٦) سورة البقرة آية : ١٢٤.
(٧) سورة البقرة آية : ١٢٤.
(٨) سورة البقرة آية : ١٢٥.
(٩) سورة البقرة آية : ١٢٥.

رضي الله عنهما: معاذا وملجأ، وقال قتادة وعكرمة: مجمعا، ﴿ وَأَمْنًا ﴾ [1] أي: مأمنا يأمنون فيه من إيذاء المشركين فإنم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة، ويقولون هم أهل الله، ويتعرضون لمن حوله ﴿ وَٱتَّخِذُواْ ﴾ [2]، قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر، وقرأ الباقون بكسر الخاء على الأمر، ﴿ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [3]، قال يمان: المسجد كله مقام إبراهيم، وقال إبراهيم النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد، والصحيح: أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلي إليه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت.

قوله ﷻ ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ ﴾ [4]، أي: أمرناهما وأوصينا إليهما ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾ [5]، يعني: الكعبة إضافة إليه تخصيصا وتفضيلا، أي: ابنياه على الطهارة والتوحيد، وقال سعيد بن جبير وعطاء: طهراه من الأوثان والريب وقول الزور ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ [6]: الدائرين حوله، ﴿ وَٱلْعَـٰكِفِينَ ﴾ [7]: المقيمين المجاورين، ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ﴾ [8]، جمع راكع، ﴿ ٱلسُّجُودِ ۝١٢٥ ﴾ [9]: ساجد، وهم المصلون، قال الكلبي ومقاتل: الطائفين هم الغرباء والعاكفين أهل مكة.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢٥.
(٢) سورة البقرة آية : ١٢٥.
(٣) سورة البقرة آية : ١٢٥.
(٤) سورة البقرة آية : ١٢٥.
(٥) سورة البقرة آية : ١٢٥.
(٦) سورة البقرة آية : ١٢٥.
(٧) سورة البقرة آية : ١٢٥.
(٨) سورة البقرة آية : ١٢٥.
(٩) سورة البقرة آية : ١٢٥.

قوله تعالى وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَب اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَمَرَاتِ....

[١٢٦] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ﴾ [(١)]، يعني مكة، وقيل: الحرم، ﴿ بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [(٢)]، أي: ذا أمن يأمن فيه أهله، ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [(٣)]، إنما دعا بذلك لأنه كان بواد غير ذي زرع ﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ [(٤)]: دعا للمؤمنين خاصة، ﴿ قَالَ ﴾ [(٥)] الله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾ [(٦)]، أي سأرزق الكافر أيضًا قليلا إلى منتهى أجله، وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم، وإنما قيد بالقلة لأن متاع الدنيا قليل، ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ ﴾ [(٧)]، أي: ألجئه في الآخرة: ﴿ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [(٨)]، أي: المرجع يصير إليه.

[١٢٧] قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾ [(٩)] يعني أسسه، واحدتا: قاعدة، وقال الكسائي: جدر البيت ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ ﴾ [(١٠)]، فيه إضمار، أي ويقولان: ربنا تقبل منا بناءنا ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ [(١١)]، لدعائنا

(١) سورة البقرة آية : ١٢٦.
(٢) سورة البقرة آية : ١٢٦.
(٣) سورة البقرة آية : ١٢٦.
(٤) سورة البقرة آية : ١٢٦.
(٥) سورة البقرة آية : ١٢٦.
(٦) سورة البقرة آية : ١٢٦.
(٧) سورة البقرة آية : ١٢٦.
(٨) سورة البقرة آية : ١٢٦.
(٩) سورة البقرة آية : ١٢٧.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٢٧.
(١١) سورة البقرة آية : ١٢٧.

﴿ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ ﴾[1]: بنياتنا.

[١٢٨] ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ ﴾[2]: موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾[3]، أي: أولادنا، ﴿ أُمَّةً ﴾[4]: جماعة، والأمة: أتباع الأنبياء، ﴿ مُّسۡلِمَةً لَّكَ ﴾[5]: خاضعة لك، ﴿ وَأَرِنَا ﴾[6] علمنا وعرفنا ﴿ مَنَاسِكَنَا ﴾[7]: شرائع ديننا وأعلام حجنا، وقيل: مواضع حجنا، وقال مجاهد: مذابحنا، والنسك: الذبيحة، وقيل: متعبداتنا، وأصل النسك: العبادة، والناسك: العابد، فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة، فلما بلغ عرفات قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات. ﴿ وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ ﴾[8]، تجاوز عنا، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ ﴾[9].

[١٢٩] ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ ﴾[10]، أي: في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وقيل: في أهل مكة، ﴿ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾[11]، أي: مرسلا منهم، أراد به محمدا ﷺ

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢٧.
(٢) سورة البقرة آية : ١٢٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١٢٨.
(٤) سورة البقرة آية : ١٢٨.
(٥) سورة البقرة آية : ١٢٨.
(٦) سورة البقرة آية : ١٢٨.
(٧) سورة البقرة آية : ١٢٨.
(٨) سورة البقرة آية : ١٢٨.
(٩) سورة البقرة آية : ١٢٨.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٢٩.
(١١) سورة البقرة آية : ١٢٩.

﴿ يَتۡلُواْ ﴾[1]: يقرأ ﴿ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ ﴾[2] كتابك يعني: القرآن، والآية من القرآن كلام متصل إلى انقطاعه، وقيل: هي جماعة حروف، يقال خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم، ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾[3]، يعني: القرآن، ﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾[4]، قال مجاهد: فهم القرآن، وقال مقاتل: مواعظ القرآن وما فيه من الأحكام، قال قتيبة: هي العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما، وقيل: السنة والأحكام، وقيل: هي القضاء، وقيل: الحكمة الفقه، قال أبو بكر بن دريد: كل كلمة وعظتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة، ﴿ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾[5]، أي: يطهرهم من الشرك والذنوب، وقيل: يأخذ الزكاة من أموالهم، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ من التزكية وهي التعديل، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾[6]، قال ابن عباس: العزيز: الذي لا يوجد مثله.

[١٣٠] ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾[7] أي: يترك دينه وشريعته، يقال: رغب في الشيء إذا أراده، ورغب عنه إذا تركه، وقوله: (من): لفظة استفهام ومعناه التقريع والتوبيخ، يعني: ما يرغب من ملة إبراهيم ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾[8]، قال ابن عباس: من خسر نفسه، وقال الكلبي: ضل من قبل نفسه، وقال أبو عبيدة: أهلك نفسه، وقال ابن كيسان والزجاج: معناه جهل نفسه، والسفاهة: الجهل وضعف الرأي، وكل

(١) سورة البقرة آية : ١٢٩.
(٢) سورة البقرة آية : ١٢٩.
(٣) سورة البقرة آية : ١٢٩.
(٤) سورة البقرة آية : ١٢٩.
(٥) سورة البقرة آية : ١٢٩.
(٦) سورة البقرة آية : ١٢٩.
(٧) سورة البقرة آية : ١٣٠.
(٨) سورة البقرة آية : ١٣٠.

سفيه جاهل، وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه لأنه لم يعرف أن الله خلقها، ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[1]: اخترناه في الدنيا، ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[2]، يعني: أي مع الأنبياء في الجنة، وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين.

قوله تعالى إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ....

[١٣١] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ ﴾[3]، أي استقم على الإسلام واثبت عليه، لأنه كان مسلما، قال ابن عباس: قال له ذلك حين خرج من السرب، وقال الكلبي: أخلص دينك وعبادتك لله، وقال عطاء: أسلم نفسك إلى الله ﷻ وفوض أمورك إليه، ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[4]، أي: فوضت، قال ابن عباس: وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقي في النار.

[١٣٢] ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ [5] معناه: ووصى بها إبراهيم ووصى يعقوب بنيه، قال الكلبي ومقاتل: يعني كلمة الإخلاص لا إله إلا الله ﴿ يَٰبَنِىَّ ﴾[6]، معناه أن يا بني: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ ﴾[7]: اختار ﴿ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾[8]، أي: دين

(١) سورة البقرة آية : ١٣٠.
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٠.
(٣) سورة البقرة آية : ١٣١.
(٤) سورة البقرة آية : ١٣١.
(٥) سورة البقرة آية : ١٣٢.
(٦) سورة البقرة آية : ١٣٢.
(٧) سورة البقرة آية : ١٣٢.
(٨) سورة البقرة آية : ١٣٢.

الإسلام ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1]، مؤمنون، وقيل مخلصون، وقيل مفوضون، والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون.

[١٣٣] قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾[2] يعني أكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء حضورا ﴿ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾[3]، أي: حين قرب يعقوب من الموت، قيل: نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود، وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران، فجمع ولده وخاف عليهم ذلك، فقال ﷺ ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ﴾[4]، وكان إسماعيل عما لهم، والعرب تسمي العم أبا كما تسمي الخالة أما ﴿ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾[5] نصب على البدل من قوله، ﴿ إِلَـٰهَكَ ﴾[6]، وقيل: نعرفه إلهًا واحدا، ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[7]

[١٣٤] ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾[8]: جماعة، ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾[9]: مضت، ﴿ لَهَا مَا

(١) سورة البقرة آية : ١٣٢.
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٣.
(٣) سورة البقرة آية : ١٣٣.
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٣.
(٥) سورة البقرة آية : ١٣٣.
(٦) سورة البقرة آية : ١٣٣.
(٧) سورة البقرة آية : ١٣٣.
(٨) سورة البقرة آية : ١٣٤.
(٩) سورة البقرة آية : ١٣٤.

﴿ كَسَبَتۡ ﴾ [1] من العمل، ﴿ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [2]، يعني: يسأل كل عن عمله لا عن عمل غيره.

[١٣٥] ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ﴾ [3]، قال ابن عباس: نزلت في رؤساء يهود المدينة وفي نصارى أهل نجران وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد ﷺ والقرآن، وقالت النصارى نبينا أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد ﷺ والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك، فقال تعالى: ﴿ قُلۡ ﴾ [4] يا محمد: ﴿ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ [5]، بل نتبع ملة إبراهيم ﴿ حَنِيفٗاۖ ﴾ [6] أراد به ملة إبراهيم الحنيف قال مجاهد: الحنيفة أتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس، قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [7]

ثم علم المؤمنين طريق الإيمان فقال جل ذكره:

قوله تعالى قُولُوا آمَنا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنا وَمَا أُنزِلَ إِلى إِبْرَاهِيمَ....

---

(١) سورة البقرة آية : ١٣٤.
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٤.
(٣) سورة البقرة آية : ١٣٥.
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٥.
(٥) سورة البقرة آية : ١٣٥.
(٦) سورة البقرة آية : ١٣٥.
(٧) سورة البقرة آية : ١٣٥.

[١٣٦] ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾[١]، يعني القرآن، ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾[٢] وهو عشر صحف ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾[٣]، يعني: أولاد يعقوب، وهم اثنا عشر سبطا، واحدهم: سبط، سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة، وسبط الرجل: حافده، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، من بني إسماعيل، والشعوب من العجم، وكان في الأسباط أنبياء، ولذلك قال: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾[٤]، وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء. ﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾[٥]، يعني التوراة، ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾[٦]، يعني الإنجيل، ﴿ وَمَآ أُوتِيَ ﴾[٧]: أعطي ﴿ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾[٨]، أي: نؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، ﴿ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[٩]، عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونا بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ ﴿ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله ﴾[١٠] الآية.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٣) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٥) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٦) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٧) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٨) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٩) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(١٠) البخاري تفسير القرآن (٤٢١٥).

[١٣٧] ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ (١) أي: بما آمنتم به، وكذلك كان يقرؤهـا ابن عبـاس، و (المثل) صلـة، كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (٢) أي: ليس هو كشيء، وقيل: معناه فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به أي: أتوا بإيمان كإيمانكم وتوحيد كتوحيدكـم، وقيل: معناه فإن آمنوا مثل ما آمنتم، والباء زائدة كقوله تعالى: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ (٣)، وقال أبو معاذ النحوي: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم: ﴿ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ (٤)، أي في خلاف ومنازعة، قال ابن عباس وعطاء: يقال: شاق مشاقة إذا خالف، كأن كل واحد أخذ في شق غير شق صاحبه، قال الله تعالى: ﴿ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن ﴾ (٥) أي: خلافي، وقيـل: في عـداوة، دليله قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ ﴾ (٦)، أي عادوا الله ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٧): يا محمد، أي يكفيك شر اليهود والنصارى، وقد كفي بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وضرب الجزية على اليهود والنصارى، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ (٨): لأقوالهـم ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (٩) بأحوالهم.

(١) سورة البقرة آية : ١٣٧.
(٢) سورة الشورى آية : ١١.
(٣) سورة مريم آية : ٢٥.
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٧.
(٥) سورة هود آية : ٨٩.
(٦) سورة الأنفال آية : ١٣.
(٧) سورة البقرة آية : ١٣٧.
(٨) سورة البقرة آية : ١٣٧.
(٩) سورة البقرة آية : ١٣٧.

[١٣٨] ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾[(١)]، قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن: دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين، كما يظهر أثر الثوب على الصبغ، وقيل: لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد: فطرة الله وهو قريب من الأول، وقيل: سنة الله، وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، وقال ابن عباس: هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فاتت عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر، يقال له المعمودية، وصبغوه به ليطهروه بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانيا حقا، فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى، وهو نصب على الإغراء، يعني الزموا دين الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾[(٢)]: دينا وقيل: تطهيرا. ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[(٣)]: مطيعون.

[١٣٩] ﴿ قُلْ ﴾[(٤)]: يا محمد لليهود والنصارى: ﴿ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ﴾[(٥)]، أي في دين الله والمحاجة: المجادلة في الله لإظهار الحجة، وذلك بأنهم قالوا: إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا، وديننا أقدم فنحن أولى بالله منكم ﴿ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾[(٦)]، أي: نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربنا وربكم، ﴿ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ﴾[(٧)]، أي: لكل واحد جزاء عمله فكيف تدعون أنكم أولى بالله، ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[(٨)]، وأنتم

(١) سورة البقرة آية : ١٣٨.
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١٣٨.
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٩.
(٥) سورة البقرة آية : ١٣٩.
(٦) سورة البقرة آية : ١٣٩.
(٧) سورة البقرة آية : ١٣٩.
(٨) سورة البقرة آية : ١٣٩.

به مشركون، قال سعيد بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله فلا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله.

[١٤٠] قال الله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾[(١)]، يعني: أتقولون، صيغة استفهام، ومعناه التوبيخ ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ ﴾[(٢)] يا محمد ﴿ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ ﴾[(٣)] بدينهم ﴿ أَمِ اللَّهُ ۗ ﴾[(٤)] وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما. ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ ﴾[(٥)]: أخفى ﴿ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ ﴾[(٦)]، وهي علمهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين، وأن محمدا ﷺ حق ورسول أشهدهم عليه في كتبهم، ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[(٧)]

[١٤١] ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾[(٨)]، كرره تأكيدا.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٠.
(٢) سورة البقرة آية : ١٤٠.
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٠.
(٤) سورة البقرة آية : ١٤٠.
(٥) سورة البقرة آية : ١٤٠.
(٦) سورة البقرة آية : ١٤٠.
(٧) سورة البقرة آية : ١٤٠.
(٨) سورة البقرة آية : ١٤١.

قوله تعالى سَيَقُولُ السفهاءُ مِنَ الناس مَا وَلاهُمْ عَن قِبْلتهمُ التِي كَانُوا عَليْهَا....

[١٤٢] قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [١] الجهال ﴿ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ ﴾ [٢]، أي شيء صرفهم وحولهم ﴿ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [٣]، يعني بيت المقدس، والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة، طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة فقالوا لمشركي مكة: قد تردد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد توجه نحو بلدكم، وهو راجع إلى دينكم، فقال الله تعالى ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ ﴾ [٤]: ملكا والخلق عبيده، ﴿ يَهۡدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [٥].

[١٤٣] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [٦] أي: كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم، كـذلك جعلناكم أمة وسطا، أي: عدلا خيارا، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ ﴾ [٧] أي خيرهم وأعدلهم، وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنما مذمومان في الدين قوله تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [٨]، يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ ﴾ [٩]:

(١) سورة البقرة آية : ١٤٢.
(٢) سورة البقرة آية : ١٤٢.
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٢.
(٤) سورة البقرة آية : ١٤٢.
(٥) سورة البقرة آية : ١٤٢.
(٦) سورة البقرة آية : ١٤٣.
(٧) سورة القلم آية : ٢٨.
(٨) سورة البقرة آية : ١٤٣.
(٩) سورة البقرة آية : ١٤٣.

محمد ﷺ ﴿ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾[(١)]: معدلا مزكيا لكم، قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ ﴾[(٢)]، أي: تحويلها؟ يعني عن بيت المقدس، فيكون من باب حذف المضاف، ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوفا على تقدير: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة، وقيل معناه التي أنت عليها وهي الكعبة، كقوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ ﴾[(٣)] أي: أنتم ﴿ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾[(٤)]، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ إِلَّا لِنَعۡلَمَ ﴾[(٥)] وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها؟ قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يوجد معناه لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: إلا لنعلم أي: لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة، ﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾[(٦)]، فيرتد، وقال أهل المعاني: معناه إلا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم ﴿ وَإِن كَانَتۡ ﴾[(٧)]، أي: وقد كانت، أي تولية الكعبة، وقيل: الكناية راجعة إلى القبلة، وقيل: إلى الكعبة، قال الزجاج: وإن كانت التحويلة، ﴿ لَكَبِيرَةً ﴾[(٨)]: ثقيلة شديدة، ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٣.

(٢) سورة البقرة آية : ١٤٣.

(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠.

(٤) سورة البقرة آية : ١٤٣.

(٥) سورة البقرة آية : ١٤٣.

(٦) سورة البقرة آية : ١٤٣.

(٧) سورة البقرة آية : ١٤٣.

(٨) سورة البقرة آية : ١٤٣.

﴿ هَدَى ٱللَّهُ ﴾[1]، أي: هداهم الله، قال سيبويه: (وإن) تأكيد شبيه باليمين، ولذلك دخلت اللام في جوابها، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾[2]، وذلك أن حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود، قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس إن كانت هدى، فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة فقد دنتم الله بها؟ ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة، فقال المسلمون إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه، قالوا: فما شهادتكـم على من مات منكم على قبلتنا؟ فانطلق عشائرهم إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله، قد صرفك إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾[3]، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[4] الرأفة: أشد الرحمة.

[١٤٤] ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[5]، هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى، فإنها رأس القصة، وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس، ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة، فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ

(١) سورة البقرة آية : ١٤٣.
(٢) سورة البقرة آية : ١٤٣.
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٣.
(٤) سورة البقرة آية : ١٤٣.
(٥) سورة البقرة آية : ١٤٤.

﴿ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةً ﴾[1]، فلنحولنك إلى قبلة ﴿ تَرۡضَىٰهَاۚ ﴾[2]، أي: تحبها وتواها، ﴿ فَوَلِّ ﴾[3] أي: حول ﴿ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾[4] أي: نحوه، وأراد به الكعبة، والحرام: المحرم، ﴿وَحَيۡثُ مَا ﴾[5]، من بر أو نحو شرق أو غرب: ﴿ كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾[6]، عند الصلاة.

فلما تحولت القبلة قالت اليهود: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره، فأنزل الله تعالى: ﴿ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ ﴾[7] يعني أمر الكعبة، ﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ ﴾[8]، ثم هددهم فقال: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٤ ﴾[9]، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء، قال ابن عباس: يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم، وقرأ الباقون بالياء، يعني: ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازيهم في الدنيا وفي الآخرة.

[١٤٥] قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ ﴾[10]، يعني: اليهود والنصارى، قالوا: ائتنا بآية على ما تقول، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

(١) سورة البقرة آية : ١٤٤.
(٢) سورة البقرة آية : ١٤٤.
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١٤٤.
(٥) سورة البقرة آية : ١٤٤.
(٦) سورة البقرة آية : ١٤٤.
(٧) سورة البقرة آية : ١٤٤.
(٨) سورة البقرة آية : ١٤٤.
(٩) سورة البقرة آية : ١٤٤.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٤٥.

ٱلۡكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ ﴾[1]: معجزة، ﴿ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ ﴾[2] يعني: الكعبة ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ ﴾[3]، لأن اليهـود تستقبـل بيت المقـدس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم ﴾[4]، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة، ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾[5]، من الحق في القبلة، ﴿ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ١٤٥ ﴾[6].

[١٤٥] قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ ﴾[7]، يعني: اليهود والنصارى، قالوا: ائتنا بآية على ما تقول، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ ﴾[8]: معجزة، ﴿ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ ﴾[9] يعني: الكعبة ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ ﴾[10]، لأن اليهود تستقبل بيت المقدس ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم ﴾[11]، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد

(١) سورة البقرة آية : ١٤٥.
(٢) سورة البقرة آية : ١٤٥.
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٥.
(٤) سورة البقرة آية : ١٤٥.
(٥) سورة البقرة آية : ١٤٥.
(٦) سورة البقرة آية : ١٤٥.
(٧) سورة البقرة آية : ١٤٥.
(٨) سورة البقرة آية : ١٤٥.
(٩) سورة البقرة آية : ١٤٥.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٤٥.
(١١) سورة البقرة آية : ١٤٥.

به الأمة، ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾[1]، من الحق في القبلة، ﴿ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥ ﴾[2].

(١) سورة البقرة آية : ١٤٥.

(٢) سورة البقرة آية : ١٤٥.

قوله تعالى الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ....

[١٤٦] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾[(١)]، يعني: مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ ﴾[(٢)]، يعني: يعرفون محمدا ﷺ ﴿ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ ﴾[(٣)]: من بين الصبيان، قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام: إن الله قد أنزل على نبيه ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ ﴾[(٤)]، فكيف هذه المعرفة؟ قال عبد الله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني، ومعرفتي بمحمد ﷺ أشد من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد أنه رسول حق من الله تعالى، وقـد نعته الله في كتابنا، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت، ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ ﴾[(٥)]، يعني: صفة محمد ﷺ وأمر الكعبة ﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[(٦)].

[١٤٧] ثم قال: ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ ﴾[(٧)]، أي: هذا الحق خير، مبتدأ مضمر، وقيل: رفع بإضمار فعل، أي: جاء الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[(٨)]: الشاكين.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٦.

(٢) سورة البقرة آية : ١٤٦.

(٣) سورة البقرة آية : ١٤٦.

(٤) سورة البقرة آية : ١٤٦.

(٥) سورة البقرة آية : ١٤٦.

(٦) سورة البقرة آية : ١٤٦.

(٧) سورة البقرة آية : ١٤٧.

(٨) سورة البقرة آية : ١٤٧.

[١٤٨] قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾[(١)]، أي: لأهل كل ملة قبلة، والوجهة: اسم للمتوجه إليه ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[(٢)]، أي: مستقبلها، ومقبل عليها، يقال: وليته، ووليت إليه إذا أقبلت عليه، ووليت عنه إذا أدبرت عنه، قال مجاهد: هو موليها وجهه، وقال الأخفش: هو كناية عن الله ﷻ يعني: مولى الأمم إلى قبلتهم ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[(٣)]، أي: إلى الخيرات، يريد بادروا بالطاعات، والمراد: المبادرة إلى القبول، ﴿ أَيْنَ مَا ﴾[(٤)] أنتم وأهل الكتاب، ﴿ تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ ﴾[(٥)]: يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم، ﴿ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[(٦)] .

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[(٧)]، قرأ أبو عمرو بالياء، والباقون بالتاء.

[١٥٠] ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾[(٨)]، وإنما كرره لتأييد النسخ، ﴿ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ﴾[(٩)]، اختلفوا في تأويل هذه الآية، ووجه قوله: (إلا) فقال بعضهم: معناه حولت القبلة إلى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة إذا توجهتم إلى غيرها،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٨.
(٢) سورة البقرة آية : ١٤٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٨.
(٤) سورة البقرة آية : ١٤٨.
(٥) سورة البقرة آية : ١٤٨.
(٦) سورة البقرة آية : ١٤٨.
(٧) سورة البقرة آية : ١٤٩.
(٨) سورة البقرة آية : ١٥٠.
(٩) سورة البقرة آية : ١٥٠.

فيقولون: ليست لكم قبلة، إلا الذين ظلموا وهم قريش واليهود، فأما قريش فتقول: رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنا الحق وأنا قبلة آبائه، فكذلك يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلا أنه يعمل برأيه، وقال قوم: لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني: اليهود، وكانت حجتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس، أنهم كانوا يقولون: ما درى محمد ﷺ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، وقوله: ﴿ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ﴾ [1]، وهم مشركو مكة، وحجتهم أنهم قالوا لما صرفت قبلتهم إلى الكعبة: إن محمدا قد تحّير في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة، وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحا، وقوله: ﴿ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ﴾ [2] يعني: لا حجة لأحد عليكـم إلا مشركو قريش فإنهم يحاجونكـم فيجادلونكـم ويخاصمونكم بالباطل والظلم وموضع (ٱلَّذِينَ) خفض كأنه قال: سوى الذين ظلموا، وقال الفراء: نصب بالاستثناء.

قوله تعالى: ﴿ ظَلَمُواْ ﴾ [3]، يعني: من الناس، وقيل: هذا استثناء منقطع عن الكلام الأول، معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل قال أبو روق: لئلا يكون للناس، يعني: اليهود عليكم حجة، وذلك أنهم عرفوا أن الكعبة لإبراهيم، ووجدوا في التوراة أن محمدا سيحول إليها، فحوله الله تعالى إليها لئلا يكون لهم حجة فيقولوا: إن النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إليها ولم تحول أنت، فلما حول إليها ذهبت حجتهم إلا الذين ظلموا, يعني: إلا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق.

(١) سورة البقرة آية : ١٥٠.

(٢) سورة البقرة آية : ١٥٠.

(٣) سورة البقرة آية : ١٥٠.

وقال أبو عبيدة: قوله ﴿ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ﴾ [1] ليس باستثناء، ولكن (إلا) في موضع واو العطف، يعني: والذين ظلموا أيضًا لا يكون لهم حجة، فمعنى الآية: فتوجهوا إلى الكعبة لئلا يكون للناس - يعني لليهود - عليكم حجة فيقولوا: لِمَ تركتم الكعبة وهي قبلة إبراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لِمَ ترك محمد قبلة جده وتحول عنها إلى قبلة اليهود؟ ﴿ مِنْهُمْ ﴾ [2]: في انصرافكم إلى الكعبة، وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة، فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة، ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى ﴾ [3]، عطف على قوله: ﴿ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ ﴾ [4]، ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم، فتتم به لكم الملة الحنيفية ﴿ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ ﴾ [5]: لكي تتدوا من الضلالة، و(لعلّ وعسى) من الله واجب.

قوله تعالى كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ....

[١٥١] قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ [6]، هذه الكاف للتشبيه، ويحتاج إلى شيء يرجع إليه، فقال بعضهم: يرجع إلى ما قبلها، معناه: ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم، وقال مجاهد وعطاء والكلبي: هي متعلقة بما بعدها وهو قوله: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [7] معناه: كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني، وهذه الآية

(١) سورة البقرة آية : ١٥٠.
(٢) سورة البقرة آية : ١٥٠.
(٣) سورة البقرة آية : ١٥٠.
(٤) سورة البقرة آية : ١٥٠.
(٥) سورة البقرة آية : ١٥٠.
(٦) سورة البقرة آية : ١٥١.
(٧) سورة البقرة آية : ١٥٢.

خطاب لأهل مكة والعرب، يعني: كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب ﴿ رَسُولاً مِّنكُمۡ ﴾ [(١)] يعني: محمدًا ﷺ ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ [(٢)] يعني: القرآن، ﴿ وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [(٣)]، قيل: الحكمة السنة، وقيل: مواعظ القرآن، ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [(٤)]، من الأحكام وشرائع الإسلام.

[١٥٢] ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [(٥)]، قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، وقال سعيد بن جبير: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء، بيانه: ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [(٦)] قوله تعالى: ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [(٧)]، يعني: واشكروا لي بالطاعة ولا تكفرون بالمعصية، فإن من أطاع الله فقد شكره، ومن عصاه فقد كفره.

[١٥٣] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [(٨)]: بالعون والنصرة.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥١.
(٢) سورة البقرة آية : ١٥١.
(٣) سورة البقرة آية : ١٥١.
(٤) سورة البقرة آية : ١٥١.
(٥) سورة البقرة آية : ١٥٢.
(٦) سورة الصافات آية : ١٤٣- ١٤٤.
(٧) سورة البقرة آية : ١٥٢.
(٨) سورة البقرة آية : ١٥٣.

[١٥٤] ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ﴾ [١]، نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلًا، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [٢]، كما قال في شهداء أحد: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [٣]، قال الحسن: إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشية، فيصل إليهم الوجع.

[١٥٥] قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ [٤] أي: ولنختبرنكم يا أمة محمد، واللام لجواب القسم المحذوف، تقديره: والله لنبلونكم، والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به، ﴿ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ ﴾ [٥]، قال ابن عباس: يعني خوف العدو، ﴿ وَٱلْجُوعِ ﴾ [٦]، يعني: القحط، ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ ﴾ [٧]: بالخسران والهلاك، ﴿ وَٱلْأَنفُسِ ﴾ [٨]، يعني: بالقتل والموت، وقيل: بالمرض والشيب،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٤.
(٢) سورة البقرة آية : ١٥٤.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٩.
(٤) سورة البقرة آية : ١٥٥.
(٥) سورة البقرة آية : ١٥٥.
(٦) سورة البقرة آية : ١٥٥.
(٧) سورة البقرة آية : ١٥٥.
(٨) سورة البقرة آية : ١٥٥.

﴿ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ ﴾ [1]، يعني: الجوائح في الثمار، وحكي عن الشافعي أنه قال: الخوف خوف الله تعالى، والجوع صيام رمضان، ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمرات موت الأولاد، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [2]: على البلايا والرزايا، ثم وصفهم فقال:

قوله تعالى الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مصِيبَةٌ قَالُوا إِنا لِلهِ وَإِنا إِلَيْهِ رَاجِعونَ....

[١٥٦] ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ [3]: عبيدا وملكا، ﴿ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [4] في الآخرة.

[١٥٧] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ [5] أهل هذه الصفة: ﴿ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ [6] أي: رحمة، فإن الصلاة من الله الرحمة، والرحمة ذكرها الله تأكيدا، وجميع الصلوات، أي رحمة بعد رحمة ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [7]: إلى الاسترجاع، وقيل: إلى الحق والصواب، وقيل: إلى الجنة والثواب، قال عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان: الصلاة والرحمة، والعلاوة الهداية.

[١٥٨] قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ ﴾ [8]، الصفا جمع: صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء، يقال صفاة وصفا، مثل: حصاة وحصى ونواة

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٥.
(٢) سورة البقرة آية : ١٥٥.
(٣) سورة البقرة آية : ١٥٦.
(٤) سورة البقرة آية : ١٥٦.
(٥) سورة البقرة آية : ١٥٧.
(٦) سورة البقرة آية : ١٥٧.
(٧) سورة البقرة آية : ١٥٧.
(٨) سورة البقرة آية : ١٥٨.

ونوى، والمروة: الحجر الرخو، وجمعها: مروات، وجمع الكثير: مَرْو، مثل: تمرة وتمرات وتمر، وإنما عنى بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام، وشعائر الله أعلام دينه، أصلها من الإشعار، وهو الإعلام، واحدتا شعيرة، وكل ما كان معلما لقربات يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة، فهو شعيرة، فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر لله، ومثلها المشاعر، والمراد بالمشاعر هاهنا: المناسك التي جعلها الله أعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حتى يطاف بهما جميعا، ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ ﴾ (١)، فالحج في اللغة: القصد، والعمرة: الزيارة، وفي الحج والعمرة المشروعين: قصد وزيارة، ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ (٢)، أي لا إثم عليه، وأصله من جنح، أي: مال عن القصد، ﴿ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾ (٣)، أي: يدور بهما، وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء. وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان إساف ونائلة، وكان إساف على الصفا ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين ويتمسحون بهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين، فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر الله، قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ (٤)، قال مجاهد: معناه فإن تطوع بالطواف بالصفا والمروة، وقال مقاتل والكلبي فمن تطوع، أي: زاد في الطواف بعد الواجب، وقيل: من تطوع بالحج والعمرة بعد أداء الحجة الواجبة عليه، وقال الحسن وغيره: أراد سائر الأعمال، يعني: فعل غير المفترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها

(١) سورة البقرة آية : ١٥٨.
(٢) سورة البقرة آية : ١٥٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١٥٨.
(٤) سورة البقرة آية : ١٥٨.

من أنواع الطاعات، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ ﴾[1]، مجازٍ لعبده بعمله، ﴿ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[2]: بنيته، والشكر من الله تعالى أن يعطي لعبده فوق ما يستحق، يشكر اليسير ويعطي الكثير.

[١٥٩] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾[3]، نزلت في علماء اليهود كتموا صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرهما من الأحكام التي كانت في التوراة، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[4] وأصل اللعن الطرد والبعد، ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[5]، أي: يسألون الله أن يلعنهم ويقولون: اللهم العنهم، واختلفوا في هؤلاء اللاعنين، قال ابن عباس: جميع الخلائق إلا الجن والإنس، وقال قتادة: هم الملائكة، وقال عطاء: الجن والإنس, وقال الحسن: جميع عباد الله ثم استثنى فقال:

[١٦٠] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾[6]: من الكفر، ﴿ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾[7] أسلموا أو أصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربهم ﴿ وَبَيَّنُوا۟ ﴾[8]: ما كتموا، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾[9]: أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم، ﴿ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ﴾[1] الرجاع بقلوب عبادي المنصرفة عني إلي. ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[2]: بهم بعد إقبالهم عليّ.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٨.
(٢) سورة البقرة آية : ١٥٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١٥٩.
(٤) سورة البقرة آية : ١٥٩.
(٥) سورة البقرة آية : ١٥٩.
(٦) سورة البقرة آية : ١٦٠.
(٧) سورة البقرة آية : ١٦٠.
(٨) سورة البقرة آية : ١٦٠.
(٩) سورة البقرة آية : ١٦٠.

قوله تعالى إن الذِينَ كفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفارٌ أولئِكَ عَليْهمْ لعْنةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالناس أَجْمَعِينَ....

[١٦١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ (٣)

أي: لعنة الملائكة ﴿ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ (٤)، قال أبو العالية: هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس، فإن قيل: فقد قال: (وَالناسِ أَجْمَعِينَ) والملعون هو من جملة الناس، فكيف يلعن نفسه؟ قيل: يلعن نفسه في القيامة، قال الله تعالى: ﴿ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضًا ﴾ (٥)، وقيل: إنهم يلعنون الظالمين والكافرين، ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه.

[١٦٢] ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ (٦) مقيمين في اللعنة وقيل: في النار، ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ (٧) لا يمهلون ولا يؤجلون، وقال أبو العالية: لا ينظرون فيعتذروا، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٨).

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمۡ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٩)، سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٠.
(٢) سورة البقرة آية : ١٦٠.
(٣) سورة البقرة آية : ١٦١.
(٤) سورة البقرة آية : ١٦١.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٢٥.
(٦) سورة البقرة آية : ١٦٢.
(٧) سورة البقرة آية : ١٦٢.
(٨) سورة المرسلات آية : ٣٦.
(٩) سورة البقرة آية : ١٦٣.

ربك وانسبه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص، والواحد: الذي لا نظير له ولا شريك له، قال أبو الضحى: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن محمدا يقول إن إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين فأنزل الله عز وجل.

[١٦٤] ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١)، ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن كل سماء من جنس آخر، والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب، فالآية في السماوات: سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة، وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض: مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الأشجار والأنهار، والجبال والبحار والجواهر والنبات. قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (٢)، أي: تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر أي: بعده، نظيره: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ (٣)، قال عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان، والليل جمع ليلة، والليالي جمع الجمع، والنهار جمع نهر، وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه، قال الله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ (٤)، ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ (٥)، يعني: السفن واحده وجمعه سواء، فإذا أريد به الجمع يؤنث، وفي الواحد يذكر، قال الله تعالى في الواحد والتذكير: ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١٤٠ ﴾ (٦)،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٤.

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٤.

(٣) سورة الفرقان آية : ٦٢.

(٤) سورة يس آية : ٣٧.

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٤.

(٦) سورة الصافات آية : ١٤٠.

وقال في الجمع والتأنيث: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ [1]، ﴿ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ [2] الآية في الفلك: تسخيرها وجريها على وجه الماء، وهي موقرة لا ترسب تحت الماء، ﴿ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [3]، يعني: ركوبا والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ ﴾[4]، يعني: المطر، قيل: أراد بالسماء السحاب، يخلق الله الماء في السحاب ثم من السحاب ي ل، وقيل: أراد به السماء المعروفة، يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ي ل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ي ل إلى الأرض، ﴿ فَأَحۡيَا بِهِ ﴾ [5]، أي: بالماء ﴿ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ [6]، أي: بعد يبسها وجدوبتها، ﴿ وَبَثَّ فِيهَا ﴾ [7]، أي: فرق فيها ﴿ مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ [8] والريح يذكر ويؤنث، وتصريفها أنا يتصرف إلى الجنوب والشمال، والقبول والدبور والنكباء، وقيل: تصريفها أنا تارة تكون لينا، وتارة تكون عاصفا، وتارة تكون حارة، وتارة باردة، قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء، وسميت الريح ريحا لأنا تريح النفوس ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ ﴾ [9] أي: الغيم المذلل، سمي سحابا لأنه ينسحب، أي يسير في سرعة كأنه يسحب أي يجر ﴿ بَيۡنَ

(١) سورة يونس آية : ٢٢.
(٢) سورة البقرة آية : ١٦٤.
(٣) سورة البقرة آية : ١٦٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١٦٤.
(٥) سورة البقرة آية : ١٦٤.
(٦) سورة البقرة آية : ١٦٤.
(٧) سورة البقرة آية : ١٦٤.
(٨) سورة البقرة آية : ١٦٤.
(٩) سورة البقرة آية : ١٦٤.

﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [(١)]، فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقا وصانعا.

[١٦٥] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [(٢)]، يعني: المشركين، ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾ [(٣)]، أي أصناما يعبدونها، ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [(٤)]، أي: يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله، وقال الزجاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع الله، فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [(٥)]، أي: أثبت وأدوم على حبه من المشركين؛ لأنهم لا يختارون على الله ما سواه، والمشركون إذا اتخذوا صنما ثم رأوا أحسن منه، طرحوا الأول واختاروا الثاني، قال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى، كما أخبر الله ﷻ عنهم فقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [(٦)]، والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء والضراء والشدة والرخاء قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [(٧)] معناه: لو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب، أي ولو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب، لعرفوا مضرة الكفر، وأن ما اتخذوا من الأصنام لا ينفعهم، قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَرَوۡنَ﴾ [(٨)] قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها، ﴿ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ

(١) سورة البقرة آية : ١٦٤.
(٢) سورة البقرة آية : ١٦٥.
(٣) سورة البقرة آية : ١٦٥.
(٤) سورة البقرة آية : ١٦٥.
(٥) سورة البقرة آية : ١٦٥.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٦٥.
(٧) سورة البقرة آية : ١٦٥.
(٨) سورة البقرة آية : ١٦٥.

ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [1] أي: بأن القوة لله جميعا معناه: لرأوا وأيقنوا أن القوة لله جميعا.

قوله تعالى إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ....

[١٦٦] ﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ [2]، هذا في يوم القيامة حين يجمع الله القادة والأتباع، فيتبرأ بعضهم من بعض، هذا قول أكثر المفسرين، وقال السدي: هم الشياطين يتبرءون من الإنس، ﴿ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ﴾ [3] أي: عنهم ﴿ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [4]، أي الصلات التي كانت بينهم في الدنيا، من القرابات والصداقات، وصارت مخالطتهم عداوة، وقال ابن جريج: الأرحام، كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ﴾ [5]، وقال السدي: يعني الأعمال التي كانوا يعملونا في الدنيا, كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [6]، وأصل السبب ما يوصل به إلى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة ومنة، يقال للحبل: سبب، وللطريق: سبب.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٥.

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٦.

(٣) سورة البقرة آية : ١٦٦.

(٤) سورة البقرة آية : ١٦٦.

(٥) سورة المؤمنون آية : ١٠١.

(٦) سورة الفرقان آية : ٢٣.

[١٦٧] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ﴾[(١)]، يعني: الأتباع: ﴿ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾[(٢)]، أي: رجعة إلى الدنيا، ﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ ﴾[(٣)]، أي: من المتبوعين، ﴿ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ ﴾[(٤)]: اليوم، ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾[(٥)]، أي: كما أراهم العذاب، كذلك ﴿ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ ﴾[(٦)]، وقيل: كتبرؤ بعضهم من بعض، يريهم الله: ﴿ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾[(٧)]: ندامات، جمع حسرة، قيل: يريهم ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لِـمَ عملوا، وقيل: يريهم ما تركوا من الحسنات، فيندمون على تضييعها، وقال ابن كيسان: إنهم أشركوا بالله الأوثان رجاء أن تقربهم إلى الله ﷿ فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا، قال السدي: ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله، ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون ويتحسرون ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ ﴾[(٨)] .

[١٦٨] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾[(٩)]، نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر ابن صعصعة، وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فالحلال ما أحله الشرع. طيبا، قيل: ما

(١) سورة البقرة آية : ١٦٧.
(٢) سورة البقرة آية : ١٦٧.
(٣) سورة البقرة آية : ١٦٧.
(٤) سورة البقرة آية : ١٦٧.
(٥) سورة البقرة آية : ١٦٧.
(٦) سورة البقرة آية : ١٦٧.
(٧) سورة البقرة آية : ١٦٧.
(٨) سورة البقرة آية : ١٦٧.
(٩) سورة البقرة آية : ١٦٨.

يستطاب ويستلذ، والمسلم يستطيب الحلال، ويخاف الحرام، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ (١) آثاره وزلاته، وقيل: هي النذور في المعاصي، وقال أبو عبيدة: هي المحقرات من الذنوب، وقال الزجاج: طرقه، ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ ﴾ (٢): بين العداوة، وقد أظهر عداوته بإبائه السجود لآدم وغروره إياه، حتى أخرجه من الجنة، ثم ذكر عداوته فقال:

[١٦٩] ﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (٣)، أي: بالإثم، وأصل السوء ما يسوء صاحبه، وهو مصدر ساء يسوء سوءًا ومساءة، أي: أحزنه، وسوأته فساء أي: حزنته فحزن، ﴿ وَٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ (٤): المعاصي وما قبح من القول والفعل، وهو مصدر كالسراء والضراء عن ابن عباس قال: الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد، والسوء من الذنوب ما لا حد فيه، وقال السدي: هي الزنا، وقيل: هي البخل، ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ ﴾ (٥)، من تحريم الحرث والأنعام.

[١٧٠] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا ﴾ (٦)، أي: ما وجدنا ﴿ عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ (٧)، من عبادة الأصنام، وقيل: معناه وإذا قيل لهم

(١) سورة البقرة آية : ١٦٨.
(٢) سورة البقرة آية : ١٦٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١٦٩.
(٤) سورة البقرة آية : ١٦٩.
(٥) سورة البقرة آية : ١٦٩.
(٦) سورة البقرة آية : ١٧٠.
(٧) سورة البقرة آية : ١٧٠.

اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة، والهاء والميم عائدتان إلى الناس في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ ﴾ [(١)].

و(مَا أَلْفَيْنَا) ما وجدنا عليه آباءنا من التحريم والتحليل، قال تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ ﴾ [(٢)] أي: كيف يتبعون آباءهم، وآباؤهم ﴿ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا ﴾ [(٣)]؟ الواو في (أَوَلَوْ) واو العطف، ويقال لها أيضًا: واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ، والمعنى: أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالا لا يعقلون شيئا، لفظه عام ومعناه الخصوص، أي: لا يعقلون شيئا من أمور الدين، لأنم كانوا يعقلون أمر الدنيا، ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [(٤)] ثم ضرب لهم مثلا فقال جل ذكره.

قوله تعالى وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُم بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ...

[١٧١] ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ [(٥)]، والنعيق والنعق: صوت الراعي بالغنم، معناه: مثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله ﷻ كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم، وقيل: مثل واعظ الكفار وداعيهم معهم كمثل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع، ﴿ إِلَّا دُعَآءً ﴾ [(٦)]، صوتا ﴿ وَنِدَآءً ﴾ [(٧)] فأضاف

(١) سورة البقرة آية : ١٦٨.
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٠.
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٠.
(٤) سورة البقرة آية : ١٧٠.
(٥) سورة البقرة آية : ١٧١.
(٦) سورة البقرة آية : ١٧١.
(٧) سورة البقرة آية : ١٧١.

المثل إلى الذين كفروا، لدلالة الكلام عليه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [(١)]، معناه كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها، كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك إنما يسمع صوتك، وقيل: معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله، كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت وقيل: معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم، فلا ينتفع من نعيقه بشيء، غير أنه في غناء من الدعاء والنداء، كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة وعبادتا إلا العناء والبلاء، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾ [(٢)]، وقيل: معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان، كمثل الذي يصيح في جوف الجبال، فيسمع صوتا يقال له الصداء لا يفهم منه شيئا، فمعنى الآية: كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه الناعق إلا دعاء ونداء. ﴿ صُمٌّۢ ﴾ [(٣)]، تقول العرب لمن لا يسمع ولا يعمل: كأنه أصم، ﴿ بُكْمٌ ﴾ [(٤)] عن الخير لا يقولونه، ﴿ عُمْىٌ ﴾ [(٥)]، عن الهدى، لا يبصرونه، ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [(٦)] .

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ ﴾ [(٧)]: حلالات ﴿ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ ﴾ [(١)]: على نعمه، ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [(٢)] ثم بين المحرمات فقال:

---

(١) سورة يوسف آية : ٨٢.
(٢) سورة فاطر آية : ١٤.
(٣) سورة البقرة آية : ١٧١.
(٤) سورة البقرة آية : ١٧١.
(٥) سورة البقرة آية : ١٧١.
(٦) سورة البقرة آية : ١٧١.
(٧) سورة البقرة آية : ١٧٢.

[١٧٣] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾ [٣] الميتة: كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح ﴿ وَٱلدَّمَ ﴾ [٤]، أراد به الدم الجاري واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد، ومن الدم الكبد والطحال فأحلها، ﴿ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ [٥]، أراد به جميع أجزائه، فعبر عن ذلك باللحم لأنه معظمه، ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ [٦]، أي: ما ذبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت، وكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتم بذكرها، فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية: مهل، وقال الربيع بن أنس وغيره: (وَمَا أُهِلَ بِهِ لِغَيِرِ اللِهِ) قال: ما ذكر عليه اسم غير الله، ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾ [٧] معناه فمن اضطر إلى أكل الميتة، أي: أحوج وألجئ إليه، ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ [٨]، أصل البغي: قصد الفساد، يقال: بغى الجرح يبغي بغيا إذا ترامى إلى الفساد، وأصل العدوان: الظلم ومجاوزة الحد، يقال: عدا عليه عدوا وعدوانا إذا ظلم، واختلفوا في معنى قوله: ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ [٩]، فقال بعضهم: غير باغ أي: غير خارج على السلطان، ولا عاد: متعد، عاص بسفره، بأن خرج لقطع الطريق أو لفساد في الأرض، وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وقالوا: لا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٢.

(٢) سورة البقرة آية : ١٧٢.

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٣.

(٤) سورة البقرة آية : ١٧٣.

(٥) سورة البقرة آية : ١٧٣.

(٦) سورة البقرة آية : ١٧٣.

(٧) سورة البقرة آية : ١٧٣.

(٨) سورة البقرة آية : ١٧٣.

(٩) سورة البقرة آية : ١٧٣.

الميتة إذا اضطر إليها، ولا أن يترخص برخص المسافر حتى يتوب، وبه قال الشافعي، لأن إباحة الميتة له إعانة له على فساده، وذهب جماعة إلى أن البغي والعدوان راجعان إلى الأكل، واختلفوا في تفصيله، وقال الحسن وقتادة: غير باغ بأكله من غير اضطرار، ولا عاد، أي: لا يعدو لشبعه، وقيل: غير باغ أي: غير طالبها وهو يجد غيرها، ولا عاد أي: غير متعد ما حد له، فيأكل حتى يشبع، ولكن يأكل منها قوتا مقدار ما يمسك رمقه، وقال مقاتل بن حيان: غير باغ أي مستحل لها، ولا عاد أي متزود منها، وقيل: غير باغ أي غير مجاوز للقدر الذي أحل له، ولا عاد أي لا يقصر فيما أبيح له فيدعه ﴿ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ ﴾ [1]، فلا حرج عليه في أكلها، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ [2]، لمن أكل في حال الاضطرار ﴿ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [3]، حيث رخص للعباد في ذلك.

[١٧٤] قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [4] يعني: صفة محمد ﷺ ونبوته، ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ﴾ [5] أي: بالمكتوم ﴿ ثَمَنًا قَلِيلاً ۙ ﴾ [6]، أي: عوضا يسيرا، يعني: المآكل التي يصيبونا من سفلتهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ [7]، يعني: إلا ما يؤديهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين، فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار، وقيل: معناه أنه يصير نارا في

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٣.

(٢) سورة البقرة آية : ١٧٣.

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٣.

(٤) سورة البقرة آية : ١٧٤.

(٥) سورة البقرة آية : ١٧٤.

(٦) سورة البقرة آية : ١٧٤.

(٧) سورة البقرة آية : ١٧٤.

بطونهم، ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [1]، أي: لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم، إنما يكلمهم بالتوبيخ، وقيل: أراد به أن يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان لا يكلم فلانا إذا كان عليه غضبان، ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ [2]، أي: لا يطهرهم من دنس الذنوب، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [3].

[١٧٥] ﴿ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [4]، قال عطاء والسدي: هو (ما) الاستفهام معناه: ما الذي صبرهم على النار؟ وأي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل؟ قال الحسن وقتادة: والله ما لهم عليها من صبر، ولكن ما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار؟ وقال الكسائي: فما أصبرهم على أهل النار، أي: ما أدومهم عليه.

قوله تعالى ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ....

[١٧٦] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ ﴾ [5]، يعني: ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به، وحينئذ يكون (ذلك) في محل الرفع، وقال بعضهم: محله نصب، معناه: فعلنا ذلك بهم (بأن الله)، أي: لأن الله نزل الكتاب بالحق، فاختلفوا فيه، وقيل: معناه ذلك أي فعلهم الذين يفعلون من الكفر والاختلاف والاجتراء على الله، من أجل أن الله نزل الكتاب بالحق، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٤.
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٤.
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١٧٥.
(٥) سورة البقرة آية : ١٧٦.

عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [1]، ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [2]: فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، ﴿ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [3]، أي: في خلاف وضلال بعيد.

[١٧٧] قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ [4] البر: كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة، واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها اليهود والنصارى، وقال الآخرون: المراد بها المؤمنون، ذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض إذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة إلى أي جهة كانت، ثم مات على ذلك وجبت له الجنة، ولما هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض، وحددت الحدود وصرفت القبلة إلى الكعبة، أنزل الله هذه الآية فقال: (لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ)، أي: كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك، لَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ ما ذكر في هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [5] اختلفوا في وجهه، قيل: لما وقع (من) في موقع المصدر جعله خبرا للبر، كأنه قال: ولكن البر الإيمان بالله، والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل وقيل: فيه إضمار، معناه: ولكن البر [بر]، من آمن بالله، فاستغنى بذكر الأول عن الثاني، كقولهم: الجود حاتم، أي: الجود جود حاتم، وقيل معناه: ولكن ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ [6]، أي: ذو[و]، درجات، وقيل معناه: ولكن البار

---

(١) سورة البقرة آية : ٧.
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٦.
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٦.
(٤) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٥) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٦٣.

من آمن بالله، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [1] أي: للمتقي، والمراد من البر هنـا الإيمـان والتـقـوى، ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ [2]، كلهـم ﴿ وَٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [3] يعني: الكتب الله لة، ﴿ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [4]: أجمع، ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ ﴾ [5] أعطى المال، ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [6]، اختلفوا في هذه الكناية، فقال أكثر أهل التفسير: إنا راجعة إلى المال، أي: أعطى المال في حال صحته ومحبته المال وقيل: هي عائدة إلى الله ﷻ أي: على حـب الله تعالـى، ﴿ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [7]: أهل القرابة ﴿ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [8]، قال مجاهد: يعنى المسافر المنقطع عن أهله يمر عليك، ويقال للمسافر: ابن السبيل لملازمته الطريق، وقيل: هو الضيف ي ل بالرجل ﴿ وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ [9]، يعني: الطالبين ﴿ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ [10]، يعني: المكاتبين، قاله أكثر المفسرين، وقيل: عتق النسمـة وفك الرقبـة، وقيـل: فداء الأسارى، ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى

(١) سورة طه آية : ١٣٢.
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٤) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٥) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٦) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٧) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٨) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٩) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٧٧.

﴿ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[1]: وأعطى الزكاة ﴿ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ ﴾[2]: فيما بينهم وبين الله عَجَّلَ وفيما بينهم وبين الناس، ﴿ إِذَا عَٰهَدُواْۖ ﴾[3]، يعني: إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا أوفوا، وإذا عاهدوا أوفوا، وإذا قالوا صدقوا وإذا ائتُمنوا أدوا. واختلفوا في رفع قوله: (والموفون)، قيل: هو عطف على خبر، معناه: ولكن ذا البر المؤمنون والموفون بعهدهم، وقيل تقديره: هم الموفون، كأنه عد أصنافا ثم قال: هم والموفون كذا، وقيل على رفع الابتداء والخبر، يعني: وهم الموفون، ثم قال: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ ﴾[4]، أي الشدة والفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾[5]: المرض والزمانة، ﴿ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ ﴾[6] أي القتال والحرب ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ ﴾[7]: في إيمانهم، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾[8]: محارم الله.

[١٧٨] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ ﴾[9] أي: فرض عليكم القصاص، ﴿ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾[10]، والقصاص: المساواة والمماثلة في الجراحات

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٤) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٥) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٦) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٧) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٨) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٩) سورة البقرة آية : ١٧٨.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٧٨.

والديات، وأصله من قص الأثر إذا اتبعه، فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله، ثم بين المماثلة فقال: ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾ [1] وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين، أو العبيد من المسلمين، أو الأحرار من المعاهدين، أو العبيد منهم، قتل من كل صنف منهم، الذكر إذا قتل بالذكر وبالأنثى وتقتل الأنثى إذا قتلت بالأنثى وبالذكر، ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد، ولا والد بولد ولا مسلم بذمي، ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد، هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم، وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي إلى أن المسلم يقتل بالكافر الذمي، وإلى أن الحر يقتل بالعبد، ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ [2]، أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد، ورضي بالدية، هذا قول أكثر المفسرين، قالوا: العفو أن يقبل الدية في قتل العمد، وقوله: (من أخيه) أي: من دم أخيه، وأراد بالأخ: المقتول، والكنايتان في قوله (له) و (من أخيه)، ترجعان إلى (من) وهو القاتل، وقوله: (شيء) دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا يسقط القود؛ لأن شيئا من الدم قد بطل. قوله تعالى ﴿ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [3] أي: على الطالب للدية أن يتبع بالمعروف فلا يطالب بأكثر من حقه، ﴿ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [4]، أي: على المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مماطلة، أمر كل واحد منهما بالإحسان في ما له وعليه ﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [5]، أي: ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة، وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان

(١) سورة البقرة آية : ١٧٨.

(٢) سورة البقرة آية : ١٧٨.

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٨.

(٤) سورة البقرة آية : ١٧٨.

(٥) سورة البقرة آية : ١٧٨.

حتما في التوراة على اليهود، ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص، فخيّر اللّه هذه الأمة بين القصاص وبين العفو عن الدية تخفيفًا منه ورحمة، ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ﴾ [1]، فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية، ﴿ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ ﴾ [2]، وهو أن يقتل قصاصا، قال ابن جريج: يتحتم قتله حتى لا يقبل بعد العفو.

[١٧٩] قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾ [3]، أي: بقاء، وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قَتل ُيقتل، يمتنع عن القتل، فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هَم بقتله، وقيل في المثل: القتل أنفى للقتل، وقيل معنى الحياة: سلامته من قصاص الآخرة، فإنه إذا اقُتص منه في الدنيا حيي في الآخرة، وإذا لم ُيقتص منه في الدنيا اقُتص منه في الآخرة، ﴿ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾ [4]، أي تنتهون عن القتل مخافة القَود.

[١٨٠] قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [5]، أي: فُرض عليكم، ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ [6]، أي: جاء أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض، ﴿ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ﴾ [7]، أي: مالًا، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ ﴾ [8]، ﴿ ٱلۡوَصِيَّةُ

(١) سورة البقرة آية : ١٧٨.
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٩.
(٤) سورة البقرة آية : ١٧٩.
(٥) سورة البقرة آية : ١٨٠.
(٦) سورة البقرة آية : ١٨٠.
(٧) سورة البقرة آية : ١٨٠.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٧٢.

﴿ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]، كانت الوصية فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال، ثم نُسخت بآية الميراث قوله تعالى: ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[2]، يريد: يوصي بالمعروف ولا يزيد على الثلث، ولا يُوصي للغني ويدع الفقير، قال ابن مسعود: الوصية للأخل فالأخل، أي: الأحوج فالأحوج ﴿ حَقًّا ﴾[3] نُصب على المصدر، وقيل: على المفعول، أي: جعلَ الوصيةَ حقّا، ﴿ عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[4]: المؤمنين.

قوله تعالى فَمَن بَدلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنمَا إِثْمُهُ عَلى الذِينَ يُبدلُونَهُ إِن اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ...

[١٨١] قوله تعالى: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ ﴾[5]، أي: غيّر الوصيةَ عن الأوصياء أو الأولياء أو الشهود، ﴿ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ ﴾[6]، أي: بعد ما سمع قول الموصي ﴿ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ﴾[7]، والميتُ بريء منه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾[8]، لما أوصى به الموصي، ﴿ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾[9]: بتبديل المُبدل أو سميع لوصيته عليم بنيته.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٠.
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٠.
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٠.
(٤) سورة البقرة آية : ١٨٠.
(٥) سورة البقرة آية : ١٨١.
(٦) سورة البقرة آية : ١٨١.
(٧) سورة البقرة آية : ١٨١.
(٨) سورة البقرة آية : ١٨١.
(٩) سورة البقرة آية : ١٨١.

[١٨٢] قوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ خَافَ ﴾[(١)]، أي علم ﴿ مِن مُّوصٍ جَنَفًا ﴾[(٢)]، أي: جَورًا وعدولًا عن الحق، والجنفُ: الميلُ، ﴿ أَوۡ إِثۡمًا ﴾[(٣)]، أي: ظلمًا، وقال السدي وعكرمة والربيع: الجَنفُ: الخطأ، والإثم: العمد، فأصلح بينهم، ﴿ فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾[(٤)]، واختلفوا في معنى الآية قال مجاهد: معناها أن الرجل إذا حضر مريضًا وهو يُوصي فرآه يميل إمّا بتقصير أو إسراف أو وضع الوصية في غير موضعها، فلا حرج على من حضره أن يأمره بالعدل وينهاه عن الجنف، فينظر للموصَى له والورثة، وقال الآخرون: إنه أراد به أنه إذا أخطأ الميتُ في وصيته أو جار متعمدًا فلا حرج على وليه أو وصيه أو والي أمور المسلمين أن يُصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم، ويردّ الوصيةَ إلى العدل والحق (فلا إثم عليه)، أي: لا حرج عليه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢ ﴾[(٥)].

[١٨٣] قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[(٦)]، أي: فُرض وأُوجب الصوم، والصيام في اللغة: الإمساك، يُقال: صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء كأنا وقفت وأمسكت عن السير سريعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَـٰنِ صَوۡمٗا ﴾[(٧)]، أي: صمتًا لأنه إمساك عن الكلام، وفي الشريعة: الصوم وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النّية في وقت

(١) سورة البقرة آية : ١٨٢.
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٢.
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٢.
(٤) سورة البقرة آية : ١٨٢.
(٥) سورة البقرة آية : ١٨٢.
(٦) سورة البقرة آية : ١٨٣.
(٧) سورة مريم آية : ٢٦.

مخصوص. ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[1]: من الأنبياء والأمم، واختلفوا في هذا التشبيه، فقال سعيد بن جُبير: كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة، كما كان في ابتداء الإسلام، وقال جماعة من أهل العلم: أراد أن صيام رمضان كان واجبًا على النصارى، كما فُرض علينا، فربّما كان يقع في الحرّ الشديد والبرد الشديد، وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معايشهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم أتموه خمسين يومًا ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[2]، يعني: بالصوم، لأن الصوم وصلة إلى التقوى، لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، وقيل: (لَعلكُم تَتقُونَ) تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع.

[١٨٤] ﴿ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾[3]، قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبًا، وصوم يوم عاشوراء، فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهرًا، ثم نُسخ بصوم رمضان، قال ابن عباس: أول ما نُسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم وقيل: المراد من قوله: (أيامًا مَعْدُودَاتٍ): شهر رمضان، وهي غير منسوخة ونصب (أيامًا) على الظرف، أي: في أيام معدودات ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ ﴾[4]، أي فأفطر فعدة ﴿ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾[5]، أي فعليه عدة، والعدد والعدة واحد، من أيام أخر، أي غير أيام مرضه وسفره ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ ﴾[6]،

(١) سورة البقرة آية : ١٨٣.
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٣.
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١٨٤.
(٥) سورة البقرة آية : ١٨٤.
(٦) سورة البقرة آية : ١٨٤.

اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحُكمها، فذهب أكثرهم إلى أن الآية منسوخة، وهو قول ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام مُخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا أو يفتدوا، خيّرهم الله تعالى لئلا يَشُقّ عليهم، لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم، ثم نُسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [1] قال قتادة: هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ولكن يشق عليه، رخص له في أن يفطر ويفدي، ثم نسخ، وقال الحسن: هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم، خيّر بين أن يصوم وبين أن يفطر أو يفدي، ثم نُسخ بقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [2] وثبتت الرخصةُ للذين لا يُطيقون، وذهب جماعة إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، ومعناه: وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه في حال الكِبر فعليهم الفدية بدل الصوم، وقرأ ابن عباس (وَعَلَي الذِين يُطَوقُونَه) بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها، أي: يُكلّفون الصوم، وتأويله: على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم، والمريض الذي لا يُرجى زوال مرضه، فهم يُكلفون الصوم ولا يُطيقونه، فلهم أن يفطروا ويُطعموا مكان كل يوم مسكينًا، وهو قول سعيد بن جُبير، وجعل الآيةَ محكمة.

قوله تعالى: ﴿ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾ [3]، قرأ أهل المدينة والشام مضافًا، وكذلك في المائدة: (كفارة طعام مساكين)، أضاف الفدية إلى الطعام، وإن كان واحدًا لاختلاف اللفظين، كقوله تعالى: ﴿ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ ﴾ [4]، وقولهم: مسجد الجامع، وربيع الأول، وقرأ الآخرون (فديةٌ، وكفارةٌ) منونة، (وطَعَامُ) رفع، وقرأ (مَساكِين) بالجمع هنا،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٥.

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٥.

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٤.

(٤) سورة ق آية : ٩.

أهل المدينة والشام، وآخرون على التوحيد، فمن جمع نصب النون، ومن وحّد خفض النون ونوّنا، والفدية الجزاء ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكينًا مُدا من الطعام بِمُدّ النبي ﷺ وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد، هذا قول فقهاء الحجاز، وقال بعض فقهاء أهل العراق: عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر، وقال بعضهم: نصف صاع من قمح أو صاع من غيره، وقال بعض الفقهاء: ما كان المفطر يتقوته يومَهُ الذي أفطره، وقال ابن عباس: يعطي كل مسكين عشاءَهُ وسُحورَه، ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ (١)، أي زاد على مسكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر، قاله مجاهد وعطاء وطاوس، وقيل: من زاد على القدر الواجب عليه فأعطى صاعًا وعليه مُدّ فهو خير له، ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (٢)، فمن ذهب إلى النسخ قال معناه: الصوم خير له من الفدية، وقيل هذا في الشيخ الكبير لو تكلّف الصوم، وإن شق عليه فهو خير له من أن يفطر ويفدي ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (٣)، ثم بين اللّه تعالى أيام الصيام فقال:

[١٨٥] ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ (٤)، رفعه على معنى: هو شهر رمضان، وقال الكسائي كُتب عليكم شهر رمضان، وسُمي الشهر شهرًا لشهرته، وأما رمضان فقد قال مجاهد: هو من أسماء اللّه تعالى، يقال: شهر رمضان كما يقال شهر اللّه، والصحيح: أنه اسم للشهر سُمي به من الرمضاء، وهي الحجارة المحماة، وهم كانوا يصومونه في الحر الشديد، وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة، قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ (٥)،

(١) سورة البقرة آية : ١٨٤.
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٤.
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٥) سورة البقرة آية : ١٨٥.

سمي القرآن قرآنا لأنه يجمع السور والآي والحروف، وجمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، وأصل القَرْء: الجمع، وقد يحذف الهمزة فيقال: قريت الماء في الحوض إذا جمعته، وقرأ ابن كثير القرَان بفتح الراء غير مهموز، وكذلك كان يقرأ الشافعي، ويقول: ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والإنجيل، رُوي عن مقسم عن ابن عباس أنه سُئل عن قوله ﷻ ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [1]، وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ ﴾ [2]، وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ ﴾ [3]، وقد نزل في سائر الشهور، وقوله ﷻ ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ ﴾ [4] فقال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل - عليه السلام - على رسول اللّه ﷺ نجومًا في ثلاث وعشرين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ ﴾ [5]، قال داود بن أبي هند قلت للشعبي: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [6] أما كان ينزل في سائر الشهور؟ قال: بلى ولكنّ جبرائيل كان يعارض محمدًا ﷺ في رمضان ما أنزل اللّه إليه، فُيحكم اللّه ما يشاء ويثبت ما يشاء ويُنسيه ما يشاء قوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [7]: من الضلالة، و (هدًى) في محل النصب على القطع، لأن القرآن معرفة وهدًى نكرة ﴿ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٢) سورة القدر آية : ١.
(٣) سورة الدخان آية : ٣.
(٤) سورة الإسراء آية : ١٠٦.
(٥) سورة الواقعة آية : ٧٥.
(٦) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٧) سورة البقرة آية : ١٨٥.

﴿ ٱلۡهُدَىٰ ﴾[(١)]، أي دَلالاتٍ واضحات من الحلال والحرام، والحدود والأحكام، ﴿ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾[(٢)]، أي: الفارق بين الحق والباطل، قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾[(٣)]، أي: فمن كان مقيمًا في الحضر فأدركه الشهر. قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾[(٤)]، أباح الفطر لعذر المرض والسفر، أعاد هذا الكلام ليعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ ﴾[(٥)]، بإباحة الفطر في المرض والسفر ﴿ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾[(٦)] قال الشعبي ما خُير رجلٌ بين أمرين فاختار أيسرهما إلّا كان ذلك أحبهما إلى اللّه ﷻ ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ ﴾[(٧)] الواو في قوله تعالى: وَلِتُكْمِلُوا وَاوُ النسق واللام لام كي، تقديره: ويريد لكي تكملوا العدة، أي لتكملوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في مرضكم وسفركم، وقال: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدةَ)، أي: عدة أيام الشهر، ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ ﴾[(٨)]: ولتعظموا اللّه، ﴿ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ ﴾[(٩)]: أرشدكم إلى ما أرضى به من صوم شهر رمضان وخصكم به دون سائر أهل الملل، قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر، وروى الشافعي عن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنه

(١) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٤) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٥) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٦) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٧) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٨) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٩) سورة البقرة آية : ١٨٥.

كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير، وشبه ليلة النحر بها إلا من كان حاجا وذكرُه التلبية، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [1]: اللّه على نعمه.

قوله تعالى وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِي فَإِني قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعِ إِذَا دَعَانِ

[١٨٦] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [2]، فيه إضمار، كأنه قال: فقل لهم إني قريب منهم بالعلم لا يخفى علي شيء ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى ﴾ [3]، قيل: الاستجابة بمعنى الإجابة، أي: فليجيبوا إلي بالطاعة، والإجابة في اللغة: الطاعة وإعطاء ما سئل، فالإجابة من اللّه تعالى العطاء، ومن العبد: الطاعة: وقيل فليستجيبوا إلي، أي: ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته فليطيعوني. ﴿ وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [4]، لكي يهتدوا، فإن قيل: فما وجه قوله تعالى: (أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعِ) وقوله: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [5]، وقد ندعو كثيرًا فلا يجيب؟ قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين، قيل: معنى الدعاء ههنا: الطاعة، ومعنى الإجابة؟ الثواب، وقيل: معنى الآيتين خاص، وإن كان لفظهما عاما تقديرهما: أجيبُ دعوة الداعي إن شئت، كما قال: ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾ [6]، وأجيبُ دعوةَ الداع إن وافق القضاء، أو أجيبه إن كانت الإجابة خيرًا له، أو أجيبه إن لم يسأل محالًا وقيل: هو عامّ، ومعنى قوله أجيب، أي: أسمع، ويقال. ليس في الآية أكثر من استجابة الدعوة، فأما إعطاء المنية فليس

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٥.
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٦.
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٦.
(٤) سورة البقرة آية : ١٨٦.
(٥) سورة غافر آية : ٦٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ٤١.

بمذكور فيها، وقد يجيب السيدُ عبده والوالِدُ ولده ثم لا يُعطيه سؤله، فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، وقيل: معنى الآية أنه يُجيب دعاءَه فإن قدّر له ما سأل أعطاه وإن لم يُقدر له ادخر له الثواب في الآخرة أو كفّ عنه به سوءًا. وقيل. إن اللّه تعالى يُجيب دعاء المؤمن في الوقت، ويُؤخر إعطاء من يجيب مرادَه ليدعوه فيسمع صوته، ويعجل إعطاء من لا يحبه لأنه يبغض صوته، وقيل: إن للدعاء آدابًا وشرائط وهي أسباب الإجابة، فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخلّ بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء، فلا يستحق الإجابة.

[١٨٧] قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ ﴾ [(١)]، فالرفث كناية عن الجماع، قال ابن عباس: إن اللّه حيي كريم يكني، كلما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول والرفث، فإنما عنى به الجماع، وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء، أي: أبيح لكـم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ [(٢)]، أي سكن لكم، ﴿ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ ﴾ [(٣)]، أيْ: سكن لهن، دليله قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ﴾ [(٤)]، وقيل: لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر، وقيل: سمي كل واحد من الزوجين لباسًا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، وقال الربيع بن أنس: هن فراش وقيل: اللباس اسم لما يُواري الشيء، فيجوز أن يكون كل واحد منهما سترًا لصاحبه عما لا يحل، كما جاء في الحديث: « منْ تزوج فقد أحرز ثلثي دينه »، ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٧.

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٧.

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٧.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٨٩.

﴿ أَنفُسَكُمۡ ﴾[1]، أي تخونونا وتظلمونا بالـامعة بعد العشاء، قال البَراء: لمّا نزل صوم رمضان، كانوا لا يقرِّبون النساء كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل اللّه تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ ﴾[2]: تجاوز عنكم ﴿ وَعَفَا عَنكُمۡۖ ﴾[3]: مَحَا ذُنوبَكـم، ﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾[4]: جامعوهن حلالًا، سميت الـامعة: مباشرة، لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه، ﴿ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾[5]، أي: فاطلبوا ما قضى اللّه لكم، وقيل: ما كتب اللّه لكم في اللوح المحفوظ، يعني: الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه، وقال قتادة: وابتغوا الرخصة التي كتب اللّه لكـم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ، وقال معاذ بن جبل: وابتغوا ما كتب اللّه لكم، يعني: ليلة القدر ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾[6]، يعنـي في ليالي الصـوم ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾[7]، يعني: بياض النهار من سواد الليل: سُمّيا خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتدا كالخيط، ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾[8]، فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس، وإذا غربت حصل

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٧.

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٧.

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٧.

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٧.

(٥) سورة البقرة آية : ١٨٧.

(٦) سورة البقرة آية : ١٨٧.

(٧) سورة البقرة آية : ١٨٧.

(٨) سورة البقرة آية : ١٨٧.

الفطر ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ﴾ (١)، العكوف هو الإقامة على الشيء، والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله، وهو سنة، ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ (٢)، يعني: تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود اللّه: أي: ما منع اللّه عنها، قال السدي: شروط اللّه وقال شهر بن حوشب: فرائض الله، وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يُقال للبواب: حداد لأنه يمنع الناس مـن الدخول، وحدود اللّه ما يمنع الناس من مخالفتها، ﴿ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ ﴾ (٣) فلا تأتوها ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ (٤)، هكذا ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧ ﴾ (٥)، لكي يتقوها فينجوا من العذاب.

[١٨٨] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ (٦)، أي: لا يأكل بعضكم مالَ بعض بالباطل، أي: من غير الوجه الذي أباحه اللّه وأصل الباطل: الشيء الذاهب، والأكل بالباطل أنواع قد يكون بطريق الغصب والنهب، وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني، وغيرهما وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة، ﴿ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ ﴾ (٧)، أي: تُلقوا أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابا إلى الحكام، وأصل الإدلاء إرسال الدلو، وإلقاؤه في البئر، يُقال أدلى دلوه إذا أرسله، ودلاه يدلوه إذا أخرجه قال ابن عباس: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال، ويخاصم فيه

(١) سورة البقرة آية : ١٨٧.
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٧.
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٧.
(٤) سورة البقرة آية : ١٨٧.
(٥) سورة البقرة آية : ١٨٧.
(٦) سورة البقرة آية : ١٨٨.
(٧) سورة البقرة آية : ١٨٨.

الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه، وإنه أثم بمنعه قال مجاهد في هذه الآية: لا تخاصم وأنت ظالم، قال الكلبي هو أن يقيم شهادة الزور، وقوله: (وَتُدْلُوا) في محل الجزم بتكرير حرف النهي، معناه: ولا تدلوا بها إلى الحكام، وقيل: معناه ولا تأكلوا بالباطل وتنسبونه إلى الحكام، قال قتادة: لا تُدْل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءَه لا يُحل حرامًا، وكان شُريح القاضي يقول: إني لأقضي لك وإني لأظنك ظالمًا، ولكن لا يسعني إلا أن أقضي لك بما يحضرني من البينة، وإن قضائي لا يُحل لك حرامًا، ﴿ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقًا ﴾ [(١)]: طائفة ﴿ مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ ﴾ [(٢)]: بالظلم، وقال ابن عباس: باليمين الكاذبة يقتطع بها مال أخيه ﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨ ﴾ [(٣)]: أنكم مبطلون.

[١٨٩] قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ ﴾ [(٤)] جمع هلال، مثل رداء وأردية، سُمّي هلالًا لأن الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته، من قولهم: استهل الصبي إذا صرخ حين يُولد، وأهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، ﴿ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾ [(٥)]، جمع ميقات، أي: فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصوم والإفطار وآجال الديون وعدد النساء وغيرها، فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة، ﴿ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ [(٦)]، قال أهل التفسير: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو

(١) سورة البقرة آية : ١٨٨.
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٨.
(٤) سورة البقرة آية : ١٨٩.
(٥) سورة البقرة آية : ١٨٩.
(٦) سورة البقرة آية : ١٨٩.

العمرة، لم يدخل حائطًا ولا بيتًا ولا دارًا من بابه، فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيت ليدخل منه ويخرج، أو يتخذ سُلّمًا فيصعد منه، وإن كـان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يَحِل من إحرامه، ويرون ذلك برا إلّا أن يكون من الحُمْس، وهم قريش وكنانة وخزاعة وثَقيف وخَثعم وبنو عامر بن صَعْصَعة وبنو نضر بن معاوية، سُموا أحمسًا لتشددهم في دينهم، والحماسة الشدة والصلابة ﴿ فدخل رسول اللّه ﷺ ذات يوم بيتًا لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار على أثره من الباب، وهو محرم فأنكروا عليه، فقال له رسول اللّه ﷺ "لمَ دخلت من الباب وأنت محرم؟ " قال: رأيتك دخلت فدخلت على أثرك، فقال رسول اللّه ﷺ "إني أحمسي ﴾ [1] فقال الرجل: إن كنت أحمسيا فإني أحمسي رضيتُ بديك وسمتك ودينك، فأنزل اللّه تعالـى هذه الآية: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ ﴾ [2]، أي: البِر بِرّ مـن اتقى ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ [3]، في حال الإحرام، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [4].

[١٩٠] ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [5]، أي: في طاعة اللّـه ﴿ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ [6]، كان في ابتداء الإسلام أمر اللّه تعالى رسول اللّه ﷺ بالكف عن قتال المـشركين، ثم لمّـا هاجر إلى المدينة أمره بقتال من قاتله منهم بذه الآية، وقال الربيع بن أنس: هذه أول آية نزلتْ في القتال، ثم أمره بقتال المشركين كافّة، قـاتلوا أو لم يقـاتلوا بقولـه: (اقتلـوا

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبن المنذر انظر الدر المنثور للسيوطي ٤٩٢/١ وتفسير الطبري ٥٥٦/٣. ، .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٩.

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٩.

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٩.

(٥) سورة البقرة آية : ١٩٠.

(٦) سورة البقرة آية : ١٩٠.

المشركين)، فصارت هذه الآية منسوخة بها، وقيل: نسخ بقوله: (اقتلوا المشركين) قريب من سبعين آية. وقوله: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ ﴾ [(١)]، أي لا تبدؤوهم بالقتال، وقيل: هذه الآية محكمة غير منسوخة، أمر النبي ﷺ بقتال المقاتلين، ومعنى قوله: وَلَا تَعْتَدُوا، أي: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان، ولا من ألقى إليكم السلام (ولا تعتدوا) فتبدءوا بالقتال في الحرم محرمين، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠ ﴾ [(٢)]

قوله تعالى وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ.....

[١٩١] ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ [(٣)] قيل: نسخت الآية الأولى بهذه الآية، وأصل الثقافة الحِذْقُ والبصر بالأمر، ومعناه: واقتلوهم حيث أبصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم، ﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ ﴾ [(٤)]، وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة، فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم, ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ ﴾ [(٥)]، يعني: شركهم بالله ﷻ أشد وأعظم من قتلكم إياهم في الحرم والإحرام، ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ ﴾ [(٦)] كان هذا في ابتداء الإسلام، كان لا يَحِل بدايتهم بالقتال في البلد الحرام، ثم صار منسوخًا بقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [(٧)] هذا قول قتادة، وقال مقاتل بن حيان: قوله: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)، أي: حيث أدركتموهم في الحِلّ والحرم،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٠.
(٢) سورة البقرة آية : ١٩٠.
(٣) سورة البقرة آية : ١٩١.
(٤) سورة البقرة آية : ١٩١.
(٥) سورة البقرة آية : ١٩١.
(٦) سورة البقرة آية : ١٩١.
(٧) سورة البقرة آية : ١٩٣.

صارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)، ثم نسختها آية السيف في براءة، فهي ناسخة منسوخة، وقال مجاهد وجماعة: هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، ﴿ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [1].

[١٩٢] ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ ﴾ [2] عن القتال والكفر ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [3]، أي غفور لما سلَفَ رحيم بالعباد.

[١٩٣] ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ ﴾ [4]، يعني: المشركين، ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [5]، أي شرك، يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلّا الإسلام فإن أبى قُتل، ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ ﴾ [6]، أي: الطاعة والعبادة ﴿ لِلَّهِ ﴾ [7] وحده فلا يُعبد شيء دونه ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ ﴾ [8]: عن الكفر وأسلموا, ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ ﴾ [9] فلا سبيل ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [10]، قاله ابن عباس، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ﴾ [11]، أي: فلا سبيل علي، وقال أهل المعاني: العدوان: الظلم، أي: فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل، إلا عَلى الظالمين الذين بقوا على الشرك، وما يفعل

(١) سورة البقرة آية : ١٩١.
(٢) سورة البقرة آية : ١٩٢.
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٢.
(٤) سورة البقرة آية : ١٩٣.
(٥) سورة البقرة آية : ١٩٣.
(٦) سورة البقرة آية : ١٩٣.
(٧) سورة البقرة آية : ١٩٣.
(٨) سورة البقرة آية : ١٩٣.
(٩) سورة البقرة آية : ١٩٣.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٩٣.
(١١) سورة القصص آية : ٢٨.

بأهل الشرك من هذه الأشياء لا يكون ظلمًا، وسماه عدوانًا على طريق المازات والمقابلة، كما قال: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [1]، وكقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [2]، وسُمي الكافر ظالمًا لأنه يضع العبادة في غير موضعها.

[١٩٤] ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [3] نزلت هذه الآية في عُمْرَةِ القضاء، وذلك أنّ النبي ﷺ خرج معتمرًا في ذي القعدة فصده المشركون عن البيت بالحديبية, فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام المقبل فيقضي عمرته، فانصرف رسول اللّه ﷺ عامه ذلك، ورجع في العام القابل في ذي القعدة، وقـضى عمرته سنة سبع من الهجرة، فذلك معنى قوله تعالى: (الشهْرُ الْحَرَامُ)، يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة، وقضيتم فيه عُمرتكم سنة سبع, بالشهر الحرام، يعني: ذا القعدة الذي صُددتم فيه عن البيت سنة ست ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ [4]: جمع حرمة، وإنما جمعها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام، وحرمة الإحرام والقصاص: المساواة والمماثلة، وهو أن ُيفعل بالفاعل مثل ما فعل، وقيل: هذا في أمر القتال، معناه إن بدءوكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه، فإنه قصاص بما فعلوا فيه، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [5] وقاتلوه ﴿بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [6]، سُمي الجزاء باسم الابتداء على ازدواج

(١) سورة البقرة آية : ١٩٤.
(٢) سورة الشورى آية : ٤٠.
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١٩٤.
(٥) سورة البقرة آية : ١٩٤.
(٦) سورة البقرة آية : ١٩٤.

الكلام، كقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [1] ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾ [2] .

[١٩٥] قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [3]، أراد به الجهاد وكل خير هو في سبيل اللّه، ولكنّ إطلاقه ينصرف إلى الجهـاد، ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ ﴾ [4]، قيل: الباء في قوله تعالى: ﴿ بِأَيۡدِيكُمۡ ﴾ [5] زائدة، يُريـد: ولا تلقـوا أيـديكم، أي: أنفسكم إلى التهلكة عبّر عن الأنفس بالأيدي، كقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [6] أي: بما كسبتم، وقيل: الباء في موضـعها، وفيه، حذف، أي: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، أي الهلاك، وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك، أي: ولا تأخذوا في ذلك، وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه، والعرب لا تقول للإنسان: ألقَى بيده إلا في الشر، واختلفوا في تأويل هذه الآية، فقال بعضهم: هذا في البخل وترك الإنفاق، يقول: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بترك الإنفاق في سبيل اللّه، وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء، وقال ابن عباس في هذه الآية: أنفقْ في سبيل اللّه وإنْ لم يكن لك إلا سهم أو مِشْقَص، ولا يقولنّ أحدُكم: إني لا أجد شـيئًا، وقال السدي فيها: أنفقْ في سبيل اللّه ولو عقالًا ولا ُتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، ولا تقلْ: ليس عندي شيء، وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان: لمّا أمر اللّه تعالى بالإنفاق قال رجال: أمرنا بالنفقة في سبيل اللّه، ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء، فأنزل اللّه هـذه الآيـة،

(١) سورة الشورى آية : ٤٠.
(٢) سورة البقرة آية : ١٩٤.
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٥.
(٤) سورة البقرة آية : ١٩٥.
(٥) سورة البقرة آية : ١٩٥.
(٦) سورة الشورى آية : ٣٠.

وقال مجاهد فيها: لا يمنعكم من نفقة في حق خِيفةَ العيلة، وقال زيد بن أسلم: كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة، فإما أن يُقطع بهم وإما أن يكونوا عيالًا، فأمرهم اللّه تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل اللّه، ومن لم يكن عنده شيء ينفقه، فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيُلقي بيده إلى التهلكة، فالتهلكة: أن يهلك من الجوع والعطش أو بالمشي، وقيل: نزلت الآية في ترك الجهاد، قال أبو أيوب الأنصاري: نزلت فينا معشر الأنصار، وذلك أن اللّه تعالى لمّا أعزّ ونصر رسوله، قلنا فيما بيننا: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر اللّه نبيه فلو رجعنا إلى أهلنا وأموالنا فأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل اللّه تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (١)، فالتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل اللّه حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية، فتوفي هناك وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة اللّه تعالى، قال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة، فييأس من رحمة اللّه وينهمك في المعاصي، فنهاهم اللّه تعالى عن ذلك قال اللّه تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٢)، ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (٣)

قوله تعالى وَأَتِموا الحَج وَالْعُمْرَة لِله....

[١٩٦] قوله ﷻ ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ (٤) اختلفوا في إتمامها فقال بعضهم: هو أن يُتمهُمَا بمَناسِكِهما وحدودِهما وسننهما، وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم النخعي ومجاهد، وأركان الحج خمسة: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف

(١) سورة البقرة آية : ١٩٥.
(٢) سورة يوسف آية : ٨٧.
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٥.
(٤) سورة البقرة آية : ١٩٦.

الزيارة، والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس أو التقصير، وقال سعيد بن جبير وطاوس: تمام الحج والعمرة أن تُحرم بهما مُفردَين مستأنفَين من دُوَيْرية أهلك وقال قتادة: تمام الْعُمرة أن تعمر في غير أشهر الحج، فإن كانت في أشهر الحج ثم أقام حتى حج فهي تمتعه، وعليه فيه الهَدي إن وجدَه أو الصيام إنْ لم يجد الهَدْي، وتمام الحج أن يُؤتى بمناسكه كلها حتى لا يلزمه عمّا تَركَ دم بسبب قِرَانٍ ولا مُتْعَةٍ، وقال الضحاك: إتمامهما أن تكون النفقة حلالًا وينتهي عما نهى اللّه عنه، وقال سفيان الثوري: إتمامهما أن تخرج من أهلك لهما، ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة أخرى. وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾ [1] اختلف العلماء في الإحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من إحرامه، فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمضي في إحرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة يُبيح له التحلل، وبه قال ابن مسعود، وإبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير، وإليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق، واحتجوا بما روي عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول اللّه ﷺ ﴿ من كُسر أو عرج فقد حلّ وعليه الحج من قابل ﴾ [2] [3] وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحليل إلا بحبس العدو، وهو قول ابن عباس، وقال: لا حصر إلا حصر العدو، وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق. ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الرأس، والهدي بشاة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ [4] ومحل ذبحه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم، لأن النبي ﷺ ذبح الهدي عام الحديبية بها، وذهب قوم إلى أن المحصر يقيم

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٦.

(٢) الترمذي الحج (٩٤٠), النسائي مناسك الحج (٢٨٦٠), أبو داود المناسك (١٨٦٢), ابن ماجه المناسك (٣٠٧٨), أحمد (٣/٤٥٠), الدارمي المناسك (١٨٩٤).

(٣) رواه أبو داود في المناسك باب الإحصار ٢/٣٦٨، والترمذي في كتب الحج (٩٦)، باب ما جاء في الذي يُهل بالحج فيكسر أو يعرج، وأحمد ٣/٤٥٠، والمصنف في شرح السنة ٧/٢٨٨.

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٦.

على إحرامه ويبعث بديه إلى الحَرَم ويُواعد من يذبحه هناك ثم يحل، وهو قول أهل العراق. ومعنى قوله تعالى: فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، أي: فعليه ما تيسر من الهدي، ومحله رفع، وقيل: (مَا) في محل النصب، أي: فاهد ما استيسر، والهدي جمع هدية وهي اسم لكل ما يُهدَى إلى بيت اللّه تقربًا إليه، وما استيسر من الهدي شاة، قاله علي بن أبي طالب وابن عباس لأنه أقرب إلى اليسر، وقال الحسن وقتادة أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾ [(١)]، اختلفوا في المحل الذيَ يحل المحصر ببلوغ هديه إليه، فقال بعضهم: هو ذبحه بالموضع الذي أحصر فيه سواء كان في الحل أو في الحَرم، ومعنى (محله) حيث يحل ذبحه فيه وقال بعضهم: محل هدي المحصر: الحَرَم، فإن كان حاجا فمحله يوم النحر، وان كان معتمرًا فمحله يوم يبلغ هديه الحرم.

قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ ﴾ [(٢)]، معناه لا تحلقوا رؤوسكـم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو لأذًى في الرأس من هوام أو صُداع ﴿ فَفِدْيَةٌ ﴾ [(٣)]، فيه إضمار، أي: فحلق فعليه فدية يُطعم فَرْقًا بين ستة مساكين، أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام.

قوله تعالى: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ ﴾ [(٤)]، أي ثلاثة أيام، ﴿ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [(٥)]، أي ثلاثة آصع على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، أَوْ نُسُكٍ، واحدتا نسيكة، أي: ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، أيتها شاءَ ذبحَ، فهذه الفدية على

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٦.

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٦.

(٣) سورة البقرة آية : ١٩٦.

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٦.

(٥) سورة البقرة آية : ١٩٦.

التخيير والتقدير، ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم، إلا هدْيًا يلزم المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر، وأما الصوم فله أن يصوم حيث يشاء، قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ ﴾ [1]، أي: من خوفكم وبرأتم من مرضكم، ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ [2]، اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد اللّه بن الزبير إلى أن معناه: فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلّل فقدم مكة يخرج من إحرام بعمل عُمرة واستمتع بإحلاله ذلك، فتلك العمرة إلى السنة المقبلة ثم حج، فيكون متمتعًا بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل، وقال بعضهم: معناه فإذا أمنتم وقد حللتم من إحرامكم بعد الإحصار، ولم تقضوا عمرتكـم وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة فاعتمرتم في أشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتم بالحج، فعليكم ما استيسر من الهدي، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير، وقال ابن عباس وعطاء وجماعة: هو الرجل يقدم معتمرًا من أفق الآفاق في أشهر الحج، فقضى عمرته وأقام حلالًا بمكة حتى أنشأ منها الحج، فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعًا بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج، فمعنى التمتع: هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظورًا عليه في الإحرام إلى إحرامه بالحج.

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ [3] الهدي ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [4]، أي: صوموا ثلاثة أيام يصوم يومًا قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة، ولو صام قبله بعدما أحرم بالحج جاز، ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاثة في أيام التشريق، يُروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير، وهو قول

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٦.

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٦.

(٣) سورة البقرة آية : ١٩٦.

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٦.

مالك والأوزاعي وأحمد وإسحاق، قوله تعالى: ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ [(١)]، أي صوموا سبعة أيام إذا رجعتم إلى أهليكم وبلدكم، فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز، وهو قول أكثر أهل العلم، روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس، وقيل: يجوز أن يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج، وهو المراد من الرجوع المذكور في الآية، قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [(٢)]: ذكرها على وجه التأكيد وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان، وقيل: فيه تقديم وتأخير، يعني: فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتم، فهي عشرة كاملة، وقيل: كاملة في الثواب والأجر، وقيل: كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بدل الهدي، وقيل كاملة شروطها وحدودها، وقيل: لفظه خبر ومعناه أمر، أي: فأكملوها ولا تنقصوها، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [(٣)] أي: هذا الحكم، ﴿ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [(٤)]، واختلفوا في حاضري المسجد الحرام، فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة، وهو قول مالك، وقيل هم أهل الحرم، وبه قال طاوس، وقال ابن جُريج: أهل عرفة والرجيع وضجنان، وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر، فهو من حاضري المسجد الحرام، وقال عكرمة: هم من دون الميقات، وقيل: هم أهل الميقات فما دونه، وهو قول أصحاب الرأي، ودَمُ القِران كدم التمتع، والمكي إذا قَرَن أو تمتع فلا هدي عليه ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [(٥)]: في أداء الأوامر، ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [(١)]، على ارتكاب المناهي.

(١) سورة البقرة آية : ١٩٦.
(٢) سورة البقرة آية : ١٩٦.
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٦.
(٤) سورة البقرة آية : ١٩٦.
(٥) سورة البقرة آية : ١٩٦.

قوله تعالى الْحَج أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ.....

[١٩٧] قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ﴾[٢]، أي: وقت الحج أشهر معلومات، وهي: شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، ويُروى عن ابن عمر: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه، فمن قال: عشر عبّر به عن الليالي، ومن قال تسع عبّر به عن الأيام، فإن آخر أيامها يوم عرفة وهو يوم التاسع، وإنما قال: (أشهُر) بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنا وقت، والعرب تسمي الوقتَ تاما بقليله وكثيره، فيقول أتيتك يوم الخميس، وإنما أتاه في ساعة منه وقال عروة بن الزبير وغيره: أراد بالأشهر شوالًا وذا القعدة وذا الحجة كمالًا لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى، فكانت في حكم الحج، ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾[٣]، أي: فمن أوجب على نفسه الحج بالإحرام والتلبية ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾[٤] اختلفوا في الرفث، قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر: هو الجماع، وهو قول الحسن ومجاهد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لها بالفحش من الكلام قال طاوس: الرفث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهن، وقال عطاء: الرفث قول الرجل للمرأة في حال الإحرام إذا حللت أصبتك، وقيل: الرفث الفحش والقول القبيح، أما الفسوق فقد قال ابن عباس: هو المعاصي كلها، وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي، وقال ابن عمر: هو ما

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٦.

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٧.

(٣) سورة البقرة آية : ١٩٧.

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٧.

نهي عنه المحرم في حال الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظفار وأخذ الأشعار وما أشبههما، وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد: هو السباب وقال الضحاك هو التنابز بالألقاب ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ﴾[1]، قال ابن مسعود وابن عباس: الجدال أن يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه، وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة، وقال القاسم بن محمد هو أن يقول بعضهم: الحج اليومَ ويقول بعضهم: الحج غدًا، وقال القرظي: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أتمّ من حجكم، وقال هؤلاء: حجنا أتمّ من حجكم، وقال مقاتل: هو أن النبي ﷺ قال لهم في حَجّة الوداع وقد أحرموا بالحج: « اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا مَنْ قلّد الهدي »، قالوا: كيف نجعله عُمرة وقد سمينا الحج؟ فهذا جدالهم. وقال ابن زيد: كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم أن موقفه موقف إبراهيم، فكانوا يجادلون فيه، وقيل: هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة، فكل يقول: ما فعلته فهو الصواب، فقال جلّ ذكره: (وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) أي استقر أمر الحج على ما فعله رسول اللّه ﷺ فلا اختلاف فيه من بعد ذلك ﴿ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ ﴾[2]، أي: لا يخفى عليه فيجازيكم به، قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ ﴾[3]، نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون: نحن متوكلون، ويقولون: نحن نحج بيت اللّه فلا يطعمنا، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، وربما يُفضي بم الحال إلى النهب والغصب، فقال اللّه جل ذكره: (وَتَزَودُوا) أي: ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم، قال أهل التفسير. الكعك

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٧.

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٧.

(٣) سورة البقرة آية : ١٩٧.

والزبيب والسويق والتمر ونحوها، ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ ﴾ [(١)] من السؤال والنهب، ﴿ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [(٢)]: يا ذوي العقول.

[١٩٨] قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ ﴾ [(٣)]، يعني: التجارة في مواسم الحج ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم ﴾ [(٤)]: دفعتم، والإفاضة: دفع بكثرة، وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماءه، أي: صبّه، ﴿ مِّنْ عَرَفَـٰتٍ ﴾ [(٥)]، هي جمع عرفة، جُمعت عرفة بما حولها وإن كانت بقعة واحدة، كقولهم: ثوب أخلاق ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [(٦)]: بالدعاء والتلبية، ﴿ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾ [(٧)]، وهو ما بين جبلي المزدلفة من مَرْمَى عرفة إلى المُحسر، وليس المأزمان ولا المحسّر من المشعر الحرام، وسُمي مشعرًا من الشعار، وهي العلامة لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام من المنع، فهو ممنوع أن يفعل فيه ما لم يُؤذن فيه، وسُمي المزدلفة جمعًا لأنه يُجمع فيه بين صلاة المغرب والعشاء، والإفاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس، ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [(٨)]، أي: واذكروه بالتوحيد والتعظيم، كما ذكركم بالهداية، فهداكم لدينه ومناسك حجه، ﴿ وَإِن كُنتُم مِّن

(١) سورة البقرة آية : ١٩٧.
(٢) سورة البقرة آية : ١٩٧.
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٨.
(٤) سورة البقرة آية : ١٩٨.
(٥) سورة البقرة آية : ١٩٨.
(٦) سورة البقرة آية : ١٩٨.
(٧) سورة البقرة آية : ١٩٨.
(٨) سورة البقرة آية : ١٩٨.

قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾[1]، أي وقد كنتم، وقيل: وما كنتم من قبله إلا من الضالين، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2]، أي: وما نظنك إلا من الكاذبين، والهاء في قوله: (مِن قَبْلِه) راجعة إلى الهُدى، وقيل إلى رسول اللّه ﷺ كـناية عن غير مذكور.

[١٩٩] قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾[3]، قال أهل التفسير كانت قريش وحلفاؤها ومن دَانَ بدينها وهم الحُمس، يقعون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل اللّه وقُطّان حرمه، فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفات، وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات، فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحُمس من المزدلفة، فأمرهم اللّه أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى جمع مع سائر الناس، وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وإساعيل عليهما السلام ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾[4].

[٢٠٠] قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ ﴾[5]، أي: فرغتم من حجكم وذبحتم نَسَائِكَكُم، أي: ذبائحكم، يقال: نسك الرجل ينسك نَسْكًا إذا ذبح نسيكته، وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى، ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾[6]: بالتكبير والتحميد والثناء عليه، ﴿ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ ﴾[7]، وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج

(١) سورة البقرة آية : ١٩٨.
(٢) سورة الشعراء آية : ١٨٦.
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٩.
(٤) سورة البقرة آية : ١٩٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٠٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٠٠.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٠٠.

وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها، فأمرهم اللّه بذكره، وقال: (فَاذْكُرُونِي) فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسنت إليكم وإليهم، قال ابن عباس وعطاء: معناه فاذكروا اللّه كذكر الصبيان الصغار الآباء، وذلك أن الصبي أول ما يتكلم يلهج بذكر أبيه لا يذكر غيره، فيقول اللّه: فاذكروا اللّه لا غير، كذكر الصبي أباه، ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [1]، وسئل ابن عباس عن قوله: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ [2] فقيل: قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه أباه، قال ابن عباس: ليس كذلك ولكن أن تغضب للّه إذا عُصِيَ أشد من غضبك لوالديك إذا شُتِمَا، وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [3]، يعني: بل أشد، أي: وأكبر ذكرًا، ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ [4]، أراد به المشركين كانوا لا يسألون اللّه تعالى في الحج إلا الدنيا ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠﴾ [5]: من حظ ونصيب.

[٢٠١] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [6]، يعني: المؤمنين، واختلفوا في معنى الحسنتين، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الدنيا حسنة امرأة صالحة، وفي الآخرة حسنة الجنة والحور العين، وقال الحسن: في الدنيا حسنة العلم والعبادة، وفي الآخرة حسنة الجنة والنظر.

وقال السدي وابن حيان: في الدنيا حسنة رزقًا حلالًا وعملًا صالحًا، وفي الآخرة حسنة المغفرة والثواب، وقال قتادة: في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية، وقال عوف: في

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٠٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٠٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٠٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٠١.

هذه الآية من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلًا ومالًا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

[٢٠٢] قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ ﴾[١]: حظ ﴿ مِّمَّا كَسَبُواْۚ ﴾[٢]: من الخير والدعاء بالثواب والجزاء، ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٢٠٢ ﴾[٣]، يعني: إذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد، ولا وَعْي صدورٍ ولا إلى رُؤيةٍ ولا فكر، قال الحسن: أسرع من لمح البصر، وقيل: معناه إتيان القيامة قريب لأن ما هو آت لا محالة فهو قريب.

قوله تعالى وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أيامٍ مَعْدُودَاتٍ.....

[٢٠٣] قوله تعالى: ﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾[٤]، يعني التكبيرات أدبار الصلاة وعند الجمرات، يكبر مع كل حـصاة وغيرها من الأوقات، ﴿ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾[٥] الأيام المعدودات هي أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار، سميت معدودات لقلتهن، كـقوله: ﴿ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ ﴾[٦]، والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر، هذا قول أكثر أهل العلم، ورُوي عن ابن عباس: المعلومات يوم النحر، ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق، وعن علي قال: المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وقال عطاء عن ابن عباس: المعلومات يوم عرفة، ويوم النحر وأيام التشريق، وقال محمد بن كعب: هما شيء واحد وهي أيام التشريق والتكبير أدبار الصلاة مشروع في هذه الأيام في

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٠٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٠٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٠٣.
(٦) سورة يوسف آية : ٢٠.

حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[1]، أراد من نَفْرِ الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق، فلا إثم عليه، وذلك أنه على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق، ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة بسبع حصيات، ورخص في ترك البيتوتة لرعاة الإبل وأهل سقاية الحاج، ثم كل من يرمي اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر فيدع البيتوتة الليلة الثالثة، ورمي يومها فذلك له واسع، لقوله تعالى: (فَمَنْ تَعَجلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر، وقوله: ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[2]، يعني: لا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله، ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث فلا إثم عليه في تأخيره، وقيل معناه: فمن تعجّل فقد ترخّص فلا إثم عليه بالترخص، ومن تأخر فلا إثم عليه بترك الترخـص، وقيل معناه: رجع مغفورًا له لا ذنب عليه تعجل أو تأخر ﴿ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾[3]، أي: لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئًا نهاه اللّه عنها، كما قال: ﴿ من حج فلم يرفث ولم يفسق ﴾[4]، قال ابن مسعود: إنما جُعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى اللّه تعالى في حجه، وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه: لمن اتقى الصيد، لا يحل له أن يقتل صيدًا حتى تنقضي أيام التشريق، وقال أبو العالية: ذهب أئمة أن اتقى فيما بقي من عمره، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾[5]: تجمعون في الآخرة يجزيكم بأعمالكم.

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٠٣.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٣.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٠٣.

(٤) البخاري الحج (١٤٤٩), مسلم الحج (١٣٥٠), الترمذي الحج (٨١١), النسائي مناسك الحج (٢٦٢٧), ابن ماجه المناسك (٢٨٨٩), أحمد (٢/٢٢٩), الدارمي المناسك (١٧٩٦).

(٥) سورة البقرة آية : ٢٠٣.

[٢٠٤] قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[(١)]، قال الكلبي ومقاتل وعطاء: نزلت في الأخنس بن شُريق الثقفي حليف بني زهرة، واسمه أُبي، وسمي الأخنس لأنه خنّس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول اللّه - ﷺ - كان رجلا حلو الكلام حلو المنظر، وكان يأتي رسول اللّه ﷺ فيجالسه ويُظهر الإسلام، ويقول إني لأحبك ويحلف باللّه على ذلك، وكان منافقًا فكان رسول اللّه ﷺ يدني مجلسه، فـ ل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[(٢)]، أي: تستحسنه ويعظم في قلبك، ويُقال في الاستحسان: أعجبني كذا، وفي الكراهية والإنكار: عجبتُ من كذا، ﴿ وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ ﴾[(٣)]، يعني: قول الأخنس المنافق: واللّه إني بك مؤمن ولك محب ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ ﴾[(٤)]، أي: شديد الخصومة، يقال: لددتَ يا هذا وأنت َتلدّ لددًا ولَدَادةً، فإذا أردت أنه غلب على خصمه قلت: لدّه يلدّه لدا وتأويله: أنه في أي وجه أخذ من يمين أو شمال، في أبواب الخصومة غلب، والخِصام: مصدر خاصمه خصامًا ومخاصمةً، قاله أبو عبيدة، وقال الزجاج: وهو جمع خصم، يقال: خصم وخصام وخُصوم: مثل: بحر وبحار وبُحور، قال الحسن: ألد الخصام، أي: كاذب القول، قال قتادة: شديد القسوة في المعصية، جدل بالباطل يتكلم بالحكمة، ويعمل بالخطيئة.

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٠٤.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٤.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٠٤.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٤.

[٢٠٥] ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾[(١)]، أي: أدبر وأعرض عنك، ﴿ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[(٢)]، أي: عمل فيها، وقيل: سار فيها ومشى، ﴿ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾[(٣)]، قال ابن جريج: قطع الرحم وسفك دماء المسلمين، ﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾[(٤)]، وذلك أن الأخنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلة فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، والنسل: نسل كل دابة، والناس منهم، وقال الضحاك: وَإِذَا تَوَلى، أي: ملك الأمر وصار واليًا سعَى في الأرض، قال مجاهد في قوله ﷻ (وَإِذَا تَوَلى سَعَى فِي الْأَرْضِ) قال: إذا ولي يعمل بالعدوان والظلم، فأمسك اللّه المطر وأهلك الحرث والنسل، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥ ﴾[(٥)]، أي: لا يرضى بالفساد.

قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزةُ بِالْإِثْمِ....

[٢٠٦] قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾[(٦)]، أي: خَف اللّه، ﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾[(٧)]، أي: حملته العزة، حمية الجاهلية على الفعل بالإثم، أي: بالظلم والعزة والتكبر والمنعة، وقيل معناه: أخذته العزة لِلإثم الذي في قلبه، فأقام الباء مقام اللام، قوله: ﴿ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾[(٨)]، أي كافيه، ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٢٠٦ ﴾[(٩)]، أي: الفراش، قال

(١) سورة البقرة آية : ٢٠٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٠٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٠٥.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٠٦.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٠٦.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٠٦.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٠٦.

عبد الله بن مسعود: إن من أكبر الذنب عند الله أن يقال للعبد: اتق الله فيقول: عليك بنفسك.

[٢٠٧] قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ ﴾[(١)]، أي: لطلب رضا الله تعالى، ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ﴾[(٢)]

[٢٠٨] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾[(٣)] نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام النضيري وأصحابه، وذلك أنم كانوا يعظّمون السبت ويكرهون لحوم الإبل وألبانا بعد ما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فَلْنقُمْ با في صلاتنا بالليل، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾[(٤)]، أي: في الإسلام، قال مجاهد: في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم كافة أي: جميعًا، وقيل: ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافّين عن الماوزة إلى غيره، وأصل السلم من الاستلام والانقياد، ولذلك قيل: للصلح سلم، قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم فعدّ الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: قد خاب من لا سهم له، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾[(٥)]، أي: آثاره فيما زيّن لكـم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره، ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[(٦)] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٠٧.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٠٨.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٨.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٠٨.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٠٨.

[٢٠٩] ﴿ فَإِن زَلَلْتُم ﴾ [(١)]، ضللتم، وقيل: مِلتم، يقال: زلت قدمه تزل زلًا وزَللًا إذا دحضت، قال ابن عباس: يعني الشرك، قال قتادة: قد علم اللّه أنه سيزل زالّون من الناس، فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون لديه الحجة عليهم، ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ [(٢)]، أي: الدّلالاتِ الواضحات، ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ [(٣)]: في نقمته، ﴿ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [(٤)]: في أمره، فالعزيز: هو الغالب الذي لا يفوته شيء، والحكيم ذُو الإصابة في الأمر.

[٢١٠] قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ ﴾ [(٥)]، أي: هل ينتظرون، التاركون الدخولَ في السلم والمتّبِعون خطوات الشيطان، يقال نظرته وانتظرته بمعنى واحد، فإذا كان النظر مقرونًا بذكر اللّه أو بذكر الوجه أو إلى، لم يكن إلا بمعنى الرؤية، ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ ﴾ [(٦)]، جمع ظُلة، ﴿ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ [(٧)]، وهو السحاب الأبيض الرقيق سُمي غمامًا لأنه يغم، أي يستر، وقال مجاهد: هو غير السحاب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، وقال مقاتل: كهيئة الضبابة أبيض، قال الحسن: في سترة من الغمام، فلا ينظر إليهم أهل الأرض، قوله: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [(٨)] قرأ أبو جعفر بالخفض عطفًا على الغمام، تقديره مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي: مع العسكر، وقرأ

(١) سورة البقرة آية : ٢٠٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٠٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٢١٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٢١٠.
(٧) سورة البقرة آية : ٢١٠.
(٨) سورة البقرة آية : ٢١٠.

الباقون الرفع على معنى إلا أن يأتيهم اللّه والملائكة في ظُلل من الغمام، والأولى في هذه الآية وفيما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى اللّه تعالى، أو يعتقد أن اللّه عزّ اسمه م ه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة، قال الكلبي: هذا من المكتوم الذي لا ُيفسر، وكان مكحول والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد وإسحاق، يقولون فيه وفي أمثاله: أمرها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عُيينة: كلما وصف الله به نفسَه في كتابه فتفسيره: قراءُته والسكوتُ عليه، ليس لأحد أن يفسره إلا اللّه تعالى ورسوله. وقوله تعالى: ﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ ﴾ [1]، أي: وجب العذاب وفُرغ من الحساب، وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [2]، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم.

قوله تعالى سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِنْ آيَةٍ بينة....

[٢١١] قوله تعالى: ﴿ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [3]، أي: سل يا محمد يهود المدينة: ﴿ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم ﴾ [4]: أعطينا آباءهم وأسلافهم، ﴿ مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ ﴾ [5] دَلَالةٍ واضحة على نبوة موسى عليه السلام، مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها، وقيل: معناه الدلالات التي آتاهم اللّه في التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ ﴿ وَمَن

(١) سورة البقرة آية : ٢١٠.

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٠.

(٣) سورة البقرة آية : ٢١١.

(٤) سورة البقرة آية : ٢١١.

(٥) سورة البقرة آية : ٢١١.

﴿ يُبَدِّلۡ ﴾[1]، يعني: يُغير ﴿ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ ﴾[2]: كتاب اللّه، وقيل: عهد اللّه، وقيل: من يُنكر الدّلالة على نبوة محمد ﷺ ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾[3] .

[٢١٢] ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾[4]، الأكثرون على أن المُزين هو اللّه تعالى، والتزيين من اللّه تعالى هو: أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فنظر الخلق بأكثر من قدرها فأعجبهم حسنها فَفُتنوا بها، وقال الزجاج: زين لهم الشيطان، قيل: نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بسط اللّه لهم في الدنيا من المال ويكذّبون بالمعاد، ﴿ وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ ﴾[5]، أي: يستهزؤون بالفقراء من المؤمنين، قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا عبد اللّه بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبًا وبلالًا وخبابًا وأمثالهم، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبد اللّه بن أُبي وأصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذي يزعم محمد أنه يغلب بهم، وقال عطاء: نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع، سخروا من فقراء المهاجرين، فوعدهم اللّه أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال، ويسخرون من الذين آمنوا لفقرهم، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾[6]، يعني: هؤلاء الفقراء، ﴿ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾[7] لأنهم في

(١) سورة البقرة آية : ٢١١.
(٢) سورة البقرة آية : ٢١١.
(٣) سورة البقرة آية : ٢١١.
(٤) سورة البقرة آية : ٢١٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٢١٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢١٢.
(٧) سورة البقرة آية : ٢١٢.

أعلى عليين وهم في أسفل السافلين ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[(1)]، يعني: كثيرًا بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد يوسع على من يشاء ويبسط لمن يشاء من عباده، وقال الضحاك: يعني: من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل: هذا يرجع إلى اللّه، معناه: يقّتر على من يشاء ويبسط لمن يشاء، ولا يعطي لكل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير مَنْ لا يحتاج إليه ولا يُعطي القليل مَنْ يحتاج إليه، فلا يُعترض عليه ولا يُحاسَب فيما يرزق، ولا يُقال: لِمَ أعطيت هذا وحرمت هذا، ولِمَ أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذاك، وقيل: معناه لا يخاف نَفَاذَ خزائنه، فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من المعطي إنما يكون بما يخاف من نفاذ خزائنه.

[٢١٣] قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[(2)]: على دين واحد، قال مجاهد: أراد آدم وحده كان أمة واحدة، قال: سُمي الواحد بلفظ الجمع، لأنه أصل النسل وأبو البشر، ثم خلق اللّه تعالى منه حواء ونشر منهما الناس فانتشروا، وكانوا مسلمين إلى أن قتل هابيل فاختلفوا، ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[(3)] قال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر أمثال البهائم فبعث اللّه نوحًا وغيره من النبيين، وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح، وكان بينهما عشرة قرون، كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح، فبعث اللّه إليهم نوحًا فكان أول نبي بُعث، ثم بَعث بعده النبيين، وقال الكلبي: هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين، ثم اختلفوا بعد وفاة نوح، ورُوي عن ابن عباس قال: كان الناس على عهد إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كفارًا كلهم فبعث اللّه إبراهيم وغيره من النبيين، وقيل: كان العرب على دين إبراهيم إلى أن غيره عمرو بن لحي لعنة اللّه عليه،

(١) سورة البقرة آية : ٢١٢.

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٣.

(٣) سورة البقرة آية : ٢١٣.

ورُوي عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: كان الناس حين عُرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره، وأقروا بالعبودية لله تعالى أمةً واحدة مسلمين كلهم، ولم يكونوا أمةً واحدة قط غير ذلك اليوم، ثم اختلفوا بعد آدم، نظيره في سورة يونس [آية١٩]، ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ ﴾ [١] ﴿ مُبَشِّرِينَ ﴾ [٢]: بالثواب من آمن وأطاع، ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ [٣]، محذرين بالعقاب من كفر وعصى، ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [٤]، أي: الكتب، تقديره: وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب، ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٥]: بالعدل والصدق، ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [٦]، قرأ أبو جعفر (ليحكم) بضم الياء وفتح الكاف هاهنا، وفي أول آل عمران وفي النور موضعين، لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة إنما يُحكم به، وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف، أي: ليحكم الكتاب، ذكره على سعة الكلام، كقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [٧] [الجاثية: ٢٩]، وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه، ﴿ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ [٨]، أي: في الكتاب ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ ﴾ [٩]، أي: أعطوا الكتاب،

---

(١) سورة يونس آية : ١٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٢١٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٢١٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٢١٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٢١٣.
(٧) سورة الجاثية آية : ٢٩.
(٨) سورة البقرة آية : ٢١٣.
(٩) سورة البقرة آية : ٢١٣.

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾[1]، يعني: أحكام التوراة والإنجيل، قال الفراء: ولاختلافهم معنيان: أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض، قال اللّه تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ ﴾[2] [النساء: ١٥٠]، والآخر: تحريفهم كتاب اللّه قال اللّه: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[3] [النساء: ٤٦] وقيل: الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه، اختلف فيه أهل الكتاب ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾[4]، صفة محمد ﷺ في كتبهم، ﴿ بَغۡيَۢا ﴾[5] ظلمًا وحسدًا ﴿ بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾[6]، أي: إلى ما اختلفوا فيه، ﴿ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ ﴾[7]، بعلمه وإرادته فيهم، قال ابن زيد في هذه الآية: اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي إلى المغرب، ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا اللّه إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام فهدانا اللّه لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت، والنصارى الأحد، فهدانا اللّه للجمعة، واختلفوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: كان يهوديا، وقالت النصارى: كان نصرانيا، فهدانا اللّه للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود الفِرية،

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٣.

(٢) سورة النساء آية : ١٥٠.

(٣) سورة النساء آية : ٤٦.

(٤) سورة البقرة آية : ٢١٣.

(٥) سورة البقرة آية : ٢١٣.

(٦) سورة البقرة آية : ٢١٣.

(٧) سورة البقرة آية : ٢١٣.

وجعلته النصارى إلهًا، وهدانا اللّه للحق فيه، ﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣ ﴾ [(١)].

[٢١٤] قوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [(٢)]، قال قتادة والسدي: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى، كما قال اللّه تعالى: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ ﴾ [(٣)] [الأحزاب: ١٠]، وقيل: نزلت في حرب أُحد، وقال عطاء: لما دخل رسول اللّه ﷺ وأصحابه المدينة، اشتد عليهم الضر لأنهم خرجوا بلا مالٍ وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا اللّه ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول اللّه ﷺ وأسرّ قوم النفاق، فأنزل اللّه تعالى تطييبًا لقلوبهم (أم حَسِبتُم)، معناه أحسبتم والميم صلة قاله الفراء، وقال الزجاج: بل حسبتم، ومعنى الآية: أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة، ﴿ وَلَمَّا يَأۡتِكُم ﴾ [(٤)]، أي: ولم يأتكم و(ما) صلة ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ ﴾ [(٥)]، شبه الذين مضوا، ﴿ مِن قَبۡلِكُمۖ ﴾ [(٦)]: من النبيين والمؤمنين، ﴿ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ ﴾ [(٧)]: الفقر والشدة والبلاء، ﴿ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ [(٨)]: المرض والزمانة،

(١) سورة البقرة آية : ٢١٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٤.
(٣) سورة الأحزاب آية : ١٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٢١٤.
(٥) سورة البقرة آية : ٢١٤.
(٦) سورة البقرة آية : ٢١٤.
(٧) سورة البقرة آية : ٢١٤.
(٨) سورة البقرة آية : ٢١٤.

﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾[1]، أي: حُركوا بأنواع البلايا والرزايا وخُوّفوا، ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ ﴾[2]، ما زال البلاء بم حتى استبطأوا النصر، قال اللّه تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[3]، قرأ نافع (حتى يقُولَ الرسُولُ) بالرفع، معناه: حتى قال الرسول.

[٢١٥] قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ ﴾[4] ﴿ نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخًا كبيرًا ذا مال فقال: يا رسول اللّه بماذا نتصدق وعلى من ننفق؟ فأنزل اللّه تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ ﴾[5] ﴾، وفي قوله: (مَاذَا) وجهان من الإعراب، أحدهما: آن يكون محله نصبًا بقوله: (يُنفِقُونَ)، تقديره أي شيء ينفقون، والآخر: أن يكون رفعًا بـ (مَا) ومعناه: ما الذي ينفقون ﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ ﴾[6]، أي: من مال، ﴿ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾[7]، يُجازيكم به قال أهل التفسير: كان هذا قبل فرض الزكاة فنسخت بالزكاة.

(١) سورة البقرة آية : ٢١٤.
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٤.
(٣) سورة البقرة آية : ٢١٤.
(٤) سورة البقرة آية : ٢١٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٢١٥.
(٦) سورة البقرة آية : ٢١٥.
(٧) سورة البقرة آية : ٢١٥.

قوله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ.....

[٢١٦] قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ (١)، أي: فُرض عليكم الجهاد، واختلف العلماء في حكـم هذه الآية فقال عطاء: الجهادُ تطوع، والمراد من الآية أصحاب رسول اللّه ﷺ دون غيرهم، وإليه ذهب الثوري، واحتج من ذهب إلى هذا بقوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ (٢) [النساء: ٩٥] ولو كان القاعد تاركًا فرضًا لم يكن بعده الحُسنى، وجرى بعضهم على ظاهر الآية وقال: الجهاد فرض على كافة المسلمين إلى قيام الساعة وقال قوم وعليه الجمهور: إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، مثل صلاة الجنازة ورَد السلام، قال الزهري والأوزاعي: كتب اللّه الجهاد على الناس غَزُوا أو قعدوا، فمن غزا فيها ونعمت، ومن قعد فهو عدّة إن استُعين به أعان وإن استُنفر نَفَر وإن استُغني عنه قَعَد، قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ (٣)، أي: شاق عليكـم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفورُ الطبع عنه، لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر اللّه تعالى، وقال عكرمة: نسخها قوله تعالى: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ ﴾ (٤)، يعني: أنهم كرهوا ثم أحبوه، فقالوا: سمعنا وأطعنا، قال اللّه تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ (٥)، لأنّ في الغزو إحدي الحُسنيين إمّا

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٦.

(٢) سورة النساء آية : ٩٥.

(٣) سورة البقرة آية : ٢١٦.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٥.

(٥) سورة البقرة آية : ٢١٦.

الظفر والغنيمة وإمّا الشهادة والجنة، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا ﴾[1]، يعني: القعود عن الغزو، ﴿ وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾[2]: لما فيه من فوات الغنيمة والأجر، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[3].

[٢١٧] قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[4]؟ يعني: رجبًا، وسُمي بذلك لتحريم القتال فيه، قوله تعالى: ﴿ قِتَالٍ فِيهِ ﴾[5]، أي: عن قتال فيه ﴿ قُلْ ﴾[6]، يا محمد: ﴿ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾[7]: عظيم، تم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال: ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[8]، وصدكم المسلمين عن الإسلام ﴿ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ ﴾[9]، أي: كفركم بالله، ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[10]، أي: بالمسجد الحرام، وقيل: صدكم عن المسجد الحرام، ﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ ﴾[11]، أي: إخراج أهل المسجد ﴿ مِنْهُ أَكْبَرُ ﴾[12]: أعظم وزرًا

(١) سورة البقرة آية : ٢١٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٦.
(٣) سورة البقرة آية : ٢١٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٦) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٧) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٨) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٩) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(١١) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(١٢) سورة البقرة آية : ٢١٧.

﴿ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ ﴾[1]، أي: الشرك الذي أنتم عليه، ﴿أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾[2]، أي: أعظم من القتل في الشهر الحرام ﴿وَلَا يَزَالُونَ ﴾[3]، يعني: مشركي مكة ﴿ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾[4]، يا معشر المؤمنين، ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ ﴾[5]: يصرفوكم، ﴿ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ ﴾[6]: بطلت ﴿ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾[7]: حسناتم ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ ﴾[8].

[٢١٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾[9]، فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم ﴿ وَجَٰهَدُواْ ﴾[10]، المشركين ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[11] طاعة الله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾[12]، أخبر أنم على رجاء الرحمة ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾[13].

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٤) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٦) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٧) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٨) سورة البقرة آية : ٢١٧.
(٩) سورة البقرة آية : ٢١٨.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢١٨.
(١١) سورة البقرة آية : ٢١٨.
(١٢) سورة البقرة آية : ٢١٨.
(١٣) سورة البقرة آية : ٢١٨.

[٢١٩] قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾[١]، الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار أتوا إلى رسول اللّه ﷺ فقالوا: يا رسول اللّه أفتنا في الخمر والميسر فإنما مذهبة للعقل مَسْلبة للمال، فأنزل اللّه هذه الآية، وجملة القول في تحريم الخمر على ما قاله المفسرون: إن اللّه أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة وهي: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا ﴾[٢] فكان المسلمون يشربونا وهي حلال يومئذ، ثم نزلت هذه الآية في مسألة عمر ومعاذ بن جبل ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾[٣] فتركها قوم لقوله ﴿ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾[٤]، وشربا أقوام لقوله: ﴿ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[٥] ثم أنزل اللّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[٦] [النساء: ٤٣]، فحرّم السكر في أوقات الصلاة، فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة، وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير حين الصلاةَ فقال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بيأنًا شافيًا، فأنزل اللّه تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾[٧]، فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب. قوله تعالى: (والمَيسِر)، يعني: القمار والمراد من الآية أنواع القمار كلها، قال طاوس وعطاء ومجاهد: كل شيء فيه قمار فهو من الميسر، حتى لُعب الصبيان بالجَوز والكعاب،

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٩.
(٢) سورة النحل آية : ٦٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٢١٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢١٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٢١٩.
(٦) سورة النساء آية : ٤٣.
(٧) سورة المائدة آية : ٩١.

ورُوي عن علي ﷺ في النرد والشطرنج أنما من الميسر، (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ): وزر عظيم من المخاصمة والمشاتمة وقول الفُحش (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)، فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واسْتمرَاء الطعام، وما يصيبون من الربح بالتجارة فيها، ومنفعة الميسر إصابة المال من غير كَدّ ولا تعب، وارتفاق الفقراء به، والإثم فيه أنه إذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه فقصده بالسوء، ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[1]، قال الضحاك وغيره: إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، هو ما يحصل به من العداوة والبغضاء. قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾[2]؟ وذلك أن رسول اللّه ﷺ حثّهم على الصدقة، فقالوا: ماذا نُنفق؟ فقال: ﴿ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾[3]، قرأ أبو عمرو والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق (العَفو) بالرفع، معناه أي: الذي ينفقون هو العفو، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى: قل: أنفقوا العفو, واختلفوا في معنى العفو، فقال قتادة وعطاء والسدي: هو ما فَضُلَ عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفَضْل بحكم هذه الآية، ثم نُسخ بآية الزكاة، وقال مجاهد: معناه التصدق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كَلًّا على الناس، وقال عمرو بن دينار: الوسط من غير إسراف ولا إقتار وقال طاوس: ما يَسُرَ، والعفو اليُسر من كل شيء ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[4].

[٢٢٠] ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[5]، قيل: معناه يبين اللّه لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة، فتحسبون من أموالكم ما يُصلحكم في معاش

(١) سورة البقرة آية : ٢١٩.

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٩.

(٣) سورة البقرة آية : ٢١٩.

(٤) سورة البقرة آية : ٢١٩.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٠.

الدنيا، وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العُقبى، وقال أكثر المفسرين معناها: هكذا يُبين اللّه لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون، وقيل: معناه يُبيّن اللّه لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها، وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها. قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ ﴾ [1]، أي: الإصلاح لأموالهم من غير أجرة ولا أخذ عِوض خير وأعظم أجرًا لمالكم في ذلك من الثواب، وخير لهم لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم، قال مجاهد: يُوسع عليه من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم، ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ ﴾ [2]، هذه إباحة المخالطة، أي:: إن تشاركوهم في أموالهم، وتخلطوا بأموالهم في نفقاتكـم ومساكنكـم وخدمكم ودَوَابكم، فُتصيبوا من أموالهم عوضًا عن قيامكـم بأمورهم أو تكافئوهم على ما تصيبون من أموالهـم، ﴿ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ ﴾ [3]، أي: فهم إخوانكـم، والإخوان يُعين بعضهم بعضا ويُصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ ﴾ [4] لأموالهم ﴿ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ ﴾ [5]: لها، يعني: الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وإفساد مال اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الإصلاح ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ ﴾ [6]، أي: لضيق عليكم وما أباح لكـم مخالطتهم، وقال ابن عباس: ولو شاء اللّه لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقًا لكـم، وأصل العنت: الشدة والمشقة،

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٢٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٢٠.

ومعناه: كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ [(١)]، أي: عزيز في سُلطانه وقدرته على الإعنات ﴿ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [(٢)] فيما صنع من تدبيره وترك الإعنات.

قوله تعالى وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتى يُؤْمِن.....

[٢٢١] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ [(٣)] قيل: الآية منسوخة في حق الكتابيات، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [(٤)] [المائدة: ٥]، وبخبر رسول اللّه ﷺ وبإجماع الأمة، روى الحسن عن جابر بن عبد اللّه - رضي اللّه عنهما - قال: قال رسول اللّه ﷺ: « نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا » فإن قيل: كيف أطلقتم اسم الشرك على من لم ينكر إلا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال أبو الحسن بن فارس: لأن من يقول القرآن كلام غير اللّه فقد أشرك مع اللّه غيره، وقال قتادة وسعيد بن جبير: أراد بالمشركات الوثنيات، فإن عثمان تزوج نائلة بنت فَرَافِصَةَ وكانت نصرانية فأسلمت تحته، وتزوج طلحة بن عبد اللّه نصرانية ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [(٥)]: بجمالها ومالها، ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ﴾ [(٦)]، هذا إجماع لا يجوز للمسلمة أن تنكح المشرك، ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ [(٧)]، يعني المشركين ﴿ يَدْعُونَ

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٢١.
(٤) سورة المائدة آية : ٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٢١.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٢١.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٢١.

إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[1]، أي: إلى الأعمال الموجبة للنار، ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾[2]، أي: بقضائه وقدره وإراداته، ﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ ﴾[3]، أي: أوامره ونواهيه، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[4]: يتعظون.

[٢٢٢] قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ ﴾[5]، أي: عن الحيض، وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضًا ومحيضا، كالسير والمسير، وأصل الحيض الانفجار والسيلان، وقوله: ﴿ قُلۡ هُوَ أَذٗى ﴾[6]، أي: قذر، والأذى كل ما يُكره من كل شيء، ﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾[7] أراد بالاعتزال ترك الوطء، ﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ ﴾[8]، أي: لا تجامعوهنّ، أما الملامسة والمضاجعة معها فجائزة ﴿ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ﴾[9]، قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء، حتى يغتسلن، وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخفف، ومعناه: حتى يطهرن مـن الحيض وينقطـع دمهـن، ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ ﴾[10]، يعني: اغتسلـن

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢١.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٢١.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٢١.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٢١.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٢.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٢٢.

(٧) سورة البقرة آية : ٢٢٢.

(٨) سورة البقرة آية : ٢٢٢.

(٩) سورة البقرة آية : ٢٢٢.

(١٠) سورة البقرة آية : ٢٢٢.

﴿ فَأۡتُوهُنَّ ﴾[(1)]، أي: فجامعوهن، ﴿ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾[(2)]، أي: من حيث أمركـم أن تعتزلوهن منه وهو الفرج، قال مجاهد وقتادة وعكرمة وقال ابن عباس: طؤوهنّ في الفرج ولا تعدوه إلى غيره، أي: اتقوا الأدبار، وقيل: من حيث بمعنى في حيث أمركـم اللّه تعالى وهو الفرج، وقيل: فأتوهن من الوجه الذي أمركم اللّه أن تأتوهن وهو الطهر، وقال ابن الحنفية مِنْ قَبَل الحلال دون الفجور، وقيل: لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وأتوهن وغشيانهن لكم حلال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[(3)]، قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي: يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات، وقال مقاتل بن حيان: يحـب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك، وقال سعيد بن جبير: التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب، وقال مجاهد: التوابين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها، والتواب الذي كلما أذنب تاب، نظيره قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ ﴾[(4)].

[٢٢٣] قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ ﴾[(5)] مقبلات ومدبرات ومستلقيات، و (أنى) حرف استفهام يكون سؤالًا عن الحال والمحل، معناه: كيف شئتم وحيث شئتم بعد أن يكون في صمام واحد، وقال عكرمة أنى شئتم: إنما هو الفرج، ومثله لكم أي: مزرع لكم ومنبت الولد بمنزلة الأرض التي تزرع، وفيه دليل على

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٢.
(٤) سورة الإسراء آية : ٢٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٣.

تحريم الأدبار، لأن محل الحرث والزرع هو القُبل لا الدبر ﴿ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ [1]، قال عطاء: التسمية عند الجماع، قال مجاهد: وقدموا لأنفسكم، يعني: إذا أتى أهله فليدْع وقيل: قدّموا لأنفسكم، يعني: طلب الولد وقيل: هو التزوج بالعفائف ليكون الولد صالحًا وقال الكلبي والسدي: وقدّموا لأنفسكم، يعني: الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ ﴾ [2]: صائرون إليه فيجزيكم بأعمالكم، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣ ﴾ [3].

[٢٢٤] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾ [4]، أي: لا تجعلوا الحلف باللّه سببًا مانعًا لكم من البر والتقوى، يُدعى أحدكـم إلى صلة رحم أو بِرٍ، فيقول: حلفتُ باللّه أن لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر، ﴿ أَن تَبَرُّواْ ﴾ [5]، معناه: أنْ لا تبروا، كقوله تعالى: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ ﴾ [6] أي: لئلا تضلوا، ﴿ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤ ﴾ [7].

[٢٢٥] قوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾ [8] اللغو كل ساقطٍ مُطرَح من الكلام لا يُعتد به، وأختلف أهل العلم في لغو اليمين المذكورة في الآية، فقال قوم: هو ما يسبق إلى اللسان على عجلة لصلة الكلام من غير عقدٍ وقصد، كقول القائل

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٢٤.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٤.
(٦) سورة النساء آية : ١٧٦.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٢٤.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٢٥.

لا واللّه وبلى واللّه وكلّا واللّه، ويُروى عن عائشة أيمان اللغو: ما كانت في الهزل والمراءِ والخُصومة، والحديث الذي لا يعقد عليه القلب، وقال قوم: هو أن يحلف عن شيء يرى أنه صادق فيه، ثم يتبّين له خلاف ذلك، وقال عليّ: الغضب، وقال سعيد بن جبير: هو اليمين في المعصية لا يؤاخذه اللّه بالحنث فيها، وقال زيد بن أسلم: هو دعاء الرجل على نفسه، كقول الإنسان: أعمى اللّه بصري أن أفعل كذا، فهذا كله لغو لا يؤاخذه اللّه به، ولو آخذهم به لعجّل لهم العقوبة ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [1]، أي عزمتم وقصدتم إلى اليمين، وكسب القلب: العقد والنّية، ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ [2]، واعلم أن اليمين لا تنعقد إلا باللّه أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته فاليمين باللّه أن يقول: والذي أعبده والذي أصلي له والذي نفسي بيده، ونحو ذلك، واليمين بأسمائه كقوله: واللّه والرحمن ونحوه، واليمين بصفاته كقوله: وعزة اللّه وعظمة اللّه وجلال اللّه وقدرة اللّه ونحوهما، فإذا حلف بشيء منها على أمر في المستقبل، فحنثَ يجب عليه الكفارة، وإذا حلف على أمر ماضٍ أنه كان ولم يكن، أو على أنه لم يكن وقد كان، إنْ كان عالمًا به حالة ما حلف فهو اليمين الغموس وهو من الكبائر وإن كان جاهلًا فهو يمين اللغو عندهم.

قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ...﴾

[٢٢٦] قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ [3] أي: يحلفون، والألية: اليمين، والمراد من الآية اليمين على ترك وطء المرأة قال سعيد بن المسيب: كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية، وكان الرجل لا يحب امرأته ولا يريد أن يتزوج بها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبدًا فيتركها لا أيّمًا ولا ذات بعل، وكانوا عليه في

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٥.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٥.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٦.

ابتداء الإسلام، فضرب الله له أجلًا في الإسلام قوله تعالى: ﴿ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾[1]: أي: انتظار أربعة أشهر، والتربص: التثبت والتوقف، ﴿ فَإِن فَآءُو ﴾[2]: رجعوا عن اليمين بالوطء، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾[3]، وإذا وطئ في الفرج عن الإيلاء، وتجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم، وقال الحسن وإبراهيم النخعي وقتادة: لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد بالمغفرة، فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾[4]، وذلك عند الأكثرين في سقوط العقوبة لا في الكفارة.

[٢٢٧] ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ ﴾[5]، أي: حققوه بالإيقاع، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[6]: لقولهم، عَلِيمٌ: بنياتهم، وفيه دليل على أنا لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها، لأنه شرط فيه العزم، وقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[7]، فدل على أنه يقضي مسموعًا، والقول هو الذي يسمع.

[٢٢٨] قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ ﴾[8]، أي: المخليات من حبال أزواجهن، ﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾[9]: ينتظرن ﴿ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[10]، فلا

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٦.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٢٦.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٧.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٢٧.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٢٧.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٢٨.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٢٨.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

يتزوجن، والقروء: جمع قَرء مثل قرع، وجمعه القليل: أقرؤ، والجمع الكثير: أقراء، واختلف أهل العلم في القَرء فذهب جماعة إلى أنا الحيض، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، وبه قال الحسن ومجاهد، وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي، واحتجوا بأن النبي ﷺ قال للمستحاضة: ﴿ دعي الصلاة أيام أقرائك ﴾ [1]، وإنما تدع المرأة الصلاة أيام حيضها، وذهب جماعة إلى أنها الأطهار، وهو قول زيد بن ثابت وعبد اللّه بن عمر وعائشة، وهو قول الفقهاء السبعة والزهري، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي، واحتجوا بأن ابن عمر رضي الله عنه لمّا طلق امرأته وهي حائض قال النبي ﷺ لعمر: ﴿ مُرهُ فليراجعها حتى تطهر، ثم إن شاء أمسك وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر اللّه أن يُطلق لها النساء ﴾ [2] [3] فأخبر أن زمان العدة هو الطهر ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ [4]، قال عكرمة: يعني الحيض وهو أن يريد الرجل مراجعتها، فتقول قد حضت الثلاثة، وقال ابن عباس وقتادة: يعني الحمل، ومعنى الآية: لا يحل للمرأة كتمان ما خلق اللّه في رحمها من الحيض والحمل لتبطل حق الزوج من الرجعة والولد. ﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [5]، معناه: أن هذا من فعل المؤمنات، وإن كانت المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء، كما تقول: أد حقي إن كنتَ مؤمنًا، يعني:

---

(١) البخاري الحيض (٣١٩), مسلم الحيض (٣٣٣), الترمذي الطهارة (١٢٥), النسائي الحيض والاستحاضة (٣٦٤), أبو داود الطهارة (٢٨٢), ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٢١), أحمد (١٩٤/٦), مالك الطهارة (١٣٧), الدارمي الطهارة (٧٧٤).

(٢) البخاري الطلاق (٤٩٥٤), مسلم الطلاق (١٤٧١), الترمذي الطلاق (١١٧٦), النسائي الطلاق (٣٣٩٠), أبو داود الطلاق (٢١٧٩), ابن ماجه الطلاق (٢٠١٩), أحمد (٤٣/٢), مالك الطلاق (١٢٢٠), الدارمي الطلاق (٢٢٦٣).

(٣) رواه البخاري في الطلاق ٣٤٥٩ ومسلم في الطلاق رقم (١٤٧١) ٢/ ١٠٩٣والمصنف في شرح السنة ٢٠٢/٩.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

أداء الحقوق من فعل المؤمنين ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ ﴾ [(١)]، يعني: أزواجهن جمع بعل، كالفحولة جمع فحـل، سُمى الزوج بعلًا لقيامـه بأمور زوجته، وأصل البعل السيد والمالك ﴿ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ [(٢)]: أولى برجعتهن إليهم، ﴿ فِي ذَالِكَ ﴾ [(٣)]، أي: في حال العدة، ﴿ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَـٰحًا ۚ ﴾ [(٤)]، أي: إن أرادوا بالرجـعة الـصلاح وحُسن العشرة لا الإضرار، كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كالرجل يطلق امرأته، فإذا قرب انقضاء عدتا راجعها، ثم تركها مدة ثم طلقها، فإذا قُرُب انقضاء عدتا راجعها، ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها، ﴿ وَلَهُنَّ ﴾ [(٥)]، أي: للنساء على الأزواج ﴿ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ ﴾ [(٦)] للأزواج ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [(٧)]، قال ابن عباس في معناه: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي، لأن اللّه تعالى قال: (وَلَهُن مِثْلُ الذِي عَلَيهن بِالْمَعْرُوفِ) ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ﴾ [(٨)]، قال ابن عباس: لما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال وقال قتادة: بالجهاد، وقيل: بالعقل، وقيل: بالشهادة، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدية، وقيل: بالطلاق، لأن الطلاق بيد الرجال، وقيل: بالرجعة، وقال سفيان وزيد بن أسلم: بالإمارة، وقال

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

(٧) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

(٨) سورة البقرة آية : ٢٢٨.

القتيبي: (وَلِلرجَال عَلَيهِن دَرَجَةٌ) معنـاه: فضيلـة في الحق، ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [١]

[٢٢٩] قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ [٢]، روي عن عروة بن الزبير قال: كان الناس في الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد، وكان الرجل يطلق امرأته، فإذا قاربت انقضاء عدتها راجعها، ثم طلقها كذلك ثم راجعها، بقصد مضارتها، فـ لت هذه الآية: ﴿ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ [٣]، يعني: الطلاق الذي يملك الرجـعة عقيبة مرتان، فإذا طلق ثلاثًا فلا تحل له إلا بعد نكـاح زوجٍ آخر، قوله تعالى: ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [٤]، قيل: أراد بالإمساك الرجعة بعد الثانية، والصحيح أن المراد منه بعد الرجعة، يعني: إذا راجعها بعد الطلقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف، والمعروف كل ما يعرف في الشرع من أداءِ حقوق النكاح وحُسن الصحبة، ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ [٥]، وهو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا ﴾ [٦]: أعطيتموهنّ شيئًا من المهور وغيرها، ثم استثنى الخلع، فقال: ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [٧]: نزلت في جميلة بنت عبد اللّه بن أبي أوفى، ويقال في حبيبة بنت سهل، كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس، وكانت

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٢٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٩.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٢٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٢٩.

تبغضه وهو يُحبّها أتت رسول اللّه ﷺ فشكت إليه زوجها وقالت. يا رسول اللّه لا أنا ولا هو، فأرسل رسول اللّه ﷺ إلى ثابت بن قيس، قال ثابت: يا رسول اللّه قد أعطيتها حديقة فقل لها تردها عليّ وأخلي سبيلها، فقال لها: تردين عليه حديقته وتملكين أمرك، قالت: نعم، فقال رسول اللّه ﷺ ﴿ يا ثابتُ خُذْ منها ما أعطيتها، وخلّ سبيلَها ﴾ [1] ففعل [2] قوله تعالى: (إلا أنْ يَخَافَا)، أي: يعلما أن لا يقيما حدود اللّه، قرأ أبو جعفر وحمزة ويعقوب (إلا أن يخَافَا) بضم الياء، أي: يعلم ذلك منهما، يعني: يعلم القاضي والوالي ذلك من الزوجين، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ [3]، فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل: فإن خافا، وقرأ الآخرون (يَخَافَا) بفتح الياء، أي: يعلم الزوجان من أنفسهما أنْ لا يُقيما حدود اللّه، تخاف المرأة أن تعصي اللّه في أمر زوجها، ويخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها فنهى اللّه الرجلَ أن يأخذ من امرأته شيئًا مما آتاها إلا يكون النشوز من قبلها، فقالت: لا أطيع لك أمرًا ولا أطأ لك مضجعا ونحو ذلك، قال اللّه تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ [4]، أي: فيما افتدتْ به المرأة نفسها منه، قال الفراء: أراد بقوله: (عَلَيْهِمَا) الزوج دون المرأة، فذكرهما جميعًا لاقترانهما، كقوله تعالى: ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [5] وإنما الناسي فتى موسى دون موسى، وقيل: أراد أنه لا جناح عليهما جميعًا، لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية، ولا فيما افتدت به وأعطت به المال لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق، وعلى الزوج فيما أخذ منها من المال إذا

(١) النسائي الطلاق (٣٤٩٧).

(٢) رواه مختصرًا أبو داود في الطلاق ١٤٣/٣، والنسائي في الطلاق ١٨٦/٦ وابن جرير في التفسير ٥٥٤/٤.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٩.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٢٩.

(٥) سورة الكهف آية : ٦١.

أعطته طائعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الخلع جائز على أكثر مما أعطاها، وقال الزهري: لا يجوز بأكثر ممّا أعطاها من المهر، وقال سعيد بن المسيب: لا يأخذ منها جميع ما أعطاها بل يترك شيئًا، ويجوز الخلع على غير حال النشوز، غير أنه يُكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب. قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ [1]، أي: هذه أوامر اللّه ونواهيه، وحدود اللّه ما منع الشرع من المجاوزة عنه، ﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [2]، فلا تجاوزوها، ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [3].

[٢٣٠] قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ [4]، يعني: الطلقة الثالثة، ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ ﴾ [5]، أي: من بعد الطلقة الثالثة، ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ [6]، أي: غير المطلق فيجامعها، والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعًا قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ ﴾ [7]، يعني: فإن طلقها الزوج الثاني بعدما جامعها فلا جُناح عليهما، يعني: على المرأة وعلى الزوج الأول أن يتراجعا، يعني: بنكاح جديد ﴿ إِن ظَنَّآ ﴾ [8]، أي: عَلِما، وقيل: رجوا، لأن أحدًا لا يعلم ما هو كائن إلا اللّه ﷻ ﴿ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [9]، أي: يكون بينهما الصلاح وحُسن الصحبة، وقال مجاهد:

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٣٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٣٠.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٣٠.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٣٠.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٣٠.

معناه إن علما أن نكاحهما على غير دلسة، وأراد بالدلسة: التحليل، وذهب جماعة إلى أنه إذا لم يُشترط في النكاح مع الثاني أنه يفارقها، فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل، ولها صداق مثلها غير أنه يكره إذا كان في عزمها ذلك ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾[1]، يعني يعلمون ما أمرهم اللّه تعالى به.

قوله تعالى وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُن فَأَمْسِكُوهُن بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرحُوهُن بِمَعْرُوفٍ....

[٢٣١] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾[2]، أي: أشرفْنَ على أن تبين بانقضاء العدة، ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لأن العدة إذا انقضت لم يكن للزوج إمساكها، فالبلوغ هاهنا بلوغ مقاربة، وفي قوله تعالى بعد هذا: ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾[3]، حقيقة انقضاء العدة والبلوغ يتناول المعنيين، يقال: بلغت المدينة إذا قربت منها إذا دخلتها، ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾[4]، أي: راجعوهن، ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾[5] قيل: المراجعة بالمعروف أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء، ﴿ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾[6]، أي: اتركوهن حتى تنقضي عِدتن فيكن أملك لأنفسهن، ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ﴾[7]، أي: لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس،

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣١.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣١.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٣١.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٣١.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٣١.

﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾[1]، أي: أضر بنفسه بمخالفة أمر اللّه تعالى، ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ﴾ [2] قال الكلبي: يعني قوله تعالى. ﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ [3]، وكل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات اللّه هزوًا، وقال أبو الدرداء: هو أن الرجل كان يطلق امرأته ثم يقول كنتُ لاعبًا، ويعتق ويقول مثل ذلك، وينكح ويقول مثل ذلك ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾[4]: بالإيمان ﴿ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[5]، يعني: القرآن، ﴿ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾[6]، يعني: السنة، وقيل: مواعظ القرآن ﴿ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ ﴾[7].

[٢٣٢] ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾[8]، أي: انقضت عدتن ﴿ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ ﴾[9]، أي: لا تمنعوهن عن النكاح، والعضل: المنع، وأصله الضيق والشدة، يقال: عضلت المرأة: إذا نشب ولدها في بطنها فضاق عليه الخروج، والداء العضال الذي لا ُيطاق علاجه ﴿ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ﴾[10]،

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٣١.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣١.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣١.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٣١.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٣١.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٣١.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٣٢.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٣٢.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٣٢.

بعقد حلال ومهر جائز، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[1]، أي: الذي ذُكر من النهي ﴿ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ﴾[2]، وإنما قال ذلك موحدًا والخطاب للأولياء، لأن الأصل في مخاطبة الجمع ذلكم ﴿ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ ﴾[3]، أي: خير لكم، ﴿ وَأَطۡهَرُۚ ﴾[4]: لقلوبكم من الريبة وذلك أنه كان في نفس كل واحد منهما علاقة حيث لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل اللّٰه لهما، ولم يؤمن من الأولياء أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾[5]، أي: يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلمون أنتم.

[٢٣٣] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ ﴾[6]، أي: المطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن (يُرْضِعْنَ) خبر بمعنى الأمر وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب، لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من يرضع الولد، لقوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ ﴾[7] فإن رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها، ﴿ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ﴾[8]، أي: سنتين، وذكر الكمال للتأكيد، كقوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ﴾[9] وقيل. إنما قال كاملين لأن العرب قد تسمي بعض الحول

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٣٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٧) سورة الطلاق آية : ٦.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٩) سورة البقرة آية : ١٩٦.

حولًا وبعض الشهر شهرًا، كما قال اللّه تعالى: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ﴾[1]، وإنما هي شهران وبعض الثالث، وقال: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ﴾[2]، وإنما يتعجل في يوم وبعض يوم ويقال أقام فلان بموضع كذا حولين، وإنما أقام به حولًا وبعض آخر، فبين اللّه تعالى أنما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرًا، ﴿ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴾[3]، أي هذا منتهى الرضاعة، وليس فيها دون ذلك حدّ محدود، وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به. ﴿ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ ﴾[4]، يعني: الأب، ﴿ رِزۡقُهُنَّ ﴾[5]: طعامهن، ﴿ وَكِسۡوَتُهُنَّ ﴾[6]: لباسهن، ﴿ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾[7] أي: على قدر الميسرة، ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾[8]، أي: طاقتها، ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا ﴾[9] فيـ ع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه، ﴿ وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ ﴾[10]، أي: لا تلقيه المرأة إلى أبيه بعدما ألفها تُضاره بذلك، وقيل: معناه لا تضار والدة فتكره على إرضاعه إذا كرهت إرضاعه، وقَبِلَ الصبي من غيرها، لأن ذلك ليس بواجب عليها، ولا مولود له بولده، فيحتمل أن يعطي الأم أكثر مما يجب لها إذا لم

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٧.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٣٣.

يرتضع الولد من غيرها وعلى هذه الأقوال يرجع الضرار إلى الوالدين، يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد، ويجوز أن يكون الضرار راجعًا إلى الصبي، أي: لا يضار كل واحد منهما الصبي، ولا تُرضعه الأم حتى يموت، أو لا يُنفق الأبُ، أو ينتزعه من الأم حتى يضرّ بالصبي، فعلى هذا تكون الباء زائدة، ومعناه: لا تضار والدة ولدَها، ولا أبّ ولدَه، وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين.

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ ﴾[1]، اختلفوا في هذا الوارث، فقال قوم: هو وارث الصبي، معناه: وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على أبيه في حال حياته وذهب جماعة إلى أن المراد بالوارث هو الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه المتوفى، يكون أجرة رضاعه ونفقته في ماله، فإن لم يكن له مال فعلى الأم، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله، وقيل: هو الباقي من والدي المولود, بعد وفاة الآخر عليه, مثل ما كان على الأب من أجرة الرضاع والنفقة والكسوة, وقيل: ليس المراد منه النفقة بل معناه وعلى الوارث ترك المضارة, وبه قال الشعبي والزهري، ﴿ فَإِنْ أَرَادَا ﴾[2]، يعني: الوالدين, ﴿ فِصَالاً ﴾[3]: فطاما قبل الحولين ﴿ عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا ﴾[4]، أي: اتفاق الوالدين, ﴿ وَتَشَاوُرٍ ﴾[5]،أي: يشاورون أهل العلم به حتى يخبروا أن الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالوالد, والمشاورة استخراج الرأي, ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ ﴾[6]، أي: لا حرج عليهما في الفطام قبل

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٣٣.

الحولين, ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ ﴾[1]، أي: لأولادكم مراضع غير أمهاتم إذا أبت أمهاتم إرضاعهم, أو تعذر لعلة بن أو انقطاع لبن أردن النكاح, ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم ﴾[2]، إلى أمهاتم, ﴿ مَّآ ءَاتَيْتُم ﴾[3]، ما سميتم لهن من أجرة الرضاع، بقدر ما أرضعن، وقيل: إذا سلمتم أجور المراضع إليهن، ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ﴾[4]، قرأ ابن كثير (ما أتيتم) وفي الروم ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا ﴾[5] بقصر الألف، ومعناه: ما فعلتم، يقال: أتيت جميلا إذا فعلته، فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد، لا بمعنى تسليم الأجرة، يعني إذا سلمتم لأمره وانقدتم لحكمه، وقيل: إذا سلمتم للاسترضاع عن تراض واتفاق دون الضرار، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[6].

[٢٣٤] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾[7]، آي: يموتون ويتوفى آجالهم، وتوفى واستوفى بمعنى واحد، ومعنى التوفي: أخذ الشيء وافيا، ﴿ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾[8]: يتركون أزواجا، ﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾[9]: ينتظرن، ﴿ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ ﴾[10]،

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٥) سورة الروم آية : ٣٩.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٣٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٣٤.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٣٤.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٣٤.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٣٤.

أي: يعتدون بترك الزينة والطيب والنقلة على فراق أزواجهن هذه المدة، إلا أن يكن حوامل فعدتن بوضع الحمل، وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولا كاملا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٍۚ ﴾ [1]، ثم نسخت بأربعة أشهر وعشرا وإنما قال عشرا بلفظ المؤنث لأنه أراد الليالي، لأن العرب إذا أبمت العدد بين الليالي والأيام غلّبت عليها الليالي، فيقولون صمنا عشرا، والصوم لا يكون إلا بالنهار، وقال المبرد: إنما أنث العشر لأنه أراد المدة، أي: عشر مدد، كل مدة يوم وليلة، وإذا كان المتوفى عنها زوجها حاملا فعدتا بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم، وروي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم. أنا تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشرا. قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [2]، أي: انقضت عدتن ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [3]، خطاب للأولياء، ﴿ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ ﴾ [4]، أي: من اختيار الأزواج دون العقد فإن العقد إلى الولي، وقيل: فيما فعلن من التزين للرجال زينة لا ينكرها الشرع ﴿ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤ ﴾ [5]، والإحداد واجب على المرأة في عدة الوفاة، أما المعتدة عن الطلاق ففيها نظر، فإن كانت رجعية لا إحداد عليها في العدة، لأن لها أن تضع ما يشوق قلب الزوج إليها ليراجعها، وفي البائنة بالخلع والطلقات الثلاث قولان، أحدهما: الإحداد كالمتوفى عنها زوجها، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال أبو حنيفة، والثاني: لا إحداد عليها، وهو قول عطاء، وبه قال مالك.

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٠.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٤.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٤.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٤.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٣٤.

[٢٣٥] قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾[١]، آي: النساء المعتدات، وأصل التعريض: هو التلويح بالشيء، والتعويض في الكلام بما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض بالخطبة مباح في العدة, وهو أن يقول: رب راغب فيك، من يجد مثلك، إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك علي لكريمة، وإني فيك لراغب، وإن من غرضي أن أتزوج، وإن جمع الله بيني وبينك بالحلال أعجبني، ولئن تزوجتك لأحسنن إليك، ونحو ذلك من الكلام من غير أن يقول أنكحيني، والمرأة تجيبه بمثله إن رغبت فيه والتعريض بالخطبة جائز في عدة الوفاة، آما المعتدة عن فرقة الحياة ينظر إن كانت ممن لا يحل لمن بانت من نكاحها كالمطلقة ثلاثا، والمبانة باللعان والرضاع، فإنه يجوز خطبتها تعريضا، وإن كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها، يجوز لزوجها خطبتها تعريضا وتصريحا، وهل يجوز للغير تعريضا؟ فيه قولان، أحدهما: يجوز كالمطلقة ثلاثا، والثاني لا يجوز لأن المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالرجعية لا يجوز للغير تعريضا بالخطبة، وهو قوله تعالى: (مِنْ خِطْبَةِ النسَاءِ) التماس النكاح وهي مصدر خطب الرجل المرأة يخطب خطبة، وقال الأخفش: الخطبة الذكر والخطبة التشهد، فيكون معناه فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ ﴾[٢]: أضمرتم، ﴿ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[٣]، من نكاحهن، يقال: أكننت الشيء وكننته لغتان، وقال ثعلب: أكننت الشيء، أي: أخفيته في نفسي وكننتُه سترتُه، قال السدي: هو أن يدخل فيسلم ويهدي إن شاء ولا يتكلم بشيء، ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾[٤]: بقلوبكم، ﴿ وَلَٰكِن لَّا

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٥.

﴿ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾[1]، اختلفوا في السر المنهي عنه، فقال قوم: هو الزنا، قال زيد بن أسلم: أي: لا ينكحها سرا فيمسكها فإذا حلّتْ أظهر ذلك، وقال مجاهد: هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك فإني ناكحك، وقال الشعبي والسدي: لا يؤخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره، وقال عكرمة: لا ينكحها ولا يخطبها في العدة، قال الشافعي: السر هو الجماع، وقال الكلبي: أي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع، فيقول: آتيك الأربعة والخمسة، وأشباه ذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ۚ ﴾[2]، هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة. قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ ﴾[3]، أي: لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله، أي: حتى تنقضي العدة، وسماها الله: كتابا، لأنا فرض من الله، كقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ) أي: فرض عليكم ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ ﴾[4]، أي: فخافوا الله ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾[5] لا يعجل بالعقوبة.

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٥.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٥.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٥.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٥.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٣٥.

قوله تعالى لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً.....

[٢٣٦] وقوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [(١)]، أي: ولم تمسوهن ولم تفرضوا، نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا، ثم طلقها قبل أن يمسها، فـ لت هذه الآية (أَوْ تَفْرِضُوا لَهُن فَرِيضَةً) أي: توجبوا لهن صداقا، فإن قيل: فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق؟ قيل: الطلاق قطع سبب الوصلة، وجاء في الحديث: ﴿ أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق ﴾ [(٢)]، فنفي الجناح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك، وقيل: معناه لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن من قبل المسيس، والفرض بصداق ولا نفقة، وقيل: لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضا كانت المرأة أو طاهرا لأنه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول با، بخلاف المدخول با، فإنه لا يجوز تطليقها في حال الحيض، ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ [(٣)]، أي: أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به، والمتعة والمتاع: ما يُتبلغ به من الزاد، ﴿ عَلَى ٱلْمُوسِعِ ﴾ [(٤)]، أي: على الغني، ﴿ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ ﴾ [(٥)]، أي: الفقير، ﴿ قَدَرُهُۥ ﴾ [(٦)]، أي: إمكانه وطاقته (متاعا) نُصب على

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٦.

(٢) أبو داود الطلاق (٢١٧٨), ابن ماجه الطلاق (٢٠١٨).

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٦.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٦.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٣٦.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٣٦.

المصدر، أي: متعوهن، ﴿ مَتَٰعًا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ ﴾ [(١)]، أي: بما أمركم الله به من غير ظلم، ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦ ﴾ [(٢)].

[٢٣٧] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ ﴾ [(٣)]، هذا في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس، فلها نصف المفروض وإن مات أحدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض، والمراد بالمس المذكور في الآية: الجماع وقوله تعالى: (وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُن فَرِيضَةً) أي: سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم، أي: لها نصف المهر المسّمى، ﴿ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ ﴾ [(٤)]، يعني: النساء، أي: إلا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج، قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ ﴾ [(٥)]، اختلفوا فيه فذهب بعضهم: إلى أن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي، معناه: أن لا تعفو المرأة بترك نصيبها الزوج إن كانت ثيبا من أهل العفو أو يعفو وليها، فيترك نصيبها إن كانت المرأة بكرا، أو غير جائزة العفو فيجوز عفو وليها، وذهب بعضهم إلى أنه إنما يجوز عفو الولي إذا كانت المرأة بكرا، فإن كانت ثيبا فلا يجوز عفو وليها، وقال بعضهم: الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وقالوا: لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق بكرا كانت أو ثيبا كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق، كما لا يجوز له أن يهب شيئا من مالها، وقالوا: معنى الآية أن لا تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج، أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق، فعلى هذا التأويل وجه

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٦.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٦.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٧.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٧.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٣٧.

الآية: الذي بيده عقدة النكاح نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق أو بعده، ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1]، أي: والعفو أقرب للتقوى أي: إلى التقوى، والخطاب للرجال والنساء جميعا، لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا، كانت الغلبة للمذكر، معناه، وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾[2]، أي: إفضال بعضكم على بعض بإعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها، حثهما جميعا على الإحسان، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾[3].

[٢٣٨] قوله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[4]، أي: واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها، وإتمام أركانها، ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها، ووسطى تأنيث الأوسط، ووسط الشيء: خيره وأعدله، واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلاة الوسطى فقال قوم: هي صلاة الفجر وذهب قوم إلى أنها صلاة الظهر وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر، رواه جماعة من رسول الله ﷺ وقال قبيصة بن ذؤيب: هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا أكثرها، وقال بعضهم: إنها صلاة العشاء، وقال بعضهم: هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها أبهمها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على أداء جميعها، كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة، وأخفى الاسم الأعظم في الأسماء ليحافظوا على جميعها. قوله تعالى: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[5]، أي: مطيعين، والقنوت: الطاعة، وقيل: القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٧.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٧.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٧.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٨.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٣٨.

الصلاة وقال مجاهد: خاشعين، وقال: من القنوت طول الركوع، وغض البصر، والركود وخفض الجناح وقيل: المراد من القنوت طول القيام وقيل: قانتين أي: داعين وقيل: معناه مصليين.

[٢٣٩] قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانًاۖ ﴾[١]، معناه: إن لم يمكنكـم أن تصلوا قانتين موفين للصلاة حقها لخوف، فصلوا مشاة على أرجلكـم أو ركبانا على ظهور دوابكم، وهذا في حال المقاتلة والمسايفة يصلي حيث كان وجهه، راجلا أو راكبا مستقبل القبلة، وغير مستقبلها، ويومئ بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع، وكذلك إذا قصده سَبُع أو غشيه سيل يخاف منه على نفسه فعدا أمامه مصليا بالإيماء يجوز، والصلاة في حال الخوف على أقسام، فهذه أحد أقسام شدة صلاة الخوف ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾[٢]، أي: فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها، ﴿ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ٢٣٩ ﴾[٣].

[٢٤٠] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ ﴾[٤]: يا معشر الرجال، ﴿ وَيَذَرُونَ ﴾[٥]، أي: يتركون ﴿ أَزۡوَٰجًا ﴾[٦]، أي: زوجات، ﴿ وَصِيَّةً لِّأَزۡوَٰجِهِم ﴾[٧]، قرأ أهل البصرة وَصِيةً بالنصب على معنى: فليوصوا وصية، وقرأ

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٤٠.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٤٠.

الباقون بالرفع، أي: كتب عليكم الوصية ﴿ مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ ﴾[(١)]، متاعا نصب على المصدر، أي: متعوهن متاعا، وقيل: جعل الله ذلك لهن متاعا، والمتاع: نفقة سنة لطعامها وكسوتا وسكنها وما تحتاج إليه، ﴿ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾[(٢)]، نصب على الحال وقيل: ب ع حرف على الصفة، أي: من غير إخراج وكانت عدة الوفاة في ابتداء الإسلام حولا كاملا وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول، وكانت نفقتها وسكنها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج، لم يكن لها الميراث، فإن خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها، وكان على الرجل أن يوصي با، فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث، فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن، ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشرا. قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ ﴾[(٣)]، يعني: مـن قبـل أنفسهـن قبـل الحـول مـن غير إخـراج الورثة، ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾[(٤)] يـا أوليـاء الميـت، ﴿ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾[(٥)]، يعني: التزين للنكاح، ولرفع الجناح عن الرجال وجهان، أحدهما: لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول والآخر: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج، لأن مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها، خيّرها الله تعالى بين أن تقيم حولا ولها النفقة والسكنى، وبين أن تخرج فلا

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٠.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٠.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٤٠.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٠.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٠.

نفقـة ولا سكنى، إلى أن نسخـه بأربعـة أشهـر وعشـرا، ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1].

قوله تعالى وَلِلْمُطلقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتقِينَ....

[٢٤١] ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [2]، إنما أعاد ذكر المتعة هاهنا لزيادة معنى وذلك أن في غيرها بيان حكم غير الممسوسة، وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة، وقيل: إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾ [3] إلى قوله: ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [4] قال رجل من المسلمين: إن أحسنت فعلت وإن لم أر ذلك لم أفعل، فقال الله تعالى: (وَلِلْمُطَلَقَاتِ مَتَاعٌ)، جعل المتعة لهن بلام التمليك، وقال: (حقا على المتقين) يعني: المؤمنين المتقين الشرك.

[٢٤٢] ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [5].

[٢٤٣] قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾ [6] (ألم تر) أي: ألم تعلم بإعلامي إياك، وهو من رؤية القلب، وقال أهل المعاني: هو تعجيب يقول: هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ [7]، جمع ألف، وقيل:

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٠.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٤١.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٦.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٦.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٢.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٤٣.

(٧) سورة البقرة آية : ٢٤٣.

مؤتلفة قلوبهم جمع أُلف، مثل قاعد وقعود، والصحيح: أن المراد منه العدد، ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾[1]، أي: خوف الموت، ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ﴾[2]، أمر تحويل، كقوله تعالى: ﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[3]، ﴿ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ ﴾[4]، بعد موتهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[5]، قيل هو على العموم في حق الكافة، وقيل على الخصوص في حق المؤمنين، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[6]، أما الكفار فلم يشكروا، وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر.

[٢٤٤] ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[7]، أي: في طاعة الله أعداء الله ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾[8]، قال أكثر أهل التفسير: هذا خطاب للذين أحيوا، أمروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فرارا من الجهاد فأماتهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يجاهدوا، وقيل: الخطاب لهذه الأمة أمرهم بالجهاد.

[٢٤٥] قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾[9]، القرض: اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازَى عليه، فسمّى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما عد لهم من الثواب قرضا، لأنهم يعملون لطلب ثوابه، قال الكسائي: القرض ما أسلفت من

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٦٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٤٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٤٤.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٤٤.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٤٥.

عمل صالح أو سيئ، وأصل القرض في اللغة: القطع، سمي به القرض لأنه يقطع به من ماله شيئا يعطيه ليرجع إليه مثله، وقيل في الآية اختصار مجازه: من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه وقوله ﷻ (يقرض الله) أي: ينفق في طاعة الله قرضا حسنا، قال الحسين بن علي الواقدي، يعني: محتسبا طيبة به نفسه. قال ابن المبارك: من مال حلال، وقال لا يمن به ولا يؤذي ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [1] قال السدي: هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله ﷻ وقيل سبعمائة ضعف، ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ [2] قيل: يقبض بإمساك الرزق والنفس والتقتير، ويبسط بالتوسيع وقيل: يقبض بقبول التوبة والصدقة، ويبسط بالخلف والثواب، وقيل: هو الإحياء والإماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له، وقيل هذا في القلوب لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه، قال يقبض بعض القلوب فلا ينشط بالخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيرا ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [3]، أي: إلى الله تعالى تعودون فيجزيكم بأعمالكم، وقال قتادة، الهاء راجعة إلى التراب كناية من غير مذكور أي: من التراب خلقهم واليه يعودون.

قوله تعالى ألَمْ تَرَ إلَى الْمَلإ مِن بَنِي إسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا....

[٢٤٦] قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [4]، والملأ من القوم: وجوههم وأشرافهم، وأصل الملأ: الجماعة من الناس، ولا واحد له من لفظه، كالقوم

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٤٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٦.

والرهط والإبل والخيل والجيش، وجمعه أملاء، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ ﴾[1]، أي: من بعد موت موسى، ﴿ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ﴾[2]، واختلفوا في ذلك النبي، فقال قتادة: هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليه السلام، وقال السدي: اسمه شمعون، وقال سائر المفسرين هو أشمويل وهو بالعبرانية إسماعيل، قال وهب بن منبه: بعث الله تعالى أشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثم كان من آمر جالوت والعمالقة ما كان، فقالوا لأشمويل: ﴿ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾[3]، جزم على جواب الأمر، فلما قالوا له ذلك، ﴿ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ ﴾[4]، استفهام شك، يقول: لعلكـم ﴿ إِن كُتِبَ ﴾[5]: فُرض ﴿ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ ﴾[6]، من ذلك الملك، ﴿ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ ﴾[7]، أن لا تفوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه، ﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[8]، قال الكسائي: معناه وما لنا في أن لا تقاتل؛ فحذف في، وقال الفراء: أي: وما يمنعنا أن لا نقاتل في سبيل الله، وقال الأخفش: أن هاهنا زائدة معناه: وما لنا لا نقاتل في سبيل الله، ﴿ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ ﴾[9]، أي: أخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٤٦.

الخصوص، لأن الذين قالوا لنبيهم: ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانم، وإنما أخرج من أسر منهم، ومعنى الآية: أنم قالوا مجيبين لنبيهم: إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا، فأما إذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في الجهاد، ونمنع نساءنا وأولادنا، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ ﴾[1]: أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾[2]، وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾[3].

[٢٤٧] ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾[4]، وذلك أن أشمويل سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فكان كذلك، ثم قال لبني إسرائيل: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا، ﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾[5]، أي: من أين يكون له الملك علينا؟ ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ ﴾[6]: أولى ﴿ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ ﴾[7]؟ إنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، سبط النبوة وسبط المملكة ولم يكن طالوت من أحدهما، إنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلما قال لهم نبيهم ذلك، أنكروا عليه لأنه لم يكن من سبط المملكة، ومع ذلك قالوا: هو فقير، ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٤٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٧.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٤٧.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٤٧.

﴿ ٱصۡطَفَىٰهُ ﴾ [1]: اختاره ﴿ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً ﴾ [2]: فضيلة وسعة ﴿ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾ [3]، وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل في وقته، وقيل: إنه أتاه الوحي حين أوتي الملك، وقال الكلبي: (وَزَادَهُ بَسْطَةً) فضيلة وسعة في العلم بالحرب، وفي الجسم بالطول، وقيل: الجسم بالجمال، وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم، ﴿ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [4]، قيل: الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى، والعليم العالم، وقيل: العالم بما كان، والعليم بما يكون، فقالوا له: فما آية ملكه فقال لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت.

[٢٤٨] فذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾ [5]، وكانت قصة التابوت أن الله تعالى أنزل تابوتا على آدم فيه صورة الأنبياء عليهم السلام فكان عند آدم إلى أن مات ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل، وكان فيه ما ذكر الله تعالى: ﴿ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [6]، اختلفوا في السكينة ما هي؟ فقيل هي ريح خجوج هفافة وقيل: شيء يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة فكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصرة وقيل: هي طشت من ذهب من الجنة وقيل: هي روح من الله يتكلم إذا اختلفوا في شيء يخبرهم ببيان ما يريدون وقيل: هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، وقيل: طمأنينة من ربكم، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٧.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٧.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٤٧.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٧.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٨.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٤٨.

وسكنوا، ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ ﴾ [(١)]، يعني: موسى وهارون نفسهما، كان فيه لوحان من التوراة ورضاض الألواح التي تكسرت، وكان فيه عصا موسى ونعلاه، وعمامة هارون وعصاه، وقفير من المنّ الذي كان ي ل على بني إسرائيل، فكان التابوت عند بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم، وإذا حضروا القتال قدّموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم، فلما عصوا وأفسدوا سلّط الله عليهم العمالقة فغلبهم على التابوت، ﴿ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ ﴾ [(٢)]، أي: تسوقه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم، وقال قتادة: بل كان التابوت في التيه خلفه موسى فحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت فأقروا بملكه، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ﴾ [(٣)]: لعبرة، ﴿ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾ [(٤)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية، وإنما يخرجان قبل يوم القيامة.

[٢٤٩] قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ ﴾ [(٥)]، أي: خرج بهم، وأصل الفصل: القطع، يعني قطع مستقره شاخصا إلى غيره، فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل، وقيل: ثمانون ألفا وكان في حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم، فقالوا: إن المياه قليلة لا تحملنا فادع الله أن يجري

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٨.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٤٨.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٨.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٩.

لنا نهرا، ﴿ قَالَ ﴾ [(١)] طالوت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ ﴾ [(٢)]: مختبركم ليرى طاعتكـم وهو أعلم، (بِنَهَرٍ) قال ابن عباس والسدي: هو نهر فلسطين، وقال قتادة: نهر بين الأردن وفلسطين عذب، ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي ﴾ [(٣)]، أي: من أهل ديني وطاعتي، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ ﴾ [(٤)]: لم يشربه ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ ﴾ [(٥)] الغرفة بالضـم الذي يحصل في الكف مـن الماء إذا غـرف، والغرفـة بالفتح: الاغتراف، فالضم اسم والفتح مصدر، ﴿ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ ﴾ [(٦)] لما وصلوا إلى النهر وقد ألقى الله عليهم العطش شرب منه الكل إلا القليل، فمن اغترف غرفة كما أمر الله قوي قلبه وصح إيمانه، وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله اسودت شفاههـم وغلبهـم العطش، فلم يحضر القتال إلا الذين لم يشـربوا، ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ ﴾ [(٧)]، يعني: النهـر ﴿ هُوَ ﴾ [(٨)]، يعني: طالوت، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ [(٩)]، يعني: القليل، ﴿ قَالُواْ ﴾ [(١٠)]، يعني: الذين شربوا وخالفوا أمر الله

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٤٩.

وكانوا أهل شك ونفاق، ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾[1]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - والسدي: فانحرفوا ولم يجاوزوا، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾[2]: يستيقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾[3]، وهم الذين ثبتوا مع طالوت ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾[4]: جماعة، وهي جمع لا واحد له من لفظه، وجمعها فئات وفؤن، في الرفـع، وفئين في الخفض والنصـب، ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾[5]: بقضائه وقدره وإرادته، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾[6]: بالنصر والمعونة.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾[7]، يـعني: طالوت وجنوده، يعني: المؤمنين، ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[8] المشركين، ومعنى برزوا: صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى منها، ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾[9]: أنزل واصبب ﴿صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾[10]: قو قلوبنا، ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠﴾[11].

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٤٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٥٠.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٥٠.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٥٠.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٥٠.
(١١) سورة البقرة آية : ٢٥٠.

قوله تعالى فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ.....

[٢٥١] ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[(١)]، أي: بعلم الله تعالى، ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾[(٢)] قال الكلبي والضحاك: ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود. فذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[(٣)]، يعني: النبوة، جمع الله لداود بين الملك والنبوة، ولم يكن كذلك من قبل كان الملك في سبط والنبوة في سبط، وقيل: الملك والحكمة هو: العلم مع العمل، قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾[(٤)]، قال الكلبي وغيره: يعني صنعة الدروع، وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلا من عمل يده، وقيل: منطق الطير وكلام الجعل والنمل والذر وما أشبهها مما لا صوت لها، وقيل: هو الزبور، وقيل: هو الصوت الطيب والألحان ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾[(٥)]، قال ابن عباس ومجاهد: ولولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخرّبوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لهلكت الأرض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر، وبالصالح عن الفاجر.

[٢٥٢] ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾[(٦)]

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥١.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥١.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥١.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥١.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٥١.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٥٢.

[٢٥٣] ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ ﴾[(١)]، أي: كلمه الله تعالى، يعني: موسى عليه السلام، ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾[(٢)]، يعني: محمدا ﷺ ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾[(٣)]، أي: من بعد الرسل، ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ ﴾[(٤)]، ثبت على إيمانه بفضل الله، ﴿ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ ﴾[(٥)]، بخذلانه، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾[(٦)]، أعاده تأكيدا، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾[(٧)]، يوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا.

[٢٥٤] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾[(٨)]، قـال السدي: أراد به الزكاة المفروضة، وقال غيره: أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير، ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾[(٩)]، أي: لا فداء فيه، سمي بيعا لأن الفداء شراء

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٥٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٥٣.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٥٤.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٥٤.

نفسه، ﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ [(١)]، ولا صداقة ﴿ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ [(٢)]، إلا بإذن الله ﴿ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [(٣)]، لأنم وضعوا العبادة في غير موضعها.

[٢٥٥] قوله ﷻ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [(٤)] الباقي الدائم على الا بد وهو من له الحياة، والحياة صفة الله تعالى القيوم قال مجاهد: القيوم القائم على كل شيء، قال الكلبي: القائم على كل نفس، وقيل: هو القائم بالأمور، وقال أبو عبيدة: الذي لا يزول ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [(٥)]، السنة النعاس، وهو النوم الخفيف، الوسنان بين النائم واليقظان، يقال منه وسن يسن وسنا وسنة، والنوم هو: الثقل المزيل للقوة والعقل نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو م ه عن الآفات، ولأنه ُتغير ولا يجوز عليه التغير ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٦)]، ملكا وخلقا، ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [(٧)]، بأمره ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [(٨)]، قال مجاهد وعطاء والسدي: ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة، وقال الكلبي: ما بين أيديهم، يعني: الآخرة لأنم يقدمون عليها، وما خلفهم من الدنيا لأنم يخلّفونا وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم: ما مضى أمامهم، وما خلفهم: ما يكون بعدهم، وقال مقاتل: ما بين أيديهم ما كان قبل الملائكة وما خلفهم، أي: ما

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٤.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٤.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٤.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٥.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٥٥.

(٧) سورة البقرة آية : ٢٥٥.

(٨) سورة البقرة آية : ٢٥٥.

كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي: ما قدموه من خير وشر، وما خلفهم ما هم فاعلوه ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾[1]، أي: مـن علم الله ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[2]، أن يطلعهم عليه، يعني: لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل، كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[3]، ومعنى قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[4]، أي: سعته مثل سعة السماوات والأرض ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ ﴾[5]، أي: لا يثقله ولا يشق عليه، يقال: آدني الشيء أي أثقلني، ﴿ حِفْظُهُمَا ﴾[6]، أي: حفظ السماوات والأرض، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾[7]: الرفيع فوق خلقه، والمتعالي عن الأشياء والأنداد، وقيل: العلي بالملك والسلطنة، ﴿ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾[8]: الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

قوله تعالى لَا إِكْرَاهَ فِي الدين قد تبين الرشْدُ مِنَ الغي....

[٢٥٦] قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[9] لما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم، وقالوا: هم أبناؤنا وإخواننا، فـ لت هذه الآية لَا إِكْرَاهَ فِي الدين، فقال رسول الله ﷺ «خيروا أصحابكم فإن اختاروكم

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥.
(٣) سورة الجن آية : ٢٧.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٥.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٥٥.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٥٥.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٥٥.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٥٦.

فهم منكـم وان اختاروهم فأجلوهم معهم ﴾ [1] وقال مجاهد: كان ناس مسترضعين في اليهود من الأوس فلما أمر النبي ﷺ بإجلاء بني النضير، قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبن معهم ولندينن بدينهم، فمنعهم أهلوهم، فـ لت الآية ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [2]، أي: الإيمان من الكفر والحق من الباطل، ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [3]، يعني بالشيطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت، وقيل: ما يُطغي الإنسان فاعول، من الطغيان زيدت التاء فيه بدلا من لام الفعل كقولهم: حانوت وتابوت، فالتاء فيها مبدل من هاء التأنيث، ﴿ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [4]، أي: تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين، والوثقى: تأنيث الأوثق، وقيل: العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى، ﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [5]: لا انقطاع لها ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ [6]: لدعائك إياهم إلى الإسلام، ﴿ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [7]: بحرصك على إيمانهم.

[٢٥٧] قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [8]: ناصرهم ومعينهم، وقيل: محبهم، وقيل: متولي أمورهـم لا يكلهم إلى غيره، وقال الحسن: ولي هدايتهم،

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٥/٤٠٩، والبيهقي في السنن ٩/١٨٦.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٦.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٦.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٦.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٦.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٥٦.

(٧) سورة البقرة آية : ٢٥٦.

(٨) سورة البقرة آية : ٢٥٧.

﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [1]، أي: من الكفر إلى الإيمان، قال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه: الكفر والإيمان غير التي في سورة الأنعام: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [2] فالمراد منه: الليل والنهار، سُمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه، وسمي الإسلام نورا لوضوح طريقه، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ ﴾ [3]، قال مقاتل: يعني: كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة، ﴿ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾ [4]، يدعونم من النور إلى الظلمات، والطاغوت يكون مذكرا ومؤنثا وواحدا وجمعا ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [5] .

[٢٥٨] قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ [6]، معناه: هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم، أي خاصم وجادل، وهو نمرود، وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟ ﴿ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ [7]، أي: لأن آتاه الله الملك فطغى أي: كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه واختلفوا في وقت هذه المناظرة، قال مقاتل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود، ثم أخرجه ليحرقه بالنار، فقال له: من ربك الذي تدعونا إليه؟ فقال: (رَبيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)، وقال آخرون: كان هذا بعد إلقائه في النار وذلك أن الناس قحطوا على

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٧.
(٢) سورة الأنعام آية : ١.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٧.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٧.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٥٨.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٥٨.

عهد نمرود، وكان الناس يمتارون من عنده الطعام، فكان إذا أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربك؟ فإن قال أنت باع منه الطعام، فأتاه إبراهيم فيمن أتاه، فقال له نمرود: من ربك؟ قال: (رَبيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) فاشتغل بالمحاجة ولم يعطه شيئا قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [1]، وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره: قال له من ربك؟ قال إبراهيم: رَبيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، ﴿ قَالَ ﴾ [2] نمرود ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [3] قال أكثر المفسرين: دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل القتل إماتة، وترك القتل إحياء، فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى ليعجزه، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكان له أن يقول فأحيي من أمت إن كنت صادقا، فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ [4]، أي: تحير ودهش وانقطعت حجته ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [5] .

[٢٥٩] قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ [6]، وهذه الآية مسوقة على الآية الأولى، تقديره: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه، وهل رأيت كالذي مر على قرية؟ وقيل: تقديره: هل رأيت كالذي حاج إبراهيم في ربه، وهل رأيت كالذي مر على قرية؟ واختلفوا في ذلك المار، فقال قتادة وعكرمة والضحاك: هو عزير بن شرخيا، وقال وهب بن منبه: هو أرميا بن حلقيا، وكان من سبط هارون وهو الخضر، وقال مجاهد: هو كافر

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٨.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٨.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٨.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٨.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٥٩.

شك في البعث، واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكـرمة وقـتادة: هي بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الأرض المقدسة وقيل: هي الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وقيل: هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس، ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ [1]: ساقطة، يقال: خوي البيت بكسر الواو يخوي، خوى مقصورا إذا سقط وخوى البيت بالفتح خواء ممدودا إذا خلا، ﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [2]: سقوفها، واحدها عرش، وقيل: كل بناء عرش، ومعناه أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها، ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [3]، ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ [4]، أي: أحياه، ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ [5]، أي: كم مكثت؟ يقال: لما أحياه الله بعث إليه ملكا فسأله: كم لبثت ﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا ﴾ [6]، وذلك أن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس، فقال كم لبثت؟ قال: لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى بقية من الشمس، فقال: ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [7]، بل بعض يوم، ﴿ قَالَ ﴾ [8] له الملك: ﴿ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ ﴾ [9]، يعني: التين، ﴿ وَشَرَابِكَ ﴾ [10]،

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٥٩.

يعني العصير، ﴿ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ ﴾ [(١)]، أي: لم يتغير، فكان التين كأنه قطف من ساعته، والعصير كأنه عصر من ساعته، قال الكسائي: كأنه لم تأت عليه السنون، وإنما قال: (لَمْ يَتَسَنَّهْ) ولم يثنه مع أنه أخبر عن شيئين ردا للمتغير إلى أقرب اللفظين به، وهو الشراب، واكتفى بذكر أحد المذكورين، لأنه في معنى الآخر، ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾ [(٢)]، فنظر فإذا هو عظام بيض، فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر، ﴿ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ ﴾ [(٣)] معناه: ولنجعلك آية: عبرة ودلالة على البعث بعد الموت، قاله أكثر المفسرين، وقال الضحاك وغيره: إنه عاد إلى قريته شابا وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز، وهو أسود الرأس واللحية، قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾ [(٤)]، قرأ أهل الحجاز والبصرة: (ننشرها) بالراء، معناه: نحييها، يقال: أنشر الله الميت إنشارا وأنشره نشورا، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(٥)]، وقال في اللازم ﴿ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [(٦)]، وقال الآخرون بالزاي، أي نرفعها من الأرض ونركب بعضها على بعض، وإنشاز الشيء: رفعه وإزعاجه قال: أنشزته فنشز، أي: رفعته فارتفع، واختلفوا في معنى الآية، فقال الأكثرون: أراد به عظام حماره ﴿ ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ ﴾ [(٧)]، ثم كسي العظام لحما فصار حمارا وقال قوم: أراد به عظام هذا الرجل، ذلك أن الله تعالى لم يمت حماره بل أماته هو: فأحيا

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٥) سورة عبس آية : ٢٢.
(٦) سورة الملك آية : ١٥.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٥٩.

الله عينيه، ورأسه وسائر جسده ميت، ثم قال: انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره قائما واقفا كهيئة يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام، ونظر إلى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير، وتقدير الآية: وانظر إلى حمارك وانظر إلى عظامك كيف ننشزها ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ ﴾ [1] ذلك عيانا، ﴿ قَالَ أَعۡلَمُ ﴾ [2]، قرأ حمزة والكسائي مجزوما موصولا على الأمر على معنى قال الله تعالى له: اعلم، وقرأ الآخرون (أعلم) بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عزيز أنه قال لما رأى ذلك: أعلم، ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٥٩ ﴾ [3].

[٢٦٠] قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ [4] لأعاين فأزداد يقينا فعاتبه الله تعالى، ﴿ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ ﴾ [5] يا رب علمت وآمنت، ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ ﴾ [6]، أي: ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين، لأن الخبر ليس كالمعاينة ﴿ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ﴾ [7]، قرأ أبو جعفر وحمزة (فَصُرْهُن إِلَيْكَ) بكسر الصاد، أي: قطعهن ومزقهن، يقال: صار يصير صيرا، إذا قطع، وانصار الشيء انصيارا إذا انقطع، وقرأ الآخرون (فَصُرْهُن) بضم الصاد، ومعناه: أملهن إليك ووجههن وقال عطاء معناه: اجمعهن

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦٠.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦٠.

واضممهن إليك ﴿ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ [1] أراد بعض الجبال، قال المفسرون: أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور، وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض، ففعل ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال ثم دعاهن فقال: تعالين بإذن الله فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [2]، قيل: المراد بالسعي الإسراع والعدو، وقيل: المراد به المشي دون الطيران وقيل: السعي بمعنى: الطيران، ﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [3].

قوله تعالى مَثَلُ الذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ....

[٢٦١] قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [4]، فيه إضمار تقديره: مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم، ﴿ كَمَثَلِ ﴾ [5]، زارع ﴿ حَبَّةٍ ﴾ [6] وأراد بسبيل الله: الجهاد، وقيل: جميع أبواب الخير، ﴿ أَنۢبَتَتْ ﴾ [7]: أخرجت، ﴿ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ [8]، جمع: سنبلة، ﴿ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ ﴾ [9]، قيل:

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦١.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦١.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦١.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦١.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٦١.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٦١.

معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، غني يعطي عن سعة، عَلِيمٌ بنية من ينفق ماله.

[٢٦٢] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2]: أي: في طاعة الله ﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا ﴾[3] وهو أن يمن عليه بعطائه، فيقول: أعطيتك كذا، ويعد نعمه عليه فيكدرها عليه ﴿ وَلَآ أَذًى ﴾[4]، هو أن يعيره فيقول: إلى كم تسأل وكم تؤذيني؟ وقيل: من الأذى: وهو أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يحبّ وقوفه عليه، وقال سفيان: ﴿ مَنًّا وَلَآ أَذًى ﴾[5]، هو: أن يقول قد أعطيتك فما شكرت ﴿ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾[6]، أي: ثوابهم، ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[7].

[٢٦٣] ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾[8]، أي: كلام حسن ورد على السائل جميل، وقيل، عدة حسنة، وقال الكلبي: دعاء صالح يدعو لأخيه بظهر الغيب ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾[9]، أي: تستر عليه خلته ولا تنتك عليه ستره، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظالمه، وقيل:

---
(١) سورة البقرة آية : ٢٦١.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦٢.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦٢.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٦٣.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٦٣.

يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده، ﴿ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ ﴾ [1] يدفعها إليه، ﴿ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ [2]، أي: من وتعيير للسائل أو قول يؤذيه، ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ [3]، أي مستغن عن صدقة العباد ﴿ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ [4] لا يُعجّل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بالصدقة.

[٢٦٤]، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم ﴾ [5]، أي: أجور صدقاتكم، ﴿ بِٱلْمَنِّ ﴾ [6]، على السائل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمن على الله تعالى، ﴿ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [7]، لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلا فقال: ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ ﴾ [8]، أي: كإبطال الذي ينفق ماله ﴿ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [9]، أي: مراءاة وسمعة ليروا نفقته ويقولوا: إنه كريم سخي، ﴿ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [10]، يريد أن الرياء يبطل الصدقة، ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين، وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مرائي، ﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾ [11]، أي: مثل هذا المرائي، ﴿ كَمَثَلِ

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(١١) سورة البقرة آية : ٢٦٤.

﴿ صَفۡوَانٍ ﴾[1]، وهو الحجر الأملس ﴿ عَلَيۡهِ ﴾[2]، أي على الصفوان، ﴿ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ ﴾[3]، وهو المطر الشديد العظيم القطر، ﴿ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدًاۖ ﴾[4]، أي: أملس، والصلد: الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه، فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي، ويرى الناس في الظاهر أن لهؤلاء أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لأنه لم يكن لله، كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلدا، ﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ ﴾[5]، أي: على ثواب شيء مما كسبوا وعملوا في الدنيا ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾[6].

[٢٦٥] وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾[7]، أي: طلب رضا الله تعالى، ﴿ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾[8]، قال قتادة: احتسابا، وقال الشعبي والكلبي تصديقا من أنفسهم، أي يخرجون الزكاة طيبة با أنفسهم على يقين بالثواب، وتصديق بوعد الله، ويعلمون أنّ ما أخرجوا خير لهم مما تركوا، وقيل: على يقين بإخلاف الله عليهم ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ ﴾[9]، أي: بستان، ﴿ بِرَبۡوَةٍ ﴾[1] هي المكان

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦٥.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٦٥.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٦٥.

المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء، وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى، ﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ [(٢)] مطر شديد كثير، ﴿ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ [(٣)]، أي: أضعفت في الحمل، قال عطاء: حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين، وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين، ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ [(٤)]، أي: فطش وهو المطر الضعيف الخفيف، ويكون دائما قال السدي: هو الندى، وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص، فيقول: كما أن هذه الجنة تربع في كل حال ولا تخلف سواء قل المطر أو كثر، كذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت، وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾ [(٥)] .

قوله تعالى أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ من نخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَمَرَاتِ....

[٢٦٦] ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ [(٦)]، يعني: أيحب أحدكم أن تكون له جنة أي: بستان، من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنار؟ ﴿ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ ﴾ [(٧)]،

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٥.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦٦.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦٦.

أولاد صغار ضعاف عجزة، ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ ﴾ [1]، وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنا عمود وجمعه أعاصير، ﴿ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ [2] هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي، يقول: عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت، فصار أحوج ما يكون إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم، ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه، فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم، كذلك يبطل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيث لهما ولا توبة ولا إقالة ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ [3].

[٢٦٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ ﴾ [4]: من خيار ﴿ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [5]، بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على إباحة الكسب، وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث ﴿ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [6]، قيل: هذا أمر بإخراج العشور من الثمار والحبوب ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ﴾ [7] معناه: لا تقصدوا، ﴿ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [8] قال الحسن ومجاهد والضحاك: كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورزالة

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٦.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٧.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦٧.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦٧.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٦٧.

أموالهم ويعملون الجيد ناحية لأنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ ﴾ (١) الرديء ﴿ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ ﴾ (٢)، يعني الخبيث، ﴿ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ ﴾ (٣) الإغماض: غض البصر، وأراد هاهنا: التجويز والمساهلة، معناه: لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض له عن حقه وتركه، قال الحسن وقتادة: لو وجدتموه يباع في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد، وروي عن البراء قال: لو أهدي ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ، فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ ﴾ (٤) عن صدقاتكم، ﴿ حَمِيدٌ ٢٦٧ ﴾ (٥)، محمود في أفعاله.

[٢٦٨] ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾ (٦)، أي يخوفكم بالفقر، والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل: أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت به افتقرت، ﴿ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ (٧)، أي: بالبخل ومنع الزكاة، وقال الكلبي: كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا، ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٧.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٧.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٧.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٧.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦٨.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦٨.

﴿ مِّنْهُ ﴾[1]، أي: لذنوبكم، ﴿ وَفَضْلاً ۗ ﴾[2]، أي: رزقا وخلفا، ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾[3]، غني ﴿ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾[4] .

[٢٦٩] قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾[5]، قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - وقتادة: علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وروى ابن أبي نجيح عنه: الإصابة في القول والفعل، وقال إبراهيم النخعي: معرفة معاني الأشياء وفهمها ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾[6] حُكي عن الحسن قال: الورع في دين الله ﴿ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾[7] قال الحسن: من أعطي القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لم يوح إليه[8]. ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾[9]: يتعظ ﴿ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[10] ذوو العقول.

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٨.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٨.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٨.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٩.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦٩.
(٨) روى الحاكم في المستدرك بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله قال: "من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه"، الحديث.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٦٩.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٦٩.

[٢٧٠] قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ [1] فيما فرض الله عليكم ﴿ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ ﴾ [2]، أي: ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ [3] يحفظه حتى يجازيكم ﴿ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [4] الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء ويتصدقون من الحرام ﴿ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ﴾ [5] من أعوان أن يدفعون عذاب الله عنهم، وهي جمع نصير، مثل شريف أشراف.

قوله تعالى إِن تُبْدُوا الصدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ....

[٢٧١] قوله تعالى ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ [6]، أي: تظهروها ﴿ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ [7]، أي: نعمت الخصلة هي ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ [8]، تسروها, ﴿ وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ ﴾ [9]، أي: تؤتوها الفقراء في السرّ ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [10]، وأفضل وكل مقبول إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل وقيل: الآية في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل حتى يقتدي به الناس، كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل، والنافلة في البيت أفضل، وقيل: الآية في الزكاة المفروضة كان الإخفاء فيها خيرا على عهد رسول الله ﷺ أما في زماننا فالإظهار أفضل حتى لا

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٧٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٧٠.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٧١.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٧١.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٧١.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٧١.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٧١.

يساء به الظن. قوله تعالى ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ ﴾ [1] أي: ويكفر الله وقوله: ﴿ مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ ﴾ [2] قيل: ﴿ مِّن ﴾ [3] صلة، تقديره: نكفر عنكم سيئاتكم، وقيل: هو للتحقيق والتبعيض، يعني: نكفر الصغائر من الذنوب ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [4].

[٢٧٢] ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ [5] فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ ﴾ [6]، وأراد به هداية التوفيق ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ [7]، أي: مال ﴿ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ [8]، أي: تنفقونه لأنفسكم ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [9] معناه نفي، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ [10]، شرط كالأول, ولذلك حذف النون منهم ﴿ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ [11]، أي يوفر لكم جزاؤه، ومعناه: يؤدي إليكم، ولذلك دخل فيه

(١) سورة البقرة آية : ٢٧١.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٧١.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٧١.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٧١.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٧٢.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٧٢.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٧٢.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٧٢.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٧٢.
(١١) سورة البقرة آية : ٢٧٢.

إلى, ﴿ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [1]، لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا، وهذا في صدقة التطوع أباح الله تعالى أن توضع في أهل الإسلام وأهل الذمة، فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين.

[٢٧٣] قوله تعالى: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [2] اختلفوا في موضع هذه اللام، قيل: هي مردودة على موضع اللام من قوله: ﴿ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ [3] كأنه قال: وما تنفقوا من خير فللفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل: معناها الصدقات التي سبق ذكرها، وقيل: خبر محذوف تقديره: للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم للفقراء المهاجرين، كانوا نحوا من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ وهم أصحاب الصفة، فحث الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى، ﴿ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [4]، فيه أقاويل، قال قتادة: هم هؤلاء حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، ﴿ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبًا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [5]، لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش، وهم أهل الصفة الذين ذكرناهم، وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وقيل: معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقيل: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زَمْنَى أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد، وقيل: من كثرة ما

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٧٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٧٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٣.

جاهدوا صارت الأرض كلها حربا لهم فلا يستطيعون ضربا في الأرض من كثرة أعدائهم، ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ ﴾ [1]، بحالهم، ﴿ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [2]، أي: من تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء، والتعفف التفعل من العفة وهي الترك، يقال: عف عن الشيء إذا كف عنه، وتعفف إذا تكلف في الإمساك، ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ [3]، السيماء والسيمياء والسمة: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا، فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر، وقيل: رثاثة ثيابهم، ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ ﴾ [4]، قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه: لا يسألون الناس إلحافا أصلا، لأنه قال: ﴿ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [5] والتعفف: ترك السؤال، ولأنه قال ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ [6]، ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامـة حاجة، فمعنى الآية: ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف، والإلحاف: الإلحاح واللجـاج ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ [7]، من مال ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [8]، وعليه مجاز.

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٣.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٧٣.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٣.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٧٣.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٣.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٧٣.

(٧) سورة البقرة آية : ٢٧٣.

(٨) سورة البقرة آية : ٢٧٣.

[٢٧٤] ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[١]: قال الأخفش: جعل جواب الخبر بالفاء، لأن الذين بمعنى (من) وجوابا بالفاء في الخبر، أو معنى الآية: من أنفق كذا فله أجره عند ربه، ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾[٢].

[٢٧٥] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[٣]، أي: الذين يعاملون به، وإنما خص الأكل لأنه معظم المقصود من المال ﴿ لَا يَقُومُونَ ﴾[٤]، يعني يوم القيامة من قبورهم ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ﴾[٥]، أي يصرعه ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [٦] أصل الخبط: الضرب والوطء، وهو ضرب على غير استواء، يقال: ناقة خبوط للتي تطأ الناس وتضرب الأرض بقوائمه ﴿ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[٧]، أي: الجنون، يقال: مس الرجل فهو ممسوس إذا كان مجنونا، ومعناه: أن آكل الربا يبعث يوم القيامة كمثل المصروع ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[٨]، أي: ذلك الذي نزل بم لقولهم هذا واستحلالهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غريمه فطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في الأجل حتى أزيدك في المال، فيفعلان ذلك ويقولون: سواء

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٤.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٧٤.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٧٥.

علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير، فكذبهم الله تعالى وقال: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾ [(١)]، واعلم أن الربا في اللغة: الزيادة، والربا نوعان: ربا الفضل وربا النساء، فإذا باع مال الربا بجنسه مثلا بمثل بأن باع أحد النقدين بجنسه، أو باع مطعوما بجنسه، كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا نوعي الربا، حتى لا يجوز إلا متساويين في معيار الشرع، فإن كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط المساواة في الوزن، وان كان مكيلا كالحنطة والشعير بيع بجنسه، فيشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد، وإذا باع مال الربا بغير جنسه نظر إن باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل: إن باع مطعوما بأحد النقدين فلا ربا فيه, كما لو باعه بغير مال الربا، وإن باعه بما يوافقه في الوصف مثل: إن باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلا أو جزافا وثبت فيه ربا النسأ حتى يشترط التقابض في االلس ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [(٢)]: تذكير وتخويف، وإنما ذكر الفعل ردا إلى الوعظ، ﴿ فَٱنتَهَىٰ ﴾ [(٣)]، عن أكل الربا, ﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ [(٤)]، أي: ما مضى من ذنبه، قبل النهي مغفور له, ﴿ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [(٥)]، بعد النهي إن شاء عصمه حيث يثبت على الانتهاء، وإن شاء خذله حتى يعود، وقيل: أمره إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه, وليس إليه من أمر نفسه شئ ﴿ وَمَنۡ

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٥.

عَادَ ﴾ [1] بعد التحريم إلى أكل الربا مستحلا له, ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ ﴾ [2] .

قوله تعالى يَمْحَقُ اللهُ الرِبَا وَيُرْبِي الصدَقَاتِ....

[٢٧٦] قوله تعالى: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [3]، أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: يمحق الله الربا. يعني: لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة, ﴿ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾ [4]، أي: يثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف با الأجر والثواب في العقبى، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ ﴾ [5]، بتحريم الربا، ﴿ أَثِيمٍ ٢٧٦ ﴾ [6]، فاجر بأكله.

[٢٧٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ ﴾ [7].

[٢٧٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ ﴾ [8].

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٧٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٧٦.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٦.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٧٦.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٧٧.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٧٨.

[٢٧٩] ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ ﴾[1]، أي: إذا لم تذروا ما بقي من الربا, ﴿ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾[2]، قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر (فآذِنوا) بالمد، على وزن آمنوا، أي: فأعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله، وأصله من الأذن، أي: وقعوا في الأذان وقرأ الآخرون: ﴿ فَأۡذَنُواْ ﴾[3] مقصورا بفتح الذال، أي: فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله ﴿ وَإِن تُبۡتُمۡ ﴾[4]، أي: تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه ﴿ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ ﴾[5]، بطلب الزيادة ﴿ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ ﴾[6]، بالنقصان عن رأس المال.

[٢٨٠] ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ ﴾[7]، يعني: وإن كان الذي عليه الدين مُعسرًا ﴿ فَنَظِرَةٌ ﴾[8] أمر في صيغة الخبر، تقديره: فعليه نظرة, ﴿ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ ﴾[9] قرأ نافع (ميسُرة) بضم السين، وقرأ الآخرون بفتحها، وقرأ مجاهد (مَيسُرة) بضم السين

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٧٩.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٧٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٩.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٧٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٨٠.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٨٠.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٨٠.

مضافا، ومعناه: اليسار والسعة، ﴿ وَأَن تَصَدَّقُواْ ﴾ [(١)]، أي: تتركوا رؤوس أموالكم إلى المعسر، ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ [(٢)]

[٢٨١] قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [(٣)]، قرأ أهل البصرة بفتح التاء، أي: تصيرون إلى الله، وقرأ الآخرون بضم التاء وفتح الجيم، أي: تردّون إلى الله تعالى، ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [(٤)] قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ.

قوله تعالى يَا أيهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمى فَاكْتُبوهُ....

[٢٨٢] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ [(٥)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمّا حرم الله الربا أباح السلم، وقال أشهد أن السلم المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه، ثم قرأ هذه الآية.

قوله: ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم ﴾ [(٦)] أي: تعاملتم بالدين، يقال: داينته إذا عاملته بالدين ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ [(٧)]، الأجل مدة معلومة الأول والآخر، والأجل يلزم في الثمن والمبيع في السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محله، وفي القرض لا يلزم الأجل

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٠.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨١.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٨١.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

عند أكثر أهل العلم، ﴿ فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ [1] أي: اكتبوا الذي تداينتم به بيعا كان أو سلما أو قرضا، واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم: هي واجبة، والأكثرون على أنه أمر استحباب، فإن ترك فلا بأس كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [2]، وقال بعضهم: كانت كتابة الدين، والإشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله: ﴿ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضًا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ [3] وهو قول الشعبي، ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره: ﴿ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ [4]، أي: ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل، أي: بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير، ﴿ وَلَا يَأۡبَ ﴾ [5]، أي لا يمتنع، ﴿ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ ﴾ [6]، واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمّل الشهادة على الشاهد، فذهب قوم إلى وجوبا إذا طولب، وهو قول مجاهد، وقال الحسن: يجب إذا لم يكن كاتب غيره، وقال قوم: هو على الندب والاستحباب، وقال الضحاك: كانت غريمة واجبة على الكاتب والشاهد، فنسخها قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ ﴾ [7]، ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ ﴾ [8]، أي: كما شرعه الله وأمره، ﴿ فَلۡيَكۡتُبۡ

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

(٢) سورة الجمعة آية : ١٠.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٣.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

(٧) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

(٨) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [1]، يعني: المطلوب يُقرّ على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، والإملال والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بما القرآن، فالإملال هنا, والإملاء قوله تعالى: ﴿ فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [2]، ﴿ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ [3]، يعني المملي، ﴿ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [4] وأي: ولا ينقص منه أي من الحق الذي عليه شيئا ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا ﴾ [5]، أي: جاهلا بالإملاء، قاله مجاهد، وقال الضحاك والسدي: طفلا صغيرا، وقال الشافعي: السفيه المبذر: المفسد لما له أو في دينه، قوله: ﴿ أَوْ ضَعِيفًا ﴾ [6]، أي: شيخا كبيرا، وقيل: هو ضعيف العقل لعته أو جنون ﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ ﴾ [7] لخرس أو عمى أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حصول الكتابة أو جهل بما له وعليه، ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ ﴾ [8]: أي: قيّمه، ﴿ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [9]، أي: بالصدق والحق، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ومقاتل: أراد بالولي صاحب الحق، يعني إن عجز من عليه الحق من الإملال فيملل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لأنه أعلم بالحق ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ ﴾ [10]، أي: وأشـهـدوا،

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٢) سورة الفرقان آية : ٥.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

﴿ شَهِيدَيْنِ ﴾ [١]، أي: شـاهـديـن ﴿ مِن رِّجَالِكُمْۖ ﴾ [٢]، يعني: الأحرار المسلمين دون العبيد والصبيان، وهو قول أكثر أهل العلم، وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد، ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ﴾ [٣]، أي: لـم يكـن الشاهـدان رجلين، ﴿ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾ [٤]، أي: فليشهد رجل وامرأتان، وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال، واختلفوا في غير الأموال، واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات. قوله تعالى: ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [٥]، يعني: من كان مرضيا في ديانته وأمانته، وشرائط قبول الشهادة سبعة: الإسلام، والحرية، والعقل، والبلوغ، والعدالة، والمروءة، وانتفاء التهمة ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ ﴾ [٦] معنى الآية فرجل وامرأتان كي تذكر ﴿ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ ﴾ [٧]، ومعنى تضل أي: تنسى، يريد إذا نسيت إحداهما شهادتا فتذكرها الأخرى، فتقول: ألسنا حضرنا مجلس كذا، وسمعنا كذا، (وذكر) و (واذكر) بمعنى واحد، وهما متعديان، من الذكر الذي هو ضد النسيان ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ ﴾ [٨]، قيل أراد به ما دعوا لتحمل الشهادة، سماهم شهداء على معنى أنهم يكونون شهداء، وهو أمر إيجاب عند بعضهم، وقال قوم: تجب الإجابة إذا لم يكن غيرهم، فإن وجد غيرهم فهم مخيرون، وهو قول الحسن، وقال قوم:

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

هو أمر ندب وهو مخير في جميع الأحوال وقال بعضهم: هذا في إقامة الشهادة وأدائها، فمعنى الآية: ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا لأداء الشهادة التي تحمّلوها قال الشعبي: الشاهد بالخيار ما لم يشهد ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ ﴾[1]، أي: ولا تملّوا ﴿ أَن تَكْتُبُوهُ ﴾[2]، الهاء راجعة إلى الحق، ﴿ صَغِيرًا ﴾[3] كان الحق، ﴿ أَوْ كَبِيرًا ﴾[4]، قليلا كان أو كثيرا، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾[5]، إلى محـل الحق، ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾[6]، أي: الكتاب، ﴿ أَقْسَطُ ﴾[7]، أعدل ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[8]، لأنه أمر به، واتباع أمره أعدل من تركه، ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾[9] لأن الكتابة تذكر الشهود، ﴿ وَأَدْنَىٰٓ ﴾[10] وأحرى وأقرب إلى، ﴿ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾[11] تشكوا في الشهادة ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾[12] تقديره: إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية: إلا أن تكون تجارة حاضرة يدا بيد تديرونا بينكم ليس فيها أجل

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(١١) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(١٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾[1]، يعني: التجارة. ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾[2]، قال الضحاك: هو عزم من الله تعالى، والإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره ونقده ونسئه وقال الآخرون: هو أمر ندب. قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾[3]، هذا نهي للغائب، وأصله: يضارر، فأدغمت إحدى الرائين في الأخرى ونصبت، لحق التضعيف لالتقاء الساكنين، واختلفوا فيه، فمنهم من قال: أصله يضارر بكسر الراء الأولى، وجعل الفعل للكاتب والشهيد، معناه: لا يضارر الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد، ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه، وهذا قول طاوس والحسن وقتادة، وقال قوم: أصله يضار بفتح الراء على الفعل المجهول، وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين، ومعناه: أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شغل مهم فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا، فيقول الداعي إن الله أمركما أن تجيبا ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن ذلك، وأمر بطلب غيرهما، ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ ﴾[4] ما نهيتكم عنه من الضرار، ﴿ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾[5]، أي: معصية وخروج عن الأمر، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

[٢٨٣]، ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ ﴾ [١]، أي: وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الآن فارتنوا ممن تداينونه رهونا لتكون وثيقة بأموالكم، واتفقوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض ﴿ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا ﴾ [٢]، يعني: فإن كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق فلم يرتن منه شيئا لحسن ظنه به ﴿ فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ [٣]، أي: فليقضه على الأمانة، ﴿ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ ﴾ [٤] في أداء الحق، ثم رجع إلى خطاب الشهود فقال: ﴿ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ ﴾ [٥]، إذا دعيتم إلى إقامتها، نهى عن كتمان الشهادة وأوعد عليه فقال: ﴿ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾ [٦]، أي: فاجر قلبه، قيل: ما وعد على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة قال: ﴿ فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾ [٧] وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [٨] من بيان الشهادة وكتمانا ﴿ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [٩].

[٢٨٤]، ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [١٠] ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكهم، ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٣.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٣.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٣.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٣.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٨٣.
(٨) سورة البقرة آية : ٢٨٣.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٨٣.
(١٠) سورة البقرة آية : ٢٨٤.

﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾[1]، اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم: هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها، فقال بعضهم: هي متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة، معناه: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله، وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت فيمن يتولى الكافرين من دون المؤمنين، يعني: وإن تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسروه يحاسبكم به الله، وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها وقال بعضهم: الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار، إنما يرد على الأمر والنهي، وقوله: ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ ﴾[2] خبر لا يرد عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم: قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال: ﴿ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ ﴾[3] فليس لله عبدا أسرّ عملا أو أعلنه من حركة من جوارحه أو همّة في قلبه إلا يخبره الله به ويحاسبه عليه، ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء. وقال الآخرون: معنى الآية، إن الله ﷻ يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه، غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب، والأمور التي يحزنون عليها وقال بعضهم: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[4]، يعني: ما في قلوبكم مما عزمتم عليه أو تخفوه يحاسبكم به الله، ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكـم به الله فأمّا ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا فإن ذلك مما لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها ولا يؤاخذكـم به وقيل: معنى المحاسبة: الإخبار والتعريف، ومعنى الآية:

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٤.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٤.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٥.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٤.

﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [1] فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم، يحاسبكم به الله ويخبركـم به ويعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهارا لفضله، ويعذب الكافرين إظهارا لعدله قوله تعالى: ﴿ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ ﴾ [2] فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم، ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤ ﴾ [3].

[٢٨٥] قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ [4]، أي: صدق ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [5]، يعني: كل واحد منهم، ولذلك وحد الفعل، ﴿ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [6] فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، وفيه إضمار تقديره: يقولون لا نفرق، وقرأ يعقوب: لا يفرق، بالياء فيكون خبرا عن الرسول، أو معناه: لا يفرق الكل، وإنما قال: ﴿ بَيۡنَ أَحَدٖ ﴾ [7]، ولم يقل بين آحاد، لأن الأحد يكون للواحد والجمع، قال الله تعالى: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَـٰجِزِينَ ٤٧ ﴾ [8]، ﴿ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا ﴾ [9]، قولك ﴿ وَأَطَعۡنَاۖ ﴾ [1] أمرك، روي عن حكيم عن جابر -

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٤.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٤.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٤.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٥.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٥.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٥.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٨٥.
(٨) سورة الحاقة آية : ٤٧.
(٩) سورة البقرة آية : ٢٨٥.

رضى الله عنهما - أن جبريل - عليه السلام - قال للنبي ﷺ حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك، فسل تعطه، فسأل بتلقين الله تعالى فقال: ﴿ غُفْرَانَكَ ﴾ [2]، وهو نصب على المصدر، أي: اغفر غفرانك، أو على المفعول به، أي: نسألك غفرانك ﴿ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [3].

[٢٨٦]، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [4] ظاهر الآية قضاء لحاجة، وفيها إضمار السؤال كأنه قال: وقالوا لا تكلفنا إلا وسعنا، وأجاب: أي: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها أي: طاقتها، والوسع: اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، واختلفوا في تأويله، فذهب ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين إلى أنه أراد به حديث النفس الذي ذكر في قوله: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ [5] كما ذكرنا، وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: هم المؤمنون خاصة وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه إلا ما يستطيعون، كما قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [6]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾ [7]، وسئل سفيان بن عيينة عن قوله ﷻ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [8] قال إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها، وهذا قوله حسن، لأن الوسع، ما دون الطاقة. قوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٥.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٤.

(٦) سورة البقرة آية : ١٨٥.

(٧) سورة الحج آية : ٧٨.

(٨) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ [1]، أي: للنفس ما عملت من الخير لها أجره وثوابه ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [2] من الشر وعليها وزره ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ﴾ [3]، أي: لا تعاقبنا ﴿ إن نَّسِينَا ﴾ [4]، جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو، أمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتـهم بذلك، وقيل: هو من النسيان الذي هو الترك كقوله تعالي: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [5]، قوله تعالى: ﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [6] قيل: معناه القصد والعمد، يقال: أخطأ فلان إذا تعمد، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [7] قال عطاء: إن نسينا أو أخطأنا، يعني: إن جهلنا أو تعمدنا، وجعله الأكثرون: من الخطأ الذي هو الجهل والسهو، لأن ما كان عمدا من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشيئة الله، والخطأ معفو عنه، قال النبي ﷺ ﴿ رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ﴾ [8] [9] ". قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ [10]، أي: عهدا ثقيلا وميثاقا ولا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه، ﴿ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

(٥) سورة التوبة آية : ٦٧.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

(٧) سورة الإسراء آية : ٣١.

(٨) ابن ماجه الطلاق (٢٠٤٣).

(٩) وفي رواية لابن ماجه بلفظ. "إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان ". الحديث كتاب الطلاق ١٦ انظر إرواء الغليل (١٢٣/١).

(١٠) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾ [1]، يعني: اليهود، فلم يقوموا به فعذبتهم، وقيل معناه: لا تُشدّد ولا تُغلظ الأمر علينا كما شددت على من قبلنا من اليهود، وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم من الزكاة، ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها، ومن أصاب ذنبا أصبح ذنبه مكتوبا على بابه، ونحوها من الأثقال والأغلال يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [2]، وقيل: الإصر ذنب لا توبة له، معناه: اعصمنا من مثله، والأصل فيه العقل والإحكام.

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾ [3]، أي: لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيقه، وقيل: هو حديث النفس والوسوسة، حكي عن مكحول أنه قال: هو الغلمة، قيل: الغلمة: شدة الشهوة، وعن إبراهيم قال: هو الحب، وعن محمد بن عبد الوهاب قال: العشق، وقال ابن جريج: وهو مسخ القردة والخنازير، وقيل: هو شماتة الأعداء، وقيل: هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها، قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡفُ عَنَّا ﴾ [4]، أي: تجاوز وامح عنا ذنوبنا، ﴿ وَٱغۡفِرۡ لَنَا ﴾ [5]، أي: استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا، ﴿ وَٱرۡحَمۡنَآۚ ﴾ [6] فإننا لا ننال العمل إلا بطاعتك، ولا نترك معصيتك إلا برحمتك،

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٦.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٦.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٦.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

﴿ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا ﴾ [1] ناصرنا وحافظنا ووليّنا، ﴿ فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ [2].

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٦.

(٣) سورة آل عمران

قوله تعالى الم اللهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَي القَيومُ...

[١, ٢] قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَیُّ ٱلۡقَیُّومُ ۝٢ ﴾[١].

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ﴾[٢] ابتداء وما بعده خبره، و ﴿ ٱلۡحَیُّ ٱلۡقَیُّومُ ۝٢ ﴾[٣] نعت له.

[٣] ﴿ نَزَّلَ عَلَیۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾[٤]، أي: الـقـرآن، ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾[٥]، بالصدق، ﴿ مُصَدِّقࣰا لِّمَا بَیۡنَ یَدَیۡهِ ﴾[٦]، لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوة والأخبار وبعض الشرائع، ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِیلَ ۝٣ ﴾[٧].

[٤] ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾[٨]، وإنما قال: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِیلَ ۝٣ ﴾[٩] لأن التوراة والإنجيل أنزلا جملة واحدة، وقال في القرآن ﴿ نَزَّلَ ﴾[١٠] لأنه نزل مفصلا، والتـ يل: للتكثير، ﴿ هُدࣰى لِّلنَّاسِ ﴾[١١]، هاديا لمن تبعه، ولم يثّنه لأنه مصدر،

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢.
(٢) سورة آل عمران آية : ٢.
(٣) سورة آل عمران آية : ٢.
(٤) سورة آل عمران آية : ٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ٣.
(٦) سورة آل عمران آية : ٣.
(٧) سورة آل عمران آية : ٣.
(٨) سورة آل عمران آية : ٤.
(٩) سورة آل عمران آية : ٣.
(١٠) سورة آل عمران آية : ٣.
(١١) سورة آل عمران آية : ٤.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [1] المفرق بين الحق والباطل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ [2].

[5] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾ [3].

[6] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ [4]، من الصور المختلفة ذكرا أو أنثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا تاما أو ناقصا. ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [5]، وهذا رد على وفد نجران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله، وكأنه يقول: كيف يكون ولدا وقد صوره الله تعالى في الرحم؟

[7] قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ [6] مبينات مفصلات سميت محكمات من الإحكام كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها، ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [7]، أي: أصله الذي يعول عليه في الأحكام، وإنما قال: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [8]، ولم يقل: أمهات الكتاب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة، وكلام الله تعالى واحد، وقيل معناه: كل آية منهن أم الكتاب، كما قال: (وجعلنا ابن مريم وأمه آية)، أي: كل واحد منهما آية،

---

(1) سورة آل عمران آية : ٤.

(2) سورة آل عمران آية : ٤.

(3) سورة آل عمران آية : ٥.

(4) سورة آل عمران آية : ٦.

(5) سورة آل عمران آية : ٦.

(6) سورة آل عمران آية : ٧.

(7) سورة آل عمران آية : ٧.

(8) سورة آل عمران آية : ٧.

﴿ وَأُخَرُ ﴾ [(١)]، جمع أخرى، ولم يصرفه لأنه معدول عن الآخر مثل: عمر وزفر، ﴿ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ﴾ [(٢)]، فإن قيل: كيف فرق هاهنا بين المحكـم والمتشابه وقد جعل الله كل القرآن محكما في مواضع أخر فقال: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [(٣)]، وجعل كله متشابا فقال: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ [(٤)]؟ قيل: حيث جعل الكل محكما أراد أن الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل، وحيث جعل الكل متشابا أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق وفي الحسن، وجعل هاهنا بعضه محكما وبعضه متشابا. واختلف العلماء فيهما فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المحكمات هن الآيات الثلاث في سورة الأنعام: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ [(٥)]، ونظيرها في بني إسرائيل: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [(٦)]، الآيات. وعنه أنه قال: المتشابات حروف التهجي في أوائل السور. وقال مجاهد وعكرمة: المحكم ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضا في الحق ويصدق بعضه بعضا، وقال قتادة والضحاك والسدي: المحكـم الناسخ الذي يُعمل به، والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: محكمات القرآن: ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمن به، ويعمل به والمتشابات: منسوخه، ومقدمه، ومؤخره، وأمثاله، وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به. وقيل: المحكمات ما أوقف الله الخلق على معناه، والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه، ولا

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ٧.
(٣) سورة هود آية : ١.
(٤) سورة الزمر آية : ٢٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٥١.
(٦) سورة الإسراء آية : ٢٣.

سبيل لأحد إلى علمه، نحو الخبر عن أشراط الساعة، وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربا، وقيام الساعة، وفناء الدنيا. قال أحمد بن جعفر بن الزبير: المحكـم ما لا يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه ما يحتمل أوجها. وقيل: المحكم ما يعرف معناه وتكون حجته واضحة، ودلائله لائحة لا ُيشتبه، والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل. وقال بعضهم: المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا بردّه إلى غيره. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ ﴾ (١)، أي: ميل عن الحق، وقيل: شك، ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ (٢)، واختلفوا في المعنى بذه الآية، قال الربيع: هم وفد نجران خاصموا النبي ﷺ في عيسى عليه السلام، وقالوا له: ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى، قالوا: حسبنا ذلك، فأنزل الله هذه الآية. وقال الكلبي: هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخراجه بحساب الجمل. وقال ابن جريج: هم المنافقون. وقال الحسن: هم الخوارج. وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ ﴾ (٣) قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم؟ وقيل: هم جميع المبتدعة. قوله تعالى: ﴿ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ﴾ (٤): طلب الشرك، قاله الربيع والسدي، وقال مجاهد: ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا با جهالهم، ﴿ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ ﴾ (٥): تفسيره وعلمه، دليله قوله تعالى: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ

(١) سورة آل عمران آية : ٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ٧.
(٣) سورة آل عمران آية : ٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ٧.

بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾[1]، وقيل: ابتغاء عاقبته، وطلب أجل هذه الأمة من حساب الجمل، دليله قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ ﴾[2]، أي: عاقبة. قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾[3]، اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم الواو في قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ [4] واو العطف، يعني: أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم: ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[5]، وهذا قول مجاهد والربيع، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ يَقُولُونَ ﴾ [6] حالا معناه: والراسخون في العلم مع علمهم قائلين آمنا به، وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ [7] واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾[8]، وقالوا: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، ويجوز أن يكون في القرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يُطلع عليه أحدا من خلقه، كما استأثر بعلم الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربا، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ونحوها.

والخلق متعبدون في المتشابه بالإيمان به، وفي المحكم بالإيمان به والعمل، ومما يصدق ذلك قراءة عبد الله إن تأويله إلا عند الله، ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[9]، وقال

(١) سورة الكهف آية : ٧٨.
(٢) سورة النساء آية : ٥٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ٧.
(٧) سورة آل عمران آية : ٧.
(٨) سورة آل عمران آية : ٧.
(٩) سورة آل عمران آية : ٧.

عمر بن عبد العزيز في هذه الآية: انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: آمنا به كل من عند ربنا. وهذا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية. قوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [(١)]، أي: الداخلون في العلم هم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك، وأصله من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته، يقال: رسخ الإيمان في قلب فلان، يرسخ رسخا ورسوخا، وقيل: الراسخون في العلم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، دليله قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ ﴾ [(٢)]، يعني: الدارسون علم التوراة والإنجيل، وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن الراسخين في العلم، قال: العالم العامل بما علم المتبع لما علم. وقيل: الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله، والتواضع بينه وبين الخلق، والزهد بينه وبين الدنيا، والمجاهدة بينه وبين نفسه. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد والسدي: بقولهم آمنا به سمّاهم الله تعالى راسخين في العلم، فرسوخهم في العلم قولهم آمنا به، أي: بالمتشابه، ﴿ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ [(٣)]: المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، وما علمنا وما لم نعلم، ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ [(٤)]: ما يتعظ بما في القرآن ﴿ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [(٥)]، ذوو العقول.

[٨]، قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا ﴾ [(٦)]، أي: ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا، أي: لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ، ﴿ بَعۡدَ إِذۡ

(١) سورة آل عمران آية : ٧.

(٢) سورة النساء آية : ١٦٢.

(٣) سورة آل عمران آية : ٧.

(٤) سورة آل عمران آية : ٧.

(٥) سورة آل عمران آية : ٧.

(٦) سورة آل عمران آية : ٨.

﴿ هَدَيْتَنَا ﴾[1]، وفقتنا لدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك، ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ ﴾[2]: أعطنا من عندك، ﴿ رَحْمَةً ﴾[3]، توثيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الإيمان والهدى. وقال الضحاك: تجاوزا ومغفرة، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[4].

[٩] قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ ﴾[5]: أي: لانقضاء يوم، وقيل: اللام بمعنى: في يوم، ﴿ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾[6]، أي: لا شك فيه، وهو يوم القيامة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾[7]، وهو مفعال، من الوعد.

[١٠] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ ﴾[8]: لن تنفع ولن تدفع، ﴿ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[9]، قال الكلبي: من عذاب الله، وقال أبو عبيدة: من بمعنى عند، أي: عند الله ﴿ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾[10].

[١١] ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾[11]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وعكرمة ومجاهد: كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب. وقال عطاء والكسائي

---

(١) سورة آل عمران آية : ٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ٨.
(٥) سورة آل عمران آية : ٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ٩.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٠.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٠.
(١٠) سورة آل عمران آية : ١٠.
(١١) سورة آل عمران آية : ١١.

وأبو عبيدة: كسنة آل فرعون. وقال الأخفش: كأمر آل فرعون وشأنهم. وقال النضر بن شميل: كعادة آل فرعون، يريد عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسل وجحود الحق كعادة آل فرعون، ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾[1]: كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم، ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]، فعاقبهم الله، ﴿ بِذُنُوبِهِمۡۗ ﴾[3] وقيل: نظم الآية: إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة، مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية، أخذناهم فلن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا، ﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١١ ﴾[4].

قوله تعالى قُل للذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إلى جَهَنمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ....

[١٢] قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ ﴾[5] قرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما، أي: أنهم يغلبون ويحشرون، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على الخطاب، أي: قل لهم أنكم ستغلبون وتحشرون، قال مقاتل. أراد مشركي مكة، معناه: قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر، وتحشرون إلى جهنم في الآخرة، وقال بعضهم: المراد بهذه الآية اليهود ﴿ سَتُغۡلَبُونَ ﴾[6] تهزمون في الدنيا في قتالكم محمدا ﴿ وَتُحۡشَرُونَ ﴾[7] في الآخرة ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ ﴾[1]، ﴿ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝١٢ ﴾[2]، أي: الفراش، أي: بئس ما مهد لهم، يعني: النار.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١.
(٢) سورة آل عمران آية : ١١.
(٣) سورة آل عمران آية : ١١.
(٤) سورة آل عمران آية : ١١.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٢.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٢.

[١٣] قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾ [3]، ولم يقل كانت، والآية مؤنثة لأنه ردها إلى البيان، أي: قد كان بيان، فذهب إلى المعنى، وقال الفراء: إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل، وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه، فمعنى الآية: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾ [4] أي: عبرة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون، ﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ [5]: فرقتين، وأصلها فيء الحرب، لأن بعضهم يفيء إلى بعض، ﴿ ٱلْتَقَتَا ﴾ [6]، يوم بدر، ﴿ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [7]، طاعة الله، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه وهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الأنصار، قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ [8]، أي: فرقة أخرى كافرة، وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة، يرأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم مائة فرس، وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾ [9]، قرأ أهل المدينة ويعقوب بالتاء، يعني: ترون يا معشر اليهود أهل مكة مثل عدد المسلمين، وذلك أن جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة فرأوا المشركين مثلي عدد

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٢.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٢.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٣.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٣.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٣.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٣.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٣.

المسلمين ورأوا النصر مع ذلك للمسلمين، فكان ذلك معجزة وآية، وقرأ الآخرون بالياء، واختلفوا في وجهه، فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين، ثم له تأويلان، أحدهما: يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم، فإن قيل: كيف قال ﴿ مِّثۡلَيۡهِمۡ ﴾ [1] وهم كانوا ثلاثة أمثال؟ قيل: هذا مثل قول الرجل وعنده درهم: أنا أحتاج إلى مثلي هذا الدرهم، يعني: إلى مثليه سواء، فيكون ثلاثة دراهم. والتأويل الثاني وهو الأصح: كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم قللهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين، ثم قللهم الله في أعينهم في حالة أخرى، حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم، ثم قللهم الله تعالى أيضا في أعينهم حتى رأوهم عددا يسيرا أقل من أنفسهم، وقال بعضهم: الرؤية راجعة إلى المشركين، يعني: يرى المشركون المسلمين مثليهم، قللهم الله قبل القتال في أعين المشركين ليجترئ المشركون عليهم، ولا ينصرفوا، فلما أخذوا في القتال كثرهم في أعين المشركين، ليجبنوا، وقللهم في أعين المؤمنين ليجترؤوا، فذلك قوله تعالى: (وإذا يريكموهم - إذ التقيتم- في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم). قوله تعالى: ﴿ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ ﴾ [2]، أي: في رأي العين، نصب بنزع حرف الصفة ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ [3]، الذي ذكرت، ﴿ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣ ﴾ [4]، لذوي العقول وقيل: لمن أبصر الجمعين.

[١٤] قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [5]، جمع شهوة، وهي ما تدعو النفس إليه، ﴿ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [1]، بدأ بهن لأنهن حبائل الشيطان، ﴿ وَٱلۡبَنِينَ

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٤.

﴿ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ﴾[2]، جمع قنطار، واختلفوا فيه، فقال الربيع بن أنس: القنطار المال الكثير بعضه على بعض، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه القنطار ألف ومائتا أوقية، لكل أوقية أربعون درهما. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - والضحاك: ألف ومائتا مثقال، وقال أبو نصرة: ملء مسك ثور ذهبا أو فضة. وسمي قنطارا من الإحكام، يقال: قنطرت الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة. قوله تعالى: ﴿ ٱلۡمُقَنطَرَةِ ﴾[3]، قال الضحاك: المحصنة المحكمة، وقال قتادة: هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض. وقال يمان: هي المدفونة. وقال السدي: هي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير. وقال الفراء: المضعفة. فالقناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة، ﴿ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ ﴾[4]، قيل: سمي الذهب ذهبا لأنه يذهب ولا يبقى، والفضة فضة لأنا تنفض، أي: تتفرق، ﴿ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ ﴾[5]: الخيل جمع لا واحد له من لفظه، واحدها فرس، كالقوم والنساء ونحوهما، و ﴿ ٱلۡمُسَوَّمَةِ ﴾[6] قال مجاهد: هي المطهمة الحسان، وقال عكرمة: تسويمها حسنها، وقال سعيد بن جبير: هي الراعية، يقال: أسام الخيل وسومها، وقال الحسن وأبو عبيدة: هي المعلمة من السيماء العلامة، ثم منهم من قال: سيماها الشبه واللون، وهو قول قتادة، وقيل: الكي، ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾[7]، جمع النعم، وهي الإبل والبقر والغنم، جمع لا

(١) سورة آل عمران آية : ١٤.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٤.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٤.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٤.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٤.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٤.

واحد له من لفظه، ﴿ وَٱلۡحَرۡثِۗ ﴾[1]، يعني: الزرع، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[2]، الذي ذكرت، ﴿ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[3]، يشير إلى أنا متاع يفنى، ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ﴾[4]، أي: المرجع، فيه إشارة إلى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة.

[١٥]قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم ﴾[5]، أي: أخبركم ﴿ بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ﴾[6].

[١٦] ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾[7]، إن شئت جعلت محل ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾[8] خفضا ردا على قوله: ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾[9]، وإن شئت جعلته رفعا على الابتداء، ويحتمل أن يكون نصبا تقديره: أعني الذين يقولون: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾[10]، صدقنا، ﴿ فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾[11]: استرها علينا وتجاوز عنا، ﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران آية : ١٤.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٤.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٤.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٤.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٥.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٥.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٦.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٦.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٥.
(١٠) سورة آل عمران آية : ١٦.
(١١) سورة آل عمران آية : ١٦.

[١٧] ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [٢]، إن شئت نصبتها على المدح، وإن شئت خفضتها على النعت، يعني: الصابرين في أداء الأوامر، وعن ارتكاب النهي، وعن البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في إيمانهم، قال قتادة: هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم فصدقوا في السر والعلانية، ﴿ وَٱلْقَـٰنِتِينَ ﴾ [٣]: المطيعين المصلين، ﴿ وَٱلْمُنفِقِينَ ﴾ [٤] أموالهم في طاعة الله، ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [٥]، قال مجاهد وقتادة والكلبي: يعني المصلين بالأسحار، وعن زيد بن أسلم أنه قال: هم الذين يصلون الصبح في الجماعة، وقيل: بالسحر لقربه من الصبح، وقال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا.

[١٨] قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [٦]، قيل: نزلت هذه الآية في نصارى نجران. وقال الكلبي: قدم حبران من أحبار الشام على النبي ﷺ فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة، فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم، قالا له: وأنت أحمد؟ قال: أنا محمد وأحمد، قالا له: فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك، فقال: نعم، قالا: فأخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله ﷻ فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأسلم الرجلان. قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ [٧] أي بين الله، لأن الشهادة تبيين،

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٦.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٧.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٨.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٨.

وقال مجاهد: حكم الله، وقيل: علم الله أنه لا إله إلا هو. وقوله: ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾[1]، أي: وشهدت الملائكة، قيل: معنى شهادة الله: الإخبار والإعلام، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار، ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[2]، يعني: الأنبياء عليهم السلام، وقال ابن كيسان: يعني المهاجرين والأنصار. وقال مقاتل: علماء مؤمني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام وأصحابه. قال السدي والكلبي: يعني جميع علماء المؤمنين. ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾[3]، أي: بالعدل، وقيل معنى قوله: ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾[4] أي: قائما بتدبير الخلق، كما يقال: فلان قائم أمر فلان أي: مدبر له ومتعهد لأسبابه، وفلان قائم بحق فلان أي: مجاز له، فالله تعالى مدبر ورازق ومجاز بالأعمال، ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾[5].

[١٩] ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ ﴾[6] يعني: الدين المرضي الصحيح، كما قال: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ﴾[7] ﴿ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾[8]، وقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[9]، وفتح الكسائي الألف من ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾[10] ردا على أن الأولى، تقديره: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين عند الله الإسلام، أو شهد الله

(١) سورة آل عمران آية : ١٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٨.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٨.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٩.
(٧) سورة المائدة آية : ٣.
(٨) سورة المائدة آية : ٣.
(٩) سورة آل عمران آية : ٨٥.
(١٠) سورة آل عمران آية : ١٩.

أن الدين عند الله الإسلام بأنه لا إله إلا هو، وكسر الباقون الألف على الابتداء، والإسلام: هو الدخول في السلم، وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم، أي: دخل في السلم، واستسلم، قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [(١)]، قال: شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى، وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه، فلا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به. قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [(٢)] قال الكلبي: نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام، أي: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ [(٣)]، يعني: بيان نعته في كتبهم، وقال الربيع بن أنس: إن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من أحبار بني إسرائيل فاستودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين، حتى أهرقوا بينهم الدماء، ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم، يعني بيان ما في التوراة، ﴿ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [(٤)]، أي: طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة، وقال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت في نصارى نجران ومعناها: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب، يعني: الإنجيل في أمر عيسى عليه السلام، وفرقوا القول فيه، إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الله واحد، وأن عيسى عبده ورسولـه، بغيا بينهـم أي: للمعاداة والمخالفة، ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٩ ﴾ [(٥)].

(١) سورة آل عمران آية : ١٩.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٩.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ ﴾ [1]، أي: خاصموك يا محمد في الدين، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا: ألسنا ما سميتنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب، والدين هو الإسلام ونحن عليه؟ فقال الله تعالى: ﴿ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ ﴾ [2]، أي: انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي، وإنما خص الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان، وفيه باؤه فإذا خضع وجهه للشيء فقد خضع له جميع جوارحه. وقال الفراء: معناه أخلصت عملي لله، ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ ﴾ [3]، أي: ومن اتبعني فأسلم كما أسلمت ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ﴾ [4]، يعني: العرب ﴿ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ ﴾ [5]، لفظه استفهام ومعناه أمر أي: وأسلموا، كما قال: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ ﴾ [6] أي: انتهوا، ﴿ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ ﴾ [7] فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال أهل الكتاب: أسلمنا، فقال لليهود: أتشهدون أن عزيرا عبده ورسوله؟ فقالوا: معاذ الله أن يكون عزير عليه السلام عبدا، وقال للنصارى: أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله؟ قالوا: معاذ الله أن يكون عيسى عبدا، فقال الله ﷻ ﴿ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ [8]، أي: تبليغ الرسالة، وليس عليك الهداية، ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠ ﴾ [9]، عالم بمن يؤمن وممن لا يؤمن.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢٠.
(٢) سورة آل عمران آية : ٢٠.
(٣) سورة آل عمران آية : ٢٠.
(٤) سورة آل عمران آية : ٢٠.
(٥) سورة آل عمران آية : ٢٠.
(٦) سورة المائدة آية : ٩١.
(٧) سورة آل عمران آية : ٢٠.
(٨) سورة آل عمران آية : ٢٠.
(٩) سورة آل عمران آية : ٢٠.

قوله تعالى إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق....

[٢١]، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)]، يجحدون بآيات الله، يعني: القرآن، وهم اليهود والنصارى، ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [(٢)] ﴿ عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ قال: قلت لرسول الله ﷺ أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم ﴾ [(٣)] ﴾، أخبرهم ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [(٤)]، وجيع.

[٢٢] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(٥)]، وبطلان العمل في الدنيا أن لا يقبل، وفي الآخرة أن لا يجازى عليه.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [(٦)]، يعني: اليهود، ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [(٧)]، اختلفوا في هذا الكتاب، فقال قتادة: هم اليهود دعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه، وقال الآخرون: هو التوراة، عن ابن عباس -

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢١.
(٢) سورة آل عمران آية : ٢١.
(٣) سورة آل عمران آية : ٢١.
(٤) سورة آل عمران آية : ٢١.
(٥) سورة آل عمران آية : ٢٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ٢٣.
(٧) سورة آل عمران آية : ٢٣.

رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال لنعيم والحارث: هلموا هلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

[٢٤] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم ﴾[2]، والغرور: هو الإطماع فيما لا يحصل منه شيء، ﴿ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3]، والافتراء: اختلاق الكذب.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ ﴾[4]، أي: فكيف حالهم أو كيف يصنعون إذا جمعناهم، ﴿ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾[5]، وهو يوم القيامة ﴿ وَوُفِّيَتْ ﴾[6]، وفرت ﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾[7]، أي: جزاء ما كسبت من خير أو شر ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[8]، أي: لا ينقص من حسناتم ولا يزاد على سيئاتم.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾[9] ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ ﴾[10] قيل: معناه يا الله، فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره، وقال قوم: للميم فيه معنى،

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ٢٤.
(٣) سورة آل عمران آية : ٢٤.
(٤) سورة آل عمران آية : ٢٥.
(٥) سورة آل عمران آية : ٢٥.
(٦) سورة آل عمران آية : ٢٥.
(٧) سورة آل عمران آية : ٢٥.
(٨) سورة آل عمران آية : ٢٥.
(٩) سورة آل عمران آية : ٢٦.
(١٠) سورة آل عمران آية : ٢٦.

ومعناها اللهم أمنا بخير، أي: أقصدنا، حذف منه حرف النداء، كقولهم: هلم إلينا، كان أصله هل أم إلينا، ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافا وربما خففوا أيضا فقالوا لا هم، قوله: ﴿ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ [1]، يعني: يا مالك الملك، أي: مالك العباد وما ملكوا، وقيل: يا ملك السماوات والأرض، ﴿ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [2]، قال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني ملك النبوة، وقال الكلبي: تؤتي الملك من تشاء محمدا وأصحابه، ﴿ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [3]، أبي جهل وصناديد قريش، وقيل: تؤتي الملك من تشاء: العرب، وتـ ع الملك ممن تشاء: فارس والروم، وقال السدي: تؤتي الملك من تشاء، أتى الله الأنبياء عليهم السلام الملك وأمر العباد بطاعتهم، وتـ ع الملك ممن تشاء، نزعه من الجبارين، وأمر العباد بخلافهم، وقيل: تؤتي الملك من تشاء: آدم وولده، وتـ ع الملك ممن تشاء: إبليس وجنوده، وقوله تعالى: ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [4]، قال عطاء: تعز من تشاء: المهاجرين والأنصار، وتذل من تشاء: فارس والروم، وقيل: تعز من تشاء: محمدا ﷺ وأصحابه، حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها، وتذل من تشاء أبا جهل وأصحابه، حتى جزت رؤوسهم وألقوا في القليب، وقيل: تعز من تشاء: بالإيمان والهداية. وتذل من تشاء: بالكفر والضلالة، وقيل: تعز من تشاء بالطاعة، وتذل من تشاء بالمعصية، وقيل تعز من تشاء بالنصر, وتذل من تشاء بالقهر، وقيل: تعز من تشاء بالغنى، وتذل من تشاء بالفقر، وقيل: تعز من تشاء بالقناعة والرضى، وتذل من تشاء بالحرص

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢٦.

(٢) سورة آل عمران آية : ٢٦.

(٣) سورة آل عمران آية : ٢٦.

(٤) سورة آل عمران آية : ٢٦.

والطمع، ﴿ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ ﴾[1]، أي: بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر أحدهما، ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾[2].

[٢٧] قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾[3]، أي تدخل الليل في النهار، حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة، والليل تسع ساعات، ﴿ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ ﴾[4]، حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة، والنهار تسع ساعات، فما نقص من أحدهما زاد في الآخر، ﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ ﴾[5]، قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة: معنى الآية يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة، ويخرج النطفة من الحيوان، وقال عكرمة والكلبي: تخرج الحي من الميت، أي: الفرخ من البيضة، وتخرج البيض من الطير، وقال الحسن وعطاء: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن، وقال الزجاج: يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي، ﴿ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾[6]، من غير تضييق ولا تقتير.

[٢٨] قوله ﷻ ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾[7]، قال ابن عباس رضي الله عنه كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة

(١) سورة آل عمران آية : ٢٦.
(٢) سورة آل عمران آية : ٢٦.
(٣) سورة آل عمران آية : ٢٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ٢٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ٢٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ٢٧.
(٧) سورة آل عمران آية : ٢٨.

لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكـم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال مقاتل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في المنافقين: عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم، قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ﴾[1]، أي: موالاة الكفار في نقل الأخبار إليهم وإظهارهم على عورة المسلمين، ﴿ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ ﴾[2]، أي ليس من دين الله في شيء، ثم استثنى فقال: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ ﴾[3]، يعني: إلا أن تخافوا منهم مخافة، ومعنى الآية: إن الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم، إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو يظهر الكفار على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾[4]، ثم هذا رخصـة، فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ [5] على موالاة الكفار وارتكاب المنهي ومخالفة المأمور، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ٢٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ٢٨.
(٤) سورة النحل آية : ١٠٦.
(٥) سورة آل عمران آية : ٢٨.
(٦) سورة آل عمران آية : ٢٨.

[٢٩] ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ ﴾[١]، قلوبكم من مودة الكفار، ﴿ أَوۡ تُبۡدُوهُ ﴾[٢] من موالاتم، قولا وفعلا، ﴿ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ ﴾[٣]، قال الكلبي: إن تسروا ما في قلوبكـم لرسول الله ﷺ من التكذيب، أو تظهروه بحربه وقتاله، يعلمه الله ويحفظه عليكم حتى يجازيكـم به، ثم قال: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾[٤]، يعني: إذا كان لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض؟ فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم إليهم بالقلب؟ ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩ ﴾[٥].

[٣٠] قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ ﴾[٦]، نصب ﴿ يَوۡمَ ﴾[٧] بـ ع حرف الصفة أي: في يوم، وقيل: بإضمار فعل أي اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس، ﴿ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا ﴾[٨] لم يبخس منه شيء كما قال الله تعالى: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ ﴾[٩] ﴿ وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ ﴾[١٠]، جعل بعضهم خيرا في موضع النصب، أي تجد محضرا ما عملت من الخير والشر، فتسر بما عملت من الخير، وجعل بعضهم خيرا مستأنفا، ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما: (وما عملت

(١) سورة آل عمران آية : ٢٩.
(٢) سورة آل عمران آية : ٢٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ٢٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ٢٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ٢٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ٣٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ٣٠.
(٨) سورة آل عمران آية : ٣٠.
(٩) سورة الكهف آية : ٤٩.
(١٠) سورة آل عمران آية : ٣٠.

من سوء ودت لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) قوله تعالى: ﴿ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا ﴾ [(١)]، أي: بين النفس ﴿ وَبَيْنَهُۥٓ ﴾ [(٢)]، يعني وبين السوء ﴿ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ ﴾ [(٣)] قال السدي: مكانا بعيدا، وقال مقاتل: كما بين المشرق والمغرب والأمد الأجل، والغاية التي ينتهي إليها، وقال الحسن: يسر أحدهم ألا يلقى عمله أبدا، وقيل: يود أنه لم يعمله ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ ﴾ [(٤)].

[٣١] ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(٥)] نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، حب المؤمنين لله اتباعهم أمره وإيثار طاعته، وابتغاء مرضاته، وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾ [(٦)]، قيل: لما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبي لأصحابه: إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى ابن مريم، ف ل قوله تعالى:

[٣٢] ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ [(٧)]: أعرضوا عن طاعتهما، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ﴾ [(٨)] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣٠.
(٢) سورة آل عمران آية : ٣٠.
(٣) سورة آل عمران آية : ٣٠.
(٤) سورة آل عمران آية : ٣٠.
(٥) سورة آل عمران آية : ٣١.
(٦) سورة آل عمران آية : ٣١.
(٧) سورة آل عمران آية : ٣٢.
(٨) سورة آل عمران آية : ٣٢.

﴿ كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى"، قالوا: ومن يأبى؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى ﴾ [1] [2] ".

قوله تعالى إن الله اصْطفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عمران عَلى العَالِمِينَ....

[٣٣] قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾ [3] الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني: إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام، وأنتم على غير دين الإسلام. اصطفى: اختار، افتعل من الصفوة، وهي الخالص من كل شيء، آدم أبا البشر ونوحا، ﴿ وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ ﴾ [4]، قيل: أراد بآل إبراهيم وآل عمران، إبراهيم عليـه السلام وعمران أنفسهما، كقوله تعالى: ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ [5]، يعني: موسى وهارون، وقال آخرون: آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وكان محمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام، وأما آل عمران فقد قال مقاتل: هو عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام، وآله: موسى وهارون، وقال الحسن ووهب: هو عمران بن أشهم بن عمون من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، وآله: مريم وعيسى، وقيل: عمران بن ماثان، وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل كلهم من نسلهم، ﴿ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾ [6].

---

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥١), أحمد (٣٦١/٢).

(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام ٢٤٩/١٣، والمصنف في شرح السنة ١٩٢/١.

(٣) سورة آل عمران آية : ٣٣.

(٤) سورة آل عمران آية : ٣٣.

(٥) سورة البقرة آية : ٢٤٨.

(٦) سورة آل عمران آية : ٣٣.

[٣٤] ﴿ ذُرِّيَّةً ﴾ [١]، اشتقاقها من ذرا بمعنى خلق، وقيل: من الذر لأنه استخرجهم من صلب آدم كالذر، ويسمى الأولاد والآباء ذرية، فالأولاد ذرية، لأنه ذراهم، والآباء ذرية لأنه ذرا الأبناء منهم، قال الله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [٢]، أي: آباءهم، ﴿ ذُرِّيَّةً ﴾ [٣] نصب على معنى: واصطفى ذرية ﴿ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ [٤]، أي: بعضها من ولد بعض، وقيل: بعضها من بعض في التناصر، وقيل: بعضها على دين بعض، ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [٥].

[٣٥] ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [٦]، وهي حنة بنت فاقوذا أم مريم، وعمران: هو عمران بن ماثان، وليس بعمران أبي موسى عليه السلام، لأن بينهما ألفا وثمانمائة سنة، وقيل كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة، وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألفا سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم، وقيل: عمران بن أشهم، قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [٧]، أي: جعلت لك الذي في بطني محررا نذرا مني لك، ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٨]، والنذر ما يوجبه الإنسان على نفسه محررا، أي: عتيقا خالصا لله مفرغا لعبادة الله ولخدمة الكنيسة، لا

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣٤.
(٢) سورة يس آية : ٤١.
(٣) سورة آل عمران آية : ٣٤.
(٤) سورة آل عمران آية : ٣٤.
(٥) سورة آل عمران آية : ٣٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ٣٥.
(٧) سورة آل عمران آية : ٣٥.
(٨) سورة آل عمران آية : ٣٥.

أشغله بشيء من الدنيا، وكل ما أخلص فهو محرر، يقال: حررت العبد إذا أعتقته وخلصته من الرق.

[٣٦] ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا ﴾ [١]، أي: ولدتا، إذا هي جارية، والهاء في قوله: ﴿ وَضَعَتۡهَا ﴾ [٢] راجعة إلى النذيرة لا إلى (ما) ولذلك أنث، ﴿ قَالَتۡ ﴾ [٣] حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما، ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ [٤] اعتذارا إلى الله ﷻ ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ﴾ [٥]، بجزم التاء إخبارا عن الله تعالى ﷻ ﴿ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ ﴾ [٦] في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها للينها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس, ﴿ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ ﴾ [٧]، وهي بلغتهم العابدة والخادمة، وكانت مريم من أجمل النساء في وقتها وأفضلهن، ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا ﴾ [٨] أمنعها وأجيرها، ﴿ بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ [٩]، أولادها ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ ﴾ [١٠]، والشيطان الطريد اللعين والرجيم المرمى بالشهب.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣٦.
(٢) سورة آل عمران آية : ٣٦.
(٣) سورة آل عمران آية : ٣٦.
(٤) سورة آل عمران آية : ٣٦.
(٥) سورة آل عمران آية : ٣٦.
(٦) سورة آل عمران آية : ٣٦.
(٧) سورة آل عمران آية : ٣٦.
(٨) سورة آل عمران آية : ٣٦.
(٩) سورة آل عمران آية : ٣٦.
(١٠) سورة آل عمران آية : ٣٦.

[٣٧] قوله: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾[(١)]، أي: قبل الله مريم من حنة، مكان المحرر، وتقبل بمعنى: قبل ورضي، والقبول: مصدر قبل يقبل قبولا، مثل الولوغ والوزوغ، ولم يأت غير هذه الثلاثة، وقيل معنى التقبل: التكفل في التربية والقيام بشأنها، ﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[(٢)]، معناه: وأنبتها فنبتت نباتا حسنا، ﴿ وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[(٣)]، قال أهل الأخبار: أخذت حنة مريم حين ولدتها، فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون، وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت أمامهم وصاحب قربانهم، فقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها، عندي خالتها وكان رأس الأحبار ونبيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[(٤)]، قرأ حمزة وعاصم والكسائي (وكفلها) بتشديد الفاء، فيكون زكريا في محل النصب أي: ضمنها الله وضمها إليه بالقرعة، وقرأ الآخرون بتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع، أي: ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها، وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم زكريا مقصورا، والآخرون يمدونه، فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها، وقال محمد بن إسحاق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء، بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلا بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم، ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾[(٥)]، وأراد بالمحراب الغرفة، والمحراب أشرف

(١) سورة آل عمران آية : ٣٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ٣٧.
(٣) سورة آل عمران آية : ٣٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ٣٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ٣٧.

المجالس ومقدمها، وكذلك هو من المسجد، ويقال للمسجد أيضا محراب، وقال المبرد: لا يكون المحراب إلا أن يُرتقى إليه بدرجة، وقال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل عليها فتحها، ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾[1]، أي: فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، ﴿ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ﴾[2]، قال أبو عبيدة معناه: من أين لك هذا، وأنكر بعضهم عليه وقال: معناه من أي جهة لك هذا لأن (أنى) للسؤال عن الجهة، (وأين) للسؤال عن المكان، ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[3]، أي: من قطف الجنة، وقال أبو الحسن: إن مريم من حين ولدت لم تلقم ثديهـا قط بل كان يأتيها رزقهـا من الجنة، فيقول لها زكريا أنى لك هذا؟ فتقول: ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[4]، تكلمت وهي صغيرة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧ ﴾[5]، قال أهل الأخبار: فلما رأى ذلك زكريا قال: إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدا في غير حينه على الكبر، فطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقرضوا، وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣٧.

(٢) سورة آل عمران آية : ٣٧.

(٣) سورة آل عمران آية : ٣٧.

(٤) سورة آل عمران آية : ٣٧.

(٥) سورة آل عمران آية : ٣٧.

[٣٨] قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ﴾[١]، أي: عند ذلك. ﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ﴾[٢]، فدخل المحراب وغلق الأبواب وناجى ربه ﴿ قَالَ رَبِّ ﴾[٣]، أي: يا رب، ﴿ هَبْ لِى ﴾[٤]، أعطني ﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾[٥]، أي: من عندك، ﴿ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾[٦]، أي: ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا، والذرية تكون واحدا أو جمعا ذكرا وأنثى، وهو هاهنا واحد بدليل قوله ﷻ ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ ﴾[٧]، وإنما قال: طيبة لتأنيث لفظ الذرية، ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨ ﴾[٨]، أي: سامعه، وقيل: مجيبه، كقوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥ ﴾[٩] أي: فأجيبوني.

[٣٩] ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[١٠] أراد بالملائكة هاهنا جبريل عليه السلام وحده، كقوله تعالى في سورة النحل. ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾[١١]، يعني جبريل بالروح والوحي، ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع، كقولهم. سمعت هذا الخبر من الناس وإنما

(١) سورة آل عمران آية : ٣٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ٣٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ٣٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ٣٨.
(٥) سورة آل عمران آية : ٣٨.
(٦) سورة آل عمران آية : ٣٨.
(٧) سورة مريم آية : ٥.
(٨) سورة آل عمران آية : ٣٨.
(٩) سورة يس آية : ٢٥.
(١٠) سورة آل عمران آية : ٣٩.
(١١) سورة النحل آية : ٢.

سمع من واحد، نظيره قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ [1]، يعني: نعيم بن مسعود، ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ [2]، يعني: أبا سفيان بن حرب، وقال المفضل بن سلمة: إذا كان القائل رئيسا يجوز الإخبار عنه بالجمع، لاجتماع أصحابه معه، وكان جبريل - عليه السلام - رئيس الملائكة، وقل ما يبعث إلا ومعه جمع، فجرى على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ ﴾ [3]، أي: في المسجد، وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان فيفتح باب المذبح، فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول، فبينما هو قائم يصلي في المحراب، يعني: في المسجد عند المذبح يصلي والناس ينتظرون أن يأذن لهم في الدخول، فإذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض تلمع ففزع منه، فناداه وهو جبريل عليه السلام: يا زكريا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ ﴾ [4] هو الاسم لا يجر لمعرفته، وللزائد في أوله، واختلفوا في أنه لم سمي يحيى، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن الله أحيا به عقر أمه، قال قتادة: لأن الله تعالى أحيا به قلبه بالإيمان، وقيل: سمي يحيى لأنه أستشهد، والشهداء أحياء، وقيل: معناه يموت، وقيل: لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية، ﴿ مُصَدِّقًۢا ﴾ [5] نصب على الحال، ﴿ بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [6] يعني: عيسى عليه السلام، سمي عيسى كلمة الله، لأن الله تعالى قال له كن من غير أب فكان، فوقع عليه اسم الكلمة، وقيل: سمي كلمة لأنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى، وقيل: هي بشارة الله تعالى لمريم بعيسى عليه السلام، بكلامه على لسان

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ٣٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ٣٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ٣٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ٣٩.

جبريل عليه السلام، وقيل: لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه أنه يخلق نبيا بلا أب، فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد، وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقه، وكان يحيى عليه السلام أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة، ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه السلام، وقال أبو عبيدة: بكلمة من الله، أي: بكتاب من الله وآياته، تقول العرب: أنشدني كلمة فلان، أي: قصيدته: قوله تعالى: ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ (١) هو فعيل من ساد يسود، وهو الرئيس الذي يتبع وينتهي إلى قوله، قال المفضل: أراد سيدا في الدين، قال الضحاك: السيد: الحسن الخلق، قال سعيد بن جبير: السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال سعيد بن المسيب: السيد الفقيه العالم، وقال قتادة: سيد في العلم والعبادة والورع، وقيل: الحليم الذي لا يغضبه شيء، قال مجاهد: الكريم على الله تعالى، وقيل: السيد التقي قاله الضحاك، قال سفيان الثوري: الذي لا يحسد، وقيل: الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير، وقيل: هو القانع بما قسم الله له، وقيل: هو السخي، قوله تعالى: ﴿ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢)، والحصور: أصله من الحسر وهو الحبس، والحصور في قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم، وعطاء والحسن الذي لا يأتي النساء ولا يقربن، وهو على هذا القول: فعول بمعنى فاعل، يعني: أنه يحصر نفسه عن الشهوات، وقال سعيد بن المسيب، هو العنين الذي لا ماء له فيكون الحصور بمعنى المحصور، يعني: الممنوع من النساء، قال سعيد بن المسيب: كان له مثل هدبة الثوب، وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره، وفيه قول آخر: أن الحصور الممتنع من الوطء مع القدرة عليه، واختار قوم هذا القول لوجهين أحدهما لأن الكلام خرج مخرج الثناء، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء، والثاني أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣٩.

(٢) سورة آل عمران آية : ٣٩.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ﴾ [١]، أي: يا سيدي، قال لجبريل عليه السلام، هذا قول الكلبي وجماعة، وقيل: قاله لله ﷻ ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ ﴾ [٢]، يعني: أين يكون، ﴿ لِي غُلَٰمٌ ﴾ [٣]، أي: أين ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ [٤]، هذا من المقلوب، أي: وقد بلغت الكبر وشخت، كما تقول: بلغني الجهد، أي: أنا في الجهد، وقيل معناه وقد نالني الكبر وأدركني وأضعفني، قال الكلبي: كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة، وقيل: ابن تسع وتسعين سنة، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ [٥]، أي: عقيم لا تلد، ويقال: رجل عاقر وامرأة عاقر، وقد عقر بضم القاف يعقر عقرا وعقارة، ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [٦].

[٤١] قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ [٧]، أي: علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكرا لك، ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ﴾ [٨]، أي: تكف عن الكلام، ﴿ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ [٩]، وتقبل بكليتك على عبادتي لا أنه يحبس لسانه عن الكلام، ولكنه نهي عن الكلام، وهو صحيح سوي كما قال في سورة مريم ﴿ أَلَّا

(١) سورة آل عمران آية : ٤٠.
(٢) سورة آل عمران آية : ٤٠.
(٣) سورة آل عمران آية : ٤٠.
(٤) سورة آل عمران آية : ٤٠.
(٥) سورة آل عمران آية : ٤٠.
(٦) سورة آل عمران آية : ٤٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ٤١.
(٨) سورة آل عمران آية : ٤١.
(٩) سورة آل عمران آية : ٤١.

﴿ تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [1] يدل على قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [2]، فأمره بالذكر ونهاه عن كلام الناس، وقال أكثر المفسرين: عقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام، وقال قتادة: أمسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية، بعد مشافهة الملائكة إياه، فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام. وقوله: ﴿ إِلَّا رَمْزًا ۗ ﴾ [3] أي: إشارة والإشارة قد تكون باللسان وبالعين واليد، وكانت إشارته بالأصبع المسبحة، قال الفراء: قد يكون الرمز باللسان من غير أن يبين، وهو الصوت الخفي شبه الهمس، وقال عطاء: أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا، ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [4] قيل: المراد بالتسبيح: الصلاة والعشي ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس، ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي، والإبكار ما بين صلاة الفجر إلى الضحى.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [5]، يعني: جبريل، ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ [6]، اختارك ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ [7]، قيل: من مسيس الرجال، وقيل: من الحيض والنفاس، قال السدي: كانت مريم لا تحيض، وقيل: من الذنوب، ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [8]، قيل: على عالمي زمانها، وقيل: على جميع نساء العالمين

(١) سورة مريم آية : ١٠.
(٢) سورة آل عمران آية : ٤١.
(٣) سورة آل عمران آية : ٤١.
(٤) سورة آل عمران آية : ٤١.
(٥) سورة آل عمران آية : ٤٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ٤٢.
(٧) سورة آل عمران آية : ٤٢.
(٨) سورة آل عمران آية : ٤٢.

في أنا ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء وقيل: بالتحرير في المسجد ولم تحرر أنثى.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ (١)، قالت لها الملائكة شفاها أي: أطيعي ربك وقال مجاهد: أطيلي القيام في الصلاة لربك، والقنوت: الطاعة، وقيل: القنوت طول القيام، قال الأوزاعي: لما قالت لها الملائكة ذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى ﴾ (٢)، قيل: إنما قدم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم، وقيل: بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها، وليس الواو للترتيب بل للجمع، ﴿ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٣)، ولم يقل مع الراكعات ليكون أعم وأشمل، فإنه يدخل فيه الرجال والنساء، وقيل: معناه مع المصلين في الجماعة.

[٤٤] قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ ﴾ (٤)، يقول لمحمد ﷺ ذلك الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى، على نبينا وعليهم السلام، من أنباء الغيب، أي: من أخبار الغيب نوحيه إليك رد الكناية إلى ذلك فلذلك ذكره، ﴿ وَمَا كُنتَ ﴾ (٥)، يا محمد، ﴿ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ ﴾ (٦) سهامهم في الماء للاقتراع

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ٤٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ٤٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ٤٤.
(٥) سورة آل عمران آية : ٤٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ٤٤.

﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [1]، يحضنها ويربيها، ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [2]، في كفالتها.

قوله تعالى إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ....

[٤٥] قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [3]، إنما قال اسمه، ورد الكناية إلى عيسى، واختلفوا في أنه لم سمي مسيحا، فمنهم من قال: هو فعيل بمعنى المفعول، يعني: أنه مسح من الأقذار وطهر من الذنوب، وقيل: إنه مسح بالبركة، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن، وقيل: مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل، وقيل: لأنه كان مسيح القدم لا أخمص له، وسمي الدجال مسيحا لأنه كان ممسوح إحدى العينين، وقال بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل، مثل عليم وعالم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سمي عيسى - عليه السلام - مسيحا لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برأ، وقيل: سمي بذلك لأنه كان يسيح في الأرض ولا يقيم في مكان، وقال إبراهيم النخعي: المسيح الصديق، ويكون المسيح بمعنى: الكذاب، وبه سمي الدجال. والحرف من الأضداد، ﴿ وَجِيهًا ﴾ [4]، أي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر، ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [5]، عند الله.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٤.
(٢) سورة آل عمران آية : ٤٤.
(٣) سورة آل عمران آية : ٤٥.
(٤) سورة آل عمران آية : ٤٥.
(٥) سورة آل عمران آية : ٤٥.

[٤٦] ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ (١) صغيرا قبل أوان الكلام، ﴿ وَكَهْلًا ﴾ (٢)، قال مقاتل: يعني إذا اجتمعت قوته قبل أن يرفع إلى السماء، وقال الحسين بن الفضل: وكهلا بعد نزوله من السماء، وقيل: أخبرها أنه يبقى حتى يكتهل، وكلامه بعد الكهولة إخبار عن الأشياء المعجزة، وقيل: وكهلا نبيا بشرها بنبوة عيسى عليه السلام، وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة، وقال مجاهد: وكهلا أي: حليما، والعرب تمدح الكهولة، لأنا الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة، ﴿ وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٤٦ ﴾ (٣)، أي: هو من العباد الصالحين.

[٤٧] ﴿ قَالَتْ رَبِّ ﴾ (٤) يا سيدي، تقوله لجبريل، وقيل: تقول لله ﷻ ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾ (٥) ولم يصبني رجل، قالت ذلك تعجبا إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لا أب له، ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴾ (٦)، أراد كون الشيء، ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٧ ﴾ (٧)، كما يريد.

[٤٨] ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ (٨)، أي: الكتابة والخط، ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (٩)، العلم والفقه ﴿ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٤٨ ﴾ (١) علمه الله التوراة والإنجيل.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٦.

(٢) سورة آل عمران آية : ٤٦.

(٣) سورة آل عمران آية : ٤٦.

(٤) سورة آل عمران آية : ٤٧.

(٥) سورة آل عمران آية : ٤٧.

(٦) سورة آل عمران آية : ٤٧.

(٧) سورة آل عمران آية : ٤٧.

(٨) سورة آل عمران آية : ٤٨.

(٩) سورة آل عمران آية : ٤٨.

[٤٩] ﴿ وَرَسُولاً ﴾[٢]، أي: ونجعله رسولا ﴿ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[٣]، قيل: كان رسولا في حال الصبا، وقيل: إنما كان رسولا بعد البلوغ، وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام، فلما بعث قال: ﴿ أَنِّي ﴾[٤]، قال الكسائي إنما فتح لأنه أوقع الرسالة عليه، وقيل: معناه بأني ﴿ قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٍ ﴾[٥]، علامة، ﴿ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[٦]، تصدق قولي، وإنما قال بآية وقد أتى بآيات لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة، فلما قال ذلك عيسى عليه السلام لبني إسرائيل قالوا: وما هي قال: ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ ﴾[٧]، أي: أصور وأقدر، ﴿ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ ﴾[٨]، قرأ أبو جعفر (كهيئة الطائر)، هاهنا وفي المائدة، والهيئة الصورة المهيأة من قولهم: هيأت الشيء إذا قدرته وأصلحته، ﴿ فَأَنفُخُ فِيهِ ﴾[٩]، أي: في الطير ﴿ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[١٠]، قراءة الأكثرين بالجمع، لأنه خلق طيرا كثيرا، وقرأ أهل المدينة ويعقوب (فيكون طائرا) على الواحد هاهنا وفي سورة المائدة، ذهبوا إلى نوع واحد من الطير، لأنه لم يخلق غير الخفاش، وإنما خص الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا؛ لأن

(١) سورة آل عمران آية : ٤٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٨) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٩) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(١٠) سورة آل عمران آية : ٤٩.

له ثديا وأسنانا، وهي تحيض، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق، وليعلم أن الكمال لله ﷻ قوله تعالى: ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ [1]، أي: أشفيهما وأصححهما، واختلفوا في الأكمه، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وقتادة: هو الذي ولد أعمى، وقال الحسن والسدي: هو الأعمى، وقال عكرمة: هو الأعمش، وقال مجاهد: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، والأبرص هو الذي به وضح، وإنما خص هذين لأنهما داءان عياءان، وكان الغالب في زمن عيسى - عليه السلام - الطب، فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [2]، قال ابن عباس: قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح، فأما عازر فكان صديقا له فأرسلت أخته إلى عيسى - عليه السلام - أن أخاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه وقد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره، فدعا الله تعالى فقام عازر ودكه يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مُرّ به ميتا على عيسى - عليه السلام - على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره، ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له، وأما ابنة العاشر فكان والدها رجلا يأخذ العشور، ماتت له بنت بالأمس، فدعا الله ﷻ فأحياها، وبقيت وولدت، وأما سام بن نوح عليه السلام فإن عيسى - عليه السلام - جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره، وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة، ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان، فقال قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مت، قال: بشرط

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٩.

(٢) سورة آل عمران آية : ٤٩.

أن يعيذني الله من سكرات الموت، فدعا الله ففعل. قوله تعالى: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم ﴾[(١)]، أخبركم ﴿ بِمَا تَأْكُلُونَ ﴾[(٢)]، مما لم أعاينه، ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾[(٣)]، ترفعونه، ﴿ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾[(٤)]، حتى تأكلوه، وقيل: كان يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم وبما ادخره للعشاء. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾[(٥)]، الذي ذكرت، ﴿ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[(٦)].

[٥٠] ﴿ وَمُصَدِّقًا ﴾[(٧)] عطف على قوله ﴿ وَرَسُولًا ﴾[(٨)] ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[(٩)]، من اللحوم والشحوم، وقال أبو عبيدة: أراد بالبعض الكل، يعني: كل الذي حرم عليكم، وقد ذكر البعض ويراد به الكل، قوله تعالى: ﴿ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[(١٠)]، يعني: ما ذكر من الآيات، وإنما وحدها لأنها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾[(١١)].

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٢) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ٥٠.
(٨) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٩) سورة آل عمران آية : ٥٠.
(١٠) سورة آل عمران آية : ٥٠.
(١١) سورة آل عمران آية : ٥٠.

[٥١] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[١].

(١) سورة آل عمران آية : ٥١.

[٥٢] ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ ﴾ [١]، أي: وجد، قاله الفراء، وقال أبو عبيدة: عرف، وقال مقاتل: رأى، ﴿ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ [٢]، وأرادوا قتله استنصر عليهم، ﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [٣]، قال السدي وابن جريج: مع الله تعالى، تقـول العرب: الذود إلى الذود إبل، أي: مع الذود، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ [٤]، أي: مع أموالكم، وقال الحسن وأبو عبيدة (إلى) بمعنى في، أي: من أعواني في الله، أي: في ذات الله، وسبيله، وقيل: (إلى) في موضعها معناه: من يضم نصرته إلى نصرة الله لي، واختلفوا في الحواريين، قال مجاهد والسدي: كانوا صيادين يصطادون السمك، سموا حواريين لبياض ثيابهم، وقيل: كانوا ملاحين، وقال الحسن: كانوا قصارين، سموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي: يبيضونها، وقال الضحاك: سموا حواريين لصفاء قلوبهم، وقال ابن المبارك: سموا به لما عليهم من أثر العبادة ونورها، وأصل الحور عند العرب: شدة البياض، يقال: رجل أحور وامرأة حوراء أي: شديدة بياض العين، وقال الكلبي وعكرمة: الحواريون هم الأصفياء، وهم كانوا أصفياء عيسى عليه السلام، وكانوا اثني عشر رجلا، قال روح بن أبي القاسم: سألت قتادة عن الحواريين، قال: هم الذين تصلح لهم الخلافة، وعنه أيضا أنه قال: الحواريون هم الوزراء، وقال الحسن: الحواريون الأنصار، والحواري الناصر، والحواري في كلام العرب خاصة: الرجل الذي يستعين به فيما ينويه ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ

---

(١) سورة آل عمران آية : ٥٢.

(٢) سورة آل عمران آية : ٥٢.

(٣) سورة آل عمران آية : ٥٢.

(٤) سورة النساء آية : ٢.

﴿ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[1]، أعوان دين الله ورسوله ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ ﴾[2]، يا عيسى، ﴿ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[3].

[٥٣] ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ ﴾[4]، من كتابك، ﴿ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ﴾[5]، عـيسـى، ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[6]، الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق، وقال عطاء مع النبيين لأن كل نبي شاهد أمته، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مع محمد ﷺ وأمته، لأنم يشهدون للرسل بالبلاغ.

[٥٤] قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ ﴾[7]، يعني: كفار بني إسرائيل الذي أحس عيسى منهم الكفر، دبروا في قتل عيسى عليه السلام، بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد إليهم مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطئوا على الفتك به فذلك مكرهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[8]، فالمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة، والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم، كما قال: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[9]، ومكر الله تعالى بم في هذه الآية هو إلقاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام، حتى قتل.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٥٢.
(٢) سورة آل عمران آية : ٥٢.
(٣) سورة آل عمران آية : ٥٢.
(٤) سورة آل عمران آية : ٥٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ٥٣.
(٦) سورة آل عمران آية : ٥٣.
(٧) سورة آل عمران آية : ٥٤.
(٨) سورة آل عمران آية : ٥٤.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٨٢.

قوله تعالى: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا....

[55] ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ (1)، اختلفوا في بعض التوفي هاهنا، قال الحسن والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك في الدنيا إلي من غير موت، يدل عليه قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى ﴾ (2) أي: قبضتني إلى السماء وأنا حي, لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته، فعلى هذا للتوفي تأويلان أحدهما: إني رافعك إلي وافيا لم ينالوا منك شيئا، من قولهم: توفيت من كذا وكذا وأستوفيه إذا أخذته تاما، والآخر: إني متسلمك، من قولهم توفيت منه كذا، أي: تسلمته، وقال الربيع بن أنس: المراد بالتوفي النوم، وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما إلى السماء، معناه إني منيمك ورافعك إلي، كما قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ (3) أي: ينيمكم بالليل، وقال بعضهم: المراد بالتوفي الموت، وروى علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه: إني مميتك يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (4)، فعلى هذا له تأويلان أحدهما ما قاله وهب: توفى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه الله إليه، وقال محمد بن إسحاق: إن النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفعه إليه، والآخر: ما قاله الضحاك وجماعة: إن في هذه الآية تقديمًا وتأخيرًا معناه: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء. قوله تعالى: ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (5) أي: مخرجك من

---

(1) سورة آل عمران آية : 55.

(2) سورة المائدة آية : 117.

(3) سورة الأنعام آية : 60.

(4) سورة السجدة آية : 11.

(5) سورة آل عمران آية : 55.

بينهم ومنجيك منهم ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ﴾[1]، قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي: هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد ﷺ فهم فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة، وقال الضحاك: يعني الحواريين فوق الذين كفروا، وقيل: هم أهل الروم، وقيل: أراد بهم النصارى، أي: فهم فوق اليهود إلى يوم القيامة، فإن اليهود قد ذهب ملكهم، وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة، فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة، لا اتباع الدين، ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾[2]، في الآخرة، ﴿ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[3]، من الدين وأمر عيسى.

[٥٦] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾[4]، بالقتل والسبي والجزية والذلة، ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[5] أي: وفي الآخرة بالنار، ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[6].

[٥٧] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ ﴾[7] أي: يوفيهم أجور أعمالهم، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[8]، أي: لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٥٥.
(٢) سورة آل عمران آية : ٥٥.
(٣) سورة آل عمران آية : ٥٥.
(٤) سورة آل عمران آية : ٥٦.
(٥) سورة آل عمران آية : ٥٦.
(٦) سورة آل عمران آية : ٥٦.
(٧) سورة آل عمران آية : ٥٧.
(٨) سورة آل عمران آية : ٥٧.

[٥٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [١] أي: هذا الذي ذكرته لك من الخبر عن عيسى ومريـم والحواريين ﴿ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ [٢]، يعني: نخبرك به بتلاوة جبريل عليك، ﴿ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨ ﴾ [٣]، يعني القرآن والذكر ذي الحكمة، وقال مقاتل: الذكر الحكيم، أي: المحكم الممنوع من الباطل، وقيل: الذكر الحكيم: هو اللوح المحفوظ، وهو معلق بالعرش من درة بيضاء، وقيل: من الآيات أي من العلامات الدالة على نبوتك لأنا أخبار لا يعلمها إلا قارئ كتاب الله أو من يوحى إليه وأنت أمي لا تقرأ.

[٥٩] ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ [٤] الآية نزلت في وفد نجران، وذلك أنم قالوا لرسول الله ﷺ ما لك تشتم صاحبنا، قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد الله، قال: " أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول "، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانًا قط من غير أب، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [٥] في كونه خلقه من غير أب ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ [٦] لأنه خلق من غير أب وأم، ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ ﴾ [٧]، يعني: لعيسى عليه السلام، ﴿ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ﴾ [٨]، يعني: فكان، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ

---

(١) سورة آل عمران آية : ٥٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ٥٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ٥٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ٥٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ٥٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ٥٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ٥٩.
(٨) سورة آل عمران آية : ٥٩.

﴿ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] خلقًا، ولا تكوين بعد الخلق، قيل: معناه خلقه ثم أخبركم أني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة، وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهمًا ثم أعطيتك أمس درهمًا أي: ثم أخبرك أني أعطيتك أمس درهمًا، وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس، لأن القياس هو رد فرع إلى أصل بنوع شبه، وقد رد الله تعالى خلق عيسى إلى آدم عليهم السلام بنوع شبه.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [2] أي: هو الحق، وقيل: جاءك الحق من ربك، ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [3] أي: الشاكين، الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته.

[٦١] قوله ﷻ ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ [4] أي: جادلك في أمر عيسى وفي الحق، ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [5] بأن عيسـى عبد الله ورسوله، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ ﴾ [6]، أصله تعاليوا تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، قال الفراء: بمعنى تعال كأنه يقول ارتفع، ﴿ نَدْعُ ﴾ [7] جزم لجواب الأمر، وعلامة الجزم سقوط الواو، ﴿ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ [8]، قيل: أبناءنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة وأنفسنا عنى نفسه وعليا رضي الله عنه والعرب تسمي ابن

(١) سورة آل عمران آية : ٥٩.
(٢) سورة آل عمران آية : ٦٠.
(٣) سورة آل عمران آية : ٦٠.
(٤) سورة آل عمران آية : ٦١.
(٥) سورة آل عمران آية : ٦١.
(٦) سورة آل عمران آية : ٦١.
(٧) سورة آل عمران آية : ٦١.
(٨) سورة آل عمران آية : ٦١.

عم الرجل نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [(١)] يريد إخوانكم، وقيل: هو على العموم لجماعة أهل الدين، ﴿ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ ﴾ [(٢)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي نتضرع في الدعاء، وقال الكلبي: نجتهد ونبالغ في الدعاء، وقال الكسائي وأبو عبيدة: نَبْتهلْ، والابتهال الالتعان، يقال عليه بلة الله، أي: لعنته ﴿ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٦١ ﴾ [(٣)]، منا ومنكم في أمر عيسى.

[٦٢] قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ [(٤)] النبأ الحق، ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [(٥)] و(مِنْ) صلة تقديره: وما إله إلا الله، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦٢ ﴾ [(٦)].

[٦٣] ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ [(٧)]، أعرضوا عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٦٣ ﴾ [(٨)]، الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غير الله.

قوله تعالى قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ....

[٦٤] ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ ﴾ [(٩)] والعرب تسمي كل قصة لها شرح (كلمة) ومنه سميت القصيدة (كلمة) ﴿ سَوَآءِۭ ﴾ [(١)] عدل ﴿ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ [(٢)] مستوية

(١) سورة الحجرات آية : ١١.
(٢) سورة آل عمران آية : ٦١.
(٣) سورة آل عمران آية : ٦١.
(٤) سورة آل عمران آية : ٦٢.
(٥) سورة آل عمران آية : ٦٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ٦٢.
(٧) سورة آل عمران آية : ٦٣.
(٨) سورة آل عمران آية : ٦٣.
(٩) سورة آل عمران آية : ٦٤.

مستوية أي أمر مستو، يقال دعا فلان إلى السواء، أي إلى النصفة، وسواء كل شيء وسطه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥ ﴾ [٣] وإنما قيل: للنصفة سواء؛ لأن أعدل الأمور أفضلها وأوسطها، سواء نعت لكلمة إلا أنه مصدر، والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فإذا فتحت السين مددت، وإذا كسرت أو ضمت قصرت، كقوله تعالى: ﴿ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨ ﴾ [٤]، ثم فسر الكلمة فقال. ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [٥] ومحل (أن) رفع على إضمار (هي)، وقال الزجاج: رفع بالابتداء، وقيل: محله نصب بـ ع حرف الصلة، معناه بأن لا نعبد إلا الله، وقيل: محله خفض بدلًا من الكلمة؛ أي: تعالوا إلى كلمة أن لا نعبد إلا الله، ﴿ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [٦] كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [٧]، وقال عكرمة: هو سجود بعضهم لبعض أي لا نسجد لغير الله وقيل: معناه لا نطيع أحدا في معصية الله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ ﴾ [٨] أي فقولوا أنتم يا أمة محمد ﷺ لهم: اشهدوا ﴿ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤ ﴾ [٩] مخلصون بالتوحيد.

(١) سورة آل عمران آية : ٦٤.
(٢) سورة آل عمران آية : ٦٤.
(٣) سورة الصافات آية : ٥٥.
(٤) سورة طه آية : ٥٨.
(٥) سورة آل عمران آية : ٦٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ٦٤.
(٧) سورة التوبة آية : ٣١.
(٨) سورة آل عمران آية : ٦٤.
(٩) سورة آل عمران آية : ٦٤.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [١] تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما دينكم اليهودية والنصرانية وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ [٢]، أي: بعد إبراهيم بزمان طويل وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفا سنة ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٥ ﴾ [٣] بطلان قولكم.

[٦٦] قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ ﴾ [٤] أصله أولاء دخلت عليه هاء التنبيه، وهو موضع النداء يعني: يا هؤلاء أنتم، ﴿ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ ﴾ [٥]، يعني في أمر موسى وعيسى، وادعيتم أنكم على دينهما، وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وليس في كتابكم أنه كان يهوديا أو نصرانيا، وقيل: حاججتم فيما لكم به علم يعني: في أمر محمد ﷺ لأنهم وجدوا نعته في كتابهم، فجادلوا فيه بالباطل، فلم تحاجون في إبراهيم، وليس في كتابكم ولا علم لكم به، ﴿ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٦ ﴾ [٦]، ثم برأ الله تعالى إبراهيم عما قالوا، فقال:

---

(١) سورة آل عمران آية : ٦٥.
(٢) سورة آل عمران آية : ٦٥.
(٣) سورة آل عمران آية : ٦٥.
(٤) سورة آل عمران آية : ٦٦.
(٥) سورة آل عمران آية : ٦٦.
(٦) سورة آل عمران آية : ٦٦.

[٦٧] ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(١)]، والحنيف المائل عن الأديان إلى الدين المستقيم، وقيل: الحنيف الذي يوحد ويحج ويضحي ويختتن ويستقبل الكعبة وهو أسهل الأديان وأحبها إلى الله عز وجل.

[٦٨] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ [(٢)] أي من اتبعه في زمانه وملته بعده ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [(٣)] يعني محمدًا ﷺ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [(٤)] يعني: من هذه الأمة ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [(٥)].

[٦٩] قوله ﷻ ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [(٦)]، نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمـار بن يا سر حين دعاهم اليهود إلى دينهم، ف لت ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ ﴾ [(٧)] أي: تمنت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود، ﴿ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ [(٨)] يستزيلونكم عن دينكم ويردونكم إلى الكفر، ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [(٩)].

(١) سورة آل عمران آية : ٦٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ٦٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ٦٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ٦٨.
(٥) سورة آل عمران آية : ٦٨.
(٦) سورة آل عمران آية : ٦٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ٦٩.
(٨) سورة آل عمران آية : ٦٩.
(٩) سورة آل عمران آية : ٦٩.

[٧٠] ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] يعني: القرآن وبيان نعت محمد ﷺ ﴿ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ۝٧٠ ﴾ [(٢)] أن نعته في التوراة والإنجيل مذكور.

[٧١] ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ [(٣)] تخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية، وقيل: لم تخلطون الإيمان بعيسى عليه السلام وهو الحق، بالكفر بمحمد ﷺ وهو الباطل. وقيل: لِمَ تخلطون التوراة التي أنزلت على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بأيديكم، ﴿ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٧١ ﴾ [(٤)] أن محمدًا ﷺ ودينه حق.

قوله تعالى وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالذِي أُنزِلَ عَلَى الذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَهَارِ....

[٧٢] ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [(٥)] أوله، سمي وجهًا لأنه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فيراه، ﴿ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٧٢ ﴾ [(٦)]، فيشكون ويرجعون عن دينهم.

[٧٣] ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾ [(٧)] هذا متصل بالأول من قول اليهود بعضهم لبعض، وَلَا تُؤْمِنُوا أي: ولا تصدقوا إِلَا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ، أي: وافق ملتكم، واللام

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٠.
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٠.
(٣) سورة آل عمران آية : ٧١.
(٤) سورة آل عمران آية : ٧١.
(٥) سورة آل عمران آية : ٧٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ٧٢.
(٧) سورة آل عمران آية : ٧٣.

في (من) صلة أي: لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكـم اليهودية، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم ﴾ [(١)] أي: ردفكم. ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [(٢)]، هذا خبر من الله تعالى أن البيان بيانه، ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال: هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الأول إخبار عن قول اليهود لبعض، ومعناه: وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ وَلَا تُؤْمِنُوا ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [(٣)] من العلم والكتاب والحكمة والآيات من المن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الكرامات، وَلَا تُؤْمِنُوا أن يحاجوكـم عند ربكم لأنكم أصح دينًا منهم، وهذا معنى قول مجاهد، وقيل: إن اليهود قالت لسفلتهم، وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ، أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ من العلم، أي لئلا يؤتى أحد، و(لا) فيه مضمرة، كقوله تعالى: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾ [(٤)] أي: لئلا تضلوا، يقولون: لا تصدقوهم لئلا يعلمون مثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم في العلم، أو لئلا يحاجوكم عند ربكم فيقولوا عرفتم أن ديننا حق، وهذا معنى قول ابن جريج، وقرأ الحسن والأعمش (إن يؤتى) بكسر الألف، فيكون قول اليهود تاما عند قوله: إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ، وما بعده من قول الله تعالى، يقول: قل يا محمد (إن الْهُدَى هُدَى اللهِ) أن يؤتى (أن) بمعنى: الجحد، أي: ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد ﷺ ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ [(٥)] يعني: إلا أن يجادلكم اليهود بالباطل فيقولوا: نحن أفضل منكم، فقوله ﷻ (عند ربكم)، أي: عند فعل ربكم بكم، وهذا معنى قول سعيد بن جبير والحسن والكلبي ومقاتل، وقال الفراء ويجوز أن يكون (أو) بمعنى حتى كما يقال:

---

(١) سورة النمل آية : ٧٢.

(٢) سورة آل عمران آية : ٧٣.

(٣) سورة آل عمران آية : ٧٣.

(٤) سورة النساء آية : ١٧٦.

(٥) سورة آل عمران آية : ٧٣.

تعلق به أو يعطيك حقك، ومعنى الآية: ما أعطي أحد مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكـم! وقرأ ابن كثير (آن يؤتى) بالمد على الاستفهام، وحينئذ يكون فيه اختصار تقديره: أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به، هذا قول قتادة والربيع، قالا: هذا من قول الله تعالى، يقول: قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله بأن أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا حسدتموه وكفرتم به، ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]، قوله: (أَوْ يُحَاجوكُمْ) على هذه القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين، وتكون (أو) بمعنى (أن) لأنما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر، أي: وإن يحاجوكـم يا معشر المؤمنين عند ربكم، فقل يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه، ويجوز أن يكون الجميع خطابا للمؤمنين، ويكون نظم الآية: أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين حسدوكم، فقل: إن الفضل بيد الله، وإن حاجوكم، فقل: (إِن الْهُدَى هُدَى اللهِ) ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[2] وقوله تعالى: (وَلَا تُؤْمِنُوا) من كلام الله يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم، ويقول: لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا لمن اتبع دينكم، ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والدين والفضل، ولا تصدقوا أن يحاجوكـم في دينكـم عند ربكم أي: يقدروا على ذلك، فإن الهدى هدى الله، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم، فتكون الآية كلها خطاب الله للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا.

[٧٤] قوله: ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ ﴾[3] أي: بنبوته ﴿ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران آية : ٧٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٢.
(٣) سورة آل عمران آية : ٧٤.

[٧٥] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ [٢] الآية، نزلت في اليهود أخبر الله تعالى أن فيهم أمانة وخيانة، والقنطار عبارة عن المال الكثير، والدينار عبارة عن المال القليل، يقول: منهم من يؤدي الأمانة وإن كثرت، ومنهم من لا يؤديها وإن قلت، قال مقاتل: وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِهِ إِلَيْكَ هم مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وأصحابه، ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ [٣] يعني: كفار اليهود، ككعب بن الأشرف وأصحابه، وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﷻ (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِهِ إِلَيْكَ) يعني: عبد الله بن سلام، أودعه رجل ألفًا ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه، (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِهِ إِلَيْكَ) يعني: فنحاص بن عازوراء، استودعه رجل من قريش دينارًا فخانه، ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [٤]، قال ابن عباس ملحا، يريد يقوم عليه يطالبه بالإلحاح، وقال الضحاك: مواظبًا أي تواظب عليه بالاقتضاء، وقيل: أراد أودعته ثم استرجعته وأنت قائم على رأسه ولم تفارقه رده إليك، فإن فارقته وأخرته أنكره ولم يؤده، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [٥] أي: ذلك الاستحلال والخيانة، ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ ﴾ [٦] أي: في مال العرب إثم وحرج، كقوله تعالى: ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [٧]، وذلك بأن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا، لأنهم ليسوا على ديننا ولا

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٤.
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٥.
(٣) سورة آل عمران آية : ٧٥.
(٤) سورة آل عمران آية : ٧٥.
(٥) سورة آل عمران آية : ٧٥.
(٦) سورة آل عمران آية : ٧٥.
(٧) سورة التوبة آية : ٩١.

حرمة لهم في كتابنا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم، وقال الكلبي: قالت اليهود إن الأموال كلها كانت لنا فيما في يد العرب منها فهو لنا، وإنما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في أخذنا إياه منهم، وقال الحسن وابن جريج ومقاتل: بايع اليهود رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهـم بقية أموالهم فقالوا: ليس لكم علينا حق، ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم، وادعوا أنم وجدوا ذلك في كتبهم، فكذبم الله ﷻ وقال عز من قائل: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]، ثم قال ردا عليهم:

[٧٦] ﴿ بَلَىٰ ﴾[2] أي: ليس كما قالوا بل عليهم سبيل، ثم ابتدأ فقال: ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ ﴾[3] أي: ولكن من أوفى ﴿ بِعَهْدِهِۦ ﴾[4] أي: بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن وأداء الأمانة، وقيل: الهاء في عهده راجعة إلى الموفي ﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾[5] الكفر والخيانة ونقض العهد، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[6].

[٧٧] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾[7] قال عكرمة: نزلت في رؤوس اليهود كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد ﷺ وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا يفوتم المآكل والرشا التي كانت لهم من أتباعهم. (إن الذِينَ يَشْتَرُونَ) أي: يستبدلون بعهد الله، وأراد الأمانة، وَأَيمَانِهِمْ

(١) سورة آل عمران آية : ٧٥.
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٦.
(٣) سورة آل عمران آية : ٧٦.
(٤) سورة آل عمران آية : ٧٦.
(٥) سورة آل عمران آية : ٧٦.
(٦) سورة آل عمران آية : ٧٦.
(٧) سورة آل عمران آية : ٧٧.

الكاذبة ثمنًا قليلا أي: شيئا قليلا من حطام الدنيا، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمۡ ﴾ [1]، لا نصيب لهم ﴿ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [2]، ونعيمها ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [3] كلامًا ينفعهم ويسرهم، وقيل: هو بمعنى الغضب، كما يقول الرجل: إني لا أكلم فلانا إذا كان غضب عليه، ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ ﴾ [4]، أي: لا يرحمهم ولا يحسن إليهم ولا ينيلهم خيرًا، ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ ﴾ [5]، أي: لا يثني عليهم بالجميل ولا يطهرهم من الذنوب، ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾ [6].

[٧٨] قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا ﴾ [7] يعني: من أهل الكتاب لَفَرِيقًا أي: طائفة، وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو يا سر وشعبة بن عمرو الشاعر، ﴿ يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَـٰبِ ﴾ [8] أي: يعطفون ألسنتهم بالتحريف والتغيير، وهو ما غيروا من صفة النبي ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، يقال: لوى لسانه عن كذا أي: غيره، ﴿ لِتَحۡسَبُوهُ ﴾ [9] أي: لتظنوا ما حرفوا ﴿ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ ﴾ [10]، الذي أنزله الله تعالى، ﴿ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٧.
(٣) سورة آل عمران آية : ٧٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ٧٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ٧٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ٧٧.
(٧) سورة آل عمران آية : ٧٨.
(٨) سورة آل عمران آية : ٧٨.
(٩) سورة آل عمران آية : ٧٨.
(١٠) سورة آل عمران آية : ٧٨.

عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [1]، عمدًا، ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [2]، أنهم كاذبون، وقال الضحاك عن ابن عباس: إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعًا، وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا بكتاب الله ما ليس منه.

قوله تعالى مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنبوةَ ثُم يَقُولَ لِلناس كُونُوا عِبَادًا لي مِن دُون اللهِ....

[٧٩] قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [3] الآية، قال مقاتل والضحاك: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ [4] يعني: عيسى عليه السلام، وذلك أن نصارى نجران كانوا يقولون: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال تعالى: مَا كَانَ لِبَشَرٍ يعني: عيسى ﴿ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [5] أي الإنجيل، وقال ابن عباس وعطاء: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ [6] يعني محمدًا ﴿ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [7] أي القرآن، وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود، والرئيس من نصارى أهل نجران قالا: يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال: معاذ الله أن آمر بعبادة غير الله، وما بذلك أمرني الله، وما بذلك بعثني، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ [8] أي ما ينبغي لبشر، كقوله تعالى: ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا ﴾ [9] أي ما ينبغي لنا، والبشر:

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ٧٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ٧٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ٧٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ٧٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ٧٩.
(٨) سورة آل عمران آية : ٧٩.
(٩) سورة النور آية : ١٦.

جميع بني آدم لا واحد له من لفظه، كالقوم والجيش، ويوضع موضع الواحد والجمع، ﴿أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ﴾ [(١)]، الفهم والعلم، وقيل: إمضاء الـحكـم عن الله ﷻ ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [(٢)]، المنزلة الرفيعة بالإنباء، ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ﴾ [(٣)] أي: ولكن يقول كونوا، ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [(٤)]، اختلفوا فيه، قال علي وابن عباس والحسن: كونوا فقهاء علماء، وقال قتادة: حكماء وعلماء، وقال سعيد بن جبير: العالم الذي يعمل بعلمه، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: فقهاء معلمين، وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء: حكماء وعلماء ونصحاء لله في خلقه، قال أبو عبيدة: سمعت رجلًا عالمًا يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي العارف بأنباء الأمة ما كان وما يكون، وقيل: الربانيون فوق الأحبار، والأحبار فوق العلماء، والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصائر بسياسة الناس، قال المؤرج: كونوا ربانيين تدينون لربكم، من الربوبية، كان في الأصل ربي فأدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبراني، وقال المبرد: هم أرباب العلم سموا به لأنهم يربون العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح الشيء وإتمامه فقد ربه يربه، واحدها: ربان كما قالوا: ريان وعطشان وشبعان، ثم ضمت إليه يا ء النسبة، كما يقال: الحياني ورقباني، وحكي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هو الذي يربي علمه بعمله، قال محمد ابن الحنفية يوم مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة، ﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾ [(٥)] أي: بما أنتم كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٩.

(٢) سورة آل عمران آية : ٧٩.

(٣) سورة آل عمران آية : ٧٩.

(٤) سورة آل عمران آية : ٧٩.

(٥) سورة آل عمران آية : ٧٩.

صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، أي: من هو في المهد ﴿ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[2]، قرأ ابن عامر وعاصم والكسائي تُعَلِّمُونَ بالتشديد من التعليم، وقرأ الآخرون (تعلمون) بالتخفيف من العلم، كقوله: ﴿ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[3] أي: تقرؤون.

[٨٠] قوله: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾[4]، قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفا على قوله: (ثم يقول)، فيكون مردودا على البشر، أي: ولا يأمر ذلك البشر، وقيل: على إضمار (أن) أي: ولا أن يأمركم ذلك البشر، وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف، معناه: ولا يأمركم الله، وقال ابن جريج وجماعة: ولا يأمركم محمد، ﴿ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ ﴾[5]، كفعل قريش والصابئين حيث قالوا: الملائكة بنات الله واليهود والنصارى حيث قالـوا في المسيح وعزير ما قالوا، ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[6]، قالوا له على طريق التعجب والإنكار، يعني: لا يقوله هذا.

[٨١] قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾[7] قرأ حمزة لما بكسر اللام، وقرأ الآخرون بفتحها، فمن كسر اللام فهي لام الإضافة دخلت على ما الموصولة، ومعناه: إن الذي يريد للذي آتيتكم، أي: أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي آتاهم من الكتاب والحكمة وأنم أصحاب الشرائع، ومن فتح اللام فمعناه: للذي آتيتكم، بمعنى الخبر، وقيل: بمعنى الجزاء، أي لئن آتيتكم ومهما آتيتكم، وجواب الجزاء، قوله: (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ)

(١) سورة مريم آية : ٢٩.
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ٧٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ٨٠.
(٥) سورة آل عمران آية : ٨٠.
(٦) سورة آل عمران آية : ٨٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ٨١.

قوله (لَمَا آتَيْتُكُمْ) قرأ نافع وأهل المدينة (آتيناكم) على التعظيم كما قال: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [1] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [2] وقرأ الآخرون بالتاء لموافقة الخط، ولقوله، (وإنا معكم) واختلفوا في المعنى بذه الآية فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين خاصة أن يبلغوا كتاب الله ورسالته إلى عباده، وأن يصدق بعضهم بعضا، وأخذ العهود على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء، وينصره إن أدركه، فإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن (أدركوه)، فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد ﷺ وقال الآخرون: بما أخذ الله الميثاق منهم في أمر محمد ﷺ فعلى هذا اختلفوا فمنهم من قال: إنما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيين، وهذا قول مجاهد والربيع، ألا ترى إلى قوله: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ [3]، وإنما كان محمد ﷺ مبعوثا إلى أهل الكتاب دون النبيين يدل عليه أن في قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [4]، وإنما القراءة المعروفة ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [5] فأراد: أن الله أخذ ميثاق النبيين أن يأخذوا الميثاق إلى أممهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه، إن أدركوه، وقال بعضهم: أراد أخذ الله الميثاق على النبيين، وأممهم جميعا في أمر محمد ﷺ فاكتفى بذكر الأنبياء لأن العهد على المتبوع عهد على الأتباع، وهذا معنى قول ابن عباس، وقال علي بن أبي طالب: لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه الميثاق والعهد في أمر محمد، وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به،

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٣.

(٢) سورة مريم آية : ١٢.

(٣) سورة آل عمران آية : ٨١.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٧.

(٥) سورة آل عمران آية : ٨١.

ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه، قوله: (ثُم جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ)، يعني: محمدًا ﷺ (لَتُؤْمِنُن بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ) قال: يقول الله تعالى للأنبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم عليه السلام والأنبياء فيهم كالمصابيح والسرج، وأخذ عليهم الميثاق في أمر محمد ﷺ ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾[1]، أي: قبلتم على ذلكم عهدي، والإصر: العهد الثقيل، ﴿ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ ﴾[2]، الله تعالى ﴿ فَٱشْهَدُواْ ﴾[3] أي: فاشهدوا أنتم على أنفسكم وعلى أتباعكم، ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[4]، عليكم وعليهم، وقال ابن عباس: فاشهدوا، أي فاعلموا، وقال سعيد بن المسيب: قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم كناية عن غير مذكور.

[٨٢] ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾[5]، الإقرار، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[6]، العاصون الخارجون عن الإيمان.

[٨٣] قوله عز وجل: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾[7]، وذلك ﴿ أن أهل الكتاب اختلفوا فادعى كل واحد أنه على دين إبراهيم عليه السلام واختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ " كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم عليه السلام "، فغضبوا وقالوا: لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك ﴾، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ

(١) سورة آل عمران آية : ٨١.
(٢) سورة آل عمران آية : ٨١.
(٣) سورة آل عمران آية : ٨١.
(٤) سورة آل عمران آية : ٨١.
(٥) سورة آل عمران آية : ٨٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ٨٢.
(٧) سورة آل عمران آية : ٨٣.

يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ ﴾ [1]، خضع وانقاد، ﴿ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ [2]، فالطوع: الانقياد والاتباع بسهولة، والكره: ما كان بمشقة وإباء من النفس، واختلفوا في قوله: (طوعًا وكرهًا) قال الحسن: أسلم أهل السموات طوعًا وأسلم من في الأرض بعضهم طوعًا وبعضهم كرهًا خوفًا من السيف والسبي، وقال مجاهد: طوعًا المؤمن، وكرهًا ذلك الكافر، وقيل: هذا يوم الميثاق حين قال لهم ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾ [3]، فقال بعضهم: طوعًا وبعضهم: كرهًا، وقال قتادة: المؤمن من أسلم طوعًا فنفعه الإيمان، والكافر أسلم كرهًا في وقت اليأس فلم ينفعه الإسلام، وقال الشعبي: هو استعاذتم به عند اضطرارهم، كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [4] وقال الكلبي: طوعًا الذي ولد في الإسلام، وكرهًا الذين أجبروا على الإسلام ممن يسبى منهم فيجاء بهم في السلاسل، ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ [5] لأن مرجع جميع الخلق إلى الله عز وجل.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤ ﴾ [6]، ذكر الملل والأديان واضطراب الناس فيها، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقول: آمنا بالله الآية.

(١) سورة آل عمران آية : ٨٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ٨٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٧٢.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٦٥.
(٥) سورة آل عمران آية : ٨٣.
(٦) سورة آل عمران آية : ٨٤.

قوله تعالى وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ...

[٨٥] قوله: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [(١)]، نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفارا، منهم الحارث بن سويد الأنصاري، فنزلت فيهم ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٨٥ ﴾ [(٢)].

[٨٦] ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [(٣)]، لفظه استفهام ومعناه جحد، أي: لا يهدي الله، وقيل معناه: كيف يهديهم الله في الآخرة إلى الجنة والثواب ﴿ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٦ ﴾ [(٤)].

[٨٧] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۝٨٧ ﴾ [(٥)].

[٨٨] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ۝٨٨ ﴾ [(٦)]، وذلك أن الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى:

[٨٩] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٨٩ ﴾ [(٧)]، لما كان منه، فحملها إليه رجل من قومه وقرأها عليه فقال الحارث: إنك والله فيما علمت

---

(١) سورة آل عمران آية : ٨٥.
(٢) سورة آل عمران آية : ٨٥.
(٣) سورة آل عمران آية : ٨٦.
(٤) سورة آل عمران آية : ٨٦.
(٥) سورة آل عمران آية : ٨٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ٨٨.
(٧) سورة آل عمران آية : ٨٩.

لصدوق وأن رسول الله ﷺ لأصدق منك وإن الله ﷻ لأصدق الثلاثة، فرجع الحارث إلى المدينة وأسلم وحسن إسلامه.

[٩٠] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾ [١] قال قتادة والحسن: نزلت في اليهود كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم ثم ازدادوا كفرًا بمحمد ﷺ والقرآن، وقال أبو العالية. نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ لما رأوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم، ثم ازدادوا كفرا، يعني: ذنوبًا في حال كفرهم، قال مجاهد: نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم، ثم ازدادوا كفرا أي: أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه، قال الحسن: ثم ازدادوا كفرًا كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفرًا وقيل: ثم ازدادوا كفرًا بقولهم: نتربص بمحمد ريب المنون، قال الكلبي: نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد، لما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في الحارث، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة فمن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته، ونزل فيمن مات منهم كافرا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [٢] الآية، فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة من تاب، فما معنى قوله: ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝ ﴾ [٣]، قيل: لن تقبل توبتهم إذا رجعوا في حال المعاينة، كما قال: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [٤]، وقيل: هذا في أصحاب الحارث بن سويد حيث أعرضوا عن الإسلام،

(١) سورة آل عمران آية : ٩٠.

(٢) سورة آل عمران آية : ٩١.

(٣) سورة آل عمران آية : ٩٠.

(٤) سورة النساء آية : ١٨.

وقالوا نتربص بمحمد ريب المنون، فإن ساعده الزمان نرجع إلى دينه، (لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ)، لن يقبل ذلك لأنهم متربصون غير محققين، ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾[1].

[٩١] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾[2]، أي: قدر ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها، ﴿ ذَهَبٗا ﴾[3]، نصب على التفسير، كقولهم: عشرون درهما. ﴿ وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾[4]، قيل: معناه لو افتدى به، والواو زائدة مقحمة، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾[5].

[٩٢] قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ ﴾[6] يعني: الجنة، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد، وقال مقاتل بن حيان: التقوى، وقيل: الطاعة، وقيل: الخير، وقال الحسن: لن تكونوا أبرارا، ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾[7] أي: من أحب أموالكم إليكم، روى الضحاك عن ابن عباس: أن المراد منه أداء الزكاة، وقال مجاهد والكلبي: هذه الآية نسختها آية الزكاة، وقال الحسن: كل إنفاق يبتغي به المسلم وجه الله حتى الثمرة ينال به هذا البر، وقال عطاء: لَنْ تَنَالُوا الْبِر أي: شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاء أشحاء.

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾[8]، أي: يعلمه ويجازي به.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٩٠.
(٢) سورة آل عمران آية : ٩١.
(٣) سورة آل عمران آية : ٩١.
(٤) سورة آل عمران آية : ٩١.
(٥) سورة آل عمران آية : ٩١.
(٦) سورة آل عمران آية : ٩٢.
(٧) سورة آل عمران آية : ٩٢.
(٨) سورة آل عمران آية : ٩٢.

قوله تعالى كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ....

[٩٣] قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾[١]، سبب نزول هذه الآية: ﴿ أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل وألبانها وأنت تأكلها، فلست على ملته، فقال رسول الله ﷺ " كان ذلك حلالا لإبراهيم عليه السلام "، فقالوا: كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا ﴾، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني: ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم، بل كان الكل حلالًا له ولبني إسرائيل، وإنما حرمها إسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة، يعني: ليست في التوراة حرمتها، وقال الضحاك: لم يكن شيء من ذلك حرامًا عليهم ولا حرمه الله في التوراة، وإنما حرموه على أنفسهم اتباعًا لأبيهم، ثم أضافوا تحريمه إلى الله، فكذبهم الله ﷻ فقال: ﴿ قُلْ ﴾[٢] يا محمد ﴿ فَأْتُوا بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ ﴾[٣]، حتى يتبين لكم أنه كما قلت، ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[٤]، فلم يأتوا، فقال الله ﷻ .

[٩٤] ﴿ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾[٥].

[٩٥] ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[٦]، وإنما دعاهم إلى اتباع ملة إبراهيم لأن في اتباع ملة إبراهيم اتباعه ﷺ.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٩٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ٩٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ٩٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ٩٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ٩٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ٩٥.

[٩٦] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[(١)]، سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للمسلمين: بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الأنبياء، وقال المسلمون الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

[٩٧] ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾[(٢)]، وليس شيء من هذه الفضائل لبيت المقدس، واختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾[(٣)]، فقال بعضهم: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على الماء، وقال بعضهم: هو أول بيت بني في الأرض، ويروى عن ابن عباس أنه قال: أراد به أنه أول بيت بناه آدم في الأرض، وقيل: هو أول بيت مبارك وضع هدى للناس يعبد الله فيه ويحج إليه، وقيل: هو أول بيت جعل قبلة للناس، وقال الحسن والكلبي: معناه أنه أول مسجد ومتعبد وضع للناس، وقيل: أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه، قوله تعالى: ﴿ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾[(٤)] قال جماعة: هي مكة نفسها، وقال الآخرون: بكة موضع البيت في مكة، ومكة اسم البلد كله وقيل: بكة موضع البيت والمطاف، سميت بكة: لأن الناس يتباكون فيها، أي يزدحمون يبك بعضهم بعضا ويمر بعضهم بين يدي بعض، ﴿ مُبَارَكًا ﴾[(٥)] نصب على الحال أي: ذا بركة وهدى للعالمين، لأنه قبلة للمؤمنين فيه آيات بينات، قرأ ابن عباس (آية بينة) على الواحد، وأراد مقام إبراهيم وحده، وقرأ الآخرون آيات بينات، بالجمع، فذكر منها مقام

---

(١) سورة آل عمران آية : ٩٦.
(٢) سورة آل عمران آية : ٩٧.
(٣) سورة آل عمران آية : ٩٦.
(٤) سورة آل عمران آية : ٩٦.
(٥) سورة آل عمران آية : ٩٦.

إبراهيم وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم، وكان أثر قدميه فيه، ومن تلك الآيات في البيت الحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها، وقيل: مقام إبراهيم جميع الحرم، قوله ﷻ ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾ [1] من أن يهاج فيه، وذلك بدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [2]، وقيل: هو خبر بمعنى الأمر تقديره: ومن دخله فأمنوه، وقيل: معناه ومن دخله معظما له متقربا إلى الله ﷻ كان آمنا يوم القيامة من العذاب. قوله ﷻ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴾ [3]، أي: ولله فرض واجب على الناس حج البيت، والحج أحد أركان الإسلام، والاستطاعة نوعان، أحدهما: أن يكون قادرا مستطيعا بنفسه، والآخر: أن يكون مستطيعا بغيره، أما الاستطاعة بنفسه، فأن يكون قادرا بنفسه على الذهاب ووجد الزاد والراحلة، أما الاستطاعة بالغير فهي أن يكون الرجل عاجزا بنفسه، بأن كان زمنا أو به مرض غير مرجو الزوال، لكن له مال يمكنه أن يستأجر به من يحج عنه، يجب عليه أن يستأجر، أو لم يكن له مال بل بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه، يلزمه أن يأمره إذا كان يعتمد صدقه، لأن وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة، قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [4]، قال ابن عباس والحسن وعطاء: جحد فرض الحج، وقال مجاهد: من كفر بالله واليوم الآخر، وقال سعيد بن المسيب: نزلت في اليهود حيث قالوا: الحج إلى مكة غير واجب، وقال السدي: هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به.

(١) سورة آل عمران آية : ٩٧.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٥.
(٣) سورة آل عمران آية : ٩٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ٩٧.

[٩٨] قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (١).

[٩٩] ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) أي: لم تصرفون عن دين الله، ﴿ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا ﴾ (٣)، تطلبونا، ﴿ عِوَجًا ﴾ (٤) زيغا وميلا، يعني: لم تصدون عن سبيل الله باغين لها عوجا؟ قال أبو عبيدة: العوج - بالكسر- في الدين والقول والعمل، والعوج - بالفتح - في الجدار، وكل شخـص قائم، ﴿ وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (٥)، أن في التوراة مكتوبا نعت محمد ﷺ دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام.

قوله تعالى يَا أيهَا الذِينَ آمَنُوا إن تُطِيعُوا فَرِيقًا من الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ....

[١٠٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (٦) يعني: مرشاسًا وأصحابه، ﴿ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (٧) قال جابر: فما رأيت قط يومًا أقبح، أو لا أحسن من ذلك اليوم، ثم قال الله تعالى على وجه التعجب:

---

(١) سورة آل عمران آية : ٩٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ٩٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ٩٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ٩٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ٩٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٠٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٠٠.

[١٠١] ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ ﴾ [(١)] يعني: ولم تكفرون؟ ﴿ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [(٢)]، القرآن ﴿ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ ﴾ [(٣)]، محمد ﷺ قال قتادة: في هذه الآية علمان بينان: كتاب الله ونبي الله، أما نبي الله فقد مضى، وأما كتاب الله فقد أبقاه بين أظهركم رحمة من الله ونعمة، ﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ ﴾ [(٤)] أي: يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته، ﴿ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١ ﴾ [(٥)]، طريق واضح، وقال ابن جريج ومن يعتصم بالله أي: يؤمن بالله، وأصل العصمة: المنع، فكل مانع شيئا فهو عاصم له.

[١٠٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [(٦)]. قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فأصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا، فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح، فأتاهم النبي ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس: هو أن يطاع فلا يعصى، وقال مجاهد: أن تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكـم في الله لومة لائم، وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم، قال أهل التفسير: لما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله ومن يقوى على هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [(٧)] فنسخت هذه

(١) سورة آل عمران آية : ١٠١.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠١.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠١.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠١.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٠١.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٠٢.
(٧) سورة التغابن آية : ١٦.

الآية ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [1] أي مؤمنون، وقيل: مخلصون مفوضون أموركـم إلى الله ﷻ وقال الفضيل: محسنون الظن بالله.

[١٠٣] قوله ﷻ ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [2]، الحبل: السبب الذي يتوصل به إلى البغية، وسمي الإيمان حبلا لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف، واختلفوا في معناه ههنا، قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: عليكم بالجماعة فإنا حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة. وقال مجاهد وعطاء: بعهد الله، وقال قتادة والسدي: هو القرآن، وقال مقاتل بن حيان: بحبل الله أي: بأمر الله وطاعته، ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ [3]، كما افترقت اليهود والنصارى، ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ [4] جمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام وأصلح ذات بينهم بنبيه محمد ﷺ (واذكروا نعمة الله عليكم) يا معشر الأنصار (إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً) قبل الإسلام (فَألف بْينَ قُلُوبكُـمْ) بالإسـلام، ﴿ فَأَصْبَحْتُم ﴾ [5] أي: فصـرتم، ﴿ بِنِعْمَتِهِۦٓ ﴾ [6] برحمته وبدينه الإسلام، ﴿ إِخْوَٰنًا ﴾ [7] في الدين والولاية بينكـم. ﴿ وَكُنتُمْ ﴾ [8] يا معشر الأوس والخزرج ﴿ عَلَىٰ شَفَا

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٢.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٣.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٠٣.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٠٣.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٠٣.

﴿حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾[1]، أي على طرف حفرة مثل شفا البئر، معناه: وكنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم، ﴿فَأَنقَذَكُم﴾[2] الله ﴿مِّنۡهَاۗ﴾[3] بالإيمان، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾[4].

[١٠٤] ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ﴾[5]، أي: ولتكونوا أمة، (من) صلة ليست للتبعيض، كقوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾[6] لم يرد اجتناب بعض الأوثان بل أراد فاجتنبوا الأوثان، واللام في قوله وَلْتَكُنْ لام الأمر، ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾[7]، إلى الإسلام، ﴿وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾[8].

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾[9]، قال أكثر المفسرين: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: المبتدعة من هذه الأمة.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٤.
(٦) سورة الحج آية : ٣٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٠٤.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٠٤.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٠٥.

[١٠٦] ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ﴾[(١)]، (يوم) نصب على الظرف، أي: في يوم، وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول، يريد: تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين، وقيل: تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾[(٢)]، معناه: يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم، ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ ﴾[(٣)]، فإن قيل كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم، وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: أراد به الإيمان يوم الميثاق، حيز قال لهم ربهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. وقال الحسن: هم المنافقون تكلموا بالإيمان بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم، وقال عكرمة: إنهم أهل الكتاب آمنوا بأنبيائهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به، وقال قوم: هم من أهل قبلتنا، وقال أبو أمامة: هم الخوارج، وقال قتادة: هم أهل البدع.

[١٠٧] قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ ﴾[(٤)]، هؤلاء أهل الطاعة، ﴿ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾[(٥)]، ففي جنة الله. ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧ ﴾[(٦)].

[١٠٨] ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨ ﴾[(٧)].

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٦.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٦.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٦.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٠٧.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٠٨.

[١٠٩] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [(١)].

قوله تعالى كُنْتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناس....

[١١٠] ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [(٢)] قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، رضي الله عنهم، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهود اليهوديين قالا لهم: نحن أفضل منكم ودينا خير مما تدعوننا إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [(٣)] هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة، وقال جويبر عن الضحاك: هم أصحاب محمد ﷺ خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم وقال الآخرون: جميع المؤمنين من هذه الأمة، وقوله (كنتم) أي: أنتم، كقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا ﴾ [(٤)]، وقال في موضع آخر: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾ [(٥)]، وقيل: معناه كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ، وقال قوم: قوله (للناس) صلة قوله: (خَيْرَ أُمةٍ) أي: أنتم خير أمة للناس. قال أبو هريرة معناه: كنتم خير الناس للناس، تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الإسلام، وقيل: للناس صلة قوله (أُخْرِجَتْ) معناه: ما أخرج الله للناس أمـة خيرا مـن أمة محمد ﷺ. قوله تعالى: ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [(٦)] أي: الكافرون.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٩.

(٢) سورة آل عمران آية : ١١٠.

(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠.

(٤) سورة الأعراف آية : ٨٦.

(٥) سورة الأنفال آية : ٢٦.

(٦) سورة آل عمران آية : ١١٠.

[١١١] قوله تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾[1]، قال مقاتل: إن رؤوس اليهود عمدوا إلى من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه، فآذوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية، لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء الجهود إلا أذى باللسان وعيدًا وطغيانًا، وقيل: كلمة كفر تتأذون بها ﴿ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾[2]، منهزمين، ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[3]، بل يكون لكم النصر.

[١١٢] ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾[4]، حيث ما وجدوا ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[5] يعني: أينما وجدوا استضعفوا وقتلوا أو سبوا فلا يأمنون إلا بحبل: عهد من الله تعالى بأن يسلموا، ﴿ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[6] من المؤمنين ببذل جزية أو أمان، يعني: إلا أن يعصموا بحبل الله فيأمنوا، قوله تعالى: ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[7]، رجعوا به ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[8].

(١) سورة آل عمران آية : ١١١.
(٢) سورة آل عمران آية : ١١١.
(٣) سورة آل عمران آية : ١١١.
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٢.
(٥) سورة آل عمران آية : ١١٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ١١٢.
(٧) سورة آل عمران آية : ١١٢.
(٨) سورة آل عمران آية : ١١٢.

[١١٣] قوله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ (١) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: لما آمن عبد الله بن سلام وأصحابه، قالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد ﷺ إلا شرارنا ولولا ذلك لما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، واختلفوا في وجهها فقال قوم: فيه اختصار تقديره: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة، فترك الأخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين، وقال الآخرون: تمام الكلام عند قوله (لَيْسُوا سَوَاءً) وهو وقف لأنه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٢) ثم قال: (لَيْسُوا سَوَاءً) يعني: المؤمنين والفاسقين، ثم وصف الفاسقين، فقال: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ (٣) ووصف المؤمنين بقوله (أُمةٌ قَائِمَةٌ) وقيل: قوله (من أهل الكتاب) ابتداء كلام آخر، لأن ذكر الفريقين قد جرى، ثم قال: ليس هذان الفريقان سواء، ثم ابتدأ فقال: من أهل الكتاب، قال ابن مسعود ﷺ لا يستوي اليهود وأمة محمد ﷺ القائمة بأمر الله الثابتة على الحق المستقيمة، وقوله تعالى: (أُمةٌ قَائِمَةٌ) قال ابن عباس: أي مهتدية قائمة على أمر الله لم يضيعوه ولم يتركوه. وقال مجاهد: عادلة. وقال السدي: مطيعة قائمة على كتاب الله وحده. وقيل قائمة في الصلاة. وقيل: الأمة الطريقة. ومعنى الآية: أي ذوو أمة، أي: ذوو طريقة مستقيمة. ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (٤)، يقرؤون كتاب الله، وقال مجاهد: يتبعون، ﴿ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ (٥) ساعاته، ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (٦) أي: يصلون، لأن التلاوة لا

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١١٠.
(٣) سورة آل عمران آية : ١١١.
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ١١٣.
(٦) سورة آل عمران آية : ١١٣.

تكون في السجود، ! واختلفوا في معناها، فقال بعضهم: هي قيام الليل، وقال ابن مسعود صلاة العتمة يصلونا ولا يصليها من سواهم من أهل الكتاب.

[١١٤] قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾(١).

[١١٥] ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾(٢)، قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما إخبار عن، الأمة القائمة، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، لقوله ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾(٣)، وأبو عمرو يرى القراءتين جميعًا، ومعنى هذه الآية: وما تفعلوا من خير فلن تعدموا ثوابه بل يشكر لكم وتجازون عليه، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾(٤)، بالمؤمنين.

قوله تعالى إِن الَذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم منَ اللهِ شَيْئًا....

[١١٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾(٥)، أي: لا تدفع أموالهم بالفدية وأولادهم بالنصرة من الله شيئا، أي: من. عذاب الله، وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن، نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾(٦)، وإنما جعلهم من أصحابا لأنم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونا، كصاحب الرجل لا يفارقه.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٤.
(٢) سورة آل عمران آية : ١١٥.
(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠.
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٥.
(٥) سورة آل عمران آية : ١١٦.
(٦) سورة آل عمران آية : ١١٦.

[١١٧] ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [(١)]، قيل: أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه ببدر وأحد على عداوة رسول الله ﷺ وقال مقاتل: أراد نفقة اليهود على علمائهم، قال مجاهد: يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاتهم، وقيل: أراد إنفاق المرائي الذي لا يبتغي به وجه الله تعالى، ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ [(٢)]، حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها السموم الحارة التي تقتل، وقيل فيها صر أي: صوت، وأكثر المفسرين قالوا: فيها برد شديد، ﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ﴾ [(٣)] زرع قوم، ﴿ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [(٤)]، بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى، ﴿ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ [(٥)]، فمعنى الآية: مثل نفقات الكفار وذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع أصحابه منه بشيء، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(٦)]، بذلك، ﴿ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [(٧)]، بالكفر والمعصية.

[١١٨] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ [(٨)] الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم، وقال مجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ١١٧.
(٣) سورة آل عمران آية : ١١٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ١١٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ١١٧.
(٧) سورة آل عمران آية : ١١٧.
(٨) سورة آل عمران آية : ١١٨.

المنافقين فنهاهم الله تعالى عن ذلك، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ ﴾ [(١)] أي: أولياء أصفياء من غير أهل ملتكم، وبطانة الرجل: خاصته، تشبيها ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم، ثم بين العلة في النهي عن مباطنتهم فقال جل ذكره: ﴿ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا ﴾ [(٢)]، أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد، والخبال: الشر والفساد، ونصب (خبالا) على المفعول الثاني، لأن (يألو) يتعدى إلى مفعولين، وقيل: بنزع الخافض، أي بالخبال، كما يقال أوجعته ضربا ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ ﴾ [(٣)]، أي يودون ما يشق عليكم من الضر والشر والهلاك، والعنت المشقة، ﴿ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ ﴾ [(٤)] أي: البغض، معناه ظهرت أمارة العداوة، ﴿ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ [(٥)]، بالشتيمة والوقيعة في المسلمين، وقيل: بإطلاع المشركين على أسرار المسلمين، ﴿ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ ﴾ [(٦)]، من العداوة والغيظ، ﴿ أَكۡبَرُۚ ﴾ [(٧)]، أعظم، ﴿ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [(٨)].

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ١١٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ١١٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٨.
(٥) سورة آل عمران آية : ١١٨.
(٦) سورة آل عمران آية : ١١٨.
(٧) سورة آل عمران آية : ١١٨.
(٨) سورة آل عمران آية : ١١٨.

[١١٩] ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ ﴾[1] تنبيـه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور، ﴿ تُحِبُّونَهُمۡ ﴾[2] اسم للمشار إليه، يريد أنتم أيها المؤمنون، ﴿ وَلَا ﴾[3] أي: تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للأسباب التي بينكـم من القرابة والرضاع والمصاهرة، ﴿ يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ ﴾[4]، لما بينكم من مخالفة الدين، وقال مقاتل هم المنافقون يحبهم المؤمنون لما أظهروا من الإيمان، ولا يعلمون ما في قلوبهم، ﴿ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا ﴾[5]، يعني بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم، ﴿ لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ ﴾[6]، وكان بعضهم مع بعض ﴿ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ ﴾[7]، يعني: أطراف الأصابع واحدتا أنملة بضم الميم وفتحها، من الغيظ، لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم، وعض الأنامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الأمثال، وإن لم يكن ثم عض، ﴿ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ﴾[8]، أي: ابقوا إلى الممات بغيظكم، ﴿ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ ﴾[9]، أي: بما في القلوب من خير وشر.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٩.
(٢) سورة آل عمران آية : ١١٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ١١٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ١١٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ١١٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ١١٩.
(٨) سورة آل عمران آية : ١١٩.
(٩) سورة آل عمران آية : ١١٩.

[١٢٠] وقوله تعالى: ﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ ﴾[(١)] أي: تصبكم أيها المؤمنون ﴿ حَسَنَةٞ ﴾[(٢)] بظهوركـم على عدوكم وغنيمة تنالونا منهم، وتتابع الناس في الدخول في دينكـم، وخصب في معايشكـم ﴿ تَسُؤۡهُمۡ ﴾[(٣)]، تحزنم، ﴿ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ ﴾[(٤)]، مساءة بإخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم، واختلاف يكون بينكم أو جدب أو نكبة، ﴿ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ ﴾[(٥)]، على أذاهم ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾[(٦)]، تخافوا ربكم ﴿ لَا يَضُرُّكُمۡ ﴾[(٧)]، أي: لا ينقصكـم، ﴿ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ ﴾[(٨)]، قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وأهل البصرة (لا يضركم) بكسر الضاد خفيفة، يقال: ضار يضير ضيرا، وهو جزم على جواب الجزاء، وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء من ضر يضر ضرا مثل رد يرد ردا وفي رفعه وجهان. أحدهما: أنه أراد الجزم، وأصله يضرركم فأدغمت الراء في الراء، ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وضمت الثانية اتباعا، والثاني: أن تكون لا بمعنى ليس ويضمر فيه الفاء، تقديره: وإن تصبروا وتتقوا فليس يضركـم كيدهم شيئا، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠ ﴾[(٩)]، أي: عالم.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٢٠.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٢٠.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٢٠.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٢٠.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٢٠.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٢٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٢٠.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٢٠.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٢٠.

قوله تعالى وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبوئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ....

[١٢١] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ (١)، قال الحسن: هو يوم بدر، وقال مقاتل: يوم الأحزاب، وقال سائر المفسرين: هو يوم أحد، وقال مجاهد والكلبي والواقدي: « غدا رسول الله ﷺ من م ل عائشة رضي الله عنها يمشي على رجليه إلى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح ». فكان من حرب أحد ما كان، فذلك قوله تعالى: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبوئُ) ت ل المؤمنين (مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) أي: مواطن، ومواضع للقتال، يقال: بوأت القوم إذا وطنتهم، وتبوءوا هم إذا توطؤوا، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ بوأْنا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبوأَ صِدْقٍ)، وقال: (أَنْ تَبوآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) وقيل: تتخذ معسكرًا، ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ (٢).

[١٢٢] ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ (٣) أي: تجبنا وتضعفا وتتخلفا، والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وكانتا جناحي العسكر، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلًا، فلما بلغوا الشوط اتخذ عبد الله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلاثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي فقال: أنشدكم بالله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبد الله بن أبي: لو نعلم قتالًا لاتبعناكـم، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أبي، فعصمهم الله فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته، فقال ﷻ ﴿ إِذْ هَمَّت

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٢١.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٢١.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٢٢.

﴿ طَآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾[1] ناصرهما وحافظهما، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[2].

[١٢٣] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾[3]، وبدر موضع بين مكة والمدينة وهو اسم لموضع، وعليه الأكثرون، وقيل: اسم لبئر هناك، وقيل: كانت بدر بئرًا لرجل يقال له بدر، ﴿ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾[4]، جمع: ذليل، وأراد به قلة العدد فإنم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا فنصرهم الله مع قلة عددهم وعددهم، ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[5].

[١٢٤] ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم ﴾[6]، اختلفوا في هذه الآية فقال قتادة: كان يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[7] [الأنفال: ٩]، ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر هاهنا، ﴿ بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[8].

(١) سورة آل عمران آية : ١٢٢.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٢٢.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٢٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٢٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٢٣.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٢٤.
(٧) سورة الأنفال آية : ٩.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٢٤.

[١٢٥] ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [١] فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة كما وعد، قال الحسن: وهؤلاء الخمسة آلاف ردء المؤمنين إلى يوم القيامة، قال ابن عباس ومجاهد: لم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر فيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون، وإنما يكونون عددا ومددا، وقال الآخرون: إنما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه أن يمدهم أيضا في حروبهم كلها، فلم يصبروا إلا يوم الأحزاب، فأمدهم حين حاصروا قريظة والنضير، وقال الضحاك وعكرمة: كان هذا يوم أحد وعدهم الله المدد إن صبروا فلم يصبروا فلم يمدوا. قوله تعالى: ﴿ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم ﴾ [٢] الإمداد: إعانة الجيش، وقيل: ما كان على جهة القوة والإعانة، يقال فيه: أمده إمدادا، وما كان على جهة الزيادة، ويقال فيه: مده مددا، منه قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ ﴾ [٣] وقيل: المد في الشر، والإمداد في الخير، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ ﴾ [٤] وقال في الخير ﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ ﴾ [٥]. قوله تعالى: ﴿ بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [٦] قرأ ابن عامر تشديد الزاي على التكثير لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ [٧]، وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله

(١) سورة آل عمران آية : ١٢٥.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٢٤.
(٣) سورة لقمان آية : ٢٧.
(٤) سورة البقرة آية : ١٥.
(٥) سورة الإسراء آية : ٦.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٢٤.
(٧) سورة الأنعام آية : ١١١.

قوله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [1]. وقوله: ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [2]، ثم قال ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ [3] نمدكـم ﴿ إِن تَصْبِرُواْ ﴾ [4] لعدوكـم ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ [5] مخالفـة نبيكـم ﴿ وَيَأْتُوكُم ﴾ [6] يعني المشركين ﴿ مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا ﴾ [7] قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر المفسرين: من وجههم هذا، وقال مجاهد والضحاك: من غضبهم هذا لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر، ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ [8] لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف، بل أراد معهم، وقوله ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [9] أي: معلمين، واختلفوا في تلك العلامة، فقال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم: عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم، وقال هشام بن عروة والكلبي: عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم، وقال الضحاك وقتادة: كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنابها.

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢١.

(٢) سورة التوبة آية : ٢٦.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٢٥.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٢٥.

(٥) سورة آل عمران آية : ١٢٥.

(٦) سورة آل عمران آية : ١٢٥.

(٧) سورة آل عمران آية : ١٢٥.

(٨) سورة آل عمران آية : ١٢٥.

(٩) سورة آل عمران آية : ١٢٥.

[١٢٦] قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ [1] يعني هذا الوعد والمدد، ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ﴾ [2] أي: بشارة لتستبشروا به ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾ [3] ولتسكن ﴿ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ [4] فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم، ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [5] يعني: لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجند، فإن النصر من الله تعالى فاستعينوا به وتوكلوا عليه، لأن العز والحكم له.

[١٢٧] قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [6]، يقول لقد نصركم الله ليقطع طرفا أي: لكي يهلك طائفة من الذين كفروا، وقال السدي: معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والأسر، ﴿ أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ [7] قال الكلبي: يهزمهم، وقال يمان: يصرعهم لوجوههم، قال السدي: يلعنهم، وقال أبو عبيدة: يهلكهم، وقيل: يحزنهم، والمكبوت: الحزين، وقيل: يكبدهم أي: يصب الحزن والغيظ أكبادهم، والتاء والدال يتعاقبان كما يقال سبت رأسه وسبده إذا حلقه، وقيل: يكبتهم بالخيبة، ﴿ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ [8]، لم ينالوا شيئا مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

[١٢٨] قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [9]، أي: ليس إليك، فاللام بمعنى (إلى) كقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [1]، أي: إلى

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٢٦.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٢٦.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٢٦.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٢٦.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٢٦.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٢٧.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٢٧.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٢٧.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٢٨.

الإيمان، وقوله تعالى: ﴿ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[2]، قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم: أو إلا أن يتوب عليهم، وقيل: هو نسق على قوله: ﴿ لِيَقۡطَعَ طَرَفًا ﴾[3]، وقوله: (لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ) اعتراض بين الكلامين، ونظم الآية: ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم ﴿ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨ ﴾[4]، ليس لك من الأمر شيء، بل الأمر أمري في ذلك كله.

[١٢٩] ثم قال: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٢٩ ﴾[5].

[١٣٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ ﴾[6]، أراد به ما كانوا يفعلونه عند طول أجل الدين من زيادة المال وتأخير الطلب، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[7] في أمر الربا فلا تأكلوه، ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾[8].

[١٣١] ثم خوفهم فقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ ﴾[9].

[١٣٢] ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾[10]، لكي ترحموا.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٢٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٢٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٢٨.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٢٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٣٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٣٠.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٣٠.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٣١.
(١٠) سورة آل عمران آية : ١٣٢.

قوله تعالى وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدتْ لِلْمُتقِينَ....

[١٣٣] ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾(١)، بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي توجب المغفرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى الإسلام، وروي عنه: إلى التوبة، وبه قال عكرمة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أداء الفرائض، وقال أبو العالية: إلى الهجرة، وقال الضحاك: إلى الجهاد، وقال مقاتل: إلى الأعمال الصالحة. وروي عن أنس بن مالك أنا التكبيرة الأولى، ﴿ وَجَنَّةٍ ﴾ (٢) أي وإلى جـنـة ﴿ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ (٣) أي: عرضها كعرض السماوات والأرض، كما قال في سورة الحديد: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٤) أي: سعتها، وإنما ذكر العرض على المبالغة لأن طول كل شيء في الأكثر والأغلب أكثر من عرضه، يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها؟ قال الزهري: إنما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه إلا الله، وهذا على التمثيل لا أنا كالسماوات والأرض لا غير، معناه كعرض السماوات السبع والأرضين السبع عند ظنكم، ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ (٥).

[١٣٤] ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾(٦)، أي: في اليسر والعسر، فأول ما ذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة، ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ (٧) أي:

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٣.
(٤) سورة الحديد آية : ٢١.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٣٣.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٣٤.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٣٤.

الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، والكظم: حبس الشيء عند امتلائه، وكظم الغيظ أن يمتلئ غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ ﴾ [1] ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [2]، قـال الكـلبي عن المملوكين سوء الأدب، وقال زيد بن أسلم ومقاتل: عمن ظلمهم وأساء إليهم ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [3]، عن الثوري: الإحسان أن تحسن إلى المسيء، فإن الإحسان إلى المحسن تجارة.

[١٣٥] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾ [4] يعني: قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى فيه، وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد، قال جابر: الفاحشة الزنا ﴿ أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ [5]، ما دون الزنا من القبلة والمعانقة والنظر واللمس، وقال مقاتل والكلبي: الفاحشة ما دون الزنا من قبلة أو لمسة أو نظرة فيما لا يحل، أو ظلموا أنفسهم بالمعصية، وقيل: فعلوا فاحشة الكبائر، أو ظلموا أنفسهم بالصغائر. وقيل: فعلوا فاحشة فعلا أو ظلموا أنفسهم قولا ﴿ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [6] أي: ذكروا وعيد الله، والله سائلهم، وقال مقاتل بن حيان: ذكروا الله باللسان عند الذنوب، ﴿ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [7] أي وهل يغفر الذنوب إلا الله، ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا

(١) سورة غافر آية : ١٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٤.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٤.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٣٥.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٣٥.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٣٥.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٣٥.

فَعَلُواْ ﴾ [1] أي: لم يقيموا ولم يثبتوا عليه، ولكن تابوا وأنابوا واستغفروا، وأصل الإصرار: الثبات على الشيء، قال الحسن: إتيان العبد ذنبا عمدا إصرار حتى يتوب. وقال السدي: الإصرار: السكوت وترك الاستغفار ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [2]، قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي: وهم يعلمون أنها معصية، وقيل: وهم يعلمون أن الإصرار ضار، وقال الضحاك: وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب، وقال الحسن بن الفضل: أن لهم ربا يغفر الذنوب، وقيل: وهم يعلمون أن الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وإن كثرت وقيل: وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر لهم.

[١٣٦] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [3].

[١٣٧] قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ [4]، قال عطاء: شرائع وقال الكلبي: مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوها رضي الله عنهم، وقال مجاهد: قد خلت من قبلكم سنن بالهلاك فيمن كذب قبلكـم، وقيل: سنن أي: أمم، والسنة: الأمة، وقيل معناه: أهل السنن، والسنة: الطريقة المتبعة في الخير والشر، يقال: سن فلان سنة حسنة، وسنة سيئة إذا عمل عملا اقتدى به فيه من خير وشر، ومعنى الآية: قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة، بإمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لإهلاكهم، وإدالة أنبيائي عليهم ﴿ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٥.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٥.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٦.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٣٧.

﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾[1]، أي: آخرنا من المكذبين، وهذا في حرب أحد، يقول الله ﷻ فأنا أمهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ أجلي الذي أجلته في نصرة النبي ﷺ وأوليائه وإهلاك أعدائه.

[١٣٨] ﴿هَٰذَا﴾[2] أي: هـذا القرآن، ﴿بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾[3]، عامة، ﴿وَهُدٗى﴾[4]، من الضلالة، ﴿وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾[5]، خاصة.

[١٣٩] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾[6]، هذا حث لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد، يقول الله تعالى: (ولا تنوا) أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح، وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم: حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير، وقتل من الأنصار سبعون رجلا، ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾[7] أي: على ما فاتكم، ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾[8] بأن يكون لكم العاقبة بالنصر والظفر على أعدائكـم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾[9] يعني إذا كنتم، أي: لأنكم مؤمنون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «انزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشعب فأقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٣٨.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٣٨.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٣٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٣٩.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٣٩.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٣٩.

اللهم لا يعلوه علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك، وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموها ﴾، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾ [١] وقال الكلبي: نزلت هذه الآية بعد يوم أحد حين أمر النبي ﷺ أصحابه بطلب القوم بعدما أصابهم من الجرح، فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية، دليله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ ﴾ [٢].

[١٤٠] ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٌ ﴾ [٣] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (قرح) بضم القاف حيث جاء، وقرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجهد والجهد، وقال الفراء: بالفتح اسم للجراحة، وبالـضم اسم لألم الجراحة، هذا خطاب مع المسلمين حيث انصرفوا من أحد مع الكآبة والحزن، يقول الله تعالى: (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ) يوم أحد، ﴿ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ ﴾ [٤]، يوم بدر ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [٥]، فيوم لهم ويوم عليهم، أديل المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين، وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين. ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [٦] يعني. إنما كانت هذه المداولة ليعلم؛ أي: ليرى الله الذين آمنوا فيميز المؤمن من المنافق، ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ ﴾ [٧]، يكرم أقواما بالشهادة ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ ﴾ [٨].

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٩.
(٢) سورة النساء آية : ١٠٤.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٤٠.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٤٠.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٤٠.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٤٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٤٠.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٤٠.

قوله تعالى وَلِيُمَحِصَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ....

[١٤١] ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [(١)] أي: يطهركم من الذنوب، ﴿ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [(٢)]، يفنيهم ويهلكهم، معناه: أنهم إن قتلوكم فهو تطهير لكم، وإن قتلتموهم فهو محقهم واستئصالهم.

[١٤٢] ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ ﴾ [(٣)] أي: أحسبتم؟ ﴿ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ﴾ [(٤)] أي: ولم يعلم الله، ﴿ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [(٥)].

[١٤٣] ﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ ﴾ [(٦)]، وذلك أن قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد، وقوله: (تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ) أي: سبب الموت وهو الجهاد من قبل أن تلقوه، ﴿ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ ﴾ [(٧)] يعني: أسبابه، ﴿ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [(٨)]، فإن قيل: ما معنى قوله: (وأنتم تنظرون)، بعد قوله: (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ)؟ قيل: ذكره تأكيدا، وقيل: الرؤية قد تكون بمعنى العلم، فقال: (وأنتم تنظرون) ليعلم، أن المراد بالرؤية النظر، وقيل: معناه وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٤١.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٤١.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٤٢.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٤٢.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٤٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٤٣.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٤٣.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٤٣.

[١٤٤] قوله ﷻ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ ﴾ [١]. محمد هو المستغرق لجميع المحامد، لأن الحمد لا يستوجبه إلا الكامل، والتحميد فوق الحمد، فلا يستحقه إلا المستولي على الأمر في الكمال، وأكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله (محمد وأحمد)، قوله تعالى: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾ [٢] أي: رجعتم إلى دينكم الأول، ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [٣]، ويرتد عن دينه، ﴿ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ ﴾ [٤]، بارتداده وإنما ضر نفسه، ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [٥].

[١٤٥] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ ﴾ [٦]، قال الأخفش: اللام في (لنفس) منقولة من تموت تقديره: وما كان نفس لتموت، ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [٧]، بقضائه وقدره، وقيل: بعلمه، وقيل: بأمره، ﴿ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ ﴾ [٨] أي: كتب لكل نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره وتأخيره، ونصب كتابا على المصدر، أي: كتب كتابا، ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [٩] يعني: من يرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله، يريد نؤته منها ما يشاء مما قدرناه له، كما قال: ﴿ مَّن كَانَ

(١) سورة آل عمران آية : ١٤٤.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٤٤.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٤٤.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٤٤.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٤٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٤٥.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٤٥.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٤٥.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٤٥.

﴿ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ (١)، نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد طلبا للغنيمة، ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ ﴾ (٢)، أي أراد بعمله الآخرة، قيل: أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا، ﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (٣)، أي المؤمنين المطيعين.

[١٤٦] قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ (٤) معناه: وكم، وهي كاف التشبيه ضمت إلى أي الاستفهامية، ولم يقع التنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة، (قاتل) قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف، وقرأ الآخرون (قاتل) فمن قرأ (قاتل) فلقوله: (فَمَا وَهَنُوا) ويستحيل وصفهم بأنهم لم يهنوا بعدما قتلوا، لقول سعيد بن جبير: ما سمعنا أن نبيا قتل في القتال، ولأن (قاتل) أعم، قال أبو عبيدة: إن الله تعالى إذا حمد من قاتل كان من قتل داخلا فيه، وإذا حمد من قتل لم يدخل فيه غيرهم، فكان (قاتل) أعم، ومن قرأ (قتل) فله ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون القتل راجعا إلى النبي وحده، فيكون تمام الكلام عند قوله (قتل)، ويكون في الآية إضمار معناه: ومعه ربيون كثير، كما يقال: قتل فلان معه جيش كثير، أي: ومعه، والوجه الثاني: أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين، ويكون المراد: بعض من معه، تقول العرب قتلنا بني فلان، وإنما قتلوا بعضهم، ويكون قوله: ﴿ فَمَا وَهَنُواْ ﴾ (٥) راجعا إلى الباقين، والوجه الثالث: أن يكون القتل للربيين لا غير، وقوله: (ربيونَ كَثِيرٌ)، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: جموع كثيرة، وقال ابن مسعود: الربيون الألوف، وقال الكلبي الربية

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٨.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٤٥.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٤٥.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٤٦.

(٥) سورة آل عمران آية : ١٤٦.

الواحدة: عشرة آلاف، وقال الضحاك: الربية الواحدة: ألف، وقال الحسن: فقهاء علماء وقيل: هم الأتباع، والربانيون والربيون الولاة والرعية، وقيل: منسوب إلى الرب وهم الذين يعبدون الرب، (فَمَا وَهَنُوا) أي: فما جبنوا، ﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ ﴾[1]، عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح، وقتل الأصحاب. ﴿ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ ﴾[2]، قال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم، وقال السدي: وما ذلوا، وقال عطاء: وما تضرعوا، وقال أبو العالية: وما جبنوا ولكن صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهـم، ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[3].

[١٤٧] قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ ﴾[4]، نصب على خبر كان، والاسم في أن قالوا، ومعناه: وما كان قولهم عند قتل نبيهم، ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾[5] أي: الصغائر، ﴿ وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا ﴾[6]، أي: الكبائر، ﴿ وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا ﴾[7]، كي لا تزول، ﴿ وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[8]، فيقول: فهلا فعلتم وقلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد ﷺ.

(١) سورة آل عمران آية : ١٤٦.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٤٦.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٤٦.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٤٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٤٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٤٧.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٤٧.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٤٧.

[١٤٨] ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[(١)]، النصرة والغنيمة، ﴿ وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ ﴾[(٢)]، أي الأجر والجنة، ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨ ﴾[(٣)].

قوله تعالى يَا أيهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الذِينَ كَفَرُوا يَرُدوكُمْ عَلى أعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ....

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[(٤)]، يعني اليهود والنصارى، وقال علي رضي الله عنه يعني المنافقين في قولهم: للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم، ﴿ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡ ﴾[(٥)]، يرجعوكم إلى أول أمركم من الشرك بالله، ﴿ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ١٤٩ ﴾[(٦)]، مغبونين.

[١٥٠] ثم قال: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ ﴾[(٧)]، ناصركم وحافظكم على دينكم الإسلام، ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ١٥٠ ﴾[(٨)].

[١٥١] ﴿ سَنُلۡقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ ﴾[(٩)] وذلك أن أبا سفيان والمشركين لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى إذا بلغوا بعض الطريق، ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا

(١) سورة آل عمران آية : ١٤٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٤٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٤٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٤٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٤٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٤٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٥٠.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٥٠.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٥١.

فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما هموا به، فذلك قوله تعالى (سنلقي) أي: سنقذف في قلوب الذين كفروا الرعب، الخوف ﴿ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ ﴾ [1] حجة وبـرهـانـا، ﴿ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥١ ﴾ [2]، مقام الكافرين.

[١٥٢] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ ﴾ [3] قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة من أحد، قد أصابهم ما أصابهم، قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ ﴾ [4]، وذلك أن الظفر كان للمسلمين في الابتداء، ﴿ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ ﴾ [5]، وذلك ﴿ أن رسول الله ﷺ جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير، وقال لهم: احموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل، والمسلمون يضربونهم بالسيوف، حتى ولوا هاربين ﴾ فذلك قوله تعالى: (إِذْ تَحُسونَهُمْ بِإِذْنِهِ) أي تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله، قال أبو عبيدة: (الحس): الاستئصال بالقتل ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ ﴾ [6] أي إن جبنتم، وقيل: معناه فلما فشلتم، ﴿ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي

(١) سورة آل عمران آية : ١٥١.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥١.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٥٢.

ﱡ ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم ﱠ [1]، فالواو زائدة في (وَتَنَازَعْتُمْ) يعني: إذا فشلتم تنازعتم، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتم فشلتم، ومعنى التنازع الاختلاف، وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون، فقال بعضهم: انهزم القوم فما مقامنا؟ وأقبلوا على الغنيمة، وقال بعضهم: لا تجاوزوا أمر رسول الله ﷺ وثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة، فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه، وأقبلوا على المسلمين وجاءت الريح فصارت دبورا بعد ما كانت صبا، وانقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا ما يشعرون من الدهش، ونادى إبليس أن محمدًا قد قتل، فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين، قوله تعالى: ﱡ وَعَصَيۡتُم ﱠ [2] يعني: الرسول ﷺ وخالفتم أمره ﱡ مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم ﱠ [3]، الله ﱡ مَّا تُحِبُّونَۚ ﱠ [4] يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة، ﱡ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا ﱠ [5]، يعني: الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب، ﱡ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﱠ [6]، يعني: الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا، قال عبد الله بن مسعود: ما شعرت أن أحدا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا حتى كان يوم أحد، ونزلت هذه الآية ﱡ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ ﱠ [7]، أي

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٥٢.

ردكـم عنهم بالهزيمة، ﴿ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ ﴾ [1] ليمتحنكم، وقيل: لي ل البلاء عليكم ﴿ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ ﴾ [2] فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة منكم لأمر نبيكم، ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢ ﴾ [3].

[١٥٣] ﴿ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ ﴾ [4] يعني: ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هاربين والإصعاد: السير في مستوى الأرض، والـصعود: الارتفاع على الجبال والسطوح، قال أبو حاتم: يقال أصعدت إذا مضيت حيال وجهك، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره، وقال المبرد: أصعد إذا أبعد في الـذهاب ﴿ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ ﴾ [5] أي: لا تعرجون ولا تقيمون على أحد، لا يلتفت بعضكم إلى بعض ﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ ﴾ [6] أي: في آخركم ومن ورائكم إلي عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة، ﴿ فَأَثَٰبَكُمۡ ﴾ [7]، فجازاكـم، جعل الإثابة بمعنى العقاب، وأصلها في الحسنات لأنه وضعها موضع الثواب، كقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾ [8] جعل البشارة في العذاب، ومعناه: جعل مكان الثواب الذين كنتم ترجون ﴿ غَمَّۢا بِغَمّٖ ﴾ [9]، وقيل: الباء بمعنى على، أي: غما على غم، وقيل: غما متصلا بغم، فالغم الأول: ما فاتم من

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٢.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٥٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٥٣.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٥٣.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٥٣.
(٨) سورة آل عمران آية : ٢١.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٥٣.

الظفر والغنيمة، والغم الثاني: ما نالوا من القتل والهزيمة، وقيل: الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثاني: أن محمدا ﷺ قد قتل فأنساهم الغم الأول، وقيل الغم الأول: إشراف خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين، والغم الثاني: حين أشرف عليهم أبو سفيان، وأصحابه، حتى وقفوا بباب الشعب، فلما نظر المسلمون إليهم همهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم، فقال رسول الله ﷺ ﴿ ليس لهم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تعبد في الأرض ﴾، ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم. وقيل: إنهم غموا الرسول بمخالفة أمره، فجازاهم الله بذلك الغم غم القتل والهزيمة، قوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [1]، من الفتح والغنيمة، ﴿ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ ﴾ [2] أي: ولا على ما أصابكم من القتل والهزيمة، ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [3].

قوله تعالى ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ....

[١٥٤] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم ﴾ [4]، يا معشر المسلمين، ﴿ مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً ﴾ [5] يعني: أمنا، والأمن والأمنة بمعنى واحد، وقيل: الأمن يكون مع زوال سبب الخوف، والأمنة مع بقاء سبب الخوف، وكان سبب الخوف هنا قائما، ﴿ نُّعَاسًا ﴾ [6]، بدل من الأمنة ﴿ يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ ﴾ [7] قرأ حمزة والكسائي (تغشى) بالتاء ردا إلى الأمنة،

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٥٤.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٥٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٥٤.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

وقرأ الآخرون بالياء ردا إلى النعاس، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم، هـ انما ينعس من يأمن، والخائف لا ينام (يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ) يعني: المؤمنين، ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ ﴾ (١) يعني المنافقين: قيل: أراد تمييز المنافقين من المؤمنين، فأوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا، ولم يوقع على المنافقين، فبقوا في الخوف قد أهمتهم أنفسهم، أي: حملتهم على الهم يقال: أمر مهم ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾ (٢) أي: لا ينصر محمدا، وقيل: ظنوا أن محمدا ﷺ قد قتل، ﴿ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ﴾ (٣) أي: كظن أهل الجاهلية والشرك، ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا ﴾ (٤): ما لنا، لفظه استفهام ومعناه: جحد، ﴿ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ ﴾ (٥) يعني: النصر، ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ ﴾ (٦)، قرأ أهل البصرة برفع اللام على الابتداء وخبره في (لله) وقرأ الآخرون بالنصب على البدل، وقيل: على النعت، ﴿ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ ﴾ (٧)، وذلك أن المنافقين، قال بعضهم لبعض: لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى قتال أهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا، وقيل: لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا، قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يعني: التكذيب بالقدر، وهو قولهم: (لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا)، ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٤.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٤.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٤.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٥٤.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٥٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٥٤.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ ﴾ [1]، قضي، ﴿ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ ﴾ [2] مصارعهم، ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ ﴾ [3]، وليمتحن الله، ﴿ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ ﴾ [4]، يخرج ويظهر ﴿ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤ ﴾ [5]، بما في القلوب من خير وشر.

[١٥٥] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ ﴾ [6]، انزموا، ﴿ مِنكُمۡ ﴾ [7]، يا معشر المسلمين، ﴿ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ [8]، جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد، وكان قد انزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر رجلا ستة من المهاجرين: وهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [9] أي: طلب زلتهم، كما يقال: أستعجلت فلانا إذا طلبت عجلته، وقيل: حملهم الزلة وهي الخطيئة، وقيل: أزل واستزل بمعنى واحد، ﴿ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ ﴾ [10]، أي: بشؤم ذنوبم، قال بعضهم: بتركهم المركز، وقال

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

(٥) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

(٦) سورة آل عمران آية : ١٥٥.

(٧) سورة آل عمران آية : ١٥٥.

(٨) سورة آل عمران آية : ١٥٥.

(٩) سورة آل عمران آية : ١٥٥.

(١٠) سورة آل عمران آية : ١٥٥.

الحسن: ما كسبوا هو قبولهم من الشيطان ما وسوس إليهم من الهزيمة، ﴿ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ (١).

[١٥٦] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (٢)، يعني: المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، ﴿ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ ﴾ (٣)، في النفاق والكفر، وقيل: في النسب، ﴿ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٤) أي: سافروا فيها لتجارة أو غيرها، ﴿ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى ﴾ (٥) أي: غزاة جمع غاز فقتلوا، ﴿ لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ ﴾ (٦) يعني قولهم وظنهم، ﴿ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ (٧) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (يعملون) بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء.

[١٥٧] ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ ﴾ (٨)، قرأ نافع وحمزة والكسائي (متم) بكسر الميم، وقرأ الآخرون بالضم، فمن ضمه فهو من مات يموت، كقولك: من قال يقول قلت: بضم القاف، ومن كسره فهو من مات يمات، كقولك من خاف يخاف: خفت، ﴿ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (٩)، في العاقبة، ﴿ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ (١)، من

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٥.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٦.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٦.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٥٦.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٥٦.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٥٦.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٥٦.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٥٧.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٥٧.

الغنائم، قراءة العامة (تجمعون) بالتاء، لقوله: (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ) وقرأ حفص عن عاصم (يجمعون) بالياء، يعني: خير مما يجمع الناس.

قوله تعالى وَلَئِنْ مُتمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ....

[١٥٨] ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[٢]، في العاقبة.

[١٥٩] قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [٣] أي: فبرحمة من الله، و (ما) صلة، كقوله (فبما نقضهم) ﴿ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [٤] أي: سهلت لهم أخلاقك، وكثرة احتمالك، ولم تسرع إليهم بالغضب فيما كان منهم يوم أحد، ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا ﴾ [٥] يعني: جافيا سيئ الخلق قليل الاحتمال، ﴿ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ [٦]، قال الكلبي: فظا في القول غليظ القلب في الفعل، ﴿ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [٧]، أي: نفروا وتفرقوا عنك يقال: فضضتهم فانفضوا، أي: فرقتهم فتفرقوا ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾ [٨]، تجاوز عنهم ما أتوا يوم أحد عاله ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [٩] حتى أشفعك فيهم، ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [١٠] أي: استخرج آراءهم واعلم ما عندهم، من قول العرب: شرت الدابة، وشروتا، إذا

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٥٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٥٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٥٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٥٩.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٥٩.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٥٩.
(١٠) سورة آل عمران آية : ١٥٩.

استخرجت جريها، وشرت العسل وأشرته إذا أخذته من موضعه، واستخرجته، واختلفوا في المعنى الذي لأجله أمر الله نبيه و!سه بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه، ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا أو كرهوا، فقال بعضهم: هو خاص في المعنى، أي: وشاورهم فيما لبس عندك فيه من الله تعالى عهد، وقال الكلبي: يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو، وقال مقاتل وقتادة: أمر الله تعالى بمشاورتم تطييبا لقلوبم، فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانم، فإن سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمر شق ذلك عليهم، وقال الحسن: قد علم الله ﷻ أنه ما به إلى مشاورتم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده، ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [1] لا على مشاورتم، أي: قم بأمر الله وثق به واستعنه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [2].

[١٦٠] ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [3]، يعينكم الله ويمنعكم من عدوكم، ﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ ﴾ [4]، مثل يوم بدر، ﴿ وَإِن يَخْذُلْكُمْ ﴾ [5]، يترككم فلم ينصركم كما كان بأحد، والخذلان: القعود عن النصرة، والإسلام للهلكة ﴿ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾ [6]، أي: من بعد خذلانه، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [7]، قيل:

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٩.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٠.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٦٠.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٦٠.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٦٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٦٠.

التوكل ألا تعصي الله من أجل رزقك، وقيل: ألا تطلب لنفسك ناصرا غير الله ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره.

[١٦١] قوله ﷻ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ ﴾ (١) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم (يَغُل) بفتح الياء وضم الغين، معناه: أن يخون، والمراد منه الأمة: وقيل: اللام فيه منقولة معناه: ما كان النبي ليغل، وقيل: معناه ما كان يظن به ذلك ولا يأتي به، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين، وله وجهان، أحدهما: أن تكون من الغلول أيضا، أي: ما كان لنبي أن يخان، يعني: أن تخونه أمته، والوجه الآخر: أن يكون من الأغلال، معناه: ما كان لنبي أن يغل: أن يخون، أي: ينسب إلى الخيانة، ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾ (٢)، قال الكلبي: يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له: انزل فخذه فيـ ل فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع إلى النار، ثم يكلف أن يـ ل إليه، فيخرجه فيفعل ذلك به ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ (٣).

[١٦٢] ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ (٤)، فترك الغلـول، ﴿ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (٥)، فغل، ﴿ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ ﴾ (٦).

[١٦٣] ﴿ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ (٧) يعني: ذو درجات عند الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله،

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٦١.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٦١.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٦١.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٦٢.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٦٢.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٦٢.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٦٣.

فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم، ولمن باء بسخط من الله العذاب الأليم. ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣ ﴾ [1].

[١٦٤] ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [2]، قيل: أراد به العرب لأنه ليس حي من أحياء العرب إلا وله فيهم من نسب إلا بني تغلب، دليله قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ [3] وقال الآخرون: أراد به جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى: (من أنفسهم) أي: بالإيمان والشفقة لا بالنسب، دليله قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ ﴾ [4]، وقد كانوا، ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ [5] أي: من قبل بعثه ﴿ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾ [6].

[١٦٥] ﴿ أَوَلَمَّآ ﴾ [7] أي: حين ﴿ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ [8]، بأحد، ﴿ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾ [9]، ببدر، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم ببدر سبعين وأسروا سبعين، ﴿ قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَـٰذَا ﴾ [10]، من أين لنا هذا

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٦٤.
(٣) سورة الجمعة آية : ٢.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٦٤.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٦٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٦٤.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٦٥.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٦٥.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٦٥.
(١٠) سورة آل عمران آية : ١٦٥.

القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله ﷺ فينا؟ ﴿ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾[1]، روى عبيدة السلماني عن علي رضي الله عنه قال: « جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ للناس فقالوا: يا رسول الله عشائرنا وإخواننا، لا بل تأخذ منهم فداءهم، فنقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتم، فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر »، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾[2]، أي بأخذكم الفداء واختياركم القتل، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾[3].

قوله تعالى وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ....

[١٦٦] ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾[4]، بأحد من القتل والجرح والهزيمة، ﴿ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[5]، أي: بقضاء الله وقدره، ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ ﴾[6]، أي: وليميز، وقيل ليرى.

[١٦٧] ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[7]، أي: لأجل دين الله وطاعته، ﴿ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ ﴾[8]، عن أهلكم وحريمكم، وقال السدي:

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٥.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٦٥.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٥.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٦٦.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٦٦.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٦٦.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٦٧.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٦٧.

أي: كثروا سواد المسلمين واربطوا إن لم تقاتلوا يكون ذلك دفعا وقمعا للعدو، ﴿ قَالُوا۟ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ ﴾ [1]، وهو عبد الله بن أبي وأصحابه الذين انصرفوا عن أحد وكانوا ثلاثمائة، قال الله تعالى: ﴿ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ ﴾ [2] أي: إلى الكفر يومئذ أقـرب ﴿ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ [3] أي: إلـى الإيمان، ﴿ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم ﴾ [4]، يعني: كلمة الإيمان ﴿ مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [5].

[١٦٨] ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ ﴾ [6]، في النسب لا في الدين وهم شهداء أحد ﴿ وَقَعَدُوا۟ ﴾ [7] يعني: قعد هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿ لَوۡ أَطَاعُونَا ﴾ [8]، وانصرفوا عن محمد ﷺ وقعدوا في بيوتم ﴿ مَا قُتِلُوا۟ۗ قُلۡ ﴾ [9]، لهم يا محمد، ﴿ فَٱدۡرَءُوا۟ ﴾ [10]، فادفعوا، ﴿ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [11]، أن الحذر يغني عن القدر.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٦٧.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٦٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٦٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٦٨.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٦٨.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٦٨.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٦٨.
(١٠) سورة آل عمران آية : ١٦٨.
(١١) سورة آل عمران آية : ١٦٨.

[١٦٩] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ ﴾ [1] الآية، قيل: نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وقال الآخرون: نزلت في شهداء أحد وكانوا سبعين رجلا، وقال قوم: نزلت هذه الآية لحي شهداء بئر معونة، وقيل: إن أولياء الشهداء كانوا أصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء، وقالوا: نحن في النعمة وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور، فأنزل الله تعالى تنفيسا عنهم وإخبارا عن حال قتلاهم: (ولا تحسبن) ولا تظنن (الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) قرأ ابن عامر (قتلوا) بالتشديد، والآخرون بالتخفيف (أمواتا) كأموات من لم يقتل في سبيل الله ﴿ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [2]، قيل: أحياء في الدين، وقيل: في الذكر، وقيل: لأنهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالأحياء، وقيل: لأن أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة، وقيل: لأن الشهيد لا يبلى في القبر، ولا تأكله الأرض، ﴿ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ ﴾ [3]، من ثمار الجنة وتحفها.

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٩.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٦٩.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٩.

[١٧٠] ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾[1]، رزقه وثوابه، ﴿ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾[2]، ويفرحون، ﴿ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾[3]، من إخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على مناهج الإيمان والجهاد لعلمهم أنهم إذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا، فهم لذلك مستبشرون، ﴿ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝١٧٠ ﴾[4].

[١٧١] ﴿ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾[5] أي: وبأن الله، وقرأ الكسائي بكسر الألف على الاستئناف، ﴿ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٧١ ﴾[6].

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[7] أي أجابوا، ومحل (الذين) خفض على صفة المؤمنين تقديره: إن الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين الذين استجابوا لله والرسول، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ ﴾[8]، أي: نالهم الجرح في أحد، وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال: ﴿ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[9] بطاعة رسول الله ﷺ وإجابته إلى الغزو، ﴿ وَٱتَّقَوۡاْ ﴾[10]، معصيته ﴿ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٢ ﴾[11].

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٠.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٠.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٠.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٠.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٧١.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٧١.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٧٢.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٧٢.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٧٢.
(١٠) سورة آل عمران آية : ١٧٢.
(١١) سورة آل عمران آية : ١٧٢.

[١٧٣] ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ ﴾ [١] يعني أبا سفيان وأصحابه، ﴿ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾ [٢]، فخافوهم واحذروهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، ﴿ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ [٣] تصديقا ويقينا وقوله: ﴿ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ ﴾ [٤] أي: كافينا الله، ﴿ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [٥]، أي: الموكل إليه الأمور، فعيل بمعنى مفعول.

قوله تعالى فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ....

[١٧٤] ﴿ فَٱنقَلَبُواْ ﴾ [٦]، فانصرفوا، ﴿ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [٧] بعافية لم يلقوا عدوا ﴿ وَفَضۡلٖ ﴾ [٨] تجارة وربح، ﴿ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾ [٩] لم يصبهم أذى ولا مكروه، ﴿ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ ﴾ [١٠] في طاعة الله وطاعة رسوله، وذلك أنهم قالوا: هل يكون هذا غزو فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم، ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [١١].

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٧٣.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٧٤.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٧٤.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٧٤.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٧٤.
(١٠) سورة آل عمران آية : ١٧٤.
(١١) سورة آل عمران آية : ١٧٤.

[١٧٥] قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾[١]، يعني: ذلك الذي قال لكم: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾[٢]، من فعل الشيطان ألقي في أفواههـم لترهبوهـم وتجبنوا عنهم، ﴿ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾[٣]، أي يخوفكـم بأوليائه، وكذلك هو في قراءة أبي بن كـعب يعني: يخوف المؤمنين بالكافرين، قال السدي: يعظم أولياءه في صدورهم ليخافوهم، يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود (يخوفكم أولياءه)، ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ ﴾[٤]، في ترك أمري ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥ ﴾[٥]، مصدقين بوعدي لأني متكفل لكم بالنصر والظفر.

[١٧٦] قوله ﷻ ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ﴾[٦]، قرأ نافع (يحزنك) بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك في جميع القرآن إلا قوله: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ ﴾[٧]، ضده أبو جعفر، وهما لغتان: حزن يحزن وأحزن يحزن، إلا أن اللغة الغالبة حزن يحزن، ﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ ﴾[٨]، قال الضحاك: هم كفار قريش، وقال غيره: المنافقون يسارعون في الكفر بمظاهرة الكفار. ﴿ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ ﴾[٩]، بمسارعتهم في الكفر،

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٥.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٥.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٥.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٧٥.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٧٦.
(٧) سورة الأنبياء آية : ١٠٣.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٧٦.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٧٦.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [1]، نصيبا في ثواب الآخرة، فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر، ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦ ﴾ [2].

[١٧٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ﴾ [3]، استبدلوا ﴿ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا ﴾ [4]، بمسارعتهم في الكفر وإنما يضرون أنفسهم، ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧ ﴾ [5].

[١٧٨] ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [6]، قرأ حمزة هذا والذي بعده بالتاء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء، فمن قرأ بالياء (فالذين) في محل الرفع على الفاعل وتقديره: لا يحسبن الكفار إملاءنا لهم خيرا، ومن قرأ بالتاء يعني: ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا، وإنما نصب على البدل من الذين، ﴿ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ ﴾ [7]، والإملاء الإمهال والتأخير، يقال: عشت طويلا وتمليت حينا، ومنه قوله تعالى: (واهجرني مليا) أي: حينا طويلا، ثم ابتدأ فقال: ﴿ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ ﴾ [8]، نمهلهم ﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨ ﴾ [9]، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة، وقال عطاء: في قريظة والنضير.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٦.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٦.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٧.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٧٧.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٧٨.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٧٨.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٧٨.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٧٨.

[١٧٩] قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ (١) اختلفوا في حكم الآية ونظمها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين: الخطاب للكفار والمنافقين، يعني: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (٢) يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ (٣)، وقال قوم: الخطاب للمؤمنين الذين أخبر عنهم، معناه: ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق، فرجع من الخبر إلى الخطاب، (حتى يميز الخبيث من الطيب)، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم الياء وتشديدها وكذلك التي في الأنفال، وقرأ الباقون بالتخفيف، يقال: ماز الشيء يميزه ميزا وميزه تمييزا إذا فرقه فامتاز، هـ ـانما هو بنفسه، قال أبو معاذ إذا فرقت بين شيئين، قلت: مزت ميزا فإذا كانت أشياء قلت: ميزتا تمييزا، وكذلك إذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت: فرقت بالتخفيف، ومنه فرقت الشعر، فإن جعلته أشياء، قلت: فرقته تفريقا، ومعنى الآية: حتى يميز المنافق من المخلص، فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد حيث أظهروا النفاق فتخلفوا عن رسول الله ﷺ وقال قتادة: حتى يميز الكافر من المؤمن بالهجرة والجهاد، وقال الضحاك: (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) في أصلاب الرجال وأرحام النساء يا معشر المنافقين والمشركين حتى يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين، وقيل: (حتى يميز الخبيث) وهو المذنب (من الطيب) وهو المؤمن، يعني: حتى تحط الأوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ (٤)، لأنه لا يعلم الغيب أحد غير الله، ﴿ وَلَـٰكِنَّ

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٩.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٩.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٩.

ﱡﭐ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ ﱠ[1] فيطلعه على بعض علم الغيب، نظيره قوله تعالى: ﱡﭐ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﱠ[2] ﱡﭐ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﱠ[3]، وقال السدي: معناه وما كان الله ليطلع محمدا ﷺ على الغيب ولكن الله اجتباه، ﱡﭐ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﱠ[4].

[١٨٠] ﱡﭐ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ ﱠ[5]، أي: ولا يحسبن الباخلون البخل خيرا لهم، ﱡﭐ بَلْ هُوَ ﱠ[6]، يعني: البخل، ﱡﭐ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ ﱠ[7]، أي: سوف يطوقون، ﱡﭐ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﱠ[8]، يعني: يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فوقه إلى قدمه، هذا قول ابن مسعود وابن عباس، وقال إبراهيم النخعي: معنى الآية يجعل يوم القيامة في أعناقهم طوقا من النار، قال مجاهد: يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم. وروى عطية عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ ونبوته، وأراد بالبخل كتمان العلم كما قال في سورة النساء ﱡﭐ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ ﱠ[9] ومعنى قوله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) أي:

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٩.
(٢) سورة الجن آية : ٢٦.
(٣) سورة الجن آية : ٢٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٨٠.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٨٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٨٠.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٨٠.
(٩) سورة النساء آية : ٣٧.

يحملون وزره وإثمه، كقوله تعالى: ﴿ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ ﴾ [1] ، ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [2]، يعني: أنه الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم، نظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا ﴾ [3]، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠ ﴾ [4]، قرأ أهل البصرة ومكة بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء.

قوله تعالى لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الذِينَ قَالُوا إِن اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ....

[١٨١] قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ ﴾ [5]، قال الحسن ومجاهد: لما نزلت: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾ [6] قالت اليهود: إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء، ﴿ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ ﴾ [7]، من الإفك والفرية على الله فنجازيهم به، وقال مقاتل: سنحفظ عليهم، وقال الواقدي: سنأمر الحفظة بالكتابة، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤ ﴾ [8]. ﴿ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١ ﴾ [9]، قرأ حمزة (سيكتب) بضم الياء، (وقتلهم) برفع اللام (ويقول) بالياء، و (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أي: النار، وهو بمعنى المحرق، كما يقال: (لهم عذاب أليم)، أي: مؤلم.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٣١.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٠.

(٣) سورة مريم آية : ٤٠.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٠.

(٥) سورة آل عمران آية : ١٨١.

(٦) سورة البقرة آية : ٢٤٥.

(٧) سورة آل عمران آية : ١٨١.

(٨) سورة الأنبياء آية : ٩٤.

(٩) سورة آل عمران آية : ١٨١.

[١٨٢] ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢ ﴾[(١)]، فيعذب بغير ذنب.

[١٨٣] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ ﴾[(٢)]، الآية، قال الكلبي: نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا محمد تزعم أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك الكتاب وأن الله تعالى قد عهد إلينا في التوراة ﴿ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ ﴾[(٣)]، يزعم أنه من عند الله، ﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ ﴾[(٤)]، فإن جئتنا به صدقناك؟ فأنزل الله تعالى: (الذين قالوا) أي: سمع الله قول الذين قالوا، ومحل (الذين) خفض ردا على الذين الأول، (إن اللهَ عَهِدَ إلَيْنا) أي: أمرنا وأوصانا في كتبه أن لا نؤمن برسول، أي: لا نصدق رسولا يزعم أنه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار أضار فيكون دليلا على صدقه، والقربان، كل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من نسيكة وصدقة ملأ وعمل صالح، وهو فعلان من القربة، وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل، وكانوا إذا قربوا قربانا أو غنموا غنيمة جاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها، ولها دوي وحفيف، فتأكله وتحرق ذلك القربان وتلك الغنيمة فيكون ذلك علامة القبول، وإذا لم يقبل بقيت على حالها، وقال السدي: إن الله تعالى أمر بني إسرائيل من جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد، فإذا أتياكم فآمنوا بما، فإنما يأتيان بغير قربان، قال الله تعالى إقامة للحجة عليهم، ﴿ قُلۡ ﴾[(٥)]، يا محمد ﴿ قَدۡ جَآءَكُمۡ ﴾[(١)]، يا

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨٢.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٣.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨٣.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٣.

(٥) سورة آل عمران آية : ١٨٣.

معشر اليهود، ﴿ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ ﴾[2]، من القربان ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ ﴾[3]؟ يعني: زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الأنبياء، وأراد بذلك أسلافهم فخاطبهم بذلك لأنهم رضوا بفعل أسلافهم ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[4]، معناه تكذيبهم إياك مع علمهم بصدقك، كقتل آبائهم الأنبياء، مع الإتيان بالقربان والمعجزات، ثم قال معزيا لنبيه ﷺ.

[١٨٤] ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾[5]، قرأ ابن عامر: (وبالزبر) أي: بالكتب المزبورة، يعني: المكتوبة، واحدها مـثل: رسول ورسـل، ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾[6]، الواضح المضيء.

[١٨٥] قوله ﷻ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾[7]، منفوسة ﴿ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ ﴾[8]، توفون جزاء أعمالكم، ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ﴾[9] إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ﴿ فَمَن زُحْزِحَ ﴾[10]، نحي وأزيل، ﴿ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٨٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٨٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٨٤.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٨٥.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٨٥.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٨٥.
(١٠) سورة آل عمران آية : ١٨٥.

﴿ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾ [1]، يعني منفعة ومتعة كالفأس والقدر والقصعة، ثم يزول ولا يبقى، وقال الحسن: كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل له، قال قتادة: هي متاع متروكة يوشك أن تضمحل بأهلها، فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم، والغرور الباطل.

[١٨٦] ﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾ [2] (لَتُبْلَوُنَّ) لتختبرن، اللام للتأكيد، وفيه معنى القسم، والنون لتأكيد القسم (فِي أَمْوَالِكُمْ) بالجـوائح والعاهات والخسران (وأنفسكـم) بالأمراض، وقيل: بمصائب الأقارب والعشائر، قال عطاء: هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعذبوهم، وقال الحسن: هو ما فرض عليهم من أموالهم وأنفسهم من الحقوق، كالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة، ﴿ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [3] يعني: اليهود والنصارى، ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ ﴾ [4]، يعني: مشركي العرب، ﴿ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ ﴾ [5]، على أذاهم ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ [6]، الله، ﴿ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦ ﴾ [7]، من حق الأمور وخيرها، وقال عطاء: من حقيقة الإيمان.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٦.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨٦.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٦.

(٥) سورة آل عمران آية : ١٨٦.

(٦) سورة آل عمران آية : ١٨٦.

(٧) سورة آل عمران آية : ١٨٦.

قوله تعالى وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلناس وَلَا تَكْتُمُونَهُ....

[١٨٧] ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[١]، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالياء فيهما، لقوله تعالى: (فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ)، وقرأ الآخرون بالتاء فيها على إضمار القول، ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾[٢]، أي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به، ﴿ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[٣]، يعني المآكل والرشا ﴿ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[٤]، قال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة، وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية.

[١٨٨] ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ ﴾[٥]، قرأ عاصم وحمزة والكسائي (لا تحسبن) بالتاء، أي: لا تحسبن يا محمد الفارحين، وقرأ الآخرون بالياء لا تحسبن الفارحون في فرحهم منجيا لهم من العذاب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (فلا يحسبنهم) بالياء وضم الياء خبرا عن الفارحين، أي فلا يحسبن أنفسهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتح الباء، أي: فلا تحسبنهم يا محمد، وأعاد قوله (فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ) تأكيدا قال عكرمة: نزلت في فنحاص وأسيبع وغيرهما من الأحبار يفرحون بإضلالهم الناس بنسبة الناس إياهم إلى العلم وليسوا بأهل العلم، وقال مجاهد: هم اليهود فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه، وقال سعيد بن جبير: هم اليهود فرحوا بما أعطى

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨٧.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٧.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨٧.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٧.

(٥) سورة آل عمران آية : ١٨٨.

الله آل إبراهيم وهم برآء من ذلك، وقال قتادة ومقاتل: أتت يهود خيبر نبي الله ﷺ فقالوا: نحن نعرفك ونصدقك هـانا على رأيك ونحن لك ردء، وليس ذلك في قلوبهم، فلما خرجوا قال لهم المسلمون: ما صنعتم؟ قالوا: عرفناه وصدقناه، فقال لهم المسلمون: أحسنتم هكذا فافعلوا، فحمدوهم ودعوا لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: (يفرحون بما أتوا) قال الفراء بما فعلوا، كما قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾[1] أي: فعلت، ﴿ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ ﴾[2] بمناجاة ﴿ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

[١٨٩] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾[4]، يصرفها كيف يشاء، ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5].

[١٩٠] ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[6] ذوي العقول، ثم وصفهم فقال:

[١٩١] ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[7]، قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم والنخعي وقتادة: هذا في الصلاة يصلي قائما فإن لم يستطع قاعدا فإن لم يستطع فعلى جنب، وقال سائر المفسرين أراد به المداومة على الذكر في عموم الأحوال لأن الإنسان قلما يخلو من إحدى هذه الحالات الثلاث، نظيره في سورة

(١) سورة مريم آية : ٢٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٨٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٨٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٩٠.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٩١.

النساء ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ﴾[1]، ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2]، وما أبدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الله ويعرفوا أن لها صانعا قادرا مدبرا حكيما، قال ابن عون: الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء، وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة، ﴿ رَبَّنَا ﴾ [3] أي: ويقولون ربنا ﴿ مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا ﴾ [4] رده إلى الخلق فلذلك لم يقل هذه، ﴿ بَـٰطِلًا ﴾[5]، أي: عبثا وهزلا بل خلقته لأمر عظيم، وانتصب (باطلا) بنزع الخافض، أي: بالباطل، ﴿ سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[6].

[١٩٢] ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ ﴾ [7] أي: أهنته، وقيل: أهلكته، وقيل: فضحته، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ ﴾ [8] فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ ﴾[9]، ومن أهل الإيمان من يدخل النار، وقد قال: (رَبنا إنكَ مَنْ تُدْخِلِ النارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ)، فكيف الجمع؟ قيل: قال أنس وقتادة معناه: إنك من تخلده في النار فقد أخزيته، وقال سعيد بن المسيب هذه خاصة

(١) سورة النساء آية : ١٠٣.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٩١.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٩١.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٩١.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٩١.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٩١.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٩٢.
(٨) سورة هود آية : ٧٨.
(٩) سورة التحريم آية : ٨.

لمن لا يخرج منها، فقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ ﴿ إن الله يدخل قوما النار ثم يخرجون منها ﴾. ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [1].

[١٩٣]، ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا ﴾ [2] يعني: محمدا ﷺ قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، وأكثر الناس، وقال القرظي: يعني القرآن، فليس كل واحد يلقى النبي ﷺ ﴿ يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ [3] إلى الإيمان، ﴿ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ [4] أي: في جملة الأبرار.

[١٩٤] ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ [5] أي: على ألسنة رسلك، ﴿ وَلَا تُخۡزِنَا ﴾ [6]، ولا تعذبنا ولا تلكنا ولا تفضحنا ولا تنا، ﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [7]، فإن قيل: ما وجه قولهم: (رَبنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلى رُسُلِكَ)، وقد علموا أن الله لا يخلف الميعاد؟ قيل: لفظه دعاء ومعناه خبر، أي: لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك، تقديره: ﴿ فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ [8] (وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة، وقيل. معناه ربنا واجلعنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيهم ما وعدتم على ألسنة رسلك لأنم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة، فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها، وقيل: إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩٢.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٩٣.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٩٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٩٣.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٩٤.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٩٤.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٩٤.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٩٣.

على الأعداء، وقالوا: قد علمنا أنك لا تخلف وعدك من النصر، ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل خزيهم وانصرنا عليهم.

قوله تعالى فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أني لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ....

[١٩٥]، قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي ﴾ [١] أي: بأني: ﴿ لَآ أُضِيعُ ﴾ [٢] لا أحبط، ﴿ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم ﴾ [٣]، أيها المؤمنون ﴿ مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ ﴾ [٤] قال مجاهد: ﴿ قالت أم سلمة يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴾ [٥]، ﴿ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ [٦]، قال الكلبي: في الدين والنصرة والموالاة، وقيل: كلكم من آدم وحواء، وقال الضحاك: رجالكم شكل نسائكم ونساؤكم شكل رجالكم في الطاعة، كما قال: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [٧]، ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي ﴾ [٨]، أي: في طاعتي وديني، وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة، ﴿ وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ ﴾ [٩] قرأ ابن عامر وابن كثير (قتلوا) بالتشديد، وقال الحسن: يعني أنهم قطعوا في المعركة، والآخرون

(١) سورة آل عمران آية : ١٩٥.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٩٥.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٩٥.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٩٥.
(٥) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٢٣).
(٦) سورة آل عمران آية : ١٩٥.
(٧) سورة التوبة آية : ٧١.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٩٥.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٩٥.

بالتخفيف، وقرأ أكثر القراء: (وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا) يريد أنهم قاتلوا العدو ثم أنهم قتلوا، وقرأ حمزة والكسائي (قتلوا وقاتلوا) وله وجهان، أحدهما: معناه وقاتل من بقي منهم، ومعنى قوله (وقتلوا) أي: قتل بعضهم، تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، والوجه الآخر (وقتلوا) وقد قاتلوا، ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[1]، نصب على القطع قاله الكسائي، وقال المبرد: مصدر، أي: لأثيبنهم ثوابا، ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ ﴾[2].

[١٩٦]، قوله ﷻ ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦ ﴾[3]، نزلت في المشركين، وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦ ﴾[4]، وضربهم في الأرض وتصرفهم في البلاد للتجارات وأنواع المكاسب، فالخطاب للنبي ﷺ والمراد منه غيره.

[١٩٧]، ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾[5]، أي: هو متاع قليل، بلغة فانية ومتعة زائلة، ﴿ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ ﴾[6]، مصيرهم، ﴿ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٩٧ ﴾[7]. الفراش.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩٥.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٩٥.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٩٦.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٩٦.

(٥) سورة آل عمران آية : ١٩٧.

(٦) سورة آل عمران آية : ١٩٧.

(٧) سورة آل عمران آية : ١٩٧.

[١٩٨] ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا ﴾ [(١)]، جزاء وثوابا، ﴿ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ ﴾ [(٢)]، نصب على التفسير، وقيل: جعل ذلك نزلا، ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [(٣)] من متاع الدنيا.

[١٩٩]، قوله ﷻ ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ﴾ [(٤)] هو الآية، قال ابن عباس وجابر وأنس وقتادة: نزلت في النجاشي ملك الحبشة، وقال عطاء: نزلت في أهل نجران أربعين رجلا اثنان وثلاثون من أرض الحبشة وثمانية من الروم، كانوا على دين عيسى عليه السلام، فآمنوا بالنبي ﷺ وقال ابن جريج: نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال مجاهد: نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم، ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ [(٥)] يعني: القرآن، ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [(٦)] يعني: التوراة والإنجيل، ﴿ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ [(٧)] خاضعين متواضعين لله، ﴿ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ ﴾ [(٨)] يعني: لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون صفة محمد ﷺ لأجل الرياسة والمآكلة، كفعل غيرهم من رؤساء اليهود، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [(٩)].

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩٨.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٩٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٩٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٩٩.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٩٩.
(٦) سورة آل عمران آية : ١٩٩.
(٧) سورة آل عمران آية : ١٩٩.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٩٩.
(٩) سورة آل عمران آية : ١٩٩.

[٢٠٠] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ﴾[(١)]، قال الحسن: اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا رخاء، وقال قتادة: اصبروا على طاعة أدته، وقال الضحاك ومقاتل بن سليمان: على أمر الله، وقال مقاتل بن حيان: على أداء فرائض الله تعالى، وقال زيد بن أسلم: على الجهاد، وقال الكلبي. على البلاء، وصابروا يعني: على قتال الكفار، ورابطوا يعني المشركين، قال أبو عبيدة: أي دافعوا واثبتوا، والربط الشد، وأصل الرباط أن يربط خيولهم، وهؤلاء خيولهم، ثم قيل: ذلك لكم مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه، وإن لم يكن له مركب، قال رسول الله ﷺ ﴿ رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، ولروحة يروحها العبد في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ﴾[(٢)]، وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابط فيه، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة، ودليل هذا التأويل قول رسول الله ﷺ قال: ﴿ ألا أخبركـم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط ﴾[(٣)] ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠ ﴾[(٤)]، قال بعض أرباب اللسان: اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكـم تفلحون في دار البقاء.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢٠٠.

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٧٣٥), مسلم الإمارة (١٨٨١), الترمذي فضائل الجهاد (١٦٤٨), النسائي الجهاد (٣١١٨), ابن ماجه الجهاد (٢٧٥٦), أحمد (٣٣٩/٥), الدارمي الجهاد (٢٣٩٨).

(٣) مسلم الطهارة (٢٥١), الترمذي الطهارة (٥١), النسائي الطهارة (١٤٣), ابن ماجه الطهارة وسننها (٤٢٨), أحمد (٣٠٣/٢), مالك النداء للصلاة (٣٨٦).

(٤) سورة آل عمران آية : ٢٠٠.

(٤) سورة النساء

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا....

[١] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[(١)]، يعني: آدم عليه السلام، ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[(٢)] يعني: حواء، ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا ﴾[(٣)]، نشر وأظهر، ﴿ رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ ﴾[(٤)] أي: تتساءلون به ﴿ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ﴾[(٥)]، قراءة العامة بالنصب، أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقرأ حمزة بالخفض، أي: به وبالأرحام كما يقال: سألتك بالله والأرحام، والقراءة الأولى أفصح لأن العرب لا تكاد تنسق بظاهر على مكنى إلا بعد أن تعيد الخافض فتقول: مررت به وبزيد، إلا أنه جائز مع قلته، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ ﴾[(٦)]، أي: حافظا.

[٢] قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ ﴾[(٧)]، قوله: ﴿ وَءَاتُواْ ﴾[(٨)] خطاب للأولياء والأوصياء، واليتامى: جمع يتيم، واليتيم: اسم لصغير لا أب له ولا جد، وإنما يدفع المال إليهم بعد البلوغ، وسماهم يتامى هاهنا على معنى أنم كانوا يتامى، ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ﴾[(٩)]، لا

---

(١) سورة النساء آية : ١.
(٢) سورة النساء آية : ١.
(٣) سورة النساء آية : ١.
(٤) سورة النساء آية : ١.
(٥) سورة النساء آية : ١.
(٦) سورة النساء آية : ١.
(٧) سورة النساء آية : ٢.
(٨) سورة النساء آية : ٢.
(٩) سورة النساء آية : ٢.

تستبدلوا، ﴿ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ ﴾ (١)، أي: مالهم الذي هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم، واختلفوا في هذا التبديل، قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي: كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء، فربما كان أحد يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانا المهزولة، ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف، ويقول: درهم بدرهم، فنهوا عن ذلك، وقيل: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان ويأخذ الأكبر الميراث، فنصيبه من الميراث طيب، وهذا الذي يأخذه من نصيب غيره خبيث، وقال مجاهد: لا تتعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال. ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ ﴾ (٢)، أي مـع أموالكم، كقوله تعالى: ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ (٣): مع الله، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ۝٢ ﴾ (٤)، إثما عظيما.

[٣] وقوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ﴾ (٥)، اختلفوا في تأويلهم، فقال بعضهم: معناه إن خفتم يا أولياء اليتامى ألا تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب مثنى وثلاث ورباع وقال الحسن: كان الرجل من أهل الجاهلية تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها ويتربص أن تموت ويرثها، فعاب الله تعالى ذلك، وأنزل الله هذه الآية، وقال عكرمة: كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والأكثر فإذا صار معدما من مؤن نسائه مال إلى مال يتيمته التي في حجره فأنفقه، فقيل لهم: لا تزيدوا على أربع حتى

(١) سورة النساء آية : ٢.
(٢) سورة النساء آية : ٢.
(٣) سورة آل عمران آية : ٥٢.
(٤) سورة النساء آية : ٢.
(٥) سورة النساء آية : ٣.

لا يحوجكم إلى أخذ أموال اليتامى، وهذه رواية طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال بعضهم: كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في النساء، فيتزوجون ما شاءوا وربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَـٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ [1] أنزل هذه الآية ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَـٰمَىٰ ﴾ [2]، يقول كما خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ألا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقوقهن، لأن النساء في الضعف كاليتامى، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي، ثم رخـص في نكاح أربع فقال: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾ [3] وقال مجاهد: معناه إن تحرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم إيمانا فكذلك تحرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال نكاحا طيبا ثم بين لهم عددا، وكانوا يتزوجون ما شاءوا من غير عدد، ف ل قوله تعالى: (فَٱنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النسَاءِ) أي: من طاب، والعرب تضع (من) و (ما) كل واحدة موضع الأخرى، وطاب أي: حل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، معدولات عن اثنين وثلاث وأربع، ولذلك لا يصرفن، وإن الواو بمعنى أو، للتخيير، كقوله تعالى: ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ [4] وهذا إجماع أن أحدا من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة (فإن خفتم)، خشيتم، وقيل: علمتم، (ألا تعدلوا)، بين الأزواج الأربع، (فَوَاحِدَةً) أي: فانكحوا واحدة. وقرأ أبو جعفر (فواحدة) بالرفع، ﴿ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡۚ ﴾ [5]، يعني: السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر، ولا

---

(١) سورة النساء آية : ٢.

(٢) سورة النساء آية : ٣.

(٣) سورة النساء آية : ٣.

(٤) سورة سبأ آية : ٤٦.

(٥) سورة النساء آية : ٣.

قسم لهن ولا وقف في عددهن، ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ ﴾[1]، أقرب ﴿ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣ ﴾[2] أي: لا تجوروا ولا تميلوا، يقال: ميزان عائل، أي: جائر مائل، هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: ألا تضلوا، وقال الفراء: ألا تجاوزوا ما فرض الله عليكم، وأصل العول: المجاوزة، ومنه عول الفرائض، وقال الشافعي رحمه الله: ألا تكثر عيالكم، وما قاله أحد، إنما يقال: أعال يعيل إعالة إذا كثر عياله. وقال أبو حاتم: كان الشافعي ﷺ أعلم بلسان العرب منا فله بلغة، ويقال: هي لغة حمير، وقرأ طلحة بن مصرف (أن لا تعيلوا) وهي حجة لقول الشافعي رضوان الله عليه.

[٤] ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ ﴾[3] قال الكلبي ومجاهد: هذا الخطاب للأولياء، وذلك أن ولي المرأة كان إذا تزوجها لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا، وقال الآخرون: الخطاب للأزواج أمروا بإيتاء نسائهم الصداق، وهذا أصح، لأن الخطاب فيما قبل مع الناكحين، والصدقات: المهور، واحدها صدقة، نحلة قال قتادة: فريضة، وقال ابن جريج: فريضة مسماة، قال أبو عبيدة: ولا تكون النحلة إلا مسماة معلومة، وقال الكلبي: عطية وهبة، وقال أبو عبيدة: عن طيب نفس، وقال الزجاج: تدينا، ﴿ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا ﴾[4]، يعني: فإن طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم، ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ۝٤ ﴾[5]، سائغا طيبا، يقال هنأني الطعام يهنئني بفتح النون في الماضي وكسرها في الغابر، وقيل: الهنيء: الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء، والمريء " المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر.

---

(١) سورة النساء آية : ٣.
(٢) سورة النساء آية : ٣.
(٣) سورة النساء آية : ٤.
(٤) سورة النساء آية : ٤.
(٥) سورة النساء آية : ٤.

[٥] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾ [(١)]، اختلفوا في هؤلاء السفهاء فقال قوم: هم النساء، وقال الضحاك: النساء من أسفه السفهاء، وقال مجاهد: نهى الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات، وقال الآخرون: هم الأولاد، قال الزهري: يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله تعالى فيفسده، وقال بعضهم: هم النساء والصبيان، وقال الحسن: هي امرأتك السفيهة وابنتك السفيهة، وقال ابن عباس: لا تعمد إلى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم، قال الكلبي: إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده. وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هو مال اليتيم يكون عندك، يقول لا تؤته إياه وأنفقه عليه حتى يبلغ، وإنما أضاف إلى الأولياء فقال: (أموالكم) لأنهم قوامها ومدبروها، والسفيه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتيه ماله هو المستحق الحجر عليه، وهو أن يكون مبذرا في ماله أو مفسدا في دينه، فقال جل ذكره: (وَلَا تُؤْتُوا السفَهَاءَ)، أي: الجهال بموضع الحق (أَمْوَالَكُمُ الِتي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)، أصله: قواما، فانقلبت الواو يا ء لانكسار ما قبلها، وهو ملاك الأمر وما يقوم به الأمر. وأراد هاهنا قوام عيشكم الذي تعيشون به. قال الضحاك: به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وبه فكاك الرقاب من النار. ﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ [(٢)] أي: أطعموهم، ﴿ وَٱكْسُوهُمْ ﴾ [(٣)]، لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته، وإنما قال (فيها) ولم يقل: منها، لأنه أراد أنهم جعلوا لهم فيها رزقا فإن الرزق من الله العطية من غير حد، ومن العباد أجر

---

(١) سورة النساء آية : ٥.

(٢) سورة النساء آية : ٥.

(٣) سورة النساء آية : ٥.

موقت محدود، ﴿ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلاً مَّعۡرُوفًا ۝ ﴾ [1] عدة جميلة، وقال عطاء: إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت فلك فيه حظ، وقيل: هو الدعاء، وقال ابن زيد: إن لم يكن ممن يجب عليك نفقته، فقل له: عافانا الله وإياك بارك الله فيك، وقيل: قولا تطيب به أنفسهم.

[٦] قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَـٰمَىٰ ﴾ [2] أي: اختبروهم في عقولهم وأديانهم وحفظهم أموالهم، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ ﴾ [3]، أي: مبلغ الرجال والنساء، ﴿ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم ﴾ [4]، أبصرتم، ﴿ مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ [5]، فقال المفسرون يعني: عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه. وقال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي: لا يدفع إليه ماله وإن كان شيخا حتى يؤنس منه رشده، والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم فإن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي إليه شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره، والإنفاق على عبيده وأجرائه، وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها، فإذا رأى حسن تدبير، وتصرف في الأمور مرارا يغلب على القلب رشده، دفع المال إليه. واعلم أن الله تعالى علق زوال الحجر عن الصغير وجواز دفع المال إليه بشيئين: بالبلوغ والرشد، والبلوغ يكون بأحد أشياء أربعة، اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء، واثنان مختصان بالنساء، أحدهما السن، والثاني الاحتلام، أما السن فإذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية، وأما الاحتلام فنعني به نزول المني سواء كان بالاحتلام أو بالجماع، أو غيرهما، فإذا وجدت ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان حكم ببلوغه، أما ما يختص

---

(١) سورة النساء آية : ٥.
(٢) سورة النساء آية : ٦.
(٣) سورة النساء آية : ٦.
(٤) سورة النساء آية : ٦.
(٥) سورة النساء آية : ٦.

بالنساء فالحيض والحبل، فإذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يحكم ببلوغها، وكذلك إذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنا أقل مدة الحمل. وأما الرشد فهو أن يكون مصلحا في دينه وماله، والصلاح في الدين هو أن يكون مجتنبا عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة، والصلاح في المال هو ألا يكون مبذرا، والتبذير: هو أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية، أو لا يحسن التصرف فيها، فيغبن في البيوع، قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ ﴾ [(1)]، يا معشر الأولياء ﴿ إِسْرَافًا ﴾ [(2)]، بغير حق، ﴿ وَبِدَارًا ﴾ [(3)] أي: مبادرة، ﴿ أَن يَكْبَرُواْ ﴾ [(4)] و (أن) في محل النصب، يعني: لا تبادروا كبرهم ورشدهم حذرا من أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها إليهم، ثم بين ما يحل لهم ومن مالهم فقال: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ [(5)]، أي ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزؤه قليلا ولا كثيرا، والعفة الامتناع مما لا يحل، ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا ﴾ [(6)]، محتاجا إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده، ﴿ فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [(7)]، واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء، فذهب بعضهم إلى أن يقضي إذا أيسر وهو المراد من قوله: (فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ)، فالمعروف القرض، أي: يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه، فإذا أيسر قضاه، وقال قوم: لا قضاء عليه، ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ [(8)]، هذا

---

(١) سورة النساء آية : ٦.

(٢) سورة النساء آية : ٦.

(٣) سورة النساء آية : ٦.

(٤) سورة النساء آية : ٦.

(٥) سورة النساء آية : ٦.

(٦) سورة النساء آية : ٦.

(٧) سورة النساء آية : ٦.

(٨) سورة النساء آية : ٦.

أمر وإرشاد، وليس بواجب، أمر الولي بالإشهاد على دفع المال إلى اليتيم بعدما بلغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝ ﴾[(١)]، محاسبا ومجازيا وشاهدا.

قوله تعالى لِلرجَال نَصِيبٌ مِما تَرَكَ الْوَالِدَان وَالْأقْرَبون وَللنسَاءِ نَصِيبٌ مِما تَرَكَ الْوَالِدَان وَالْأقْربون....

[٧] قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾[(٢)] يعني: للذكور من أولاد الميت وأقربائه (نصيب) حظ ﴿ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾[(٣)] من الميراث، ﴿ وَلِلنِّسَآءِ ﴾[(٤)]، وللإناث منهم، ﴿ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ ﴾[(٥)] أي من المال، ﴿ أَوْ كَثُرَ ﴾[(٦)] منه، ﴿ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝ ﴾[(٧)]، نصب على القطع، وقيل: جعل ذلك نصيبا فأثبت لهن الميراث، ولم يبين كم هو حتى أنزل الله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾[(٨)].

[٨] قولـه تعالـى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾[(٩)]، يعني: قسمة المواريث، ﴿ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[(١٠)]، الذين لا يرثون، ﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم

(١) سورة النساء آية : ٦.
(٢) سورة النساء آية : ٧.
(٣) سورة النساء آية : ٧.
(٤) سورة النساء آية : ٧.
(٥) سورة النساء آية : ٧.
(٦) سورة النساء آية : ٧.
(٧) سورة النساء آية : ٧.
(٨) سورة النساء آية : ١١.
(٩) سورة النساء آية : ٨.
(١٠) سورة النساء آية : ٨.

مِّنْهُ ﴾ [1]، أي: فارضخـوا لهم من المال قبل القسمة، ﴿ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ۝ ﴾ [2] اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة، وقال سعيد بن جبير والضحاك: كانت هذه قبل آية الميراث، فجعلت المواريث لأهلها، ونسخت هذه الآية. وقال الآخرون: هي محكمة، وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري، وقال مجاهد: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم، وقال بعضهم: وهو أولى الأقاويل: إن هذا على الندب والاستحباب، لا على الحتم والإيجاب.

[٩] قوله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا ﴾ [3]، أولادا صغارا، ﴿ خَافُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ [4]، الفقر، هذا في الرجل يحضره الموت، فيقول من بحضرته، انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا، قدم لنفسك، اعتق وتصدق وأعط فلانا كذا وفلانا كذا، حتى يأتي على عامة ماله، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأمرهم أن يأمروه أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث، ولا يجحف بورثته كما أنه لو كان هذا القائل هو الموصي لسره أن يحثه من بحضرته على حفظ ماله لولده، ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم. وقال الكلبي: هذا الخطاب لولاة اليتامى يقول: من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت في حقه مـا يجـب أن يفعـل بذريته من بعده، قوله تعالى: ﴿ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ۝ ﴾ [5]، أي: عدلا، والسديد: العدل، والصواب من القول، وهو أن يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث ويخلف الباقي لورثته.

---

(١) سورة النساء آية : ٨.

(٢) سورة النساء آية : ٨.

(٣) سورة النساء آية : ٩.

(٤) سورة النساء آية : ٩.

(٥) سورة النساء آية : ٩.

[١٠] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا ﴾ [١] أي: حراما بغير حق، ﴿ إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ ﴾ [٢] أخبر عن ماله، أي عاقبته تكون كذلك، ﴿ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾ [٣] قراءة العامة بفتح الياء، أي: يدخلونه، يقال: صلى النار يصلوها صليا وصلاء، قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣ ﴾ [٤]، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء، أي: يدخلون النار ويحرقون، نظيره قوله تعالى: ﴿ فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ ﴾ [٥] ﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ ﴾ [٦].

[١١] قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ [٧] الآية، اعلم أن الوراثة كانت في الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان، فأبطل الله ذلك بقوله: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ ﴾ [٨] الآية، وكانت أيضا في الجاهلية وابتداء الإسلام بالمحالفة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ ﴾ [٩] ثم صارت الوراثة بالهجرة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ

(١) سورة النساء آية : ١٠.
(٢) سورة النساء آية : ١٠.
(٣) سورة النساء آية : ١٠.
(٤) سورة الصافات آية : ١٦٣.
(٥) سورة النساء آية : ٣٠.
(٦) سورة المدثر آية : ٢٦.
(٧) سورة النساء آية : ١١.
(٨) سورة النساء آية : ٧.
(٩) سورة النساء آية : ٣٣.

يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ [(١)] فنسخ ذلك كله وصارت الوراثة بأحد الأمور الثلاثة بالنسب والنكاح أو الولاء، والمعني بالنسب أن القرابة يرث بعضهم من بعض، لقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ ﴾ [(٢)]، والمعني بالنكاح: أن أحد الزوجين يرث صاحبه، وبالولاء: أن المعتق وعصباته يرثون المعتق، قوله ﷻ (يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) أي: يعهد إليكم ويفرض عليكم في أولادكـم أي: في أمر أولادكم إذا متم، لِلذكَرِ مِثْلُ حَظ الْأُنْثَيين. ﴿ فَإِن كُنَّ ﴾ [(٣)] يعني: المتروكات من الأولاد، ﴿ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ [(٤)]، أي: اثنتين فصاعدا (فوق) صلة، كقوله تعالى: ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ [(٥)]، ﴿ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ ﴾ [(٦)] يعني: البنت، ﴿ وَٰحِدَةٗ ﴾ [(٧)] قراءة العامة على خبر كان، رفعها أهل المدينة على معنى إن وقعت واحدة، ﴿ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ ﴾ [(٨)] يعني لأبوي الميت كنايـة عـن غير مذكـور، ﴿ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ ﴾ [(٩)] أراد أن الأب والأم يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد

---

(١) سورة الأنفال آية : ٧٢.
(٢) سورة الأنفال آية : ٧٥.
(٣) سورة النساء آية : ١١.
(٤) سورة النساء آية : ١١.
(٥) سورة الأنفال آية : ١٢.
(٦) سورة النساء آية : ١١.
(٧) سورة النساء آية : ١١.
(٨) سورة النساء آية : ١١.
(٩) سورة النساء آية : ١١.

أو ولد الابن، والأب يكون صاحب فرض ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ ﴾ [1]، اثنان أو أكثر ذكورا وإناثا ﴿ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ ﴾ [2]، والباقي يكون للأب إن كان معها أب، والإخوة لا ميراث لهم مع الأب، ولكنهم يحجبون الأم من الثلث إلى السدس، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة لأن الله تعالى قال: (فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السدُسُ)، ولا يقال للاثنين إخوة، فنقول اسم الجمع قد يقع على التثنية لأن الجمع ضم شيء إلى شيء فهو موجود في الاثنين، قوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ﴾ [3]، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر (يوصي) فتح الصاد على ما لم يسم فاعله، وكذلك الثانية ووافق حفص في الثانية، وقرأ الآخرون بكسر الصاد لأنه جرى ذكر لميت من قبل، بدليل قوله تعالى: ﴿ يُوصِينَ ﴾ [4]، و ﴿ تُوصُونَ ﴾ [5] قال علي بن أبي طالب ﷺ إنكم تقرؤون الوصية قبل الدين، وبدأ رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية، وهذا إجماع أن الدين مقدم على الوصية. ومعنى الآية الجمع لا الترتيب، وبيان أن الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعـا من بعد وصية إن كانت أو دين إن كان، والإرث مؤخر عن كل واحد منهما، ﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ [6]، يعني: الذين يرثونكم آباؤكم وأبناؤكم، ﴿ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ ﴾ [7] أي: لا تعلمون أنهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن أن

(١) سورة النساء آية : ١١.

(٢) سورة النساء آية : ١١.

(٣) سورة النساء آية : ١١.

(٤) سورة النساء آية : ١٢.

(٥) سورة النساء آية : ١٢.

(٦) سورة النساء آية : ١١.

(٧) سورة النساء آية : ١١.

الأب أنفع له، فيكون الابن أنفع له، ومنكـم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له، وأنا العالم بمن هو أنفع لكم، وقد دبر أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه، ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [١] أي: ما قدر الله من المواريث، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ [٢]، بأمور العباد، ﴿ حَكِيمًا ﴾ [٣]، بنصب الأحكام.

قوله تعالى وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ....

[١٢] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ ﴾ [٤] هذا ميراث الأزواج، ﴿ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ ﴾ [٥]، يعني: الزوجات الربع ﴿ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ﴾ [٦] هذا ميراث الزوجات وإذا كان للرجل أربع نسوة فهن يشتركن في الربع والثمن. قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ ﴾ [٧] تورث كلالة، ونظم الآية: وإن كان رجل أو امرأة يورث كلالة وهو نصب على المصدر، وقيل: على خبر ما لم يسم فاعله، وتقديره: وإن كان رجل يورث ماله كلالة، واختلفوا في الكلالة فذهب أكثر الصحابة إلى أن الكلالة من لا ولد له

(١) سورة النساء آية : ١١.
(٢) سورة النساء آية : ١١.
(٣) سورة النساء آية : ١١.
(٤) سورة النساء آية : ١٢.
(٥) سورة النساء آية : ١٢.
(٦) سورة النساء آية : ١٢.
(٧) سورة النساء آية : ١٢.

ولا والد له، وذهب طاوس إلى أن الكلالة من لا ولد له، وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما، واحتج من ذهب إلى هذا بقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ [1]، وبيانه عند العامة مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله، لأن الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن، لأن أباه عبد الله بن حزام قتل يوم أحد، وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي ﷺ فصار شأن جابر بيانا لمراد الآية ل ولها فيه، واختلفوا في أن الكلالة اسم لمن؟ فمنهم من قال: اسم للميت، وهو قول علي وابن مسعود رضي الله عنهما، لأنه مات عن ذهاب طرفيه، فكل عمود نسبه، ومنهم من قال: اسم للورثة، وهو قول سعيد بن جبير، لأنهم يتكللون الميت من جوانبه، وليس في عمود نسبه أحد، كالإكليل يحيط بالرأس ووسط الرأس منه خال، وعليه يدل حديث جابر رضي الله عنه حيث قال: إنما يرثني كلالة، أي: يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد، وقال النضر بن شميل: الكلالة اسم للمال قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ ﴾ [2]، أراد به الأخ والأخت من الأم بالاتفاق، قرأ سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت من أم) ولم يقل لهما من ذكر الرجل والمرأة من قبل، على عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما، وكانا في الحكم سواء ربما أضافت إلى أحدهما، وربما أضافت إليهما ﴿ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ ﴾ [3] فيه إجماع أن أبناء الأم إذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وأنثاهم، ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ ﴾ [4]

(١) سورة النساء آية : ١٧٦.
(٢) سورة النساء آية : ١٢.
(٣) سورة النساء آية : ١٢.
(٤) سورة النساء آية : ١٢.

أي: غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية، ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[1] قال قتادة: كره الله الضرار في الحياة وعند الموت، ونهى عنه وقدم فيه.

[١٣]، ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ ﴾[2] يعني: ما ذكر من الفرائض المحدودة، ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3].

[١٤]، ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[4] قرأ أهل المدينة وابن عامر (ندخله جنات، وندخله نارا)، وفي سورة الفتح (ندخله) و (نُعَذِّبْهُ) وفي سورة التغابن (نكفر) و (ندخله) وفي سورة الطلاق (ندخله) بالنون فيهن، وقرأ الآخرون بالياء.

قوله تعالى وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِن أَرْبَعَةً مِنْكُمْ....

[١٥]، قوله عز وجل: ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾[5]، يعني: الزنا، ﴿ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ ﴾[6]، يعني: من المسلمين، وهذا خطاب للحكام، أي: فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود، فيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا

(١) سورة النساء آية : ١٢.
(٢) سورة النساء آية : ١٣.
(٣) سورة النساء آية : ١٣.
(٤) سورة النساء آية : ١٤.
(٥) سورة النساء آية : ١٥.
(٦) سورة النساء آية : ١٥.

بأربعة من الشهود. ﴿ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ ﴾[1]، فاحبسوهن، ﴿ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ۝١٥ ﴾[2]، وهذا كان في أول الإسلام قبل نزول الحدود، كانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، ثم نسخ ذلك في حق البكر بالجلد والتغريب، وفي حق الثيب بالرجم.

[١٦]، قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ ﴾[3] يعني الرجل والمرأة، والهاء راجعة إلى الفاحشة ﴿ فَـَٔاذُوهُمَاۖ ﴾[4] قال عطاء وقتادة: يعني فعيروهما باللسان: أما خفت الله؟ أما استحييت من الله حيث زنيت؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: سبوهما واشتموهما، قال ابن عباس: هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير وضرب النعال، فإن قيل: ذكر الحبس في الآية الأولى وذكر في هذه الآية الإيذاء، فكيف وجه الجمع؟ قيل: الآية الأولى في النساء وهذه في الرجال، وهو قول مجاهد، وقيل: الآية الأولى في الثيب وهذه في البكر، ﴿ فَإِن تَابَا ﴾[5]، من الفاحشة ﴿ وَأَصۡلَحَا ﴾[6]، العمل فيما بعد، ﴿ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ ﴾[7]، فلا تؤذوهما، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ۝١٦ ﴾[8] وهذا كله كان قبل نزول الحدود، فنسخت بالجلد والرجم، الجلد في القرآن قال الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ

(١) سورة النساء آية : ١٥.
(٢) سورة النساء آية : ١٥.
(٣) سورة النساء آية : ١٦.
(٤) سورة النساء آية : ١٦.
(٥) سورة النساء آية : ١٦.
(٦) سورة النساء آية : ١٦.
(٧) سورة النساء آية : ١٦.
(٨) سورة النساء آية : ١٦.

وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ﴾ [1] [سورة النور آية: ٢] والرجم في السنة في ﴿ الرجلين اللذين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: اقض يا رسول الله بيننا بكتاب الله، وقال الآخر وكان أفقههما: أجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي أن أتكلم، قال: تكلم، قال: إن ابني كان عسيفا، أي: أجيرا على هذا، فزنى بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي، ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله ﷺ " أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فرد عليك، وأما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها، فغدا عليها فاعترفت، فرجمها ﴾ [2].

[١٧]، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [3] قال الحسن: يعني التوبة التي يقبلها، فيكون على بمعنى عند، وقيل: من الله، ﴿ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ﴾ [4]، قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله جميعهم على أن كل ما عصي به الله فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل. وقال مجاهد: المراد من الآية: العمد، قال الكلبي: لم يجهل أنه ذنب لكنه جهل عقوبته، وقيل: معنى الجهالة: اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية. ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ ﴾ [5]، قيل: معناه قبل أن يحيط السوء

---

(١) سورة النور آية : ٢.

(٢) البخاري الأيمان والنذور (٦٢٥٨), مسلم الحدود (١٦٩٨), الترمذي الحدود (١٤٣٣), النسائي آداب القضاة (٥٤١٠), أبو داود الحدود (٤٤٤٥), ابن ماجه الحدود (٢٥٤٩), أحمد (١١٥/٤), مالك الحدود (١٥٥٦), الدارمي الحدود (٢٣١٧).

(٣) سورة النساء آية : ١٧.

(٤) سورة النساء آية : ١٧.

(٥) سورة النساء آية : ١٧.

بحسناته فيحبطها، وقال السدي والكلبي: القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته، وقال عكرمة: قبل الموت، وقال الضحاك: قبل معاينة ملك الموت، قوله تعالى ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ (١) .

[١٨]، ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (٢) يعني: المعاصي ماله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ (٣) ووقع اﻟ اع، ﴿ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ (٤) وهي حالة السوق حتى يساق بروحه، لا يقبل من كافر إيمان ولا من عاص توبة، قال الله تعالى. ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ ﴾ (٥)، ولذلك لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الغرق. ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا ﴾ (٦)، أي: هيأنا وأعتدنا، ﴿ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ (٧) .

[١٩] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ ﴾ (٨) قال الفراء: الكره بالفتح ما أكره عليه، وبالضم ما كان من قبل نفسه من المشقة، ﴿ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ ﴾ (٩) أي: لا تمنعوهن من الأزواج ليضجرن فيفتدين ببعض مالهن قيل: هذا خطاب لأولياء الميت، والصحيح أنه خطاب للأزواج، قال ابن عباس

---

(١) سورة النساء آية : ١٧.

(٢) سورة النساء آية : ١٨.

(٣) سورة النساء آية : ١٨.

(٤) سورة النساء آية : ١٨.

(٥) سورة غافر آية : ٨٥.

(٦) سورة النساء آية : ١٨.

(٧) سورة النساء آية : ١٨.

(٨) سورة النساء آية : ١٩.

(٩) سورة النساء آية : ١٩.

رضي الله عنهما. هذا في الرجل تكون له المرأة وهو كـاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي وترد إليه ما ساق إليها من المهر، فنهى الله تعالى عن ذلك، ثم قال: ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ﴾ (1) فحينئذ يحل لكم إضرارهن ليفتدين منكم، واختلفوا في الفاحشة، قال ابن مسعود وقتادة: هي النشوز، وقال بعضهم وهو قول الحسن: هي الزنا، يعني: المرأة إذا نشزت، أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع، وقال عطاء: كان الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها، فنسخ ذلك في الحدود، (وَعَاشِرُوهُن بِالْمَعْرُوفِ)، قال الحسن: راجع إلى أول الكلام، يعني: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ ﴾ (2)، ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ (3) والمعاشرة بالمعروف: هي الإجمال في القول والمبيت والنفقة، وقيل: هي أن يصنع لها كما تصنع له، ﴿ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾ (4) قيل: هو ولد صالح، أو يعطفه الله عليها.

قوله تعالى وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا....

[٢٠] ﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ ﴾ (5) أراد بالزوج الزوجة إذا لم يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة، ﴿ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا ﴾ (6) وهو المال الكثير

(١) سورة النساء آية : ١٩.
(٢) سورة النساء آية : ٤.
(٣) سورة النساء آية : ١٩.
(٤) سورة النساء آية : ١٩.
(٥) سورة النساء آية : ٢٠.
(٦) سورة النساء آية : ٢٠.

صداقا، ﴿ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ ﴾ [1] من القنطار، ﴿ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ ﴾ [2] استفهام بمعنى التوبيخ، ﴿ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [3] انتصابهما من وجهين أحدهما بـ ع الخافض، والثاني بالإضمار تقديره: تصيبون في أخذه بتانا وإثما ثم قال:

[٢١] ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ ﴾ [4] عـلـى طـريـق الاستعظام، ﴿ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [5] أراد به الـامعة، ولكن الله حيي يكني، وأصل الإفضاء: الوصول إلى الشيء من غير واسطة، ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ [6]، قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة. وهو قول الولي عند العقد: زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وقال الشعبي وعكرمة: هو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى » [7] [8] قوله ﷻ ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [9]، كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم، قال الأشعث بن سوار: توفي أبو قيس وكان من صالحي الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت: إني

---

(١) سورة النساء آية : ٢٠.
(٢) سورة النساء آية : ٢٠.
(٣) سورة النساء آية : ٢٠.
(٤) سورة النساء آية : ٢١.
(٥) سورة النساء آية : ٢١.
(٦) سورة النساء آية : ٢١.
(٧) مسلم الحج (١٢١٨), أبو داود المناسك (١٩٠٥), ابن ماجه المناسك (٣٠٧٤), الدارمي المناسك (١٨٥٠).
(٨) رواه مسلم في كتاب الحج ١٤٧، وأبو داود في المناسك ٥٦، وابن ماجه في المناسك ٨٤، والدارمي في المناسك ٣٤، والإمام أحمد في مسنده ج٥/٧٣. ، .
(٩) سورة النساء آية : ٢٢.

اتخذتك ولدا وأنت من صالحـي قومك، ولكني آتي رسول الله ﷺ أستأمره، فأتته فأخبرته، فأنزل الله تعالى:

[٢٢]، ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [(١)] قيل: بعد ما سلف، وقيل: معناه لكن ما سلف، أي: ما مضى في الجاهلية فهو معفو عنه، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ [(٢)] أي: إنه فاحشة، (وكان) فيه صلة، و (الفاحشة) أقبح المعاصي، ﴿ وَمَقْتًا ﴾ [(٣)] أي: يورث مقت الله، والمقت. أشد البغض، ﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٢٢ ﴾ [(٤)]، وبئس ذلك طريقا وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه (مقيت).

[٢٣]، قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ [(٥)] الآية، بين الله تعالى في هذه الآية المحرمات بسبب الوصلة، وجملة المحرمات في كتاب الله تعالى أربع عشرة: سبع بالنسب، وسبع بالسبب، فأما السبع بالسبب فمنها اثنتان بالرضاع وأربع بالصهرية والسابعة المحصنات، وهن ذوات الأزواج، وأما السبع بالنسب فقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ [(٦)] وهي جمع أم ويدخل فيه الجدات وإن علون من قبل الأم ومن قبل الأب، ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ [(٧)] وهي جمع: البنت، ويدخل فيهن بنات الأولاد وإن سفلن،

---

(١) سورة النساء آية : ٢٢.

(٢) سورة النساء آية : ٢٢.

(٣) سورة النساء آية : ٢٢.

(٤) سورة النساء آية : ٢٢.

(٥) سورة النساء آية : ٢٣.

(٦) سورة النساء آية : ٢٣.

(٧) سورة النساء آية : ٢٣.

﴿ وَأَخَوَٰتُكُمۡ ﴾ [1] جمع الأخت سواء كانت من قبل الأب والأم أو من قبل أحدهما، ﴿ وَعَمَّٰتُكُمۡ ﴾ [2] جمع العمة، ويدخل فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك وإن علوا، ﴿ وَخَٰلَٰتُكُمۡ ﴾ [3] جمع خالة، ويدخل فيهن أخوات أمهاتك وجداتك، ﴿ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ ﴾ [4]، ويدخل فيهن بنات أولاد الأخ والأخت وإن سفلن، جملته: أنه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول أوله وأول الرجل أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده، والأصول هي الأمهات والجدات، والفصول البنات وبنات الأولاد، وفصول أول أصوله هي الأخوات وبنات الإخوة والأخوات، وأول فصل من كل أصل بعده هن العمات والخالات وإن علون، وأما المحرمات بالرضاع فقوله تعالى: ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ [5] وجملته: أنه يحرم من والرضاعة ما يحرم من النسب، وأما المحرمات بالصهرية فقوله: ﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ ﴾ [6] وجملته أن كل من عقد النكاح على امرأة فتحرم على الناكح أمهات المنكوحة وجداتا وإن علون من الرضاعة والنسب بنفس العقد، ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ ﴾ [7] الربائب جمع: ربيبة، وهي بنت المرأة، سميت ربيبة لتربيته أياها، وقوله: (فِي حُجُورِكُمْ) أي: في تربيتكم، يقال: فلان في حجر

(١) سورة النساء آية : ٢٣.
(٢) سورة النساء آية : ٢٣.
(٣) سورة النساء آية : ٢٣.
(٤) سورة النساء آية : ٢٣.
(٥) سورة النساء آية : ٢٣.
(٦) سورة النساء آية : ٢٣.
(٧) سورة النساء آية : ٢٣.

فلان إذا كان في تربيته، (دَخَلْتُم ِبِهن) أي: جامعتموهن، ويحرم عليه أيضا بنات المنكوحة وبنات أولادها، وإن سفلن من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة، حتى لو فارق المنكوحة قبل الدخول با أو ماتت جاز له أن ينكح بنتها، ولا يجوز له أن ينكح أمها لأن الله تعالى أطلق تحريم الأمهات وقال في تحريم الربائب، ﴿ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ [1] يعني: في نكاح بناتن إذا فارقتموهن أو متن، وقال علي رضي الله عنه أم المرأة لا تحرم إلا بالدخول بالبنت كالربيبة، ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ [2]، يعني: ما أزواج أبنائكم، واحدتا: حليلة، والذكر حليل، سميا بذلك لأن كل واحد منها حلال لصاحبه، وقيل: سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه من الحلول وهو الـ ول، وقيل: إن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه من الحل وهو ضد العقل، وجملته: أنه يحرم على الرجل حلائل أبنائه وأبناء أولاده وإن سفلوا من الرضاع والنسب، بنفس العقد، إنما قال: (مِنْ أَصْلَابِكُمْ) ليعلم أن حليلة المتبني لا تحرم على الرجل الذي تبناه، فإن النبي ﷺ تزوج امرأة زيد بن حارثة، وكان زيد قد تبناه رسول الله ﷺ.

والرابع من المحرمات بالصهرية حليلة الأب والجد وإن علا، فيحرم على الولد وولد الولد بـ ـنفس العقد سواء كان الأب من الرضاع أو من النسب، لقولـ ـه تعـ ـالى ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [3]، وقد سبق ذكره، وكل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بـ ـالوطء في ملـ ـك اليمين، قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ﴾ [4]، لا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في النكاح سواء كانت الإخوة بينهما بالنسب أو بالرضاع، فإذا نكح امرأة ثم طلقها بائنا جاز له نكـ ـاح أختها، وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجز له أن يجمع بينهما في الوطء، فإذا وطئ إحـ ـداهما لم

---

(١) سورة النساء آية : ٢٣.

(٢) سورة النساء آية : ٢٣.

(٣) سورة النساء آية : ٢٢.

(٤) سورة النساء آية : ٢٣.

يحل له وطء الأخرى حتى يحرم الأولى على نفسه، وكذلك لا يجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ ﴾ [1] يعني: لكن ما مضى فهو معفو عنه، لأنم كانوا يفعلونه قبل الإسلام، وقال عطاء والسدي: إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه يجمع بين ليا أم يهوذا وراحيل أم يوسف، وكانتا أختين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] .

قوله تعالى وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النسَاءِ إلا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ....

[٢٤]، قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ ﴾ [3] يعني: ذوات الأزواج، لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة الأزواج، وهذه السابعة من النساء اللاتي حرمن بالسبب ثم استثنى فقال: (إلا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ)، يعني: السبايا اللواتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء، لأن بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجها، قال أبو سعيد الخدري: « بعث رسول الله ﷺ يوم حنين جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين، فكرهوا غشيانهن » [4]، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال عطاء: أراد بقوله (إلا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ) أن تكون أمة في نكاح عبده فيجوز أن ينزعها منه، وقال ابن مسعود: أراد أن يبيع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينهما وبين زوجها، ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها، قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ [5]، نصب على المصدر، أي: كتب الله عليكم، وقيل: نصب على الإغراء،

---

(١) سورة النساء آية : ٢٣.

(٢) سورة النساء آية : ٢٣.

(٣) سورة النساء آية : ٢٤.

(٤) مسلم الرضاع (١٤٥٦), الترمذي النكاح (١١٣٢), النسائي النكاح (٣٣٣٣), أبو داود النكاح (٢١٥٥), أحمد (٣/٨٤).

(٥) سورة النساء آية : ٢٤.

أي: الزموا ما كتب الله عليكم، أي فرض الله تعالى، ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾[1]، أي: ما سوى ذلكم الذي ذكرت من المحرمات، ﴿ أَن تَبۡتَغُواْ ﴾[2] تطلبوا ﴿ بِأَمۡوَٰلِكُم ﴾[3]، أن تنكحوا بصداق أو تشتروا بثمن، ﴿ مُّحۡصِنِينَ ﴾[4]، أي: متزوجين أو متعففين ﴿ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ ﴾[5]، أي: غير زانين، مأخوذ من سفح الماء وصبه وهو المني، ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ ﴾[6]، اختلفوا في معناه، فقال الحسن ومجاهد: أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح، ﴿ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[7]، أي: مهورهن، وقال آخرون: هو نكاح المتعة وهو أن تنكح امرأة إلى مدة فإذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق، ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث، وكان ذلك مباحا في ابتداء الإسلام، ثم نهى عنه رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس إني كنت أذنت لكـم في الاستمتاع من النساء، وإن الله تعالى قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا »[8] وإلى هذا ذهب عامة أهل العلم أن نكاح المتعة حرام، والآية منسوخة. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أن الآية محكمة، وترخص في نكاح المتعة وقيل: إن ابن عباس رضي الله عنهما رجع عن ذلك، وروى سالم عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى

---

(١) سورة النساء آية : ٢٤.
(٢) سورة النساء آية : ٢٤.
(٣) سورة النساء آية : ٢٤.
(٤) سورة النساء آية : ٢٤.
(٥) سورة النساء آية : ٢٤.
(٦) سورة النساء آية : ٢٤.
(٧) سورة النساء آية : ٢٤.
(٨) مسلم النكاح (١٤٠٦), النسائي النكاح (٣٣٦٨), ابن ماجه النكاح (١٩٦٢), الدارمي النكاح (٢١٩٥).

عليه، وقال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عنها، لا أجد رجلا نكحها إلا رجمته بالحجارة، قوله تعالى: فآتوهن أجورهن أي: مهورهن، ﴿ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ﴾ [1] فمن حل ما قبله على نكاح المتعة أرادوا أنهما إذا عقد إلى أجل بمال فإذا تم الأجل فإن شاءت المرأة زادت في الأجل وزاد الرجل في المال، وإن لم يتراضيا فارقها، ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح. قال المراد بقوله: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ) من الإبراء عن المهر والافتداء والاعتياض. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [2].

[٢٥] قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾ [3] أي: فضلا وسعة، ﴿ أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ [4] الحرائر ﴿ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ﴾ [5] إمائكم، ﴿ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [6] أي: من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة، فليتزوج الأمة المؤمنة، وفيه دليل على أنه لا يجوز للحر نكاح الأمة إلا بشرطين، أحدهما: ألا يجد مهر حرة، والثاني أن يكون خائفا على نفسه من العنت، وهو الزنا، لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾ [7] وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لأنه قال: (فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ)، جوز نكاح الأمة بشرط أن تكون مؤمنة، وقال في موضع آخر: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا

(١) سورة النساء آية : ٢٤.
(٢) سورة النساء آية : ٢٤.
(٣) سورة النساء آية : ٢٥.
(٤) سورة النساء آية : ٢٥.
(٥) سورة النساء آية : ٢٥.
(٦) سورة النساء آية : ٢٥.
(٧) سورة النساء آية : ٢٥.

ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [1] أي: الحرائر جوز نكاح الكتابية، بشرط أن تكون حرة، وجوز أصحاب الرأي للمسلم نكاح الأمة الكتابية، وبالاتفاق يجوز وطؤها بملك اليمين ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ ﴾ [2] أي: لا تتعرضوا للباطن في الإيمان وخذوا بالظاهر فإن الله أعلم بإيمانكم، ﴿ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾ [3] قيل: بعضكم إخوة لبعض، وقيل: كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الإماء، ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ ﴾ [4]، يعني: الإماء ﴿ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ ﴾ [5]، أي: مواليهن، ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [6] مهورهن، ﴿ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [7] من غير مطل وضرار، ﴿ مُحۡصَنَٰتٍ ﴾ [8]، عفائف بالنكاح، ﴿ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ ﴾ [9]، أي: غير زانيات، ﴿ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ ﴾ [10]، أي: أحباب تزنون بن في السر، قال الحسن: المسافحة هي أن كل من دعاها تبعته، وذات خدن أي: تختص بواحد لا تزني إلا معه، والعرب كانت تحرم الأولى وتجوز الثانية،

(١) سورة المائدة آية : ٥.
(٢) سورة النساء آية : ٢٥.
(٣) سورة النساء آية : ٢٥.
(٤) سورة النساء آية : ٢٥.
(٥) سورة النساء آية : ٢٥.
(٦) سورة النساء آية : ٢٥.
(٧) سورة النساء آية : ٢٥.
(٨) سورة النساء آية : ٢٥.
(٩) سورة النساء آية : ٢٥.
(١٠) سورة النساء آية : ٢٥.

﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ ﴾[1]، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الألف والصاد، أي: حفظن فروجهن، وقال ابن مسعود: أسلمن، وقرأ الآخرون: (أحصن) بضم الألف وكسر الصاد، أي تزويجهن، ﴿ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ ﴾[2]، يعني: الزنا، ﴿ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾[3]، أي: ما على الحرائر الأبكار إذا زنين، ﴿ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ﴾[4] يعني: الحد فيجلد الرقيق إذا زنى خمسين جلدة، وهل يغرب؟ فيه قولان، فإن قلنا يغرب فيغرب نصف سنة على القول الأصح ولا رجم على العبد قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[5]، يعني: نكاح الأمة عند عدم الطول، ﴿ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ ﴾[6]، يعني: الزنا، يريد المشقة بغلبة الشهوة، ﴿ وَأَن تَصۡبِرُواْ ﴾[7]، عن نكاح الإماء متعففين، ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ ﴾[8]، لئلا يخلق الولد رقيقا ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥ ﴾[9].

[٢٦]، قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ ﴾[10]، أي: أن يبين لكم، كقوله تعالى: ﴿ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ﴾[11] أي: أن أعدل ومعنى الآية: يريد الله أن يبين لكم، أي:

---

(١) سورة النساء آية : ٢٥.
(٢) سورة النساء آية : ٢٥.
(٣) سورة النساء آية : ٢٥.
(٤) سورة النساء آية : ٢٥.
(٥) سورة النساء آية : ٢٥.
(٦) سورة النساء آية : ٢٥.
(٧) سورة النساء آية : ٢٥.
(٨) سورة النساء آية : ٢٥.
(٩) سورة النساء آية : ٢٥.
(١٠) سورة النساء آية : ٢٦.
(١١) سورة الشورى آية : ١٥.

يوضح لكم شرائع دينكـم ومصالح أموركم، قال عطاء: يبين لكم ما يقربكم منه، قال الكلبي: يبين لكم أن الصبر عن نكاح الإماء خير لكـم، ﴿ وَيَهۡدِيَكُمۡ ﴾ [(١)] ويرشدكم، ﴿ سُنَنَ ﴾ [(٢)]، شرائع، ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [(٣)] فـي تحريم الأمهات والبنات والأخوات، فإنا كانت محرمة على من قبلكم، وقيل: ويهديكـم الملة الحنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام، ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ ﴾ [(٤)]، ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم، وقيل: يرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها إلى طاعته، وقيل: يوفقكم التوبة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ [(٥)] بمصالح عباده في أمر دينهم ودنياهم، ﴿ حَكِيمٞ ٢٦ ﴾ [(٦)]، فيما دبر من أمورهم.

قوله تعالى وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الذِينَ يَتبِعُونَ الشهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا...

[٢٧] ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [(٧)]، إن وقع منكـم تقصير في أمر دينكـم ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ ﴾ [(٨)] عن الحق، ﴿ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ ﴾ [(٩)] بإتيانكم ما حرم عليكم، واختلفوا في الموصوفين باتباع الشهوات،

---

(١) سورة النساء آية : ٢٦.
(٢) سورة النساء آية : ٢٦.
(٣) سورة النساء آية : ٢٦.
(٤) سورة النساء آية : ٢٦.
(٥) سورة النساء آية : ٢٦.
(٦) سورة النساء آية : ٢٦.
(٧) سورة النساء آية : ٢٧.
(٨) سورة النساء آية : ٢٧.
(٩) سورة النساء آية : ٢٧.

فقال السدي: هـم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: هم الوس لأنم يحلون نكاح الأخوات وبنات الأخ والأخت، وقال مجاهد: هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون، وقيل: هم كما يزنون، وقيل: هم جميع أهل الباطل.

[٢٨]، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ ﴾ [(١)] يسهل عليكم في أحكام الشرع، وقد سهل كما قال جل ذكره: ﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ ﴾ [(٢)] وقال النبي ﷺ بعثت بالدين الحنيفية السمحة السهلة ﴾ [(٣)]، ﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ ﴾ [(٤)] قال طاوس والكلبي وغيرهما في أمر النساء: لا يصبر عنهن، وقال ابن كيسان: خُلِقَ ٱلۡإِنسَانُ ضَعِيفًا يستميله هواه وشهوته، وقال الحسن: هو أنه خلق من ماء مهين، بيانه قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ﴾ [(٥)].

[٢٩]، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ [(٦)]، بالحرام، يعني: بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة ونحوها، وقيل: هو العقود الفاسدة ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً ﴾ [(٧)] قرأ أهل الكوفة (تجارة) نصب على خبر كان، أي: إلا أن تكون الأموال تجارة، وقرأ الآخرون بالرفع، أي: إلا أن تقع تجارة ﴿ عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾ [(٨)] أي بطيبة نفس كل واحد منكم، وقيل: هو أن يجيز كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع، فيلزم

(١) سورة النساء آية : ٢٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٣) أحمد (٥/٢٦٦).
(٤) سورة النساء آية : ٢٨.
(٥) سورة الروم آية : ٥٤.
(٦) سورة النساء آية : ٢٩.
(٧) سورة النساء آية : ٢٩.
(٨) سورة النساء آية : ٢٩.

وإلا فلهما الخيار ما لم لتفرقا ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [1] قال أبو عبيدة: أي لا تلكوها، كما قال: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [2]، وقيل: لا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل، وقيل: أراد به قتل المسلم نفسه، وقال الحسن: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) يعني: إخوانكم، أي: لا يقتل بعضكم بعضا، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [3].

[٣٠] ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ [4] يعني: ما سبق ذكره من المحرمات، ﴿ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا ﴾ [5]، فالعدوان مجاوزة الحد، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، ﴿ فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ﴾ [6] ندخله في الآخرة، ﴿ نَارًا ﴾ [7]، يصلى فيها، ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [8] هينا.

[٣١] قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [9]، اختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنابا تكفيرا للصغائر، ففي حديث عن النبي ﷺ قال: ﴿ الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس ﴾ [10]،

---

(١) سورة النساء آية : ٢٩.

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٥.

(٣) سورة النساء آية : ٢٩.

(٤) سورة النساء آية : ٣٠.

(٥) سورة النساء آية : ٣٠.

(٦) سورة النساء آية : ٣٠.

(٧) سورة النساء آية : ٣٠.

(٨) سورة النساء آية : ٣٠.

(٩) سورة النساء آية : ٣١.

(١٠) البخاري الأيمان والنذور (٦٢٩٨), الترمذي تفسير القرآن (٣٠٢١), النسائي تحريم الدم (٤٠١١), أحمد (٢٠١/٢), الدارمي الديات (٢٣٦٠).

وفي آخر ﴿ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ " قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " الإشراك بالله ﷻ وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئا فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ﴾ [(١)]، وفي آخر قال: ﴿ اجتنبوا السبع الموبقات "، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: " الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ﴾ [(٢)]. وقال عبد الله بن مسعود ؓ أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله. وعن سعيد بن جبير: أن رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر: أسبع هي؟ قال: هي إلى السبعمائة أقرب إلا أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، وقال: كل شيء عصي الله به فهو كبيرة، فمن عمل شيئا منها فليستغفر فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة إلا راجعا عن الإسلام أو جاحدا فريضة أو مكذبا بقدر. وقال عبد الله بن مسعود: ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة إلى قوله: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ)، فهو كبيرة. وقال علي بن أبي طالب: هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. وقال الضحاك: ما أوعد الله عليه حدا في الدنيا أو عذابا في الآخرة. وقال الحسن بن الفضل: ما سماه الله في القرآن كبيرا أو عظيما نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [(٣)]، ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [(٤)]، ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [(٥)]، ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [(٦)]،

---

(١) البخاري الشهادات (٢٥١١), مسلم الإيمان (٨٧), الترمذي تفسير القرآن (٣٠١٩), أحمد (٣٧/٥).

(٢) البخاري الوصايا (٢٦١٥), مسلم الإيمان (٨٩), النسائي الوصايا (٣٦٧١), أبو داود الوصايا (٢٨٧٤).

(٣) سورة النساء آية : ٢.

(٤) سورة الإسراء آية : ٣١.

(٥) سورة لقمان آية : ١٣.

(٦) سورة يوسف آية : ٢٨.

﴿ سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴾ [1]، ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [2]. قال سفيان الثوري: الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين عباد الله تعالى، والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى، لأن الله كريم يعفو، وقال مالك بن مغول: الكبائر ذنوب أهل البدع، والسيئات ذنوب أهل السنة، وقيل: الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما أكره عليه، وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة، وقيل: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام، وقال السدي: الكبائر ما نى الله عنه من الذنوب الكبائر، والسيئات مقدماتا وتوابعها مما يجمع فيه الصالح والفاسق، مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهها، وقيل: الكبائر ما يستحقره العباد، والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعته: وقيل: الكبائر الشرك، وما يؤدي إليه، وما دون الشرك فهو من السيئات، قـال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [3]، قوله تعالى: ﴿ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾ [4] أي: حسنا وهو الجنة، قرأ أهل المدينة (مدخلا) بفتح الميم هاهنا وفي الحج، وهو موضع الدخول، وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الإدخال.

[٣٢]، قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ﴾ [5] الآية، قال مجاهد: قالت أم سلمة: يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا نغزو ولهم ضعف ما لنا من الميراث، فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا. ف لت هذه الآية. وقيل: لما جعل الله ﷻ للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث، قالت النساء: نحن

(١) سورة النور آية : ١٦.

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٣.

(٣) سورة النساء آية : ٤٨.

(٤) سورة النساء آية : ٣١.

(٥) سورة النساء آية : ٣٢.

أحق وأحوج إلى الزيادة من الرجال، لأنا ضعيفات وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش، فأنزل الله تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)، وقال قتادة والسدي لما أنزل الله قوله: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [1] قال الرجل إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فقال الله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ [2] من الأجر ﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ [3] معناه: أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء، وذلك أن الحسنة تكون بعشرة أمثالها يستوي فيها الرجال والنساء، وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء، وقيل: معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج. قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [4] نهى الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد، والحسد أن يتمنى الرجل زوال النعمة عن صاحبه سواء تمناها لنفسه أم لا، وهو حرام، والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز. قال الكلبي: لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه، ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله، وهو كذلك في التوراة وذلك في القرآن. وقوله: (وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ) أي من رزقه، قال سعيد بن جبير: من عبادته، فهو سؤال التوفيق للعبادة، قال سفيان بن عيينة: لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [5] .

---

(١) سورة النساء آية : ١١.

(٢) سورة النساء آية : ٣٢.

(٣) سورة النساء آية : ٣٢.

(٤) سورة النساء آية : ٣٢.

(٥) سورة النساء آية : ٣٢.

[٣٣]، ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ ﴾ [(١)] أي: ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالي، أي: عصبة يعطون ﴿ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ ﴾ [(٢)]، الوالدان والأقربون هم المورثون، وقيل: معناه ولكل جعلنا موالي أي: ورثة مما ترك أي: من الذين تركوهم ويكون (ما) بمعنى: (من)، ثم فسر ﴿ ٱلْمَوَٰلِيَ ﴾ [(٣)] فقال: الوالدان والأقربون، أي: هم الوالدان والأقربون، فعلى هذا القول: الوالدان والأقربون، هم الوارثون، ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [(٤)]، قرأ أهل الكوفة (عقدت) بلا ألف، أي: عقدت لهم أيمانكـم، وقرأ الآخرون (عاقدت أيمانكـم) والمعاقدة: المحالفة والمعاهدة، والأيمان جمع يمين من اليد والقسم، وذلك أنهم كانوا عند المحالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء، والتمسك بالعهد. ومحالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك (فيكون للحليف السدس من مال الحليف، وكان ذلك في ابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ ﴾ [(٥)] أي: أعطوهم حظهم من الميراث، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [(٦)]، وقال إبراهيم ومجاهد: أراد فآتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث لهم، وعلى هذا تكون هذه الآية غير منسوخة لقوله تعالى: ﴿ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴾ [(٧)]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزلت

(١) سورة النساء آية : ٣٣.
(٢) سورة النساء آية : ٣٣.
(٣) سورة مريم آية : ٥.
(٤) سورة النساء آية : ٣٣.
(٥) سورة النساء آية : ٣٣.
(٦) سورة الأنفال آية : ٧٥.
(٧) سورة المائدة آية : ١.

هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم، فلما نزلت (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ) نسخت، ثم قال: (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ) من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث فيوصي له. وقال سعيد بن المسيب: كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيه ثم نسخ. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [(١)].

قوله تعالى الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ....

[٣٤] ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [(٢)]، الآية نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته وذلك أنا نشزت عليه فلطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال: أفرشته كريمتي فلطمها، فقال النبي ﷺ " لتقتص من زوجها " فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فجاء جبريل عليه السلام فقال النبي ﷺ " ارجعوا هذا جبريل أتاني بشيء " فأنزل الله هذه الآية، فقال النبي ﷺ " أردنا أمرا وأراد الله أمرا، والذي أراد الله خير "، ورفع القصاص [(٣)] قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) أي: مسلطون على تأديبهن، والقوام والقيم بمعنى واحد، والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب، ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٖ ﴾ [(٤)] يعني: فضل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية، وقيل: بالشهادة لقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٞ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾ [(٥)] وقيل: بالجهاد، وقيل: بالعبادات من الجمعة والجماعة، وقيل: هو أن الرجل ينكح أربعا

(١) سورة النساء آية : ٣٣.
(٢) سورة النساء آية : ٣٤.
(٣) روى قريبًا من هذا الخبر الإمام الطبري في تفسيره ٣٧/٥، ٣٨.
(٤) سورة النساء آية : ٣٤.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٢.

ولا يحل للمرأة إلا زوج واحد، وقيل: بأن الطلاق بيده، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدية، وقيل: بالنبوة، ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [1]، يعني: إعطاء المهر والنفقة، قوله تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ [2] أي: مطيعات ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ [3] أي: حافظات للفروج في غيبة الأزواج، وقيل: حافظات لسرهم ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [4]، قرأ أبو جعفر (بما حفظ الله) بالنصب، أي: يحفظن الله في الطاعة، وقراءة العامة بالرفع، أي بما يحفظن الله بإيصاء الأزواج بحقهن وأمرهم بأداء المهر والنفقة. وقيل: حافظات للغيب بحفظ الله ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ [5]، عصيانهن وأصل النشوز: التكبر والارتفاع، ومنه النشز للموضع المرتفع، ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ [6]، بالتخويف من الله والوعظ بالقول، ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ ﴾ [7]، يعني: إن لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن ﴿ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [8]، قال ابن عباس: يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها، وقال غيره: يعتزل عنها إلى فراش آخر، ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ [9] يعني: إن لم ينزعن عن الهجران فاضربوهن ضربا غير مبرح ولا شائن، وقال عطاء: ضربا بالسواك ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا

(١) سورة النساء آية : ٣٤.
(٢) سورة النساء آية : ٣٤.
(٣) سورة النساء آية : ٣٤.
(٤) سورة النساء آية : ٣٤.
(٥) سورة النساء آية : ٣٤.
(٦) سورة النساء آية : ٣٤.
(٧) سورة النساء آية : ٣٤.
(٨) سورة النساء آية : ٣٤.
(٩) سورة النساء آية : ٣٤.

تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلاًۗ ﴾ [1]، أي: لا تجنوا عليهن الذنوب، وقال ابن عيينة: لا تكلفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأيديهن. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ ﴾ [2]، متعاليا من أن يكلف العباد ما لا يطيقونه، وظاهر الآية يدل على أن الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران والضرب، فذهب بعضهم إلى ظاهرها وقال: إذا ظهر النشوز جمع بين هذه الأفعال، وحمل الخوف في قوله: (وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُن)، على العلم كقوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا ﴾ [3] أي: علم، ومنهم من حمل الخوف على الخشية لا على حقيقة العلم، كقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ ﴾ [4]، وقال: هذه الأفعال على ترتيب الجرائم، فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها، فإن أبدت النشوز هجرها، فإن أصرت على ذلك ضربا.

[٣٥]، قوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا ﴾ [5]، يعني: خلافا بين الزوجين، والخوف بمعنى اليقين، وقيل: هو بمعنى الظن يعني: إن ظننتم شقاق بينهما، وجملته إنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصفح ولا الفرقة ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية وخرجا إلى ما لا يحل قولا وفعلا بعث الإمام حكما من أهله إليه وحكما من أهلها إليها رجلين حرين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه إن كانت رغبته في الصلح أو في الفرقة ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلاح، فذلك قوله ﷻ ﴿ فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا ﴾ [6]، يعني: الحكمين، ﴿ يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾ [1]،

---

(١) سورة النساء آية : ٣٤.
(٢) سورة النساء آية : ٣٤.
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٢.
(٤) سورة الأنفال آية : ٥٨.
(٥) سورة النساء آية : ٣٥.
(٦) سورة النساء آية : ٣٥.

يعني: بين الزوجين، وقيل: بين الحكمين، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [2] اختلف القول في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين، وأصح القولين أنه لا يجوز إلا برضاهما، وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه، ولا لحكم المرأة أن يخلع على ما لها إلا بإذنا، وهو قول أصحاب الرأي، والقول الثاني: يجوز بعث الحكمين دون رضاهما، فيجوز لحكـم الزوج أدن يطلق دون رضاه ولحكم المرأة أن يختلع دون رضاها، إذا رأيا الصلاح، كالحاكم يحكـم بين الخصمين وإن لم يكن على وفق مرادهما، وبه قال مالك.

[٣٦]، قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [3] أي: وحدوه وأطيعوه، ﴿ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [4] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ﴿ كنت رديف النبي ﷺ فقال: هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الناس على الله ألا يعذبم، قال قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: دعهم يعملون ﴾ [5]. قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [6] برا بما وعطفا عليهما، ﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [7] أي: أحسنوا بذي القربى، ﴿ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [8] أي: ذي القرابة، ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ [1]، أي:

---

(١) سورة النساء آية : ٣٥.
(٢) سورة النساء آية : ٣٥.
(٣) سورة النساء آية : ٣٦.
(٤) سورة النساء آية : ٣٦.
(٥) البخاري الجهاد والسير (٢٧٠١), مسلم الإيمان (٣٠), الترمذي الإيمان (٢٦٤٣), ابن ماجه الزهد (٤٢٩٦), أحمد (٢٣٨/٥).
(٦) سورة النساء آية : ٣٦.
(٧) سورة النساء آية : ٣٦.
(٨) سورة النساء آية : ٣٦.

البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ﴾ [٢] يعني: الرفيق في السفر، قال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة وعكرمة وقتادة، وقال علي وعبد الله والنخعي: هو المرأة تكون معه إلى جنبه، وقال ابن جريج وابن زيد: هو الذي يصحبك رجاء نفعك، ﴿ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [٣]، قيل: هو المسافر لأنه ملازم السبيل، والأكثرون: على أنه الضيف، ﴿ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡۗ ﴾ [٤]، أي: المماليك أحسنوا إليهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالاً فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [٥] المختال، المتكبر، والفخور: الذي يفخر على الناس بغير الحق تكبرا، ذكر هذا بعدما ذكر من الحقوق، لأن المتكبر يمنع الحق تكبرا.

[٣٧]، ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ [٦] البخل في كلام العرب: منع السائل من فضل ما لديه، وفي الشرع: منع الواجب، ﴿ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾ [٧]، قرأ حمزة والكسائي (بالبخل) بفتح الباء والخاء، وكذلك في سورة الحديد، وقرأ الآخرون بضم الباء وسكون الخاء، نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ وكتموها، وقال سعيد بن جبير هذا في كتمان العلم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد نزلت في كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن التابوت و أسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحر بن عمرو كانوا يأتون رجالا من الأنصار ويخالطونم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فأنزل الله تعالى هذه الآية. ﴿ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن

---

(١) سورة النساء آية : ٣٦.

(٢) سورة النساء آية : ٣٦.

(٣) سورة النساء آية : ٣٦.

(٤) سورة النساء آية : ٣٦.

(٥) سورة النساء آية : ٣٦.

(٦) سورة النساء آية : ٣٧.

(٧) سورة النساء آية : ٣٧.

فَضۡلِهِۦۗ ﴾ [1]، يعني: المال، وقيل: يبخلون بالصدقة ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ ﴾ [2].

قوله تعالى وَالذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ الناس وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ....

[٣٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ﴾ [3] نزلت في اليهود، وقال السدي: في المنافقين، وقيل: مشركي مكة المنفقين على عداوة الرسول ﷺ. ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا ﴾ [4] صاحبا وخليلا ﴿ فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾ [5] أي: فبئس الشيطان قرينا وهو نصب على التفسير، وقيل: على القطع بإلغاء الألف واللام كما تقول: نعم رجلا عبد الله.

[٣٩] ﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ ﴾ [6] أي: ما الذي عليهم وأي شيء عليهم؟ ﴿ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ٣٩ ﴾ [7]

[٤٠] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ [8]، ونظمه: وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا فإن الله لا يظلم أي: لا يبخس ولا ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة، والذرة: هي النملة الحمراء الصغيرة، وقيل: الذر أجزاء الهباء في الكون وكل جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن، وهذا مثل يريد أن الله لا يظلم شيئا كما قاله في آية

---

(١) سورة النساء آية : ٣٧.

(٢) سورة النساء آية : ٣٧.

(٣) سورة النساء آية : ٣٨.

(٤) سورة النساء آية : ٣٨.

(٥) سورة النساء آية : ٣٨.

(٦) سورة النساء آية : ٣٩.

(٧) سورة النساء آية : ٣٩.

(٨) سورة النساء آية : ٤٠.

أخرى: إن الله لا يظلم الناس شيئا، وقيل: إن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل أخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضعفها له، فذاك قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا ﴾ [1] قرأ أهل الحجاز (حسنة) بالرفع، أي وإن توجد حسنة، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى: وإن تك زنة الذرة حسنة يضاعفها، أي: يجعلها أضعافا كثيرة. ﴿ وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [2]، قال أبو هريرة رضي الله عنه إذا قال الله تعالى أجرا عظيما فمن يقدر قدره؟.

[٤١]، قوله تعالى: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ ﴾ [3]، أي: فكيف الحال وكيف يصنعون إذا جئنا من كل أمة بشهيد، يعني: بنبيها يشهد عليهم بما عملوا، ﴿ وَجِئۡنَا بِكَ ﴾ [4]، يا محمد، ﴿ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [5] شاهدا يشهد على جميع الأمة على من رآه ومن لم يره.

[٤٢]، قوله عز وجل ﴿ يَوۡمَئِذٖ ﴾ [6]، يوم القيامة، ﴿ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ [7] قرأ أهل المدينة وابن عامر (تسوى) بفتح التاء وتشديد السين على معنى تتسوى، فأدغمت التاء الثانية في السين، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء التفعل كقوله تعالى: ﴿ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا

(١) سورة النساء آية : ٤٠.
(٢) سورة النساء آية : ٤٠.
(٣) سورة النساء آية : ٤١.
(٤) سورة النساء آية : ٤١.
(٥) سورة النساء آية : ٤١.
(٦) سورة النساء آية : ٤٢.
(٧) سورة النساء آية : ٤٢.

بِإِذۡنِهِۦٓۚ ﴾ [1]، وقرأ الآخرون بضم التاء وتخفيف السين على الهول، أي: لو سويت بهم هم والأرض شيئا واحدا

الخمر. وقال الضحاك بن مزاحـم: أراد به سكر النوم، نهى عن الصلاة عند غلبة النوم، ﴿ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا ﴾ [(١)] نصب على الحال، يعني: ولا تقربوا الصلاة جنب، يقال: رجل جنب وامرأة جنب، ورجال جنب ونساء جنب، وأصل الجنب: البعد، وسمي جنبا لأنه يتجنب موضع الصلاة، أو لمجانبته الناس وبعده منهم، حتى يغتسل. قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ ﴾ [(٢)]، واختلفوا في معناه فقالوا: إلا أن تكونوا مسافرين ولا تجدوا الماء فتيمموا، منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيصلي بالتيمم، وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم، وقال الآخرون: بل المراد من الصلاة موضع الصلاة، كقوله تعالى: ﴿ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ ﴾ [(٣)] ومعناه: لا تقربوا المسجد وأنتم جنب إلا مجتازين فيه للخروج منه، مثل أن ينام في المسجد فيجنب أو يصيبه جنابة والماء في المسجد أو يكون طريقه عليه، فيمر به ولا يقيم، وهذا قول عبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكرمة والنخعي والزهري، وذلك أن قوما من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم إلا في المسجد، فرخص لهم في العبور، قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ ﴾ [(٤)]، جمع مريض، وأراد به مرضا يضره إمساس الماء مثل الجدري ونحوه، أو كان على موضع الطهارة جراحة يخاف من استعمال الماء فيها التلف أو زيادة الوجع، فإنه يصلي بالتيمم وإن كان الماء موجودا وإن كان بعض أعضاء طهارته صحيحا والبعض جريحا غسل الصحيح منها وتيمم للجريح، قوله تعالى: ﴿ أَوۡ عَلَىٰ

---

(١) سورة النساء آية : ٤٣.

(٢) سورة النساء آية : ٤٣.

(٣) سورة الحج آية : ٤٠.

(٤) سورة النساء آية : ٤٣.

سَفَرٍ ﴾ [(١)]، أراد أنه إذا كان في سفر طويلا كان أو قصيرا، وعدم الماء فإنه يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه، لما روي عن أبي ذر، قال: قال النبي ﷺ ﴿ إن الصعيد الطيب وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليمسه بشره فإن ذلك خير ﴾ [(٢) (٣)]
أما إذا لم يكن الرجل مريضا ولا في سفر لكنه عدم الماء في موضع لا يعدم فيه الماء غالبا بأن كان في قرية انقطع ماؤها فإنه يصلي بالتيمم ثم يعيد إذا قدر على رش الماء عند الشافعي، وعند مالك والأوزاعي لا إعادة عليه، وعند أبي حنيفة رضي الله عنهما يؤخر الصلاة حتى يجد الماء. قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ [(٤)] أراد به إذا أحدث، والغائط اسم للمطمئن من الأرض، وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث فكني عن الحدث بالغائط، ﴿ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [(٥)] قرأ حمزة والكسائي (لمستم) ههنا وفي المائدة، وقرأ الباقون (لامستم النساء) واختلفوا في معنى اللمس والملامسة، فقال قوم: هو الـامعة، وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وكني باللمس عن الجماع لأن الجماع لا يحصل إلا باللمس، وقال قوم: هما التقاء البشرتين سواء كان بجماع أو غير جماع، وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي، واختلف الفقهاء في حكم هذه الآية، فذهب جماعة إلى أنه إذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما، ينتقض وضوؤهما، وهو قول ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما، وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي رضي الله عنهم، وقال مالك والليث بن سعد وأحمد

---

(١) سورة النساء آية : ٤٣.

(٢) الترمذي الطهارة (١٢٤), أبو داود الطهارة (٣٣٣), أحمد (١٥٥/٥).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الطهارة ١٢٣، والترمذي في الطهارة ٩٢، والنسائي في الطهارة ٢٠٣، والإمام أحمد ج ١٤٦/٥، ١٤٧، ١٥٥، ١٨٠. وله شاهد من حديث أبي هريرة. ، .

(٤) سورة النساء آية : ٤٣.

(٥) سورة النساء آية : ٤٣.

وإسحاق: إن كان اللمس بشهوة نقض الطهر، وإن لم يكن بشهوة فلا ينتقض، وقال قوم: لا ينتقض الوضوء باللمس بحال، وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري، وقال أبو حنيفة ﵁ لا ينتقض إلا إذا حدث الانتشار، ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ ﴾ [1]، اعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة، روى حذيفة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء ﴾ [2] [3] (فتيمموا)، أي: اقصدوا، ﴿ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [4]، أي: ترابا طيبا طاهرا نظيفا قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصعيد هو التراب، واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم، فذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى أنه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار، لأن النبي ﷺ قال: ﴿ وجعلت تربتها لنا طهورًا ﴾ [5] [6] وجوز أصحاب الرأي التيمم بالزرنيخ والجص والنورة وغيرها من طبقات الأرض، حتى قالوا: لو ضرب يديه على صخرة لا غبار عليها أو على التراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه ويديه صح تيممه، وقالوا: الصعيد وجه الأرض، لما روي عن جابر ﵁ أن النبي ﷺ قال: ﴿ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ﴾ [7] [1] وهذا مجمل، وحديث حذيفة في تخصيص التراب

---

(١) سورة النساء آية : ٤٣.

(٢) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٢), أحمد (٥/٣٨٣).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في " تلخيص الحبير ج ١٤٨/١ ": " مسلم من حديث أبي مالك الأشجعي... وابن أبي شيبة في مسنده، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما... ". ،

(٤) سورة النساء آية : ٤٣.

(٥) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٢), أحمد (٥/٣٨٣).

(٦) تقدم ذكر من خرجه في الحديث السابق. ،

(٧) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٣), ابن ماجه الطهارة وسننها (٥٦٧), أحمد (٢/٢٤٠).

مفسر والمفسر من الحديث يقضي على المل، وجوز بعضهم بكل ما هو متصل بالأرض من شجر ونبات، ونحوهما وقال: إن الصعيد اسم لما تصاعد على وجه الأرض، والقصد إلى التراب، شرط لصحة التيمم، لأن الله تعالى قال: (فتيمموا)، والتيمم: القصد، حتى لو وقف في مهب الريح فأصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح. قوله تعالى: ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾[2] اعلم أن مسح الوجه واليدين واجب في التيمم، واختلفوا في كيفيته فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يمسح الوجه واليدين مع المرفقين، بضربتين يضرب كفيه على التراب فيمسح بما جميع وجهه، ولا يجب إيصال التراب إلى ما تحت الشعور، ثم يضرب ضربة أخرى فيمسح يديه إلى المرفقين، وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين، لما روي عن عمار أنه قال: ﴿ تيممنا إلى المناكب ﴾[3]. وذلك حكاية فعله لم ينقله عن النبي ﷺ كما روي أنه قال: ﴿ أجنبت فتمكعت في التراب، فلما سأل النبي ﷺ أمره بالوجه والكفين ﴾[4]. وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهم، وبه قال الشعبي وعطاء بن أبي رباح ومكحول، وإليه ذهب الأوزاعي وأحمد وإسحاق.

[٤٤]، قوله ﷻ ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[5]، يعني: يهود المدينة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم، كانا

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢٢٢/٢.

(٢) سورة النساء آية : ٤٣.

(٣) أبو داود الطهارة (٣١٨،٣٢٠), ابن ماجه الطهارة وسننها (٥٦٦).

(٤) البخاري التيمم (٣٤٠), مسلم الحيض (٣٦٨), الترمذي الطهارة (١٤٤), النسائي الطهارة (٣١٤), أبو داود الطهارة (٣٢١), ابن ماجه الطهارة وسننها (٥٦٩), أحمد (٢٦٥/٤), الدارمي الطهارة (٧٤٥).

(٥) سورة النساء آية : ٤٤.

إذا تكلم رسول الله ﷺ لويا لسانهما وعاباه فأنزل الله تعالى هذه الآية، ﴿ يَشْتَرُونَ ﴾[1]، يستبدلون، ﴿ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾[2] يعني: بالهدى، ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ۝٤٤ ﴾[3] أي: عن السبيل يا معشر المؤمنين.

قوله تعالى وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَليا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا.....

[٤٥] ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ ﴾[4]، منكـم، فلا تستنصحوهم فإنهم أعداؤكم، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ۝٤٥ ﴾[5]، قال الزجاج: اكتفوا بالله وليا واكتفوا بالله نصيرا.

[٤٦]، ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾[6]، قيل: هي متصلة بقوله ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[7] (مِنَ الذِينَ هَادُوا) وقيل: هي مستأنفة، معناه: من الذين هادوا من يحرفون، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ۝١٦٤ ﴾[8] أي: من له منزلة معلومة، يريد فريق، ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ ﴾[9]، يغيرون الكلم ﴿ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[10] يعني: صفة محمد ﷺ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ

---

(١) سورة النساء آية : ٤٤.
(٢) سورة النساء آية : ٤٤.
(٣) سورة النساء آية : ٤٤.
(٤) سورة النساء آية : ٤٥.
(٥) سورة النساء آية : ٤٥.
(٦) سورة النساء آية : ٤٦.
(٧) سورة النساء آية : ٤٤.
(٨) سورة الصافات آية : ١٦٤.
(٩) سورة النساء آية : ٤٦.
(١٠) سورة النساء آية : ٤٦.

ويسألونه عن الأمر فيخبرهم فيرى أنم يأخذون بقوله فإذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه، ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا ﴾ [(١)] قولك، ﴿ وَعَصَيْنَا ﴾ [(٢)] أمرك، ﴿ وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ [(٣)] أي: اسمع منا ولا نسمع منك، (غَيْرَ مُسْمَعٍ) أي: غير مقبول منك، وقيل: كانوا يقولون للنبي ﷺ اسمع، ثم يقولون في أنفسهم: لا سمعت، ﴿ وَرَاعِنَا ﴾ [(٤)] أي: ويقولون راعنا يريدون به النسبة إلى الرعونة، ﴿ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ [(٥)] تحريفا، ﴿ وَطَعْنًا ﴾ [(٦)] قدحا ﴿ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [(٧)]، لأن قولهم: راعنا من المراعاة، وهم يحرفونه، يريدون به الرعونة، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا ﴾ [(٨)]، أي: انظر إلينا مكان قولهم راعنا، ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ [(٩)] أي أعدل وأصوب، ﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [(١٠)] إلا نفرا قليلا منهم وهو عبد الله بن سلام ومن أسلم معه منهم.

---

(١) سورة النساء آية : ٤٦.

(٢) سورة النساء آية : ٤٦.

(٣) سورة النساء آية : ٤٦.

(٤) سورة النساء آية : ٤٦.

(٥) سورة النساء آية : ٤٦.

(٦) سورة النساء آية : ٤٦.

(٧) سورة النساء آية : ٤٦.

(٨) سورة النساء آية : ٤٦.

(٩) سورة النساء آية : ٤٦.

(١٠) سورة النساء آية : ٤٦.

[٤٧]، قـوله عز وجـل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [١]، يخاطب اليهود، ﴿ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ [٢] يعني: القرآن، ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ [٣]، يعني: التوراة، وذلك أن النبي ﷺ كلم أحبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الأشرف، فقال: ﴿ يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق ﴾ [٤]، قالوا: ما نعرف ذلك، وأصروا على الكفر، وأنزلت هذه الآية، ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ [٥] قال ابن عباس: نجعلها كخف البعير، وقال قتادة والضحاك: نعميها، والمراد بالوجه العين، ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ [٦] أي: نطمس الوجوه فنردها على القفا، وقيل: نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة، لأن منابت شعور الآدميين في أدبارهم دون وجوههم، وقيل: معناه نمحو آثارها وما فيها من أنف وعين وفم وحاجب ونجعلها كالأقفاء. وقيل: نجعل عينيه على القفاء فيمشي قهقرى، فإن قيل: قد أوعدهم الله بالطمس إن لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بم ذلك؟ قيل: هذا الوعيد باق، ويكون طمس ومسخ في اليهودية قبل قيام الساعة، وقيل: هذا كان وعيد بشرط فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه دفع ذلك عن الباقين، وقيل: أراد به في القيامة، وقال مجاهد أراد بقوله: (نَطْمِسَ وُجُوهًا) أي: نتركهم في الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة، وأصل الطمس: المحو والإفساد والتحويل، وقال ابن زيد: نمحو آثارهم من وجوههم ونواصيهم التي هم با فنردها على أدبارها حتى يعودوا إلى حيث جاؤوا منه

---

(١) سورة النساء آية : ٤٧.

(٢) سورة النساء آية : ٤٧.

(٣) سورة النساء آية : ٤٧.

(٤) البخاري المناقب (٣٦٩٩), أحمد (٢١١/٣).

(٥) سورة النساء آية : ٤٧.

(٦) سورة النساء آية : ٤٧.

وهو الشام، وقال: قد مضى ذلك وتأوله في إجلاء بني النضير إلى أذرعات وأريحاء من الشام ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾ [1]، فنجعلهم قردة وخنازير ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴿٤٧﴾ ﴾ [2].

[٤٨]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [3] قال الكلبي: نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه وذلك أنه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله أن يعتق فلم يوف له بذلك، فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله ﷺ أنا قد ندمنا على الذي صنعنا وأنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول وأنت بمكة ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [4]، الآيات وقد دعونا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا، فلولا هذه الآيات لاتبعناك، فنزلت ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَٰلِحًا ﴾ [5] الآيتين، فبعث بهما رسول الله ﷺ إليهم فلما قرؤوا كتبوا إليه: إن هذا شرط شديد نخاف ألا نعمل صالحا، فنزل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [6]، فبعث بها إليهم فبعثوا إليه: إنا نخاف ألا نكون من أهل المشيئة فنزلت: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [7]، فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى النبي ﷺ

(١) سورة النساء آية : ٤٧.
(٢) سورة النساء آية : ٤٧.
(٣) سورة النساء آية : ٤٨.
(٤) سورة الفرقان آية : ٦٨.
(٥) سورة الفرقان آية : ٧٠.
(٦) سورة النساء آية : ٤٨.
(٧) سورة الزمر آية : ٥٣.

فقبل منهم، ثم قال لوحشي: ﴿ أخبرني كيف قتلت حمزة؟ فلما أخبره، قال: " ويحك غيب وجهك عني ﴾ [1]، فلحق وحشي بالشام فكان بها إلى أن مات ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ ﴾ [2]، اختلق، ﴿ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [3].

[٤٩] قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ [4] الآية، قال الكلبي: نزلت في رجال من اليهود منهم بحري بن عمر والنعمان بن أوفى ومرحب بن زيد، أتوا بأطفالهم إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال: لا، قالوا: وما نحن إلا كهيئتهم، ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل، وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مجاهد وعكرمة: كانوا يقدمون أطفالهم في الصلاة يزعمون أنم لا ذنوب لهم فتلك التزكية، وقال الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل: نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [5]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو تزكية بعضهم لبعض، قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى ﴾ [6] أي: يطهر ويبرئ من الذنوب ويصلح، ﴿ مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [7] وهو اسم لما في شق النواة، والقطمير اسم للقشرة التي على النواة، والنقير اسم للنقرة التي على ظهر النواة، وقيل: الفتيل من الفتل وهو ما يجعل بين الأصبعين من الوسخ عند الفتل.

---

(١) البخاري المغازي (٣٨٤٤), أحمد (٣/٥٠١).
(٢) سورة النساء آية : ٤٨.
(٣) سورة النساء آية : ٤٨.
(٤) سورة النساء آية : ٤٩.
(٥) سورة البقرة آية : ١١١.
(٦) سورة النساء آية : ٤٩.
(٧) سورة النساء آية : ٤٩.

سَبِيلاً ﴿٥١﴾ ﴾ [(١)]، قال المفسرون: خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكبا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بما ففعلوا ذلك، فذلك قوله تعالى: (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطاغُوتِ)، ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقة، نحن أم محمد؟ فقال كعب. أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد وأصحابه، فأنزل الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ) يعني: كعبا وأصحابه (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطاغُوتِ)، يعني: الصنمين (وَيَقُولُونَ لِلذِينَ كَفَرُوا): أبي سفيان وأصحابه (هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الذِينَ آمَنُوا) بمحمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم سبيلا ودينا.

قوله تعالى أُولَئِكَ الذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا....

[٥٢] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [(٢)]

[٥٣] ﴿ أَمۡ لَهُمۡ ﴾ [(٣)] يعني ألهم والميم صلة ﴿ نَصِيبٌ ﴾ [(٤)] حظ ﴿ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ [(٥)] وهذا على جهة الإنكار، يعني: ليس لهم من الملك شيء، ولو كان لهم من الملك شيء، ﴿ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [(٦)] لحسدهم وبخلهم، النقير: النقطة

(١) سورة النساء آية : ٥١.
(٢) سورة النساء آية : ٥٢.
(٣) سورة النساء آية : ٥٣.
(٤) سورة النساء آية : ٥٣.
(٥) سورة النساء آية : ٥٣.
(٦) سورة النساء آية : ٥٣.

التي تكون في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة، وقال أبو العالية: هو نقر الرجل الشيء بطرف أصبعه كما ينقر الدرهم:

[٥٤] ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ (١)، يعني: اليهود، ويحسدون الناس قال قتادة: المراد بالناس العرب حسدهم اليهود على النبوة، وما أكرمهم الله تعالى بمحمد ﷺ. وقيل: أراد محمدا ﷺ وأصحابه، وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة: المراد بالناس رسول الله ﷺ وحده، حسدوه على ما أحل الله له من النساء، وقالوا. ما له هم إلا النكاح، وهو المراد من قوله: ﴿ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (٢) وقيل: حسدوه على النبوة وهو المراد من الفضل المذكور في الآية. ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٣) أراد بآل إبراهيم داود وسليمان وبالكتاب ما أنزل الله إليهم وبالحكمة النبوة ﴿ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝ ﴾ (٤) فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان عليهما السلام بكثرة النساء، فإنه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية، وكان لداود مائة امرأة، ولم يكن يومئذ لرسول الله ﷺ إلا تسع نسوة، فلما قال لهم ذلك سكتوا.

[٥٥] قال الله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ ﴾ (٥) يعني: بمحمد ﷺ وهم عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ (٦)، أعرض عنه ولم يؤمن به، ﴿ وَكَفَىٰ

(١) سورة النساء آية : ٥٤.
(٢) سورة النساء آية : ٥٤.
(٣) سورة النساء آية : ٥٤.
(٤) سورة النساء آية : ٥٤.
(٥) سورة النساء آية : ٥٥.
(٦) سورة النساء آية : ٥٥.

﴿ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥ ﴾[1]، وقودا، وقيل: الملك العظيم: ملك سليمان. وقال السدي: الهاء في قوله: (من آمن به وصد عنه) راجعة إلى إبراهيم، وذلك أن إبراهيم زرع ذات سنة، وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكا زرع إبراهيم عليه السلام، فاحتاج إليه الناس فكان يقول: من آمن بي أعطيته فمن آمن به أعطاه، ومن لم يؤمن به منعه.

[٥٦] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾[2]، ندخلهم نارا، ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ ﴾[3] احترقت، ﴿ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[4] غير الجلود المحترقة، فإن قيل: كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه؟ قيل: يعاد الجلد الأول في كل مرة. وإنما قال: ﴿ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[5] لتبديل صفتها، كما تقول صنعت من خاتمي خاتما غيره، فالخاتم الثاني هو الأول إلا أن الصناعة والصفة تبدلت، قوله تعالى: ﴿ لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦ ﴾[6].

[٥٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧ ﴾[7]، كنينا لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم حر ولا برد.

(١) سورة النساء آية : ٥٥.
(٢) سورة النساء آية : ٥٦.
(٣) سورة النساء آية : ٥٦.
(٤) سورة النساء آية : ٥٦.
(٥) سورة النساء آية : ٥٦.
(٦) سورة النساء آية : ٥٦.
(٧) سورة النساء آية : ٥٧.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ (١) نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار، وكان سادن الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله ﷺ المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان فطلبه منه رسول الله ﷺ وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنع المفتاح فلوى علي رضي الله عنه يده فأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس المفتاح أن يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك علي رضي الله عنه فقال له عثمان: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق، فقال علي: لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وكان المفتاح معه، فلما مات دفعه إلى أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة. وقيل: المراد من الآية جميع الأمانات، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ (٢) أي: بالقسط، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا ﴾ (٣) أي نعم الشيء الذي ﴿ يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ (٤).

[٥٩] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ (٥) اختلفوا في (أولي الأمر)، قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم: هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم، وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد، ودليله قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ

(١) سورة النساء آية : ٥٨.
(٢) سورة النساء آية : ٥٨.
(٣) سورة النساء آية : ٥٨.
(٤) سورة النساء آية : ٥٨.
(٥) سورة النساء آية : ٥٩.

﴿ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [1]، وقال أبو هريرة. هم الأمراء والولاة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عه. حق على الإمام أن يحكـم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا، وقيل: المراد أمراء السرايا، وقال عكرمة: أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال عطاء: هم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ [2] الآية، قوله ﷻ ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ ﴾ [3] أي: اختلفتم، ﴿ فِي شَيۡءٖ ﴾ [4] من أمر دينكم، والتنازع: اختلاف الآراء وأصله من الا ع فكان المتنازعان يتجاذبان ويتمانعان، ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [5] أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حيا وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد. وقيل: الرد إلى الله تعالى والرسول أن يقول لما لا يعلم: الله ورسوله أعلم. ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ ﴾ [6] أي: الرد إلى الله والرسول، ﴿ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩ ﴾ [7] أي: أحسن مآلا وعاقبة.

---

(١) سورة النساء آية : ٨٣.
(٢) سورة التوبة آية : ١٠٠.
(٣) سورة النساء آية : ٥٩.
(٤) سورة النساء آية : ٥٩.
(٥) سورة النساء آية : ٥٩.
(٦) سورة النساء آية : ٥٩.
(٧) سورة النساء آية : ٥٩.

قوله تعالى ألَمْ تَرَ إلى الذِينَ يَزْعُمُونَ أنهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إليْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قبْلِكَ....

[٦٠] قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ (١) الآية قال الشعبي: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم، فاتفقا على أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه، ف لت هذه الآية، ﴿ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ (٢).

[٦١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ (٣) أي: يعرضون عنك إعراضا.

[٦٢] ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ (٤)، هذا وعيد، أي: فكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٥) يعني: عقوبة صدودهم، وقيل: هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين في الدنيا والآخرة وتم الكلام هاهنا، ثم عاد الكلام إلى ما سبق، يخبر عن فعلهم فقال: ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ ﴾ (٦)، يعني: يتحاكمون إلى الطاغوت، ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ ﴾ (٧) أي: يجيئونك يحلفون ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ ﴾ (٨)، ما أردنا

---

(١) سورة النساء آية : ٦٠.

(٢) سورة النساء آية : ٦٠.

(٣) سورة النساء آية : ٦١.

(٤) سورة النساء آية : ٦٢.

(٥) سورة النساء آية : ٦٢.

(٦) سورة النساء آية : ٦٢.

(٧) سورة النساء آية : ٦٢.

(٨) سورة النساء آية : ٦٢.

بالعدل عنه في المحاكمة ﴿ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾[1]، قال الكلبي: إلا إحسانا في القول، وتوفيقا: صوابا، وقال ابن كيسان: حقًّا وعدلًا، نظيره: ﴿ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾[2]، وقيل: هو إحسان بعضهم إلى بعض، وقيل: هو تقريب الأمر من الحق، لا القضاء على أمر الحكم، والتوفيق: هو موافقة الحق، وقيل: هو التأليف والجمع بين الخصمين.

[٦٣] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾[3]، من النفاق، أي: علم أن ما في قلوبهم خلاف ما في ألسنتهم، ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾[4]، أي: عن عقوبتهم. وقيل: هو التخويف بالله، وقيل: أن يوعدهم بالقتل إن لم يتوبوا، قال الحسن: القول البليغ أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لأنه يبلغ من نفوسكم كل مبلغ، وقال الضحاك: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ ﴾[5] في الملأ ﴿ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾[6] في السر والخلاء، وقال: قيل هذا منسوخ بآية القتال.

[٦٤] قوله ﷻ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾[7]، أي: بأمر الله لأن طاعة الرسول وجبت بأمر الله، قال الزجاج: ليطاع بإذن الله لأن الله قد أذن فيه وأمر به، وقيل: إلا لِيُطَاعَ كلام تام كاف، بِإِذْنِ اللهِ تعالى أي: بعلم الله وقضائه، أي:

---

(١) سورة النساء آية : ٦٢.
(٢) سورة التوبة آية : ١٠٧.
(٣) سورة النساء آية : ٦٣.
(٤) سورة النساء آية : ٦٣.
(٥) سورة النساء آية : ٦٣.
(٦) سورة النساء آية : ٦٣.
(٧) سورة النساء آية : ٦٤.

وقوع طاعته يكون بإذن الله، ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾[1]، لتحـاكـمهـم إلـى الطاغوت ﴿ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[2].

[٦٥] قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾[3] (فلا) أي: ليس الأمر كما يزعمون أنم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك، ثم استأنف القسم (وَرَبكَ لَا يُؤْمِنُونَ) ويجوز أن يكون (لا) في قوله (فلا) صلة، كما في قوله (فلا أقسم)، حتى يحكموك: أي يجعلوك حكما، ﴿ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾[4]، أي: اختلف واختلط من أمورهم والتبس عليهم حكـمه، ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها ببعض، ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا ﴾[5] قال مجاهد: شكـا، وقـال غيره: ضيقا، ﴿ مِّمَّا قَضَيۡتَ ﴾[6] وقال الضحاك: إثما، أي: يأثمون بإنكـارهم ما قضيت، ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[7] أي: ينقادوا لأمرك انقيادا.

---

(١) سورة النساء آية : ٦٤.
(٢) سورة النساء آية : ٦٤.
(٣) سورة النساء آية : ٦٥.
(٤) سورة النساء آية : ٦٥.
(٥) سورة النساء آية : ٦٥.
(٦) سورة النساء آية : ٦٥.
(٧) سورة النساء آية : ٦٥.

قوله تعالى وَلَوْ أنا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أن اقْتُلوا أنْفُسَكُمْ أو اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ....

[٦٦] قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا ﴾ [١] أي: فرضنا وأوجبنا ﴿ عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [٢] كما أمرنا بني إسرائيل ﴿ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم ﴾ [٣]، كما أمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر، ﴿ مَّا فَعَلُوهُ ﴾ [٤]، معناه: ما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول والرضى بحكمه، ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعله، ﴿ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ ﴾ [٥]، نزلت في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله. قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن يا سر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل، والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ﴿ إن من أمتي لرجالا الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي ﴾، قرأ ابن عامر وأهل الشام (إلا قليلا) بالنصف على الاستثناء، وكذلك هو في مصحف أهل الشام، وقيل: فيه إضمار، تقديره: إلا أن يكون قليلا منهم، وقرأ الآخرون قليل بالرفع على الضمير الفاعل في قوله: (فعلوا) تقديره: إلا نفر قليل فعلوه، ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ ﴾ [٦]

---

(١) سورة النساء آية : ٦٦.
(٢) سورة النساء آية : ٦٦.
(٣) سورة النساء آية : ٦٦.
(٤) سورة النساء آية : ٦٦.
(٥) سورة النساء آية : ٦٦.
(٦) سورة النساء آية : ٦٦.

يؤمنون به من طاعة الرسول والرضى بحكمه، ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾[1] تحقيقا أو تصديقا لإيمانهم.

[٦٧] ﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ ﴾[2] ثوابا وافرا.

[٦٨] ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾[3]، أي: إلى الصراط المستقيم.

[٦٩] قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾[4] أي: (ومن يطع الله) في أداء الفرائض، (والرسول) في السنن (فَأُولَئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النِبيينَ) أي: لا تفوتهم رؤية الأنبياء ومجالستهم لأنهم يرفعون إلى درجة الأنبياء، ﴿ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾[5]، وهم أفاضل أصحاب النبي ﷺ والصديق المبالغ في الصدق، ﴿ وَالشُّهَدَاءِ ﴾[6]، قيل: هم الذين استشهدوا في يوم أحد، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، وقال عكرمة: النبيون هاهنا محمد ﷺ والصديق أبو بكر، والشهداء عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ﴿ وَالصَّالِحِينَ ۚ ﴾[7]، سائر الصحابة رضي الله عنهم، ﴿ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾[8] يعني: رفقاء الجنة، والعرب تضع

(١) سورة النساء آية : ٦٦.
(٢) سورة النساء آية : ٦٧.
(٣) سورة النساء آية : ٦٨.
(٤) سورة النساء آية : ٦٩.
(٥) سورة النساء آية : ٦٩.
(٦) سورة النساء آية : ٦٩.
(٧) سورة النساء آية : ٦٩.
(٨) سورة النساء آية : ٦٩.

الواحد موضع الجمع، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [(١)] أي: أطفالا ﴿ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [(٢)] أي: الأدبار.

[٧٠] ﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [(٣)] أي: بثواب الآخرة، وقيل: من أطاع رسول الله وأحبه، وفيه بيان أنهم لن ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم، وإنما نالوها بفضل الله عز وجل.

[٧١] قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [(٤)]، من عدوكم، أي: من عدتكم وآلتكم من السلاح، والحَذَر والحِذْر واحد كالمثل والمثل والشبه والشبه، ﴿ فَانْفِرُوا ﴾ [(٥)] اخرجوا ﴿ ثُبَاتٍ ﴾ [(٦)] أي: سرايا متفرقين سرية بعد سرية، والثبات جماعات في تفرقة واحدتا ثبة، ﴿ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾ [(٧)] أي مجتمعين كلكم مع النبي ﷺ.

[٧٢] قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾ [(٨)]، نزلت في المنافقين، وإنما قال: (منكم) لاجتماعهم مع أهل الإيمان في الجنسية والنسب وإظهار الإسلام، لا في حقيقة الإيمان، (لَيُبطئَن) أي: ليتأخرن، وليتثاقلن عن الجهاد، وهو عبد الله بن أبي المنافق، واللام في (لَيُبطئَن) لام القسم، والتبطئة: التأخر عن الأمر، يقال: ما أبطأ بك؟ أي: ما

(١) سورة الحج آية : ٥.
(٢) سورة القمر آية : ٤٥.
(٣) سورة النساء آية : ٧٠.
(٤) سورة النساء آية : ٧١.
(٥) سورة النساء آية : ٧١.
(٦) سورة النساء آية : ٧١.
(٧) سورة النساء آية : ٧١.
(٨) سورة النساء آية : ٧٢.

أخرك عنا؟ ويقال: إبطاء وبطأ يبطئ تبطئة. ﴿ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ [1] أي: قتل وهزيمة، ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ ﴾ [2] بالقعود، ﴿ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [3]، أي: حاضرا في تلك الغزاة فيصيبني ما أصابهم.

[٧٣] ﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [4]، فتح وغنيمة، ﴿ لَيَقُولَنَّ ﴾ [5] هذا المنافق، وفيه تقديم وتأخير، وقوله ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ [6] متصل بقوله ﴿ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ [7] تقديره: فإن أصابتكم مصيبة قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا، (كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) أي: معرفة، قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب (تكن) بالتاء، والباقون بالياء، أي: ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن: ﴿ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ ﴾ [8]، في تلك الغزاة، ﴿ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [9] أي: آخذ نصيبا وافرا من الغنيمة، وقوله (فَأَفُوزَ) نصب على جواب التمني بالفاء، كما تقول: وددت أن أقوم فيتبعني الناس.

---

(١) سورة النساء آية : ٧٢.
(٢) سورة النساء آية : ٧٢.
(٣) سورة النساء آية : ٧٢.
(٤) سورة النساء آية : ٧٣.
(٥) سورة النساء آية : ٧٣.
(٦) سورة النساء آية : ٧٣.
(٧) سورة النساء آية : ٧٢.
(٨) سورة النساء آية : ٧٣.
(٩) سورة النساء آية : ٧٣.

[٧٤] قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ ۚ ﴾[١] قيل: نزلت في المنافقين، ومعنى يشرون أي: يشترون، يعني الذين يختارون الدنيا على الآخرة، معناه: آمنوا ثم قاتلوا، وقيل: نزلت في المؤمنين المخلصين، معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون أي: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة ﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ ﴾[٢] يعني يستشهد، ﴿ أَوْ يَغْلِبْ ﴾[٣]، يظفر ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ ﴾[٤]، في كلا الوجهين ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾[٥].

قوله تعالى وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِجَالِ وَالنسَاءِ وَالْوِلْدَانِ....

[٧٥] قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ ﴾[٦] لا تجاهدون ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٧]، في طاعة الله يعاتبهم على ترك الجهاد، ﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾[٨] أي: عن المستضعفين، وقال ابن شهاب: في سبيل المستضعفين لتخليصهم، وقيل: في تخليص المستضعفين، من أيدي المشركين، وكان بمكة جماعة، ﴿ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾[٩]، يلقون من

(١) سورة النساء آية : ٧٤.
(٢) سورة النساء آية : ٧٤.
(٣) سورة النساء آية : ٧٤.
(٤) سورة النساء آية : ٧٤.
(٥) سورة النساء آية : ٧٤.
(٦) سورة النساء آية : ٧٥.
(٧) سورة النساء آية : ٧٥.
(٨) سورة النساء آية : ٧٥.
(٩) سورة النساء آية : ٧٥.

المشركين أذى كثيرا، ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ [١] يدعون و ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [٢] يعني: مكة، الظالم أي: المشرك، أهلها يعني القرية التي من صفتها أن أهلها مشركين، وإنما خفض (الظالم) لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل إلى القرية صار الفعل لها، كما يقال مررت برجل حسنة عينه. ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [٣]، أي: من يلي أمرنا لدنك، ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [٤] أي: من يمنع العدو عنا، فاستجاب الله دعوتم، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ولى عليهم عتاب بن أسيد وجعله الله لهم نصيرا ينصف المؤمنين المظلومين من الظالمين.

[٧٦]، قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [٥]، أي: في طاعته، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [٦] أي: في طاعة الشيطان، ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ ﴾ [٧] أيها المؤمنون ﴿ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ ﴾ [٨] أي: حزبه وجنوده الكـفـار، ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ [٩]، مكره، ﴿ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [١٠]، كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف أن يأخذوه فهرب وخذلهم.

---

(١) سورة النساء آية : ٧٥.
(٢) سورة النساء آية : ٧٥.
(٣) سورة النساء آية : ٧٥.
(٤) سورة النساء آية : ٧٥.
(٥) سورة النساء آية : ٧٦.
(٦) سورة النساء آية : ٧٦.
(٧) سورة النساء آية : ٧٦.
(٨) سورة النساء آية : ٧٦.
(٩) سورة النساء آية : ٧٦.
(١٠) سورة النساء آية : ٧٦.

[٧٧]، قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ ﴾ [(١)] الآية، قال الكلبي: نزلت في جماعة كانوا يلقون من المشركين بمكة أذى كثيرا قبل أن يهاجروا، ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فإنهم قد آذونا، فيقول لهم رسول الله ﷺ ﴿ كفوا أيديكم فإني لم أؤمر بقتالهم ﴾، ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [(٢)]، فلما هاجروا إلى المدينة وأمرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ ﴾ [(٣)] فرض، ﴿ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ ﴾ [(٤)] يعني يخشون مشركي مكة، ﴿ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [(٥)] أي: كخشيتهم من الله، ﴿ أَوۡ أَشَدَّ ﴾ [(٦)] أكبر، ﴿ خَشۡيَةٗۚ ﴾ [(٧)]، وقيل: معناه وأشد خشية، ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ ﴾ [(٨)]، الجهاد، ﴿ لَوۡلَآ ﴾ [(٩)] هلا، ﴿ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ ﴾ [(١٠)]، يعني: الموت، أي: هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا؟ واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك، فقيل: قاله قوم من المنافقين لأن قوله: (لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القتال)، لا يليق بالمؤمنين، وقيل: قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا، وأهل الإيمان يتفاضلون في

---

(١) سورة النساء آية : ٧٧.
(٢) سورة النساء آية : ٧٧.
(٣) سورة النساء آية : ٧٧.
(٤) سورة النساء آية : ٧٧.
(٥) سورة النساء آية : ٧٧.
(٦) سورة النساء آية : ٧٧.
(٧) سورة النساء آية : ٧٧.
(٨) سورة النساء آية : ٧٧.
(٩) سورة النساء آية : ٧٧.
(١٠) سورة النساء آية : ٧٧.

الإيمان، وقيل: هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد، ﴿ قُلْ ﴾[1] يا محمد، ﴿ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا ﴾[2] أي: منفعتها والاستمتاع بها ﴿ قَلِيلٌ وَٱلْأَٰخِرَةُ ﴾[3]، أفضل، ﴿ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾[4]، الشرك ومعصية الرسول، ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧٧﴾ ﴾[5] .

[٧٨] قوله ﷻ ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[6] أي: ي ل بكم الموت، نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بقوله: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[7]، ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[8] والبروج: الحصون والقلاع، والمشيدة: المرفوعة المطولة، ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾[9]، نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم قالوا لما قدم رسول الله ﷺ المدينة: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه، قال الله تعالى: (وإن تصبهم) يعني: اليهود (حسنة) أي خصب ورخص في السعر، ﴿ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[10]

(١) سورة النساء آية : ٧٧.
(٢) سورة النساء آية : ٧٧.
(٣) سورة النساء آية : ٧٧.
(٤) سورة النساء آية : ٧٧.
(٥) سورة النساء آية : ٧٧.
(٦) سورة النساء آية : ٧٨.
(٧) سورة النساء آية : ٧٨.
(٨) سورة النساء آية : ٧٨.
(٩) سورة النساء آية : ٧٨.
(١٠) سورة النساء آية : ٧٨.

لنا، ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ (١) يعني: الـجدب وغلاء الأسعار ﴿ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾ (٢) أي: من شؤم محمد وأصحابه، وقيل: المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر، وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد، يقولوا هذه من عندك أي: أنت الذي حملتنا عليه يا محمد، فعلى هذا يكون من قول المنافقين ﴿ قُلْ ﴾ (٣) لهم يا محمـد، ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (٤) أي: الحسنة والسيئة كلها من عند الله، ثم عيرهم بالجهل فقال: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ (٥) يعني: المنافقين واليهود، ﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ (٦) أي: لا يفقهون قولا، وقيل: الحديث ههنا هو القران أي: لا يفقهون معاني القرآن قوله: (فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ) قال الفراء: كثرت في الكلام هذه الكلمة حتى توهموا أن اللام متصلة بـا وأنـا حرف واحد، ففصلوا اللام بما بعدها في بعضه، ووصلوها في بعضه، والقراءة الاتصال، ولا يجوز الوقف على اللام لأنـا لام خافضة.

[٧٩]، قوله ﷻ ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ (٧) خير ونعمة ﴿ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ (٨)، بلية أو أمر تكرهه، ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ (٩)، أي: بذنوبك، والخطاب للنبي ﷺ المراد غيره، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا

(١) سورة النساء آية : ٧٨.
(٢) سورة النساء آية : ٧٨.
(٣) سورة النساء آية : ٧٨.
(٤) سورة النساء آية : ٧٨.
(٥) سورة النساء آية : ٧٨.
(٦) سورة النساء آية : ٧٨.
(٧) سورة النساء آية : ٧٩.
(٨) سورة النساء آية : ٧٩.
(٩) سورة النساء آية : ٧٩.

كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [1] وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية، فقالوا: نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها إلى العبد، فقال: (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)، ولا متعلق لهم فيه، لأنه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي، بل المراد منهم ما يصيبهم من النعم والمحن، وذلك ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم ولم ينسبها إليهم، فقال: (ما أصابك) ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني، إنما يقال: أصبتها، ويقال في المحن: أصابني، بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا، فهو كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾ [2]، فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه، ووعد عليها الثواب والعقاب، فقال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾ [3]، وقيل معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي: من فضل الله، وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: يعني فبذنوب أصحابك، وهو مخالفتهم لك، فإن قيل: كيف وجه الجمع بين قوله ﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ [4] وبين قوله (فَمِنْ نَفْسِكَ)؟ قيل: قوله ﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ [5] أي: الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: ﴿ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ [6] أي: وما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ

(١) سورة الشورى آية : ٣٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٣١.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٦٠.
(٤) سورة النساء آية : ٧٨.
(٥) سورة النساء آية : ٧٨.
(٦) سورة النساء آية : ٧٩.

﴿ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [1] يدل عليها ما روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ (وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك). وقال بعضهم: هذه اللام متصلة بما قبلها، والقول فيه مضمر تقديره: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا، يقولون: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)، ﴿ قُلۡ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ [2]. ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ [3] يا محمد، ﴿ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ [4] على إرسالك وصدقك، وقيل: كفى بالله شهيدا على أن الحسنة والسيئة كلها من الله تعالى.

قوله تعالى مَنْ يُطِعِ الرسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا....

[٨٠] قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [5]، وذلك أن النبي ﷺ كان يقول: " من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله " فقال بعض المنافقين: ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [6] أي: من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله ﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ [7] عن طاعته، ﴿ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ [8] يا محمد، ﴿ عَلَيۡهِمۡ

(١) سورة الشورى آية : ٣٠.
(٢) سورة النساء آية : ٧٨.
(٣) سورة النساء آية : ٧٩.
(٤) سورة النساء آية : ٧٩.
(٥) سورة النساء آية : ٨٠.
(٦) سورة النساء آية : ٨٠.
(٧) سورة النساء آية : ٨٠.
(٨) سورة النساء آية : ٨٠.

﴿حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [1]، أي: حافظا ورقيبا على كل أمورهم، وقيل: نسخ الله ﷻ هذا بآية السيف، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ [2]، يعني: المنافقين يقولون باللسان للرسول ﷺ إنا آمنا بك فمرنا فأمرك طاعة، قال النحويون: أي أمرنا وشأننا أن نطيعك، ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ [3] خرجوا، ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ [4]، قال قتادة والكلبي: بيت أي: غير وبدل الذي عهد إليهم النبي ﷺ ويكون التبييت بمعنى التبديل، وقال أبو عبيدة والقتيبي: معناه قالوا وقدروا ليلا غير ما أعطوك نارا وكل ما قدر بليل فهو مبيت، وقال أبو الحسن الأخفش: تقول العرب للشيء إذا قدر: بيت، يشبهونه بتقدير بيوت الشعر، ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ﴾ [5] أي يثبت ويحفظ، ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [6] ما يزورون ويغيرون ويقدرون، وقال الضحاك عن ابن عباس: يعني ما يسرون من النفاق، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [7] يا محمد ولا تعاقبهم، وقيل: لا تخبر بأسمائهم، مُنع الرسول ﷺ من الإخبار بأسماء المنافقين، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ۝٨١﴾ [8] أي: اتخذه وكيلا وكفى بالله وكيلا وناصرا.

---

(١) سورة النساء آية : ٨٠.
(٢) سورة النساء آية : ٨١.
(٣) سورة النساء آية : ٨١.
(٤) سورة النساء آية : ٨١.
(٥) سورة النساء آية : ٨١.
(٦) سورة النساء آية : ٨١.
(٧) سورة النساء آية : ٨١.
(٨) سورة النساء آية : ٨١.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [١]، يعني أفلا يتفكرون في القرآن، والتدبر هو النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره. ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [٢] أي تفاوتا وتناقضا كثيرا، قاله ابن عباس، وقيل: لوجدوا فيه أي: في الإخبار عن الغيب بما كان وبما يكون اختلافا كثيرا، أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر أنه كلام الله تعالى لأن ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾ [٣] وذلك أن النبي ﷺ كان يبعث السرايا فإذا غلبوا أو غُلِبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشون ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله ﷺ فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله تعالى (وَإِذَا جَاءَهُمْ) يعني: المنافقين (أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ) أي: الفتح والغنيمة (أَوِ الْخَوْفِ) القتل والهزيمة (أَذَاعُوا بِهِ) أشاعوه وأفشوه، ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ [٤] إلى رأيه ولم يحدثوا به حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يحدث به، ﴿ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ [٥]، أي: ذوي الرأي من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [٦] أي: يستخرجونه وهم العلماء، أي: علموا ما ينبغي أن يكتم وما ينبغي أن يفشى، والاستنباط: الاستخراج، يقال: استنبط الماء إذا استخرجه، وقال عكرمة:

(١) سورة النساء آية : ٨٢.
(٢) سورة النساء آية : ٨٢.
(٣) سورة النساء آية : ٨٣.
(٤) سورة النساء آية : ٨٣.
(٥) سورة النساء آية : ٨٣.
(٦) سورة النساء آية : ٨٣.

يستنبطونه أي: يحرصون عليه ويسألون عنه، وقال الضحاك: يتبعونه، يريد الذين سمعوا تلك الأخبار من المؤمنين والمنافقين، لو ردوه إلى الرسول ﷺ وإلى ذوي الرأي والعلم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم، أي: يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ ﴾ [1] كلكم، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [2] فإن قيل: كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان؟ قيل: هو راجع إلى ما قبله، قيل: معناه أذاعوا به إلا قليلا لم يفشه، وعنى بالقليل المؤمنين، وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، وقال: لأن علم السر إذا ظهر علمه المستنبط وغيره، والإذاعة قد تكون في بعض دون بعض، وقيل: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا، ثم قوله: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ) كلام تام، وقيل: فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، يقول: لولا ذلك لاتبعتم الشيطان إلا قليلا، وهم قوم اهتدوا قبل مجيء الرسول ﷺ ونزول القرآن، مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما، وفي الآية دليل على جواز القياس، فإن من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النص، ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس على المعاني المودعة في النصوص.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿ فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ ﴾ [3] وذلك أن النبي ﷺ واعد أبا سفيان بعد حرب أُحُد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم، فأنزل الله ﷻ ﴿ فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ ﴾ [4] أي: لا تدع جهاد العدو والاستنصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، فإن الله قد وعدك النصرة وعاقبهم على ترك القتال، والفاء في قوله تعالى: (فَقَاتِلْ) جواب عن قوله ﴿ وَمَن

(١) سورة النساء آية : ٨٣.

(٢) سورة النساء آية : ٨٣.

(٣) سورة النساء آية : ٨٤.

(٤) سورة النساء آية : ٨٤.

﴿يُقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٧٤﴾ [1] فَقَاتِلْ، ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ﴾ [2] أي: حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين راكبا فكفاهم الله القتال، فقال جل ذكره: ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ [3] أي: لعل الله، ﴿أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [4]، أي: قتال المشركين و (عسى) من الله واجب، ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾ [5] أي: أشد صولة وأعظم سلطانا، ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ۝٨٤﴾ [6] أي: عقوبة.

[٨٥] قوله ﷻ ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ [7] أي نصيب منها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بين الناس، وقيل: الشفاعة الحسنة هي حسن القول في الناس ينال به الثواب والخير، والسيئة هي: الغيبة وإساءة القول في الناس ينال به الشر، وقوله (كِفْلٌ مِنْهَا) أي: من وزرها، وقال مجاهد: على شفاعة الناس بعضهم لبعض، ويؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يشفع قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ۝٨٥﴾ [8] قال ابن عباس رضي الله عنهما: مقتدرا أو مجازيا، وقال مجاهد: شاهدا، وقال قتادة: حافظا، وقيل: معناه على كل حيوان

---

(١) سورة النساء آية : ٧٤.

(٢) سورة النساء آية : ٨٤.

(٣) سورة النساء آية : ٨٤.

(٤) سورة النساء آية : ٨٤.

(٥) سورة النساء آية : ٨٤.

(٦) سورة النساء آية : ٨٤.

(٧) سورة النساء آية : ٨٥.

(٨) سورة النساء آية : ٨٥.

مقيتا أي: يوصل القوت إليه، وجاء في الحديث: ﴿ كفى بالمرء إثما أن يضّيع من يقوت ويقيت ﴾ (١).

[٨٦] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ ﴾ (٢)، التحية: دعاء بطول الحياة، والمراد بالتحية هنا السلام، يقول: إذا سلم عليكم مُسلم فأجيبوا بأحسن منها أو رُدوها كما سلّم، فإذا قال: السلام عليكم، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد مثله، وقيل: (فَحَيوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا)، معناه أي إذا كان الذي سلّم مُسْلِمًا، (أَوْ رُدوهَا) بمثلها إذا لم يكن مسلما، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ۝٨٦ ﴾ (٣) أي: على كل شيء من رَد السلام بمثله أو بأحسن منه، حسيبا أي: محاسبا مجازيا، وقال مجاهد: حفيظا، وقال أبو عبيدة: كافيا، يقال: حسبي هذا أي كفاني.

قوله تعالى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا....

[٨٧] قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ (٤) اللام، لام القسم تقديره: والله ليجمعنكـم في الموت وفي القبور، ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ (٥)، وسميت القيامة قيامة لأن الناس

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة ٤٥، والإمام أحمد في مسنده ج٢/١٦٠ ط ١٩٣، ١٩٥.
(٢) سورة النساء آية : ٨٦.
(٣) سورة النساء آية : ٨٦.
(٤) سورة النساء آية : ٨٧.
(٥) سورة النساء آية : ٨٧.

يقومون من قبورهم، قال الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا ﴾ [1] وقيل: لقيامهم إلى الحساب، قال الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [2]، ﴿ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ۝٨٧ ﴾ [3] أي: قولا ووعدا، وقرأ حمزة والكسائي (أصدق)، وكل صاد ساكنة بعدها دال بإشمام الزاي.

[٨٨] ﴿ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ ﴾ [4] اختلفوا في سبب نزولها فقال قوم: نزلت في الذين تخلفوا يوم أُحُد من المنافقين، فلما رجعوا قال بعض الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ اقتلهم فإنهم منافقون، وقال بعضهم: اعف عنهم فإنهم تكلموا بالإسلام، وقال بعضهم: نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك، ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: نخرج إليهم فنقتلهم ونأخذ ما معهم لأنهم رغبوا عن ديننا، وقالت طائفة: كيف تقتلون قوما على دينكم إن لم يذروا ديارهم، وكان هذا بعين النبي ﷺ وهو ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين، فنزلت هذه الآية، وقال بعضهم: هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين، فنزلت: (فما لكم) يا معشر المؤمنين (فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) أي: صرتم فيهم فئتين أي: فرقتين ﴿ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم ﴾ [5] أي: نكسهم وردهم إلى الكفر ﴿ بِمَا كَسَبُوٓاْۚ ﴾ [6] بأعمالهم غير الزاكية ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ ﴾ [7]، أي: ترشدوا ﴿ مَنۡ

(١) سورة المعارج آية : ٤٣.
(٢) سورة المطففين آية : ٦.
(٣) سورة النساء آية : ٨٧.
(٤) سورة النساء آية : ٨٨.
(٥) سورة النساء آية : ٨٨.
(٦) سورة النساء آية : ٨٨.
(٧) سورة النساء آية : ٨٨.

﴿ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ ﴾ (١) وقيل: معناه أتقولون إن هؤلاء مهتدون وقد أضلهم الله، ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ ﴾ (٢) أي: وكما كفروا يضلل الله عن الهدى، ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ (٣) أي: طريقا إلى الحق.

[٨٩] قوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ ﴾ (٤) تمنوا، يعني أولئك الذين رجعوا عن الدين تمنوا ﴿ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾ (٥) في الكفر، وقوله (فَتَكُونُونَ) لم يرد به جواب التمني لأن جواب التمني بالفاء منصوب، إنما أراد النسق، أي: ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون سواء، مثل قوله: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٦) أي: ودوا لو تدهن وودوا لو تدهنون، ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ (٧)، منع عن موالاتم، ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٨) معكم، قال عكرمة: هي هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه: هجرة المؤمنين في أول الإسلام، وهي قوله تعالى ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ (٩) وقوله: ﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (١٠)، ونحـوهما من الآيات، وهجـرة المؤمنين: وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله ﷺ صابرين محتسبين، كما حكي

---

(١) سورة النساء آية : ٨٨.
(٢) سورة النساء آية : ٨٨.
(٣) سورة النساء آية : ٨٨.
(٤) سورة النساء آية : ٨٩.
(٥) سورة النساء آية : ٨٩.
(٦) سورة القلم آية : ٩.
(٧) سورة النساء آية : ٨٩.
(٨) سورة النساء آية : ٨٩.
(٩) سورة الحشر آية : ٨.
(١٠) سورة النساء آية : ١٠٠.

هاهنا، وفي هذه الآية منع موالاة المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله، وهجرة سائر المؤمنين ما نهى الله عنه، وهي ما قال النبي ﷺ ﴿ المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ﴾ [1] [2]. قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ [3] أعرضوا عن التوحيد والهجرة، ﴿ فَخُذُوهُمْ ﴾ [4] أي خذوهم أسارى، ومنه يقال للأسير أخيذ، ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [5] في الحل والحرم، ﴿ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [6]، ثم استثنى طائفة منهم فقال:

[٩٠] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ ﴾ [7] وهذا الاستثناء يرجع إلى القتل لا إلى الموالاة، لأن موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال، ومعنى (يصلون) أي: ينتسبون إليهم ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالحِلْف والجوار، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريدون ويلجأون إلى قوم، ﴿ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ [8] أي: عهد، وهم الأسلميون وذلك أن رسول الله ﷺ وادع هلال بن عويمر الأسلمي قبل خروجه إلى مكة على ألا يعينه ولا يعين عليه، ومن وصل إلى هلال من قومه وغيرهم ولجأ إليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال، وقال الضحاك عن ابن عباس: أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد بن مناة

---

(١) البخاري الإيمان (١٠), النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦), أبو داود الجهاد (٢٤٨١), أحمد (٢/٢٠٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان ٤.

(٣) سورة النساء آية : ٨٩.

(٤) سورة النساء آية : ٨٩.

(٥) سورة النساء آية : ٨٩.

(٦) سورة النساء آية : ٨٩.

(٧) سورة النساء آية : ٩٠.

(٨) سورة النساء آية : ٩٠.

كانوا في الصلح والهدنة، وقال مقاتل: هم خزاعة، وقوله: ﴿ أَوۡ جَآءُوكُمۡ ﴾ [(١)] أي: يتصلون بقوم جاؤوكم، ﴿ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ ﴾ [(٢)] أي: ضاقت صدورهم، قرأ الحسن ويعقوب (حصرة) منصوبة منونة أي: ضيقة صدورهم، يعني القوم الذين جاءوكم وهم بنو مدلج، كانوا عاهدوا قريشا ألا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ألا يقاتلوهم، حصرت: ضاقت صدورهم، ﴿ أَن يُقَـٰتِلُوكُمۡ ﴾ [(٣)] أي: عن قتالكم للعهد الذي بينكم، ﴿ أَوۡ يُقَـٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ ﴾ [(٤)] يعني: من أمن منهم، ويجوز أن يكون معناه أنهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم، يعني قريشا قد ضاقت صدورهم لذلك، وقال بعضهم: أو بمعنى الواو، كأنه يقول: إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ، أي: حصرت صدورهم عن قتالهم والقتال معكم، وهم قوم هلال الأسلميون وبنو بكر، نهى الله سبحانه عن قتال هؤلاء المرتدين إذا اتصلوا بأهل عهد للمسلمين، لأن من انضم إلى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدماء. قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَـٰتَلُوكُمۡۚ ﴾ [(٥)]. يذكر مِنَّتَهُ على المسلمين بكف بأس المعاهدين، يقول: إن ضيق صدورهم عن قتالكم لما ألقى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم، ﴿ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ ﴾ [(٦)] أي: اعتزلوا قتالكم، ﴿ فَلَمۡ يُقَـٰتِلُوكُمۡ ﴾ [(٧)] ومن اتصل بهم،

---

(١) سورة النساء آية : ٩٠.

(٢) سورة النساء آية : ٩٠.

(٣) سورة النساء آية : ٩٠.

(٤) سورة النساء آية : ٩٠.

(٥) سورة النساء آية : ٩٠.

(٦) سورة النساء آية : ٩٠.

(٧) سورة النساء آية : ٩٠.

ويقال: يوم فتح مكة يقاتلوكـم مع قومهم، ﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾ [1] أي: الصلح فانقادوا واستسلموا ﴿ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ۝ ﴾ [2] أي: طريقا بالقتل والقتال.

[٩١] قوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ ﴾ [3] عن ابن عباس رضي الله عنهما: هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالإسلام رياء وهم غير مسلمين، وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت؟ فيقول: آمنت بذا القرد وبذا العقرب والخنفساء وإذا لقوا أصحاب النبي ﷺ قالوا: إنا على دينكم، يريدون بذلك الأمن في الفريقين، وقـال الضحاك عن ابن عباس: هم بنو عبد الدار كـانوا بذه الصفة ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ ﴾ [4]، فلا تتعرضوا لهم، ﴿ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ [5] فلا يتعرضوا لهم، ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ﴾ [6] أي: دعوا إلى الشرك ﴿ ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ ﴾ [7] أي: رجعوا وعادوا إلى الشرك، ﴿ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ ﴾ [8] أي: فإن لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا إلى مكة، ﴿ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ﴾ [9] أي: المفادة والصلح، ﴿ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ ﴾ [10] ولم

---

(١) سورة النساء آية : ٩٠.
(٢) سورة النساء آية : ٩٠.
(٣) سورة النساء آية : ٩١.
(٤) سورة النساء آية : ٩١.
(٥) سورة النساء آية : ٩١.
(٦) سورة النساء آية : ٩١.
(٧) سورة النساء آية : ٩١.
(٨) سورة النساء آية : ٩١.
(٩) سورة النساء آية : ٩١.
(١٠) سورة النساء آية : ٩١.

يقبضوا أيديهم عن قتالكم، ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾[1]، أسراء، ﴿ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ﴾[2] أي: وجدتموهم، ﴿ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ ﴾[3] أي: أهل هذه الصفة، ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا ﴾[4] أي: حجة بينة ظاهرة بالقتل والقتال.

قوله تعالى وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ...

[٩٢] قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ ﴾[5]، وهذا نهي عن قتل المؤمن كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾[6]، (إلا خَطَأً) استثناء منقطع معناه: لكن إن وقع خطأ، ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[7] أي: فعليه إعتاق رقبة مؤمنة كفارة، ﴿ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ ﴾[8] كاملة، ﴿ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾[9] أي: إلى أهل القتيل الذين يرثونه، ﴿ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ ﴾[10] أي: يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية، ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

(١) سورة النساء آية : ٩١.
(٢) سورة النساء آية : ٩١.
(٣) سورة النساء آية : ٩١.
(٤) سورة النساء آية : ٩١.
(٥) سورة النساء آية : ٩٢.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٧) سورة النساء آية : ٩٢.
(٨) سورة النساء آية : ٩٢.
(٩) سورة النساء آية : ٩٢.
(١٠) سورة النساء آية : ٩٢.

﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [1] أراد به إذا كان الرجل مسلما في دار الحرب منفردا مع الكفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه، وعليه الكفارة، وقيل: المراد منه إذا كان المقتول مسلما في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار، وقرابته في دار الحرب حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لأهله، وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد. قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [2] أراد به إذا كان المقتول كافرا ذميا أو معاهدا فيجب فيه الدية والكفارة، والكفارة تكون بإعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلما أو معاهدا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا وتكون في مال القاتل، ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ [3]، والقاتل إن كان واجدا للرقبة أو قادرا على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الإعتاق، ولا يجوز أن ينتقل إلى الصوم فإن عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين، ﴿ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [4] أي: جعـل الله ذلك توبة القاتل الخطأ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ [5] بمن قتل خطأ ﴿ حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [6] فيما حكم به عليكـم.

---

(١) سورة النساء آية : ٩٢.

(٢) سورة النساء آية : ٩٢.

(٣) سورة النساء آية : ٩٢.

(٤) سورة النساء آية : ٩٢.

(٥) سورة النساء آية : ٩٢.

(٦) سورة النساء آية : ٩٢.

[٩٣] قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [(١)] الآية، نزلت في مقيس بن صبابة الكندي، وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فأرسل له رسول الله ﷺ معه رجلا من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه إلى مقيس فيقتص منه وإن لم تعلموا أن تدفعوا إليه ديته، فأبلغهم الفهري ذلك فقالوا: سمعا وطاعة لله ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فيأتي الشيطان مقيسا فوسوس إليه، فقال: تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة، اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية، فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله، ثم ركب بعيرا وساق بقيتها راجعا إلى مكة كافرا ؤ ل فيه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾ [(٢)] بكفره وارتداده، هو الذي استثناه النبي ﷺ يوم فتح مكـة، عمن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة، قوله تعالى: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [(٣)] أي: طرده عن الرحمة، ﴿ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [(٤)].

[٩٤] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [(٥)] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب النبي ﷺ ومعه غنم له فسلم عليهم، قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا وقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا با إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا

(١) سورة النساء آية : ٩٣.
(٢) سورة النساء آية : ٩٣.
(٣) سورة النساء آية : ٩٣.
(٤) سورة النساء آية : ٩٣.
(٥) سورة النساء آية : ٩٤.

﴿ ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] يعني إذا سافرتم في سبيل الله، يعني: الجهاد، ﴿ فَتَبَيَّنُوا۟ ﴾ [(٢)] قرأ حمزة والكسائي هاهنا في موضعين وفي سورة الحجرات بالتاء والثاء من التثبت، أي: قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر، وقرأ الآخرون بالياء والنون من التبين، يقال: تبينت الأمر إذا تأملته، ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ ﴾ [(٣)] هكذا قرأ أهل المدينة وابن عامر وحمزة، أي: المعاذة وهو قول " لا إله إلا الله محمد رسول الله "، وقرأ الآخرون السلام وهو السلام الذي هو تحية المسلمين لأنه كان قد سلم عليهم وقيل: السلم والسلام واحد، أي: لا تقولوا لمن سلم عليكم لست مؤمنا، فذلك قوله تعالى: ﴿ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [(٤)] يعني: تطلبون الغنم والغنيمة، (عرض الحياة الدنيا) منافعها ومتاعها ﴿ فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ ﴾ [(٥)] أي: غنائم ﴿ كَثِيرَةٌ ﴾ [(٦)] وقيل: ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾ [(٧)] قال سعيد بن جبير: كـذلك كنتم تكتمون إيمانكم من المشركين ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [(٨)] بإظهار الإسلام، وقال قتادة: كنتم ضلالا من قبل فمن الله عليكم بالهداية، وقيل معناه: كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم بلا إله إلا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قالها فمن الله

(١) سورة النساء آية : ٩٤.
(٢) سورة النساء آية : ٩٤.
(٣) سورة النساء آية : ٩٤.
(٤) سورة النساء آية : ٩٤.
(٥) سورة النساء آية : ٩٤.
(٦) سورة النساء آية : ٩٤.
(٧) سورة النساء آية : ٩٤.
(٨) سورة النساء آية : ٩٤.

عليكم بالهجرة، ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [1] أن تقتلوا مؤمنا، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾ [2] إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية شعار الإسلام فعليهم أن يكفوا عنهم، فإن النبي ﷺ كان إذا غزا قوما فإن سمع أذانا كف عنهم، وإن لم يسمع أغار عليهم.

قوله تعالى لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ....

[٩٥] قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [3] عن الجهاد ﴿ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ [4] قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب الراء أي: إلا أولي الضرر، وقرأ الآخرون برفع الراء على نعت (القاعدين) يريد: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر، أي: غير أولي الزمانة والضعف في البدن والبصر، ﴿ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ ﴾ [5] أي: ليس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنون والمجاهدون سواء، غير أولي الضرر فإنهم يساوون المجاهدين، لأن العذر أقعدهم، قوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ ﴾ [6] أي: فضيلة، وقيل: أراد بالقاعد هاهنا أولي الضرر، فضل الله المجاهدين عليهم درجة لأن المجاهد باشر الجهاد مع النية وأولي الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا، فنزلوا عنهم بدرجة، ﴿ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [7] يعني: الجنة بإيمانهم، وقال مقاتل: يعني المجاهد

(١) سورة النساء آية : ٩٤.
(٢) سورة النساء آية : ٩٤.
(٣) سورة النساء آية : ٩٥.
(٤) سورة النساء آية : ٩٥.
(٥) سورة النساء آية : ٩٥.
(٦) سورة النساء آية : ٩٥.
(٧) سورة النساء آية : ٩٥.

والقاعد المعذور، ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [1] يعني: على القاعدين من غير عذر.

[٩٦] ﴿ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [2] قيل: هي سبعون درجة متفاوتة، وقيل: الدرجات هي الإسلام والجهاد والهجرة والشهادة فاز بها المجاهدون.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [3] الآية نزلت في ناس من أهل مكـة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [4] أراد به ملك الموت وأعوانه أو أراد ملك الموت وحده، كما قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [5]، والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [6] بالشرك، وهو نصب على الحال أي: في حال ظلمهم، قيل: أي المقام في دار الشرك لأن الله تعالى لم يقبل الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ إلا بالهجرة، ثم نسخ بعد فتح مكة فقال النبي ﷺ ﴿ لا هجرة بعد الفتح ﴾ [7] [8] وهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت

---

(١) سورة النساء آية : ٩٥.

(٢) سورة النساء آية : ٩٦.

(٣) سورة النساء آية : ٩٧.

(٤) سورة النساء آية : ٩٧.

(٥) سورة السجدة آية : ١١.

(٦) سورة النساء آية : ٩٧.

(٧) البخاري الجهاد والسير (٢٦٣١), مسلم الحج (١٣٥٣), الترمذي السير (١٥٩٠), أحمد (٢٢٦/١), الدارمي السير (٢٥١٢).

(٨) متفق عليه. ، .

الملائكة وجوههم وأدبارهم، وقالوا لهم: فيما كنتم؟ فذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ ﴾ [1] أي: في ماذا كنتم أو في أي الفريقين كنتم؟ أفي المسلمين؟ أم في المشركين؟ سؤال توبيخ وتعيير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك، ﴿ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ ﴾ [2] عاجزين، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [3] يعني أرض مكة، ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾ [4]؟ يعني إلى المدينة وتخرجوا من مكة من بين أهل الشرك؟ فأكذبهم الله تعالى وأعلمنا بكذبهم، وقال: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ ﴾ [5] م لهم، ﴿ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [6] أي: بئس المصير إلى جهنم، ثم استثنى أهل العذر منهم، فقال:

[٩٨] ﴿ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ ﴾ [7] لا يقدرون على حيلة ولا على نفقة ولا على قوة الخروج منها، ﴿ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ ﴾ [8] أي: لا يعرفون طريقا إلى الخروج. وقال مجاهد: لا يعرفون طريق المدينة.

---

(١) سورة النساء آية : ٩٧.
(٢) سورة النساء آية : ٩٧.
(٣) سورة النساء آية : ٩٧.
(٤) سورة النساء آية : ٩٧.
(٥) سورة النساء آية : ٩٧.
(٦) سورة النساء آية : ٩٧.
(٧) سورة النساء آية : ٩٨.
(٨) سورة النساء آية : ٩٨.

[٩٩] قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ ﴾ [١] يتجاوز عنهم، وعسى من الله واجب، لأنه للإطماع، والله تعالى إذا أطمع عبدا وصله إليه، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي ممن عذر الله، يعني المستضعفين، وكان رسول الله ﷺ يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة.

[١٠٠] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ ﴾ [٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما: (مُرَاغَمًا) أي: متحولا يتحول إليه، وقال مجاهد: متزحزحا عما يكره، وقال أبو عبيدة: المراغم: المهاجر، قيل: سميت المهاجرة مراغمة لأن من يهاجر يراغم قومه، وسعة أي: في الرزق، وقيل: سعة من الضلالة إلى الهدى ﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ [٤] أي: قبل بلوغه إلى مهاجره، ﴿ فَقَدۡ وَقَعَ ﴾ [٥] أي: وجب ﴿ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ ﴾ [٦] بإيجابه على نفسه فضلا منه، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [٧].

[١٠١] قوله ﷻ ﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٨] أي: سافرتم، ﴿ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ ﴾ [٩] أي: حرج وإثم ﴿ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [١] يعني من أربعة ركـعات

---

(١) سورة النساء آية : ٩٩.
(٢) سورة النساء آية : ٩٩.
(٣) سورة النساء آية : ١٠٠.
(٤) سورة النساء آية : ١٠٠.
(٥) سورة النساء آية : ١٠٠.
(٦) سورة النساء آية : ١٠٠.
(٧) سورة النساء آية : ١٠٠.
(٨) سورة النساء آية : ١٠١.
(٩) سورة النساء آية : ١٠١.

ركـعات إلى ركعتين، وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء، ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ﴾ [٢] أي: يقتالكـم ويقتلكم ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [٣] في الصلاة ﴿ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [٤] أي: ظاهر العداوة.

قوله تعالى وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ....

[١٠٢] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [٥] روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أن المشركين لما رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعا ندموا إلا كانوا أكبوا عليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعني صلاة العصر، فإذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم، فـ ل جبريل عليه السلام فعلمه صلاة الخوف، وجملته أن العدو إذا كانوا في معسكرهم في غير ناحية القبلة فيجعل الإمام القوم فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو تحرسهم، ويشرع الإمام مع طائفة في الصلاة، فإذا صلى بم ركعة قام وثبت قائما حتى أتموا صلاتم، وذهبوا إلى وجاه العدو ثم أتت الطائفة الثانية فصلى بم الركعة الثانية وثبت جالسا حتى أتموا لأنفسهم الصلاة، ثم يسلم بم، وهذه رواية سهل بن أبي حثمة ﵁ أن النبي ﷺ صلى كذلك بذات الرقاع، قوله تعالى: (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ) أي: شهيدا معهم فأقمت لهم الصلاة، ﴿ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ﴾ [٦] أي: فلتقف

---

(١) سورة النساء آية : ١٠١.
(٢) سورة النساء آية : ١٠١.
(٣) سورة النساء آية : ١٠١.
(٤) سورة النساء آية : ١٠١.
(٥) سورة النساء آية : ١٠٢.
(٦) سورة النساء آية : ١٠٢.

﴿ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ ﴾ [1] أي: صلوا، ﴿ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ ﴾ [2] يريد مكان الذين هم وجاه العدو، ﴿ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ ﴾ [3]، وهم الذين كانوا في وجه العدو ﴿ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ ﴾ [4] قيل: هؤلاء الذين أتوا، وقيل: هم الذين صلوا، ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [5] يتمنى الكفار، ﴿ لَوۡ تَغۡفُلُونَ ﴾ [6] أي: وجدوكم غافلين، ﴿ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةً وَٰحِدَةًۚ ﴾ [7] فيقصدونكـم ويحملون عليكم حملة واحدة، ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ ﴾ [8]، رخص في وضع السلاح في حال المطر والمرض، لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين، ﴿ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ ﴾ [9] أي: راقبوا العدو كيلا يتغفلوكم، والحذر ما يتقى به من العدو، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٠٢ ﴾ [10] يهانون فيه، والجُناح: الإثم، من جنحت إذا عدلت عن القصد.

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٢.
(٢) سورة النساء آية : ١٠٢.
(٣) سورة النساء آية : ١٠٢.
(٤) سورة النساء آية : ١٠٢.
(٥) سورة النساء آية : ١٠٢.
(٦) سورة النساء آية : ١٠٢.
(٧) سورة النساء آية : ١٠٢.
(٨) سورة النساء آية : ١٠٢.
(٩) سورة النساء آية : ١٠٢.
(١٠) سورة النساء آية : ١٠٢.

[١٠٣] ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [(١)] يعني صلاة الخوف، أي فرغتم منها، ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [(٢)] أي: صلوا لله ﴿ قِيَٰمًا ﴾ [(٣)] في حال الصحة، ﴿ وَقُعُودًا ﴾ [(٤)] في حال المرض، ﴿ وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ﴾ [(٥)] عند الجرح والزمانة، وقيل: اذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد على كل حال، ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ ﴾ [(٦)] أي: سكنتم وآمنتم، ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ ﴾ [(٧)] أي: أتموها أربعا بأركانها، ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [(٨)] قيل: واجبا مفروضا مقدرا في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتان، وقال مجاهد: أي فرضا مؤقتا وقته الله عليهم.

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ ﴾ [(٩)] الآية، سبب نزولها أن أبا سفيان رضي الله عنه وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث رسول الله ﷺ طائفة في آثارهم فشكوا ألم الجراحات، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ ﴾ [(١٠)] أي: تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب القوم أبي سفيان وأصحابه، ﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ ﴾ [(١١)] تتوجعون من

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٣.
(٢) سورة النساء آية : ١٠٣.
(٣) سورة النساء آية : ١٠٣.
(٤) سورة النساء آية : ١٠٣.
(٥) سورة النساء آية : ١٠٣.
(٦) سورة النساء آية : ١٠٣.
(٧) سورة النساء آية : ١٠٣.
(٨) سورة النساء آية : ١٠٣.
(٩) سورة النساء آية : ١٠٤.
(١٠) سورة النساء آية : ١٠٤.
(١١) سورة النساء آية : ١٠٤.

الجراح، ﴿ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ ﴾ [(١)] أي: يتوجعون، يعني الكفار ﴿ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ ﴾ [(٢)] أي: وأنتم مع ذلك تأملون من الأجر والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا ما لا يرجون، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤ ﴾ [(٣)].

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾ [(٤)] الآية، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب له فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره، فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه، فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق، فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا له: إنك إن لم تفعل افتضح صاحبنا، فهم رسول الله ﷺ أن يعاقب اليهودي فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [(٥)] بالأمر والنهي والفصل، ﴿ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٤.
(٢) سورة النساء آية : ١٠٤.
(٣) سورة النساء آية : ١٠٤.
(٤) سورة النساء آية : ١٠٥.
(٥) سورة النساء آية : ١٠٥.

ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[1] بما علمك الله وأوحى إليك، ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ ﴾[2] طعمة، ﴿ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[3] معينا مدافعا عنه.

قوله تعالى وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا....

[١٠٦] ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾[4] مما هممت به من معاقبة اليهودي، وقال مقاتل: واستغفر الله من جدالك عن طعمة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[5].

[١٠٧] ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ ﴾[6] لا تخاصم، ﴿ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾[7] أي: يظلمون أنفسهم بالخيانة والسرقة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا ﴾[8] خائنا، ﴿ أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[9] بسرقة الدرع، أثيما في رميه اليهودي، قيل: إنه خطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، والاستغفار في حق الأنبياء بعد النبوة على أحد الوجوه الثلاثة: إما لذنب تقدم على النبوة أو لذنوب أمته وقرابته، أو لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار، فالاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع.

(١) سورة النساء آية : ١٠٥.
(٢) سورة النساء آية : ١٠٥.
(٣) سورة النساء آية : ١٠٥.
(٤) سورة النساء آية : ١٠٦.
(٥) سورة النساء آية : ١٠٦.
(٦) سورة النساء آية : ١٠٧.
(٧) سورة النساء آية : ١٠٧.
(٨) سورة النساء آية : ١٠٧.
(٩) سورة النساء آية : ١٠٧.

[١٠٨] ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [(١)] أي: يستترون ويستحيون من الناس، يريد بني ظفر بن الحارث، ﴿ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [(٢)] أي: لا يستترون ولا يستحيون من الله، ﴿ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ ﴾ [(٣)] يتقولون ويؤلفون، والتبييت: تدبير الفعل ليلا، ﴿ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ ﴾ [(٤)] وذلك أن قوم طعمة قالوا فيما بينهم: نرفع الأمر إلى النبي ﷺ فإنه يسمع قوله ويمينه لأنه مسلم ولا يسمع من اليهودي فإنه كافر، فلم يرض الله ذلك منهم، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [(٥)] ثم يقول لقوم طعمة:

[١٠٩] ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ ﴾ [(٦)]، أي: يا هؤلاء، ﴿ عَنۡهُمۡ ﴾ [(٧)] أي: خاصمتم، ﴿ فِي ﴾ [(٨)] يعني: عن طعمة، ﴿ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن ﴾ [(٩)] والجدال: شدة المخاصمة من الجدل، وهو شدة القتل، فهو يريد قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج، وقيل: الجدال من الجدالة، وهي الأرض، فكان كل واحد من الخصمين يروم قهر صاحبه وصرعه على الجدال، ﴿ يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ﴾ [(١٠)]، يعني: عن

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٨.
(٢) سورة النساء آية : ١٠٨.
(٣) سورة النساء آية : ١٠٨.
(٤) سورة النساء آية : ١٠٨.
(٥) سورة النساء آية : ١٠٨.
(٦) سورة النساء آية : ١٠٩.
(٧) سورة النساء آية : ١٠٩.
(٨) سورة النساء آية : ١٠٩.
(٩) سورة النساء آية : ١٠٩.
(١٠) سورة النساء آية : ١٠٩.

طعمة، ﴿ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم ﴾ [1] إذا أخذه الله بعذابه، ﴿ مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾ [2] كفيلا، أي: من الذي يذب عنهم، ويتولى أمرهم يوم القيامة، ثم استأنف فقال:

[١١٠] ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا ﴾ [3] يعني السرقة، ﴿ أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ﴾ [4] برميه البريء، وقيل: ومن يعمل سوءا أي: شركا أو يظلم نفسه: يعني إثما دون الشرك، ﴿ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾ [5] أي: يتب إليه ويستغفره، ﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [6] يعرض التوبة على طعمة في هذه الآية.

[١١١] ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا ﴾ [7] يعني: يمين طعمة بالباطل، أي: ما سرقته إنما سرقه اليهودي ﴿ فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ ﴾ [8] فإنما يضر به نفسه، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ [9] بسارق الدرع ﴿ حَكِيمٗا ﴾ [10] حكم بالقطع على السارق.

[١١٢] ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً ﴾ [1] أي: سـرقة الدرع، ﴿ أَوۡ إِثۡمٗا ﴾ [2] بيمينه الكاذبة، ﴿ ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ ﴾ [3] أي: يقذف بما جنى ﴿ بَرِيٓـٔٗا ﴾ [4] منه وهو

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٩.
(٢) سورة النساء آية : ١٠٩.
(٣) سورة النساء آية : ١١٠.
(٤) سورة النساء آية : ١١٠.
(٥) سورة النساء آية : ١١٠.
(٦) سورة النساء آية : ١١٠.
(٧) سورة النساء آية : ١١١.
(٨) سورة النساء آية : ١١١.
(٩) سورة النساء آية : ١١١.
(١٠) سورة النساء آية : ١١١.

نسبة السرقة إلى اليهودي ﴿ فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا ﴾ [5] البهتان: هو البهت، وهو الكذب الذي يتحير في عظمه، ﴿ وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢ ﴾ [6]، أي: ذنبا بينا، وقوله (ثُم يَرۡمِ بِهِۦ) ولم يقل بهما بعد ذكر الخطيئة والإثم، رد الكناية إلى الإثم أو جعل الخطيئة والإثم كالشيء الواحد.

[١١٣] قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ ﴾ [7] يقول للنبي ﷺ ﴿ لَهَمَّت ﴾ [8] لقد همت أي: أضمرت، ﴿ طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ [9] يعني: قوم طعمة، ﴿ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ [10] يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الأمر حتى تدافع عن طعمة، ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ ﴾ [11] يعني يرجــع وباله عليها، ﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ [12] يريد أن ضرره يرجع إليهم، ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [13] يعني:

---

(١) سورة النساء آية : ١١٢.
(٢) سورة النساء آية : ١١٢.
(٣) سورة النساء آية : ١١٢.
(٤) سورة النساء آية : ١١٢.
(٥) سورة النساء آية : ١١٢.
(٦) سورة النساء آية : ١١٢.
(٧) سورة النساء آية : ١١٣.
(٨) سورة النساء آية : ١١٣.
(٩) سورة النساء آية : ١١٣.
(١٠) سورة النساء آية : ١١٣.
(١١) سورة النساء آية : ١١٣.
(١٢) سورة النساء آية : ١١٣.
(١٣) سورة النساء آية : ١١٣.

القرآن، ﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [(١)] يعني: القضاء بالوحي ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ ﴾ [(٢)] من الأحكام، وقيل: من علم الغيب ﴿ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾ [(٣)].

قوله تعالى لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ الناس....

[١١٤] قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ ﴾ [(٤)] يعني: قوم طعمة، وقال مجاهد: الآية عامة في حق جميع الناس، والنجوى: هي الإسرار في التدبير، وقيل: النجوى ما يتفرد بتدبيره قوم سرا كان أو جهرا، فمعنى الآية: لا خير في كثير مما يدبرونه بينهم، ﴿ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ [(٥)] أي: إلا في نجوى من أمر بصدقة، فالنجوى تكون فعلا، وقيل: هذا استثناء منقطع، يعني: لكن من أمر بصدقة، وقيل النجوى هاهنا: الرجال المتناجون، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ ﴾ [(٦)] [الإسراء: ٤٧]. (إِلَا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ) أي: حث عليها، ﴿ أَوۡ مَعۡرُوفٍ ﴾ [(٧)] أي: بطاعة الله وما يعرفه الشرع، وأعمال البر كلها معروف، لأن العقول تعرفها، ﴿ أَوۡ إِصۡلَٰحِۢ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [(٨)] فعن أم كلثوم بنت عقبة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ ليس الكذاب من أصلح بين الناس فقال

(١) سورة النساء آية : ١١٣.
(٢) سورة النساء آية : ١١٣.
(٣) سورة النساء آية : ١١٣.
(٤) سورة النساء آية : ١١٤.
(٥) سورة النساء آية : ١١٤.
(٦) سورة الإسراء آية : ٤٧.
(٧) سورة النساء آية : ١١٤.
(٨) سورة النساء آية : ١١٤.

خيرا أو نمى خيرا ﴾ [1]. قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ﴾ [2] أي: هذه الأشياء التي ذكرها، ﴿ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [3] أي: طلب رضـاه، ﴿ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ ﴾ [4] فـي الآخرة، ﴿ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾ [5]، قرأ أبو عمرو وحمزة (يؤتيه) بالياء، يعني يؤتيه الله، وقرأ الآخرون بالنون.

[١١٥] قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾ [6] نزلت في طعمة بن أبيرق وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة، فهرب إلى مكة وارتد عن الدين، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾ [7] أي: يخالفه، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ [8] من التوحيد والحدود، ﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [9] أي: غير طريق المؤمنين، ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [10] أي: نكله في الآخرة إلى ما تولى في الدنيا، ﴿ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ [11].

(١) البخاري الصلح (٢٥٤٦), مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٠٥), الترمذي البر والصلة (١٩٣٨), أبو داود الأدب (٤٩٢١), أحمد (٦/٤٠٣).

(٢) سورة النساء آية : ١١٤.

(٣) سورة النساء آية : ١١٤.

(٤) سورة النساء آية : ١١٤.

(٥) سورة النساء آية : ١١٤.

(٦) سورة النساء آية : ١١٥.

(٧) سورة النساء آية : ١١٥.

(٨) سورة النساء آية : ١١٥.

(٩) سورة النساء آية : ١١٥.

(١٠) سورة النساء آية : ١١٥.

(١١) سورة النساء آية : ١١٥.

[١١٦] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ (١) أي: ذهب عن الطريق وحُرم الخير كله، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية نزلت في شيخ من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله إني شيخ منهمك في الذنوب، إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي جرأة على الله، وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فماذا حالي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

[١١٧] قوله تعالى: ﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ (٢) نزلت في أهل مكة، أي: ما يعبدون، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ ﴾ (٣) أي: اعبدوني، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ﴾ (٤)، قوله: (من دونه) أي: من دون الله، (إلا إناثًا) أراد بالإناث الأوثان لأنم كانوا يسمونا باسم الإناث، فيقولون: اللات والعزى ومناة، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة: أنثى بني فلان فكان في كل واحدة منهن شيطان يتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم، ولذلك قال: ﴿ وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ (٥)، هذا قول أكثر المفسرين يدل على صحة التأويل: وأن المراد بالإناث الأوثان قراءة ابن عباس رضي الله عنه (إنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إلا أُثُنًا) جمع الوثن فصير الواو همزة، وقال الحسن وقتادة: إلا إناثا أي: مواتا لا روح فيه، لأن أصنامهم كانت من الجمادات سماها إناثا لأنه يخبر عن الموات، كما يخبر عن الإناث، ولأن الإناث

(١) سورة النساء آية : ١١٦.
(٢) سورة النساء آية : ١١٧.
(٣) سورة غافر آية : ٦٠.
(٤) سورة غافر آية : ٦٠.
(٥) سورة النساء آية : ١١٧.

أدون الجنسين كما أن الموات أرذل من الحيوان، وقال الضحاك: أراد بالإناث الملائكة وكان بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون: الملائكة إناث، كما قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ ﴾ [1]، (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا)، أي: وما يعبدون إلا شيطانا مريدا لأنهم إذا عبدوا الأصنام فقد أطاعوا الشيطان، والمريد: المارد، وهو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة، وأراد: إبليس.

[١١٨] ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ ﴾ [2] أي: أبعده الله من رحمته، ﴿ وَقَالَ ﴾ [3] يعني: قال إبليس، ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾ [4] أي: حقا معلوما، فما أطيع فيه إبليس فهو مفروضه وأصل الفرض في اللغة: القطع، ومنه الفرضة في النهر وهي الثلمة تكون فيه، وفرض القوس والشراك: للشق الذي يكون فيه الوتر والخيط الذي يشد به الشراك.

[١١٩] ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ [5] يعني: عن الحق، أي: لأغوينهم، يقوله إبليس، وأراد به التزيين، وإلا فليس إليه من الإضلال شيء، كما قال: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [6] ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ [7]، قيل: أمنينهم ركوب الأهواء، وقيل: أمنينهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث، وقيل: أمنينهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي ﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ

---

(١) سورة الزخرف آية : ١٩.
(٢) سورة النساء آية : ١١٨.
(٣) سورة النساء آية : ١١٨.
(٤) سورة النساء آية : ١١٨.
(٥) سورة النساء آية : ١١٩.
(٦) سورة الحجر آية : ٣٩.
(٧) سورة النساء آية : ١١٩.

ﭐلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ ﴾ [1]، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب والضحاك: يعني دين الله، نظيره قولـه تعالى: ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ﴾ [2] أي: لدين الله، يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال، وقال عكرمة وجماعة من المفسرين فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الآذان حتى حرّم بعضهم الخصاء وجوزه بعضهم في البهائم، لأن فيه غرضا ظاهرا، وقيل: تغيير خلق الله هو أن الله تعالى خلق الأنعام للركوب والأكل فحرموها، وخلق الشمس والقمر والأحجار لمنفعة العباد فعبدوها من دون الله، ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [3] أي: ربا يطيعه، ﴿ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ ﴾ [4].

[١٢٠] ﴿ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ ﴾ [5] فوعده وتمنيته ما يوقعه في قلب الإنسان من طول العمر ونيل الدنيا، وقد يكون بالتخويف بالفقر فيمنعه من الإنفاق وصلة الرحم كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾ [6] ويمنيهم بأن لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [7] أي: باطلا.

[١٢١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾ ﴾ [8] أي: مفرا ومعدلا عنها.

---

(١) سورة النساء آية : ١١٩.
(٢) سورة الروم آية : ٣٠.
(٣) سورة النساء آية : ١١٩.
(٤) سورة النساء آية : ١١٩.
(٥) سورة النساء آية : ١٢٠.
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦٨.
(٧) سورة النساء آية : ١٢٠.
(٨) سورة النساء آية : ١٢١.

قوله تعالى وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَناتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبدًا...

[١٢٢] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ (١) أي: من تحت الغرف والمساكن، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢ ﴾ (٢).

[١٢٣] قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ (٣) الآية، قال مسروق وقتادة والضحاك: أراد ليس أمانيكم أيها المسلمون ولا أماني أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى، وذلك أنهم افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب، وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى. وقال مجاهد: أراد بقوله ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ ﴾ (٤) يا مشركي أهل الكتاب، وذلك أنهم قالوا: لا بعث ولا حساب، وقال أهل الكتاب: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ ﴾ (٥)، و ﴿ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾ (٦)، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ ﴾ (٧) أي: ليس الأمر بالأماني وإنما الأمر بالعمل الصالح، ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ (٨)، قال ابن

(١) سورة النساء آية : ١٢٢.
(٢) سورة النساء آية : ١٢٢.
(٣) سورة النساء آية : ١٢٣.
(٤) سورة النساء آية : ١٢٣.
(٥) سورة البقرة آية : ٨٠.
(٦) سورة البقرة آية : ١١١.
(٧) سورة النساء آية : ١٢٣.
(٨) سورة النساء آية : ١٢٣.

عباس وسعيد بن جبير وجماعة: الآية عامة في حق كل عامل ﴿ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾[1].

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾[2] أي: مقدار النقير، وهو النقرة التي تكون في ظهر النواة.

[١٢٥] ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا ﴾[3] أحكم دينا ﴿ مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ﴾[4] أي: أخلص عمله لله، وقيل: فوض أمره إلى الله، ﴿ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾[5] أي: موحد، ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾[6] يعني: دين إبراهيم عليه السلام، ﴿ حَنِيفٗاۗ ﴾[7] أي: مسلما مخلصا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ومن دين إبراهيم الصلاة إلى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج، وإنما خُص بها إبراهيم لأنه كان مقبولا عند الأمم أجمع، وقيل: لأنه بُعث على ملة إبراهيم وزيدت له أشياء. ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾[8] صفيا، والخلة: صفاء المودة، قال الزجاج: معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل، والخلة: الصداقة، فسمي خليلا لأن الله أحبه واصطفاه.

---

(١) سورة النساء آية : ١٢٣.
(٢) سورة النساء آية : ١٢٤.
(٣) سورة النساء آية : ١٢٥.
(٤) سورة النساء آية : ١٢٥.
(٥) سورة النساء آية : ١٢٥.
(٦) سورة النساء آية : ١٢٥.
(٧) سورة النساء آية : ١٢٥.
(٨) سورة النساء آية : ١٢٥.

[١٢٦] قوله ﷻ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ ﴾ [1] أي: أحاط علمه بجميع الأشياء.

[١٢٧] قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ ﴾ [2] الآية، قالت عائشة رضي الله عنها: هي اليتيمة تكون في حجر الرجل، وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سّنة صداقها، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها، وفي رواية هي اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب أن يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجها غيره فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها، فنهاهم الله عن ذلك، قوله ﷻ (وَيَسْتَفْتُونَكَ) أي: يستخبرونك في النساء، (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِن)، ﴿ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [3]، قيل: معناه ويفتيكم فيما يتلى عليكم، وقيل: يريد الله أن يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكـم فيهن، وهو قوله ﷻ ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ [4]، قوله: ﴿ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [5] هذا إضافة الشيء إلى نفسه لأنه أراد باليتامى النساء، ﴿ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ ﴾ [6] أي: لا تعطونن، ﴿ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ [7] من صداقهن، ﴿ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [8] أي: في نكاحهن لمالهن وجمالهن بأقل من صداقهن، وقال الحسن وجماعة: أراد لا تؤتونن

(١) سورة النساء آية : ١٢٦.

(٢) سورة النساء آية : ١٢٧.

(٣) سورة النساء آية : ١٢٧.

(٤) سورة النساء آية : ٢.

(٥) سورة النساء آية : ١٢٧.

(٦) سورة النساء آية : ١٢٧.

(٧) سورة النساء آية : ١٢٧.

(٨) سورة النساء آية : ١٢٧.

حقهن من الميراث لأنم كانوا لا يورثون النساء، وترغبون أن تنكحوهن، أي: عن نكاحهن لدمامتهن، ﴿ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ ﴾ (١) يريد: ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار، أن تعطوهم حقوقهم لأنم كانوا لا يُورثون الصغار، يريد ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ (٢) يعني بإعطاء حقوق الصغار، ﴿ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ (٣) أي: ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مهورهن ومواريثهن، ﴿ وَمَا تَفۡعَلُوا۟ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾ ﴾ (٤) يجازيكم عليه.

قوله تعالى وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗا....

[١٢٨] ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ ﴾ (٥)، أي: علمت ﴿ مِنۢ بَعۡلِهَا ﴾ (٦) أي: من زوجها ﴿ نُشُوزًا ﴾ (٧) أي: بغضا، قال الكلبي: يعني ترك مضاجعتها، ﴿أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ (٨) بوجهه عنها وقلة مجالستها، ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ ﴾ (٩) أي: على الزوج والمرأة، (أنْ

(١) سورة النساء آية : ١٢٧.
(٢) سورة النساء آية : ٢.
(٣) سورة النساء آية : ١٢٧.
(٤) سورة النساء آية : ١٢٧.
(٥) سورة النساء آية : ١٢٨.
(٦) سورة النساء آية : ١٢٨.
(٧) سورة النساء آية : ١٢٨.
(٨) سورة النساء آية : ١٢٨.
(٩) سورة النساء آية : ١٢٨.

يَصالَحَا) أي يتصالحا، وقرأ أهل الكوفة ﴿ أَن يُصۡلِحَا ﴾ [1] من أصلح، ﴿ بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ ﴾ [2]، يعني: في القِسْم والنفقة، وهو أن يقول الزوج لها، إنك قد دخلت في السن وإني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أوثرها عليك في القسمة ليلا ونارا فإن رضيتِ بذا فأقيمي وإن كرهت خلّيتُ سبيلك، فإن رضيتْ كانت هي المحسنة ولا ُتجبر على ذلك، وإن لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفّيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها بإحسان، فإن أمسكها ووفاها حقها مع كراهية فهو محسن وقال مقاتل بن حيان في هذه الآية: هو أن الرجل يكون تحته المرأة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة، فيقول للكبيرة: أعطيتك من مالي نصيبا على أن أقسم لهذه الشابة أكثر مما أقسم لك فترضى بما اصطلحا عليه، فإن أبت أن ترضى فعليه أن يعدل بينهما في القسم. وعن علي ﷺ في هذه الآية قال: تكون المرأة عند الرجل فتنبو عينه عنها من دمامة أو كبر فتكره فرقته، فإن أعطته من مالها فهو له حل وإن أعطته من أيامها فهو حل له، ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴾ [3] يعني: إقامتها بعد تخييره إياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة ﴿ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴾ [4]، يريد شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر، والشح: أقبح البخل، وحقيقته: الحرص على منع الخير، ﴿ وَإِن تُحۡسِنُواْ ﴾ [5]، أي: تصلحوا ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ [6] الجور، وقيل: هذا خطاب مع الأزواج، أي: تحسنوا

---

(١) سورة النساء آية : ١٢٨.

(٢) سورة النساء آية : ١٢٨.

(٣) سورة النساء آية : ١٢٨.

(٤) سورة النساء آية : ١٢٨.

(٥) سورة النساء آية : ١٢٨.

(٦) سورة النساء آية : ١٢٨.

بالإقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1] فيجزيكم بأعمالكم.

[١٢٩] قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [2] أي: لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب، ﴿ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ ﴾ [3] على العدل، ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ ﴾ [4] أي: إلى التي تحبونها، ﴿ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ ﴾ [5] في القسم والنفقة، أي: لا تتبعوا أهواءكم أفعالكم، ﴿ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ ﴾ [6]، أي: فتدعوا الأخرى كالمعلقة لا أيمًا ولا ذات بعل. وقال قتادة: كالمحبوسة، وفي قراءة أبي بن كعب: كأنها مسجونة. وروي عن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: " اللهم هذا قَسْمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " [7] ﴿ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾ [8] الجور، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ [9].

---

(١) سورة النساء آية : ١٢٨.
(٢) سورة النساء آية : ١٢٩.
(٣) سورة النساء آية : ١٢٩.
(٤) سورة النساء آية : ١٢٩.
(٥) سورة النساء آية : ١٢٩.
(٦) سورة النساء آية : ١٢٩.
(٧) رواه أبو داود في كتاب النكاح ٣٨، والنسائي في كتاب عشرة النساء ٢، وابن ماجه في كتاب النكاح ٤٧، والدارمي في كتاب النكاح ٢٥، وهو معل. ، .
(٨) سورة النساء آية : ١٢٩.
(٩) سورة النساء آية : ١٢٩.

[١٣٠] ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا ﴾ [(١)] يعني: الزوج والمرأة بالطلاق، ﴿ يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [(٢)] من رزقه، يعني: المرأة بزوج آخر والزوج بامرأة أخرى، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [(٣)] واسع الفضل والرحمة حكيما فيما أمر به ونهى عنه، وجملة حُكـم الآية: أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهن في القسم، فإن ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله تعالى، وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة، أما في الجماع فلا، لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه.

[١٣١] قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٤)] عبيدا ومُلكا ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [(٥)] يعني: أهل التوراة والإنجيل وسائر الأمم المتقدمة في كتبهم، ﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [(٦)] يا أهل القرآن في القرآن، ﴿ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [(٧)] أي: وحدوا الله وأطيعوه، ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ ﴾ [(٨)] بما أوصاكم الله به ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٩)]، قيل: فإن لله ملائكة

(١) سورة النساء آية : ١٣٠.
(٢) سورة النساء آية : ١٣٠.
(٣) سورة النساء آية : ١٣٠.
(٤) سورة النساء آية : ١٣١.
(٥) سورة النساء آية : ١٣١.
(٦) سورة النساء آية : ١٣١.
(٧) سورة النساء آية : ١٣١.
(٨) سورة النساء آية : ١٣١.
(٩) سورة النساء آية : ١٣١.

في السماوات والأرض هي أطوع له منكم، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا ﴾ [1] عن جميع خلقه غير محتاج إلى طاعتهم، ﴿ حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ [2] محمودا على نعمه.

[١٣٢] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٣٢﴾ ﴾ [3]، قال عكرمة عن ابن عباس: يعني شهيدا أن فيها عبيدا، وقيل: دافعا ومُجيرا، فإن قيل: فأي فائدة في تكرار قوله تعالى: (وَلِلهِ مَا فِي السمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)؟ قيل: لكل واحد منهما وجه، أما الأول: فمعناه لله ما في السماوات وما في الأرض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته، وأما الثاني فيقول: ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا ﴾ [4] أي: هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون، وأما الثالث فيقول: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٣٢﴾ ﴾ [5] أي: له الملك فاتخذوه وكيلا ولا تتوكلوا على غيره.

[١٣٣] قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ [6] يهلككم ﴿ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ [7] يعني: الكفار، ﴿ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ ﴾ [8] يقول بغيركـم خير منكم وأطوع، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ [9] قادرا.

(١) سورة النساء آية : ١٣١.
(٢) سورة النساء آية : ١٣١.
(٣) سورة النساء آية : ١٣٢.
(٤) سورة النساء آية : ١٣١.
(٥) سورة النساء آية : ١٣٢.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٣٣.
(٧) سورة النساء آية : ١٣٣.
(٨) سورة النساء آية : ١٣٣.
(٩) سورة النساء آية : ١٣٣.

[١٣٤] ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [(١)] يريد من كان يريد بعمله عَرَضا من الدنيا ولا يريد بها الله ﷻ آتاه الله من عَرَض الدنيا أو دفع عنه فيها ما أراد الله، وليس له في الآخرة من ثواب، ومن أراد بعمله ثواب الآخرة آتاه الله من الدنيا ما أحب وجزاه الجنة في الآخـرة. قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [(٢)].

قوله تعالى يَا أيهَا الذِينَ آمنوا كُونُوا قَوامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلهِ....

[١٣٥] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ [(٣)] يعني: كونوا قائمين بالشهادة بالقسط، أي: بالعدل لله، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كـانـت له، ﴿ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [(٤)] في الرحم، أي: قولوا الحق ولو على أنفسكـم بالإقرار أو الوالدين والأقربين، فأقيموها عليهم لله، ولا تُحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ [(٥)] منكم، أي: أقيموا على المشهود عليه وإن كان غنيا وللمشهود له وإن كان فقيرا فالله أولى بهما منكم، أي: كِلوا أمرهما إلى الله. وقال الحسن: معناه الله أعلم بهما، ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ﴾ [(٦)] أي: ولا تجوروا وتميلوا إلى الباطل من الحق، وقيل: معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا، أي: لتكونوا

(١) سورة النساء آية : ١٣٤.
(٢) سورة النساء آية : ١٣٤.
(٣) سورة النساء آية : ١٣٥.
(٤) سورة النساء آية : ١٣٥.
(٥) سورة النساء آية : ١٣٥.
(٦) سورة النساء آية : ١٣٥.

عادلين كما يقال: لا تتبع الهوى لترضي ربك. ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓاْ ﴾ [1] أي: تحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق ﴿ أَوْ تُعْرِضُواْ ﴾ [2] عنها فتكتموها ولا تقيموها، يقال: تلووا أي تدافعوا في إقامة الشهادة، يقال: لَوَيْته حقه إذا دفعتَه وأبطلْته، وقيل: هذا خطاب مع الحكام في ليهم الأشداق، يقول: وإن تلووا أي تميلوا إلى أحد الخصمين أو تعرضوا عنه، قرأ ابن عامر وحمزة (تَلُوا) بضم اللام، قيل: أصله تلووا، فحذفت إحدى الواوين تخفيفا، وقيل: معناه: وإن تلوا القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا فتتركوا أداءها ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [3].

[١٣٦] قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [4] الآية، عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في ﴿ عبد الله بن سلام وأسد وأسيد بني كعب، وثعلبة بن قيس وسلام بن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة ابن أخيه ويامين بن يا مين فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال النبي ﷺ " بل آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ والقرآن وبكل كتاب كان قبله ﴾، فأنزل الله هذه الآية (يا أيها الذِينَ آمَنُوا) بمحمد ﷺ والقرآن وموسى عليه السلام والتوراة (آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ) محمد ﷺ ﴿ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [5] يعني القرآن، ﴿ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ [6] من التوراة

(١) سورة النساء آية : ١٣٥.
(٢) سورة النساء آية : ١٣٥.
(٣) سورة النساء آية : ١٣٥.
(٤) سورة النساء آية : ١٣٦.
(٥) سورة النساء آية : ١٣٦.
(٦) سورة النساء آية : ١٣٦.

والإنجيل والزبور وسائر الكتب، ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[1]، فلما نزلت هذه الآية قالوا: فإنا نؤمن بالله ورسوله والقرآن وبكل رسول وكتاب كان قبل القرآن، والملائكة واليوم الآخر لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، وقال الضحاك: أراد بم اليهود والنصارى، وقيل: (يا أيهَا الذِينَ آمَنُوا) بموسى وعيسى (آمنوا) بمحمد والقرآن، وقال مجاهد: أراد بم المنافقين، يقول: (يا أيها الذين آمنوا) باللسان (آمنوا) بالقلب. وقال أبو العالية وجماعة: هذا خطاب للمؤمنين، يقول: (يا أيها الذين آمنوا) آمنوا أي أقيموا واثبتوا على الإيمان، كما يقال للقائم: قم حتى أرجع إليك، أي اثبت قائما، وقيل: المراد به أهل الشرك، يعني: (يا أيها الذين آمنوا) باللات والعزى (آمنوا) بالله ورسوله.

[١٣٧] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾[2] قال قتادة: هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا من بعد بعبادتم العجل، ثم آمنوا بالتوراة ثم كفروا بعيسى عليه السلام، ثم ازدادوا كفرا بمحمد ﷺ. وقيل: هو في جميع أهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به، وآمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا به، وكفرهم به تركهم إياه ثم ازدادوا كفرا بمحمد ﷺ وقيل: هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثـم آمنوا ثم ارتدوا، وقال مجاهد: ثم ازدادوا كفرا أي ماتوا عليه، ﴿ لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾[3]، مـا أقاموا على ذلك، ﴿ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾[4] أي طريقا إلى الحق، فإن قيل: ما معنى قوله: (لم يكن الله ليغفر لهم)، ومعلوم أنه لا يغفر الشرك إن كان أول مرة؟ قيل: معناه أن الكافر إذا أسلم أول مرة ودام

(١) سورة النساء آية : ١٣٦.
(٢) سورة النساء آية : ١٣٧.
(٣) سورة النساء آية : ١٣٧.
(٤) سورة النساء آية : ١٣٧.

عليه يغفر له كفره السابق، فإن أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لا يغفر له كفره السابق الذي كان، يغفر له لو أنه دام على الإسلام.

[١٣٨] ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾[١] أخبرهم يا محمد ﴿ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾[٢]، والبشارة: كل خبر يتغير به بشرة الوجه سارا كان أو غير سارّ، وقال الزجاج: معناه اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب، كما تقول العرب: تحيتك الضرب وعتابك السيف، أي: بدلا لك من التحية، ثم وصف المنافقين فقال:

[١٣٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾[٣] يعني يتخذون اليهود أولياء وأنصارا أو بطانة ﴿ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾[٤]، أي المعونة والظهور على محمد ﷺ وأصحابه، وقيل: أيطلبون عندهم القوة، ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ ﴾[٥] أي: الغلبة والقوة والقدرة، ﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾[٦].

[١٤٠] ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[٧]، قرأ عاصم ويعقوب (نزل) بفتح النون والزاي، أي: نزل الله، وقرأ الآخرون (نزل) بضم النون وكسر الزاي، أي: عليكم يا معشر المسلمين ﴿ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾[٨] يعني القرآن ﴿ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا

(١) سورة النساء آية : ١٣٨.
(٢) سورة النساء آية : ١٣٨.
(٣) سورة النساء آية : ١٣٩.
(٤) سورة النساء آية : ١٣٩.
(٥) سورة النساء آية : ١٣٩.
(٦) سورة النساء آية : ١٣٩.
(٧) سورة النساء آية : ١٤٠.
(٨) سورة النساء آية : ١٤٠.

﴿تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ﴾[1] يعني: مع الذين يستهزؤون، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ﴾[2]، أي: يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بمحمد ﷺ والقرآن، وهذا إشارة إلى ما أنزل الله في سورة الأنعام ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾[3]، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾[4] أي: إن قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزءون ورضيتم به فأنتم كفار مثلهم، وإن خاضوا في حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة، وقال الحسن: لا يجوز القعود معهم وإن خاضوا في حديث غيره، لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾[5]، والأكثرون على الأول. وآية الأنعام مكية وهذه مدنية والمتأخر أولى. قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾[6].

قوله تعالى الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ....

[١٤١] ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ﴾[7] ينتظرون بكم الدوائر، يعني: المنافقين، ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[8]، يعني: ظفر وغنيمة، ﴿قَالُوٓاْ﴾[9] لكم ﴿أَلَمۡ نَكُن

(١) سورة النساء آية : ١٤٠.
(٢) سورة النساء آية : ١٤٠.
(٣) سورة الأنعام آية : ٦٨.
(٤) سورة النساء آية : ١٤٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ٦٨.
(٦) سورة النساء آية : ١٤٠.
(٧) سورة النساء آية : ١٤١.
(٨) سورة النساء آية : ١٤١.
(٩) سورة النساء آية : ١٤١.

﴿ مَّعَكُمْ ﴾ [1] على دينكم في الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة، ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ ﴾ [2]، يعني دولة وظهور على المسلمين، ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ [3] يعني: المنافقين للكافرين، ﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴾ [4] والاستحواذ: هو الاستيلاء والغلبة، قال تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [5] أي: استولى وغلب، يقول: ألم نخبركم بعورة محمد ﷺ وأصحابه ونطلعكم على سرهم؟ قال المبرد: يقول المنافقون للكفار ألم نغلبكم على رأيكم ﴿ وَنَمْنَعْكُم ﴾ [6] ونصرفكم، ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [7]، أي: عن الدخول في جملتهم، وقيل: معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ونمنعكم من المؤمنين، أي ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأمورهم، ومراد المنافقين بهذا الكلام إظهار المنة على الكافرين ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [8] يعني: بين أهل الإيمان وأهل النفاق، ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿١٤١﴾ ﴾ [9]، قال علي: في الآخرة، وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم: أي حجة، وقيل: ظهورا على أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) سورة النساء آية : ١٤١.
(٢) سورة النساء آية : ١٤١.
(٣) سورة النساء آية : ١٤١.
(٤) سورة النساء آية : ١٤١.
(٥) سورة المجادلة آية : ١٩.
(٦) سورة النساء آية : ١٤١.
(٧) سورة النساء آية : ١٤١.
(٨) سورة النساء آية : ١٤١.
(٩) سورة النساء آية : ١٤١.

[١٤٢] ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [(١)] أي يعاملونه معاملة المخادعين وهو خادعهم، أي: مجازيهم على خداعهم وذلك أنم يعطون نورا يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضي المؤمنين بنورهم على الصراط، ويطفأ نور المنافقين، ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [(٢)] يعني: المنافقين ﴿ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ [(٣)] أي: متثاقلين لا يريدون با الله فإن رآهم أحد صلوا وإلا انصرفوا فلا يصلون، ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [(٤)] أي: يفعلون ذلك مراءاة للناس لا اتباعا لأمر الله، ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [(٥)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن: إنما قال ذلك لأنم يفعلونا رياء وسمعة، ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله تعالى لكان كثيرا، وقال قتادة: إنما قل ذكر المنافقين لأن الله تعالى لم يقبله وكل ما قبل الله فهو كثير.

[١٤٣] ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ [(٦)] أي: مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان، ﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾ [(٧)] أي: ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين، وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار، ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [(٨)]، أي: طريقا إلى الهدى.

---

(١) سورة النساء آية : ١٤٢.
(٢) سورة النساء آية : ١٤٢.
(٣) سورة النساء آية : ١٤٢.
(٤) سورة النساء آية : ١٤٢.
(٥) سورة النساء آية : ١٤٢.
(٦) سورة النساء آية : ١٤٣.
(٧) سورة النساء آية : ١٤٣.
(٨) سورة النساء آية : ١٤٣.

[١٤٤] قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١)، نـهـى الله المؤمنين عن موالاة الكفار، وقال: ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴾(٢) أي حجة بينة في عذابكم، ثم ذكر منازل المنافقين، فقال جل ذكره:

[١٤٥] ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾(٣)، قرأ أهل الكوفة (في الدرْك) بسكون الراء والباقون بفتحها وهما لغتان كالظعْن والظعَن والنهْر والنهَر، قال ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ ﴾(٤) في توابيت من حديد مقفلة في النار، وقال أبو هريرة: بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم، ﴿ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾(٥) مانعا من العذاب.

[١٤٦] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾(٦) من النفاق وآمنوا ﴿ وَأَصْلَحُواْ ﴾(٧) عملهم ﴿ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾(٨) وثقوا بالله ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾(٩) أراد الإخلاص بالقلب، لأن النفاق كفر القلب، فزواله يكون بإخلاص القلب، ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ

---

(١) سورة النساء آية : ١٤٤.
(٢) سورة النساء آية : ١٤٤.
(٣) سورة النساء آية : ١٤٥.
(٤) سورة النساء آية : ١٤٥.
(٥) سورة النساء آية : ١٤٥.
(٦) سورة النساء آية : ١٤٦.
(٧) سورة النساء آية : ١٤٦.
(٨) سورة النساء آية : ١٤٦.
(٩) سورة النساء آية : ١٤٦.

ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾[1] قال الفراء: من المؤمنين ﴿ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2] في الآخرة ﴿ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦ ﴾[3] يعني: الجنة، وحذفت الياء من (يؤت) في الخط لسقوطها في اللفظ، وسقوطها في اللفظ لسكون اللام في (الله).

[١٤٧] قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ ﴾[4] أي: إن شكرتم نعماءه ﴿ وَءَامَنتُمۡۚ ﴾[5] به، فيه تقديم وتأخير، تقديره: إن آمنتم وشكرتم، لأن الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان، وهذا استفهام بمعنى التقرير معناه إنه لا يعذب المؤمن الشاكر، فإن تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه، والشكر: ضد الكفر والكفر ستر النعمة، والشكر إظهارها، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧ ﴾[6] فالشكر من الله تعالى هو الرضى بالقليل من عباده وإضعاف الثواب عليه، والشكر من العبد الطاعة، ومن الله: الثواب.

قوله تعالى لَا يُحِب اللهُ الْجَهْرَ بِالسوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا....

[١٤٨] قوله: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ ﴾[7] يعني: لا يحب الله الجهر بالقبح من القول إلا من ظلم، فيجوز للمظلوم أن يخبر عن الظالم وأن يدعو عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن

(١) سورة النساء آية : ١٤٦.

(٢) سورة النساء آية : ١٤٦.

(٣) سورة النساء آية : ١٤٦.

(٤) سورة النساء آية : ١٤٧.

(٥) سورة النساء آية : ١٤٧.

(٦) سورة النساء آية : ١٤٧.

(٧) سورة النساء آية : ١٤٨.

﴿ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾[1]، قال الحسن: دعاؤه عليه أن يقول: اللهم أعني عليه اللهم استخرج حقي منه، وقيل: إن شتم جاز أن يشتم بمثله لا يزيد عليه وقرأ الضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم: (إلا من ظلم) بفتح الظاء واللام، معناه: لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول، وقيل معناه: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن يجهره من ظلم، والقراءة هي المعروفة، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا ﴾[2] لدعاء المظلوم، ﴿ عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾[3] بعقاب الظالم.

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا ﴾[4] يعني: حسنة فيعمل بها كتبت له عشرا، وإن هم بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وهو قوله: ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾[5]، وقيل المراد من الخير: المال، يريد: إن تبدوا صدقة تعطونا جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا، ﴿ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ ﴾[6] أي: عن مظلمة، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾[7] فهو أولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة.

[١٥٠] قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾[8] الآية، نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة وعُزير، وكفروا بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن، ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ

(١) سورة الشورى آية : ٤١.
(٢) سورة النساء آية : ١٤٨.
(٣) سورة النساء آية : ١٤٨.
(٤) سورة النساء آية : ١٤٩.
(٥) سورة النساء آية : ١٤٩.
(٦) سورة النساء آية : ١٤٩.
(٧) سورة النساء آية : ١٤٩.
(٨) سورة النساء آية : ١٥٠.

بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ ﴾[1] أي: دينا بين اليهودية والإسلام ومذهبا يذهبون إليه.

[١٥١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾[2] حقق كفرهم ليعلم أن الكفر ببعضهم كالكفر بجميعهم ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾[3].

[١٥٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾[4] كلهم ﴿ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾[5]، يعني: بين الرسـل وهم المؤمنون، يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾[6]، بإيمانم بالله وكتبه ورسله، قرأ حفص عن عاصم (يؤتيهم) بالياء، أي: يؤتيهم الله، والباقون بالنون، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾[7].

[١٥٣] قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[8] الآية، وذلك أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله ﷺ إن كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى عليه السلام، فأنزل الله عليه: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ

---

(١) سورة النساء آية : ١٥٠.
(٢) سورة النساء آية : ١٥١.
(٣) سورة النساء آية : ١٥١.
(٤) سورة النساء آية : ١٥٢.
(٥) سورة النساء آية : ١٥٢.
(٦) سورة النساء آية : ١٥٢.
(٧) سورة النساء آية : ١٥٢.
(٨) سورة النساء آية : ١٥٣.

ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ [1]، وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكـم واقتراح، لا سؤال انقياد، والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد. قوله: ﴿ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ [2] أي: أعظم من ذلك، يعني: السبعين الذي خرج بم موسى عليه السلام إلى الجبل، ﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ [3] أي: عيانا، قال أبو عبيدة: معناه قالوا جهرة أرنا الله، ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ [4] يعني إلها، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ ﴾ [5]، ولم نستأصلهم، قيل: هذا استدعاء إلى التوبة، معناه: أن أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم، فتوبوا أنتم حتى نعفو عنكم، ﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣ ﴾ [6] أي: حجة بينة من المعجزات، وهي الآيات التسع.

[١٥٤] ﴿ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾ [7] قرأ أهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين نافع برواية ورش ويجزمها الآخرون، ومعناه: لا تعتدوا ولا تظلموا باصطياد الحيتان فيه، ﴿ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ١٥٤ ﴾ [8].

(١) سورة النساء آية : ١٥٣.
(٢) سورة النساء آية : ١٥٣.
(٣) سورة النساء آية : ١٥٣.
(٤) سورة النساء آية : ١٥٣.
(٥) سورة النساء آية : ١٥٣.
(٦) سورة النساء آية : ١٥٣.
(٧) سورة النساء آية : ١٥٤.
(٨) سورة النساء آية : ١٥٤.

قوله تعالى فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَق وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ....

[١٥٥] قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ ﴾ [١] أي: فبنقضهم، و (ما) صلة كقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [٢] ونحوها، ﴿ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [٣] أي: ختم عليها، ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [٤]، يعني: ممن كذب الرسل لا ممن طبع على قلبه، لأن من طبع الله على قلبه لا يؤمن أبدا، وأراد بالقليل: عبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا.

[١٥٦] ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ [٥] حين رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾ [٦] وذلك أن الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على الذي دل اليهود عليه، وقيل: إنم حبسوا عيسى عليه السلام في بيت وجعلوا عليه رقيبا فألقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه، وقيل غير ذلك، كما ذكرنا في سورة آل عمران. قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [٧] في قتله، ﴿ لَفِى شَكٍّ

---

(١) سورة النساء آية : ١٥٥.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٩.
(٣) سورة النساء آية : ١٥٥.
(٤) سورة النساء آية : ١٥٥.
(٥) سورة النساء آية : ١٥٦.
(٦) سورة النساء آية : ١٥٧.
(٧) سورة النساء آية : ١٥٧.

﴿ مِّنۡهُۚ ﴾[1]، أي: في قتله، قال الكلبي: اختلافهم فيه هو أن اليهود قالت: نحن قتلناه، وقالت طائفة من النصارى: نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم: ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إلى السماء، ونحن ننظر إليه، قال السدي: اختلافهم من حيث إنم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ قال الله تعالى: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ ﴾[2]، من حقيقة أنه قتل أو لم يقتل، ﴿ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ ﴾[3] لكنهم يتبعون الظن في قتله. قال الله جل جلاله: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ ﴾[4]، أي: ما قتلوا عيسى يقينا.

[١٥٨] ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾[5] وقيل: قوله ﴿ يَقِينَۢا ١٥٧ ﴾[6] ترجع إلى ما بعده وقوله ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾[7] كلام تام تقديره: بل رفعه الله إليه يقينا، والهاء في (ما قتلوه) كناية عن عيسى عليه السلام، وقال الفراء رحمه الله: معناه وما قتلوا الذين ظنوا أنه عيسى يقينا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه: وما قتلوا ظنهم يقينا، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا ﴾[8] منيعا بالنقمة من اليهود، ﴿ حَكِيمًا ١٥٨ ﴾[9] حكم باللعنة والغضب عليهم.

---

(١) سورة النساء آية : ١٥٧.
(٢) سورة النساء آية : ١٥٧.
(٣) سورة النساء آية : ١٥٧.
(٤) سورة النساء آية : ١٥٧.
(٥) سورة النساء آية : ١٥٨.
(٦) سورة النساء آية : ١٥٧.
(٧) سورة النساء آية : ١٥٧.
(٨) سورة النساء آية : ١٥٨.
(٩) سورة النساء آية : ١٥٨.

[١٥٩] قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾[١]، أي: وما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام، هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم، وقوله ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾[٢] اختلفوا في هذه الكناية، فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي: إنا كناية عن الكتابي، ومعناه: وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته، إذا وقع في اليأس حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى في بئر أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة، وهذه رواية عن ابن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهم. قال: فقيل لابن عباس رضي الله عنهما: أرأيت أن من خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء، قال: فقيل أرأيت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال: يتلجلج به لسانه، وذهب قوم إلى أن الهاء في (موته) كناية عن عيسى عليه السلام، معناه: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام، وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة، ملة الإسلام. وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « يوشك أن ي ل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب، ويقتل الخ ير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويقتل الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون »[٣] [٤] وقال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾[٥] قبل موت عيسى ابن مريم، ثم يعيدها أبو

(١) سورة النساء آية : ١٥٩.

(٢) سورة النساء آية : ١٥٩.

(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦٤), مسلم الإيمان (١٥٥), الترمذي الفتن (٢٢٣٣), أبو داود الملاحم (٤٣٢٤), ابن ماجه الفتن (٤٠٧٨), أحمد (٢/٢٧٢).

(٤) متفق عليه.

(٥) سورة النساء آية : ١٥٩.

هريرة ثلاث مرات. وروي عن عكرمة: أن الهاء في قوله ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ [1] كناية عن محمد ﷺ يقول: لا يموت كتابي حتى يؤمن بمحمد ﷺ وقيل: هي راجعة إلى الله ﷻ يقول: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن بالله ﷻ قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه إيمانه، قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ ﴾ [2]، يعني: عيسى عليه السلام، ﴿ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [3] أنه قد بلغهم رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه، كـما قال تعالى مخبرا عنه ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ ﴾ [4] وكل نبي شاهد على أمته قال الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [5].

[١٦٠] قوله ﷻ ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا ﴾ [6] وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبتانم على مريم، وقولهم: إنا قتلنا المسيح ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [7] وهي ما ذكر في سورة الأنعام، فقال: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ ﴾ [8]، ونظم الآية: فبظلم من الذين هادوا وهو ما ذكرنا، ﴿ وَبِصَدِّهِمْ ﴾ [9] وبصرفهم أنفسهم وغيرهم، ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ [1] أي: عن دين الله صدا كثيرا.

---

(١) سورة النساء آية : ١٥٩.
(٢) سورة النساء آية : ١٥٩.
(٣) سورة النساء آية : ١٥٩.
(٤) سورة المائدة آية : ١١٧.
(٥) سورة النساء آية : ٤١.
(٦) سورة النساء آية : ١٦٠.
(٧) سورة النساء آية : ١٦٠.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٩) سورة النساء آية : ١٦٠.

[١٦١] ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ ﴾ [٢] في التوراة ﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ ﴾ [٣] من الرشا في الحكم والمآكل التي يصيبونا من عوامهم، عاقبناهم بأن حرمنا عليهم طيبات، وكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حُرم عليهم شيء من الطيبات التي كانت حلالا لهم، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [٤]، ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ [٥].

[١٦٢] ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ [٦]، يعني: ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة، لكن الراسخون المبالغون في العلم منهم أولو البصائر، وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٧] يعني: المهاجرون والأنصار، ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [٨] يعني: القرآن، ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾ [٩] يعني: سائر الكتب المنزلة، ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ ﴾ [١٠] اختلفوا في وجه انتصابه، فقيل: هو نصب على المدح، وقيل: نصب على إضمار فعل تقديره: أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة، وقيل: موضعه خفض، واختلفوا في وجهه، فقال بعضهم:

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٠.
(٢) سورة النساء آية : ١٦١.
(٣) سورة النساء آية : ١٦١.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٥) سورة النساء آية : ١٦١.
(٦) سورة النساء آية : ١٦٢.
(٧) سورة النساء آية : ١٦٢.
(٨) سورة النساء آية : ١٦٢.
(٩) سورة النساء آية : ١٦٢.
(١٠) سورة النساء آية : ١٦٢.

معناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة، وقيل: معناه يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة، ثم قوله: ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [(١)] رجوع إلى النسق الأول، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ [(٢)].

قوله تعالى إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ....

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [(٣)] هذا بناء على ما سبق من قوله: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ [(٤)]، فلما ذكر الله عيوبهم وذنوبهم غضبوا وجحدوا كل ما أنزل الله ﷻ وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، ف ل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ ﴾ [(٥)]، وأنزل: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾ [(٦)] فذكر عدة من الرسل الذين أوحى إليهم، وبدأ بذكر نوح عليه السلام لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [(٧)] ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض جميعا بدعائه وكان أطول الأنبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه، لأنه عمّر ألف سنة فلم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم ينتقص له قوة، ولم يصبر نبي على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره. قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٢.
(٢) سورة النساء آية : ١٦٢.
(٣) سورة النساء آية : ١٦٣.
(٤) سورة النساء آية : ١٥٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٦) سورة النساء آية : ١٦٣.
(٧) سورة الصافات آية : ٧٧.

﴿ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ [1] وهم أولاد يعقوب، ﴿ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [2]، قرأ الأعمش وحمزة (زُبورا) والزبور بضم الزاي حيث كان، بمعنى: جمع زبور، أي آتينا داود كتبا وصحفا مزبورة، أي: مكتوبة، وقرأ الآخرون بفتح الزاي وهو اسم الكتاب الذي أنزل الله تعالى على داود عليه السلام، وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل.

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ [3] أي: وكما أوحينا إلى نوح وإلى الرسل، (رسلا) نصب بـ ع حرف الصفة، وقيل: معناه وقصصنا عليك رسلا، وفي قراءة أبي (ورسل قد قصصناهم عليك من قبل)، ﴿ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [4] قال الفراء: العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق وصل، ولكن لا تحققه بالمصدر فإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام كالإرادة يقال: أراد فلان إرادة، يريد حقيقة الإرادة، ويقال: أراد الجدار، ولا يقال أراد الجدار إرادة لأنه مجاز غير حقيقة.

[١٦٥] قوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ ﴾ [5] فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسولا وما أنزلت إلينا كتابا، وفيه دليل على أن

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٣.

(٢) سورة النساء آية : ١٦٣.

(٣) سورة النساء آية : ١٦٤.

(٤) سورة النساء آية : ١٦٤.

(٥) سورة النساء آية : ١٦٥.

الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسول، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾[1]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾[2].

[١٦٦] قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ ﴾[3] قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ أن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك، ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم: إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك والله، فأنزل الله ﷻ ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ ﴾[4] إن جحدوك وكذبوك، ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾[5] ﴾.

[١٦٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[6] بكتمان نعت محمد ﷺ ﴿ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ﴾[7].

[١٦٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ ﴾[8]، قيل: إنما قال (وظلموا) أتبع ظلمهم بكفرهم تأكيدا، وقيل: معناه كفروا بالله وظلموا محمدا ﷺ بكتمان نعته، ﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾[1] يعني: دين الإسلام.

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٥.
(٢) سورة النساء آية : ١٦٥.
(٣) سورة النساء آية : ١٦٦.
(٤) سورة النساء آية : ١٦٦.
(٥) سورة النساء آية : ١٦٦.
(٦) سورة النساء آية : ١٦٧.
(٧) سورة النساء آية : ١٦٧.
(٨) سورة النساء آية : ١٦٨.

[١٦٩] ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ [٢] يعني: اليهودية ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ [٣]، وهذا في حق من سبق حكمه فيهم أنم لا يؤمنون.

[١٧٠] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ [٤]، تقديره: فآمنوا يكن الإيمان خيرا لكـم، ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾ [٥].

قوله تعالى يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلا الْحَق....

[١٧١] ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [٦] نزلت في النصارى وهم أصناف أربعة: اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقسية، فقالت اليعقوبية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية، وقالت النسطورية: عيسى هو ابن الله، وقالت المرقسية ثالث ثلاثة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ويقال الملكانية يقولون: عيسى هو الله، واليعقوبية يقولون: ابن الله والنسطورية يقولون: ثالث ثلاثة عليهم رجل من اليهود يقال له بولس، سيأتي في سورة التوبة إن شاء الله تعالى. وقال الحسن يجوز أن تكون نزلت في اليهود والنصارى فإنم جميعا غلوا في أمر عيسى، فاليهود بالتقصير، والنصارى مجاوزة الحد، وأصل الغلو مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام، قال الله تعالى: (لا تغلوا في دينكم) لا تشددوا في دينكم فتفتروا على الله الكذب ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ ﴾ [٧] لا تقولوا أن له

(١) سورة النساء آية : ١٦٨.
(٢) سورة النساء آية : ١٦٩.
(٣) سورة النساء آية : ١٦٩.
(٤) سورة النساء آية : ١٧٠.
(٥) سورة النساء آية : ١٧٠.
(٦) سورة النساء آية : ١٧١.
(٧) سورة النساء آية : ١٧١.

شريكا وولدا ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ﴾ [1] وهي قوله (كن) فكان بشرا من غير أب، وقيل غيره، ﴿ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ [2] أي أعلمها وأخبرها بها، كما يقال: ألقيت إليك كلمة حسنة، ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [3]، قيل: هو روح كسائر الأرواح إلا أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفا، وقيل: الروح هو النفخ الذي نفخه جبريل عليه السلام في درع مريم فحملته بإذن الله تعالى، سمي النفخ روحا لأنه ريح يخرج من الروح وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره، وقيل: روح منه أي ورحمة، فكان عيسى عليه السلام رحمة لمن تبعه وآمن به، وقيل: الروح الوحي أوحى إلى مريم بالبشارة وإلى جبريل عليه السلام أن كن فكان كما قال الله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [4] يعني: بالوحي، وقيل: أراد بالروح جبريل عليه السلام، معناه كلمته ألقاها إلى مريم، وألقاها أيضا روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام، كما قال: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ [5] يعني: جبريل فيها، وقال: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [6]، يعني: جبريل. ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ﴾ [7] أي: ولا تقولوا هم ثلاثة، وكانت النصارى تقول أب وابن وروح القدس، ﴿ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ [8] تقديره:

(١) سورة النساء آية : ١٧١.
(٢) سورة النساء آية : ١٧١.
(٣) سورة النساء آية : ١٧١.
(٤) سورة النحل آية : ٢.
(٥) سورة القدر آية : ٤.
(٦) سورة مريم آية : ١٧.
(٧) سورة النساء آية : ١٧١.
(٨) سورة النساء آية : ١٧١.

انتهوا يكن الانتهاء خيرا لكم، ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ [1] واعلم أن التبني لا يجوز لله تعالى؛ لأن التبني إنما يجوز لمن يتصور له ولد، ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ ﴾ [2].

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ ﴾ [3] وذلك « أن وفد نجران قالوا: يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله ورسوله، فقال النبي ﷺ " إنه ليس بعار لعيسى عليه السلام أن يكون عبد الله "، ف ن ل: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ ﴾ [4] » لن يأنف ولن يتعظم، والاستنكاف: التكبر مع الأنفة، ﴿ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾ [5] وهم حملة العرش، لا يأنفون أن يكونوا عبيدا لله، ويستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر، لأن الله تعالى ارتقى من عيسى إلى الملائكة ولا يُرتقى إلا إلى الأعلى، لا يقال: لا يستنكف فلان من هذا ولا عبده، إنما يقال: فلان لا يستنكف من هذا ولا مولاه، ولا حجة لهم فيه لأنه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر، بل ردا على الذين يقولون الملائكة آلهة، كما رد على النصارى قولهم المسيح ابن الله، وقال ردا على النصارى بزعمهم، فإنهم يقولون بتفضيل الملائكة.

---

(١) سورة النساء آية : ١٧١.

(٢) سورة النساء آية : ١٧١.

(٣) سورة النساء آية : ١٧٢.

(٤) سورة النساء آية : ١٧٢.

(٥) سورة النساء آية : ١٧٢.

قوله تــعالــى: ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾[1]، قيل: الاستنكاف هو التكبر مع الأنفة، والاستكبار هو العلو والتكبر من غير أنفة.

[١٧٣] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾[2] من تضعيف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾[3] عن عبادته ﴿ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾[4].

[١٧٤] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[5] يعني: محمدا ﷺ هذا قول أكثر المفسرين، وقيل: هو القرآن، والبرهان: الحجة، ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾[6] بيِّنًا يعني القرآن.

[١٧٥] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ ﴾[7] امتنعوا به من زيغ الشيطان، ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ ﴾[8] يعني الجنة، ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ

---

(١) سورة النساء آية : ١٧٢.
(٢) سورة النساء آية : ١٧٣.
(٣) سورة النساء آية : ١٧٣.
(٤) سورة النساء آية : ١٧٣.
(٥) سورة النساء آية : ١٧٤.
(٦) سورة النساء آية : ١٧٤.
(٧) سورة النساء آية : ١٧٥.
(٨) سورة النساء آية : ١٧٥.

فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [1].

[١٧٦] قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ ﴾ [2] نزلت في جابر بن عبد الله ﷺ قال: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل، وتوضأ وصب علي من وضوئه، فعقلتُ فقالت: يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلالة؟ فنزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ ﴾ [3]، وقد ذكرنا معنى الكلالة وحكم الآية في أول السورة، وفي هذه الآية بيان حكم ميراث الإخوة للأب والأم وللأب، قوله ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ [4] أي: يستخبرونك ويسألونك، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ ﴾ [5] يعني إذا ماتت الأخت فجميع ميراثها للأخ، ﴿ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ ﴾ [6] فإن كان لها ابن فلا شيء للأخ، وإن كان ولدها أنثى فللأخ ما فضل عن فرض البنات، ﴿ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ ﴾ [7] أراد اثنتين فصاعدا وهو أن من مات وله أخوات فلهن الثلثان، ﴿ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

(١) سورة النساء آية : ١٧٦.
(٢) سورة النساء آية : ١٧٦.
(٣) سورة النساء آية : ١٧٦.
(٤) سورة النساء آية : ١٧٦.
(٥) سورة النساء آية : ١٧٦.
(٦) سورة النساء آية : ١٧٦.
(٧) سورة النساء آية : ١٧٦.

ﭐلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ ﴾[1]، قال الفراء رحمة الله عليه وأبو عبيدة: معناه أن لا تضلوا، وقيل: معناه يبين الله لكـم كراهة أن تضلوا، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾[2].

(١) سورة النساء آية : ١٧٦.

(٢) سورة النساء آية : ١٧٦.

(٥) سورة المائدة

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾....

بسم الله الرحمن الرحيم [١] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ (١) أي: بالعهود، قال الزجاج: هي أوكد العهود، يقال: عاقدتُ فلانا وعقدتُ عليه أي: ألزمتُه ذلك باستيثاق، وأصله من عقد الشيء بغيره ووصله به، كما يُعقد الحبل بالحبل إذا وُصل، واختلفوا في هذه العقود، قال ابن جريج: هذا خطاب لأهل الكتاب، يعني: يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعهود التي عهدتُها إليكم في شأن محمد ﷺ وهو قوله: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ ﴾ (٢)، وقال الآخرون: هو عام، قال قتادة: أراد بها الحلف الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية، قال ابن مسعود ﷺ هي عهود الإيمان والقرآن، وقيل: هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم، ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ (٣)، قال الحسن وقتادة: هي الأنعام كلها، وهي الإبل والبقر والغنم، وأراد تحليل ما حرّم أهل الجاهلية على أنفسهم من الأنعام. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بيمة الأنعام هي الأجنّة، ومثله عن الشعبي قال: هي الأجنّة التي توجد ميتة في بطون أمهاتا إذا ذُبحت أو نحرت، فذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله، فعن جابر عن رسول الله ﷺ قال: ﴿ذكاة الجنين ذكاة أمه﴾ (٤) (٥).

---

(١) سورة المائدة آية : ١.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٧.

(٣) سورة المائدة آية : ١.

(٤) الترمذي الأطعمة (١٤٧٦), أبو داود الضحايا (٢٨٢٧), ابن ماجه الذبائح (٣١٩٩), أحمد (٣/٣٩).

(٥) رواه أبو داود في سننه في كتاب الأضاحي باب ما جاء في ذكـاة الجنين ١١٩/٤، والترمذي في كتاب الصيد ١٠، وابن ماجه في الذبائح ١٥، والدارمي في الأضاحي ١٧، والإمام أحمد ج٣١/٣، ٣٩، ٤٥،

وشرط بعضهم الإشعار، قال ابن عمر: ذكاة ما في بطنها في ذكاتا إذا تم خلقُه ونبت شعرُه، ومثله عن سعيد بن المسيب، وعند أبي حنيفة ﷺ لا يحل أكل الجنين إذا خرج ميتا بعد ذكاة الأم. وقال الكلبي: بيمة الأنعام وَحْشِيها وهي الظباء وبقر الوحش وحُمر الوحش، سميت بيمة لأنا أُبمت عن التمييز، وقيل: لأنا لا نطق لها، ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) أي: ما ذُكر في قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ (٢) إلى قوله: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ (٣)، ﴿ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ ﴾ (٤)، وهو نصب على الحال، أي: لا مُحلّي الصيد، ومعنى الآية: أُحلت لكم بيمة الأنعام كلها إلا ما كان منها وحشيا فإنه صيد لا يحل لكم في حال الإحرام، فلذلك قال تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝ ﴾ (٥).

[٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ (٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: هي مناسك الحج، وكان المشركون يحجون ويهدون، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك. وقال أبو عبيدة: شعائر الله هي الهدايا المُشْعَرة، والإشعار من الشعار، وهي العلامة، وأشعارها: أعلامها بما يُعرف أنا هَدْي، والإشعار هاهنا: أن يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل الدم، فيكون ذلك علامة أنا هدي، وهي سنة في الهدايا إذا كانت من الإبل، وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تحلوا شعائر الله

---

٥٣. والمصنف في شرح السنة ٢٢٩/١١، قال المنذري في إسـناده عبد الله بن أبي زياد المكي القداح وفيه مقال، وقال الهيثمي: فيه حماد بن شعيب وهو ضعيف، وصححه الألباني في إرواء الغليل ١٧٢/٨ لشواهده.

(١) سورة المائدة آية : ١.

(٢) سورة المائدة آية : ٣.

(٣) سورة المائدة آية : ٣.

(٤) سورة المائدة آية : ١.

(٥) سورة المائدة آية : ١.

(٦) سورة المائدة آية : ٢.

هي أن تصيد وأنت محرم، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ [١]، وقال السدي: أراد حرم الله، وقيل: المراد منه النهي عن القتل في الحرم، وقال عطاء: شعائر الله حرمات الله واجتناب سخطه واتباع الطاعة، وقوله: ﴿ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [٢] أي: بالقتال فيه، وقال ابن زيد: هو النسيء، وذلك أنم كانوا يُحِلّونه عاما ويُحرّمونه عاما، ﴿ وَلَا ٱلْهَدْىَ ﴾ [٣] هو كل ما يُهدى إلى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة، ﴿ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ [٤] أي: الهدايا المقلدة، يريد ذوات القلائد، وقال عطاء: أراد أصحاب القلائد، وذلك أنم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلّدوا أنفسهم وإبلهم بشيء من لِحاء شجر الحرم كيلا يُتعرّض لهم، فنهى الشرع عن استحلال شيء منها. وقال مطرف بن الشخير: هي القلائد نفسها وذلك أن المشركين كانوا يأخذون من لِحاء شجر مكة ويُتقلدونا فنهوا عن نزع شجرها. قوله تعالى: ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [٥] أي: قاصدين البيت الحرام، يعني: الكعبة فلا تتعرضوا لهم، ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ [٦] يطلبون ﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [٧] يعني الرزق بالتجارة، ﴿ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [٨] أي: على زعمهم، لأن الكافرين لا نصيب لهم في الرضوان، وقال قتادة: هو أن يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها، وقيل ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة، وابتغاء الرضوان

---

(١) سورة المائدة آية : ٢.

(٢) سورة المائدة آية : ٢.

(٣) سورة المائدة آية : ٢.

(٤) سورة المائدة آية : ٢.

(٥) سورة المائدة آية : ٢.

(٦) سورة المائدة آية : ٢.

(٧) سورة المائدة آية : ٢.

(٨) سورة المائدة آية : ٢.

للمؤمنين خاصة، لأن المسلمين والمشركين كانوا يحجون، وهذه الآية إلى هاهنا منسوخة بقوله: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ [١] وبقوله: ﴿ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [٢]، فلا يجوز أن يحج مشرك ولا أن يأمن كافر بالهدي والقلائد. قوله ﷻ ﴿ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ ﴾ [٣] أي: من إحرامكم، ﴿ فَٱصۡطَادُواْۚ ﴾ [٤] أمر إباحة، أباح للحلال أخذ الصيد، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٥]، ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ ﴾ [٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: لا يحملنكم، يقال: جرمني فلان على أن صنعت كذا، أي حملني، وقال الفراء: لا يكسبنكم، يقال: جرم أي: كسب، وفلان جريمة أهلـه، أي: كاسبهم، وقيل: لا يدعونّكم، ﴿ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ ﴾ [٧] أي: بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شنئت ﴿ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ [٨]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتح الألف، أي: لأن صدوكم، ومعنى الآية: ولا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأنهم صدوكـم. وقال محمد بن جرير: لأن هذه السورة نزلت بعد قضية الحديبية، وكان الصد قد تقدم، ﴿ أَن تَعۡتَدُواْ ﴾ [٩] عليهم بالقتل وأخذ

---

(١) سورة التوبة آية : ٥.
(٢) سورة التوبة آية : ٢٨.
(٣) سورة المائدة آية : ٢.
(٤) سورة المائدة آية : ٢.
(٥) سورة الجمعة آية : ١٠.
(٦) سورة المائدة آية : ٢.
(٧) سورة المائدة آية : ٢.
(٨) سورة المائدة آية : ٢.
(٩) سورة المائدة آية : ٢.

الأموال، ﴿ وَتَعَاوَنُوا ﴾ [1] أي: ليعنْ بعضكم بعضا، ﴿ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [2] قيل: البر متابعة الأمر، والتقوى مجانبة النهي، وقيـل: البر: الإسـلام، والتقـوى: السّنـة، ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ ﴾ [3]، قيل: الإثم: الكفر، والعدوان: الظلم، وقيل: الإثم: المعصية، والعدوان: البدعة، قال رسول الله ﷺ :" البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس" [4] ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ﴾ [5].

قوله تعالى حُرِمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِير وَمَا أُهِل لِغَيْر اللهِ بِهِ....

[٣] ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [6] أي: ما ذُكر على ذبحه اسم غير اسم الله تعالى، ﴿ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ ﴾ [7] وهي التي تخنق فتموت، قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها، ﴿ وَٱلْمَوْقُوذَةُ ﴾ [8] هي المقتولة بالخشب، قال قتادة: كانوا يضربونا بالعصا فإذا ماتت أكلوها، ﴿ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ ﴾ [9]

---

(١) سورة المائدة آية : ٢.
(٢) سورة المائدة آية : ٢.
(٣) سورة المائدة آية : ٢.
(٤) أخرجه مسلم في البر والصلة باب تفسير البر والإثم رقم (٢٥٥٣) ١٩٨٠/٤، والمصنف في شرح السنة ٧٦/١٣. ، .
(٥) سورة المائدة آية : ٢.
(٦) سورة المائدة آية : ٣.
(٧) سورة المائدة آية : ٣.
(٨) سورة المائدة آية : ٣.
(٩) سورة المائدة آية : ٣.

هي التي تتردى من مكـان عال أو في بئر فتموت، ﴿ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾ [1] هي التي تنطحها أخرى فتموت ﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴾ [2] يريد ما بقي مما أكل السبع، وكان أهل الجاهلية يأكلونه، ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ [3]، يعني إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء، وأصل التذكية الإتمام، يقال: ذكّيتُ النارَ إذا أتممتُ اشتعالها، والمراد هنا: إتمام فري الأوداج وإنهار الدم، قال النبي ﷺ ﴿ ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل غير السن والظفر ﴾ [4] [5] ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [6]، قيل: النصب جمع، واحده نصاب، وقيل: هو واحد وجمعه أنصاب مثل عنق وأعناق، وهو الشيء المنصوب، واختلفوا فيه، فقال مجاهد وقتادة: كانت حول البيت ثلاثمائة وستون حجرا منصوبة، كان أهل الجاهلية يعبدونا ويُعظّمونا ويذبحون لها، وليست هي بأصنام إنما الأصنام هي المُصوّرة المنقوشة، وقـال الآخرون: هـي الأصنام المنصوبة، ومعناه: وما ذبح على اسم النصب، قال ابن زيد: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [7] ما أهل لغير الله به: هما واحد، قال قطرب: علـى بمعنى اللام أي: ومـا ذُبح لأجل النصب، ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟

---

(١) سورة المائدة آية : ٣.

(٢) سورة المائدة آية : ٣.

(٣) سورة المائدة آية : ٣.

(٤) البخاري الذبائح والصيد (٥٢٢٤), مسلم الأضاحي (١٩٦٨), الترمذي الأحكام والفوائد (١٤٩١), النسائي الضحايا (٤٤١٠), أبو داود الضحايا (٢٨٢١), أحمد (٤٦٣/٣).

(٥) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد باب ما أنهر الدم ٦٣١/٩، ومسلم في الأضاحي باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم رقـم (١٩٦٨) ١٥٥٨/٣. ، .

(٦) سورة المائدة آية : ٣.

(٧) سورة المائدة آية : ٣.

﴿ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ﴾ [١] أي: وحرّم عليكم الاستقسام بالأزلام، والاستقسام هو طلب القسم والحكم من الأزلام، والأزلام هي: القداح التي لا ريش لها ولا نَصْل، واحدها: زَلْم، وزُلْم، بفتح الزاي وضمها ﴿ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ﴾ [٢] قال سعيد بن جبير: الأزلام حصى بيض كانوا يضربون بها، وقال مجاهد: هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها، وقال الشعبي وغيره: الأزلام للعرب، والكعاب للعجم، وقال سفيان بن وكيع: هي الشطرنج ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ ﴾ [٣] يعني: أن ترجعوا إلى دينهم كفارا، وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في عَوْد المسلمين إلى دينهم فلما قوي الإسلام يئسوا، ويئس وأيس بمعنى واحد، ﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [٤]، نزلت هذه الآية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء، فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت، وكانت هذه الآية نعي النبي ﷺ وعاش بعدها إحدى وثمانين يوما. قوله ﷻ ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [٥] يعني: يوم نزول هذه الآية أكملت لكـم دينكـم، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم ي ل بعد هذه الآية حلال ولا حرام، ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود والأحكام هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، ويروى عنه أن آية الربا نزلت بعدها، وقال سعيد بن جبير وقتادة: أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك، وقيل: أظهرت دينكم

(١) سورة المائدة آية : ٣.
(٢) سورة المائدة آية : ٣.
(٣) سورة المائدة آية : ٣.
(٤) سورة المائدة آية : ٣.
(٥) سورة المائدة آية : ٣.

وأمنتكـم من العدو، وقوله ﷻ ﴿ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾[1]، يعني: وأنجزت وعدي في قوله: ﴿ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي ﴾[2]، فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين، وحجوا مطمئنين لـم يخـالطهم أحد من المشركين، ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[3]، قوله ﷻ ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ ﴾[4] أي: أُجهد في مجاعة، والمخمصة خلو البطن من الغذاء، يقال: رجل خميص البطن إذا كان طاويا خاويا، ﴿ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ ﴾[5] أي: مائل إلى إثم، وهو أن يأكل فوق الشبع، وقال قتادة: غير متعرض لمعصية في مقصده، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[6]، وفيه إضمار، أي: فأكله فإن الله غفور رحيم.

[٤] قوله: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ ﴾[7] الآية، قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله زيد الخير، قالا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها؟ ف لت هذه الآية، وقيل: سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ ف لت هذه الآية، فلما نزلت أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكـلاب التي ينتفع با، ونى عن إمساك ما لا نفع فيه منها والأول أصح في سبب نزول

(١) سورة المائدة آية : ٣.
(٢) سورة البقرة آية : ١٥٠.
(٣) سورة المائدة آية : ٣.
(٤) سورة المائدة آية : ٣.
(٥) سورة المائدة آية : ٣.
(٦) سورة المائدة آية : ٣.
(٧) سورة المائدة آية : ٤.

الآية: ﴿ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [1] يعني: الذبائح على اسم الله تعالى، وقيل: كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير أن يرد بتحريمه نص من كتاب أو سنة ﴿ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ ﴾ [2] يعني وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح، واختلفوا في هذه الجوارح، فقال الضحاك والسدي: هي الكلاب دون غيرها، ولا يحل ما صاده غير الكلب إلا أن تدرك ذكاته، وهذا غير معمول به، بل عامة أهل العلم على أن المراد من الجوارح الكواسب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب، ومن سباع الطير كالبازي والعُقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم، فيحل صيدُ جميعها، سميت جارحة: لجرحها لأربابها أقواتم من الصيد، أي: كسبها، يقال: فلان جارحة أهله، أي: كاسبهم، ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ [3] والمكلب الذي يغري الكـلاب على الصيد، ويقال للذي يعلمها أيضا: مكـلب، والكـلّاب: صاحب الكلاب، ويقال للصائد بها أيضا: كلاب، ونصب مكلبين على الحال، أي: في حال تكليبكم هذه الجوارح أي إغرائكم إياها على الصيد، وذكر الكلاب لأنها أكثر وأعم، والمراد جميع جوارح الصيد ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾ [4]، تؤدبونهن آداب أخذ الصيد، ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [5] أي: من العلم الذي علمكم الله، قال السدي: أي كما علمكم الله، (مِن) بمعنى الكاف، ﴿ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ [6] أراد أن الجارحة المعلمة إذا خرجت بإرسال صاحبها فأخذت الصيد وقتلته كان حلالا، والتعليم هو أن يوجد فيها ثلاثة أشياء: إذا أُشليتْ استشلتْ، وإذا زُجرتْ انزجرتْ، وإذا

---

(١) سورة المائدة آية : ٤.
(٢) سورة المائدة آية : ٤.
(٣) سورة المائدة آية : ٤.
(٤) سورة المائدة آية : ٤.
(٥) سورة المائدة آية : ٤.
(٦) سورة المائدة آية : ٤.

أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل، وإذا وجد ذلك منه مرارا - وأقلها بثلاث مرات - كانت معلّمـة، يحل قتلها إذا خرجت بإرسال صاحبها ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤ ﴾ (١) فيه بيان أن ذكر اسم الله ﷻ على الذبيحة شرط حالةَ ما يُذبح، وفي الصيد حالة ما يرسل الجارحة أو السهم.

[٥] قوله ﷻ ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ ﴾ (٢)، يعني: الذبائح على اسم الله ﷻ ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ (٣) يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم، قوله ﷻ ﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ ﴾ (٤)، فإن قيل: كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع؟ قال الزجاج: معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الحِل مع المسلمين، وقيل: لأنه ذكر عقيبه حكم النساء، ولم يذكر حل المسلمات لهم فكأنه قال: حلال لكم أن تطعموهم، حرام عليكم أن تزوجوهم، قوله ﷻ ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (٥)، هذا راجع إلى الأول منقطع عن قوله: ﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ ﴾ (٦) اختلفوا في معنى المحصنات فذهب أكثر العلماء إلى أن المراد منهن الحرائر، وأجازوا نكاح كل حرة مؤمنة كانت أو كتابية فاجرة كانت أو عفيفة، وهو قول مجاهد، وقال هؤلاء: لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لقوله تعالى: ﴿ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ

(١) سورة المائدة آية : ٤.
(٢) سورة المائدة آية : ٥.
(٣) سورة المائدة آية : ٥.
(٤) سورة المائدة آية : ٥.
(٥) سورة المائدة آية : ٥.
(٦) سورة المائدة آية : ٥.

ﭐلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ ﴾ [١] جوز نكاح الأمة بشرط أن تكون الأمة مؤمنة وذهب قوم إلى أن المراد من المحصنات في الآية: العفائف من الفريقين حرائر كن أو إماء وأجازوا نكاح الأمة الكتابية، وحرّموا البغايا من المؤمنات والكتابيات، وهو قول الحسن، وقال الشعبي: إحصان الكتابية أن تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة، ﴿ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ [٢] غير معالنين بالزنا، ﴿ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ ﴾ [٣] أي: غير مسرّين تسرونن بالزنا، قال الزجاج: حرّم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة، وأحله على جهة الإحصان وهو التزوج ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥ ﴾ [٤] قال مقاتل بن حيان: يقول ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهن من الكفر أو يغني عنهن شيئا وهي للناس عامة ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥ ﴾ [٥] قال ابن عباس ومجاهد في معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [٦] أي: بالله الذي يجب الإيمان به، وقال الكلبي: بالإيمان أي: بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وقال مقاتل: بما أُنزل على محمد ﷺ وهو القرآن، وقيل: من يكفر بالإيمان أي: يستحل الحرام ويحرم الحلال فقد حبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين، قال ابن عباس: خسر الثواب.

---

(١) سورة النساء آية : ٢٥.
(٢) سورة المائدة آية : ٥.
(٣) سورة المائدة آية : ٥.
(٤) سورة المائدة آية : ٥.
(٥) سورة المائدة آية : ٥.
(٦) سورة المائدة آية : ٥.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾....

[٦] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [١] أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام إلى الصلاة، لكن علمنـا ببيان السنة وفعل النبي ﷺ أن المراد من الآية: ﴿ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [٢] وأنتم على غير طُهر، قال النبي ﷺ ﴿ لا يقبل الله صلاة أحدكـم إذا أحدث حتى يتوضأ ﴾ [٣] [٤]. وقد جمع النبي ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد، وقال زيد بن أسلم: معنى الآية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم، وقال بعضهم: هو أمر على طريق الندب، ندب من قام إلى الصلاة أن يجدد لها طهارته وإن كان على طهر، قوله ﷻ ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ [٥] وحدّ الوجه من منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولا وما بين الأذنين عرضا يجب غسل جميعه في الوضوء، قوله تعالى: ﴿ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾ [٦]، أي: مع المرافق، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ ﴾ [٧] أي: مع أموالكم، وقال: ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [١] أي: مع الله،

---

(١) سورة المائدة آية : ٦.

(٢) سورة المائدة آية : ٦.

(٣) البخاري الحيل (٦٥٥٤), مسلم الطهارة (٢٢٥), الترمذي الطهارة (٧٦), أبو داود الطهارة (٦٠), أحمد (٣١٨/٢).

(٤) رواه البخاري في كتاب الحيل باب في الصلاة ٣٢٩/١٢، ومسلم في الطهارة باب وجوب الطهارة للصلاة رقم (٢٢٥) ٢٠٤/١.

(٥) سورة المائدة آية : ٦.

(٦) سورة المائدة آية : ٦.

(٧) سورة النساء آية : ٢.

قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ﴾ [٢] اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الرأس فقال مالك: يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم، وقال أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرأس، وعند الشافعي رحمه الله: يجب قدر ما يطلق عليه اسم المسح، قوله ﷻ ﴿ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ [٣] قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص ﴿ وَأَرۡجُلَكُمۡ ﴾ [٤] بنصب اللام، وقرأ الآخرون وَأَرْجُلِكُمْ بالخفض، فمن قرأ وَأَرْجُلَكُمْ بالنصب فيكون عطفا على قوله ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ ﴾ [٥] أي: واغسلوا أرجلكـم، ومن قرأ بالخفض فقد ذهب قليل من أهل العلم إلى أنه يمسح على الرجلين، وذهب جماعة أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى وجوب غسل الرجلين، وقالوا: خفض اللام في الأرجل على مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٦]، فالأليم صفة العذاب، ولكنه أخذ إعراب اليوم للمجاورة، وكقولهم: جحر ضب خرب، فالخراب نعت الجحر، وأخذ إعراب الضب للمجاورة، وقال بعضهم: أراد بقوله وأرجلكم المسح على الخفين. قوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ [٧] فالكعبان هما العظمان الناتئان من جانبي القدمين، وهما مجمع مفصل الساق والقدم، فيجب غسلهـا مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين. قوله ﷻ

---

(١) سورة آل عمران آية : ٥٢.

(٢) سورة المائدة آية : ٦.

(٣) سورة المائدة آية : ٦.

(٤) سورة المائدة آية : ٦.

(٥) سورة المائدة آية : ٦.

(٦) سورة هود آية : ٢٦.

(٧) سورة المائدة آية : ٦.

﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾ [1] أي: اغتسلوا، قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ ﴾ [2] فيه دليل على أنه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب، ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم ﴾ [3] بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم، ﴿ مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [4] ضيق، ﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [5] من الأحداث والجنابات والذنوب، ﴿ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦ ﴾ [6] قال محمد بن كعب القرظي: إتمام النعمة تكفير الخطايـا بالوضـوء كما قال الله تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [7]، فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه.

[٧] قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [8] يعني: النعم كلها، ﴿ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴾ [9] عهده الذي عاهدكـم به أيها المؤمنون، ﴿ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ ﴾ [10] وذلك حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا، وهو قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد ومقاتل: يعني الميثاق الذي أخذ عليهم حين

(١) سورة المائدة آية : ٦.
(٢) سورة المائدة آية : ٦.
(٣) سورة المائدة آية : ٦.
(٤) سورة المائدة آية : ٦.
(٥) سورة المائدة آية : ٦.
(٦) سورة المائدة آية : ٦.
(٧) سورة الفتح آية : ٢.
(٨) سورة المائدة آية : ٧.
(٩) سورة المائدة آية : ٧.
(١٠) سورة المائدة آية : ٧.

أخرجهم من صلب آدم عليه السلام، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ﴾ [1] بما في القلوب من خير وشر.

[٨] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ [2] أي: كونوا له قائمين بالعدل قوّالين بالصدق، أمرهم بالعدل والصدق في أعـمالهـم وأقـوالهـم، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ [3] ولا يحملنكم، ﴿ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ ﴾ [4] بغض قوم، ﴿ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ﴾ [5] أي: على ترك العدل فيهم لعداوتم، ثم قال: ﴿ ٱعْدِلُواْ ﴾ [6] يعني: في أوليائكم وأعدائكم، ﴿ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [7]، يعني: إلى التقوى، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾ [8].

[٩] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ ﴾ [9]، وهذا في موضع النصب، لأن فعل الوعد واقع على المغفرة، ورفعها على تقدير أي: وقال لهم مغفرة وأجر عظيم.

قوله تعالى وَالذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولِئَكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ

[١٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠ ﴾ [1].

---

(١) سورة المائدة آية : ٧.
(٢) سورة المائدة آية : ٨.
(٣) سورة المائدة آية : ٨.
(٤) سورة المائدة آية : ٨.
(٥) سورة المائدة آية : ٨.
(٦) سورة المائدة آية : ٨.
(٧) سورة المائدة آية : ٨.
(٨) سورة المائدة آية : ٨.
(٩) سورة المائدة آية : ٩.

[١١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (٢) بالدفع عنكم، ﴿ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ (٣) بالقتل ﴿ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١١ ﴾ (٤).

[١٢] ﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ ﴾ (٥) وذلك أن الله ﷻ وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء من أرض الشام وهي الأرض المقدسة ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ ﴾ (٦) ناصركم على عدوكم، ثم ابتدأ الكلام فقال: ﴿ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٧) يا معشر بني إسرائيل، ﴿ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ ﴾ (٨) نصرتموهم، وقيل: وقّرتموهم وعظمتموهم، ﴿ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾ (٩)، قيل: هو إخراج الزكاة، وقيل: هو النفقة على الأهل، ﴿ لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ (١٠) لأمحون عنكم سيئاتكم، ﴿ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ

---

(١) سورة المائدة آية : ١٠.
(٢) سورة المائدة آية : ١١.
(٣) سورة المائدة آية : ١١.
(٤) سورة المائدة آية : ١١.
(٥) سورة المائدة آية : ١٢.
(٦) سورة المائدة آية : ١٢.
(٧) سورة المائدة آية : ١٢.
(٨) سورة المائدة آية : ١٢.
(٩) سورة المائدة آية : ١٢.
(١٠) سورة المائدة آية : ١٢.

﴿ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ [(١)] أي: أخطأ قصد السبيل، يريد طريق الحق، وسواء كل شيء: وسطه.

[١٣] ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم ﴾ [(٢)] أي: فبنقضهم، و (ما) صلة، ﴿ مِّيثَٰقَهُمۡ ﴾ [(٣)]، قال قتادة: نقضوه من وجوه لأنم كذبوا الرسل الذين جاؤوا بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه، ﴿ لَعَنَّٰهُمۡ ﴾ [(٤)] قال عطاء: أبعدناهم من رحمتنا، قال الحسن ومقاتل: عذبناهم بالمسخ، ﴿ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ ﴾ [(٥)]، قرأ حمزة والكسائي قسية بتشديد الياء من غير ألف، وهما لغتان مثل الذاكية والذكية، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قاسية أي: يا بسة، وقيل: غليظة لا تلين، وقيل معناه: إن قلوبم ليست بخالصة للإيمان بل إيمانم مشوب بالكفر والنفاق، ومنه الدراهم القاسية وهي الردية المغشوشة ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [(٦)] قيل: هو تبديلهم نعت النبي ﷺ وقيل: تحريفهم بسوء التأويل، ﴿ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ ﴾ [(٧)] أي: وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته، ﴿ وَلَا تَزَالُ ﴾ [(٨)]، يا محمد، ﴿ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ [(٩)] أي: على خيانة، فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية، وقيل: هو

---

(١) سورة المائدة آية : ١٢.
(٢) سورة المائدة آية : ١٣.
(٣) سورة المائدة آية : ١٣.
(٤) سورة المائدة آية : ١٣.
(٥) سورة المائدة آية : ١٣.
(٦) سورة المائدة آية : ١٣.
(٧) سورة المائدة آية : ١٣.
(٨) سورة المائدة آية : ١٣.
(٩) سورة المائدة آية : ١٣.

بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل روّاية ونسابة وعلّامة وحسّابة، وقيل: على فرقة خائنة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: على خائنة أي: على معصية، وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله ﷺ وهمهم بقتله وسمه، ونحوهما من خياناتهم التي ظهرت منهم، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [(١)] لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين أسلموا من أهل الكتاب، ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ﴾ [(٢)] أي: أعرض عنهم ولا تتعرض لهم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [(٣)]، وهذا منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى وَمِنَ الذِينَ قَالُوا إِنا نَصَارَى أَخَذْنا مِيثَاقَهُمْ فَنسُوا حَظًّا مِما ذُكرُوا بِهِ....

[١٤] قوله ﷻ ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ ﴾ [(٤)]، قيل: أراد بهم اليهود والنصارى فاكتفى بذكر أحدهما، والصحيح أن الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود، وقال الحسن: فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى، أخذنا ميثاقهم في التوحيد والنبوة، ﴿ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [(٥)] بالأهواء المختلفة والجدال في الدين، قال مجاهد وقتادة: يعني بين اليهود والنصارى، وقال الربيع: هم النصارى وحدهم صاروا فرقا منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفّر الأخرى، ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [(٦)] في الآخرة.

---

(١) سورة المائدة آية : ١٣.
(٢) سورة المائدة آية : ١٣.
(٣) سورة المائدة آية : ١٣.
(٤) سورة المائدة آية : ١٤.
(٥) سورة المائدة آية : ١٤.
(٦) سورة المائدة آية : ١٤.

[١٥] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ ﴾[١] يريد: يا أهل الكتابين، ﴿ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ ﴾[٢]، أي: من التوراة والإنجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، ﴿ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾[٣]، أي: يعرض عن كثير مما أخفيتم فلا يتعرض له ولا يؤاخذكم به، ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ ﴾[٤] يعني: محمدا ﷺ وقيل: الإسلام، ﴿ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾[٥] أي: بيّن، وقيل: مبين وهو القرآن.

[١٦] ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ ﴾[٦] رضاه، ﴿ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ ﴾[٧] قيل: السلام هو الله ﷻ وسبيله دينه الذي شرع لعباده، وبعث به رسله، وقيل: السلام هو السلامة، كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد، والمراد به طرق السلامة، ﴿ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[٨] أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ﴿ بِإِذۡنِهِۦ ﴾[٩] بتوفيقه وهدايته، ﴿ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾[١٠] وهو الإسلام.

---

(١) سورة المائدة آية : ١٥.
(٢) سورة المائدة آية : ١٥.
(٣) سورة المائدة آية : ١٥.
(٤) سورة المائدة آية : ١٥.
(٥) سورة المائدة آية : ١٥.
(٦) سورة المائدة آية : ١٦.
(٧) سورة المائدة آية : ١٦.
(٨) سورة المائدة آية : ١٦.
(٩) سورة المائدة آية : ١٦.
(١٠) سورة المائدة آية : ١٦.

[١٧] قوله تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾ [١]، وهـم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله تعالى، ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [٢] أي: من يقدر أن يدفع من أمر الله شيئا إذا قضاه؟ ﴿ إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [٣].

قوله تعالى وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَاؤُهُ.....

[١٨] ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ ﴾ [٤]، قيل: أرادوا أن الله تعالى لنا كالأب في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة، وقال إبراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا في التوراة يا أبناء أحباري فبدلوا يا أبناء أبكاري فمن ذلك قالوا: نحن أبناء الله، وقيل: معناه نحن أبناء الله يعني أبناء رسل الله. قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ ﴾ [٥] يريد إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناؤه وأحباؤه فإن الأب لا يعذب ولده، والحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم مقرون أنه معذبكم؟ وقيل: فَلِمَ يعذبكم أي: لِمَ عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قردة وخنازير؟ ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ ﴾ [٦] كسائر بني آدم مجزيون بالإساءة والإحسان، ﴿ يَغْفِرُ

(١) سورة المائدة آية : ١٧.
(٢) سورة المائدة آية : ١٧.
(٣) سورة المائدة آية : ١٧.
(٤) سورة المائدة آية : ١٨.
(٥) سورة المائدة آية : ١٨.
(٦) سورة المائدة آية : ١٨.

لِمَن يَشَآءُ ﴾ [1] فضلا، ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ [2] عدلا، ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [3].

[١٩] ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ [4] محمد ﷺ ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ [5] أعلام الهدى وشرائع الدين، ﴿ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [6] أي انقطاع من الرسل، واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ قال أبو عثمان النهدي: ستمائة سنة، وقال قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقال معمر والكلبي: خمسمائة وأربعون سنة، وسميت فترة لأن الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام، ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ ﴿ أَن تَقُولُوا۟ ﴾ [7] كيلا تقولوا، ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [8].

[٢٠] قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ ﴾ [9]، أي: منكم أنبياء، أي: منكم أنبياء، ﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ [10] أي:

---

(١) سورة المائدة آية : ١٨.
(٢) سورة المائدة آية : ١٨.
(٣) سورة المائدة آية : ١٨.
(٤) سورة المائدة آية : ١٩.
(٥) سورة المائدة آية : ١٩.
(٦) سورة المائدة آية : ١٩.
(٧) سورة المائدة آية : ١٩.
(٨) سورة المائدة آية : ١٩.
(٩) سورة المائدة آية : ٢٠.
(١٠) سورة المائدة آية : ٢٠.

فيكم ملوكا، قال ابن عباس رضي الله عنهما، يعني أصحاب خدم وحشم، قال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم، قال السدي: وجعلكـم ملوكا أحرارا تملكون أمر أنفسكـم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم، وقال الضحاك: كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعا وفيه نر جار فهو ملك ﴿ وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [(١)] يعني عالمي زمانكم، قال مجاهد: يعني المن والسلوى والحجر وتظليل الغمام.

[٢١] قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾[(٢)] اختلفوا في الأرض المقدسة، قال مجاهد: هي الطور وما حوله، وقال الضحاك: إيليا وبيت المقدس، وقال عكرمة والسدي: هي أريحاء، وقال الكلبي: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقال قتادة: هي الشام كلها، قال كعب: وجدت في كتاب الله الم ل أن الشام ك الله في أرضه وبا أكثر عباده، قوله ﷻ ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [(٣)] يعني: كتب في اللوح المحفوظ أنا مساكن لكم، وقال ابن إسحاق: وهـب الله لكم، وقيل: جعلها لكم، قال السدي: أمركم الله بدخولها، وقال قتادة: أمروا با كما أمروا بالصلاة، أي: فرض عليكـم. ﴿ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ ﴾ [(٤)] أعقابكم بخلاف أمر الله، ﴿ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [(٥)] قال الكلبي: صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له: انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك.

(١) سورة المائدة آية : ٢٠.
(٢) سورة المائدة آية : ٢١.
(٣) سورة المائدة آية : ٢١.
(٤) سورة المائدة آية : ٢١.
(٥) سورة المائدة آية : ٢١.

[٢٢] ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ ﴾ [(١)]، وذلك أن النقباء الذين خرجوا يتجسسون الأخبار لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا، قال لهم موسى: اكتموا شأنهم ولا تخبروا به أحدا من أهل العسكر فيفشلوا، فأخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه إلا رجلين وفّيا بما قال لهما موسى فعلمت جماعة من بني إسرائيل ذلك ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا في أرض مصر، أو ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمة لهم، وجعل الرجل يقول لصاحبه: تعال نجعل علينا رأسا وننصرف إلى مصر، فذلك قوله تعالى إخبارا عنهم ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(٢)]، أصل الجبار: المتعظم الممتنع عن القهر، يقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الأيدي إليها، وسمي أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم، وكانوا من العمالقة وبقية قوم عاد، فلما قال بنو إسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف إلى مصر خر موسى وهارون ساجدين، وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله تعالى عنهما في قوله:

[٢٣] ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ [(٣)] أي: يخافون الله تعالى، قرأ سعيد بن جبير (يُخافون) بضم الياء، وقال: الرجلان كانا من الجبارين فأسلما واتبعا موسى، ﴿ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ﴾ [(٤)] بالتوفيق والعصمة قالا: ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ ﴾ [(٥)] يعني: قرية

(١) سورة المائدة آية : ٢٢.
(٢) سورة المائدة آية : ٢٢.
(٣) سورة المائدة آية : ٢٣.
(٤) سورة المائدة آية : ٢٣.
(٥) سورة المائدة آية : ٢٣.

الجبارين، ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾ [1]، لأن الله منجز وعده، وإنا رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبم ضعيفة، فلا تخشوهم، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2]، فأراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما.

قوله تعالى قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ....

[٢٤] ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [3] فلما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من مخالفتهم أمر ربم غضب موسى عليه السلام ودعا عليهم.

[٢٥] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ [4]، قيل معناه لا يملك إلا نفسه وقيل معناه لا يطيعني إلا نفسي وأخي، ﴿ فَٱفْرُقْ ﴾ [5] فافصل، ﴿ بَيْنَنَا ﴾ [6] قيل: فاقض بيننا، ﴿ وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [7] العاصين.

[٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ [8] الله تعالى ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [9]، قيل: هاهنا تم الكلام معناه تلك البلد محرمة عليهم أبدا لم يرد به تحريم تعبد، وإنما أراد تحريم منع، فأوحى الله

(١) سورة المائدة آية : ٢٣.
(٢) سورة المائدة آية : ٢٣.
(٣) سورة المائدة آية : ٢٤.
(٤) سورة المائدة آية : ٢٥.
(٥) سورة المائدة آية : ٢٥.
(٦) سورة المائدة آية : ٢٥.
(٧) سورة المائدة آية : ٢٥.
(٨) سورة المائدة آية : ٢٦.
(٩) سورة المائدة آية : ٢٦.

تعالى إلى موسى: لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب، ولأتيهنهم في هذه البرية ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾[١] مكان كل يوم من الأيام التي تحبسون فيها سنة ولألقين جيفهم في هذه القفار، وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونا، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ ﴾[٢] يتحيرون، ﴿ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٣]، أي: لا تحزن على مثل هؤلاء القوم.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾[٤] وهما هابيل وقابيل، ويقال له قابين، ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴾[٥] يعني هابيل ﴿ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾[٦] يعني قابيل ؤ لوا على الجبل وقد غضب قابيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت، فلما غاب آدم أتى قابيل هابيل وهو في غنمه، ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾[٧] قال: ولم؟ قال: لأن الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني، وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة، فيتحدث الناس أنك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي، ﴿ قَالَ ﴾[٨] هابيل: وما ذنبي؟ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٩].

---

(١) سورة المائدة آية : ٢٦.
(٢) سورة المائدة آية : ٢٦.
(٣) سورة المائدة آية : ٢٦.
(٤) سورة المائدة آية : ٢٧.
(٥) سورة المائدة آية : ٢٧.
(٦) سورة المائدة آية : ٢٧.
(٧) سورة المائدة آية : ٢٧.
(٨) سورة المائدة آية : ٢٧.
(٩) سورة المائدة آية : ٢٧.

[٢٨] ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ ﴾ [١] أي: مددت، ﴿ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [٢] قال عبد الله بن عمر: وايم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط إلى أخيه يده، وهذا في الشرع جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلبا للأجر كما فعل عثمان ﷺ قال مجاهد: كتب الله في ذلك الوقت إذا أراد رجل قتل رجل أن لا يمتنع ويصبر.

[٢٩] ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ ﴾ [٣] ترجع، وقيل تحمل ﴿ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ [٤]، أي: بإثم قتلي إلى إثمك، أي: إثم معاصيك التي عملت من قبل، هذا قول أكثر المفسرين. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: معناه إني أريد أن يكون عليك خطيئتي التي عملتها أنا إذا قتلتني وإثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعا، وقيل: معناه أن ترجع بإثم قتلي وإثم معصيتك التي لم يتقبل لأجلها قربانك، أو إثم حسدك، فإن قيل: كيف قال إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، وإرادة القتل والمعصية لا تجوز؟ قيل: ليس ذلك بحقيقة إرادة ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة وطّن نفسه على الاستسلام طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا، وإن لم يكن مريدا حقيقة، وقيل: معناه إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فيكون إرادة صحيحة لأنا موافقة لحكم الله ﷻ فلا يكون هذا إرادة للقتل بل لموجب القتل من الإثم والعقاب، ﴿ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٥].

---

(١) سورة المائدة آية : ٢٨.

(٢) سورة المائدة آية : ٢٨.

(٣) سورة المائدة آية : ٢٩.

(٤) سورة المائدة آية : ٢٩.

(٥) سورة المائدة آية : ٢٩.

[٣٠] قوله ﷻ : ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ ﴾ (١) أي: طاوعته وشايعته وعاونته، ﴿ قَتۡلَ أَخِيهِ ﴾ (٢) في قتل أخيه، وقال مجاهد: فشجعته، وقال قتادة: فزينت له نفسه، وقال يمان: سهلت له ذلك، أي: جعلته سهلا، تقديره: صورت له نفسه أن قتل أخيه طوع له أي سهل عليه، فقتله، قيل: قتل وهو مستسلم، وقيل: اغتاله وهو في النوم فشدخ رأسه فقتله، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٣٠ ﴾ (٣)، وكان لهابيل يوم قُتل عشرون سنة فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة، وواراه، وقابيل ينظر إليه، فذلك قوله تعالى:

[٣١] ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ ﴾ (٤)، فلما رأى قابيل ذلك ﴿ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ ﴾ (٥) أي: جيفته، وقيل: عورته لأنه قد سلب ثيابه، ﴿ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١ ﴾ (٦) على حمله على عاتقه لا على قتله، وقيل: على فراق أخيه، وقيل: ندم لقلة النفع بقتله فإنه أسخط والديه، وما انتفع بقتله شيئا ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب.

(١) سورة المائدة آية : ٣٠.
(٢) سورة المائدة آية : ٣٠.
(٣) سورة المائدة آية : ٣٠.
(٤) سورة المائدة آية : ٣١.
(٥) سورة المائدة آية : ٣١.
(٦) سورة المائدة آية : ٣١.

قوله تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾....

[٣٢] قوله ﷻ ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ [(١)] أي: من جراء ذلك القاتل وجنايته، يقال: أجل يأجل أجلا، إذا جنى، مثل أخذ يأخذ أخذا ﴿ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ [(٢)]، قتلها فيقاد منه، ﴿ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٣)]، يريد بغير نفس وبغير فساد في الأرض من كفر أو زنا أو قطع طريق، أو نحو ذلك ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [(٤)] اختلفوا في تأويله، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة: من قتل نبيا أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعا، ومن شد عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعا، قال مجاهد: من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها، كما يصلى لو قتل الناس جميعا، ومن أحياها من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعا، قال قتادة: أعظم الله أجرها وعظّم وزرها، معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما قتل الناس جميعا في الإثم لأنهم لا يسلمون منه ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ [(٥)]، وتورع عن قتلها، ﴿ فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [(٦)] في الثواب لسلامتهم منه، قال الحسن: فكأنما قتل الناس جميعا يعني أنه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا، ومن أحياها أي عفا عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما أحيا الناس جميعا، قال سليمان بن علي: قلت للحسن: يا أبا سعيد أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟

---

(١) سورة المائدة آية : ٣٢.
(٢) سورة المائدة آية : ٣٢.
(٣) سورة المائدة آية : ٣٢.
(٤) سورة المائدة آية : ٣٢.
(٥) سورة المائدة آية : ٣٢.
(٦) سورة المائدة آية : ٣٢.

قال: إي والذي لا إله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا، ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

[٣٣] ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾[2] وعقوبة المحاربين ما ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾[3]، فذهب قوم إلى أن الإمام بالخيار في أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفي كما هو ظاهر الآية، وذهب الأكثرون إلى أن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[4] الذي ذكرت من الحدّ، ﴿ لَهُمْ خِزْىٌ ﴾[5] عذاب وهوان وفضيحة ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[6].

[٣٤] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[7]، فمن ذهب إلى أن الآية نزلت في الكفار، قال معناه: إلا الذين تابوا من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال، وأما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم

---

(١) سورة المائدة آية : ٣٢.
(٢) سورة المائدة آية : ٣٣.
(٣) سورة المائدة آية : ٣٣.
(٤) سورة المائدة آية : ٣٣.
(٥) سورة المائدة آية : ٣٣.
(٦) سورة المائدة آية : ٣٣.
(٧) سورة المائدة آية : ٣٤.

قبل القدرة عليهم - وهو قبل أن يظفر به الإمام - تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقا لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد.

[٣٥] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ ﴾[١] اطلبوا ﴿ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[٢] أي: القربة، فعيلة من توسل إلى فلان بكذا، أي: تقرب إليه وجمعها وسائل، ﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٣].

[٣٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾[٤]، أخبر أن الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العـذاب لم يقبـل منـه ذلك الفداء، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[٥].

قوله تعالى يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ.....

[٣٧] ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾[٦]، فيه وجهان أحدهما: أنم يقصدون ويطلبون المخرج منها، كما قال الله تعالى: (كلما أرادوا أن يخرجوا منها)، والثاني: أنم يتمنون ذلك بقلوبم، كما قال الله تعالى إخبارا عنهم: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾[٧]، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[٨].

(١) سورة المائدة آية : ٣٥.
(٢) سورة المائدة آية : ٣٥.
(٣) سورة المائدة آية : ٣٥.
(٤) سورة المائدة آية : ٣٦.
(٥) سورة المائدة آية : ٣٦.
(٦) سورة المائدة آية : ٣٧.
(٧) سورة المؤمنون آية : ١٠٧.
(٨) سورة المائدة آية : ٣٧.

[٣٨] ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ [١] أراد به أيمانهما، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود، وجملة الحكم أن من سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الرسغ ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ [٢] نصب على الحال والقطع، ومثله: ﴿ نَكَٰلٗا ﴾ [٣] أي: عقوبة، ﴿ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ ﴾ [٤].

[٣٩] ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ ﴾ [٥] أي: سرقته، ﴿ وَأَصۡلَحَ ﴾ [٦] العمل، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾ [٧]، هذا فيما بينهم وبين الله تعالى، فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الأكثرين، قال مجاهد: قطع السارق توبته فإذا قطع حصلت التوبة، والصحيح أن القطع للجزاء على الجناية، كما قال: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ [٨]، فلا بد من التوبة بعد، وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل، وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي: لا غرم عليه، وبالاتفاق إن كان المسروق قائما عنده يسترد، وتقطع يده لأن القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد، فلا يمنع أحدهما الآخر، كاسترداد العين.

---

(١) سورة المائدة آية : ٣٨.
(٢) سورة المائدة آية : ٣٨.
(٣) سورة المائدة آية : ٣٨.
(٤) سورة المائدة آية : ٣٨.
(٥) سورة المائدة آية : ٣٩.
(٦) سورة المائدة آية : ٣٩.
(٧) سورة المائدة آية : ٣٩.
(٨) سورة المائدة آية : ٣٨.

[٤٠] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [(١)] الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الجميع، وقيل: معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطابا لكل واحد من الناس ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ ﴾ [(٢)]، قال السدي والكلبي: يعذب من يشاء من مات على كفره ويغفر لمن يشاء من تاب من كفره، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء على الكبيرة ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ [(٣)].

[٤١] قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [(٤)]، أي: في موالاة الكفار فإنهم لم يعجزوا الله، ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ ﴾ [(٥)]، وهم المنافقون، ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ ﴾ [(٦)] يعني اليهود، ﴿ سَمَّٰعُونَ ﴾ [(٧)] أي: قوم سماعون، ﴿ لِلْكَذِبِ ﴾ [(٨)] أي: قابلون للكذب، كقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل الله، وقيل: معناه: سماعون لأجل الكذب، أي: يسمعون منك ليكذبوا عليك، وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه، ﴿ سَمَّٰعُونَ

---

(١) سورة المائدة آية : ٤٠.
(٢) سورة المائدة آية : ٤٠.
(٣) سورة المائدة آية : ٤٠.
(٤) سورة المائدة آية : ٤١.
(٥) سورة المائدة آية : ٤١.
(٦) سورة المائدة آية : ٤١.
(٧) سورة المائدة آية : ٤١.
(٨) سورة المائدة آية : ٤١.

﴿لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾[1] أي هـم جواسيس، يعني: بني قريظة لقوم آخرين هم أهل خيبر قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾[2]، قيل: اللام بمعنى إلى، وقيل: هي لام كي، أي: يسمعون لكي يكذبوا عليك، واللام في قوله ﴿لِقَوْمٍ﴾[3] أي: لأجل قوم آخرين لم يأتوك وهم أهل خيبر ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾[4] جمع كلمة، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[5]، أي: من بعد وضعه مواضعه، وإنما ذكر الكناية ردا على لفظ الكلم، ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾[6]، أي: إن أفتاكـم محمد ﷺ بالجلد والتحميم فاقبلوا، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾[7] كفره وضلالته، قال الضحاك: هلاكه، وقال قتادة: عذابه، ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ﴾[8] فلن تقدر على دفع أمر الله فيه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾[9] وفيه رد على من ينكر القدر ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾[10] أي: للمنافقين واليهود، فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزي اليهود الجزية أو

---

(١) سورة المائدة آية : ٤١.
(٢) سورة المائدة آية : ٤١.
(٣) سورة المائدة آية : ٤١.
(٤) سورة المائدة آية : ٤١.
(٥) سورة المائدة آية : ٤١.
(٦) سورة المائدة آية : ٤١.
(٧) سورة المائدة آية : ٤١.
(٨) سورة المائدة آية : ٤١.
(٩) سورة المائدة آية : ٤١.
(١٠) سورة المائدة آية : ٤١.

القتل أو السبي أو النفي، ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه فيهم ما يكرهون، ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [(1)] الخلود في النار.

قوله تعالى سَماعُونَ لِلْكَذِبِ أكالُونَ لِلسحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ....

[٤٢] ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [(2)]، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة والكسائي (للسحُت) بضم الحاء، والآخرون بسكونا، وهو الحرام، وأصله الهلاك والشدة، وقال الله تعالى: ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ [(3)]، نزلت في حكام اليهود كعب بن الأشرف وأمثاله، كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم، قال الحسن: كان الحاكـم منهم إذا أتاه أحد برشوة جعلها في كمه فيريها إياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه، فيسمع الكذب ويأكل الرشوة، وعنه أيضا قال: إنما ذلك في الحكم إذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقك، فأما أن يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه ليدرأ به عن نفسه فلا بأس، فالسحت هو الرشوة في الحكـم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضحاك، وقال ابن مسعود: هو الرشوة في كل شيء، قال ابن مسعود: من يشفع شفاعة ليرد با حقا أو يدفع با ظلما فأهدي له فقبل فهو سحت، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكـم، فقال: الأخذ على الحكم كفر، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [(4)] والسحت كل كسب لا يحل. قوله ﷻ ﴿ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ

---

(١) سورة المائدة آية : ٤١.

(٢) سورة المائدة آية : ٤٢.

(٣) سورة طه آية : ٦١.

(٤) سورة المائدة آية : ٤٤.

﴿ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ﴾ [1]، خيّر الله تعالى رسوله ﷺ في الحكم بينهم إن شاء حكم وإن شاء ترك. قوله: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ﴾ [2]، أي بالعدل، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [3] أي: العادلين.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾ [4] هذا تعجيب للنبي ﷺ وفيه اختصار، أي: وكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة؟ ﴿ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [5] وهو الرجـم، ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [6] أي: بمصدقين لك.

[٤٤] قوله ﷻ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ ﴾ [7] أي: أسلموا وانقادوا لأمر الله تعالى، كما أخبر عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [8]، وكما قال: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [9]، وأراد بم النبيين الذين بعثوا من بعد موسى عليه السلام ليحكموا بما في التوراة، وقد أسلموا لحكم التوراة وحكموا با، فإن

---

(١) سورة المائدة آية : ٤٢.
(٢) سورة المائدة آية : ٤٢.
(٣) سورة المائدة آية : ٤٢.
(٤) سورة المائدة آية : ٤٣.
(٥) سورة المائدة آية : ٤٣.
(٦) سورة المائدة آية : ٤٣.
(٧) سورة المائدة آية : ٤٤.
(٨) سورة البقرة آية : ١٣١.
(٩) سورة آل عمران آية : ٨٣.

من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى عليه السلام ﴿ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [(١)] قيل: فيه تقديم وتأخير تقديره فيها هدى ونور للذين هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون، وقيل: هو على موضعه، ومعناه: يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا، كما قال: ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ [(٢)] أي: فعليها، وكما قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ ﴾ [(٣)]، وقيل: فيه حذف كأنه قال: للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف أحدهما اختصارا. ﴿ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [(٤)] يعني العلماء، واحدها حبر وحبر بفتح الحاء وكسرها، والكسر أفصح، وهو العالم المحكم للشيء، قال الكسائي وأبو عبيدة: هو من الحبر الذي يكتب به، وقال قطرب: هو من الحبر الذي هو بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرها ومنه التحبير وهو التحسين، فسمى العالم حبرا لما عليه من جمال العلم وبهائه، وقيل: الربانيون هاهنا من النصارى، والأحبار من اليهود، قوله ﷻ ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [(٥)]، أي: استُودعوا من كتاب الله، ﴿ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ [(٦)] أنه كذلك، ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [(٧)]، قال قتادة والضحاك: نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من أساء من هذه الأمة. روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله:

(١) سورة المائدة آية : ٤٤.
(٢) سورة الإسراء آية : ٧.
(٣) سورة الرعد آية : ٢٥.
(٤) سورة المائدة آية : ٤٤.
(٥) سورة المائدة آية : ٤٤.
(٦) سورة المائدة آية : ٤٤.
(٧) سورة المائدة آية : ٤٤.

﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [(١)] والظالمون والفاسقون كلها في الكافرين، وقيل: هي على الناس كلهم، وقال ابن عباس وطاوس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كافر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، قال عطاء: هو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، وقال عكرمة: معناه: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق. وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني عن هذه الآيات، فقال: إنا تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه، وكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات، وقال العلماء: هذا إذا رد نص حكم الله عيانا عمدا، فأما من خفي عليه أو أخطأ في تأويل فلا.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ ﴾[(٢)] أي: أوجبنا على بني إسرائيل في التوراة، ﴿ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ [(٣)] يعني: من نفس القاتل بنفس المقتول وفاء يقتل به، ﴿ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ ﴾ [(٤)]تُفقأ بها ﴿ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ ﴾ [(٥)]يُجدع به، ﴿ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ ﴾ [(٦)]تُقطع بها، قال ابن عباس: أخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو: أن النفس بالنفس واحدة بواحدة إلى آخرها، فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين، ويفقؤون

(١) سورة المائدة آية : ٤٤.
(٢) سورة المائدة آية : ٤٥.
(٣) سورة المائدة آية : ٤٥.
(٤) سورة المائدة آية : ٤٥.
(٥) سورة المائدة آية : ٤٥.
(٦) سورة المائدة آية : ٤٥.

بالعين العينين ﴿ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ ﴾ [1] تقلع بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص، ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ ﴾ [2] فهذا تعميم بعد تخصيص، لأنه ذكر العين والأنف والأذن والسن، ثم قال: ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ ﴾ [3] أي: فيما يمكن الاقتصاص منه كاليد والرجل واللسان ونحوها، وأما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن الوقوف على نهايته ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ ﴾ [4] أي: بالقصاص ﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ ﴾ [5]، قيل: الهاء في له كناية عن المجروح وولي القتيل، أي: كفارة للمصدق وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة، فعن عبادة بن الصامت ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه ﴾ [6] [7] وقال جماعة: هي كناية عن الجارح والقاتل، يعني إذا عفا المجني عليه عن الجاني فعفوه كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة، كما أن القصاص كفارة له، فأما أجر العافي فعلى الله ﷻ قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [8]، روي ذلك عن ابن عباس

---

(١) سورة المائدة آية : ٤٥.

(٢) سورة المائدة آية : ٤٥.

(٣) سورة المائدة آية : ٤٥.

(٤) سورة المائدة آية : ٤٥.

(٥) سورة المائدة آية : ٤٥.

(٦) أحمد (٣٣٠/٥).

(٧) أخرجه الترمذي في الديات ٦٥٠/٤ وقال غريب، وابن ماجه في الديات رقـم (٢٦٩٣) ٨٩٨/٢، والإمام أحمد في المسند ٣١٦/٥، ٤٤٨/٦، قال المنذري في الترغيب والترهيب ٣٠٥/٣ رجاله رجال الصحيح. ، .

(٨) سورة الشورى آية : ٤٠.

رضي الله عنهما، وهو قول إبراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [1].

قوله تعالى وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ....

[٤٦] ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم ﴾ [2] أي: على آثار النبيين الذين أسلموا، ﴿ بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ ﴾ [3] أي: في الإنجيل ﴿ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا ﴾ [4]، يعني الإنجيل، ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [5].

[٤٧] ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ ﴾ [6]، قرأ الأعمش وحمزة (وَلِيَحْكُمَ) بكسر اللام ونصب الميم، أي: لكي يحكم، وقرأ الآخرون بسكون اللام وجزم الميم على الأمر، قال مقاتل بن حيان: أمر الله الربانيين والأحبار أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة، وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما في الإنجيل، فكفروا وقالوا: عزير ابن الله والمسيح ابن الله، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [7] الخارجون عن أمر الله عز وجل.

---

(١) سورة المائدة آية : ٤٥.
(٢) سورة المائدة آية : ٤٦.
(٣) سورة المائدة آية : ٤٦.
(٤) سورة المائدة آية : ٤٦.
(٥) سورة المائدة آية : ٤٦.
(٦) سورة المائدة آية : ٤٧.
(٧) سورة المائدة آية : ٤٧.

[٤٨] قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾[1] يا محمد ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[2] القرآن، ﴿ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[3] أي: من الكتب المنزلة من قبل، ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[4] عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي شاهدا عليه، وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكسائي، قال حسان:

إن الكتـاب مهـيمن لنبينـا والحـق يعرفـه ذوو الألبـاب

يريد: شاهدا ومصدقا، وقال عكرمة: دالًّا، وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة: مؤتمنا عليه، وقال الحسن: أمينا، وقيل: أصله مؤيمن مفيعل من أمين، كما قالوا: مُبيطر من البيطار، فقلبت الهمزة هاء كما قالوا: أرقت الماء وهرقته، وإيهات وهيهات، ونحوها. ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج: القرآن أمين على ما قبله من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: قاضيا، وقال الخليل: رقيبا وحافظا، والمعاني متقاربة، ومعنى الكل: أن كل كتاب يشهد بصدق القرآن فهو كتاب الله تعالى وإلا فلا ﴿ فَٱحْكُم ﴾[5] يا محمد ﴿ بَيْنَهُم ﴾[6] بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك، ﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[7] تعالى بالقرآن، ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[8] أي: لا تعرض عما جاءك

---

(١) سورة المائدة آية : ٤٨.

(٢) سورة المائدة آية : ٤٨.

(٣) سورة المائدة آية : ٤٨.

(٤) سورة المائدة آية : ٤٨.

(٥) سورة المائدة آية : ٤٨.

(٦) سورة المائدة آية : ٤٨.

(٧) سورة المائدة آية : ٤٨.

(٨) سورة المائدة آية : ٤٨.

من الحق ولا تتبع أهواءهم، ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [(١)]، قال ابن عباس والحسن ومجاهد: أي سبيلا وسنة، فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح، وكل ما شرعت فيه فهو شريعة وشرعة، ومنه شرائع الإسلام لشروع أهلها فيها، وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملة شريعة، قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين، فالتوراة شريعة والإنجيل شريعة والفرقان شريعة، والدين واحد وهو التوحيد. ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [(٢)] أي: على ملة واحدة، ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾ [(٣)] ليختبركم، ﴿ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ ﴾ [(٤)] من الكتب وبين لكم من الشرائع فيتبين المطيع من العاصي والموافق من المخالف، ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ ﴾ [(٥)] فبادروا إلى الأعمال الصالحة، ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [(٦)].

[٤٩] قوله ﷻ ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [(٧)] إليك ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [(٨)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا

---

(١) سورة المائدة آية : ٤٨.
(٢) سورة المائدة آية : ٤٨.
(٣) سورة المائدة آية : ٤٨.
(٤) سورة المائدة آية : ٤٨.
(٥) سورة المائدة آية : ٤٨.
(٦) سورة المائدة آية : ٤٨.
(٧) سورة المائدة آية : ٤٩.
(٨) سورة المائدة آية : ٤٩.

أحبار اليهود وأشرافهم وإنا إن اتبعناك لم يخالفنا اليهود، وإن بيننا وبين الناس خصومات فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك، ويتبعنا غيرنا. ولم يكن قصدهم الإيمان، وإنما كان قصدهم التلبيس ودعوته إلى الميل في الحكم فأنزل الله ﷻ الآية ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ [1] أي: أعرضوا عن الإيمان والحكـم بالقرآن، ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ ﴾ [2]، أي: فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [3] يعني اليهود ﴿ لَفَـٰسِقُونَ ۝٤٩ ﴾ [4].

[٥٠] ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ ﴾ [5] قرأ ابن عامر تبغون وقرأ الآخرون بالياء، أي: يطلبون، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [6].

قوله تعالى يَا أيهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تتخِذُوا الْيَهُودَ وَالنصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ....

[٥١] ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [7] اختلفوا في سبب نزول هذه الآية وإن كان حكمها عاما لجميع المؤمنين ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [8]

(١) سورة المائدة آية : ٤٩.
(٢) سورة المائدة آية : ٤٩.
(٣) سورة المائدة آية : ٤٩.
(٤) سورة المائدة آية : ٤٩.
(٥) سورة المائدة آية : ٥٠.
(٦) سورة المائدة آية : ٥٠.
(٧) سورة المائدة آية : ٥١.
(٨) سورة المائدة آية : ٥١.

في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ ﴾ [(١)] فيوافقهم ويعينهم، ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [(٢)].

[٥٢] ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [(٣)] أي: نفاق يعني عبد الله بن أُبي وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود، ﴿ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ [(٤)] في معونتهم وموالاتهم، ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ ﴾ [(٥)] دولة، يعني: أن يدول الدهر دولته فنحتاج إلى نصرهم إيانا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه: نخشى ألا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا، وقيل: نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جدب وقحط فلا يعطونا الميرة والقرض، ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ ﴾ [(٦)]، قال قتادة ومقاتل: بالقضاء من نصر محمد ﷺ على من خالفه، وقال الكلبي والسدي: فتح مكة، وقال الضحاك: فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك، ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ [(٧)]، قيل: بإتمام أمر محمد ﷺ وقيل: عذاب لهم، وقيل: إجلاء بني النضير، ﴿ فَيُصْبِحُوا۟ ﴾ [(٨)] يعني هؤلاء المنافقون، ﴿ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [(٩)] من موالاة اليهود ودس الأخبار إليهم ﴿ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [(١٠)].

---

(١) سورة المائدة آية : ٥١.
(٢) سورة المائدة آية : ٥١.
(٣) سورة المائدة آية : ٥٢.
(٤) سورة المائدة آية : ٥٢.
(٥) سورة المائدة آية : ٥٢.
(٦) سورة المائدة آية : ٥٢.
(٧) سورة المائدة آية : ٥٢.
(٨) سورة المائدة آية : ٥٢.
(٩) سورة المائدة آية : ٥٢.
(١٠) سورة المائدة آية : ٥٢.

[٥٣] (وَ) حينئذ، (يَقُولُ الذِينَ آمَنُوا) قرأ أهل الكـوفة: ﴿ وَيَقُولُ ﴾ [(١)] بالواو والرفـع على الاستئناف، وقرأ أهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفا على ﴿ أَن يَأْتِيَ ﴾ [(٢)] أي: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام، وكذلك هو في مصاحف أهل العالية، استغناء عن حرف العطف لملابسة هذه الآية بما قبلها، يعني يقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ [(٣)] حلفوا بالله، ﴿ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ۙ ﴾ [(٤)] أي: حلفوا بأغلظ الإيمان ﴿ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ ۚ ﴾ [(٥)] أي: إنهم لمؤمنون، يريد أن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل. قال الله تعالى: ﴿ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ [(٦)] بطل كل خير عملوه، ﴿ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ۝٥٣ ﴾ [(٧)] خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب.

[٥٤] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [(٨)] قرأ أهل المدينة والشام (يرتدد) بدالين على إظهار التضعيف ﴿ عَن دِينِهِۦ ﴾ [(٩)] فيرجع إلى الكفر، قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه، واختلفوا في أولئك

(١) سورة المائدة آية : ٥٣.
(٢) سورة المائدة آية : ٥٢.
(٣) سورة المائدة آية : ٥٣.
(٤) سورة المائدة آية : ٥٣.
(٥) سورة المائدة آية : ٥٣.
(٦) سورة المائدة آية : ٥٣.
(٧) سورة المائدة آية : ٥٣.
(٨) سورة المائدة آية : ٥٤.
(٩) سورة المائدة آية : ٥٤.

القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب ﷺ والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة، وقال قوم: المراد بقوله: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [(١)] هم الأشعريون، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال: ﴿ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ " هم قوم هذا "، وأشار إلى أبي موسى الأشعري ﴾ [(٢)] وكانوا من اليمن. قوله ﷻ ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(٣)] يعني: أرقاء رحماء، لقوله ﷻ ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [(٤)]، ولم يرد به الهوان، بل أراد أن جانبهم لين على المؤمنين. وقيل: هو الذل من قولهم دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون. قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [(٥)] ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [(٦)] أي: أشداء غلاظ على الكفار يعادونهم ويغالبونهم، من قولهم: عزه أي غلبه. قال عطاء: أذلة على المؤمنين: كالولد لوالده والعبد لسيده، أعزة على الكافرين: كالسبع على فريسته، نظيره قوله تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [(٧)]. ﴿ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [(٨)] يعني: لا يخافون في الله لوم الناس، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وروينا عن عبادة بن

(١) سورة المائدة آية : ٥٤.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣١٣/٢ وصححه على شرط مسلم، والطبراني ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد ١٦/٧، والطبري في التفسير ٤١٤/١٠. ، .

(٣) سورة المائدة آية : ٥٤.

(٤) سورة الإسراء آية : ٢٤.

(٥) سورة الفرقان آية : ٦٣.

(٦) سورة المائدة آية : ٥٤.

(٧) سورة الفتح آية : ٢٩.

(٨) سورة المائدة آية : ٥٤.

الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم [1]. ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [2] أي: محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتم على الكافرين، من فضل الله عليهم، ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [3].

[55] ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [4] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنا نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود، وقال: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، ﻓ ل فيهم من قوله: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾ [5]، إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [6] يعني عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله ﷺ. وقال جابر بن عبد الله: ﴿ جاء عبد الله بن سلام إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا، ﻓ لت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء ﴾، وعلى هذا التأويل أراد بقوله: ﴿ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝ ﴾ [7] صلاة التطوع بالليل والنهار، قاله ابن عباس، وقال السدي: قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ

(١) أخرجه البخاري في الأحكام ١٩٣/١٣، ومسلم في الإمارة برقم (١٧٠٩) ١٤٧٠/٣.
(٢) سورة المائدة آية : ٥٤.
(٣) سورة المائدة آية : ٥٤.
(٤) سورة المائدة آية : ٥٥.
(٥) سورة المائدة آية : ٥١.
(٦) سورة المائدة آية : ٥٥.
(٧) سورة المائدة آية : ٥٥.

رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1] أراد به: علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر به سائل وهو راكـع في المسجد فأعطاه خاتمه [2] وقال جُويبر عن الضحاك في قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [3] قال: هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض.

[٥٦] ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [4] يعني: يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار، ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ ﴾ [5] يعني أنصار دين الله، ﴿ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [6].

[٥٧] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ [7] الآية، قال ابن عباس: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادّونهما فأنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ [8] بإظهار ذلك بألسنتهم قولا وهم مستبطنون الكفر، ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [9]،

(١) سورة المائدة آية : ٥٥.
(٢) أخرجه الطبري ٤٢٥/١٠. . ،
(٣) سورة المائدة آية : ٥٥.
(٤) سورة المائدة آية : ٥٦.
(٥) سورة المائدة آية : ٥٦.
(٦) سورة المائدة آية : ٥٦.
(٧) سورة المائدة آية : ٥٧.
(٨) سورة المائدة آية : ٥٧.
(٩) سورة المائدة آية : ٥٧.

يعني: اليهود ﴿ وَٱلْكُفَّارَ ﴾[1]، قرأ أهل البصرة والكسائي وَالْكُفارِ بخفض الراء، يعني: ومن الكفار، وقرأ الآخرون بالنصب، أي: لا تتخذوا الكفار، ﴿ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2].

قوله تعالى وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصلاةِ اتخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ....

[٥٨] ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[3] قال الكلبي: كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، قاموا وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا، فأنزل الله ﷻ هذه الآية. وقال السدي: نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: حُرق الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار - وهو وأهله نيام - فتطايرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله. وقال الآخرون: إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الأنبياء قبلك، ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح العير؟ فما أقبح من صوت وما أسمج من أمر، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[4] الآية.

---

(١) سورة المائدة آية : ٥٧.

(٢) سورة المائدة آية : ٥٧.

(٣) سورة المائدة آية : ٥٨.

(٤) سورة فصلت آية : ٣٣.

[٥٩] قوله ﷻ ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ ﴾ [١] قال ابن عباس: ﴿ أتى النبي ﷺ نفر من اليهود، أبو يا سر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وغيرهما، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال: "أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل" إلى قوله: ﴿ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٨٤ ﴾ [٢] ﴾، فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينا شرا من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ ﴾ [٣] أي: تكرهون منا ﴿ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٥٩ ﴾ [٤] أي: هل تكرهون منا إلا إيماننا وفسقكم، أي: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحب الرياسة وحب الأموال، ثم قال:

[٦٠] ﴿ قُلۡ ﴾ [٥] يا محمد، ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُم ﴾ [٦] أخبركم، ﴿ بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ ﴾ [٧] الذي ذكرتم، يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء، وإن لم يكن الابتداء شرا لقوله تعالى: ﴿ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ ﴾ [٨]، ﴿ مَثُوبَةً ﴾ [١] ثوابا وجزاء، نُصب على التفسير، ﴿ عِندَ ٱللَّهِۚ

(١) سورة المائدة آية : ٥٩.
(٢) سورة آل عمران آية : ٨٤.
(٣) سورة المائدة آية : ٥٩.
(٤) سورة المائدة آية : ٥٩.
(٥) سورة المائدة آية : ٦٠.
(٦) سورة المائدة آية : ٦٠.
(٧) سورة المائدة آية : ٦٠.
(٨) سورة الحج آية : ٧٢.

﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [2] أي: هو من لعنه الله، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [3] يعني: اليهود، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [4] فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [5] أي: جعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سول له ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾ [6] عن طريق الحق.

[٦١] ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ﴾ [7] يعني: هؤلاء المنافقين، وقيل: هم الذين قالوا: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ [8]، دخلوا على النبي ﷺ وقالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ [9] بك وصدقناك فيما قلت، وهم يُسِرّون الكفر، ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ [10] يعني: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ۝٦١﴾ [11].

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٠.
(٢) سورة المائدة آية : ٦٠.
(٣) سورة المائدة آية : ٦٠.
(٤) سورة المائدة آية : ٦٠.
(٥) سورة المائدة آية : ٦٠.
(٦) سورة المائدة آية : ٦٠.
(٧) سورة المائدة آية : ٦١.
(٨) سورة آل عمران آية : ٧٢.
(٩) سورة المائدة آية : ٦١.
(١٠) سورة المائدة آية : ٦١.
(١١) سورة المائدة آية : ٦١.

[٦٢] ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ [(١)] يعني: من اليهود ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [(٢)]، قيل: الإثم المعاصي والعدوان الظلم، وقيل: الإثم ما كتموا من التوراة، والعدوان ما زادوا فيها، ﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ ﴾ [(٣)] الرشا، ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [(٤)].

[٦٣] ﴿ لَوْلَا ﴾ [(٥)] هلّا، ﴿ يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [(٦)] يعني: العلماء، قيل: الربانيون علماء النصارى والأحبار علماء اليهود، ﴿ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [(٧)].

[٦٤] ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ ﴾ [(٨)]، قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، أي: محبوسة مقبوضة من الرزق نسبوه إلى البخل، قيل: إنما قال هذه المقالة فنحاص، فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها. وقال الحسن: معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا ما يبر به قسمه

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٢.
(٢) سورة المائدة آية : ٦٢.
(٣) سورة المائدة آية : ٦٢.
(٤) سورة المائدة آية : ٦٢.
(٥) سورة المائدة آية : ٦٣.
(٦) سورة المائدة آية : ٦٣.
(٧) سورة المائدة آية : ٦٣.
(٨) سورة المائدة آية : ٦٤.

قدر ما عبد آباؤنا العجل، والأول أولى لقوله: ﴿ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ [(١)]، ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [(٢)] أي: أُمسكت أيديهم عن الخيرات. وقال الزجاج: أجابهم الله تعالى فقال: أنا الجواد وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسكة. وقيل: هو من الغل في النار يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ ﴾ [(٣)]، ﴿ وَلُعِنُواْ ﴾ [(٤)] عُذِّبوا ﴿ بِمَا قَالُواْ ۘ ﴾ [(٥)]، فمن لعنهم أنهم مُسخوا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا وفي الآخرة بالنار، ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [(٦)]، ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع، والبصر، والوجه، وقال جل ذكره: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ۖ ﴾ [(٧)]، وقال النبي ﷺ ﴿ كلتا يديه يمين ﴾ [(٨)] [(٩)] والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم. وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: " أمِرّوها كما جاءت بلا كيف "، ﴿ يُنفِقُ ﴾ [(١٠)] يرزق، ﴿ كَيۡفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ۚ ﴾ [(١١)] أي: كلما أنزل آية كفروا بها فازدادوا طغيانا وكفرا، ﴿ وَأَلۡقَيۡنَا

(١) سورة المائدة آية : ٦٤.

(٢) سورة المائدة آية : ٦٤.

(٣) سورة غافر آية : ٧١.

(٤) سورة المائدة آية : ٦٤.

(٥) سورة المائدة آية : ٦٤.

(٦) سورة المائدة آية : ٦٤.

(٧) سورة ص آية : ٧٥.

(٨) مسلم الإمارة (١٨٢٧), النسائي آداب القضاة (٥٣٧٩), أحمد (١٦٠/٢).

(٩) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة رقم (١٨٢٧) ١٤٥٨/٣. ، .

(١٠) سورة المائدة آية : ٦٤.

(١١) سورة المائدة آية : ٦٤.

﴿ بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ [1] يعني: بين اليهود والنصارى، قاله الحسن ومجاهد، وقيل بين طوائف اليهود جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ ﴾ [2] يعني: اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة، فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين، وقيل: كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا نار المحاربة أطفأها الله، فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه، هذا معنى قول الحسن، وقال قتادة: هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى اليهود في بلد إلا وجدتم من أذل الناس، ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [3].

قوله تعالى وَلَوْ أن أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتقَوْا لَكَفرْنَا عَنْهُمْ سَيئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَناتِ النعِيمِ....

[٦٥] ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ ﴾ [4] بمحمد ﷺ ﴿ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ [5] الكفر، ﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ [6].

[٦٦] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [7] يعني: أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما، ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [8] يعني: القرآن، وقيل: كتب أنبياء بني

(١) سورة المائدة آية : ٦٤.
(٢) سورة المائدة آية : ٦٤.
(٣) سورة المائدة آية : ٦٤.
(٤) سورة المائدة آية : ٦٥.
(٥) سورة المائدة آية : ٦٥.
(٦) سورة المائدة آية : ٦٥.
(٧) سورة المائدة آية : ٦٦.
(٨) سورة المائدة آية : ٦٦.

إسرائيل، ﴿ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ ﴾ [(1)] قيل: من فوقهم هو المطر، ومن تحت أرجلهم نبات الأرض. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الأرض. قال الفراء: أراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه ﴿ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ ﴾ [(2)] يعني: مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، مقتصدة أي عادلة غير غالية، ولا مقصرة جافية. ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير، ﴿ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ [(3)] كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ۝٦٦ ﴾ [(4)] بئس ما يعملون، بئس شيئا عملهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي ﷺ.

[٦٧] قوله ﷻ ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [(5)] قالت عائشة: من حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب، وهو يقول: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [(6)] [(7)] روى الحسن: أن الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعا وعرف أن من الناس من يكذبه، فـ لت هذه الآية [(8)] وقيل: نزلت في عيب اليهود، وذلك أن النبي ﷺ دعاهم إلى الإسلام، فقالوا: أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا، فلما

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٦.

(٢) سورة المائدة آية : ٦٦.

(٣) سورة المائدة آية : ٦٦.

(٤) سورة المائدة آية : ٦٦.

(٥) سورة المائدة آية : ٦٧.

(٦) سورة المائدة آية : ٦٧.

(٧) أخرجه البخاري في التفسير ٢٧٥/٨، ومسلم في الإيمان رقم (١٧٧) ١٥٩/١. ، .

(٨) أسباب الـ ول للواحدي ص (٢٣٢ - ٢٣٣)، الدر المنثور (١١٦/٣-١١٧). ، .

رأى النبي ﷺ ذلك سكت فـ لت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ ﴾ [(١)] الآية. وقيل: بلّغ ما أُنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلت في قصة اليهود، وقيل: نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها، وقيل: في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه، كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ ﴾ [(٢)]، كرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ ﴾ [(٣)] الآية. فكان النبي ﷺ يمسك في بعض الأحايين عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية. قوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [(٤)] قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر ويعقوب رِسَالاته على الجمع والباقون رسالته على التوحيد، ومعنى الآية: إن لم تبلغ الجميع وتركت بعضه فما بلغت شيئا، أي: جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل، وقيل: بلّغ ما أنزل إليك أي: أظهر تبليغـه، كقولـه: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ [(٥)] وإن لم تفعل فإن لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته، أمره بتبليغ ما أنزل إليه مجاهرا محتسبا صابرا، غير خائف، فإن أخفيتَ منه شيئا لخوف يلحقك فما بلغت رسالته، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [(٦)] يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته وأوذي بضروب من الأذى؟ قيل: معناه

(١) سورة المائدة آية : ٦٨.
(٢) سورة محمد آية : ٢٠.
(٣) سورة النساء آية : ٧٧.
(٤) سورة المائدة آية : ٦٧.
(٥) سورة الحجر آية : ٩٤.
(٦) سورة المائدة آية : ٦٧.

يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك. وقيل: نزلت هذه الآية بعد ما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن. وقيل: والله يخصك بالعصمة من بين الناس، لأن النبي ﷺ معصوم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1].

[٦٨] قوله ﷻ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[2]، أي: تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيهما، ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ ﴾[3] فلا تحزن، ﴿ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[4].

[٦٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾[5] قوله: (إن الذين آمنوا) أي: باللسان. وقوله: ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾[6] أي: بالقلب، وقيل: الذين آمنوا على حقيقة الإيمان (من آمن بالله)، أي: ثبت على الإيمان، ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٧.
(٢) سورة المائدة آية : ٦٨.
(٣) سورة المائدة آية : ٦٨.
(٤) سورة المائدة آية : ٦٨.
(٥) سورة المائدة آية : ٦٩.
(٦) سورة المائدة آية : ٦٩.
(٧) سورة المائدة آية : ٦٩.

[٧٠] قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [1] في التوحيد والنبوة، ﴿ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ ﴾ [2] عيسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهما، ﴿ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ۝٧٠ ﴾ [3] يحيى وزكريا.

قوله تعالى وَحَسِبُوا أَلا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُم تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُم عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ....

[٧١] ﴿ وَحَسِبُوٓاْ ﴾ [4] ظنوا، ﴿ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ [5] أي: عذاب وقتل، وقيل: ابتلاء واختبار، أي: ظنوا أن لا يُبتلوا ولا يُعذبهم الله، ﴿ فَعَمُواْ ﴾ [6] عن الحق فلم يبصروه، ﴿ وَصَمُّواْ ﴾ [7] عنه فلم يسمعوه، يعني عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه، ﴿ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [8] ببعث عيسى عليه السلام، ﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ ﴾ [9] بالكفر بمحمد ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ۝٧١ ﴾ [10].

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٠.
(٢) سورة المائدة آية : ٧٠.
(٣) سورة المائدة آية : ٧٠.
(٤) سورة المائدة آية : ٧١.
(٥) سورة المائدة آية : ٧١.
(٦) سورة المائدة آية : ٧١.
(٧) سورة المائدة آية : ٧١.
(٨) سورة المائدة آية : ٧١.
(٩) سورة المائدة آية : ٧١.
(١٠) سورة المائدة آية : ٧١.

[٧٢] ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ (١) وهم الملكانية واليعقوبية منهم، ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٢).

[٧٣] ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ ﴾ (٣) يعني: المرقوسية، وفيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة، لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة، يبين هذا قوله ﷻ للمسيح: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ (٤)؟ ثم قال ردا عليهم: ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ﴾ (٥) ليصيبن، ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٦) خص الذين كفروا لعلمه أن بعضهم يؤمنون.

[٧٤] ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ ﴾ (٧) قال الفراء: هذا أمر بلفظ الاستفهام كقوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (٨) أي: انتهوا، والمعنى: أن الله يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم، ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ (١).

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٢.

(٢) سورة المائدة آية : ٧٢.

(٣) سورة المائدة آية : ٧٣.

(٤) سورة المائدة آية : ١١٦.

(٥) سورة المائدة آية : ٧٣.

(٦) سورة المائدة آية : ٧٣.

(٧) سورة المائدة آية : ٧٤.

(٨) سورة المائدة آية : ٩١.

[٧٥] ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ ﴾ [٢] مضت، ﴿ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [٣] أي: ليس هو بإله بل هو كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة، ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [٤] أي: كثيرة الصـدق. وقيل: سميت صديقـة لأنا صدقت بآيات الله، كما قـال ﷻ في وصفهـا: ﴿ وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا ﴾ [٥]، ﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ [٦] أي: كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر الآدميين، فكيف يكون إلها من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟! وقيل: هذا كناية عن الحدث. وذلك أن من أكل وشرب لا بد له من البول والغائط، ومن هذه صفته كيف يكون إلها؟ ثم قال: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٧٥ ﴾ [٧] أي يصرفون عن الحق.

[٧٦] ﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٧٦ ﴾ [٨].

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٤.
(٢) سورة المائدة آية : ٧٥.
(٣) سورة المائدة آية : ٧٥.
(٤) سورة المائدة آية : ٧٥.
(٥) سورة التحريم آية : ١٢.
(٦) سورة المائدة آية : ٧٥.
(٧) سورة المائدة آية : ٧٥.
(٨) سورة المائدة آية : ٧٦.

قوله تعالى قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ....

[٧٧] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [١] أي: لا تتجاوزوا الحد والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين، وقوله: ﴿ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [٢] أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ ﴾ [٣] والأهواء جمع الهوى وهو ما تدعو إليه شهوة النفس ﴿ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ [٤] يعني: رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى، والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم، ﴿ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾ [٥]، يعني: من اتبعهم على أهوائهم، ﴿ وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧ ﴾ [٦] عن قصد الطريق، أي: بالإضلال، فالضلال الأول من الضلالة، والثاني بإضلال من اتبعهم.

[٧٨] ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ ﴾ [٧]، يعني: أهل أيلة لما اعتدوا في السبت، وقال داود عليه السلام: اللهم العنهم واجعلهم آية؛ فمسخوا قردة وخنازير، ﴿ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [٨] أي: على لسان عيسى عليه السلام

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٧.
(٢) سورة المائدة آية : ٧٧.
(٣) سورة المائدة آية : ٧٧.
(٤) سورة المائدة آية : ٧٧.
(٥) سورة المائدة آية : ٧٧.
(٦) سورة المائدة آية : ٧٧.
(٧) سورة المائدة آية : ٧٨.
(٨) سورة المائدة آية : ٧٨.

يعني كفار أصحاب المائدة، لما لم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم آية؛ فمسخوا خنازير، ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[1].

[٧٩] ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾[2] أي: لا ينهى بعضهم بعضا ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[3].

[٨٠] قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾[4] قيل: من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[5] مشركي مكة حين خرجوا إليهم يجيشون على النبي ﷺ وقال ابن عباس ومجاهد والحسن: منهم يعني من المنافقين يتولون اليهود، ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾[6] بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة؟ ﴿ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[7] غضب الله عليهم، ﴿ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[8].

[٨١] ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ ﴾[9] محمد ﷺ ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ ﴾[10] يعني القرآن، ﴿ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ ﴾[1] يعني الكفار، ﴿ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[2] أي: خارجون عن أمر الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٨.
(٢) سورة المائدة آية : ٧٩.
(٣) سورة المائدة آية : ٧٩.
(٤) سورة المائدة آية : ٨٠.
(٥) سورة المائدة آية : ٨٠.
(٦) سورة المائدة آية : ٨٠.
(٧) سورة المائدة آية : ٨٠.
(٨) سورة المائدة آية : ٨٠.
(٩) سورة المائدة آية : ٨١.
(١٠) سورة المائدة آية : ٨١.

[٨٢] قوله ﷻ : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [٣] يعني مشركي العرب، ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ [٤] لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه، وقيل: نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى، لأن اليهود أقسى قلبا والنصارى ألين قلبا منهم، وكانوا أقل مظاهرة للمشركين من اليهود ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ ﴾ [٥] أي: علماء، قال قطرب: القس والقسيس العالم بلغة الروم، ﴿ وَرُهْبَانًا ﴾ [٦] الرهبان العبّاد أصحاب الصوامع واحدهم راهب، مثل فارس وفرسان وراكب وركبان، وقد يكون واحدا وجمعه رهابين، مثل قربان وقرابين، ﴿ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٧] لا يتعظمون عن الإيمان والإذعان للحق.

(١) سورة المائدة آية : ٨١.
(٢) سورة المائدة آية : ٨١.
(٣) سورة المائدة آية : ٨٢.
(٤) سورة المائدة آية : ٨٢.
(٥) سورة المائدة آية : ٨٢.
(٦) سورة المائدة آية : ٨٢.
(٧) سورة المائدة آية : ٨٢.

قوله تعالى وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرسُول تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدمْعِ مِما عَرَفُوا مِنَ الْحَق....

[٨٣] ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ [١] محمد ﷺ ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ ﴾ [٢] تسيل، ﴿ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ [٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء: يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهيعص، فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة. ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ ﴾ [٤] يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [٥].

[٨٤] ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [٦] وذلك أن اليهود عيّروهم وقالوا لهم: لِمَ آمنتم؟ فأجابوهم بذا، ﴿ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٤ ﴾ [٧] أي: في أمة محمد ﷺ بيانه ﴿ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥ ﴾ [٨].

---

(١) سورة المائدة آية : ٨٣.
(٢) سورة المائدة آية : ٨٣.
(٣) سورة المائدة آية : ٨٣.
(٤) سورة المائدة آية : ٨٣.
(٥) سورة البقرة آية : ١٤٣.
(٦) سورة المائدة آية : ٨٤.
(٧) سورة المائدة آية : ٨٤.
(٨) سورة الأنبياء آية : ١٠٥.

[٨٥] ﴿ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [١] أعطاهم الله، ﴿ بِمَا قَالُواْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ﴾ [٢]، وإنما أنجح قولهم وعلق الثواب بالقول لاقترانه بـالإخـلاص، بـدليـل قوله: ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [٣] يعني: الموحدين المؤمنين، وقوله: ﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ ﴾ [٤] يدل على أن الإخلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون إيمانا.

[٨٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ [٥].

[٨٧] قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [٦] يعني: اللذات التي تشتهيها النفوس مما أحل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة، ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ ﴾ [٧] ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٨].

[٨٨] ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾ [٩] قال عبد الله بن المبارك: الحلال ما أخذته من وجهه، والطيب ما غذى وأنمى، فأما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه إلا على وجـه الـتـداوي، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [١].

---

(١) سورة المائدة آية : ٨٥.
(٢) سورة المائدة آية : ٨٥.
(٣) سورة المائدة آية : ٨٥.
(٤) سورة المائدة آية : ٨٣.
(٥) سورة المائدة آية : ٨٦.
(٦) سورة المائدة آية : ٨٧.
(٧) سورة المائدة آية : ٨٧.
(٨) سورة المائدة آية : ٨٧.
(٩) سورة المائدة آية : ٨٨.

[٨٩] قوله ﷻ ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ﴾ [٢] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (عَقَدْتُم) بالتخفيف، وقرأ ابن عامر (عاقدتم) بالألف، وقرأ الآخرون ﴿ عَقَّدتُّمُ ﴾ [٣] بالتشديد، أي: وكّدتم، والمراد من الآية قصدتم وتعمدتم ﴿ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ ﴾ [٤] أي: كفارة ما عقدتم الإيمان إذا حنثتم، ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ [٥] أي: من خير قوت عيالكم، وقال عبيدة السلماني: الأوسط الخبز والخل، والأعلى الخبز واللحم، والأدنى الخبز البحت والكل مُجْزٍ، قوله تعالى: ﴿ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [٦] كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخير: إن شاء أطعم عشرة من المساكين، وإن شاء كساهم، وإن شاء أعتق رقبة. قوله ﷻ ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [٧] إذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الطعام والكسوة وتحرير الرقبة، يجب عليه صوم ثلاثة أيام، والعجز أن لا يفضل من ماله عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم أو يكسو أو يعتق فإنه يصوم ثلاثة أيام، وقال بعضهم: إذا ملك ما يمكنه الإطعام وإن لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [٨] أي: ذلك الذي ذكرت، ﴿ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ [٩] وحنثتم، فإن الكفارة لا تجب

---

(١) سورة المائدة آية : ٨٨.
(٢) سورة المائدة آية : ٨٩.
(٣) سورة المائدة آية : ٨٩.
(٤) سورة المائدة آية : ٨٩.
(٥) سورة المائدة آية : ٨٩.
(٦) سورة المائدة آية : ٨٩.
(٧) سورة المائدة آية : ٨٩.
(٨) سورة المائدة آية : ٨٩.
(٩) سورة المائدة آية : ٨٩.

إلا بعد الحنث. قوله ﷻ ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَـٰنَكُمۡۚ ﴾ [1] قيل: أراد به ترك الحلف، أي: لا تحلفوا، وقيل - وهو الأصح -: أراد به إذا حلفتم فلا تحنثوا، فالمراد منه حفظ اليمين عن الحنث هذا إذا لم يكن يمينه على ترك مندوب أو فعل مكروه، فإن حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب فالأفضل أن يُحنث نفسه ويكفّر ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [2].

قوله تعالى يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا إِنمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشيْطَانِ....

[٩٠] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ ﴾ [3] أي: القمار، ﴿ وَٱلۡأَنصَابُ ﴾ [4] يعني: الأوثان، وسميت بذلك لأنم كانوا ينصبونا، واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد، ونصب بضم النون مخففا ومثقلا، ﴿ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ ﴾ [5] يعني: القِداح التي يستقسمون با واحدها زلم وزلم، ﴿ رِجۡسٌ ﴾ [6] خبيث مستقذر، ﴿ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ ﴾ [7] من تزيينه، ﴿ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ [8] رد الكناية إلى الرجس، ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [9].

(١) سورة المائدة آية : ٨٩.
(٢) سورة المائدة آية : ٨٩.
(٣) سورة المائدة آية : ٩٠.
(٤) سورة المائدة آية : ٩٠.
(٥) سورة المائدة آية : ٩٠.
(٦) سورة المائدة آية : ٩٠.
(٧) سورة المائدة آية : ٩٠.
(٨) سورة المائدة آية : ٩٠.
(٩) سورة المائدة آية : ٩٠.

[٩١] ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ (١) أما العداوة في الخمر فإن الشاربين إذا سكروا عربدوا وتشاجروا، كما فعل الأنصاري الذي شج سعد بن أبي وقاص بلحي الجمل، وأما العداوة في الميسر، قال قتادة: كان الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الأهل والمال مغتاظا على حرفائه، ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (٢) وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر والقمار ألهاه ذلك عن ذكر الله، وشوش عليه صلاته كما فعل بأضياف عبد الرحمن بن عوف، وتقدم رجل ليصلي بهم صلاة المغرب بعدما شربوا فقرأ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ (٣)، أعبد ما تعبدون، بحذف لا، ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ ﴾ (٤) أي: انتهوا، لفظه استفهام ومعناه أمر، كقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ۝٨٠ ﴾ (٥)؟

[٩٢] ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ﴾ (٦) المحارم والمناهي، ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٩٢ ﴾ (٧).

[٩٣] قوله ﷻ: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ (٨) الآية، سبب نزول هذه الآية أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا لما نزل

(١) سورة المائدة آية : ٩١.
(٢) سورة المائدة آية : ٩١.
(٣) سورة الكافرون آية : ١.
(٤) سورة المائدة آية : ٩١.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٨٠.
(٦) سورة المائدة آية : ٩٢.
(٧) سورة المائدة آية : ٩٢.
(٨) سورة المائدة آية : ٩٣.

تحريم الخمر: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ [1] وشربوا من الخمر وأكلوا من مال الميسر ﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ ﴾ [2] الشرك، ﴿ وَّءَامَنُواْ ﴾ [3] وصدّقوا، ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ ﴾ [4] الخمر والميسر بعد تحريمهما، ﴿ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ ﴾ [5] ما حرم الله عليهم أكله وشربه، ﴿ وَّأَحۡسَنُواْۚ ﴾ [6] ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣ ﴾ [7]، وقيل: معنى الأول إذ ما اتقوا الشرك، وآمنوا وصدقوا ثم اتقوا، أي: داوموا على ذلك التقوى، وآمنوا وازدادوا إيمانا، ثم اتقوا المعاصي كـلها وأحسنوا، وقيل: أي: اتقوا بالإحسـان وكـل محسن متق، والله يحب المحسنين.

[٩٤] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ﴾ [8] الآية، نزلت عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم الله بالصيد، وكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتا فهمّوا بأخذها فـ لت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [9] ليختبرنكم الله، وفائدة البلوى إظهار المطيع من العاصي وإلا فلا حاجة له إلى البلوى بشيء من الصيد،

(١) سورة المائدة آية : ٩٣.
(٢) سورة المائدة آية : ٩٣.
(٣) سورة المائدة آية : ٩٣.
(٤) سورة المائدة آية : ٩٣.
(٥) سورة المائدة آية : ٩٣.
(٦) سورة المائدة آية : ٩٣.
(٧) سورة المائدة آية : ٩٣.
(٨) سورة المائدة آية : ٩٤.
(٩) سورة المائدة آية : ٩٤.

وإنما بعض فقال ﴿ بِشَيْءٍ ﴾ [(١)] لأنه ابتلاهم بصيد البر خاصة. ﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ ﴾ [(٢)] يعني: الفرخ والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد، ﴿ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ [(٣)] يعني: الكبار من الصيد، ﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ﴾ [(٤)] ليرى الله لأنه قد علمه، ﴿ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾ [(٥)] أي: يخاف الله ولم يره، كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ [(٦)] أي: يخافه فلا يصطاد في حال الإحرام ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ [(٧)] أي: صاد بعد تحريمه، ﴿ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ [(٨)].

[٩٥] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ ﴾ [(٩)] أي: محرمون بالحج والعمرة، وهو جمع حرام، يقال: رجل حرام وامرأة حرام، وقد يكون من دخول الحرم، يقال: أحرم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرم إذا دخل الحرم ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾ [(١٠)] اختلفوا في هذا العمد فقال قوم: هو العمد لقتل الصيد مع نسيان الإحرام، أما إذا قتله عمدا وهو ذاكر لإحرامه فلا حكم عليه، وأمره إلى الله لأنه أعظم من أن يكون له كفارة، هذا قول مجاهد والحسن، وقال الآخرون: هو أن يعمد المحرم قتل

---

(١) سورة المائدة آية : ٩٤.
(٢) سورة المائدة آية : ٩٤.
(٣) سورة المائدة آية : ٩٤.
(٤) سورة المائدة آية : ٩٤.
(٥) سورة المائدة آية : ٩٤.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٤٩.
(٧) سورة المائدة آية : ٩٤.
(٨) سورة المائدة آية : ٩٤.
(٩) سورة المائدة آية : ٩٥.
(١٠) سورة المائدة آية : ٩٥.

الصيد ذاكرا لإحرامه فعليه الكفارة، واختلفوا فيما لو قتله خطأ، فذهب أكثر الفقهاء إلى أن العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة، وقال الزهري: على المتعمد بالكتاب وعلى المخطئ بالسنة، وقال سعيد بن جبير: لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ، بل يختص بالعمد. قوله ﷻ ﴿ فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ [1] معناه أنه يجب عليه مثل ذلك الصيد من النعم، وأراد به ما يقرب من الصيد المقتول شبها من حيث الخلقة لا من حيث القيمة، ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [2] أي: يحكم بالجزاء رجلان عدلان، وينبغي أن يكونا فقيهين ينظران إلى أشبه الأشياء من النعم فيحكمان به ﴿ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ [3] أي: يهدي تلك الكفارة إلى الكعبة، فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم، ﴿ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ [4]، قال الفراء رحمه الله: العِدْل بالكسر: المثل من جنسه، والعَدْل بالفتح: المثل من غير جنسه، وأراد به أنه في جزاء الصيد مخير بين أن يذبح المثل من النعم فيتصدق بلحمه على مساكين الحرم، وبين أن يقوّم المثل دراهم، والدراهم طعاما فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم، أو يصوم عن كل مُد من الطعام يوما وله أن يصوم حيث شاء لأنه لا نفع فيه للمساكين. وقال مالك إن لم يخرج المثل يقوّم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به، أو يصوم، وقال أبو حنيفة ﵁ لا يجب المثل من النعم بل يقوّم الصيد، فإن شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النعم، وإن شاء إلى الطعام فيتصدق به، وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوما، وقال الشعبي والنخعي جزاء الصيد على الترتيب، والآية حجة لمن ذهب إلى التخيير. قوله

(١) سورة المائدة آية : ٩٥.

(٢) سورة المائدة آية : ٩٥.

(٣) سورة المائدة آية : ٩٥.

(٤) سورة المائدة آية : ٩٥.

تعالى: ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ﴾ [(١)] أي: جزاء معصيته، ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ [(٢)] يعني: قبـل التحريم ونزول الآية، قال السدي: عفا الله عما سلف في الجاهلية، ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ [(٣)] في الآخرة. ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝ ﴾ [(٤)]، وإذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد عليه الجزاء عند عامة أهل العلم.

قوله تعالى أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسيارَةِ وَحُرِمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَر مَا دُمْتُمْ حُرُمًا....

[٩٦] قوله ﷻ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ [(٥)] والمراد بالبحر جميع المياه، قال عمر رضي الله عنه " صيده ما اصطيد وطعامه ما رمي به ". وعن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة: طعامه ما قذفه الماء إلى الساحل ميتا. وقال قوم: هو المالح منه، وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة وسعيد بن المسيب وقتادة والنخعي، وقال مجاهد: صيده: طريّه، وطعامه: مالحه، متاعا لكم أي: منفعة لكم، وللسيارة يعني: المارّة. قوله تعالى ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ ﴾ [(٦)]، صيد البحر حلال للمحرم، كما هو حلال لغير المحرم، أما صيد البر فحرام على المحرم وفي الحرم، والصيد هو الحيوان الوحشي الذي يحل أكله، أما ما لا يحل أكله فلا يحرم بسبب الإحرام، وللمحرم أخذه وقتله.

---

(١) سورة المائدة آية : ٩٥.
(٢) سورة المائدة آية : ٩٥.
(٣) سورة المائدة آية : ٩٥.
(٤) سورة المائدة آية : ٩٥.
(٥) سورة المائدة آية : ٩٦.
(٦) سورة المائدة آية : ٩٦.

[٩٧] قوله ﷻ ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [١]، قال مجاهد: سميت كعبة لتربيعها والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة، قال مقاتل: سميت كعبة لانفرادها من البناء، وقيل: سميت كعبة لارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج والارتفاع، وسمي الكعب كعبا لنتوئه وخروجه من جانبي القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثديها: تكعبت، وسمي البيت الحرام لأن الله تعالى حرمه وعظم حرمته. قال النبي ﷺ ﴿ إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ﴾ [٢] [٣] ﴿ قِيَمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [٤]، قرأ ابن عامر (قيما) بلا ألف والآخرون قياما بالألف، أي: قواما لهم في أمر دينهم ودنياهم، أما الدين لأن به يقوم الحج والمناسك، وأما الدنيا فيما يجبى إليه من الثمرات، وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة فلا يتعرض لهم أحد في الحرم، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ ﴾ [٥]؟ ﴿ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [٦] أراد به الأشهر الحرم، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، أراد أنه جعل الأشهر الحرم قياما للناس يأمنون فيها القتال، ﴿ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ﴾ [٧] أراد أنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدي، فذلك القوام فيه، ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ

---

(١) سورة المائدة آية : ٩٧.

(٢) البخاري المغازي (٤٠٥٩), مسلم الحج (١٣٥٣), النسائي مناسك الحج (٢٨٩٢), أحمد (٢٥٣/١).

(٣) رواه البخاري في المغازي ٢٦/٨، ومسلم (١٣٥٣) بنحوه في الحج، والمصنف في شرح السنة ٢٩٤/٧.

(٤) سورة المائدة آية : ٩٧.

(٥) سورة العنكبوت آية : ٦٧.

(٦) سورة المائدة آية : ٩٧.

(٧) سورة المائدة آية : ٩٧.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧﴾ [1]، فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله؟ قيل: أراد الله ﷻ جعل الكعبة قياما للناس لأن الله تعالى يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وقال الزجاج: قد سبق في هذه السورة الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار، مثل قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [2] ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك، فقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [3] راجع إليه.

[٩٨] ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [4].

[٩٩] ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [5] التبليغ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩﴾ [6].

[١٠٠] ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [7] أي: الحلال والحرام، ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ﴾ [8] سرك، ﴿كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [9]، ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾ [10].

---

(١) سورة المائدة آية : ٩٧.
(٢) سورة المائدة آية : ٤١.
(٣) سورة المائدة آية : ٩٧.
(٤) سورة المائدة آية : ٩٨.
(٥) سورة المائدة آية : ٩٩.
(٦) سورة المائدة آية : ٩٩.
(٧) سورة المائدة آية : ١٠٠.
(٨) سورة المائدة آية : ١٠٠.
(٩) سورة المائدة آية : ١٠٠.
(١٠) سورة المائدة آية : ١٠٠.

[١٠١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [(١)] أي: إن تظهر لكم تسؤكم، أي: إن أمرتم بالعمل بها ﴿ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ ﴾ [(٢)]، معناه صبرتم حتى ي ل القرآن بحكم من فرض أو ني أو حكم، وليس في ظاهره شرح ما بكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه، فإذا سألتم عنها حينئذ تبد لكم، ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ ﴾ [(٣)].

[١٠٢] ﴿ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [(٤)] كما سألت ثمود صالحا الناقة وسأل قوم عيسى المائدة، ﴿ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢ ﴾ [(٥)] فأهلكوا، قال أبو ثعلبة الخشني: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها.

[١٠٣] ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ ﴾ [(٦)] أي: ما أنزل الله ولا أمر به، ﴿ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ ﴾ [(٧)] قال ابن عباس: البحيرة هي الناقة التي كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنا، أي: شقوها وتركوا الحمل عليها ولم يركبوها، ولم يجزّوا وبرها، ولم يمنعوها الماء والكلأ، وقال أبو عبيدة: السائبة البعير الذي يسيب، وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض أو غاب له قريب نذر فقال: إن شفاني الله تعالى أو شُفي مريضي أو عاد غائبي فناقتي هذه سائبة، ثم يسيبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحد

---

(١) سورة المائدة آية : ١٠١.

(٢) سورة المائدة آية : ١٠١.

(٣) سورة المائدة آية : ١٠١.

(٤) سورة المائدة آية : ١٠٢.

(٥) سورة المائدة آية : ١٠٢.

(٦) سورة المائدة آية : ١٠٣.

(٧) سورة المائدة آية : ١٠٣.

فكانت بمنزلة البحيرة، وأما الوصيلة: فمن الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكرا ذبحوه فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركوها في الغنم، وإن كان ذكرا وأنثى استحيوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه، وكان لبن الأنثى حراما على النساء، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعا، وأما الحام: فهو الفحل إذا رُكب ولد ولده، ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: حُمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلأ ولا ماء، فإذا مات أكله الرجال والنساء ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ ﴾ [1] في قولهم الله أمرنا بها، ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [2].

قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا....

[١٠٤] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ [3] في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام، ﴿ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ ﴾ [4] من الدين، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [5].

[١٠٥] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ [6] عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة المائدة آية : ١٠٣.
(٢) سورة المائدة آية : ١٠٣.
(٣) سورة المائدة آية : ١٠٤.
(٤) سورة المائدة آية : ١٠٤.
(٥) سورة المائدة آية : ١٠٤.
(٦) سورة المائدة آية : ١٠٥.

ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[1]، وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه ﴾[2] [3] وفي رواية: ﴿ لتأمُرن بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليسلطن الله سبحانه وتعالى عليكم شراركـم فليسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعون الله ﷻ خيارُكم فلا يستجاب لكـم ﴾[4] [5] قال أبو عبيدة: خاف الصدّيق أن يتأول الناس الآية غير متأولها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعلمهم أنها ليست كذلك وأن الذي أذن في الإمساك عن تغييره من المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به، وقد صُولحوا عليه، فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الآية في اليهود والنصارى، يعني: عليكـم أنفسكـم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم، وعن ابن عباس قال في هذه الآية: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم، قوله عز وجـل: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعًا ﴾[6] الـضـال والمهتدي، ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة آية : ١٠٥.

(٢) الترمذي الفتن (٢١٦٨), أبو داود الملاحم (٤٣٣٨), ابن ماجه الفتن (٤٠٠٥), أحمد (٧/١).

(٣) أخرجه أبو داود في الملاحم ١٨٧/٦، والترمذي في الفتن ٣٨٨/٦ وقال حسن صحيح، والمصنف في شرح السنة ٣٤٤/١٤، وصححه ابن حبان ص ٤٥٥. ، .

(٤) الترمذي الفتن (٢١٦٩).

(٥) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير، وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، وأشار لحسنه، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٩٢/١٣. ، .

(٦) سورة المائدة آية : ١٠٥.

(٧) سورة المائدة آية : ١٠٥.

[١٠٦] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ﴾ (١) أي: ليشهد اثنان، لفظه خبر ومعناه أمر، وقيل: إن معناه: أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان، واختلفوا في هذين الاثنين، فقال قوم: هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي، وقال الآخرون: هما الوصيان ولا يلزم الشاهد يمين، وجعل الوصي اثنين تأكيدا، فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك: شهدتُ وصية فلان، بمعنى حضرت، قال الله تعالى: ﴿ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ﴾ (٢) يريد الحضور، ﴿ ذَوَا عَدۡلٖ ﴾ (٣) أي: أمانة وعقل، ﴿ مِّنكُمۡ ﴾ (٤) أي: من أهل دينكـــم يا معشر المؤمنين، ﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ (٥) أي: من غير دينكم وملتكم في قول أكثر المفسرين ثم اختلف هؤلاء في حكم الآية، فقال النخعي وجماعة: هي منسوخة وكانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت، وذهب قوم إلى أنها ثابتة، وقالوا: إذا لم نجد مسلمين فنشهد كافرين، وقال شريح: من كان بأرض غربة ولم يجد مسلما يُشهده على وصيته فأشهد كافرين على أي دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الأوثان، فشهادتهم جائزة، ولا تجوز شهادة كافر على مسلم إلا على وصية في سفر، وقال آخرون: قوله ﴿ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ (٦) أي: من حي الموصي أو آخران من غير حيّكم وعشيرتكم، وهو قول الحسن والزهري وعكرمة، وقالوا: لا تجوز

(١) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٢) سورة النور آية : ٢.
(٣) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٤) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٥) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٦) سورة المائدة آية : ١٠٦.

شهادة كافر في شيء من الأحكام، ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ ﴾ [١] سرتم وسافرتم، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ [٢]، فأوصيتم إليهما ودفعتم إليهما مالكم فاتمتهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أنْ ﴿ تَحۡبِسُونَهُمَا ﴾ [٣] أي: تستوقفونما، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [٤] أي: بعد الصلاة، و(من) صلة يريد بعد صلاة العصر لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت، ويجتنبون فيه الحلف الكاذب، وقال السدي: من بعد صلاة أهل دينهما وملتهما لأنما لا يباليان بصلاة العصر، ﴿ فَيُقۡسِمَانِ ﴾ [٥] يحلفان، ﴿ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ ﴾ [٦] أي: شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما، أي: في قول اللذين ليسا من أهل ملتكم، فإن كانا مسلمين فلا يمين عليهما، ﴿ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ [٧] أي: لا نحلف بالله كاذبين على عوض نأخذه أو مال نذهب به أو حق نجحده، ﴿ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ ﴾ [٨] ولو كان المشهود له ذا قرابة منا، ﴿ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ [٩] أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها، وقرأ يعقوب (شَهَادَةً)، بتنوين، (الله) ممدود، وجعل الاستفهام عوضا من حرف القسم، ويروى عن أبي جعفر (شَهَادَةً) منونة (الله) بقطع الألف وكسر الهاء من غير استفهام على

(١) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٢) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٣) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٤) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٥) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٦) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٧) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٨) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٩) سورة المائدة آية : ١٠٦.

ابتداء اليمين، أي: والله، ﴿ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ ﴾[1]، أي: إن كتمناها كنا من الآثمين.

[١٠٧] ﴿ فَإِنۡ عُثِرَ ﴾[2] أي: اطلع على خيانتهما، وأصل العثور: الوقوع على الشيء، ﴿ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ﴾[3] يعني: الوصيين ﴿ ٱسۡتَحَقَّآ ﴾[4] استوجبا، ﴿ إِثۡمٗا ﴾[5] بخيانتهما وبأيمانهما الكاذبة، ﴿ فَـَٔاخَرَانِ ﴾[6] من أولياء الميت، ﴿ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾[7] يعني: مقام الوصيين، ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ ﴾[8] بضم التاء على المجهول، هذا قراءة العامة، يعني: الذين استحق، ﴿ عَلَيۡهِمُ ﴾[9] أي: فيهم ولأجلهم الإثم وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الإثم، و(على) بمعنى في، كما قال الله: ﴿ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ ﴾[10]، وقرأ حفص ﴿ ٱسۡتَحَقَّ ﴾[11] بفتح التاء والحاء، وهي قراءة علي والحسن، أي: حق ووجب عليهم الإثم، يقال: حق واستحق بمعنى واحد، ﴿ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ ﴾[12] نـعـت

---

(١) سورة المائدة آية : ١٠٦.
(٢) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٣) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٤) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٥) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٦) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٧) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٨) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٩) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(١١) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(١٢) سورة المائدة آية : ١٠٧.

لـلآخـران، أي: فـآخـران الأوليان، وإنما جاز ذلك و ﴿ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ ﴾ [1] معرفة والآخران نكرة لأنه لما وصف الآخران فقال (من الذين) صار كالمعرفة في المعنى و (الأوليان) تثنية الأولى، والأولى هو الأقرب، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (الأَوَّلِيْنَ) بالجمع فيكون بدلا من الذين، والمراد منهم أيضا أولياء الميت، ومعنى الآية: إذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنان آخران من أقارب الميت، ﴿ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾ [2]، يعني: يميننا أحق من يمينهما، نظيره قوله تعالى في اللعان: ﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ﴾ [3] والمراد بها الأيمان، فهو كقول القائل: أشهد بالله، أي: أقسم بالله، ﴿ وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ ﴾ [4] في أيماننا وقولنا أن شهادتنا أحق من شهادتهما، ﴿ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧ ﴾ [5] والوصي إذا أخذ شيئا من مال الميت وقال: إنه أوصى لي به حلف الوارث إذا أنكر ذلك، وكذلك لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي، حلف المدعي أنه لم يبعها منه.

[١٠٨] ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ ﴾ [6] ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أجدر وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم، أي: أقرب إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت، ﴿ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ

(١) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٢) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٣) سورة النور آية : ٦.
(٤) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٥) سورة المائدة آية : ١٠٧.
(٦) سورة المائدة آية : ١٠٨.

﴿ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ ﴾ [1] أي: أقرب إلى أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعي، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [2] أن تحلفوا أيمانا كاذبة أو تخونوا الأمانة، ﴿ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ ﴾ [3] الموعظة، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [4].

قوله تعالى يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرسُلَ فَيقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيوبِ....

[١٠٩] قوله ﷻ: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ [5]، وهو يوم القيامة، ﴿ فَيَقُولُ ﴾ [6] لهم، ﴿ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ ﴾ [7] أي: ما الذي أجابتكم أمتكم؟ وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم إلى توحيدي وطاعتي؟ ﴿ قَالُوا۟ ﴾ [8] أي: فيقولون، ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ ﴾ [9]، قال ابن عباس معناه: لا علم لنا إلا العلم الذي أنت أعلم به منا، وقيل: لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيانا عن أمر أنت أعلم به منا، وقال ابن جريج: لا علم لنا بعاقبة

---

(١) سورة المائدة آية : ١٠٨.
(٢) سورة المائدة آية : ١٠٨.
(٣) سورة المائدة آية : ١٠٨.
(٤) سورة المائدة آية : ١٠٨.
(٥) سورة المائدة آية : ١٠٩.
(٦) سورة المائدة آية : ١٠٩.
(٧) سورة المائدة آية : ١٠٩.
(٨) سورة المائدة آية : ١٠٩.
(٩) سورة المائدة آية : ١٠٩.

أمرهم وبما أحدثوا من بعد، دليله أنه قال: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [1] أي: أنت الذي تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد.

[١١٠] قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ ﴾ [2]، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، وأراد بقوله (نعمتي) أي: نعمي، لفظه واحد ومعناه جمع، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [3]، ﴿ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ [4] مريم، ثم ذكر النعم فقال: ﴿ إِذۡ أَيَّدتُّكَ ﴾ [5] قويتك، ﴿ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾ [6] يعني جبريل عليه السلام، ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ ﴾ [7] يعني: وتكلم الناس، ﴿ فِي ٱلۡمَهۡدِ ﴾ [8] صبيا، ﴿ وَكَهۡلٗاۖ ﴾ [9] نبيا، قال ابن عباس: أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله إليه، ﴿ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [10] يعني الخط، ﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [11] يعني: العلم والفهم، ﴿ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ ﴾ [12] تجعل

---

(١) سورة المائدة آية : ١٠٩.
(٢) سورة المائدة آية : ١١٠.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٣٤.
(٤) سورة المائدة آية : ١١٠.
(٥) سورة المائدة آية : ١١٠.
(٦) سورة المائدة آية : ١١٠.
(٧) سورة المائدة آية : ١١٠.
(٨) سورة المائدة آية : ١١٠.
(٩) سورة المائدة آية : ١١٠.
(١٠) سورة المائدة آية : ١١٠.
(١١) سورة المائدة آية : ١١٠.
(١٢) سورة المائدة آية : ١١٠.

وتصور، ﴿ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ [1] كصورة الطير، ﴿ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا ﴾ [2] حيا يطير، ﴿ بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ﴾ [3] وتصحح، ﴿ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [4] من قبورهم أحياء، ﴿ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ ﴾ [5] منعت وصرفت، ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [6] يعني اليهود، ﴿ عَنكَ ﴾ [7] حين همّوا بقتلك، ﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [8]، يعني: بالدلالات الواضحات والمعجزات، وهي التي ذكرنا، وسميت بالبينات لأنا مما يعجز عنها سائر الخلق الذين ليسوا بمرسلين، ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ ﴾ [9] ما هذا، ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [10] يعني: ما جاءهم به من البينات، قرأ حمزة والكسائي (ساحر مبين) هاهنا وفي سورة هود والصف، فيكون راجعا إلى عيسى عليه السلام، وفي هود يكون راجعا إلى محمد ﷺ.

[١١١] ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ [11] ألهمتهم وقذفت في قلوبهم، وقال أبو عبيدة: يعني أمرت و(إلى) صلة، والحواريون خواص أصحاب عيسى عليه السلام، ﴿ أَنْ

---

(١) سورة المائدة آية : ١١٠.

(٢) سورة المائدة آية : ١١٠.

(٣) سورة المائدة آية : ١١٠.

(٤) سورة المائدة آية : ١١٠.

(٥) سورة المائدة آية : ١١٠.

(٦) سورة المائدة آية : ١١٠.

(٧) سورة المائدة آية : ١١٠.

(٨) سورة المائدة آية : ١١٠.

(٩) سورة المائدة آية : ١١٠.

(١٠) سورة المائدة آية : ١١٠.

(١١) سورة المائدة آية : ١١١.

﴿ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى ﴾[1] عيسى، ﴿ قَالُوٓاْ ﴾[2] حين وفقتهم ﴿ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[3].

[١١٢] ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾[4]، قرأ الكسائي (هل تستطيع) بالتاء، (ربك) بنصب الباء وهو قراءة علي وعائشة وابن عباس ومجاهد، أي: هل تستطيع أن تدعو وتسأل ربك، وقرأ الآخرون (يستطيع) بالياء و (ربك) برفع الباء، ولم يقولوه شاكين بقدرة الله ﷻ ولكن معناه هل ي ّل ربك أم لا؟ كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تنهض معي؟ وهو يعلم أنه يستطيع، وإنما يريد هل يفعل ذلك أم لا، وقيل: يستطيع بمعنى يطيع، يقال: أطاع واستطاع بمعنى واحد، كقوله: أجاب واستجاب، معناه: هل يعطيك ربك بإجابة سؤالك؟ وفي الآثار من أطاع الله أطاعه الله، وأجرى بعضهم على الظاهر، فقالوا: غلط القوم، وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشرا، فقال لهم عيسى عليه السلام عند الغلط استعظاما لقولهم: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[5]، أي: لا تشكّوا في قدرته، ﴿ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[6] المائدة: الخوان الذي عليه الطعام، وهي فاعلة من: مادَهُ يميده إذا أعطاه وأطعمه، كقوله ماره يميره، وامتار افتعل منه، والمائدة هي المطعمة للآكلين الطعام، وسمي الطعام أيضا مائدة على الجوار، لأنه يؤكل على المائدة، وقال أهل الكوفة: سميت مائدة لأنا تميد بالآكلين، أي: تميل، وقال أهل البصرة: فاعلة بمعنى المفعولة، يعني ميد بالآكلين إليها،

---

(١) سورة المائدة آية : ١١١.

(٢) سورة المائدة آية : ١١١.

(٣) سورة المائدة آية : ١١١.

(٤) سورة المائدة آية : ١١٢.

(٥) سورة المائدة آية : ١١٢.

(٦) سورة المائدة آية : ١١٢.

كقوله تعالى: ﴿ عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ ﴾ [1] أي: مرضية، ﴿ قَالَ ﴾ [2] عيسى عليه السلام مجيبا لهم: ": ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١١٢ ﴾ [3] فلا تشكّوا في قدرته، وقيل: اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم يسأله الأمم قبلكـم، فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان.

[١١٣] ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ ﴾ [4] أي: إنما سألنا لأنا نريد، ﴿ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ [5] أكل تبرك لا أكل حاجة فنستيقن قدرته، ﴿ وَتَطْمَئِنَّ ﴾ [6] وتسكن، ﴿ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ [7] بأنك رسول الله، أي: نزداد إيمانا ويقينا، وقيل: إن عيسى عليه السلام أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوما فإذا فطروا لا يسألون الله شيئا إلا أعطاهم، ففعلوا وسألوا المائدة، وقالوا: ونعلم أن قد صدقتنا في قولك، إنا إذا صمنا ثلاثين يوما لا نسأل الله تعالى شيئا إلا أعـطـانـا، ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝١١٣ ﴾ [8] لله بالوحدانية والقدرة، ولك بالنبوة والرسالة، وقيل: ونكون من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

(١) سورة الحاقة آية : ٢١.
(٢) سورة المائدة آية : ١١٢.
(٣) سورة المائدة آية : ١١٢.
(٤) سورة المائدة آية : ١١٣.
(٥) سورة المائدة آية : ١١٣.
(٦) سورة المائدة آية : ١١٣.
(٧) سورة المائدة آية : ١١٣.
(٨) سورة المائدة آية : ١١٣.

قوله تعالى قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ اللهم رَبَنا أنزلْ عَلَيْنا مَائِدَةً مِنَ السمَاءِ تَكُونُ لَنا عِيدًا لِأولِنَا وَآخِرِنَا....

[١١٤] ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [(١)] عند ذلك، ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ [(٢)] أي: عائدة من الله علينا حجة وبرهانا، والعيد: يوم السرور، سمي به للعود من الترح إلى الفرح، وهو اسم لما اعتدته ويعود إليك، وسمي يوم الفطر والأضحى عيدا لأنما يعودان في كل سنة، قال السدي: معناه نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيدا لأولنا وآخرنا، أي: نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان: نصلي فيه، قوله (لأولنا) أي: لأهل زماننا، وآخرنا أي: لمن يجيء بعدنا، وقال ابن عباس: يأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم، ﴿ وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ [(٣)] دلالة وحجة، ﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [(٤)].

[١١٥] ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ [(٥)] تعالى مجيبا لعيسى عليه السلام، ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ [(٦)] يعني المائدة، وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم (مُنزلُهَا) بالتشديد لأنا نزلت مرات والتفعيل يدل على التكرير مرة بعد أخرى، وقرأ الآخرون بالتخفيف لقوله أنزل علينا، ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾ [(٧)] أي: بعد نزول المائدة ﴿ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا ﴾ [(٨)] أي:

---

(١) سورة المائدة آية : ١١٤.
(٢) سورة المائدة آية : ١١٤.
(٣) سورة المائدة آية : ١١٤.
(٤) سورة المائدة آية : ١١٤.
(٥) سورة المائدة آية : ١١٥.
(٦) سورة المائدة آية : ١١٥.
(٧) سورة المائدة آية : ١١٥.
(٨) سورة المائدة آية : ١١٥.

جنس عذاب، ﴿ لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [1] يعني: عالمي زمانه، فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمُسخوا قردة وخنازير.

[١١٦] قوله ﷻ ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ [2]، واختلفوا في أن هذا القول متى يكون، فقال السدي: قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء لأن حرف (إذ) يكون للماضي، وقال سائر المفسرين: إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله من قبل: ﴿ ۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ [3]، وقال من بعد هذا: ﴿ يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ [4]، وأراد بما يوم القيامة، وقد تجيء إذ بمعنى إذا كقوله ﷻ ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ ﴾ [5] أي: إذا فزعوا يوم القيامة، والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها كالكائنة لأنا آتية لا محالة، قوله: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ [6]؟ فإن قيل: فما وجه هذا السؤال عنه مع علم الله ﷻ أن عيسى لم يقله؟ قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة، كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا فيما يعلم أنه لم يفعله إعلاما واستعظاما لا استخبارا واستفهاما، وأيضا أراد الله ﷻ أن يقر عيسى عليه السلام عن نفسه بالعبودية، فيسمع قومه منه ويظهر كذبم عليه أنه أمرهم بذلك، قال أبو روق: وإذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله ثم يقول

(١) سورة المائدة آية : ١١٥.
(٢) سورة المائدة آية : ١١٦.
(٣) سورة المائدة آية : ١٠٩.
(٤) سورة المائدة آية : ١١٩.
(٥) سورة سبأ آية : ٥١.
(٦) سورة المائدة آية : ١١٦.

مجيبا لله ﷻ ﴿ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ [1] تـ يها وتعظيما لك، ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [2]، ما كان وما يكون.

[١١٧] ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ ﴾ [3] وحّدوه ولا تشركوا به شيئا، ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ ﴾ [4] وأقمت، ﴿ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي ﴾ [5] قبضتني ورفعتني إليك، ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [6] والحفيظ عليهم تحفظ أعمالهم، ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [7].

[١١٨] قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [8]، فإن قيل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار؟ وكيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة؟ قيل: أما الأول فمعناه إن تعذبم بإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الإيمان وهذا يستقيم بعد الإيمان.

وقيل: هذا في الفريقين منهم معناه إن تعذب من كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم.

وقيل: ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده.

---

(١) سورة المائدة آية : ١١٦.

(٢) سورة المائدة آية : ١١٦.

(٣) سورة المائدة آية : ١١٧.

(٤) سورة المائدة آية : ١١٧.

(٥) سورة المائدة آية : ١١٧.

(٦) سورة المائدة آية : ١١٧.

(٧) سورة المائدة آية : ١١٧.

(٨) سورة المائدة آية : ١١٨.

وأما السؤال الثاني فكان ابن مسعود ﷺ يقرأ وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، وكذلك هو في مصحفه، وأما على القراءة المعروفة قيل فيه تقديم وتأخير تقديره: إن تغفر لهم فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

وقيل: معناه إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء، ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، ولكنه أخبر أنه لا يغفر وهو لا يخلف خبره.

[١١٩] ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ ﴾ (١)، قرأ نافع (يوم) بنصب الميم، يعني: تكون هذه الأشياء في يوم، فحذف في فانتصب، وقرأ الآخرون بالرفع على أنه خبر (هذا)، أي: ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة، ولو كذبوا ختم الله على أفواههم ونطقت به جوارحهم فافتضحوا، وقيل: أراد بالصادقين النبيين، وقال الكلبي: ينفع المؤمنين إيمانهم، قال قتادة: متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام، وهو ما قص الله، وعدو الله إبليس، وهو قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ (٢) الآية. فصدق عدو الله يومئذ، وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه، وأما عيسى عليه السلام فكان صادقا في الدنيا والآخرة، فنفعه صدقه، وقال عطاء: هذا يوم من أيام الدنيا لأن الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل، ثم بين ثوابهم فقال: ﴿ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ (٣).

(١) سورة المائدة آية : ١١٩.

(٢) سورة إبراهيم آية : ٢٢.

(٣) سورة المائدة آية : ١١٩.

[١٢٠] ثم عظّم نفسه فقال: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1].

(١) سورة المائدة آية : ١٢٠.

(٦) سورة الأنعام

قوله تعالى الْحَمْدُ لِلهِ الذِي خَلَقَ السمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظلُمَاتِ وَالنورَ...

بسم الله الرحمن الرحيم [١] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (١) قال كعب الأحبار: هذه الآية أول آية في التوراة، وآخر آية في التوراة قوله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ (٢) الآية، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: افتتح الله الخلق بالحمد فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (٣)، وختمه بالحمد فقال: ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ (٤)، أي: بين الخلائق، وقيل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٥). قوله: (الحمد لله) حمد الله نفسه تعليما لعباده، أي: احمدوا الله الذي خلق السماوات والأرض، خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنافع للعباد، ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ﴾ (٦) والجعل بمعنى الخلق، وقال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان إلا في هذه الآية فإنه يريد بما الليل والنهار، وقال الحسن: وجعل الظلمات والنور يعني الكفر والإيمان، وقيل: أراد بالظلمات الجهل والنور العلم، وقال قتادة: يعني الجنة والنار، وقيل: معناه خلق الله السماوات والأرض، وقد جعل الظلمات والنور، لأنه قد خلق الظلمة والنور قبل السماوات والأرض، قال قتادة: خلق الله السماوات قبل الأرض، وخلق الظلمة قبل النور،

---

(١) سورة الأنعام آية : ١.
(٢) سورة الإسراء آية : ١١١.
(٣) سورة الأنعام آية : ١.
(٤) سورة الزمر آية : ٧٥.
(٥) سورة الزمر آية : ٧٥.
(٦) سورة الأنعام آية : ١.

والجنة قبل النار، ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [(١)] أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون، أي: يشركون، وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته، وبه قال النضر بن شميل، الباء بمعنى عن، أي عن ربهم، يعدلون أي يميلون وينحرفون من العدول.

[٢] قوله ﷻ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ [(٢)] يعني آدم عليه السلام، خاطبهم به إذ كانوا من ولده، ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ﴾ [(٣)]، قال الحسن وقتادة والضحاك: الأجل الأول من الولادة إلى الموت، والأجل الثاني من الموت إلى البعث، وهو البرزخ، وروي ذلك عن ابن عباس، وقال: لكل أحد أجلان أجل من الولادة إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان برا تقيا وَصُولا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر، وإن كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الأجل الأول أجل الدنيا، والأجل الثاني أجل الآخرة، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً ۖ ﴾ [(٤)] يعني: النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند اليقظة، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ﴾ [(٥)] هو أجل الموت، وقيل: هما واحد معناه: ثم قضى أجلا يعني جعل لأعماركم مدة تنتهون إليها، وأجل مسمى عنده يعني: وهو أجل مسمى عنده لا يعلمه غيره، ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾ [(٦)] تشكون في البعث.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١.
(٢) سورة الأنعام آية : ٢.
(٣) سورة الأنعام آية : ٢.
(٤) سورة الأنعام آية : ٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ٢.
(٦) سورة الأنعام آية : ٢.

[٣] قوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [١] يعني: وهو إله السماوات والأرض، كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [٢]، وقيل: هو المعبود في السماوات، وقال محمد بن جرير: معناه وهو الله في السماوات يعلم سركم وجهركم في الأرض، وقال الزجاج: فيه تقديم وتأخير وتقدير: وهو الله، ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ [٣] في السماوات والأرض، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝ ﴾ [٤] تعملون من الخير والشر.

[٤] ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم ﴾ [٥] يعني: أهل مكة، ﴿ مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ [٦] مثل انشقاق القمر وغيره، وقال عطاء: يريد من آيات القرآن، ﴿ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ ﴾ [٧] لها تاركين بها مكذبين.

[٥] ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٨] بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ ﴾ [٩] أي: أخبار استهزائهم وجزاؤه، أي: سيعلمون عاقبة استهزائهم إذا عُذِّبوا.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٣.
(٢) سورة الزخرف آية : ٨٤.
(٣) سورة الأنعام آية : ٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ٤.
(٦) سورة الأنعام آية : ٤.
(٧) سورة الأنعام آية : ٤.
(٨) سورة الأنعام آية : ٥.
(٩) سورة الأنعام آية : ٥.

[٦] قوله ﷻ ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ ﴾ [١]، يعني: الأمم الماضية، والقرن: الجماعة من الناس، وجمعه قرون، وقيل: القرن مدة من الزمان، يقال: ثمانون سنة، وقيل: ستون سنة، وقيل: أربعون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، ويقال: مائة سنة، لما روي أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن بسر المازني: ﴿ إنك تعيش قرنا ﴾ [٢]. فعاش مائة سنة، فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن، ﴿ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ [٣] أي: أعطيناهم ما لم نعطكم، وقال ابن عباس: أمهلناهم في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود، يقال: مكنته ومكنت له، ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا ﴾ [٤] يعني: المطر، مفعال من الدر، قال ابن عباس: مدرارا أي: متتابعا في أوقات الحاجات، وقوله: ﴿ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ [٥] من خطاب التلوين، رجع من الخبر من قوله: (ألم يروا) إلى خطاب، كقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ [٦]، وقال أهل البصرة: أخبر عنهم بقوله (ألم يروا) وفيهم محمد ﷺ وأصحابه، ثم خاطبهم معهم، والعرب تقول: قلت لعبد الله ما أكرمه، وقلت لعبد الله ما أكرمك، ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا ﴾ [٧] خلقنا وابتدأنا، ﴿ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ ﴾ [٨].

---

(١) سورة الأنعام آية : ٦.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير ص ٩٣، وانظر الإصابة ٢٣/٤ وأسد الغابة ١٢٥/٣.

(٣) سورة الأنعام آية : ٦.

(٤) سورة الأنعام آية : ٦.

(٥) سورة الأنعام آية : ٦.

(٦) سورة يونس آية : ٢٢.

(٧) سورة الأنعام آية : ٦.

(٨) سورة الأنعام آية : ٦.

[٧] قوله ﷻ ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبًا فِي قِرۡطَاسٖ ﴾ [١] الآية، قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله، فأنزل الله ﷻ ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبًا فِي قِرۡطَاسٖ ﴾ [٢] مكتوبا من عنده، ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ ﴾ [٣] أي: عاينوه ومسّوه بأيديهم، وذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لأن اللمس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة، فإن السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس، ﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ ﴾ [٤] معناه: أنه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي.

[٨] ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ﴾ [٥] على محمد ﷺ ﴿ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ [٦]، أي: لوجب العذاب، وفرغ من الأمر، وهذا سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استؤصلوا بالعذاب، ﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ ﴾ [٧] أي: لا يؤجلون ولا يمهلون، وقال قتادة: لو أنزلنا ملكا ثم لم يؤمنوا لعُجّل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين، وقال مجاهد: لقضي الأمر أي لقامت القيامة، وقال الضحاك: لو أتاهم ملك في صورته لماتوا.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٧.
(٢) سورة الأنعام آية : ٧.
(٣) سورة الأنعام آية : ٧.
(٤) سورة الأنعام آية : ٧.
(٥) سورة الأنعام آية : ٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ٨.
(٧) سورة الأنعام آية : ٨.

قوله تعالى وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ....

[٩] ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا ﴾ [(١)] يعني: لو أرسلنا إليهم ملكـا، ﴿ لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ [(٢)] يعني في صورة رجل آدمي، لأنم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وجاء الملكان إلى داود في صورة رجلين. قوله ﷻ ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ ﴾ [(٣)] أي: خلطنا عليهم ما يخلطون وشبهنا عليهم فلا يدرون أمَلَك هو أو آدمي، وقيل معناه شبهوا على ضعفائهم فشبه عليهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم أهل الكتاب فرّقوا دينهم وحرّفوا الكلم عن مواضعه، فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم، وقرأ الزهري (وَلَلَبَّسْنَا) بالتشديد على التكرير والتأكيد.

[١٠] ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [(٤)] كما استهزئ بك يا محمد - يعزّي نبيه ﷺ ﴿ فَحَاقَ ﴾ [(٥)]، قال الربيع بن أنس: ﻓ ل، وقال عطاء: حل، وقال الضحاك: أحاط، ﴿ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ ﴾ [(٦)] أي: جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة.

[١١] ﴿ قُلْ ﴾ [(٧)] يا محمد لهؤلاء المكذبين المستهزئين، ﴿ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [(١)] معتبرين، يحتمل هذا: السير بالعقول والفكر، ويحتمل السير بالأقدام، ﴿ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ

(١) سورة الأنعام آية : ٩.
(٢) سورة الأنعام آية : ٩.
(٣) سورة الأنعام آية : ٩.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٠.
(٧) سورة الأنعام آية : ١١.

﴿ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ﴾ [2] أي: جزاء أمرهم وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك، يحذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية.

[١٢] قوله ﷻ ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [3] فإن أجابوك وإلا فـ ﴿ قُل ﴾ [4] أنت، ﴿ لِّلَّهِ ۚ ﴾ [5] أمره بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وآكد في الحجة، ﴿ كَتَبَ ﴾ [6] أي: قضى، ﴿ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ ﴾ [7] هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخبار بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة، ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ [8] اللام فيه لام القسم والنون نون التأكيد مجازه: والله ليجمعنّكم، ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [9] أي: في يوم القيامة، وقيل: معناه ليجمعنكم في قبوركم إلى يوم القيامة، ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ ﴾ [10] غبنوا ﴿ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢ ﴾ [11].

---

(١) سورة الأنعام آية : ١١.
(٢) سورة الأنعام آية : ١١.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٢.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٢.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٢.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٢.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٢.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٢.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١٢.
(١١) سورة الأنعام آية : ١٢.

[١٣] ﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ [١] أي: استقر، قيل: أراد ما سكن وما تحرك، كقوله: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴾ [٢] أي: الحر والبرد، وقيل: إنما خص السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر، وقال محمد بن جرير: كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار، والمراد منه جميع ما في الأرض وقيل: معناه: وله ما يمر عليه الليل والنهار، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ [٣] لأصواتهم، ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ١٣ ﴾[٤] بأسرارهم.

[١٤] قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا ﴾ [٥]؟ وهذا حين دعي إلى دين آبائه، فقال تعالى: قل يا محمد أغير الله أتخذ وليا، ربا ومعبودا وناصرا ومعينا؟، ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٦] أي: خالقهما ومبدعهما ومبتديهما، ﴿ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ ﴾[٧]، أي: وهو يَرزق ولا يُرزق، كما قال: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ ﴾ [٨]. ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ ﴾ [٩] يعني:

(١) سورة الأنعام آية : ١٣.
(٢) سورة النحل آية : ٨١.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٤.
(٨) سورة الذاريات آية : ٥٧.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٤.

من هذه الأمة، والإسلام بمعنى الاستسلام لأمر الله، وقيل: أسلم أخلص، ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ ﴾ [1] يعني: وقيل لي ولا تكونن، ﴿ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [2].

[١٥] ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى ﴾ [3] فعبدت غيره، ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [4] يعني عذاب يوم القيامة.

[١٦] ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ ﴾ [5] يعني: من يُصرف العذاب عنه، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (يَصْرِف) بفتح الياء وكسر الراء، أي: من يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه، وقرأ الآخرون بضم اليـاء وفتح الراء، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ [6]، يعني: يوم القيامة، ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [7]، أي: النجاة البينة.

[١٧] قوله ﷻ ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ ﴾ [8] لا رافع، ﴿ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ [9] عافية ونعمة، ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [10] من الخير والضر. عن ابن عباس قال: « أهدي للنبي ﷺ بغلة، أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه، ثم سار بي مليا ثم التفت إلي فقال: يا غلام، فقلت: لبيك يا

(١) سورة الأنعام آية : ١٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٦.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٦.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٦.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٧.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٧.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١٧.

رسول الله، قال: " احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّفْ إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله تعالى عليك، ما قدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا » (1).

[١٨] وهو ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ (2)، الـقـاهـر الغالب، وفي القهر زيادة معنى على القدرة، وهي منع غيره عن بلوغ المراد، وقيل: هو المنفرد بالتدبير يجبر الخلق على مراده ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (3)، في أمره، ﴿ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨ ﴾ (4) بأعمال عباده.

قوله تعالى قُلْ أي شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُل اللهُ شَهيدٌ بيني وَبيْنَكُمْ....

[١٩] قوله ﷻ ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ﴾ (5) الآية، قال الكلبي: أتى أهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا: أرنا من يشهد أنك رسول الله فإنا لا نرى أحدا يصدقك، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس عندهم ذكر، فأنزل الله تعالى ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ﴾ (6) فإن أجابوك، وإلا ﴿ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ (7) على ما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٠٧/١، والترمذي في القيامة ٢١٩/٧ وقال حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٨.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٨.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٨.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٩.

(٦) سورة الأنعام آية : ١٩.

(٧) سورة الأنعام آية : ١٩.

أقول، ويشهد لي بالحق وعليكم بالباطل، ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ﴾[1]، لأخوفكم به يا أهل مكة، ﴿ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾[2]، ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة.

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ﴾[3] [4]. قال مقاتل: ومن بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له، وقال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا ﷺ وسمع منه، ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ ﴾ [5] ولم يقل أخر لأن الجمع يلحقه التأنيث، كقوله ﷻ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ ﴾[6]، وقال: ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ ﴾[7]، ﴿ قُل ﴾[8]، يا محمد إن شهدتم أنتم، فـ ﴿ لَّآ أَشْهَدُۚ ﴾[9]، أنا أن معه إلها ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝١٩ ﴾[10].

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٩.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٩.

(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٧٤), الترمذي العلم (٢٦٦٩), أحمد (٢/١٥٩), الدارمي المقدمة (٥٤٢).

(٤) أخرجه البخاري في الأنبياء ٦/٤٩٦ والمصنف في شرح السنة ١/٢٤٣.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٩.

(٦) سورة الأعراف آية : ١٨٠.

(٧) سورة طه آية : ٥١.

(٨) سورة الأنعام آية : ١٩.

(٩) سورة الأنعام آية : ١٩.

(١٠) سورة الأنعام آية : ١٩.

[٢٠]، قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾[1]، يعني: التوراة والإنجيل، ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ ﴾[2] يعني: محمدا ﷺ بنعته وصفته، ﴿ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ﴾[3]، من بين الصبيان. ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ ﴾[4]، غبنوا ﴿ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ ﴾[5] وذلك أن الله جعل لكل آدمي منزلا في الجنة ومنزلا في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وذلك الخسران.

[٢١]، قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ ﴾[6] أكفر ﴿ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴾[7]، اختلق ﴿ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[8]، فأشرك به غيره، ﴿ أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ ﴾[9]، يعني: القرآن، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١ ﴾[10]، الكافرون.

[٢٢]، ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ﴾[11]، أي: العابدين والمعبودين، يعني: يوم القيامة، قرأ يعقوب (يحشرهم) هنا، وفي سبأ بالياء، ووافق حفص في سبأ، وقرأ الآخرون بالنون.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٢٠.
(٢) سورة الأنعام آية : ٢٠.
(٣) سورة الأنعام آية : ٢٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ٢٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ٢٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ٢١.
(٧) سورة الأنعام آية : ٢١.
(٨) سورة الأنعام آية : ٢١.
(٩) سورة الأنعام آية : ٢١.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٢١.
(١١) سورة الأنعام آية : ٢٢.

﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [1]، أنا تشفع لكم عند ربكم.

[٢٣] ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ [2]، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب (يكن) بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان، فجاز تذكيره، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الفتنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم (فِتْنَتُهُمْ) بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب، فجعلوا الاسم قوله: (أن قالوا)، وفتنتهم الخبر، ومعنى فتنتهم أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس وقتادة: معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له: فتنة، وقال الزجاج في قوله ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ [3] معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنتي إلا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول الله ﷻ : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ [4] في محبتهم للأصنام، ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [5]، قرأ حمزة والكسائي (ربنا) بالنصب على نداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله، وقيل: إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد، قالوا لبعضهم البعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد، فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر.

(١) سورة الأنعام آية : ٢٢.
(٢) سورة الأنعام آية : ٢٣.
(٣) سورة الأنعام آية : ٢٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ٢٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ٢٣.

[٢٤]، فقال ﷻ ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ ﴾[١]، باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك، ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤ ﴾[٢]، أي: زال وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الأصنام، وذلك أنم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتا، فبطل كله في ذلك اليوم.

[٢٥]، قوله ﷻ ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ ﴾[٣] وإلى كلامك ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً ﴾[٤]، أغطية، جمع كنان، كالأعنة جمع عنان، ﴿ أَن يَفۡقَهُوهُ ﴾[٥]، أن يعلموه، قيل: معناه أن لا يفقهوه، وقيل: كراهة أن يفقهوه، ﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ ﴾[٦]، صمما وثقلا، وهذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن، ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ ﴾[٧]، من المعجزات والدلالات، ﴿ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥ ﴾[٨]، يعني أحاديثهم وأقاصيصهم، والأساطير جمع: أسطورة، وإسطارة، وقيل: الأساطير هي الترهات والأباطيل، وأصلها من سطرت، أي: كتبت.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٢٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ٢٤.
(٣) سورة الأنعام آية : ٢٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ٢٥.
(٥) سورة الأنعام آية : ٢٥.
(٦) سورة الأنعام آية : ٢٥.
(٧) سورة الأنعام آية : ٢٥.
(٨) سورة الأنعام آية : ٢٥.

[٢٦]، ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ ﴾ [١] أي: ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ﴿ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ ﴾ [٢]، أي: يتباعدون عنه بأنفسهم، نزلت في كفار مكة، قاله محمد ابن الحنفية والسدي والضحاك، وقال قتادة: ينهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه، وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي ﷺ ويمنعهم وينأى عن الإيمان به، أي: يبعد ﴿ وَإِن يُهۡلِكُونَ ﴾ [٣]، أي: ما يهلكون، ﴿ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [٤] أي: لا يرجع وبال فعلهم إلا إليهم، وأوزار الذين يصدونهم عليهم، ﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٥].

[٢٧]، قوله ﷻ ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [٦]، يعني: في النار، كقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ﴾ [٧] أي: في ملك سليمان، وقيل: عرضوا على النار، وجواب (لو) محذوف معناه: لو تراهم في تلك الحالة لرأيت عجبا، ﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ ﴾ [٨]، يعني: إلى الدنيا: ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٩]، قراءة العامة كلها بالرفع على معنى. يا ليتنا نرد نحن ولا نكذب ونكون من المؤمنين، وقرأ حمزة وحفص

(١) سورة الأنعام آية : ٢٦.
(٢) سورة الأنعام آية : ٢٦.
(٣) سورة الأنعام آية : ٢٦.
(٤) سورة الأنعام آية : ٢٦.
(٥) سورة الأنعام آية : ٢٦.
(٦) سورة الأنعام آية : ٢٧.
(٧) سورة البقرة آية : ١٠٢.
(٨) سورة الأنعام آية : ٢٧.
(٩) سورة الأنعام آية : ٢٧.

ويعقوب ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ ﴾ [1] بنصب الباء والنون على جواب التمني، أي: ليت ردنا وقع، وأن لا نكذب ونكون، والعرب تنصب جواب التمني بالواو كما تنصب بالفاء، وقرأ ابن عامر (نكذب) بالرفع و(نكون) بالنصب لأنهم تمنوا أن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكذبون بآيات ربهم إن ردوا إلى الدنيا.

قوله تعالى بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ....

[٢٨]، ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم ﴾ [2]، أي: ليس الأمر على ما قالوا إنهم لو ردوا لآمنوا بل بدا لهم: ظهر لهم، ﴿ مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ ﴾ [3]، يسرون، ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ [4]، في الدنيا من كفرهم ومعاصيهم، وقيل: ما كانوا يخفون وهو قولهم ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [5]، فأخفوا شركهم وكتموا حتى شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا، لأنهم كانوا لا يخفون كفرهم في الدنيا، إلا أن تجعل الآية في المنافقين، وقال المبرد: بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون، وقال النضر بن شميل: بل بدا لهم بدا عنهم. ثم قال، ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ ﴾ [6] إلى الدنيا ﴿ لَعَادُواْ لِمَا ﴾ [7] يعني إلى ما، ﴿ نُهُواْ عَنْهُ ﴾ [8]،

(١) سورة الأنعام آية : ٢٧.
(٢) سورة الأنعام آية : ٢٨.
(٣) سورة الأنعام آية : ٢٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ٢٨.
(٥) سورة الأنعام آية : ٢٣.
(٦) سورة الأنعام آية : ٢٨.
(٧) سورة الأنعام آية : ٢٨.
(٨) سورة الأنعام آية : ٢٨.

من الكفر ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، في قولهم: لو رددنا إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين.

[٢٩]، ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2]، وهذا إخبار عن إنكارهم البعث، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، هذا من قولهم لو ردوا لقالوه.

[٣٠]، قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ ﴾[3]، أي: على حكمه وقضائه ومسألته، وقيل: عرضوا على ربهم، ﴿ قَالَ ﴾[4]، لهم، وقيل: تقول لهم الخزنة بأمر الله: ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ ﴾[5] يعني: أليس هذا البعث والعذاب بالحق؟ ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ ﴾[6]، إنه حق، قال ابن عباس: هذا في موقف، وقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين في موقف آخر، وفي القيامة مواقف، ففي موقف يقرون، وفي موقف ينكرون. ﴿ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[7].

[٣١] ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ ﴾[8]، أي: خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله والبعث بعد الموت، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾[9] أي: القيامة

---

(١) سورة الأنعام آية : ٢٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ٢٩.
(٣) سورة الأنعام آية : ٣٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ٣٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ٣٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ٣٠.
(٧) سورة الأنعام آية : ٣٠.
(٨) سورة الأنعام آية : ٣١.
(٩) سورة الأنعام آية : ٣١.

﴿ بَغۡتَةً ﴾[(١)]، أي: فجأة، ﴿ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا ﴾[(٢)]، ندامتنا، ذكر على وجه النداء للمبالغة، قال سيبويه: كأنه يقول: أيتها الحسرة هذا أوانك، ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا ﴾[(٣)]، أي: قصرنا ﴿ فِيهَا ﴾[(٤)]، أي: في الطاعة، وقيل: تركنا في الدنيا من عمل الآخرة، وقال محمد بن جرير: الهاء راجعة إلى الصفقة، وذلك أنه لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الآخرة بالدنيا قالوا: يا حسرتنا على ما فرطنا فيها، أي: في الصفقة، فترك ذكر الصفقة اكتفاء بذكر قوله ﴿ قَدۡ خَسِرَ ﴾[(٥)] لأن الخسران إنما يكون في صفقة بيع، والحسرة شدة الندم، حتى يتحسر النادم، كما يتحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد، ﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ ﴾[(٦)]، أثقالهم وآثامهم، ﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ ﴾[(٧)]، قال السدي وغيره، إن المؤمن إذ أخرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحا فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الصالح فاركبني، فقد طالما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله ﷻ ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ۝٨٥ ﴾[(٨)] أي ركبانا، وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا، فيقول: هل تعرفـني؟ فيقول: أنا عملك الخبيث

---

(١) سورة الأنعام آية : ٣١.
(٢) سورة الأنعام آية : ٣١.
(٣) سورة الأنعام آية : ٣١.
(٤) سورة الأنعام آية : ٣١.
(٥) سورة الأنعام آية : ٣١.
(٦) سورة الأنعام آية : ٣١.
(٧) سورة الأنعام آية : ٣١.
(٨) سورة مريم آية : ٨٥.

طالما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم أركبك، فهذا معنى قوله: ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[1]، يحملون قال ابن عباس. أي بئس الحمل حملوا.

[٣٢] ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾[2]، باطل وغرور لا بقاء لها ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾[3]، قرأ ابن عامر (ولدار الآخرة) مضافا أضاف الدار إلى الآخرة، ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين، كقوله: (وحب الحصيد)، وقولهم: ربيع الأول ومسجد الجامع، سميت الدنيا لدنوها، وقيل: لدناءتا، وسميت الآخرة لأنا بعد الدنيا، ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ ﴾[4] الشرك، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[5]، أي: أن الآخرة أفضل من الدنيا، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب (أفلا تعقلون) بالتاء ها هنا وفي الأعراف وسورة يوسف ويس، ووافق أبو بكر في سورة يوسف، ووافق حفص إلا في سورة يس، وقرأ الآخرون بالياء فيهن.

[٣٣] قوله ﷻ : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ ﴾[6]، قال السدي: التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد بن عبد الله أصادق هو أم كاذب "؟ فإنه ليس ها هنا أحد يسمع كلامك غيري، قال أبو جهل: والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش، فأنزل الله ﷻ هذه الآية، وقال ناجية بن كعب: قال أبو جهل للنبي ﷺ لا نتهمك ولا

(١) سورة الأنعام آية : ٣١.
(٢) سورة الأنعام آية : ٣٢.
(٣) سورة الأنعام آية : ٣٢.
(٤) سورة الأنعام آية : ٣٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ٣٢.
(٦) سورة الأنعام آية : ٣٣.

نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به، فأنزل الله تعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ [1] [2]. بأنك كاذب، ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ [3]، قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد من التكذيب، والتكذيب هو أن تنسبه إلى الكذب، وتقول له: كذبت، والإكـذاب هو أن تجده كاذبا، تقول العرب: أجدبت الأرض وأخصبتها إذا وجدتا جـدبة ومخـصـبـة، ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [4]، يقول: إنهم لا يكذبونك في السر لأنهم عرفوا صدقك فيما مضى، وإنما يكذبون وحْيي ويجحدون آياتي، كـما قال: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [5].

[٣٤]، ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [6]، كذبهم قومهم كما كذبتك قريش، ﴿ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [7]، بتعذيب من كذبهم، ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [8]، لا ناقض لما حكـم بـه، وقد حكم في كتابـه بنصـر أنبيائـه عليهـم السلام، فقـال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ

(١) سورة الأنعام آية : ٣٣.
(٢) أخرجه الترمذي في التفسير ٤٣٧/٨ والحاكم في المستدرك ٣١٥/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين.
(٣) سورة الأنعام آية : ٣٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ٣٣.
(٥) سورة النمل آية : ١٤.
(٦) سورة الأنعام آية : ٣٤.
(٧) سورة الأنعام آية : ٣٤.
(٨) سورة الأنعام آية : ٣٤.

ٱلۡغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1]، وقـال. ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾[2] وقال: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾[3]، وقال الحسن بن الفضـل: لا خلـف لِعِدَته، ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4]، و(من) صلة كما تقول: أصابنا من مطر.

[٣٥]، ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ ﴾[5] أي: عظم عليك وشق أن أعرضوا عن الإيمان بك، وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص، وكـانوا إذ سألوا آية أحب أن يريهم الله تعالى ذلك طمعا في إيمانهم، فقال الله ﷻ ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقًا ﴾[6]، تطلب وتتخذ نفقا سربا ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[7] ومنه نافقاء اليربوع وهو أحد جحريه فتذهب فيه، ﴿ أَوۡ سُلَّمًا ﴾[8]، أي: درجا ومصعدا، ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[9]، فتصعد فيه، ﴿ فَتَأۡتِيَهُم ﴾[10] ﴿ بِـَٔايَةٖۚ ﴾[11] فافعل ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى

(١) سورة الصافات آية : ١٧١- ١٧٣.
(٢) سورة غافر آية : ٥١.
(٣) سورة المجادلة آية : ٢١.
(٤) سورة الأنعام آية : ٣٤.
(٥) سورة الأنعام آية : ٣٥.
(٦) سورة الأنعام آية : ٣٥.
(٧) سورة الأنعام آية : ٣٥.
(٨) سورة الأنعام آية : ٣٥.
(٩) سورة الأنعام آية : ٣٥.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٣٥.
(١١) سورة الأنعام آية : ٣٥.

ٱلۡهُدَىٰۚ ﴾[1]، فآمنوا كلهم، ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2]، أي: بذا الحرف، وهو قوله: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ ﴾[3]، وأن من يكفر لسابق علم الله فيه.

قوله تعالى إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون.....

[٣٦]، ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ ﴾[4]، يعني: المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمعه، ﴿ وَٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[5]، يعني الكـفار، ﴿ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[6]، فيخزيهم بأعمالهم.

[٣٧] قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُواْ ﴾[7]، يعني: رؤساء قريش، ﴿ لَوۡلَا ﴾[8] هلا ﴿ نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[9] ما عليهم في إنزالها.

[٣٨]، قوله ﷻ ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾[10] قيد الطيران بالجناح تأكيدا كما يقال نظرت بعيني وأخذت بيدي ﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾[1]،

---

(١) سورة الأنعام آية : ٣٥.
(٢) سورة الأنعام آية : ٣٥.
(٣) سورة الأنعام آية : ٣٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ٣٦.
(٥) سورة الأنعام آية : ٣٦.
(٦) سورة الأنعام آية : ٣٦.
(٧) سورة الأنعام آية : ٣٧.
(٨) سورة الأنعام آية : ٣٧.
(٩) سورة الأنعام آية : ٣٧.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٣٨.

﴾[1]، قال مجاهد: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها، يريد أن كل جنس من الحيوان أمّة، فالطير أمّة، والهوام أمة، والذباب أمّة، والسباع أمّة، تعرف بأسمائها مثل بني آدم، يعرفون بأسمائهم, يقال: الإنس والناس، وقيل: أمم أمثالكـم يفقه بعضهم عن بعض، وقيل: أمم أمثالكم في الخلق والموت والبعث، وقال عطاء: أمم أمثالكـم في التوحيد والمعرفة، قال ابن قتيبة: أممٌ أمثالكـم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك، ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2]، أي: في اللوح المحفوظ، ﴿ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[3]، قال ابن عباس والضحاك: حشرها موتا، وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير، وكل شيء فيقتص للجمّاء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابا فحينئذ يتمنى الكافر ويقول يا ليتني كنت ترابا. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من القرناء ﴾ [4] [5].

[٣٩] قوله ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ ﴾[6]، لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به، ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾[7]، في ضلالات الكفر، ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾[8]، هو الإسلام.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٣٨.

(٢) سورة الأنعام آية : ٣٨.

(٣) سورة الأنعام آية : ٣٨.

(٤) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٢), الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٢٠), أحمد (٢/٢٣٥).

(٥) أخرجه مسلم في البر والصلة (٤/١٩٩٧ رقم ٢٥٨٢).

(٦) سورة الأنعام آية : ٣٩.

(٧) سورة الأنعام آية : ٣٩.

(٨) سورة الأنعام آية : ٣٩.

[٤٠]، قوله تعالى. ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ ﴾[1]، هل رأيتم؟ والكاف فيه للتأكيد، وقال الفراء رحمه الله: العرب تقول أرأيتك، وهم يريدون أخبرنا، كما يقول: أرأيتك إن فعلت كذا ماذا تفعل؟ أي: أخبرني، وقرأ أهل المدينة (أرايتكم، وأرايتم، وأرايت) بتليين الهمزة الثانية، والكسائي بحذفها، قال ابن عباس: قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرأيتكـم، ﴿ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾[2]، قبل الموت، ﴿ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾[3] يعني: يوم القيامة، ﴿ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ ﴾[4]، في صرف العذاب عنكم، ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[5]، وأراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطرار كما أخبر الله عنهم: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[6].

[٤١]، ثم قال: ﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ ﴾[7]، أي: تدعون الله ولا تدعون غيره، ﴿ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ ﴾[8]، قيد الإجابة بالمشيئة والأمور كلها بمشيئته، ﴿ وَتَنسَوۡنَ ﴾[9]، وتتركون، ﴿ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[10].

(١) سورة الأنعام آية : ٤٠.
(٢) سورة الأنعام آية : ٤٠.
(٣) سورة الأنعام آية : ٤٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ٤٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ٤٠.
(٦) سورة لقمان آية : ٣٢.
(٧) سورة الأنعام آية : ٤١.
(٨) سورة الأنعام آية : ٤١.
(٩) سورة الأنعام آية : ٤١.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٤١.

[٤٢] ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ ﴾[(١)]، بالشدة والجوع، ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾[(٢)]، المرض والـزمانة، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴾[(٣)]، أي: يـتـوبـون ويخضعون، والتضرع: السؤال بالتذلل.

[٤٣] ﴿ فَلَوۡلَآ ﴾[(٤)] فهلا ﴿ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا ﴾[(٥)] عذابنا، ﴿ تَضَرَّعُواْ ﴾[(٦)]، آمنوا فيكشف عنهم، أخبر الله ﷻ أنه قد أرسل إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أنهم أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا، فذلك قوله: ﴿ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[(٧)]، من الكفر والمعاصي.

[٤٤]، ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾[(٨)]، تركوا ما وعظوا وأمروا به، ﴿ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾[(٩)]، قرأ أبو جعفر (فتحنا) بالتشديد في كل القرآن، وقرأ ابن عامر كذلك إذا كان عقيبه جمعًا، والباقون بالتخفيف. وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ ﴾[(١٠)]،

(١) سورة الأنعام آية : ٤٢.
(٢) سورة الأنعام آية : ٤٢.
(٣) سورة الأنعام آية : ٤٢.
(٤) سورة الأنعام آية : ٤٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ٤٣.
(٦) سورة الأنعام آية : ٤٣.
(٧) سورة الأنعام آية : ٤٣.
(٨) سورة الأنعام آية : ٤٤.
(٩) سورة الأنعام آية : ٤٤.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٤٤.

وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾[1]، فجأة آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا إليهم ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2]، آيسون من كل خير، وقال أبو عبيدة: المبلس النادم الحزين، وأصل الإبلاس: الأطراق من الحزن والندم، روى عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: « إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته، فإنما ذلك استدراج »[3] [4]. " ثم تلا (فلما نسوا ما ذكروا به) الآية.

قوله تعالى فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلهِ رَب الْعَالَمِينَ.....

[٤٥]، ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾[5]، أي: آخرهم الذين بدبرهم، يقال: دبر فلان القوم يدبرهم دبرا ودبورا إذا كان آخرهم، ومعناه أنهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية، ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[6]، حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم لأنه نعمة على رسله، فذكر الحمد لله تعليما لهم ولمن آمن بهم، أن يحمدوا الله على كفايته شر الظالمين، وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم إذا أهلك المكذبين.

[٤٦]، قـوله تعالـى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾[7] أيها المشركون، ﴿ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ ﴾[8]، حتى لا تسمعوا شيئا أصلا ﴿ وَأَبْصَٰرَكُمْ ﴾[1]، حتى لا تبصروا شيئا

---

(١) سورة الأنعام آية : ٤٤.

(٢) سورة الأنعام آية : ٤٤.

(٣) أحمد (١٤٥/٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ١٤٥/٤ وفيه رشدين بن سعد، وهو ضعيف، وانظر مجمع الزوائد (٢٤٥/١٠).

(٥) سورة الأنعام آية : ٤٥.

(٦) سورة الأنعام آية : ٤٥.

(٧) سورة الأنعام آية : ٤٦.

(٨) سورة الأنعام آية : ٤٦.

أصلا، ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ [٢]، حتى لا تفقهوا شيئا ولا تعرفوا من أمور الدنيا شيئا، ﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ﴾ [٣]، ولم يقل بها مع أنه ذكر أشياء، قيل: معناه يأتيكم بما أخذ منكم، وقيل: الكناية ترجع إلى السمع الذي ذكر أولا ويندرج غيره تحته، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [٤] فالهاء راجعة إلى الله، ورضا رسوله يندرج في رضا الله تعالى، ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ [٥]، أي: نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة، ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [٦]، يعرضون عنها مكذبين.

[٤٧] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً ﴾ [٧] فجأة، ﴿ أَوْ جَهْرَةً ﴾ [٨]، معاينة ترونه عند نزوله، قال ابن عباس والحسن: ليلا أو نارا، ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٩]، المشركون.

[٤٨] قوله ﷻ : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ ﴾ [١] العمل، ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [٢]، حين يخاف أهل النار، ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٣]، إذا حزنوا.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٤٦.
(٢) سورة الأنعام آية : ٤٦.
(٣) سورة الأنعام آية : ٤٦.
(٤) سورة التوبة آية : ٦٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ٤٦.
(٦) سورة الأنعام آية : ٤٦.
(٧) سورة الأنعام آية : ٤٧.
(٨) سورة الأنعام آية : ٤٧.
(٩) سورة الأنعام آية : ٤٧.

[٤٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ﴾ [٤] يصيبهم، ﴿ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٥]، يكفرون.

[٥٠] ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ [٦]، نزل حين اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم: ﴿ لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ [٧] أي: خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون، ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ [٨]، فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون، ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّى مَلَكٌۖ ﴾ [٩]، قال ذلك لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي، يريد لا أقول لكـم شيئا من ذلك فتنكرون قولي وتجحدون أمري، ﴿ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۚ ﴾ [١٠]، أي: ما آتيكم به فمن وحي الله تعالى، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة، ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى

---

(١) سورة الأنعام آية : ٤٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ٤٨.
(٣) سورة الأنعام آية : ٤٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ٤٩.
(٥) سورة الأنعام آية : ٤٩.
(٦) سورة الأنعام آية : ٥٠.
(٧) سورة الأنعام آية : ٥٠.
(٨) سورة الأنعام آية : ٥٠.
(٩) سورة الأنعام آية : ٥٠.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٥٠.

﴿ ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ ﴾[1] قال قتادة: الكافر والمؤمن، وقال مجاهد: الضال والمهتدي، وقيل: الجاهل والعالم، ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]، أي: أنما لا يستويان.

[51]، قوله ﷻ: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ﴾[3]، خوف به أي: بالقرآن، ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ ﴾[4]، يجمعوا ويبعثوا، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾[5]، وقيل: يخافون أي: يعلمون، لأن خوفهم إنما كان من علمهم، ﴿ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ ﴾[6] من دون الله، ﴿ وَلِيٌّ ﴾[7] قريب ينفعهم، ماله ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[8]، يشفع لهم ﴿ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[9]، فينتهون عما نهوا عنه، وإنما نفى الشفاعة لغيره- مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون- لأنهم لا يشفعون إلا بإذنه.

[52] ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾[10] قرأ ابن عامر (بالغُدْوة) بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها ها هنا وفي سورة الكهف، وقرأ الآخرون بفتح الغين والدال وألف بعدها، (بالغداة والعشي) يعني: صلاة الصبح وصلاة العصر. ويروى أن المراد منه الصلوات الخمس، وذلك أن أناسا من الفقراء كانوا مع النبي عليه الصلاة والسلام، فقال ناس من الأشراف: إذا صلينا فأخر هؤلاء فليصلوا

---

(1) سورة الأنعام آية : 50.

(2) سورة الأنعام آية : 50.

(3) سورة الأنعام آية : 51.

(4) سورة الأنعام آية : 51.

(5) سورة الأنعام آية : 51.

(6) سورة الأنعام آية : 51.

(7) سورة الأنعام آية : 51.

(8) سورة الأنعام آية : 51.

(9) سورة الأنعام آية : 51.

(10) سورة الأنعام آية : 52.

خلفنا، ف لت هذه الآية، وقال إبراهيم النخعي: يعني يذكرون ربهم، وقيل المراد منه: حقيقة الدعاء، ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[1]، أي: يريدون الله بطاعتهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يطلبون ثواب الله فقال: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[2]، أي: لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمرك، وقيل: ليس رزقهم عليك فتملهم ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾[3]، ولا رزقك عليهم، قوله ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾[4]، جواب لقوله: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[5] وقوله: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢ ﴾[6]، جواب لقوله (ولا تطرد) أحدهما جواب النفي والآخر جواب النهي.

قوله تعالى وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا.....

[٥٣]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا ﴾[7]، أي ابتلينا، ﴿ بَعْضَهُم ﴾[8] ﴿ بِبَعْضٍ ﴾[9] أراد ابتلى الغني بالفقير والشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالإيمان امتنع من الإسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله: ﴿ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ

(١) سورة الأنعام آية : ٥٢.
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٢.
(٣) سورة الأنعام آية : ٥٢.
(٤) سورة الأنعام آية : ٥٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ٥٢.
(٦) سورة الأنعام آية : ٥٢.
(٧) سورة الأنعام آية : ٥٣.
(٨) سورة الأنعام آية : ٥٣.
(٩) سورة الأنعام آية : ٥٣.

ﭐللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ ﴾[1]، فقال الله تعالـى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[2]، فهو جواب لقوله: ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ ﴾[3]، فهو استفهام بمعنى التقرير، أي: الله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله عز وجل.

[٥٤] ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلۡ سَلَـٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾[4]، قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله ﷻ نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام [5]. وقال عطاء: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن يا سر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد رضـي الله عنهـم أجمعين. ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ ﴾[6]، أي: قضـى على نفسه الرحمة، ﴿ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَـٰلَةٍ ﴾[7]، قال مجاهد: لا يعلم حلالا من حرام فمن جهالته ركب الذنب، وقيل: جاهل بما يورثه ذلك الذنب، وقيل: جهالته من حيث إنه آثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الآجل الكثير، ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾[8]، رجع عن ذنبه، ﴿ وَأَصۡلَحَ ﴾[9]،

(١) سورة الأنعام آية : ٥٣.
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٣.
(٣) سورة الأنعام آية : ٥٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ٥٤.
(٥) انظر أسباب النزول ص ٢٥٢ والطبري ١١/٣٨٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ٥٤.
(٧) سورة الأنعام آية : ٥٤.
(٨) سورة الأنعام آية : ٥٤.
(٩) سورة الأنعام آية : ٥٤.

عمله، وقيل: أخلص توبته، ﴿ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (أنه من عمل) (فأنه غفور رحيم)، بفتح الألف فيهما بدلا من الرحمة، أي: كتب على نفسه أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلا عن الأولى، كقوله تعالى: ﴿ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴾[2] وفتح أهل المدينة الأولى منهما وكسر الثانية على الاستئناف وكسرهما الآخرون على الاستئناف.

[55] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾[3]، أي: وهكذا، وقيل: معناه وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وإعلامنا على المشركين كذلك نفصل الآيات، أي: نميز ونبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل، ﴿ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[4]، أي: طريق المجرمين، وقرأ أهل المدينة (ولتستبين) بالتاء (سبيل المجرمين) نصب على خطاب النبي ﷺ أي: ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين، يقال: استبنت الشيء وتبينته إذا عرفته، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (وليستبين) بالياء (سبيل) بالرفع، وقرأ الآخرون (ولتستبين) بالتاء ﴿ سَبِيلُ ﴾[5] رفع: أي: ليظهر وليتضح السبيل، يذكر ويؤنث، فدليل التذكير قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا ﴾[6]، ودليل التأنيث قوله تعالى: ﴿ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا ﴾[7].

---

(١) سورة الأنعام آية : ٥٤.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٣٥.
(٣) سورة الأنعام آية : ٥٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ٥٥.
(٥) سورة الأنعام آية : ٥٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٤٦.
(٧) سورة آل عمران آية : ٩٩.

[٥٦]، قوله ﷻ ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ ﴾[١] في عبادة الأوثان وطرد الفقراء، ﴿ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾[٢]، يعني: إن فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى.

[٥٧] ﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ ﴾[٣]، أي: على بيان وبصيرة وبرهان ﴿ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ ﴾[٤]، أي: ما جئت به، ﴿ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ ﴾[٥]، قيل: أراد به استعجالهم بالعذاب، كانوا يقولون: ﴿ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ ﴾[٦] الآية، وقيل. أراد به القيامة، قال الله: ﴿ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ ﴾[٧]، ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ ﴾[٨]، وقرأ الآخرون (يقضي) بسكون القاف والضاد مكسورة، من قضيت، أي: يحكم بالحق بدليل أنه قال: ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧ ﴾[٩]، والفصل يكون في القضاء، وإنما حذفوا الياء لاستثقال الألف واللام، كقوله تعالى: (صال الجحيم) ونحوها، ولم يقل بالحق لأن الحق صفة المصدر، كأنه قال. يقضي القضاء الحق.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٥٦.
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٦.
(٣) سورة الأنعام آية : ٥٧.
(٤) سورة الأنعام آية : ٥٧.
(٥) سورة الأنعام آية : ٥٧.
(٦) سورة الأنفال آية : ٣٢.
(٧) سورة الشورى آية : ١٨.
(٨) سورة الأنعام آية : ٥٧.
(٩) سورة الأنعام آية : ٥٧.

[٥٨]، ﴿ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي ﴾[١]، وبيدي، ﴿ مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ ﴾[٢]، من العذاب، ﴿ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ ﴾[٣]، أي: فرغ من العذاب وأهلكتم، أي: لعجلته حتى أتخلص منكم، ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨ ﴾[٤].

[٥٩]، قوله تعالى: ﴿ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾[٥]، مفاتح الغيب خزائنه، جمع مفتح، واختلفوا في مفاتح الغيب. قال رسول الله: "مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام أحد إلا الله تعالى، ولا يعلم ما في الغد إلا الله ﷻ ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله ". وقال الضحاك ومقاتل. مفاتح الغيب خزائن الأرض، وعلم نزول العذاب، وقال عطاء: ما غاب عنكم من الثواب والعقاب، وقيل: انقضاء الآجال، وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم، وقيل: هي ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون، وما يكون كيف يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون؟ وقال ابن مسعود: أوتي نبيكم علم كل شيء إلا علم مفاتيح الغيب. ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ ﴾[٦]، قال مجاهد: البر: المفاوز والقفار، والبحر: القرى والأمصار، لا يحدث فيهما شيء إلا يعلمه، وقيل: هو البر والبحر المعروف، ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا ﴾[٧] يريد ساقطة وثابتة، يعني: يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى

(١) سورة الأنعام آية : ٥٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٨.
(٣) سورة الأنعام آية : ٥٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ٥٨.
(٥) سورة الأنعام آية : ٥٩.
(٦) سورة الأنعام آية : ٥٩.
(٧) سورة الأنعام آية : ٥٩.

عليه، وقيل: يعلم كـم انقلبت ظهرا لبطن إلى أن سقطت على الأرض ﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ ﴾[(١)]، قيل هو الحب المعروف في بطون الأرض، وقيل: هو تحت الصخرة التي في أسفل الأرضين، ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾[(٢)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الرطب الماء، واليابس البادية، وقال عطاء: يريد ما ينبت وما لا ينبت، وقيل: ولا حي ولا ميت، وقيل: هو عبارة عن كل شيء، ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩ ﴾[(٣)]، يعني أن الكل مكتوب في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى وَهُوَ الذِي يَتَوَفاكُمْ بِاللَّيلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنهَارِ ثُم يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمى....

[٦٠]، قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾[(٤)]، أي: يقبض أرواحكم إذا نمتم بالليل، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم ﴾[(٥)]، كسبتم، ﴿ بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾[(٦)]، أي: يوقظكم في النهار، ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾[(٧)]، يعني: أجـل الحياة إلى الممـات، يريد استيفاء العمر على التمام، ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ

---

(١) سورة الأنعام آية : ٥٩.

(٢) سورة الأنعام آية : ٥٩.

(٣) سورة الأنعام آية : ٥٩.

(٤) سورة الأنعام آية : ٦٠.

(٥) سورة الأنعام آية : ٦٠.

(٦) سورة الأنعام آية : ٦٠.

(٧) سورة الأنعام آية : ٦٠.

﴿مَرۡجِعُكُمۡ﴾[1]، في الآخـرة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم﴾[2]، يخبركـم، ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٦٠﴾[3].

[٦١]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾[4]، يعني: الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، وهو جمع حافظ، نظيره ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾[5] ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾[6]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ﴾[7] قرأ حمزة (توفيه) و(استهويه) بالياء وأمالهما، ﴿رُسُلُنَا﴾[8] يعني: أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلى ملك الموت فيقبض روحه، كما قال: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ﴾[9] وقيل: الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت فكأن ملك الموت توفاه لأنهم يصدرون عن أمره، وقيل: أراد بالرسل ملك الموت وحده، فذكر الواحد بلفظ الجمع، ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١﴾[10]، لا يقصرون.

(١) سورة الأنعام آية : ٦٠.
(٢) سورة الأنعام آية : ٦٠.
(٣) سورة الأنعام آية : ٦٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ٦١.
(٥) سورة الانفطار آية : ١٠.
(٦) سورة الانفطار آية : ١١.
(٧) سورة الأنعام آية : ٦١.
(٨) سورة الأنعام آية : ٦١.
(٩) سورة السجدة آية : ١١.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٦١.

[٦٢]، ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[1]، يعني: الملائكة، وقيل: يعني العباد يردون بالموت إلى الله مولاهم الحق، فإن قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعا وقد قال في آية أخرى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾[2]، فكيف وجه الجمع؟ فقيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار، والمولى ها هنا بمعنى المالك الذي يتولى أمورهم والله ﷻ مالك الكل ومتولي الأمور، وقيل: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع، ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ ﴾[3]، أي: القضاء دون خلقه، ﴿ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾[4]، أي: إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد.

[٦٣]، قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم ﴾[5]، قرأ يعقوب بالتخفيف، وقرأ العامة بالتشديد، ﴿ مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾[6]، أي: من شدائدهما وأهوالهما، كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ ﴾[7]، أي: علانية وسرا، قرأ أبو بكر عن عاصم (وخيفة) بكسر الخاء هنا وفي الأعراف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿ لَّئِنۡ أَنجَيۡتَنَا ﴾[8]، أي: يقولون لئن أنجيتنا، وقرأ أهل الكوفة: لئن أنجانا الله، ﴿ مِنۡ

---

(١) سورة الأنعام آية : ٦٢.

(٢) سورة محمد آية : ١١.

(٣) سورة الأنعام آية : ٦٢.

(٤) سورة الأنعام آية : ٦٢.

(٥) سورة الأنعام آية : ٦٣.

(٦) سورة الأنعام آية : ٦٣.

(٧) سورة الأنعام آية : ٦٣.

(٨) سورة يونس آية : ٢٢.

﴿ هَـٰذِهِۦ ﴾[(١)]، يعني: من هذه الظلمات، ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٢)]، والشكر: هو معرفة النعمة مع القيام بحقها.

[٦٤]، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا ﴾[(٣)]، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر (ينجيكم) بالتشديد، مثل قوله تعالى: (قل من ينجيكم)، وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف، ﴿ وَمِن كُلِّ كَرۡبٍ ﴾[(٤)]، والكرب غاية الغم الذي يأخذ النفس، ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[(٥)]، يريد أنهم يقرون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها لا تضر ولا تنفع.

[٦٥] قوله ﷻ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾[(٦)]، قال الحسن وقتادة: نزلت الآية في أهل الإيمان، وقال قوم نزلت في المشركين، وقوله ﴿ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾[(٧)] يعني: الصيحة والحجارة والريح والطوفان، كما فعل بعاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح ﴿ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾[(٨)]، يعني: الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون، وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾[(٩)] السلاطين الظلمة، ومن تحت أرجلكم العبيد السوء، وقال الضحاك: من فوقكم من قبل

---

(١) سورة الأنعام آية : ٦٣.
(٢) سورة الأنعام آية : ٦٣.
(٣) سورة الأنعام آية : ٦٤.
(٤) سورة الأنعام آية : ٦٤.
(٥) سورة الأنعام آية : ٦٤.
(٦) سورة الأنعام آية : ٦٥.
(٧) سورة الأنعام آية : ٦٥.
(٨) سورة الأنعام آية : ٦٥.
(٩) سورة الأنعام آية : ٦٥.

كباركم أو من تحت أرجلكم أي من أسفل منكم، ﴿ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا ﴾[١]، أي يخلطكم فرقا ويبث فيكم الأهواء المختلفة، ﴿ وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ﴾[٢]، يعني السيوف المختلفة، يقتل بعضكم بعضا. ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥ ﴾[٣].

[٦٦] ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ ﴾[٤]، أي: بالقرآن، وقيل بالعذاب، ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦ ﴾[٥]، برقيب، وقيل: بمسلط ألزمكم الإسلام شئتم أو أبيتم، وإنما أنا رسول.

[٦٧]، ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ ﴾[٦]، خبر من أخبار القرون، ﴿ مُّسۡتَقَرّٞۚ ﴾[٧]، حقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله، إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧ ﴾[٨]، وقال مقاتل: لكل خبر يخبره الله وقت وقته ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير، وقال الكلبي: لكل قول وفعل حقيقة، إما في الدنيا وإما في الآخرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكـم.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٦٥.
(٢) سورة الأنعام آية : ٦٥.
(٣) سورة الأنعام آية : ٦٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ٦٦.
(٥) سورة الأنعام آية : ٦٦.
(٦) سورة الأنعام آية : ٦٧.
(٧) سورة الأنعام آية : ٦٧.
(٨) سورة الأنعام آية : ٦٧.

[٦٨]، قوله ﷻ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ [(١)]، يعني: في القرآن بالاستهزاء، ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [(٢)]، فاتركهم ولا تجالسهم، ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ﴾ [(٣)]، قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد السين وقرأ الآخرون بسكون النون وتخفيف السين، ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [(٤)]، نَهْيِنا، ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [(٥)]، يعني: إذا جلست معهم ناسيا فقم من عندهم بعدما تذكرت.

قوله تعالى وَمَا عَلَى الذِينَ يَتقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلهُمْ يَتقُونَ....

[٦٩] ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [(٦)] روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [(٧)]، قال المسلمون: كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا؟ وفي رواية: قال المسلمون: فإنا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم، فأنزل الله ﷻ ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [(٨)]، الخوض, ﴿ مِنْ حِسَابِهِم ﴾ [(٩)] أي: من إثـم

(١) سورة الأنعام آية : ٦٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ٦٨.
(٣) سورة الأنعام آية : ٦٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ٦٨.
(٥) سورة الأنعام آية : ٦٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ٦٩.
(٧) سورة الأنعام آية : ٦٨.
(٨) سورة الأنعام آية : ٦٩.
(٩) سورة الأنعام آية : ٦٩.

الخائضين ﴿ مِّن شَىۡءٍ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ ﴾[1]، أي: ذكروهم وعظوهم بالقرآن، والذكر والذكرى واحد، يريد ذكروهم ذكرى، فيكون في محل النصب ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2]، الخوض إذا وعظتموهم فرخص في مجالستهم على الوعظ لعلهم يمنعهم من ذلك الخوض، قيل: لعلهم يستحيون.

[٧٠]، قوله ﷻ ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا ﴾[3]، يعني الكفار الذين إذا سمعوا بآيات الله استهزءوا بها وتلاعبوا عند ذكرها، وقيل: إن الله تعالى جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم- أي: عيدهم- لعبا ولهوا وعيد المسلمين الصلاة وتكبيراتها وفعل الخير مثل الجمعة والفطر والنحر، ﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ ﴾[4] أي: وعظ بالقرآن، ﴿ أَن تُبۡسَلَ ﴾[5]، أي: لأن لا تبسل، أي: لا تسلم، ﴿ نَفۡسُۢ ﴾[6] للهلاك، ﴿ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾[7]، قال مجاهد وعكرمة والسدي - قال ابن عباس: تهلك، وقال قتادة: أن تحبس، وقال الضحاك: تحرق، وقال ابن زيد: تؤخذ، ومعناه. ذكرهم لأن يؤمنوا كيلا تهلك نفس بما كسبت، وقال الأخفش: تبسل تجازى، وقيل: تفضح، وقال الفراء: ترتهن، وأصل الإبسال التحريم، والبسل الحرام، ثم جعل نعتا لكل شدة تتقى وتترك ﴿ لَيۡسَ لَهَا ﴾[8]، لتلك النفس،

(١) سورة الأنعام آية : ٦٩.
(٢) سورة الأنعام آية : ٦٩.
(٣) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٧) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٨) سورة الأنعام آية : ٧٠.

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ ﴾ [1]، قريب ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [2]، يشفع في الآخرة ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ ﴾ [3]، أي: تفد كل فداء، ﴿ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ [4] هنا، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ ﴾ [5]، أسلموا للهلاك، ﴿ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [6].

[٧١]، ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا ﴾ [7]، إن عبدناه، ﴿ وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ [8]، إن تركناه، يعني: الأصنام ليس إليها نفع ولا ضر، ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ [9]، إلى الشرك مرتدين، ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [10]، أي: يكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين، أي: أضلته، ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [11]، قال ابن عباس: كالذي استهوته الغيلان في المهامة فأضلوه فهو حائر بائر، والحيران: المتردد في الأمر لا يهتدي إلى مخرج منه، ﴿ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ ﴾ [12] هذا مثل

(١) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٢) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٣) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ٧٠.
(٧) سورة الأنعام آية : ٧١.
(٨) سورة الأنعام آية : ٧١.
(٩) سورة الأنعام آية : ٧١.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٧١.
(١١) سورة الأنعام آية : ٧١.
(١٢) سورة الأنعام آية : ٧١.

ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة ولمن يدعو إلى الله تعالى كمثل رجل في رفقة ضل به الغول عن الطريق يدعوه أصحابه من أهل الرفقة هلم إلى الطريق، ويدعوه الغول فيبقى حيران لا يدري أين يذهب، فإن أجاب الغول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الطريق اهتدى، ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾(1)، يزجر عن عبادة الأصنام، كأنه يقول: لا تفعل ذلك فإن الهدى هدى الله لا يهدي غيره، ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾(2)، أي: أن نسلم، ﴿ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧١ ﴾(3)، والعرب تقول: أمرتك لتفعل وأن تفعل وبأن تفعل.

[٧٢]، ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ﴾(4)، أي: وأمرنا بإقـامة الصلاة والتقوى، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٢ ﴾(5) أي: تجمعون في الموقف للحساب.

[٧٣]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾(6)، قيل: الباء بمعنى اللام، أي: إظهارا للحق لأنه جعل صنعه دليلا على وحدانيته، ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾(7)، قيل: هو راجع إلى خلق السماوات والأرض، والخلق بمعنى: القضاء والتقدير، أي: كل شيء قضاه وقدره قال له: كن فيكون. وقيل: يرجع إلى القيامة يدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون، وقوموا

---

(1) سورة الأنعام آية : ٧١.
(2) سورة الأنعام آية : ٧١.
(3) سورة الأنعام آية : ٧١.
(4) سورة الأنعام آية : ٧٢.
(5) سورة الأنعام آية : ٧٢.
(6) سورة الأنعام آية : ٧٣.
(7) سورة الأنعام آية : ٧٣.

فيقومون، ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾ [1]، أي: الصدق الواقع لا محالة، يريد أن ما وعده حق كائن، ﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ ﴾ [2]، يعني ملك الملوك يومئذ زائل، كقوله ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [3]، وكما قال: ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾ [4]، والأمر لله في كل وقت، ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله، والصور: قرن ينفخ فيه، قال مجاهد: كهيئة البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وقال أبو عبيدة: الصور هو الصور وهو جمع الصورة، وهو قول الحسن، والأول أصح، والدليل عليه ما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: « جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: "قرن ينفخ فيه » [5] [6]. قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ ﴾ [7] يعني: يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه لا يغيب عن علمه شيء، ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣ ﴾ [8].

(١) سورة الأنعام آية : ٧٣.

(٢) سورة الأنعام آية : ٧٣.

(٣) سورة الفاتحة آية : ٤.

(٤) سورة الانفطار آية : ١٩.

(٥) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٠), أبو داود السنة (٤٧٤٢), أحمد (١٦٢/٢), الدارمي الرقاق (٢٧٩٨).

(٦) أخرجه الترمذي في القيامة ١١٧/٧ وقال حديث حسن صحيح، والدارمي في الرقاق ٣٢٥/٢، وصححه الحاكـم ٥٠٦/٢، والإمام أحمد في المسند ١٦٢/٢، ١٩٢.

(٧) سورة الأنعام آية : ٧٣.

(٨) سورة الأنعام آية : ٧٣.

قوله تعالى وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ....

[٧٤]، قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ [١]، قرأ يعقوب (آزر) بالرفع، يعني: (آزر)، والقراءة المعروفة بالنصب، وهو اسم أعجمي لا ينصرف فينصب في موضع الخفض، قال محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي. آزر اسم أبي إبراهيم وهو تارخ أيضا، وقال مقاتل بن حيان وغيره: آزر لقب لأبي إبراهيم، واسمه تارخ، وقال سليمان التيمي: هو سب وعيب، ومعناه في كلامهم المعوج، وقيل: معناه الشيخ الهرم بالفارسية، وقال سعيد بن المسيب ومجاهد: آزر اسم صنم، فعلى هذا يكون في محل النصب تقديره ﴿ أَتَتَّخِذُ ﴾ [٢] آزر إلها قوله ﴿ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ [٣]، دون الله، ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [٤]، أي: في خطأ بين.

[٧٥]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [٥] أي: كما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه كذلك نريه ﴿ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٦]، والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالجبروت والرحموت والرهبوت, قال ابن عباس: يعني خلق السماوات والأرض، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني آيات السماوات والأرض، وذلك أنه أقيم على صخر وكشف له عن ملكوت السماوات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين

---

(١) سورة الأنعام آية : ٧٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ٧٤.
(٣) سورة الأنعام آية : ٧٤.
(٤) سورة الأنعام آية : ٧٤.
(٥) سورة الأنعام آية : ٧٥.
(٦) سورة الأنعام آية : ٧٥.

ونظر إلى مكانه في الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [1] يعني. أريناه مكانه في الجنة، وقال قتادة: ملكوت السماوات. الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض. الجبال والشجر والبحار، ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [2]، عطف على المعنى، ومعناه: نريه ملكوت السماوات والأرض، ليستدل به وليكون من الموقنين.

[٧٦]، ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ [3] أي: دخل الليل، يقال: جن الليل وأجن الليل، وجنه الليل، وأجن عليه الليل يجن جنونا وجنانا إذا أظلم وغطى كل شيء، وجنون الليل سواده، ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ ﴾ [4] اختلفوا في قوله ذلك فأجراه بعضهم على الظاهر، وقالوا: كان إبراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله وآتاه رشده فلم يضره ذلك في حال الاستدلال، وأيضا كان ذلك في حال طفولته قبل قيام الحجة عليه، فلم يكن كفرا، وأنكر الآخرون هذا القول، وقالوا: لا يجوز أن يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله موحد وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء، وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره واتاه رشده من قبل وأخبر عنه فقال: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ [5]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [6]، أفتراه أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكبا قال: هذا ربي معتقدا؟! فهذا ما لا يكون أبدا. ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [7]. وما لا يدوم.

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٢٧.

(٢) سورة الأنعام آية : ٧٥.

(٣) سورة الأنعام آية : ٧٦.

(٤) سورة الأنعام آية : ٧٦.

(٥) سورة الصافات آية : ٨٤.

(٦) سورة الأنعام آية : ٧٥.

(٧) سورة الأنعام آية : ٧٦.

[٧٧]، ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾[1]، طالعا، ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾[2]، وقيل: لئن لم يثبتني ربي على الهدى، ليس أنه لم يكن مهتديا، والأنبياء لم يزالوا يسألون الله تعالى الثبات على الإيمان ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[3] أي: عن الهدى.

[٧٨]، ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾[4] طالعة، ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾[5] أي: أكبر من الكوكب والقمر، ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة لأنه أراد هذا الطالع، أو رده إلى المعنى، وهو الضياء والنور، لأنه رآه أضوأ من النجوم والقمر، ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَتْ ﴾[6]، غربت، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[7].

[٧٩] ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[8].

[٨٠]، ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾[9] أي: خاصمه وجادله قومه في دينه، ﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾[10] يقول: أتجادلونني في توحيد الله ﴿ وَقَدْ

(١) سورة الأنعام آية : ٧٧.
(٢) سورة الأنعام آية : ٧٧.
(٣) سورة الأنعام آية : ٧٧.
(٤) سورة الأنعام آية : ٧٨.
(٥) سورة الأنعام آية : ٧٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ٧٨.
(٧) سورة الأنعام آية : ٧٨.
(٨) سورة الأنعام آية : ٧٩.
(٩) سورة الأنعام آية : ٨٠.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٨٠.

هَدَىٰنِ ۚ ﴾ [1] للتوحيد والحق ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾ [2]، وذلك أنم قالوا له: احذر الأصنام فإنا نخاف أن تمسك بسوء من خبل أو جنون لعيبك إياها، فقال لهم: ولا أخاف ما تشركون به، ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيۡـًٔا ۗ ﴾ [3]، وليس هذا باستثناء من الأول بل هو استثناء منقطع، معناه لكن إن يشأ ربي شيئا أي سوء فيكون ما شاء، ﴿ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًا ۗ ﴾ [4]، أي: أحاط علمه بكل شيء ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [5].

[٨١]، ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ ﴾ [6]، يعني الأصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع، ﴿ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنًا ۚ ﴾ [7]، حجة وبرهانا، وهو القاهر القادر على كل شيء، ﴿ فَأَىُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ ﴾ [8]، أولى ﴿ بِٱلۡأَمۡنِ ۖ ﴾ [9] أنا وأهل ديني أم أنتم، ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [10] فقال الله تعالى قاضيا بينهما:

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٠.
(٢) سورة الأنعام آية : ٨٠.
(٣) سورة الأنعام آية : ٨٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ٨٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ٨٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ٨١.
(٧) سورة الأنعام آية : ٨١.
(٨) سورة الأنعام آية : ٨١.
(٩) سورة الأنعام آية : ٨١.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٨١.

[٨٢]، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [(١)] لم يخلطوا إيمانهم بشرك، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [(٢)]

قوله تعالى وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ.....

[٨٣]، قوله ﷻ ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَـٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ ﴾ [(٣)]، حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ [(٤)]، بالعلم. قرأ أهل الكوفة ويعقوب (درجات) بالتنوين ها هنا وفي سورة يوسف، أي: نرفع درجات من نشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل، كما رفعنا درجات إبراهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [(٥)].

[٨٤]، ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ ﴾ [(٦)]، ووفقنا وأرشدنا.

﴿ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ ﴾ [(٧)] أي: من قبل إبراهيم، ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ [(٨)]، أي: من ذرية نوح عليه السلام، ولم يرد من ذرية إبراهيم، لأنه ذكر في جملتهم يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية إبراهيم، دَاوُدَ، هو داود بن أيشا، وَسُلَيْمَانَ، يعني ابنه وَأَيوبَ، وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، وَيُوسُفَ، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وَمُوسَى، وهو موسى بن عمران

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٢.

(٢) سورة الأنعام آية : ٨٢.

(٣) سورة الأنعام آية : ٨٣.

(٤) سورة الأنعام آية : ٨٣.

(٥) سورة الأنعام آية : ٨٣.

(٦) سورة الأنعام آية : ٨٤.

(٧) سورة الأنعام آية : ٨٤.

(٨) سورة الأنعام آية : ٨٤.

بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وَهَٰرُونَ، هو أخو موسى أكبر منه بسنة، ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ [1]، أي: كما جزينا إبراهيم على توحيده بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولادا أنبياء أتقياء كذلك ﴿ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾ [2]، على إحسانهم، وليس ذكرهم على ترتيب أزمانهم.

[٨٥]، وَزَكَرِيا، هو زكريا بن اذن، وَيَحْيَى، وهو ابنه، وَعِيسَى، وهو ابن مريم بنت عمران، وَإِلْيَاسَ، واختلفوا فيه، قال ابن مسعود: هو إدريس وله اسمان مثل يعقوب وإسرائيل، والصحيح أنه غيره لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح، وإدريس جد أبي نوح، وهو إلياس بن بشير ابن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران ﴿ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ ﴾ [3].

[٨٦]، ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ ﴾ [4]، وهو ولد إبراهيم، ﴿ وَٱلْيَسَعَ ﴾ [5]، وهو ابن أخطوب بن العجوز. وقرأ حمزة والكسائي (والليسع) بتشديد اللام وسكون الياء هنا وفي ص ﴿ وَيُونُسَ ﴾ [6] وهو يونس بن متى، ﴿ وَلُوطًا ۚ ﴾ [7]، وهو لوط بن هاران بن أخي إبراهيم، ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [8]، أي: عالمي زمانهم.

(١) سورة الأنعام آية : ٨٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ٨٤.
(٣) سورة الأنعام آية : ٨٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ٨٦.
(٥) سورة الأنعام آية : ٨٦.
(٦) سورة الأنعام آية : ٨٦.
(٧) سورة الأنعام آية : ٨٦.
(٨) سورة الأنعام آية : ٨٦.

[٨٧] ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ ﴾[1]، من فيه للتبعيض، لأن آباء بعضهم كانوا مشركين، ﴿ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ﴾[2]، أي: ومن ذرياتم وأراد بعضهم، لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد، وكان في ذرية بعضهم من كان كافرا ﴿ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ ﴾[3]، اخترناهم واصطفيناهم، ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُمْ ﴾[4]، أرشدناهم، ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾[5]

[٨٨]، ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾[6]، دين الله، ﴿ يَهْدِى بِهِۦ ﴾[7]، يرشد به، ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ ﴾[8]، أي: هؤلاء الذين سميناهم، ﴿ لَحَبِطَ ﴾[9]، لبطل وذهب، ﴿ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[10] .

[٨٩]، ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[11]، أي: الكتب الم لة- عليهم، ﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾[12] يعني: العلم والفقه، ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾[13]، يعني:

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٧.
(٢) سورة الأنعام آية : ٨٧.
(٣) سورة الأنعام آية : ٨٧.
(٤) سورة الأنعام آية : ٨٧.
(٥) سورة الأنعام آية : ٨٧.
(٦) سورة الأنعام آية : ٨٨.
(٧) سورة الأنعام آية : ٨٨.
(٨) سورة الأنعام آية : ٨٨.
(٩) سورة الأنعام آية : ٨٨.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٨٨.
(١١) سورة الأنعام آية : ٨٩.
(١٢) سورة الأنعام آية : ٨٩.
(١٣) سورة الأنعام آية : ٨٩.

أهل مكة، ﴿ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾[1] يعني: الأنصار وأهل المدينة قاله ابن عباس ومجاهد، وقال قتادة: فإن يكفر بها هؤلاء الكفار فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين، يعني: الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله ها هنا، وقال أبو رجاء العطاردي: معناه: فإن يكفر بها أهل الأرض فقد وكلنا بها أهل السماء وهم الملائكة قوما ليسوا بها بكافرين.

[٩٠]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ ﴾[2]، أي: هداهم الله، ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ﴾[3]، فبسنتهم وسيرتم، ﴿ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[4]، الهاء فيها هاء الوقف، وحذف حمزة والكسائي ويعقوب الهاء في الوصل، والباقون بإثباتا وصلا ووقفا، وقرأ ابن عامر: (اقتده) بإشباع الهاء كسرا ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ ﴾[5]، ما هو، ﴿ إِلَّا ذِكۡرَىٰ ﴾[6]، أي: تذكـرة وموعظة، ﴿ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾[7].

قوله تعالى وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَق قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ....

[٩١]، ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾[8]، أي: ما عظموه حق عظمته، وقيل: ما وصفوه حق وصفه، ﴿ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ ﴾[9]، قال ابن عباس

(١) سورة الأنعام آية : ٨٩.
(٢) سورة الأنعام آية : ٩٠.
(٣) سورة الأنعام آية : ٩٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ٩٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ٩٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ٩٠.
(٧) سورة الأنعام آية : ٩٠.
(٨) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٩) سورة الأنعام آية : ٩١.

رضي الله عنهما: ﴿ قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتابا، قال: نعم، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابا، فأنزل الله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيۡءٍۗ ﴾ [1]، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ ﴾ [2]، لهم، ﴿ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ ﴾ [3]، يعني التوراة، ﴿ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرًاۖ ﴾ [4]، أي: تكتبون عنه دفاتر وكتبا مقطعة ﴿ تُبۡدُونَهَا ﴾ [5]، أي: تبدون ما تحبون وتخفون كثيرا من نعت محمد ﷺ وآية الرجم ﴿ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ﴾ [6]، الأكثرون على أنا خطاب لليهود، يقول: علمتم على لسان محمد ﷺ ما لم تعلموا ﴿ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ ﴾ [7]، قال الحسن: جعل لهم علم ما جاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم ينتفعوا به، وقال مجاهد: هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد ﷺ ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾ [8]، هذا راجع إلى قوله ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٢) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٣) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٤) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٥) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٦) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٧) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٨) سورة الأنعام آية : ٩١.

﴿ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾[1]، فإن أجابوك وإلا فقل أنت. (الله)، أي: قل أنزله الله، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾[2].

[٩٢]، ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾[3]، أي: القرآن كتاب مبارك أنزلناه ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ﴾[4]، يا محمد، قرأ أبو بكر عن عاصم (ولينذر) بالياء أي: ولينذر الكتاب، ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾[5]، يعني: مكة سميت أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل، وأراد أهل أم القرى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ﴾[6]، أي: أهل الأرض كلها شرقا وغربا، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ﴾[7]، بالكتاب، ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾[8]، يعني: الصلوات الخمس، ﴿يُحَافِظُونَ ۝﴾[9]، يداومون، يعني المؤمنين.

[٩٣] قوله ﷻ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾[10]، اختلق ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[11]، فزعم أن الله تعالى بعثه نبيا، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[1]، قال قتادة:

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٢) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٣) سورة الأنعام آية : ٩٢.
(٤) سورة الأنعام آية : ٩٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ٩٢.
(٦) سورة الأنعام آية : ٩٢.
(٧) سورة الأنعام آية : ٩٢.
(٨) سورة الأنعام آية : ٩٢.
(٩) سورة الأنعام آية : ٩٢.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٩٣.
(١١) سورة الأنعام آية : ٩٣.

نزلت في مسيلمة الكذاب، وكان يسجع ويتكهن، فادعى النبوة وزعم أن الله أوحى إليه، وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين، فقال النبي ﷺ لهما: ﴿ أتشهدان أن مسيلمة نبي؟ قالا: نعـم، فقـال النبي ﷺ لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ﴾ [2] [3]. ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [4]، قيل: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ وكان إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما, وإذا قال: عليمـا حكيمـا كتب غفـورا رحيما, فلما نزلت: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [5] [المؤمنون: آية ١٢] أملاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين, فقال النبي ﷺ اكتبها فهكذا نزلت، فشك عبد الله، وقال: لئن كان محمد صادقا فقد أوحي إلي كما أوحي إليه, فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، ثم رجـع عبد الله إلى الإسلام قبل فتح مكـة إذ نزل النبي ﷺ بمر الظهران. وقال ابن عباس. قوله ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [6]، يريد المستهزئين وهو جواب لقولهم: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ﴾ [7]. قوله ﷻ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ [8]، يا محمد ﴿ إِذِ

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٣.

(٢) أبو داود الجهاد (٢٧٦١), أحمد (٤٨٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب وفد بني حنيفة ٨٩/٨, ومسلم في الرؤيا رقم (٢٢٧٤) ١٧٨١/٤, والمصنف في شرح السنة ٢٥٢/١٢.

(٤) سورة الأنعام آية : ٩٣.

(٥) سورة المؤمنون آية : ١٢.

(٦) سورة الأنعام آية : ٩٣.

(٧) سورة الأنفال آية : ٣١.

(٨) سورة الأنعام آية : ٩٣.

ﭐلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ [1] سكراته وهي جمع غمرة وغمرة كل شيء معظمه وأصله الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ثم وضعت في موضع الشدائد- والمكاره، ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [2]، بالعذاب والضرب يضربون وجوههم وأدبارهم، وقيل. بقبض الأرواح، ﴿ أَخۡرِجُوٓاْ ﴾ [3]، أي: يقولون أخرجوا ﴿ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ [4]، أي: أرواحكم كرها لأن نفس المؤمن تنشط للقاء ربه، والجواب محذوف، يعني لو تراهم في هذه الحال لرأيت عجبا، ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ ﴾ [5]، أي: الهوان، ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٩٣ ﴾ [6]، تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه.

[٩٤]، ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ [7]، هذا خبر من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة: ولقد جئتمونا فرادى وحدانا، لا مال معكم ولا ولد ولا خدم، وفرادى جمع فردان، مثل سكران وسكارى، وكسلان وكسالى، وقرأ الأعرج فردى بغير ألف مثل سكارى، ﴿ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ [8]، عراة حفاة غرلا, ﴿ وَتَرَكۡتُم ﴾ [9]، وخلفتم ﴿ مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ ﴾ [10]، أعطيناهم من الأموال والأولاد والخدم، ﴿

(١) سورة الأنعام آية : ٩٣.
(٢) سورة الأنعام آية : ٩٣.
(٣) سورة الأنعام آية : ٩٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ٩٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ٩٣.
(٦) سورة الأنعام آية : ٩٣.
(٧) سورة الأنعام آية : ٩٤.
(٨) سورة الأنعام آية : ٩٤.
(٩) سورة الأنعام آية : ٩٤.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٩٤.

وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ ﴾ [1]، في الدنيا، ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْۚ ﴾ [2]، وذلك أن المشركين زعموا أنم يعبدون الأصنام لأنم شركاء الله وشفعاؤهم عنده، ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ [3]، قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون على معنى لقد تقطع ما بينكم من الوصل، أو تقطع الأمر بينكم برفع النون، أي: لقد تقطع وصلكم وذلك مثل قوله: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [4]، أي: الوصلات والبين من الأضداد وصلا ويكون هجرا, ﴿ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [5] .

قوله تعالى إن اللهَ فَالِقُ الحَب وَالنوَى يُخْرِجُ الحَي مِنَ المَيتِ وَمُخْرِجُ المَيتِ مِنَ الحَي....

[95] قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ ﴾ [6]، الفلق الشق, قال الحسن وقتادة والسدي: معناه يشق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة فيخرجها منها، والحب جمع الحبة، وهي اسم لجميع البذور والحبوب من البر والشعير والذرة، وكل ما لم يكن له نوى، وقال الزجاج: يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منهما ورقا أخضر, وقال مجاهد: يعني الشقين اللذين فيهما, أي: يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق النوى عن النخل ويخرجها منه, والنوى جمع النواة وهي كل ما لم يكن له حب، كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها, وقال الضحاك: فالق الحب والنوى يعني: خالق الحب والنوى,

(١) سورة الأنعام آية : ٩٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ٩٤.
(٣) سورة الأنعام آية : ٩٤.
(٤) سورة البقرة آية : ١٦٦.
(٥) سورة الأنعام آية : ٩٤.
(٦) سورة الأنعام آية : ٩٥.

﴿ تُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[1] تصرفون عن الحق.

[٩٦] ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾[2] شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه، وقال الضحاك: خالق النهار، والإصباح مصدر كالإقبال والإدبار وهو الإضاءة وأراد به الصبح وهو أول ما يبدو من النهار، يريد ومبدي الصبح وموضحه، ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا ﴾[3]، يسكن فيه خلقه. وقرأ أهل الكوفة: (وجعل) على الماضي، (الليل)، نصب اتباعا للمصحف، وقرأ إبراهيم النخعي (فلق الإصباح)، ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا ﴾[4]، ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ﴾[5]، أي: جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما، والحسبان مصدر كالسحاب، وقيل: جمع حساب، ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾[6].

[٩٧] قوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ ﴾[7] أي: خلقها لكم، ﴿ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ ﴾[8]، والله تعالى خلق النجوم لفوائد، أحدها: هذا وهو أن راكب السفينة والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده، والثاني: أنها

(١) سورة الأنعام آية : ٩٥.
(٢) سورة الأنعام آية : ٩٦.
(٣) سورة الأنعام آية : ٩٦.
(٤) سورة الأنعام آية : ٩٦.
(٥) سورة الأنعام آية : ٩٦.
(٦) سورة الأنعام آية : ٩٦.
(٧) سورة الأنعام آية : ٩٧.
(٨) سورة الأنعام آية : ٩٧.

زينة للسماء كما قال ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾[1]، ومنها رمي الشيطان، كما قال: ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾[2]، ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[3].

[٩٨]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم ﴾[4]، خلقكم وابتدأكم ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[5]، يعني: آدم عليه السلام، ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[6]، قرأ ابن كثير وأهل البصرة (فمستقر) بكسر القاف، يعني: فمنكـم مستقر ومنكم مستودع، وقرأ الآخرون بفتح القاف، أي: فلكم مستقر ومستودع، واختلفوا في المستقر والمستودع فقال عبد الله بن مسعود: فمستقر في الرحم إلى أن يولد، ومستودع في القبر إلى أن يبعث، وقال سعيد بن جبير وعطاء: فمستقر في أرحام الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس، قال سعيد بن جبير: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: أما إنه ما كان مستودعا في ظهرك فسيخرجه الله عز وجل. وروي عن أبي أنه قال: مستقر في أصلاب الآباء، ومستودع في أرحام الأمهات، وقيل: مستقر في الرحم ومستودع فوق الأرض، قال الله تعالى: ﴿ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾[7] وقال مجاهد: مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة، ويدل عليه قوله تعالى:

---

(١) سورة الملك آية : ٥.
(٢) سورة الملك آية : ٥.
(٣) سورة الأنعام آية : ٩٧.
(٤) سورة الأنعام آية : ٩٨.
(٥) سورة الأنعام آية : ٩٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ٩٨.
(٧) سورة الحج آية : ٥.

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1]، وقال الحسن: المستقر في القبر والمستودع في الدنيا، وكان يقول: يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك، وقيل: المستودع القبر والمستقر الجنة والنار، لقوله ﷻ في صفة أهل الجنة: ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[2]، وفي صفة أهـل النـار: ﴿ سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[3] ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[4].

[٩٩]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾[5]، أي: بالماء، ﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ ﴾[6]، من الماء، وقيل: من النبات، ﴿ خَضِرًا ﴾[7]، يعني: أخضر، مثل العور والأعور، يعني: ما كان رطبا أخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما، ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾[8]، أي: متراكبا بعضه على بعض، مثل سنابل البر والشعير والأرز وسائر الحبوب، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا ﴾[9]، والطلع أول ما يخرج من ثمر النخل، ﴿ قِنْوَانٌ ﴾[10]، جمع قنو وهو العذق، مثل صنو وصنوان ولا

(١) سورة البقرة آية : ٣٦.
(٢) سورة الفرقان آية : ٧٦.
(٣) سورة الفرقان آية : ٦٦.
(٤) سورة الأنعام آية : ٩٨.
(٥) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٦) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٧) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٨) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٩) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(١٠) سورة الأنعام آية : ٩٩.

نظير لهما في الكلام، ﴿ دَانِيَةٌ ﴾[(١)]، أي: قريبة المتناول ينالها القائم والقاعد، وقال مجاهد: متدلية، وقال الضحاك: قصار ملتزمة بالأرض، وفيه اختصار معناه: ومن النخل ما قنوانا دانية ومنها ما هي بعيدة، فاكتفي بذكر القريبة عن البعيدة لسبقه إلى الأفهام، كقوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾[(٢)] يعني: الحر والبرد فاكتفي بذكر أحدهما، ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾[(٣)]، أي: وأخرجنا منه جنات، وقرأ الأعمش عن عاصم (وجنات) بالرفع نسقا على قوله: ﴿ قِنْوَانٌ ﴾[(٤)] وعامة القراء على خلافه، ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ﴾[(٥)]، يعني: وشجر الزيتون وشجر الرمان، ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾[(٦)]، قال قتادة: معناه مشتبها ورقها مختلفا ثمرها، لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان، وقيل: مشتبه في المنظر مختلف في الطعم، ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ ﴾[(٧)]، قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم، هذا وما بعده وفي يس على جمع الثمار، وقرأ الآخرون بفتحهما على جمع الثمرة مثل بقرة وبقر، ﴿ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾[(٨)]، ونضجه وإدراكه، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[(٩)].

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٢) سورة النحل آية : ٨١.
(٣) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٤) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٥) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٦) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٧) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٨) سورة الأنعام آية : ٩٩.
(٩) سورة الأنعام آية : ٩٩.

[١٠٠]، قوله ﷻ ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ [(١)] يعني: الكافرين جعلوا لله الجن شركاء، ﴿ وَخَلَقَهُمۡۖ ﴾ [(٢)]، يعني: وهو خلق الجن، قال الكلبي: نزلت في الزنادقة أثبتوا الشركة لإبليس في الخلق، فقالوا: الله خالق النور والناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب، وهذا كقوله: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ ﴾ [(٣)]، وإبليس من الجن، ﴿ وَخَرَقُواْ ﴾ [(٤)] بتشديد الراء على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: اختلقوا ﴿ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ ﴾ [(٥)]، وذلك مثل قول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، وقول كفار مكة الملائكة بنات الله، ثم نزه نفسه فقال: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠ ﴾ [(٦)]،

[١٠١] ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [(٧)] أي: مبدعهما لا على مثال سبق، ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ ﴾ [(٨)] أي: كيف يكون له ولد؟ ﴿ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ ﴾ [(٩)]، زوجة، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾ [(١٠)].

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٠.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٠٠.
(٣) سورة الصافات آية : ١٥٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٠٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٠٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٠٠.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٠١.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٠١.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٠١.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١٠١.

قوله تعالى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ....

[١٠٢]، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ ﴾ [(١)]، فأطيعوه، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [(٢)] بالحفظ له والتدبير.

[١٠٣] ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ ﴾ [(٣)]، يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية في نفي رؤية الله ﷻ عيانا، ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله ﷻ عيانا: قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(٤)]. ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٥)]، وقال: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [(٦)] قال مالك ﷺ لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب؟ وقرأ النبي ﷺ ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ [(٧)]، وفسره بالنظر إلى وجه الله عز وجل. وعن جرير بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ ﴿ إنكم سترون ربكم عيانا ﴾ [(٨)] [(٩)] وأما قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٢.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٠٢.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٠٣.
(٤) سورة القيامة آية : ٢٢.
(٥) سورة القيامة آية : ٢٣.
(٦) سورة المطففين آية : ١٥.
(٧) سورة يونس آية : ٢٦.
(٨) البخاري التوحيد (٦٩٩٨), مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٣), الترمذي صفة الجنة (٢٥٥١), أبو داود السنة (٤٧٢٩), ابن ماجه المقدمة (١٧٧), أحمد (٤/٣٦٠).
(٩) أخرجه البخاري في التفسير ٥٩٧/٨ وفي التوحيد، ومسلم في المساجد رقم (٦٣٣) ٤٣٩/١ والمصنف في شرح السنة ٢٢٤/٢.

ﭽ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﭼ[1]، فاعلم أن الإدراك غير الرؤية لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﭽ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﭼ[2]. ﭽ قَالَ كَلَّآۖ ﭼ[3]. وقال: ﭽ لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﭼ[4]، فنفي الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله ﻷ يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به، قال الله تعالى: ﭽ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﭼ[5]، فنفي الإحاطة مع ثبوت العلم، قال سعيد بن المسيب: لا تحيط به الأبصار، وقال عطاء: كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به، وقال ابن عباس ومقاتل: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يرى في الآخرة، قوله: ﭽ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﭼ[6]، أي: لا يخفي على الله شيء ولا يفوته، ﭽ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﭼ[7]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اللطيف بأوليائه الخبير بهم، وقال الزهري معنى (اللطيف) الرفيق بعباده، وقيل: اللطيف الموصل الشيء باللين والرفق، وقيل: اللطيف الذي ينسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا، وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء.

[١٠٤]، قوله ﻷ ﭽ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﭼ[8] يعني: الحجج البينة التي تبصرون بها الهدي من الضلالة والحق من الباطل، ﭽ فَمَنۡ

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٣.
(٢) سورة الشعراء آية : ٦١.
(٣) سورة الشعراء آية : ٦٢.
(٤) سورة طه آية : ٧٧.
(٥) سورة طه آية : ١١٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٠٣.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٠٣.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٠٤.

أَبْصَرَ ﴾ [1] أي: فمن عرفها وآمن بها ﴿ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ [2]، عمله ونفعه له، ﴿ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ ﴾ [3]، أي: من عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعليهـا، أي: بنفسـه ضـر، ووبال الـعمـى عليه، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [4]، برقيب أحصي عليكـم أعمالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفي عليه شيء من أفعالكم.

[١٠٥] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ [5]، نفصلها ونبينها في كل وجه، ﴿ وَلِيَقُولُوا۟ ﴾ [6]، قيل: معناه لئلا يقولوا ﴿ دَرَسْتَ ﴾ [7]، وقيل: اللام لام العاقبة أي: عاقبة أمرهم أن يقولوا: درست، أي قرأت على غيرك، وقيل: قرأت كتب أهل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ ﴾ [8]، ومعلوم أنم لم يلتقطوه لذلك، ولكن أراد أن عاقبة أمرهم أن كان عدوا لهم، قال ابن عباس: (وليقولوا) يعني: أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن (دَرَسْتَ) أي: تعلمت من يسار وجبر كانا عبدين من سبي الروم، ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله، من قولهم درست الكتاب أدرس درسا ودراسة، وقال الفراء رحمه الله: يقولون تعلمت من اليهود، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (دارست)، بالألف، بفتح السين وسكون التاء، أي: هذه الأخبار التي

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٠٤.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٠٤.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٠٤.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٠٥.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٠٥.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٠٥.
(٨) سورة القصص آية : ٨.

تتلوها علينا قديمة، قد درست وانمحت، من قولهم درس الأثر يدرس دروسا. ﴿ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥ ﴾ [1] أي: القرآن، وقيل: نصرف الآيات لقوم يعلمون، قال ابن عباس: يريد أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد، وقيل: يعني أن تصريف الآيات ليشقى بها قوم ويسعد بها قوم آخرون، فمن قال درست فهو شقي ومن تبين له الحق فهو سعيد.

[١٠٦]، ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [2]، يعني: القرآن اعمل به، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ ﴾ [3]، فلا تجادلهم.

[١٠٧]، ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ ﴾ [4] أي: ولو شاء لجعلهم مؤمنين، ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ ﴾ [5]، رقيبا قال عطاء: وما جعلناك حفيظا تمنعهم مني، أي: لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب إنما بعثت مبلغا ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧ ﴾ [6].

قوله تعالى وَلَا تَسُبوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون اللهِ فَيَسُبوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ....

[١٠٨] ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [7] الآية، قال ابن عباس: لما نزلت: ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [8] قال المشركون: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أوثانهم، وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك، لئلا يسبوا الله فإنهم

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٥.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٠٦.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٠٦.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٠٧.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٠٧.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٠٧.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٠٨.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٩٨.

قوم جهلة ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1]، يعني: الأوثان، ﴿ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا ﴾[2]، أي: اعتداء وظلما، ﴿ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾[3]، قرأ يعقوب (عدوا) بضم العين والدال وتشديد الواو، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ﴿ لا تسبوا ربكم ﴾، فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم. وظاهر الآية وإن كان نيا عن سب الأصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى، لأنه سبب لذلك، ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ﴾[4]، أي: كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان، كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية، ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم ﴾[5]، ويجازيهم ﴿ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨ ﴾[6].

[١٠٩] قوله ﷻ ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾[7] أي: حلفوا بالله جهد أيمانهم، أي: بجهد أيمانهم، يعني أوكد ما قدروا عليه من الإيمان وأشدها، قال الكلبي ومجاهد: إذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه، ﴿ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٌ ﴾[8]، كما جاءت من قبلهم من الأمم، ﴿ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ ﴾[9]، يا محمد، ﴿ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٠٨.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٠٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٠٨.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٠٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٠٨.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٠٩.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٠٩.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٠٩.

عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1]، والله قادر على إنزالها، ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ ﴾[2]، وما يدريكم، واختلفوا في المخاطبين بقوله ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ ﴾[3]، فقال بعضهم: الخطاب للمشركين الذي أقسموا، وقال بعضهم: الخطاب للمؤمنين، وقوله تعالى: ﴿ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[4]، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصـم (إنا) بكسر الألف على الابتداء، وقالوا: تم الكلام عند قوله ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ ﴾[5]، ثم من جعل الخطاب للمشركين قال معناه: وما يشعركم أيها المشركون أنا لو جاءت آمنتم؟ ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه: وما يشعركم أيها المؤمنون أنا لو جاءت آمنوا؟ لأن المسلمين كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يدعو الله حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم بقوله: ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ ﴾[6] ثم ابتدأ فقال جل ذكره: ﴿ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[7]، وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عليهم بأنم لا يؤمنون، وقرأ الآخرون أنا بفتح الألف وجعلوا الخطاب للمؤمنين، واختلفوا في قوله: (لا يؤمنون)، فقال الكسائي: (لا) صلة، ومعنى الآية: وما يشعركم أيها المؤمنون إذا جاءت أن المشركين يؤمنون؟ كقوله: ﴿ وَحَرَٰمٌ

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٩.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٠٩.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٠٩.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٠٩.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٠٩.

(٦) سورة الأنعام آية : ١٠٩.

(٧) سورة الأنعام آية : ١٠٩.

عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [1] أي: يرجعون وقيل: إنا بمعنى لعل، وكذلك هو في قراءة أبي، تقول العرب: اذهب إلى السوق أنك تشتري شيئا، أي: لعلك وقيل: فيه حذف وتقديره: وما يشعركـم أنا إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون؟ وقرأ ابن عامر وحمزة (لا يؤمنون)، بالتاء على الخطاب للكفار واعتبروا بقراءة أبي: إذا جاءتكـم لا تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر، ودليلها قراءة الأعمش: أنا إذا جاءتم لا يؤمنون.

[١١٠]، ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [2]، قال ابن عباس: يعني ونحول بينهم وبين الإيمان، فلو جئناهم بالآيات التي سألوا ما آمنوا با كما لم يؤمنوا به أول مرة، أي: كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من انشقاق القمر وغيره، وقيل: كما لم يؤمنوا به أول مرة، يعني: معجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام، كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ [3]، وفي الآية محذوف تقديره فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: المرة الأولى دار الدنيا، يعني لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا نقلب أفئدتم وأبصارهم عن الإيمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتم، كما قال: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ [4].

﴿ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [5] قال عطاء: نخذلهم وندعهم في ضلالتهم يتمادون.

(١) سورة الأنبياء آية : ٩٥.
(٢) سورة الأنعام آية : ١١٠.
(٣) سورة القصص آية : ٤٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ٢٨.
(٥) سورة الأنعام آية : ١١٠.

قوله تعالى وَلَوْ أَنَنا نَزلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَمَهُمُ الْمَوْتى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُل شَيْءٍ قُبلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ....

[١١١] ﴿ ۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ (١)، فرأوهم عيانـا ﴿ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ (٢) بإحيائنا إياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا، ﴿ وَحَشَرۡنَا ﴾ (٣)، وجمعنا، ﴿ عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا ﴾ (٤)، قرأ أهل المدينة وابن عامر (قبلا) بكسر القاف وفتح الباء، أي: معاينة، وقرأ الآخرون بضم القاف والباء، قيل: هو جمع قبيل، وهو الكفيل، مثل رغيف ورغف، وقضيب وقضب، أي: ضمناء وكفلاء، وقيل: هو جمع قبيل وهو القبيلة، أي: فوجا، وقيل: هو بمعنى المقابلة والمواجهة، من قولهم: أتيتك قبلا لا دبرا إذا أتاه من قبل وجهه. ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٥)، ذلك، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (٦).

[١١٢] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا ﴾ (٧)، أي: أعداء. فيه تعزية للنبي ﷺ يعني كما ابتليناك بؤلاء القوم، فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء، ثم فسرها فقال: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ ﴾ (٨)، قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي: معناه شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجن التي مع الجن، وليس للإنس شياطين، وذلك أن

---

(١) سورة الأنعام آية : ١١١.
(٢) سورة الأنعام آية : ١١١.
(٣) سورة الأنعام آية : ١١١.
(٤) سورة الأنعام آية : ١١١.
(٥) سورة الأنعام آية : ١١١.
(٦) سورة الأنعام آية : ١١١.
(٧) سورة الأنعام آية : ١١٢.
(٨) سورة الأنعام آية : ١١٢.

إبليس جعل جنده فريقين فبعث فريقا منهم إلى الإنس وفريقا منهم إلى الجن، وكلا الفريقين أعداء للنبي ﷺ ولأوليائه، وهم يلتقون في كل حين، فيقول شيطان الإنس لشيطان الجن: أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثله، ويقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك، فذلك وحي بعضهم إلى بعض، قال قتادة ومجاهد والحسن: إن من الإنس شياطين كما أن من الجن شياطين، والشيطان: العاتي المتمرد من كل شيء، قالوا: إن الشيطان إذا أعياه المؤمن وعجز من إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه وقال مالك بن دينار: إن شياطين الإنس أشد عليّ من شياطين الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شياطين الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا. قوله تعالى: ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1]، أي: يلقي، ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾[2]، وهو قول مموه مزين مزخرف بالباطل لا معنى تحته، ﴿ غُرُورًا ﴿١٣٠﴾ ﴾[3]، يعني: لهؤلاء الشياطين يزينون الأعمال القبيحة لبني آدم، ويغرونهم غرورا، والغرور: القول الباطل، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[4]، أي: ما ألقوه من الوسوسة في القلوب، ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[5].

[١١٣] ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[6]، أي: تميل إليه، والصغو: الميل، يقال: صغو فلان معك، أي: ميله، والفعل منه: صغى يصغي صغا وصغى

(١) سورة الأنعام آية : ١١٢.
(٢) سورة الأنعام آية : ١١٢.
(٣) سورة النساء آية : ١٢٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ١١٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ١١٢.
(٦) سورة الأنعام آية : ١١٣.

ويصغى، ويصغو صغوا، والهاء راجعة إلى زخرف القول، ﴿ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ ﴾[1] ليكتسبوا، ﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[2]، يقال: اقترف فلان مالا إذا اكتسبه، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ﴾[3]، وقال الزجاج: أي: ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون.

[١١٤] قوله ﷻ: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ ﴾[4]، فيه إضمار أي: قل لهم يا محمد أفغير الله، ﴿ أَبْتَغِي ﴾[5]، أطلب ﴿ حَكَمًا ﴾[6] قاضيا بيني وبينكم، وذلك أنم كانوا يقولون للنبي ﷺ اجعل بيننا وبينك حكما فأجابم به، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ ﴾[7]، مبينا فيه أمره ونيه، يعني: القرآن، وقيل: مفصلا أي خمسا وخمسا وعشرا عشرا، كما قـال: ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ ﴾[8]، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[9]، يعني: علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب، وقال عطاء: هم رءوس أصحاب النبي ﷺ والمراد من الكتاب هو القرآن، ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ ﴾[10]، يعني: القرآن، قرأ ابن عامر وحفص: (م ل)، بالتشديد من

---

(١) سورة الأنعام آية : ١١٣.
(٢) سورة الأنعام آية : ١١٣.
(٣) سورة الشورى آية : ٢٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ١١٤.
(٥) سورة الأنعام آية : ١١٤.
(٦) سورة الأنعام آية : ١١٤.
(٧) سورة الأنعام آية : ١١٤.
(٨) سورة الفرقان آية : ٣٢.
(٩) سورة الأنعام آية : ١١٤.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١١٤.

التنـزيل لأنه انزل نجوما متفرقة، وقرأ الآخرون بالتخفيف من الإنزال، لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (١)، ﴿ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (٢) من الشاكين أنهم يعلمون ذلك.

[١١٥] قوله ﷻ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ (٣)، قرأ أهل الكوفة ويعقوب (كلمة) على التوحيد، وقرأ الآخرون (كلمات) بالجمع، وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعده ووعيده، ﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ ﴾ (٤)، أي: صدقا في الوعد والوعيد، وعدلا في الأمر والنهي، قال قتادة ومقاتل: صادقا فيما وعد وعدلا فيما حكم. ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ ﴾ (٥)، قال ابن عباس: لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٦)، قيل: أراد بالكلمات القرآن لا مبدل له، يريد لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون.

[١١٦] ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٧)، عن دين الله، وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة، وقيل: أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة، وقالوا: أتأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله عز وجل؟ فقال: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٨)، أي: وإن تطعهم في أكل

(١) سورة الأنعام آية : ١١٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ١١٤.
(٣) سورة الأنعام آية : ١١٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ١١٥.
(٥) سورة الأنعام آية : ١١٥.
(٦) سورة الأنعام آية : ١١٥.
(٧) سورة الأنعام آية : ١١٦.
(٨) سورة الأنعام آية : ١١٦.

الميتة ﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾[1]، يريد أن دينهم الذي هم عليه ظن وهوى لم يأخذوه عن بصيرة، ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[2]، يكذبون.

[١١٧] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[3]، قيل: موضع (من) نصب بـ ع حرف الصفة، أي: بمن يضل، وقال الزجاج: موضعه رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس من يضل عن سبيله، ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾[4]، أخبر أنه أعلم بالفريقين الضالين والمهتدين فيجازي كلا بما يستحقون.

[١١٨] قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[5]، أي: كلوا مما ذبح على اسم الله، ﴿ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[6]، وذلك أنم كانوا يحرمون أصنافا من النعم ويحلون الأموات، فقيل لهم: أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله.

قوله تعالى وَمَا لَكُمْ أَلا تَأْكُلُوا مِما ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصلَ لَكُمْ مَا حَرمَ عَلَيْكُمْ إِلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ....

[١١٩] ثم قـال: ﴿ وَمَا لَكُمْ ﴾[7] يعني: أي شيء لكـم، ﴿ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ ﴾[8]، ومـا يمنعكـم مـن أن تأكـلـوا ﴿ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ

(١) سورة الأنعام آية : ١١٦.
(٢) سورة الأنعام آية : ١١٦.
(٣) سورة الأنعام آية : ١١٧.
(٤) سورة الأنعام آية : ١١٧.
(٥) سورة الأنعام آية : ١١٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ١١٨.
(٧) سورة الأنعام آية : ١١٩.
(٨) سورة الأنعام آية : ١١٩.

عَلَيْهِ ﴾[1]، من الذبائح، ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[2]، قرأ أهل المدينة ويعقوب وحفص (فصل)، و(حرم) بالفتح فيهما أي فصل الله ما حرمه عليكم، لقوله (اسم الله) وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو عمرو بضم الفاء والحاء وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل، لقوله (ذكر) وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالفتح (فصل)، و(حرم) بالضـم، وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكرت في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾[3]، ﴿ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ﴾[4] من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الاضطرار، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ ﴾[5]، قرأ أهل الكوفة بضم الياء وكذلك قوله (ليضلوا) في سورة يونس، لقوله تعالى: ﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[6]، وقيل: أراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر والسوائب، وقرأ الآخرون بالفتح لقوله: (من يضل)، ﴿ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾[7]، حين امتنعوا مـن أكل ما ذكر اسـم الله عليـه ودعـوا إلى أكـل الميتـة، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[8]، الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام.

(١) سورة الأنعام آية : ١١٩.
(٢) سورة الأنعام آية : ١١٩.
(٣) سورة المائدة آية : ٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ١١٩.
(٥) سورة الأنعام آية : ١١٩.
(٦) سورة الأنعام آية : ١١٦.
(٧) سورة الأنعام آية : ١١٩.
(٨) سورة الأنعام آية : ١١٩.

[١٢٠] ﴿ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ [1]، يعني: الذنوب كـلها لأنا لا تخلو من هذين الوجهين، قال قتادة: علانيته وسره، وقال مجاهد: ظاهره ما يعمله الإنسان بالجوارح من الذنوب، وباطنه ما ينويه ويقصده بقلبه كالمصر على الذنب القاصد له، قال الكـلبي: ظاهره الزنا وباطنه المخالفة، وأكثر المفسرين على أن ظاهر الإثم الإعلان بالزنا، وهم أصحاب الروايات، وباطنه الاستمرار به، وذلك أن العرب كانوا يحبون الزنا وكان الشريف منهم يتشرف فيسره، وغير الشريف لا يبالي به فيظهره، فحرمهما الله ﷻ وقال سعيد بن جبير: ظاهر الإثم نكاح المحارم وباطنه الزنا، وقال ابن زيد: إن ظاهر الإثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا، وروى حيان عن الكلبي: ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت نارا عراة، وباطنه طواف النساء بالليل عراة، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ ﴾ [2]، في الآخرة، ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [3]، يكتسبون في الدنيا.

[١٢١] قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [4] قال ابن عباس رضي الله عنهما: الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها. وقال عطـاء: الآية في تحريـم الذبائـح التي كانـوا يذبحونا على اسم الأصنام ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ ﴾ [5]، والفسق في ذكر اسم غير الله كما قال في آخر السورة ﴿ لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ ﴾ [6] إلى قوله ﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ ﴾ [7]، ﴿ وَإِنَّ

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٠.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٠.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٢٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٢١.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٢١.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٥.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٤٥.

﴿ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَـٰدِلُوكُمۡۖ ﴾[1]، أراد أن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكـم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قالوا أفتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر والفهد حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية، ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ ﴾[2]، في أكل الميتة، ﴿ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾[3]، قال الزجاج: وفيه دليل على أن من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم ما أحل الله فهو مشرك.

[١٢٢] قوله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَـٰهُ ﴾[4]، قرأ نافع (ميتا) و(لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتًا) و(الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا) بالتشديد فيهن، وقرأ الآخرون بالتخفيف (فأحييناه) أي: كان ضالا فهديناه، كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإيمان، ﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورًا ﴾[5]، يستضيء به، ﴿ يَمۡشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾[6]، على قصد السبيل، قيل: النور هو الإسلام، لقوله تعالى ﴿ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾[7]، وقال قتادة: هو كتاب الله بينة من الله مع المؤمن، بها يعمل وبها يأخذ وإليها ينتهي،؟ ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾[8]، المثل صلة، أي كمن هو في الظلمات، ﴿ لَيۡسَ بِخَارِجٍ مِّنۡهَاۚ ﴾[9] يعني: من ظلمة الكفر

(١) سورة الأنعام آية : ١٢١.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢١.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٢١.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٢٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٢٢.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٢٢.
(٧) سورة البقرة آية : ٢٥٧.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٢٢.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٢٢.

﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1]، من الكفر والمعصية. قال ابن عباس: يريد زين لهم الشيطان عبادة الأصنام.

[١٢٣] قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾[2]، أي: كما أن فساق مكة أكابرها، كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها، أي: عظماءها، جمع أكبر، مثل أفضل وأفاضل، وأسود وأساود، وذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم، كما قال في قصة نوح عليه السلام: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[3]، وجعل فساقهم أكابرهم، ﴿ لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ ﴾[4]، وذلك أنهم أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ يقولون لكل من يقدم: إياك وهذا الرجل فإنه كاهن ساحر كذاب، ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[5]، لأن وبال مكرهم يعود عليهم، ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[6]، أنه كذلك.

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ﴾[7]، يعني: مثل ما أوتي رسل الله من النبوة، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك، لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنه قال: زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إنا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٢.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٣.
(٣) سورة الشعراء آية : ١١١.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٢٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٢٣.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٢٣.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٢٤.

نؤمن به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ ﴾[1]، حجة على صدق محمد ﷺ قالوا: يعني أبا جهل، ﴿ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾[2]، يعني محمدا ﷺ. ثم قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[3]، قرأ ابن كثير وحفص (رسالته) على التوحيد، وقرأ الآخرون (رسالاته) بالجمع، يعني الله أعلم بمن هو أحق بالرسالة. ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ ﴾[4] وهـوان، ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[5]، أي: مـن عنـد الله، ﴿ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[6]، قيل: صغار في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة.

قوله تعالى فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ....

[١٢٥] قوله ﷻ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[7]، أي: يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الإسلام ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا ﴾[8]، قرأ ابن كثير (ضيقا)، بالتخفيف ها هنا وفي الفرقان، والباقون بالتشديد، وهما لغتان مثل: هين وهين ولين ولين، ﴿ حَرَجًا ﴾[9]، قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء والباقون

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٤.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٢٤.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٢٤.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٢٤.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٢٤.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٢٥.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٢٥.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٢٥.

بفتحها، وهما لغتان أيضا مثل: الدنف والدنف، والمصدر كالطلب ومعناه ذا حرج، وبالكسر الاسم وهو أشد الضيق، يعنى يجعل قلبه ضيقا حتى لا يدخله الإيمان. وقال الكلبي: ليس للخير فيه منفذ. قال ابن عباس: إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه، وإذا ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ (1)، وقرأ ابن كثير: (يصعد) بالتخفيف وسكون الصاد، وقرأ أبو بكر عن عاصم (يصاعد) بالألف، أي يتصاعد، وقرأ الآخرون (يصعد) بتشديد الصاد والعين، أي: يتصعد، يعني: يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء. وأصل الصعود المشقة، ومنه قوله تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾ (2) أي: عقبة شاقة. ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (3) قال ابن عباس: الرجس هو الشيطان، أي: يسلط عليه، وقال الكلبي: هو المأثم، وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه. وقال عطاء: الرجس العذاب مثل الرجز. وقيل: هو النجس. روي أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال: « اللهم إني أعوذ بك من الرجس والنجس » (4) (5). وقال الزجاج: الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٥.

(٢) سورة المدثر آية : ١٧.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٢٥.

(٤) ابن ماجه الطهارة وسننها (٢٩٩).

(٥) أخرجه ابن ماجه في الطهارة رقم (٢٩٩) ١٠٩/١ وقال في الزوائد إسناده ضعيف والذي في الصحيحين (اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث).

[١٢٦] قوله ﷻ ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ ﴾ [(١)] أي: هذا الذي بينا. وقيل: هذا الذي أنت عليه يا محمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيما لا عوج فيه وهو الإسلام. ﴿ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ ﴾ [(٢)].

[١٢٧] ﴿ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ ﴾ [(٣)]، يعني: الجنة. قال أكثر المفسرين: السلام هو الله وداره الجنة وقيل: السلام هو السلامة، أي: لهم دار السلامة من الآفات، وهي الجنة. وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا، وقيل: سميت بذلك لأن جميع حالاتا مقرونة بالسلام، فقال في الابتداء: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ ﴾ [(٤)]، وقال: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾ [(٥)]، وقال: ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦ ﴾ [(٦)]، وقال: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣ ﴾ [(٧)]، وقال: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ ﴾ [(٨)]. ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧ ﴾ [(٩)]، قال الحسين بن الفضل: يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٦.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٦.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٢٧.
(٤) سورة الحجر آية : ٤٦.
(٥) سورة الرعد آية : ٢٤.
(٦) سورة الواقعة آية : ٢٦.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٢٣.
(٨) سورة يس آية : ٥٨.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٢٧.

[١٢٨] قوله ﷻ : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ ﴾[١]، قرأ حفص: (يحشرهم)، بالياء ﴿ جَمِيعًا ﴾[٢]، يعني الجن والإنس يجمعهم في موقف القيامة فيقول: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ ﴾[٣]، والمراد بالجن: الشياطين، ﴿ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ ﴾[٤] أي: استكثرتم مـن الإنس بالإضلال والإغـواء أي: أضللتـم كثيرا، ﴿ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ ﴾[٥] يعني: أولياء الشياطين الذين أطاعوهـم من الإنس، ﴿ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٍ ﴾[٦]، قال الكلبي: استمتاع الإنس بالجن هو أن الرجل كان إذا سافر ونزل بأرض قفر وخاف على نفسه من الجن قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيبيت في جوارهم، وأما استمتاع الجن بالإنس: هو أنم قالوا قد سدنا الإنس مع الجن، حتى عاذوا بنا. فيزدادون شرفا في قومهم وعظما في أنفسهم، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ۝٦ ﴾[٧] وقيل: استمتاع الإنس بالجن ما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهوونا، حتى يسهل فعلها عليهم، واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي. قال محمد بن كعب: هو طاعة بعضهم بعضا وموافقة بعضهم لبعض، ﴿ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ ﴾[٨]، يعني: القيامة والبعث،

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٧) سورة الجن آية : ٦.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٢٨.

﴿ قَالَ ﴾ [1] الله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [2]، مقامكم، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ [3]، اختلفوا في هذا الاستثناء كما اختلفوا في قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ ﴾ [4]، قيل: أراد إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم، يعني: خالدون في النار إلا هذا المقدار، وقيل: الاستثناء يرجع إلى العذاب، وهو قوله: ﴿ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [5]، أي: خالدين في النار سوى ما شاء الله من أنواع العذاب، وقال ابن عباس: الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار و(ما) بمعنى (من) على هذا التأويل، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨ ﴾ [6]، قيل: حكـيم بمن استثنى عليم بما في قلوبهم من البر والتقوى.

[١٢٩] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩ ﴾ [7] قيل: أي: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضا، أي: نسلط بعض الظالمين على بعض، فنأخذ من الظالم بالظالم، كما جاء: " من أعان ظالما سلطه الله عليه " [8] وقال قتادة: نجعل بعضهم أولياء بعض، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان، والكافر ولي الكافر حيث كان. وروي عن معمر عن قتادة: نتبع بعضهم بعضا في النار، من الموالاة. وقيل: معناه نولي ظلمة الإنس ظلمة الجن، ونولي ظلمة الجن ظلمة

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٤) سورة هود آية : ١٠٧.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٢٨.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٢٩.
(٨) قال في المقاصد الحسنة رواه ابن عساكر في تاريخه وفيه ابن زكريا العدوي متهم بالوضع وأورده الديلمي في الفردوس بلا إسناد. انظر كشف الخفاء ٢٩٧/٢, فيض القدير ٧٢/٦, تمييز الطيب من الخبيث ص١٧٧.

الإنس، أي: نكل بعضهم إلى بعض، كقوله تعالى: ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾[1]، وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها هو أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيرا ولى أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شرا ولى أمرهم شرارهم.

[١٣٠] قوله ﷻ ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾[2]، اختلفوا في أن الجن هل أرسل إليهم منهم رسول، فسئل الضحاك عنه، فقال: بلى ألم تسمع الله يقول (ألم يأتكم رسل منكم)، يعني بذلك رسلا من الإنس ورسلا من الجن قال مجاهد: الرسل من الإنس والنذر من الجن، ثم قرأ ﴿ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[3]، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا، وليس للجن رسل، فعلى هذا قوله (رسل منكم) ينصرف إلى أحد الصنفين وهم الإنس، كما قال: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾[4]، وإنما يخرج مـن الملـح دون العذب ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ﴾[5]، أي: يقرءون عليكم، ﴿ ءَايَـٰتِى ﴾[6]، كتبي ﴿ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ ﴾[7] وهو يوم القيامة، ﴿ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ ﴾[8]، أنهم قد بلغوا، قال مقاتل: وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر. قال الله ﷻ ﴿ وَغَرَّتْهُمُ

(١) سورة النساء آية : ١١٥.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٣٠.
(٣) سورة الأحقاف آية : ٢٩.
(٤) سورة الرحمن آية : ٢٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٣٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٣٠.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٣٠.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٣٠.

﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾[1]، حتى لم يـؤمـنـوا، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾[2].

[١٣١] ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ﴾[3]، أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وعذاب من كذبهم لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، أي: لم يكن مهلكهم بظلم، أي: بشرك من أشرك، ﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾[4]، لم ينذروا حتى نبعث إليهم رسلا ينذرونهم. وقال الكلبي: لم يهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم الرسل. وقيل: معناه لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل فيكون قد ظلمهم، وذلك أن الله تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحدا إلا بعد وجود الذنب، وإنما يكون مذنبا إذا أمر فلم يأتمر أو نهي فلم ينته، وذلك يكون بعد إنذار الرسل.

قوله تعالى وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ....

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾[5]، يعني في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم هو أشد عذابا ومنهم من هو أجزل ثوابا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢﴾[6]، قرأ ابن عامر (تعملون) بالتاء والباقون بالياء.

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ﴾[1]، عن خلقه، ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾[2] قال ابن عباس: بأوليائه وأهل طاعته، وقال الحلبي: بخلقه، ذو التجاوز، ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾[3]،

(١) سورة الأنعام آية : ١٣٠.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٣٠.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٣١.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٣١.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٣٢.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٣٢.

يهلكـكـم: وعيد لأهل مكـة، ﴿ وَيَسْتَخْلِفْ ﴾[4]، ويخلف وينشئ، ﴿ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾[5]، خلقا غيركـم أمثل وأطوع. ﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[6]، أي: من نسل آبائهم الماضين قرنا بعد قرن.

[١٣٤] ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ ﴾[7] أي: ما توعدون من مجيء الساعة والحشر، ﴿ لَأَتٍ ﴾[8]، كائن، ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[9]، أي: بفائتين، يعني: يدرككم الموت حيث ما كـنتم.

[١٣٥] ﴿ قُلْ ﴾[10] يا محـمد ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾[11]، قرأ أبو بكر عن عاصم (مكاناتكم) بالجمع حيث كان أي: على تمكنكـم، قال عطاء: على حالاتكـم التي أنتم عليها. قال الزجاج: اعملوا على ما أنتم عليه. يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حالة. على مكانتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت عليه، وهذا أمر وعيد على المبالغة يقول الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهم اعملوا على ما أنتم عاملون، ﴿ إِنِّي

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٣٣.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٣٣.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٣٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٣٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٣٣.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٣٣.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٣٤.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٣٤.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٣٤.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١٣٥.
(١١) سورة الأنعام آية : ١٣٥.

عَامِلٌ ﴾[1]، ما أمرني به ربي ﷻ ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾[2]، أي: الجنة، قرأ حمزة والكسائي: (يكون) بالياء هنا وفي القصص، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث العاقبة، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥ ﴾[3]، قال ابن عباس: معناه لا يسعد من كفر بي وأشرك. قال الضحاك: لا يفوز.

[١٣٦] قوله ﷻ ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾[4] الآية، كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيبا، وللأوثان نصيبا، فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان، وقالوا: إنا محتاجة، وكان إذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به، وإذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للأصنام جبروه بما جعلوه لله، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ ﴾[5] خلق ﴿ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾[6]، وفيه اختصار مجازة: وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا. ﴿ فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ﴾[7]، قرأ الكسائـي بزعمهم بضم الزاي، والباقون بفتحها، وهما لغتان، وهو القول من غير حقيقة، ﴿ وَهَٰذَا

(١) سورة الأنعام آية : ١٣٥.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٣٥.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٣٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٣٦.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٣٦.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٣٦.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٣٦.

لِشُرَكَآئِنَا ﴾[1]، يعني: الأوثان، ﴿ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ﴾[2]، ومعناه: ما قلنا أنم كانوا يتمون ما جعلوه للأوثان مما جعلوه لله، ولا يتمون ما جعلوه لله مما جعلوه للأوثان. وقال قتادة: كانوا إذا أصابتهم سنة استعانوا بما جزءوا لله وأكلوا منه فوفروا ما جزءوا لشركائهم ولم يأكلوا منه ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[3] أي: بئس ما يقضون.

[١٣٧] ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[4]، أي: كما زين لهم تحريم الحرث والأنعام كذلك زين لكثير من المشركين، ﴿ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾[5]، قال مجاهد: شركاؤهم أي: شياطينهم زينوا أو حسنوا لهم وأد البنات خيفة العيلة، سميت الشياطين شركاء لأنم أطاعوهم في معصية الله وأضيف الشركاء إليهم لأنم اتخذوها. وقال الحلبي: شركاؤهم سدنة آلهتهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل الأولاد، وكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله وقرأ ابن عامر: (زين) بضم الزاي وكسر الياء، (قتل) رفع (أولادهم) نصب، (شركائهم) بالخفض على التقديم فأضيف الفعل وهو القتل إلى الشركاء وإن لم يتولوا ذلك، لأنم هم الذين زينوا ذلك ودعوا إليه، فكأنم فعلوه. قوله ﷻ ﴿ لِيُرْدُوهُمْ ﴾[6]، ليهلكوهم، ﴿ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ ﴾[7] ليخلطوا عليهم

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٣٦.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٣٦.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٣٦.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٣٧.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٣٧.

(٦) سورة الأنعام آية : ١٣٧.

(٧) سورة الأنعام آية : ١٣٧.

﴿ دِينَهُمۡ ﴾[(١)]، قال ابن عباس: ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بلبس الشياطين. ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾[(٢)]، أي: لوشاء الله لعصمهم حتى ما فعلوا ذلك من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد، ﴿ فَذَرۡهُمۡ ﴾[(٣)] يا محمد، ﴿ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١٣٧ ﴾[(٤)]، يختلقون من الكذب، فإن الله تعالى لهم بالمرصاد.

قوله تعالى وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ....

[١٣٨] ﴿ وَقَالُواْ ﴾[(٥)] يعني: المشركين, ﴿ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ ﴾[(٦)]، أي: حرام، يعني: ما جعلوا لله ولآلهتهم من الحرث والأنعام على ما مضى ذكره. وقال مجاهـد: يعني الأنعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ ﴾[(٧)]، يعنون الرجال دون النساء، ﴿ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا ﴾[(٨)] يعني: الحوامي كانوا لا يركبونا، ﴿ وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ﴾[(٩)]، أي: يذبحونا باسم الأصنام لا باسم الله، وقال أبو وائل: معناه لا يحجون عليها ولا يركبونا لفعل الخير، لأنه لما جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذكر الله تعالى عن فعل

(١) سورة الأنعام آية : ١٣٧.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٣٧.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٣٧.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٣٧.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٣٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٣٨.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٣٨.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٣٨.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٣٨.

الخير. ﴿ ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ ﴾[1]، يعني: أنم يفعلون ذلك ويزعمون أن الله أمرهم به افتراء عليه ﴿ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[2].

[١٣٩] ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ ﴾[3]، أي: نسائنا. قال ابن عباس وقتادة والشعبي: أراد أجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء، وما ولد ميتا أكله الرجال والنساء جميعا. وأدخل الهاء في (الخالصة) للتأكيد كالخاصة والعامة، كقولهم: نسابة وعلامة، وقال الفراء رحمه الله: أدخلت الهاء لتأنيثها. وقال الكسائي: خالص وخالصة واحد، مثل وعظ وموعظة، ﴿ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً ﴾[4]، قرأ ابن عامر وأبو جعفر: (تكن) بالتاء (ميتة) رفع، ذكر الفعل بعلامة التأنيث، لأن الميتة في اللفظ مؤنثة. وقرأ أبو بكر عن عاصم (تكن) بالتاء (ميتة) نصب، أي: وإن تكن الأجنة ميتة، وقرأ ابن كثير: (وإن يكن) بالياء (ميتة) رفع. لأن المراد بالميتة الميت، أي: وان يقع ما في البطون ميتا، وقرأ الآخرون (وإن يكن) بالياء (ميتة) نصب، رده إلى (ما) أي: وان يكن ما في البطون ميتة، يدل عليه أنه قال: ﴿ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ ﴾[5]، ولم يقل: فيها، وأراد أن الرجال والنساء فيه شركاء. ﴿ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ ﴾[6]، أي: بوصفهم، أو على وصفهم الكذب على الله، ﴿ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٣٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٣٨.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٣٩.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٣٩.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٣٩.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٣٩.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٣٩.

[١٤٠] ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ ﴾[(١)]، قرأ ابن عامر وابن كثير (قتلوا) بتشديد التاء على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف. ﴿ سَفَهًۢا ﴾[(٢)]، جهلا. ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[(٣)]، نزلت في ربيعة ومضر وبعض العرب من غيرهم، كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبي والفقر، وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك. ﴿ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[(٤)]، يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾[(٥)]، حيث قالوا: إن الله أمرهم بها، ﴿ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[(٦)].

[١٤١] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ ﴾[(٧)]، بسـاتيـن، ﴿ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ ﴾[(٨)]، أي: مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات. وقال ابن عباس: معروشات: ما انبسط على وجه الأرض، وانتشر مما يعرش، مثل: الكرم والقرع والبطيخ وغيرها، وغير معروشات: ما قام على ساق وبسق، مثل النخل والزرع وسائر الأشجار. وقال الضحاك: كلاهما الكرم خاصة منها ما عرش ومنها ما لم يعرش. ﴿ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ ﴾[(٩)]، أي: وأنشأ النخل والزرع، ﴿ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ ﴾[(١٠)]، ثمره

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٠.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٠.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٠.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٠.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٤١.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٤١.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٤١.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١٤١.

وطعمه منه الحلو والحامض والجيد والرديء، ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا ﴾[1]، في النظر، ﴿ وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾[2]، في المطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف، ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾[3]، هذا أمر إباحة. ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾[4] قرأ أهل البصرة وابن عامر وعاصم (حصاده) بفتح الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها، ومعناهما واحد، كالصرام والصرام والجزاز والجزاز، واختلفوا في هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب: إنا الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر، وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد والحكم: حق في المال سوى الزكاة أمر بإتيانه لأن الآية مكية وفرضت الزكاة بالمدينة. قال إبراهيم: هو الضغث. وقال الربيع: لقاط السنبل. وقال سعيد بن جبير: كان هذا حقا يؤمر بإتيانه في ابتداء الإسلام فصار منسوخا بإيجاب العشر. قال مقسم عن ابن عباس: نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن. ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[5]، قيل: أراد بالإسراف إعطاء الكل. قال السدي: لا تسرفوا أي لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء. قال الزجاج: على هذا إذا أعطى الإنس كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئا فقد أسرف، لأنه جاء في الخبر: ﴿ ابدأ بمن تعول. ﴾[6] [7] وقال سعيد بن المسيب: معناه لا تمنعوا الصدقة.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٤١.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٤١.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٤١.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٤١.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٤١.

(٦) أحمد (١٥٢/٢).

(٧) أخرجه البخاري في الزكاة باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ٢٩٤/٣ ومسلم في الزكاة باب بيان أفضل الصدقة رقـم (١٠٣٤) ٧١٧/٢ والمصنف في شرح السنة ١٧٨/٥. ، .

فتأويل هذه الآية على هذا: لا تتجاوز الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة. وقال مقاتل: لا تشركوا الأصنام في الحرث والأنعام. وقال الزهري: لا تنفقوا في المعصية. وقال مجاهد: الإسراف ما قصرت به عن حق الله ﷻ وقال: لو كان أبو قبيس ذهبا لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفا ولو أنفق درهما أو مدا في معصية الله كان مسرفا. وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف. وروى ابن وهب عن أبي زيد، قال الخطاب للسلاطين، يقول: لا تأخذوا فوق حقكم.

قوله تعالى وَمِنَ الْأَنعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِما رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتبِعُوا خُطُوَاتِ الشيْطَانِ....

[١٤٢] قوله ﷻ ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ [١] أي: وأنشأ من الأنعام، ﴿ حَمُولَةً ﴾ [٢]، وهي كل ما يحمل عليها من الإبل، ﴿ وَفَرۡشٗاۚ ﴾ [٣]، وهي الصغار من الإبل التي تحمل ﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ [٤]، لا تسلكوا طريقة وآثاره في تحريم الحرث والأنعام, ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢ ﴾ [٥]. ثم بين الحمولة والفرش فقال:

[١٤٣] ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ ﴾ [٦]، نصبها على البدل من الحمولة والفرش, أي: وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أصناف, ﴿ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ [٧]، أي الذكر

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٢.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٢.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٢.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٢.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٣.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٤٣.

والأنثى، فالذكر زوج والأنثى زوج, والعرب تسمي الواحد زوجا إذا كان لا ينفك عن الآخرة, والضأن النعاج، وهي ذوات الصوف من الغنم, والواحد ضأن والأنثى ضائنة, والجمع ضوائن, والواحد ضأن والأنثى ضائنة، والجمع ضوائن, ﴿ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ ﴾ (١) قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة (ومن المعز) بفتح العين, والباقون بسكونا, والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه، وهي ذوات الشعر من الغنم، وجمع الماعز معيز، وجمع الماعزة مواعز، ﴿ قُلْ ﴾ (٢) يا محمد ﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ ﴾ (٣)، الله عليكم، يعني ذكر الضأن والمعز، ﴿ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ (٤)، يعني أنثى الضأن والمعز، ﴿ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ ﴾ (٥)، منهما فإنا لا تشتمل إلا على ذكر وأنثى، ﴿ نَبِّـُٔونِى ﴾ (٦) وأخبروني، ﴿ بِعِلْمٍ ﴾ (٧)، قال الزجـاج: فسروا ما حرمتم بعلم، ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (٨) أن الله تعالى حرم هذا.

[١٤٤] ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ ﴾ (٩)، وذلك أنم كانوا يقولون: ﴿ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٣.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٣.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٣.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٣.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٤٣.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٤٣.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٤٤.

حِجْرٌ ﴾ [1]، ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ [2]، وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال، فلما قام الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبي ﷺ في ذلك ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّـٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ [3]، قيل: أراد عمرو بن لحي ومن جاء بعده على طريقته، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [4]. ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنـ يل، فقال:

[١٤٥] ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا ﴾ [5] أي: شيئا محرما. وروي أنم قالوا: فما المحرم إذا فـ ل:، ﴿ قُل ﴾ [6] يا محمد ﴿ لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾ [7]، آكل يأكله، ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ﴾ [8] قرأ ابن عامر وأبو جعفر تكون بالتاء, ميتة رفع أي: إلا أن تقع ميتة، وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء (ميتة) نصب على تقدير اسم مؤنث، أي: إلا أن تكون النفس، أو الجثة ميتة، وقرأ الباقون يكون باليـاء (ميتـة) نصب، يعني إلا أن يكون المطعوم ميتة، ﴿ أَوْ دَمًا

(١) سورة الأنعام آية : ١٣٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٣٩.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٤.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٤.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٥.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٥.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٤٥.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٤٥.

مَّسْفُوحًا ﴾ [١] أي: مهراقا سائلا، قال ابن عباس: يريد ما خرج من الحيوان وهن أحياء وما خرج من الأرواح وما يخرج من الأوداج عند الذبح، ولا يدخل فيه الكبد والطحال، لأنما جامدان. وقد جاء الشرع بإباحتهما، ولا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [٢]، وهو ما ذبح على غير اسم الله تعالى. فذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريم مقصور على هذه الأشياء. ويروى ذلك عن عائشة وابن عباس، قالوا: ويدخل في الميتة المنخنقة والموقوذة, وما ذكر في أول سورة المائدة وأكثر العلماء على أن التحريم لا يختص بذه الأشياء بل المحرم بنص الكتاب ما ذكر هنا, ذلك معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ [٣] وقد حرمت السنة أشياء يجب القول با، ومنها كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [٤]، أباح الله أكل هذه المحرمات عند الاضطرار في غير العدوان.

[١٤٦] قوله ﷻ ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا ﴾ [٥]، يعني اليهود، ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ [٦]، وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والأوز والبط، قال القتيبي: هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وحكاه عن بعض المفسرين، وقال: سمي الحافر ظفرا على الاستعارة، ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٥.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٥.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٥.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٦.

﴿ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ ﴾ [1] يعني شحوم الجوف، وهي الثروب، وشحـم الكليتين، ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ ﴾ [2]، أي: إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونما، ﴿ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ ﴾ [3]، وهي المباعر واحدتا حاوية وحوية أي ما حملته الحوايا من الشحم. ﴿ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ﴾ [4] يعني: شحم الآلية هذا كله داخـل في الاستثناء، والتحريم مختـص بالثرب وشحـم الكليـة ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم ﴾ [5]، أي: ذلك التحريم عقوبة لهم ﴿ بِبَغۡيِهِمۡۖ ﴾ [6]، أي: بظلمهم من قتلهم الأنبياء وصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا واستحـلال أموال الناس بـالباطل، ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [7] في الإخبار عما حرمنا عليهم وعن بغيهم.

قوله تعالى فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ....

[١٤٧] ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ ﴾ [8]، بتأخير العذاب عنكـم، ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ ﴾ [9]، عذابه ﴿ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [10]، إذا جاء وقته.

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٤٧.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٤٧.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١٤٧.

[١٤٨] ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ [(١)]، لما لزمتهـم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا ﴿ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾ [(٢)] نحن، ﴿ وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [(٣)]، من قبل، ﴿ وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ ﴾ [(٤)]، من البحائر والسوائب وغيرهما، أرادوا أن يجعلوا قوله: (لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنا)، حجة لهم على إقامتهم على الشرك، وقالوا إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله، فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منا وآمرنا به لحال بيننا وبين ذلك، فقال الله تعالى تكذيبا لهم، ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [(٥)]، من كـفار الأمم الخالية، ﴿ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ ﴾ [(٦)]، عذابنا. ويستدل أهل القدر بذه الآية، يقولون: إنم لما قالوا (لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنا) كذبم الله ورد عليهم، فقال: (كذلك كذب الذين من قبلهم)، قلنا. التكذيب ليس في قولهم (لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنا)، بل ذلك القول صدق، ولكن في قولهم: إن الله تعالى أمرنا با ورضي بما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الأعراف: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ ﴾ [(٧)]، فالرد عليهم في هذا كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ [(٨)] والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم: (لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنا)، قوله: (كذلك كذب الذين من قبلهم)،

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٨.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٨.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٨.
(٧) سورة الأعراف آية : ٢٨.
(٨) سورة الأعراف آية : ٢٨.

بالتشديد، ولو كان ذلك خبرا من الله ﷻ عن كذبهم في قولهم: (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا)، لقال كذلك كذب الذين مع قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكـذيب، وقال الحسن بن الفضل لو ذكروا هذه المقالة، تعظيما وإجلالا لله ﷻ ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك، لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ ﴾ [1] وقال: ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [2]، والمؤمنون يقولون ذلك، ولكنهم قالوه تكذيبا وتخرصا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون، نظيره قوله ﷻ ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ ﴾ [3]، قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [4]، وقيل في معنى الآية: إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان، ورد عليهم في هذا لأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته، فإنه مريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته، فإن مشيئته لا تكون عذرا لأحد. ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ ﴾ [5]، أي: كتاب وحجة من الله، ﴿ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ ﴾ [6]، حتى يظهر ما تدعون على الله تعالى من الشرك وتحريم ما حرمتموه، ﴿ إن

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٧.
(٢) سورة الأنعام آية : ١١١.
(٣) سورة الزخرف آية : ٢٠.
(٤) سورة الزخرف آية : ٢٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٨.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٨.

تَتَّبِعُونَ ﴾ [1] ما تتبعون فيما أنتم عليه، ﴿ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ [2]، من غير علم ويقين، ﴿ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [3]، تكذبون.

[١٤٩] ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ ﴾ [4]، التامة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان، ﴿ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [5]، فهذا يدل على أنه لم يشأ إيمان الكافر ولو شاء لهداه.

[١٥٠] ﴿ قُلۡ هَلُمَّ ﴾ [6]، يقال للواحد والاثنين والجمع، ﴿ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ ﴾ [7]، أي: ائتوا بشهدائكم الذين يشهدون، ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ﴾ [8]، هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به، ﴿ فَإِن شَهِدُواْ ﴾ [9]، وهم كاذبون، ﴿ فَلَا تَشۡهَدۡ ﴾ [10]، أنت، ﴿ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [11]، أي: يشركون.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٨.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٨.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٩.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٩.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٥٠.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٥٠.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٥٠.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٥٠.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١٥٠.
(١١) سورة الأنعام آية : ١٥٠.

[١٥١] قول ﷻ ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ (١)، وذلك أن المشركين سألوا وقالوا: أي شيء الذي حرم الله تعالى؟ فقال ﷻ ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ ﴾ (٢) أقرأ ما حرم ربكـم عليكم حقا يقينا لا ظنا ولا كذبا كما تزعمون، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ (٣)، والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك؟ قيل: موضع (أن) رفع معناه هو أن لا تشركوا، وقيل: محله نصب واختلفوا في وجه انتصابه، قيل: معناه حرم عليكم أن تشركوا به و (لا) صلة كقوله تعالى (ما منعك أن لا تسجد) أي: منعك أن تسجد. وقيل: تم الكلام عند قوله ﴿ حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ (٤) ثم قال: عليكم أن لا تشركوا به شيئا على وجه الإغراء. قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا محمولا على المعنى، أي: أتل عليكم تحريم الشرك، وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم ألا تشركوا به شيئا ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ ﴾ (٥)، فقر، ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾ (٦)، أي: لا تئدوا بناتكم خشية العيلة فإني رازقكم وإياهم، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ ﴾ (٧)، ما ظهر يعني العلانية وما بطن يعني السر، وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في العلانية

(١) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٦) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٧) سورة الأنعام آية : ١٥١.

والسر. وقال الضحاك: ما ظهر الخمر وما بطن: الزنا. ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[1]، حرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد إلا بالحق، إلا بما يبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم قال رسول الله ﷺ ﴿ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴾[2] [3] ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾[4] الذي ذكرت، ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾[5]، أمركم به، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[6].

قوله تعالى وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ....

[١٥٢] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[7]، يعني: بما فيه صلاحه وتثميره. وقال مجاهد: هو التجارة فيه. وقال الضحاك: هو أن يبتغـي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئا، ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾[8]، قال الشعبي ومالك: الأشد: الحلم، حتى يكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات. قال أبو العالية: حتى يعقل وتجتمع قوته. وقال الكلبي: الأشد ما بين الثمانية عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وقيل: إلى أربعين سنة. وقيل: إلى ستين

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٢) البخاري الديات (٦٤٨٤), مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٦), الترمذي الديات (١٤٠٢), النسائي تحريم الدم (٤٠١٦), أبو داود الحدود (٤٣٥٢), ابن ماجه الحدود (٢٥٣٤), أحمد (٤٤٤/١), الدارمي الحدود (٢٢٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في الديات ٢٠١/١٢ ومسلم في القسامة رقم (١٦٧٦) ١٣٠٢/٣ والمصنف في شرح السنة ١٤٧/١٠ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٦) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٧) سورة الأنعام آية : ١٥٢.

(٨) سورة الأنعام آية : ١٥٢.

سنة. وقال الضحاك: عشرون سنة. وقال السدي: ثلاثون سنة. وقال مجاهد: الأشد ثلاث وثلاثون سنة. والأشد جمع شد، مثل قد وأقد، وهو استحكام قوة شبابه وسنه، ومنه شد النهار وهو ارتفاعه. وقيل: بلوغ الأشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ، وتقدير الآية: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده، فادفعوا إليه ماله إن كان رشيدا، ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [1] بالعدل، ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [2]، أي: طاقتها في إيفاء الكيل والميزان، أي لم يكلف المعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه، بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه، ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ﴾ [3]، فاصدقوا في الحكم والشهادة، ﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [4]، أي ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة، ﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [5]، تتعظون، قرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون خفيفة الذال، كل القرآن، والآخرون بتشديدها قال ابن عباس: هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب من عمل بن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٢.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٢.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٢.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٢.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٢.

[١٥٣] ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا ﴾[1]، أي: هـذا الـذي وصيتكـم بـه في هاتين الآيتين، ﴿ صِرَٰطِى ﴾[2]، طريقي وديني، ﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾[3]، مستويا قويما، ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾[4]، قرأ حمزة والكسائي، (وإن) بكسر الألف على الاستئناف وقرأ الآخرون بفتح الألف، قال الفراء: والمعنى وأتل عليكم أن هذا صراطـي مستقيمـا وقرأ ابن عامر ويعقوب بسكون النون. ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾[5]، أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، وقيل: الأهواء والبدع، ﴿ فَتَفَرَّقَ ﴾[6]، فتميل، ﴿ بِكُمْ ﴾[7]، وتشتت، ﴿ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[8]، عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى، ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾[9]، الذي ذكرت، ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[10].

عن أبي وائل عن عبد الله قال: ﴿ خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال: "هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل على كل سبيل منها

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١٥٣.

شيطان يدعو إليه " ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾ [1] ﴿ ﴾، الآية [2].

[١٥٤] قوله ﷻ ﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [3]، فإن قيل: لم قال: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا ﴾ [4] وحرف (ثم) للتعقيب وإيتاء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن؟ قيل: معناه ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب، فأدخل ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول. ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ ﴾ [5]، اختلفوا فيه، قيل: تماما على المحسنين من قومه، فتكون الذي بمعنى من، أي: على من أحسن من قومه، وكان بينهم محسن ومسيء، يدل عليه قراءة ابن مسعود: (على الذين أحسنوا)، وقال أبو عبيدة: معناه على كل من أحسن، أي: أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين، يعني: أظهرنا فضله عليها، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، وقيل: الذي أحسن هو موسى، والذي بمعنى من، أي: على ما أحسن موسى، تقديره آتيناه الكتاب يعني التوراة إتماما عليه للنعمة لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر. وقيل: الإحسان بمعنى العلم، وأحسن بمعنى علم، ومعناه تماما على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة، أي آتيناه الكتاب زيادة على ذلك. وقيل: معناه تماما مني على إحساني إلى موسى. ﴿ وَتَفۡصِيلٗا ﴾ [6]، بيانا ﴿ لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [7]

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣.

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة ٦٧/١ والطبري في تفسيره وصححه الحاكم ٣١٨/٣ ووافقه الذهبي وأخرجه الآجري في الشريعة ص١٠ والمصنف في شرح السنة ١٩٦/١.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٤.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٤.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٤.

(٦) سورة الأنعام آية : ١٥٤.

(٧) سورة الأنعام آية : ١٥٤.

يحتاج إليه من شرائع الدين، ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ [1]، هذا في صفة التوراة، ﴿ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [2]، قال ابن عباس: كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب.

[١٥٥] ﴿ وَهَٰذَا ﴾ [3]، يعني: القرآن، ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [4]، إليك، ﴿ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [5]، فاعملوا بما فيه، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾ [6]، وأطيعوا، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [7].

[١٥٦] ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ ﴾ [8]، يعني: لئلا تقولوا، كقوله تعالى: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾ [9]، أي: لئلا تضلوا وقيل: معناه أنزلناه كراهة ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ ﴾ [10]، قال الكسائي: معناه اتقوا أن تقولوا يا أهل مكة، ﴿ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ [11]، يعني: اليهود والنصارى، ﴿ وَإِن كُنَّا ﴾ [12]، وقد كنا، ﴿ عَن دِرَاسَتِهِمْ ﴾ [13]، قراءتهم، ﴿ لَغَٰفِلِينَ ﴾ [1]، لا نعلم ما هي، معناه أنزلنا عليكم

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٤.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٥.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٥.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٥٥.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٥٥.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٥٦.
(٩) سورة النساء آية : ١٧٦.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١٥٦.
(١١) سورة الأنعام آية : ١٥٦.
(١٢) سورة الأنعام آية : ١٥٦.
(١٣) سورة الأنعام آية : ١٥٦.

عليكم القرآن لئلا تقولوا إن الكتاب أنزل على من قبلنا بلسانم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته، فتجعلونه عذرا لأنفسكم.

[١٥٧] ﴿ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ ﴾ [٢]، وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك لو أنا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم، قال الله تعالى: ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [٣]، حجة واضحة بلغة تعرفونا، ﴿ وَهُدٗى ﴾ [٤]، بيان ﴿ وَرَحۡمَةٞۚ ﴾ [٥]، ونعمة لمن اتبعه، ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ ﴾ [٦]، أعرض، ﴿ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [٧]، شدة العذاب، ﴿ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧ ﴾ [٨]، يعرضون.

قوله تعالى هَلْ يَنظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبكَ.....

[١٥٨] قوله تعالى. ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ ﴾ [٩]، أي: هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن، ﴿ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [١٠]، لقبض أرواحهم، وقيل:

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٦.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٧.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٧.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٧.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٧.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٥٧.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٥٧.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٥٧.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٥٨.
(١٠) سورة الأنعام آية : ١٥٨.

بالعذاب، قرأ حمزة والكسائي يأتيهم بالياء ها هنا وفي النحل، والباقون بالتاء، ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾[1]، بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة، ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾[2]، يعني طلوع الشمس من مغربا، عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعا. ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ ﴾[3]، أي: لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان، ﴿ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ﴾[4]، يريد: لا يقبـل إيمان كافر ولا توبة فاسق ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ ﴾[5]، يا أهل مكة، ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[6] بكم العذاب قال رسول الله ﷺ ﴿ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربا فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانا خيرا ﴾[7] [8] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ ثلاث إذا خرجن لا ينفع

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٨.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٨.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٨.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٨.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٨.

(٦) سورة الأنعام آية : ١٥٨.

(٧) البخاري الرقاق (٦١٤١), مسلم الإيمان (١٥٧), أبو داود الملاحم (٤٣١٢), ابن ماجه الفتن (٤٠٦٨), أحمد (٢/٣٩٨).

(٨) أخرجه البخاري في التفسير ٣٩٧/٨ ومسلم في الإيمان رقم (١٥٧) ١٣٧/١.

نفسا إيمانا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانا خيرا: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربا ﴾ [1] [2].

[١٥٩] قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ ﴾ [3]، قرأ حمزة والكسائي: فارقوا، بالألف ها هنا وفي سورة الروم، أي: خرجوا من دينهم وتركوه وقرأ الآخرون: ﴿ فَرَّقُواْ ﴾ [4] مشددا، أي: جعلوا دين الله وهو واحد دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية، أديانا مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم، يدل عليه قوله ﷻ ﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [5]، أي: صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي وقيل: هم أصحاب البدع والشبهات من هده الأمة. وروي عن عمر بن الخطاب ﴿ أن رسول ﷺ قال لعائشة: يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة ﴾ [6]. وعن العرباض بن سارية قال: ﴿ صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، وقال قائل: يا رسول الله كأنا موعظة مودع فأوصنا: فقال: (أوصيكـم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة

---

(١) مسلم الإيمان (١٥٨), الترمذي تفسير القرآن (٣٠٧٢), أحمد (٤٤٦/٢).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (١٥٨) ١٣٨/١.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٩.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٩.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٩.

(٦) عزاه ابن كثير لابن مردويه وقال: (هو غريب ولا يصح رفعه) ثم قال: والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له انظر تفسير ابن كثير ١٩٧/٢.

ضلالة ﴾ [1] [2]. وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي ﴾ [3] [4] ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [5]، قيل: لست من قتالهم في شيء نسختها آية القتال، وهذا على قول من يقول: المراد في الآية اليهود والنصارى، ومن قال: أراد بالآية أهل الأهواء قال: المراد من قوله لست منهم في شيء أي أنت منهم بريء وهم منك براء، تقول العرب. إن فعلت كذا فلست مني ولست منك أي: كل واحد منا برئ من صاحبه، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [6]، يعني: في الجزاء والمكافآت، ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [7]، إذا وردوا للقيامة.

[١٦٠] قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [8]، أي: له عشر حسنات أمثالها، وقرأ يعقوب (عشر) منون، (أمثالها) بالرفع. ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٠٧), الدارمي المقدمة (٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة ١١/٧ والترمذي في العلم ٤٣٧/٧-٤٤٢ وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة رقم (٤٢، ٤٣) والمصنف في شرح السنة (٢٠٥/١).

(٣) الترمذي الإيمان (٢٦٤١).

(٤) روي هذا الحديث بطرق كثيرة بألفاظ مختلفة فقد أخرجه أبو داود في السنة ٣/٧-٤ والترمذي في الإيمان ٣٩٧/٧ وقال: (حسن صحيح) وابن ماجه في الفتن رقم (٣٩٩١) ١٣٢١/٢ والدارمي في السير ٢٤١/٢ وابن حبان برقم (١٨٣٤) من الموارد وصححه الحاكم على شرط مسلم. ، .

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٩.

(٦) سورة الأنعام آية : ١٥٩.

(٧) سورة الأنعام آية : ١٥٩.

(٨) سورة الأنعام آية : ١٦٠.

﴿ يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[1] قال رسول الله ﷺ. ﴿ إذا أحسن أحدكـم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله ﷻ ﴾[2] [3] وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ يقول الله تبارك وتعالى: من جـاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة بمثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة ﴾[4]. قال ابن عمر: الآية في غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات تضاعف سبعمائة ضعف.

[١٦١] قوله ﷻ ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا ﴾[5]، قرأ أهل الكوفة والشام ﴿ قِيَمًا ﴾[6] بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، وقرأ الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشددا ومعناهما واحد وهو القويم المستقيم، وانتصابه على معنى هداني دينا قيما، ﴿ مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[7].

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٦٠.

(٢) البخاري الإيمان (٤٢), مسلم الإيمان (١٢٩), أحمد (٣١٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري في الإيمان باب حسن إسلام المرء ١٠٠/١ ومسلم في الإيمان باب إذا هم العبد بحسنة كتبت رقـم (١٢٩)١١٨/١ والمصنف في شرح السنة ٣٣٨/١٤. ،.

(٤) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٧), ابن ماجه الأدب (٣٨٢١), أحمد (١٥٣/٥), الدارمي الرقاق (٢٧٨٨).

(٥) سورة الأنعام آية : ١٦١.

(٦) سورة الأنعام آية : ١٦١.

(٧) سورة الأنعام آية : ١٦١.

[١٦٢] ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾[(١)]، قيل: أراد بالنسك الذبيحة في الحج والعمرة، وقال مقاتل: نسكي: حجي، وقيل: ديني، ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾[(٢)]، أي: حياتي ووفاتي، ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[(٣)]، أي: هو يحييني ويميتني، وقيل: محياي بالعمل الصالح ومماتي إذا مت على الإيمان لله رب العالمين، وقيل: طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين. قرأ أهل المدينة: ومحياي بسكون الياء ومماتي بفتحها، وقراءة العامة ﴿ وَمَحْيَايَ ﴾[(٤)] بفتح الياء لئلا يجتمع ساكنان.

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[(٥)]، قال قتادة: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة.

[١٦٤] ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾[(٦)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيدا وإلها ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[(٧)]، وذلك أن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ ارجع إلى ديننا. قال ابن عباس: كان الوليد بن المغيرة يقول: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾[(٨)]، لا تجني كل نفس إلا ما كان من إثمه على الجاني، ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[(٩)]، أي: لا تحمل نفس حمل أخرى، أي:

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٦٢.
(٢) سورة الأنعام آية : ١٦٢.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٦٢.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٦٢.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٦٣.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٦٤.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٦٤.
(٨) سورة الأنعام آية : ١٦٤.
(٩) سورة الأنعام آية : ١٦٤.

لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1].

[١٦٥] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾[2]، يعني: أهلك أهل القرون الماضية وأورثكم الأرض يا أمة محمد ﷺ من بعدهم، فجعلكـم خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم، والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع وصيفة، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة، لأنه يخلفه. ﴿ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾[3]، أي: خالف بين أحوالكم فجعل بعضكـم فوق بعض في الخلق والرزق والمعاش والقوة والفضل، ﴿ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾[4]، ليختبركم فيما رزقكم، يعني: يبتلي الغني والفقير والشريف والوضيع والحر والعبد، ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[5]، لأن ما هو آت فهو سريع قريب، قيل: هو الهلاك في الدنيا، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾ ﴾[6]، قال عطاء: سريع العقاب لأعدائه غفور لأوليائه رحيم بهم.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٦٤.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٦٥.

(٣) سورة الأنعام آية : ١٦٥.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٦٥.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٦٥.

(٦) سورة الأنعام آية : ١٦٥.

(٧) سورة الأعراف

قوله تعالى المص كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ....

[١, ٢] ﴿ الٓمٓصٓ ۝ كِتَٰبٌ ﴾ [١] أي: هذا كتاب، ﴿ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ [٢]، وهو القرآن ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ ﴾ [٣]، قال مجاهد: شك، فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الأمة. وقال أبو العالية: حرج أي ضيق، معناه لا يضيق صدرك بالإبلاغ وتأدية ما أرسلت به، ﴿ لِتُنذِرَ بِهِۦ ﴾ [٤]، أي: كتاب أنزل إليك لتنذر به، ﴿ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ﴾ [٥]، أي: عظة لهم وهو رفع مردود على الكتاب.

[٣] ﴿ ٱتَّبِعُواْ ﴾ [٦]، أي وقل لهم اتبعوا: ﴿ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ ﴾ [٧] أي: لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونم في معصية الله تعالى، ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [٨]، تتعظون، وقرأ ابن عامر: (تذكرون)، بالياء والتاء.

[٤] ﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾ [٩]، بالعذاب، (وكم) للتكثير و(رب) للتقليل، ﴿ فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا ﴾ [١]، عذابنا، ﴿ بَيَٰتًا ﴾ [٢]، ليلا ﴿ أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝ ﴾ [٣]،

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢.
(٢) سورة الأعراف آية : ٢.
(٣) سورة الأعراف آية : ٢.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢.
(٥) سورة الأعراف آية : ٢.
(٦) سورة الأعراف آية : ٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ٣.
(٩) سورة الأعراف آية : ٤.

﴿ ۝ ﴾ [3]، من القيلولة، تقديره: فجاءها بأسنا ليلا وهم نائمون أو نارا وهم قائلون أو نائمون ظهيرة، والقيلولة: الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. ومعنى الآية: أنهم جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين له إما ليلا أو نارا. قال الزجاج: و(أو) لتصريف العذاب، مرة ليلا ومرة نارا. وقيل: معناه من أهل القرى من أهلكناهم ليلا، ومنهم من أهلكناهم نارا، فإن قيل: ما معنى أهلكناها فجاءها بأسنا؟ فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك؟ قيل: معنى (أهلكنا) حكمنا بإهلاكها فجاءها بأسنا. وقيل: فجاءها بأسنا هو بيان قوله ﴿ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ [4] مثل قول القائل: أعطيتني فأحسنت إلي لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيتني، فيكون أحدهما بدلا من الآخر.

[5] ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ [5]، أي: قولهم ودعاؤهم وتضرعهم، والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء، قال سيبويه: تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين أي في دعائهم، ﴿ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ ﴾ [6]، عذابنا، ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ ﴾ [7]، معناه لم يقدروا على رد العذاب، وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية حين لا ينفع الاعتراف.

---

(١) سورة الأعراف آية : ٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ٥.
(٧) سورة الأعراف آية : ٥.

[٦] ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [(١)]، يعني: الأمم عن إجابتهم الرسل، وهذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلام، يعني: لنسألهم عما عملوا فيما بلغتهم الرسل، ﴿ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ [(٢)]، عن الإبلاغ.

[٧] ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ ﴾ [(٣)] أي: لنخبرنهم عن علم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينطق عليهم كتاب أعمالهم، كقوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [(٤)]. ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝ ﴾ [(٥)]، عن الرسل فيما بلغوا، وعن الأمم فيما أجابوا.

[٨] قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾ [(٦)]، يعني: يوم السؤال. قال مجاهد: معناه والقضاء يومئذ العدل. وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذلك أن الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب، واختلفوا في كيفية الوزن، فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال. وروينا: ﴿ أن رجلا ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ﴾ [(٧)] [(١)] وقيل: توزن الأشخاص، وروينا عن رسول الله ﷺ أنه

---

(١) سورة الأعراف آية : ٦.

(٢) سورة الأعراف آية : ٦.

(٣) سورة الأعراف آية : ٧.

(٤) سورة الجاثية آية : ٢٩.

(٥) سورة الأعراف آية : ٧.

(٦) سورة الأعراف آية : ٨.

(٧) الترمذي الإيمان (٢٦٣٩), ابن ماجه الزهد (٤٣٠٠).

قال: ﴿ ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ﴾ (٢) (٣)

وقيل: توزن الأعمال، روي ذلك عن ابن عباس، فيؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان، والحكمة في وزن الأعمال امتحان الله عباده بالإيمان في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في الـعقبى، ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ (٤)، قال مجاهد: حسناته، ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ (٥).

[٩] ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝ ﴾ (٦) يجحدون، قال أبو بكر الصديق ﷺ حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب ﷺ إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا, وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا، فإن قيل: قد قال: (فمن ثقلت موازينه) ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد، قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعا ومعناه واحد كقوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ (٧) وقيل: لكل عبد ميزان وقيل: الأصل ميزان واحد عظيم ولكل عبد فيه

---

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان ٣٩٥/٧ وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه في الزهد رقم (٤٣٠٠) ١٤٣٧/٢، وصححه الحاكـم ٦/١، وابن حبان ص ٦٢٥، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ح ٢١٣/٢، والمصنف من شرح السنة ١٣٤/١٥.

(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٤٥٢), مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥).

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ٤٢٦/٨، ومسلم في صحيحه في كتاب المنافقين رقم (٢٧٨٥) ٢١٤٧/٤، والمصنف في شرح السنة ١٤٣/١٥.

(٤) سورة الأعراف آية : ٨.

(٥) سورة الأعراف آية : ٨.

(٦) سورة الأعراف آية : ٩.

(٧) سورة المؤمنون آية : ٥١.

ميزان معلق به، وقيل: جمعه لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها.

[١٠] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[(١)]، أي: مكناهم والمراد من التمكين التمليك والقدرة، ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ ﴾[(٢)]، أي: أسبابا تعيشون بها أيام حياتكم من التجارات والمكاسب والمآكل والمشارب والمعايش جمع المعيشة، ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠ ﴾[(٣)]، فيما صنعت إليكم.

[١١] قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾[(٤)] قال ابن عباس: خلقناكم، أي: أصولكم وآباءكم ثم صورناكم في أرحام أمهاتكم. وقال قتادة والضحاك والسدي: أما خلقناكم فآدم، وأما صورناكم فذريته. وقال مجاهد في خلقناكم: آدم ثم صورناكم في ظهر آدم بلفظ الجمع لأنه أبو البشر ففي خلقه خلق من يخرج من صلبه، وقيل: خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم يوم الميثاق حين أخرجكم كالذر. وقال عكرمة: خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء. وقال يمان: خلق الإنسان في الرحم ثم صوره وشق سمعه وبصره وأصابعه. وقيل: الكل آدم خلقه وصوره وثم بمعنى الواو، ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾[(٥)]، فإن قيل: الأمر بسجود الملائكة كان قبل خلق بني آدم، فما وجه قوله: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا ﴾[(٦)] وثم للترتيب والتراخي؟ قيل: على قول من يصرف الخلق والتصوير إلى آدم وحده يستقيم هذا الكلام أما على قول

(١) سورة الأعراف آية : ١٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٠.
(٤) سورة الأعراف آية : ١١.
(٥) سورة الأعراف آية : ١١.
(٦) سورة الأعراف آية : ١١.

من يصرفه إلى الذرية فعنه أجوبة. أحدها ثم بمعنى الواو، أي: وقلنا للملائكة، فلا تكون للترتيب والتعقيب، وقيل: أراد ثم أخبركـم أنا قلنا للملائكة اسجدوا، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد خلقناكـم، يعني: آدم ثم قلنا للملائكة اسجـدوا لآدم صورناكم.

قوله تعالـى: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ ﴾[1]، يعني الملائكة، ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾[2] لآدم.

قوله تعالى قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.....

[١٢] ﴿ قَالَ ﴾[3]، الله تعالى: يا إبليس: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[4]، أي: وما منعك أن تسجد ولا زائدة كقوله تعالى: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[5]. ﴿ قَالَ ﴾[6] إبليس مجيبا ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾[7]، لأنك ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[8]، والنار خير وأنور من الطين قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس فمن قـاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس. قال ابن سيرين: ما عبدت الشمس إلا بالقياس. قال محمد بن جرير: ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل، وقد فضل الله الطين

---

(١) سورة الأعراف آية : ١١.
(٢) سورة الأعراف آية : ١١.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٢.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٢.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٩٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٢.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٢.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٢.

على النار. وقالت الحكماء: للطين فضل على النار من وجوه منها أن من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم الصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبق له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتباء والتوبة والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه اللعنة والشقاوة، ولأن الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة، فإن حياة الأشجار والنبات به، والنار سبب الهلاك.

[١٣] قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا ﴾ (١)، أي: من الجنة، وقيل: من السماء إلى الأرض وكان له ملك الأرض فأخرجه منها إلى جزائر البحر وعرشه في البحر الأخضر، فلا يدخل الأرض إلا خائفا على هيئة السارق مثل شيخ عليه أطمار يروع فيها حتى يخرج منها. قال تعالى: ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ ﴾ (٢)، بمخالفة الأمر، ﴿ فِيهَا ﴾ (٣)، أي: في الجنة، فلا ينبغي أن يسكن في الجنة ولا السماء متكبر مخالف لأمر الله، ﴿ فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٤)، من الأذلاء، والصغار: الذل والمهانة.

[١٤] ﴿ قَالَ ﴾ (٥)، إبليس عند ذلك، ﴿ أَنظِرۡنِيٓ ﴾ (٦)، أخرجني وأمهلني فلا تمتني، ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٧)، من قبورهم وهو النفخة الأخيرة عند قيام الساعة، أراد الخبيث أن لا يذوق الموت.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٣.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٣.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٣.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٣.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٤.

(٦) سورة الأعراف آية : ١٤.

(٧) سورة الأعراف آية : ١٤.

[١٥] ﴿ قَالَ ﴾ [(١)]، الله تعالى، ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [(٢)]، المؤخرين، وبين مدة النظر والمهلة في موضع آخر فقال: ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٣)]، وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم.

[١٦] ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾ [(٤)]، اختلفوا في ما قيل: هو استفهام يعني فبأي شيء أغويتني؟ ثم ابتدأ فقال: ﴿ لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ ﴾ [(٥)] وقيل: ما الجزاء، أي: لأجل أنك أغويتني لأقعدن لهم. وقيل: هي ما المصدرية موضع القسم تقديره: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم، كقوله: ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ [(٦)]، يعني لغفران ربي، والمعنى بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في.

وقال ابن الأنباري: أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء أغويتني: أضللتني عن الهدى. وقيل: أهلكتني. وقيل: خيبتني، ﴿ لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [(٧)]، أي: لأجلسن لبني آدم على طريقك القويم وهو الإسلام.

[١٧] ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [(٨)]، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: من بين أيديهم أي من قبل الآخرة فأشككهم فيها، ﴿ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ [(٩)]، أرغبهم في

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥.
(٣) سورة الحجر آية : ٣٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦.
(٦) سورة يس آية : ٢٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٦.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٧.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٧.

دنياهم، ﴿ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾[1]، أشبه عليهم أمر دينهم. ﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾[2]، أشهي لهم المعاصي. وروى عطية عن ابن عباس: ﴿ مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾[3] من قبل دنياهم، يعني أزينها في قلوبهم، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾[4]، من قبل الآخرة فأقول: لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، ﴿ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾[5] من قبل حسناتهم، ﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾[6] من قبل سيئاتهم. وقال الحكم: من بين أيديهم: من قبل الدنيا يزينها لهم، ومن خلفهم: من قبل الآخرة يثبطهم عنها، وعن أيمانهم: من قبل الحق يصدهم عنه، وعن شمائلهم: من قبل الباطل يزينه لهم. وقال قتادة: أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ومن خلفهم: من أمور الدنيا يزينها لهم ويدعوهم إليها، وعن أيمانهم: من قبل حسناتهم بطأهم عنها، وعن شمائلهم: زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها، أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله. وقال مجاهد: من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون، ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون. وقال ابن جريج: معنى قوله حيث لا يبصرون أي لا يخطئون وحيث لا يبصرون أي لا يعلمون أنهم يخطئون. ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[7]، مؤمنين، فإن

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٧.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٧.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٧.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٧.

(٦) سورة الأعراف آية : ١٧.

(٧) سورة الأعراف آية : ١٧.

قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟ قيل: قاله ظنا فأصاب. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾[1].

[١٨] ﴿ قَالَ ﴾[2]، الله تعالى لإبليس، ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾[3]، أي: معيبا، والذيم والذأم أشد العيب، يقال: ذأمه يذأمه ذأما فهو مذءوم وذامه يذيمه ذاما فهو مذيم، مثل سار يسير سيرا. والمدحور: المبعد المطرود، يقال: يدحره دحرا إذا أبعده وطرده. قال ابن عباس: مذءوما أي ممقوتا، وقال قتادة: مذءوما مدحورا أي: لعينا منفيا. وقال الكلبي: مذءوما ملوما مدحورا مقصيا من الجنة ومن كل خير. ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾[4]، من بني آدم، ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾[5]، اللام لام القسم، ﴿ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[6]، أي: منك ومن ذريتك ومن كفار ذرية آدم أجمعين.

[١٩] ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[7].

[٢٠] ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾[8]، أي: إليهما، والوسوسة: حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان ﴿ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾[9]، أي:

---

(١) سورة سبأ آية : ٢٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٨.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٨.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٨.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٨.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٩.
(٨) سورة الأعراف آية : ٢٠.
(٩) سورة الأعراف آية : ٢٠.

أظهر لهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما، قيل: اللام فيه لام العاقبة وذلك أن إبليس لم يوسوس لهذا ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك، وهو ظهور عورتهما، كقوله تعالى: ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ ﴾ [1]، ثم بين الوسوسة فقال: ﴿ وَقَالَ ﴾ [2]، يعني إبليس لآدم وحواء، ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ ﴾ [3]، يعني لئلا تكونا كراهية أن تكونا ملكين من الملائكة يعلمان الخير والشر، ﴿ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ ﴾ [4]، من الباقين الذين لا يموتون كما قال في موضع آخر: ﴿ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ ﴾ [5].

[٢١] ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ ﴾ [6]، أي: وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد، قال قتادة: حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يخدع المؤمن بالله، فقال: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما، وإبليس أول من حلف بالله كاذبا فلما حلف ظن آدم أن أحدا لا يحلف بالله إلا كاذبا فاغتر به.

[٢٢] ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ ﴾ [7]، أي: خدعهما، يقال: ما زال فلان يدلي لفلان بغرور، يعني: ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول. وقيل: حطهما من م لة الطاعة إلى حال المعصية، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل والتدلية إرسال الدلو في البئر، يقال: تدلى بنفسه ودلى غيره، قال الأزهري: أصله تدلية العطشان البئر ليروي من

---

(١) سورة القصص آية : ٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ٢٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٠.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٠.
(٥) سورة طه آية : ١٢٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ٢١.
(٧) سورة الأعراف آية : ٢٢.

الماء ولا يجد الماء فيكون مدلى بغرور، والغرور: إظهار النصح مع إبطال الغش. ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾[1]، قال الكلبي: فلما أكلا منها. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قبل أن ازدردا [2] أخذتما العقوبة، والعقوبة أن بدت ظهرت لهما سوآتما عوراتما، وتافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عـورة صاحبه، وكانا لا يريان ذلك ﴿ وَطَفِقَا ﴾[3] فأقبلا وجعلا ﴿ يَخۡصِفَانِ ﴾[4]، يرقعان ويلزقان ويصلان، ﴿ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾[5]، وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب. قال الزجاج: يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سوآتما ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾[6]، يعني: الأكل منها، ﴿ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[7]، أي: بين العداوة.

قوله تعالى قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ....

[٢٣] ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا ﴾[8]، ضررنـاهـا بالمعصية، ﴿ وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[9]، الهالكين.

(١) سورة الأعراف آية : ٢٢.
(٢) ازدردا من زرد اللقمة بلعها. انظر مختار الصحاح ص ٢٧٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٢.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٢.
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٢.
(٦) سورة الأعراف آية : ٢٢.
(٧) سورة الأعراف آية : ٢٢.
(٨) سورة الأعراف آية : ٢٣.
(٩) سورة الأعراف آية : ٢٣.

[٢٤] ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

[٢٥] ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾[2]، يعني في الأرض تعيشون، ﴿ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3] أي: من الأرض تخرجون من قبوركم للبعث، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: (تخرجون) بفتح التاء ها هنا وفي الزخرف، وافق يعقوب ها هنا وزاد حمزة والكسائي: (وكذلك تخرجون)، في أول الروم، والباقون بضم التاء وفتح الراء فيهن.

[٢٦] ﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ ﴾[4]، أي خلقنا لكم ﴿ لِبَاسًا ﴾[5]، وقيل: إنما قال: ﴿ أَنزَلْنَا ﴾[6] لأن اللباس يكون من نبات الأرض، والنبات يكون بما ينزل من السماء، فمعنى قوله: ﴿ أَنزَلْنَا ﴾[7] أي: أنزلنا أسبابه. وقيل: كل بركات الأرض منسوبة إلى بركات السماء كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ ﴾[8] وإنما يستخرج الحديد من الأرض. وسبب نزول هذه الآية أنم كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة. وقال قتادة: كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها فأمر الله

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ٢٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٦) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٧) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٨) سورة الحديد آية : ٢٥.

سبحانه بالستر فقال: ﴿ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ [(١)]، يستر عوراتكم، واحدتا سوأة سميت بها لأنه يسوء صاحبها انكشافها فلا تطوفوا عراة، ﴿ وَرِيشًاۖ ﴾ [(٢)]، يعني: مالا في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي، يقال: تريش الرجل إذا تمول، وقيل: الريش الجمال، أي: ما يتجملون به من الثياب، وقيل: هو اللباس ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٌۚ ﴾ [(٣)]، قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي (وَلِبَاسَ) بنصب السين عطفا على قوله ﴿ لِبَاسًا ﴾ [(٤)] وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره ﴿ خَيۡرٌۚ ﴾ [(٥)] وجعلوا ذلك صلة في الكلام، ولذلك قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ خَيۡرٌۚ ﴾ [(٦)] واختلفوا في (لِبَاسُ التقْوَى) قال قتادة والسدي: لباس التقوى هو الإيمان. وقال الحسن: هو الحياء لأنه يبعث على التقوى. وقال عطية عن ابن عباس: هو العمل الصالح. وعن عثمان بن عفان أنه قال: السمت الحسن. وقال عروة بن الزبير: لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي: هو العفاف. والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خلق له من اللباس للتجمل. وقال ابن الأنباري: لباس التقوى هو اللباس الأول وإنما أعاده إخبارا أن ستر العورة خير من التعري في الطواف. وقال زيد بن علي: لباس التقوى الآلات التي يتقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين. وقيل: لباس التقوى

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٦) سورة الأعراف آية : ٢٦.

هو الصوف والثياب الخشنة التي يلبسها أهل الورع، ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1].

[٢٧] ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[2] لا يضلنكم الشيطان، ﴿ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم ﴾[3]، أي: كما فتن أبويكـم آدم وحواء فأخرجهما، ﴿ مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾[4]، ليرى كل واحد سوأة الآخر. ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ ﴾[5]، يعني أن الشيطان يراكم يا بني آدم، ﴿ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾[6]، وجنوده، قال ابن عباس. هو وولده. وقال قتادة: قبيلة الجن والشياطين، ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[7]، قال مالك بن دينـار: إن عدوا يراك ولا تراه لشديد الخصومة والمؤنة إلا من عصم الله، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾[8] قرناء وأعوانا، ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[9]، وقال الزجاج: سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم كما قال. ﴿ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[10].

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ٢٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ٢٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ٢٧.
(٨) سورة الأعراف آية : ٢٧.
(٩) سورة الأعراف آية : ٢٧.
(١٠) سورة مريم آية : ٨٣.

[٢٨] ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً ﴾[(١)]، قال ابن عباس ومجاهد: هي طوافهم بالبيت عراة. وقال عطاء: الشرك والفاحشة: اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح. ﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا ﴾[(٢)]، وفيه إضمار معناه: وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا. قيل: ومن أين أخذ آباؤكم قالوا، ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[(٣)].

[٢٩] ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾[(٤)]، قال ابن عباس: بلا إله إلا الله. وقال الضحاك: بالتوحيد. وقال مجاهد والسدي: بالعدل. ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾[(٥)] قال مجاهد والسدي: يعني وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة. وقال الضحاك: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكـم أصلي في مسجدي. وقيل: معناه اجعلوا سجودكـم لله خالصا. ﴿ وَٱدۡعُوهُ ﴾[(٦)]، واعـبـدوه، ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ ﴾[(٧)]، الطاعة والعبادة، ﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[(٨)]، قال ابن عباس: إن الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا. كما قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ٢٨.
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٩.
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ٢٩.
(٧) سورة الأعراف آية : ٢٩.
(٨) سورة الأعراف آية : ٢٩.

فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [1] ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا قال مجاهد: يبعثون على ما ماتوا عليه، وقال الحسن ومجاهد: كـما بدأكـم فخلقكـم في الدنيا ولـم تكـونوا شيئا، كذلك تعودون أحياء يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [2]. قال قتادة: بدأهم من التراب وإلى التراب يعودون، نظيره قوله تعالى: ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [3].

[٣٠] قوله ﷻ ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ ﴾[4]، أي: هـداهـم الله، ﴿ وَفَرِيقًا حَقَّ ﴾ [5]، وجـب ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [6]، أي: بالإرادة السابقة، ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠ ﴾ [7]، فيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والجاحد والمعاند سواء.

قوله تعالى يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا....

[٣١] قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [8]، قال أهل التفسير: كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة، فأنزل الله ﷻ ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [9]، يعني الثياب. قال مجاهد: ما يواري عورتك ولو عباءة.

(١) سورة التغابن آية : ٢.
(٢) سورة الأنبياء آية : ١٠٤.
(٣) سورة طه آية : ٥٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ٣٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ٣٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٠.
(٧) سورة الأعراف آية : ٣٠.
(٨) سورة الأعراف آية : ٣١.
(٩) سورة الأعراف آية : ٣١.

قال الكلبي: الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف أو صلاة. ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾[1]، قال الكلبي: كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله، فأنزل الله ﷻ وكلوا يعني اللحم والدسم واشربوا اللبن، ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾[2]، بتحريم ما أحل الله لكـم من الـلحـم والـدسـم، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[3]، الذين يفعلون ذلك. قال ابن عباس: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة. قال علي بن الحسين بن واقد: قد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾[4].

[٣٢] قوله ﷻ ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾[5]، يعني لبس الثياب في الطواف، ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[6]، يعني اللحم والدسم في أيام الحج. وعن ابن عباس وقتادة. والطيبات من الرزق ما حرم أهل الجـاهلية من البحـائر والسوائب. ﴿ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[7]، فيه حذف تقديره: هي للذين آمنوا وللمشركين في الحياة الدنيا، فإن أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا، وهي في الآخرة خالصة للمؤمنين لا حظ للمشركين فيها. وقيل: هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم للمؤمنين، فإنا لهم في الدنيا مع التنغيص والغم. قرأ

(١) سورة الأعراف آية : ٣١.
(٢) سورة الأعراف آية : ٣١.
(٣) سورة الأعراف آية : ٣١.
(٤) سورة الأعراف آية : ٣١.
(٥) سورة الأعراف آية : ٣٢.
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٢.
(٧) سورة الأعراف آية : ٣٢.

نافع (خالصة) رفع، أي: قل هي للذين آمنوا مشتركين في الدنيا وهي في الآخرة خالصة يوم القيامة. وقرأ الآخرون بالنصب على القطع، ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [1].

[٣٣] ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [2]، يعني: الطواف عراة ﴿ مَا ظَهَرَ ﴾ [3] طواف الرجال بالنهار ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ [4] طواف النساء بالليل. وقيل: هو الزنا سرا وعلانية ﴿ وَٱلْإِثْمَ ﴾ [5]، يعني: الذنب والمعصية. وقال الضحاك: الذنب الذي لا حد فيه. قال الحسن: الإثم: الخمر. قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضل عقلي ... كذاك الإثم تذهب بالعقول

﴿ وَٱلْبَغْيَ ﴾ [6]، الظلم والكبر، ﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [7]، حجة وبرهانا، ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [8]، في تحريم الحرث والأنعام، في قول مقاتل. وقال غيره: هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين.

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٢.
(٢) سورة الأعراف آية : ٣٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ٣٣.
(٤) سورة الأعراف آية : ٣٣.
(٥) سورة الأعراف آية : ٣٣.
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ٣٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ٣٣.

[٣٤] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾[١]، مدة وأكل وشرب. وقال ابن عباس وعطاء والحسن: يعني وقتا لنزول العذاب بهم، ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾[٢]، وانقطع أكلهم، ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٣]، أي: لا يتقدمون. وذلك حين سألوا العذاب فأنزل الله هذه الآية.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾[٤]، أي: أن يأتيكم. قيل: أراد جميع الرسل. وقال مقاتل: أراد بقوله ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ ﴾[٥] مشركي العرب وبالرسل محمدا ﷺ وحده، ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى ﴾[٦]، قال ابن عباس: فرائضي وأحكامي، ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ ﴾[٧]، أي: اتقى الشرك وأصلح عمله. وقيل: أخلص ما بينه وبين ربه ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾[٨]، إذا خاف الناس، ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٩]، أي: إذا حزنوا.

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ٣٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ٣٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ٣٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ٣٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٥.
(٧) سورة الأعراف آية : ٣٥.
(٨) سورة الأعراف آية : ٣٥.
(٩) سورة الأعراف آية : ٣٥.

[٣٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ ﴾ (١)، تكبروا عن الإيمان بها، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافـر متكبر. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢). ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٣).

[٣٧] قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (٤)، جعل له شريكا، ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾ (٥)، بالقرآن ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ ﴾ (٦)، أي: حظهم مما كتب لهم في اللوح المحفوظ. واختلفوا فيه، قال الحسن والسدي: ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون. قال عطية عن ابن عباس: كتب لمن يفتري على الله أن وجهه مسود، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ ﴾ (٧) وقال سعيد ابن جبير ومجاهد: ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: يعني أعمالهم التي عملوها وكتب عليهم من خير وشر يجزي عليها. وقال محمد بن كعب القرظي: ما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمار والأعمال فإذا فنيت، ﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ (٨)، يقبضون

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٦.
(٢) سورة الصافات آية : ٣٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ٣٦.
(٤) سورة الأعراف آية : ٣٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ٣٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٧.
(٧) سورة الزمر آية : ٦٠.
(٨) سورة الأعراف آية : ٣٧.

أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه، ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ [1]، يعني يقول الرسل للكفار، ﴿ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ ﴾ [2]، تعبدون، ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ [3]، سؤال تبكيت وتقريع، ﴿ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا ﴾ [4]، بطلوا وذهبوا عنا، ﴿ وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [5]، اعترفوا عند معاينة الموت، ﴿ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧ ﴾ [6].

قوله تعالى قَالَ ٱدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النار.....

[٣٨] ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ ﴾ [7]، يعني: يقول الله لهم يوم القيامة ادخلوا في أمم، أي: مع جماعات، ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ ﴾ [8]، يعني كفار الأمم الخالية، ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ ﴾ [9]، يريد أختها في الدين لا في النسب، فتلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى، وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة، ولم يقل أخاها لأنه عنى الأمة والجماعة، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا ﴾ [10]، أي: تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿ جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ ﴾ [11]، قال مقاتل: يعني

(١) سورة الأعراف آية : ٣٧.
(٢) سورة الأعراف آية : ٣٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ٣٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ٣٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ٣٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(٨) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(٩) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(١١) سورة الأعراف آية : ٣٨.

أخراهم دخولا النار وهم الأتباع، ﴿ لِأُولَىٰهُمْ ﴾ [(١)]، أي: لأولاهم دخولا وهم القادة، لأن القادة يدخلون النار أولا. وقال ابن عباس: يعني آخر كل أمة لأولاها. وقال السدي: أهل آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين، ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [(٢)]، الذين، ﴿ أَضَلُّونَا ﴾ [(٣)] عن الهدى يعني القادة ﴿ فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [(٤)]، أي: ضعف عليهم العذاب، ﴿ قَالَ ﴾ [(٥)]، الله تعالى، ﴿ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ [(٦)]، يعني للقادة والأتباع ضعف من العذاب، ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٧)] ما لكل فريق منكـم من العذاب. قرأ الجمهور: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٨)] وقرأ أبو بكر (لا يعلمون) بالياء، أي: لا يعلم الأتباع ما للقادة ولا القادة ما للأتباع.

[٣٩] ﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ ﴾ [(٩)]، يعني القادة، ﴿ لِأُخْرَىٰهُمْ ﴾ [(١٠)]، للأتباع، ﴿ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ [(١١)]، لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(٣) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(٥) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(٧) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(٨) سورة الأعراف آية : ٣٨.
(٩) سورة الأعراف آية : ٣٩.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٣٩.
(١١) سورة الأعراف آية : ٣٩.

وأنتم في الكفر سواء وفي العذاب سواء، ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [1].

[٤٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ ﴾ [2]، بالتاء، خفف أبو عمرو، وبالياء، خفف حمزة والكسائي، والباقون بالتاء مشددة، ﴿ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [3] لأدعيتهم ولا لأعمالهم. وقال ابن عباس: لأرواحهم لأنا خبيثة لا يصعد بها بل يهوى بها إلى سجين، إنما تفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم، ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [4]، أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، والخياط والمخيط واحد وهو: الإبرة والمراد منه أنهم لا يدخلون الجنة أبدا لأن الشيء إذا علق بما يستحيل كونه يدل ذلك على تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب أو يبيض القار، يريد لا أفعله أبدا، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [5].

[٤١] ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ [6]، أي: فراش، ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [7]، أي: لحف. وهي جمع غاشية، يعني ما غشاهم وغطاهم، يريد إحاطة النار بهم من كل

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٩.
(٢) سورة الأعراف آية : ٤٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ٤٠.
(٤) سورة الأعراف آية : ٤٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ٤٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ٤١.
(٧) سورة الأعراف آية : ٤١.

جانب، كما قال الله: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾[1] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾[2].

[٤٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾[3]، أي: طاقتها وما لا تحرج فيه ولا تضيق عليه، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[4].

[٤٣] ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾[5]، وأخرجنا، ﴿ مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾[6]، من غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا فجعلناهم إخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم. ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾[7]. أي إلى هذا، يعني طريق الجنة. وقال سفيان الثوري: معناه هدانا لعمل هذا ثوابه، ﴿ وَمَا كُنَّا ﴾[8]، قرأ ابن عامر: (ما كنا) بلا واو، ﴿ لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ ﴾[9]، هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل

---

(١) سورة الزمر آية : ١٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ٤١.
(٣) سورة الأعراف آية : ٤٢.
(٤) سورة الأعراف آية : ٤٢.
(٥) سورة الأعراف آية : ٤٣.
(٦) سورة الأعراف آية : ٤٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ٤٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ٤٣.
(٩) سورة الأعراف آية : ٤٣.

عيانا، ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[1]، قيل: هذا النداء إذا رأوا الجنة من بعيد نودوا أن تلكم الجنة، وقيل: هذا النداء يكون في الجنة، عن أبي سعيد وعن أبي هريرة قالا: ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدا، ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[2]، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم.

قوله تعالى وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنةِ أَصْحَابَ النارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبنَا حَقّا....

[٤٤] قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾[3]، من الثواب، ﴿ حَقًّا ﴾[4]، أي: صدقا، ﴿ فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ ﴾[5]، من العذاب، ﴿ حَقًّاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ ﴾[6]، قرأ الكسائي بكسر العين حيث كان، والباقون بفتحها وهما لغتان، ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ ﴾[7]، أي: نادى مناد أسمع الفريقين، ﴿ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[8]، قرأ

(١) سورة الأعراف آية : ٤٣.
(٢) سورة الأعراف آية : ٤٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ٤٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ٤٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ٤٤.
(٦) سورة الأعراف آية : ٤٤.
(٧) سورة الأعراف آية : ٤٤.
(٨) سورة الأعراف آية : ٤٤.

أهل المدينة والبصرة وعاصم: (أن) خفيف، ﴿ لَّعْنَةُ ﴾[1]، رفع، وقرأ الآخرون بالتشديد، (لعنة الله) نصب على الظالمين، أي: الكافرين.

[٤٥] ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ ﴾[2]، أي: يصرفون الناس، ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3]، طاعة الله، ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾[4]، أي: يطلبونا زيغا وميلا، أي: يبطلون سبيل الله جائرين عن القصد. قال ابن عباس: يصلون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظمه الله. والعوج بكسر العين في الدين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائما، وبالفتح في كل ما كان قائما كالحائط والرمح ونحوهما. ﴿ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾[5].

[٤٦] ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾[6]، يعني: بين الجنة والنار. وقيل. بين أهل الجنة وبين أهل النار حجاب، وهو السور الذي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ ﴾[7]، قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾[8]، والأعراف هي ذلك السور الذي بين الجنة والنار، وهي جمع عرف وهو اسم للمكان المرتفع، ومنه عرف الديك لارتفاعه عما سواه من جسده. وقال السدي: سمي ذلك السور أعرافا لأن أصحابه يعرفون الناس. واختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنم على الأعراف، فقال حذيفة وابن عباس: هم قوم استوت حسناتم وسيئاتم فقصرت بم سيئاتم عن الجنة وتجاوزت

---

(١) سورة الأعراف آية : ٤٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ٤٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ٤٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ٤٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ٤٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ٤٦.
(٧) سورة الحديد آية : ١٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ٤٦.

بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهما الجنة بفضل رحمته، وهم آخر من يدخل الجنة. وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم. وقيل. هم أطفال المشركين. وقال الحسن: هم أهل الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعا، ويطالعون أحوال الفريقين. قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾ [(١)]، أي: يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم وأهل النار بسواد وجوههم ﴿ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [(٢)] أي: إذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم، ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ [(٣)] وَهُمْ يَطْمَعُونَ يعني: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [(٤)]، في دخولها قال أبو العالية: ما جعل الله ذلك الطمع فيهم إلا كرامة يريدها بهم. قال الحسن: الذي جعل الطمع في قلوبهم يوصلهم إلى ما يطمعون.

[٤٧] ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [(٥)]، تعوذوا بالله، ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [(٦)]، يعني الكافرين في النار.

[٤٨] ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً ﴾ [(٧)]، كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار، ﴿ يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ [(٨)]، في الدنيا من المال والولد،

(١) سورة الأعراف آية : ٤٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ٤٦.
(٣) سورة الأعراف آية : ٤٦.
(٤) سورة الأعراف آية : ٤٦.
(٥) سورة الأعراف آية : ٤٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ٤٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ٤٨.
(٨) سورة الأعراف آية : ٤٨.

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1]، عن الإيمان. قال الكلبي: ينادون وهم على السور: يا وليد بن المغيرة ويا أبا جهل ابن هشام ويا فلان، ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزءون بم، مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم فيقول أصحاب الأعراف لأولئك الكفار:

[٤٩] ﴿ أَهَٰؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ ﴾[2]، حلفتم، ﴿ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾[3]، أي: حلفتم أنم لا يدخلون الجنة. ثم يقال لأهل الأعراف، ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4]، وفيه قول آخر: أن أصحاب الأعراف إذا قالوا لأهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار: إن دخل أولئك الجنة وأنتم لم تدخلوها فيعيرونم بذلك ويقسمون أنم يدخلون النار، فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط لأهل النار. أهؤلاء يعني أصحاب الأعراف الذين أقسمتم يا أهل النار أنم لا ينالهم الله برحمة، ثم قالت الملائكة لأصحاب الأعراف: ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[5]، فيدخلون الجنة.

[٥٠, ٥١] قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ ﴾[6]، أي صبوا، ﴿ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[7]، أي: أوسعوا علينا مما رزقكـم الله من طعام الجنة. قال عطاء عن ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج، وقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فأذن لنا حتى نراهـم

(١) سورة الأعراف آية : ٤٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ٤٩.
(٣) سورة الأعراف آية : ٤٩.
(٤) سورة الأعراف آية : ٤٩.
(٥) سورة الأعراف آية : ٤٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ٥٠.
(٧) سورة الأعراف آية : ٥٠.

ونكلمهم، فينظروا إلى قرابتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونم ولم يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكـم الله، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ﴾ [1]، يعني: الماء والطعام، ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ [2] وهو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة وأخواتا والمكاء والتصدية حول البيت، وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونا في الجاهلية. وقيل: دينهـم أي عيدهم، ﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ ﴾ [3]، نتركهم في النار، ﴿ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ [4]، أي: كـمـا تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ﴿ وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ ﴾ [5].

قوله تعالى وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ....

[52] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾[6]، يعـني القـرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ ﴾ [7]، بينـاه، ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [8] منا لما يصلحهـم، ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ [9] أي: جعلنـا القرآن هاديـا وذا رحمة، ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ [10].

(١) سورة الأعراف آية : ٥٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ٥١.
(٣) سورة الأعراف آية : ٥١.
(٤) سورة الأعراف آية : ٥١.
(٥) سورة الأعراف آية : ٥١.
(٦) سورة الأعراف آية : ٥٢.
(٧) سورة الأعراف آية : ٥٢.
(٨) سورة الأعراف آية : ٥٢.
(٩) سورة الأعراف آية : ٥٢.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٥٢.

[٥٣] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾[١]، أي: هل ينتظرون، ﴿ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ ﴾[٢]، قال مجاهد: جزاءه. وقال السدي: عاقبته. ومعناه: هل ينتظرون إلا ما يئول إليه أمرهم في العذاب ومصيرهم إلى النار. ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ﴾[٣]، أي: جزاؤه وما يئول إليه أمرهم، ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾[٤]، اعترفوا به حين لا ينفعهم الاعتراف، ﴿ فَهَل لَّنَا ﴾[٥]، اليوم، ﴿ مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ ﴾[٦]، إلى الدنيا، ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾[٧]، أهلكوها بالعذاب، ﴿ وَضَلَّ ﴾[٨]، وبطل، ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[٩].

[٥٤] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[١٠]، أراد به في مقدار ستة أيام لأن اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبا، ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء، قيل: ستة أيام كأيام الآخرة، وكل يوم كألف سنة. وقيل: كأيام الدنيا. قال سعيد بن جبير: كان الله ﷻ قادرا على خلق السموات والأرض في لمحة ولحظة، فخلقهن في ستة أيام تعليما لخلقه التثبت والتأني في الأمور. وقد

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٣.
(٢) سورة الأعراف آية : ٥٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ٥٣.
(٤) سورة الأعراف آية : ٥٣.
(٥) سورة الأعراف آية : ٥٣.
(٦) سورة الأعراف آية : ٥٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ٥٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ٥٣.
(٩) سورة الأعراف آية : ٥٣.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٥٤.

جاء في الحديث: ﴿ التأني من الله والعجلة من الشيطان ﴾ [(١)] [(٢)] ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [(٣)]، قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد، وأولت المعتزلة [(٤)] الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل. وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [(٥)] [سورة طه: آية ٥]، كـيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالا، ثم أمر به فأخرج، وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة: أمروها كما جاءت بلا كيف، والعرش في اللغة: هو السرير. وقيل: هو ما علا فأظل، ومنه عرش الكروم. وقيل: العرش الملك. ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ [(٦)]، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب (يغشي) بالتشديد ها هنا وفي سورة الرعد، والباقون بالتخفيف، أي: يأتي الليل على النهار فيغطيه، وفيه

---

(١) الترمذي البر والصلة (٢٠١٢).

(٢) قال العجلوني في كشف الخفاء ج١/٣٥٠ "رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى، وابن منيع والحارث بن أبي أسامة في مسانيدهم عن أنس رفعه وأخرجه البيهقي عنه أيضا وله شواهد عند الترمذي وقال: حسن غريب، بلفظ: "الأناة من الله والعجلة من الشيطان ". وأخرجه المصنف في شرح السنة ١٧٦/١٣.

(٣) سورة الأعراف آية : ٥٤.

(٤) المعتزلة: فرقة كلامية، ظهرت في أخريات القرن الأول الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها "واصل بن عطاء" مجلس الحسن البصري. وهذه الفرقة شديدة التأثر بالفلسفة اليونانية، وهي تعتمد في إدراك الغيبيات على العقل، وكل ما خالف العقل عندهم يأولونه ويطوعونه حسب مفاهيمهم الكلامية، ولقد جعلوا العقل أساسا لفهم القرآن الكريم لا القرآن أساسا للعقل ففسروا آيات الصفات على حسب ما تدركه عقولهم من الفهم وحكموا العقل في كل ما يتعلق بالاعتقاد والإيمان.

(٥) سورة طه آية : ٥.

(٦) سورة الأعراف آية : ٥٤.

حذف أي: ويغشي النهار الليل، ولم يذكره لدلالة الكلام عليه وذكر في آية أخرى فقال: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ﴾ (١). ﴿ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا ﴾ (٢)، أي: سريعا، وذلك أنه إذا كان يعقب أحدهم الآخر ويخلفه، فكأنه يطلبه. ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ ﴾ (٣) أي: خلق هذه الأشياء مسخرات، أي: مذللات ﴿ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ (٤)، له الخلق لأنه خلقهم وله الأمر يأمر في خلقه بما يشاء، قال سفيان بن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر. ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ ﴾ (٥)، أي: تعالى الله وتعظم. وقيل: ارتفع. والمبارك المرتفع. وقيل: تبارك تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة. أي: البركة تكتسب وتنال بذكره. وعن ابن عباس قال: جاء بكل بركة. وقال الحسن: تجيء البركة من قبله وقيل. تبارك تقدس. والقدس الطهارة. وقيل: تبارك الله أي باسمه يتبرك في كل شيء. وقال المحققون. معنى هذه الصفة ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت. ويقال: تبارك الله، ولا يقال. متبارك ولا مبارك، لأنه لم يرد به التوقيف. ﴿ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾ (٦).

[55] ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا ﴾ (٧)، تذللا واستكانة، ﴿ وَخُفۡيَةًۚ ﴾ (٨) أي: سرا. قال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا، ولقد كان المسلمون يجتهدون

---

(١) سورة الزمر آية : ٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ٥٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ٥٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ٥٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ٥٤.
(٦) سورة الأعراف آية : ٥٤.
(٧) سورة الأعراف آية : ٥٥.
(٨) سورة الأعراف آية : ٥٥.

في الدعاء وما يسمع لهم صوت، وإن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم، ذلك أن الله سبحانه يقـول: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ ﴾ (١)، وإن الله ذكـر عبـدا صالحـا ورضـي فعلـه فقـال: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ ﴾ (٢). ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ ﴾ (٣)، قيل: المعتدين في الدعاء. وقال أبو مجلز: هم الذين يسألون منازل الأنبياء عليهم السلام وقيل: أراد به الاعتداء بالجهر والصياح، قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح. وروينا عن أبي موسى قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ ﴿ اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا ﴾ (٤) (٥). وقال عطية: هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل، فيقولون: اللهم اخزهم اللهم العنهم.

[٥٦] ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ (٦)، أي: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله، وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي. وقال عطية: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم. فعلى هذا معنى قوله: ﴿ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ (٧) أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب. ﴿ وَٱدْعُوهُ

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٥.

(٢) سورة مريم آية : ٣.

(٣) سورة الأعراف آية : ٥٥.

(٤) البخاري المغازي (٣٩٦٨), مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٤), أبو داود الصلاة (١٥٢٦), أحمد (٤/٤١٨).

(٥) رواه البخاري في الجهاد ٤٧٠/٧ ومسلم في الذكر رقم (٢٧٠٤) ٢٠٧٦/٤ والمصنف في شرح السنة ٦٦/٥.

(٦) سورة الأعراف آية : ٥٦.

(٧) سورة الأعراف آية : ٥٦.

﴿خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ [1]، أي: خوفا منه ومن عذابه وطمعا فيما عنده من مغفرته وثوابه. وقال ابن جريج: خوف العدل وطمع الفضل. ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [2]، ولم يقل قريبة، قال سعيد بن جبير: الرحمة ها هنا الثواب فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ كقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ﴾ [3]، ولم يقل منها لأنه أراد الميراث والمال. وقال الخليل بن أحمد: القريب والبعيد يستوي فيهما في اللغة المذكر والمؤنث والواحد والجمع. قال أبو عمرو بن العلاء: القريب في اللغة يكون بمعنى القرب وبمعنى المسافة، تقول العرب: هذه امرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة، وقريب منك إذا كانت بمعنى المسافة.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا﴾ [4]، قرأ عاصم (بشرا) بالباء وضمها وسكون الشين ها هنا وفي الفرقان وسورة النمل، ويعني: أنا تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾ [5]، وقرأ حمزة والكسائي نشرا بالنون وفتحها، وهي الريح الطيبة اللينة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣﴾ [6] وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين، وقرأ الآخرون بضم النون والشين، جمع نشور، مثل صبور وصبر ورسول ورسل، أي: متفرقة وهي الرياح التي تهب من كل ناحية. ﴿بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ﴾ [7]،

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٦.

(٢) سورة الأعراف آية : ٥٦.

(٣) سورة النساء آية : ٨.

(٤) سورة الأعراف آية : ٥٧.

(٥) سورة الروم آية : ٤٦.

(٦) سورة المرسلات آية : ٣.

(٧) سورة الأعراف آية : ٥٧.

أي: قدام المطر ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ ﴾[1]، حملت الرياح، ﴿ سَحَابًا ثِقَالاً ﴾ [2] بالمطر، ﴿ سُقۡنَٰهُ ﴾[3]، ورد الكناية إلى السحاب، ﴿ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾[4]. إلى بلد ميت محتاج إلى الماء. وقيل: معناه لإحياء بلد ميت لا نبات فيه ﴿ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ﴾[5]، أي: بالسحاب. وقيل: بذلك البلد الميت، ﴿ ٱلۡمَآءَ ﴾[6]، يعني: المطر، ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[7]، استدل بإحيـاء الأرض بعـد موتـا على إحياء الموتى ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧ ﴾[8]، قال أبو هريرة وابن عباس: إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى أرسل الله عليهم مطرا كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان، فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكـملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يلقي عليهم النوم فينامون في قبورهـم، ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رءوسهم وأعينهم، فعند ذلك يقولون: ﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾[9].

(١) سورة الأعراف آية : ٥٧.
(٢) سورة الأعراف آية : ٥٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ٥٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ٥٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ٥٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ٥٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ٥٧.
(٨) سورة الأعراف آية : ٥٧.
(٩) سورة يس آية : ٥٢.

قوله تعالى وَالْبَلَدُ الطيبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِهِ وَالذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِدًا....

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ ﴾ (١)، هذا مثل ضربه الله ﷻ للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن مثل البلد الطيب يصيبه المطر فيخرج نباته بإذن ربـه، ﴿ وَٱلَّذِى خَبُثَ ﴾ (٢)، يريد الأرض السبخة التي، ﴿ لَا يَخۡرُجُ ﴾ (٣)، نباتا، ﴿ إِلَّا نَكِدًاۚ ﴾ (٤)، قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: عسرا قليلا بعناء ومشقة. فالأول مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به، والثاني مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يتبين أثر المطر فيه ﴿ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ (٥) نبينها، ﴿ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ۝٥٨ ﴾ (٦) عن أبي موسى ﵁ عن النبي ﷺ قال: ﴿ مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ﴾ (٧) (٨).

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٨.

(٢) سورة الأعراف آية : ٥٨.

(٣) سورة الأعراف آية : ٥٨.

(٤) سورة الأعراف آية : ٥٨.

(٥) سورة الأعراف آية : ٥٨.

(٦) سورة الأعراف آية : ٥٨.

(٧) البخاري العلم (٧٩), مسلم الفضائل (٢٢٨٢), أحمد (٣٩٩/٤).

(٨) أخرجه البخاري في العلم ١٧٥/١ ومسلم في الفضائل رقم (٢٢٨٢) ١٧٨٧/٢ والمصنف في شرح السنة ٢٨٧/١.

[٥٩] قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾[(١)]، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس، وهو أول نبي بعث بعد إدريس فقال، لقومه، ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[(٢)]، قرأ أبو جعفر والكسائي من إله غيره بكسر الراء حيث كان على نعت الإله، وافق حمزة في سورة فاطر: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾[(٣)]، وقرأ الآخرون برفع الراء على التقديم، تقديره: مالكم غيره من إله، ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ﴾[(٤)]، إن لم تؤمنوا، ﴿ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[(٥)].

[٦٠] ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ ﴾[(٦)]، خطأ وزوال عن الحق، ﴿ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ ﴾[(٧)] بين.

[٦١] ﴿ قَالَ ﴾[(٨)]، نوح، ﴿ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ ﴾[(٩)]، ولم يقل ليست، لأن معنى الضلالة الضلال أو على تقديم الفعل، ﴿ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[(١٠)].

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩.
(٢) سورة الأعراف آية : ٥٩.
(٣) سورة فاطر آية : ٣.
(٤) سورة الأعراف آية : ٥٩.
(٥) سورة الأعراف آية : ٥٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ٦٠.
(٧) سورة الأعراف آية : ٦٠.
(٨) سورة الأعراف آية : ٦١.
(٩) سورة الأعراف آية : ٦١.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٦١.

[٦٢] ﴿ أُبَلِّغُكُمْ ﴾[١]، قرأ أبو عمرو: (أبلغكـم) بالتخفيف حيث كان من الإبلاغ. لقوله: (لقد أبلغتكم)، ﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى ﴾[٢]، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبليغ، لقوله تعالى: ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[٣]، رسالات ربي، ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾[٤]، يقال: نصحته ونصحت له. والنصح أن يريد لغيره من الخير ما يريد لنفسه، ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[٥]، أن عقابه لا يرد عن القوم المجرمين.

[٦٣] ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ ﴾[٦]، ألف استفهام دخلت على واو العطف، ﴿ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٧]، قال ابن عباس رضي الله عنهما. موعظة. وقيل: بيان. وقيل. رسالة. ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾[٨]، عذاب الله إن لم تؤمنوا، ﴿ وَلِتَتَّقُواْ ﴾[٩]، أي: لكي تتقوا الله، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[١٠]، لكي ترحموا.

---

(١) سورة الأعراف آية : ٦٢.
(٢) سورة الأعراف آية : ٦٢.
(٣) سورة المائدة آية : ٦٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ٦٢.
(٥) سورة الأعراف آية : ٦٢.
(٦) سورة الأعراف آية : ٦٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ٦٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ٦٣.
(٩) سورة الأعراف آية : ٦٣.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٦٣.

[٦٤] ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾[1] يعني: كذبوا نوحا، ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾[2]، من الطوفان، ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾[3]، في السفينة، ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[4]، أي: كفارا. قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله. قال الزجاج: عموا عن الحق والإيمان، يقال: رجل عم عن الحق وأعمى في البصر. وقيل: العمى والأعمى كالخضر والأخضر. قال مقاتل: عموا عن نزول العذاب وهو الغرق.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ ﴾[5]، أي: وأرسلنا إلى عاد، وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهي عاد الأولى أخاهم في النسب لا في الدين، (هودا) وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص. وقال ابن إسحاق: هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[6]، أفلا تخافون نقمته؟

[٦٦] ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ ﴾[7]، يا هود، ﴿ فِى سَفَاهَةٍ ﴾[8]، في حمق وجهالة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: تدعو إلى

---

(١) سورة الأعراف آية : ٦٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ٦٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ٦٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ٦٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ٦٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ٦٥.
(٧) سورة الأعراف آية : ٦٦.
(٨) سورة الأعراف آية : ٦٦.

دين لا نعرفه، ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٦٦ ﴾[1]، أنك رسول الله إلينا.

[٦٧] ﴿ قَالَ ﴾[2]، هود ﴿ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦٧ ﴾[3].

قوله تعالى أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِي وَأَنا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ....

[٦٨] ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨ ﴾[4]، ناصح أدعوكم إلى التوبة أمين على الرسالة. قال الكلبي. كنت فيكم قبل اليوم أمينا.

[٦٩] ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾[5]، يعني نفسه، ﴿ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ ﴾[6]، يعني في الأرض، ﴿ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾[7] أي: من بعد إهلاكهم، ﴿ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾[8]، أي: طولا وقوة ﴿ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾[9] نعم الله، واحدها إلى وآلاء، مثل: معى وأمعاء، وقفا وأقفاء ونظيرها: (آناء الليل)، واحدها أنا وآناء، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٦٩ ﴾[10].

---

(١) سورة الأعراف آية : ٦٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ٦٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ٦٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ٦٨.
(٥) سورة الأعراف آية : ٦٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ٦٩.
(٧) سورة الأعراف آية : ٦٩.
(٨) سورة الأعراف آية : ٦٩.
(٩) سورة الأعراف آية : ٦٩.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٦٩.

[٧٠] ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[١]، من الأصنام، ﴿ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾[٢]، من العذاب، ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ ﴾[٣].

[٧١] ﴿ قَالَ ﴾[٤]، هود ﴿ قَدۡ وَقَعَ ﴾[٥]، وجب ونزل، ﴿ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٌ ﴾[٦] أي: عذاب، والسين مبدلة من الزاي، ﴿ وَغَضَبٌ ﴾[٧]، أي: سخط، ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ ﴾[٨]، وضعتموها، ﴿ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾[٩]، قال أهل التفسير: كانت لهم أصنام يعبدونها سموها أسماء مختلفة، ﴿ مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖ ﴾[١٠]، حجة وبرهان، ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾[١١]، نزول العذاب، ﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١ ﴾[١٢].

---

(١) سورة الأعراف آية : ٧٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ٧٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ٧٠.
(٤) سورة الأعراف آية : ٧١.
(٥) سورة الأعراف آية : ٧١.
(٦) سورة الأعراف آية : ٧١.
(٧) سورة الأعراف آية : ٧١.
(٨) سورة الأعراف آية : ٧١.
(٩) سورة الأعراف آية : ٧١.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٧١.
(١١) سورة الأعراف آية : ٧١.
(١٢) سورة الأعراف آية : ٧١.

[٧٢] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾[1]، يعني هودا عند نزول العذاب، ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ ﴾[2]، أي: استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم، ﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[3].

[٧٣] قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ ﴾[4]، وهو ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح، وأراد ها هنا القبيلة. قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقلة مائها، والثمد: الماء القليل، وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى، (أخاهم صالحا) أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب لا في الدين صالحا، وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماشيح بن عبيد بن خادر بن ثمود، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾[5]، حجة من ربكم على صدقي ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ ﴾[6]، أضافها إليه على التفضيل والتخصيص، كما يقال: بيت الله ﴿ لَكُمْ ءَايَةً ۖ ﴾[7] نصب على الحال ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ ﴾[8] العشب،

---

(١) سورة الأعراف آية : ٧٢.
(٢) سورة الأعراف آية : ٧٢.
(٣) سورة الأعراف آية : ٧٢.
(٤) سورة الأعراف آية : ٧٣.
(٥) سورة الأعراف آية : ٧٣.
(٦) سورة الأعراف آية : ٧٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ٧٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ٧٣.

﴿ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ ﴾[1]، لا تصيبوها بعقر، ﴿ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣ ﴾[2].

قوله تعالى وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبوأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا....

[٧٤] ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ ﴾[3]، أسكنكم وأنزلكم، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ ﴾[4]، كانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبال. وقيل: كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم، ﴿ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤ ﴾[5] والعيث: أشد الفساد.

[٧٥] ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ﴾[6] قرأ ابن عامر: وقَالَ الْمَلَأُ بالواو، ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ ﴾[7] يعني الأشراف والقادة الذين تعظموا عن الإيمان بصالح، ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ ﴾[8]، يعني الأتباع، ﴿ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ ﴾[9]، يعني: قال الكفار للمؤمنين،

---

(١) سورة الأعراف آية : ٧٣.
(٢) سورة الأعراف آية : ٧٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ٧٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ٧٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ٧٤.
(٦) سورة الأعراف آية : ٧٥.
(٧) سورة الأعراف آية : ٧٥.
(٨) سورة الأعراف آية : ٧٥.
(٩) سورة الأعراف آية : ٧٥.

﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾[1]، إليكم، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[2].

[٧٦] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[3]، جاحدون.

[٧٧] ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾[4]، قال الأزهري: العقر هو قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقرا لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره. ﴿ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾[5]، والعتو الغلو في الباطل، يقال: عتا يعتو عتوا إذا استكبروا، والمعنى: عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا نبيهم. ﴿ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾[6]، أي: من العذاب، ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[7].

[٧٨] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾[8]، وهي زلزلة الأرض وحركتها وأهلكوا بالصيحة والرجفة، ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ ﴾[9]، قيل: أراد الديار. وقيل: أراد في أرضهم

---

(١) سورة الأعراف آية : ٧٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ٧٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ٧٦.
(٤) سورة الأعراف آية : ٧٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ٧٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ٧٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ٧٧.
(٨) سورة الأعراف آية : ٧٨.
(٩) سورة الأعراف آية : ٧٨.

وبلدتم، ولذلك وحد الدار، ﴿ جَٰثِمِينَ ﴾ [1]، خامدين ميتين. قيل: سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم.

[٧٩] ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ [2]، أعرض صالح، ﴿ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [3]، فإن قيل: كيف خاطبهم بقوله لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بعدما أهلكوا بالرجفة؟ قيل: كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقاهم في القليب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: ﴿ أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون ﴾ [4] [5]. وقيل: خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم. وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: فتولى عنهم، وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتم الرجفة.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ﴾ [6]، أي: وأرسلنا لوطا. وقيل: معناه واذكر لوطا. وهو لوط بن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم، ﴿ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ ﴾ [7]، وهم أهل سدوم وذلك أن لوطا شخص من أرض بابل سافر مع عمه إبراهيم عليه السلام مؤمنا

---

(١) سورة الأعراف آية : ٧٨.

(٢) سورة الأعراف آية : ٧٩.

(٣) سورة الأعراف آية : ٧٩.

(٤) البخاري المغازي (٣٧٥٧), مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٥), النسائي الجنائز (٢٠٧٤), أحمد (١٤٥/٣).

(٥) قطعة من حديث أنس بن مالك أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل ٣٠٠/٧, ٣٠١.

(٦) سورة الأعراف آية : ٨٠.

(٧) سورة الأعراف آية : ٨٠.

مهاجرا معه إلى الشام، فـ ل إبراهيم فلسطين وأنزل لوطا الأردن، فأرسله الله ﷻ إلى أهل سدوم فقال لهم: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ ﴾ (١)، يعني: إتيان الذكران، ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (٢)، قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا إلا كان من قوم لوط.

[٨١] ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ (٣)، قرأ أهل المدينة وحفص إنكم بكسر الألف على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستئناف. ﴿ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ ﴾ (٤)، في أدبارهم، ﴿ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ ﴾ (٥)، فسر تلك الفاحشة يعنى أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء، ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (٦) مجاوزون الحلال إلى الحرام. قال محمد بن إسحاق: كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس لينالوا من ثمارهم فآذوهم.

[٨٢] ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾ (٧)، قال بعضهم لبعض، ﴿ أَخْرِجُوهُم ﴾ (٨)، يعني: لوطـا وأهـل دينه، ﴿ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٩)، يتـ هون عن أدبار الرجال.

(١) سورة الأعراف آية : ٨٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ٨٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ٨١.
(٤) سورة الأعراف آية : ٨١.
(٥) سورة الأعراف آية : ٨١.
(٦) سورة الأعراف آية : ٨١.
(٧) سورة الأعراف آية : ٨٢.
(٨) سورة الأعراف آية : ٨٢.
(٩) سورة الأعراف آية : ٨٢.

[٨٣] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾[(١)]، يعني: لوطا، ﴿ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾[(٢)]، المؤمنين, وقيل: أهله ابنتاه، ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[(٣)]، يعني الباقين في العذاب. وقيل: معناه كانت من الباقين المعمرين قد أتى عليها دهر طويل فهلكت مع من هلك من قوم لوط، وإنما قال: ﴿ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[(٤)]، لأنه أراد ممن بقى من الرجال فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قال من الغابرين.

[٨٤] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ ﴾[(٥)]. يعني حجارة من سجيل قال وهب: الكبريت والنار، ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[(٦)]، قال أبو عبيدة: يقال في العذاب أمطر وفي الرحمة مطر.

قوله تعالى وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا....

[٨٥] قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ ﴾[(٧)]: وأرسلنا إلى ولد مدين وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وهم أصحاب الأيكة أخاهم شعيبا في النسب لا في الدين. قال عطاء: هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم. وقال ابن إسحاق: هو شعيب بن ميكائيل بن يزجر بن مدين بن إبراهيم وأم ميكائيل بنت لوط. وقيل: هو شعيب بن يثرون بن مدين، وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ

(١) سورة الأعراف آية : ٨٣.
(٢) سورة الأعراف آية : ٨٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ٨٣.
(٤) سورة الأعراف آية : ٨٣.
(٥) سورة الأعراف آية : ٨٤.
(٦) سورة الأعراف آية : ٨٤.
(٧) سورة الأعراف آية : ٨٥.

ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾[1]، فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾[2] ولم تكن لهم آية مذكورة؟ قيل. قد كانت لهم هذه الآية إلا أنا لم تذكر، وليست كل الآيات مذكورة في القرآن، وقيل: أراد بالبينة مجيء شعيب، ﴿ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ ﴾[3]، أتموا الكيل، ﴿ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾[4]، لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها، ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ﴾[5]، أي: ببعث الرسل والأمر بالعدل، وكل نبي بعث إلى قوم فهو صلاحهم، ﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾[6] الذي ذكرت لكـم وأمرتكـم به، ﴿ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨٥ ﴾[7]، مصدقين بما أقول.

[٨٦] ﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ ﴾[8]، أي: على كل طريق، ﴿ تُوعِدُونَ ﴾[9] تهددون ﴿ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[10]، دين الله، ﴿ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا

(١) سورة الأعراف آية : ٨٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ٨٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ٨٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ٨٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ٨٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ٨٥.
(٧) سورة الأعراف آية : ٨٥.
(٨) سورة الأعراف آية : ٨٦.
(٩) سورة الأعراف آية : ٨٦.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٨٦.

عِوَجًاۚ ﴾[1]، زيغا، وقيل: تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد، وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيقولون لمن يريد الإيمان بشعيب: إن شعيب كذاب فلا يفتننك عن دينك ويتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم. وقال السدي: كانوا عشرين. ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ ﴾[2]، فكثر عددهم، ﴿ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3]، أي: آخر أمر قوم لوط.

[٨٧] ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ ﴾[4]، أي: إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين مكـذبين ومصدقين، ﴿ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ ﴾[5]، بتعذيب المكذبين وإنجاء المصدقين، ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[6].

قوله تعالى قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا....

[٨٨] ﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ ﴾[7]، يعني الرؤساء الذين تعظموا عن الإيمان به، ﴿ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي

(١) سورة الأعراف آية : ٨٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ٨٦.
(٣) سورة الأعراف آية : ٨٦.
(٤) سورة الأعراف آية : ٨٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ٨٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ٨٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ٨٨.

﴿ مِلَّتِنَا ۚ ﴾[1]، لترجعن إلى ديننا الذي نحن عليه ﴿ ۞ قَالَ ﴾[2] شعيب ﴿ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾[3]، يعني: لو كنا أي: وإن كنا كارهين لذلك فتجبروننا عليه؟

[٨٩] ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ ﴾[4]، بعد إذ أنقذنا الله منها، ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ ﴾[5] يقول إلا أن يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيئته أنا نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ ﴾[6]، ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ ﴾[7] ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع إلى ملتنا؟ قيل: معناه أو لتدخلن في ملتنا، فقال: وما كان لنا أن ندخل فيها. وقيل: معناه إن صرنا في ملتكم، ومعنى (عاد) صار، وقيل: أراد به قوم شعيب لأنهم كانوا كفارا فآمنوا فأجاب شعيب عنهم، قوله: ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ ﴾[8]، أحاط علمه بكل شيء ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ ﴾[9]، فيما توعدوننا به. ثم عاد شعيب بعد ما أيس من فلاحهم

(١) سورة الأعراف آية : ٨٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ٨٨.
(٣) سورة الأعراف آية : ٨٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ٨٩.
(٥) سورة الأعراف آية : ٨٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ٨٨.
(٧) سورة الأعراف آية : ٨٩.
(٨) سورة الأعراف آية : ٨٩.
(٩) سورة الأعراف آية : ٨٩.

فقال: ﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا ﴾ [1]، أي: اقـض بيننا، ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [2]، والفتاح: القاضي، ﴿ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ۝٨٩ ﴾ [3] أي: الحاكمين.

[٩٠] ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا ﴾ [4]، وتركتم دينكم، ﴿ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠ ﴾ [5]، مغبونون وقـال عطاء: جاهلون، قال الضحاك: عجزة.

[٩١] ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ ﴾ [6]، قـال الكـلبي: الزلزلة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حرا شديدا فآخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فإذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر، فخرجوا هربا إلى البرية فـبعـث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلتهم، وهي الظلة، فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحت السحابة، رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كـما يحترق الجراد المقلى، وصاوروا رمـادا ﴿ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٩١ ﴾ [7].

---

(١) سورة الأعراف آية : ٨٩.
(٢) سورة الأعراف آية : ٨٩.
(٣) سورة الأعراف آية : ٨٩.
(٤) سورة الأعراف آية : ٩٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ٩٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ٩١.
(٧) سورة الأعراف آية : ٩١.

[٩٢] وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ﴾[1]، أي: لم يقيموا ولما ي لوا فيها، من قولهم: غنيت بالمكان إذا قمت به، والمغاني المنازل واحدها مغنى، وقيل: كأن لم يتنعموا فيها.

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[2]، لا المؤمنين كما زعموا.

[٩٣] ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾[3]، أعرض ﴿ عَنْهُمْ ﴾[4] شـعيـب شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب ﴿ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾[5]، أحزن، ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[6]، والأسى: الحزن: والأسى: الصبر.

[٩٤] قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ ﴾[7]، فيه إضمـار، يعني: فكذبوه، ﴿ إِلَّآ أَخَذْنَآ ﴾[8] عاقبـنـا ﴿ أَهْلَهَا ﴾[9]، حين لـم يؤمنـوا، ﴿ بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾[10]، قال ابن مسعود: البأساء: الفقر والضراء: المرض، وهذا معنى قول من قال

---

(١) سورة الأعراف آية : ٩٢.
(٢) سورة الأعراف آية : ٩٢.
(٣) سورة الأعراف آية : ٩٣.
(٤) سورة الأعراف آية : ٩٣.
(٥) سورة الأعراف آية : ٩٣.
(٦) سورة الأعراف آية : ٩٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ٩٤.
(٨) سورة الأعراف آية : ٩٤.
(٩) سورة الأعراف آية : ٩٤.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٩٤.

البأساء في المال والضراء في النفس. وقيل: البأساء البؤس وضيق العيش، والضراء والضر سوء الحال. وقيل: البأساء في الحرب والضراء الجدب، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [1]، لكي يتضرعوا فيتوبوا.

[٩٥] ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾ [2]، يعني: مكان البأساء والضراء الحسنة، يعني النعمة والسعة والخصب والصحة، ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا ﴾ [3]، أي: كثروا وازدادوا، وكثرت أموالهم، يقال: عفا الشعر إذا كثر. قال مجاهد: وكثرت أموالهم وأولادهم، ﴿ وَّقَالُوا ﴾ [4]، من غرتم وغفلتهم بعد ما صاروا إلى الرخاء، ﴿ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾ [5]، أي: هكذا كانت عادة الدهر قديما لنا ولآبائنا ولم يكن ما مسنا من الضراء عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فإنم لم يتركوا دينهم لما أصابم من الضراء، قال الله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً ﴾ [6]، فجأة آمن ما كانوا ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [7]، ب ول العذاب.

(١) سورة الأعراف آية : ٩٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ٩٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ٩٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ٩٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ٩٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ٩٥.
(٧) سورة الأعراف آية : ٩٥.

قوله تعالى وَلَوْ أن أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتقَوْا لَفَتحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السمَاءِ وَالْأَرْض....

[٩٦] ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [١] يعني: المطر من السماء والنبات من الأرض، وأصل البركة: المواظبة على الشيء، أي: تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجدب، ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [٢]، من الأعمال الخبيثة.

[٩٧] ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ [٣] الذين كفروا وكذبوا، يعني: أهل مكة وما حولها، ﴿ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ﴾ [٤]، عذابنا ﴿ بَيَٰتٗا ﴾ [٥]، ليلا، ﴿ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [٦].

[٩٨] ﴿ أَوَأَمِنَ ﴾ [٧]، قرأ أهل الحجاز والشام: (أو أمن) بسكون الواو، والباقون بفتحها، ﴿ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى ﴾ [٨]، أي:

---

(١) سورة الأعراف آية : ٩٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ٩٦.
(٣) سورة الأعراف آية : ٩٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ٩٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ٩٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ٩٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ٩٨.
(٨) سورة الأعراف آية : ٩٨.

نـارا: والضحـى: صـدر النهـار، ووقت انبسـاط الشمس، ﴿ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝ ﴾[1]، ساهون لاهون.

[٩٩] ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝ ﴾[2] ومكر الله استدراجه إياهم بما أنعم عليهم في دنياهم. وقال عطية: يعني أخذه وعذابه.

[١٠٠] ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ ﴾[3]، قرأ قتادة ويعقوب: نهد بالنون على التعظيم، والباقون بالياء على التفريد، يعني أولم نبين، ﴿ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ ﴾[4]، هلاك ﴿أَهۡلِهَآ ﴾[5]، الذين كانوا فيها قبلهم ﴿أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم﴾[6]، أي: أخـذنـاهـم وعاقبناهم، ﴿ بِذُنُوبِهِمۡۚ ﴾[7] كما عاقبنا من قبلهم، ﴿وَنَطۡبَعُ﴾[8]، نختم، ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝ ﴾[9]، الإيمان ولا يقبلون الموعظة، قال

---

(١) سورة الأعراف آية : ٩٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ٩٩.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٠٠.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٠٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٠٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٠٠.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٠٠.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٠٠.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٠٠.

الزجاج: قوله (نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ) منقطع عما قبله لأن قوله ﴿ أَصَبۡنَٰهُم ﴾ [1] ماض، و ﴿ نَطۡبَعُ ﴾ [2] مستقبل.

[١٠١] ﴿ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ [3]، أي: هذه القرى التي ذكرت لك أمرها وأمر أهلها يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب. ﴿ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَا ﴾ [4]، أخبارها لما فيها من الاعتبار، ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ [5]، بالآيات والمعجزات والعجائب، ﴿ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُ ﴾ [6]، أي: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا من قبل رؤيتهم تلك العجائب، نظيره قوله ﷻ ﴿ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ [7]. قال ابن عباس والسدي. يعني فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكناهم ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم، فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب. وقال مجاهد: معناه فما كانوا لو أحييناهم بعد إهلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم، كقوله ﷻ ﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ ﴾ [8]. قال يمان بن رباب: هذا على معنى أن كل نبي أنذر قومه بالعذاب

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٠٠.

(٢) سورة يونس آية : ٧٤.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٠١.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٠١.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٠١.

(٦) سورة الأعراف آية : ١٠١.

(٧) سورة المائدة آية : ١٠٢.

(٨) سورة الأنعام آية : ٢٨.

فكذبوه، يقول: ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية، بل كذبوا بما كذب أوائلهم، نظيره قوله ﷻ ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝ ﴾[1]. ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ ﴾[2]، أي: كما طبع الله على قلوب الأمم الخالية التي أهلكها كذلك يطبع الله على قلوب الكفار الذين كتب عليهم أن لا يؤمنوا من قومك.

[١٠٢] ﴿ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٍ ﴾[3]، أي: وفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق، حين أخرجهم من صلب آدم ﴿ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ۝ ﴾[4]، أي: ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين ناقضين للعهد.

[١٠٣] قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم ﴾[5]، أي: من بعد نوح وهود وصالح وشعيب، ﴿ مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾[6]، بأدلتنا، ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ﴾[7]، فجحدوا بها، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فظلمهم وضع الكفر موضع الإيمان، ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝ ﴾[8]، وكيف فعلنا بهم.

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٢.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٠١.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٠٢.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٠٢.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٠٣.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٠٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٠٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٠٣.

قوله تعالى وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِي رَسُولٌ مِنْ رَب الْعَالِمِينَ....

[١٠٤] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ [(١)] لما دخل على فرعون ﴿ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [(٢)] إليك، فقال فرعون: كذبت، فقال موسى:

[١٠٥] ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ ﴾ [(٣)]، أي: أنا خليق بألا أقول على الله إلا الحق، فتكون على بمعنى الباء كما يقال: رميت بالقوس ورميت على القوس، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة، يدل عليه قراءة أبي والأعمش (حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق)، وقال أبو عبيدة: معناه حريص على ألا أقول على الله إلا الحق، وقرأ نافع (علي) بتشديد الياء أي حق واجب علي ألا أقول علـى الله إلا الحـق. ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [(٤)]، يعني العصا، ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [(٥)]، أي: أطلق عنهم وخلهم يرجعون. إلى الأرض المقدسة، وكان فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقـل التراب ونحوهما، فقال فرعون مجيبا لموسى.

[١٠٦] ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [(٦)].

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٠٤.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٠٤.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٠٥.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٠٥.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٠٥.

(٦) سورة الأعراف آية : ١٠٦.

[١٠٧] ﴿ فَأَلْقَىٰ ﴾ [١] موسى ﴿ عَصَاهُ ﴾ [٢] من يده ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [٣] والثعبان: الذكر العظيم من الحيات، فإن قيل. أليس قد قال في موضع آخر ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ [٤]، والجان الحية الصغيرة؟ قيل: إنا كانت كالجان في الحركة والخفة، وهي في جثتها حية عظيمة. قال ابن عباس والسدي: إنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها ما بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض بقدر ميل، وقامت له على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم قال فرعون: هل معك آية أخرى؟ قال: نعم.

[١٠٨] ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [٥]، فأدخل يده في جيبه ثم نزعها، وقيل: أخرجها من تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس، وكان موسى آدم، ثم أدخلها جيبه فصارت كـما كانت.

[١٠٩] ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [٦]، يعنون إنه ليأخذ بأعين الناس حتى يخيل إليهم العصا حية والآدم أبيض، ويري الشيء بخلاف ما هو به.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٠٧.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٠٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٠٧.
(٤) سورة النمل آية : ١٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٠٨.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٠٩.

[١١٠] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم ﴾[(١)]، يا معشر القبط، ﴿ مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾[(٢)]، مصر، ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[(٣)]، أي: تشيرون إليه، هذا يقوله فرعون وإن لم يذكره، وقيل: هذا من قول الملأ لفرعون وخاصته.

[١١١] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾[(٤)]، يعني الملأ، ﴿ أَرْجِهْ ﴾[(٥)] قرأ ابن كثير وأهل البصرة وابن عامر بالهمزة وضم الهاء، وقرأ الآخرون بلا همز، ثم نافع رواية ورش والكسائي يشبعان الهاء كسرا، ويسكنها عاصم وحمزة، ويختلسها أبو جعفر وقالون، قال عطاء: معناه أخره. وقيل: احبسه، ﴿ وَأَخَاهُ ﴾[(٦)]، معناه أشاروا عليه بتأخير أمره وترك التعرض له بالقتل، ﴿ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴾[(٧)]، يعني الشرط في المدائن، وهي مدائن الصعيد من نواحي مصر، قالوا: أرسل إلى هذه المدائن رجالا يحشرون إليك من فيها من السحرة، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد، فإن غلبهم موسى صدقناه وإن غلبوا علمنا أنه ساحر.

[١١٢] فذلك قوله: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾[(٨)]، قرأ حمزة، والكسائي (سحار) ها هنا وفي سورة يونس ولم يختلفوا في الشعراء أنه سحار، قيل: الساحر الذي يعلم السحر ولا يعلم، والسحار الذي يعلم. وقيل: الساحر من يكون

---

(١) سورة الأعراف آية : ١١٠.

(٢) سورة الأعراف آية : ١١٠.

(٣) سورة الأعراف آية : ١١٠.

(٤) سورة الأعراف آية : ١١١.

(٥) سورة الأعراف آية : ١١١.

(٦) سورة الأعراف آية : ١١١.

(٧) سورة الأعراف آية : ١١١.

(٨) سورة الأعراف آية : ١١٢.

سحره في وقت دون وقت، والسحار من يديم السحر. قال ابن عباس وابن إسحاق والسدي: قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا ما رأى: إنا لا نغالب إلا بمن هو منه، فاتخذ غلمانا من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الفرحاء يعلمونهم السحر، فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى موعدا فبعث إلى السحرة فجاءوا ومعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء فإنه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرا إلا أتى به، واختلفوا في عددهم فقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين، اثنان من القبط وهما رأسا القوم وسبعون من بني إسرائيل. وقال الكلبي: كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى، وكانوا سبعين غير رئيسهم. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفا. وقال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألفا. وقال عكرمة: كانوا سبعين ألفا. وقال محمد بن المنكدر: كانوا ثمانين ألفا. وقال مقاتل: كان رئيس السحرة شمعون. وقال ابن جريج: كان رئيس السحرة يوحنا.

[١١٣] ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ ﴾ [(١)] واجتمعوا، ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ [(٢)]، لفرعون ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا ﴾ [(٣)]، أي: جعلا ومالا ﴿ إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ ﴾ [(٤)]، قرأ أهل الحجاز وحفص ﴿ إِنَّ لَنَا ﴾ [(٥)] على الخبر، وقرأ الباقون بالاستفهام، ولم يختلفوا في الشعراء أنه مستفهم.

(١) سورة الأعراف آية : ١١٣.
(٢) سورة الأعراف آية : ١١٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ١١٣.
(٤) سورة الأعراف آية : ١١٣.
(٥) سورة الأعراف آية : ١١٣.

[١١٤] ﴿ قَالَ ﴾ (١) فرعون ﴿ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (٢)، في المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر، قال الكلبي: يعني أول من يدخل وآخر من يخرج.

[١١٥] ﴿ قَالُواْ ﴾ (٣) يعني السحرة ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ ﴾ (٤) عصاك ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٥)، لعصينا وحبالنا.

[١١٦] ﴿ قَالَ ﴾ (٦)، موسى بل ﴿ أَلْقُواْ ﴾ (٧) أنتم، ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٨)، أي: صرفوا أعينهم. عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل، وهذا هو السحر، ﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ (٩)، أي: أرهبوهم وأفزعوهم، ﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ (١٠)، وذلك أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا. وفي القصة أن الأرض كانت ميلا في ميل صارت حيات وأفاعي في أعين الناس.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١١٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ١١٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ١١٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ١١٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ١١٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ١١٦.
(٧) سورة الأعراف آية : ١١٦.
(٨) سورة الأعراف آية : ١١٦.
(٩) سورة الأعراف آية : ١١٦.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١١٦.

[١١٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾[١]، فألقاها فصارت حية عظيمة. حتى سدت الأفق. قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية ﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ ﴾[٢] قرأ حفص (تلقف) ساكنة اللام خفيفة حيث كان، وقرأ الآخرون بفتح اللام وتشديد القاف، أي: تبتلع، ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[٣]، يكذبون من التخاييل وقيل: يزورون على الناس. فكانت تلتقم حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوقع الزحام عليهم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت.

[١١٨] ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾[٤]، قال الحسن ومجاهد: ظهر الحق، ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[٥]، من السحر، وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما يصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا، فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله.

[١١٩] ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[٦]، ذليلين مقهورين.

قوله تعالى وَأُلْقِيَ السحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمنا بِرَب الْعَالَمِينَ.....

[١٢٠] ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[٧] لله تعالى. قال مقاتل: ألقاهم الله. وقيل: ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا. قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا.

(١) سورة الأعراف آية : ١١٧.
(٢) سورة الأعراف آية : ١١٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ١١٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ١١٨.
(٥) سورة الأعراف آية : ١١٨.
(٦) سورة الأعراف آية : ١١٩.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٢٠.

[١٢١, ١٢٢] ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ۝١٢١ ﴾[1]، فقال فرعون: إياي تعنون فقالوا: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۝١٢٢ ﴾[2]، قال مقاتل: قال موسى لكبير السحرة: تؤمن بي إن غلبتك؟ فقال: لآتين بسحر لا يغلبه سحر، ولئن غلبتني لأومنن بك، وفرعون ينظر.

[١٢٣] ﴿ قَالَ ﴾[3] لهم ﴿ فِرۡعَوۡنُ ﴾[4] حين آمنوا ﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾[5]، قرأ حفص ﴿ ءَامَنتُم ﴾[6] على الخبر هاهنا وفي طه والشعراء، وقرأ الآخرون بالاستفهام أأمنتم به، ﴿ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ﴾[7]، أصدقتم موسى من غير أمري إياكـم، ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ ﴾[8]، أي: صنيع صنعتموه أنتم وموسى: ﴿ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾[9] في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر، ﴿ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝١٢٣ ﴾[10] ما أفعل بكم.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٢١.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٢٢.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٢٣.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٢٣.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٢٣.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٢٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٢٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٢٣.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٢٣.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١٢٣.

[١٢٤] ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ﴾[١]، وهو أن يقطع من كل شق طرفا. قال الكلبي: لأقطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى، ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[٢]، على شاطئ نر مصر.

[١٢٥] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾[٣]، يعني السحرة لفرعون، ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٤]، راجعون في الآخرة.

[١٢٦] ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ ﴾[٥]، أي: ما تكره منا. وقال الضحاك وغيره: وما تطعن علينا. وقال عطاء: ما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه، ﴿ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ ﴾[٦] ثم فزعوا إلى الله ﷻ فقالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ ﴾[٧]، اصبب ﴿ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[٨]، ذكر الكلبي: أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وذكر غيره: أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٩].

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٢٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٢٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٢٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٢٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٢٦.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٢٦.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٢٦.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٢٦.
(٩) سورة القصص آية : ٣٥.

[١٢٧] ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ ﴾ [(١)] له ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [(٢)]، وأرادوا بالإفساد في الأرض دعاءهم الناس إلى مخالفة فرعون في عبادته، ﴿ وَيَذَرَكَ ﴾ [(٣)]، أي: وليذرك، ﴿ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [(٤)]، فلا يعبدك ولا يعبدها. قال ابن عباس: كان لفرعون بقرة يعبدها، وكان إذا رأى بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج السامري لهم عجلا. وقال الحسن: كان قد علق على عنقه صليبا يعبده، وقال السدي: كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وأمرهم بعبادتها، وقال لقومه: هذه آلهتكم وأنا ربها وربكم، فذلك قوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [(٥)]، وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [(٦)]، بكسر الألف، أي: عبادتك فلا يعبدك، لأن فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل: أراد بالآلهة الشمس. وكانوا يعبدونا.

﴿ قَالَ ﴾ [(٧)] فرعون ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾ [(٨)]، قرأ أهل لحجاز: (سنقتل) بالتخفيف من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد من التقتيل على التكثير، ﴿ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ ﴾ [(٩)] نتركهن أحياء، ﴿ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾ [(١٠)] غالبون. قال ابن

(١) سورة الأعراف آية : ١٢٧.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٢٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٢٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٢٧.
(٥) سورة النازعات آية : ٢٤.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٢٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٢٧.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٢٧.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٢٧.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١٢٧.

عباس: كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل في العام الذي قيل له أنه يولد مولود يذهب بملكك، فلم يزل يقتلهم حتى أتاهم موسى بالرسالة، وكان، من أمره ما كان، فقال فرعون: أعيدوا عليهم القتل، فأعادوا عليهم القتل، فشكت ذلك بنو إسرائيل.

[١٢٨] ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ ﴾ (١)، يعني أرض مصر، ﴿ يُورِثُهَا ﴾ (٢)، يعطيها ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (٣) بالنصر والظفر. وقيل: السعادة والشهادة. وقيل: الجنة.

[١٢٩] ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا ﴾ (٤)، قال ابن عباس: لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل، فقالوا - يعني قوم موسى - إنا أوذينا، ﴿ مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا ﴾ (٥)، بالرسالة بقتل الأبناء، ﴿ وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ ﴾ (٦)، بإعادة القتل علينا. وقيل: فالمراد منه أن فرعون كان يستسخرهم قبل مجيء موسى إلى نصف النهار، فلما جاء موسى استسخرهم جميع النهار بلا أجر. وذكر الكلبي أنهم كانوا يضربون له اللبن بتبن فرعون، فلما جاء موسى أجبرهم أن يضربوه بتبن من عندهم. ﴿ قَالَ ﴾ (٧) موسى ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾ (٨)،

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٢٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٢٨.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٢٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٢٩.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٢٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٢٩.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٢٩.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٢٩.

فرعون، ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[1]، أي: يسكنكم أرض مصر من بعدهم، ﴿ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[2]، فحقق الله ذلك بإغراق فرعون واستخلافهم في ديارهم وأموالهم فعبدوا العجل.

[١٣٠] قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾[3]، أي: بالجدب والقحط. تقول العرب: مستهم السنة، أي: جدب السنة وشدة السنة. وقيل: أراد بالسنين القحط سنة بعد سنة، ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[4]، والغلات بالآفات والعاهات. وقال قتادة: أما السنين فلأهل البوادي، وأما نقص الثمرات فلأهل الأمصار، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[5]، أي: يتعظون وذلك لأن الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما عند الله عز وجل.

قوله تعالى فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ....

[١٣١] ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾[6]، يعني الخصب والسعة والعافية، ﴿ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾[7]، أي: نحن أهلها ومستحقوها على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلا من الله ﷻ فيشكروا عليها، ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾[8]، جدب وبلاء ورأوا

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٢٩.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٢٩.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٣٠.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٣٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٣٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٣١.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٣١.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٣١.

ما يكرهون، ﴿ يَطَّيَّرُواْ ﴾[1]، يتشاءموا، ﴿ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾[2]، وقالوا: ما أصابنا بلاء حتى رأيناهم، فهذا من شؤم موسى وقومه. قال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[3]، أي: أنصباؤهم من الخصب والجدب والخير والشر كله من الله. وقال ابن عباس. طائرهم ما قضى الله عليهم وقدر لهم. وفي رواية عنه: شؤمهم عند الله ومن قبل الله أي: إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله. وقيل: معناه الشؤم العظيم الذي لهم عند الله من عذاب النار، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٣١ ﴾[4]، أن الذي أصابهم من الله.

[١٣٢] ﴿ وَقَالُواْ ﴾[5]، يعني: القبط لموسى، ﴿ مَهۡمَا ﴾[6]، متى (ما) كلمة تستعمل للشرط والجزاء، ﴿ تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ ﴾[7]، من علامة، ﴿ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا ﴾[8]، لتنقلنا عما نحن عليه من الدين، ﴿ فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٣٢ ﴾[9]، بمصدقين.

[١٣٣] ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾[10]، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق: دخل كلام بعضهم في بعض لما آمنت السحرة، ورجع فرعون مغلوبا

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٣١.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٣١.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٣١.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٣١.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٣٢.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٣٢.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٣٢.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٣٢.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٣٢.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١٣٣.

أبي هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص مع الثمرات، فلما عالج منهم بالآيات الأربع: العصا واليد والسنين ونقـص الثمار، فأبوا أن يؤمنوا فدعا عليهم، فقال: يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا وإن قومه نقضوا عهدك، رب فخذهم بعقوبة تجـعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة، فبعث الله عليهم الطوفان -وهو الماء- أرسل الله عليهم الماء وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة, فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهما ومن جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، وركد الماء على أرضهم لا يقدرون أن يحرثوا ولا يعملوا شيئا، ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت. وقال مجاهد وعطاء: الطوفان الموت. وقال وهب. الطوفان الطاعون بلغة اليمن. وقال أبو قلابة: الطوفان الجدري، وهم أول من عذبوا به فبقي في الأرض. وقال مقاتل: الطوفان الماء طغى فوق حروثهم، فقال لموسى: أدع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان، فأنبت الله لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته لهم قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر وأخـصبت بلادهم، فقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبا، فلم يؤمنوا وأقاموا شهرا في عافية، فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تأكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم، وابتلي الجراد بالجوع، فكان لا يشبع ولم يصب بني إسرائيل شيء من ذلك فعجوا وضجوا، وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتم بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا، فلم يفوا بما عاهدوا وعادوا لأعمالهم السوء فأقاموا شهرا في عافية، ثم بعث الله عليهم القمل. واختلفوا فيه فقيل: القمل السوس الذي يخرج من الحنطة، وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي: القمل الدبي

والجراد الطيارة التي لها أجنحة، والدبي الصغار التي لا أجنحة لهـها وقال أبو عبيدة: وهو الحمنان وهو ضرب من القراد. وقال عطاء الخراساني: هو القمل. وبه قرأ أبو الحسن (القمل) بفتح القاف وسكون الميم فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهـم ونباتـم فأكله فصرخوا وصاحوا إلى موسى أنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء، فدعا موسى عليه السلام الله فرفع الله القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم وقالوا: وعزة فرعون لا نتبعه أبدا ولا نصدقه، فأقاموا شهرا في عافية فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتم وأفنيتهم وأطعمتهم وآنيتهم، فلا يكشف أحد إناء ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع فلقوا منها أذى شديدا فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا ذلك إلى موسى، وقالوا: هذه المرة نتوب، ولا نعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم، ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام سبعا من السبت إلى السبت، فأقاموا شهرا في عافية، ثم نقضوا العهد، وعادوا لكفرهم، فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم, فسال النيل عليهم دما، وصارت مياههم دما، وما يستقون من الآبار والأنار إلا وجدوه دما عبيطا أحمر، فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم. وقال زيد بن أسلم: الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف، فأتوا موسى، وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه ﷻ فكشف عنهم، فلم يؤمنوا فذلك قوله ﷻ ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ [(١)]، يتبع بعضها بعضا، وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد أسبوعا، وبين كل عذابين شهرا ﴿ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [(٢)].

(١) سورة الأعراف آية : ١٣٣.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٣٣.

[١٣٤] ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾ [1] أي: نزل بهم العذب وهو ما ذكر الله ﷻ من الطوفان وغيره.... وقال سعيد بن جبير: الرجز الطاعون، وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس، حتى منهم سبعون ألفا في يوم أحد فأمسوا وهم لا يتدافنون، ﴿ قَالُواْ ﴾ [2] لموسى: ﴿ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ [3]. أي: بما أوصاك. وقال عطاء: بما نبـأك. وقيل: بما عهد عندك من إجابة دعوتك ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ ﴾ [4]، وهو الطاعون، ﴿ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٣٤ ﴾ [5].

[١٣٥] قوله وجل: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ ﴾ [6]، يعني إلى الغرق في اليم، ﴿ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝١٣٥ ﴾ [7]، ينقضون العهد.

[١٣٦] ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [8]، يعني البحر, ﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ۝١٣٦ ﴾ [9]، أي: عن النقمة قبل حلولها غافلين. وقيل: معناه عن آياتنا معرضين.

(١) سورة الأعراف آية : ١٣٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٣٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٣٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٣٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٣٤.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٣٥.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٣٥.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٣٦.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٣٦.

[١٣٧] ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ ﴾[(١)]، يقهرون، ويستذلون بذبح الأبناء واستخدام النساء والاستعباد وهم بنو إسرائيل، ﴿ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾[(٢)]، يعني مصر والشام، ﴿ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ ﴾[(٣)]، بالماء والأشجار والثمار والخصب والسعة، ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[(٤)]، يعني: وفت كلمة الله، وهي وعده إياهم بالنصر والتمكين في الأرض، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[(٥)] الآية ﴿ بِمَا صَبَرُواْۖ ﴾[(٦)]، على دينهم وعلى عذاب فرعون، ﴿ وَدَمَّرۡنَا ﴾[(٧)]، أهلكنا ﴿ مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ ﴾[(٨)] في أرض مصر من العمارات، ﴿ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ ﴾[(٩)]، قال مجاهد: يبنون من البيوت والقصور. وقال الحسن: يعرشون من الأشجار والثمار والأعناب، وقرأ ابن عامر وأبو بكر (يَعْرُشُونَ) بضم الراء ها هنا وفي النحل، وقرأ الآخرون بكسرها.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٣٧.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٣٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٣٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٣٧.
(٥) سورة القصص آية : ٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٣٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٣٧.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٣٧.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٣٧.

قوله تعالى وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ على أصنام لهم....

[١٣٨] قوله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ ﴾ (١)، قال الكلبي: عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه، فصامه شكرا لله ﷻ ﴿ فَأَتَوۡاْ ﴾ (٢)، فمروا ﴿ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ ﴾ (٣) يقيمون، قرأ حمزة والكسائـي (يَعْكِفُونَ) بكسـر الكاف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ ﴾ (٤)، أوثان ﴿ لَّهُمۡۚ ﴾ (٥)، يعبدونا من دون الله. قال ابن جريج: كانت تماثيل بقر، وذلك أول شأن العجل. قال قتادة. كان أولئك القوم من لخم، وكانوا نزولا بالرقة، فقالت بنو إسرائيل لما رأوا ذلك، ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا ﴾ (٦) أي مثالا نعبده ﴿ كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ (٧)، ولم يكن ذلك شكا من بني إسرائيل في وحدانية الله، وإنما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه، ونتقرب بتعظيمه إلى الله ﷻ وظنوا أن ذلك لا يضر الديانـة، وكان ذلك لشـدة جهلهـم. ﴿ قَالَ ﴾ (٨) موسى ﴿ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ ﴾ (٩)، عظمة الله.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٣٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٣٨.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٣٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٣٨.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٣٨.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٣٨.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٣٨.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٣٨.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٣٨.

[١٣٩] ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ ﴾[١]، مهلـك، ﴿ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾[٢]، والتتبير الإهـلاك، ﴿ وَبَـٰطِلٌ ﴾[٣]، مضمحـل وزائـل، ﴿ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[٤].

[١٤٠] ﴿ قَالَ ﴾ يعني موسى[٥] ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ ﴾[٦]، أي: أبغي لكم وأطلب، ﴿ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[٧]، أي: على عالمي زمانكم.

[١٤١] قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم ﴾[٨]، قرأ ابن عامر (أنجاكم) وكذلك هو في مصاحف أهل الشام، ﴿ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾[٩]، قرأ نافع (يَقْتُلُونَ) خفيفة التاء من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير من التقتيل، ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾[١٠].

(١) سورة الأعراف آية : ١٣٩.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٣٩.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٣٩.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٣٩.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٤٠.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٤٠.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٤١.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٤١.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١٤١.

[١٤٢] ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةً ﴾[(١)]، ذا القعدة، ﴿ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٍ ﴾[(٢)]، من ذي الحجة ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةًۚ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾[(٣)] عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة ﴿ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي ﴾[(٤)]، كن خليفتي، ﴿ فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ ﴾[(٥)]، أي: أصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وقال ابن عباس: يريد الرفق بهم، والإحسان إليهم ﴿ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ ﴾[(٦)]، أي: لا تطع من عصى الله، ولا توافقه على أمره، وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون، وما يذرون! فلما فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربه الكتاب، فأمره الله ﷻ أن يصوم ثلاثين يوما فلما تمت ثلاثون أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خروب، وقال أبو العالية: أكل من لحاء شجرة، فقالت له الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك، فأفسدته بالسواك، فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة، وقال: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، وكانت فتنتهم في العشر التي زادها.

[١٤٣] قوله ﷻ ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[(٧)]، أي: للوقت الذي ضربنا له أن نكلمه فيه. قال أهل التفسير: إن موسى عليه السلام تطهر، وطهر ثيابه لميعاد ربه، فلما أتى طور سيناء، وكلمه الله، وناجاه حتى أسمعه، وكان جبريل عليه السلام معه

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٢.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٤٢.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٢.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٢.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٢.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٤٢.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٤٣.

فلم يسمع ما كلمه ربه، وأدناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى موسى عليه السلام كلام ربه، واشتاق إلى رؤيته ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ (١)، قال الزجاج: فيه اختصار تقديره: أرني نفسك أنظر إليك.

قال ابن عباس: أعطني أنظر إليك فإن قيل: كيف سأل الرؤية، وقد علم أن الله تعالى لا يرى في الدنيا؟ قال الحسن: هاج به الشوق، فسأل الرؤية. وقيل: سأل الرؤية ظنا منه أنه يجوز أن يُرَى في الدنيا ﴿ قَالَ ﴾ (٢) الله تعالى ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ (٣) وليس لبشر أن يطيق النظر إلي في الدنيا من نظر إلي في الدنيا مات فقال: إلهي سمعت كلامك، فاشتقت إلى النظر إليك، ولأن أنظر إليك، ثم أموت أحب إلي من أن أعيش، ولا أراك فقال الله ﷻ ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ﴾ (٤) وهو أعظم جبل، وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية، وقالوا: قال الله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ﴾ (٥)، ولن تكون للتأبيد، ولا حجة لهم فيها، ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال، لأنه كان يسأل الرؤية في الحال، والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجهل بسؤال الرؤية، ولم يقل: إني لا أرى حتى يكون لهم حجة، بل علق الرؤية على استقرار الجبل، واستقرار الجبل عند التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا. قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا ﴾ (٦)، قال ابن عباس: ظهر نور ربه للجبل جبل زبير.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٣.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٤٣.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٣.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٣.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٣.

(٦) سورة الأعراف آية : ١٤٣.

وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور. وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار: ما تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط حتى صار دكا. وقال السدي: ما تجلى إلا قدر الخنصر، يدل عليه ما روى ثابت عن أنس ﴿ أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية، وقال هكذا، ووضـع الإبام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل ﴾ [(١)] [(٢)].

وحُكِيَ عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم، فجعل الجبل دكا، أي: مستويا بالأرض. قرأ حمزة والكسائي (دكاء) ممدودا غير منون ها هنا وفي، سورة الكهف، وافق عاصم في الكهف، وقرأ الآخرون (دكا) مقصورا منونا فمن قصر فمعناه جعله مدقوقا: والدك والدق واحد، وقيل: معناه دكه الله دكا أي: فتته كما قال: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ ﴾ [(٣)]، ومن قرأ بالمد أي: جعله مستويا أرضا دكاء. وقيل: معناه جعله مثل دكاء، وهي الناقة التي لا سنام لها قال ابن عباس: جعله ترابا. وقال سفيان: ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه. وقال عطية العوفي: صار رملا هائلا. وقال الكلبي: جعله دكا أي: كسرا جبالا صغارا قوله ﷻ ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾ [(٤)]، قال ابن عباس والحسن: مغشيا عليه. وقال قتادة: ميتا. وقال الكلبي: خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة، وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ [(٥)]، موسى من صعقته، وثاب إليه عقله عرف أنه قد سأل أمرا لا ينبغي له، ﴿ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ [(٦)]، عـن سؤال الـرؤيـة

(١) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٧٤), أحمد (١٢٥/٣).

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير ٤٥١/٨ وقال: حديث حسن صحيح غريب. والحاكم في المستدرك ٣٢٠/٢.

(٣) سورة الفجر آية : ٢١.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٣.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٣.

(٦) سورة الأعراف آية : ١٤٣.

﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1]، بأنك لا ترى في الدنيا. وقال مجاهد والسدي: وأنا أول من آمن بك من بني إسرائيل.

قوله تعالى قَالَ يَا مُوسَى إِني اصْطَفَيْتُكَ عَلَى الناس بِرِسَالَاتي وَبِكَلَامِي....

[١٤٤] ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[2]، اخترتك على الناس، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ إِنِّيَ ﴾[3] بفتح الياء وكـذلك (أخي اشدد)، ﴿ بِرِسَٰلَٰتِي ﴾[4]، قرأ أهل الحجاز برسالتي على التوحيد، والآخرون بالجمع، ﴿ وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ ﴾[5]، أعطيتك، ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[6]، لله على نعمه، فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿ ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي ﴾[7]، وقد أعطى غيره الرسالة؟ قيل: لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله: اصطفيتك على الناس، وإن شاركه فيه غيره، كما يقول للرجل: خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيما.

[١٤٥] قوله ﷻ ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ ﴾[8]، يعني لموسى، ﴿ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ ﴾[9]، قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة قال الحسن: كانت الألواح من خشب. قال الكلبي: كانت

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٣.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٤٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٤.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٤٤.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٤٤.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٤٥.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٤٥.

من زبرجدة خضراء. وقال سعيد بن جبير: كانت من يا قوت أحمر. وقال الربيع بن أنس: كانت الألواح من برد. وقال ابن جريج: كانت من زمرد ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1]، مما أمروا به، ونوا عنه، ﴿ مَّوْعِظَةً ﴾[2] نيا عن الجهل، وحقيقة الموعظة: التذكير والتحذير بما يخاف عاقبته، ﴿ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[3]، أي: تبيينا لكل شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام. ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾[4]، أي: بجد واجتهاد. وقيل: بقوة القلب وصحة العزيمة، لأنه إذا أخذه بضعف النية أداه إلى الفتور، ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ﴾[5]، قال عطاء عن ابن أنس رضي الله عنهما: يحلوا حلالها، ويحرموا حرامها، ويتدبروا أمثالها، ويعملوا بمحكمها، ويقفوا عند متشابها. وكان موسى عليه السلام أشد عبادة من قومه، فأمر بما لم يؤمروا به. قال قطرب: بأحسنها أي: بحسنها وكلها حسن. وقل: أحسنها الفرائض والنوافل، وهي ما يستحق عليها الثواب، وما دونا المباح؛ لأنه لا يستحق عليه الثواب. وقيل: بأحسنها بأحسن الأمرين في كل شيء كالعفو أحسن من القصاص والصبر أحسن من الانتصار. ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[6]، قال مجاهد: مصيرها في الآخرة قال الحسن وعطاء. يعني جهنم، يحذركم أن تكونوا مثلهم. وقال قتادة وغيره: سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله لتعتبروا با. قال عطية العوفي: أراد دار فرعون وقومه وهي مصر، يدل عليه قراءة قسامة

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٤٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٤٥.

بن زهير: (سأورثكم دار الفاسقين)، وقال السدي: دار الفاسقين مصارع الكفار. وقال الكلبي: ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا.

[١٤٦] قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (١)، قال ابن عباس: يريد الذين يتجبرون على عبادي، ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بي، يعني سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها، عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق، كقوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (٢). قال سفيان بن عيينة: سأمنعهم فهم القرآن. قال ابن جريج: يعني عن خلق السموات والأرض وما فيهما، أي: سأصرفهم أن يتنكروا فيها ويعتبروا بها. وقيل: حكـم الآية لأهل مصر خاصة، وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطاها الله تعالى موسى عليه السلام. والأكثرون على أن الآية عامة ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ ﴾ (٣)، يعني هؤلاء المتكبرين ﴿ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ ﴾ (٤)، قرأ حمزة والكسائي (الرشَدِ) بفتح الراء والشين، والآخرون بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالسقْمِ وَالسقَم والبُخْل والبَخَل والحُزْن والحَزَن. وكان أبو عمرو يفرق بينهما، فيقول: الرشد بالضم الصلاح في الأمر وبالفتح الاستقامة في الدين. معنى الآية: وإن يروا طريق الهدى والسداد، ﴿ لَا يَتَّخِذُوهُ ﴾ (٥) لأنفسهم ﴿ سَبِيلًا

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٦.
(٢) سورة الصف آية : ٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٦.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٦.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٦.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾[١] أي: طريق الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾[٢]، عن التفكر فيها والاتعاظ بها غافلين ساهين.

[١٤٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[٣] أي: ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب، ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ﴾[٤]، بطلت، وصارت كأن لم تكن، ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ﴾[٥] في العقبى، ﴿إِلَّا مَا كَانُواْ﴾[٦]، أي: إلا جزاء ما كانوا ﴿يَعۡمَلُونَ ١٤٧﴾[٧]، في الدنيا.

[١٤٨] قوله ﷻ ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾[٨]، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾[٩] التي استعاروها من قوم فرعون. قرأ حمزة والكسائي (من حِلِيهِمْ) بكسر الحاء، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام، واتخذ السامري ﴿عِجۡلٗا﴾[١٠]، وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام، فتحول عجلا، ﴿جَسَدٗا﴾[١١]، حيا لحما ودما ﴿لَّهُۥ

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٤٦.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٤٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٤٧.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٤٨.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٤٨.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١٤٨.
(١١) سورة الأعراف آية : ١٤٨.

خُوَارٌۚ ﴾[1]، وهو صوت البقر، وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة أهل التفسير. وقيل: كان جسدا مجسدا من ذهب لا روح فيه، كان يسمع منه صوت. وقيل: كان يسمع صوت حفيف الريح يدخل في جوفه ويخرج، والأول أصح. وقيل: إنه ما خار إلا مرة واحدة. وقيل: كان يخور كثيرا كلما خار سجدوا، وإذا سكـت رفعوا رؤوسهم. وقال وهب: كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك. وقال السدي: كان يخور ويمشي، ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ ﴾[2]، يعني: الذين عبدوا العجل ﴿ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاًۘ ﴾[3]. قال الله عز وجـل: ﴿ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[4]، أي: اتخذوه إلها وكانوا كافرين.

[١٤٩] ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ ﴾[5]، أي: ندموا على عبادة العجل، تقول العرب لكل نادم على أمر: قد سقط في يديه، ﴿ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا ﴾[6]، يتب علينا ربنا، ﴿ وَيَغْفِرْ لَنَا ﴾[7]، يتجاوز عنا، ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[8]، قرأ حمزة والكسائي: (ترحمنا وتغفر لنا) بالتاء فيهما، (رَبَنَا) بنصب الباء. وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليهم.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٤٨.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٨.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٤٩.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٤٩.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٤٩.

قوله تعالى وَلَما رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي....

[١٥٠] قوله ﷻ ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا ﴾ [(١)]، قال أبو الدرداء: الأسف: شديد الغضب. وقال ابن عباس والسدي: أسفا أي: حزينا. والأسف أشد الحزن. ﴿ قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾[(٢)]، أي: بئس ما عملتم بعد ذهابي، يقال: خلفه بخير أو بشر إذا أولاه في أهله بعد شخوصه عنه خيرا أو شرا، ﴿ أَعَجِلۡتُمۡ ﴾ [(٣)]، أسبقتم ﴿ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ ﴾ [(٤)]، قال الحسن: وعد ربكم الذي وعدكـم من الأربعين ليلة. وقال الكلبي: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكـم أمر ربكم. ﴿ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ ﴾ [(٥)]، التي فيها التوراة، وكان حاملا لها, وألقاها على الأرض من شدة الغضب. قالت الرواة: كانت التوراة سبعة أسباع، فلما ألقى الألواح تكسرت، فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع، فرفع ما كان من أخبار الغيب، وبقي ما فيه الموعظة والأحكام والحلال والحرام، ﴿ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ ﴾ [(٦)]، بذوائبه ولحيته ﴿ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ ﴾ [(٧)]، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين، وأحـب إلى بني إسرائيل من موسى؛ لأنه كان لين الغضب. ﴿ قَالَ ﴾ [(٨)] هارون عند ذلك، ﴿ ٱبۡنَ أُمَّ ﴾ [(٩)] قرأ

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٥٠.

أهل الكوفة والشام هاهنا وفي طه بكسر الميم، يريد يا ابن أمي، فحذف يا ء الإضافة، وأبقيت الكسرة لتدل على الإضافة كقوله: ﴿ يَـٰعِبَادِ ﴾ [١] وقرأ أهل الحجاز والبصرة وحفص بفتح الميم على معنى يا أبن أماه. وقيل: جعله اسما واحدا، وبناه على الفتح، كقولهم: حضر موت وخمسة عشر ونحوهما، وإنما قال: ابن أم، وكان هارون أخاه لأبيه وأمه ليرقفه ويستعطفه. وقيل: كان أخاه لأمه دون أبيه، ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى ﴾ [٢]، يعني عبدة العجل، ﴿ وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى ﴾ [٣]، هموا وقاربوا أن يقتلوني، ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى ﴾ [٤] في مؤاخذتك علي ﴿ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [٥]، يعني عبدة العجل.

[١٥١] ﴿ قَالَ ﴾ [٦] موسى لما تبين له عذر أخيه، ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ﴾ [٧]، ما صنعت إلى أخي ﴿ وَلِأَخِى ﴾ [٨]، إن كان منه تقصير في الإنكار على عبدة العجل، ﴿ وَأَدْخِلْنَا ﴾ [٩] جميعا ﴿ فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [١٠].

---

(١) سورة الزمر آية : ١٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٥١.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٥١.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٥١.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٥١.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١٥١.

[١٥٢] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ ﴾[1]، أي: اتخذوه إلها ﴿ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾[2] في الآخرة ﴿ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾[3]، قال أبو العالية: هو ما أمروا به من قتل أنفسهم. وقال عطية العوفي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ ﴾[4] أراد اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ عيرهم بصنيع آبائهم، فنسبه إليهم ﴿ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾[5] أراد ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الجزية ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ۝١٥٢ ﴾[6]، الكاذبين، قال أبو قلابة: هو والله جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة أن يذله الله. قال سفيان بن عيينة: هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة.

[١٥٣] قوله ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٥٣ ﴾[7].

[١٥٤] قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ ﴾[8]، أي: سكن، ﴿ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ ﴾[9]، التي كان ألقاها، وقد ذهبت ستة أسباعها، ﴿ وَفِي

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٢.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٢.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٢.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٢.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٢.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٥٢.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٥٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٥٤.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٥٤.

﴿ نُسْخَتِهَا ﴾[1]، قيل: أراد بها الألواح؛ لأنها نسخت من اللوح المحفوظ، وقيل: إن موسى لما ألقى الألواح تكسرت، فنسخ منها نسخة أخرى فهو المراد من قوله: ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ [2] وقيل: أراد وفيما نسخ منها. وقال عطاء: فيما بقي منها. وقال ابن عباس وعمرو بن دينار: لما ألقى موسى الألواح فكسرت صام أربعين يوما فردت عليه في لوحين فكان فيه، ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [3]، أي: هدى من الضلالة ورحمة من العذاب، ﴿ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾[4]، أي: للخائفين من ربهم، واللام في (لربهم) زيادة توكيد، كقولـه: ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ [5]، وقال الكسائي: لما تقدمت قبل الفعل حسنت، كقوله: ﴿ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [6]، وقال قطرب: أراد من ربهم يرهبون. وقيل: أراد راهبون. وقيل: أراد راهبون لربهم.

[١٥٥] قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ [7]، أي: من قومه فانتصب لـ ع حرف الصفة. ﴿ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ ﴾ [8]، وفيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل. قال السدي: أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلا، ﴿ فَلَمَّآ ﴾ [9] أتوا ذلك المكان

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٤.
(٥) سورة النمل آية : ٧٢.
(٦) سورة يوسف آية : ٤٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٥٥.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٥٥.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٥٥.

قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتم الصاعقة فماتوا. وقال ابن إسحاق. اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا، ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم، فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل. قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب: ﴿ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ [1] لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل، ولم يأمروهم بالمعروف، ولم ينهوهم عن المنكر. وقال ابن عباس: إن السبعين الذين قالوا. ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ ﴾ [2] كانوا قبل السبعين رجلا الذين أخذتهم الرجفة، وإنما أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يختار من قومه سبعين رجلا، فاختارهم، وبرز بهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دعوا أن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدا قبلنا، ولا تعطه أحدا بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة. قال وهب: لم تكن الرجفة صوتا، ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة، وقلقوا، ورجفوا، حتى كادت أن تبين مفاصلهم، فلما رأى موسى ذلك رحمهم، وخاف عليهم الموت، فاشتد عليه فقدهم، وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين، فعند ذلك دعا، وبكى، وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة، فاطمأنوا، وسمعوا كلام ربهم، فذلك قوله ﷻ : ﴿ قَالَ ﴾ [3]، يعني موسى ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ ﴾ [4] يعني عن عبادة العجل، ﴿ وَإِيَّـٰيَ ﴾ [5] بقتل القبطي. ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ [6]، يعني عبدة العجل، وظن موسى أنهم عوقبوا باتخاذهم العجل، وقال هذا على طريق السؤال

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٥.
(٢) سورة البقرة آية : ٥٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٥٥.

يسأل. أتلكنا بفعل السفهاء؟ وقال المبرد: قوله ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾[1] استفهام استعطاف، أي. لا تلكنا، وقد علم موسى عليه السلام أن الله تعالى أعدل من أن يأخذ بجريرة الجاني غيره. قوله تعالى: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾[2]، أي: التي وقع فيها السفهاء لم تكن إلا اختبارك وابتلاءك أضللت بها قوما، فافتتنوا، وهديت قوما، فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك, فذلك معنى قوله: ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾[3]، ناصرنا وحافظنا, ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[4].

قوله تعالى وَاكْتُبْ لَنا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنا هُدْنا إِلَيْكَ....

[١٥٦] ﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا ﴾[5] أوجب لنا ﴿ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾[6]، النعمة والعافية, ﴿ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[7] أي: وفي الآخرة ﴿ حَسَنَةً ﴾[8]، المغفرة والجنة, ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[9]، أي: تبنا إليك, ﴿ قَالَ ﴾[10] الله تعالى: ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾[11]، من خلقي,

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٦.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٥٦.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٥٦.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٥٦.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٥٦.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١٥٦.
(١١) سورة الأعراف آية : ١٥٦.

﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ ﴾ [1] أي: عمت ﴿ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ [2]، قال الحسن وقتادة: وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر, وهي يوم القيامة للمتقين خاصة, وقال عطية العوفي: وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون, وذلك أن الكافر يرزق، ويدفع عنه بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين، فيعيش فيها فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه. قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن جريج: لما نزلت: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ [3] قال إبليس: أنا مـن ذلك الشيء، فقـال الله سبحانه وتعـالى: ﴿ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾ [4]، فتمناها اليهود والنصارى، وقالوا: نحن نتقي ونؤتي الزكاة، ونؤمن، فجعلها الله لهذه الأمة فقال:

[١٥٧] ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ [5] وهو محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو نبيكـم كان أميا لا يكتب، ولا يقرأ، ولا يحسب. وقال النبي ﷺ ﴿ إنا أمة أمية لا نكتب، ولا نحسب ﴾ [6] [7] وهو منسوب إلى الأم أي: هو على ما ولدته أمه. وقيل: هو منسوب إلى أمته، أصله أمتي فسقطت التاء في النسبة كما

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٦.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٦.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٦.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٦.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٧.

(٦) البخاري الصوم (١٨١٤), مسلم الصيام (١٠٨٠), النسائي الصيام (٢١٤١), أبو داود الصوم (٢٣١٩), أحمد (٤٣/٢).

(٧) رواه البخاري في الصوم ١٢٦/٤، ومسلم في كتاب الصيام رقـم (١٠٨٠) ٧٦١/٢ والمصنف في شرح السنة ٢٢٨/٦. ، .

سقطت في المكي والمدني. وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة. ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ ﴾ [1] أي: يجدون صفته ونعته ونبوته، ﴿ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [2] عن عطاء بن يسار قال: « لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة: قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا » [3]. [4] وعن كعب رضي الله عنه قال: « إني أجد في التوراة مكتوبا: محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون يحمدون الله في كل م لة، ويكبرونه على كل نجد، يأتزرون على أنصافهم، ويوضؤون أطرافهم، صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء، مناديهم ينادي في جو السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام » [5] [6]. قوله تعالى: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [7] أي: بالإيمان، ﴿ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [1] أي: عن

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٧.

(٣) البخاري البيوع (٢٠١٨), أحمد (١٧٤/٢).

(٤) أخرجه البخاري في البيوع ٣٤٢/٤ وفي تفسير سورة الفتح ٥٨٥/٨.

(٥) البخاري البيوع (٢٠١٨), أحمد (١٧٤/٢).

(٦) أخرجه الدارمي في المقدمة ٥/١ وابن سعد في الطبقات ٣٦٠/١ والبغوي في المصابيح ٣٦/٤ وانظر مشكاه المصابيح ١٦٠٧/٣.

(٧) سورة الأعراف آية : ١٥٧.

الشرك وقيل. المعروف الشريعة والسنة، والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. وقال عطاء: يأمرهم بالمعروف: بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام، وينهاهم عن المنكر: عن عبادة الأوثان وقطع الأرحام، ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (٢)، يعني: ما كانوا يحرمونه في الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ (٣)، يعني: الميتة والدم ولحم الخ ير والزنا وغيرها من المحرمات، ﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ ﴾ (٤)، قرأ ابن عامر (آصارهم) بالجمع، والإصر: كل ما يثقل على الإنسان من قول أو فعل. قال ابن عباس والحسن والضحاك والسدي ومجاهد: يعني العهد الثقيل كان أخذ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة. وقال قتادة: يعني التشديد الذي كان عليهم في الدين، ﴿ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ﴾ (٥)، يعني الأثقال ﴿ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ (٦)، وذلك مثل قتل الأنفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض، وتعيين القصاص في القتل، وتحريم أخذ الدية، وترك العمل في السبت، وأن صلاتم لا تجوز إلا في الكنائس وغير ذلك من الشدائد، وشبهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق. ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ ﴾ (٧)، أي: بمحمد ﷺ ﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ (٨)، وقروه،

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٥٧.

﴿ وَنَصَرُوهُ ﴾[1]، على الأعداء، ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾[2]، يعني: القرآن، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[3].

[١٥٨] قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾[4]، أي: آياته وهي القرآن. وقال مجاهد والسدي: يعني عيسى ابن مريـم. ويقرأ (كـلمته). ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[5].

[١٥٩] قوله ﷻ ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ ﴾[6]، يعني: بني إسرائيل، ﴿ أُمَّةٌ ﴾[7] أي: جماعة، ﴿ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾[8] أي: يرشدون، ويدعون إلى الحق. وقيل. معناه يهتدون، ويستقيمون عليه، ﴿ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[9] أي: بالحق يحكمون وبالعدل يقومون.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٨.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٨.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٥٩.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٥٩.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٥٩.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٥٩.

قوله تعالى وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا....

[١٦٠] قوله ﷻ ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ﴾[١]، أي: فرقناهم، يعني بني إسرائيل ﴿ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ ﴾[٢]، قال الفراء: إنما قال ﴿ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ ﴾[٣]، والسبط مذكر لأنه قال: ﴿ أُمَمًا ۚ ﴾[٤] فرجع التأنيث إلى الأمـم. وقال الزجاج: المعنى: وقطعناهم اثنتي عشرة أمما، وإنما قال: ﴿ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ ﴾[٥]، بالجمع وما فوق العشرة لا يفسر بالجمع، فلا يقال: أتاني اثنا عشر رجالا؛ لأن الأسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة، أي: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أمما. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره. وقطعناهم أسباطا أمما اثنتي عشرة، والأسباط القبائل واحدها سبط. قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾[٦]، في التيه، ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾[٧] انفجرت. وقال أبو عمرو بن العلاء: عرقت وهو الانبجاس، ثـم انفجرت، ﴿ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾[٨]، لكل سبط عين، ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ ﴾[٩]، كل سبط، ﴿ مَّشْرَبَهُمْ ۚ ﴾[١٠]، وكل سبط بنو أب واحد. قوله تعالى:

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١٦٠.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ ﴾ [1] في التيه تقيهم حر الشمس، ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [2].

[١٦١] ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [3]، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب: (تغفر) بالتاء وضمها وفتح الفاء. وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الفاء، ﴿ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ ﴾ [4]، قرأ ابن عامر (خطيئتكـم) على التوحيد ورفع التاء، وقرأ أبو عمرو: (خطاياكم)، وقرأ أهل المدينة ويعقوب: (خطيئاتكم) بالجمع ورفع التاء، وقرأ الآخرون بالجمع وكسر التاء. ﴿ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [5].

[١٦٢] ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا ﴾ [6]،عذابا ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [7].

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [8] قيل: هي مدين، أي: سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ وتقريع عن القرية التي كانت حاضرة البحر، أي: بقربه. قال ابن عباس: هي قرية يقال: لها إيلة بين

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦١.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦١.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦١.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٦٢.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٦٢.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٦٣.

مدين والطور على شاطئ البحر. وقال الزهري. هي طبرية الشام. ﴿ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾[1]، أي: يظلمون فيه، ويجاوزون أمر الله تعالى بصيد السمك، ﴿ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا ﴾[2]، أي: ظاهرة على الماء كثيرة، جمع شارع. وقال الضحاك: متتابعة. وفي القصة: أنها كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض. ﴿ وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ ﴾[3]، كإتيانهم يوم السبت، قرأ الحسن: (لا يسبتون) بضم الياء أي: لا يدخلون في السبت، والقراءة المعروفة بنصب الياء، ومعناه لا يعظمون السبت، ﴿ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم ﴾[4] نختبرهم، ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾[5]، فوسوس إليهم الشيطان، وقال: إن الله لم ينهكم عن الاصطياد، وإنما نهاكم عن الأكل، فاصطادوا أو قيل: وسوس إليهم أنكم إنما نهيتم عن الأخذ، فاتخذوا حياضا على شاطئ البحر، تسوقون الحيتان إليها يوم السبت، ثم تأخذونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زمانا، ثم تجرؤوا على السبت، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأخذوا، وأكلوا، وباعوا، فصار أهل القرية أثلاثا، وكانوا نحوا من سبعين ألفا، ثلث نهوا، وثلث لم ينهوا، وسكتوا وقالوا: لم تعظون قوما الله مهلكهم، وثلث هم أصحاب الخطيئة، فلما لم ينتهوا قال الناهون: لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار: للمسلمين باب، وللمعتدين باب، ولعنهم داود عليه السلام، فأصبح الناهون ذات يوم، ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن لهم شأنا لعل الخمر غلبتهم فعلوا على الجدار، فإذا هم قردة فعرفت القرود

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٣.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٣.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٣.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦٣.

أنسابا من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابا من القرود، فجعلت القرود تأتي نسيبها من الإنس، فتشم ثيابه، وتبكي فيقول: ألم ننهكم، فتقول برأسها: نعم، فما نجا إلا الذين نجوا وهلك سائرهم.

قوله تعالى وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا....

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ [(١)]، اختلفوا في الذين قالوا هذا، قيل: كانوا من الفرقة الهالكة، وذلك أنهم لما قيل لهم: انتهوا عن هذا العمل السيئ، قبل أن ينزل بكم العذاب، وأنا نعلم أن الله منزل بكم بأسه إن لم تنتهوا أجابوا، وقالوا: لم تعظون قوما الله مهلكهم، ﴿ أَوْ ﴾ [(٢)] علمتم أنه ﴿ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا ﴾ [(٣)] أي: قال الناهون ﴿ مَعْذِرَةً ﴾ [(٤)] أي: موعظتنا معذرة ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [(٥)]، قرأ حفص: ﴿ مَعْذِرَةً ﴾ [(٦)] بالنصب أي: نفعل ذلك معذرة إلى ربكم. والأصح أنها من قول الفرقة الساكتة، قالوا: لم تعظون قوما الله مهلكهم، قالوا معذرة إلى ربكم، ومعناه أن الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذرا إلى الله، ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [(٧)]، أي: يتقوا الله، ويتركوا المعصية، ولو كان الخطاب مع المعتدين لكان يقول: ولعلكم تتقون.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٤.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦٤.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٦٤.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٦٤.

[١٦٥] ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ ﴾ [(١)] أي: تركوا ما وعظوا به، ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [(٢)]، يعني الفرقة العاصية، ﴿ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ﴾ [(٣)]، أي: شديد وجيع، من البأس وهو الشدة. واختلف القراء فيه: قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿ بَـِٔيسٍۭ ﴾ [(٤)] بكسر الباء على وزن فعل، إلا أن ابن عامر يهمزه، وأبو جعفر ونافع لا يهمزان، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل، وقرأ الآخرون على وزن فعيل مثل بعير وصغير، ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ١٦٥ ﴾ [(٥)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع الله يقول ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ﴾ [(٦)]، فلا أدري ما فعل بالفرقة الساكتة؟ قال عكرمة: قلت له: جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا، وكرهوا ما هم عليه، وقالوا: لم تعظون قوما الله مهلكهم، وإن لم يقل الله أنجيتهم، فلم يقل: أهلكتهم، فأعجبه قولي فرضي، وأمر لي ببردين، فكسانيهما، وقال: نجت الفرقة الساكتة. وقال يمان بن رباب: نجت الطائفتان الذين قالوا: لم تعظون قوما، والذين قالوا: معذرة إلى ربكـم، وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان، وهذا قول الحسن. وقال ابن زيد: نجت الناهية، وهلكت الفرقتان، وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦٥.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٦٥.

[١٦٦] قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ [(١)]، قال ابن عباس: أبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [(٢)]، مبعدين، فمكثوا ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس، ثم هلكوا.

[١٦٧] ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾ [(٣)]، أي: آذن وأعلم ربك، يقال: تأذن وآذن مثل توعد وأوعد. وقال ابن عباس: تأذن ربك قال ربك. وقال مجاهد: أمر ربك. وقال عطاء: حكم ربك. ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [(٤)]، أي: على اليهود، ﴿ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ ﴾ [(٥)]، بعث الله عليهم محمدا ﷺ وأمته يقاتلونم حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [(٦)].

[١٦٨] ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ ﴾ [(٧)]، وفرقناهم ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ ﴾ [(٨)]، فرقا فرقهم الله، فتشتت أمرهم فلم تجتمع لهم كلمة ﴿ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [(٩)]، قال ابن عباس ومجاهد: يريد الذين أدركوا رسول الله ﷺ وآمنوا به، ﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ [(١٠)]،

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٦.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٦٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٦٨.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٦٨.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٦٨.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١٦٨.

يعني الذين بقوا على الكفر ﴿ وَبَلَوۡنَـٰهُم بِٱلۡحَسَنَـٰتِ ﴾[1]، بالخصب والـعافيـة، ﴿ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[2]، الـجدب والشدة، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[3]، لكي يرجعوا إلى طاعة ربم ويتوبوا.

[١٦٩] قوله ﷻ ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾[4]، أي: جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم ﴿ خَلۡفٌ ﴾[5]، والخلف: القرن الذي يجيء بعد قرن. قال أبو حاتم: الخلف بسكون اللام الأولاد، الواحد، والجمع فيه سواء، والخلَف بفتح اللام: البدل سواء كان ولدا أو غريبا. وقال ابن الأعرابي: الخلَف بالفتح: الصالح، وبالجزم: الطالح. وقال النضر بن شميل: الخلف بتحريك اللام وإسكانا في الْقَرْن السوء واحد، وأما في الْقَرْن الصالح فبتحريك اللام لا غير. وقال محمد ابن جرير: أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام، وفي الذم بتسكينها، وقد يحرك في الذم، ويسكن في المدح. ﴿ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾[6]، أي: انتقل إليهم الكتاب من آبائهم وهو التوراة، ﴿ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ ﴾[7]، فالعرض متاع الدنيا، والعرْض بسكون الراء ما كان من الأموال سوى الدراهم والدنانير، وأراد بالأدنى العالم، وهو هذه الدار الفانية فهو تذكير الدنيا، وهؤلاء اليهود ورثوا التوراة فقرؤوها، وضيعوا العمل با بما فيها، وخالفوا حكمها يرتشون في حكـم الله وتبديل

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٨.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٩.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٦٩.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٦٩.

كلماتـه، ﴿ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾[1]، ذنوبنا يتمنون على الله الأباطيل. ﴿ وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ﴾[2]، هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب، يقول: إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما، ويتمنون على الله المغفرة، وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه. وقال السدي. كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى في الحكـم، فيقال له: مالك ترتشي؟ فيقول: سيغفر لي، فيطعن عليه الآخرون، فإذا مات، أو نزع، وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي أيضا، يقول: وإن يأت الآخرين عرض مثله يأخذوه. ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾[3]، أي: أخذ عليهم العهد في التوراة ألا يقولوا على الله الباطل، وهي تمني المغفرة مع الإصرار، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار، ﴿ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ﴾[4]، قرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك، ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة، ودرس الكتاب قراءته وتدبره مرة بعد أخرى، ﴿ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[5].

[١٧٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾[6]، قرأ أبو بكر عن عاصم. (يُمْسِكُونَ) بالتخفيف وقراءة العامة بالتشديد لأنه يقال: مسكت بالشيء، ولا يقال: أمسكت بالشيء، إنما يقال: أمسكته، وقرأ أبي بن كعب. (وَالذِينَ تَمَسكُوا بِالْكِتَابِ)، على

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٩.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٩.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٩.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٩.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٧٠.

الماضي، وهو جيد لقوله تعالى: ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [1] إذ قل ما يعطف ماض على مستقبل إلا فـي المعنى، وأراد الذين يعملون بما في الكتاب، قال مجاهد: هم المؤمنون من أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى، فلم يحرفوه، ولم يكتموه، ولم يتخذوه مأكلة. وقال عطاء: هم أمة محمد ﷺ. ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [2].

قوله تعالى وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ....

[١٧١] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ [3]، أي: فلقنا الجبل. وقيل: رفعناه ﴿ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾ [4]، قال عطاء: سقيفة. والظلة: كل ما أظلك، ﴿ وَظَنُّوٓاْ ﴾ [5]، علموا ﴿ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ ﴾ [6]، أي: وقلنا لهم خذوا، ﴿ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [7]، بجد واجتهاد، ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ ﴾ [8]، واعملوا به ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [9]، وذلك حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة، فرفع الله على رؤوسهم جبلا. قال الحسن: فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من أن يسقط عليه، ولذلك لا تجد يهوديا إلا ويكون سجوده على حاجبه الأيسر.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٧١.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٧١.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٧١.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٧١.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٧١.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٧١.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٧١.

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (١)، الآية عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب ﷺ سئل عن هذه الآية فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ نسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله ﷻ خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثـم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خـلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ إن الله ﷻ إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار ﴾ (٢) (٣) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ (٤) أي: من ظهور بني آدم ذريتهم، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر. (ذُرياتِهمْ) بالجمع وكسر التاء، وقرأ الآخرون ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (٥) على التوحيد، ونصب التاء، فإن قيل: ما معنى قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ (٦) وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟ قيل: إن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتولد أسد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٢.

(٢) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٧٥), أبو داود السنة (٤٧٠٣), أحمد (٤٥/١), مالك الجامع (١٦٦١).

(٣) أخرجه أبو داود في السنة باب في القدر ٧١/٧ والترمذي في تفسير سورة الأعراف ٤٥٢/٨ - ٤٥٥ وقال: حديث حسن. وصححه الحاكم ٢٧/١ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٤/١، ٤٥ والمصنف في شرح السنة ١٣٩/١ والآجري في الشريعة ص ١٧٠. ، .

(٤) سورة الأعراف آية : ١٧٢.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٧٢.

(٦) سورة الأعراف آية : ١٧٢.

آدم لما علم أنم كلهم بنوه، وأخرجوا من ظهره. قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾ [(1)]، أي: أشهد بعضهم على بعض. قوله: ﴿ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ ﴾ [(2)]، قرأ أبو عمرو: أَنْ يَقُولُوا ويقولوا بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، واختلفوا في قوله: ﴿ شَهِدْنَآۛ ﴾ [(3)] قال السدي: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنم شهدوا على إقرار بني آدم. وقال بعضهم: هو خبر عن قول بني آدم حين أشهد الله بعضهم على بعض، فقالوا: بلى شهدنا. وقال الكلبي: ذلك من قول الملائكة، وفيه حذف تقديره: لما قالت الذرية: بلى، قال الله للملائكة. اشهدوا، قالوا: شهدنا، وقوله: أن يقولوا يعني: وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا، أي: لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام: أخاطبكم ألست بربكم لئلا تقولوا، ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [(4)]، أي: عن هذا الميثاق والإقرار، فإن قيل: كيف تلزم الحجة على أحد لا يذكر الميثاق؟ قيل: قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته، وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد، ولزمته الحجة، وبنسيانم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة.

[١٧٣] قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ ﴾ [(5)]، يقول إنما أخذ الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون: إنما أشرك آباؤنا من قبل، ونقضوا العهد وكنا ذرية مع بعدهم، أي: كنا أتباعا لهم، فاقتدينا بم، فتجعلوا

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٢.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٢.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٧٢.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٧٢.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٧٣.

هذا عذرا لأنفسكم وتقولوا، ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1]، أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد.

[١٧٤] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ ﴾[2] أي: نبين الآيات ليتدبرها العباد، ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾[3]، من الكفر إلى التوحيد.

[١٧٥] لقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾[4] الآية، اختلفوا فيه، قال ابن عباس: هو بلعم بن باعوراء. وقال مجاهد: بلعام بن باعر، وقال عطية عن ابن عباس: كان من بني إسرائيل، وروي عن علي بن أبي طلحة ﷺ أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين. وقال مقاتل: هو من مدينة بلقا، قال مقاتل: إن ملك البلقاء قال لبلعام: ادع الله على موسى، فقال: إنه من أهل ديني لا أدعو عليه، فنحت خشبة ليصلبه، فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه، فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان، ووقفت فضربها، فقالت: لم تضربني؟ إني مأمورة وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع، وأخبر الملك، فقال: لتدعون عليه، أو لأصلبنك، فدعا على موسى بالاسم الأعظم: ألا يدخل المدينة، فاستجيب له، ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعام، قال: فكما سمعت دعاءه علي، فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه السلام أن يـ ع عنه الاسم الأعظم والإيمان، فـ ع الله عنه المعرفة، وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء، فذلك

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٣.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٤.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٧٤.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٧٥.

قوله: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾[1]، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكانت قصته: أنه كان قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسل رسولا فرجا أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل محمد ﷺ حسده، وكفر به. وقال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله ﷻ لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله، فذلك قوله ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾[2]. قال ابن عباس والسدي: اسم الله الأعظم. قال ابن زيد: كان لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه. وقال ابن عباس في رواية أخرى: أوتي كتابا من كتب الله فانسلخ، أي: خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها. ﴿ فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾[3]، أي: لحقه وأدركه، ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾[4].

[١٧٦] ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا ﴾[5]، أي: رفعنا درجته وم لته بتلك الآيات. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لرفعناه بعلمه با. وقال مجاهد وعطاء: لرفعنا عنه الكفر، وعصمناه بالآيات. ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾[6]، أي: سكن إلى الدنيا، ومال إليها. قال الزجاج: خلد، وأخلد واحد، وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام، يقال: أخلد فلان بالمكان، إذا أقام به، والأرض هاهنا عبارة عن الدنيا؛ لأن ما فيها من القفار والرباع

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٧٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٧٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٧٦.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٧٦.

كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾[1]، انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع القوم. قال عطاء: أراد الدنيا، وأطاع شيطانه وهذه أشد آية على العلماء، وذلك أن الله أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها، ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله؟ قوله تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾[2]، يقال: لهث الكلب يلهث لهثا إذا أدلع لسانه. قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب، ولا يعمل به. والمعنى: إن هذا الكافر إن زجرته لم يـ جر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب: إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثا، وإن ترك وربض كان لاهثا، قال القتيبي: كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وفي حالة الراحة وفي حال العطش، فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال، كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[3]، ثم عم بذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال: ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[4]، وقيل: هذا مثل لكفار مكـة، وذلك أنم كانوا يتمنون هاديا يهديهم، ويدعوهم إلى طاعة الله، فلما جاءهم نبي لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا تُركوا أو دُعُوا.

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٦.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٦.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٩٣.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٧٦.

[١٧٧] ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾[(١)]، أي: بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، وتقديره: ساء مثلا مثل القوم، فحذف مثل وأقيم القوم مقامه فرفع، ﴿ وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[(٢)].

[١٧٨] ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾[(٣)].

قوله تعالى وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِ وَالْإِنس لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا....

[١٧٩] ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ ﴾[(٤)]، أخبر الله تعالى أنه خلق كثيرا من الجن والإنس للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة، ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها وقيل: اللام في قوله ﴿ لِجَهَنَّمَ ﴾[(٥)] لام العاقبة، أي: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم جهنم، كقوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ ﴾[(٦)]، ثم وصفهم فقال: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[(٧)]، أي: لا يعلمون بها الخير والهدى، ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾[(٨)] وطريق الحق وسبيل الرشاد، ﴿ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ ﴾[(٩)] مواعظ القرآن فيتفكرون فيها، ويعتبرون بها، ثم ضرب لهم مثلا في الجهل والاقتصار على الأكل والشرب، فقال: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٧.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٧٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٧٩.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٧٩.
(٦) سورة القصص آية : ٨.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٧٩.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٧٩.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٧٩.

كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[1]، أي: كالأنعام في أن همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات، بل هم أضل لأن الأنعام تميز بين المضار والمنافع، فلا تقدم على المضار، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[2].

[١٨٠] قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[3]، قال مقاتل: وذلك أن رجلا دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة: إن محمدا ﷺ وأصحابه يدعون أنم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين، فأنزل الله ﷻ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[4]. والحسنى تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى، فادعوه با. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر ﴾[5] [6]. ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾[7]، قرأ حمزة (يَلْحَدُونَ) بفتح الياء والحاء حيث كان وافقه الكسائي في النحل والباقون بضم الياء وكسر الحاء، ومعنى الإلحاد: هو الميل عن المقصد، يقال: ألحد يُلحد إلحادا، ولحد يلحد لحودا إذا مال. قال يعقوب بن السكيت: الإلحاد هو

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٩.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٩.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٨٠.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٨٠.

(٥) البخاري الدعوات (٦٠٤٧), مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٧), الترمذي الدعوات (٣٥٠٧), ابن ماجه الدعاء (٣٨٦١), أحمد (٢٦٧/٢).

(٦) أخرجه البخاري في الدعوات ٢١٤/١١ وفي الشروط وفي التوحيد ومسلم في الذكر والدعاء رقم (٢٦٧٧) ٢٠٦٢/٤ والمصنف في شرح السنة ٣٠/٥.

(٧) سورة الأعراف آية : ١٨٠.

العـدول عن الحـق وإدخال ما ليس منه فيه ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ ﴾[1]: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم، فزادوا، ونقصوا فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان، هذا قول ابن عباس ومجاهد. وقيل: هو تسميتهم الأصنام آلهة. وروي عن ابن عباس: يلحدون في أسمائه أي: يكذبون. وقال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يسم به، ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ وجملته أن أسماء الله تعالى على التوقيف فإنه يسمى جواد، ولا يسمى سخيا، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيما، ولا يسمى رفيقا، ويسمى عالما، ولا يسمى عاقلا ﴿ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾[2] في الآخرة.

[١٨١] قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ ﴾[3]، أي: عصابة، ﴿ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١ ﴾[4]، قال عطاء عن ابن عباس. يريد أمة محمد ﷺ وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان. وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: ﴿ هذه لكـم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومع قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾.

[١٨٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ ﴾[5]، قال عطاء: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون. وقيل. نأتيهم من مأمنهم، كما قال: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٨١.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٨١.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٢.

﴿ مِّنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ ﴾[1]، قال الكلبي: يزين لهم أعمالهم، ويهلكهم. وقال الضحاك: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة. قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعمة، وننسيهم الشكر. قال أهل المعاني: الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلا قليلا فلا يباغت، ولا يجاهر، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في المشي، ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئا بعد شيء.

[١٨٣] ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ ﴾[2]، أي: أمهلهم، وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي، ﴿ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣ ﴾[3]، أي: إن أخذي قوي شديد، قال ابن عباس: إن مكري شديد. قيل: نزلت في المستهزئين، فقتلهم الله في ليلة واحدة.

[١٨٤] قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾[4]، قال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخـذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يُصَوتُ إلى الصباح، فأنـزل الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم ﴾[5]، محمد ﷺ ﴿ مِّن جِنَّةٍۚ ﴾[6] جنون. ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾[7]، ما هو، ﴿ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٨٤ ﴾[8]، ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال:

---

(١) سورة الحشر آية : ٢.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٨٣.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٨٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٤.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٨٤.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٨٤.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٨٤.

[١٨٥] ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ ﴾ [(١)]، فيهما، ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ [(٢)]، أي: وينظروا إلى ما خلق الله من شيء ليستدلوا با على وحدانيته ﴿ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ [(٣)] أي: لعل أن يكون قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا، ويصيروا إلى العذاب، ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [(٤)]، أي: بعد القرآن يؤمنون، يقول: بأي كتاب غير ما جاء به محمد ﷺ يصدقون، وليس بعده نبي ولا كتاب، ثم ذكر علة إعراضهم عن الإيمان فقال:

[١٨٦] ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ ﴾ [(٥)]، قرأ أهل البصرة وعاصم بالياء ورفع الراء، وقرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء، لأن ذكر الله قد مر قبله، وجزم الراء مردود على (يضلل) وقرأ، الآخرون بالنون ورفع الراء على أنه كلام مستأنف. ﴿ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [(٦)]، يترددون متحيرين.

[١٨٧] قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [(٧)]، قال قتادة: قالت قريش لرسول الله ﷺ إن بيننا وبينك قرابة فَأَسِر إلينا متى الساعة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [(٨)]، يعني: القيامة، ﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [(٩)] قال ابن عباس

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٨٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٨٥.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٦.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٨٦.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٨٧.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٨٧.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٨٧.

رضي الله عنهمـا: منتهاهـا. وقال قتادة. قيامها وأصله الثبات، أي: متى مثبتها؟ ﴿ قُلْ ﴾[1] يا محمد ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾[2]، استأثر بعلمها، ولا يعلمها إلا هو، ﴿ لَا يُجَلِّيهَا ﴾[3]، لا يكشفها، ولا يظهرهـا. وقال مجاهـد: لا يأتي بها، ﴿ لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[4]، يعني: ثقل علمها وخفي أمرها على أهل السماوات والأرض، وكل خفي ثقيل. قال الحسن: يقول إذا جاء ثقلت وعظمت على أهل السموات والأرض، ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ ﴾[5]، فجأة على غفلة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ ﴾[6] أي: عالم بها من قولهم أحفيت في المسألة، أي: بالغت فيها، معناه: كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمتها، ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[7]، أن علمها عند الله حتى سألوا محمدا عنها.

قوله تعالى قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَا مَا شَاءَ اللَّهُ.....

[١٨٨] ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾[8]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أهل مكـة قالوا. يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه، وتربح فيه عند الغلاء؟ وبالأرض التي يريد أن تجدب فترتحل منها إلى ما قد

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٧.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٨٧.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٨٧.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٧.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٨٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٨٧.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٨٨.

أخصبت؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا ﴾ [١] أي: لا أقدر لنفسي نفعا، أي: اجتلاب نفع بأن أربح، ولا ضرا، أي دفع ضر بأن أرتحل من أرض تريد أن تجدب إلا مـا شاء الله أن أملكه، ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ ﴾ [٢] أي: لو كنت أعلم الخصب والجدب (لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ) أي: من المال لسنة القحط (وَمَا مَسنِيَ السوءُ)، أي: الضر والفقر والجوع. وقال ابن جريج: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [٣] يعني الهدى والضلالة ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ [٤]، أي: متى أموت لاستكثرت من الخير، يعني: من العمل الصالح، وما مسني السوء. قال ابن زيد: واجتنبت ما يكون من الشر واتقيته. وقيل: معناه ولو كنت أعلم الغيب أي: متى الساعة لأخبرتكم حتى تؤمنوا، وما مسني السوء بتكذيبكم. وقيل. وما مسني السوء ابتداء يريد: ما مسني الجنون؛ لأنهم كانوا ينسبونه إلى الجنون ﴿ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ ﴾ [٥]، لمن لا يصدق بما جئت به، ﴿ وَبَشِيرٞ ﴾ [٦]، بالجنة، ﴿ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ [٧]، يصدقون.

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٨.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٨.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٨٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٨٨.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٨.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٨٨.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٨٨.

[١٨٩] قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[١]، يعني من آدم، ﴿ وَجَعَلَ ﴾[٢]، وخلق ﴿ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾[٣]، يعني: حواء ﴿ لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ ﴾[٤]، ليأنس بها ويأوي إليها، ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾[٥]، أي: واقعها وجامعها ﴿ حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفًا ﴾[٦]، وهو أول ما تحمل المرأة من النطفة يكون خفيفا عليها، ﴿ فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ ﴾[٧]، أي: استمرت به، وقامت، وقعدت به، ولم يثقلها، ﴿ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت ﴾[٨]، أي: كبر الولد في بطنها، وصارت ذات ثقل بحملها، ودنت ولادتها، ﴿ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾[٩]، يعني آدم وحواء، ﴿ لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا ﴾[١٠]، يا ربنا ﴿ صَٰلِحٗا ﴾[١١] أي: بشرا سويا مثلنا، ﴿ لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩ ﴾[١٢].

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(١٠) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(١١) سورة الأعراف آية : ١٨٩.
(١٢) سورة الأعراف آية : ١٨٩.

[١٩٠] ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا ﴾[(١)]، بشرا سويا ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ ﴾[(٢)]، قرأ أهل المدينة وأبو بكر (شركا) بكسر الشين والتنوين، أي: شركة، قال أبو عبيدة: أي: حظا ونصيبا، وقرأ الآخرون (شُرَكَاءُ) بضم الشين ممدودا على جمع شريك يعني إبليس، أخبر عن الواحد بلفظ الجمع، أي: جعلا له شريكا إذ سمياه عبد الحارث، ولم يكن هذا إشراكا في العبادة، ولا أن الحارث ربهما فإن آدم كان نبيا معصوما من الشرك، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك، كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا، كالرجل إذا نزل به ضيف يسمي نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لا على أن الضيف ربه، ويقول للغير. أنا عبدك، وقال يوسف لعزيز مصر: إنه ربي، ولم يرد به أنه معبوده كل ذلك هذا. وقوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[(٣)]، قيل: هذا ابتداء كلام، وأراد به إشراك أهل مكة، ولئن أراد به ما سبق فمستقيم من حيث إنه كان الأولى بهما أن لا يفعلا ما آتيا به من الإشراك في الاسم، وفي الآية قول آخر: هو أنه راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم، وهو قول الحسن وعكرمة، ومعناه: جعل أولادهما شركاء فحذف الأولاد، وأقامهما مقامهم كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تعييرهم بفعل الآباء، فقال: ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾[(٤)]، ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسًا ﴾[(٥)] خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ وكان ذلك الفعل من آبائهم. وقيل: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادا، فهودوا، ونصروا. وقال ابن كيسان: هم الكفار سموا أولادهم عبد

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٩٠.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٩٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٩٠.
(٤) سورة البقرة آية : ٥١.
(٥) سورة البقرة آية : ٧٢.

العزى وعبد الله وعبد مناة ونحوه. وقال عكرمة: خاطب كل واحد من الخلق بقوله: خلقكم أي: خلق كل واحد من أبيه، وجعل منها زوجها، أي: جعل من جنسها زوجها، وهذا قول حسن لولا قول السلف مثل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة المفسرين أنه في آدم وحواء [(١)]. قال الله تعالى: (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

[١٩١] قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا ﴾ [(٢)]، يعني: إبليس والأصنام، ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [(٣)]، أي: هم مخلوقون.

[١٩٢] ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ [(٤)] أي: الأصنام، لا تنصر من أطاعها، ﴿ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [(٥)]، قال الحسن: لا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أراد بهم بكسر أو نحوه، ثم خاطب المؤمنين فقال:

[١٩٣] ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ ﴾ [(٦)]، وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام، ﴿ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ [(٧)]، قرأ نافع بالتخفيف، وكذلك: (يتبعهم الغاوون) في الشعراء، وقرأ الآخرون بالتشديد فيهما وهما لغتان. يقال: تبعه تبعا، وأتبعه اتباعا. ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ ﴾ [(٨)]، إلى الدين، ﴿ أَمْ أَنتُمْ

---

(١) أي: لماذا ذكرت تلك الأقوال.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٩١.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٩١.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٩٢.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٩٢.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٩٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٩٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٩٣.

صَٰمِتُونَ ١٩٣ ﴾[1]، عن دعائهم لا يؤمنون، كما قال: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ ﴾[2] وقيل: (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى) يعني الأصنام لا يتبعوكم لأنا غير عاقلة.

[١٩٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3]، يعني الأصنام، ﴿ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ ﴾[4]، يريد أنا مملوكة أمثالكم. وقيل: أمثالكم في التسخير، أي: أنم مسخرون مذللون لما أريد منهم. قال مقاتل: قوله: ﴿ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ ﴾[5] أراد به الملائكة، والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة، والأول أصح. ﴿ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٩٤ ﴾[6]، أنا آلهة. قال ابن عباس: فاعبدوهم هل يثيبونكم، أو يجازونكم إن كنتم صادقين أن لكم عندها منفعة. ثم بين عجزهم فقال:

[١٩٥] ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ ﴾[7]، قرأ أبو جعفر بضم الطاء هنا وفي القصص والدخان، وقرأ الآخرون بكسر الطاء ﴿ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ ﴾[8]، أراد أن قدرة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للأصنام هذه الآلات، فأنتم مفضلون عليهم بالأرجل الماشية

(١) سورة الأعراف آية : ١٩٣.
(٢) سورة البقرة آية : ٦.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٩٤.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٩٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٩٤.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٩٤.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٩٥.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٩٥.

والأيدي الباطشة والأعين الباصرة والأذن السامعة، فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم؟ ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾[١]، يا معشر المشركين ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾[٢] أنتم وهم، ﴿ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[٣]، أي: لا تمهلوني، واعجلوا في كيدي.

قوله تعالى: إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين....

[١٩٦] قوله: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[٤]، يعني القرآن، أي: أنه يتولاني وينصرني كما أيدني بإنزال الكتاب، ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾[٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الذين لا يعدلون بالله شيئا فالله يتولاهم بنصره فلا يضرهم عداوة من عاداهم.

[١٩٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾[٦].

[١٩٨] ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ ﴾[٧]، يعني الأصنام، ﴿ وَتَرَىٰهُمْ ﴾[٨] يا محمد ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾[٩]، يعني الأصنام، ﴿ وَهُمْ لَا

(١) سورة الأعراف آية : ١٩٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٩٥.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٩٥.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٩٦.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٩٦.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٩٧.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٩٨.
(٨) سورة الأعراف آية : ١٩٨.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٩٨.

﴿ يُبۡصِرُونَ ۝١٩٨ ﴾ [(١)]، وليس المراد من النظر حقيقة النظر إنما المراد منه المقابلة، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك أي: تقابلها. وقيل: وتراهم ينظرون إليك أي: كأنهم ينظرون إليك، كقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ ﴾ [(٢)]، أي: كأنهم سكارى هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن: ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ [(٣)] يعني المشركين لا يسمعوا، ولا يفعلون ذلك بقلوبهم، وتراهم ينظرون إليك بأعينهم، وهم لا يبصرون بقلوبهم.

[١٩٩] قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ [(٤)]، قال عبد الله بن الزبير: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. وقال مجاهد: خذ العفو يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس، وذلك مثل قبول الاعتذار، والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي والضحاك والكلبي: يعني خذ ما عفا لك من الأموال وهو الفضل عن العيال، وذلك معنى قوله: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ ﴾ [(٥)]، ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضات. وقوله تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ [(٦)]، أي: بالمعروف، وهو كل ما يعرفه الشرع. وقال عطاء: وأمر بالعرف يعني بلا إله إلا الله. ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾ [(٧)]، أبي جهل وأصحابه, نسختها آية السيف، وقيل: إذا تسفه عليك الجاهل فلا تتقابله بالسفه،

(١) سورة الأعراف آية : ١٩٨.
(٢) سورة الحج آية : ٢.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٩٨.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٩٩.
(٥) سورة البقرة آية : ٢١٩.
(٦) سورة الأعراف آية : ١٩٩.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٩٩.

وذلك مثل قوله. ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[1]، وذلك سلام المتاركـة. قال جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

[٢٠٠] قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ ﴾ [2] أي: يصيبنك ويعتريك، ويعرض لك من الشيطان نزغ نخسة. والا غ من الشيطان الوسوسة. وقال الزجاج: الا غ أدنى حركة تكون من الآدمي، ومن الشيطان أدنى وسوسة. وقال عبد الرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾[3]، قال النبي ﷺ ﴿ كيف يا رب والغضب ﴾، فو ل: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ ﴾[4]، أي: استجر بالله ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[5].

[٢٠١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ﴾[6]، يعني المؤمنين، ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾[7]، قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي: (طيف)، وقرأ الآخرون ﴿ طَـٰٓئِفٌ ﴾[8] بالمد والهمز وهما لغتان كالميت والمائت ومعناهما: الشيء يلم بك. وفرق قوم بينهما، فقال أبو عمرو: الطائف ما يطوف حول الشيء، والطيف. اللمة والوسوسة.

---

(١) سورة الفرقان آية : ٦٣.
(٢) سورة الأعراف آية : ٢٠٠.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٩٩.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٠٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٠٠.
(٦) سورة الأعراف آية : ٢٠١.
(٧) سورة الأعراف آية : ٢٠١.
(٨) سورة الأعراف آية : ٢٠١.

وقيل: الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان، والطيف اللمم والمس. ﴿ تَذَكَّرُواْ ﴾[1]، عرفوا، قال سعيد بن جبير. هو الرجل يغضب الغضبة، فيذكر الله تعالى فيكظما الغيظ. وقال مجاهد: والرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه. ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[2]، أي: يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكر. وقال السدي: إذا زلوا تابوا. وقال مقاتل: إن المتقي إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر، وعرف أنه معصية، فأبصر، فـ غ عن مخالفة الله.

[٢٠٢] قوله: ﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ ﴾[3]، يعني إخوان الشياطين من المشركين يمدونهم، أي: يمدهم الشيطان. قال الكلبي: لكل كافر أخ من الشياطين. ﴿ فِي ٱلۡغَيِّ ﴾[4]، أي: يطلبون هم الإغواء حتى يستمروا عليه. وقيل: يزيدونهم في الضلالة، وقرأ أهل المدينة: (يمدونهم) بضم الياء وكسر الميم من الإمداد والآخرون بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى واحد، ﴿ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[5]، أي: لا يكفون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين يمسكون عنهم، فعلى هذا قوله: ﴿ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[6] من فعل المشركين والشياطين جميعا. قال الضحاك ومقاتل: يعني المشركين لا يقصرون عن الضلالة، ولا يبصرونا، بخلاف ما قال في المؤمنين: ﴿ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠١.
(٢) سورة الأعراف آية : ٢٠١.
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٠٢.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٠٢.
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٠٢.
(٦) سورة الأعراف آية : ٢٠٢.
(٧) سورة الأعراف آية : ٢٠١.

[٢٠٣] ﴿ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ ﴾[١]، يعني. إذا لم تأت المشركين بآية، ﴿ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ ﴾[٢]، هلا افتعلتها، وأنشأتا من قبل نفسك واختيارك؟ تقول العرب: اجتبيت الكلام إذا اختلقته. قال الكلبي. كان أهل مكة يسألون النبي ﷺ الآيات تعنتا فإذا تأخرت اتموه وقالوا، لولا اجتبيتها؟ أي: هلا أحدثتها، وأنشأتا من عندك؟ ﴿ قُلۡ ﴾[٣] لهم يا محمد ﴿ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ ﴾[٤]، ثم قال: ﴿ هَٰذَا ﴾[٥]، يعني القرآن ﴿ بَصَآئِرُ ﴾[٦]، حجج وبيان وبرهان ﴿ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾[٧] واحدتا بصيرة، وأصلها ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الإنسان، فيهتدي به يقول: هذا دلائل تقودكـم إلى الحق. ﴿ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣ ﴾[٨].

[٢٠٤] قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ ﴾[٩]، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فذهب جماعة إلى أنا في القراءة في الصلاة. روي عن أبي هريرة أنم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم، فأمروا بالسكوت والاستماع إلى قراءة القرآن. وقال قوم: نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام. ورُويَ عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في رفع

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠٣.
(٢) سورة الأعراف آية : ٢٠٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٠٣.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٠٣.
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٠٣.
(٦) سورة الأعراف آية : ٢٠٣.
(٧) سورة الأعراف آية : ٢٠٣.
(٨) سورة الأعراف آية : ٢٠٣.
(٩) سورة الأعراف آية : ٢٠٤.

الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة, وقال الكلبي: كانوا يرفعون أصواتم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع ناسا يقرؤون مع الإمام، فلما انصرف قال: أما آن لكـم أن تفقهوا، وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله؟ وهذا قول الحسن والزهري والنخعي: أن الآية في القراءة في الصلاة. وقال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد: أن الآية في الخطبة، أمروا بالإنصات لخطبة الإمام يوم الجمعة. وقال سعيد بن جبير: هذا في الإنصات يوم الأضحى والفطر ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام. وقال عمر بن عبد العزيز: يجب الإنصات لقول كل واعظ. والأول أولاها، وهو أنا في القراءة في الصلاة؛ لأن الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة. واتفقوا على أنه مأمور بالإنصات حالة ما يخطب الإمام.

[٢٠٥] قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ [(١)]، قال ابن عباس يعني بالذكر: القراءة في الصلاة، يريد يقرأ سرا في نفسه، ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [(٢)]، خوفا، أي: تتضرع إلي وتخاف مني هذا في صلاة السر. وقوله: ﴿ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ [(٣)]، أراد في صلاة الجهر لا تجهر جهرا شديدا بل في خفض وسكون، يسمع من خلفك. وقال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكروه في الصدور بالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة، دون رفع الصوت والصياح بالدعاء. ﴿ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ ﴾ [(٤)]، أي: بالبكر والعشيات، واحد آصال: أصيل، مثل يمين وأيمان، وهو ما بين العصر والمغرب.

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠٥.

(٢) سورة الأعراف آية : ٢٠٥.

(٣) سورة الأعراف آية : ٢٠٥.

(٤) سورة الأعراف آية : ٢٠٥.

[٢٠٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾[1]، يعني الملائكة المقربين، ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾[2]، لا يتكبرون ﴿ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ ﴾[3]، وي هونه، ويذكرونه، فيقولون: سبحان الله. ﴿ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[4] قال رسول الله ﷺ: ﴿ ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها سيئة ﴾[5] [6].

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠٦.

(٢) سورة الأعراف آية : ٢٠٦.

(٣) سورة الأعراف آية : ٢٠٦.

(٤) سورة الأعراف آية : ٢٠٦.

(٥) مسلم الصلاة (٤٨٨), الترمذي الصلاة (٣٨٨), النسائي التطبيق (١١٣٩), ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٢٣), أحمد (٢٧٦/٥).

(٦) أخرجه ابن ماجه رقم (١٤٢٣) ٤٥٧/١ والإمام أحمد في المسند ٢٧٦/٥, ٢٨٠، روى نحوه مسلم في الصلاة برقم (٤٨٨).

(٨) سورة الأنفال

قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ....

[١] قوله: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ ﴾ (١) أي: عن حكم الأنفال وعلمها، وهو سؤال استخبار لا سؤال طلب. وقيل: هو سؤال طلب. قاله الضحاك وعكرمة. وقوله: ﴿ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ ﴾ (٢) أي: من الأنفال، عن بمعنى من. وقيل: عن صلة أي: يسألونك الأنفال، وهكذا قراءة ابن مسعود بحذف عن. والأنفال: الغنائم، واحدها نفل، وأصله الزيادة، يقال: نفلتك وأنفلتك أي: زدتك، سميت الغنائم أنفالا؛ لأنها زيادة من الله تعالى لهذه الأمة على الخصوص. وأكثر المفسرين على أن الآية في غنائم بدر. وقال عطاء: هي ما شذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة ومتاع فهو للنبي ﷺ يصنع به ما شاء. قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ (٣) يقسمانا كما شاءا، واختلفوا فيه، فقال مجاهد وعكرمة والسدي: هذه الآية منسوخة بقوله ﷻ ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ (٤) الآية. كانت الغنائم يومئذ للنبي ﷺ فنسخها الله ﷻ بالخمس. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي ثابتة غير منسوخة، ومعنى الآية: قل الأنفال لله مع الدنيا والآخرة وللرسول يضعها حيث أمره الله تعالى، أي: الحكم فيها لله ولرسوله، وقد بين الله مصارفها في قوله ﷻ ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن

(١) سورة الأنفال آية : ١.
(٢) سورة الأنفال آية : ١.
(٣) سورة الأنفال آية : ١.
(٤) سورة الأنفال آية : ٤١.

شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [1] الآيـة، ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾ [2]، أي: اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة والمخالفة، وتسليم أمر الغنيمة إلى الله والرسول ﷺ. ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١ ﴾ [3].

[٢] ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [4]، يقول: ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ [5]، خافت، وفرقت قلوبهم. وقيل: إذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ [6]، تصديقا ويقينا، وقال عمير بن حبيب وكانت له صحبة: إن للإيمان زيادة ونقصانا، وقيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله ﷻ وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا، وغفلنا فذلك نقصانه، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لـم يستكمل الإيمان. ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [7]، أي: يفوضون إليه أمورهم، ويثقون به، ولا يرجون غيره، ولا يخافون سواه.

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤١.

(٢) سورة الأنفال آية : ١.

(٣) سورة الأنفال آية : ١.

(٤) سورة الأنفال آية : ٢.

(٥) سورة الأنفال آية : ٢.

(٦) سورة الأنفال آية : ٢.

(٧) سورة الأنفال آية : ٢.

[٣] ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾ [١].

[٤] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ ﴾ [٢]، يعني: يقينا. قال ابن عباس: برؤوا من الكفر. قال مقاتل: حقا لا شك في إيمانهم. وفيه دليل على أنه ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمنا حقا لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قوما مخصوصين على أوصاف مخصوصة، وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [٣]، قال عطاء: يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم. وقال الربيع بن أنس: سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة. ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ [٤]، لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾ [٥]، حسن يعني ما أعد لهم في الجنة.

[٥] قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٦]، اختلفوا في الجالب لهذه الكاف التي في قوله ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ [٧] قال المبرد: تقديره الأنفال لله والرسول، وإن كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، وإن كرهوا. وقيل: تقديره امض لأمر الله في الأنفال، وإن كرهوا كما مضيت لأمر الله في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون. وقال عكرمة: معناه فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن ذلك خير لكم كما أن إخراج محمد ﷺ من بيته بالحق خير لكم، وإن كرهه فريق منكم. وقال مجاهد: معناه كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم، كذلك يكرهون

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣.
(٢) سورة الأنفال آية : ٤.
(٣) سورة الأنفال آية : ٤.
(٤) سورة الأنفال آية : ٤.
(٥) سورة الأنفال آية : ٤.
(٦) سورة الأنفال آية : ٥.
(٧) سورة الأنفال آية : ٥.

القتال، ويجادلون فيه. وقيل: هو راجع إلى قوله: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[1]، تقديره: وعد الله الدرجات لهم حق ينجزه الله ﷻ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، فأنجز الوعد بالنصر والظفر. وقيل: الكاف بمعنى على، تقديره: امض على الذي أخرجك ربك. وقال أبو عبيدة: هي بمعنى القسم مجازها: والذي أخرجك، لأن (ما) في موضع الذي، وجوابه ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾[2]، وعليه يقع القسم، تقديره: يجادلونك والله الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق. وقيل: الكاف بمعنى إذ تقديره: واذكر إذ أخرجك ربك. قيل: المراد بهذا الإخراج هو إخراجه من مكة إلى المدينة، والأكثرون على أن المراد منه إخراجه من المدينة إلى بدر، أي: كما أمرك ربك بالخروج (مِنۢ بَيْتِكَ) إلى المدينة (بِالْحَق) قيل: بالوحي لطلب المشركين ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، منهم، ﴿ لَكَٰرِهُونَ ۝ ﴾[4].

[٦] ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ ﴾[5]، أي: في القتال: ﴿ بَعْدَ مَا ﴾[6]، وذلك أن المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك، وقالوا: لم تعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للعير، فذلك جدالهم بعدما تبين لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك، وتبين صدقك في الوعد، ﴿ تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ﴾[7] لشدة كراهيتهم القتال، ﴿ ٱلْمَوْتِ

(١) سورة الأنفال آية : ٤.
(٢) سورة الأنفال آية : ٦.
(٣) سورة الأنفال آية : ٥.
(٤) سورة الأنفال آية : ٥.
(٥) سورة الأنفال آية : ٦.
(٦) سورة الأنفال آية : ٦.
(٧) سورة الأنفال آية : ٦.

﴿ وَهُمۡ ﴾[1]، فيه تقديم وتأخير، تقديره: وإن فريقا من المؤمنين لكارهون: كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون يجادلونك في الحق بعد ما تبين. قال ابن زيد: هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام لكراهيتهم إياه وهم ينظرون.

[٧] قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ ﴾[2] أي: الفريقين إحداهما: أبو سفيان مع العير والأخرى: أبو جهل مـع النفير، ﴿ وَتَوَدُّونَ ﴾[3]، أي: تريدون ﴿ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ ﴾[4]، يعني العير التي ليس فيها قتال. والشوكة: الشدة والقوة. ويقال السلاح. ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ ﴾[5]، أي: يظهره ويعليه، ﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[6]، بأمره إياكم بالقتال. وقيل: بعداته التي سبقت من إظهاره الدين وإعزازه، ﴿ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ ﴾[7]، أي: يستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد، يعني كفار العرب.

[٨] ﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ ﴾[8]، ليثبت الإسلام، ﴿ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾[1]، أي: يفني الكفر: ﴿ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨ ﴾[2]، المشركون. وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمضان.

---

(١) سورة الأنفال آية : ٦.
(٢) سورة الأنفال آية : ٧.
(٣) سورة الأنفال آية : ٧.
(٤) سورة الأنفال آية : ٧.
(٥) سورة الأنفال آية : ٧.
(٦) سورة الأنفال آية : ٧.
(٧) سورة الأنفال آية : ٧.
(٨) سورة الأنفال آية : ٨.

قوله تعالى إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ....

[٩] قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾[٣]، تستجيرون به من عدوكم، وتطلبون منه الغوث والنصر ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم ﴾[٤]، مرسل إليكم مددا وردءا لكم، ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾[٥]، قرأ أهل المدينة ويعقوب (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال، أي: أردف الله المسلمين، وجاء بم مددا، وقرأ الآخرون بكسر الدال أي: متتابعين بعضهم في إثر بعض، يقال: أردفته وردفته بمعنى تبعته.

[١٠] قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾[٦]، يعني: الإمداد بالملائكة، ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾[٧]، أي: بشارة ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ ﴾[٨].

[١١] ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ ﴾[٩]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يَغْشَاكُمْ) بفتح الياء (النَعَاسُ) رفع على أن الفعل له، كقوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ أَمَنَةً نُّعَاسًا

---

(١) سورة الأنفال آية : ٨.
(٢) سورة الأنفال آية : ٨.
(٣) سورة الأنفال آية : ٩.
(٤) سورة الأنفال آية : ٩.
(٥) سورة الأنفال آية : ٩.
(٦) سورة الأنفال آية : ١٠.
(٧) سورة الأنفال آية : ١٠.
(٨) سورة الأنفال آية : ١٠.
(٩) سورة الأنفال آية : ١١.

يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ [1]، قرأ أهل المدينة: (يُغْشِيكُـمُ) بضم الياء وكسر الشين مخففا، ﴿ ٱلنُّعَاسَ ﴾ [2] نصب كقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ [3]، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الشين مشددا، ﴿ ٱلنُّعَاسَ ﴾ [4] نصب على أن الفعل لله ﷻ كقوله تعالى: ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [5]، والنعـاس. النوم الخفيف.

﴿ أَمَنَةً ﴾ [6] أمنا ﴿ مِّنْهُ ﴾ [7]، مصدر أمنت أمنا وأمنة وأمانا. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان. ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ [8]، وذلك أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى ماء بـدر، وأصبح المسلمون بعضهم محدثين وبعضهم مجنبين، وأصابهم الظمأ، ووسوس إليهم الشيطان، وقال: تزعمون أنكـم على الحق وفيكم نبي الله وأنكم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون محدثين ومجنبين، فكيف ترجون أن تظهروا عليهم؟ فأرسل الله ﷻ عليهم مطرا سال منه الوادي، فشرب المؤمنون، واغتسلوا، وتوضؤوا، وسقوا الركاب، وملؤوا الأسقية، وأطفأ الغبار، ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام، وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

(٢) سورة الأنفال آية : ١١.

(٣) سورة يونس آية : ٢٧.

(٤) سورة الأنفال آية : ١١.

(٥) سورة النجم آية : ٥٤.

(٦) سورة الأنفال آية : ١١.

(٧) سورة الأنفال آية : ١١.

(٨) سورة الأنفال آية : ١١.

أنفسهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾[1] مـن الأحداث والجنابـة، ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[2]، وسوسته، ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾[3]، باليقين والصبر، ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[4]، حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الأرض، وقيل: يثبت به الأقدام بالصبر وقوة القلب.

[١٢] ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[5]، الذين أمد بهم المؤمنين، ﴿ أَنِّى مَعَكُمْ ﴾[6]، بالعون والنصر ﴿ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ ﴾[7]، أي: قووا قلوبهم. قيل: ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال ومعونتهم، أي: ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين. وقال مقاتل: أي. بشروهم بالنصر، وكان الملك يمشي أمام الصف في صورة الرجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم. ﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾[8]، قال عطاء: يريد الخوف من أوليائي، ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾[9]، قيل: هذا خطاب مع المؤمنين. وقيل. هذا خطاب جمع الملائكة، وهو متصل بقوله ﴿ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ

(١) سورة الأنفال آية : ١١.
(٢) سورة الأنفال آية : ١١.
(٣) سورة الأنفال آية : ١١.
(٤) سورة الأنفال آية : ١١.
(٥) سورة الأنفال آية : ١٢.
(٦) سورة الأنفال آية : ١٢.
(٧) سورة الأنفال آية : ١٢.
(٨) سورة الأنفال آية : ١٢.
(٩) سورة الأنفال آية : ١٢.

ءَامَنُواْۚ ﴾ [1] وقوله: ﴿ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ [2] قال عكرمة: يعني الرؤوس لأنا فوق الأعناق. وقال الضحاك: معناه فاضربوا الأعناق، وفوق صلة كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [3]، وقيل: معناه فاضربوا على الأعناق، فوق بمعنى على. ﴿ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [4]، قال عطية: يعني كل مفصل. وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك: يعني الأطراف، والبنان جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين.

[١٣] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ ﴾ [5]، خالفوا الله، ﴿ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ [6].

[١٤] ﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ [7] أي: هذا العذاب والضرب الذي عجلته لكـم أيها الكفار ببدر ﴿ فَذُوقُوهُ ﴾ [8]، عاجلا، ﴿ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [9]، أي: واعلموا، وأيقنوا أن للكافرين أجلا في المعاد، ﴿ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ [10].

(١) سورة الأنفال آية : ١٢.
(٢) سورة الأنفال آية : ١٢.
(٣) سورة محمد آية : ٤.
(٤) سورة الأنفال آية : ١٢.
(٥) سورة الأنفال آية : ١٣.
(٦) سورة الأنفال آية : ١٣.
(٧) سورة الأنفال آية : ١٤.
(٨) سورة الأنفال آية : ١٤.
(٩) سورة الأنفال آية : ١٤.
(١٠) سورة الأنفال آية : ١٤.

[١٥] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا ﴾ (١)، أي: مجتمعين متزاحفين بعضكم إلى بعض، والتزاحف: التداني في القتال: والزحف مصدر لذلك لم يجمع، كقولهم: قوم عدل ورضا. قال الليث: الزحف جماعة يزحفون إلـى عدو لهم بمرة، فهم الزحف، والجمع الزحوف، ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝١٥ ﴾ (٢) يقول: فلا تولوهم ظهوركم أي: لا تنهزموا فإن المنهزم يولي دبره.

[١٦] ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ ﴾ (٣)، ظهره، ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ ﴾ (٤)، أي: منعطفا يرى من نفسه الانهزام، وقصده طلب الغرة وهو يريد الكرة، ﴿ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ ﴾ (٥) أي: منضما صائرا إلى جماعة من المؤمنين يريد العود إلى القتال. ومعنى الآية النهي عن الانهزام من الكفار والتولي عنهم، إلا على نية التحرف للقتال والانضمام إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم، ويعود إلى القتال، فمن ولى ظهره لا على هذه النية لحقه الوعيد، كما قال تعالى. ﴿ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٦ ﴾ (٦)، واختلف العلماء في هذه الآية، فقال أبو سعيد الخدري: هذا في أهل بدر خاصة، ما كان يجوز لهم الانهزام لأن النبي ﷺ كان معهم، ولم يكن ليهم فئة يتحيزون إليها دون النبي ﷺ ولو انحازوا لانحازوا إلى المشركين، فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض، فيكون الفار متحيزا إلى فئة فلا يكون فراره كبيرة، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك، قال يزيد بن أبي حبيب. أوجب الله النار لمن فر يوم بدر، فلما

(١) سورة الأنفال آية : ١٥.
(٢) سورة الأنفال آية : ١٥.
(٣) سورة الأنفال آية : ١٦.
(٤) سورة الأنفال آية : ١٦.
(٥) سورة الأنفال آية : ١٦.
(٦) سورة الأنفال آية : ١٦.

كان يوم أحد بعد ذلك قال: ﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ ﴾[1]، ثم كان يوم حنين بعده فقال: ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2]. ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ ﴾[3]، وقال عبد الله بن عمر: ﴿ كنا في جيش بعثنا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة، فانهزمنا، فقلنا: يا رسول الله نحن الفرارون؟ قال: "بل أنتم الكرارون، أنا فئة المسلمين ﴾[4] [5]. وقال محمد بن سيرين: لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر إلى عمر فقال: لو انحاز إلي كنت له فئة فأنا فئة كل مسلم. وقال بعضهم: حكم الآية عام في حق كل من ولى منهزما. جاء في الحديث: "من الكبائر الفرار من الزحف" [6] وقال عطاء بن أبي رباح: هذه الآية منسوخة بقوله ﷻ ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾[7]، فليس لقوم أن يفروا من مثلهم فنسخت تلك إلا في هذه العدة، وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا أو يولوا ظهورهم إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة، وإن كانوا أقل من ذلك جاز لهم أن يولوا ظهورهم، وينحازوا عنهم، قال ابن عباس: من فر من ثلاثة فلم يفر، ومن فر من اثنين فقد فر.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٥.

(٢) سورة التوبة آية : ٢٥.

(٣) سورة التوبة آية : ٢٧.

(٤) الترمذي الجهاد (١٧١٦), أبو داود الجهاد (٢٦٤٧).

(٥) أخرجه الترمذي في الجهاد ٣٧٨/٥ وقال: حديث حسن غريب، وأبو داود في الجهاد ٤٣٨/٣، وسعيد بن منصور في السنن ٢٠٩/٢، ٢١٠، والشافعي في المسند ١١٦/٢.

(٦) جاء في أحاديث في أن الفرار من الزحف كبيرة.

(٧) سورة الأنفال آية : ٦٦.

قوله تعالى فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِن اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِن اللهَ رَمَى....

[١٧] قوله تعالى: ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ ﴾ [(١)]، قال مجاهد. سبب نزول هذه الآية أنم لما انصرفوا عن القتال كان الرجل يقول: أنا قتلت فلانا، ويقول الآخر مثله، ف لت الآية. ومعناه: فلم تقتلوهم أنتم بقوتكـم، ولكن الله قتلهم بنصرته إياكـم وتقويته لكـم. وقيل: لكن الله قتلهم بإمداد الملائكة. ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ ﴾ [(٢)] فلما أقبلت قريش يوم بدر، ورآها رسول الله ﷺ قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، فأتاه جبريل عليه السلام، وقال له: خذ قبضة من تراب فارمهم با، فلما التقى الجمعان تناول كفا من حصى عليه تراب، فرمى به في وجوه القوم، وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق منهم مشرك إلا دخل في عينيه وفمه ومنخريه منها شيء، فانزموا وردفهم المؤمنون يقتلونم، ويأسرونم فذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ ﴾ [(٣)]، إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفا من الحصا إلى وجوه جيش، فلا يبقى فيهم عين إلا، ويصيبها منه شيء. وقيل: معنى الآية: وما بلغت إذ رميت، ولكن الله بلغ. وقيل: وما رميت بالرعب في قلوبم إذ رمشا بالحصباء، ولكن الله رمى بالرعب في قلوبم حتى انزموا، ﴿ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ ﴾ [(٤)]، أي:

---

(١) سورة الأنفال آية : ١٧.

(٢) سورة الأنفال آية : ١٧.

(٣) سورة الأنفال آية : ١٧.

(٤) سورة الأنفال آية : ١٧.

ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ [1] لدعائكم، ﴿ عَلِيمٌ ۝١٧ ﴾ [2] بنايتكم.

[١٨] ﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ [3]، الذي ذكرت من القتل والرمي والبلاء الحسن، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ [4]، قيل: فيه إضمار، أي: واعلموا أن الله ﴿ مُوهِنُ ﴾ [5]، مضعف، ﴿ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٨ ﴾ [6]، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة: (مُوَهِنٌ) بالتشديد والتنوين، (كيدَ) نصب، وقرأ الآخرون "مُوهِنٌ" بالتخفيف والتنوين إلا حفصا، فإنه يضيفه فلا ينون ويخفض ماله ﴿ كَيۡدِ ﴾ [7].

[١٩] قوله تعالى: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾ [8]، وذلك أن أبا جهل -لعنه الله- قال يوم بدر لما التقى الناس: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لم نعرف، فأحنه الغداة، فكان هو المستفتح على نفسه، وقال السدي والكلبي: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين، وأفضل الدينين ففيه نزلت: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾ [9]، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر. وقال عكرمة: قال

---

(١) سورة الأنفال آية : ١٧.
(٢) سورة الأنفال آية : ١٧.
(٣) سورة الأنفال آية : ١٨.
(٤) سورة الأنفال آية : ١٨.
(٥) سورة الأنفال آية : ١٨.
(٦) سورة الأنفال آية : ١٨.
(٧) سورة الأنفال آية : ١٨.
(٨) سورة الأنفال آية : ١٩.
(٩) سورة الأنفال آية : ١٩.

المشركون: والله لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فأنزل الله ﷻ ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [(١)] أي إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء. وقال أبي بن كعب: هذا خطاب لأصحاب رسول الله ﷺ قال الله تعالى للمسلمين: إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي: إن تستنصروا فقد جاءكم الفتح والنصر قوله: ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ [(٢)]، يقول للكفار: إن تنتهوا عن الكفر بالله وقتال نبيه ﷺ ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ ﴾[(٣)]، لحربه وقتاله، ﴿ نَعُدْ ﴾ [(٤)] بمثل الواقعة التي وقعت بكم يوم بدر. وقيل: وإن تعودوا إلى الدعاء والاستفتاح نعد للفتح لمحمد ﷺ ﴿ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ ﴾ [(٥)]، جماعتكم، ﴿ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [(٦)]، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ [(٧)] بفتح الهمزة، أي: ولأن الله مع المؤمنين، كذلك ﴿ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [(٨)]، وقيل: هو عطف على قوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [(٩)]، وقرأ الآخرون: (وإن الله) بكسر الألف على الابتداء.

---

(١) سورة الأنفال آية : ١٩.
(٢) سورة الأنفال آية : ١٩.
(٣) سورة الأنفال آية : ١٩.
(٤) سورة الأنفال آية : ١٩.
(٥) سورة الأنفال آية : ١٩.
(٦) سورة الأنفال آية : ١٩.
(٧) سورة الأنفال آية : ١٩.
(٨) سورة الأنفال آية : ١٩.
(٩) سورة الأنفال آية : ١٨.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ ﴾ [(١)]، أي: لا تعرضوا عنه، ﴿ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠ ﴾ [(٢)]، القرآن ومواعظه.

[٢١] ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٢١ ﴾ [(٣)]، أي: يقولون بألسنتهم سمعنا بآذاننا، وهم لا يسمعون، أي: لا يتعظون، ولا ينتفعون بسماعهم فكأنهم لم يسمعوا.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)]، أي: شر من دب على وجه الأرض من خلق الله، ﴿ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ﴾ [(٥)]، عن الحق فلا يسمعونه، ولا يقولونه، ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٢٢ ﴾ [(٦)] أمر الله ﷻ سماهم (دواب) لقلة انتفاعهم بعقولهم، كما قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ ﴾ [(٧)]، قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد، فقتلوا جميعا بأحد، وكانوا أصحاب اللواء لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة.

[٢٣] ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ ﴾ [(٨)] أي: لأسمعهم سماع التفهم والقبول، ﴿ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ ﴾ [(١)]، بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، ﴿ لَتَوَلَّواْ

(١) سورة الأنفال آية : ٢٠.
(٢) سورة الأنفال آية : ٢٠.
(٣) سورة الأنفال آية : ٢١.
(٤) سورة الأنفال آية : ٢٢.
(٥) سورة الأنفال آية : ٢٢.
(٦) سورة الأنفال آية : ٢٢.
(٧) سورة الأعراف آية : ١٧٩.
(٨) سورة الأنفال آية : ٢٣.

﴿ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[2]، لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره. وقيل: إنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ أحيي لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن بك، فقال الله ﷻ: ﴿ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ ﴾[3] كلام قصي ﴿ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[4].

[٢٤] قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾[5]، يقول أجيبوهما بالطاعة، ﴿ إِذَا دَعَاكُمۡ ﴾[6]، الرسول ﷺ ﴿ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[7]، أي: إلى ما يحييكم. قال السدي: هو الإيمان، لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان. وقال قتادة: هو القرآن فيه الحياة وبه النجاة والعصمة في الدارين. وقال مجاهد: هو الحق. وقال ابن إسحاق: هو الجهاد أعزكم الله به بعد الذل. وقال القتيبي: بل الشهادة قال الله تعالى في الشهداء: ﴿ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾[8]. ﴿ وروينا أن النبي ﷺ مر على أبي بن كعب ﷺ وهو يصلي، فدعاه، فعجل أبي في صلاته، ثم جاء فقال رسول الله ﷺ "ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟ " قال: كنت في الصلاة، قال: لا أليس يقول الله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٣.
(٢) سورة الأنفال آية : ٢٣.
(٣) سورة الأنفال آية : ٢٣.
(٤) سورة الأنفال آية : ٢٣.
(٥) سورة الأنفال آية : ٢٤.
(٦) سورة الأنفال آية : ٢٤.
(٧) سورة الأنفال آية : ٢٤.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٦٩.

﴿تُحۡيِيكُمۡۖ﴾[1]؟ فقال: لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبت، وإن كنت مصليا﴾[2]. قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾[3]، قال سعيد بن جبير وعطاء: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان. وقال الضحاك: يحول بين الكافر والطاعة، ويحول بين المؤمن والمعصية. وقال مجاهد: يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل، ولا يدري ما يعمل. وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه، فلا تستطيع أن يؤمن، ولا أن يكفر إلا بإذنه. وقيل: هو أن القوم لما دعوا إلى القتال في حالة الضعف ساءت ظنونهم، واختلجت صدورهم فقيل لهم: قاتلوا في سبيل الله، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والجبن جرأة. ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤﴾[4]، فيجزيكم بأعمالكـم. عن أنس بن مالك ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول. ﴿يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك﴾ [5] قالوا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: ﴿القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء﴾ [6] [7].

(١) سورة الأنفال آية : ٢٤.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٤٦٧/١٣ وأخرجه بنحوه الترمذي في فضائل الأعمال ١٧٨/٨ - ١٨٠ وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في المسند ٤١٢/٢, ٤١٣، وأخرجه البخاري بغير هذا السياق في التفسير ١٥٦/٨.

(٣) سورة الأنفال آية : ٢٤.

(٤) سورة الأنفال آية : ٢٤.

(٥) الترمذي القدر (٢١٤٠), ابن ماجه الدعاء (٣٨٣٤).

(٦) الترمذي القدر (٢١٤٠), ابن ماجه الدعاء (٣٨٣٤), أحمد (١١٢/٣).

(٧) أخرجه الإمام أحمد فـي المسند ١١٢/٣, ٢٥٧ والترمذي في القدر ٣٤٩/٦، وأخرجه مسلم من رواية عبد الله بن عمرو في القدر رقم (٣٦٥٤) ٢٠٤٥/٤ وذكره البغوي في مصابيح السنة ١٤١/١.

[٢٥] ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً ﴾ [١]، اختبارا وبلاء ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ﴾ [٢]، قوله: ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ﴾ [٣] ليس بجزاء محض، ولو كان جزاء لم تدخل فيه النون، لكنه نفي، وفيه طرف من الجزاء كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ [٤]، وتقديره: واتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم، فهو كقول القائل: انزل على الدابة لا تطرحك، ولا تطرحنك، فهذا جواب الآمر بلفظ النفي، معناه إن تنزل لا تطرحك. قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ ومعناه: اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم. قال الحسن: نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي الله عنهم. قال الزبير: لقد قرأنا هذه الآية زمانا، وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها، يعني ما كان يوم الجمل. وقال السدي، ومقاتل والضحاك وقتادة: هذا في قوم مخصوصين من أصحاب رسول الله ﷺ أصابتهم الفتنة يوم الجمل. وقال ابن عباس: أمر الله ﷻ المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهما الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم. قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه، فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة ﴾ [٥]. وقال ابن زيد: أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا. قال رسول الله ﷺ. ﴿ ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذا

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٥.

(٢) سورة الأنفال آية : ٢٥.

(٣) سورة الأنفال آية : ٢٥.

(٤) سورة النمل آية : ١٨.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٩٢/٤ والطحاوي في مشكل الآثار ٦٦/٢ وعبد الله بن المبارك في الزهد رقم ١٣٥٢ ص٤٧٦ والمصنف في شرح السنة ٣٤٦/١٤.

فليعذ به ﴿ [1] [2] قوله: ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ ﴾ [3] يعني العذاب، ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾ [4].

قوله تعالى وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ....

[٢٦] قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [5]، يقول: اذكروا يا معاشر المهاجرين إذ أنتم قليل في العدد مستضعفون في أرض مكة في ابتداء الإسلام ﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ [6]، يذهب بكم الناس, يعني: كفار مكة. وقال عكرمة: كفار العرب. وقال وهـب: فارس والروم، ﴿ فَـَٔاوَىٰكُمۡ ﴾ [7]، إلى المدينة، ﴿ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ ﴾ [8]، أي: قواكـم يوم بدر بالأنصار. وقال الكلبي: قواكم يوم بدر بالملائكة، ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [9]، يعني: الغنائم أحلها لكم، ولم يحلها لأحد قبلكم، ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦ ﴾ [10].

(١) البخاري الفتن (٦٦٧٠), مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٦), أحمد (٢٨٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري في الفتن ٢٩/١٣ وفي الأنبياء وفي المناقب ومسلم في الفتن رقم (٢٨٨٦) ٢٢١٢/٤ والمصنف في شرح السنة ٢٢/١٥.

(٣) سورة الأنفال آية : ٢٥.

(٤) سورة الأنفال آية : ٢٥.

(٥) سورة الأنفال آية : ٢٦.

(٦) سورة الأنفال آية : ٢٦.

(٧) سورة الأنفال آية : ٢٦.

(٨) سورة الأنفال آية : ٢٦.

(٩) سورة الأنفال آية : ٢٦.

(١٠) سورة الأنفال آية : ٢٦.

[٢٧] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾[١]، قال السدي: كانوا يسمعون الشيء من رسول الله ﷺ فيفشونه، حتى يبلغ المشركين. وقال الزهري والكلبي: نزلت الآية في أبي لبابة هارون بن عبد المنذر الأنصاري من بني عوف بن مالك، وذلك أن رسول الله ﷺ ﴿ لما حاصر يهود بني قريظة قالوا: أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، وكان مناصحا لهم لأن ماله وولده وعياله كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ وآتاهم فقالوا له: يا أبا لبابة ما ترى أنـ ل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أبرح، ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت، أو يتوب الله علي، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، قـال: أما لو جاءني لاستغفرت له فأما إذ فعل ما فعل فإني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه، فمكث سبعة أيام لا يذوق طـعاما، ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني بيده، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة ": يا رسول الله إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي كله، قال النبي ﷺ "يجزيك الثلث فتصدق به ﴾[٢]، فـ لت فـيه ﴿ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ ﴾[٣] أي: ولا تخونوا أماناتكم، ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٤]، أنا أمانة. وقيل: وأنتم تعلمون أن ما فعلتم من الإشارة إلى الحلق خيانة. قال السدي: إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتم. وقال ابن عباس: لا

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٧.

(٢) مسلم الجهاد والسير (١٧٦٩), أحمد (١٤٢/٦).

(٣) سورة الأنفال آية : ٢٧.

(٤) سورة الأنفال آية : ٢٧.

تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته، وتخونوا أماناتكـم. قال ابن عباس: هي ما يخـفى عن أعين الناس من فرائض الله، والأعمال التي ائتمن الله العباد عليها. قال قتادة: اعلموا أن دين الله أمانة، فأدوا إلى الله ﷻ ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده، ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

[٢٨] ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ [(١)]، قيل: هذا أيضا في أبي لبابة، وذلك أن أمواله وأولاده كانوا في بني قريظة، فقال ما قال خوفا عليهم. وقيل: هذا في جميع الناس ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ [(٢)]، لمن نصح لله ولرسوله وأدى أمانته.

[٢٩] ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [(٣)]، بطاعته وترك معصيته، ﴿ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [(٤)]، قال مجاهد: مخرجا في الدنيا والآخرة. وقال مقاتل بن حيان: مخرجا في الدين من الشبهات، وقال عكرمة: نجاة أي يفرق بينكـم وبين ما تخافون. وقال الضحاك. بيانا. وقال ابن إسحاق: فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم، ويطفئ باطل من خالفكـم، والفرقان مصدر كالرجحان والنقصان، ﴿ وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ [(٥)]، يمح عنكـم ما سلف من ذنوبكـم، ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾ [(٦)].

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٨.
(٢) سورة الأنفال آية : ٢٨.
(٣) سورة الأنفال آية : ٢٩.
(٤) سورة الأنفال آية : ٢٩.
(٥) سورة الأنفال آية : ٢٩.
(٦) سورة الأنفال آية : ٢٩.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (١)، هذه الآية معطوفة على قوله: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾ (٢) واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ ﴾ (٣) لأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كانا بمكة، ولكن الله ذكرهم بالمدينة كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (٤) وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير: أن قريشا فرقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله ﷺ فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ فقال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا فتيا، ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، فتؤدي قريش ديته، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بذلك، وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام في مضجعه، وقال له: اتشح ببردتي هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه، ثم خرج النبي ﷺ فأخذ قبضة من تراب، فأخذ الله أبصارهم عنه، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم، وهو يقرأ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا ﴾ (٥) إلى قوله: ﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ ﴾ (٦)، ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر، وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده، وكانت الودائع تودع عنده ﷺ

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣٠.
(٢) سورة الأنفال آية : ٢٦.
(٣) سورة الأنفال آية : ٣٢.
(٤) سورة التوبة آية : ٤٠.
(٥) سورة يس آية : ٨.
(٦) سورة يس آية : ٩.

لصدقه وأمانته، وبات المشركون يحرسون عليا في فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه، فرأوا عليا رضي الله عنه فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره، وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثا، ثم قدم المدينة، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ ﴾[1]، ليحبسوك، ويسجنوك، ويوثقوك، ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ ﴾[2]، قال الضحاك: يصنعون، ويصنع الله، والمكر التدبير وهو من الله التدبير بالحق. وقيل: يجازيهم جزاء المكر ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3].

[٣١] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ ﴾[4]، يعني النضر بن الحارث، ﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ ﴾[5]، وذلك أنه كان يختلف تاجرا إلى فارس والحيرة فيسمع أخبار رستم وإسفنديار، وأحاديث العجم، ويمر باليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل، ويركعون، ويسجدون، فجاء إلى مكة فوجد رسول الله ﷺ يصلي، ويقرأ القرآن فقال النضر: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا، ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[6]، أخبار الأمم الماضية وأسماؤهم، وما سطر الأولون في كتبهم، والأساطير: جمع أسطورة، وهي المكتوبة، من قولهم: سطرت أي: كتبت.

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣٠.
(٢) سورة الأنفال آية : ٣٠.
(٣) سورة الأنفال آية : ٣٠.
(٤) سورة الأنفال آية : ٣١.
(٥) سورة الأنفال آية : ٣١.
(٦) سورة الأنفال آية : ٣١.

[٣٢] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ [(١)]، الآية نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار قال: اللهم إن كان هذا الذي يقول محمد هو الحق من عندك، (والحق) نصب بخبر كان، وهو عماد وصلة: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [(٢)]، كما أمطرتا على قوم لوط، ﴿ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٣)]، أي: ببعض ما عذبت به الأمم، وفيه نزل: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ ﴾ [(٤)]، وقال عطاء: لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية، فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر، وروى أنس ﷺ أن الذي قاله أبو جهل لعنه الله.

[٣٣] قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [(٥)]، اختلفوا في معنى هذه الآية، فقال محمد بن إسحاق: هذا حكاية عن المشركين أنم قالوها، وهي متصلة بالآية الأولى، وذلك أنم كانوا يقولون: إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره، ولا يعذب أمة ونبيها معها، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ يذكر جهالتهم وغرتم واستفتاحهم عمى أنفسهم ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ [(٦)] الآية، وقالوا: وما كان الله ليعذبم وأنت فيهم ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٧)]، ثم قال ردا عليهم: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(٨)] وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون،

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣٢.

(٢) سورة الأنفال آية : ٣٢.

(٣) سورة الأنفال آية : ٣٢.

(٤) سورة المعارج آية : ١.

(٥) سورة الأنفال آية : ٣٣.

(٦) سورة الأنفال آية : ٣٢.

(٧) سورة الأنفال آية : ٣٣.

(٨) سورة الأنفال آية : ٣٤.

وهم يصدون عن المسجد الحرام. وقال الآخرون: هذا كلام مستأنف يقول الله ﷻ إخبارا عن نفسه: ﴿ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(١)]، واختلفوا في تأويلها، فقال الضحاك وجماعة: تأويلها: وما كان الله ليعذبم وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم، قالوا: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو مقيم بمكة، ثم خرج من بين أظهرهم، وبقيت بها بقية من المسلمين يستغفرون، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝٣٣ ﴾ [(٢)]، ثم خرج أولئك من بينهم فعذبوا وأذن، الله في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم، وقال أبو موسى الأشعري: كان فيكم أمانان، وما كان الله ليعذبم وأنت فيهم وما كان الله معذبم وهم يستغفرون، فأما النبي ﷺ فقد مضى والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة.

قوله تعالى وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدونَ عَنِ الَمسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ....

[٣٤] قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(٣)] أي: وما يمنعهم من أن يعذبوا، يريد بعد خروجك من بينهم، ﴿ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ [(٤)]، أي: يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت. وقيل: أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال، وأراد بقوله: (وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذَبَهُمُ اللهُ) أي: بالسيف. وقيل: أراد بالأول عذاب الدنيا، وبهذه الآية عذاب الآخرة. وقال الحسن: الآية الأولى وهي قوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ ﴾ [(٥)] منسوخة بقوله تعالى. (وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذَبَهُمُ اللهُ)، ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣٤.

(٢) سورة الأنفال آية : ٣٣.

(٣) سورة الأنفال آية : ٣٤.

(٤) سورة الأنفال آية : ٣٤.

(٥) سورة الأنفال آية : ٣٣.

﴿ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ ﴾ [1] قال الحسن: كان المشركون يقولون: نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بقوله: ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ ﴾ [2] أي: أولياء البيت، ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ ﴾ [3] أي. ليس أولياء البيت، ﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [4]، يعني: المؤمنين الذين يتقون الشرك، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [5] قـولـه تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةًۚ ﴾ [6]، قال ابن عباس والحسن: المكاء: الصفير، وهي في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير، كأنه قال: إلا صوت مكاء، والتصدية التصفيق. قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون، ويصفقون، فالمكاء: جعل الأصابع في الشدق، والتصدية: الصفير، ومنه الصدى الذي يسمعه المصوت في الجبل. قال سعيد بن جبير: التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين، والصلاة وهي على هذا التأويل: التصددة بدالين، فقلبت إحدى الدالين يا ء كما يقال: تظنيت من الظن، قال ابن عباس والحسن: المكاء: الصفير، وهي في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير، كأنه قال: إلا صوت مكاء، والتصدية التصفيق. قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون، ويصفقون، فالمكاء: جعل الأصابع في الشدق، والتصدية: الصفير، ومنه الصدى الذي يسمعه المصوت في الجبل. قال سعيد بن جبير: التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين، والصلاة وهي على هذا التأويل: التصددة بدالين، فقلبت إحدى الدالين يا ء كما يقال: تظنيت من الظن

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣٤.
(٢) سورة الأنفال آية : ٣٤.
(٣) سورة الأنفال آية : ٣٤.
(٤) سورة الأنفال آية : ٣٤.
(٥) سورة الأنفال آية : ٣٤.
(٦) سورة الأنفال آية : ٣٥.

وتقضى البازي إذا البازي كسر

أي تقضض البازي. قال ابن الأنباري: إنما سماه صلاة لأنم أمروا بالصلاة في المسجد الحرام، فجعلوا ذلك صلاتم ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[1].

[٣٦] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[2]، أي: ليصرفوا عن دين الله. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المطعمين يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلا من قريش، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر. وقال الحكم بن عيينة. نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية. قال الله تعالى: ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾[3]، يريد ما أنفقوا في الدنيا يصير حسرة عليهم في الآخرة، ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ ﴾[4]، ولا يظفرون ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾[5]، منهم، ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[6]، خص الكفار لأن منهم من أسلم.

[٣٧] ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ ﴾[7]، فـي سـبـيـل الشيطان، ﴿ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[8]، يعني الكافر من المؤمن فيـ ل المؤمن الجنان والكافر النيران. وقال الكلبي: العمل الخبيث من العمل الصالح الطيب، فيثيب على الأعمال الصالحة الجنة، وعلى الأعمال الخبيثة النار، وقيل: يعني الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله. ﴿ وَيَجْعَلَ

(١) سورة الأنفال آية : ٣٥.
(٢) سورة الأنفال آية : ٣٦.
(٣) سورة الأنفال آية : ٣٦.
(٤) سورة الأنفال آية : ٣٦.
(٥) سورة الأنفال آية : ٣٦.
(٦) سورة الأنفال آية : ٣٦.
(٧) سورة الأنفال آية : ٣٧.
(٨) سورة الأنفال آية : ٣٧.

﴿ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[1]، أي: فـوق بـعـض، ﴿فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا﴾[2]، أي: يجمعه. ومنه السحاب المركوم، وهو المتمع الكثيف، فيجـعله فـي جهنم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧﴾[3]، الذين خسرت تجارتم، لأنم اشتروا بأموالهما عذاب الآخرة.

[٣٨] ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾[4]، عـن الشرك ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾[5]، أي: ما مضى من ذنوبم قبل الإسلام، ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾[6]، في نصر الله أنبياءه وإهلاك أعدائه. قال يحيى بن معاذ الرازي: توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو ألا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب.

[٣٩] ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾[7] أي: شرك. قال الربيع: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾[8]، أي: ويكون الدين خالصا لله لا شرك فيه، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾[9]، عـن الكفـر، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾[10]، قرأ يعقوب (تعملون) بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء.

(١) سورة الأنفال آية : ٣٧.
(٢) سورة الأنفال آية : ٣٧.
(٣) سورة الأنفال آية : ٣٧.
(٤) سورة الأنفال آية : ٣٨.
(٥) سورة الأنفال آية : ٣٨.
(٦) سورة الأنفال آية : ٣٨.
(٧) سورة الأنفال آية : ٣٩.
(٨) سورة الأنفال آية : ٣٩.
(٩) سورة الأنفال آية : ٣٩.
(١٠) سورة الأنفال آية : ٣٩.

[٤٠] ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾[1]، عن الإيمان، وعادوا إلى قتال أهله، ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ ﴾[2]، ناصركم ومعينكم ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝ ﴾[3]، أي: الناصر.

قوله تعالى وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأن لِلهِ خُمُسَهُ وَللرسُول....

[٤١] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾[4]، الآية، الغنيمة والفيء اسمان لمال يصيبه المسلمون من أموال الكفار، فذهب جماعة إلى أنهما واحد. وذهب قوم على أنهما مختلفان، فالغنيمة: ما أصابه المسلمون منهم عنوة بقتال، والفيء ما كان عن صلح بغير قتال، فذكر الله ﷻ في هذه الآية حكـم الغنيمة فقال: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾[5]، فذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى أن قوله: (لله) افتتاح كلام على سبيل التبرك، وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه، وليس المراد منه أن سهما من الغنيمة لله مفردا، فإن الدنيا والآخرة كلها لله عز وبر. وهو قول الحسن وقتادة وعطاء وإبراهيم والشعبي، قالوا: سهم الله وسهم الرسول واحد. والغنيمة تقسم خمسة أخماس، أربعة أخماسها لمن قاتل عليها، والخمس لخمسة أصناف كما ذكر الله ﷻ ﴿ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[6]، قال بعضهم: يقسم الخمس على ستة أسهم، وهو قول أبي العالية، سهم لله: فيصرف إلى الكعبة. والأول أصح أن خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم، سهم كان لرسول الله ﷺ في حياته واليوم هو

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤٠.
(٢) سورة الأنفال آية : ٤٠.
(٣) سورة الأنفال آية : ٤٠.
(٤) سورة الأنفال آية : ٤١.
(٥) سورة الأنفال آية : ٤١.
(٦) سورة الأنفال آية : ٤١.

لمصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام، وهو قول الشافعي رحمه الله، وروى الأعمش عن إبراهيم قال: كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي ﷺ في الكراع والسلاح. وقال قتادة: هو للخليفة بعده. وقال بعضهم: سهم رسول الله ﷺ مردود في الخمس والخمس لأربعة أصناف. قوله: ﴿ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [1] أراد أن سهما من الخمس لذوي القربى وهم أقارب النبي ﷺ واختلفوا فيهم فقال قوم: جميع قريش. وقال قوم: هم الذين لا تحل لهم الصدقة. وقال مجاهد وعلي بن الحسين: هم بنو هاشم. وقال الشافعي: هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء، وإن كانوا إخوة، والدليل عليه ما ورد عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: « قسم رسول الله ﷺ سهما ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب، ولم يعط منه أحدا من بني عبد شمس ولا بني نوفل شيئا » [2] [3] واختلف أهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم؟ فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت، وهو قول مالك والشافعي، وذهب أصحاب الرأي إلى أنه غير ثابت، وقالوا: سهم رسول الله ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان في الخمس وخمس الغنيمة لثلاثة أصناف: اليتامى والمساكين وابن السبيل. وقال بعضهم: يعطى للفقراء منهم دون الأغنياء، والكتاب والسنة يدلان على ثبوته، والخلفاء بعد الرسول ﷺ كانوا يعطونه، ولا يفضل فقير على غني؛ لأن النبي ﷺ والخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله، فألحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة، غير أنه يعطي القريب والبعيد. وقال: يفضل الذكر على الأنثى فيعطى الرجل سهمين والأنثى سهما واحدا.

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤١.

(٢) البخاري المغازي (٣٩٨٩), النسائي قسم الفيء (٤١٣٦), أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٨٠), ابن ماجه الجهاد (٢٨٨١), أحمد (٨٥/٤).

(٣) أخرجه الشافعي في المسند ١١٢/٢ والمصنف في شرح السنة ١٢٦/١١.

قوله: ﴿ وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ ﴾ [1] وهو جمع اليتيم، واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا أب له إذا كان فقيرا، ﴿ وَٱلۡمَسَـٰكِينِ ﴾ [2] هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين، ﴿ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [3] هو المسافر البعيد عن ماله، فهذا مصرف خمس الغنيمة، ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة، للفارس منهم ثلاثة أسهم، وللراجل سهم واحد. عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ﴿ أسهم لرجل ولفرسه ثلاثة أسهم، سهما له وسهمين لفرسه ﴾ [4] [5] وهذا قول أكثر أهل العلم، وإليه ذهب الثوري والأوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه للفارس سهمان، وللراجل سهم واحد، ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان إذا حضروا القتال، ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول. وعند أبي حنيفة: يتخير الإمام في العقار بين أن يقسمه بينهم وبين أن يجعله وقفا على المصالح. وظاهر الآية لا يفرق بين العقار والمنقول، ومن قتل مشركا في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة، لما روي عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال يوم حنين: ﴿ من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه ﴾ [6] [7]

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤١.

(٢) سورة الأنفال آية : ٤١.

(٣) سورة الأنفال آية : ٤١.

(٤) البخاري المغازي (٣٩٨٨), مسلم الجهاد والسير (١٧٦٢), الترمذي السير (١٥٥٤), أبو داود الجهاد (٢٧٣٣), ابن ماجه الجهاد (٢٨٥٤), أحمد (٢/٨٠), الدارمي السير (٢٤٧٢).

(٥) أخرجه البخاري في الجهاد ٦٧/٦ ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٦٢) ١٣٨٢/٣ والمصنف في شرح السنة ١٠١/١١.

(٦) البخاري فرض الخمس (٢٩٧٣), مسلم الجهاد والسير (١٧٥١), الترمذي السير (١٥٦٢), أبو داود الجهاد (٢٧١٧), أحمد (٥/٢٩٥), مالك الجهاد (٩٩٠).

(٧) رواه البخاري في المغازي ٣٤/٨، ٣٥ والجهاد ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٥١) ١٣٧٠/٣ والمصنف في شرح السنة ١٠٥/١١.

والسلب: كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح وفرسه الذي هو راكبه، ويجوز للإمام أن ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش، ويجعله أسوة الجماعة في سهمان الغنيمة. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ﴿ كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوف قسم عامة الجيش ﴾ [(١)] [(٢)] واختلفوا في أن النفل من أين يعطى؟ فقال قوم: من خمس الخمس سهم النبي ﷺ وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال الشافعي، وهذا معنى قول النبي ﷺ ﴿ ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم ﴾ [(٣)] [(٤)] وقال قوم: هو من الأربعة الأخماس بعد إفراز الخمس كسهام الغزاة، وهو قول أحمد وإسحاق، وذهب بعضهم إلى أن النفل من رأس الغنيمة قبل الخمس كالسلب للقاتل. وأما الفيء وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب، بأن صالحهم على مال يؤدونه ومال الجزية وما يؤخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الإسلام للتجارة أو يموت واحد منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كله فيء، ومال الفيء كان خالصا لرسول الله ﷺ في حياته. قال عمر رضي الله عنه إن الله قد خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدا غيره، ثم قرأ: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ ﴾ [(٥)] إلى قوله: ﴿ قَدِيرٌ ۝٦ ﴾ [(٦)]، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ كان ينفق على أهله

---

(١) البخاري فرض الخمس (٢٩٦٦), مسلم الجهاد والسير (١٧٥٠), أبو داود الجهاد (٢٧٤٦), أحمد (١٤٠/٢).

(٢) أخرجه البخاري في فرض الخمس ٢٣٧/٦ ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٣.) ١٣٦٩/٣ والمصنف في شرح السنة ١١٢/١١.

(٣) النسائي الهبة (٣٦٨٨), أبو داود الجهاد (٢٦٩٤), مالك الجهاد (٩٩٤).

(٤) رواه أبو داود في كتاب الجهاد ٦٢/٤ والنسائي في كتاب الفيء ١٣١/٧، الإمام أحمد في مسنده ج ١٢٨/٤.

(٥) سورة الحشر آية : ٦.

(٦) سورة الحشر آية : ٦.

وعياله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله ﷻ واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ فقال قوم: هو للأئمة بعده. وللشافعي فيه قولان، أحدهما: للمقاتلة الذين أثبتت أساميهم في ديوان الجهاد لأنهم القائمون مقام النبي ﷺ في إرهاب العدو. والقول الثاني: أنه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم، ثم بالأهم فالأهم من المصالح. واختلف أهل العلم في تخميس الفيء، فذهب الشافعي إلى أنه يخمس فخمسه لأهل الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح. وذهب الأكثرون إلى أن الفيء لا يخمس بل مصرف جميعه واحد، ولجميع المسلمين فيه حق قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ [1]، قيل: أراد اعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسة وللرسول، يأمر فيه بما يريد، فاقبلوه إن كنتم آمنتم بالله ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [2]، أي: إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا، يعني: قوله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [3]، ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [4]، يعني يوم بدر، فرق الله بين الحق والباطل، وهو ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [5]، حزب الله وحزب الشيطان، وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [6] على نصركم مع قلتكم وكثرتم.

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤١.

(٢) سورة الأنفال آية : ٤١.

(٣) سورة الأنفال آية : ١.

(٤) سورة الأنفال آية : ٤١.

(٥) سورة الأنفال آية : ٤١.

(٦) سورة الأنفال آية : ٤١.

[٤٢] ﴿ إِذۡ أَنتُم ﴾(١)، أي: إذ أنتم نزول يا معشر المسلمين، ﴿ بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾(٢)، أي: بشفير الـوادي الأدنى إلى المدينـة، والدنيـا. تأنيـث الأدنى، ﴿ وَهُم ﴾(٣)، يعني عدوكم من المشركين، ﴿ بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ ﴾(٤) بشفير الوادي الأقصى من المدينـة، والقصوى تأنيث الأقصـى قـرأ ابن كثير وأهـل البصـرة (بِالْعِدْوَةِ) بكسـر العين فيهما والباقون بضمهمـا، وهمـا لغتان: كالكِسْوَةِ والْكُسْوَة والرِشْوَة والرُشْوَة. ﴿ وَٱلرَّكۡبُ ﴾(٥)، يعني: العير يريد أبا سفيان وأصحابه، ﴿ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾(٦)، أي: في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر، على ثلاثة أميال من بدر، ﴿ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ ﴾(٧)، وذلك أن المسلمين خرجوا ليأخذوا العير، وخرج الكفار ليمنعوها، فالتقوا على غير ميعاد، فقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ ﴾(٨)، لقلتكم وكثرة عدوكم، ﴿ وَلَٰكِن ﴾(٩) جمعكم على غير ميعاد، ﴿ لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا ﴾(١٠)، من نصر أوليائه وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه، ﴿ لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٢) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٣) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٤) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٥) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٦) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٧) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٨) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٩) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(١٠) سورة الأنفال آية : ٤٢.

﴿ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾[(١)]، أي: ليموت من يموت على بينة رآها وعبرة عاينها، وحجة قامت عليه. ﴿ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ ﴾[(٢)]، ويعيش من يعيش على بينة لوعده: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾[(٣)]. وقال محمد بن إسحاق: معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه، ويؤمن من آمن على مثل ذلك، فالهلاك هو الكفر والحياة هي الإيمان. وقال قتادة: ليضل من ضل عن بينة، ويهدي من اهتدى على بينة. قرأ أهل الحجاز وأبو بكر ويعقوب (حَيِيَ) بيائين مثل (خَشِيَ) وقرأ الآخرون بياء واحدة مشددة؛ لأنه مكتوب بياء واحدة. ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ ﴾[(٤)]، لدعائكم، ﴿ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[(٥)] بنياتكم.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[(٦)] يريك يا محمد المشركين، ﴿ فِي مَنَامِكَ ﴾[(٧)]، أي: نومك. وقال الحسن: في منامك أي: في عينك، لأن العين موضع النوم ﴿ قَلِيلاًۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرًا لَّفَشِلۡتُمۡ ﴾[(٨)]، لجبنتم ﴿ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ ﴾[(٩)]، أي: اختلفتم ﴿ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾[(١٠)]، أي: في الإحجام

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٢) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٣) سورة الإسراء آية : ١٥.
(٤) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٥) سورة الأنفال آية : ٤٢.
(٦) سورة الأنفال آية : ٤٣.
(٧) سورة الأنفال آية : ٤٣.
(٨) سورة الأنفال آية : ٤٣.
(٩) سورة الأنفال آية : ٤٣.
(١٠) سورة الأنفال آية : ٤٣.

والإقدام، ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾[1]، أي: سلمكم من المخالفة والفشل، ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[2] قال ابن عباس: علم ما في صدوركم من الحب لله عز وجل.

[٤٤] ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾[3]، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ رأى في المنام أن العدو قليل قبل لقاء العدو، وأخبر أصحابه بما رأى، فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في أعين المؤمنين. قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلا فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفا. ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ ﴾[4]، يا معشر المؤمنين ﴿ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾[5]، قال، السدي: قال ناس من المشركين: إن العير قد انصرفت.

فارجعوا، فقال أبو جهل: الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه؟ فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم، إنما محمد وأصحابه أكلة جزور، فلا تقتلوهم، واربطوهم بالحبال. يقوله من القدرة التي في نفسه. قال الكلبي. استقل بعضهم بعضا ليجترئوا على القتال، فقلل المشركين في أعين المؤمنين لكي لا يجبنوا، وقلل المؤمنين في أعين المشركين لكي لا يهربوا، ﴿ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا ﴾[6]، من إعلاء الإسلام إعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله. ﴿ كَانَ مَفْعُولًا ﴾[7] كائنا، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤٣.
(٢) سورة الأنفال آية : ٤٣.
(٣) سورة الأنفال آية : ٤٤.
(٤) سورة الأنفال آية : ٤٤.
(٥) سورة الأنفال آية : ٤٤.
(٦) سورة الأنفال آية : ٤٤.
(٧) سورة الأنفال آية : ٤٤.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً ﴾ [٢] أي: جماعة كافرة ﴿ فَٱثۡبُتُواْ ﴾ [٣]، لقتالهم، ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٤]، أي: ادعوا الله بالنصر والظفر بهم، ﴿ لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٥]، أي: كونوا على رجاء الفلاح.

قوله تعالى وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ....

[٤٦] قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ ﴾ [٦]، لا تختلفوا، ﴿ فَتَفۡشَلُواْ ﴾ [٧]، أي: تجبنوا وتضعفوا، ﴿ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [٨]، قال مجاهد: نصرتكم. وقال السدي: جراءتكم وجدكم. وقال مقاتل بن حيان: حدتكم. وقال النضر بن شميل: قوتكم. وقال الأخفش: دولتكم. والريح هاهنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب: هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد. قال قتادة بن زيد: هو ريح النصر لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله ﷻ تضرب وجوه العدو. ومنه قول النبي ﷺ ﴿ نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور ﴾ [٩] [١٠] وعن النعمان بن مقرن قال: ﴿ شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤٤.

(٢) سورة الأنفال آية : ٤٥.

(٣) سورة الأنفال آية : ٤٥.

(٤) سورة الأنفال آية : ٤٥.

(٥) سورة الأنفال آية : ٤٥.

(٦) سورة الأنفال آية : ٤٦.

(٧) سورة الأنفال آية : ٤٦.

(٨) سورة الأنفال آية : ٤٦.

(٩) البخاري الجمعة (٩٨٨), مسلم صلاة الاستسقاء (٩٠٠), أحمد (٣٤١/١).

(١٠) رواه البخاري في الاستسقاء ٥٢٠/٢ والمغازي، ومسلم في الاستسقاء رقم (٩٠٠) ٦١٧/٢ ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢٢٣/١، ٢٢٨ والمصنف في شرح السنة ٣٨٧/٤.

الشمس، وتب الرياح، وي ل النصر ﴾ [(١)] [(٢)] قوله ﷻ : ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦ ﴾ [(٣)] قال رسول الله ﷺ ﴿ يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ﴾ [(٤)] [(٥)].

[٤٧] يقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا ﴾ [(٦)]، فخرا وأشرا، ﴿ وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [(٧)]، قال الزجاج: البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها، الرياء: إظهار الجميل ليرى وإبطان القبيح، ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ۝٤٧ ﴾ [(٨)]، نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر، ولهم بغي وفخر، فقال رسول الله ﷺ ﴿ اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تجادلك، وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني ﴾، قالوا: لما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم فقد نجاها الله، فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرا،- وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام- فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا

---

(١) الترمذي السير (١٦١٣), أبو داود الجهاد (٢٦٥٥), أحمد (٤٤٥/٥).

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد ٧/٤ والترمذي في السير ٢٣٨/٥ وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم ١١٦/٢ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي والإمام أحمد في المسند ٤٤٤/٥, ٤٤٥.

(٣) سورة الأنفال آية : ٤٦.

(٤) البخاري الجهاد والسير (٢٨٠٤), مسلم الجهاد والسير (١٧٤٢), أبو داود الجهاد (٢٦٣١).

(٥) رواه البخاري في الجهاد ١٣٠/٦ ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٤٢) ١٣٦٢/٣ والمصنف في شرح السنة ٣٨/١١, ٣٩.

(٦) سورة الأنفال آية : ٤٧.

(٧) سورة الأنفال آية : ٤٧.

(٨) سورة الأنفال آية : ٤٧.

العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا، فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم، وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصر دينه ومؤازرة نبيه ﷺ.

[٤٨] قـوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [١]، وكان تزيينه أن قريشا لما اجتمعت للسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب، فكاد ذلك أن يثنيهم، فجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته، فتبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، ﴿ وَقَالَ ﴾ [٢]، لهم ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ [٣]، أي: مجير لكم من كنانة، ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ ﴾ [٤]، أي: التقى الجمعان رأي إبليس أثر الملائكة، نزلوا من السماء، وعلم أنه لا طاقة له بم، ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [٥] قال الضحاك: ولى مدبرا. وقال النضر بن شميل: رجع القهقرى على قفاه هاربا. قال الكلبي: لما التقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقة آخذ بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبيه, فقال له الحارث: أفرارا عن غير قتال؟ فجعل يمسكه، فدفع في صدره، وانطلق، وانهزم الناس، فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناس سراقة، فبلغ ذلك سراقة، فقال: بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس, فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم, فقالوا: أما أتيتنا في يوم كذا؟ فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان. قال الحسن في قوله: ﴿ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤٨.

(٢) سورة الأنفال آية : ٤٨.

(٣) سورة الأنفال آية : ٤٨.

(٤) سورة الأنفال آية : ٤٨.

(٥) سورة الأنفال آية : ٤٨.

﴿ تَرَوْنَ ﴾ [1]، قال: رأى إبليس جبريل معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي ﷺ وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب بعد. وقال قتادة: كان إبليس يقول: إني أرى ما لا ترون وصدق. وقال: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ ﴾ [2] وكذب والله ما به مخافة الله, ولكن علم أنه لا قوة به ولا منعة، فأوردهم وأسلمهم, وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه إذا التقى الحق والباطل أسلمهم، وتبرأ منهم. قال عطاء: إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك.

وقال الكلبي: خاف أم يأخذه جبريل عليه السلام، ويعرف حالة فلا يطيعوه. قيل: معناه إني أخاف الله أي: أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره. ﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤٨ ﴾ [3]. قيل: معناه: إني أخاف الله عليكم والله شديد العقاب، وقيل: انقطع الكلام عند قوله: أخاف الله، ثم يقول الله: والله شديد العقاب.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [4] شك ونفاق، ﴿ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ ﴾ [5]، يعني: غر المؤمنين دينهم هؤلاء قوم كانوا مستضعفين بمكة قد أسلموا، وحبسهم أقرباؤهم من الهجرة، فلما خرجت قريش إلي بدر أخرجهم كرها, فلما نظروا إلي قلة المسلمين ارتابوا، وارتدوا, وقالوا: غر هؤلاء دينهم، فقتلوا جميعا قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [6]، أي: ومن

(١) سورة الأنفال آية : ٤٨.
(٢) سورة الأنفال آية : ٤٨.
(٣) سورة الأنفال آية : ٤٨.
(٤) سورة الأنفال آية : ٤٩.
(٥) سورة الأنفال آية : ٤٩.
(٦) سورة الأنفال آية : ٤٩.

يسلم أمره إلى الله، ويثق به، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ [1]، قوي يفعل بأعدائه ما يشاء، ﴿ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [2] لا يستوي بين وليه وعدوه.

[٥٠] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ [3]، يا محمد، ﴿ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ ﴾ [4]، أي: يقبضون أرواحهم. اختلفوا فيه, قيل: هذا عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط النار. وقيل: أراد الذين قتلوا من المشركين ببدر كانت الملائكة يضربون ﴿ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ [5]، وقال سعيد بن جبير ومجاهد: يريد أستاههم لكن الله حيي كني. قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم بالسيوف, وإذا ولوا أدركتهم الملائكة، فضربوا أدبارهم. وقال ابن جريج: يريد ما أقبل منهم، وما أدبر, أي: يضربون أجسادهم كلها، والمراد بالتوفي القتل. ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [6] أي: وتقول لهم الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار, فتلتهب النار في جراحاتهم, فذلك قوله تعالى: ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [7]. وقال الحسن: هذا يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا عذاب الحريق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يقولون لهم ذلك بعد الموت.

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤٩.
(٢) سورة الأنفال آية : ٤٩.
(٣) سورة الأنفال آية : ٥٠.
(٤) سورة الأنفال آية : ٥٠.
(٥) سورة الأنفال آية : ٥٠.
(٦) سورة الأنفال آية : ٥٠.
(٧) سورة الأنفال آية : ٥٠.

[٥١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[1]، أي: ذلك الضرب الذي وقع بكم، ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[2]، أي: بما كسبت أيديكم، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١ ﴾[3].

[٥٢] ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ﴾[4] كفعل آل فرعون.

وصنيعهم وعادتم، معناه: أن عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون. قال ابن عباس: هو أن آل فرعون أيقنوا أن موسى نبي من الله فكذبوه، كذلك هؤلاء جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه، فأنزل الله بم عقوبة كما أنزل بآل فرعون. ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾[5]، أي: ﴿ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٥٢ ﴾[6].

قوله تعالى ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ.....

[٥٣] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[7]، أراد أن الله تعالى لا يغير ما أنعم على قوم حتى يغيروا هم ما بم بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غير الله ما بم، فسلبهم النعمة. وقال السدي:

(١) سورة الأنفال آية : ٥١.
(٢) سورة الأنفال آية : ٥١.
(٣) سورة الأنفال آية : ٥١.
(٤) سورة الأنفال آية : ٥٢.
(٥) سورة الأنفال آية : ٥٢.
(٦) سورة الأنفال آية : ٥٢.
(٧) سورة الأنفال آية : ٥٣.

نعمة الله محمد ﷺ أنعم الله به على قريش وأهل مكة، فكذبوه، وكفروا به، فنقله الله إلى الأنصار، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] .

[٥٤] ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ [2]،كصنع آل فرعون, ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [3]، من كفار الأمم, ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [4]، أهلكنا بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسف، وبعضهم بالمسخ، وبعضهم بالريح، وبعضهم بالغرق، فكذلك أهلكنا كفار بدر بالسيف لما كذبوا بآيات ربهم، ﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [5]، يعني الأولين والآخرين.

[٥٥] ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [6]، قال الكلبي ومقاتل: يعني يهود بني قريظة منهم كعب بن الأشرف وأصحابه.

[٥٦] ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ﴾ [7]، يعني عاهدتم، وقيل: أي: عاهدت معهم. وقيل: أدخل من لأن معناه أخذت منهم العهد، ﴿ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ ﴾ [8]، وهم بنو قريظة نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وأعانوا المشركين بالسلاح على قتال النبي ﷺ وأصحابه، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، فعاهدهم الثانية، فنقضوا العهد, ومالؤوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق، وركب كعب

(١) سورة الأنفال آية : ٥٣.
(٢) سورة الأنفال آية : ٥٤.
(٣) سورة الأنفال آية : ٥٤.
(٤) سورة الأنفال آية : ٥٤.
(٥) سورة الأنفال آية : ٥٤.
(٦) سورة الأنفال آية : ٥٥.
(٧) سورة الأنفال آية : ٥٦.
(٨) سورة الأنفال آية : ٥٦.

بن الأشرف إلى مكة، فوافقهم على مخالفة النبي ﷺ ﴿ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾[1]، لا يخافون الله تعالى في نقض العهد.

[٥٧] ﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ ﴾[2]، تجدنهم، ﴿ فِي ٱلۡحَرۡبِ ﴾[3]، قال مقاتل: إن أدركتهم في الحرب وأسرتهم، ﴿ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ ﴾[4]، قال ابن عباس: فنكل بهم من وراءهم. وقال سعيد بن جبير: أنذر بهم من خلفهم. وأصل التشريد: التفريق والتبديد، معناه فرق بهم جمع كل ناقض، أي: افعل بهؤلاء الذين نقضوا عهدك، وجاؤوا لحربك فعلا من القتل والتنكيل، يفرق منك، ويخافك من خلفهم من أهل مكـة واليمن، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[5]، يتذكرون، ويعتبرون فلا ينقضون العهد.

[٥٨] ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾[6] أي: تعلمن يا محمد، ﴿ مِن قَوۡمٍ ﴾[7]، معاهدين، ﴿ خِيَانَةً ﴾[8]، نقض عهد بما يظهر لكم منهم من آثار الغدر كما ظهر من "قريظة والنضير، ﴿ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ ﴾[9]، فاطرح إليهم عهدهم، ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾[10]، يقول: أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في

(١) سورة الأنفال آية : ٥٦.
(٢) سورة الأنفال آية : ٥٧.
(٣) سورة الأنفال آية : ٥٧.
(٤) سورة الأنفال آية : ٥٧.
(٥) سورة الأنفال آية : ٥٧.
(٦) سورة الأنفال آية : ٥٨.
(٧) سورة الأنفال آية : ٥٨.
(٨) سورة الأنفال آية : ٥٨.
(٩) سورة الأنفال آية : ٥٨.
(١٠) سورة الأنفال آية : ٥٨.

العلم بنقض العهد سواء، فلا يتهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب معهم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (1)

[59]، قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ ﴾ (2)، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص ﴿ تَحْسَبَنَّ ﴾ (3) بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿ سَبَقُوٓاْۚ ﴾ (4) أي: فاتوا، نزلت في الذين انهزموا يوم بدر من المشركين، فمن قرأ بالياء يقول ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (5)، أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا، ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب. قرأ ابن عامر: (أَنهُمْ لَا يُعْجِزُونَ) بفتح الألف، أي: لأنهم لا يعجزون، ولا يفوتونني، وقرأ الآخرون بكسر الألف على الابتداء.

[60] قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (6)، الإعداد: اتخاذ الشيء لوقت الحاجة. ﴿ مِّن قُوَّةٍ ﴾ (7) أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح. عن أبي علي ثمامة بن شفي أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ﴿ وَأَعِدوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ﴾ (8) (1) وبهذا الإسناد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(1) سورة الأنفال آية : 58.

(2) سورة الأنفال آية : 59.

(3) سورة الأنفال آية : 59.

(4) سورة الأنفال آية : 59.

(5) سورة الأنفال آية : 59.

(6) سورة الأنفال آية : 60.

(7) سورة الأنفال آية : 60.

(8) مسلم الإمارة (1917), الترمذي تفسير القرآن (3083), أبو داود الجهاد (2514), ابن ماجه الجهاد (2813), أحمد (4/157), الدارمي الجهاد (2404).

﴿ ستفتح عليكم الروم، ويكفيكم الله ﷻ فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه ﴾ [2] [3]

قوله: ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾ [4]، يعني: ربطها واقتناءها للغزو. وقال عكرمة: القوة الحصون، ومن رباط الخيل الإناث. وروي عن خالد بن الوليد أنه كان لا يركب في القتال إلا الإناث لقلة صهيلها. وعن أبي محيريز قال: كان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات، عن عامر حدثنا عروة البارقي أن النبي ﷺ قال: ﴿ الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، والأجر والمغنم ﴾ [5] [6]. وقال النبي ﷺ ﴿ من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة ﴾ [7] [8] ﴿ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ ﴾ [9]، تخوفون ﴿ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ ﴾ [10]، أي: وترهبون آخرين، ﴿ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾ [11]، قال مجاهد ومقاتل وقتادة: هم بنو قريظة. وقال السدي: هم أهل فارس. وقال الحسن وابن زيد: هم المنافقون، لا تعلمونم

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة رقم (١٩١٧) ١٥٢٢/٣.

(٢) مسلم الإمارة (١٩١٨), أحمد (١٥٧/٤).

(٣) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

(٤) سورة الأنفال آية : ٦٠.

(٥) البخاري الجهاد والسير (٢٦٩٧), مسلم الإمارة (١٨٧٣), النسائي الخيل (٣٥٧٥), أحمد (٣٧٦/٤), الدارمي الجهاد (٢٤٢٦).

(٦) أخرجه البخاري في الجهاد ٥٦/٦ مسلم في الإمارة (١٨٧٢) ١٤٩٣.

(٧) البخاري الجهاد والسير (٢٦٩٨), النسائي الخيل (٣٥٨٢), أحمد (٣٧٤/٢).

(٨) أخرجه البخاري في الجهاد ٥٧/٦ المصنف في شرح السنة ٣٨٨/١٠.

(٩) سورة الأنفال آية : ٦٠.

(١٠) سورة الأنفال آية : ٦٠.

(١١) سورة الأنفال آية : ٦٠.

لأنم معكم يقولون: لا إله إلا الله. وقيل: هم كفار الجن. ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾[1]، يوف لكم أجره، ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[2]، لا تنقص أجوركم.

[٦١] قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ ﴾[3]، أي: مالوا إلى الصلح، ﴿ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[4]، أي: مل إليها، وصالحهم. روي عن قتادة والحسن: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[5] ! ثق بالله، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[6] .

قوله تعالى وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِن حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الذِي أيدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنينَ....

[٦٢] ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ ﴾[7]، يغدروا، ويمكروا بك. قال مجاهد: يعني بني قريظة. ﴿ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ﴾[8]، كافيك الله، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[9]، أي: بالأنصار.

(١) سورة الأنفال آية : ٦٠.
(٢) سورة الأنفال آية : ٦٠.
(٣) سورة الأنفال آية : ٦١.
(٤) سورة الأنفال آية : ٦١.
(٥) سورة الأنفال آية : ٦١.
(٦) سورة الأنفال آية : ٦١.
(٧) سورة الأنفال آية : ٦٢.
(٨) سورة الأنفال آية : ٦٢.
(٩) سورة الأنفال آية : ٦٢.

[٦٣] ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ ﴾[(١)]، أي بين الأوس والخزرج كانت بينهم إحن وثارات في الجاهلية فصيرهم الله إخوانا بعد أن كانوا أعداء، ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٢)] .

[٦٤] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[(٣)]، قال سعيد بن جبير: أسلم مع رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة، ثم أسلم عمر بن الخطاب فتم به الأربعون، فـ لت هذه الآية، واختلفوا في محل (مَنْ) فقال أكثر المفسرين محله خفض، عطفا على الكاف في قوله. ﴿ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾[(٤)] وحسب من اتبعك، وقال بعضهم: هو رفع عطفا على اسم الله معناه: حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ ﴾[(٥)]، أي: حثهم على القتال. ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ ﴾[(٦)]، رجلا, ﴿ صَٰبِرُونَ ﴾[(٧)]، محتسبون, ﴿ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ ﴾[(٨)] من عدوهم يقهروهم، ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ ﴾[(٩)]،

(١) سورة الأنفال آية : ٦٣.
(٢) سورة الأنفال آية : ٦٣.
(٣) سورة الأنفال آية : ٦٤.
(٤) سورة الأنفال آية : ٦٤.
(٥) سورة الأنفال آية : ٦٥.
(٦) سورة الأنفال آية : ٦٥.
(٧) سورة الأنفال آية : ٦٥.
(٨) سورة الأنفال آية : ٦٥.
(٩) سورة الأنفال آية : ٦٥.

صابرة محتسبة، ﴿ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1]، ذلك ﴿ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ۝٦٥ ﴾[2]، أي: إن المشركين يقاتلون على غير احتساب، ولا طلب ثواب، ولا يثبتون إذا صدقتموهم القتال خشية أن يقتلوا، وهذا خبر بمعنى الأمر، وكان هذا يوم بدر فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين، فثقلت على المؤمنين، فخفف الله عنهم، فـ ل:

[٦٦] ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ ﴾[3] ضعفا في الواحد عن قتال العشرة وفي المائة عن قتال الألف ط، وقرأ أبو جعفر: ضُعَفَاءُ بفتح العين والمد على الجمع وقرأ الآخرون بسكون العين، ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ ﴾[4]، من الكفار، ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٦٦ ﴾[5]، فرد من العشرة إلى الاثنين فإن كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا. وقال سفيان قال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا.

[٦٧] وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ﴾[6]، قرأ أبو جعفر وأهل البصرة. تكون بالتاء والباقون بالياء، وقرأ أبو جعفر: (أسارَى)، والآخرون. (أسْرَى)، عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: « لما كان يوم بدر وجيء

(١) سورة الأنفال آية : ٦٥.
(٢) سورة الأنفال آية : ٦٥.
(٣) سورة الأنفال آية : ٦٦.
(٤) سورة الأنفال آية : ٦٦.
(٥) سورة الأنفال آية : ٦٦.
(٦) سورة الأنفال آية : ٦٧.

بالأسرى، فقال رسول الله ﷺ " ما تقولون في هؤلاء؟ " فقال أبو بكر. يا رسول الله قومك وأهلك فاستبقهم، واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، وقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله كذبوك، وأخرجوك قَدِّمْهُمْ نضرب أعناقهم، وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب، فأدخلهم فيه، ثم أضرم عليهم نارا، فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم، ثم قال رسول الله: " أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق ". قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب: فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يَهْوَ ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ " أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ - وأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [1] ﴾ [2].

قوله: ﴿ أَسْرَىٰ ﴾ [3] جمع أسير مثل قتلى وقتيل. قوله: ﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [4] أي: يبالغ في قتال المشركين وأسرهم، ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ [5]، أيها المؤمنون ﴿ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [6] بأخذكم الفداء، ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۗ ﴾ [7]،

(١) سورة الأنفال آية : ٦٧.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم (١٧٦٣/٥٨) كتاب الجهاد والسير، وله شواهد كثيرة.

(٣) سورة الأنفال آية : ٦٧.

(٤) سورة الأنفال آية : ٦٧.

(٥) سورة الأنفال آية : ٦٧.

(٦) سورة الأنفال آية : ٦٧.

(٧) سورة الأنفال آية : ٦٧.

يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم دين الله ﷻ ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧ ﴾ [(١)]، وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية، والأوقية أربعون درهما. قال ابن عباس رضي الله عنهما. كان هذا يوم بدر والمسلمـون يومئذ قليل، فلما كثروا، واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى: ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [(٢)]، فجعل الله ﷻ نبيه ﷺ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار إن شاؤوا قتلوهم وإن شاؤوا أعتقوهم، وإن شاؤوا استعبدوهم، وإن شاؤوا فادوهم.

[٦٨] قوله تعالى: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ [(٣)]، قال ابن عباس: كانت الغنائم حراما على الأنبياء والأمم فكانوا إذا أصابوا شيئا من الغنائم جعلوه للقربان، فكانت تـ ل نار من السماء فتأكله، فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم، وأخذوا الفداء، فأنزل الله ﷻ ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ [(٤)]، يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم. وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدا ممن شهد بدرا مع النبي ﷺ. وقال ابن جريج: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وأنه لا يأخذ قوما فعلوا أشياء بجهالة. ﴿ لَمَسَّكُمۡ ﴾ [(٥)] لنالكم وأصابكم، ﴿ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ ﴾ [(٦)]، من الفداء قبل أن تؤمروا به ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨ ﴾ [(٧)].

---

(١) سورة الأنفال آية : ٦٧.
(٢) سورة محمد آية : ٤.
(٣) سورة الأنفال آية : ٦٨.
(٤) سورة الأنفال آية : ٦٨.
(٥) سورة الأنفال آية : ٦٨.
(٦) سورة الأنفال آية : ٦٨.
(٧) سورة الأنفال آية : ٦٨.

[٦٩] ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، روى أنه لما نزلت الآية الأولى كف أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء ف ل: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴾[2] وروينا عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال. ﴿ أحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي ﴾[3].

قوله تعالى يَا أيها النبي قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى إِنْ يَعْلَم اللهُ فِي قُلوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِما أخِذَ مِنْكُمْ....

[٧٠] قولة تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴾[4]، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: (من الأسارى) بالألف والباقون بلا ألف، نزلت في العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان أسر يوم بدر، وكان قد خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم با الناحر، فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا، وبقيت العشرون أوقية معه، فأخذت منه في الحرب، فكلم النبي ﷺ أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبى، وقال: ﴿ أما شيءٌ خرجْتَ تستعينُ به علينا فلا أتركه لك ﴾، وكلف فداء ابني أخيه عقيل ابن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فقال العباس: يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت؟ فقال رسول الله ﷺ ﴿ فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة، وقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم "، يعني بنيه الأربعة، فقال له العباس: وما يدريك؟ قال: أخبرني به ربي عز وجل

(١) سورة الأنفال آية : ٦٩.
(٢) سورة الأنفال آية : ٦٩.
(٣) البخاري التيمم (٣٢٨)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١)، أحمد (٣٠٤/٣)، الدارمي الصلاة (١٣٨٩).
(٤) سورة الأنفال آية : ٧٠.

قال العباس: أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، ولم يطلع عليه أحد إلا الله ﷻ ﴿ فذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾[1] الذين أخذتم منهم الفداء ﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا ﴾[2]، أي: إيمانا، ﴿ يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾[3]، من الفداء، ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ﴾[4]، ذنوبكم ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ ﴾[5]، قال العباس رضي الله عنه فأبدلني الله عنها عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان عشرين أوقية، وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي عز وجل.

[٧١] قوله ﷻ ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ ﴾[6]، يعني الأسارى، ﴿ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ ﴾[7]، ببدر، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾[8]، قال ابن جريج: أراد بالخيانة الكفر، أي: إن كفروا بك، فقد كفروا بالله من قبل، فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم، وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم.

(١) سورة الأنفال آية : ٧٠.
(٢) سورة الأنفال آية : ٧٠.
(٣) سورة الأنفال آية : ٧٠.
(٤) سورة الأنفال آية : ٧٠.
(٥) سورة الأنفال آية : ٧٠.
(٦) سورة الأنفال آية : ٧١.
(٧) سورة الأنفال آية : ٧١.
(٨) سورة الأنفال آية : ٧١.

[٧٢] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ [١]، أي: هجروا قومهم وديارهم، يعني المهاجرين من مكة، ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ ﴾ [٢] رسول الله ﷺ والمهاجرين معه، أي: أسكنوهم منازلهم ﴿ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ [٣] أي: ونصروهم على أعدائهم، وهم الأنصار رضي الله عنهم، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ ﴾ [٤]، دون أقربائهم من الكفار. قيل: في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في الميراث، وكانوا يتوارثون بالهجرة، فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون ذوي الأرحام، وكان من آمن، ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة، وانقطعت الهجرة، وتوارثوا بالأرحام حيث ما كانوا، وصار ذلك منسوخا بقوله ﷻ ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [٥]، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [٦]، يعني الميراث، ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ [٧]، قرأ حمزة (ولايتهم) بكسر الواو والباقون بالفتح، وهما واحد كالدلالة والدلالة. ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [٨]، أي: استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا، ﴿ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ [٩]، عهد فلا تنصروهم عليهم، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [١] .

---

(١) سورة الأنفال آية : ٧٢.
(٢) سورة الأنفال آية : ٧٢.
(٣) سورة الأنفال آية : ٧٢.
(٤) سورة الأنفال آية : ٧٢.
(٥) سورة الأنفال آية : ٧٥.
(٦) سورة الأنفال آية : ٧٢.
(٧) سورة الأنفال آية : ٧٢.
(٨) سورة الأنفال آية : ٧٢.
(٩) سورة الأنفال آية : ٧٢.

[٧٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾ (٢) وقال ابن عباس: في الميراث، أي: يرث المشركون بعضهم من بعض ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٣)، قال ابن عباس: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به. وقال ابن جريج: إلا تعاونوا وتناصروا. وقال ابن إسحاق: جعل الله المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ ﴾ (٤)، وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ﴿ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ ﴾ (٥)، فالفتنة في الأرض قوة الكفر، والفساد الكبير ضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ (٦) ولا ريب في إيمانهم. قيل: حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذل المال في الدين، ﴿ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ ﴾ (٧) في الجنة. فإن قيل: أي معنى في تكرار هذه الآية؟ قيل: المهاجرون كانوا على طبقات فكان بعضهم أهل الهجرة الأولى وهم الذين هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين: هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة، فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى. ومن الثانية الهجرة الثانية.

---

(١) سورة الأنفال آية : ٧٢.
(٢) سورة الأنفال آية : ٧٣.
(٣) سورة الأنفال آية : ٧٣.
(٤) سورة الأنفال آية : ٧٣.
(٥) سورة الأنفال آية : ٧٣.
(٦) سورة الأنفال آية : ٧٤.
(٧) سورة الأنفال آية : ٧٤.

[٧٥] قولــه ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ ﴾ [(١)] أي: معكم، يريد أنتم منهم وهو منكــم، ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾[(٢)]، وهذا نسخ التوارث بالهجرة، ورد الميراث إلى ذوي الأرحام. قوله: ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [(٣)]، أي: في حكم الله عز وجل. وقيل: أراد بكتاب الله القــرآن، يعــني: القسمة التي بينها في سورة النساء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ [(٤)] .

(١) سورة الأنفال آية : ٧٥.
(٢) سورة الأنفال آية : ٧٥.
(٣) سورة الأنفال آية : ٧٥.
(٤) سورة الأنفال آية : ٧٥.

(٩) سورة التوبة

قوله تعالى بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ....

قال مقاتل: هذه السورة مدنية كلها إلا آيتين من آخر السورة. قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس سورة التوبة؟ قال: هي الفاضحة ما زالت تنزل فيهم حتى ظنوا أنا لم تبق أحدا منهم إلا ذكر فيها، قال. قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟قال: قل سورة بني النضير.

[١] قوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾[(١)]، أي: هذه براءة من الله. وهي مصدر كالنشاءة والدناءة.

قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف، وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ فأمر الله ﷻ ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾[(٢)] الآية. قال الزجاج: براءة أي: قد برئ الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء لهم بها إذا نكثوا، ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ ﴾[(٣)]، الخطاب مع أصحاب النبي ﷺ وإن كان النبي ﷺ هو الذي عاهدهم وعاقدهم؛ لأنه وأصحابه راضون بذلك، فكأنهم عاقدوا، وعاهدوا

[٢] ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[(٤)]، رجع من الخبر إلى والخطاب، أي: قل لهم سيحوا أي: سيروا في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المسلمين، ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ﴾[(٥)]، أي: غير فائتين ولا سابقين ﴿ وَأَنَّ

---

(١) سورة التوبة آية : ١.

(٢) سورة الأنفال آية : ٥٨.

(٣) سورة التوبة آية : ١.

(٤) سورة التوبة آية : ٢.

(٥) سورة التوبة آية : ٢.

ﭐللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [1]، أي: مذلهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذي برئ الله ورسوله إليهم من العهود التي، وكانت بينهم وبين رسول الله ﷺ فقال جماعة: هذا تأجيل من الله تعالى للمشركين، فمن كانت مدة، عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدته أكثر من أربعة أشهر حطه إلى أربعة أشهر ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود حده بأربعة أشهر، ثم هو حرب بعد ذلك لله ورسوله، فيقتل حيث يدرك ويؤسر، إلا أن يتوب، وابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من شهر ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم، وذلك خمسون يوما. وقال الزهري: الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذي الحجة والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، والأول هو الأصوب وعليه الأكثرون.

[٣] ﴿ وَأَذَٰنٌ ﴾ [2] عطف على قوله: ﴿ بَرَآءَةٌ ﴾ [3] أي: إعلام. ومنه الأذان بالصلاة، يقال: أذنته فأذن أي أعلمته. وأصله من الأذن أي: أوقعته في أذنه، ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ ﴾ [4]، اختلفوا في يوم الحج الأكبر، وروى عكرمة عن ابن عباس. أنه يوم عرفة. وروى ذلك عن عمر بن الخطاب وابن الزبير. وقال جماعة: هو يوم النحر. وروى ابن جريج عن مجاهد: يوم الحج الأكبر حين الحج أيام منى كلها. وكان سفيان الثوري يقول. يوم الحج الأكبر أيام منى كلها، مثل يوم صفين ويوم الجمل ويوم بعاث يراد به الحين والزمان؛ لأن هذه الحروب دامت أياما كثيرة. وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل: يوم الحج الأكبر الذي حج فيه رسول الله ﷺ وهو قول ابن

---

(١) سورة التوبة آية : ٢.

(٢) سورة التوبة آية : ٣.

(٣) سورة التوبة آية : ١.

(٤) سورة التوبة آية : ٣.

سيرين؛ لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين، ولم يجتمع قبله ولا بعده، واختلفوا في الحج الأكبر، فقال مجاهد: الحج الأكبر القرآن، والحج الأصغر إفراد الحج. وقال الزهري والشعبي وعطاء: الحج الأكبر الحج، والحج الأصغر العمرة. قيل لها الأصغر لنقصان أعمالها. قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ [1]، أي: ورسوله أيضا بريء من المشركين. وقرأ يعقوب بنصب اللام أي: إن الله ورسوله برئ. ﴿ فَإِن تُبْتُمْ ﴾ [2] رجعتم من كفركم، وأخلصتم التوحيد، ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ [3]، أعرضتم عن الإيمان، ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ ﴾ [4].

[٤] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [5]، هذا استثناء من قوله: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ ﴾ [6] إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين، وهم بنو ضمرة حي من كنانة، أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإتمام عهدهم إلى مدتم، وكان قد بقي من مدتم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [7] من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿ وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ ﴾ [8]، لم يعاونوا، ﴿ عَلَيْكُمْ

---

(١) سورة التوبة آية : ٣.
(٢) سورة التوبة آية : ٣.
(٣) سورة التوبة آية : ٣.
(٤) سورة التوبة آية : ٣.
(٥) سورة التوبة آية : ٤.
(٦) سورة التوبة آية : ١.
(٧) سورة التوبة آية : ٤.
(٨) سورة التوبة آية : ٤.

﴿ أَحَدًا ﴾[1]، مـن عدوكـم. وقـرأ عطـاء بن يسـار: (لم ينقضوكم) بالضـاد المعجمـة مـن نقض العهـد، ﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ ﴾[2]، فأوفـوا لهم بعهدهـم، ﴿ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ ﴾[3]، إلى أجلهـم الذي عاهدتموهـم عليـه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝ ﴾[4].

[5] قولـه تعالـى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ﴾[5]، انقضـى ومضـى ﴿ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ ﴾[6]، قيل: هي الأشهر الأربعة رجب وذو القعـدة وذو الحجة والمحرم. وقال مجاهد وابن إسحاق: هي شهور العهد فمن كان له عهده فعهده أربعة أشهر، ومن لا عهد له فأجله إلى انقضاء المحرم خمسون يوما. وقيل لها حرم لأن الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم. فإن قيل: هذا القدر بعض الأشهر الحـرم والله تعالى يقـول: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ ﴾[7]؟ قيل: لما كان هذا القدر متصلا بما مضى أطلق عليه اسـم الجمـع، ومعنـاه: مضـت المـدة المضروبة التي يكـون معهـا انسـلاخ الأشهـر الحـرم.قولـه: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾[8]، في الحـل الحـرم، ﴿ وَخُذُوهُمۡ ﴾[9]، وأسروهم،

---

(١) سورة التوبة آية : ٤.
(٢) سورة التوبة آية : ٤.
(٣) سورة التوبة آية : ٤.
(٤) سورة التوبة آية : ٤.
(٥) سورة التوبة آية : ٥.
(٦) سورة التوبة آية : ٥.
(٧) سورة التوبة آية : ٥.
(٨) سورة التوبة آية : ٥.
(٩) سورة التوبة آية : ٥.

﴿ وَٱحْصُرُوهُمْ ﴾[1]، أي: احبسهم. قال ابن عباس ﷺ يريد إن تحصنوا فاحصروهم، أي: امنعوهم من الخروج. وقيل. امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام. ﴿ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ ﴾[2]، أي: على كل طريق، والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته، يريد كونوا لهم رصدا لتأخذوهم من أي وجه توجهوا. وقيل: أقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها، ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾[3]، من الشرك، ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ ﴾[4]، يقول دعوهم فليتصرفوا في أمصارهم، ويدخلوا مكة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾[5]، لمن تاب، ﴿ رَّحِيمٌ ۝ ﴾[6]. وقال الحسين بن الفضل: هذه الآية نسخت كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء.

[٦] قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾[7]، أي: وإن استجارك أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم، أي: استأمنك بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله. ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾[8]، فأعذه وآمنه، ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[9]، فيما له وعليه من الثواب العقاب، ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ﴾[10]، أي: إن لم يسلم أبلغه مأمنه،

(١) سورة التوبة آية : ٥.
(٢) سورة التوبة آية : ٥.
(٣) سورة التوبة آية : ٥.
(٤) سورة التوبة آية : ٥.
(٥) سورة التوبة آية : ٥.
(٦) سورة التوبة آية : ٥.
(٧) سورة التوبة آية : ٦.
(٨) سورة التوبة آية : ٦.
(٩) سورة التوبة آية : ٦.
(١٠) سورة التوبة آية : ٦.

أي: الموضـع الذي يأمن فيه وهو دار قومه، فإن قاتلك بعد ذلك فقدرت عليه فاقتله، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾[(١)]، أي: لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله. قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة.

قوله تعالى كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إلا الذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ....

[٧] قولـه تعالـى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾[(٢)]، هذا على وجه التعجب، ومعناه جحد، أي: لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد، ثم استثنى فقال جل وعلا ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾[(٣)]، قال ابن عباس: هم قريش. وقـال قتـادة: هـم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية. قـال الله تعالـى: ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ ﴾[(٤)] أي: علـى العهـد، ﴿ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ ﴾[(٥)]، فلم يستقيموا، ونقضوا العهد، وأعانوا بني بكر على خزاعة، فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم إما أن يسلموا، وإما أن يلحقوا بأي بلاد شاؤوا، فأسلموا قبل الأربعة الأشهر. قال السدي والكلبي وابن إسحاق: هم قبائل من بكر بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الديل، وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية، فلم يكن نقض العهد إلا قريش وبنو الديل من بني بكر، فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض وهم

---

(١) سورة التوبة آية : ٦.

(٢) سورة التوبة آية : ٧.

(٣) سورة التوبة آية : ٧.

(٤) سورة التوبة آية : ٧.

(٥) سورة التوبة آية : ٧.

بنو ضمرة. وهذا القول أقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة، فكيف يقول لشيء قد مضى: ﴿ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ ﴾ [1] وإنما هم الذين قال ﷻ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [2] كما نقصكم قريش، ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ ﴾ [3].

[٨]قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ ﴾ [4]، هذا مردود على الآية الأولى تقديره: كيف يكون لهم عهد عند- الله وإن يظهروا عليكم، ﴿ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً ۚ ﴾ [5] قال الأخفش: كيف لا تقتلونم، وهم إن يظهروا عليكم، أي: يظفروا بكم، لا يرقبوا: لا يحفظوا. وقال الضحاك: لا ينتظروا. وقال قطرب: لا يراعوا فيكم إلا. قال ابن عباس والضحاك: قرابة وقال يمان: رحما. وقال قتادة الإل: الحلف. وقال السدي: هو العهد. وكذلك الذمة إلا أنه كرر لاختلاف اللفظين. وقال أبو مجلز ومجاهد: الإل هو الله ﷻ والدليل على هذا التأويل قراءة عكرمة (لا يرقبون في مؤمن إيلا) بالياء، يعني الله عـز وجـل. مثل جبرائيل وميكائيـل. ولا ذمـة أي: عهـدا. ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [6]، أي: يطيعونكم بألسنتهـم خلاف

---

(١) سورة التوبة آية : ٧.
(٢) سورة التوبة آية : ٤.
(٣) سورة التوبة آية : ٧.
(٤) سورة التوبة آية : ٨.
(٥) سورة التوبة آية : ٨.
(٦) سورة التوبة آية : ٨.

مـا في قلوبـهم، ﴿ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ ﴾[1]، الإيمـان ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨ ﴾[2]، فإن قيل: هذا في المشركين وكلهم فاسقون فكيف قال: ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨ ﴾[3]؟ قيل: أراد بالفسق نقض العهد هاهنا، وكان في المشركين من وفى بعهده وأكثرهم نقضوا فلهذا قال: ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨ ﴾[4].

[٩] ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾[5]، وذلك أنم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلة أطعمهم إياها أبو سفيان. قال مجاهد: أطعم أبو سفيان حلفاءه، ﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ ﴾[6]، فمنعوا الناس من الدخول في دين الله. وقال ابن عباس رضي الله عنه إن أهل الطائف أمدوهم بالأموال ليقووهم على حرب رسول الله ﷺ. ﴿ إِنَّهُمۡ سَآءَ ﴾[7] بئس ﴿ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩ ﴾[8].

[١٠] ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾[9] يقول: لا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ۝١٠ ﴾[10] بنقض العهد.

(١) سورة التوبة آية : ٨.
(٢) سورة التوبة آية : ٨.
(٣) سورة التوبة آية : ٨.
(٤) سورة التوبة آية : ٨.
(٥) سورة التوبة آية : ٩.
(٦) سورة التوبة آية : ٩.
(٧) سورة التوبة آية : ٩.
(٨) سورة التوبة آية : ٩.
(٩) سورة التوبة آية : ١٠.
(١٠) سورة التوبة آية : ١٠.

[١١] ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾[(١)]، من الشرك، ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ ﴾[(٢)]، فهم إخوانكم، ﴿ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾[(٣)]، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾[(٤)]، نبين الآيات ﴿ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [(٥)] قال ابن عباس: حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة. قال ابن مسعود: أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له.

[١٢] قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم ﴾[(٦)]، نقضوا عهودهم، ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾[(٧)]، عقدهم يعني مشركي قريش، ﴿ وَطَعَنُواْ ﴾[(٨)]، قدحوا ﴿ فِي دِينِكُمۡ ﴾[(٩)]، وعابوه. فهذا دليل على أن الذمي إذا طعن في دين الإسلام ظاهرا لا يبقى له عهد، ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾[(١٠)]، قرأ أهل الكوفة والشام: ﴿ أَئِمَّةَ ﴾ [(١١)] بهمزتين حيث كان، وقرأ الباقون بتليين الهمزة الثانية. وأئمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم من أهل مكة. قال ابن عباس: نزلت في أبي

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠.
(٢) سورة التوبة آية : ١١.
(٣) سورة التوبة آية : ١١.
(٤) سورة التوبة آية : ١١.
(٥) سورة التوبة آية : ١١.
(٦) سورة التوبة آية : ١٢.
(٧) سورة التوبة آية : ١٢.
(٨) سورة التوبة آية : ١٢.
(٩) سورة التوبة آية : ١٢.
(١٠) سورة التوبة آية : ١٢.
(١١) سورة التوبة آية : ١٢.

سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول. وقال مجاهد:

هم أهل فارس والروم. وقال حذيفة بن اليمان: ما قوتل أهل هذه الآية، ولم يأت أهلها بعد، ﴿ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ ﴾[1]، أي: لا عهود لهم، جمع يمين. قال قطرب: لا وفاء لهم بالعهد. وقرأ ابن عامر: (لا إيمان لهم) بكسر الألف، أي: لا تصديق لهم ولا دين لهم. وقيل. هو من الأمان أي لا تؤمنوهم، واقتلوهم حيث وجدتموهم، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[2]، أي. لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم. وقيل: عن الكفر.

[١٣] ثم حض المسلمين على القتال فقال جل ذكره: ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ ﴾[3]، نقضوا عهدهم، وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعة. ﴿ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾[4]، من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة، ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ ﴾[5]، بالقتال، ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[6]، يعني: يوم بدر، وذلك أنم قالوا حين سلم العير: لا ننصرف حتى نستأصل محمدا وأصحابه. وقال جماعة من المفسرين: أراد أنم بدأوا بقتال خزاعة حلفاء رسول

(١) سورة التوبة آية : ١٢.
(٢) سورة التوبة آية : ١٢.
(٣) سورة التوبة آية : ١٣.
(٤) سورة التوبة آية : ١٣.
(٥) سورة التوبة آية : ١٣.
(٦) سورة التوبة آية : ١٣.

الله ﷺ ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ ﴾[(1)]، أتخافونم فتتركون قتالـهم، ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾[(2)] في ترك قتالهم، ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[(3)].

(1) سورة التوبة آية : ١٣.

(2) سورة التوبة آية : ١٣.

(3) سورة التوبة آية : ١٣.

قوله تعالى قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ....

[١٤] ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ ﴾ (١)، يقتلهم الله بأيديكـم، ﴿ وَيُخۡزِهِمۡ ﴾ (٢)، ويذلهم بالأسر والقهر ﴿ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٍ ﴾ (٣)، ويبرئ داء قوم، ﴿ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤)، مما كانوا ينالونه من الأذى منهم. وقال مجاهد والسدي: أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث أعانت قريش بني بكر عليهم، حتى نكأوا فيهم، فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنبي ﷺ وبالمؤمنين.

[١٥] ﴿ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ ﴾ (٥)، كربها ووجدها بمعونة قريش بني بكر عليهم، ثم قال مستأنفا ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ ﴾ (٦)، فيهديه إلى الإسلام كما فعل بأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (٧).

[١٦] يقوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ ﴾ (٨)، أظننتم ﴿ أَن تُتۡرَكُواْ ﴾ (٩)، قيل: هذا خطاب للمنافقين. وقيل: للمؤمنين الذين شق عليهم القتال، فقال: أم حسبتم أن

---

(١) سورة التوبة آية : ١٤.
(٢) سورة التوبة آية : ١٤.
(٣) سورة التوبة آية : ١٤.
(٤) سورة التوبة آية : ١٤.
(٥) سورة التوبة آية : ١٥.
(٦) سورة التوبة آية : ١٥.
(٧) سورة التوبة آية : ١٥.
(٨) سورة التوبة آية : ١٦.
(٩) سورة التوبة آية : ١٦.

تتركوا، فلا تؤمروا بالجهاد، ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب، ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ﴾ [(١)]، ولم ير الله ﴿ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ [(٢)]، بطانة وأولياء يوالونم، ويفشون إليهم أسرارهم. وقال قتادة: وليجة خيانة. وقال الضحاك: خديعة. وقال عطاء: أولياء. وقال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم. فوليجة الرجل: من يختص بدخيلة أمره دون الناس، يقال: هو وليجتي، وهـم وليجتي للواحد والجمـع. ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [(٣)].

[١٧] قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)] الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أسر العباس يوم بدر عيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم، وأغلظ علي رضي الله عنه القول، فقال العباس: مالكم تذكرون مساوينا، ولا تذكرون محاسننا؟ فقال له علي رضي الله عنه ألكم محاسن؟ فقال نعم: إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاج، فأنزل الله عز وجل ردا على العباس: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ)، أي: ما ينبغي للمشركين أن يعمرا مساجد الله، وأوجب على المسلمين منعهم من ذلك، لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله وحده، فمن كان كافرا بالله فليس من شأنه أن يعمرها فذهب جماعة إلى أن المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد ومرمته عند الخراب، فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا يمتثل. وحمل بعضهم العمارة هاهنا على دخول المسجد والقعود فيه. قال الحسن: ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام. قرأ ابن كثير وأهل البصرة (مسجد الله) على التوحيد، وأراد به المسجد

---

(١) سورة التوبة آية : ١٦.

(٢) سورة التوبة آية : ١٦.

(٣) سورة التوبة آية : ١٦.

(٤) سورة التوبة آية : ١٧.

الحرام، لقوله تعالى. ﴿ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (١)، ولقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ (٢)، وقرأ الآخرون: (مساجد الله) بالجمع، والمراد منه أيضا المسجد الحرام. قال الحسن: إنما قال مساجد لأنه قبلة المساجد كـلها. قال الفراء: ربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول: أخذت في ركوب البراذين، ويقال: فلان كثير الدرهم والدينار، يريد الدراهم والدنانير. وقوله تعالى: ﴿ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ ﴾ (٣)، أراد وهم شاهدون، فلما طرحت (وهم) نصبت، قال الحسن: لم يقولوا: نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر. وقال الضحاك عن ابن عباس: شهادتم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام، وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، كلما طافوا شوطا سجدوا لأصنامهم، ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى إلا بعدا. وقال السدي: شهادتم على أنفسهم بالكفر وهو أن النصراني يسأل من أنت؟ فيقول: أنا نصراني، واليهودي يقول: أنا يهودي، ويقال للمشرك ما دينك؟ فيقول: مشرك. قال الله تعالى ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ﴾ (٤) لغير الله ﷻ ﴿ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٥).

[١٨] قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ ﴾ (٦) ولم يخف في الدين غير الله لم

---

(١) سورة التوبة آية : ١٩.
(٢) سورة التوبة آية : ٢٨.
(٣) سورة التوبة آية : ١٧.
(٤) سورة التوبة آية : ١٧.
(٥) سورة التوبة آية : ١٧.
(٦) سورة التوبة آية : ١٨.

يترك أمر الله لخشية غيره، ﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝١٨ ﴾[(1)]، (وعسى) من الله واجب، أي: فأولئك هم المهتدون، والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله ﷻ التي تؤدي إلى الجنة. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان " فإن الله قال: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [(2)] ﴾ [(3)].

[١٩] قوله: ﴿ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ ﴾ [(4)] قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال العباس حين أسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر أن عمارتم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا تنفعهم مع الشرك بالله، والإيمان بالله والجهاد مع النبي ﷺ خير مما هـم عليه ﴿ سِقَايَةَ ﴾ [(5)] مصدر كالرعاية والحماية. قوله: ﴿ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [(6)]، فيه اختصار تقديره: الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله وجهاد من جاهد في سبيل الله؟ وقيل: السقاية والعمارة بمعنى الساقي العامر، وتقديره: أجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله؟ وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ

(١) سورة التوبة آية : ١٨.

(٢) سورة التوبة آية : ١٨.

(٣) أخرجه الترمذي في الإيمان ٧ / ٣٦٦ وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في المساجد رقم (٨٠٢) ١ / ٢٦٣، والدارمي في الصلاة ١ / ٢٢٢، وصححه ابن حبان ص ٩٩ من موارد الظمآن، والحاكم ١ / ٢١٢،والإمام أحمد في المسند ٣ / ٦٨، ٧٦.

(٤) سورة التوبة آية : ١٩.

(٥) سورة التوبة آية : ١٩.

(٦) سورة التوبة آية : ١٩.

﴿ ١٣٢ ﴾[1] أي: للمتقين، يدل عليه قراءة عبد الله بن الزبير وأبي بن كعب (أجعلتم سُقَاة الحاج وعِمرَةَ المسجد الحرام)، على جمع الساقي والعامر، ﴿ وَجَـٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[2].

[٢٠] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾[3]،فضيلة ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾[4] من الذين افتخروا بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[5] الناجون من النار.

[٢١] ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[6].

[٢٢] ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[7].

[٢٣] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[8] بطانة وأصدقاء فتفشون إليهم أسراركم وتؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد، ﴿ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ﴾[9]، اختاروا ﴿ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ ﴾[10]،

(١) سورة طه آية : ١٣٢.
(٢) سورة التوبة آية : ١٩.
(٣) سورة التوبة آية : ٢٠.
(٤) سورة التوبة آية : ٢٠.
(٥) سورة التوبة آية : ٢٠.
(٦) سورة التوبة آية : ٢١.
(٧) سورة التوبة آية : ٢٢.
(٨) سورة التوبة آية : ٢٣.
(٩) سورة التوبة آية : ٢٣.
(١٠) سورة التوبة آية : ٢٣.

فيطلعهم على عورة المسلمين ويؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[1]، وكان في ذلك الوقت لا يقبل الإيمان إلا، من مهاجر، فهذا معنى قوله: (فأولئك هم الظالمون).

[٢٤] ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ ﴾[2] يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة، ﴿ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾[3]، وذلك لما نزلت الآية الأولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا، وذهبت تجاراتنا، وخُرّبتْ دورُنا، وقطعنا أرحامنا، ف ل ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾[4]، قرأ أبو بكر عن عاصم: (عشيراتكم) بالألف على الجمع، والآخرون بلا ألف على التوحيد لأن العشيرة واقعة على الجمع، ويقوي هذه القراءة أن أبا الحسن الأخفش قال: لا تكاد العرب تجمع العشيرة على العشيرات، إنما تجمعها على العشائر ﴿ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ ﴾[5]، أي: تستطيبونا يعني القصور والمنازل، ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾[6]، فانتظروا، ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[7]، قال عطاء: بقضائه. وقال مجاهد

(١) سورة التوبة آية : ٢٣.
(٢) سورة التوبة آية : ٢٤.
(٣) سورة التوبة آية : ٢٤.
(٤) سورة التوبة آية : ٢٤.
(٥) سورة التوبة آية : ٢٤.
(٦) سورة التوبة آية : ٢٤.
(٧) سورة التوبة آية : ٢٤.

ومقاتل: بفتح مكة، وهذا أمـر تديـد، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ﴾[1]، لا يوفـق ولا يرشـد ﴿ ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٤ ﴾[2] الخارجون عن الطاعة.

[٢٥]قولـه تعالـى: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ ﴾[3]، أي: مشاهـد، ﴿ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ ﴾[4] حتى قلتم: لن نغلب اليوم من قلة ﴿ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ ﴾[5]، كثرتكم، ﴿ شَيۡـٔٗا ﴾[6]، يعني إن الظفر لا يكون بالكثرة، ﴿ وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾[7]، أي: برحبها وسعتهـا، ﴿ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥ ﴾[8] منهزمين.

[٢٦] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[9]، بعد الهزيمة، ﴿ سَكِينَتَهُۥ ﴾[10]، يعني: الأمنة والطمأنينة، وهي فعيلة من السكون ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾[11]، يعني. الملائكة. وقيل: لا للقتال، ولكن لتجبين الكفار، وتشجيع المسلمين، لأنه يروى أن الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر، ﴿

(١) سورة التوبة آية : ٢٤.
(٢) سورة التوبة آية : ٢٤.
(٣) سورة التوبة آية : ٢٥.
(٤) سورة التوبة آية : ٢٥.
(٥) سورة التوبة آية : ٢٥.
(٦) سورة التوبة آية : ٢٥.
(٧) سورة التوبة آية : ٢٥.
(٨) سورة التوبة آية : ٢٥.
(٩) سورة التوبة آية : ٢٦.
(١٠) سورة التوبة آية : ٢٦.
(١١) سورة التوبة آية : ٢٦.

﴿ وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ ﴾[1]، بالقتل والأسر وسبي العيال وسلب الأموال، ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2].

[٢٧] ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ ﴾[3] فيهديه إلى الإسلام، ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[4].

قوله تعالى يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا إِنمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرُبوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا.....

[٢٨] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[5] الآية، قال الضحاك وأبو عبيدة: نجس قذر. وقيل: خبيث. وهو مصدر يستوي فيه الذكر والأنثى والتثنية والجمع، فأما النجس بكسر النون وسكون الجيم فلا يقال على الانفراد، إنما يقال: رجس نجس، فإذا أفرد قيل: نجس بفتح النون، وكسر الجيم، وأراد به نجاسة الحكم لا نجاسة العين، سموا نجسا على الذم. وقال قتادة: سماهم نجسا؛ لأنهم يجنبون فلا يغتسلون، ويحدثون فلا يتوضؤون. وقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾[6]، أراد منعهم من دخول الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام، وأراد به الحرم، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[7]، وأراد به الحرم لأنه أسرى به من بيت أم هانئ. قوله: ﴿ بَعْدَ عَامِهِمْ

(١) سورة التوبة آية : ٢٦.

(٢) سورة التوبة آية : ٢٦.

(٣) سورة التوبة آية : ٢٧.

(٤) سورة التوبة آية : ٢٧.

(٥) سورة التوبة آية : ٢٨.

(٦) سورة التوبة آية : ٢٨.

(٧) سورة الإسراء آية : ١.

هَٰذَا ۚ ﴾ [١]، يعني العام الذي حج فيه أبو بكر ﷺ بالناس، ونادى علي كرم الله وجهه ببراءة، وهو سنة تسع من الهجـرة. قولـه: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ [٢]، وذلك أن أهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يأتون مكة بالطعام، ويتجرون، فلما منعوا من دخول الحرم خافوا الفقر، وضيق العيش، وذكروا لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ [٣] فقرا وفاقة، يقال: عال يعيل عيلة إذا افتقر، ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [٤]، قال عكرمة: فأغناهم الله ﷻ بأن أنزل عليهم المطر مدرارا، فكثر خيرهم. وقال مقاتل: أسلم أهل جدة وصنعاء وجريش من اليمن، وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون. وقال الضحاك وقتادة: عوضهم الله منها الجزية فأغناهم بها.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [٥]، قال مجاهد: نزلت هذه الآية حين أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم، فغزا بعد نزولها غزوة تبوك. وقال الكلبي: نزلت في قريظة والنضير من اليهود، فصالحهم وكانت أول جزية أصابا أهل الإسلام، وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين: قال الله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [٦]، فإن قيل: أهل الكتاب مؤمنون بالله واليوم الآخر؟ قيل: لا يؤمنون كإيمان المؤمنين، فإنم إذا قالوا: عزير ابن الله والمسيح ابن الله، لا

---

(١) سورة التوبة آية : ٢٨.

(٢) سورة التوبة آية : ٢٨.

(٣) سورة التوبة آية : ٢٨.

(٤) سورة التوبة آية : ٢٨.

(٥) سورة التوبة آية : ٢٩.

(٦) سورة التوبة آية : ٢٩.

يكون ذلك إيمانا بالله. ﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ [1]، أي: لا يدينون الدين الحق، أضاف الاسم إلى الصفة. وقال قتادة: الحق هو الله، أي: لا يدينون دين الله ودينه الإسلام. وقال أبو عبيدة: معناه ولا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحق. ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [2]، يعني: اليهود والنصارى ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ ﴾ [3]، وهي الخراج المضروب على رقابهم، ﴿ عَن يَدٍ ﴾ [4]، عن قهر وذل. قال أبو عبيدة: يقال لكل من أعطى شيئا كرها من غير طيب نفس أعطاه عن يد. وقال ابن عباس: يعطونها بأيديهم، ولا يرسلون بها على يد غيرهم. وقيل: عن يد أي: نقد ولا نسيئة. وقيل: عن إقرار بإنعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم، ﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩ ﴾ [5]، أذلاء مقهورون.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ ﴾ [6]، يقولون بألسنتهم من غير علم. قال أهل المعاني: لم يذكر الله تعالى قولا مقرونا بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زورا. ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ ﴾ [7]، قرأ عاصم بكسر الهاء مهموزا، والآخرون بضم الهاء مهموزا، وهما لغتان يقال: ضاهيته وضاهأته، ومعناهما واحد. قال ابن عباس رضي الله عنهما يشابهون. والمضاهاة المشابهة. وقال مجاهد:

(١) سورة التوبة آية : ٢٩.
(٢) سورة التوبة آية : ٢٩.
(٣) سورة التوبة آية : ٢٩.
(٤) سورة التوبة آية : ٢٩.
(٥) سورة التوبة آية : ٢٩.
(٦) سورة التوبة آية : ٣٠.
(٧) سورة التوبة آية : ٣٠.

يواطئون. وقال الحسن: يوافقون، ﴿ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ﴾[1]، قال قتادة والسدي: ضاهت النصارى قول اليهود من قبل، فقالوا: المسيح ابن الله كما قالت اليهود من قبل عزير ابن الله. وقال مجاهد: يضاهئون قول المشركين من قبل الذين كانوا يقولون: اللات والعزى ومناة بنات الله. وقال الحسن: شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة كما قال في مشركي العرب: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[2]. وقال القتيبي: يريد أن من كان في عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولوهـم ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[3]، قال ابن عباس: لعنهم الله. وقال ابن جريج: أي: قتلهم الله. وقيل: ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى العجب، ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ﴾[4]، أي: يصرفون عن الحق بعد قيام الأدلة عليه.

[٣١] ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾[5]، أي: علماءهم وقراءهم، والأحبار العلماء واحدها حِبر وحَبر، بكسر الحاء وفتحها، والرهبان من النصارى أصحاب الصوامع واحدها راهب، كصاحب وصحبان، ﴿ أَرْبَابًا ﴾[6]، فإن قيل: إنم لم يعبدوا الأحبار والرهبان؟ قلنا: معناه أنم أطاعوهم في معصية الله، واستحلوا ما أحلوا، وحرموا ما حرموا، فاتخذوهم كالأرباب. ● عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٠.

(٢) سورة البقرة آية : ١١٨.

(٣) سورة التوبة آية : ٣٠.

(٤) سورة التوبة آية : ٣٠.

(٥) سورة التوبة آية : ٣١.

(٦) سورة التوبة آية : ٣١.

يقرأ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (١) حتى فرغ منها، قلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟ قال: قلت: بلى، قال: فتلك عبادتم ﴾ (٢). ﴿ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ (٣)، أي: اتخذوه إلها، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٤).

قوله تعالى يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ....

[٣٢] ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ (٥)، أي: يبطلوا دين الله بألسنتهم وتكذيبهم إياه. وقال الكلبي: النور القرآن، أي: يريدون أن يردوا القرآن بألسنتهم تكذيبا، ﴿ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ (٦) أي: يعلي دينه، ويظهر، ويتم الحق الذي بعث به محمد ﷺ ﴿ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٧).

[٣٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ ﴾ (٨)، يعني: الذي يأبى إلا إتمام دينه هو الذي أرسل رسوله محمدا ﷺ ﴿ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ (١)، قيل القرآن. وقيل: ببيان

(١) سورة التوبة آية : ٣١.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٤ / ٢١٥، ورواه مختصرا الترمذي في تفسير سورة براءة ٨ / ٤ / ٤٩٢-٤٩٤ وقال: حديث غريب.

(٣) سورة التوبة آية : ٣١.

(٤) سورة التوبة آية : ٣١.

(٥) سورة التوبة آية : ٣٢.

(٦) سورة التوبة آية : ٣٢.

(٧) سورة التوبة آية : ٣٢.

(٨) سورة التوبة آية : ٣٣.

الفرائض، ﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾[2]، وهـو الإسلام، ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ ﴾[3]، ليعليـه، وينصـره، ﴿ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[4]، على سائـر الأديان كلهـا، ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[5]، واختلفوا في معنى هذه الآية، قال ابن عباس: الهاء عائدة إلى رسول الله ﷺ ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء. وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى دين الحق، وظهوره على الأديان هو أن لا يدان الله تعالى إلا به. وقال أبو هريرة والضحاك: وذلك عند نزول عيسى ابن مريم لا يبقى أهل دين إلا دخل في الإسلام. قال الحسين بن الفضل: معنى الآية ليظهره على الدين كله بالحجج الواضحة. وقيل: ليظهره على الأديان التي حول النبي ﷺ فيغلبها. قال الشافعي رحمه الله: فقد أظهر الله رسوله ﷺ على الأديان كلها بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق، وما خالفه من الأديان باطل، وقال. وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الأميين، فقهر رسول الله ﷺ الأميين حتى دانوا بالإسلام طوعا وكرها، وقتل أهل الكتاب وسبى، حتى دان بعضهم بالإسلام، وأعطى بعضهم الجزية صاغرين، وجرى عليهم حكمه، فهذا ظهوره على الدين كله، والله أعلم.

[٣٤] يقـول تعالـى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ ﴾[6]، يعني: العلماء والقراء من أهل الكتاب، ﴿ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٣.
(٢) سورة التوبة آية : ٣٣.
(٣) سورة التوبة آية : ٣٣.
(٤) سورة التوبة آية : ٣٣.
(٥) سورة التوبة آية : ٣٣.
(٦) سورة التوبة آية : ٣٤.

بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ [(١)]، يريد ليأخذون الرشا في أحكامهم، ويحرفون كتاب الله، ويكتبون بأيديهم كتبا يقولون هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم، وهي المأكل التي يصيبونها منهم على تغيير نعت النبي ﷺ يخافون لو صدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل، ﴿ وَيَصُدُّونَ ﴾ [(٢)]، ويصرفون الناس، ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [(٣)]، دين الله ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)]، قال ابن عمر رضي الله عنهما. كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفونا وكل مال لا تؤدي زكاته فهو كنز، وإن إن لم يكن مدفونا. ومثله عن ابن عباس. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز، أديت منه الزكاة أو لم تؤد، وما دونها نفقة. وقيل: ما فضل عن الحاجة فهو كنز والقول الأول أصح أن الآية في منع الزكاة لا في جمع المال الحلال. قال النبي ﷺ ﴿ نعم المال الصالح للرجل الصالح ﴾ [(٥)] [(٦)]، قوله ﷻ ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [(٧)]، قيل: لم قال: (وَلَا يُنفِقُونَهَا)، ولم يقل: ولا ينفقونهما، وقد ذكر الذهب والفضة جميعا؟ قيل: أراد الكنوز وأعيان الذهب والفضة. وقيل: رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم، كما قال: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ

(١) سورة التوبة آية : ٣٤.
(٢) سورة التوبة آية : ٣٤.
(٣) سورة التوبة آية : ٣٤.
(٤) سورة التوبة آية : ٣٤.
(٥) أحمد (١٩٧/٤).
(٦) قال العلامة العجلوني في كتابة كشف الخفاء ج٢ ص ٤٢٤: "رواه أحمد وابن منيع عن عمرو بن العاص.
(٧) سورة التوبة آية : ٣٤.

وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾[1]، رد الكناية إلى الصلاة لأنا أعم ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[2]. أي: أنذرهم.

[٣٥] ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾[3]، أي: تدخل النار، فيوقد عليها أي: على الكنوز، محالة ﴿ فَتُكْوَىٰ بِهَا ﴾[4]، فتحرق با، ﴿ جِبَاهُهُمْ ﴾[5]، أي: تدخل النار فيوقد عليها أي: ﴿ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾[6] سئل أبو بكر الوراق: لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي؟ قال: لأن الغني صاحب الكـ إذا رأى الفقير قبض جبهته، وزوى ما بين عينيه، وولاه ظهره، وأعرض عنه بكشحه. قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ ﴾[7]، أي: يقال لهم هذا ما كـ تم، ﴿ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[8]، أي: تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم. وقال بعض الصحابة: هذه الآية في أهل الكتاب. وقال الأكثرون. هي عامة في أهل الكتاب والمسلمين، وبه قال أبو ذر رضي الله عنه.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ﴾[9]، أي: عدد الشهور، ﴿ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾[1]، وهي المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الثاني وجمادى

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٥.
(٢) سورة التوبة آية : ٣٤.
(٣) سورة التوبة آية : ٣٥.
(٤) سورة التوبة آية : ٣٥.
(٥) سورة التوبة آية : ٣٥.
(٦) سورة التوبة آية : ٣٥.
(٧) سورة التوبة آية : ٣٥.
(٨) سورة التوبة آية : ٣٥.
(٩) سورة التوبة آية : ٣٦.

الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة. وقوله: ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [٢] أي: في حكم الله. وقيل: في اللوح المحفوظ ﴿ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [٣]، والمراد منه الشهور الهلالية، وهي الشهور التي يعتد بها المسلمون في صيامهم وحجهم وأعيادهم وسائر أمورهم، الشمسية تكون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم، والهلالية تنقص عن ثلاث مائة وستين يوما بنقصان الأهلة. والغالب أنا تكون ثلاثمائة يوم وأربعة وخمسين يوما، ﴿ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ﴾ [٤]، من الشهور أربعة حرم وهي: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، واحد فرد وثلاثة سرد ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ ﴾ [٥]، أي: الحساب المستقيم، ﴿ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ [٦]،قيل: قوله: (فيهن) ينصرف إلى جميع شهور السنة، أي: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعصية، وترك الطاعة. وقيل: (فيهن) أي: في الأشهر الحرم. قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيما. وقال ابن عباس: فلا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن. قال محمد بن إسحاق بن يسار: لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل أهل الشرك وهو النسيء، ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ ﴾ [٧]،

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٦.
(٢) سورة التوبة آية : ٣٦.
(٣) سورة التوبة آية : ٣٦.
(٤) سورة التوبة آية : ٣٦.
(٥) سورة التوبة آية : ٣٦.
(٦) سورة التوبة آية : ٣٦.
(٧) سورة التوبة آية : ٣٦.

جميعا عامة، ﴿ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم. فقال قوم: كان كبيرا، ثم نسخ بقوله: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) كأنه يقول فيهن وفي غيرهن. وهو قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري، وقالوا: إن النبي ﷺ غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف، وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة. وقال الآخرون: إنه غير منسوخ؛ قال ابن جريج: حلف بالله عطاء بن أبي رباح: ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا فيها، وما نسخت.

قوله تعالى إِنَمَا النسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلِ بِهِ الذِينَ كَفَرُوا....

[٣٧] قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ ﴾[2]، قيل: هو مصدر كالسعير والحريق. وقيل: هو مفعول كالجريح والقتيل، وهو من التأخير. ومنه النسيئة في البيع، يقال: أنسأ الله في أجله أي: أخر، وقيل: هو من النسيان على معنى المنسي أي: المتروك. ومعنى النسيء هو تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر، وذلك أن العرب كانت تعتقد تعظيم الأشهر الحرم، وكان ذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام، وكانت عامة معايشهم من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر على التوالي، وربما وقعت لهم حرب في بعض الأشهر الحرم، فيكرهون تأخير حربهم فنسؤوا- أي: أخروا- تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر، وكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، فيحرمون صفر، ويستحلون المحرم، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع هكذا شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها. قال مجاهد: كانوا يحجون في كل شهر عامين، فحجوا في شهر ذي الحجة عامين، ثم حجوا في المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكذلك في الشهور، فوافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبل حجة الوداع السنة

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٦.

(٢) سورة التوبة آية : ٣٧.

الثانية من ذي القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع، فوافق حجه شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة اليوم التاسع، وخطب اليوم العاشر بمنى، وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان، وعاد الأمر إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر الحرم يوم خلق السماوات والأرض، وأمرهم بالمحافظة عليه لئلا يتبدل في مستأنف الأيام فهذا الذي ذكرنا هو النسيء الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ ﴾ (١)، يريد زيادة كفر على كفرهم، ﴿ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ ﴾ (٢)، يعني النسيء ﴿ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ ﴾ (٣)، أي: ليوافقوا، والمواطأة الموافقة، ﴿ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ (٤) يريد أنهم لم يحلوا شهرا من الحرام إلا حرموا مكانه شهرا من الحلال، ولم يحرموا شهرا من الحلال إلا أحلوا مكانه شهرا من الحرام، لئلا يكون الحرم أكثر من أربعة أشهر كما حرم الله فيكون الموافقة في العدد، ﴿ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ ﴾ (٥)، قال ابن عباس: يريد زين لهم الشيطان، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٦).

[٣٨] قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ (٧) الآية، نزلت في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن النبي ﷺ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم، وكان ذلك في زمان عسرة من

(١) سورة التوبة آية : ٣٧.
(٢) سورة التوبة آية : ٣٧.
(٣) سورة التوبة آية : ٣٧.
(٤) سورة التوبة آية : ٣٧.
(٥) سورة التوبة آية : ٣٧.
(٦) سورة التوبة آية : ٣٧.
(٧) سورة التوبة آية : ٣٨.

الناس وشدة من الحر حين طابت الثمار والظلال فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فأنـزل الله تعالـى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ﴾ [1] أي: قال لكـم رسول الله ﷺ ﴿ ٱنفِرُواْ ﴾ [2] اخرجوا في سبيل الله ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [3] أي: لزمتـم أرضكم ومساكنكم، ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ [4]، أي: بخفض الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة، ﴿ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ ﴾ [5].

[٣٩] ثم أوعدهم على ترك الجهاد، فقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [6] في الآخرة. وقيل: هو احتباس المطر عنهم في الدنيا ﴿ وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ﴾ [7] خيرا منكم وأطوع ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔاۗ ﴾ [8]، بترككـم النفير. ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ [9].

[٤٠] قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [10]، هذا إعلام من الله ﷻ أنه المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه، أعانوه أو لم يعينوه، وأنه قد نصره عند

(١) سورة التوبة آية : ٣٨.
(٢) سورة التوبة آية : ٣٨.
(٣) سورة التوبة آية : ٣٨.
(٤) سورة التوبة آية : ٣٨.
(٥) سورة التوبة آية : ٣٨.
(٦) سورة التوبة آية : ٣٩.
(٧) سورة التوبة آية : ٣٩.
(٨) سورة التوبة آية : ٣٩.
(٩) سورة التوبة آية : ٣٩.
(١٠) سورة التوبة آية : ٤٠.

قلة الأولياء وكثرة الأعداء، فكيف به اليوم وهو في كثرة من الْعَدَدِ وَالْعَدَدِ ﴿ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (١)، من مكة حين مكروا بـه وأرادوا تبييته وهموا بقتلـه، ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ (٢) أي: هو أحد الاثنين، والاثنان: أحدهما رسول الله ﷺ والآخر أبو بكر الصديق ﷺ ﴿ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ (٣)، وهو نقب في جبل ثور بمكة، ﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ (٤)، قال الشعبي: عاتب الله ﷻ أهل الأرض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر الصديق ﷺ ولم يكن حزن أبي بكر جبنا منه، وإنما كان إشفاقا على رسول الله ﷺ ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ (٥)، قيل: على النبي ﷺ. وقال ابن عباس: على أبي بكـر ﷺ فإن النبي ﷺ وكانت عليـه السكينة من قبـل، ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ (٦)، وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، وقيل: ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا. وقال مجاهد والكلبي: أعانه بالملائكة يوم بدر، أخبر أنه صـرف عنه كيـد الأعداء في الغار، ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر، ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ ﴾ (٧)، وكلمتهم الشرك وهي السفلي إلى يوم القيامة، ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ﴾ (٨) إلى يوم القيامة. قال ابن عباس: هي قول

---

(١) سورة التوبة آية : ٤٠.

(٢) سورة التوبة آية : ٤٠.

(٣) سورة التوبة آية : ٤٠.

(٤) سورة التوبة آية : ٤٠.

(٥) سورة التوبة آية : ٤٠.

(٦) سورة التوبة آية : ٤٠.

(٧) سورة التوبة آية : ٤٠.

(٨) سورة التوبة آية : ٤٠.

لا إله إلا الله. وقيل: كلمة الذين كفروا ما قدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله وعد الله أنه ناصره ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1].

قوله تعالى ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ....

[٤١] قوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ [2]، قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة: شبانا وشيوخا. وعن ابن عباس: نشاطا وغير نشاط. وقال عطية العوفي: ركبانا ومشاة. وقال أبو صالح: خفافا من المال أي: فقراء، وثقالا أي: أغنياء. وقال ابن زيد: الثقيل الذي له الضيعة، فهو ثقيل يكره أن يدع ضيعته، والخفيف الذي لا ضيعة له. ويروى عن ابن عباس قال: خفافا أهل الميسرة من المال وثقالا أهل العسرة. وقيل: خفافا من السلاح، أي: مقلين منه، وثقالا أي: مستكثرين منه، وقال مرة الهمداني: أصحاء ومرضى. وقال يمان بن رباب: عزابا ومتأهلين. وقيل: خفافا من حاشيتكم وأتباعكم، وثقالا مستكثرين بهم. وقيل: خفافا مسرعين خارجين ساعة سماع النفير، وثقالا بعد التروي فيه والاستعداد له ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3] قال عطاء الخراساني عن ابن عباس: نسخت هذه الآية بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [4]، قال السدي: لما نزلت هذه الآية اشتد شأنا على الناس فنسخها

(١) سورة التوبة آية : ٤٠.

(٢) سورة التوبة آية : ٤١.

(٣) سورة التوبة آية : ٤١.

(٤) سورة التوبة آية : ١٢٢.

الله تعالى، وأنزل: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾ [(١)] الآية. ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك:

[٤٢] ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾ [(٢)]، واسم كان مضمر، أي: لو كان ما تدعوهم إليه عرضا قريبا، أي: غنيمة قريبة المتناول، ﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾ [(٣)]، أي: قريبا هنـا، ﴿ لَّٱتَّبَعُوكَ ﴾ [(٤)]، لخرجـوا معـك، ﴿ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ ﴾ [(٥)] أي: المسافة، والشقة السفر البعيد لأنه يشق على الإنسان. وقيل: الشقة الغاية التي يقصدونا، ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [(٦)]، يعني باليمين الكاذبة، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [(٧)]، في أيمانم لأنم كانوا مستطيعين.

[٤٣] ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ [(٨)]، قال عمرو بن ميمون: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بما: إذنه للمنافقين وأخذه الفدية من أسارى بدر، فعاتبه الله كما تسمعون. قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب. قيل: إن الله ﷻ وقره، ورفع محله بافتتاح الكلام بالدعاء له، كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريما

---

(١) سورة التوبة آية : ٩١.

(٢) سورة التوبة آية : ٤٢.

(٣) سورة التوبة آية : ٤٢.

(٤) سورة التوبة آية : ٤٢.

(٥) سورة التوبة آية : ٤٢.

(٦) سورة التوبة آية : ٤٢.

(٧) سورة التوبة آية : ٤٢.

(٨) سورة التوبة آية : ٤٣.

عنده: عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي، ورضي الله عنك ألا زرتني. وقيل معناه: أدام الله لك العفو.

﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾[(١)]، أي: في التخلف عنك ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾[(٢)]، في أعذارهم، ﴿ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[(٣)] فيها أي: تعلم من لا عذر له. قال ابن عباس رضي الله عنه. لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ.

[٤٤] ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ ﴾[(٤)]، أي: لا يستأذنك في التخلف، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[(٥)].

[٤٥] ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[(٦)] أي: شكت ونافقت، ﴿ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[(٧)]، يتحيرون.

---

(١) سورة التوبة آية : ٤٣.
(٢) سورة التوبة آية : ٤٣.
(٣) سورة التوبة آية : ٤٣.
(٤) سورة التوبة آية : ٤٤.
(٥) سورة التوبة آية : ٤٤.
(٦) سورة التوبة آية : ٤٥.
(٧) سورة التوبة آية : ٤٥.

[٤٦] ﴿ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ ﴾ [١] إلى الغزو، ﴿ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ ﴾ [٢]، أي: ﴿ عُدَّةً ﴾ [٣]، أهبة وقـوة من السلاح والكـراع، ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ﴾ [٤]، خـروجهـم، ﴿ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾ [٥]، منعـهـم وحبسهـم عـن الخـروج، ﴿ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ ﴾ [٦]، في بيوتكـــم، ﴿ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦ ﴾ [٧]، يعني: مع المرضى والزمنى. وقيل: مع النسوان والصبيان. وقوله ﷻ (وَقِيلَ) أي: قال بعضهم لبعض: اقعدوا. وقيل: أوحى إلى قلوبهم وألهموا أسباب الخذلان.

[٤٧] ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم ﴾ [٨]، وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك، فضرب رسول الله ﷺ عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبي على ذي جُدة أسفل من ثنية الوداع، ولم يكن بأقل العسكرين، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهـل الريب، فأنزل الله تعالى يعزي نبيه ﷺ ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ ﴾ [٩] يعني المنافقون ﴿ فِيكُم ﴾ [١٠] أي: معكم، ﴿ مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا

---

(١) سورة التوبة آية : ٤٦.
(٢) سورة التوبة آية : ٤٦.
(٣) سورة التوبة آية : ٤٦.
(٤) سورة التوبة آية : ٤٦.
(٥) سورة التوبة آية : ٤٦.
(٦) سورة التوبة آية : ٤٦.
(٧) سورة التوبة آية : ٤٦.
(٨) سورة التوبة آية : ٤٧.
(٩) سورة التوبة آية : ٤٧.
(١٠) سورة التوبة آية : ٤٧.

﴿ خَبَالاً ﴾[1]، أي: فسادا وشرا، ومعنى الفساد. إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر، ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ ﴾[2] أسرعوا، ﴿ خِلَٰلَكُمْ ﴾[3]، في وسطكم بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة ونقل الحديث من البعض إلى البعض. وقيل: ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾[4] أي: أسرعوا فيما يخل بكم. ﴿ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾[5]، أي: يطلبون لكم ما تفتنون به، يقولون: لقد جمع لكم كذا وكذا وإنكم مهزومون، وسيظهر عليكم عدوكما ونحو ذلك. وقال الكلبي: يبغونكم الفتنة يعني: العنت[6] والشر. وقال الضحاك: الفتنة الشرك، ويقال: بغيته الشـر والخير أبغيـه بغيا إذا التمسته لـه، يعني: بغيت لـه. ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾[7]، قال مجاهد: معناه وفيكم مخبرون لهم يؤدون إليهم ما يسمعون منكـم، وهم الجواسيس. وقال قتادة: معناه وفيكم مطيعون لهم، أي: يستمعون كلامهم ويطيعونهم. ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[8].

---

(١) سورة التوبة آية : ٤٧.
(٢) سورة التوبة آية : ٤٧.
(٣) سورة التوبة آية : ٤٧.
(٤) سورة التوبة آية : ٤٧.
(٥) سورة التوبة آية : ٤٧.
(٦) في نسخة: (العيب).
(٧) سورة التوبة آية : ٤٧.
(٨) سورة التوبة آية : ٤٧.

قوله تعالى لَقَدِ ٱبْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتى جَاءَ الْحَق وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ....

[٤٨] ﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ ﴾ [(١)] أي: طلبوا صد أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر، وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم، كفعل عبد الله ابن أبي يوم أحد حين انصرف عنك بأصحابه. ﴿ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ ﴾ [(٢)]، أجالوا فيك وفي إبطال دينك الرأي، بالتخذيل عنك وتشتيت أمرك، ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [(٣)]، النصر والظفر، ﴿ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)]، دين الله، ﴿ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ۝٤٨ ﴾ [(٥)].

[٤٩]قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ ﴾ [(٦)]، نزلت في جد بن قيس المنافق، وذلك أن النبي ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال: ﴿ يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر؟ يعني الروم، تتخذ منهم سراري ووصفاء، فقال جد: يا رسول الله لقد عرف قومي أني رجل مغرم بالنساء، وإني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، ائذن لي في القعود ولا تفتني بن وأعينك بمالي ﴾. قال ابن عباس: ﴿ اعتل جد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق، فأعرض عنه النبي ﷺ فقال: أذنت لك فأنزل الله ﷻ ﴿ وَمِنۡهُم ﴾ [(٧)] يعني من المنافقين ﴿ مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي ﴾ [(٨)] في التخلف ﴿ وَلَا

---

(١) سورة التوبة آية : ٤٨.

(٢) سورة التوبة آية : ٤٨.

(٣) سورة التوبة آية : ٤٨.

(٤) سورة التوبة آية : ٤٨.

(٥) سورة التوبة آية : ٤٨.

(٦) سورة التوبة آية : ٤٩.

(٧) سورة التوبة آية : ٤٩.

(٨) سورة التوبة آية : ٤٩.

تَفۡتِنِّيٓۚ ﴾ [1] ببنـات الأصفـر ﴿. قال قتـادة: ولا تؤثمنـي. ﴿ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ ﴾ [2]، أي: في الشـرك والإثم وقعـوا بنفاقهم وخلافهـم أمر الله ورسوله، ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩ ﴾ [3] مطيفة عليهم وجامعة لهم فيها.

[٥٠] ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ ﴾ [4]، نصرة وغنيمة، ﴿ تَسُؤۡهُمۡۖ ﴾ [5]، تحزنهم، يعني: المنافقين، ﴿ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ ﴾ [6]، قتل وهزيمـة، ﴿ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا ﴾ [7]، حذرنا، أي: أخذنا بالحزم في القعود عن الغزو، ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ [8]، أي: من قبل هذه المصيبة، ﴿ وَيَتَوَلَّواْ ﴾ [9]، ويدبروا ﴿ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ٥٠ ﴾ [10]، مسرورون بما نالك من المصيبة.

[٥١] ﴿ قُل ﴾ [11] لهم يا محمد ﴿ لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [1]، أي: علينا في اللوح المحفوظ، ﴿ هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ ﴾ [2]، ناصرنا وحافظنا. وقال الكلبي: هو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾ [3].

---

(١) سورة التوبة آية : ٤٩.

(٢) سورة التوبة آية : ٤٩.

(٣) سورة التوبة آية : ٤٩.

(٤) سورة التوبة آية : ٥٠.

(٥) سورة التوبة آية : ٥٠.

(٦) سورة التوبة آية : ٥٠.

(٧) سورة التوبة آية : ٥٠.

(٨) سورة التوبة آية : ٥٠.

(٩) سورة التوبة آية : ٥٠.

(١٠) سورة التوبة آية : ٥٠.

(١١) سورة التوبة آية : ٥١.

[٥٢] ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ ﴾[٤]، تنتظرون بنا أيها المنافقون، ﴿ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾[٥]، إما النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة، وروينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة »[٦] [٧]. ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾[٨]، إحدى السوأتين إما ﴿ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ ﴾[٩]، فيهلككم كما أهلك الأمم الخالية ﴿ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾[١٠]، أو بأيدي المؤمنين إن أظهرتم ما في قلوبكم، ﴿ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[١١]، قال الحسن: فتربصوا مواعيد الشيطان إنا متربصون مواعيد الله من إظهار دينه واستئصال من خالفه.

---

(١) سورة التوبة آية : ٥١.
(٢) سورة التوبة آية : ٥١.
(٣) سورة التوبة آية : ٥١.
(٤) سورة التوبة آية : ٥٢.
(٥) سورة التوبة آية : ٥٢.
(٦) البخاري فرض الخمس (٢٩٥٥)، مسلم الإمارة (١٨٧٦)، النسائي الجهاد (٣١٢٣)، ابن ماجه الجهاد (٢٧٥٣)، أحمد (٢/٢٣١)، مالك الجهاد (٩٧٤)، الدارمي الجهاد (٢٣٩١).
(٧) أخرجه البخاري في ال١ / ٢٢٠ ومسلم في الإمارة رقم (١٨٧٦) ٣ / ١٦ / ٣ / ١٤٩٦.
(٨) سورة التوبة آية : ٥٢.
(٩) سورة التوبة آية : ٥٢.
(١٠) سورة التوبة آية : ٥٢.
(١١) سورة التوبة آية : ٥٢.

[٥٣] ﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا ﴾[(١)]، أمر بمعنى الشرط والجزاء، أي: إن أنفقتم طوعا أو كرها، نزلت في جد بن قيس حين استأذن في القعود، قال أعينكم بمالي، يقول: إن أنفقتم طوعا أو كرها ﴿ لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ ﴾[(٢)]، أي: لأنكم، ﴿ كُنتُمۡ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ٥٣ ﴾[(٣)].

[٥٤] ﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ ﴾[(٤)]، صدقاتهم، ﴿ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾[(٥)] أي: المانع من قبول نفقاتهم كفرهم، ﴿ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ ﴾[(٦)]، متثاقلون لأنهم لا يرجون على أدائها ثوابا، ولا يخافون على تركها عقابا، فإن قيل: كيف ذم الكسل في الصلاة ولا صلاة لهم أصلا؟ قيل: الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مكسل والإيمان منشط، ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤ ﴾[(٧)]، لأنهم يعدونا مغرما ومنعها مغنما.

قوله تعالى فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا....

[٥٥] ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ ﴾[(٨)]، والإعجاب هو السرور بما يتعجب منه، يقول: لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد لأن العبد إذا كان

---

(١) سورة التوبة آية : ٥٣.
(٢) سورة التوبة آية : ٥٣.
(٣) سورة التوبة آية : ٥٣.
(٤) سورة التوبة آية : ٥٤.
(٥) سورة التوبة آية : ٥٤.
(٦) سورة التوبة آية : ٥٤.
(٧) سورة التوبة آية : ٥٤.
(٨) سورة التوبة آية : ٥٥.

من الله في استدراج كثر الله مالـه وولـده، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [(١)]، فإن قيل: أي تعذيب في المال والولد وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟ قيل: قال مجاهد وقتادة: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقيل: التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد. وقال الحسن: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكاة منها والنفقة في سبيل الله. وقيل: يعذبهم بالتعب في جمعه والوجل في حفظه والكره في إنفاقه، والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده، ثم يقدم على ملك لا يعذره.

﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾ [(٢)]، أي: تخرج، ﴿ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝ ﴾ [(٣)]، أي: يموتون على الكفر.

[٥٦] ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ [(٤)]، أي: على دينكم، ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝ ﴾ [(٥)]، يخافوا أن يظهروا ما هم عليه.

[٥٧] ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا ﴾ [(٦)]، حرزا أو حصنا أو معقلا. وقال عطاء: مهربا. وقيل: قوما يأمنون فيهم. ﴿ أَوْ مَغَٰرَٰتٍ ﴾ [(٧)] في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي تغور فيه، أي تستتر. وقال عطاء: سراديب. ﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ [(٨)]،

---

(١) سورة التوبة آية : ٥٥.
(٢) سورة التوبة آية : ٥٥.
(٣) سورة التوبة آية : ٥٥.
(٤) سورة التوبة آية : ٥٦.
(٥) سورة التوبة آية : ٥٦.
(٦) سورة التوبة آية : ٥٧.
(٧) سورة التوبة آية : ٥٧.
(٨) سورة التوبة آية : ٥٧.

موضع دخول فيه، وهو من أدخل ُيدخل، وأصله: مدتخل مفتعل، من دخل يدخل قال مجاهد: محرزا. وقال قتادة: سربا. وقال الكلبي: نفقا في الأرض كنفق اليربوع. وقال الحسن: وجها يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ. وقرأ يعقوب (مَدْخلا) بفتح الميم وتخفيف الدال، وهو أيضا موضع الدخول، ﴿ لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ ﴾ [1]، لأدبروا إليه هربا منكم، ﴿ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ۝٥٧ ﴾ [2] يسرعون في إباء ونفور لا يرد وجوههم شيء. ومعنى الآية: أنهم لو يجدون مخلصا منكم ومهربا لفارقوكم.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [3]، الآية. نزلت في ذي الخويصرة التميمي، واسمه حرقوص بن زهير أصل الخوارج ﴿ يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [4] أي: يعيبك في أمرها وتفريقها، ويطعن عليك فيها. يقال: لمزه وهمزه، أي: عابه، يعني أن المنافقين كانوا يقولون: إن محمدا لا يعطي إلا من أحب. وقرأ يعقوب (يلمزك) وكذلك يلمزون في الحجرات (ولا تلمزوا) كل ذلك بضـم الميـم فيهن، وقرأ الباقون بكسر الميم فيهن وهما لغتان يلمُزُ ويلمِز مثل يحسُر ويحسِر ويعكِف ويعكُف. وقـال مجاهـد: يلمـزك أي: يروزك يعني يختبرك. ﴿ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ۝٥٨ ﴾ [5]، قيل: إن أعطوا كثيرا فرحوا، وإن أعطوا قليلا سخطوا.

---

(١) سورة التوبة آية : ٥٧.

(٢) سورة التوبة آية : ٥٧.

(٣) سورة التوبة آية : ٥٨.

(٤) سورة التوبة آية : ٥٨.

(٥) سورة التوبة آية : ٥٨.

[٥٩] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾[1]، أي: قنعوا بما قسم لهم الله ورسوله ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾[2]، كافينا الله، ﴿ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾[3]، ما نحتاج إليه ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[4]، في أن يوسع علينا من فضله، فيغنينا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس. وجواب (لو) محذوف أي: لكان خيرا لهم وأعود عليهم.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾[5] الآية، بَينَ الله تعالى في هذه الآية أهل الصدقات، وجعلها لثمانية أصناف، قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله لم يرض بحكـم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكـم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء ﴾[6] [7] قوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾[8] فأحد أصناف الصدقة: الفقراء، والثاني: المساكين: واختلف العلماء في صفة الفقير والمسكين، فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة والزهري: الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل. وقال ابن عمر: ليس بفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والتمرة إلى التمرة، ولكن من أنقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فذلك الفقير. وقال قتادة: الفقير المحتاج الزمن، والمسكين الصحيح المحتاج، وروي عن

---

(١) سورة التوبة آية : ٥٩.

(٢) سورة التوبة آية : ٥٩.

(٣) سورة التوبة آية : ٥٩.

(٤) سورة التوبة آية : ٥٩.

(٥) سورة التوبة آية : ٦٠.

(٦) أبو داود الزكاة (١٦٣٠).

(٧) أخرجه أبو داود في٢ / ٢٣٠، ٢٣١ والدارقطني في الزكاة ٢ / ١٣٧ والبيهقي في السنن ٤ / ١في السنن ٤ / ١٧٤، وقال المنذري: في إسناده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وقد تكلم فيه غير واحد.

(٨) سورة التوبة آية : ٦٠.

عكرمة أنه قال: الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب. وقال الشافعي. الفقير من لا مال له، ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان أو غير زمن، والمسكين من كان له مال أو حرفة ولا يغنيه، سائلا كان أو غير سائل. فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير لأن الله تعالى قال: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ ﴾ [1] أثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة، وعند أصحاب الرأي الفقير أحسن حالا من المسكين. وقال القتبي: الفقير الذي له البلغة من العيش، والمسكين الذي لا شيء له. وقيل: الفقير من له المسكن والخادم، والمسكين من لا ملك له. وقال إبراهيم النخعي: الفقراء هم المهاجرون، والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين. وفي الجملة الفقر والمسكنة عبارتان عن الحاجة وضعف الحال، فالفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره، والمسكين الذي ضعفت نفسه، وسكنت عن الحركة في طلب القوت. قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ [2]. وهم السعاة الذين يتولون قبض الصدقات من أهلها ووضعها في حقها، فيعطون من مال الصدقة فقراء كانوا أو أغنياء، فيعطـون مثل أجـر عملهـم. وقال الضحاك ومجاهد: لهم الثمن من الصدقة. ﴿ وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ [3]، فالصنف الرابع من المستحقين للصدقة هم المؤلفة قلوبم، وهم قسمان: قسم مسلمون وقسم كفار، فأما المسلمون فقسمان قسم دخلوا في الإسلام ونيتهم ضعيفة فيه، فكان النبي ﷺ يعطيهم تألفا كما أعطى عيينة بن بدر والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي. أو أسلموا ونيتهم قوية في الإسلام وهم شرفاء في قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر، فكان يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لأمثالهم في الإسلام، فهؤلاء يجوز للإمام أن يعطيهم

(١) سورة الكهف آية : ٧٩.

(٢) سورة التوبة آية : ٦٠.

(٣) سورة التوبة آية : ٦٠.

من خمس خمس الغنيمة، والفيء سهم النبي ﷺ وكان النبي ﷺ يعطيهم من ذلك، ولا يعطيهم من الصدقات. والقسم الثاني من مؤلفة المسلمين أن يكون قوم من المسلمين بإزاء قوم كفار من موضع مُتناءٍ لا تبلغهم جيوش المسلمين إلا بمؤنة كثيرة وهم لا يجاهدون، إما لضعف نيتهم أو لضعف حالهم، فيجوز للإمام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة. وقيل: من سهم المؤلفة. ومنهم قوم بإزاء جماعة من مانعي الزكاة يأخذون منهم الزكاة يحملونا إلى الإمام فيعطيهم الإمام من سهم المؤلفة من الصدقات. وقيل: من سهم سبيل الله. روي أن عدي بن حاتم جاء إلى أبي بكر الصديق بثلاثمائة من الإبل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا. وأما الكفار من المؤلفة فهو من يخشى شره منهم أو يرجى إسلامه، فيريد الإمام أن يعطي هذا حذرا من شره أو يعطي ذلك ترغيبا به في الإسلام، فقد كان النبي ﷺ يعطيهم من خمس الخمس، كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله إلى الإسلام قولـه تعالـى: ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ [1]، والصنف الخامس هم الرقاب وهم المكاتبون لهم سهم من الصدقة، هذا قول أكثر الفقهاء، وبه قال سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد والشافعي. وقال جماعة: يشتري بسهم الرقاب عبيدا فيعتقون. وهذا قول الحسن، وبه قال مالك وأحمد وإسحاق. قوله تعالى: ﴿ وَٱلْغَـٰرِمِينَ ﴾ [2]، والصنف السادس هم الغارمون وهم قسمان: قسم أدانوا لأنفسهم في غير معصيته فإنم يعطون من الصدقة إذا لم يكن لهم من المال ما يفي بديونم، فإن كان عندهم وفاء فلا يعطون، وقسم أدانوا في المعروف وإصلاح ذات البين فإنم يعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونم، وإن كانوا

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٠.

(٢) سورة التوبة آية : ٦٠.

أغنياء. وقوله تعالى: ﴿ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [1]، أراد بها الغزاة فلهم سهم من الصدقة، يعطون إذا أرادوا الخروج إلى الغزو، وما يستعينون به على أمر الغزو من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة، وإن كانوا أغنياء. قوله تعالى: ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [2]، والصنف الثامن هم أبناء السبيل، فكل من يريد سفرا مباحا، ولم يكن له ما يقطع به المسافة يعطى من الصدقة بقدر ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له في البلد المتنقل إليه مال أو لم يكن. وقال قتادة: ابن السبيل هو الضيف. وقال فقهاء العراق: ابن السبيل الحاج المنقطع. قوله تعالى: ﴿ فَرِيضَةً ﴾ [3] أي: واجبة ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [4]، وهو نصب على القطع، وقيل: على المصدر، أي: فرض الله هذه الأشياء فريضة، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠ ﴾ [5].

[٦١] ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ [6]، نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي ﷺ ويقولون ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد منهم: بل نقول ما شئنا، ثم نأتيه فننكر ما قلنا، ونحلف فيصدقنا بما نقول، فإنما محمد أذن، أي. أذن سامعة، يقال: فلان أذن سامعة وأذنة على وزن فعلة، إذا كان يسمع كل ما قيل له ويقبله. وأصله من أذن يأذن أذنا إذا استمع. وقيل: وهو أذن أي: ذو أذن سامعة، وقال محمد ابن إسحاق بن يسار:

(١) سورة التوبة آية : ٦٠.
(٢) سورة التوبة آية : ٦٠.
(٣) سورة التوبة آية : ٦٠.
(٤) سورة التوبة آية : ٦٠.
(٥) سورة التوبة آية : ٦٠.
(٦) سورة التوبة آية : ٦١.

نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث قال: إنما محمد أذن فمن حدثه شيئا صدقه، فنقول ما شئنا، ثم نأتيه، ونحلف بالله فيصدقنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. قولـه تعالـى: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ [1]، قرأ العامة بالإضافة، أي: مستمع خير وصلاح لكم، لا مستمع شر وفساد. وقرأ الأعشى والبرجمي عن أبي بكر: (أذنٌ خيرٌ لكم) مرفوعين منونين، يعني أن يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم، ولا يقبل قولكم، ثم كذبهم فقال: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾ [2]، أي: لا بل يؤمن بالله، ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3]، أي: يصدق المؤمنين، ويقبل منهم لا من المنافقين. يقال: أمنته، وأمنت له بمعنى صدقته. ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ [4]، قرأ حمزة: (ورحمة) بالخفض على معنى أذن خير لكم وأذن رحمة، وقرأ الآخرون. (ورحمة) بالرفع، أي: هـو أذن خير وهو رحمة ﴿ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ [5]، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين. ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [6].

---

(١) سورة التوبة آية : ٦١.
(٢) سورة التوبة آية : ٦١.
(٣) سورة التوبة آية : ٦١.
(٤) سورة التوبة آية : ٦١.
(٥) سورة التوبة آية : ٦١.
(٦) سورة التوبة آية : ٦١.

قوله تعالى ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَق أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾....

[٦٢] ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ ﴾ [١]، قال قتادة والسدي: اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي ﷺ وقالوا: إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير، وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له: عامر بن قيس فحقروه، وقالوا هذه المقالة، فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حق، وأنتم شر من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم، وسألهم رسول الله ﷺ فحلفوا أن عامرا كذاب، وحلف عامر أنهما كذبة، فصدقهم النبي ﷺ فجعل عامر يدعو، ويقول: اللهم صدق الصادق، وكذب الكاذب، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مقاتل والكلبي: نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون إليه، ويحلفون، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ ﴾ [٢]، ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ ﴾ [٣].

[٦٣] ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [٤] يخالف الله ورسوله أن يكونوا في جانب واحد من الله ورسوله، ﴿ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٣ ﴾ [٥]، أي: الفضيحة العظيمة.

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٢.
(٢) سورة التوبة آية : ٦٢.
(٣) سورة التوبة آية : ٦٢.
(٤) سورة التوبة آية : ٦٣.
(٥) سورة التوبة آية : ٦٣.

[٦٤] ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ ﴾ [١]، أي: يخشـى المنافقـون، ﴿ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴾ [٢]، أي: تـنزل على المؤمنين، ﴿ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ [٣]، أي: بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين، كانوا يقولون فيما بينهم، ويسرون، ويخافون الفضيحة بنـزول القرآن في شأنهم. قال قتادة: هذه السورة تسمى الفاضحـة والمبعثرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومثالبهم ﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ ﴾ [٤]، مظهر ﴿ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٥]، قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثنى عشر رجلا من المنافقين، وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه، وتنكروا له في ليلة مظلمة، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بما قدروا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم [٦].

[٦٥] قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [٧] الآية، وسبب نزول هذه الآية على ما قال الكلبي ومقاتل وقتادة: أن النبي ﷺ كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والثالث يضحك. قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم، ويفتح مدائنهم ما أبعده من ذلك. وقيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن، وإنما هو

(١) سورة التوبة آية : ٦٤.
(٢) سورة التوبة آية : ٦٤.
(٣) سورة التوبة آية : ٦٤.
(٤) سورة التوبة آية : ٦٤.
(٥) سورة التوبة آية : ٦٤.
(٦) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المنافقين (٢٧٧٩)، ورواه الإمام أحمد ٤ / ٣في مسنده ج ٤ / ٣٢٠.
(٧) سورة التوبة آية : ٦٥.

قوله وكلامه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال: احبسوا علي الركب، فدعاهم وقال لهم: قلتم كذا وكذا، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، أي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب. قال عمر: فلقد رأيت عبد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول له: " أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ " ما يلتفت إليه ولا يزيده عليه. قوله: ﴿ قُلْ ﴾ [1]، أي: قل يـا محمـد للمنافقين، ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ ﴾ [2]، كتابـه، ﴿ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ ﴾ [3].

[٦٦] ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [4]، فإن قيل: كيف قال: (قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: معناه أظهرتم الكفر بعد ما أظهرتم الإيمان. ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ [5]، أي: نتبْ على طائفة منكم، وأراد بالطائفة واحدا، ﴿ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ۝ ﴾ [6]، بالاستهزاء، وقرأ عاصم: (نعف) بالنون وفتحها وضم الفاء، ﴿ نُعَذِّبْ ﴾ [7] بالنون وكسر الذال، طآئفة نصب. وقرأ الآخرون: (يعف) بالياء وضمها وفتح الفاء، (تُعَذبْ) بالتاء وفتح الذال، طائفة على غير تسمية الفاعل. وقال محمد بن إسحاق: الذي عفي عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الأشجعي، يقال: هو الذي كان يضحك، ولا يخوض، وكان يمشي مجانبا

(١) سورة التوبة آية : ٦٥.
(٢) سورة التوبة آية : ٦٥.
(٣) سورة التوبة آية : ٦٥.
(٤) سورة التوبة آية : ٦٦.
(٥) سورة التوبة آية : ٦٦.
(٦) سورة التوبة آية : ٦٦.
(٧) سورة التوبة آية : ٦٦.

لهم، وينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه، وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ عني بما تقشعر الجلود منها، وتجب منها القلوب، اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره.

[٦٧] قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ﴾ [١]، أي: هم على دين واحد. وقيل: أمرهم واحد بالاجتماع على النفـاق، ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾ [٢]، بالشرك والمعصية، ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [٣]، أي عن الإيمان والطاعة، ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ ﴾ [٤] أي: يمسكونا عن الصدقة والإنفاق في سبيل الله ولا يبسطونا بخير، ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ ﴾ [٥]، تركوا طاعة الله فتركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في الآخرة وتركهم في عذابه، ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [٦].

[٦٨] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ ﴾ [٧]، كافيهم جزاء على كفرهم، ﴿ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [١]، أبعدهم الله من رحمته، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [٢]، دائم.

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٧.
(٢) سورة التوبة آية : ٦٧.
(٣) سورة التوبة آية : ٦٧.
(٤) سورة التوبة آية : ٦٧.
(٥) سورة التوبة آية : ٦٧.
(٦) سورة التوبة آية : ٦٧.
(٧) سورة التوبة آية : ٦٨.

قوله تعالى كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا....

[٦٩] ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[٣]، أي: فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالعدول من أمر الله، فلعنتم كما لعنـوا ﴿ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةً ﴾[٤]، بطشـا ومنعـة، ﴿ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلاً وَأَوۡلَٰدًا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ ﴾[٥]، فتمتعوا أو انتفعوا بخلاقهم بنصيبهـم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضا عن الآخرة، ﴿ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ ﴾[٦]، أيها الكفار والمنافقـون، ﴿ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ ﴾[٧]، وسلكتم سبيلهم، ﴿ وَخُضۡتُمۡ ﴾[٨] في الباطل والكذب على الله تعالى وتكذيـب رسله وبالاستهزاء بالمؤمنين، ﴿ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ ﴾[٩]، أي: كما خاضوا. وقيل: كالذي يعني كالذين خاضوا، وذلك أن الذي اسم ناقص، مثل (ما) و (من) يعبر به عن الواحـد والجمـع، نظيره قـولـه تعالـى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا ﴾[١٠] ثم قـال: ﴿ ذَهَبَ

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٨.
(٢) سورة التوبة آية : ٦٨.
(٣) سورة التوبة آية : ٦٩.
(٤) سورة التوبة آية : ٦٩.
(٥) سورة التوبة آية : ٦٩.
(٦) سورة التوبة آية : ٦٩.
(٧) سورة التوبة آية : ٦٩.
(٨) سورة التوبة آية : ٦٩.
(٩) سورة التوبة آية : ٦٩.
(١٠) سورة البقرة آية : ١٧.

ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ﴾ [1]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [2]، أي: كما حبطت أعمالهم وخسروا كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم. عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم ﴾ [3] [4].

[٧٠] قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ ﴾ [5]، يعني المنافقين، ﴿ نَبَأُ ﴾ [6]، خبر، ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [7]، حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا كيف عذبناهم وأهلكناهم ثم ذكرهم، فقال: ﴿ قَوۡمِ نُوحٖ ﴾ [8]، أُهْلكوا بالطوفان، ﴿ وَعَادٖ ﴾ [9]، أهلكوا بالريح ﴿ وَثَمُودَ ﴾ [10]، بالرجفة، ﴿ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [11]، بسلب النعمة وهلاك نمروذ، ﴿ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ ﴾ [12]،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧.

(٢) سورة التوبة آية : ٦٩.

(٣) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩)، مسلم العلم (٢٦٦٩)، أحمد (٨٤/٣).

(٤) أخرجه البخا٣ / ٣٠٠ ومسلم في=العلم رقم (٢٦٦٩) ٤ / ٢٠٥٤ والمصنف في شرح السنة ١٤ / ٣نف في شرح السنة ١٤ / ٣٩٢.

(٥) سورة التوبة آية : ٧٠.

(٦) سورة التوبة آية : ٧٠.

(٧) سورة التوبة آية : ٧٠.

(٨) سورة التوبة آية : ٧٠.

(٩) سورة التوبة آية : ٧٠.

(١٠) سورة التوبة آية : ٧٠.

(١١) سورة التوبة آية : ٧٠.

(١٢) سورة التوبة آية : ٧٠.

يعني قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة، ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ ﴾ [1] المنقلبات التي جعلنا عاليها سافلهـا وهي قوم لـوط وقُراهـم، ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ ﴾ [2]، فكذبوهم وعصَوْهم كما فعلتم يا معشـر الكفـار فاحـذروا تعجيـل النقمـة، ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [3].

[٧١] ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [4] في الدين واجتماع الكلمة والعون والنصرة. ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [5]، بالإيمان والطاعـة والخير، ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [6]، عـن الشـرك والمعصيـة ومـا لا يُعـرف في الشـرع، ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [7]، المفروضة ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [8].

---

(١) سورة التوبة آية : ٧٠.
(٢) سورة التوبة آية : ٧٠.
(٣) سورة التوبة آية : ٧٠.
(٤) سورة التوبة آية : ٧١.
(٥) سورة التوبة آية : ٧١.
(٦) سورة التوبة آية : ٧١.
(٧) سورة التوبة آية : ٧١.
(٨) سورة التوبة آية : ٧١.

[٧٢] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ ﴾ [١]، منازل طيبة، ﴿ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ﴾ [٢]، أي: بساتين خلد وإقامة، يقال: عدن بالمكان إذا أقام به ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [٣]. أي: رضا الله عنهم أكبر من ذلك النعيم الذي هم فيه، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾ [٤].

روينا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « يقول الله عز وجل لأهل الجنة يا أهل الجنة هل رضيتم؟ فيقولون: ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحدًا من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحِل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » [٥] [٦].

قوله تعالى: يَا أَيهَا النبِي جَاهِدِ الْكُفارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ....

[٧٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ [٧]: بالسيف والقتل، ﴿ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ [٨]، واختلفوا في صفة جهاد المنافقين، قال ابن مسعود: بيده

(١) سورة التوبة آية : ٧٢.

(٢) سورة التوبة آية : ٧٢.

(٣) سورة التوبة آية : ٧٢.

(٤) سورة التوبة آية : ٧٢.

(٥) البخاري الرقاق (٦١٨٣)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٩)، الترمذي صفة الجنة (٢٥٥٥)، أحمد (٨٨/٣).

(٦) أخرج٣ / ٤٨٧ ومسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٢٩) ٤ / ٢١٧٦، والمصنف في شرح السنة ١٥ / ٢ والمصنف في شرح السنة ١٥ / ٢٣١.

(٧) سورة التوبة آية : ٧٣.

(٨) سورة التوبة آية : ٧٣.

فـإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه، وقال: لا تلق المنافقين إلا بوجه مكفهـر. وقال ابن عباس: باللسان وترك الرفق. وقال الضحاك: بتغليظ الكلام. وقال الحسـن وقتادة: بإقامة الحدود عليهم. ﴿ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ ﴾[1] في الآخـرة ﴿ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2]. قال عطاء: نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح.

[٧٤] قوله تعالى: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ﴾[3]، قال ابن عباس: ﴿ كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرة فقال:" إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه "فلم يلبسوا أن طلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: " علام تشتمني أنت وأصحابك "؟ فانطلق الرجل، وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا، فأنزل الله ﷻ هذه الآية، ﴾[4] وقال الكلبي: نزلت في الجلاس بن سويد، وذلك ﴿ أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم، فقال جلاس: لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير، فسمعه عامر بن قيس، فقال: أجل إن محمدا لصادق، وأنتم شر من الحمير، فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس، فقال الجلاس: كذب علي يا رسول الله، وأمرهما رسول الله ﷺ أن يحلفا عند المنبر، فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله، ولقد كذب علي عامر، ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قال وما كذبت عليه، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا، فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون: آمين، فـ ل جبريل عليه السلام من السماء قبل أن يتفرقوا

---

(١) سورة التوبة آية : ٧٣.

(٢) سورة التوبة آية : ٧٣.

(٣) سورة التوبة آية : ٧٤.

(٤) أحمد (٢٦٧/١).

بذه الآية، حتى بلغ: ﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [(١)]، فقام الجلاس فقال: يا رسول الله أسمعُ الله ﷻ قد عرض علي التوبة، صدق عامر بن قيس فيما قاله، لقد قلته، وأنا أستغفر الله، وأتوب إليه، فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه، وحسنت توبته . ﴿ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [(٢)]، أي: أظهروا الكفر بعد إظهار الإيمان والإسلام، وقيل: هي سب النبي ﷺ وقيل كلمة الكفر قول الجلاس: لئن كان محمد صادقًا لنحن شر من الحمير، وقيل كلمة الكفر قولهم: ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [(٣)] وستأتي القصة في موضعها في سورة المنافقين، ﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ [(٤)]، قال مجاهد: هم المنافقون بقتل المسلم الذي سمع قولهم: لنحن شر من الحمير، لكي لا يفشيه، وقيل: هم اثنا عشر رجلًا من المنافقين، وقفوا على العقبة في طريق تبوك ليفتكوا برسول الله ﷺ فجاء جبريل عليه السلام، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، فأرسل حذيفة لذلك، وقال السدي: قالوا إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجا، فلم يصلوا إليه. ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ ﴾ [(٥)]، وما كرهوا وما أنكروا منهم، ﴿ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [(٦)]، وذلك أن مولى الجلاس قتل فأمر رسول الله ﷺ بديته اثني عشر ألف درهم فاستغنى، وقال الكلبي: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ في ضنك من العيش، فلما قدم عليهم النبي ﷺ

---

(١) سورة التوبة آية : ٧٤.

(٢) سورة التوبة آية : ٧٤.

(٣) سورة المنافقون آية : ٨.

(٤) سورة التوبة آية : ٧٤.

(٥) سورة التوبة آية : ٧٤.

(٦) سورة التوبة آية : ٧٤.

استغنوا بالغنائـم ﴿ فَإِن يَتُوبُواْ ﴾ [1] مـن نفاقهـم وكفرهـم ﴿ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ ﴾ [2]، يعرضـوا عـن الإيمـان، ﴿ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا ﴾ [3]، بالخـزي، ﴿ وَٱلْأَخِرَةِ ۚ ﴾ [4]، أي: وفي الآخرة بالنار، ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [5].

[75] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ [6] الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وهما من بني عمرو بن عوف، خرجا على ملأ قعود وقالا: والله لئن رزقنا الله مالا لنصدقن، فلما رزقهما الله ﷻ بخلا به، فقوله ﷻ ﴿ ۞ وَمِنْهُم ﴾ [7] يعني: المنافقين ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ [8] ولنؤدين حق الله منه ﴿ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [9]، نعمل بعمل أهل الصلاح فيه من صلة الرحم والنفقة في الخير.

[76] ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [10].

[77] ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ ﴾ [1]، فأخلفهم، ﴿ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [2].

---

(١) سورة التوبة آية : ٧٤.
(٢) سورة التوبة آية : ٧٤.
(٣) سورة التوبة آية : ٧٤.
(٤) سورة التوبة آية : ٧٤.
(٥) سورة التوبة آية : ٧٤.
(٦) سورة التوبة آية : ٧٥.
(٧) سورة التوبة آية : ٧٥.
(٨) سورة التوبة آية : ٧٥.
(٩) سورة التوبة آية : ٧٥.
(١٠) سورة التوبة آية : ٧٦.

أي: صير عاقبة أمرهم النفاق، يقال: أعقب فلانا ندامة إذا صير عاقبة أمره ذلك، وقيل: عاقبهم بنفاق قلوبهم، يقال: عاقبته وأعقبته بمعنى واحد، ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾[3]، يريد حرمهم التوبة إلى يوم القيامة، ﴿ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[4].

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان »[5] [6].

[٧٨] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾[7]، يعني: ما أضمروا في قلوبهم وما تناجوا به بينهم، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾[8].

[٧٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[9] الآية، قال أهل التفسير: حث رسول الله ﷺ على الصدقة؛ فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف،

---

(١) سورة التوبة آية : ٧٧.
(٢) سورة التوبة آية : ٧٧.
(٣) سورة التوبة آية : ٧٧.
(٤) سورة التوبة آية : ٧٧.
(٥) البخاري الإيمان (٣٣)، مسلم الإيمان (٥٩)، الترمذي الإيمان (٢٦٣١)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢١)، أحمد (٢/٣٥٧).
(٦) أخرجه البخاري في الإيمان ١ / ٨٩ ومسلم في الإيمان رقم (٥٩) ١ / ٧٨ والمصنف في شرح السنة ١ / ٧٢.
(٧) سورة التوبة آية : ٧٨.
(٨) سورة التوبة آية : ٧٨.
(٩) سورة التوبة آية : ٧٩.

فاجعلها في سبيل الله، وأمسكت أربعة آلاف لعيالي، فقال رسول الله ﷺ ﴿ بارك الله لك فيما أعطيت، وفيما أمسكت ﴾، فبارك الله في ماله، حتى أنه خلّف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم، وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاري، واسمه الحبحاب بصاع من تمر، وقال: يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما لأهلي، وأتيتك بالآخر، فأمر رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقة، فلمزهم المنافقون، وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياءً، وإن كان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل، ولكنه أراد أن يذكر فيمن أعطى الصدقة، فأنزل الله ﷻ ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ﴾ [1] أي: يعيبون ﴿ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [2] يعني: عبد الرحمن بن عوف وعاصمًا. ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ ﴾ [3]، أي: طاقتهم، يعني: أبا عقيل، والجهد: الطاقة، بالضم لغة قريش وأهل الحجاز، وقرأ الأعرج بالفتح، قال القتيبي: الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة، ﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ ﴾ [4]، يستهزئون منهم، ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴾ [5]. أي: جازاهم الله على السخرية، ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ [6].

---

(١) سورة التوبة آية : ٧٩.
(٢) سورة التوبة آية : ٧٩.
(٣) سورة التوبة آية : ٧٩.
(٤) سورة التوبة آية : ٧٩.
(٥) سورة التوبة آية : ٧٩.
(٦) سورة التوبة آية : ٧٩.

قوله تعالى اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ....

[٨٠] ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [(١)]، لفظ أمر معناه الخبر، تقديره: أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم. ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [(٢)]، وذكر السبعين في العدد للمبالغة في اليأس عن طمع المغفرة، قال الضحاك: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم، ﴾ فأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [(٣)].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [(٤)].

[٨١] ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ [(٥)] هو عن غزوة تبوك، والمخلف المتروك ﴿ بِمَقْعَدِهِمْ ﴾ [(٦)] أي: بقعودهم ﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [(٧)]، قال أبو عبيدة: أي: بعد رسول الله ﷺ. وقيل: مخالفة لرسول الله ﷺ حين سار وأقاموا، ﴿ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ

---

(١) سورة التوبة آية : ٨٠.
(٢) سورة التوبة آية : ٨٠.
(٣) سورة المنافقون آية : ٦.
(٤) سورة التوبة آية : ٨٠.
(٥) سورة التوبة آية : ٨١.
(٦) سورة التوبة آية : ٨١.
(٧) سورة التوبة آية : ٨١.

كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[1]، وكانت غزوة تبوك في شدة الحر، ﴿ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[2]، يعلمون، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود.

[٨٢] ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا ﴾[3]، في الدنيا، ﴿ وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾[4]، في الآخرة، تقديره: فليضحكوا قليلا وسيبكون كثيرا، ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[5] عن موسى بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا ﴾[6][7].

[٨٣] ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ ﴾[8] أي: ردك يا محمد من غزوة تبوك، ﴿ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾[9]، يعني: من المخلفين، إنما قال طائفة منهم لأنه ليس كل من تخلف من غزوة تبوك كان منافقا، ﴿ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ ﴾[10]، معك في غزوة أخرى، ﴿ فَقُل ﴾[11]، لهم ﴿ لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا ﴾[12] في سفر، ﴿ وَلَن تُقَٰتِلُواْ

(١) سورة التوبة آية : ٨١.
(٢) سورة التوبة آية : ٨١.
(٣) سورة التوبة آية : ٨٢.
(٤) سورة التوبة آية : ٨٢.
(٥) سورة التوبة آية : ٨٢.
(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٣٤٥)، مسلم الفضائل (٢٣٥٨ / ٢٨٠ ومسلم في الفضائل رقم (٢٣٥٩) ١٤ / ١٨٣٢ والمصنف في شرح السنة١٤ / ٣٥٩) ١٤ / ١٨٣٢ والمصنف في شرح السنة١٤ / ٣٦٨.
(٨) سورة التوبة آية : ٨٣.
(٩) سورة التوبة آية : ٨٣.
(١٠) سورة التوبة آية : ٨٣.
(١١) سورة التوبة آية : ٨٣.
(١٢) سورة التوبة آية : ٨٣.

مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [1]، في غزاة أخرى ﴿ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [2]، أي: مع النساء والصبيان، وقيل مع الزمنَى والمرضى، وقال ابن عباس: مع الذين تخلفوا بغير عذر، وقيل: مع الخالفين، قال الفراء: يقال صاحب خالف إذا كان مخالفًا، ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [3] عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: ﴿ لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي ابن سلول، وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ أعدّد عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: " أخر عني يا عمر " فلما أكثرت عليه قال: " إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها "، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ ﴾ [4]، إلى قوله: ﴿ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [5]، قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم ﴾ [6].

---

(١) سورة التوبة آية : ٨٣.
(٢) سورة التوبة آية : ٨٣.
(٣) سورة التوبة آية : ٨٤.
(٤) سورة التوبة آية : ٨٤.
(٥) سورة التوبة ٣ / ٢ : ٨٤.
(٦) أخرجه البخاري في الجنائز ٣ / ٢٢٨.

[٨٤] قوله ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[١]، لا تقف عليه، ولا تتول دفنه، من قولهم: قام فلان بأمر فلان إذا كفاه أمره. ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨٤ ﴾[٢]، فما صلى النبي ﷺ بعدها على منافق، ولا قام على قبره حتى قُبِضَ.

[٨٥] ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٨٥ ﴾[٣].

[٨٦] ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾[٤]،ذوو الغنى والسعة منهم في القعود والتخلف، ﴿ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٨٦ ﴾[٥]، في رحالهم.

قوله تعالى رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ....

[٨٧] ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾[٦] يعني: النساء، وقيل: مع أدنياء الناس وسفلتهم، يقال: فلان خالفة قومه إذا كان دونم، ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧ ﴾[٧].

(١) سورة التوبة آية : ٨٤.
(٢) سورة التوبة آية : ٨٤.
(٣) سورة التوبة آية : ٨٥.
(٤) سورة التوبة آية : ٨٦.
(٥) سورة التوبة آية : ٨٦.
(٦) سورة التوبة آية : ٨٧.
(٧) سورة التوبة آية : ٨٧.

[٨٨] ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ ﴾ [١].

يعني الحسنات، وقيل: الجواري الحسان في الجنة، قال الله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ ﴾ [٢]، جمع خيرة ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [٣].

[٨٩] ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [٤].

[٩٠] قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ ﴾ [٥]، قرأ يعقوب ومجاهد: (المعذرون) بالتخفيف وهم المبالغون في العذر، يقال في المثل "لقد أُعذر من أنذر"، أي: بالغ في العذر من قدم النذارة، وقرأ الآخرون (الْمُعَذِّرُونَ) بالتشديد، أي المقصرون، يقال: عذر، أي: قصر، وقال الفراء: المعذرون المعتذرون، أدغمت التاء في الذال، ونقلت حركة التاء إلى العين، وقال الضحاك: المعذرون هم رهط عامر بن الطفيل جاءوا رسول الله ﷺ دفاعا عن أنفسهم فقالوا: يا نبي الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلائلنا وأولادنا ومواشينا، فقال لهم رسول الله ﷺ ﴿ "قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم ﴾، وقال ابن عباس: هم الذين تخلفوا بعذر بإذن رسول الله ﷺ ﴿ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ ﴾ [٦]، يعني المنافقين، قال أبو عمر بن العلاء:

---

(١) سورة التوبة آية : ٨٨.
(٢) سورة الرحمن آية : ٧٠.
(٣) سورة التوبة آية : ٨٨.
(٤) سورة التوبة آية : ٨٩.
(٥) سورة التوبة آية : ٩٠.
(٦) سورة التوبة آية : ٩٠.

كلا الفريقين كان مسيئا قوم تكلفوا عذرا بالباطل، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ)، وقوم تخلفوا عن غير تكلف عذر، فقعدوا جرأة على الله تعالى، وهـم المنافقـون، فأوعـدهـم الله بقولـه: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٩٠ ﴾ (١)، ثم ذكر أهل العذر.

[٩١] فقال جل ذكره: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ (٢)، قال ابن عباس: يعني الزمنى والمشايخ والعجزة، وقيل: هم الصبيان وقيل: النسوان، ﴿ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ ﴾ (٣)، يعني الفقراء ﴿ حَرَجٌ ﴾ (٤)، مأثم، وقيل: ضيق في القعود عن الغزو، ﴿ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (٥)، في مغيبهم وأخلصوا الإيمان والعمل لله، وبايعوا الرسول ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ (٦)، أي: من طريق بالعقوبة، ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩١ ﴾ (٧)، قال قتادة: نزلت في زيد بن عمر وأصحابه، وقال الضحاك: نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضرير البصر.

[٩٢] قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ (٨)، معناه: أنه لا سبيل على الأولين، ولا على هؤلاء الذين أتوك وهم سبعة نفر سُموا البكائين: معقل بن يسار، وصخر بن خنساء، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وعبلة بن زيد

(١) سورة التوبة آية : ٩٠.
(٢) سورة التوبة آية : ٩١.
(٣) سورة التوبة آية : ٩١.
(٤) سورة التوبة آية : ٩١.
(٥) سورة التوبة آية : ٩١.
(٦) سورة التوبة آية : ٩١.
(٧) سورة التوبة آية : ٩١.
(٨) سورة التوبة آية : ٩٢.

الأنصاري، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن مغفل المزني، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن الله قد ندبنا إلى الخروج معك فاحملنا، واختلفوا في قوله ﴿ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ [1] قال ابن عباس: سألوه أن يحملهم على الدواب، وقيل: سألوه أن يحملهم على الخفاف المرفوعة والنعال المخصوفة، ليغزوا معه، فأجابهم النبي ﷺ كما أخبر الله عنه في قولة تعالى: ﴿ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا ﴾ [2]، وهم يبكون، فذلك قوله تعالى: ﴿ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [3].

[٩٣] ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ﴾ [4]، بالعقوبة، ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ ﴾ [5]، في التخلف ﴿ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ [6]. مع النساء والصبيان، ﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [7].

---

(١) سورة التوبة آية : ٩٢.
(٢) سورة التوبة آية : ٩٢.
(٣) سورة التوبة آية : ٩٢.
(٤) سورة التوبة آية : ٩٣.
(٥) سورة التوبة آية : ٩٣.
(٦) سورة التوبة آية : ٩٣.
(٧) سورة التوبة آية : ٩٣.

قوله تعالى يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ....

[٩٤] ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ [١]، يروى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفرًا، فلما رجع رسول الله ﷺ جاءوا يعتذرون بالباطل، قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ [٢]، لن نصدقكم، ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ [٣]، فيما سلف، ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [٤]، في المستأنف، أتتوبون من نفاقكم، أم تقيمون عليه؟ ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [٥].

[٩٥] ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ [٦] إذا انصرفتم إليهم من غزوكم، ﴿ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ﴾ [٧]، لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم، ﴿ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ﴾ [٨]، فدعوهم، وما اختاروا لأنفسهم من النفاق، ﴿ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ [٩] نجس أي: إن عملهم قبيح، ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ ﴾ [١٠]، في الآخرة،

---

(١) سورة التوبة آية : ٩٤.
(٢) سورة التوبة آية : ٩٤.
(٣) سورة التوبة آية : ٩٤.
(٤) سورة التوبة آية : ٩٤.
(٥) سورة التوبة آية : ٩٤.
(٦) سورة التوبة آية : ٩٥.
(٧) سورة التوبة آية : ٩٥.
(٨) سورة التوبة آية : ٩٥.
(٩) سورة التوبة آية : ٩٥.
(١٠) سورة التوبة آية : ٩٥.

﴿ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٥ ﴾[1]، قال ابن عباس: ﴿ نزلت في جد بن قيس، ومعتب بن قشير وأصحابهما، وكانوا ثمانين رجلًا من المنافقين، فقال النبي ﷺ حين قدم المدينة: "لا تجالسوهم ولا تكلموهم ﴾ وقال مقاتل: ﴿ نزلت في عبد الله بن أبيّ حلف للنبي ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو لا يتخلف عنه بعدها، وطلب من النبي ﷺ أن يرضى عنه، فأنزل الله ﷻ هذه الآية:

[٩٦] ﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٩٦ ﴾[2] ﴾

[٩٧] ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ ﴾[3]، أي: أهل البدو، ﴿ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا ﴾[4]، من أهل الحضر، ﴿ وَأَجۡدَرُ ﴾[5]، أي: أخلق وأحرى، ﴿ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ ﴾[6]، وذلك لبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السنن، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾[7]، بما في قلوب خلقه، ﴿ حَكِيمٞ ٩٧ ﴾[8]، فيما فرض من فرائضه.

[٩٨] ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا ﴾[9]، قال عطاء: لا يرجون على إعطائه ثوابًا ولا يخافون على إمساكه عقابًا إنما ينفق خوفًا ورياء، والمغرم التزام

(١) سورة التوبة آية : ٩٥.
(٢) سورة التوبة آية : ٩٦.
(٣) سورة التوبة آية : ٩٧.
(٤) سورة التوبة آية : ٩٧.
(٥) سورة التوبة آية : ٩٧.
(٦) سورة التوبة آية : ٩٧.
(٧) سورة التوبة آية : ٩٧.
(٨) سورة التوبة آية : ٩٧.
(٩) سورة التوبة آية : ٩٨.

ما لا يلزم ﴿ وَيَتَرَبَّصُ ﴾[١]، وينتظر، ﴿ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ﴾[٢]، يعني: صروف الزمان التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر، وقال يمان بن رباب: يعني ينقلب الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر المشركون، ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾[٣]، عليهم يدور البلاء والحزن، ولا يرون في محمد ودينه إلا ما يكرهون وما يسوؤهم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (دائرة السوء) هاهنا، وفي سورة الفتح بضم السين، معناه: الضر والبلاء والمكروه، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، وقيل: بالفتح: الردة والفساد، وبالضم الضر والمكروه، ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾[٤]، نزلت في أعراب أسد وغطفان وتميم، ثم استثنى فقال:

[٩٩] ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾[٥]، قال مجاهد: هم بنو مقرن من مزينة، وقال الكلبي: أسلم وغفار وجهينة ﴿ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[٦]، القربات جمـع القربـة، أي: يطلب القربة إلى الله تعالى، ﴿ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ﴾[٧]، أي: دعاءه واستغفاره، قال عطاء: يرغبون في دعاء النبي ﷺ. ﴿ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ﴾[٨]، قرأ نافع برواية ورش قربة بضم الراء،

---

(١) سورة التوبة آية : ٩٨.
(٢) سورة التوبة آية : ٩٨.
(٣) سورة التوبة آية : ٩٨.
(٤) سورة التوبة آية : ٩٨.
(٥) سورة التوبة آية : ٩٩.
(٦) سورة التوبة آية : ٩٩.
(٧) سورة التوبة آية : ٩٩.
(٨) سورة التوبة آية : ٩٩.

والباقون بسكونا، ﴿ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ ﴾[1]، في جنته، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

قوله تعالى وَالسابِقُونَ الأولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالذِينَ اتبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ....

[١٠٠] ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾[3] الآية، قرأ يعقوب بالرفع، عطفًا على قوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ﴾[4]، واختلفوا في السابقين، قال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة: هم الذين صلوا إلى القبلتين، وقال عطاء بن أبي رباح: هم أهل بدر، وقال الشعبي: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، قوله ﷻ ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾[5]، الذين هاجروا قومهم وعشيرتم وفارقوا أوطانم ﴿ وَٱلْأَنصَارِ ﴾[6] أي: ومن الأنصار وهم الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة، وآووا أصحابـه، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾[7] قيل: بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين، وقيل: هم الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان والهجرة أو النصرة إلى يوم القيامة، وقال

(١) سورة التوبة آية : ٩٩.
(٢) سورة التوبة آية : ٩٩.
(٣) سورة التوبة آية : ١٠٠.
(٤) سورة التوبة آية : ١٠٠.
(٥) سورة التوبة آية : ١٠٠.
(٦) سورة التوبة آية : ١٠٠.
(٧) سورة التوبة آية : ١٠٠.

عطاء: هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالترحم والدعاء، ثم جمعهم الله ﷻ في الثواب فقال: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[1]، قرأ ابن كثير: (مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[2].

[١٠١] ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ ﴾[3] وهم من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار كانت منازلهم حول المدينة، يقول: من هؤلاء الأعراب منافقون، ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ ﴾[4]، أي: ومن أهل المدينة من الأوس والخزرج قوم منافقون، ﴿ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾[5]، أي: مرنوا على النفاق، يقال: تمرد فلان على ربه أي: عتا، ومرد على معصيته أي: مرن، وثبت عليها واعتادها، ومنه: المريد والمارد، قال ابن إسحاق: لجوا فيه وأبوا غيره، وقال ابن زيد: أقاموا عليه ولم يتوبوا، ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ ﴾[6]، أنت يا محمد، ﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾[7]، اختلفوا في هذين العذابين، قال مجاهد: الأول القتل والسبي، والثاني عذاب القبر، وقال قتادة: الدبيلة في الدنيا وعذاب القبر، وقال ابن زيد: الأولى

(١) سورة التوبة آية : ١٠٠.
(٢) سورة التوبة آية : ١٠٠.
(٣) سورة التوبة آية : ١٠١.
(٤) سورة التوبة آية : ١٠١.
(٥) سورة التوبة آية : ١٠١.
(٦) سورة التوبة آية : ١٠١.
(٧) سورة التوبة آية : ١٠١.

المصائب في الأموال والأولاد في الدنيا، والأخرى عذاب الآخرة، وعن ابن عباس: الأولى إقامة الحدود عليهم، والأخرى عذاب القبر، وقال ابن إسحاق: هو ما يدخل عليهم من غيظ الإسلام، ودخولهم فيه من غير حسبة ثم عذاب القبر، وقيل: أحدهما ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم، والآخر عذاب القبر، وقيل: الأولى إحراق مسجد الضرار، والأخرى إحراقهم بنار جهنم، ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[1]، أي: عذاب جهنم يخلدون فيه.

[١٠٢] ﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾[2]، أي: ومن أهل المدينة أو من الأعراب آخرون، ولا يرجع هذا إلى المنافقين، ﴿ ٱعْتَرَفُواْ ﴾[3]، أقروا، ﴿ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾[4]، وهو إقرارهم بذنوبهم وتوبتهم، ﴿ وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾[5]، أي: بعمل آخر سيئ، وضع الواو موضع الباء، كما يقال: خلطت الماء واللبن، أي: باللبن، والعمل السيئ هو تخلفهم عن رسول الله ﷺ والعمل الصالح هو ندامتهم وربطهم أنفسهم بالسواري، وقيل: غزواتم مع النبي ﷺ ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[6]، نزلت هذه الآية في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم ندموا على ذلك، وقالوا: نكون في الظلال مع النساء، ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد واللأواء، فلما قرب رسول الله ﷺ من

(١) سورة التوبة آية : ١٠١.
(٢) سورة التوبة آية : ١٠٢.
(٣) سورة التوبة آية : ١٠٢.
(٤) سورة التوبة آية : ١٠٢.
(٥) سورة التوبة آية : ١٠٢.
(٦) سورة التوبة آية : ١٠٢.

المدينة قالوا: والله لنوثقن أنفسنا بالسواري، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقنا ويعذرنا، فأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد فلما رجع رسول الله ﷺ مر بم فرآهم فقال: من هؤلاء؟ فقالوا: هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله ﷻ أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت تطلقهم، وترضى عنهم، فقال رسول الله ﷺ وأنا أقسم بالله لا أطلقهم، ولا أعذرهم حتى أومر بإطلاقهم؛ لأنم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين، فأنزل الله هذه الآية فأرسل إليهم رسول الله ﷺ فأطلقهم وعذرهم، فلما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق با وطهرنا واستغفر لنا، فقال رسول الله ﷺ "ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا"، فأنزل الله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً ﴾ [1] الآية.

[١٠٣] ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ ﴾ [2]، بها من ذنوبهم، ﴿ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [3]، أي: ترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين، وقيل: تنمي أموالهم ﴿ وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ [4]، أي: ادع لهم واستغفر لهم، وقيل: هو قول الساعي للمصدق إذا أخذ الصدقة منه: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت، والصلاة في اللغة: الدعاء، ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ ﴾ [5] قرأ حمزة والكسائي: (صلاتك) على التوحيد ونصب التاء هاهنا، وفي سورة هود (أَصَلَاتُكَ) وفي سورة المؤمنين (عَلَى صَلَاتِهِمْ) كلهن على التوحيد، وافقهما حفص هاهنا وفي سورة هود، وقرأ الآخرون بالجمع فيهن،

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٣.

(٢) سورة التوبة آية : ١٠٣.

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٣.

(٤) سورة التوبة آية : ١٠٣.

(٥) سورة التوبة آية : ١٠٣.

وكسـر التاء هاهنـا وفي سورة المؤمنين، ولا خـلاف في التي في الأنعـام: ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [(١)] والتي في المعـارج: ﴿ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٢)] إنما جميعًا على التوحيد، ﴿ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [(٣)]، أي: إن دعاءك رحمة لهم، قاله ابن عباس، وقيل: طمأنينة لهم وسكون لهـم أن الله ﷻ قد قبـل منهـم، وقال أبو عبيدة: تثبيت لقلوبهم، ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [(٤)]، واختلفوا في وجوب الدعاء على الإمام عند أخذ الصدقة، قال بعضهم: يجب: وقال بعضهم: يستحب، وقال بعضهم: يجب في صدقة الفرض، ويستحب في صدقة التطوع، وقيل: يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي.

[١٠٤] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [(٥)]، أي: يقبلها، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [(٦)] عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: « والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة مع كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبا ولا يصعد إلى السماء إلا طيب إلا كأنما يضعها في يد الرحمن ﷻ فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه، حتى إن اللقمة لتأتي يوم القيامة وإنا لمثل الجبـل العظيم، ثم قـرأ: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [(٧)] » [(١)].

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٢.

(٢) سورة المعارج آية : ٢٣.

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٣.

(٤) سورة التوبة آية : ١٠٣.

(٥) سورة التوبة آية : ١٠٤.

(٦) سورة التوبة آية : ١٠٤.

(٧) سورة التوبة آية : ١٠٤.

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٠٥ ﴾[٢]، قال مجاهد: هذا وعيد لهم، وقيل: رؤية للنبي ﷺ بإعلام الله تعالى إياه، ورؤية المؤمنين بإيقاع المحبة في قلوبهم لأهل الصلاح، والبغض لأهل الفساد.

[١٠٦] قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝١٠٦ ﴾[٣]، قرأ أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر: (مرجون) بغير همز، والآخرون بالهمز، والإرجاء: التأخير، مرجون: مؤخرون لأمر الله: لحكم الله ﷻ فيهم، وهم الثلاثة الذين تأتي قصتهم من بعد: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه، فوقفهم رسول الله ﷺ خمسين ليلة، ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم، حتى شقهم القلق وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وكانوا من أهل بدر فجعل أناس يقولون: هلكوا، وآخرون يقولون: عسى الله أن يغفر لهم، فصاروا مرجئين لأمر الله لا يدرون أيعذبهم أم يرحمهم، حتى نزلت توبتهم بعد خمسين ليلة.

قوله تعالى وَالذِينَ اتخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنينَ وَإرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ....

[١٠٧] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا ﴾[٤]، نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين بنوا مسجدًا يضارون به مسجد قباء ضرارًا يعني مضارة

---

(١) أخرجه الشافعي بإسناد حسن في المسند ١ / ٢٢٠ والمصنف في شرح السنة ٦ / ١٣١ وصححه الحاكم على شرط الشيخين ٢ / ٣٣٥ وأصل معنى الحديث ثابت في الصحيحين.

(٢) سورة التوبة آية : ١٠٥.

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٦.

(٤) سورة التوبة آية : ١٠٧.

للمؤمنين، ﴿ وَكُفۡرًا ﴾ [١] بالله ورسوله، ﴿ وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [٢]؛ لأنهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة، ﴿ وَإِرۡصَادًا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ [٣]، أي: انتظارًا وإعدادًا لمن حارب الله ورسوله يقال: أرصدت له إذا أعددت له، وهو أبو عامر الفاسق أرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، وابنوا لي مسجدًا فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآت بجند من الروم، فأخرج محمدًا وأصحابه من المدينة، فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِرۡصَادًا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ [٤]، وهو أبو عامر الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام، قوله: ﴿ مِن قَبۡلُۚ ﴾ [٥] يرجع إلى أبي عامر يعني حارب الله ورسوله من قبل أي: من قبل بناء مسجد الضرار، ﴿ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ ﴾ [٦]، ما أردنا ببنائه، ﴿ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾ [٧]، إلا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن السير إلى مسجد رسول الله ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٠٧ ﴾ [٨]، في قولهم وحلفهم.

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٧.

(٢) سورة التوبة آية : ١٠٧.

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٧.

(٤) سورة التوبة آية : ١٠٧.

(٥) سورة التوبة آية : ١٠٧.

(٦) سورة التوبة آية : ١٠٧.

(٧) سورة التوبة آية : ١٠٧.

(٨) سورة التوبة آية : ١٠٧.

[١٠٨] قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ ﴾[(١)]، قال ابن عباس: "لا تصل فيه " منع الله تعالى نبيه ﷺ أن يصلي في مسجد الضرار، ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾[(٢)] اللام لام الابتداء، وقيل: لام القسم، تقديره، والله لمسجد أسس أي: بني أصله على التقوى، ﴿ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ ﴾[(٣)]، أي: من أول يوم بني ووضع أساسه، ﴿ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ ﴾[(٤)]، مصلّيًا، واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري: هو مسجد المدينة مسجد الرسول ﷺ والدليل عليه قول الرسول ﷺ قال: ﴿ ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي ﴾[(٥)] [(٦)] وذهب قوم إلى أنه مسجد قباء وهو رواية عطية عن ابن عباس وهو قول عروة بن الزبير، وسعيد بن جبير وقتادة، ﴿ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ ﴾[(٧)]، من الأحداث والجنابات والنجاسات: وقـال عطاء: كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾[(٨)]، أي المتطهرين.

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٨.

(٢) سورة التوبة آية : ١٠٨.

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٨.

(٤) سورة التوبة آية : ١٠٨.

(٥) البخاري الجمعة (١١٣٨)، مسلم الحج (١٣٩١)، الترمذي المناقب (٣٩١٥)، أحمد (٥٣٤/٢)، مالك النداء للصلاة (٤٦٢).

(٦) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣ / ٧٠ ومسلم في الحج ش قم (١٣٩١) ٢ / ١٠١١ والمصنف في شرح السنة ٢ / ٣٣٨.

(٧) سورة التوبة آية : ١٠٨.

(٨) سورة التوبة آية : ١٠٨.

[١٠٩] ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ ﴾ [(١)] يقرأ نافع وابن عامر (أسس) بضم الهمزة وكسر السين، (بنيانه) برفع النون فيها جميعا على غير تسمية الفاعل، وقرأ الآخرون (أَسسَ) فتح الهمزة والسين ﴿ بُنْيَـٰنَهُۥ ﴾ [(٢)] بنصب النون على تسمية الفاعل، ﴿ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ ﴾ [(٣)]، أي: على طلب التقوى ورضا الله تعالى خير ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا ﴾ [(٤)]،أي على شفير، ﴿ جُرُفٍ ﴾ [(٥)] قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر (جرف) ساكنة الراء، وقرأ الباقون بضم الراء وهما لغتان، وهي البئر التي لم تطو، قال أبو عبيدة: هو الهوة، وما يجرفه السيل من الأودية فيتجرف بالماء فيبقى واهيًا، ﴿ هَارٍ ﴾ [(٦)]، أي: هائر وهو الساقط يقال: هار يهور فهو هائر، ثم يقلب فيقال: هار مثل شاك وشائك وعاق عائق، وقيل: هو من هار يا إذا اندم، ومعناه الساقط الذي يتداعى بعضه في إثر بعض كما ينهار الرمل والشيء الرخو، ﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ ﴾ [(٧)]، أي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد صيرهم النفاق إلى النار، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٠٩ ﴾ [(٨)] .

(١) سورة التوبة آية : ١٠٩.
(٢) سورة التوبة آية : ١٠٩.
(٣) سورة التوبة آية : ١٠٩.
(٤) سورة التوبة آية : ١٠٩.
(٥) سورة التوبة آية : ١٠٩.
(٦) سورة التوبة آية : ١٠٩.
(٧) سورة التوبة آية : ١٠٩.
(٨) سورة التوبة آية : ١٠٩.

[١١٠] ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً ﴾ [(١)]، أي: ﴿ قُلُوبِهِمْ ﴾ [(٢)]، يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين كما حبب العجل إلى قوم موسى، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الكلبي: حسرة وندامة؛ لأنهم ندموا على بنائه، وقال السدي: لا يزال هدم بنيانهم ريبة وحزازة، وغيظا في قلوبهم، ﴿ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾ [(٣)]، أي: تتصدع قلوبهم فيموتوا، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وحفص وحمزة (تقطع) بفتح التاء أي: تتقطع، فحذفت إحدى التاءين تخفيفا، وقرأ الآخرون (تقطع) بضم التاء من التقطيع، وقرأ يعقوب وحده (إلى أن) بتخفيف اللام على الغاية، وقرأ الباقون ﴿ إِلَّآ أَن ﴾ [(٤)].

بتشديد اللام على الاستثناء، ويدل على قراءة يعقوب تفسير الضحاك وقتادة: لا يزالون في شك منه وندامة إلى أن يموتوا فحينئذ يستيقنون، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [(٥)].

[١١١] قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ [(٦)]، قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة، وهم سبعون نفسا، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: أشترط لربي ﷻ أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟

(١) سورة التوبة آية : ١١٠.
(٢) سورة التوبة آية : ١١٠.
(٣) سورة التوبة آية : ١١٠.
(٤) سورة التوبة آية : ١١٠.
(٥) سورة التوبة آية : ١١٠.
(٦) سورة التوبة آية : ١١١.

قال: الجنة، قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فـ لت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[1]، وقرأ الأعمـش (بالجنـة) ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[2]، وقرأ حمزة والكسائي: (فيقتلون) بضم الياء وفتح التاء (ويقتلون) بفتح الياء وضم التاء على تقديم فعل المفعول على فعل الفاعل، يعني: يقتل بعضهم ويقتل الباقون، وقرأ الباقون (فيقتلون) بفتح الياء وضم التاء (ويقتلون) بضم الياء وفتح التاء على تقديم فعل الفاعل على ما فعل المفعول، والوجه أنم يقتلون الكفار أولًا ثم يستشهـدون، هـذا الوجـه أظهر، والقـراءة بـه أكثـر، ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ [3] أي: ثواب الجنة لهم وعد وحق ﴿ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾[4]، يعني أن الله ﷻ وعدهم هذا الوعد وبينه في هذه الكتب، وفيه دليل على أن أهل الملل كلهم أمروا بالجهاد على ثواب الجنة، ثم هنأهـم فقـال: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ ﴾[5]، فافرحوا ﴿ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[6]، قال عمر رضي الله عنه إن الله ﷻ بايعك وجعل الصفقتين لك، وقال قتادة: ثامنهم الله ﷻ فأغلى لهم، وقال الحسن: اسعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن، وعنه أنه قال: إن الله أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها، ثم وصفهم فقال:

---

(١) سورة التوبة آية : ١١١.
(٢) سورة التوبة آية : ١١١.
(٣) سورة التوبة آية : ١١١.
(٤) سورة التوبة آية : ١١١.
(٥) سورة التوبة آية : ١١١.
(٦) سورة التوبة آية : ١١١.

قوله تعالى التائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السائِحُونَ الراكِعُونَ الساجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ....

[١١٢] ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ﴾ (١)، قال الفراء: استؤنفت بالرفع لتمام الآية، وانقطاع الكلام، وقال الزجاج: التائبون رفع بالابتداء، وخبره مضمر، والمعنى التائبون إلى آخر الآية لهم الجنة أيضا، أي: من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد، لأن بعض المسلمين يجزي عن بعض في الجهاد، فمن كانت هذه صفته فله الجنة أيضا، وهذا أحسـن، فكأنه وعد الجنة لجميع المؤمنين، كما قال: ﴿ وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٢)، فمن جعله تابعا للأول فلهم الوعد بالجنة أيضا، وإن كان الوعد بالجنة للمجاهدين الموصوفين بذه الصفات، قوله: ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ﴾ (٣) أي: الذين تابوا من الشرك وبرؤوا من النفاق ﴿ ٱلْعَـٰبِدُونَ ﴾ (٤) المطيعون الذين أخلصوا العبادة لله ﷻ ﴿ ٱلْحَـٰمِدُونَ ﴾ (٥)، الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء ﴿ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ﴾ (٦)، قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: هم الصائمون، وقال عطاء: السائحون الغزاة الاهدون في سبيل الله، وقال عكرمة: السائحون هم طلبة العلم، ﴿ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ﴾ (٧)، يعني المصلين،

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٢.

(٢) سورة النساء آية : ٩٥.

(٣) سورة التوبة آية : ١١٢.

(٤) سورة التوبة آية : ١١٢.

(٥) سورة التوبة آية : ١١٢.

(٦) سورة التوبة آية : ١١٢.

(٧) سورة التوبة آية : ١١٢.

﴿ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1]، بالإيمان، ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2] عن الشرك، وقيل: المعروف السنة والمنكر البدعة، ﴿ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[3]، القائمـون بأوامر الله، وقـال الحسـن: أهل الوفاء ببيعـة الله، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[4].

[١١٣] ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[5]، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية، قال قوم: « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: " أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله "، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة: أترغب عن ملة عبد المطلب: فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: أنا على ملة عبد المطلب؟ وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ " والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك "، فأنزل الله تعالى هذه الآية، »[6] وقال أبو هريرة وبريدة: « لما قدم رسول الله ﷺ مكة أتى قبر أمه آمنة فوقف عليه حتى حميت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فـ لت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[7] » الآية[1] قال قتادة: قال النبي ﷺ « لأستغفرن لأبي،

(١) سورة التوبة آية : ١١٢.
(٢) سورة التوبة آية : ١١٢.
(٣) سورة التوبة آية : ١١٢.
(٤) سورة التوبة آية : ١١٢.
(٥) سورة التوبة آية : ١١٣.
(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٤٩٤)، مسلم الإيمان (٢٤)، النسائي الجنائز (٢٠٣٥)، أحمد (٤٣٣/٥).
(٧) سورة التوبة آية : ١١٣.

كما استغفر إبراهيم لأبيه " فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴾ [2] [3]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ سمعت رجلًا يستغفر لوالديه وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيـه؟ فأتيـت النبي ﷺ فذكرت ذلك لـه، فأنزل الله عز وجل ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [4]، إلى قوله: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [5] ﴾ [6].

[١١٤] قولـه تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [7]، قال بعضهم: الهاء في إياه عائدة إلى إبراهيم عليه السلام، والوعد كان من أبيه، وذلك أن أباه كان وعده أن يسلم، فقال له إبراهيم سأستغفر لك ربي يعني إذا أسلمت، وقال بعضهم: الهاء راجعة إلى الأب، وذلك أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه، وهو قوله: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾ [8]، يدل عليه قراءة الحسن: (وعدها أباه)، بالباء الموحدة، والدليل على أن الوعد من إبراهيم وكان الاستغفار في حال شرك الأب قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [9]، إلى أن قال: ﴿ إِلَّا

---

(١) أخرجه الطبري ١٤ / ٥١٢ والإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٥٩.

(٢) الترمذي تفسير القرآن (٣١٠١)، النسائي الجنائز (٢٠٣٦)، أحمد (١٣١/١).

(٣) أخرجه الطبري مطولًا ١٤ / ٥١٣.

(٤) سورة الممتحنة آية : ٤.

(٥) سورة الممتحنة آية : ٤.

(٦) أخرجه الترمذي في التفسير ٨ / ٥٠٥ وقال حديث حسن، وصححه الحاكم ٢ / ٣٣٥، وأخرجه أحمد والنسائي، وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار- انظر الكافي الشافي ص ٨٢، وتحفة الأحوذي ٨ / ٥٠٥.

(٧) سورة التوبة آية : ١١٤.

(٨) سورة مريم آية : ٤٧.

(٩) سورة الممتحنة آية : ٤.

قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [1]، فصرح أن إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار، وإنما استغفر له وهـو مشـرك لمكان الوعد رجاء أن يسلم، ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ ﴾ [2]، لموته على الكفر، ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [3]، وقيل: فلما تبين له في الآخـرة أنه عدو لله تبرأ منـه أي: يتبرأ منـه، قولـه تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [4]، اختلفوا في معنى الأواه، جـاء في الحديث: "إن الأواه الخاشع المتضرع "، وقال عبد الله بن مسعود: الأواه الدعاء، وعن ابن عباس قال: هو المؤمن التواب، وقال الحسن وقتادة: الأواه الرحيم بعباد الله، وقال مجاهد: الأواه الموقن، وقال عكرمة: هو المستيقن بلغة الحبشة.

وقال كعب الأحبار: هو الذي يكثر التأوه، وكان إبراهيم عليه السلام يكثر أن يقول: أوه من النار، قبل ألا ينفع أوه، وقيل: هو الذي يتأوه من الذنوب، وقال عقبة بن عامر: الأواه الكثير الذكر لله تعالى، وعن سعيد بن جبير قال: الأواه: المسبح، وروي عنه: الأواه: المعلم للخير، وقال النخعي: هو الفقيه، وقال عطاء: هو الراجع عن كل ما يكره الله، وقال أيضا: هو الخائف من النار، وقال أبو عبيدة: هو المتأوه شفقًا وفرقًا المتضرع يقينًا، يريد أن يكون تضرعه على يقين الإجابة ولزوم الطاعة، قال الزجاج: قد انتظم في قول أبي عبيدة أكثر ما قيل في الأواه، وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء، والفعل منه أوه وتأوه، والحليم الصفوح عمن سبه أو ناله بالمكروه، كما قال لأبيه عند وعيده، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الحليم السيد.

---

(١) سورة الممتحنة آية : ٤.

(٢) سورة التوبة آية : ١١٤.

(٣) سورة التوبة آية : ١١٤.

(٤) سورة التوبة آية : ١١٤.

[١١٥] قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمًۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ ﴾[١]، معناه: ما كان الله ليحكم عليكم بالضلالة بترك الأوامر باستغفاركم للمشركين، ﴿ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ ﴾[٢]، يريد حتى يتقدم إليكم بالنهي، فإذا بين ولم تأخذوا به فعند ذلك تستحقون الضلال، وقال مقاتل والكلبي: هذا في المنسوخ، وذلك أن قومًا قدموا على النبي ﷺ فأسلموا، ولم تكن الخمر حرامًا ولا القبلة مصروفة إلى الكعبة، فرجعوا إلى قومهم، وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة، ولا علم لهم بذلك، ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت، فقالوا: يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمًۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ ﴾[٣]، يعني ما كان الله ليبطل عمل قوم قد علموا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥ ﴾[٤]، ثم عظم نفسه فقال:

[١١٦] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[٥]، يحكم بما يشاء، ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦ ﴾[٦].

(١) سورة التوبة آية : ١١٥.
(٢) سورة التوبة آية : ١١٥.
(٣) سورة التوبة آية : ١١٥.
(٤) سورة التوبة آية : ١١٥.
(٥) سورة التوبة آية : ١١٦.
(٦) سورة التوبة آية : ١١٦.

[١١٧] قوله ﷻ ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ (١)، الآية، تاب الله أي: تجاوز وصفح، ومعنى توبته على النبي ﷺ بإذنه للمنافقين بالتخلف عنه، وقيل: افتتح الكلام به؛ لأنه كان سبب توبتهم، فذكره معهم، كقوله تعالى: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ (٢)، ونحوه، ﴿ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ (٣)، أي: في وقت العسرة، ولم يرد ساعة بعينها، وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة، والجيش يسمى جيش العسرة، والعسرة الشدة، وكانت عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء، قال الحسن: كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يتعقبونه يركب الرجل ساعة ثم ي ل فيركب صاحبه كذلك، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ ﴾ (٤) قرأ حمزة وحفص: (يزيغ) بالياء لقوله (كاد) ولم يقل، كادت، وقرأ الآخرون بالتاء، والزيغ: الميل، أي: من بعد كادت تميل، ﴿ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ (٥)، أي: قلوب بعضهم، ولم يرد الميل عن الدين بل أراد الميل إلى التخلف والانصراف للشدة التي عليهم، قال الكلبي: هم ناس بالتخلف ثم لحقوه. ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ (٦)، فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة، وقد قال في أول الآية ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ (٧)؟ قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله ﷻ فلما ذكر الذنب أعاد

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٧.
(٢) سورة الأنفال آية : ٤١.
(٣) سورة التوبة آية : ١١٧.
(٤) سورة التوبة آية : ١١٧.
(٥) سورة التوبة آية : ١١٧.
(٦) سورة التوبة آية : ١١٧.
(٧) سورة التوبة آية : ١١٧.

ذكر التوبة، والمراد منه قبولها، ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧ ﴾[1]، قال ابن عباس: من تاب الله عليه لم يعذبه أبدا.

قوله تعالى وَعَلَى الثَلاثَةِ الذِينَ خُلفُوا حَتى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ....

[١١٨] قوله ﷻ ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾[2] أي: خلفوا من غزوة تبوك، وقيل: ﴿ خُلِّفُواْ ﴾[3] أي: أرجئ أمرهم عن توبة أبي لبابة وأصحابه، وهؤلاء الثلاثة هـم كعب بن مالك الشاعر ومرارة ابن الربيع وهلال بن أمية كلهم من الأنصار، قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾[4]، أي: اتسعت، ﴿ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ ﴾[5] غما وهمّا ﴿ وَظَنُّوٓاْ ﴾[6] أي: تيقنـوا، ﴿ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[7]، لا مفـزع من الله، ﴿ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ ﴾[8]، أي: ليستقيموا على التوبة، فإن توبتهم قد سبقت، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾[9].

(١) سورة التوبة آية : ١١٧.
(٢) سورة التوبة آية : ١١٨.
(٣) سورة التوبة آية : ١١٨.
(٤) سورة التوبة آية : ١١٨.
(٥) سورة التوبة آية : ١١٨.
(٦) سورة التوبة آية : ١١٨.
(٧) سورة التوبة آية : ١١٨.
(٨) سورة التوبة آية : ١١٨.
(٩) سورة التوبة آية : ١١٨.

[١١٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[(١)]، قال نافع: مع محمد وأصحابه، وقال سعيد بن جبير: مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال ابن جريج: مع المهاجرين، لقوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾[(٢)] إلى قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[(٣)]، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم، وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك بإخلاص نية، وقيل: مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب، ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة، وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[(٤)] وقال ابن مسعود: إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجز له، اقرؤوا إن شئتم هذه الآية.

[١٢٠] قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾[(٥)] ظاهره خبر معناه نهي، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾[(٦)]، ﴿ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾[(٧)]، سكان البوادي مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار، ﴿ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾[(٨)]، إذا غزا، ﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ ﴾[(٩)]، أي: ولا أن يرغبوا،

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٩.
(٢) سورة الحشر آية : ٨.
(٣) سورة الحشر آية : ٨.
(٤) سورة التوبة آية : ١١٩.
(٥) سورة التوبة آية : ١٢٠.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٧) سورة التوبة آية : ١٢٠.
(٨) سورة التوبة آية : ١٢٠.
(٩) سورة التوبة آية : ١٢٠.

﴿ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴾ [1]، في مصاحبته ومعاونته والجهاد معه، قال الحسن: لا يرغبوا بأنفسهم عن أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة، ورسول الله ﷺ في مشقـة السفـر، ومقاساة التعب. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ﴾ [2]، في سفرهم، ﴿ ظَمَأٌ ﴾ [3]، عطش، ﴿ وَلَا نَصَبٌ ﴾ [4]، تعب، ﴿ وَلَا مَخْمَصَةٌ ﴾ [5]، مجاعـة، ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا ﴾ [6]، أرضا، ﴿ يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [7]، وطؤهم إياه ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا ﴾ [8]، أي: لا يصيبون من عدوهم قتلًا أو أسرًا أو غنيمة أو هزيمة، ﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [9] كان رسول الله ﷺ يقول: ﴿ من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار ﴾ [10] [11] واختلفوا في حكم هذه الآية، قال قتادة: هذه خاصة لرسول الله ﷺ إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر، فأما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المسلمين أن يتخلف عنه إذا لم يكن بالمسلمين

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٠.

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٠.

(٣) سورة التوبة آية : ١٢٠.

(٤) سورة التوبة آية : ١٢٠.

(٥) سورة التوبة آية : ١٢٠.

(٦) سورة التوبة آية : ١٢٠.

(٧) سورة التوبة آية : ١٢٠.

(٨) سورة التوبة آية : ١٢٠.

(٩) سورة التوبة آية : ١٢٠.

(١٠) البخاري الجمعة (٨٦٥)، الترمذي فضائل الجهاد (١٦٣٢)، النسائي الجهاد (٣١١٦)، أحمد (٤٧٩/٣).

(١١) أخرجه البخاري في الجمعة ٢ / ٣٩٠ والمصنف في شرح السنة ١٠ / ٣٥٣.

إليه ضرورة، وقيل في هذه الآية: إنا لأول هذه الأمة وآخرها، وقال ابن زيد: هذا حين كان أهل الإسلام قليلا، فلما كثروا نسخهـا الله تعالى، وأباح التخلـف لمن يشاء، فقال: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾ [(١)].

[١٢١] ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً ﴾ [(٢)]، أي: في سبيـل الله، ﴿ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ [(٣)]، ولو علاقة سوط ﴿ وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﴾ [(٤)]، لا يجاوزون واديا في مسيرهم مقبلين أو مدبرين، ﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ﴾ [(٥)]، يعني: آثارهـم وخطاهم، ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [(٦)].

[١٢٢] قوله ﷻ ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾ [(٧)]، قال ابن عباس في رواية الكلبي: لما أنزل الله ﷻ عيوب المنافقين في غزوة تبوك كان النبي ﷺ يبعث السرايا فكان المسلمون ينفرون جميعا إلى الغزو، ويتركون النبي ﷺ وحده، فأنزل الله ﷻ هـذه الآية، وهذا نفي بمعنى النهي. قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ [(٨)]، أي: فهلا خـرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة، ويبقى مع رسول الله ﷺ جماعة، ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [(٩)]، يعني: فرقة القاعدين يتعلمون القرآن

(١) سورة التوبة آية : ١٢٢.
(٢) سورة التوبة آية : ١٢١.
(٣) سورة التوبة آية : ١٢١.
(٤) سورة التوبة آية : ١٢١.
(٥) سورة التوبة آية : ١٢١.
(٦) سورة التوبة آية : ١٢١.
(٧) سورة التوبة آية : ١٢٢.
(٨) سورة التوبة آية : ١٢٢.
(٩) سورة التوبة آية : ١٢٢.

والسنن والفرائض والأحكام، فإذا رجعت السرايا أخبروهم بما أنزل بعدهم فتمكث السرايا يتعلمـون ما نزل بعدهم وتبعث سرايا أخر، فذلك قوله: ﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ ﴾[1]، وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به، ﴿ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[2]، أن يجهلوا فلا يعملون بخلافه، وقال الحسن: هذا التفقه والإنذار راجع إلى الفرقة النافرة، ومعناه: هلا نفر فرقة ليتفقهوا، أي: لينصروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين، ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله ورسوله ﷺ والمؤمنين لعلهم يحذرون أن يعادوا النبي ﷺ فيـ ل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار.

وقال الكلبي: لها وجه آخر أي: لم يكن لهم أن ينفروا كافة، ولكن من كل قبيلة طائفة ليتفقهوا في الدين.

قوله تعالى يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفار وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً....

[١٢٣] قـولـه ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾[3]، الآية، أمروا بقتال الأقرب فالأقرب إليهم في الدار والنسب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثل بني قريظة والنضير وخيبر ونحوها، وقيل: أراد بهم الروم؛ لأنـهـم كانـوا سكـان الشام، وكان الشام أقرب إلى المدينة من العراق،

(١) سورة التوبة آية : ١٢٢.

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٢.

(٣) سورة التوبة آية : ١٢٣.

﴿ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ ﴾[1]، شدة وحمية، قال الحسن: صبرا على جهادكم، ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[2]، بالعون والنصرة.

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًاۚ ﴾[3]، يقينًا، كان المنافقون يقولون هذا استهزاء، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾[4] يقينًا وتصديقًا، ﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[5]، يفرحون بنزول القرآن.

[١٢٥] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[6]، شك ونفاق، ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾[7]، أي: كفرهم، فعند نزول كل سورة ينكرونا يزداد كفرهم بها، قال مجاهد: هذه الآية إشارة إلى الإيمان يزيد وينقص، وكان عمر: يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتى نزداد إيمانًا، وقال علي بن أبي طالب: إن الإيمان يبدو لمعة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عظمًا ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله. ﴿ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[8].

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٣.
(٢) سورة التوبة آية : ١٢٣.
(٣) سورة التوبة آية : ١٢٤.
(٤) سورة التوبة آية : ١٢٤.
(٥) سورة التوبة آية : ١٢٤.
(٦) سورة التوبة آية : ١٢٥.
(٧) سورة التوبة آية : ١٢٥.
(٨) سورة التوبة آية : ١٢٥.

[١٢٦] قوله: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ ﴾[(١)]، قرأ حـمزة ويعقوب: (ترون) بالتاء على خطاب النبي والمؤمنين، وقرأ الآخرون بالياء خبر عن المنافقين المذكورين ﴿ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ ﴾[(٢)]، ويبتلون ﴿ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾[(٣)]، بالأمراض والشدائد، وقال مجاهد: بالقحط والشدة، وقال قتادة: بالغزو والجهاد، وقال مقاتل بن حيان: يفضحون بإظهار نفاقهم، وقال عكرمة: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون، وقال يمان: ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين، ﴿ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ ﴾[(٤)]، من نقض العهد، ولا يرجعون إلى الله من النفاق، ﴿ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[(٥)]، أي: لا يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين.

[١٢٧] ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾[(٦)] فيها عيب المنافقين وتوبيخهم، ﴿ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾[(٧)]، يريدون الهرب، يقول بعضهم لبعض إشارة ﴿ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾[(٨)]، أي: أحد من المؤمنين إن قمتم، فإن لم يرهم أحد خرجوا من المسجد، وإن علموا أن أحدا يراهم أقاموا وثبتوا، ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ ﴾[(٩)]، عن الإيمان بها، وقيل: انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها، ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾[(١)]، عن

(١) سورة التوبة آية : ١٢٦.
(٢) سورة التوبة آية : ١٢٦.
(٣) سورة التوبة آية : ١٢٦.
(٤) سورة التوبة آية : ١٢٦.
(٥) سورة التوبة آية : ١٢٦.
(٦) سورة التوبة آية : ١٢٧.
(٧) سورة التوبة آية : ١٢٧.
(٨) سورة التوبة آية : ١٢٧.
(٩) سورة التوبة آية : ١٢٧.

وقيل: انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها، ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾[1]، عن الإيمان، وقال أبو إسحاق الزجاج: أضلهم الله مجازاة على فعلهم ذلك، ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[2]، عن الله دينه.

[١٢٨ - ١٢٩] قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[3] تعرفون نسبه وحسبه، قال السدي: من العرب من بني إسماعيل، قال ابن عباس: ليس من العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نسب، وقال جعفر بن محمد الصادق: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية من زمان آدم عليه السلام، وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصن (من أنفسكم) بفتح الفاء، أي: من أشرفكم وأفضلكم، ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ﴾[4]، شديد عليه، ﴿ مَا عَنِتُّمْ ﴾[5]، قيل: (ما) صلة أي: عنتكم، وهو دخول المشقة والمضرة عليكم، وقال القتيبي: ما أعنتكم وضركم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ضللتم، وقال الضحاك والكلبي: ما أثمتم، ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾[6]، أي: على إيمانكم وصلاحكم، وقال قتادة: حريص عليكم أي على ضالكم أن يهديه الله، ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[7]، قيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾[8]، إن أعرضوا عن الإيمان وناصبوك، ﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

(١) سورة التوبة آية : ١٢٧.
(٢) سورة التوبة آية : ١٢٧.
(٣) سورة التوبة آية : ١٢٨.
(٤) سورة التوبة آية : ١٢٨.
(٥) سورة التوبة آية : ١٢٨.
(٦) سورة التوبة آية : ١٢٨.
(٧) سورة التوبة آية : ١٢٨.
(٨) سورة التوبة آية : ١٢٩.

هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [1]، روي عـن أبي بـن كعب قال: آخـر مـا نزل مـن القـرآن هاتان الآيتان ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [2] ثم إلى آخر السورة، وقال: هما أحدث الآيات بالله عهدا [3].

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٩.

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٨.

(٣) أخرجه الحاكم ٢ / ٣٣٨، والإمام عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ٥ / ١١٧، قال الهيثمي في المجمع ٧ / ٣٦ فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف سيئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات.

(١٠) سورة يونس

قوله تعالى الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ....

سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكية إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [(١)] إلى آخرها.

[١] ﴿ الٓر ﴾ [(٢)] (والمر) قرأ أهل الحجاز والشام وحفص بفتح الراء، وقرأ الآخرون بالإمالـة، وقال ابن عبـاس والضحاك: ﴿ الٓر ﴾ [(٣)] أنا الله أرى، و ﴿ الٓمٓر ﴾ [(٤)] أنا الله أعلم وأرى، وقال سعيد بن جبير: (الر) و (حم) و (ن) حروف اسم الرحمن، وقد سبق الكلام في حروف التهجي، ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ [(٥)]، أي: هذا، وأراد بالكتاب الحكيم القرآن، وقيل، أراد با الآيات التي أنزلها من قبل ذلك، ولذلك قال: (تلك) وتلك إشارة إلى غائب مؤنث، والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام، فعيل بمعنى مفعل بدليل قوله: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [(٦)]، وقيل: هو بمعنى الحاكم، فعيل بمعنى فاعل دليله قوله ﷻ ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [(٧)]، وقيل: هو بمعنى المحكوم،

(١) سورة يونس آية : ٩٤.
(٢) سورة يونس آية : ١.
(٣) سورة يونس آية : ١.
(٤) سورة الرعد آية : ١.
(٥) سورة يونس آية : ١.
(٦) سورة هود آية : ١.
(٧) سورة البقرة آية : ٢١٣.

فعيل بمعنى المفعول. قال الحسن: حكم فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وبالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه، وبالنار لمن عصاه.

[٢] قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾ [(١)]، العجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة، وسبب نزول الآية أن الله ﷻ لما بعث محمدًا ﷺ رسولًا، قال المشركون: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، فقال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ ﴾ [(٢)] يعني: أهل مكة، الألف فيه للتوبيخ، ﴿ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ [(٣)]، يعني محمدا ﷺ ﴿ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ [(٤)]، أي أعلمهم مع التخويف، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [(٥)]، واختلفوا فيه، قال ابن عباس: أجرًا حسنًا بما قدموا من أعمالهم، قال أعمالهم ثواب صدق، وقال الحسن: عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه، وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هو السعادة في الذكر الأول، وقال زيد بن أسلم هو شفاعة الرسول ﷺ وقال عطاء: مقام صدق لا زوال ولا بؤس فيه، وقيل: م لة رفيعة، وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعته، كقولهم مسجد الجامع، وحب الحصيد، وقال أبو عبيدة: كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم، يقال لفلان قدم في الإسلام، وله عندي قدم صدق وقدم سوء، وهو يؤنث فيقال: قدم صالحة، ﴿ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ ﴾ [(٦)]، قرأ نافع وأهل البصرة

---

(١) سورة يونس آية : ٢.

(٢) سورة يونس آية : ٢.

(٣) سورة يونس آية : ٢.

(٤) سورة يونس آية : ٢.

(٥) سورة يونس آية : ٢.

(٦) سورة يونس آية : ٢.

والشام: (لسحر) بغير ألف يعنون القرآن، وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة: (لساحر) بالألف يعنون محمدا ﷺ.

[٣] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ ﴾[(١)]، يقضيه وحده ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ﴾[(٢)]، معناه أن الشفعاء لا يشفعون إلا بإذنه، وهذا رد على النضر بن الحارث فإنه كـان يقول: إذا كان يوم القيامة تشفعني اللات والعزى. قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾[(٣)]، يعني: الذي فعل هذه الأشياء ربكم لا رب لكم سواه، ﴿ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾[(٤)]، تتعظون.

[٤] ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ ﴾[(٥)]، صدقًا لا خلف فيه، نصب على المصدر، أي: وعدكم وعدًا حقًّا ﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾[(٦)]، أي: يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم، قراءة العامة: (إنه) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ أبو جعفر (أنه) بالفتح على معنى بأنه أو لأنه ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾[(٧)]، بالعدل، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾[(١)]، ماء حار انتهى حره، ﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤ ﴾[(٢)].

---

(١) سورة يونس آية : ٣.
(٢) سورة يونس آية : ٣.
(٣) سورة يونس آية : ٣.
(٤) سورة يونس آية : ٣.
(٥) سورة يونس آية : ٤.
(٦) سورة يونس آية : ٤.
(٧) سورة يونس آية : ٤.

[٥] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً ﴾[٣]، بالنهار ﴿ وَٱلۡقَمَرَ نُورًا ﴾[٤] بالليل، وقيل: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾[٥] أي: قدر له يعني هيأ له منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونا، ولم يقاد قدرهما، قيل: تقدير المنازل ينصرف إليهما غير أنه اكتفى بذكر أحدهما، كما قال: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾[٦]، وقيل: هو ينصرف إلى القمر خاصة؛ لأن القمر يعرف به انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس، ومنازل القمر ثمانية وعشرون م لا، وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهي اثنا عشر برجا، فلكل برج م لان وثلث م ل، فيـ ل القمر كل ليلة م لا منها، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وإن كان تسعًا وعشرين فليلة واحدة، فيكون تلك المنازل، ويكون مقام الشمس في كل م لة ثلاثة عشر يومًا وثلث يوم، فيكون انقضاء السنة مع انقضائها، قوله تعالى: ﴿ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ ﴾[٧]، أي: قدر المنازل ﴿ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ ﴾[٨] دخولها وانقضاءها، ﴿ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾[٩]، يعني: حساب الشهور والأيام والساعات. ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ ﴾[١٠]، رده إلى الخلق

---

(١) سورة يونس آية : ٤.

(٢) سورة يونس آية : ٤.

(٣) سورة يونس آية : ٥.

(٤) سورة يونس آية : ٥.

(٥) سورة يونس آية : ٥.

(٦) سورة التوبة آية : ٦٢.

(٧) سورة يونس آية : ٥.

(٨) سورة يونس آية : ٥.

(٩) سورة يونس آية : ٥.

(١٠) سورة يونس آية : ٥.

والتقدير ولولا رده إلى الأعيان المذكورة لقال تلك، ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [1]، أي: لم يخلقه باطلًا بل إظهارًا لصنعه، ودلالة على قدرته، ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [2]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب: (يُفَصلُ) بالياء، لقوله: (مَا خَلَقَ) وقرأ الباقون: (نفصل) بالنون على التعظيم.

[٦] ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝ ﴾ [3] يؤمنون.

قوله تعالى: إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها....

[٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ [4]، أي: لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا، والرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع، ﴿ وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [5]، فاختاروها وعملوا لها، ﴿ وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا ﴾ [6]، سكنوا إليها، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ ﴾ [7]، أي: عن أدلتنا غافلون لا يعتبرون، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عن آياتنا: عن محمد ﷺ والقرآن غافلون معرضون.

[٨] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝ ﴾ [8]، من الكفر والتكذيب.

---

(١) سورة يونس آية : ٥.
(٢) سورة يونس آية : ٥.
(٣) سورة يونس آية : ٦.
(٤) سورة يونس آية : ٧.
(٥) سورة يونس آية : ٧.
(٦) سورة يونس آية : ٧.
(٧) سورة يونس آية : ٧.
(٨) سورة يونس آية : ٨.

[٩] قـوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾[(١)]، فيه إضمار، أي: يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى جنة، ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[(٢)]، قال مجاهد: يهديهم على الصراط إلى الجنة يجعل لهم نورًا يمشون به، وقيل: يهديهم معناه يثيبهم ويجزيهم، وقيل: معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه، أي: بتصديقهم هداهم، تجري من تحتهم الأنهار أي: بين أيديهم، كقوله ﷻ ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤ ﴾[(٣)] لم يرد به أنه تحتها وهي قاعدة عليه، بل أراد بين يديها، وقيل: تجري من تحتهم أي: بأمرهم ﴿ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ ﴾[(٤)].

[١٠] ﴿ دَعْوَىٰهُمْ ﴾[(٥)]، أي: قولهم وكلامهم، وقيل: دعاؤهم، ﴿ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾[(٦)]، وهي كلمة ت يه، ت ه الله من كل سوء، وروينا: ﴿ أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح، كما يلهمون النفس ﴾[(٧)] [(٨)] قال أهل التفسير: هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فإذا أرادوا الطعام قالوا: ﴿ سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾[(٩)]، فأتوهم في الوقت بما يشتهون على الموائد، كل مائدة ميل في ميل، على كل مائدة سبعون ألف صحفة، وفي كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا، فإذا

---

(١) سورة يونس آية : ٩.
(٢) سورة يونس آية : ٩.
(٣) سورة مريم آية : ٢٤.
(٤) سورة يونس آية : ٩.
(٥) سورة يونس آية : ١٠.
(٦) سورة يونس آية : ١٠.
(٧) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٥)، أحمد (٣/٣٤٩)، الدارمي الرقاق (٢٨٢٧).
(٨) رواه مسلم في الجنة، وصفة نعيمها رقم (٢٨٣٥) ٤ / ٢١٨٠..
(٩) سورة يونس آية : ١٠.

فرغوا من الطعام حمدوا الله، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ (١)، قوله تعالى: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ (٢) أي: يحيي بعضهم بعضًا بالسلام، وقيل: تحية الملائكة لهم بالسلام، وقيل: تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام، ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ (٣)، يريد يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد.

[١١] قوله ﷻ ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ ﴾ (٤)، قال ابن عباس: هذا في قول الرجل عند الغضب لأهله وولده: لعنكم الله، ولا بارك الله فيكم، قال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب، معناه: لو يعجل الله الناس إجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير، أي: كما يحبون استعجالهم بالخير، ﴿ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ (٥)، قرأ ابن عامر ويعقوب: (لقضى) بفتح القاف والضاد، (أجلهم) نصب، أي: لأهلك من دعي عليه وأماته، وقال الآخرون: (لقضي) بضم القاف وكسر الضاد (أجلهم) رفع، أي: لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعًا، وقيل: إنا نزلت في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، يدل عليه قوله ﷻ ﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ (٦)، لا يخافون البعث والحساب، ﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ ﴾ (٧).

(١) سورة يونس آية : ١٠.
(٢) سورة يونس آية : ١٠.
(٣) سورة يونس آية : ١٠.
(٤) سورة يونس آية : ١١.
(٥) سورة يونس آية : ١١.
(٦) سورة يونس آية : ١١.
(٧) سورة يونس آية : ١١.

[١٢] ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ ﴾[(١)]، الجهـد والشـدة، ﴿ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾[(٢)]، أي: على جنبه مضطجعًا، ﴿ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا ﴾[(٣)]، يريد في جميع حالاته؛ لأن الإنسان لا يعدو إحدى هذه الحالات، ﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا ﴾[(٤)] دفعنا، ﴿ عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ ﴾[(٥)] أي استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء، كأنه لم يدعنا إلى ضر مسه أي: لم يطلب منا كشف ضر مسه، ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[(٦)]، الـاوزين الحد في الكفر والمعصية ﴿ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢ ﴾[(٧)] من العصيـان، قال ابن جريج: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ ﴾[(٨)] ﴿ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢ ﴾[(٩)] من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند الرخاء، وقيل: معناه كما زين لكم أعمالكم، كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم.

[١٣] ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾[(١٠)] أشركـوا، ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا

---

(١) سورة يونس آية : ١٢.
(٢) سورة يونس آية : ١٢.
(٣) سورة يونس آية : ١٢.
(٤) سورة يونس آية : ١٢.
(٥) سورة يونس آية : ١٢.
(٦) سورة يونس آية : ١٢.
(٧) سورة يونس آية : ١٢.
(٨) سورة يونس آية : ١٢.
(٩) سورة يونس آية : ١٢.
(١٠) سورة يونس آية : ١٣.

كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ ﴾[1] أي: كما أهلكناهم بكفرهم، ﴿ نَجۡزِى ﴾[2]، نعاقب ونلك، ﴿ ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[3]، الكافرين بتكذيبهم محمدا ﷺ يخوف كفار مكة بعذاب الأمم الخالية المكذبة.

[١٤] ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ﴾[4] أي: خلفاء، ﴿ فِى ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾[5]، أي: من بعد القرون التي أهلكناهم، ﴿ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[6]، وهو أعلم بم، وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: « ألا إن هذه الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون »[7] [8].

قوله تعالى وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ....

[١٥] قوله ﷻ ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ ﴾[9]، قال قتادة: يعني مشركي مكة، وقال مقاتل: هم خمسة نفر: عبد الله بن أميه المخزومي، والوليد بن المغيرة ومكرز

---

(١) سورة يونس آية : ١٣.

(٢) سورة يونس آية : ١٣.

(٣) سورة يونس آية : ١٣.

(٤) سورة يونس آية : ١٤.

(٥) سورة يونس آية : ١٤.

(٦) سورة يونس آية : ١٤.

(٧) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٤٢)، الترمذي الفتن (٢١٩١)، ابن ماجه الفتن (٤٠٠٠)، أحمد (٣/ ٦١).

(٨) رواه مسلم في الرقاق رقم (٢٧٤٢) ٤ / ٢٠٩٨ والمصنف في شرح السنة ٩ / ١٢.

(٩) سورة يونس آية : ١٥.

بن حفص وعمرو بن عبيد الله بن أبي قيس العامري والعاص بن عامر بن هشام، ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾[1]، هم السابق ذكرهم قالوا للنبي ﷺ إن كنت تريد أن نؤمن بك ﴿ ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ ﴾[2]، ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها، وإن لم ي لها الله فقل أنت من عند نفسك، ﴿ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾[3]، فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة، أو مكان حرام حلالا أو مكان حلال حراما، ﴿ قُلۡ ﴾[4] لهم يا محمد، ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ ﴾[5]، مـن قبـل نفسي ﴿ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ ﴾[6]، أي: ما أتبع إلا ما يوحي إلي فيما آمركم به وأناكم عنه، ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾[7].

[١٦] ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ ﴾[8]، يعني: لو شاء الله ما أنزل القرآن علي. ﴿ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ ﴾[9]، أي: ولا أعلمكم الله، قرأ البزي عن ابن كثير: (ولأدراكم به) بالقصر به على الإيجاب، يريد ولا علمكم به من غير قراءتي عليكم،

---

(١) سورة يونس آية : ١٥.

(٢) سورة يونس آية : ١٥.

(٣) سورة يونس آية : ١٥.

(٤) سورة يونس آية : ١٥.

(٥) سورة يونس آية : ١٥.

(٦) سورة يونس آية : ١٥.

(٧) سورة يونس آية : ١٥.

(٨) سورة يونس آية : ١٦.

(٩) سورة يونس آية : ١٦.

وقرأ ابن عباس: (ولا أنذرتكم به)، من الإنذار، ﴿ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرًا ﴾ [1] حينا، وهو أربعون سنة، ﴿ مِّن قَبۡلِهِۦٓ ﴾ [2]، من قبل نزول القرآن ولم آتكم بشيء، ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [3]، أنه ليس من قبلي، ولبث النبي ﷺ فيهم قبل الوحي أربعين سنة، ثم أوحى الله إليه فأقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فأقام بالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

[١٧] قوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [4]، فزعم أن له شريكا أو ولدا ﴿ أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ [5]، بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [6]، لا ينجو المشركون.

[١٨] ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ ﴾ [7] إن عصوه وتركوا عبادته، ﴿ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾ [8]، إن عبدوه، يعني: الأصنام، ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ ﴾ [9]، أتخبرون الله، ﴿ بِمَا لَا يَعۡلَمُ ﴾ [10] الله صحته، ومعنى الآيـة: أتخبرون الله أن له شريكا وعنده شفيعا بغير إذنه، ولا يعلم الله لنفسه شريكا؟!

---

(١) سورة يونس آية : ١٦.

(٢) سورة يونس آية : ١٦.

(٣) سورة يونس آية : ١٦.

(٤) سورة يونس آية : ١٧.

(٥) سورة يونس آية : ١٧.

(٦) سورة يونس آية : ١٧.

(٧) سورة يونس آية : ١٨.

(٨) سورة يونس آية : ١٨.

(٩) سورة يونس آية : ١٨.

(١٠) سورة يونس آية : ١٨.

﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]، قرأ حمزة والكسائي: (تشركون) بالتاء ها هنا وفي سورة النحل موضعين، وفي سورة الروم، وقرأ الآخرون كلها بالياء.

[١٩] قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[2]، أي: على الإسلام، وقد ذكرنا الاختلاف فيه في سورة البقرة، ﴿ فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[3]، وتفرقوا إلى مؤمن وكافر، ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾[4]، بأن جعل لكل أمة أجلا، وقال الكلبي: هي إمهال هذه الأمة، وأنه لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا، ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾[5]، بنزول العذاب تعجيل العقوبة للمكذبين، وكان ذلك فصلًا بينهم، ﴿ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[6]، وقال الحسن: ولولا كلمة سبقت من ربك مضت في حكمه أنه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا بالثواب والعقاب دون القيامة، لقضي بينهم في الدنيا فأدخل المؤمن الجنة والكافر النار، ولكنه سبق من الله الأجل فجعل موعدهم يوم القيامة.

[٢٠] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾[7]، يعني: أهل مكة، ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾[8]، أي: على محمد ﷺ ﴿ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[9]، على ما نقترحه، ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ

(١) سورة يونس آية : ١٨.
(٢) سورة يونس آية : ١٩.
(٣) سورة يونس آية : ١٩.
(٤) سورة يونس آية : ١٩.
(٥) سورة يونس آية : ١٩.
(٦) سورة يونس آية : ١٩.
(٧) سورة يونس آية : ٢٠.
(٨) سورة يونس آية : ٢٠.
(٩) سورة يونس آية : ٢٠.

لِلَّهِ ﴾ [1]، يعني: قل إنما سألتموني الغيب وإنما الغيب لله، لا يعلم أحد لِمَ لَمْ يفعل ذلك، ولا يعلمه إلا هو، وقيل: الغيب نزول الآية لا يعلم متى ينزل أحد غيره، ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ [2] نزولها ﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [3] وقيل: فانتظروا قضاء الله بيننا بالحق بإظهار المحق على المبطل.

[٢١] قوله ﷻ ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ ﴾ [4]، يعني: الكفار، رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ، أي: راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء، وقيل: القطر بعد القحط، أي: أصابتهم، ﴿ مَسَّتۡهُمۡ ﴾ [5] أي: أصابتهم، ﴿ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ ﴾ [6] قال مجاهد: تكذيب واستهزاء، وقال مقاتل بن حيان: لا يقولون هذا من رزق الله إنما يقولون سقينا بنوء كذا، وهو قوله: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [7]، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ ﴾ [8]، أعجل عقوبة وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء، يريد عذابه في إهلاككم أسرع إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق، ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا ﴾ [9]، حفظتنا، ﴿ يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [10]، قرأ روح عن يعقوب: (يمكرون) بالياء.

---

(١) سورة يونس آية : ٢٠.
(٢) سورة يونس آية : ٢٠.
(٣) سورة يونس آية : ٢٠.
(٤) سورة يونس آية : ٢١.
(٥) سورة يونس آية : ٢١.
(٦) سورة يونس آية : ٢١.
(٧) سورة الواقعة آية : ٨٢.
(٨) سورة يونس آية : ٢١.
(٩) سورة يونس آية : ٢١.
(١٠) سورة يونس آية : ٢١.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ ﴾[١]، يجزيكم ويحملكم، وقرأ جعفر وابن عامر: (ينشركم).

بالنون والشين من النشر وهو البسط والبث، ﴿ فِي ٱلْبَرِّ ﴾[٢]، على ظهور الدواب، (وَ) في (الْبحْرِ)، على الفلك، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾[٣]، أي: في السفـن، تكون واحدا وجمعا، ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾[٤]، يعني: جرت السفن بالناس، رجع من الخطاب إلى الغيبة، ﴿ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[٥]، لينة، ﴿ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾[٦]، أي: بالريح، ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ ﴾[٧]، أي: جاءت الفلك ريح، ﴿ عَاصِفٌ ﴾[٨]، شديدة الهبوب، ولم يقـل ريح عاصفـة، لاختصاص الريـح بالعصوف، وقيل: الريح يذكر ويؤنث، ﴿ وَجَآءَهُمُ ﴾[٩]، يعني: ركبان السفينة، ﴿ ٱلْمَوْجُ ﴾[١٠]، وهو حركة الماء واختلاطه، ﴿ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ ﴾[١١]، أيقنوا ﴿ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾[١٢]، دنوا

(١) سورة يونس آية : ٢٢.
(٢) سورة يونس آية : ٢٢.
(٣) سورة يونس آية : ٢٢.
(٤) سورة يونس آية : ٢٢.
(٥) سورة يونس آية : ٢٢.
(٦) سورة يونس آية : ٢٢.
(٧) سورة يونس آية : ٢٢.
(٨) سورة يونس آية : ٢٢.
(٩) سورة يونس آية : ٢٢.
(١٠) سورة يونس آية : ٢٢.
(١١) سورة يونس آية : ٢٢.
(١٢) سورة يونس آية : ٢٢.

من الهلكة، أي: أحاط بم الهلاك، ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[1]، أي: أخلصوا في الدعاء لله، ولم يدعوا أحدًا سوى الله، وقالوا: ﴿ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا ﴾[2].

يا ربنا، ﴿ مِنۡ هَٰذِهِۦ ﴾[3]، الريح العاصف، ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[4]، لك بالإيمان والطاعة.

[٢٣] ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[5]، يظلمون ويتجاوزون إلى غير أمر الله ﷻ في الأرض، ﴿ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ﴾[6]، أي: بالفساد، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ ﴾[7]؛ لأن وباله راجع عليها، ثم ابتدأ فقال: ﴿ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[8]، أي: هذا متاع الحياة الدنيا، خبر ابتداء مضمر، كقوله: ﴿ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ ﴾[9] أي: هذا بلاغ، وقيل: هو كلام متصل، والبغي ابتداء ومتاع خبره، ومعناه: إنما بغيكم متاع الحياة الدنيا لا يصلح زاد لمعاد؛ لأنكم تستوجبون به

---

(١) سورة يونس آية : ٢٢.
(٢) سورة يونس آية : ٢٢.
(٣) سورة يونس آية : ٢٢.
(٤) سورة يونس آية : ٢٢.
(٥) سورة يونس آية : ٢٣.
(٦) سورة يونس آية : ٢٣.
(٧) سورة يونس آية : ٢٣.
(٨) سورة يونس آية : ٢٣.
(٩) سورة الأحقاف آية : ٣٥.

غضب الله، وقرأ حفص (متاع) بالنصب، أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا، ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

[٢٤] ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[2]، في فنائها وزوالها، ﴿ كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ ﴾[3]، أي: بالمطر، ﴿ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾[4]، قال ابن عباس: نبت بالماء من كل لون، ﴿ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ ﴾[5]، من الحبوب والثمار، ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمُ ﴾[6]، من الحشيش، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾[7]، حسنها وبجتها وظهر الزهر أخضر ﴿ وَٱزَّيَّنَتْ ﴾[8]، أي: تزينت، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود: تزينت. ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾[9]، على جذاذها وقطافها وحصادها، رد الكناية إلى الأرض، والمراد: النبات إذ كان مفهوما، وقيل: ردها إلى الغلة. وقيل: إلى الزينة. ﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا ﴾[10]، قضاؤنا بإهلاكها، ﴿ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا ﴾[11]، أي:

(١) سورة يونس آية : ٢٣.
(٢) سورة يونس آية : ٢٤.
(٣) سورة يونس آية : ٢٤.
(٤) سورة يونس آية : ٢٤.
(٥) سورة يونس آية : ٢٤.
(٦) سورة يونس آية : ٢٤.
(٧) سورة يونس آية : ٢٤.
(٨) سورة يونس آية : ٢٤.
(٩) سورة يونس آية : ٢٤.
(١٠) سورة يونس آية : ٢٤.
(١١) سورة يونس آية : ٢٤.

محصودة مقطوعة، ﴿ كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ ﴾[1]، كأن لم تكن بالأمس، وأصله من غني بالمكان إذا أقام به، وقال قتادة: معناه إن المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفـل ما يكون ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

قوله تعالى وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.....

[٢٥] قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[3]، قال قتادة: السلام هو الله، وداره الجنة، وقيل: السلام بمعنى السلامة، سميت الجنة دار السلام؛ لأن من دخلها سلم من الآفات؛ وقيل: المراد بالسلام التحية سميت الجنة دار السلام؛ لأن أهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلـم عليهـم، قـال الله تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾[4]، ﴿ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾[5] فالصراط المستقيم هو الإسلام عم بالدعوة لإظهار الحجة، وخص بالهدية استغناء عن الخلق.

[٢٦] ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾[6]، أي: للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، وزيادة وهي النظر إلى وجه الله الكريم، هذا قول جماعة من الصحابة منهم، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة وأبو موسى وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم، وهو قول الحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسدي، وروي عن ابن عباس: أن الحسنى هي: أن الحسنة بمثلها، والزيادة هي التضعيف عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وقال مجاهـد: الحسنى: حسنة مثل حسنة، والزيادة المغفرة والرضوان،

---

(١) سورة يونس آية : ٢٤.

(٢) سورة يونس آية : ٢٤.

(٣) سورة يونس آية : ٢٥.

(٤) سورة الرعد آية :٢٣ - ٢٤.

(٥) سورة يونس آية : ٢٥.

(٦) سورة يونس آية : ٢٦.

﴿ وَلَا يَرۡهَقُ ﴾[1]، لا يغشى ﴿ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٌ ﴾[2] غبار جمع قترة، قال ابن عباس وقتادة: سواد الوجه، ﴿ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٌ ﴾[3]، هوان، قال قتادة: كآبة، قـال ابن أبي ليلى: هذا بعد نظرهم إلى ربهم، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[4].

[٢٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا ﴾[5] أي: لهم مثلها، كما قال: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾[6]، ﴿ وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ ﴾[7]، و(مـن) صلـة، أي: ما لهـم مـن الله عاصـم، ﴿ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ ﴾[8]، ألبست، ﴿ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا ﴾[9]، جمـع قطعـة، ﴿ مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ ﴾[10]، نصبت على الحال دون النعت، ولذلك لم يقل: مظلمة، تقديره: قطعا من الليل في حال ظلمته أو قطعا من الليل المظلم، وقرأ ابن كثير والكسائي

---

(١) سورة يونس آية : ٢٦.
(٢) سورة يونس آية : ٢٦.
(٣) سورة يونس آية : ٢٦.
(٤) سورة يونس آية : ٢٦.
(٥) سورة يونس آية : ٢٧.
(٦) سورة الأنعام آية : ١٦٠.
(٧) سورة يونس آية : ٢٧.
(٨) سورة يونس آية : ٢٧.
(٩) سورة يونس آية : ٢٧.
(١٠) سورة يونس آية : ٢٧.

ويعقوب: (قطعا) ساكنة الطاء، أي بعضا، كقوله: ﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ [1].

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [2].

[٢٨] ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ ﴾ [3]، أي: الزموا مكانكم، ﴿ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ ﴾ [4]، يعني: الأوثان، معناه، ثم نقول للذين أشركوا الزموا أنتم وشركاؤكم مكانكم، ولا تبرحوا، ﴿ فَزَيَّلْنَا ﴾ [5]، ميزنا وفرقنا ﴿ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [6]، أي: بين المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله من عبده، ﴿ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم ﴾ [7]، يعني: الأصنام، ﴿ مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [8]، بطلبتنا فيقولون بلى كنا نعبدكم فتقول الأصنام:

[٢٩] ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [9] أي: ما كنا عن عبادتكم إيانا إلا غافلين، ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل.

---

(١) سورة هود آية : ٨١.
(٢) سورة يونس آية : ٢٧.
(٣) سورة يونس آية : ٢٨.
(٤) سورة يونس آية : ٢٨.
(٥) سورة يونس آية : ٢٨.
(٦) سورة يونس آية : ٢٨.
(٧) سورة يونس آية : ٢٨.
(٨) سورة يونس آية : ٢٨.
(٩) سورة يونس آية : ٢٩.

[٣٠] قال الله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ ﴾[(١)]، أي: تختبر، وقيل: معناه تعلم وتقف عليه، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (تتلو) بتاءين أي تقرأ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾[(٢)]، صحيفتها، وقيل: معناه تتبع كل نفس، ﴿ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾[(٣)]، ما قدمت من خير أو شر، وقيل: معناه تعاين، ﴿ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[(٤)]، إلى حكمـه فيتفرد فيهم بالحكم، ﴿ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾[(٥)]، الذي يتولى ويملك أمرهم: فإن قيل: أليس قد قال: ﴿ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[(٦)]. قيل: المولى هناك هو الناصـر، وههنا بمعنى المالك، ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم ﴾[(٧)]، زال عنهم وبطل، ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم ﴾[(٨)]، في الدنيا من التكذيب.

[٣١] قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[(٩)] أي: من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات، ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾[(١٠)]، أي: من إعطائكم السمع والأبصار، ﴿ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾[(١١)]،

(١) سورة يونس آية : ٣٠.
(٢) سورة يونس آية : ٣٠.
(٣) سورة يونس آية : ٣٠.
(٤) سورة يونس آية : ٣٠.
(٥) سورة يونس آية : ٣٠.
(٦) سورة محمد آية : ١١.
(٧) سورة يونس آية : ٣٠.
(٨) سورة يونس آية : ٣٠.
(٩) سورة يونس آية : ٣١.
(١٠) سورة يونس آية : ٣١.
(١١) سورة يونس آية : ٣١.

يخرج الحي من النطفة والنطفة من الحي، ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾[1]، أي: يقضي الأمـر، ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[2]، هو الذي يفعل هذه الأشياء، ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[3]، أفلا تخافون عقابه في شرككم، وقيل: أفلا تتقون الشرك مع هذا الإقرار.

[٣٢] ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ﴾[4]، الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم، ﴿ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[5]، أي: فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به.

[٣٣] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾[6]، قال الكلبي: هكذا، ﴿ حَقَّتْ ﴾[7]، وجبت، ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾[8]، حكمه السابـق، ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ ﴾[9]، كفـروا، ﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[10]، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (كلمات ربك) بالجمع ههنا موضعين وفي المؤمن، والآخرون على التوحيد.

(١) سورة يونس آية : ٣١.
(٢) سورة يونس آية : ٣١.
(٣) سورة يونس آية : ٣١.
(٤) سورة يونس آية : ٣٢.
(٥) سورة يونس آية : ٣٢.
(٦) سورة يونس آية : ٣٣.
(٧) سورة يونس آية : ٣٣.
(٨) سورة يونس آية : ٣٣.
(٩) سورة يونس آية : ٣٣.
(١٠) سورة يونس آية : ٣٣.

قوله تعالى قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ....

[٣٤] قوله: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ [١]، أوثانكم ﴿ مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ﴾ [٢]، ينشئ الخلق من غير أصل ولا مثال، ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [٣]، ثم يحييه من الموت كهيئته، فإن أجابوك وإلا فـ ﴿ قُلْ ﴾ [٤] أنت، ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [٥]، أي: تصرفون عن قصد السبيل.

[٣٥] ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ ﴾ [٦]، يرشد، ﴿ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾ [٧]، فإذا قالوا لا، ولا بد لهم من ذلك، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ [٨]، أي: إلى الحق، ﴿ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ﴾ [٩]، قرأ حمزة والكسائي ساكنة الهاء، خفيفة الدال، وقرأ الآخرون بتشديد الدال، ثم قرأ أبو جعفر وقالون: بسكون الهاء، وأبو عمرو: يروم الهاء بين الفتح والسكون، وقرأ حفص: بفتح الياء وكسر الياء، وأبو بكر: بكسرهما، والباقون: بفتحهما، ومعناه: يهتدي في جميعها، فمن خالف الدال قال: يقال هديته فهدي، أي: اهتدى، ومن شدد الدال أدغم التاء في الدال، ثم أبو عمرو

---

(١) سورة يونس آية : ٣٤.
(٢) سورة يونس آية : ٣٤.
(٣) سورة يونس آية : ٣٤.
(٤) سورة يونس آية : ٣٤.
(٥) سورة يونس آية : ٣٤.
(٦) سورة يونس آية : ٣٥.
(٧) سورة يونس آية : ٣٥.
(٨) سورة يونس آية : ٣٥.
(٩) سورة يونس آية : ٣٥.

يروم على مذهبه في إيثار التخفيف، ومن سكن الهاء تركها على حالتها كما فعل في (تعدو) و (خصمون)، ومن فتح الهاء نقل فتحة الهاء المدغمة إلى الهاء، ومن كسر الهاء فلالتقاء الساكنين، وقال: الجزم يحرك إلى الكسر، ومن كسر الياء مع الهاء أتبع الكسر إلى الكسرة، قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ ﴾ [1]، معنى الآية: الله الذي يهدي إلى الحق أحق بالاتباع أم الصنم الذي لا يهتدي إلا أن يهدى، فإن قيل: كيف قال: ﴿ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ ﴾ [2]، والصنم لا يتصور أن يهتدي، ولا أن يهدى؟ قيل: معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال، أي: أنا لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تحمل وتنقل، بين به عجز الأصنام، وجواب آخر وهو: أن ذكر الهداية على وجه الاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة، وأنزلوها م لة من يسمع ويعقل عبر عنهما بما يعبر عمن يعلم ويعقل، ووصفت بصفة من يعقل. ﴿ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥ ﴾ [3]، كيف تقضون حين زعمتم أن الله شريكًا.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ ﴾ [4]، منهم يقولون: إن الأصنام آلهة، وإنا تشفع لهم في الآخرة ظنا منهم، لم يرد به كتاب ولا رسول، وأراد بالأكثر جميع من يقول ذلك، ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ﴾ [5]، أي: لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئًا، وقيل: يقوم مقام العلم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦ ﴾ [6].

---

(١) سورة يونس آية : ٣٥.

(٢) سورة يونس آية : ٣٥.

(٣) سورة يونس آية : ٣٥.

(٤) سورة يونس آية : ٣٦.

(٥) سورة يونس آية : ٣٦.

(٦) سورة يونس آية : ٣٦.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[(١)]، قال الفراء: معناه: وما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[(٢)]، وقيل: (أن) بمعنى اللام، أي: وما كان هذا القرآن ليفترى من دون الله.

قوله: ﴿ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[(٣)]، أي: بين يدي القرآن من التوراة والإنجيل، وقيل: تصديق الذي بين يدي القرآن من القيامة والبعث، ﴿ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[(٤)]، تبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والأحكام، ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[(٥)].

[٣٨] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾[(٦)]، قال أبو عبيدة: (أم) بمعنى الواو، أي: ويقولون، ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾[(٧)]، اختلق محمد القرآن من قبل نفسه، ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾[(٨)]، شبه القرآن ﴿ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾[(٩)]، ممن تعبدون، ﴿ مِّن

(١) سورة يونس آية : ٣٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٦١.
(٣) سورة يونس آية : ٣٧.
(٤) سورة يونس آية : ٣٧.
(٥) سورة يونس آية : ٣٧.
(٦) سورة يونس آية : ٣٨.
(٧) سورة يونس آية : ٣٨.
(٨) سورة يونس آية : ٣٨.
(٩) سورة يونس آية : ٣٨.

﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾ [1] ليعينوكم على ذلك، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ [2]، أن محمدا افتراه، ثم قال:

[٣٩] ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [3]، يعني: القرآن، كذبوا به، ولم يحيطوا بعلمه، ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ [4]، أي: عاقبة ما وعد الله في القرآن، أنه يؤول إليه أمرهم من العقوبة، يريد أنم لم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهـم. ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ [5]، أي: كما كذب هؤلاء الكفار بالقرآن كذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الأمم الخالية، ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ [6]، آخر أمر المشركين بالهلاك.

[٤٠] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ [7]، أي: من قومك من يؤمن بالقرآن، ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ [8]، لعلم الله السابق فيهم، ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤٠﴾ [9]، الذين لا يؤمنون.

---

(١) سورة يونس آية : ٣٨.
(٢) سورة يونس آية : ٣٨.
(٣) سورة يونس آية : ٣٩.
(٤) سورة يونس آية : ٣٩.
(٥) سورة يونس آية : ٣٩.
(٦) سورة يونس آية : ٣٩.
(٧) سورة يونس آية : ٤٠.
(٨) سورة يونس آية : ٤٠.
(٩) سورة يونس آية : ٤٠.

[٤١] ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ ﴾[1]، يا محمد، ﴿ فَقُل لِّي عَمَلِي ﴾[2]، وجزاؤه، ﴿ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾[3]، وجزاؤه، ﴿ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[4]، هـذا كقوله تعالى: ﴿ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ﴾[5] ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[6]، قال الكلبي ومقاتل: هذه الآية منسوخة بآية الجهاد، ثم أخبر أن التوفيق للإيمان به لا بغيره.

[٤٢]فقال: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ ﴾[7] بأساعهم الظاهرة فلا ينفعهم، ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ﴾[8]، يريد صمم القلب ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[9].

قوله تعالى وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ....

[٤٣] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ ﴾[10]، بأبصارهم الظاهرة، ﴿ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ ﴾[11]، يريـــد عمـى القلـب، ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا

(١) سورة يونس آية : ٤١.
(٢) سورة يونس آية : ٤١.
(٣) سورة يونس آية : ٤١.
(٤) سورة يونس آية : ٤١.
(٥) سورة القصص آية : ٥٥.
(٦) سورة الكافرون آية : ٦.
(٧) سورة يونس آية : ٤٢.
(٨) سورة يونس آية : ٤٢.
(٩) سورة يونس آية : ٤٢.
(١٠) سورة يونس آية : ٤٣.
(١١) سورة يونس آية : ٤٣.

﴿ يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]، وهذا تسلية من الله ﷻ لنبيه ﷺ يقول: إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع ولا أن تدي من سلبته البصر ولا أن توفق للإيمان من حكمت عليه ألا يؤمن.

[٤٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾[2]، لأنه في جميع أفعاله متفضل عادل، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[3]، بالكفر والمعصية، قرأ حمزة والكسائي: (ولكن الناس) بتخفيف نون (لكن) ورفع (الناس)، وقرأ الباقون (ولكن الناس) بتشديد نون (لكن) ونصب (الناس).

[٤٥] قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ ﴾[4]، قرأ حفص بالياء والآخرون بالنون، ﴿ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾[5]، قال الضحاك: كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار، وقال ابن عبـاس: كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار، ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾[6]، يعرف بعضهم بعضًا حين بعثوا من القبور كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة، وفي بعض الآثار: أن الإنسان يعرف يوم القيامة من بجنبه ولا يكلمه هيبة وخشية، ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[7]، والمراد من الخسران: خسران النفس، ولا شيء أعظم منه.

---

(١) سورة يونس آية : ٤٣.
(٢) سورة يونس آية : ٤٤.
(٣) سورة يونس آية : ٤٤.
(٤) سورة يونس آية : ٤٥.
(٥) سورة يونس آية : ٤٥.
(٦) سورة يونس آية : ٤٥.
(٧) سورة يونس آية : ٤٥.

[٤٦] قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾[١]، يا محمد في حياتك من العذاب، ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾[٢]، قبل تعذيبهم، ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾[٣]، في الآخرة، ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝٤٦ ﴾[٤]، فيجزيهم به، (ثم) بمعنى الواو، تقديره: والله شهيد، قال مجاهد: فكان البعض الذي أراه قتلهم ببدر، وسائر أنواع العذاب بعد موتهم.

[٤٧]قوله ﷻ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾[٥]، خلت، ﴿ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ ﴾[٦] وكذبوه، ﴿ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ﴾[٧]، أي عذبوا في الدنيا وأهلكوا بالعذاب، يعني قبل مجيء الرسول، لا ثواب ولا عقاب، وقال مجاهد ومقاتل: فإذا جاء رسولهم الذي أرسل إليهم يوم القيامة قضي بينه وبينهم بالقسط، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٧ ﴾[٨]، لا يعذبون بغير ذنب، ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم، ولا يزاد على سيئاتهم.

(١) سورة يونس آية : ٤٦.
(٢) سورة يونس آية : ٤٦.
(٣) سورة يونس آية : ٤٦.
(٤) سورة يونس آية : ٤٦.
(٥) سورة يونس آية : ٤٧.
(٦) سورة يونس آية : ٤٧.
(٧) سورة يونس آية : ٤٧.
(٨) سورة يونس آية : ٤٧.

[٤٨] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ [١]، أي: المشركون، ﴿ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ [٢] الذي تعدنا يا محمد من العذاب، وقيل: قيام الساعة، ﴿ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ [٣]، أنت يا محمد وأتباعك.

[٤٩] ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ﴾ [٤]، لا أقدر لهـا علـى شيء، ﴿ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [٥]، أي دفع ضـر ولا جلب نفـع، ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [٦]، أن أملكه، ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ ﴾ [٧]، مدة مضروبة، ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ [٨]، وقت فناء أعمارهم، ﴿ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٩]، أي يتأخرون، ولا يتقدمون.

[٥٠]قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا ﴾ [١٠]، ليلًا، ﴿ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [١١]، أي: ماذا يستعجل من الله المشركون، وقيل: ماذا يستعجل من العذاب المجرمون، وقد وقعوا فيه، وحقيقة المعنى: أنهم كانوا يستعجلون

---

(١) سورة يونس آية : ٤٨.
(٢) سورة يونس آية : ٤٨.
(٣) سورة يونس آية : ٤٨.
(٤) سورة يونس آية : ٤٩.
(٥) سورة يونس آية : ٤٩.
(٦) سورة يونس آية : ٤٩.
(٧) سورة يونس آية : ٤٩.
(٨) سورة يونس آية : ٤٩.
(٩) سورة يونس آية : ٤٩.
(١٠) سورة يونس آية : ٥٠.
(١١) سورة يونس آية : ٥٠.

العذاب، فيقولون: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1]، فيقول الله تعالى: ﴿ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ ﴾ [2] يعني: ليس يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون، كالرجل يقول لغيره وقد فعل قبيحًا: ماذا جنيت على نفسك؟

[51] ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ [3]، قيل: معناه أهنالك، وحينئذ، وليس بحرف عطف، ﴿ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ [4] نزل العذاب، ﴿ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾ [5]، أي بالله في وقت اليأس، وقيل: آمنتم به أي صدقتم بالعذاب وقت نزوله، ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ ﴾ [6]، فيه إضمـار، أي: يقال لكم: الآن تؤمنون حين وقع العذاب؟ ﴿ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [7]، تكذيبًا واستهزاءً، قرأ ورش عن نافع (آلان) بحذف الهمزة التي بعد اللام الساكنة وإلقاء حركتها على اللام، ويمد الهمزة الأولى على وزن عالان، وكذلك الحرف الآخر، وروى زمعة بن صالح (الان) على مثل علان بغير مد ولا همزة بعد اللام، وقرأ الباقون (آلآن) بهمزة ممدود في الأول، وإثبات همزة بعد اللام، وكذلك قالون وإسماعيل عن نافع.

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣٢.

(٢) سورة يونس آية : ٥٠.

(٣) سورة يونس آية : ٥١.

(٤) سورة يونس آية : ٥١.

(٥) سورة يونس آية : ٥١.

(٦) سورة يونس آية : ٥١.

(٧) سورة يونس آية : ٥١.

[٥٢] ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[(١)]، أشركوا، ﴿ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[(٢)]، في الدنيا.

[٥٣] ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ ﴾[(٣)]، أي: يستخبرونك يا محمد، ﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾[(٤)]، أي ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة، ﴿ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ ﴾[(٥)]، أي: نعم وربي، ﴿ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾[(٦)]، لا شك فيه، ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[(٧)]، أي: بفائتين من العذاب؛ لأن من عجز عن شيء فقد فاته.

قوله تعالى وَلَوْ أن لِكُل نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْض لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُوا النَدَامَةَ لَما رَأَوُا العَذَابَ....

[٥٤] ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴾[(٨)]، أي: أشركت، ﴿ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾[(٩)]، يوم القيامـة، والافتداء ههنـا: بذل ما ينجـو به من العذاب، ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾[(١٠)]، قال أبو عبيدة: معناه أظهروا الندامة؛ لأنه ليس ذلك اليوم يوم تصبر وتصنع، وقيل: معناه أخفوا، أي: أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء خوفًا من

(١) سورة يونس آية : ٥٢.
(٢) سورة يونس آية : ٥٢.
(٣) سورة يونس آية : ٥٣.
(٤) سورة يونس آية : ٥٣.
(٥) سورة يونس آية : ٥٣.
(٦) سورة يونس آية : ٥٣.
(٧) سورة يونس آية : ٥٣.
(٨) سورة يونس آية : ٥٤.
(٩) سورة يونس آية : ٥٤.
(١٠) سورة يونس آية : ٥٤.

ملامتهم وتعييرهم، ﴿ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾[1]، فرغ من عذابهم، ﴿ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٥٤ ﴾[2].

[55] ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥ ﴾[3].

[56] ﴿ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٥٦ ﴾[4].

[57] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ ﴾[5]، تذكرة، ﴿ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[6]، أي: دواء لما في الصدور من داء الجهل، وقيل: لما في الصدور أي شفاء لعمى القلوب، والصدر موضع القلب، وهو أعز موضع في الإنسان لجوار القلب، ﴿ وَهُدٗى ﴾[7]، من الضلالة ﴿ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾[8]، والرحمة هي النعمة على المحتاج؛ فإنه لو أهدى ملك إلى ملك شيئا لا يقال قد رحمه، وإن كان ذلك نعمة؛ فإنه لم يضعها في محتاج.

[58] قوله تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ ﴾[9]، قال مجاهد وقتادة: فضل الله: الإيمان، ورحمته: القرآن، وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلنا من

---

(١) سورة يونس آية : ٥٤.
(٢) سورة يونس آية : ٥٤.
(٣) سورة يونس آية : ٥٥.
(٤) سورة يونس آية : ٥٦.
(٥) سورة يونس آية : ٥٧.
(٦) سورة يونس آية : ٥٧.
(٧) سورة يونس آية : ٥٧.
(٨) سورة يونس آية : ٥٧.
(٩) سورة يونس آية : ٥٨.

أهله، وقال ابن عمر: فضل الله: الإسلام، رحمته: تزيينه في القلب، وقال خالد بن معدان: فضل الله: الإسلام، ورحمته: السنن، وقيل: فضل الله: الإيمان، ورحمته: الجنة. ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [(١)]، أي: ليفرح المؤمنون أن جعلهم الله من أهله، ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [(٢)]، أي مما يجمعه الكفار من الأموال، وقيل: كلاهما خبر عن الكفار، وقيل: عن المؤمنين، وقرأ أبو جعفر وابن عامر: ﴿ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [(٣)] بالياء وتجمعون بالتاء، وقرأ يعقوب كلاهما بالتاء، ووجه هذه القراءة أن المراد: فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه من الأموال مختلف عنه خطابا للمؤمنين.

[٥٩] ﴿ قُلْ ﴾ [(٤)] يا محمـد لكفار مكة، ﴿ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ [(٥)] عبر عن الخلق بالإنزال؛ لأن ما في الأرض من خير، فمما أنزل الله من رزق، من زرع وضرع، ﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ [(٦)]، هو ما حرموا من الحرث ومن الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، قال الضحاك: هو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ [(٧)]،

---

(١) سورة يونس آية : ٥٨.
(٢) سورة يونس آية : ٥٨.
(٣) سورة يونس آية : ٥٨.
(٤) سورة يونس آية : ٥٩.
(٥) سورة يونس آية : ٥٩.
(٦) سورة يونس آية : ٥٩.
(٧) سورة الأنعام آية : ١٣٦.

﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾[1]، في هذا التحريم والتحليل، ﴿ أَمْ ﴾[2]، بل، ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[3]، هو قولهم: ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾[4].

[٦٠] ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[5]، أيحسبون أن الله لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[6].

[٦١] قوله ﷻ ﴿ وَمَا تَكُونُ ﴾[7]، يا محمد، ﴿ فِي شَأْنٍ ﴾[8]، عمل من الأعمال، وجمعه شؤون، ﴿ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ ﴾[9]، من الله، ﴿ مِن قُرْءَانٍ ﴾[10] وقيل: منه أي من الشأن من قرآن، نزل فيه ثم خاطبه وأمته فقال: ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[11]، أي: تدخلون وتخوضون فيه، الهاء عائدة إلى العمل، والإفاضة: الدخول في العمل، وقال ابن الأنباري: تندفعون فيه، وقيل: تكثرون،

(١) سورة يونس آية : ٥٩.
(٢) سورة يونس آية : ٥٩.
(٣) سورة يونس آية : ٥٩.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٨.
(٥) سورة يونس آية : ٦٠.
(٦) سورة يونس آية : ٦٠.
(٧) سورة يونس آية : ٦١.
(٨) سورة يونس آية : ٦١.
(٩) سورة يونس آية : ٦١.
(١٠) سورة يونس آية : ٦١.
(١١) سورة يونس آية : ٦١.

والإفاضة: الدفع بكثرة، ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾[1]، يغيب عن ربك، وقرأ الكسائي (يعزب) بكسر الزاي، وكذلك في سورة سبأ، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان ﴿ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾[2]، مثقال ذرة، أي: مثقال ذرة، و (من) صلة والذرة هي النملة الحمراء الصغيرة. ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾[3]، أي: من الذرة، ﴿ وَلَآ أَكْبَرَ ﴾[4] قرأ حمزة ويعقوب برفع الراء فيهما عطفا على موضع المثقال قبل دخول (من)، وقرأ الآخرون بنصبهما، أراد للكسر عطفا على الذرة في الكسر. ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[5] وهو اللوح المحفوظ.

قوله تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.....

[٦٢] قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[6]، اختلفوا فيمن يستحق هذا الاسم، قال بعضهم: هم الذين ذكرهم الله، فقال:

[٦٣] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[7]، وقال قوم: هم المتحابون في الله.

---

(١) سورة يونس آية : ٦١.
(٢) سورة يونس آية : ٦١.
(٣) سورة يونس آية : ٦١.
(٤) سورة يونس آية : ٦١.
(٥) سورة يونس آية : ٦١.
(٦) سورة يونس آية : ٦٢.
(٧) سورة يونس آية : ٦٣.

[٦٤] ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [(١)]، اختلفوا في هذه البشـرى، روي عن عبـادة بن الصامت قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [(٢)]، قال: ﴿ هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ﴾ [(٣)] [(٤)] وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات "، قالوا: وما المبشرات؟ قال: "الرؤيا الصالحة ﴾ [(٥)] [(٦)] وقيل: البشرى في الدنيا هي الثناء الحسن، وفي الآخرة: الجنة، وقال الزهري وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من الله تعالى عند الموت، قال الله تعالى: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(٧)]، وقال عطاء عن ابن عباس: البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن من يعرج بها إلى الله، ويبشر برضوان الله، وقال الحسن: هي ما بشر الله المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه، كقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [(٨)]،

---

(١) سورة يونس آية : ٦٤.

(٢) سورة يونس آية : ٦٤.

(٣) الترمذي الرؤيا (٢٢٧٣)، مالك الجامع (١٧٨٣).

(٤) أخرجه الترمذي في الرؤيا ٦ / ٥٥٤ وابن ماجه في الرؤيا رقم ٣٨٩٨- ٢ / ١٢٨٣ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٢ / ٣٤٠ و ٤ / ٣٩١ والدارمي في الرؤيا ٢ / ١٢٣ والإمام أحمد في المسند ٥ / ٣١٥.

(٥) البخاري التعبير (٦٥٨٩)، الترمذي الرؤيا (٢٢٧٠)، أبو داود الأدب (٥٠١٧)، ابن ماجه تعبير الرؤيا (٣٨٩٤، ٣٩١٧)، أحمد (٣٢٥/٢)، مالك الجامع (١٧٨٢).

(٦) أخرجه البخاري في التعبير ١٢ / ٣٧٥ والمصنف في شرح السنة ١٢ / ٢٠٢.

(٧) سورة فصلت آية : ٣٠.

(٨) سورة البقرة آية : ٢٥.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ (١) ﴿ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ﴾ (٢)، وقيل: بشرهم في الدنيا بالكتاب والرسول أنما أولياء الله، ويبشرهم في القبور وفي كتب أعمالهم بالجنة، ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٣)، لا تغير لقـول، ولا خلف لوعـده، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٤).

[٦٥] ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ ﴾ (٥)، يعني: قول المشركين، قرأ نافع (ولا يحزنك) بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الآخرون (يحزنك) بفتح الياء وضم الزاي، وهم لغتان، يقال: حزنه الشيء يحزنه وأحزنه، تم الكلام ههنا ثم ابتدأ، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ ﴾ (٦)، يعني: الغلبة والقدرة لله ﴿ جَمِيعًا ۚ ﴾ (٧) هو ناصرك وناصر دينك والمنتقم منهم، قال سعيد بن المسيب، إن العزة لله جميعا يعني أن الله يعز من يشاء، كما قال في آية أخرى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨) وعزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله، ﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٩).

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٣.
(٢) سورة فصلت آية : ٣٠.
(٣) سورة يونس آية : ٦٤.
(٤) سورة يونس آية : ٦٤.
(٥) سورة يونس آية : ٦٥.
(٦) سورة يونس آية : ٦٥.
(٧) سورة يونس آية : ٦٥.
(٨) سورة المنافقون آية : ٨.
(٩) سورة يونس آية : ٦٥.

[٦٦] ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ ﴾ [(١)] هو إما استفهام معناه: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟ وقيل: وما يتبعون حقيقة؛ لأنهم يعبدونا على ظن أنهم شركاء فيشفعون لنا وليس على ما يظنون. ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ [(٢)]، يظنون أنها تقربهم إلى الله، ﴿ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [(٣)] يكذبون.

[٦٧] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾ [(٤)]،مضيئا يبصر فيه، كقولهم: ليل نائم، وعيشة راضية، قال قطرب: تقول العرب: أظلم الليل وأضاء النهـار وأبصر، أي: صار ذا ظلمة وضياء وبصر، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٥)]، سمع الاعتبار أنه مما لا يقدر عليه إلا عالم قادر.

[٦٨] ﴿ قَالُواْ ﴾ [(٦)]، يعني المشركين ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ ﴾ [(٧)]، وهو قولهم الملائكة بنات الله ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ ﴾ [(٨)]، عن خلقه، ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [(٩)]، عبيدا وملكا ﴿ إِنۡ عِندَكُم ﴾ [(١٠)]، ما عندكم، ﴿ مِّن

---

(١) سورة يونس آية : ٦٦.
(٢) سورة يونس آية : ٦٦.
(٣) سورة يونس آية : ٦٦.
(٤) سورة يونس آية : ٦٧.
(٥) سورة يونس آية : ٦٧.
(٦) سورة يونس آية : ٦٨.
(٧) سورة يونس آية : ٦٨.
(٨) سورة يونس آية : ٦٨.
(٩) سورة يونس آية : ٦٨.
(١٠) سورة يونس آية : ٦٨.

﴿ سُلۡطَٰنِۭ ﴾[(١)]، حجة وبرهان، و(من) صلة تقديره ما عندكم سلطان، ﴿ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٨ ﴾[(٢)].

[٦٩] ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ۝٦٩ ﴾[(٣)] لا ينجون، وقيل: لا يبقون في الدنيا ولكن:

[٧٠] ﴿ مَتَٰعٌ ﴾[(٤)]، قليل يتمتعون به وبلاغ ينتفعون به إلى انقضاء آجالهم و (متاع) رفع بإضمار، أي: هو متاع، ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٧٠ ﴾[(٥)].

قوله تعالى وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ....

[٧١] قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ ﴾[(٦)]، أي: اقرأ يا محمد على أهل مكة خبر نوح ﴿ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ ﴾[(٧)]، وهم ولد قابيل، ﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم ﴾[(٨)]، عظم وثقل عليكم، ﴿ مَّقَامِي ﴾[(٩)] طول عمري ومكثي

(١) سورة يونس آية : ٦٨.
(٢) سورة يونس آية : ٦٨.
(٣) سورة يونس آية : ٦٩.
(٤) سورة يونس آية : ٧٠.
(٥) سورة يونس آية : ٧٠.
(٦) سورة يونس آية : ٧١.
(٧) سورة يونس آية : ٧١.
(٨) سورة يونس آية : ٧١.
(٩) سورة يونس آية : ٧١.

فيكم ﴿ وَتَذۡكِيرِي ﴾[1]، ووعظي إياكم ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[2]، بحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي ﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ ﴾[3]، أي: أحكموا أمركم واعزموا عليه، ﴿ وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴾[4]، أي: وادعوا شركاءكم، أي: آلهتكم؛ فاستعينوا بها لتجتمع معكم، وقال الزجاج: معناه فأجمعوا أمركم مع شركائكم، فلما ترك (مـع) انتصب، وقرأ يعقوب: (وشركاؤكم) رفع، أي: فأجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم، وقرأ رويس عن يعقوب (فاجمعوا) بوصل الألف وفتح الميم، والوجه من جمع يجمع، والمراد فاجمعوا ذوي أمركم، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، والمعنى: اجمعوا رؤساءكم، ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ﴾[5]، أي: خفيا مبهما، من قولهم: غم الهلال على الناس، أي: أشكل عليهم وخفي، ﴿ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ ﴾[6]، أي: امضوا ما في أنفسكم وافرغوا منه، يقال: قضى فلان إذا مات ومضى، وقضى دينه إذا فرغ منه، وقيل: معناه توجهوا إلي بالقتل والمكروه وقيل: فاقضوا ما أنتم قاضون، وهذا مثل قول السحرة لفرعون: ﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ ﴾[7]، أي اعمل ما أنت عامل، ﴿ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ ﴾[8]، ولا تؤخرون، وهذا على طريق

---

(١) سورة يونس آية : ٧١.
(٢) سورة يونس آية : ٧١.
(٣) سورة يونس آية : ٧١.
(٤) سورة يونس آية : ٧١.
(٥) سورة يونس آية : ٧١.
(٦) سورة يونس آية : ٧١.
(٧) سورة طه آية : ٧٢.
(٨) سورة يونس آية : ٧١.

التعجيز، أخبر الله عن نوح أنه كان واثقا بنصر الله تعالى غير خائف من كيد قومه، علما منه بأنم وآلهتهم ليس إليهم نفع ولا ضر إلا أن يشاء الله.

[٧٢] ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾[١]، أعرضتم عن قولي وقبول نصحي، ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم ﴾[٢]، على تبليغ الرسالة والدعوة، ﴿ مِّنْ أَجْرٍ ﴾[٣]، من جعل وعوض، ﴿ إِنْ أَجْرِىَ ﴾[٤]، ما أجري وثوابي. ﴿ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[٥]، أي: من المؤمنين، وقيل: من المستسلمين لأمر الله.

[٧٣] ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾[٦]، يعني ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ ﴾[٧]، أي: جعلنا الذين معه في الفلك سكان الأرض خلفاء عن الهالكين. ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[٨]، أي: أخر أمر الذين أنذرتم الرسل فلم يؤمنوا.

[٧٤] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا ﴾[٩]، أي: من بعد نوح رسلا. ﴿ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾[١٠]، بالدلالات الواضحات، ﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ

---

(١) سورة يونس آية : ٧٢.
(٢) سورة يونس آية : ٧٢.
(٣) سورة يونس آية : ٧٢.
(٤) سورة يونس آية : ٧٢.
(٥) سورة يونس آية : ٧٢.
(٦) سورة يونس آية : ٧٣.
(٧) سورة يونس آية : ٧٣.
(٨) سورة يونس آية : ٧٣.
(٩) سورة يونس آية : ٧٤.
(١٠) سورة يونس آية : ٧٤.

مِن قَبۡلُۚ ﴾[1]، أي: بما كذب به قوم نوح من قبل، ﴿ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ ﴾[2]، أي: نختـم. ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٧٤ ﴾[3].

[٧٥] ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾[4]، يعني: أشراف قومه، ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ٧٥ ﴾[5].

[٧٦] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ﴾[6]، يعني: جاء فرعون وقومه، ﴿ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧٦ ﴾[7].

[٧٧] ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا ﴾[8]، تقدير الكلام أتقولون للحق لما جاءكم سحر أسحر هذا؟ فحذف السحر الأول اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧ ﴾[9].

[٧٨] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾[10]، يعني: فرعون وقومه لموسى، ﴿ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا ﴾[1]، لتصرفنا، وقال قتادة: لتلوينا، ﴿ عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ ﴾[2]،

---

(١) سورة يونس آية : ٧٤.
(٢) سورة يونس آية : ٧٤.
(٣) سورة يونس آية : ٧٤.
(٤) سورة يونس آية : ٧٥.
(٥) سورة يونس آية : ٧٥.
(٦) سورة يونس آية : ٧٦.
(٧) سورة يونس آية : ٧٦.
(٨) سورة يونس آية : ٧٧.
(٩) سورة يونس آية : ٧٧.
(١٠) سورة يونس آية : ٧٨.

الملك والسلطان، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[٣]، أرض مصر وقرأ أبو بكر: (ويكون) بالياء ﴿ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ۝٧٨ ﴾[٤]، بمصدقين.

قوله تعالى وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتوني بِكُل سَاحِرٍ عَلِيمٍ....

[٧٩] ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ۝٧٩ ﴾[٥].

[٨٠] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ۝٨٠ ﴾[٦].

[٨١] ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ ﴾[٧] قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: (آلسحر) بقطع الألف والمد على الاستفهام، و (ما) في هذه القراءة للاستفهام، وليست بموصولة، وهي مبتدأة و (جِئْتُمْ بِهِ) خبرها، والمعنى: أي شيء جئتم به؟ وقوله (السحر) بدل عنها، وقرأ الباقون: (مَا جِئْتُمْ بِهِ السحْرُ) بوصل الألف من غير مد، و(ما) في هذه القراءة موصولة بمعنى الذي و(جِئْتُمْ بِهِ) صلتها، وهي مع الصلة في موضع الرفع بالابتداء، وقوله (السحر) خبره أي: الذي جئتم به السحر، وتقوي هذه القراءة قراءة ابن مسعود (ما جئتم به سحر) بغير الألف واللام. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٨١ ﴾[٨].

(١) سورة يونس آية : ٧٨.
(٢) سورة يونس آية : ٧٨.
(٣) سورة يونس آية : ٧٨.
(٤) سورة يونس آية : ٧٨.
(٥) سورة يونس آية : ٧٩.
(٦) سورة يونس آية : ٨٠.
(٧) سورة يونس آية : ٨١.
(٨) سورة يونس آية : ٨١.

[٨٢] ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [١]، بآياته، ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [٢].

[٨٤] ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ ﴾ [٣] لم يصدق موسى مع ما آتاهم بـه مـن الآيات، ﴿ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ [٤]، اختلفوا في الهاء التي في (قومه)، قيل: هي راجعة إلى موسى، وأراد بم مؤمني بني إسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه، قال مجاهد: كانوا أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل هلك الآباء، وبقي الأبناء، وقال الآخرون، الهاء راجعة إلى فرعون، وروى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه، وماشطة ابنته، وعن ابن عباس رواية أخرى: أنم كانوا سبعين ألف بيت من القبط من آل فرعون، وأمهاتم من بني إسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله، وقيل: هم قوم نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل أبناء بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا من القتل، فنشئوا عند القبط، وأسلموا في اليوم الذي غلبت السحرة، ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ [٥]، قيل: أراد بفرعون آل فرعون، أي: على خوف من آل فرعون وملئهم، كما قال: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [٦] أي: أهل القرية، وقيل:

(١) سورة يونس آية : ٨٢.
(٢) سورة يونس آية : ٨٢.
(٣) سورة يونس آية : ٨٣.
(٤) سورة يونس آية : ٨٣.
(٥) سورة يونس آية : ٨٣.
(٦) سورة يوسف آية : ٨٢.

إنما قال: ﴿ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ [1] وفرعون واحد؛ لأن الملك إذا ذكر يفهم منه هو وأصحابه، كما يقال: قدم الخليفة يراد هو ومن معه، وقيل: أراد ملأ الفرية، فإن ملأهم كانوا من قوم فرعون. ﴿ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ [2]. أي: يصرفهم عن دينهم، ولم يقـل يفتنوهم؛ لأنه أخبر عن فرعـون، وكـان قومـه علـى مثـل ما كـان عليه فرعون، ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ ﴾ [3]، لمتكبر، ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [4]، ا لمجاوزين الحد؛ لأنه كان عبدا فادعى الربوبية.

[٨٤] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ [5]، لمؤمني قومه، ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [6].

[٨٥] ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [7]، اعتمدنا، ثم دعوا فقالوا، ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [8]، أي: لا تظهرهم علينا، ولا تلكنا بأيديهم، فيظنوا أنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا، وقال مجاهد: لا تعذبنا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على الحق لما عذبوا، ويظنوا أنم خير منا فيفتتنوا.

[٨٦] ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [9].

---

(١) سورة يونس آية : ٨٣.
(٢) سورة يونس آية : ٨٣.
(٣) سورة يونس آية : ٨٣.
(٤) سورة يونس آية : ٨٣.
(٥) سورة يونس آية : ٨٤.
(٦) سورة يونس آية : ٨٤.
(٧) سورة يونس آية : ٨٥.
(٨) سورة يونس آية : ٨٥.
(٩) سورة يونس آية : ٨٦.

[٨٧] قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ﴾ (١) هارون، ﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ (٢) يقال: بوأ فلان لنفسه بيتًا ومضجعًا إذا اتخذه، وبوأته أنا إذا اتخذته له، ﴿ وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ (٣)، قال أكثر المفسرين: كانت بنو إسرائيل لا يصلون إلا في كنائسهم وبيعهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريبها، ومنعهم من الصلاة فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتم، ويصلوا فيها خوفًا من فرعون، هذا قول إبراهيم وعكرمة عن ابن عباس، وقال مجاهد: خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة، فأمروا بأن يجعلوا في بيوتم مساجد مستقبلة الكعبة، يصلون فيها سرا، معناه: واجعلوا وجوه بيوتكم إلى القبلة، وروى ابن جريج عن ابن عبـاس رضي الله عنهـا قال: كانت الكعبـة قبلة موسى ومن معه، ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٤)، يا محمد.

[٨٨] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً ﴾ (٥) من متاع الدنيا، ﴿ وَأَمْوَٰلاً فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ ﴾ (٦)، اختلفوا في هذه اللام، قيل: هي لام كي، معناه: آتيتهم كي تفتنهم فيضلوا ويضلوا عن سبيلك، كقوله ﴿ مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ (٧) ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ ﴾ (٨)، وقيل: هي لام العاقبة يعني: ليضلوا

(١) سورة يونس آية : ٨٧.
(٢) سورة يونس آية : ٨٧.
(٣) سورة يونس آية : ٨٧.
(٤) سورة يونس آية : ٨٧.
(٥) سورة يونس آية : ٨٨.
(٦) سورة يونس آية : ٨٨.
(٧) سورة الجن آية : ١٦.
(٨) سورة الجن آية : ١٧.

فيكون عاقبة أمرهم الضلال، كقوله: ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ ﴾ [1]. قوله: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ [2]، قال مجاهد: أهلكها، والطمس: المحو، وقال قتادة: صارت أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم كلها حجارة، وقال محمد بن كعب: جعل صورهم حجارة، وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرين، والمرأة قائمة تخبز فصارت حجرًا، قال ابن عباس ﷺ بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحًا وأنصافًا وأثلاثًا، ودعا عمر بن العزيز بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة منقوشة، والجوزة مشقوقة وإنا لحجر، قال السدي: مسخ الله أموالهم حجارة والنخيل والثمار والدقيق والأطعمة، فكانت إحدى الآيات التسع ﴿ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [3]، أي: أقسها واطبع عليها حتى لا تلين، ولا تنشرح للإيمان، ﴿ فَلَا يُؤۡمِنُواْ ﴾ [4]، قيل: هو نصب بجواب الدعاء بالفاء، وقيل: هو عطف على قوله (لِيُضِلوا) أي: ليضلوا فلا يؤمنوا، وقال الفراء: هو دعاء محله جزم، فكأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا، ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٨٨ ﴾ [5]، وهو الغرق، قال السدي: معناه أمتهم على الكفر.

---

(١) سورة القصص آية : ٨.

(٢) سورة يونس آية : ٨٨.

(٣) سورة يونس آية : ٨٨.

(٤) سورة يونس آية : ٨٨.

(٥) سورة يونس آية : ٨٨.

قوله تعالى قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ....

[٨٩] ﴿ قَالَ ﴾ [١] الله تعالى لموسى وهارون، ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ [٢]، إنما نسب إليهما والدعاء كان من موسى؛ لأنه روى أن موسى كان يدعو وهارون يؤمن، والتأمين دعاء ﴿ فَٱسْتَقِيمَا ﴾ [٣]، على الرسالة والدعوة، وامضيا لأمري إلى أن يأتيهم العذاب ﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ ﴾ [٤]، نهي بالنون الثقيلة، ومحله جزم، يقال في الواحد لا تتبعن بفتح النون لالتقاء الساكنين، وبكسر النون في التثنية لهذه العلة، وقرأ ابن عامر بتخفيف النون، وقد اختلفت الروايات عنه فيه فبعضهم روى عنه وَلَا تَتَّبِعَانِ بتخفيف التاء الثانية وفتح الباء وتشديد النون، وبعضهم روى عنه (تتبعان) بتشديد التاء الثانية وكسر الباء وتخفيف النون، وبعضهم روى عنه كقراء الجماعة، والوجه في تخفيف النون، إن نون التأكيد تثقل وتخفف، ﴿ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [٥]، يعني: ولا تسلكا سبيل الذين يجهلون حقيقة وعدي، فإن وعدي لا خلف فيه، ووعيدي نازل بفرعون وقومه.

[٩٠] ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴾ [٦]، عبرنا بهم ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ ﴾ [٧]، لحقهم وأدركهم، ﴿ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ [٨]، يقال: أتبعه وتبعه إذا أدركه ولحقه، واتبعه

---

(١) سورة يونس آية : ٨٩.
(٢) سورة يونس آية : ٨٩.
(٣) سورة يونس آية : ٨٩.
(٤) سورة يونس آية : ٨٩.
(٥) سورة يونس آية : ٨٩.
(٦) سورة يونس آية : ٩٠.
(٧) سورة يونس آية : ٩٠.
(٨) سورة يونس آية : ٩٠.

بالتشديد إذا سار خلفه واقتدى به، وقيل: هما واحد. ﴿ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴾ [1]، أي: ظلما واعتداء، وقيل: بغيا في القول وعدوا في الفعل، وكان البحر قد انفلق لموسى وقومه، فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر فلما. دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج انطبق عليهم الماء.

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ﴾ [2]، أي: غمره الماء وقرب هلاكه، ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ ﴾ [3]، قرأ حمزة والكسائي (إنه) بكسر الألف أي: آمنت، وقلت: إنه، وقرأ الآخرون (أنه) بالفتح على وقوع آمنت عليها، وإضمار حرف الجر، أي: آمنت بأنه، فحذف الباء، وأوصل الفعل بنفسه، فهو في موضع النصب. ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [4]، فدس جبريل في فيه من حمأة البحر.

[٩١] وقال: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [5] فلما أخبر موسى قومه بلاك فرعون وقومه قالت بنو إسرائيل ما مات فرعون، فأمر الله البحر فألقى فرعون على الساحل فرآه بنو إسرائيل فذلك قوله:

[٩٢] ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾ [6]، أي: نلقيك على نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع، وقرأ يعقوب (ننجيك) بالتخفيف، ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ [7]، بجسدك لا روح فيه، وقيل: ببدنك: بدرعك، وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر، فرأوه في درعه فصدقوا

---

(١) سورة يونس آية : ٩٠.
(٢) سورة يونس آية : ٩٠.
(٣) سورة يونس آية : ٩٠.
(٤) سورة يونس آية : ٩٠.
(٥) سورة يونس آية : ٩١.
(٦) سورة يونس آية : ٩٢.
(٧) سورة يونس آية : ٩٢.

موسى. ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[(١)]، عبرة وعظة، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[(٢)].

[٩٣] ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [(٣)] أنزلنا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون، ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾[(٤)]، م ل صدق، يعني. مصر، وقيل: الأردن وفلسطين، وهي الأرض المقدسة التي كتب الله ميراثا لإبراهيم وذريته، قال الضحـاك: هي: مصر والشام، ﴿ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ﴾[(٥)]، الحلالات، ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[(٦)]، يعني اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ في تصديقه، وأنه نبي، ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾[(٧)]، يعني، القرآن والبيان بأنه رسول الله صدق ودينه حق، وقيل: حتى جاءهم معلومهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنم كانوا يعلمونه قبل خروجه، فالعلم بمعنى المعلوم كما يقال للمخلوق: خلق، قال الله تعالى: ﴿ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾[(٨)]، ويقال: هذا الدرهم ضرب الأمير، أي. مضروبه. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[(٩)]، من الدين.

---

(١) سورة يونس آية : ٩٢.

(٢) سورة يونس آية : ٩٢.

(٣) سورة يونس آية : ٩٣.

(٤) سورة يونس آية : ٩٣.

(٥) سورة يونس آية : ٩٣.

(٦) سورة يونس آية : ٩٣.

(٧) سورة يونس آية : ٩٣.

(٨) سورة لقمان آية : ١١.

(٩) سورة يونس آية : ٩٣.

[٩٤] قوله تعالى. ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [١] يعني: القرآن ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾ [٢]، فيخبرونك أنك مكتوب عندهم في التوراة، قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [٣]، خطاب للنبي ﷺ والمراد به المؤمنون بدليل أنه قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ ﴾ [٤]، ولم يقل بما تعمل، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [٥]، وقيل: كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك، فهذا الخطاب مع أهل الشك معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد، فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعنى من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه فسيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته، قال الفراء: علم الله سبحانه وتعالى أن رسوله غير شاك، لكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد منهم لعبده: إن كنت عبدي فأطعني، ويقول لولده: افعل كذا وكذا إن كنت ابني، ولا يكون بذلك

(١) سورة يونس آية : ٩٤.
(٢) سورة يونس آية : ٩٤.
(٣) سورة الأحزاب آية : ١.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٢.
(٥) سورة الطلاق آية : ١.

علـى وجه الشك. ﴿ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[1]، من الشاكين.

[٩٥] ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[2]، وهذا كله خطاب مع النبي ﷺ والمراد منه غيره.

[٩٦] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ ﴾[3]، وجبت عليهم، ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾[4]، قيل: لعنته، وقال قتادة: سخطه، وقيل: الكلمة هي قوله: هؤلاء في النار ولا أبالي. ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[5].

[٩٧] ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾[6]، دلالـة، ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾[7]، قال الأخفش: أنث فعل كل؛ لأنه مضاف إلى المؤنث، وهي قوله: آية، ولفظ كل للمذكر والمؤنث سواء.

قوله تعالى فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ.....

[٩٨] قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ ﴾[8]، فهلا كانت، ﴿ قَرْيَةٌ ﴾[9]، ومعنـاه: فلم تكـن قرية؛ لأن في الاستفهام ضربا من الجحـد، أي: أهـل قرية،

(١) سورة يونس آية : ٩٤.
(٢) سورة يونس آية : ٩٥.
(٣) سورة يونس آية : ٩٦.
(٤) سورة يونس آية : ٩٦.
(٥) سورة يونس آية : ٩٦.
(٦) سورة يونس آية : ٩٧.
(٧) سورة يونس آية : ٩٧.
(٨) سورة يونس آية : ٩٨.
(٩) سورة يونس آية : ٩٨.

﴿ ءَامَنَتۡ ﴾[1]، عند معاينة العذاب، ﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾[2]، في حال اليأس، ﴿ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ ﴾[3]، فإنه نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، (وقوم) نصب على الاستثناء المنقطع، تقديره: ولكن قوم يونس، ﴿ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨ ﴾[4]، وهو وقت انقضاء آجالهم، واختلفوا في أنهم هل رأوا العذاب عيانا أم لا؟ فقال بعضهم: رأوا دليل العذاب؟ والأكثرون على أنهم رأوا العذاب عيانًا بدليل قوله: ﴿ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨ ﴾[5]، والكشف يكون بعد الوقوع أو إذا قرب أو سيأتي مثل ذلك في سورة الصافات آية (١٤٨).

[٩٩] قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ ﴾[6]، يا محمد، ﴿ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩ ﴾[7]، هذه تسلية للنبي ﷺ وذلك أنه كان حريصًا على أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله جل ذكره: أنه لا يؤمن إلا من سبق له السعادة، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة.

---

(١) سورة يونس آية : ٩٨.
(٢) سورة يونس آية : ٩٨.
(٣) سورة يونس آية : ٩٨.
(٤) سورة يونس آية : ٩٨.
(٥) سورة يونس آية : ٩٨.
(٦) سورة يونس آية : ٩٩.
(٧) سورة يونس آية : ٩٩.

[١٠٠] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ ﴾[١]، وما ينبغي لنفس، وقيل: ما كانت نفس، ﴿ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[٢]، قال ابن عباس: بأمر الله، وقال عطاء: بمشيئة الله، وقيل: بعلم الله. ﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ ﴾[٣]، قرأ أبو بكر: (ونجعل) بالنون، والباقون بالياء، أي: ويجعل الله الرجس أي: العذاب وهو الرجز، ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٤]، عن الله أمره ونهيه.

[١٠١] ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ ﴾[٥]، أي: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات: انظروا، ﴿ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[٦]، من الآيات والدلائل والعبر، ففي السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها، وفي الأرض الجبال والبحار والأنهار والأشجار وغيرها، ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ ﴾[٧]، الرسل، ﴿ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[٨]، وهذا في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون.

[١٠٢] ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ ﴾[٩]، يعني: مشركي مكة، ﴿ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ ﴾[١٠]، مضوا، ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾[١]، من مكذبي الأمم، قال قتادة: يعني وقائع

---

(١) سورة يونس آية : ١٠٠.
(٢) سورة يونس آية : ١٠٠.
(٣) سورة يونس آية : ١٠٠.
(٤) سورة يونس آية : ١٠٠.
(٥) سورة يونس آية : ١٠١.
(٦) سورة يونس آية : ١٠١.
(٧) سورة يونس آية : ١٠١.
(٨) سورة يونس آية : ١٠١.
(٩) سورة يونس آية : ١٠٢.
(١٠) سورة يونس آية : ١٠٢.

الله في قوم نوح وعاد وثمود، والعرب تسمي العذاب أيامًا والنعم أيامًا، كقوله: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾[2]، وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو أيام، ﴿ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[3].

[١٠٣] ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا ﴾[4]، قرأ يعقوب (ننجي) خفيف مختلف عنه، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[5]، معهم عند نزول العذاب، معناه: نجينا مستقبل بمعنى الماضي، ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾[6]، كما نجيناهم ﴿ حَقًّا ﴾[7]، واجبًا، ﴿ عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[8]، قرأ الكسائي وحفص ويعقوب (ننجي) بالتخفيف والآخرون بالتشديد، ونجا وأنجى بمعنى واحد.

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى ﴾[9]، الذي أدعوكم إليه، فإن قيل: كيف قال: ﴿ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ ﴾ [10] وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به؟ قيل: كان فيهم شاكون فهم المراد بالآية، أو أنم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي ﷺ قوله ﷻ ﴿ فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

(١) سورة يونس آية : ١٠٢.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٥.
(٣) سورة يونس آية : ١٠٢.
(٤) سورة يونس آية : ١٠٣.
(٥) سورة يونس آية : ١٠٣.
(٦) سورة يونس آية : ١٠٣.
(٧) سورة يونس آية : ١٠٣.
(٨) سورة يونس آية : ١٠٣.
(٩) سورة يونس آية : ١٠٤.
(١٠) سورة يونس آية : ١٠٤.

ٱللَّهِ ﴾[1]، من الأوثان، ﴿ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ ﴾[2]، يميتكم ويقبض أرواحكم، ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[3].

[١٠٥] قوله: ﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾[4]، قال ابن عباس: عملك، وقيل: استقم على الدين حنيفا، ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[5].

[١٠٦] ﴿ وَلَا تَدۡعُ ﴾[6]، ولا تعبد، ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾[7]، إن أطعته، ﴿ وَلَا يَضُرُّكَۖ ﴾[8]، إن عصيته، ﴿ فَإِن فَعَلۡتَ ﴾[9]، فعبـدت غير الله، ﴿ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[10]، الضارين لأنفسهم الواضعين العبادة في غير موضعها.

قوله تعالى وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ....

[١٠٧] ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ ﴾[11] أي: يصبك بشدة وبلاء، ﴿ فَلَا كَاشِفَ ﴾[1]، فلا دافـع له، ﴿ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ ﴾[2]، رخاء

(١) سورة يونس آية : ١٠٤.
(٢) سورة يونس آية : ١٠٤.
(٣) سورة يونس آية : ١٠٤.
(٤) سورة يونس آية : ١٠٥.
(٥) سورة يونس آية : ١٠٥.
(٦) سورة يونس آية : ١٠٦.
(٧) سورة يونس آية : ١٠٦.
(٨) سورة يونس آية : ١٠٦.
(٩) سورة يونس آية : ١٠٦.
(١٠) سورة يونس آية : ١٠٦.
(١١) سورة يونس آية : ١٠٧.

رخاء ونعمة وسعة، ﴿ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾[3]، فلا مانع لرزقه، ﴿ يُصِيبُ بِهِۦ ﴾[4]، بكل واحد من الضر والخير، ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[5].

[١٠٨] ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾[6]، يعني القرآن والإسلام، ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ ﴾[7]، أي: على نفسه وباله عليه، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾[8]، بكفيل أحفظ أعمالكم، قال ابن عباس: نسختها آية القتال.

[١٠٩] ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ ﴾[9]، بنصرك وقهر عدوك وإظهار دينه ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[10]، فحكم بقتال المشركين وبالجزية على أهل الكتاب يعطونا عن يد وهم صاغرون.

---

(١) سورة يونس آية : ١٠٧.
(٢) سورة يونس آية : ١٠٧.
(٣) سورة يونس آية : ١٠٧.
(٤) سورة يونس آية : ١٠٧.
(٥) سورة يونس آية : ١٠٧.
(٦) سورة يونس آية : ١٠٨.
(٧) سورة يونس آية : ١٠٨.
(٨) سورة يونس آية : ١٠٨.
(٩) سورة يونس آية : ١٠٩.
(١٠) سورة يونس آية : ١٠٩.

(١١) سورة هود

قوله تعالى الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُم فُصلتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ...

مكية إلا قوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾[(١)]، وهي مائة وثلاث وعشرون آية.

[١] ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ ﴾[(٢)]، أي: هذا كتاب، ﴿ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾[(٣)]، قال ابن عباس: لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع به ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾[(٤)]، بينت بالأحكام والحلال والحرام، وقال الحسن: أحكمت بالأمر والنهي، ثم فصلت بالوعد والوعيد، قال قتادة: أحكمت أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض، وقال مجاهد: فصلت أي: فسرت، وقيل: فصلت أي: أنزلت شيئًا فشيئًا، ﴿ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾[(٥)].

[٢] ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ ﴾[(٦)]، أي: في ذلك الكتاب ألا تعبدوا إلا الله، ويكون محل (أن) رفعًا. وقيل: محله خفض تقديره: بأن لا تعبدوا إلا الله، ﴿ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ ﴾[(٧)]، أي: من الله ﴿ نَذِيرٌ ﴾[(٨)]، للعاصين ﴿ وَبَشِيرٌ ۝٢ ﴾[(٩)] للمطيعين.

---

(١) سورة هود آية : ١١٤.
(٢) سورة هود آية : ١.
(٣) سورة هود آية : ١.
(٤) سورة هود آية : ١.
(٥) سورة هود آية : ١.
(٦) سورة هود آية : ٢.
(٧) سورة هود آية : ٢.
(٨) سورة هود آية : ٢.
(٩) سورة هود آية : ٢.

[٣] ﴿ وَأَنِ ﴾ [(١)]، عطـف علـى الأول، ﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ [(٢)]، أي: ارجعوا إليه بالطاعة، قال الفراء: (ثم) هنا بمعنى الواو، أي: وتوبوا إليه، لأن الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار، وقيل: أن استغفروا إليه في المستأنف يمتعكم متاعا حسنا، يعيشكم عيشا حسنا في خفض ودعة وأمن وسعة، قال بعضهم: العيش الحسن هو الرضى بالميسـور والصبر على المقدور. ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [(٣)] إلى حين الموت، ﴿ وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٍ فَضۡلَهُۥۖ ﴾ [(٤)]، أي: ويؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة. وقيل: يؤت كل ذي فضل فضله يعني: من عمل لله ﷻ وفقه الله فيمـا يستقبـل علـى طاعتـه. ﴿ وَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ [(٥)]، أعرضوا، ﴿ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ ﴾ [(٦)]، وهو يوم القيامة.

[٤] ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤ ﴾ [(٧)].

[٥] قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ ﴾ [(٨)]، قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر، يلقى رسول الله ﷺ بما يحب

---

(١) سورة هود آية : ٣.
(٢) سورة هود آية : ٣.
(٣) سورة هود آية : ٣.
(٤) سورة هود آية : ٣.
(٥) سورة هود آية : ٣.
(٦) سورة هود آية : ٣.
(٧) سورة هود آية : ٤.
(٨) سورة هود آية : ٥.

وينطوي بقلبه على ما يكره. قوله: ﴿ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾[(١)]: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة، وقال عبد الله بن شداد: نزلت هذه الآية في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وحنى ظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه؛ كي لا يراه النبي ﷺ وقال قتادة: كانوا يحنون صدورهم كـي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره، وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته، ويرخي ستره، ويحني ظهره، ويتغشى بثوبه، ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي، وقال السدي: يثنون أي: يعرضون بقلوبهم، من قولهم: ثنيت عناني. وقيل: يعطفون، ومنه ثنى الثوب، ﴿ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾[(٢)]، أي: من رسـول الله. وقـال مجاهد: ليستخفوا من الله إن استطاعوا، ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾[(٣)]، يغطون رؤوسهم بثيابهم، ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾[(٤)]، قال الأزهري: معنى الآية من أولها إلى آخرها: إن الذين أضمروا عداوة رسول الله ﷺ لا يخفى علينا حالهم.

قوله تعالى وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا.....

[٦] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[(٥)]، أي: ليس دابة، (من) صلة، والدابة: كل حيوان يدب على وجه الأرض، وقوله: ﴿ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[(٦)]، أي هو المتكفل بذلك فضلًا، وهو إلى مشيئته إن شاء رزق، وإن شاء لم يرزق، وقيل: على بمعنى من أي: من الله رزقها، وقال مجاهد: ما جاءها من رزق فمن الله ﷻ وربما لم

(١) سورة هود آية : ٥.
(٢) سورة هود آية : ٥.
(٣) سورة هود آية : ٥.
(٤) سورة هود آية : ٥.
(٥) سورة هود آية : ٦.
(٦) سورة هود آية : ٦.

يرزقها حتى تموت جوعا. ﴿ وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ ﴾[1]، قال ابن مقسم - ويروى ذلك عن ابن عباس -: مستقرها المكان الذي تأوي إليه، وتستقر فيه ليلا ونارا، ومستودعها: الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المستقر: أرحام الأمهات والمستودع المكان الذي تموت فيه، وقال عطاء: المستقر أرحام الأمهات والمستودع أصلاب الآباء، ورواه سعيد بن جبير وعلي بن طلحة وعكرمة عن ابن عباس، وقيل: المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر، لقوله تعالى في صفة الجنة والنار: ﴿ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ ﴾[2]. ﴿ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾[3]، أي: كل مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن خلقها.

[٧] قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾[4]، قبل أن خلق السماء والأرض ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ ﴾[5]، ليختبركم وهو أعلم، ﴿ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ ﴾[6]، عمل بطاعة الله، وأورع عن محارم الله تعالى. ﴿ وَلَئِن قُلۡتَ ﴾[7]، يا محمد، ﴿ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ ﴾[8]، يعنون القرآن، وقرأ حمزة والكسائي: (ساحر) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم.

(١) سورة هود آية : ٦.
(٢) سورة الفرقان آية : ٧٦.
(٣) سورة هود آية : ٦.
(٤) سورة هود آية : ٧.
(٥) سورة هود آية : ٧.
(٦) سورة هود آية : ٧.
(٧) سورة هود آية : ٧.
(٨) سورة هود آية : ٧.

[٨] ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾[١]، إلى أجل محدود، وأصل الأمة الجماعة، فكأنه قال: إلى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى ﴿ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾[٢]، أي: أي شيء يحبسه؟ يقولونه استعجالا للعذاب واستهزاء، يعنون أنه ليس بشيء، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ﴾[٣]، يعني العذاب، ﴿ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾[٤]، لا يكون مصروفا عنهم، ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾[٥]، نزل بهم، ﴿ مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾[٦]، أي: وبال استهزائهم.

[٩] قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾[٧] نعمة وسعة، ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ ﴾[٨]، أي: سلبناها منه، ﴿ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ ﴾[٩]، قنوط في الشدة، ﴿ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾[١٠] النعمة.

[١٠] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾[١١]، بعد بلاء أصابه، ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ﴾[١]، زالت الشدائد عني، ﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾[٢]، أشر

---

(١) سورة هود آية : ٨.
(٢) سورة هود آية : ٨.
(٣) سورة هود آية : ٨.
(٤) سورة هود آية : ٨.
(٥) سورة هود آية : ٨.
(٦) سورة هود آية : ٨.
(٧) سورة هود آية : ٩.
(٨) سورة هود آية : ٩.
(٩) سورة هود آية : ٩.
(١٠) سورة هود آية : ٩.
(١١) سورة هود آية : ١٠.

بطر، والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى، والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب، وذلك منهي عنه.

[١١] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ (٣)، قال الفراء: هذا استثناء منقطع معناه: لكن الذين صبروا ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (٤)، فإنم إن نالتهم شدة صبروا، وإن نالوا نعمة شكروا، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ (٥)، لذنوبم ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٦)، وهو الجنة.

[١٢] ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ (٧)، يا محمد، ﴿ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ (٨)، فلا تبلغه إياهم، وذلك أن كفار مكة لما قالوا. ﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ ﴾ (٩) ليس فيه سب آلهتنا هم النبي ﷺ أن يدع آلهتهم ظاهرا، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ (١٠) يعني: سب الآلهة، ﴿ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ (١١)، أي: فلعلك يضيق صدرك ﴿ أَن يَقُولُواْ ﴾ (١٢)، أي: لأن يقولوا، ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ ﴾ (١٣)

---

(١) سورة هود آية : ١٠.
(٢) سورة هود آية : ١٠.
(٣) سورة هود آية : ١١.
(٤) سورة هود آية : ١١.
(٥) سورة هود آية : ١١.
(٦) سورة هود آية : ١١.
(٧) سورة هود آية : ١٢.
(٨) سورة هود آية : ١٢.
(٩) سورة يونس آية : 15.
(١٠) سورة هود آية : ١٢.
(١١) سورة هود آية : ١٢.
(١٢) سورة هود آية : ١٢.
(١٣) سورة هود آية : ١٢.

ينفقه ﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ﴾ [1] يصدقه، قاله عبد الله بن أمية المخزومي، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ﴾ [2] ليس عليك إلا البلاغ، ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [3]، حافظ.

قوله تعالى أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ....

[١٣] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [4]، بل يقولون اختلقه، ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ [5]، فإن قيل: قد قال في سورة يونس: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [6]، وقد عجزوا عنه فكيف قال: ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ ﴾ [7]، فهو كرجل يقول لآخر: أعطني درهما فيعجز، فيقول: أعطني عشرة دراهم؟ الجواب: قد قيل سورة هود نزلت أولا، وأنكر المبرد هذا، وقال بل نزلت سورة يونس أولًا، وقال معنى قوله في سورة يونس: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [8]، أي: مثله في الخير عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد، فعجزوا فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي مجرد البلاغة، ﴿ وَٱدْعُوا۟ مَنِ

---

(١) سورة هود آية : ١٢.
(٢) سورة هود آية : ١٢.
(٣) سورة هود آية : ١٢.
(٤) سورة هود آية : ١٣.
(٥) سورة هود آية : ١٣.
(٦) سورة يونس آية : ٣٨.
(٧) سورة هود آية : ١٣.
(٨) سورة يونس آية : ٣٨.

﴿ ٱسۡتَطَعۡتُم ﴾[1]، واستعينوا بمن استطعتم، ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ ﴾[2].

[١٤] ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾[3]، يا أصحاب محمد، وقيل: لفظه جمع، والمراد به الرسول ﷺ وحده. ﴿ أَنَّمَآ ﴾[4]، قيل: هذا خطاب مع المؤمنين، وقيل: مع المشركين، ﴿ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن ﴾[5]، يعني: القرآن، وقيل: أنزله، وفيه علمه، ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ ﴾[6]، أي: فاعلموا أن لا إله إلا هو، ﴿ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤ ﴾[7]، لفظه استفهام ومعناه أمر، أي: أسلموا.

[١٥] قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[8]، أي: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ﴿ وَزِينَتَهَا ﴾[9]، نزلت في كل من عمل عملًا يريد به غير الله ﷻ ﴿ نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا ﴾[10]، أي: نوف لهم أجور أعمالهم في الدنيا

---

(١) سورة هود آية : ١٣.
(٢) سورة هود آية : ١٣.
(٣) سورة هود آية : ١٤.
(٤) سورة هود آية : ١٤.
(٥) سورة هود آية : ١٤.
(٦) سورة هود آية : ١٤.
(٧) سورة هود آية : ١٤.
(٨) سورة هود آية : ١٥.
(٩) سورة هود آية : ١٥.
(١٠) سورة هود آية : ١٥.

بسعة الرزق ودفع المكاره وما أشبهها. ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[1]، أي: في الدنيا لا ينقص حظهم.

[١٦] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾[2]، أي: في الدنيا، ﴿ وَبَٰطِلٌ ﴾[3]، ماحق، ﴿ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[4]، اختلفوا في المعنى بهذه الآية، فقال مجاهد: أهل الرياء، وروينا أن النبي ﷺ قال: ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: "الرياء ﴾ [5] [6].

وقيل: هذا في الكفار، وأما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة، وإرادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة.

[١٧] قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾[7]، بيان، ﴿ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[8]، قيل: في الآية حذف ومعناه: أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها، أو من كان على بينة من ربه كمن هو في الضلالة والجهالة، والمراد بالذي هو على بينة من ربه النبي ﷺ ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾[9]، أي: يتبعه من يشهد له بصدقه، واختلفوا في هذا

---

(١) سورة هود آية : ١٥.
(٢) سورة هود آية : ١٦.
(٣) سورة هود آية : ١٦.
(٤) سورة هود آية : ١٦.
(٥) أحمد (٤٢٨/٥).
(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٥ / ٤٢٨، ٤٢٩. وفي رواية عند الترمذي في كتاب النذور ٩ وابن ماجه في الفتن ١٦ بلفظ: "الرياء شرك". ورواه المصنف في شرح السنة ١٤ / ٣٢٤.
(٧) سورة هود آية : ١٧.
(٨) سورة هود آية : ١٧.
(٩) سورة هود آية : ١٧.

الشاهد، فقال ابن عباس وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر أهل التفسير: إنه جبريل عليه السلام، وقال الحسن وقتادة: هو لسان رسول الله ﷺ وروى ابن جريج عن مجاهد قال: هو ملك يحفظه ويسدده، وقال الحسين بن الفضل: هو القرآن ونظمه وإعجازه، وقيل: شاهد منه هو الإنجيل. ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ ﴾ [(١)]، أي: ومن قبل مجيء محمد ﷺ وقيل: من قبل نزول القرآن. ﴿ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ [(٢)]، أي: كان كتاب موسى، ﴿ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ ﴾ [(٣)]، لمن اتبعها، يعني التوراة، وهي مصدقة للقرآن شاهدة للنبي ﷺ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ ﴾ [(٤)]، يعني أصحاب محمد ﷺ وقيل: أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب، ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ ﴾ [(٥)] أي: بمحمد ﷺ. وقيل: بالقرآن، ﴿ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ [(٦)]، من الكفار أهل الملل كلها، ﴿ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ ﴾ [(٧)]، قال رسول الله ﷺ ﴿ والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار ﴾ [(٨)] [(٩)].

---

(١) سورة هود آية : ١٧.

(٢) سورة هود آية : ١٧.

(٣) سورة هود آية : ١٧.

(٤) سورة هود آية : ١٧.

(٥) سورة هود آية : ١٧.

(٦) سورة هود آية : ١٧.

(٧) سورة هود آية : ١٧.

(٨) مسلم الإيمان (١٥٣)، أحمد (٢/٣٥٠).

(٩) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم (١٥٣) ١ / ١٣٤ والمصنف في شرح السنة ١ / ١٠٤.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾[1]، أي. في شك منه، ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

[١٨] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[3]، فزعم أن له ولدًا أو شريكًا، أي: لا أحد أظلم منه، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾[4]، يعني: الكاذبين والمكذبين، ﴿ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾[5]، فيسألهم عن أعمالهم، ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[6]، يعني: الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم، قاله مجاهد، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو قول الضحاك، وقال قتادة: الخلائق كلهم، ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[7].

[١٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[8]، يمنعون عن دين الله، ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[9].

(١) سورة هود آية : ١٧.
(٢) سورة هود آية : ١٧.
(٣) سورة هود آية : ١٨.
(٤) سورة هود آية : ١٨.
(٥) سورة هود آية : ١٨.
(٦) سورة هود آية : ١٨.
(٧) سورة هود آية : ١٨.
(٨) سورة هود آية : ١٩.
(٩) سورة الأعراف آية : ٤٥.

قوله تعالى أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ....

[٢٠] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ ﴾[١]، قال ابن عباس: سابقين، قال قتادة: هاربين، وقال مقاتل: فائتين. ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾[٢]، يعني أنصارا وأعوانا يحفظونهم من عذابنا، ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾[٣]، أي: يزاد في عذابهم، قيل: يضاعف العذاب عليهم لإضلالهم الغير، واقتداء الأتباع بهم، قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب: (يضعف) مشددة العين بغير ألف، وقرأ الباقون: (يضاعف) بالألف مخففة العين. ﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ۝٢٠ ﴾[٤]، الهدى، قال قتادة، صم عن سماع الحق فلا يسمعونه، وما كانوا يبصرون الهدى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله ﷻ أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا قال: ﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ ﴾[٥] وهو طاعته، وفي الآخرة قال: ﴿ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ ﴾[٦] ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾[٧].

[٢١] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾[٨]، غبنوا أنفسهم، ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝٢١ ﴾[١]، يزعمون من شفاعة الملائكة والأصنام.

---

(١) سورة هود آية : ٢٠.
(٢) سورة هود آية : ٢٠.
(٣) سورة هود آية : ٢٠.
(٤) سورة هود آية : ٢٠.
(٥) سورة هود آية : ٢٠.
(٦) سورة القلم آية : ٤٢.
(٧) سورة القلم آية : ٤٣.
(٨) سورة هود آية : ٢١.

[٢٢] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾[٢]، أي: حقّا، وقيل: بلى، وقال الفراء: لا محالة، ﴿ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣]، يعني: من غيرهم، وإن كان الكل في الخسار.

[٢٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ ﴾[٤]، قال ابن عباس: خافوا. وقال قتادة: أنابوا. وقال مجاهد: اطمأنوا. وقيل: خشعوا. وقوله: ﴿ رَبِّهِمْ ﴾[٥]، أي: لربهم. ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٦].

[٢٤] ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾[٧]، المؤمن والكافر، ﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ﴾[٨]، قال الفراء، لم يقل هل يستوون؛ لأن الأعمى والأصم في حيز كأنما واحد؛ لأنما من وصف الكافر، والبصير والسميع في حيز كأنما واحد؛ لأنما من وصف المؤمن، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٩]، أي: تتعظون.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[١٠]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (أني) بفتح

---

(١) سورة هود آية : ٢١.
(٢) سورة هود آية : ٢٢.
(٣) سورة هود آية : ٢٢.
(٤) سورة هود آية : ٢٣.
(٥) سورة هود آية : ٢٣.
(٦) سورة هود آية : ٢٣.
(٧) سورة هود آية : ٢٤.
(٨) سورة هود آية : ٢٤.
(٩) سورة هود آية : ٢٤.
(١٠) سورة هود آية : ٢٥.

الهمزة أي: بأني، وقرأ الباقون بكسرها، أي: فقال إني؛ لأن في الإرسال معنى القول: إني لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ.

[٢٦] ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، أي: مؤلم ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[2] أي: فلبث فيهم داعيًا.

[٢٧] ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾[3]: والملأ هم الأشراف والرؤساء. ﴿ مَا نَرَىٰكَ ﴾[4]، يا نوح، ﴿ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾[5]، آدميا، ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾[6]، سفلتنا، والرذل: الدون من كل شيء، والجمع أرذل، ثم يجمع على أراذل، مثل كلب وأكلب وأكالب، وقال في سورة الشعراء. ﴿ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[7] يعني: السفلة، وقال عكرمة: الحاكة والأساكفة، ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْيِ ﴾[8]، قرأ أبو عمرو (بادئ) بالهمز، أي: أول الرأي، يريدون أنم اتبعوك في أول الرأي من غير روية وتفكر، ولو تفكروا لم يتبعوك، وقرأ الآخرون بغير همز، أي ظاهر الرأي من قولهم: بدا الشيء إذا ظهر معناه

---

(١) سورة هود آية : ٢٦.

(٢) سورة العنكبوت آية : ١٤.

(٣) سورة هود آية : ٢٧.

(٤) سورة هود آية : ٢٧.

(٥) سورة هود آية : ٢٧.

(٦) سورة هود آية : ٢٧.

(٧) سورة الشعراء آية : ١١١.

(٨) سورة هود آية : ٢٧.

اتبعوك ظاهرًا من غير أن يتدبروا ويتفكروا باطنًا، قال مجاهد: رأي العين، ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

[٢٨] ﴿ قَالَ ﴾[2]، نوح ﴿ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾[3]، بيان، ﴿ مِّن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِى رَحْمَةً ﴾[4] أي: هدى ومعرفة، ﴿ مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾[5]، أي: خفيت والتبست عليكـم، وقرأ حمزة والكسائي وحفص (فعميت) عليكـم بضم العين وتشديد الميم، أي: شبهت ولبست عليكـم. ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾[6]، أي: أنلزمكم البينة والرحمة، ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[7]، لا تريدونا، قال قتادة: لو قدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يلزموا قومهم لألزموا، ولكن لم يقدروا.

قوله تعالى وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ.....

[٢٩] قوله: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ ﴾[8]، أي: على الوحي وتبليغ الرسالة، كناية عن غير مذكور، ﴿ أَجْرِىَ إِلَّا ﴾[9]، ما ثوابي، ﴿ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠

(١) سورة هود آية : ٢٧.
(٢) سورة هود آية : ٢٨.
(٣) سورة هود آية : ٢٨.
(٤) سورة هود آية : ٢٨.
(٥) سورة هود آية : ٢٨.
(٦) سورة هود آية : ٢٨.
(٧) سورة هود آية : ٢٨.
(٨) سورة هود آية : ٢٩.
(٩) سورة هود آية : ٢٩.

بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم ﴾[1]، هذا دليل على أنهم طلبوا منه طرد المؤمنين، ﴿ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ ﴾[2]، أي: صائرون إلى ربهم في المعاد فيجزي من طردهم، ﴿ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾[3].

[٣٠] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن ﴾[4]، من يمنعني من عذاب الله، ﴿ طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[5]، تتعظون.

[٣١] ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾[6]، فآتي منها ما تطلبون، ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾[7]، فأخبركم بما تريدون، وقيل: إنهم لما قالوا لنوح إن الذين آمنوا بك إنما اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم، قال نوح مجيبًا لهم: لا أقول لكم عندي خزائن غيوب الله التي يعلم منها ما يضمر الناس، ولا أعلم الغيب فأعلم ما يسرونه في نفوسهم، فسبيلي قبول ما ظهر من إيمانهم، ﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ ﴾[8]، هذا جواب قولهم: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا ﴾[9]. ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ ﴾[10]، أي: تحتقرهم وتستصغرهم أعينكم، يعني - المؤمنين، وذلك أنهم قالوا: هم أراذلنا، ﴿ لَن

---

(١) سورة هود آية : ٢٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٤٦.
(٣) سورة هود آية : ٢٩.
(٤) سورة هود آية : ٣٠.
(٥) سورة هود آية : ٣٠.
(٦) سورة هود آية : ٣١.
(٧) سورة هود آية : ٣١.
(٨) سورة هود آية : ٣١.
(٩) سورة هود آية : ٢٧.
(١٠) سورة هود آية : ٣١.

﴿ يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ﴾ [1] أي: توفيقًا وإيمانًا وأجرًا، ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ [2]، من الخير والشر مني، ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ ﴾ [3]، لو قلت هذا.

[٣٢] ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا ﴾ [4]، خاصمتنا، ﴿ فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ [5]، من العذاب ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ ﴾ [6].

[٣٣]، ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ ﴾ [7]، يعني: بالعذاب، ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ ﴾ [8].

[٣٤] ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ ﴾ [9]، أي: نصيحتي، ﴿ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ ﴾ [10]، يضلكم، ﴿ هُوَ رَبُّكُمۡ ﴾ [11]، له الحكم والأمر ﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤ ﴾ [12]، فيجزيكم بأعمالكم.

---

(١) سورة هود آية : ٣١.
(٢) سورة هود آية : ٣١.
(٣) سورة هود آية : ٣١.
(٤) سورة هود آية : ٣٢.
(٥) سورة هود آية : ٣٢.
(٦) سورة هود آية : ٣٢.
(٧) سورة هود آية : ٣٣.
(٨) سورة هود آية : ٣٣.
(٩) سورة هود آية : ٣٤.
(١٠) سورة هود آية : ٣٤.
(١١) سورة هود آية : ٣٤.
(١٢) سورة هود آية : ٣٤.

[٣٥] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [1]، قال ابن عباس ﷺ يعني نوحًا عليه السلام، وقال مقاتل: يعني محمدًا ﷺ. ﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾ [2]، أي: إثمي ووبال جرمي، والإجرام: كسب الذنب. ﴿ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [3]، لا أؤاخذ بذنوبكـم.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ [4]، فلا تحزن، ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [5] فإني مهلكهم، ولا منقذ منهما، فحينئذ دعا نوح عليهم: فقال ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [6] فأوحى الله تعالى إليه:

[٣٧] ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [7]، أي: بأمرنا. ﴿ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [8]، بالطوفان، قيل معناه لا تخاطبني في إمهال الكفار، فإني حكمت بإغراقهم، وقيل: لا تخاطبني في ابنك كنعان، وامرأتك واعلة؛ فإنما هالكان مع القوم.

---

(١) سورة هود آية : ٣٥.

(٢) سورة هود آية : ٣٥.

(٣) سورة هود آية : ٣٥.

(٤) سورة هود آية : ٣٦.

(٥) سورة هود آية : ٣٦.

(٦) سورة نوح آية : ٢٦.

(٧) سورة هود آية : ٣٧.

(٨) سورة هود آية : ٣٧.

قوله تعالى وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ....

[٣٨] قوله تعالى: ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ ﴾ [(١)]، فلما أمره الله تعالى أن يصنع الفلك أقبل نوح عليه السلام على عمل الفلك، ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب، ويضرب الحديد، ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره، وجـعل قومه يمرون به -وهو في عمله- ويسخرون منه، ويقولون: يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة، قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٌ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ ﴾ [(٢)]، وذلك أنم كانوا يقولون: إن هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجارا، وروي أنم كانوا يقولون له: يا نوح ماذا تصنع؟ فيقول أصنـع بيتـا يمشي على الماء، فيضحكون منه، ﴿ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ ﴾ [(٣)]، إذا عاينتم عذاب الله، ﴿ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٤)]، فإن قيل: كيف تجوز السخرية من النبي؟ قيل: هذا على ازدواج الكلام، يعني إن تستجهلوني فإني أستجهلكم إذا نزل العذاب بكم، وقيل: معناه إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكـم.

[٣٩] ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٌ يُخۡزِيهِ ﴾ [(٥)]، يهينـه، ﴿ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ ﴾ [(٦)]، يجب عليه، ﴿ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [(٧)]، دائم.

---

(١) سورة هود آية : ٣٨.
(٢) سورة هود آية : ٣٨.
(٣) سورة هود آية : ٣٨.
(٤) سورة هود آية : ٣٨.
(٥) سورة هود آية : ٣٩.
(٦) سورة هود آية : ٣٩.
(٧) سورة هود آية : ٣٩.

[٤٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾[١]، عذابنا، ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾[٢]، اختلفوا في التنور، قال عكرمة والزهري: هو وجه الأرض، وذلك أنه قيل لنوح: إذا رأيت الماء فار على وجه الأرض فاركب السفينة، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: فار التنور أي: طلع الفجر ونور الصبح، وقال الحسن ومجاهد والشعبي: إنه التنور الذي يخبز فيه، وهو قول أكثر المفسرين، والفوران: الغليان. قوله تعالى: ﴿ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا ﴾[٣]، أي: في السفينة، ﴿ مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾[٤]، الزوجان: كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر، يقال لكل واحد منهما زوج، يقال: زوج خف وزوج نعل، والمراد بالزوجين هنا: الذكر والأنثى، قرأ حفص ههنا وفي سورة المؤمنين: مِنْ كُل بالتنوين أي: من كل صنف زوجين اثنين، ذكره تأكيدًا. ﴿ وَأَهۡلَكَ ﴾[٥]، أي: واحمل أهلك، أي: ولدك وعيالك، ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾[٦]، بالهلاك يعني امرأته واعلة، وابنه كنعان، ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَۚ ﴾[٧] يعني: واحمل من آمن بك، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[٨]، واختلفوا في عددهم، قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي: لم يكن في السفينة إلا ثمانية، نوح وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام ويافث، ونساؤهم: وقال الأعمش: كانوا سبعة: نوح وثلاثة بنين له وثلاث كنائن له،

---

(١) سورة هود آية : ٤٠.
(٢) سورة هود آية : ٤٠.
(٣) سورة هود آية : ٤٠.
(٤) سورة هود آية : ٤٠.
(٥) سورة هود آية : ٤٠.
(٦) سورة هود آية : ٤٠.
(٧) سورة هود آية : ٤٠.
(٨) سورة هود آية : ٤٠.

وقال ابن إسحاق: كانوا عشرة سوى نسائهم، نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس من كان آمن به وأزواجهم جميعا، وقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين نفرًا رجلًا وامرأة وبنيه الثلاثة ونساءهم، فجميعهم ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

[٤١] ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا ﴾ [١]، أي: قال لهم نوح اركبوا فيها، أي في السفينة، ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ ﴾ [٢]، قرأ حمزة والكسائي وحفص: (مجراها) بفتح الميم (ومرساها) بضمها، وقرأ محمد بن محيصن (مجراها ومرساها) بفتح الميمين من جرت ورست، أي: بسم الله جريها ورسوها، وهما مصدران وقرأ الآخرون: (مجراها ومرساها) بضم الميمين من أجريت وأرسيت، أي: بسم الله إجراؤها وإرساؤها وهما أيضًا مصدران، كقوله: ﴿ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ [٣]، ﴿ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [٤]، والمراد منها الإنزال والإدخال والإخراج. ﴿ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [٥].

[٤٢] ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ [٦]، والموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الريح، شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء. ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ [٧]، كنعان، وقال عبيد بن عمير: سام وكان كافرًا، ﴿ وَكَانَ فِى

(١) سورة هود آية : ٤١.
(٢) سورة هود آية : ٤١.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٢٩.
(٤) سورة الإسراء آية : ٨٠.
(٥) سورة هود آية : ٤١.
(٦) سورة هود آية : ٤٢.
(٧) سورة هود آية : ٤٢.

﴿ مَعۡزِلٖ ﴾[(١)]، عنه لم يركب السفينة، ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾[(٢)]، قرأ نافع وابن عامر وحمزة والبزي عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: (اركب) بإظهار الباء، والآخرون يدغمونا في الميم، ﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[(٣)]، فتهلك.

[٤٣] ﴿ قَالَ ﴾[(٤)] له ابنه ﴿ سَـَٔاوِيٓ ﴾[(٥)]، سأصير وألتجئ، ﴿ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾[(٦)]، يمنعني من الغرق، ﴿ قَالَ ﴾[(٧)] له نوح ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[(٨)]، أي: من عذاب الله، ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾[(٩)]، قيل: (من) في محل رفع، أي لا مانع من عذاب الله إلا الله الرحيم، وقيل: (من) في محل النصب، معناه لا معصوم إلا من رحمه الله كقوله: ﴿ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ ﴾[(١٠)] أي: مرضية، ﴿ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ ﴾[(١١)]، فصار، ﴿ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[(١٢)]، ويروى أن الماء علا على رؤوس الجبال قدر أربعين ذراعًا، وقيل: خمسة عشر ذراعًا.

---

(١) سورة هود آية : ٤٢.

(٢) سورة هود آية : ٤٢.

(٣) سورة هود آية : ٤٢.

(٤) سورة هود آية : ٤٣.

(٥) سورة هود آية : ٤٣.

(٦) سورة هود آية : ٤٣.

(٧) سورة هود آية : ٤٣.

(٨) سورة هود آية : ٤٣.

(٩) سورة هود آية : ٤٣.

(١٠) سورة الحاقة آية : ٢١.

(١١) سورة هود آية : ٤٣.

(١٢) سورة هود آية : ٤٣.

[٤٤] ﴿ وَقِيلَ ﴾ [١]، يعني بعدما تناهى أمر الطوفان. ﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي ﴾ [٢]، اشربي، ﴿ مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ﴾ [٣] أمسكي، ﴿ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ﴾ [٤]، نقص ونضب، يقال: غاض الماء يغيض غيضًا إذا نقـص، وغاضـه الله أي أنقصـه، ﴿ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ ﴾ [٥] وفرغ من الأمر وهلاك القوم ﴿ عَلَى ﴾ [٦]، يعني السفينة استقرت، ﴿ ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ ﴾ [٧]، وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل، ﴿ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ﴾ [٨]، هلاكا، ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ ﴾ [٩].

[٤٥] قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾ [١٠] وقد وعدتني أن تنجيني وأهلـي؟ ﴿ وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [١١]، لا خلف فيـه، ﴿ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥ ﴾ [١٢]، حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك.

(١) سورة هود آية : ٤٤.
(٢) سورة هود آية : ٤٤.
(٣) سورة هود آية : ٤٤.
(٤) سورة هود آية : ٤٤.
(٥) سورة هود آية : ٤٤.
(٦) سورة هود آية : ٤٤.
(٧) سورة هود آية : ٤٤.
(٨) سورة هود آية : ٤٤.
(٩) سورة هود آية : ٤٤.
(١٠) سورة هود آية : ٤٥.
(١١) سورة هود آية : ٤٥.
(١٢) سورة هود آية : ٤٥.

[٤٦] ﴿ قَالَ ﴾ (١) الله ﷻ ﴿ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ ﴾ (٢)، قرأ الكسائي ويعقوب: (عمل) بكسر الميم وفتح اللام (غير) بنصب الراء على الفعل، أي: عمل الشرك والتكذيب، وقرأ الآخرون بفتح الميم، ورفع اللام تنوينه، (غير) برفع الراء معناه: أن سؤالك إياي أن أنجيه عمل غير صالح، ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ ﴾ (٣)، يا نوح، ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ ﴾ (٤)، قرأ أهل الحجاز والشام (فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون، ويكسرون النون غير ابن كثير فإنه يفتحها، وقرأ الآخرون بجزم اللام وكسر النون خفيفة، ويثبت أبو جعفر وأبو عمرو وورش الياء في الوصل دون الوقف، وأثبتها يعقوب في الحالين، ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٥)، واختلفوا في هذا الابن، قال مجاهد والحسن: كان ولد حدث من غير نوح، ولم يعلم بذلك نوح، ولذلك قال: ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ ﴾ (٦) وقال أبو جعفـر الباقـر: كان ابن امرأته وكان يعلمه نوح، ولذلك قال ﴿ مِنْ أَهْلِى ﴾ (٧) ولم يقل مني، وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والأكثرون: إنه كان ابن نوح عليه السلام من صلبه، وقال ابن عباس: ما

(١) سورة هود آية : ٤٦.
(٢) سورة هود آية : ٤٦.
(٣) سورة هود آية : ٤٦.
(٤) سورة هود آية : ٤٦.
(٥) سورة هود آية : ٤٦.
(٦) سورة هود آية : ٤٦.
(٧) سورة هود آية : ٤٥.

بغت امرأة نبي قط وقوله ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ۖ ﴾ [1] أي: من أهل الدين وقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2]، يعني: تدعو بلاك الكفار ثم تسأل نجاة كافر.

قوله تعالى قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.....

[٤٧] ﴿ قَالَ ﴾ [3] نوح ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [4].

[٤٨] ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ ﴾ [5]، انزل من السفينة، ﴿ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا ﴾ [6] أي بأمن وسلامة منا، ﴿ وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ ﴾ [7]، البركة هي ثبوت الخير، ومنه بروك البعير، وقيل: البركة ههنا هي أن الله تعالى جعل ذريته هم الباقين إلى يوم القيامة، ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ﴾ [8]، أي: على ذرية أمم ممن كان معك في السفينة، يعني على قرون تجيء بعدك من ذرية من معك في السفينة، يعني: من ولدك وهم المؤمنون، قال محمد بن كعب القرظي: دخل فيه كل مؤمن إلى يوم القيامة. ﴿ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ﴾ [9]، هذا ابتداء، أي:

---

(١) سورة هود آية : ٤٦.
(٢) سورة هود آية : ٤٦.
(٣) سورة هود آية : ٤٧.
(٤) سورة هود آية : ٤٧.
(٥) سورة هود آية : ٤٨.
(٦) سورة هود آية : ٤٨.
(٧) سورة هود آية : ٤٨.
(٨) سورة هود آية : ٤٨.
(٩) سورة هود آية : ٤٨.

أمم سنمتعهم في الدنيا، ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[1]، وهم الكافرون وأهل الشقاوة.

[٤٩] ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾[2]، من أخبار الغيب، ﴿ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ ﴾[3]، من قبل نزول القرآن، ﴿ فَٱصْبِرْ ۖ ﴾[4]، على القيام بأمر الله، وتبليغ الرسالة، وما تلقى من أذى الكفار كما صبر نوح، ﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ ﴾[5] آخر الأمر بالسعادة والنصرة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[6]، لأهل التقوى.

[٥٠] قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ ﴾[7]، أي: وأرسلنا إلى عاد، ﴿ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ ﴾[8]، في النسب لا في الدين، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[9]، وحدوا الله ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[10]، ما أنتم في إشراككم إلا كاذبون.

---

(١) سورة هود آية : ٤٨.
(٢) سورة هود آية : ٤٩.
(٣) سورة هود آية : ٤٩.
(٤) سورة هود آية : ٤٩.
(٥) سورة هود آية : ٤٩.
(٦) سورة هود آية : ٤٩.
(٧) سورة هود آية : ٥٠.
(٨) سورة هود آية : ٥٠.
(٩) سورة هود آية : ٥٠.
(١٠) سورة هود آية : ٥٠.

[٥١] ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾[1]، أي: علـى تبليـغ الـرسالـة، ﴿ أَجۡرًاۖ ﴾[2]، جـعلا، ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ ﴾[3]، ما ثوابي، ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ ﴾[4]، خلقني، ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ ﴾[5].

[٥٢] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ ﴾[6]، أي: آمنوا به، فالاستغفار ههنا بمعنى الإيمان، ﴿ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ﴾[7] من عبـادة غيره، ومـن سالـف ذنوبكـم، ﴿ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ ﴾[8]، أي: يرسل المطر عليكم متتابعًا مرة بعد أخرى في أوقات الحاجة، ﴿ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا ﴾[9]، أي: شدة مع شدتكم، وذلك أن الله ﷻ حبس عنهم المطر ثلاث سنين وأعقم أرحام نسائهم فلم يلدن، فقال لهم هود عليه السلام: إن آمنتم أرسل الله عليكم المطر فتزدادون مالًا ويعيد أرحام الأمهات إلى ما كانت فيلدن، فتزدادون قوة بالأموال والأولاد، وقيل: تزدادون قوة في الدين إلى قوة في البدن. ﴿ تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢ ﴾[10]، أي: لا تدبروا مشركين.

---

(١) سورة هود آية : ٥١.
(٢) سورة هود آية : ٥١.
(٣) سورة هود آية : ٥١.
(٤) سورة هود آية : ٥١.
(٥) سورة هود آية : ٥١.
(٦) سورة هود آية : ٥٢.
(٧) سورة هود آية : ٥٢.
(٨) سورة هود آية : ٥٢.
(٩) سورة هود آية : ٥٢.
(١٠) سورة هود آية : ٥٢.

[٥٣] ﴿ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ ﴾[١]، أي: ببيان وحجة واضحة على ما تقول، ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ ﴾[٢]، أي: بقولك، ﴿ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[٣]، بمصدقين.

قوله تعالى: إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ....

[٥٤] ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ ﴾[٤]، يعني: لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا إلا أن بعض آلهتنا اعتراك أي: أصابك بسوء بخبل وجنون، وذلك أنك سببت آلهتنا فانتقموا منك بالتخبيل، لا نحمل أمرك إلا على هذا، ﴿ قَالَ ﴾[٥]، لهم هود، ﴿ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ ﴾[٦]، على نفسي، ﴿ وَٱشۡهَدُوٓاْ ﴾[٧]، يا قوم، ﴿ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[٨].

---

(١) سورة هود آية : ٥٣.
(٢) سورة هود آية : ٥٣.
(٣) سورة هود آية : ٥٣.
(٤) سورة هود آية : ٥٤.
(٥) سورة هود آية : ٥٤.
(٦) سورة هود آية : ٥٤.
(٧) سورة هود آية : ٥٤.
(٨) سورة هود آية : ٥٤.

[٥٥] ﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾[1]، يعني الأوثان، ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ﴾[2]، فـاحتالوا فـي مكركم وضري أنتـم وأوثانكم، ﴿ ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾[3]، لا تؤخرون ولا تمهلون.

[٥٦] ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ ﴾[4]، أي: اعتمدت، ﴿ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ ﴾ [5] قال الضحاك: محييها ومميتها، قال الفراء: مالكها والقادر عليها، وقال بعض العلماء: آخذ بناصيتها لا تتوجه إلا حيث يلهمها، وقال القتيبي: يقهرها؛ لأن من أخذت بناصيته فقد قهرته، وقيل إنما خص الناصية بالذكر؛ لأن العرب تستعمل ذلك إذا وصفت إنسانا بالذلة، فتقول: ناصية فلان بيد فلان، وكانوا إذا أسروا إنسانا وأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصته ليعتدوا بذلك فخرا عليه، فخاطبهم الله بما يعرفون. ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾[6]، يعني: إن ربي وإن كان قادرا عليهم فإنه لا يظلمهم ولا يعمل إلا بالإحسان والعدل، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بعصيانه، وقيل: معناه إن دين ربي صراط مستقيم، وقيل: شبه إضمار، أي: إن ربي يحثكم ويحملكـم على صراط مستقيم.

[٥٧] ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾[7]، أي: تتولـوا، يعني: تعرضـوا عمـا دعوتكم إليه، ﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا

(١) سورة هود آية : ٥٥.
(٢) سورة هود آية : ٥٥.
(٣) سورة هود آية : ٥٥.
(٤) سورة هود آية : ٥٦.
(٥) سورة هود آية : ٥٦.
(٦) سورة هود آية : ٥٦.
(٧) سورة هود آية : ٥٧.

﴿ غَيۡرَكُمۡ ﴾[(١)]، أي: إن أعرضتم يهلككم الله ﷻ ويستبدل قوما غيركـم أطوع منكم يوحدونه ويعبـدونه، ﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ ﴾[(٢)]، بتوليكم وإعراضكـم إنمـا تضـرون أنفسكـم، وقيـل: لا تنقصونه شيئا إذا أهلككم؛ لأن وجـودكـم وعدمكم عنده سواء، ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ۝٥٧ ﴾[(٣)]، أي: لكل شيء حـافظ، يحفظني من أن تنالوني بسوء.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾[(٤)]، عذابنا، ﴿ نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾[(٥)]، وكانوا أربعة آلاف. ﴿ بِرَحۡمَةٖ ﴾[(٦)] بنعمة ﴿ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٥٨ ﴾[(٧)]، وهو الريح التي أهلك بها عادا، وقيل: العذاب الغليظ: عذاب يوم القيامة، أي: كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة.

[٥٩] ﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ ﴾[(٨)]، رده إلى القبيلة، ﴿ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ ﴾[(٩)]، يعني: هودًا وحده، ذكره بلفظ الجمع؛ لأن من كذب رسولًا واحدًا كان كمن كذب جميع الرسل، ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ۝٥٩ ﴾[(١٠)]. واتبع

---

(١) سورة هود آية : ٥٧.

(٢) سورة هود آية : ٥٧.

(٣) سورة هود آية : ٥٧.

(٤) سورة هود آية : ٥٨.

(٥) سورة هود آية : ٥٨.

(٦) سورة هود آية : ٥٨.

(٧) سورة هود آية : ٥٨.

(٨) سورة هود آية : ٥٩.

(٩) سورة هود آية : ٥٩.

(١٠) سورة هود آية : ٥٩.

السفلة والسقاط أهل التكبر والعناد، والجبار: المتكبر، والعنيد: الذي لا يقبل الحق، يقال: عند الرجل يعند عنودًا إذا أبى أن يقبل الشيء وإن عرفه، وقال أبو عبيدة: العنيد والعاند والعنود والمعاند: المعارض لك بالخلاف.

[٦٠] ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ (١) أي أردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم، واللعنة: هي الإبعاد والطرد عن الرحمة، ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾ (٢) أي وفي يوم القيامة أيضا لعنوا كما لعنوا في الدنيا والآخرة، ﴿ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ ﴾ (٣) أي بربهم، يقال كفرته، وكفرت به كما يقال: شكره وشكرت له، ونصحته، ونصحت له. ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾(٤)، قيل بعدًا من رحمة الله، وقيل: هلاكًا: منه بعد يبعد بعدًا، والآخر: بمعنى الهلاك، يقال: منه بعد يبعد بعدًا.

[٦١] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ ﴾ (٥)، أي: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا في النسب لا في الدين، ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (٦)، وحدوا الله ﷻ ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم ﴾ (٧) ابتدأ خلقكم، ﴿ مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ (٨)، وذلك أنهم من آدم، وآدم خلق من الأرض، ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٩)، أي:

---

(١) سورة هود آية : ٦٠.
(٢) سورة هود آية : ٦٠.
(٣) سورة هود آية : ٦٠.
(٤) سورة هود آية : ٦٠.
(٥) سورة هود آية : ٦١.
(٦) سورة هود آية : ٦١.
(٧) سورة هود آية : ٦١.
(٨) سورة هود آية : ٦١.
(٩) سورة هود آية : ٦١.

جعلكم عمارها وسكانا، وقال الضحاك: أطال عمركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف سنة، وكذلك قوم عاد، وقال مجاهد: أعمركم من العمر، أي: جعلها لكم ما عشتم، وقال قتادة: أسكنكم فيها. ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ ﴾[1]، من المؤمنين، ﴿ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[2] لدعائهم.

[٦٢] ﴿ قَالُواْ ﴾[3]، يعني ثمودًا، ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ ﴾[4]، القول أي: كنا نرجو أن تكون سيدًا فينا. وقيل: كنا نرجو أن تعود إلى ديننا، وذلك أنهم كانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته، فلما أظهر دعاءهم إلى الله ﷻ وترك الأصنام زعموا أن رجاءهم انقطع عنه، فقالوا: ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[5]، من الآلهة ﴿ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾[6]، موقع للريبة والتهمة، يقال: أربته إرابة إذا فعلت به فعلًا يوجب له الريبة.

قوله تعالى قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً....

[٦٣] ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً ﴾[7]، نبوة وحكمة، ﴿ فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ ﴾[8]، أي: من

(١) سورة هود آية : ٦١.
(٢) سورة هود آية : ٦١.
(٣) سورة هود آية : ٦٢.
(٤) سورة هود آية : ٦٢.
(٥) سورة هود آية : ٦٢.
(٦) سورة هود آية : ٦٢.
(٧) سورة هود آية : ٦٣.
(٨) سورة هود آية : ٦٣.

يمنعني من عذاب الله، ﴿ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾[1]، قال ابن عباس: معناه ما تزيدونني غير بصارة في خسارتكم، قال الحسين بن الفضل: لم يكن صالح عليه السلام في خسارة حتى قال: فما تزيدونني غير تخسير، وإنما المعنى ما تزيدونني بما تقولون من الفحش إلا نسبتي إياكم إلى الخسارة، والتفسيق والتفجير في اللغة هو: النسبة إلى الفسق والفجور، وكذلك التخسير هو: النسبة إلى الخسران.

[٦٤] ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا ﴾[2]، نصب على الحال والقطع، وذلك أن قومًا طلبوا منه أن يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة، وأشاروا إلى صخرة فدعا صالح عليه السلام فخرجت منها ناقة وولدت في الحال ولدا مثلها، وقد بيناه في سورة الأعراف، فهذا معنى قوله: ﴿ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا ﴾[3]، من العشب والنبات فليست عليكم مؤنتها، ﴿ تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ ﴾[4]، ولا تصيبوها بعقر، ﴿ عَذَابٌ ﴾[5]، إن قتلتموها، ﴿ قَرِيبٌ ﴾[6].

[٦٥] ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ ﴾[7] لهم صالح، ﴿ تَمَتَّعُواْ ﴾[1]، عيشوا، ﴿ فِى دَارِكُمْ ﴾[2]، أي: في دياركم، ﴿ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾[3]، ثم

(١) سورة هود آية : ٦٣.
(٢) سورة هود آية : ٦٤.
(٣) سورة هود آية : ٦٤.
(٤) سورة هود آية : ٦٤.
(٥) سورة هود آية : ٦٤.
(٦) سورة هود آية : ٦٤.
(٧) سورة هود آية : ٦٥.

تلكـون، ﴿ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴾[4]، أي: غير كذب، روي أنه قال لهم: يأتيكـم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون اليوم الأول ووجوهكـم مصفرة، وفي اليوم الثاني محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، فكان كما قال، وأتاهم العذاب اليوم الرابع.

[٦٦] قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا ﴾[5]، بنعمة منا، ﴿ وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ ﴾[6]، أي: من عذابه، وهو أنه قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي خزي يومئذ، وعذاب يومئذ بفتح الميم. وقرأ الباقون بالكسر. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾[7].

[٦٧] ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾[8]، وذلك أن جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعًا، وقيل: أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهـم، وإنما قـال: أخـذ والصيحة مؤنثة؛ لأن الصيحة بمعنى الصياح. ﴿ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾[9]، صرعى هلكى.

---

(١) سورة هود آية : ٦٥.
(٢) سورة هود آية : ٦٥.
(٣) سورة هود آية : ٦٥.
(٤) سورة هود آية : ٦٥.
(٥) سورة هود آية : ٦٦.
(٦) سورة هود آية : ٦٦.
(٧) سورة هود آية : ٦٦.
(٨) سورة هود آية : ٦٧.
(٩) سورة هود آية : ٦٧.

[٦٨] ﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ ﴾ [(١)]، يقيموا ويكونوا، ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ۝٦٨ ﴾ [(٢)]، قرأ حمزة وحفص ويعقوب: (ثمود) غير منون، وكذلك في سورة الفرقان والعنكبوت والنجم، وافق أبو بكر في النجم، وقرأ الباقون بالتنوين، وقرأ الكسائي: لثمود بخفض الدال والتنوين، والباقون بنصب الدال، فمن جره فلأنه اسم مذكر، ومن لم يجره جعله اسمًا للقبيلة.

[٦٩] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾ [(٣)]، أراد بالرسل الملائكة عليهم السلام بالبشرى بالبشارة بإسحاق ويعقوب، وقيل: بإهلاك قوم لـوط، ﴿ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ ﴾ [(٤)]، أي: سلموا سلامًا، ﴿ قَالَ ﴾ [(٥)] إبراهيم ﴿ سَلَٰمٞۖ ﴾ [(٦)]، أي: عليكـم سلام: وقيل: هو رفع على الحكاية، كقوله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ [(٧)]، وقرأ حمزة والكسائي سلم ههنا وفي سورة الذاريات بكسر السين بلا ألف، قيل: هو بمعنى السلام، كما يقال: حل وحلال وحرم وحرام، وقيل: هو بمعنى الصلح، أي: نحن سلم أي صلح لكم غير حرب. ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ۝٦٩ ﴾ [(٨)]، والحنيذ المحنوذ وهو

---

(١) سورة هود آية : ٦٨.

(٢) سورة هود آية : ٦٨.

(٣) سورة هود آية : ٦٩.

(٤) سورة هود آية : ٦٩.

(٥) سورة هود آية : ٦٩.

(٦) سورة هود آية : ٦٩.

(٧) سورة البقرة آية : ٥٨.

(٨) سورة هود آية : ٦٩.

المشوي على الحجارة في خد من الأرض، وكان سمينا يسيل دسما، كما قال في موضع آخر: ﴿ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾[1]: قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر.

[٧٠] ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ ﴾[2]، أي: إلى العجل، ﴿ نَكِرَهُمۡ ﴾[3]، أنكرهم، ﴿ وَأَوۡجَسَ ﴾[4]، أضمر، ﴿ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ ﴾[5]، خوفا، قال مقاتل: وقع في قلبه، وأصل الوجوس: الدخول، كان الخوف دخل قلبه، وقال قتادة: وذلك أنم كانوا إذا نزل بم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير، وإنما جاء بشر. ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفۡ ﴾[6]، يا إبراهيم، ﴿ إِنَّآ ﴾[7] ملائكة الله ﴿ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴾[8].

[٧١] ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ ﴾[9] سارة بنت هارون بن أحور وهي ابنة عم إبراهيم. ﴿ قَآئِمَةٞ ﴾[10] من وراء الستر تسمع كلامهم، وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم جالس معهم. ﴿ فَضَحِكَتۡ ﴾[11]، قال مجاهد وعكرمة: ضحكت أي: حاضت في الوقت، تقول العرب: ضحكت الأرنب، أي: حاضت، والأكثرون على أن

(١) سورة الذاريات آية : ٢٦.
(٢) سورة هود آية : ٧٠.
(٣) سورة هود آية : ٧٠.
(٤) سورة هود آية : ٧٠.
(٥) سورة هود آية : ٧٠.
(٦) سورة هود آية : ٧٠.
(٧) سورة هود آية : ٧٠.
(٨) سورة هود آية : ٧٠.
(٩) سورة هود آية : ٧١.
(١٠) سورة هود آية : ٧١.
(١١) سورة هود آية : ٧١.

المراد منه الضحك المعروف، واختلفوا في سبب ضحكها، فقيل: ضحكت لزوال الخوف عنها وعن إبراهيم حين قالوا لا تخف، وقال السدي: لما قرب إبراهيم الطعام إليهم فلم يأكلوا خاف إبراهيم، وظنهم لصوصًا فقال لهم: ألا تأكلون؟ قالوا: إنا لا نأكل طعامًا إلا بثمن، قال إبراهيم: فإن له ثمنًا، قالوا وما ثمنه؟ قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل عليهم الصلاة والسلام، وقال: حق لهذا أن يتخذه ربه خليلًا، فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة، وقالت: يا عجبًا لأضيافنا إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم، وهم لا يأكلون طعامنا، وقال قتادة: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، وقال مقاتل والكلبي: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة في بيته وهو فيما بين خدمه وحشمه، وقيل: ضحكت سرورًا بالبشارة، وقال ابن عباس ووهب: ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها، وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير، تقديره: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت، وقالت: يا ويلتي أألد وأنا عجوز؟ قوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ ﴾ [1]، أي: من بعد إسحاق، ﴿ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [2]، أراد به والدًا لولد فبشرت أنا تعيش حتى ترى ولد ولدها، قرأ ابن عامر وحمزة وحفص يعقوب بنصب الباء، أي: من وراء إسحاق يعقوب، وقيل: بإضمار فعل، أي: ووهبنا له يعقوب، وقرأ الباقون بالرفع على حذف حرف الصفة، وقيل: ومن بعد إسحاق يحدث يعقوب، فلما بشرت بالولد ضحكت فصكت وجهها، أي: ضربت وجهها تعجبًا.

(١) سورة هود آية : ٧١.

(٢) سورة هود آية : ٧١.

قوله تعالى قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ.....

[٧٢] ﴿ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ﴾[(١)]، نداء ندبة وهي كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه، أي: يا عجبًا، والأصل يا ويلتاه. ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ ﴾[(٢)]، وكانت ابنة تسعين سنة في قول ابن إسحاق، وقال مجاهد: تسعًا وتسعين سنة. ﴿ وَهَـٰذَا بَعْلِى ﴾[(٣)]، أي: زوجي، سمي بذلك؛ لأنه قيم أمرها، ﴿ شَيْخًا ۖ ﴾[(٤)]، نصب على الحال، وكان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة في قول ابن إسحاق، وقال مجاهد: مائة سنة، وكان بين البشارة والولادة سنة، ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾[(٥)].

[٧٣] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾[(٦)]، يعني الملائكة، ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ ﴾[(٧)]، معناه: لا تعجبي من أمر الله، فإن الله ﷻ إذا أراد شيئًا كان. ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ ﴾[(٨)]، أي: بيت إبراهيم عليه السلام، قيل: هذا على معنى الدعاء معنى الخير والرحمة والنعمة، والبركات جمع البركة، وهي ثبوت الخير، وفيه دليل على أن الأزواج من أهل البيت. ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[(٩)]، فالحميد: المحمود في أفعاله، والمجيد: الكريم، وأصل المجد الرفعة.

---

(١) سورة هود آية : ٧٢.
(٢) سورة هود آية : ٧٢.
(٣) سورة هود آية : ٧٢.
(٤) سورة هود آية : ٧٢.
(٥) سورة هود آية : ٧٢.
(٦) سورة هود آية : ٧٣.
(٧) سورة هود آية : ٧٣.
(٨) سورة هود آية : ٧٣.
(٩) سورة هود آية : ٧٣.

[٧٤] ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾ [(١)]، الخـوف، ﴿ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [(٢)]، بإسحاق ويعقوب، ﴿ يُجَـٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [(٣)]، فيه إضمار، أي: أخذ وظل يجادلنا، قيل: معناه يكلمنا؛ لأن إبراهيم عليه السلام لا يجادل ربه ﷻ إنما يسأله ويطلب إليه، وقال عامة أهل التفسير: معناه يجادل رسلنا، وكانت مجادلته أنه قال للملائكة: أرأيتم لو كان في مدائن لوط خمسون من المؤمنين أتلكونهم؟ قالوا: لا، قال: أو أربعون؟ قالوا: لا، قال: أو ثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ خمسة، قالوا: لا، قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتلكونها؟ قالوا: لا، قال لهم إبراهيم عند ذلك: إن فيها لوطًا، قالوا، نحن أعلم بمن فيها، لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين، فذلك قول إخبار عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ يُجَـٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [(٤)].

[٧٥] ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [(٥)]، قال ابن جريج: وكان في قرى قوم لوط أربعة آلاف ألف فقالت الرسل عند ذلك لإبراهيم

[٧٦] ﴿ يَـٰٓإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ﴾ [(٦)]، أي: أعرض عن هذا المقال ودع عنك الجـدال، ﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [(٧)]، أي: عذاب ربك وحكـم ربك، ﴿ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ ﴾ [(١)]، نازل بهم، ﴿ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [(٢)]، أي غير مصروف عنهم.

---

(١) سورة هود آية : ٧٤.
(٢) سورة هود آية : ٧٤.
(٣) سورة هود آية : ٧٤.
(٤) سورة هود آية : ٧٤.
(٥) سورة هود آية : ٧٥.
(٦) سورة هود آية : ٧٦.
(٧) سورة هود آية : ٧٦.

[٧٧] قولـه تعالـى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا ﴾[٣]، يعني: هـؤلاء الملائكـة، ﴿ لُوطًا ﴾[٤]، على صورة غلمان مرد حسان الوجوه، ﴿ سِيٓءَ بِهِمۡ ﴾[٥]، أي: حزن لوط بمجيئهم، يقال: سؤته فسيء، كما يقـال: سررتـه فسر. ﴿ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعًا ﴾[٦] أي: قلبًا، يقال: ضاق ذرع فلان بكذا إذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه، وذلك أن لوطًا عليه السلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بالفاحشة، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم. ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ ﴾[٧]، أي: شديد كأنه عصب به الشر والبلاء، أي: شد، قال قتادة والسدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام نحو قرية قوم لوط فأتوا لوطًا نصف النهار، وهو في أرض له يعمل فيها، وقيل: إنه كان يحتطب، وقد قال الله تعالى للملائكة: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربـع شهادات، فاستضافوه فانطلق بهم، فلما مشى بهم ساعة قال لهم: بلغكم أمر أهل هذه القرية: قالوا: وما أمرهم قال، أشهد بالله إنا لشر قرية في الأرض عما يقول ذلك أربع مرات، فدخلوا معه م له، وروي أنه حمل الحطب وتبعته الملائكة فمر على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن قومي شر خلق الله، ثم مر على قوم آخرين: فغمزوا فقال

(١) سورة هود آية : ٧٦.
(٢) سورة هود آية : ٧٦.
(٣) سورة هود آية : ٧٧.
(٤) سورة هود آية : ٧٧.
(٥) سورة هود آية : ٧٧.
(٦) سورة هود آية : ٧٧.
(٧) سورة هود آية : ٧٧.

لوط مثله، ثـم مر بقوم فقال مثله، ثم مر بقوم آخرين، فقال مثله، فكان كلما قال لوط هذا القوال قال جبريل للملائكة: اشهدوا حتى أتى م له، وروي: أن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط فوجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، وقالت: إن في بيت لوط رجالًا ما رأيت مثل وجوههم قط.

[٧٨] ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ ﴾ [١]، قال ابن عباس وقتادة: يسرعون إليه، وقال مجاهد: يهرولون وقال الحسن: مشى بين مشيتين، قال شمر بن عطية: بين الهرولة والجمز. ﴿ وَمِن قَبۡلُ ﴾ [٢]، أي: من قبل مجيئهم إلى لوط، ﴿ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [٣] كانـوا يأتون الرجال في أدبارهم. ﴿ قَالَ ﴾ [٤]، لهم لوط حين قصدوا أضيافه، وظنوا أنم غلمان، ﴿ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ [٥]، يعني: بالتزويج، وفي أضيافه ببناته، وكان في ذلك الوقت، تزويج المسلمة من الكافر جائزًا كما زوج النبي ﷺ ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي، وكانا كافرين، وقال الحسين بن الفضل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: قوله ﴿ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ [٦]، أراد نساءهم وأضاف إلى نفسه؛ لأن كل نبي أبو أمته، وفي قراءة أبي بن كعب: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه

(١) سورة هود آية : ٧٨.
(٢) سورة هود آية : ٧٨.
(٣) سورة هود آية : ٧٨.
(٤) سورة هود آية : ٧٨.
(٥) سورة هود آية : ٧٨.
(٦) سورة هود آية : ٧٨.

أمهاتم هو أب لهم)، وقيل: ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على التحقيق، فلم يرضوا هذا القول. ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ ﴾ [1]، أي: خافوا الله ولا تخزون في ضيفي، أي: لا تسوؤني ولا تفضحوني في أضيافي. ﴿ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ ﴾ [2]، صالح سديد، وقال عكرمة: رجل يقول لا إله إلا الله، وقال ابن إسحاق: رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

[٧٩] ﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ ﴾ [3] يـا لـوط، ﴿ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ ﴾ [4]، أي: لسن أزواجًا لنا فنستحقهـن بالنكاح، وقيل: معناه ما لنا فيهن من حاجة وشهوة. ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ [5]، من إتيان الرجال.

[٨٠] ﴿ قَالَ ﴾ [6]، لهم لوط عند ذلك ﴿ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً ﴾ [7]، أراد قوة البدن والقوة بالأتباع، ﴿ أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ ﴾ [8]، أي: أنضم إلى عشيرة مانعة، وجواب "لو" مضمر أي: لقتلناكم وحلنا بينكم وبينهم، قال أبو هريرة: ما بعث الله بعده نبيا إلا في منعة من عشيرته، قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار، وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسور الجدار، فلما رأت الملائكة ما يلقى لوط بسببهم.

---

(١) سورة هود آية : ٧٨.
(٢) سورة هود آية : ٧٨.
(٣) سورة هود آية : ٧٩.
(٤) سورة هود آية : ٧٩.
(٥) سورة هود آية : ٧٩.
(٦) سورة هود آية : ٨٠.
(٧) سورة هود آية : ٨٠.
(٨) سورة هود آية : ٨٠.

[٨١] ﴿ قَالُواْ يَـٰلُوطُ ﴾ [١]، إن ركنك لشديد، ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ ﴾ [٢]، فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه ﷻ في عقوبتهم، فأذن له، فقام، فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم، وأعمى أبصارهم، فصاروا لا يعرفون الطريق، ولا يهتدون إلى بيوتم فانصرفوا وهم يقولون: النجاء النجاء، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض سحرونا، وجعلوا يقولون: يا لوط كما أنت حتى تصبح فسترى ما تلقى منا غدًا؛ يوعدونه، فقالت الملائكة: لا تخف إنا أرسلنا لإهلاكهم، فقال لوط للملائكة: متى موعد إهلاكهم؟ فقالوا: الصبح، قال: أريد أسرع من ذلك فلو أهلكتموهم الآن، فقالوا: ﴿ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴾ [٣]، ثم قالوا، ﴿ فَأَسۡرِ ﴾ [٤]، يا لوط، ﴿ بِأَهۡلِكَ ﴾ [٥]، قرأ أهل الحجاز (فاسر) و (أن اسر) بوصل الألف حيث وقع في القرآن من سرى يسري، وقرأ الباقون بقطع الألف من أسرى يسري، ومعناهما واحد وهو المسير بالليل. ﴿ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ [٦]، قال ابن عباس: بطائفة من الليل، وقال الضحاك: ببقية، وقال قتادة: بعد مضي أوله، وقيل: إنه السحر الأول. ﴿ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ ﴾ [٧] قرأ ابن كثير وأبو عمرو (امرأتك)، برفع التاء على الاستثناء من الالتفات، أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنا

---

(١) سورة هود آية : ٨١.
(٢) سورة هود آية : ٨١.
(٣) سورة هود آية : ٨١.
(٤) سورة هود آية : ٨١.
(٥) سورة هود آية : ٨١.
(٦) سورة هود آية : ٨١.
(٧) سورة هود آية : ٨١.

تلتفت فتهلك، وكان لوط قد أخرجها معه، ونهى من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته، فإنها لما سمعت هدة العذاب التفتت، وقالت: يا قوماه، فأدركها حجر فقتلها، وقرأ الآخرون بنصب التاء على الاستثناء من الإسراء أي: فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسر بها، وخلفها مع قومها، فإن هواها إليهم، وتصديقه قراءة ابن مسعود فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ولا يلتفت منكم أحد، ﴿ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ ﴾ [1]، من العذاب، ﴿ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ ﴾ [2]، أي: موعد هلاكهم وقت الصبح، فقال لوط: أريد أسرع من ذلك، فقالوا: ﴿ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ﴾ [3].

قوله تعالى فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ.....

[٨٢] قوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ [4]، عذابنا، ﴿ جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا ﴾ [5]، أي على شذاذها ومسافريها. وقيل: بعدما قلبها أمطر عليها، ﴿ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ ﴾ [6]، قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير (سنك وكل) [7].

---

(١) سورة هود آية : ٨١.

(٢) سورة هود آية : ٨١.

(٣) سورة هود آية : ٨١.

(٤) سورة هود آية : ٨٢.

(٥) سورة هود آية : ٨٢.

(٦) سورة هود آية : ٨٢.

(٧) هكذا في الأصل وفي طبعة ١٣٤٣ هـ وطبعة ١٤٥٩ هـ ومعناه: حجارة وطين، انظر الطبري ٣٠ / ٢٢٩.

فارسي معرب، وقال قتادة وعكرمة: السجيل: الطين، دليله قوله ﷻ ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾[1]، قال مجاهد: أولها حجر وآخرها طين، وقال الحسن: كان أصل الحجارة طينا فشددت، وقال الضحاك: يعني الآجر، وقيل: السجيل اسم السماء الدنيا، وقيل: هو جبال في السماء، قال الله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾[2]. قوله تعالى: ﴿ مَّنضُودٍ ﴾[3]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد، وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض.

[٨٣] ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾[4]، من نعت الحجارة وهي نصب على الحال، ومعناها معلمة: قال ابن جريج: عليها سيما لا تشاكل كل حجارة الأرض، وقال قتادة وعكرمة: عليها خطوط حمر على هيئة الجزع، وقال الحسن والسدي: كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم، وقيل: مكتوب على كل حجر اسم من رمى به. ﴿ عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ ﴾[5]، يعني: تلك الحجارة، ﴿ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[6]، أي: من مشركي مكـة، ﴿ بِبَعِيدٍ ﴾[7]، وقال قتادة وعكرمة: يعني ظالمي هذه الأمة والله ما أجار الله منهما ظالما بعد، وفي بعض الآثار: "ما من ظالم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة".

---

(١) سورة الذاريات آية : ٣٣.
(٢) سورة النور آية : ٤٣.
(٣) سورة هود آية : ٨٢.
(٤) سورة هود آية : ٨٣.
(٥) سورة هود آية : ٨٣.
(٦) سورة هود آية : ٨٣.
(٧) سورة هود آية : ٨٣.

[٨٤] قولـه ﷿ ﴿ ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ ﴾[١]، أي: وأرسلنـا إلى ولـد مديـن، ﴿ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ ﴾[٢]، أي لا تبخسـوا، وهم كانوا يطففون مع شركهم، ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ ﴾[٣]، قال ابن عباس: موسرين في نعمة، وقال مجاهد: في خصب وسعة، فحذرهم زوال النعمة وغلاء السعـر وحلول النقمة، إن لم يتوبوا. ﴿ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ ﴾[٤]، يحيط بكم فيهلككم.

[٨٥] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾[٥]، أتمـوهـا، ﴿ وَلَا ﴾[٦]، بالعدل، وقيل: بتقويم لسان الميزان، ﴿ تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ ﴾[٧]، لا تنقصوا؛ ﴿ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ ﴾[٨].

[٨٦] ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ ﴾[٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير مما تأخذونه بالتطفيف، وقال مجاهد: بقيت الله أي: طاعة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين أن ما عندكم

---

(١) سورة هود آية : ٨٤.
(٢) سورة هود آية : ٨٤.
(٣) سورة هود آية : ٨٤.
(٤) سورة هود آية : ٨٤.
(٥) سورة هود آية : ٨٥.
(٦) سورة هود آية : ٨٥.
(٧) سورة هود آية : ٨٥.
(٨) سورة هود آية : ٨٥.
(٩) سورة هود آية : ٨٦.

من رزق الله وعطائه. ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾[1]، بوكيل، وقيل: إنما قال ذلك؛ لأنه لم يؤمر بقتالهم.

[٨٧] ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾[2]، من الأوثان، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة، لذلك قالوا هذا، وقال الأعمش: يعني أقراءتك.

﴿ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ﴾[3]، أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان. ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[4]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرادوا السفيه الغاوي، والعرب تصف الشيء بضده فتقول: للديغ سليم وللفلاة مفازة، وقيل: قالوه على وجه الاستهزاء، وقيل: معناه الحليم الرشيد بزعمك، وقيل: هو على الصحة أي: إنك يا شعيب فينا حليم رشيد لا يجمل بك شق عصا قومك ومخالفة دينهم، وهذا كما قال قوم صالح عليه السلام: ﴿ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ ﴾[5].

[٨٨] ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ ﴾[6]، بصيرة وبيان، ﴿ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ ﴾[7]، حلالًا، وقيل: كثيرًا، وكان شعيب عليه السلام

(١) سورة هود آية : ٨٦.
(٢) سورة هود آية : ٨٧.
(٣) سورة هود آية : ٨٧.
(٤) سورة هود آية : ٨٧.
(٥) سورة هود آية : ٦٢.
(٦) سورة هود آية : ٨٨.
(٧) سورة هود آية : ٨٨.

كثير المال، وقيل: الرزق الحسن: العلم والمعرفة. ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [1]، أي: ما أريـد أن أناكـم عن شيء ثم أرتكبه. ﴿ إِنْ أُرِيدُ ﴾ [2]، ما أريد فيما آمركـم به وأناكـم عنـه، ﴿ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [3]، والتوفيق: تسهيـل سبيـل الخير والطاعة. ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [4]، اعتمدت، ﴿ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [5]، أرجع في ما ي ل بي من النوائب.

قوله تعالى وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ....

[٨٩] ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ ﴾ [6]، لا يحملنكم، ﴿ أَن ﴾ [7]، خلافي ﴿ يُصِيبَكُم مِّثْلُ ﴾ [8]، أي: على فعل ما أناكـم عنه، ﴿ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ ﴾ [9]، من الغرق، ﴿ قَوْمَ هُودٍ أَوْ ﴾ [10]، من الريح، ﴿ قَوْمَ صَٰلِحٍ

(١) سورة هود آية : ٨٨.
(٢) سورة هود آية : ٨٨.
(٣) سورة هود آية : ٨٨.
(٤) سورة هود آية : ٨٨.
(٥) سورة هود آية : ٨٨.
(٦) سورة هود آية : ٨٩.
(٧) سورة هود آية : ٨٩.
(٨) سورة هود آية : ٨٩.
(٩) سورة هود آية : ٨٩.
(١٠) سورة هود آية : ٨٩.

وَمَا ﴾ (1)، من الصيحة، ﴿ قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (2)، وذلك أنهم كانوا حديثي عهد بلاك قوم لوط، وقيل: معناه وما دار قوم لوط منكم ببعيد، وذلك أنهم كانوا جيران قوم لوط.

[٩٠] ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ (3)، والودود له معنيان، أحدهما: أنه محب للمؤمنين، وقيل: هو بمعنى الودود أي محبوب للمؤمنين، وجاء في الخبر: إن شعيبا عليه السلام كان خطيب الأنبياء عليهم السلام.

[٩١] ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ ﴾ (4) ما نفهم، ﴿ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ (5)، عشيرتك وكان في منعة من قومه، ﴿ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ ﴾ (6)، لقتلناك، والرجم: أقبح القتل. ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا ﴾ (7)، عندنا، ﴿ بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ (8).

[٩٢] ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (9) أم كان رهطي أهيب عندكم من الله، أي: إن تركتم قتلي لمكان رهطي فالأولى أن تحفظوني في

(١) سورة هود آية : ٨٩.
(٢) سورة هود آية : ٨٩.
(٣) سورة هود آية : ٩٠.
(٤) سورة هود آية : ٩١.
(٥) سورة هود آية : ٩١.
(٦) سورة هود آية : ٩١.
(٧) سورة هود آية : ٩١.
(٨) سورة هود آية : ٩١.
(٩) سورة هود آية : ٩٢.

الله. ﴿ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ ﴾[1]، أي: نبذتم أمر الله وراء ظهوركـم وتركتموه، ﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ ﴾[2].

[٩٣] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي ﴾[3]، أي: على تؤدتكم وتمكنكم، يقال: فلان يعمل على مكانته إذا عمل على تؤدة وتمكن. ﴿ عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ ﴾[4]، على تمكني، ﴿ تَعۡلَمُونَ مَن ﴾[5]، أينا الجاني على نفسه والمخطئ في فعله، فذلك قوله: ﴿ يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ ﴾[6]، قيل: (من) في محل النصب، أي: فسوف تعلمون الكاذب، وقيل: محله رفع، تقديره: ومن هو كاذب يعلم كذبه ويذوق وبال أمره، ﴿ إِنِّي ﴾[7]، وانتظروا العذاب ﴿ مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ ﴾[8]، منتظر.

[٩٤] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾[9]، قيل: إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت

---

(١) سورة هود آية : ٩٢.
(٢) سورة هود آية : ٩٢.
(٣) سورة هود آية : ٩٣.
(٤) سورة هود آية : ٩٣.
(٥) سورة هود آية : ٩٣.
(٦) سورة هود آية : ٩٣.
(٧) سورة هود آية : ٩٣.
(٨) سورة هود آية : ٩٣.
(٩) سورة هود آية : ٩٤.

أرواحهم، وقيل: أتتهم صيحة من السماء فأهلكتهم. ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ۝٩٤ ﴾(1)، ميتين.

[٩٥] ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ ﴾(2)، أي: كأن لم يقيمـوا ولم يكونوا ﴿ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا ﴾(3)، هلاكا، ﴿ لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ﴾(4)، هلكت ﴿ ثَمُودُ ۝٩٥ ﴾(5).

[٩٦] قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝٩٦ ﴾(6)، حجة بينة.

[٩٧] ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧ ﴾(7)، بسديد.

[٩٨] ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ ﴾(8)، يتقدمهم ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ﴾(9)، فأدخلهم ﴿ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨ ﴾(10)، أي: بئس المدخل، والمدخول فيه.

---

(1) سورة هود آية : ٩٤.

(2) سورة هود آية : ٩٥.

(3) سورة هود آية : ٩٥.

(4) سورة هود آية : ٩٥.

(5) سورة هود آية : ٩٥.

(6) سورة هود آية : ٩٦.

(7) سورة هود آية : ٩٧.

(8) سورة هود آية : ٩٨.

(9) سورة هود آية : ٩٨.

(10) سورة هود آية : ٩٨.

[٩٩] ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ ﴾[١]، أي: في هذه الدنيا، ﴿ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾[٢]، أي: العون المعان، وقيل: العطاء المعطى، وذلك أنه ترادفت عليهم اللعنتان، لعنة في الدنيا، ولعنة في الآخرة.

قوله تعالى ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ....

[١٠٠] ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَۖ مِنْهَا قَآئِمٌ ﴾[٣]، عـامـر، ﴿ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾[٤] خراب، وقيل: منها قائم بقيت الحيطان وسقطت السقوف، وحصيد انمحى أثره، وقال مقاتل: قائم يرى له أثر، وحصيد لا يرى له أثر، وحصيد بمعنى محصود.

[١٠١] ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾[٥]، بالعذاب والهلاك، ﴿ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ ﴾[٦]، بالكفر والمعصية. ﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ ﴾[٧]، عذاب ربك، ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[٨]، أي: غير تخسير، وقيل: تدمير.

---

(١) سورة هود آية : ٩٩.
(٢) سورة هود آية : ٩٩.
(٣) سورة هود آية : ١٠٠.
(٤) سورة هود آية : ١٠٠.
(٥) سورة هود آية : ١٠١.
(٦) سورة هود آية : ١٠١.
(٧) سورة هود آية : ١٠١.
(٨) سورة هود آية : ١٠١.

[١٠٢] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ [(١)]، وهكذا، ﴿ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [(٢)] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"، قال: ثم قرأ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ ﴾ [(٣)] ﴾ الآية [(٤)].

[١٠٣] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ [(٥)]، لعبرة، ﴿ لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ ﴾ [(٦)] يعني: يوم القيامة، ﴿ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [(٧)]، أي: يشهده أهل السماء والأرض.

[١٠٤] ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ ﴾ [(٨)]، أي: وما نؤخر ذلك اليوم، فلا نقيم عليكم القيامة، وقرأ يعقوب، وما يؤخره بالياء، ﴿ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [(٩)]، معلوم عند الله.

[١٠٥] ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ [(١)]، بإثبات الياء وحذفها، ﴿ لَا تَكَلَّمُ ﴾ [(٢)]، أي: لا تتكلم ﴿ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [(٣)]، أي: فمنهم من سبقت له الشقاوة، ومنهم من سبقت له السعادة.

---

(١) سورة هود آية : ١٠٢.

(٢) سورة هود آية : ١٠٢.

(٣) سورة هود آية : ١٠٢.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير ٨ / ٣٥٤ ومسلم في البر والصلة رقم (٢٥٨٣) ٤ / ١٩٩٧ والمصنف في شرح السنة ١٤ / ٣٥٨.

(٥) سورة هود آية : ١٠٣.

(٦) سورة هود آية : ١٠٣.

(٧) سورة هود آية : ١٠٣.

(٨) سورة هود آية : ١٠٤.

(٩) سورة هود آية : ١٠٤.

[١٠٦] قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾[٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الزفير: الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف، وقال الضحاك ومقاتل: الزفير أول نيق الحمار، والشهيق: آخره إذا ردده في جوفه، وقال أبو العالية: الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر.

[١٠٧] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾[٥]، لابثين مقيمين فيها، ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾[٦]، قال الضحاك: ما دامت سموات الجنة والنار وأرضها، وكل ما علاك وأظلك فهو سماء، وكل ما استقرت عليه قدمك فهو أرض، وقال أهل المعاني: هذا عبارة عن التأبيد على عادة العرب، يقولون: لا آتيك ما دامت السموات والأرض، ولا يكون كذا ما اختلف الليل والنهار، يعنون أبدا قوله: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[٧]، اختلفوا في هذين الاستثنائين، فقال بعضهم: الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس؛ لأن الذين أخرجوا من النار سعداء، استثناهم الله من جملة الأشقياء، وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة، وقيل: إلا ما شاء ربك من الفريقين من تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ ما بين الموت والبعث، قبل مصيرهم إلى الجنة أو النار يعني هم خالدون في الجنة أو النار إلا هذا المقدار، وقيل: معنى إلا ما شاء ربك: سوى ما شاء ربك، معناه: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما شاء

---

(١) سورة هود آية : ١٠٥.
(٢) سورة هود آية : ١٠٥.
(٣) سورة هود آية : ١٠٥.
(٤) سورة هود آية : ١٠٦.
(٥) سورة هود آية : ١٠٧.
(٦) سورة هود آية : ١٠٧.
(٧) سورة هود آية : ١٠٧.

الله من الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والأرض، وذلك هو الخلود فيها، كما تقول: لفلان علي ألف إلا الألفين، أي: سوى الألفين اللتين تقدمتا، وقيل: إلا بمعنى الواو، أي. وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار، وهؤلاء في الجنة، كقوله: لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا، أي: ولا الذين ظلموا، وقيل: معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها، ولكنه لا يشاء؛ لأنه حكم لهم بالخلود، وقال الفراء: هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله، كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك أن تضربه. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1].

[١٠٨] ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾[2]، قرأ حمزة والكسائي وحفص (سعدوا) بضم السين وكسر العين، أي: رزقوا السعادة، وسعدوا: أسعد بمعنى واحد، وقرأ الآخرون بفتح السين قياسا على ﴿ شَقُواْ ﴾[3]. ﴿ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[4]، قال الضحاك: إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة، قال قتادة: الله أعلم بثنياه. ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾[5]، أي: غير مقطوع، قال ابن زيد: أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾[6]، لم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.

(١) سورة هود آية : ١٠٧.
(٢) سورة هود آية : ١٠٨.
(٣) سورة هود آية : ١٠٦.
(٤) سورة هود آية : ١٠٨.
(٥) سورة هود آية : ١٠٨.
(٦) سورة هود آية : ١٠٨.

قوله تعالى فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ.....

[١٠٩] ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ ﴾[(١)]، في شك، ﴿ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾[(٢)]: أنهم ضلال، ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ﴾[(٣)]، فيه إضمار، أي: كما كان يعبد، ﴿ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾[(٤)] هو حظهم من الجزاء. ﴿ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾[(٥)].

[١١٠] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[(٦)]، التوراة، ﴿ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ ﴾[(٧)]، فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن، يعزي نبيه ﷺ ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾[(٨)] في تأخير العذاب عنهم، ﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾[(٩)]، أي: لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم وإهلاكهم، ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾[(١٠)]، موقع في الريبة والتهمة.

---

(١) سورة هود آية : ١٠٩.
(٢) سورة هود آية : ١٠٩.
(٣) سورة هود آية : ١٠٩.
(٤) سورة هود آية : ١٠٩.
(٥) سورة هود آية : ١٠٩.
(٦) سورة هود آية : ١١٠.
(٧) سورة هود آية : ١١٠.
(٨) سورة هود آية : ١١٠.
(٩) سورة هود آية : ١١٠.
(١٠) سورة هود آية : ١١٠.

[١١١] ﴿ وَإِنَّ كُلاًّ ﴾[١]، قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر: (وإن كلا)، ساكنة النون على تخفيف إن الثقيلة، والباقون بتشديدها، ﴿ لَّمَّا ﴾[٢] شددها هنا وفي يس والطارق، ابن عامر وعاصم وحمزة، وافق أبو جعفر ههنا، وفي الطارق وفي الزخرف، بالتشديد عاصم وحمزة، والباقون بالتخفيف، فمن شدد قال: الأصل فيه (وإن كلا) لمن ما، فوصلت من الجارة بما، فانقلبت النون ميما للإدغام، فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت إحداهن، فبقيت لما بالتشديد، و (ما) ههنا بمعنى من هو اسم لجماعة من الناس كما قال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم ﴾[٣]، أي: من طاب لكم، والمعنى: وإن كلا لمن جماعة ليوفينهم، ومن قرأ بالتخفيف قال: (ما) صلة زيدت بين اللامين ليفصل بينهما كراهة اجتماعهما، والمعنى: وإن كلا ليوفينهم، وقيل (ما) بمعنى من، تقدير: لمن ليوفينهم، واللام في (لما) لام التأكيد التي تدخل على خبر إن، وفي ليوفينهم لام القسم، والقسم مضمر تقديره والله، ﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾[٤]، أي: جزاء أعمالهم، ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾[٥].

[١١٢] قوله ﷻ ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[٦]، أي: استقم على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرت، ﴿ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾[٧]، أي: من آمن معك فليستقيموا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاستقامة أن تستقيم على الأمر

(١) سورة هود آية : ١١١.
(٢) سورة هود آية : ١١١.
(٣) سورة النساء آية : ٣.
(٤) سورة هود آية : ١١١.
(٥) سورة هود آية : ١١١.
(٦) سورة هود آية : ١١٢.
(٧) سورة هود آية : ١١٢.

والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب، وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: ﴿ قلت، يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال: "قل: آمنت بالله ثم استقم ﴾ [1] [2]. ﴿ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾ [3] لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني، وقيل: معناه: ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونيت. ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [4]، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: ﴿ شيبتني هود وأخواتها ﴾ [5]. وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ﴾ [6] [7].

[١١٣] قوله ﷻ ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [8]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولا تميلوا، والركون: هو المحبة والميل بالقلب، وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم، قال السدي: لا تداهنوا الظلمة، وعن عكرمة: لا تطيعوهم،

---

(١) مسلم الإيمان (٣٨)، الترمذي الزهد (٢٤١٠)، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٢)، أحمد (٣٨٥/٤)، الدارمي الرقاق (٢٧١٠).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٣٨) ١ / ٦٥ والمصنف في شرح السنة ١ / ٣١.

(٣) سورة هود آية : ١١٢.

(٤) سورة هود آية : ١١٢.

(٥) قال في كشف الخفاء ج ٢ / ٢٠ رواه ابن مردويه في تفسيره.

(٦) البخاري الإيمان (٣٩)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤).

(٤) الدلجة: هو السير بالليل، والحديث أخرجه البخاري في الايمان ١ / ٩٣ والمصنف في شرح السنة ٤ / ٤٩، ٥٠.

(٨) سورة هود آية : ١١٣.

وقيل: لا تسكنوا إلى الذين ظلموا. ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ﴾ [١]، فتصيبكم، ﴿ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [٢]، أي: أعوان يمنعونكم من عذابه، ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [٣].

[١١٤] قوله ﷻ ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ [٤]، أي: الغداة والعشي، قال مجاهد: طرفا النهار صلاة الصبح والظهر والعصر. ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ [٥]، صلاة المغرب والعشاء، وقال مقاتل: صلاة الفجر والظهر طرف، وصلاة العصر والمغرب طرف، وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء، وقال الحسن: طرفا النهار الصبح والعصر، وزلفا من الليل المغرب والعشاء، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: طرفا النهار الغداة والعشي، يعني صلاة الصبح والمغرب، قوله: ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ [٦]، أي ساعته، واحدتا: زلفة وقرأ أبو جعفر زلفا بضم اللام. ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ [٧]، يعني إن الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات، عن ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ

(١) سورة هود آية : ١١٣.
(٢) سورة هود آية : ١١٣.
(٣) سورة هود آية : ١١٣.
(٤) سورة هود آية : ١١٤.
(٥) سورة هود آية : ١١٤.
(٦) سورة هود آية : ١١٤.
(٧) سورة هود آية : ١١٤.

﴿وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[1] قال أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلـوات الخمـس والجمعـة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضـان مكفرات لما بينهـن إذا اجتنبـت الكبائـر»[2][3].

﴿ذَٰلِكَ﴾[4]، أي: ذلك الذي ذكرنـا، وقيـل: هـو إشارة إلى القرآن، ﴿ذِكۡرَىٰ﴾[5]، عظة ﴿لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾[6]، أي لمن ذكره.

[١١٥] ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾[7] يا محمد على ما تلقى من الأذى، وقيل: على الصلاة، نظيره ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾[8]. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾[9]، في أعمالهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: المصلين.

[١١٦] قوله ﷻ ﴿فَلَوۡلَا﴾[10] فهلا، ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾[11]، التي أهلكناهم، ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[12]، الآية للتوبيخ ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ﴾[1]، أي أولوا تمييز،

---

(١) سورة هود آية : ١١٤.
(٢) مسلم الطهارة (٢٣٣)، الترمذي الصلاة (٢١٤).
(٣) أخرجه مسلم في الطهارة رقم (٢٣٣) ١ / ٢٠٩ والمصنف في شرح السنة ٢ / ١٧٧.
(٤) سورة هود آية : ١١٤.
(٥) سورة هود آية : ١١٤.
(٦) سورة هود آية : ١١٤.
(٧) سورة هود آية : ١١٥.
(٨) سورة طه آية : ١٣٢.
(٩) سورة هود آية : ١١٥.
(١٠) سورة هود آية : ١١٦.
(١١) سورة هود آية : ١١٦.
(١٢) سورة هود آية : ١١٦.

وقيل أولوا طاعة، وقيل أولوا خير، يقال: فلان ذو بقية إذا كان فيه خير، معناه فهلا كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهي عن الفساد في الأرض؟ وقيل: معناه أولوا بقية من خير، يقال: فلان على بقية مـن الخير إذا كان على خصلة محمودة. ﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2]، أي يقومون بالنهي عن الفساد، ومعناه جحدا، أي: لم يكن فيهم أولوا بقيـة. ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3]، هذا استثناء منقطع معناه: لكن قليلا، ﴿ مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾[4]، وهم أتباع الأنبياء كانوا ينهون عـن الفسـاد في الأرض. ﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ ﴾[5]، نعموا، ﴿ فِيهِ ﴾[6] والمترف: المنعم، وقال مقاتل بن حيان: خولوا، وقال الفراء: عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا أي: واتبـع الذين ظلموا مـا عـودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا على الآخرة. ﴿ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[7]، كافرين.

[١١٧] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾[8]، أي: لا يهلكهم بشركهم، ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[9]، فيما بينهم يتعاطون الإنصاف ولا يظلم

(١) سورة هود آية : ١١٦.
(٢) سورة هود آية : ١١٦.
(٣) سورة هود آية : ١١٦.
(٤) سورة هود آية : ١١٦.
(٥) سورة هود آية : ١١٦.
(٦) سورة هود آية : ١١٦.
(٧) سورة هود آية : ١١٦.
(٨) سورة هود آية : ١١٧.
(٩) سورة هود آية : ١١٧.

بعضهم بعضا، وإنما يهلكهم إذا تظالموا، وقيل: لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون في أعمالهم، ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات.

قوله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب....

[١١٨] قولـه ﷻ ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ ﴾ [(١)]، كلهـم. ﴿ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ ﴾ [(٢)]، على دين واحد. ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ ﴾ [(٣)] على أديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك.

[١١٩] ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ ﴾ [(٤)]، معناه: لكن من رحم ربك فهداهم إلى الحق، فهم لا يختلفون، ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ [(٥)]، قال الحسن وعطاء: وللاختلاف خلقهم، وقال أشهب: سألت مالكا عن هذه الآية، فقال: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير، وقال أبو عبيدة: الذي أختاره فقول من قال: خلق فريقا لرحمته وفريقا لعذابه، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: وللرحمة خلقهم، يعني الذين رحمهم، وقال الفراء: خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف، ومحصول الآية أن أهل الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون فخلق الله أهل الحق للاتفاق، وأهل الباطل للاختلاف. ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ [(٦)]، وتم حكم ربك، ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩ ﴾ [(٧)].

---

(١) سورة هود آية : ١١٨.
(٢) سورة هود آية : ١١٨.
(٣) سورة هود آية : ١١٨.
(٤) سورة هود آية : ١١٩.
(٥) سورة هود آية : ١١٩.
(٦) سورة هود آية : ١١٩.
(٧) سورة هود آية : ١١٩.

[١٢٠] ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ [(١)]، معناه: وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل، أي: من أخبارهم وأخبار أممهم نقصها عليك لنثبت به فؤادك، لا يدك يقينا ونقوي قلبك، وذلك أن النبي ﷺ إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر لأذى قومه. ﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ ﴾ [(٢)]، قال الحسن وقتادة: في هذه الدنيا، وقال غيرهما: في هذه السورة، وهذا قول الأكثرين، خص هذه السورة تشريفا، وإن كان قد جاءه الحق في جميع السور. ﴿ وَمَوۡعِظَةٌ ﴾ [(٣)]، أي: وجاءتك موعظة، ﴿ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠ ﴾ [(٤)].

[١٢١] ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ ﴾ [(٥)]، أمر تديد ووعيد، ﴿ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ ﴾ [(٦)].

[١٢٢] ﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ [(٧)]، ما يحل بنا من رحمة الله، ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢ ﴾ [(٨)]، ما يحل بكم من نقمة الله.

[١٢٣] ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [(٩)]، أي: ما غاب عن العباد فيهما، ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ ﴾ [(١)]، في المعاد، قرأ نافع وحفص يرجع بضم

---

(١) سورة هود آية : ١٢٠.
(٢) سورة هود آية : ١٢٠.
(٣) سورة هود آية : ١٢٠.
(٤) سورة هود آية : ١٢٠.
(٥) سورة هود آية : ١٢١.
(٦) سورة هود آية : ١٢١.
(٧) سورة هود آية : ١٢٢.
(٨) سورة هود آية : ١٢٢.
(٩) سورة هود آية : ١٢٣.

بضم الياء وفتح الجيم: أي: يرد. وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم، أي يعود الأمر كله إليه حتى لا يكون للخلق أمر. ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ﴾[2]، وثق به، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣ ﴾[3]، قرأ أهل المدينة والشام وحفص ويعقوب: (تعملون) بالتاء ههنا وفي آخر سورة النمل، وقرأ الآخرون بالياء فيهما، قال كعب: خاتمة التوراة خاتمة سورة هود.

(١) سورة هود آية : ١٢٣.

(٢) سورة هود آية : ١٢٣.

(٣) سورة هود آية : ١٢٣.

(١٢) سورة يُوسُفُ

قوله تعالى الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ....

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية.

[١] ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ ﴾ (١)، أي: البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه، قال قتادة: مبين والله بركته وهداه ورشده، فهذا من بان أي: ظهر. وقال الزجاج: مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام، فهذا من أبان بمعنى أظهر.

[٢] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ (٢)، يعني الكتاب، ﴿ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ (٣)، أي: أنزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه.

[٣] ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ (٤)، أي نقرأ، ﴿ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ (٥)، والقاص هو الذي يتبع الآثار، ويأتي بالخبر على وجهه، معناه: نبين لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان، وقيل: المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة، سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء، وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك من الفوائد. ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ (٦) (ما) المصدر، أي: بإيحائنا إليك، ﴿ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ ﴾ (٧)، وقد كنت، ﴿ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ (١)،

---

(١) سورة يوسف آية : ١.
(٢) سورة يوسف آية : ٢.
(٣) سورة يوسف آية : ٢.
(٤) سورة يوسف آية : ٣.
(٥) سورة يوسف آية : ٣.
(٦) سورة يوسف آية : ٣.
(٧) سورة يوسف آية : ٣.

أي: من قبل وحينا، ﴿ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾[2]، لمن الساهين عن هذه القصة لا تعلمها.

[٤] قوله ﷻ ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴾[3]، أي: اذكر إذا قال يوسف لأبيه، ويوسف: اسم عبري، ولذلك لا يجري عليه الصرف، وقيل هو عربي، سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف؟ فقال: الأسف في اللغة: الحزن، والأسيف: العبد، واجتمعا في يوسف عليه السلام فسمي به. ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾[4]، قرأ أبو جعفر وابن عامر (يا أبت)، بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير: يا أبتاه، والوجه أن أصله يا أبتا بالألف، وهي بدل عن يا ء الإضافة، فحذفت الألف كما تحذف التاء فبقيت الفتحة تدل على الألف كما تبقى الكسرة تدل على الياء عند حذف الياء، وقرأ الآخرون (يا أبت) بكسر التاء في كل القرآن، والوجه أن أصله [5] يا أبتي، فحذفت الياء تخفيفا واكتفاء بالكسرة؛ لأن باب النداء حذف يدل على ذلك قوله: ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾[6]، ﴿ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا ﴾[7]، أي: نجمـا من نجـوم السمـاء ونصب الكواكب على التفسير، ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[8]، ولم يقل رأيتها إلي ساجدات، والهاء والميم والياء والنون من

---

(١) سورة يوسف آية : ٣.

(٢) سورة يوسف آية : ٣.

(٣) سورة يوسف آية : ٤.

(٤) سورة يوسف آية : ٤.

(٥) في ط دار طيبة: (لأن أصله: يا أبت، والجزم يحرك إلى كسر) :.

(٦) سورة الزمر آية : ١٦.

(٧) سورة يوسف آية : ٤.

(٨) سورة يوسف آية : ٤.

كنايات من يعقل؛ لأنه لما أخبر عنها بفعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمۡ ﴾ [1] وكان النجوم في التأويل أخواته، كانوا أحد عشر رجلا يستضاء بم كما يستضاء بالنجوم، والشمس أبوه والقمر أمه، وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتي عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا، وقيل: رآها ليلة الجمعة ليلة القدر فلما قصها على أبيه:

قوله تعالى قَالَ يَا بُنَيِّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا.....

[5] ﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ ﴾ [2]، وذلك أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي فعلم يعقوب أن إخوته إذا سمعوها حسدوه فأمره بالكتمان، ﴿ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ ﴾ [3]، فيحتالوا في إهلاكك؛ لأنم لا يعلمون تأويلها فيحسدونك واللام في قوله ﴿ لَكَ ﴾ [4] صلة، كقوله تعالى: ﴿ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [5]، وقيل: هو مثل قولهم نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك. ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ لِلۡإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ [6]، أي: يزين لهم الشيطان ويحملهم على الكيد لعداوته القديمة.

[6] قوله ﷻ ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ [7]، يصطفيك بقوله يعقوب ليوسف عليهما السلام، أي: كما رفع م لتك بذه الرؤيا، فكذلك يصطفيك ربك، ﴿ وَيُعَلِّمُكَ

(1) سورة النمل آية : 18.
(2) سورة يوسف آية : 5.
(3) سورة يوسف آية : 5.
(4) سورة يوسف آية : 5.
(5) سورة الأعراف آية : 154.
(6) سورة يوسف آية : 5.
(7) سورة يوسف آية : 6.

﴿ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[1]، يريد تعبير الرؤيا، سمي تأويلا؛ لأنه يؤول أمره إلى ما رأى في منامه، والتأويل ما يؤول إليه عاقبة الأمر، ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾[2]، يعني: بالنبوة، ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾[3]، أي: علـى أولاده، فإن أولاده كلهـم كانـوا أنبياء، ﴿ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾[4]، فجعلهما نبيين، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ﴾[5]، وقيل: المراد من إتمام النعمة على إبراهيم الخلة، وقيل: إنجاؤه من الذبح، وقيل: بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصير أبويه وإخوته إليه أربعون سنة، وهو قول أكثر أهل التفسير، وقال الحسن البصري: كان بينهما ثمانون سنة، فلما بلغت هذه الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا: ما رضي أن تسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه فبغوه وحسدوه.

[٧] يقول الله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ﴾[6]، أي: في خبره وخبر إخوته ﴿ ءَايَٰتٌ ﴾[7]، قرأ ابن كثير (آية) على التوحيد أي عظة وعبرة، وقيل: عجب، وقرأ الآخرون: (آيات) على الجمع. ﴿ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾[8]، وذلك أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف عليه السلام، وقيل: سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب

(١) سورة يوسف آية : ٦.
(٢) سورة يوسف آية : ٦.
(٣) سورة يوسف آية : ٦.
(٤) سورة يوسف آية : ٦.
(٥) سورة يوسف آية : ٦.
(٦) سورة يوسف آية : ٧.
(٧) سورة يوسف آية : ٧.
(٨) سورة يوسف آية : ٧.

من كنعان إلى مصر، فذكر لهم قصة يوسف جميعها، فوجـدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منها، فهذا معنى قوله: ﴿ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[1]، أي: دلالة على نبوة رسول الله ﷺ وقيل: آيات للسائلين ولمن لم يسأل، كقوله: ﴿ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[2].

[فصلت: ١٠]، وقيل: معناه عبرة للمعتبرين، فإنها تشتمل على حسد إخوة يوسف وما آل إليه أمرهم في الحسد وتشتمل على رؤياه، وما حقق الله منها، وتشتمل على صبر يوسف عليه السلام عن قضاء الشهوة وعلى الرق وعلى اللبث في السجن، وما آل إليه أمره من الملك، وتشتمل على حزن يعقوب وصبره على فراق يوسف، وما آل إليه أمره من الوصول إلى المراد، وغير ذلك من الآيات.

[٨] ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ ﴾[3]، اللام فيه جواب القسـم تقديره: والله ليوسف، ﴿ وَأَخُوهُ ﴾[4]، بنيامين، ﴿ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾[5]، كان يوسف وأخوه بنيامين من أم واحدة، وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف عليه السلام، وكان إخوته يرون منه من الميل إليه ما لا يرونه مع أنفسهم فقالوا هذه المقالة، ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾[6]، أي: جماعة وكانوا عشرة، وقال الفراء: العصبة هي العشرة فما زاد، وقيل: العصبة ما بين الواحد إلى العشرة، وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين، وقيل: جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها

(١) سورة يوسف آية : ٧.
(٢) سورة فصلت آية : ١٠.
(٣) سورة يوسف آية : ٨.
(٤) سورة يوسف آية : ٨.
(٥) سورة يوسف آية : ٨.
(٦) سورة يوسف آية : ٨.

من لفظهـا كالنفـر والرهـط. ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ﴾ [(١)]، أي خطأ بين أمر إيثاره يوسف وأخاه علينا، وليس المراد من هذا الضلال، الضلال عن الدين ولو أرادوه لكفروا به، بل المراد منه الخطأ في تدبير أمر الدنيا يقولون نحن أنفع في أمر الدنيا وإصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه من يوسف، فنحن أولى بالمحبة منه فهو مخطئ في صرف محبته إليه.

[٩] ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ [(٢)]، أي: إلى أرض تبعد عن أبيـه، وقيل: في أرض تأكله السباع، ﴿ يَخْلُ لَكُمْ ﴾ [(٣)]، يخلص لكم، ويصف لكم ﴿ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ [(٤)]، عن شغله بيوسف، ﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [(٥)]، من بعد قتل يوسف، ﴿ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ ﴾ [(٦)]، تائبين أي: توبوا بعدما فعلتم هذا يعف الله عنكم، وقال مقاتل: صالحين يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم.

[١٠] ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ [(٧)] ناهم عن قتله وقال: القتل كبيرة عظيمة. ﴿ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ [(٨)].

---

(١) سورة يوسف آية : ٨.
(٢) سورة يوسف آية : ٩.
(٣) سورة يوسف آية : ٩.
(٤) سورة يوسف آية : ٩.
(٥) سورة يوسف آية : ٩.
(٦) سورة يوسف آية : ٩.
(٧) سورة يوسف آية : ١٠.
(٨) سورة يوسف آية : ١٠.

أي: في أسفـل الجب وظلمته، والغيابـة: كل موضـع ستر عنك الشيء وغيبه، والجب: البئر غير المطوية؛ لأنه جب، أي: قطع ولم يطو ﴿ يَلْتَقِطْهُ ﴾[1]، يأخذه، والالتقاط أخـذ الشيء مـن حيث لا يحتسبـه الإنسـان، ﴿ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾[2]، أي: بعض المسافرين فيذهـب به إلى ناحية أخرى فتستريحوا منه، ﴿ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[3]، أي: إن عزمتم على فعلكم، قال محمد بن إسحاق: اشتمل فعلهم على جرائم من قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة وترك العهد والكذب مع أبيهم، وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله، وقال بعض أهل العلم: إنما عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة لهم، ولو فعلوا لهلكوا أجمعون، وكل ذلك كان قبل أن أنبأهم الله تعالى، وسئل أبو عمرو بن العلاء: كيف قالوا (نلعب) وهم أنبياء؟ قال: كان ذلك قبل أن نبأهم الله تعالى، فلما أجمعوا على التفريق بينه وبين والده بضروب من الحيل:

[١١] ﴿ قَالُوا۟ ﴾[4]، ليعقوب، ﴿ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[5]، قال جعفر: (تأمنا) بإشمام، وهو رواية عن نافع؟ وقرأ الباقون: (تأمنا) بإشمام الضمة في النون الأولى المدغمة، وهو إشارة إلى الضمة غير إمحاض؛ ليعلم أن أصله لا تأمننا بنونين على تفعلنا، فأدغمت النون الأولى في الثانية، بدؤوا بالإنكار عليه في ترك إرساله معهم، كأنم

(١) سورة يوسف آية : ١٠.
(٢) سورة يوسف آية : ١٠.
(٣) سورة يوسف آية : ١٠.
(٤) سورة البقرة آية : ١١.
(٥) سورة يوسف آية : ١١.

قالوا: إنك لا ترسله معنا أتخافنا عليه؟ ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ [1] قال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وذلك أنم قالوا لأبيهم: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا ﴾ [2] فقال أبوهم: إني ليحزنني أن تذهبوا به، فحينئذ قالوا: ﴿ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ [3]، النصح ههنا هو القيام بالمصلحة، وقيل: البر والعطف، إنا عاطفون عليه قائمون بمصلحته نحفظه حتى نرده إليك.

[١٢] ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا ﴾ [4]، إلى الصحراء، ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ [5]، قرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما وجزم العين في (نرتع)، وقرأ يعقوب: (نرتع) بالنون، (ويلعب) بالياء، وقرأ أهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين في (يرتع) يعني يوسف، وقرأ الآخرون (نرتع) بالنون (ويلعب) بالياء، والرتع هو الاتساع في الملاذ؛ يقال: رتع فلان في ماله إذا أنفقه في شهواته، يريد ونتنعم ونأكل ونشرب ونلهو وننشط، وقرأ أهل الحجاز: (يرتع) بكسر العين، وهو يفتعل من الرعي، ثم ابن كثير قرأ بالنون فيهما أي: نتحارس ويحفظ بعضنا بعضا، وقرأ أبو جعفر ونافع بالياء إخبارا عن يوسف، أي: يرعى الماشية كما نرعى نحن. ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [6].

---

(١) سورة يوسف آية : ١١.
(٢) سورة يوسف آية : ١٢.
(٣) سورة يوسف آية : ١١.
(٤) سورة يوسف آية : ١٢.
(٥) سورة يوسف آية : ١٢.
(٦) سورة يوسف آية : ١٢.

[١٣] ﴿ قَالَ ﴾ (١) لهم يعقوب، ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ ﴾ (٢)، أي. يحزنني ذهابكم به، والحزن ههنا: ألم القلب بفراق المحبوب، ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ (٣)، وذلك أن يعقوب كان رأى في المنام أن ذئبا شد على يوسف، فكان يخاف من ذلك، فمن ثم قال: أخاف أن يأكله الذئب، قرأ ابن كثير إسماعيل وقالون عن نافع وعاصم وابن عامر: (الذئب) بالهمزة، وكذلك أبو عمرو إذا لم يدرج، وحمزة إذا لم يقف، وقرأ الكسائي وورش عن نافع، وأبو عمرو وفي الدرج، وحمزة في الوقف، (الذيب) بترك الهمزة في الهمز، أنه هو الأصل؛ لأنه من قولهم: تذابت الريح إذا جاءت من كل وجه، ويجمع الذئب أذؤبا وذئابا بالهمزة، والوجه في ترك الهمز أن الهمزة خففت فقلبت يا ء لسكونا وانكسار ما قبلها.

[١٤] ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (٤)، عشرة، ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ (٥)، عجزة ضعفاء.

[١٥] ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ ﴾ (٦)، أي: عزموا، ﴿ أَن يَجْعَلُوهُ ﴾ (٧)، يلقوه، ﴿ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾ (٨).

---

(١) سورة يوسف آية : ١٣.
(٢) سورة يوسف آية : ١٣.
(٣) سورة يوسف آية : ١٣.
(٤) سورة يوسف آية : ١٤.
(٥) سورة يوسف آية : ١٤.
(٦) سورة يوسف آية : ١٥.
(٧) سورة يوسف آية : ١٥.
(٨) سورة يوسف آية : ١٥.

هذه الواو زائدة تقديره: أوحينا إليـه، كقولـه تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ ﴾ [1] أي: ناديناه، ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ﴾ [2]، أي: أوحينا إلى يوسف عليه السلام: لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا، وهم لا يشعرون، بوحي الله وإعلامه إياه ذلك، قال مجاهد، وقيل: معناه وهم لا يشعرون يوم تخبرهم أنك يوسف، وذلك حين دخلوا عليه فعرفهم وهم منكرون، والأكثرون على أن الله تعالى أوحى إليه بذا، وبعث إليه جبريل عليه السلام يؤنسه، ويبشره بالخروج، ويخبره أنه ينبئهم بما فعلوه ويجازيهم عليه وهم لا يشعرون، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم إنم ذبحوا أسخلة، وجعلوا دمها على قميص يوسف علية السلام.

قوله تعالى وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ....

[١٦] ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝ ﴾ [3]، قال أهل المعاني: جاؤوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجرأ على الاعتذار بالكذب، وروي أن يعقوب عليه السلام سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال: ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا قال: فما أصابكم وأين يوسف؟؟

[١٧] ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ [4]، أي: نترامى وننتضل، قال السدي: نشتد على أقدامنا. ﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا ﴾ [5]، أي: عند

---

(١) سورة الصافات آية :١٣- ١٤.

(٢) سورة يوسف آية : ١٥.

(٣) سورة يوسف آية : ١٦.

(٤) سورة يوسف آية : ١٧.

(٥) سورة يوسف آية : ١٧.

ثيابنا وأقمشتنا. ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [1] بمصدق لنا ﴿ وَلَوْ كُنَّا ﴾ [2] وإن كنا ﴿ صَٰدِقِينَ ﴾ [3]، فإن قيل: كيف قالوا ليعقوب أنت لا تصدق الصادق؟ قيل معناه إنك تتهمنا في هذا الأمر؛ لأنك خفتنا عليه في الابتداء، واتمتنا في حقه، وقيل: معناه لا تصدقنا؛ لأنه لا دليل على صدقنا وإن كنا صادقين عند الله.

[١٨] ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ ﴾ [4]، أي: بدم كذب؛ لأنه لم يكن دم يوسف، وقيل: بدم مكذوب فيه، فوضع المصدر موضع الاسم، وفي القصة: إنم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه، فقال يعقوب عليه السلام: كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتمهم، ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ [5] زينت، ﴿ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ﴾ [6]، معناه: فأمري صبر جميل، أو فعلي صبر جميل، وقيل: فصبر جميل أختاره، والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جرع. ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [7]، أي: أستعين بالله على الصبر، على ما تكذبون.

[١٩] ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ [8]، وهم القوم المسافرون سموا سيارة؛ لأنم يسيرون في الأرض كانت رفقة من مدين تريد مصر، فأخطأوا الطريق ف لوا قريبا من الجب، وكان

(١) سورة يوسف آية : ١٧.
(٢) سورة يوسف آية : ١٧.
(٣) سورة هود آية : ١٣.
(٤) سورة يوسف آية : ١٨.
(٥) سورة يوسف آية : ١٨.
(٦) سورة يوسف آية : ١٨.
(٧) سورة يوسف آية : ١٨.
(٨) سورة يوسف آية : ١٩.

الجب في قفر بعيد من العمران للرعاة والمارة، وكان ماؤه مالحا فعذب حين ألقي يوسف عليه السلام فيه، فلما نزلوا أرسلوا رجلا من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر، لطلب الماء، فذلك قوله عز وجل. ﴿ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ﴾ [1] والوارد: الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيئ الأرشية والدلاء ﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾ [2]، أي: أرسلها في البئر، يقال: أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر، ودلوتا إذا أخرجتها، فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون ﴿ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ ﴾ [3]، قرأ الأكثرون هكذا بالألف وفتح الياء، والوجه: أن بشراي مضافة إلى يا ء المتكلم وهو منادى مضاف فموضعه نصب، وقرأ الكوفيون: (يا بشرى) بغير يا ء الإضافة على فعل، وأمال الراء حمزة والكسائي وفتحها عاصم وقيل: بشر المستقي أصحابه يقول. أبشروا، ﴿ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ ﴾ [4]، أي أخفوه، ﴿ بِضَٰعَةً ۚ ﴾ [5]، قال مجاهد: أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين معهم، وقالوا هذا بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه المشاركة، وقيل: أراد أن إخوة يوسف أسروا شأن يوسف، وقالوا هذا عبد لنا أبق منا، قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [6]، فأتى يهوذا يوسف بالطعام فلم يجده في البئر فأخبر بذلك إخوته فطلبوه فإذا هم بمالك وأصحابه نزول فأتوهم فإذا هم بيوسف، فقالوا هذا عبد أبق منا، ويقال: إنم هددوا يوسف حتى لم يعرف حاله، وقال مثل قولهم، ثم باعوه، فذلك قوله ﷻ

(١) سورة يوسف آية : ١٩.

(٢) سورة يوسف آية : ١٩.

(٣) سورة يوسف آية : ١٩.

(٤) سورة يوسف آية : ١٩.

(٥) سورة يوسف آية : ١٩.

(٦) سورة يوسف آية : ١٩.

[٢٠] ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ [(١)] أي: باعوه، ﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [(٢)]، قال الضحاك ومقاتل والسدي: حرام؛ لأن ثمن الحر حرام، وسمي الحرام بخسا؛ لأنه مبخوس البركة، وعن ابن عباس وابن مسعود: بخس أي زيوف، وقال عكرمة والشعبي: بثمن قليل. ﴿ دَرَاهِمَ ﴾ [(٣)]، بدل من الثمن، ﴿ مَعْدُودَةٍ ﴾ [(٤)]، ذكر العدد عبارة عن قلتها، وقيل: إنما قال معدودة؛ لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان أقل من أربعين درهما، إنما كانوا يعدونها عدا فإذا بلغت أوقية وزنوها، ﴿ وَكَانُوا ﴾ [(٥)]، يعني: إخوة يوسف، ﴿ فِيهِ ﴾ [(٦)]، أي: في يوسف ﴿ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [(٧)]، لأنهم لم يعلموا منزلته عند الله، وقيل: كانوا في الثمن من الزاهدين؛ لأنهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن إنما كان قصدهم تبعيد يوسف عن أبيه، ثم انطلق مالك بن ذعر وأصحابه بيوسف فذهبوا به حتى قدموا مصر، وعرضه مالك على البيع فاشتراه صاحب أمر الملك، وكان على خزائن مصر يسمى العزيز فذلك قوله تعالى:

[٢١] ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ ﴾ [(٨)]، واسمها راعيل، وقيل: زليخا ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ [(٩)]، أي: منزله ومقامه، والمثوى: موضع الإقامة، وقيل:

---

(١) سورة يوسف آية : ٢٠.
(٢) سورة يوسف آية : ٢٠.
(٣) سورة يوسف آية : ٢٠.
(٤) سورة يوسف آية : ٢٠.
(٥) سورة يوسف آية : ٢٠.
(٦) سورة يوسف آية : ٢٠.
(٧) سورة يوسف آية : ٢٠.
(٨) سورة يوسف آية : ٢١.
(٩) سورة يوسف آية : ٢١.

أكرميـه في المطعم والملبس والمقام، وقال قتادة وابن جريج: م لته. ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ [(١)]، أي: نبيعه بالربح إن أردنا البيع أو يكفينا إذا بلغ بعض أمورنا، ﴿ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ ﴾ [(٢)]، أي: نتبناه. ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [(٣)]، أي: في أرض مصر، أي. كما أنقذنا يوسف من القتل وأخرجناه من الجب، كذلك مكنا له في الأرض فجعلناه على خزائنها. ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾ [(٤)] أي: مكنا لـه في الأرض كي نعلمه من تأويل الأحاديث، وهي عبارة عن الرؤيا. ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ [(٥)] يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء ولا يرد عليه حكم راد، وقيل: هي راجعة إلى يوسف عليـه السلام معنـاه: إن الله مسئول على أمر يوسف بالتدبير والإحاطـة، لا يكله إلى أحد حتى يبلغـه منتهـى علمـه فيـه. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ ﴾ [(٦)].

[٢٢] ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ﴾ [(٧)]، منتهى شبابه وشدته وقوته ومعرفته ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾ [(٨)]، فالحكم: النبوة، والعلم: الفقه في الدين، وقيل: حكما يعني إصابة في القول، وعلما بتأويل الرؤيا، وقيل: الفرق بين الحكيم والعالم: أن العالم هو الذي يعلم

---

(١) سورة يوسف آية : ٢١.
(٢) سورة يوسف آية : ٢١.
(٣) سورة يوسف آية : ٢١.
(٤) سورة يوسف آية : ٢١.
(٥) سورة يوسف آية : ٢١.
(٦) سورة يوسف آية : ٢١.
(٧) سورة يوسف آية : ٢٢.
(٨) سورة يوسف آية : ٢٢.

الأشياء والحكيم الذي يعمل بما يوجبه العلم. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المؤمنين، وعنه أيضا: المهتدين، وقال الضحاك: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام.

قوله تعالى وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ.....

[٢٣] ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[2]، يعني: امرأة العزيز، والمـراودة: طلب الفعل، والمراد ههنا أنا دعته إلى نفسها ليواقعها، ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾[3]، أي: أطبقتها، وكانت سبعة، ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾[4]، أي: هلم وأقبل، قرأ أهل الكوفة والبصرة: (هيت لك) بفتح الهاء والتاء جميعا، وقرأ أهل المدينة والشام: (هيت) بكسر الهاء وفتح التاء، وقرأ ابن كثير: (هيت) بفتح الهاء، وضم التاء، والوجه أن في هذه الكلمة ثلاث لغات هيت وهيت وهيت، والكل بمعنى هلم، وقرأ السلمي وقتادة: (هيت لك) بكسر الهاء، وضم التاء مهموزا على مثال جئت، يعني تيأت لك، وأنكره أبو عمرو والكسائي، وقالا: لم يحك هذا عن العرب، والأول هـو المعروف عند العرب، قال ابن مسعود ﷺ أقرأني النبي ﷺ ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾[5] [6] قال أبو عبيدة كان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حوران، وقعت إلى الحجاز معناها تعال، وقال

(١) سورة يوسف آية : ٢٢.
(٢) سورة يوسف آية : ٢٣.
(٣) سورة يوسف آية : ٢٣.
(٤) سورة يوسف آية : ٢٣.
(٥) سورة يوسف آية : ٢٣.
(٦) أخره الحاكم في المستدرك ٢ / ٣٤٦ وصححه على شرط الشيخين. ،.

عكرمة: هي أيضا بالحورانية هلم، وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية، وهي كلمة حث وإقبال على الشيء: قال أبو عبيدة: إن العرب لا تثني (هيت) ولا تجمع، وتؤنث، وإنا صورة واحـدة في كـل حال. ﴿ قَالَ ﴾ [1] يوسف لها عند ذلك، ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ [2]، أي: أعـوذ بالله وأعتصـم بالله مما دعوتني إليـه، ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴾ [3] يريد أن زوجك قطفير سيدي ﴿ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾ [4]، أي: أكرم م لي، هذا قول أكثر المفسرين، وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد أن الله تعالى ربي أحسن مثواي، أي: آواني، ومن بلاء الجب عافاني. ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [5]، يعني: إن فعل هذا فخنته في أهله بعد ما أكرم مثواي فأنا ظالم، ولا يفلح الظالمون، وقيل: لا يفلح الظالمون أي لا يسعد الزناة.

[٢٤] ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [6]، والهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه، وزعم بعض المتأخرين: أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام، وقال: تم الكلام عند قوله ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ ﴾ [7] ثم ابتدأ الخبر عن يوسف عليه السلام فقال: ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ ﴾ [8]، على التقديم والتأخير، أي: لولا أن رأى برهان ربه لهم با، ولكنه رأى البرهان فلم يهم،وأنكره النحاة، وقال: إن العرب لا

---

(١) سورة يوسف آية : ٢٣.
(٢) سورة يوسف آية : ٢٣.
(٣) سورة يوسف آية : ٢٣.
(٤) سورة يوسف آية : ٢٣.
(٥) سورة يوسف آية : ٢٣.
(٦) سورة يوسف آية : ٢٤.
(٧) سورة يوسف آية : ٢٤.
(٨) سورة يوسف آية : ٢٤.

تؤخر (لولا) عن الفعل، فلا تقول: لقد قمت لولا زيد، وهو يريد لولا زيد لقمت، وقيل: همت بيوسف أن يفترشها، وهم بها يوسف أي: تمنى أن تكون له زوجة، وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية؛ لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين والعلم، وقال بعضهم: إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر، والصغائر تجوز على الأنبياء عليهم السلام، وقال بعض أهل الحقائق: الهم همان: هم ثابت، وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به، وهم عارض، وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هم يوسف عليه السلام، والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل. ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ ﴾ [1]، اختلفوا في ذلك البرهان، قال قتادة وأكثر المفسرين: إنه رأى صورة يعقوب، وهو يقول له يا يوسف تعمل عمل السفهاء، وأنت مكتوب في الأنبياء، وقال السدي: نودي: يا يوسف تواقعها إنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق، ومثلك إن تواقعها مثله إذا مات ووقع في الأرض لا يستطيع أن يدفع نفسه، وروى عطية عن ابن عباس: في البرهان أنه رأى مثال الملك، وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما: البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله ﷻ وعن علي بن الحسين قال: كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب، فقال لها يوسف: لم فعلت هذا؟ فقالت: استحييت منه أن يراني على المعصية، فقال يوسف: أتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه؟ فأنا أحق أن أستحي مـن ربي وهرب، قوله ﷻ ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ ﴾ [2] جواب لولا محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لواقع المعصية.

---

(١) سورة يوسف آية : ٢٤.

(٢) سورة يوسف آية : ٢٤.

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ ﴾ [(١)]، فالسوء الإثم، وقيل: السوء القبيح، والفحشاء: الزنا. ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [(٢)]، قرأ أهل المدينة والكوفة: (المخلصين) بفتح اللام حيث كان إذا لم يكن بعده ذكر الدين، زاد الكوفيون (مخلصا) في سورة مريم عليها السلام ففتحوا، ومعنى (المخلصين) المختارين للنبوة، دليله: ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [(٣)]، وقرأ الآخرون بكسر اللام، أي: المخلصين لله الطاعة والعبادة.

[٢٥] ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴾ [(٤)]، وذلك أن يوسف لما رأى البرهان قام مبادرا إلى باب البيت هاربا، وتبعته المرأة لتمسك الباب حتى لا يخرج يوسف، فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه خلفه فجذبته إليها حتى لا يخرج. ﴿ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ ﴾ [(٥)] أي: فشقته ﴿ مِن دُبُرٖ ﴾ [(٦)]، أي: من خلف، فلما خرجا لقيا العزيز، وهو قوله: ﴿ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ ﴾ [(٧)]، أي: وجدا زوج المرأة قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته و ﴿ قَالَتۡ ﴾ [(٨)] سابقة بالقول لزوجها ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ [(٩)]، يعني: الزنا، ثم خافت عليه أن

---

(١) سورة يوسف آية : ٢٤.

(٢) سورة يوسف آية : ٢٤.

(٣) سورة ص آية : ٤٦.

(٤) سورة يوسف آية : ٢٥.

(٥) سورة يوسف آية : ٢٥.

(٦) سورة يوسف آية : ٢٥.

(٧) سورة يوسف آية : ٢٥.

(٨) سورة يوسف آية : ٢٥.

(٩) سورة يوسف آية : ٢٥.

يقتلـه فقالـت ﴿ إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ ﴾[1]، أي: يحبس، ﴿ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾[2]، أي: ضرب بالسياط، فلما سمع يوسف مقالتها.

[٢٦] ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾[3]، يعني: طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت منها، وقيل: ما كان يريد يوسف أن يذكرهـا، فلمـا قالت المرأة ما جـزاء مـن أراد بأهلك سـوءا ذكـره، فقـال: ﴿ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾[4]. ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ ﴾[5]، وحكـم حاكـم، ﴿ مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾[6]، اختلفوا في ذلك الشاهد، فقال سعيد بن جبير والضحاك: كان صبيا في المهد أنطقه الله ﷻ وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « تكلم في المهد أربعة وهم صغار: ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحـب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام، »[7] [8] وقيل: كان ذلك الصبي ابن خال المرأة. وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد: لم يكن صبيا ولكنه كان رجلًا حكيمًا ذا رأي. قال السدي: هو

---

(١) سورة يوسف آية : ٢٥.

(٢) سورة يوسف آية : ٢٥.

(٣) سورة يوسف آية : ٢٦.

(٤) سورة يوسف آية : ٢٦.

(٥) سورة يوسف آية : ٢٦.

(٦) سورة يوسف آية : ٢٦.

(٧) أحمد (١/٣١٠).

(٨) رواه ابن جرير ١٦ / ٥٥ والإمام أحمد في المسند ٢ / ٣٠٧ ولم يرفعه وابن حبان في صحيحه ص٤٠ من موارد الظمآن، وأخرجه الحاكـم في المستدرك عن أبي هريرة ٢ / ٤٩٧ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه محمود شاكر في تعليقه على الطبري.

ابن عم راعيل فحكم فقال: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾ [1] أي: من قدّام، ﴿ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ ﴾ [2].

[٢٧]، ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ ﴾ [3].

[٢٨] ﴿ فَلَمَّا رَءَا ﴾ [4]، قطفير، ﴿ قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ ﴾ [5] عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام، ﴿ قَالَ ﴾ [6] لها ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ [7]، أي: إن هذا الصنيع، ﴿ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ [8]، وقيل: إن هذا من قول الشاهد، ثم أقبل قطفير على يوسف فقال:

[٢٩] ﴿ يُوسُفُ ﴾ [9]، أي: يا يوسف، ﴿ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ ﴾ [10] أي: عن هذا الحديث فلا تذكره لأحد حتى لا يشيع. وقيل: معناه لا تكترث به فقد بان عذرك وبراءتك، ثم قال لامرأته، ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ ﴾ [11]، أي: توبي إلى الله، ﴿ إِنَّكِ

(١) سورة يوسف آية : ٢٦.
(٢) سورة يوسف آية : ٢٦.
(٣) سورة يوسف آية : ٢٧.
(٤) سورة يوسف آية : ٢٨.
(٥) سورة يوسف آية : ٢٨.
(٦) سورة يوسف آية : ٢٨.
(٧) سورة يوسف آية : ٢٨.
(٨) سورة يوسف آية : ٢٨.
(٩) سورة يوسف آية : ٢٩.
(١٠) سورة يوسف آية : ٢٩.
(١١) سورة يوسف آية : ٢٩.

﴿ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، من المذنبين. وقيل: إن هذا من قول الشاهد ليوسف ولراعيل، وأراد بقوله واستغفري لذنبك، أي: سلي زوجك أن لا يعاقبك ويصفح عنك، إنك كنت من الخاطئين، من المذنبين حتى راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك، فلما استعصم كذبت عليه، وإنما قال: من الخاطئين ولم يقل: من الخاطئات؛ لأنه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد به الخبر عمن يفعل ذلك، تقديره: من القوم الخاطئين، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[2] بيانه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[3].

[٣٠] قوله ﷻ ﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾[4]، الآية، يقول شاع أمر يوسف والمرأة في المدينة مدينة مصر. وقيل: مدينة عين الشمس، وتحدثت النساء بذلك وقلن: ﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا ﴾[5]، أي: عبدها الكنعاني، ﴿ عَن نَّفۡسِهِۦۖ ﴾[6]، أي: تطلب من عبدها الفاحشة، ﴿ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ ﴾[7]، أي: علقها حبا. قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه. وقيل: أحبته حتى دخلها حبه شغاف قلبها، أي: داخل قلبها. قال السدي: الشغاف جلدة رقيقة على القلب، يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب. وقرأ الشعبي والأعرج: (شعفها) بالعين غير المعجمة، معناه: ذهب الحب بها كل مذهب. ومنه شعف الجبال وهو

(١) سورة يوسف آية : ٢٩.
(٢) سورة التحريم آية : ١٢.
(٣) سورة النمل آية : ٤٣.
(٤) سورة يوسف آية : ٣٠.
(٥) سورة يوسف آية : ٣٠.
(٦) سورة يوسف آية : ٣٠.
(٧) سورة يوسف آية : ٣٠.

رءوسها. ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[1]، أي: خطأ ظاهر. وقيل: إنا تركت ما يكون على أمثالها من العفاف والستر.

قوله تعالى فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينًا....

[٣١] ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ ﴾[2]، راعيل ﴿ بِمَكۡرِهِنَّ ﴾[3] بقولهن وحديثهن، قاله قتادة والسدي. وقال ابن إسحاق: إنما قلن ذلك مكرًا بها لتريهن يوسف، وكان وصف لهن حسنه وجماله. وقيل: إنها أفشت إليهن ذلك، فلذلك سماه مكرًا ﴿ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ ﴾[4]، قال وهب: اتخذت مأدبة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتي عيّرنها. ﴿ وَأَعۡتَدَتۡ ﴾[5]، أي أعدت ﴿ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا ﴾[6] أي: ما يتكأ عليه. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد: متكأ أي: طعامًا سماه متكأ؛ لأن أهل الطعام إذا جلسوا يتكئون على الوسائد، فسمى الطعام متكأ على الاستعارة. يقال: اتكأنا عند فلان أي: طعمنا. ويقال: المتكأ: ما اتكأت عليه للشراب أو الحديث أو الطعام، ﴿ وَءَاتَتۡ ﴾[7]، أعطت، ﴿ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا ﴾[8]، فكن يأكلن اللحم حزًا بالسكين.

---

(١) سورة يوسف آية : ٣٠.

(٢) سورة يوسف آية : ٣١.

(٣) سورة يوسف آية : ٣١.

(٤) سورة يوسف آية : ٣١.

(٥) سورة يوسف آية : ٣١.

(٦) سورة يوسف آية : ٣١.

(٧) سورة يوسف آية : ٣١.

(٨) سورة يوسف آية : ٣١.

﴿ وَقَالَتِ ﴾[1]، ليوسف، ﴿ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّ ﴾[2]، وذلك أنها كانت أجلسته في مكان آخر؛ فخرج عليهن يوسف. قال عكرمة: كان فضل يوسف على سائر الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم. وروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ رأيت ليلة أسري بي إلى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ﴾[3].

﴿ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ ﴾[4]، أعظمنه، قال أبو العالية: هالهن أمره وبهتن. وقيل: أكبرنه أي: حضن لأجله من جماله. ولا يصح. ﴿ وَقَطَّعۡنَ ﴾[5]، أي: حززن بالسكاكين التي معهن، ﴿ أَيۡدِيَهُنَّ ﴾[6]، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف. قال مجاهد: فما أحسسن إلا بالدم. وقال قتادة: إنهن أبن أيديهن حتى ألقينها. والأصح كان قطعًا بلا إبانة، ﴿ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾[7] أي: معاذ الله أن يكون هذا بشرًا، ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾[8] نصب

---

(١) سورة يوسف آية : ٣١.

(٢) سورة يوسف آية : ٣١.

(٣) قال ابن حجر في الشافي الكافي ص٨٩: رواه الثعلبي وأخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل وابن مردويه، والمروي في صحيح مسلم في حديث الإسراء: "فإذا أنا بيوسف إذا هو أعطي شطر الحسن".

(٤) سورة يوسف آية : ٣١.

(٥) سورة يوسف آية : ٣١.

(٦) سورة يوسف آية : ٣١.

(٧) سورة يوسف آية : ٣١.

(٨) سورة يوسف آية : ٣١.

بـ ع حـرف الصفـة، أي: ببشـر، ﴿ إِنْ هَـٰذَآ ﴾ [(١)] أي: ما هذا، ﴿ إِلَّا مَلَكٌ ﴾ [(٢)]، من الملائكة، ﴿ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [(٣)]، على الله.

[٣٢] ﴿ قَالَتْ ﴾ [(٤)]، يعني راعيل، ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ [(٥)]، أي: في حبـه، ثم صرحت بما فعلت، فقالت: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [(٦)]، أي: امتنع، وإنما صرحت به لأنا علمت أن لا ملامة عليها منهن وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته، فقلن له: أطع مولاتك. فقالت راعيل: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ ﴾ [(٧)]، ولئن لم يطاوعني فيما دعوته إليه، ﴿ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ [(٨)] أي: ليعاقبن بالحبس، ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٩)]، من الأذلاء. ونون التوكيد تثقل وتخفف، والوقف على قوله: ﴿ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ [(١٠)] بالنون لأنا مشددة، وعلى قوله (لَيَكُونًا) بالألف لأنا مخففة، وهي شبيهة نون الإعراب في الأسماء، كقوله: رأيت رجلًا، وإذا وقفت: رأيت رجلًا بالألف،

---

(١) سورة يوسف آية : ٣١.
(٢) سورة يوسف آية : ٣١.
(٣) سورة يوسف آية : ٣١.
(٤) سورة يوسف آية : ٣٢.
(٥) سورة يوسف آية : ٣٢.
(٦) سورة يوسف آية : ٣٢.
(٧) سورة يوسف آية : ٣٢.
(٨) سورة يوسف آية : ٣٢.
(٩) سورة يوسف آية : ٣٢.
(١٠) سورة يوسف آية : ٣٢.

ومثله: ﴿ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾[1]. فاختار يوسف عليه السلام السجن على المعصية حين توعدته المرأة.

[٣٣] ﴿ قَالَ رَبِّ ﴾[2]، أي: يـا رب، ﴿ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾[3]، قيل: كان الدعاء منها خاصة، ولكنه أضاف إليهن خروجًا من التصريح إلى التعريض. وقيل: إنهن جميعًا دعونه إلى أنفسهن. قرأ يعقوب وحده: بفتح السين. وقرأ الآخرون بكسرها. واتفقوا على كسر السين في قوله: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ ﴾[4]. وقيل: لو لم يقل السجن أحب إلي لم يبتل بالسجن، والأولى بالمرء أن يسأل الله العافية. قوله تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾[5]، أمل إليهن وأتابعهن، يقال: صبا فلان إلى كذا يصبوا صبوًا وصبوا وصبوة إذا مال واشتاق إليه. ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[6]، فيه دليل على أن المؤمن إذا ارتكب ذنبًا يرتكبه عن جهالة.

[٣٤] ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[7]، السميع لدعائه العليم بمكرهن.

---

(١) سورة العلق آية : ١٥.
(٢) سورة يوسف آية : ٣٣.
(٣) سورة يوسف آية : ٣٣.
(٤) سورة يوسف آية : ٣٦.
(٥) سورة يوسف آية : ٣٣.
(٦) سورة يوسف آية : ٣٣.
(٧) سورة يوسف آية : ٣٤.

[٣٥] ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم ﴾ (١)، يعني للعزيز وأصحابه في الرأي وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الأمر بالإعراض، ثم بدا له بأن يحبسوه. ﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْآيَـٰتِ ﴾ (٢)، الدالة على براءة يوسف من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن. ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٣) إلى مدة يرون فيه رأيهم. وقال عطاء: إلى أن تنقطع مقالة الناس. قال عكرمة: سبع سنين. وقال الكلبي: خمس سنين. قال السدي: وذلك أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم أني راودته عن نفسه، فإما أن تأذن لي أن أخرج فأعتذر إلى الناس، وإما أن تحبسه، فحبسه، وذُكر أن الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرًا ليوسف عليه السلام من همه بالمرأة.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ ﴾ (٤) وهما غلامان كانا للريان بن الوليد بن شروان العمليق ملك مصر الأكبر، أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه، غضب الملك عليهما فحبسهما. وكان السبب فيه أن جماعة من أهل مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالًا ليسما الملك في طعامه وشرابه، فأجاباهم، ثم إن الساقي نكل عنه، وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام، فلما أحضر الطعام والشراب، قال الساقي: لا تأكل أيها الملك فإن الطعام مسموم، وقال الخباز لا تشرب فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقي: اشرب فشربه فلم يضره، وقال للخباز: كل من طعام، فأبى فجرب ذلك الطعام على دابة فأكلته فهلكت، فأمر الملك بحبسهما، وكان يوسف حين دخل السجن جعل ينشر

(١) سورة يوسف آية : ٣٥.

(٢) سورة يوسف آية : ٣٥.

(٣) سورة يوسف آية : ٣٥.

(٤) سورة يوسف آية : ٣٦.

علمه ويقول: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيين لصاحبه: هلم فلنجرب هذا العبراني، فتراءيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئًا، قال ابن مسعود: ما رأيا شيئًا وإنما تحالما ليجربا يوسف، وقال قوم: بل كانا رأيا حقيقة، فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما، فذكر أنهما غلامان للملك وقد حبسهما، وقد رأيا رؤيا قد غمتهما، فقال يوسف: قصا علي ما رأيتما، فقصا عليه ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ ﴾[1]، وهو صاحب الشراب، ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾[2]، أي: عنبًا سمى العنب خمرًا باسم ما يئول إليه، كما يقال: فلان يطبخ الآجر أي: يطبخ اللبن للآجر. وقيل: الخمر العنب بلغة عمان، وذلك أنه قال: إني رأيت كأني في بستان، فإذا أنا بأصل حبلة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه. ﴿ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ ﴾[3]، وهو الخباز ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ ﴾[4]، وذلك أنه قال: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والألوان من الأطعمة وسباع الطير ينهشن وينهبن منه. ﴿ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ ﴾[5]، أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يئول إليه أمر هذه الرؤيا. ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ ﴾[6]، أي: العالمين بعبارة الرؤيا، والإحسان بمعنى العلم. وروي أن الضحاك بن مزاحم سئل عن قوله: (إنا نراك من المحسنين)، ما كان إحسانه؟ قال: كان إذا مرض إنسان في السجن

(١) سورة يوسف آية : ٣٦.
(٢) سورة يوسف آية : ٣٦.
(٣) سورة يوسف آية : ٣٦.
(٤) سورة يوسف آية : ٣٦.
(٥) سورة يوسف آية : ٣٦.
(٦) سورة يوسف آية : ٣٦.

عاده وقام عليه، وإذا ضاق عليه الملس وسع له وإذا احتاج إلى شيء جمع له شيئًا، وكان مع هذا يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة. وقيل: إنه لما دخل السجن وجد فيه قومًا قد اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم، فجعل يسليهم وجعل يقول: أبشروا واصبروا تؤجروا، فيقولون بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك، لقد بورك لنا في جوارك فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره في إظهار المعجزة والدعاء إلى التوحيد.

[٣٧] ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ [(١)]، قيل: أراد به في النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾ [(٢)]، في اليقظة، وقيل: أراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه، تطعمانه وتأكلانه إلا نبأتكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل فيه إليكما، ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ﴾ [(٣)]، قبل أن يصل إليكما، وأي طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم، فهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْۚ ﴾ [(٤)]، فقالا: هذا من فعل العرافين والكهنة، فمن أين لك هذا العلم؟ فقال: ما أنا بكاهن وإنما ﴿ ذَٰلِكُمَا ﴾ [(٥)]، العلم، ﴿ مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [(٦)]، وتكرار (هم) على التأكيد.

(١) سورة يوسف آية : ٣٧.
(٢) سورة يوسف آية : ٣٧.
(٣) سورة يوسف آية : ٣٧.
(٤) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٥) سورة يوسف آية : ٣٧.
(٦) سورة يوسف آية : ٣٧.

قوله تعالى وَاتَّبَعْتُ مِلَةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ....

[٣٨] ﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ ﴾ [١]، أظهر أنه من أولاد الأنبياء ﴿ مَا كَانَ لَنَآ ﴾ [٢]، ما ينبغي لنا ﴿ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ [٣]، معناه: أن الله قد عصمنا من الشرك ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [٤]، التوحيد والعلم، ﴿ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [٥]، ما بين لهم من الهدى، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ ﴾ [٦]، ثم دعاهما إلى الإسلام فقال:

[٣٩] ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾ [٧] جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه، كما يقال لسكان الجنة أصحاب الجنة ولسكان النار أصحاب النار ﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾ [٨]، أي: آلهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة، وهذا من حديد وهذا أعلى وهذا أوسط وهذا أدنى، متباينون لا تضر ولا تنفع، ﴿ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ

---

(١) سورة يوسف آية : ٣٨.
(٢) سورة يوسف آية : ٣٨.
(٣) سورة يوسف آية : ٣٨.
(٤) سورة يوسف آية : ٣٨.
(٥) سورة يوسف آية : ٣٨.
(٦) سورة يوسف آية : ٣٨.
(٧) سورة يوسف آية : ٣٩.
(٨) سورة يوسف آية : ٣٩.

﴿ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[1]، الذي لا ثاني له، القهار: الغالب على الكل، ثم بين عجز الأصنام فقال: [٤٠] ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾[2].

أي: من دون الله، وإنما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب للاثنين لأنه أراد جميع أهل السجن، وكل من هو على مثل حالهما من أهل الشرك، ﴿ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ ﴾[3] آلهة وأربابًا خالية عن المعنى لا حقيقة لتلك الأسماء ﴿ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾[4] حجة وبرهان، ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ ﴾[5]، ما القضاء والأمر والنهي، ﴿ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾[6]، أي: المستقيم، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[7]، ثم فسر رؤياهما فقال:

[٤١] ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا ﴾[8]، وهو صاحب الشراب، ﴿ فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ ﴾[9]، يعني الملك ﴿ خَمۡرٗاۖ ﴾[10]، والعناقيد الثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك بعد الثلاثة أيام، ويرد إلى م لته التي كان عليها، ﴿ وَأَمَّا

(١) سورة يوسف آية : ٣٩.
(٢) سورة يوسف آية : ٤٠.
(٣) سورة يوسف آية : ٤٠.
(٤) سورة يوسف آية : ٤٠.
(٥) سورة يوسف آية : ٤٠.
(٦) سورة يوسف آية : ٤٠.
(٧) سورة يوسف آية : ٤٠.
(٨) سورة يوسف آية : ٤١.
(٩) سورة يوسف آية : ٤١.
(١٠) سورة يوسف آية : ٤١.

﴿ ٱلْآخَرُ ﴾[1]، يعني: صاحب الطعام فيدعوه الملك بعد ثلاثة أيام، والسلال الثلاث الثلاثة أيام يبقى في السجن، ثم يخرجه فيأمر به، ﴿ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ﴾[2]، قال ابن مسعود: لما سمعا قول يوسف قالا: ما رأينا شيئًا إنما كنا نلعب، قال يوسف: ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾[3] أي: فرغ من الأمر الذي عنه تسألان، ووجب حكم الله عليكما الذي أخبرتكما به، رأيتما أو لم تريا.

[٤٢] ﴿ وَقَالَ ﴾[4] يعني: يوسف عند ذلك، ﴿ لِلَّذِى ظَنَّ ﴾[5]، علم ﴿ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾[6] وهو الساقي، ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾[7]، يعني: سيدك الملك، وقل له: إن في السجن غلامًا محبوسًا ظلمًا طال حبسه ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾[8]، قيل: أنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف للملك تقديره: فأنساه الشيطان ذكره لربه. وقال ابن عباس وعليه الأكثرون: أنسى الشيطان

(١) سورة يوسف آية : ٤١.
(٢) سورة يوسف آية : ٤١.
(٣) سورة يوسف آية : ٤١.
(٤) سورة يوسف آية : ٤٢.
(٥) سورة يوسف آية : ٤٢.
(٦) سورة يوسف آية : ٤٢.
(٧) سورة يوسف آية : ٤٢.
(٨) سورة يوسف آية : ٤٢.

يوسف ذكر ربه حين ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان [1].

﴿ فَلَبِثَ ﴾ [2] فمكث، ﴿ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [3] واختلفوا في معنى البضع، فقال مجاهد: ما بين الثلاث إلى السبع. وقال قتادة: ما بين الثلاث إلى التسع. وقال ابن عباس ما دون العشرة. وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين، وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته اثنتا عشر سنة.

[٤٣] ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ ﴾ [4]، فقال لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [5].

قوله تعالى قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ.....

[٤٤] ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ ﴾ [6] أخلاط أحلام مشتبهة أهاويل واحدها ضغث، وأصله الحزمة من أنواع الحشيش، والأحلام جمع الحلم، وهو الرؤيا، والفعل منه حلمت أحلم بفتح اللام في الماضي وضمها في الغابر حُلُمًا وحُلْمًا، مثقلًا ومخففًا. ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [7].

---

(١) لقد رد الإمام اللغوي المفسر أبو حيان الأندلسي في تفسيره " البحر المحيط " ج٥ / ٣١١ هذا الوجه في إعادة ضمير فأنساه على يوسف، فقال: " وقيل: الضمير في أنساه عائد على يوسف، ورتبوا على ذلك أخبارًا لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ".

(٢) سورة يوسف آية : ٤٢.

(٣) سورة يوسف آية : ٤٢.

(٤) سورة يوسف آية : ٤٣.

(٥) سورة يوسف آية : ٤٣.

(٦) سورة يوسف آية : ٤٤.

(٧) سورة يوسف آية : ٤٤.

[٤٥] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا ﴾[1]، من القتل، ﴿ مِنْهُمَا ﴾[2]، من الفتيين وهـو الساقي، ﴿ وَٱدَّكَرَ ﴾[3] أي: تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك، ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[4]، أي: بعـد حين وهو سبع سنين. ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾[5]، وذلك أن الغلام جثا بين يدي الملك، وقال: إن في السجن رجلًا يعبر الرؤيا، ﴿ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾[6]، وفيه اختصار تقديره: فأرسلني أيها الملك إليه، فأرسله فأتى السجن. قال ابن عباس: ولـم يكن السجن في المدينة.

[٤٦] فقال: ﴿ يُوسُفُ ﴾[7] يعني: يا يوسف، ﴿ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾[8]، والصديق الكثير الصدق، ﴿ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾[9]، فإن الملك رأى هذه الرؤيا، ﴿ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾[10]، أهل مصر، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[11]، تأويل الرؤيا. وقيل: لعلهم يعلمون م لتك في العلم، فقال لهم يوسف معبرًا ومعلمًا، أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين

---

(١) سورة يوسف آية : ٤٥.
(٢) سورة يوسف آية : ٤٥.
(٣) سورة يوسف آية : ٤٥.
(٤) سورة يوسف آية : ٤٥.
(٥) سورة يوسف آية : ٤٥.
(٦) سورة يوسف آية : ٤٥.
(٧) سورة يوسف آية : ٤٦.
(٨) سورة يوسف آية : ٤٦.
(٩) سورة يوسف آية : ٤٦.
(١٠) سورة يوسف آية : ٤٦.
(١١) سورة يوسف آية : ٤٦.

مخـاصيب، والبقرات العجـاف والسنبلات، فالسنون الدبة، فذلك قوله تعالى إخبارًا عن يوسف:

[٤٧] ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ (١)، هذا خبر بمعنى الأمر، يعني: ازرعوا سبع سنين على عادتكـم في الزراعة، والدأب: العادة. وقيل: بجد واجتهاد. وقرأ عاصم برواية حفص: (دَأَبا) بفتح الهمزة، وهما لغتان، يقال: دأبت شي الأمر أدأب ودأبًا إذا اجتهدت فيه. ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾ (٢)، أمرهم بترك الحنطة في السنبلة لتكون أبقى على الزمان ولا تفسد، ﴿ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٣)، أي: تدرسون قليلًا للأكل، أمرهم بحفظ الأكثر والأكل بقدر الحاجة.

[٤٨] ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ (٤). سمى السنين الدبة شدادًا لشدتها على الناس، ﴿ يَأْكُلْنَ ﴾ (٥)، أي: يفنين ويهلكن، ﴿ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ (٦)، أي: يؤكل فيهن ما أعددتم لهن من الطعام، أضاف الأكل إلى السنين على طريق التوسع ﴿ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٧) تحرزون وتدخرون للبذر.

[٤٩] ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾ (٨)، أي: يمطرون من الغث، وهو المطر. وقيل: ينقذون، من قول العرب: استغثت فلانًا فأغاثني، ﴿ وَفِيهِ

---

(١) سورة يوسف آية : ٤٧.
(٢) سورة يوسف آية : ٤٧.
(٣) سورة يوسف آية : ٤٧.
(٤) سورة يوسف آية : ٤٨.
(٥) سورة يوسف آية : ٤٨.
(٦) سورة يوسف آية : ٤٨.
(٧) سورة يوسف آية : ٤٨.
(٨) سورة يوسف آية : ٤٩.

﴿يَعۡصِرُونَ ۝٤٩﴾[1]، قـرأ حـمـزة والكـسـائـي: (تعصرون)، بالتاء لأن الكلام كله على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء ردا إلى الناس، ومعناه: يعصرون العنب خمرًا والزيتون زيتًا والسمسم دهنًا وأراد به كثرة النعيم والخير. وقال أبو عبيدة: يعصرون أي ينجون من الكروب والجدب والعصر والعصرة النجا والملجأ.

[٥٠] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾[2]، وذلك أن الساقي لما رجع إلى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه، وعرف الملك أن الذي قاله كائن، قال ائتوني به، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾[3]، وقال له: أجب الملك، أبى أن يخرج مع الرسول حتى تظهر براءته ثم، ﴿قَالَ﴾[4]، للرسول، ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[5] يعني: سيدك الملك، ﴿فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾[6]، ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبًا واحترامًا ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ۝٥٠﴾[7] أي: إن الله بصنيعهن عالم، وإنما أراد يوسف بذكرهن، بعد طول المدة حتى لا ينظر إليه الملك بعين التهمة والخيانة، ويصير إليه بعد زوال الشك عن أمره، فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته، فدعا الملك النسوة وامرأة العزيز.

---

(١) سورة يوسف آية : ٤٩.
(٢) سورة يوسف آية : ٥٠.
(٣) سورة يوسف آية : ٥٠.
(٤) سورة يوسف آية : ٥٠.
(٥) سورة يوسف آية : ٥٠.
(٦) سورة يوسف آية : ٥٠.
(٧) سورة يوسف آية : ٥٠.

[٥١] ﴿ قَالَ ﴾ [١]، لهن، ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ [٢]، ما شأنكن وأمركن، ﴿ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [٣]، خاطبهن والمراد امرأة العزيز، وقيل: إن امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرته بطاعتها فلذلك خاطبهن جميعًا ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ [٤]، معاذ الله، ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ [٥]، خيانة، ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ [٦] ظهر وتبين. وقيل: إن النسوة أقبلن على امرأة العزيز فقررنا فأقرت، وقيل: خافت أن يشهدن عليها فأقرت وقالت: ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ﴾ [٧]، في قوله: هي راودتني عن نفسي، فلما سمع ذلك يوسف قال:

[٥٢] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [٨] أي: ذلك الذي فعلـت مـن ردّي رسـول الملك إليـه، ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ [٩]، العـزيـز، ﴿ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ ﴾ [١٠]، في زوجته،

---

(١) سورة يوسف آية : ٥١.
(٢) سورة يوسف آية : ٥١.
(٣) سورة يوسف آية : ٥١.
(٤) سورة يوسف آية : ٥١.
(٥) سورة يوسف آية : ٥١.
(٦) سورة يوسف آية : ٥١.
(٧) سورة يوسف آية : ٥١.
(٨) سورة يوسف آية : ٥٢.
(٩) سورة يوسف آية : ٥٢.
(١٠) سورة يوسف آية : ٥٢.

﴿ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[1]، أي: في حـال غيبتـه، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[2] [3].

قوله تعالى وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ....

[٥٣] ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾[4]، من الخطأ والزلل فأزكيها، ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[5]، بالمعصية ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾[6] أي: إلا من رحم ربي فعصمه، و (ما) بمعنى من، كقوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم ﴾[7] أي: من طاب لكم، وهم الملائكة عصمهم الله ﷻ فلم يركب فيهم الشهوة. وقيل: إلا ما رحم ربي إشـارة إلى حالة العصمة عند رؤية البرهان. ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[8]، فلما تبين للملك عذر يوسف عليه السلام وعرف أمانته وعلمه اشتاق لرؤيته وكلامه، وذلك معنى قوله تعالى إخبارًا عنه:

---

(١) سورة يوسف آية : ٥٢.

(٢) سورة يوسف آية : ٥٢.

(٣) وذكر بعضهم أن الأليق والأنسب بسياق القصة أن ذلك من قول امرأة العزيز تقول: إنما اعترفت بذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب ولا وقع المحذور وإنما راودته فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة - انظر ابن كثير ٢ / ٤٨٢ ودقائق التفسير ٢ / ٢٧٣ وتفسير المنار ١٢ / ٣١٣ .

(٤) سورة يوسف آية : ٥٣.

(٥) سورة يوسف آية : ٥٣.

(٦) سورة يوسف آية : ٥٣.

(٧) سورة النساء آية : ٣.

(٨) سورة يوسف آية : ٥٣.

[٥٤] ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ ﴾ [(١)] أي: أجعله خالصًا لنفسي، ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ ﴾ [(٢)]، فيه اختصار تقديره: فجاء الرسول يوسف فقال له: أجب الملك الآن، أعجب الملك ما رأى منه مع حداثة سنه فأجلسه و ﴿ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ ﴾ [(٣)]، المكانة في الجاه، ﴿ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [(٤)]، أي: صادق.

[٥٥] فـ ﴿ قَالَ ﴾ [(٥)]، يوسف، ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [(٦)]، الخزائن جمع خزانة وأراد خزائن الطعام والأموال، والأرض أرض مصر، أي: خزائن أرضك. على خراج مصر ودخله، ﴿ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [(٧)]، أي: حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها. وقيل: حفيظ عليم، أي: كاتب حاسب. وقيل: حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني. وقيل: حفيظ للحساب عليم بالألسن أعلم لغة من يأتيني. وقال الكلبي: حفيظ بتقديره في السنين الـدبة عليم بوقت الجوع حين يقع، فقال له الملك: ومن أحق به منك؟! فولاه ذلك، وقال له:ـإنكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ، ذو مكانة ومـ لة، أمين على الخزائن.

[٥٦] ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٨)]، يعني: أرض مصـر ملكناه، ﴿ يَتَبَوَّأُ ﴾ [(٩)]، أي: يـ ل، ﴿ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ ﴾ [(١)]، ويصنع فيها ما يشاء. قرأ

(١) سورة يوسف آية : ٥٤.
(٢) سورة يوسف آية : ٥٤.
(٣) سورة يوسف آية : ٥٤.
(٤) سورة يوسف آية : ٥٤.
(٥) سورة يوسف آية : ٥٥.
(٦) سورة يوسف آية : ٥٥.
(٧) سورة يوسف آية : ٥٥.
(٨) سورة يوسف آية : ٥٦.
(٩) سورة يوسف آية : ٥٦.

قرأ ابن كثير وحده: (نشاء) بالنون ردا على قوله: (مكنا) وقرأ الآخرون بالياء ردا على قوله (يتبوّأ). ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا ﴾ [2]، أي: بنعمتنا، ﴿ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [3]، قال ابن عباس ووهب: يعني الصابرين. قال مجاهد وغيره: فلم يزل يوسف عليه السلام يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس، فهذا في أمر الدنيا.

[٥٧] ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [4]، ثواب الآخرة، ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [5]، فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام بأحسن التدبير، وبنى الحصون والبيوت الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة، وأنفق بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول لم يعهد الناس بمثله، وقصد الناس مصر من كل النواحي يمتارون الطعام فجعل يوسف لا يمكن أحدًا منهم، وإن كان عظيمًا أكثر من حمل بعير تقسيطًا بين الناس، وتزاحم الناس عليه فأصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة، ونزل بيعقوب ما نزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه.

[٥٨] فذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ [6] وكانوا عشرة، وكان مسكنهم بالقرب من أرض فلسطين، بغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشاة، فدعاهم

(١) سورة يوسف آية : ٥٦.
(٢) سورة يوسف آية : ٥٦.
(٣) سورة يوسف آية : ٥٦.
(٤) سورة يوسف آية : ٥٧.
(٥) سورة يوسف آية : ٥٧.
(٦) سورة يوسف آية : ٥٨.

يعقوب عليه السلام وقال: يا بني بلغني أن بمصر ملكًا صالحًا يبيع الطعام، فتجهزوا له فاذهبوا لتشتروا منه الطعام، فأرسلهم فقدموا مصر، ﴿ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ ﴾ [1]، على يوسف، ﴿ فَعَرَفَهُمۡ ﴾ [2] يوسف عليه السلام. قال ابن عباس ومجاهد: وعرفهم بأول ما نظر إليهم. وقال الحسن: لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه، ﴿ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [3]، أي: لم يعرفوه. فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية، قال لهم: أخبروني من أنتم وما أمركم فإني أنكرت شأنكم؟ قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار، فقال: لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي، قالوا: لا والله ما نحن بجواسيس إنما نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صدّيق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله، فقال: وكم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها وكان أحبنا إلى أبينا، قال: فكم أنتم هاهنا؟ قالوا: عشرة، قال: وأين الآخر؟ قالوا: عند أبينا لأنه أخو الذي هلك من أمه، فأبونا يتسلى به، فقال: فمن يعلم أن الذي تقولون حق وصدق؟ قالوا: أيها الملك إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد من أهلها، فقال لهم يوسف: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين، وأنا أرضى بذلك، قالوا: فإن أبانا يحزن على فراقه وسنراود عنه أباه، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم الذي من أبيكم، فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيًا في يوسف، فخلّفوه عنده. فذلك قوله ﷻ

[٥٩] ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ ﴾ [4]، أي: حمل لكل واحد بعيرًا بعدتم، ﴿ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ ﴾ [1]، يعني بنيامين، ﴿ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ ﴾ [2]، أي: أتمه ولا أبخس الناس شيئًا فأزيدكم حمل بعير لأجل أخيكم وأكرم

(١) سورة يوسف آية : ٥٨.
(٢) سورة يوسف آية : ٥٨.
(٣) سورة يوسف آية : ٥٨.
(٤) سورة يوسف آية : ٥٩.

أي: أتمه ولا أبخس الناس شيئًا فأزيدكم حمل بعير لأجل أخيكم وأكرم م لتكم وأحسن إليكـم، ﴿ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ۝٥٩ ﴾[3]، قال مجاهد: أي: خير المضيفين. وكان قد أحسن ضيافتهم.

[٦٠] ﴿ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي ﴾[4]، أي: ليس لكـم عندي طعام أكيله، ﴿ وَلَا تَقۡرَبُونِ ۝٦٠ ﴾[5]، أي: لا تقربوا داري وبلادي بعد ذلك وهو جزم على النهي.

[٦١] ﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ ﴾[6]، أي: نطلبه ونسأله أن يرسله معنا، ﴿ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١ ﴾[7]، ما أمرتنا به.

[٦٢] ﴿ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ﴾[8] يريد لغلمانه ﴿ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ ﴾[9]، ثمن طعامهم وكانت دراهم. وقال الضحاك عن ابن عباس: كانت النعال والأدم. وقيل: كانت ثمانية جرب من سويق المقل. والأول أصح ﴿ فِي رِحَالِهِمۡ ﴾[10]، أوعيتهم،

---

(١) سورة يوسف آية : ٥٩.
(٢) سورة يوسف آية : ٥٩.
(٣) سورة يوسف آية : ٥٩.
(٤) سورة يوسف آية : ٦٠.
(٥) سورة يوسف آية : ٦٠.
(٦) سورة يوسف آية : ٦١.
(٧) سورة يوسف آية : ٦١.
(٨) سورة يوسف آية : ٦٢.
(٩) سورة يوسف آية : ٦٢.
(١٠) سورة يوسف آية : ٦٢.

وهي جمع رحل، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ ﴾ [1]، انصرفوا، ﴿ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [2]، واختلفوا في السبب الذي فعله يوسف من أجله، قيل: أراد أن يريهم كرمه في رد البضاعة وتقديم الضمان في البر والإحسان ليكون أدعى لهم إلى العود لعلهم يعرفونا أي كرامتهم علينا. وقيل: رأى لؤمًا أخذ الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرمًا. وقال الكلبي: تخوف ألا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى. وقيل: فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة نفيًا للغلط ولا يستحلون إمساكها.

[٦٣] ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ﴾ [3]، إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلًا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته، فقال لهم يعقوب: إذا أتيتم ملك مصر فأقرئوه مني السلام، وقولوا له: إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا، ثم قال: أين شمعون؟ قالوا: ارتنه ملك مصر وأخبروه بالقصة، فقال لهم: ولم أخبرتموه؟ قالوا: إنه أخذنا وقال أنتم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية، وقصوا عليه القصة، وقالوا: يا أبانا ﴿ مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾ [4]، قال الحسن: معناه يمنع منا الكيل إن لم تحمل أخانا معنا. وقيل: معناه أعطى باسم كل واحد منا حملًا ويمنع منا الكيل لبنيامين، والمراد بالكيل الطعام لأنه كان يكال، ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا ﴾ [5]، بنيامين، ﴿ نَكْتَلْ ﴾ [6] قرأ حمزة والكسائي. (يكتل) بالياء، يعني: يكيل لنفسه كما

---

(١) سورة يوسف آية : ٦٢.
(٢) سورة يوسف آية : ٦٢.
(٣) سورة يوسف آية : ٦٣.
(٤) سورة يوسف آية : ٦٣.
(٥) سورة يوسف آية : ٦٣.
(٦) سورة يوسف آية : ٦٣.

نحن نكتال، وقرأ الآخرون: (نكتل) بالنون: يعني: نكتل نحن وهو الطعام. وقيل: نكتل له، ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[1].

قوله تعالى قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا....

[٦٤] ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ ﴾[2]، يوسف ﴿ مِن قَبْلُ ﴾[3]، أي: كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم؟ ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ﴾[4] قرأ حمزة والكسائي وحفص: (حافظًا) بالألف على التفسير، كما يقال: هو خير رجلًا، وقرأ الآخرون: (حفظًا) بغير ألف على المصدر، يعني: خيركم حفظًا، يقول: حفظه خير من حفظكم. ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[5].

[٦٥] ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـٰعَهُمْ ﴾[6]، الذي حملوه من مصر، ﴿ وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ ﴾[7] ثم الطعام، ﴿ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾[8]، أي: ماذا نبغي وأي شيء نطلب؟ وذلك أنم ذكروا ليعقوب عليه السلام إحسان الملك إليهم وحثوه على إرسال بنيامين معهم، فلما فتحوا المتاع ووجدوا

(١) سورة يوسف آية : ٦٣.
(٢) سورة يوسف آية : ٦٤.
(٣) سورة يوسف آية : ٦٤.
(٤) سورة يوسف آية : ٦٤.
(٥) سورة يوسف آية : ٦٤.
(٦) سورة يوسف آية : ٦٥.
(٧) سورة يوسف آية : ٦٥.
(٨) سورة يوسف آية : ٦٥.

البضاعة، قالوا: يا أبانا ما نبغي، ﴿ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ ﴾[1]، أي شيء نطلب بالكلام فهذا هو العيان من الإحسان والإكرام، أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن، أرادوا تطييب نفس أبيهـم، ﴿ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا ﴾[2]، أي: نشتري لهم الطعام فنحمله إليهم. يقال: مار أهله يمير ميرًا إذا حمل إليهم الطعام من بلد آخر. ومثله امتار يمتـار امتيارًا. ﴿ وَنَحۡفَظُ أَخَانَا ﴾[3] بنيامين، أي: مما تخاف عليه. ﴿ وَنَزۡدَادُ ﴾[4]، على أحمالنا، ﴿ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ﴾[5]، أي: حمل بعير يكال لنا من أجله؛ لأنه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير، ﴿ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴾[6]، أي: ما حملناه قليل لا يفيننا وأهلنا. وقيل: معناه نزداد كيل بعير ذلك كيل يسير لا مؤنة فيه ولا مشقة.

[٦٦] ﴿ قَالَ ﴾[7] لهم يعقوب، ﴿ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ ﴾[8]، تعطون ﴿ مَوۡثِقٗا ﴾[9]، أي: ميثاقًا وعهدًا، ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[10]، والعهد الموثق:

(١) سورة يوسف آية : ٦٥.
(٢) سورة يوسف آية : ٦٥.
(٣) سورة يوسف آية : ٦٥.
(٤) سورة يوسف آية : ٦٥.
(٥) سورة يوسف آية : ٦٥.
(٦) سورة يوسف آية : ٦٥.
(٧) سورة يوسف آية : ٦٦.
(٨) سورة يوسف آية : ٦٦.
(٩) سورة يوسف آية : ٦٦.
(١٠) سورة يوسف آية : ٦٦.

المؤكد بالقسم. وقيل: المؤكد بإشهاد الله على نفسه ﴿ لَتَأۡتُنَّنِى بِهِۦٓ ﴾[1]، وأدخل اللام فيه لأن معنى الكلام اليمين، ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ ﴾[2]، قال مجاهد: إلا أن تلكوا جميعًا. وقال قتادة: إلا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك. وفي القصة: أن الأخوة ضاق الأمر عليهم وجهدوا أشد الجهد، فلم يجد يعقوب بدًا من إرسال بنيامين معهم. ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ ﴾[3]، أعطوه عهودهم، ﴿ قَالَ ﴾[4]، يعني: يعقوب، ﴿ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ ﴾[5]، شاهـد. وقيـل: حافظ. قال كعـب: لما قال يعقـوب ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[6]، قال الله ﷻ ﴿ وعزتي لأردن عليك كليهما بعدما توكلت علي ﴾.

[٦٧] ﴿ وَقَالَ ﴾[7]، لهم يعقوب لما أرادوا الخروج من عنده، ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾[8] وذلك أنه خاف عليهم العين لأنم كانوا أعطوا جمالًا وقوة وامتداد قامة، وكانوا ولد رجل واحد، فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم

(١) سورة يوسف آية : ٦٦.
(٢) سورة يوسف آية : ٦٦.
(٣) سورة يوسف آية : ٦٦.
(٤) سورة يوسف آية : ٦٦.
(٥) سورة يوسف آية : ٦٦.
(٦) سورة يوسف آية : ٦٤.
(٧) سورة يوسف آية : ٦٧.
(٨) سورة يوسف آية : ٦٧.

لئلا يصابوا بالعين، فإن العين حق، وجاء في الأثر: ﴿ إن العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر ﴾[(١)].

وعن إبراهيم النخعي أنه قال: ذلك لأنه كان يرجو أن يروا يوسف في التفرق. والأول أصح. ثم قال: ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ ﴾[(٢)]، معناه: إن كان الله قضى فيكم قضاء فيصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين، فإن المقدور كائن والحذر لا ينفع عن القدر، ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ ﴾[(٣)]، ما الحكم، ﴿ إِلَّا لِلَّهِ ۖ ﴾[(٤)]، هذا تفويض يعقوب أموره إلى الله، ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ ﴾[(٥)] اعتمدت، ﴿ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[(٦)].

[٦٨] ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم ﴾[(٧)] أي: من الأبواب المتفرقة. وقيل: كانت المدينة مدينة الفرماء ولها أربعة أبواب، فدخلوها من أبوابا، ﴿ مَّا كَانَ يُغْنِى ﴾[(٨)]، يدفع ﴿ عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾[(٩)]

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب العين، ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ / ٤٤٧، بلفظ: (إن العين حق).
(٢) سورة يوسف آية : ٦٧.
(٣) سورة يوسف آية : ٦٧.
(٤) سورة يوسف آية : ٦٧.
(٥) سورة يوسف آية : ٦٧.
(٦) سورة يوسف آية : ٦٧.
(٧) سورة يوسف آية : ٦٨.
(٨) سورة يوسف آية : ٦٨.
(٩) سورة يوسف آية : ٦٨.

صدّق الله تعالى يعقوب فيما قال، ﴿ إِلَّا حَاجَةً ﴾[1]، مرادًا، ﴿ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ ﴾[2]، أشفق عليهم إشفاق الآباء على أبنائهم وجرى الأمر عليه، ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾[3] يعني: يعقوب عليه السلام، ﴿ لَذُو عِلْمٍ ﴾[4]، يعني: كـان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل، ﴿ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾[5]، أي: لتعليمنا إياه. وقيل: إنه لعامل بما علم. قال سفيان: من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالمًا. وقيل: إنه لذو حفظ لما علمناه، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[6]، ما يعلم يعقوب لأنم لم يسلكوا طريق إصابة العلم. وقال ابن عباس: لا يعلم المشركون ما ألهم الله أولياءه.

[٦٩] ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[7]، قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به، فقال: أحسنتم وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندي، ثم أنزلهم فأكرم م لتهم، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحيدًا فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه، فقال يوسف: لقد بقي أحدكم هذا وحيدًا فأجلسه معه على مائدته فجعل يُواكله فلمّا كان الليل أمر لهم بمثل، وقال لينم كل أخوين منكم على مثال، فبقي بنيامين وحده، فقال يوسف: هذا ينام معي على فراشي، فنام معه فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريحه

(١) سورة يوسف آية : ٦٨.
(٢) سورة يوسف آية : ٦٨.
(٣) سورة يوسف آية : ٦٨.
(٤) سورة يوسف آية : ٦٨.
(٥) سورة يوسف آية : ٦٨.
(٦) سورة يوسف آية : ٦٨.
(٧) سورة يوسف آية : ٦٩.

حتى أصبح، وجعل روبين يقول: ما رأينا مثل هذا، فلما أصبح، قال لهم: إني أرى هذا الرجل ليس معه ثان فسأضمه إليّ فيكون معي، ثم أنزلهم وأجرى عليهم الطعام، وأنزل أخاه لأمه، فذلك قوله تعالى: ﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ ﴾[1]

أي: ضم إليه أخاه فلما خلا به قال: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ ﴾[2]، أي: لا تحزن، ﴿ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٦٩ ﴾[3]، بشيء فعلوه بنا فيما مضى، فإن الله تعالى قد أحسن إلينا، ولا تعلمهم شيئًا مما أعلمتك، ثم أوفى يوسف لإخوته الكيل وحمل لهم بعيرًا بعيرًا ولبنيامين بعيرًا باسمه، ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل بنيامين.

قوله تعالى فَلَما جَهزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ....

[٧٠] فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ﴾[4]، وهي المشربة التي كان الملك يشرب منها. قال ابن عباس: كانت من زبرجد. وقال ابن إسحاق: كانت من فضة. وقيل: من ذهب، وقال عكرمة: كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر، جعلها يوسف مكيالًا لئلا يكال بغيرها، وكان يشرب منها. والسقاية والصواع واحد، جعلت في وعاء طعام بنيامين، ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا. وقيل: خرجوا من العمارة، ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم. ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾[5]، نادى منادٍ، ﴿ أَيَّتُهَا

(١) سورة يوسف آية : ٦٩.

(٢) سورة يوسف آية : ٦٩.

(٣) سورة يوسف آية : ٦٩.

(٤) سورة يوسف آية : ٧٠.

(٥) سورة يوسف آية : ٧٠.

﴿ ٱلۡعِيرُ ﴾ [١] وهي القافلة التي فيها الأحمال ﴿ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠ ﴾ [٢]. فقفوا. قيل: قالوه من غير أمر يوسف. وقيل: قالوه بأمره، وكان هفوة منه. وقيل: قالوه على تأويل أنـم سرقوا يوسف من أبيه، فـلما انتهى إليهم الرسول، قال لهم: ألم نكرم ضيافتكم ونحسن م لتكم ونوفكم كيلكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم؟ قالوا: بلى، قالوا: وما ذاك؟ قالوا: سقاية الملك فقدناها، ولا نتهم عليها غيركم.

[٧١] فذلك قوله ﷻ ﴿ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم ﴾ [٣]، عطفـوا على المؤذن وأصحابه، ﴿ مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ۝٧١ ﴾ [٤]، ما الذي ضل عنكم. والفقدان: ضد الوجدان.

[٧٢] ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ ﴾ [٥]، مـن الطعـام، ﴿ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ۝٧٢ ﴾ [٦]، كفيل، يقوله المؤذن.

[٧٣] ﴿ قَالُواْ ﴾ [٧]، يعني: إخوة يوسف، ﴿ تَٱللَّهِ ﴾ [٨] أي: والله، وخصت هذه الكلمة بأن أبدلت الواو فيها بالتاء في اليمين دون سائر أسماء الله تعالى. ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٩]، لنسرق في أرض مصر، فإن قيل:

---

(١) سورة يوسف آية : ٧٠.
(٢) سورة يوسف آية : ٧٠.
(٣) سورة يوسف آية : ٧١.
(٤) سورة يوسف آية : ٧١.
(٥) سورة يوسف آية : ٧٢.
(٦) سورة يوسف آية : ٧٢.
(٧) سورة يوسف آية : ٧٣.
(٨) سورة يوسف آية : ٧٣.
(٩) سورة يوسف آية : ٧٣.

كيف قالوا لقد علمتم؟ ومن أين علموا ذلك؟ قيل: قالوا قد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، فإنا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرزأ أحدًا شيئًا فاسألوا عنا مَن مررنا به، هل ضررنا أحدًا. وقيل: لأنهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم، قالوا: فلو كنا سارقين ما رددناها. وقيل: قالوا بذلك لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم، وكانوا إذا دخلوا مصر كمموا أفواه دوابهم كيلا تتناول شيئًا من حروث الناس، ﴿ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1].

[٧٤] ﴿ قَالُواْ ﴾[2]، يعني: المنادي وأصحابه ﴿ فَمَا جَزَـٰٓؤُهُۥٓ ﴾[3]، يعني: ما جزاء السارق، ﴿ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[4] في قولكم وما كنا سارقين.

[٧٥] ﴿ قَالُواْ ﴾[5]، يعني: إخوة يوسف، ﴿ جَزَـٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَـٰٓؤُهُۥ ۚ ﴾[6]، أي: فالسارق جزاؤه أن يسلم السارق بسرقته إلى المسروق منه فيسترقّه سَنة، وكان ذلك سُنّة آل يعقوب في حكم السارق، وكان حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق، فأراد يوسف أن يحبس أخاه عنده، فرد الحكم إليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم. ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[7]، الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير، فقال

(١) سورة يوسف آية : ٧٣.
(٢) سورة يوسف آية : ٧٤.
(٣) سورة يوسف آية : ٧٤.
(٤) سورة يوسف آية : ٧٤.
(٥) سورة يوسف آية : ٧٥.
(٦) سورة يوسف آية : ٧٥.
(٧) سورة يوسف آية : ٧٥.

الرسول عند ذلك: لا بد من تفتيش أمتعتكم، فأخذ في تفتيشها. وروي أنه ردهم إلى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه.

[٧٦] ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ﴾ [١]، لإزالة التهمة، ﴿ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ [٢]، فكان يفتش أوعيتهم واحدًا واحدًا ﴿ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ [٣]، إنما أنث الكناية في قوله استخرجها، والصواع مذكر، بدليل قوله: ﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ [٤] لأنه رد الكناية هاهنا إلى السقاية. وقيل: الصواع يذكر ويؤنث، فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس إخوته رءوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين وقالوا: ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل؟ ما يزال لنا منكم البلاء متى أخذت هذا الصواع، فقال بنيامين: بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية، والله قد وَضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم، فأخذوا بنيامين رقيقًا، ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ [٥]، والكيد هاهنا جزاء الكيد، يعني: كما فعلوا في الابتداء بيوسف من الكيد فعلنا بهم. وقد قال يعقوب عليه السلام ليوسف: ﴿ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾ [٦]، فكدنا ليوسف في أمرهم. والكيد من الخلق: الحيلة، ومن الله: التدبير بالحق. وقيل: كدنا: ألهمنا. وقيل: دبرنا. وقيل: أردنا.

---

(١) سورة يوسف آية : ٧٦.
(٢) سورة يوسف آية : ٧٦.
(٣) سورة يوسف آية : ٧٦.
(٤) سورة يوسف آية : ٧٢.
(٥) سورة يوسف آية : ٧٦.
(٦) سورة يوسف آية : ٥.

ومعناه: صنعنا ليوسف حتى ضم أخاه إلى نفسه، وحال بينه وبين إخوته. ﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ ﴾ [1] فيضمه إلى نفسه، ﴿ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ ﴾ [2]، أي: في حكمه. قاله قتادة. وقال ابن عباس: في سلطانه. ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [3] يعني: إن يوسف لم يكن يتمكن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل إلى ذلك، وهو ما أجري على ألسنة الإخوة أن جزاء السارق الاسترقاق، فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى ﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ [4]، بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته. وقرأ يعقوب (يرفع) و(يشاء) بالياء فيهما، وإضافة درجات إلى (من) في هذه السورة. والوجه أن الفعل فيهما مسند إلى الله تعالى، وقد تقدم ذكره في قوله: (إلا أن يشاء الله) أي: يرفع الله درجات من يشاء. وقرأ الباقون بالنون فيهما، إلا أن الكوفيين قـرءوا: (درجـات) بالـتنوين، ومن سواهـم بالإضافة، أي: نرفع به نحن، والواقع أيضًا هو الله تعالى: ﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ﴾ [5] قال ابن عباس: فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى، فإن الله تعالى فوق كل عالم.

[٧٧] ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ [6]، يريدون أخًا له من أمه يعنون به يوسف، واختلفوا في السرقة التي وصفوا با يوسف، فقال سعيد بن جبير وقتادة:

---

(١) سورة يوسف آية : ٧٦.
(٢) سورة يوسف آية : ٧٦.
(٣) سورة يوسف آية : ٧٦.
(٤) سورة يوسف آية : ٧٦.
(٥) سورة يوسف آية : ٧٦.
(٦) سورة يوسف آية : ٧٧.

كان لجده أبي أمه صنم يعبده فأخذه سرا أو كسره وألقاه في الطريق لئلا يعبد. وقال مجاهد: إن يوسف جاءه سائل يومًا فأخذ بيضة من البيت فناولها السائل. وقال سفيان ابن عيينة: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلًا. وقال وهب: كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء، ﴿ فَأَسَرَّهَا ﴾ [1] أضمرها ﴿ يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ ﴾ [2] وإنما أنث الكناية لأنه عين با الكـلمة وهي قوله: ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ ﴾ [3]، ذكرها سرا في نفسه ولم يصرح با، يريد أنتم شر مكانًا أي: م لًا عند الله ممن رميتموه بالسرقة في صنيعكم بيوسف؛ لأنه لم يكن من يوسف سرقة حقيقية وخيانتكم حقيقة، ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝٧٧ ﴾ [4]، تقولون.

[٧٨] ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ [5] يحبه. ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ ﴾ [6]، بدلًا منه، ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٧٨ ﴾ [7]، في أفعالك. وقيل: من المحسنين إلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة. وقيل: يعنون إن فعلت ذلك كنت من المحسنين.

---

(١) سورة يوسف آية : ٧٧.
(٢) سورة يوسف آية : ٧٧.
(٣) سورة يوسف آية : ٧٧.
(٤) سورة يوسف آية : ٧٧.
(٥) سورة يوسف آية : ٧٨.
(٦) سورة يوسف آية : ٧٨.
(٧) سورة يوسف آية : ٧٨.

قوله تعالى قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إنا إذًا لظَالِمُون...

[٧٩] ﴿ قَالَ ﴾ [(١)] يوسف، ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ [(٢)] أعوذ بالله، ﴿ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ [(٣)] ولم يقل إلا من سرق تحرزًا من الكذب، ﴿ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ ﴾ [(٤)] إن أخذنا بريئًا بمجرم.

[٨٠] ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ ﴾ [(٥)]، أي: أيسوا من يوسف أن يجيبهم إلى ما سألـوه. وقـال أبو عبيدة: استيأسوا استيقنوا أن الأخ لا يُرد إليهم. ﴿ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ ﴾ [(٦)]، أي: خلا بعضهم ببعـض يتناجون ويتشاورون لا يخالطهم غيرهم. والنجي يصلح للجماعـة كمـا قال هاهنا، ويصلح للواحد كقوله: ﴿ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ ﴾ [(٧)]، وإنما جاز للواحد والجمع لأنه مصدر جعل نعتًا كالعدل والزور، ومثله النجوى يكون اسمًا ومصدرًا،، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ ﴾ [(٨)]، أي: متناجون. وقال: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [(٩)]، وقـال في المصـدر:

---

(١) سورة يوسف آية : ٧٩.
(٢) سورة يوسف آية : ٧٩.
(٣) سورة يوسف آية : ٧٩.
(٤) سورة يوسف آية : ٧٩.
(٥) سورة يوسف آية : ٨٠.
(٦) سورة يوسف آية : ٨٠.
(٧) سورة مريم آية : ٥٢.
(٨) سورة الإسراء آية : ٤٧.
(٩) سورة المجادلة آية : ٧.

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾[(١)]. ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمۡ ﴾[(٢)]، يعني: في العقل والعلم لا في السن. قال ابن عباس والكلبي: هو يهوذا وهو أعقلهم. وقال مجاهد: هو شمعون، وكانت له الرئاسة على إخوته. وقال قتادة والسدي والضحاك: هو روبيل، وكان أكبرهم في السن، وهو الذي نهى عن قتل يوسف. ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقًا ﴾[(٣)]، عهدًا. ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ ﴾[(٤)]، قصرتم ﴿ فِي يُوسُفَۖ ﴾[(٥)] واختلفوا في محل (ما) قيل: هو نصب بإيقاع العلم عليه، يعني: أنتم تعلموا من قبل تفريطكم في يوسف. وقيل: وهو في محل الرفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله (من الله) ثم قال (ومن قبل) هذا تفريطكم في يوسف. وقيل: (ما) صلة أي: ومن قبل هذا فرطتم في يوسف ﴿ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[(٦)]، التي أنا بها وهي مصر ﴿ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ ﴾[(٧)]، بالخروج منها يدعوني، ﴿ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ ﴾[(٨)]، برد أخي إليّ أو بخروجي وترك أخي. وقيل: أو يحكم الله لي بالسيف فأقاتلهم وأسترد أخي، ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[(٩)]، أعدل من فصل بين الناس.

---

(١) سورة المجادلة آية : ١٠.
(٢) سورة يوسف آية : ٨٠.
(٣) سورة يوسف آية : ٨٠.
(٤) سورة يوسف آية : ٨٠.
(٥) سورة يوسف آية : ٨٠.
(٦) سورة يوسف آية : ٨٠.
(٧) سورة يوسف آية : ٨٠.
(٨) سورة يوسف آية : ٨٠.
(٩) سورة يوسف آية : ٨٠.

[٨١] ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾[(١)]، يـقـول الأخ المحتبس بمصر لإخوته: ارجعوا إلى أبيكـم، ﴿ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ ﴾[(٢)]، بنيامين، ﴿ سَرَقَ ﴾[(٣)] وقرأ ابن عباس والـضـحـاك بـضم السين وكسر الراء وتشديدها، يعني: نُسب إلى السرق، كما يقال خونته أي نسبته إلى الخيانة، ﴿ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا ﴾[(٤)]، يعني: ما قلنا هذا إلا بما علمنا فإنا رأينا إخراج الصواع من متاعه. وقيل: معناه وما شهدنا إلا بما علمنا أي ما كانت منها شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمنا، وليست هذه شهادة منا إنما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم. وقيل: قال لهم يعقوب عليه السلام: ما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكـم، فقالوا: ما شهدنا عند يوسف بأن السارق يسترق إلا بما علمنـا، وكان الحكم ذلك عند يعقوب وبنيه. ﴿ وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَـٰفِظِينَ ۝٨١ ﴾[(٥)]، قال مجاهد وقتادة. ما كنا نعلم أن ابنك سيسرق ويصير أمرنا إلى هذا، وإنما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا حفظه منه سبيل. وعن ابن عباس: ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين.

وقال عكرمة: وما كنا للغيب حافظين فلعلها دست بالليل في رحله.

[٦٢] ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾[(٦)]، أي: أهل القريـة وهي مصـر ﴿ وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ ﴾[(٧)]، أي: القافلة التي كنا فيها. وكان صحبهم قوم من

(١) سورة يوسف آية : ٨١.
(٢) سورة يوسف آية : ٨١.
(٣) سورة يوسف آية : ٨١.
(٤) سورة يوسف آية : ٨١.
(٥) سورة يوسف آية : ٨١.
(٦) سورة يوسف آية : ٨٢.
(٧) سورة يوسف آية : ٨٢.

كنعان من جيران يعقوب. قال ابن إسحاق: عرف الأخ المحتبس بمصر أن إخوته أهل تمه عند أبيهم لما كانوا صنعوا في أمر يوسف فأمرهم أن يقولوا هذه المقالة لأبيهم. ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [1]، فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه مع علمه بشدة وجد أبيه عليه؟ وقيل معنى العقوق: قطيعة الرحم وقلة الشفقة؟ قيل: قد أكثر الناس فيه، والصحيح أنه عمل ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى، أمره به ليزيد في بلاء يعقوب فيضاعف له الأجر ويلحقه في الدرجة بآبائه الماضين. وقيل: إنه لم يظهر نفسه لإخوته لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيرًا فيكتموه عن أبيه. والأول أصح.

[٨٣] ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ ﴾ [2]، زينت، ﴿ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ [3]، وفيه اختصار معناه: فرجعوا إلى أبيهم وذكروا لأبيهم ما قال كبيرهم، فقال يعقوب: بل سولت لكم أنفسكم أمرًا، أي: حمل أخيكم إلى مصر لطلب نفع عاجل، ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ [4]، يعني: يوسف وبنيامين وأخاهم المقيم بمصر، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [5]، بحزني ووجدي على فقدهم، ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [6]، في تدبير خلقه.

(١) سورة يوسف آية : ٨٢.
(٢) سورة يوسف آية : ٨٣.
(٣) سورة يوسف آية : ٨٣.
(٤) سورة يوسف آية : ٨٣.
(٥) سورة يوسف آية : ٨٣.
(٦) سورة يوسف آية : ٨٣.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ [(١)]، وذلك أن يعقوب عليه السلام لما بلغه خبر بنيامين تناهى حزنه وبلغ جهده، وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم، ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ ﴾ [(٢)]، يا حزنا، ﴿ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [(٣)] والأسف أشد الحزن، ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ [(٤)]، يعني: عمي بصـره. قال مقاتل: لم بصر بما ست سنين، ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ [(٥)]، أي: مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه. وقال قتادة: تردد حزنه في جوفه ولم يقل إلا خيرًا. قال الحسن: كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقى معه ثمانون عامًا لا تجف عينا يعقوب وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب.

[٨٥] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ [(٦)]، يعـني: أولاد يعقـوب، ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [(٧)]، أي: لا تزال تذكر يوسف، لا تفتر من حبه، يقال: ما فتئ يفعل كذا أي: ما زال يفعل، و(لا) محذوفة من قوله (تفتؤا) يقال: ما فتئ يفعل كذا أي: ما زال، ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ [(٨)]، قال ابن عباس: دنفًا. وقال مجاهد: الحرض ما دون الموت، يعني: قريبًا من الموت. وقال ابن إسحاق: فاسدًا

(١) سورة يوسف آية : ٨٤.
(٢) سورة يوسف آية : ٨٤.
(٣) سورة يوسف آية : ٨٤.
(٤) سورة يوسف آية : ٨٤.
(٥) سورة يوسف آية : ٨٤.
(٦) سورة يوسف آية : ٨٥.
(٧) سورة يوسف آية : ٨٥.
(٨) سورة يوسف آية : ٨٥.

لا عقل لك، والحرض: الذي فسد جسمه وعقله. وقيل: ذائبًا من الهم. ومعنى الآية: حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل. وأصل الحرض: الفساد في الجسم، والعقل من الحزن والهرم، أو العشق أو الهم، يقال: رجل حرض وامرأة حرض، ورجلان وامرأتان حرض، ورجال ونساء كذلك، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث؛ لأنه مصدر وضع موضع الاسم. ﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1]، أي: من الميتين.

[٨٦] ﴿ قَالَ ﴾[2] يعقوب عليه السلام عند ذلك لما رأى غلظتهم ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[3] والبث أشد الحزن، سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه أي: يظهره، قال الحسن: بثي أي: حاجتي. وروى أنه دخل على يعقوب جار له وقال: يا يعقوب ما الذي غير حالك مالي أراك قد تشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف، فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتا فاغفرها لي، فقال: قد غفرتا لك، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله. قولـه تعالـى: ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[4]، يعني أعلم من حياة يوسف ما لا تعلمون.

---

(١) سورة يوسف آية : ٨٥.

(٢) سورة يوسف آية : ٨٦.

(٣) سورة يوسف آية : ٨٦.

(٤) سورة يوسف آية : ٨٦.

قوله تعالى ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ.....﴾

[٨٧] ﴿ يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ ﴾[1]، تخبروا واطلبوا الخير، ﴿ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾[2]، والتحسس بالحاء والجيم لا يبعد أحدهما من الآخر، إلا إن التحسس بالحاء في الخير وبالجيم في الشر، والتحسس هو طلب الشيء بالحاسة. قال ابن عباس: معناه التمسوا ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ ﴾[3]، ولا تقنطوا ﴿ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾[4] أي: من الرحمة: وقيل: من فرج الله. ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[5].

[٨٨] ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ ﴾[6]، وفيه إضمار تقديره: فخرجوا راجعين إلى مصر حتى وصلوا إليها فدخلوا عليه، ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾[7] أي: الشدة والجوع، ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾[8]، أي: قليلة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجوز من البائع فيها وأصل الإزجاء السوق والدفع وقيل: للبضاعة مزجاة لأنا غير نافعة، وإنما تجوز على دفع من أخذها، ﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ ﴾[9]، أي: أعطنا ما كنت تعطينا قبل الثمن الجيد الوافي ﴿ وَتَصَدَّقْ

---

(١) سورة يوسف آية : ٨٧.
(٢) سورة يوسف آية : ٨٧.
(٣) سورة يوسف آية : ٨٧.
(٤) سورة يوسف آية : ٨٧.
(٥) سورة يوسف آية : ٨٧.
(٦) سورة يوسف آية : ٨٨.
(٧) سورة يوسف آية : ٨٨.
(٨) سورة يوسف آية : ٨٨.
(٩) سورة يوسف آية : ٨٨.

عَلَيۡنَآۖ ﴾ [1]، أي تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا تنقصنا. هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن جريج والضحـاك: وتصـدق علينـا بـرد أخينـا إلينا. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ﴾ [2]، يثيب، ﴿ ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [3]، وقال الضحاك: لم يقولوا إن الله يجزيك لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن. وسئل سفيان بن عيينة: هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء سوى نبينا عليه الصلاة والسلام؟ فقال سفيان: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [4]، يريد أن الصدقة كانت حلالًا لهم.

وروي أن الحسن سمع رجلًا يقول: اللهم تصدق علي، فقال: إن الله لا يتصدق وإنما يتصدق من يبغي الثواب، قل: اللهم أعطني أو تفضل علي.

[٨٩] ﴿ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [5]، اختلفوا في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول، قال ابن إسحاق: ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته الرقة فارفض دمعه فباح بالذي كان يكتمه، وقيل: قاله حين قرأ كتاب أبيه الذي كتب إليه فلم يتمالك البكاء، فقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا فرقتم بينهما، وصنعتم ما صنعتم إذ أنتم جاهلون بما يئول إليه أمر يوسف؟ وقيل: مذنبون وعاصون. وقال الحسن: إذ أنتم شبان ومعكم جهل الشباب. فإن قيل: كيف قال ما فعلتم بيوسف وأخيه وما كان منهم إلى أخيه شيء وهم لم يسعوا في حبسه؟

---

(١) سورة يوسف آية : ٨٨.

(٢) سورة يوسف آية : ٨٨.

(٣) سورة يوسف آية : ٨٨.

(٤) سورة يوسف آية : ٨٨.

(٥) سورة يوسف آية : ٨٩.

قيل: قد قالوا له في الصاع: ما رأينا منكم يا بني راحيل خيرًا وقيل: لما كانا من أم واحدة كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف.

[٩٠] ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾[1]، قرأ ابن كثير وأبو جعفر: (إنك) على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستفهام، ﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ﴾[2]، بنيامين، ﴿ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ ﴾[3]، أنعم الله علينا بأن جمع بيننا ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ ﴾[4]، بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، ﴿ وَيَصۡبِرۡ ﴾[5]، عما حرم الله ﷻ عليه. قال ابن عباس: يتقي الزنا ويصبر عن العزوبة. وقال مجاهد: يتقي المعصية ويصبر على السجن، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠ ﴾[6].

[٩١] ﴿ قَالُواْ ﴾[7] معتذرين، ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ﴾[8] أي: اختارك الله وفضلك علينا، ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١ ﴾[9]، أي: وما كنا في صنيعنا بك إلا مخطئين مذنبين. يقال: خطئ خطأ إذا تعمد، وأخطأ إذا كان غير متعمد.

[٩٢] ﴿ قَالَ ﴾[1]، يوسف وكان حليمًا، ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾[2] لا تعيير ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم، ﴿ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ

(١) سورة يوسف آية : ٩٠.
(٢) سورة يوسف آية : ٩٠.
(٣) سورة يوسف آية : ٩٠.
(٤) سورة يوسف آية : ٩٠.
(٥) سورة يوسف آية : ٩٠.
(٦) سورة يوسف آية : ٩٠.
(٧) سورة يوسف آية : ٩١.
(٨) سورة يوسف آية : ٩١.
(٩) سورة يوسف آية : ٩١.

﴿ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[3]، فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه، فقال: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: ذهبت عيناه من البكاء فأعطاهم قميصه، ثم قال:

[٩٣] ﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا ﴾[4]، أي: يعد مبصرًا. وقيل: يأتيني بصيرًا لأنه كان قد دعاه. قال الحسن. لم يعلم أنه يعود بصيرًا إلا بعد أن أعلمه الله عز وجل. وقال الضحاك: كان ذلك القميص من نسج الجنة. عن مجاهد قال: أمره جبريل أن يرسل إليه قميصه، فدفع يوسف ذلك القميص إلى إخوته وقال: ألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا، ﴿ وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[5].

[٩٤] ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ ﴾[6]، أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلى كنعان ﴿ قَالَ أَبُوهُمۡ ﴾[7] أي: قال يعقوب لولد ولده، ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾[8]، تسفهوني، وعن ابن عباس: تجهلوني. وقال الضحاك: ترموني فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله. وقيل: تضعفوني. وقال أبو عبيدة: تضللوني. وأصل الفند الفساد.

---

(١) سورة يوسف آية : ٩٢.
(٢) سورة يوسف آية : ٩٢.
(٣) سورة يوسف آية : ٩٢.
(٤) سورة يوسف آية : ٩٣.
(٥) سورة يوسف آية : ٩٣.
(٦) سورة يوسف آية : ٩٤.
(٧) سورة يوسف آية : ٩٤.
(٨) سورة يوسف آية : ٩٤.

[٩٥] ﴿ قَالُواْ ﴾ (١)، يعني: أولاد أولاده، ﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ (٢) لفي خطئك السابق من ذكر يوسف لا تنساه، والضلال هو الذهاب عن الطريق الصواب، فإن عندهم إن يوسف قد مات ويرون يعقوب قد لهج بذكره.

قوله تعالى فلما أنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَ بَصِيرًا.....

[٩٦] ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾ (٣)، وهو المبشر عن يوسف، قال ابن مسعود: جاء البشير بين يدي العير. قال ابن عباس: هو يهوذا قال: أنا ذهبت بالقميص ملطخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب فأنا أذهب إليه اليوم بالقميص فأخبره أن ولده حي فأفرحه كما أحزنته. قال ابن عباس: حمله يهوذا وخرج حافيًا حاسرًا يعدو ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه، وكانت المسافة ثمانين فرسخًا. وقيل: البشير مالك بن ذعر. ﴿ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ (٤)، يعني: ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب، ﴿ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ ﴾ (٥) فعاد بصيرًا بعد ما كان أعمى وعادت إليه قوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن. ﴿ قَالَ ﴾ (٦)، يعني: يعقوب عليه السلام، ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٧)، من حياة يوسف أن الله يجـمع بيننا. وروى أنه قال

---

(١) سورة يوسف آية : ٩٥.
(٢) سورة يوسف آية : ٩٥.
(٣) سورة يوسف آية : ٩٦.
(٤) سورة يوسف آية : ٩٦.
(٥) سورة يوسف آية : ٩٦.
(٦) سورة يوسف آية : ٩٦.
(٧) سورة يوسف آية : ٩٦.

للبشير: كيف تركت يوسف؟ قال: إنه ملك مصر، فقال يعقوب: ما أصنع بالملك؟ على أي دين تركته؟ قال على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

[٩٧] ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [١]. مذنبين.

[٩٨] ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ﴾ [٢]، قال أكثر المفسرين. أخّر الدعاء إلى السحر وهو الوقت الذي يقول الله تعالى: (هل من داع فأستجيب له) [٣].

وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما: سوف أستغفر لكـم ربي يعني ليلة الجمعة. وعن الشعبي قال: سوف أستغفر لكـم ربي، قال: أسأل يوسف إن عفا عنكـم أستغفر لكم ربي ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٤].

[٩٩] ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ ﴾ [٥]، أي: ضـم إليـه، ﴿ أَبَوَيْهِ ﴾ [٦]، قال أكثر المفسرين: هو أبوه وخالته ليا؟ وكانت أمه راحيل قد ماتت في نفاس بنيامين. وقيل: هو أبوه وأمه وكانت حية ﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [٧]، فإن قيل: فقد قال فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه فكيف قال ادخلوا مصر بعد ما أخبر أنم دخلوها؟ وما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول؟ قيل: إن يوسف إنما قال لهم هذا القول حين تلقاهم

---

(١) سورة يوسف آية : ٩٧.

(٢) سورة يوسف آية : ٩٨.

(٣) يشير إلى الحديث الصحيح في ذلك أخرجه البخاري في التهجد ٣ / ٢٩ ومسلم في صلاة المسافرين رقم (٧٥٨) ١ / ٥٢١.

(٤) سورة يوسف آية : ٩٨.

(٥) سورة يوسف آية : ٩٩.

(٦) سورة يوسف آية : ٩٩.

(٧) سورة يوسف آية : ٩٩.

قبل دخولهم مصر وفي الآية تقديم وتأخير، والاستثناء يرجع إلى الاستغفار وهو من قول يعقوب لبنيه: سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله. وقيل: الاستثناء يرجع إلى الأمن من الجواز لأنم كانوا لا يدخلون مصر قبله إلا بجواز من ملوكهم، يقول: آمنين من الجواز إن شاء الله، كما قال: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[1]، وقيل: (إن) ها هنا بمعنى إذ، يريد إذ شاء الله، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[2]، أي: إذ كنتم مؤمنين.

[١٠٠] ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[3]، أي: على السرير، أجلسهما. والرفع هو النقل إلى العلو.

﴿ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ ﴾[4]، يعني: يعقوب وخالته وإخوانه وكانت تحية الناس يومئذ السجود، ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض، وإنما هو الانحناء والتواضع. وقيل: وضعوا الجباه على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم، لا على طريق العبادة. وكان ذلك جائزًا في الأمم السالفة فنسخ في هذه الشريعة. وروي عن ابن عباس أنه قال: معناه خروا لله ﷻ سجدًا بين يدي يوسف. والأول أصح. ﴿ وَقَالَ ﴾[5]، يوسف عند ذلك: ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ﴾[6]، وهو قوله: ﴿ إِنِّى

(١) سورة الفتح آية : ٢٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٩.
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٠.
(٤) سورة يوسف آية : ١٠٠.
(٥) سورة يوسف آية : ١٠٠.
(٦) سورة يوسف آية : ١٠٠.

﴿ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ۝٤ ﴾[1]. ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ ﴾[2]، ربي، أي: أنعم علي، ﴿ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾[3]، ولم يقل من الجب مع كونه أشد بلاء من السجن استعمالًا للكرم لكيـلا يخجل إخوته بعد ما قال لهم: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾[4]، ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن أعظم، لأنه بعد الخروج من الجب صار إلى العبودية والرق، وبعد الخروج من السجن صار إلى الملك، ولأن وقوعه في البئر كان لحسد إخوته وفي السجـن كان مكافأة مـن الله تعالى لزلة كانت منه. ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾[5]، والبدو بسيط من الأرض يسكنه أهل المواشي بماشيتهم، وكانوا أهل بادية ومواشي، يقال بدا يبدو إذا صار إلى البادية. ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ﴾[6]، أفسـد، ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ ﴾[7]، بالحسد والبغض، ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ ﴾[8]، أي: ذو لطف، ﴿ لِّمَا يَشَآءُ ۚ ﴾[9] وقيل: معناه لمن يشاء. وحقيقة اللطيف الذي يوصـل

(١) سورة يوسف آية : ٤.
(٢) سورة يوسف آية : ١٠٠.
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٠.
(٤) سورة يوسف آية : ٩٢.
(٥) سورة يوسف آية : ١٠٠.
(٦) سورة يوسف آية : ١٠٠.
(٧) سورة يوسف آية : ١٠٠.
(٨) سورة يوسف آية : ١٠٠.
(٩) سورة يوسف آية : ١٠٠.

الإحسان إلى غيره بالرفق ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1]، فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله على أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة فقال:

[١٠١] ﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾[2]، يعني ملك مصر، والملك: اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير. ﴿ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾[3]، يعني: تعبير الرؤيا. ﴿ فَاطِرَ ﴾[4]، أي: يا فاطر، ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[5] أي: خالقهما ﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ ﴾[6]، أي: معيني ومتـولي أمري، ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا ﴾[7]، يقـول اقبضني إليك مسلمًا، ﴿ وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[8]، يريد بآبائي النبيين.

[١٠٢] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[9]، الذي ذكـرت ﴿ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ ﴾[10] أي: ما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب، ﴿

(١) سورة يوسف آية : ١٠٠.
(٢) سورة يوسف آية : ١٠١.
(٣) سورة يوسف آية : ١٠١.
(٤) سورة يوسف آية : ١٠١.
(٥) سورة يوسف آية : ١٠١.
(٦) سورة يوسف آية : ١٠١.
(٧) سورة يوسف آية : ١٠١.
(٨) سورة يوسف آية : ١٠١.
(٩) سورة يوسف آية : ١٠٢.
(١٠) سورة يوسف آية : ١٠٢.

إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ ﴾[1]، أي: عزموا على إلقاء يوسف في الجب، ﴿ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[2].

[١٠٣] ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾[3]، يا محمد، ﴿ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[4]، على إيمانهم. وروي أن اليهود وقريشًا سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا، فحزن النبي ﷺ لذلك، فقيل له: إنهم لا يؤمنون وإن حرصت على إيمانهم.

قوله تعالى وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ....

[١٠٤] ﴿ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ ﴾[5]، أي: على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله تعالى، ﴿ مِنۡ أَجۡرٍۚ ﴾[6]، جعل وجزاء، ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾[7]، ما هو يعني القرآن، ﴿ إِلَّا ذِكۡرٌ ﴾[8]، عظة وتذكير ﴿ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[9].

[١٠٥] ﴿ وَكَأَيِّن ﴾[1]، وكم، ﴿ مِّنۡ ءَايَةٍ ﴾[2]، عبرة ودلالة، ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[3]، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

---

(١) سورة يوسف آية: ١٠٢.
(٢) سورة يوسف آية: ١٠٢.
(٣) سورة يوسف آية: ١٠٣.
(٤) سورة يوسف آية: ١٠٣.
(٥) سورة يوسف آية: ١٠٤.
(٦) سورة يوسف آية: ١٠٤.
(٧) سورة يوسف آية: ١٠٤.
(٨) سورة يوسف آية: ١٠٤.
(٩) سورة يوسف آية: ١٠٤.

[١٠٦] ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٤]، فكان من إيمانهم إذا سئلوا: من خلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: من ينزل القطر؟ قالوا: الله، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون. وعن ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. وقال عطاء: هذا في الدعاء وذلك أن الكفار نسوا ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء، كما قال الله تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ﴾[٥] ﴿ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٦] الآية، وقوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٧]، وغير ذلك من الآيات.

[١٠٧] ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾[٨]، أي: عقوبة مجللة. قال مجاهد: عذاب يغشاهم، نظيره قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾[٩] الآية. قال قتادة: وقيعة. وقال الضحاك: يعني

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٥.
(٢) سورة يوسف آية : ١٠٥.
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٥.
(٤) سورة يوسف آية : ١٠٦.
(٥) سورة يونس آية : ٢٢.
(٦) سورة يونس آية : ٢٢.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٦٥.
(٨) سورة يوسف آية : ١٠٧.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٥٥.

الصواعق والقوارع. ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾[(١)]، فجأة، ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٠٧ ﴾[(٢)]، بقيامها. قال ابن عباس: تيج بالناس وهم في أسواقهم.

[١٠٨] ﴿ قُلْ ﴾[(٣)]، يا محمد، ﴿ هَٰذِهِۦ ﴾[(٤)]، الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، ﴿ سَبِيلِيٓ ﴾[(٥)]، سنتي ومنهاجي. وقال مقاتل: ديني، نظيره قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾[(٦)] أي: إلى دينه. ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾[(٧)]، على يقين. والبصيرة: هي المعرفـة التي يميز بـها بين الحق والباطل، ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[(٨)]، أي: ومن آمن بي وصدقني أيضا يدعو إلى الله. هذا قول الكلبي وابن زيد. قال: حق على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، يذكرون بالقرآن. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾[(٩)] ثم استأنف: ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[(١٠)]، يقول: إني على بصيرة من ربي وكل من اتبعني. قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكـ الإيمان وجند الرحمن. قال عبد الله بن مسعود:

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٧.
(٢) سورة يوسف آية : ١٠٧.
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٨.
(٤) سورة يوسف آية : ١٠٨.
(٥) سورة يوسف آية : ١٠٨.
(٦) سورة النحل آية : ١٢٥.
(٧) سورة يوسف آية : ١٠٨.
(٨) سورة يوسف آية : ١٠٨.
(٩) سورة يوسف آية : ١٠٨.
(١٠) سورة يوسف آية : ١٠٨.

من كان مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، اختارهم الله لصحبة نبيه، لإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنم كانوا على الهدى المستقيم. قوله تعالى: ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾[1]، أي: وقل سبحان الله تـ يها له عما أشركوا به. ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨ ﴾[2].

[١٠٩] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾[3]، يا محمد، ﴿ إِلَّا رِجَالًا ﴾[4]، لا ملائكة، ﴿ نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾[5]، قرأ أبو جعفر وحفص: (نوحي) بالنون وكسر الحاء، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء. ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[6]، يعني: من أهل الأمصار دون أهل البوادي لأن أهل الأمصار أعقل من أهل البوادي لغلظهم وجفائهم. ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[7]، يـعـنـي: هؤلاء المشركين المكذبين، ﴿ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ﴾[8]، آخر أمر، ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[9]، يعني: الأمم المكذبة

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨.
(٢) سورة يوسف آية : ١٠٨.
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٩.
(٤) سورة يوسف آية : ١٠٩.
(٥) سورة يوسف آية : ١٠٩.
(٦) سورة يوسف آية : ١٠٩.
(٧) سورة يوسف آية : ١٠٩.
(٨) سورة يوسف آية : ١٠٩.
(٩) سورة يوسف آية : ١٠٩.

فيعتبروا، ﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ ﴾ [1] يقول جل ذكره: هذا فعلنا بأهل ولايتنا وطاعتنا أن ننجيهم عند نزول العذاب، وما في الدار الآخرة خير لهم، فترك ما ذكرنا اكتفاء بدلالة الكلام عليه. قوله (ولدار الآخرة)، قيل: معناه ولدار الحال الآخرة خير. وقيل: هو إضافة الشيء إلى نفسه، كقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [2]، وكـقولهـم: يـوم الخـميس وربيـع الآخـر ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [3] فتؤمنون.

[١١٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ [4]، اختلف القراء في قوله: (كذبوا) فقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر: (كذبوا) بالتخفيف، وكانت عائشة تنكر هذه القراءة. وقرأ الآخرون بالتشديد، فمن شدده قال: معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي أيقنوا- يعني الرسل- أن الأمم قد كـذبوهم تكذيبا لا يرجى بعد إيمانه، والظن لمعنى اليقين. وهذا معنى قول قتادة. وقال بعضهم: معناه حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومه أن يصدقوهم، وظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم استبطاء النصر. ومن قرأ بالتخفيف قال: معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي: ظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم في وعيد العقاب. وروي عن ابن عباس. أن معناه ضعف قلوبهم. يعني: وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيمـا وعدوا من النصر، وكـانوا بشرا فضعفوا ويئسوا وظنوا أنـهـم قـد أخلفـوا، ثم تلا: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ ﴾ [5] (جاءهم) أي: جاء الرسل نصرنا. ﴿ فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ ﴾ [1]، قرأ العامة

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٩.

(٢) سورة الواقعة آية : ٩٥.

(٣) سورة يوسف آية : ١٠٩.

(٤) سورة يوسف آية : ١١٠.

(٥) سورة البقرة آية : ٢١٤.

بنونين، أي: نحن ننجي من نشاء. وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، لأنا مكتوبة في المصحف بنون واحدة مضمومة، فيكون محل (من) رفعا على هذه القراءة، وعلى القراءة الأولى يكون نصبا، فنجي من نشاء عند نزول العذاب، وهم المؤمنون المطيعون. ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا ﴾[2]، عذابنا، ﴿ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[3]، أي: المشركين.

[١١١] ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ ﴾[4]، أي: في خبر يوسف وإخوته، ﴿ عِبْرَةٌ ﴾[5] عظة، ﴿ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ ﴾[6] يعني: القرآن، ﴿ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾[7]، أي يختلق، ﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى ﴾[8]، أي ولكن كان تصديق الذي، ﴿ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[9]، من التوراة والإنجيل، ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[10]، مما يحتاج العباد إليه من الحلال والحرام والأمر والنهي، ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾[11]، بيانا ونعمة، ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[12].

---

(١) سورة يوسف آية : ١١٠.
(٢) سورة يوسف آية : ١١٠.
(٣) سورة يوسف آية : ١١٠.
(٤) سورة يوسف آية : ١١١.
(٥) سورة يوسف آية : ١١١.
(٦) سورة يوسف آية : ١١١.
(٧) سورة يوسف آية : ١١١.
(٨) سورة يوسف آية : ١١١.
(٩) سورة يوسف آية : ١١١.
(١٠) سورة يوسف آية : ١١١.
(١١) سورة يوسف آية : ١١١.
(١٢) سورة يوسف آية : ١١١.

(١٣) سورة الرعد

قوله تعالى المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ.....

[١] ﴿ الٓمٓر ﴾ [1] قال ابن عباس: معناه أنا الله أعلم وأرى، ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [2]، يعني: تلك الأخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والإنجيل والكتاب المتقدمة، ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [3]، يعني: وهذا القرآن الذي أنزل إليك ﴿ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ [4] أي: هو الحق فاعتصم به، فيكون محل الذي رفعا على الابتداء والحق خبره، وقيل: محله خفض يعني تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل إليك، ثم ابتدأ الحق يعني ذلك الحق وقال ابن عباس: أراد بالكتاب القرآن، ثم قال: وهذا القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ [5]، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة حين قالوا: إن محمدا يتولد من تلقاء نفسه، فرد قولهم ثم بين دلائل ربوبيته، فقال عز من قائل:

[٢] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [6] يعني: السواري واحدها عمود مثل أديم وأدم وعمد أيضا جمعه مثل رسول ورسل، معناه نفي العمد أصلا هو الأصح يعني ليس من دونا دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

(١) سورة الرعد آية : ١.
(٢) سورة الرعد آية : ١.
(٣) سورة الرعد آية : ١.
(٤) سورة الرعد آية : ١.
(٥) سورة الرعد آية : ١.
(٦) سورة الرعد آية : ٢.

﴿ ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾[1]، علا عليه، ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ ﴾[2]، ذللها لمنافع خلقه فهما مقهوران، ﴿ كُلّٞ يَجۡرِي ﴾[3]، أي: يجريان على ما يريد الله ﷻ ﴿ لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾[4]، أي: إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا. وقال ابن عباس. أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما ينتهيان إليها ولا يجاوزانا، ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ ﴾[5]، يقضيه وحده، ﴿ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾[6]، يبين الدلالات، ﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾[7]، لكي توقنوا بوعده وتصدقوه.

[٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[8]، بسطهـا، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[9]، جبالا ثابتة، واحدتا: راسية ﴿ وَأَنۡهَٰرٗاۖ ﴾ [10] أي: وجعل فيها أنارا. ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾[11]، أي: صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضا، ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ ﴾[12]،

---

(١) سورة الرعد آية : ٢.
(٢) سورة الرعد آية : ٢.
(٣) سورة الرعد آية : ٢.
(٤) سورة الرعد آية : ٢.
(٥) سورة الرعد آية : ٢.
(٦) سورة الرعد آية : ٢.
(٧) سورة الرعد آية : ٢.
(٨) سورة الرعد آية : ٣.
(٩) سورة الرعد آية : ٣.
(١٠) سورة الرعد آية : ٣.
(١١) سورة الرعد آية : ٣.
(١٢) سورة الرعد آية : ٣.

أي: يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليـل بضـوء النهـار ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(١)]، فيستدلون، والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء.

[٤] ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾[(٢)]، متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة هذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت، وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع، ﴿ وَجَنَّٰتٌ ﴾[(٣)]، أي: بساتين ﴿ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ ﴾[(٤)] الصنوان جمع صنو وهو النخلات يجمعهن أصل واحد، ﴿ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾[(٥)] هي النخلة المنفردة بأصلها. وقال أهل التفسير: صنوان مجتمع وغير صنوان متفرق نظيره من الكلام قنوان جمع قنو ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾[(٦)] قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ماله يسقي بالياء أي: يسقى ذلك كله بماء واحد وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى: ﴿ وَجَنَّٰتٌ ﴾[(٧)] ولقوله تعالـى مـن بعد ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ﴾[(٨)] ولم يقل بعضه، والماء جسـم رقيـق مائع به حيـاة كـل نـام، ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ ﴾[(٩)]، في الثمر والطعم، قرأ حمزة

(١) سورة الرعد آية : ٣.
(٢) سورة الرعد آية : ٤.
(٣) سورة الرعد آية : ٤.
(٤) سورة الرعد آية : ٤.
(٥) سورة الرعد آية : ٤.
(٦) سورة الرعد آية : ٤.
(٧) سورة الرعد آية : ٤.
(٨) سورة الرعد آية : ٤.
(٩) سورة الرعد آية : ٤.

والكسائي (ويفصل) بالياء، لقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ ﴾ [1]. وقرأ الآخرون بالنون على معنى. ونحن نفضل بعضها على بعض في الأكل، وجاء في الحديث: ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ ﴾ [2]. قال الفارسي: كجيد التمر والدقل والحلو والحامض. قال مجاهد: كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد. قال الحسن: هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم، كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن ﷻ فسطحها فصارت قطعا متجاورة فيـ ل عليها المطر من السماء فتخرج هذه زهرتا وشجرها وثمرها ونباتا وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها، وكل يسقى بماء واحد، كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فيـ ل من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع، وتقسو قلوب فتلهو، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ [3] الـذي ذكـرت ﴿ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤ ﴾ [4].

[5] ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ [5] العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة والخطاب لرسول الله ﷺ ومعناه إنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم بابتداء الخلق فعجب أمرهم، وكان المشركون ينكرون البعث مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله تعالى، وقد تقرر في القلوب أن الإعادة أهون من الابتداء، فهذا موضع العجب، وقيل: معناه وإن تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونا وهم قد رأوا من قدرة الله تعالى ما ضرب لهم به الأمثال

(١) سورة الرعد آية : ٢.
(٢) سورة الرعد آية : ٤.
(٣) سورة الرعد آية : ٤.
(٤) سورة الرعد آية : ٤.
(٥) سورة الرعد آية : ٥.

فعجب قولهم، أي: فتعجب أيضا من قولهم، ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا ﴾[1]، بعد الموت، ﴿ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[2]، أي: نعاد خلقا جديدا كما كنا قبل الموت قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ﴾[3] يوم القيامة ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[4].

[٦] قوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[5]، الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته، والسيئة هاهنا هي العقوبة والحسنة العافية، وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم يقولون: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليـم. ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾[6]، أي: مضت من قبلهم في الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلهـا العقوبـات، والمثلات جمـع المثلـة بفتـح الميم وضم الثاء مثل صدقة وصـدقات. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[7].

(١) سورة الرعد آية : ٥.
(٢) سورة الرعد آية : ٥.
(٣) سورة الرعد آية : ٥.
(٤) سورة الرعد آية : ٥.
(٥) سورة الرعد آية : ٦.
(٦) سورة الرعد آية : ٦.
(٧) سورة الرعد آية : ٦.

[٧] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ﴾[1]، أي: على محمد ﷺ ﴿ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾[2] أي: علامة وحجة على نبوته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ ﴾[3]، مخوف، ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧ ﴾[4]، أي: لكل قوم نبي يدعوهم إلى الله تعالى، وقال الكلبي: داع يدعوهم إلى الحق أو إلى الضلالة. وقال عكرمه: الهادي محمد ﷺ يقول إنما أنت منذر وأنت هاد لكل قوم أي داع، وقال سعيد بن جبير: الهادي هو الله تعالى.

[٨] قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾[5]، من ذكر أو أنثى سوي الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ ﴾[6]، أي: ما تنقص ﴿ وَمَا تَزۡدَادُۖ ﴾[7]، قال أهل التفسير: غيض الأرحام الحيض على الحمل، فإذا حاضت الحامل كان نقصانا في الولد، لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم. وقيل: إذا حاضت ينتقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا فإن رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان في الغذاء والزيادة في المدة. وقال الحسن: غيضها نقصانا من تسعة أشهر والزيادة زيادتا على تسعة أشهر. وقيل: النقصان السقط، والزيادة تمـام الخلـق، وأقل مدة الحمل ستة أشهر، فقد

(١) سورة الرعد آية : ٧.
(٢) سورة الرعد آية : ٧.
(٣) سورة الرعد آية : ٧.
(٤) سورة الرعد آية : ٧.
(٥) سورة الرعد آية : ٨.
(٦) سورة الرعد آية : ٨.
(٧) سورة الرعد آية : ٨.

يولد المولود لهذه المدة ويعيش ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾[1]، أي: بتقدير وحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه.

[٩] ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ﴾[2]، الذي كل شيء دونه ﴿ ٱلْمُتَعَالِ ﴾[3] على كل شيء.

[١٠] قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾[4]، أي: يستوي في علم الله المسر بالقول والجاهر به، ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ ﴾[5]، أي: مستتر بظلمة الليل، ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[6]، أي: ذاهب في سربه ظاهر، والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق، قال القتيبي: سارب بالنهار أي متصرف في حوائجه، قال ابن عباس: هو صاحب ريبة مستخف بالليل فإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه بريء من الإثم، وقيل: مستخف بالليل أي ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا كتمته، وسارب بالنهار أي: متوار داخل في سرب.

[١١] ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾[7]، أي: لله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار صعدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار وإذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل، والتعقيب: العود بعد البدء وإنما ذكر بلفظ التأنيث لأن واحدها معقب، وجمعه معقبة، ثم جمع الجمع معقبات كما قيل أبناوات سعد

---

(١) سورة الرعد آية : ٨.
(٢) سورة الرعد آية : ٩.
(٣) سورة الرعد آية : ٩.
(٤) سورة الرعد آية : ١٠.
(٥) سورة الرعد آية : ١٠.
(٦) سورة الرعد آية : ١٠.
(٧) سورة الرعد آية : ١١.

ورجالات بكر ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾[1]، يعني: من قدام هذا المستخفي بالليـل والسارب بالنهـار، ومـن خلفـه من وراء ظهره، ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾[2]، يعني: بأمر الله، أي: يحفظونه بإذن الله ما لم يجئ القدر، فإذا جاء القدر خلوا عنه. وقيل: يحفظونه من أمر الله أي مما أمر الله به من الحفظ عنه. قال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه يريده إلا قال: وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ ﴾[3]، من العافية والنعمة، ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾[4]، من الحال الجميلة فيعصوا ربهم، ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا ﴾[5]، أي: عذابا وهلاكا ﴿ فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ ﴾[6] أي: لا راد له، ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[7]، أي: ملجأ يلجئون إليه، وقيل: والٍ يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

[١٢] قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾[8]، قيل: خوفا من الصاعقة طمعا في نفع المطر، وقيل: الخوف للمسافر يخاف منه الأذى أو المشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعة، وقيل: الخوف من المطر في غير مكانه وأبانه والطمع إذا كان في مكانه وأبانه ومن البلدان ما إذا مطروا قحطوا وإذ لم يمطروا أخصبوا. ﴿ وَيُنشِئُ

(١) سورة الرعد آية : ١١.
(٢) سورة الرعد آية : ١١.
(٣) سورة الرعد آية : ١١.
(٤) سورة الرعد آية : ١١.
(٥) سورة الرعد آية : ١١.
(٦) سورة الرعد آية : ١١.
(٧) سورة الرعد آية : ١١.
(٨) سورة الرعد آية : ١٢.

﴿ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾[1]، بالمطر. يقال: أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبداها فبدت، والسحب جمع واحدتا سحابة.

[١٣] ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾[2]، قـال ابن عباس: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلى ديته، وعن عبد الله بن الزبير: أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾[3]، أي: تسبح الملائكة من خيفة الله ﷻ وخشيته ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾[4]، جمع صاعقـة وهـي العـذاب المهلك ي ل مـن البرق فيحرق من يصيبه، ﴿ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ ﴾[5]، يخاصمون، ﴿ فِى ٱللَّهِ ﴾[6] نزلت في شأن أربد بن ربيعة حيث قال للنبي ﷺ مم ربك آمن دُرّ أم من يا قوت أم من ذهب؟ ف لت صاعقة من السمـاء فأحرقتـه ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾[7]، قال علي رضي الله عنه شديد الأخذ. وقال ابن عباس: شديد الحول، وقال مجاهد: شديد القوة. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة. وقيل: شديد المكر. والمحال والمماحلة المماكرة والمغالبة.

---

(١) سورة الرعد آية : ١٢.
(٢) سورة الرعد آية : ١٣.
(٣) سورة الرعد آية : ١٣.
(٤) سورة الرعد آية : ١٣.
(٥) سورة الرعد آية : ١٣.
(٦) سورة الرعد آية : ١٣.
(٧) سورة الرعد آية : ١٣.

قوله تعالى لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ....

[١٤] ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ ﴾ (١)، أي: لله دعوة الصدق. قال علي ﷺ دعوة الحق التوحيد. وقال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: الدعاء بالإخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله عز وجل. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ (٢)، أي: يعبدون الأصنام من دون الله تعالى. ﴿ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾ (٣)، أي: لا يجيبونم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضر. ﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ ﴾ (٤)، أي: إلا كباسط كفيه ليقبض على الماء والقابض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء، كذلك الذين يدعون الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شيء. وقيل: معناه كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر إلى الماء ولا يرتفع إليه الماء فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له، ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم نداؤها ودعاؤها، وهي لا تقدر على شيء، وعن ابن عباس: كالعطشان إذا بسط كفيه إلى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطا كفيه، مثل ضربه الله لخيبة الكفار. ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (٥)، أصنامهم، ﴿ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ ﴾ (٦)، يضل عنهم إذا احتاجوا إليه كما قال: ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا

---

(١) سورة الرعد آية : ١٤.
(٢) سورة الرعد آية : ١٤.
(٣) سورة الرعد آية : ١٤.
(٤) سورة الرعد آية : ١٤.
(٥) سورة الرعد آية : ١٤.
(٦) سورة الرعد آية : ١٤.

كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ ﴾[2] وقال الضحاك عن ابن عباس: وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى.

[١٥] ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا ﴾[3]، يعني: الملائكة والمؤمنين، ﴿ وَكَرۡهًا ﴾[4]، يعني: المنافقين والكافرين الذين أكرهوا على السجود بالسيف. ﴿ وَظِلَٰلُهُم ﴾[5] يعني: ظلال الساجدين طوعا وكرها تسجد لله ﷻ طوعا. قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع، وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره. ﴿ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[6]، يعني إذا سجد بالغدو والعشي يسجد معه ظله، والآصال: جمع الأصل والأصل جمع الأصيل وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس. وقيل: ظلالهم أي: أشخاصهم بالغدو والآصال بالبكر والعشايا. وقيل: سجود الظل تذليله لما أريد له.

[١٦] قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[7]، أي: خالقهما ومدبرهما فسيقولون الله، إنم يقرون بأن الله خالقهم وخالق السماوات والأرض إذا أجابوك، فقل أنت أيضا يا محمد: الله. وروي أنه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا: أجب أنت، فأمره الله ﷻ فقال: ﴿ قُلِ ﴾[8]،

---

(١) سورة الأنعام آية : ٢٤.
(٢) سورة فصلت آية : ٤٨.
(٣) سورة الرعد آية : ١٥.
(٤) سورة الرعد آية : ١٥.
(٥) سورة الرعد آية : ١٥.
(٦) سورة الرعد آية : ١٥.
(٧) سورة الرعد آية : ١٦.
(٨) سورة الرعد آية : ١٦.

أنت يا محمد، ﴿ ٱللَّهُۚ ﴾[1]، ثم قال الله لهم إلزاما للحجة: ﴿ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾[2]، معناه: إنكم مع إقراركم بأن الله خالق السماوات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فعبدتموها من دون الله، يعني: الأصنام، وهم ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ ﴾[3] فكيف يملكون لكم؟ ثم ضرب لهم مثلا فقال: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾[4]، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن، ﴿ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ ﴾[5] أي: كما لا يستوي الظلمات والنور لا يستوي الكفر والإيمان. ﴿ أَمۡ جَعَلُواْ ﴾[6]، أي: جعلوا، ﴿ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾[7]، أي: اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله تعالى فلا يدرون ما خلق الله وما خلق آلهتهم ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦ ﴾[8].

ثم ضرب الله تعالى مثلين للحق والباطل.

---

(١) سورة الرعد آية : ١٦.
(٢) سورة الرعد آية : ١٦.
(٣) سورة الرعد آية : ١٦.
(٤) سورة الرعد آية : ١٦.
(٥) سورة الرعد آية : ١٦.
(٦) سورة الرعد آية : ١٦.
(٧) سورة الرعد آية : ١٦.
(٨) سورة الرعد آية : ١٦.

[١٧] فقال ﷻ ﴿ أَنزَلَ ﴾ [١] يعني الله ﷻ ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ [٢]، يعني المطر، ﴿ فَسَالَتْ ﴾ [٣]، من ذلك الماء ﴿ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [٤]، أي: في الصغر والكبر، ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ ﴾ [٥]، الذي حدث من ذلك الماء، ﴿ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ ﴾ [٦]، الزبد الخبث الذي يظهر على وجه الماء، رابيا أي عاليا مرتفعا فوق الماء الصافي الباقي هو الحق. والذاهب الزائل الذي يتعلق بالأشجار وجوانب الأودية هو الباطل. وقيل: قوله أنزل من السماء ماء هذا مثل للقرآن والأودية مثل للقلوب يريد ينـزل القرآن، فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهـل، فهذا أحد المثلين والمثل الآخر قوله ﷻ ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [٧]، قـرأ حـمزة والكسائي وحفص ﴿ يُوقِدُونَ ﴾ [٨] بالياء لقوله تعالى: ﴿ مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [٩]، ولا مخاطبة ها هنا، قرأ الآخرون بالتاء وما توقدون، أي: ومن الذي توقدون عليه النار، والإيقاد جعل النار تحت الشيء ليذوب، ﴿ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ ﴾ [١٠]، أي: لطلب زينة، وأراد الذهب والفضة لأن الحلية تطلب منهما، ﴿ أَوْ مَتَٰعٍ ﴾ [١١] أي: طلب متاع وهو

---

(١) سورة الرعد آية : ١٧.
(٢) سورة الرعد آية : ١٧.
(٣) سورة الرعد آية : ١٧.
(٤) سورة الرعد آية : ١٧.
(٥) سورة الرعد آية : ١٧.
(٦) سورة الرعد آية : ١٧.
(٧) سورة الرعد آية : ١٧.
(٨) سورة الرعد آية : ١٧.
(٩) سورة الرعد آية : ١٧.
(١٠) سورة الرعد آية : ١٧.
(١١) سورة الرعد آية : ١٧.

ما ينتفع به، وذلك مثل الحديد والنحاس والرصاص، والصفر تذاب فيتخذ منها الأواني وغيرها مما ينتفع بها، ﴿ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ ﴾ [1] أي: إذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء، فالباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الحق، والزبد الذي لا ينتفع به مثـل الباطـل، ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ ﴾ [2]، الذي علا السيل ﴿ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ ﴾ [3] أي: ضائعا باطلا، والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد والقذر إلى جنباته، يقال: جفا الوادي وأجفأ إذا ألقى غثاءه، وأجفأت القدر وجفأت إذا غلت وألقت زبدها، فإذا سكنت لم يبق فيها شيء معناه: إن الباطل وإن علا في وقت فإنه يضمحل. وقيل: جفاء أي: متفرقا. يقال: جفأت الريح الغيم إذا فرقته وذهبت به، ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [4]، يعني: الماء والذهب والفضة والصفر والنحاس، ﴿ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [5]، أي: يبقى ولا يذهب، ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [6]، جعل الله هذا مثالا للحق والباطل، يعني أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع والحق كالماء يبقى في القلوب. وقيل: هذا تسلية للمؤمنين، يعني: أن أمر المشركين كالزبد يرى في الصورة شيئا وليس له حقيقة، وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له البقاء والثبات.

---

(١) سورة الرعد آية : ١٧.

(٢) سورة الرعد آية : ١٧.

(٣) سورة الرعد آية : ١٧.

(٤) سورة الرعد آية : ١٧.

(٥) سورة الرعد آية : ١٧.

(٦) سورة الرعد آية : ١٧.

[١٨] قوله تعالـى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ ﴾ [(١)] أجابوا، ﴿ لِرَبِّهِمُ ﴾ [(٢)]، فأطاعوه، ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [(٣)] الجنة، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ﴾ [(٤)]، أي: لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداء من النار، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [(٥)] قال إبراهيم النخعي: سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء، ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ ﴾ [(٦)] في الآخرة ﴿ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ [(٧)]، الفراش، أي: بئس ما مهد لهم.

قوله تعالى أَفَمَنْ يَعْلَمُ أنمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبكَ الْحَق كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنمَا يَتَذَكرُ أُولُو الْأَلْبَابِ....

[١٩] قوله تعالى. ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ [(٨)]، فيؤمن به ويعمل بما فيه، ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ [(٩)]، عنه لا يعلمه ولا يعمل به، قيل: نزلت في حمزة وأبي جهل، وقيل: في عمار وأبي جهل، فالأول حمزة أو عمار والثاني أبو جهل، وهو

---

(١) سورة الرعد آية : ١٨.
(٢) سورة الرعد آية : ١٨.
(٣) سورة الرعد آية : ١٨.
(٤) سورة الرعد آية : ١٨.
(٥) سورة الرعد آية : ١٨.
(٦) سورة الرعد آية : ١٨.
(٧) سورة الرعد آية : ١٨.
(٨) سورة الرعد آية : ١٩.
(٩) سورة الرعد آية : ١٩.

الأعمى، أي: لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه. ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ [(١)] يتعظ، ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [(٢)] ذوو العقول.

[٢٠] ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ [(٣)] بما أمرهم الله تعالى به وفرضه عليهم فلا يخالفونه. ﴿ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [(٤)]، وقيل: أراد العهد الذي أخذه على ذرية آدم عليه السلام حين أخرجهم من صلبه.

[٢١] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ [(٥)]، قيل: أراد به الإيمان بجميـع الكتب والرسل ولا يفرقون بينهما، والأكثرون على أنه أراد به صلة الرحم ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [(٦)].

[٢٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ [(٧)]، على طاعة الله، وقال ابن عباس: على أمر الله ﷿ وقال عطاء: على المصائب والنوائب. وقيل: عن الشهوات. وقيل: عن المعاصي. ﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [(٨)]، طلب تعظيمـه أن يخالفوه، ﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [(٩)]، يعني يؤدون الزكاة، ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [(١٠)]، روي

(١) سورة الرعد آية : ١٩.
(٢) سورة الرعد آية : ١٩.
(٣) سورة الرعد آية : ٢٠.
(٤) سورة الرعد آية : ٢٠.
(٥) سورة الرعد آية : ٢١.
(٦) سورة الرعد آية : ٢١.
(٧) سورة الرعد آية : ٢٢.
(٨) سورة الرعد آية : ٢٢.
(٩) سورة الرعد آية : ٢٢.
(١٠) سورة الرعد آية : ٢٢.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يدفعون بالصالح من العمل السيئ من العمل، وهو معنى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾[1]، وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: « إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها، السر بالسر والعلانية بالعلانية »[2].

وقال ابن كيسان: معنى الآية يدفعون الذنب بالتوبة. وقيل: لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير.

وقال القتيبي: معناه إذا سفه عليهم حلموا، فالسفه: السيئة، والحلم: الحسنة. وقال قتادة: ردوا عليهم معروفا نظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[3]، وقال الحسن: إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾[4]، يعني الجنة، أي: عاقبتهم دار الثواب. ثم بين ذلك فقال:

[٢٣] ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ ﴾[5]، بساتين إقامة، ﴿ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[6]، قيل: من أبواب الجنة. وقيل: من أبواب القصور.

---

(١) سورة هود آية : ١١٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ١٦٩ بلفظ: "إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها" وأشار الحافظ السيوطي في جامعه الصغير إلى تصحيح هذه الرواية، وذكر أخرى بلفظ: "إذا عملت سيئة فأحدث عندها توبة: السر بالسر، والعلانية بالعلانية" رواها الإمام أحمد عن عطاء مرسلا.

(٣) سورة الفرقان آية : ٦٣.

(٤) سورة الرعد آية : ٢٢.

(٥) سورة الرعد آية : ٢٣.

(٦) سورة الرعد آية : ٢٣.

[٢٤] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾[1]، أي: يقولون سلام عليكم. وقيل: يقولون سلمكم الله من الآفات التي تخافون منها. قال مقاتل: يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف من الله ﷻ يقولون سلام عليكم ﴿ بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[2].

[٢٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾[3]، هذا في الكفـار. ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾[4]، أي: يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض. وقيل: يقطعون الرحم، ﴿ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[5]، أي: يعملون بالمعاصي، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[6]، يعني: النار، وقيل: سوء المنقلب لأن منقلب الناس دورهم.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾[7]، أي: يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[8]، يعني: مشركي مكة أشروا وبطروا، والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى، ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا

---

(١) سورة الرعد آية : ٢٤.
(٢) سورة الرعد آية : ٢٤.
(٣) سورة الرعد آية : ٢٥.
(٤) سورة الرعد آية : ٢٥.
(٥) سورة الرعد آية : ٢٥.
(٦) سورة الرعد آية : ٢٥.
(٧) سورة الرعد آية : ٢٦.
(٨) سورة الرعد آية : ٢٦.

﴿ مَتَٰعٌ ﴾[1] أي: قليل ذاهب. قال الكلبي: كمثل القصعة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب.

[٢٧] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[2]، من أهل مكة ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾[3] أي: يهدي إليه من يشاء بالإنابة. وقيل: يرشد إلى دينه من يرجع إليه بقلبه.

[٢٨] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[4]، في محل النصب بدل من قوله: ﴿ مَنۡ أَنَابَ ﴾[5]، ﴿ وَتَطۡمَئِنُّ ﴾[6]، تسكن، ﴿ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾[7] قال مقاتل: بالقرآن، والسكون يكون باليقين، والاضطراب يكون بالشك، ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[8]، تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين، قال ابن عباس: هذا في الحلف، يقول: إذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين إليه، فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾[9]، فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟ قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة عند

---

(١) سورة الرعد آية : ٢٦.
(٢) سورة الرعد آية : ٢٧.
(٣) سورة الرعد آية : ٢٧.
(٤) سورة الرعد آية : ٢٨.
(٥) سورة الرعد آية : ٢٧.
(٦) سورة الرعد آية : ٢٨.
(٧) سورة الرعد آية : ٢٨.
(٨) سورة الرعد آية : ٢٨.
(٩) سورة الأنفال آية : ٢.

ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت وعيد الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه.

قوله تعالى الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ....

[٢٩] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [١]، ابتداء، وقوله: ﴿ طُوبَىٰ لَهُمۡ ﴾ [٢] خبره، واختلفوا في تفسير ﴿ طُوبَىٰ ﴾ [٣] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: فرح لهم وقرة عين. وقال عكرمة: نعم مالهم. وقال قتادة: حسنى لهم. وقال معمر، عن قتادة: هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيرا. وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة. قال الفراء: أصله من الطيب والواو فيه لضمة الطاء وفيه لغتان، تقول العرب: طوباك وطوبى لك أي لهم الطيب. ﴿ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [٤] أي: حسن المنقلب. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: طوبى اسم الجنة بالحبشية. وقال الربيع: هو البستان بلغة الهند. وروي عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء قال: طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها [٥].

[٣٠] قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ ﴾ [٦] أي: كما أرسلنا الأنبياء إلى الأمم أرسلناك إلى هذه الأمة، ﴿ قَدۡ خَلَتۡ ﴾ [٧]، مضت، ﴿ مِن قَبۡلِهَآ

---

(١) سورة الرعد آية : ٢٩.
(٢) سورة الرعد آية : ٢٩.
(٣) سورة الرعد آية : ٢٩.
(٤) سورة الرعد آية : ٢٩.
(٥) انظر صحيح البخاري (٦٥٥٢، ٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٦-٢٨٢٨) كتاب صفة الجنة.
(٦) سورة الرعد آية : ٣٠.
(٧) سورة الرعد آية : ٣٠.

أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ ﴾[1]، لتقرأ، ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾[2]، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء إلى النبي ﷺ واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي: ﴿ اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ﴾[3]، قالوا: لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم، فهذا معنى قوله: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾[4]، والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها: أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو: يا الله يا رحمن، فرجع إلى المشركين فقال: إن محمدا يدعو إليهن يدعو الله ويدعو إلها آخر يسمى الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[5]، وروى الضحاك عن ابن عباس: أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا لله للرحمن قالوا وما الرحمن؟ قال الله تعالى. ﴿ قُلْ ﴾[6]، لهم يا محمد إن

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٠.

(٢) سورة الرعد آية : ٣٠.

(٣) مسلم الجهاد والسير (١٧٨٤)، أحمد (٢٦٨/٣).

(٤) سورة الرعد آية : ٣٠.

(٥) سورة الإسراء آية : ١١٠.

(٦) سورة إبراهيم آية : ٣٠.

الرحمن الذي أنكرتم معرفته ﴿ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [1]، اعتمدت ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [2] أي: توبتي ومرجعي.

[٣١] قـولـه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ [3] فأذهبت عن وجه الأرض، ﴿ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [4] أي: شققت فجـعلت أنارا وعيونا ﴿ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ ﴾ [5]، أي: في هذه الأشياء إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [6]، قال أكثر المفسرين: معناه أفلم يعلم. قال الكلبي: هي لغة النخع. وقيل: هي لغة هوازن، يدل عليه قراءة ابن عباس: (أفلم يتبين الذين آمنوا)، وأنكر الفراء أن يكون ذلك بمعنى العلم وزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول: يئست بمعنى علمت، ولكن معنى العلم فيه مضمر، وذلـك أن أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا من المشركين طمعـوا في أن يفعـل الله مـا سألوا فيؤمنوا فـ ل: ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [7] يعني: الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء أي لم ييأسوا علما وكل من علم شيئا يئس من خلافه، يقول: ألم ييئسهم العلم، ﴿ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ ﴾ [8]

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٠.

(٢) سورة الرعد آية : ٣٠.

(٣) سورة الرعد آية : ٣١.

(٤) سورة الرعد آية : ٣١.

(٥) سورة الرعد آية : ٣١.

(٦) سورة الرعد آية : ٣١.

(٧) سورة الرعد آية : ٣١.

(٨) سورة الرعد آية : ٣١.

من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿ قَارِعَةٌ ﴾ [١] أي: نازلة وداهية تقرعهم من أنواع البلاء أحيانا بالجدب وأحيانا بالسلب وأحيانا بالقتل والأسر ﴿ أَوْ تَحُلُّ ﴾ [٢]، يعني: القارعة، ﴿ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ [٣]، وقيل: أو تحل أي تـ ل أنت يا محمد بنفسك قريبا من ديارهم، ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [٤]، قيل: يوم القيامة. وقيل: الفتح والنصر وظهور رسول الله ﷺ ودينه. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [٥]، وكان الكفار يسألون هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله تسلية لنبيه ﷺ

[٣٢] ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [٦]، كـمـا استهـزءوا بك، ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [٧]، أمهلتهم وأطلت لهم المدة ومنه الملوان وهما الليل والنهار، ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ ﴾ [٨] عاقبتهم في الدنيا بالقتـل وفي الآخـرة بالنـار، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [٩]، أي: عقابي لهم.

[٣٣] ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ ﴾ [١٠] أي: حافظها ورازقها وعالم با ومجازيها بما عملت، وجوابه محذوف تقديره: كمن ليس بقائم بل عاجز عن

---

(١) سورة الرعد آية : ٣١.
(٢) سورة الرعد آية : ٣١.
(٣) سورة الرعد آية : ٣١.
(٤) سورة الرعد آية : ٣١.
(٥) سورة الرعد آية : ٣١.
(٦) سورة الرعد آية : ٣٢.
(٧) سورة الرعد آية : ٣٢.
(٨) سورة الرعد آية : ٣٢.
(٩) سورة الرعد آية : ٣٢.
(١٠) سورة الرعد آية : ٣٣.

نفسه، ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ ﴾ [1] بينوا أسماءهم وقيل صفوهم ثم انظروا هل هي أهل لأن تعبد ﴿ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ ﴾ [2] أي: تخبرون الله ﴿ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [3] فإنه لا يعلم لنفسه شريكا ولا في الأرض إلها غيره ﴿ أَم بِظَٰهِرٖ ﴾ [4] يعني: أم تتعلقون بظاهر، ﴿ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ ﴾ [5]، مسموع وهو في الحقيقة باطل لا أصل له. وقيل: بزائل من القول ﴿ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ ﴾ [6]. كيدهـم. وقال مجاهد: شركهم وكذبهم على الله، ﴿ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ ﴾ [7] أي: صرفوا عن الدين ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ ﴾ [8]. بخذلانه إياه، ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣ ﴾ [9].

[٣٤] ﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [10]، بالقتل والأسر، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ ﴾ [11]، أشد ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤ ﴾ [12] مانع يمنعهم من العذاب.

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٢) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٣) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٤) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٥) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٦) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٧) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٨) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٩) سورة الرعد آية : ٣٣.
(١٠) سورة الرعد آية : ٣٤.
(١١) سورة الرعد آية : ٣٤.
(١٢) سورة الرعد آية : ٣٤.

قوله تعالى مَثَلُ الْجَنةِ الِتي وُعِدَ الْمُتقُونَ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُهَا.....

[٣٥] قوله ﷻ: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ ﴾ (١) صفة الجنة، كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ﴾ (٢) أي: الصفـة العليـا، ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾ (٣) أي: صفة الجنة التي وعد المتقون أن الأنار تجري من تحتها. وقيل: مثل صلـة مجازها الجنـة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنار. ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٞ ﴾ (٤) أي: لا ينقطع ثمرها ونعيمها، ﴿ وَظِلُّهَاۚ ﴾ (٥) أي: ظلها ظليل لا يزول وهو رد على الجهمية حيث قالوا إن نعيم الجنة يفنى. ﴿ تِلۡكَ عُقۡبَى ﴾ (٦) أي عاقبة ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ ﴾ (٧) يعني الجنة، ﴿ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥ ﴾ (٨).

[٣٦] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (٩) يعني: القرآن وهم أصحاب محمد ﷺ ﴿ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ ﴾ (١٠) من القرآن، ﴿ وَمِنَ

(١) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٢) سورة النحل آية : ٦٠.
(٣) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٤) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٥) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٦) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٧) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٨) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٩) سورة الرعد آية : ٣٦.
(١٠) سورة الرعد آية : ٣٦.

﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾ [1] يعني: الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وهم اليهود والنصارى، ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [2]، هذا قول مجاهد وقتادة. وقال الآخرون: كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكره في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما كرر الله ذكره في القرآن فرحوا به فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ﴾ [3] يعني: مشركي مكة حين كتب رسول الله ﷺ في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله ﷻ ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [4]، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ [5]، وإنما قال: ﴿بَعْضَهُۥ ۚ﴾ [6] لأنهم كانوا لا ينكرون ذكر الله وينكرون ذكر الرحمن. ﴿قُلْ﴾ [7]، يا محمد، ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [8] أي: مرجعي.

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٦.

(٢) سورة الرعد آية : ٣٦.

(٣) سورة الرعد آية : ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء آية : ٣٦.

(٥) سورة الرعد آية : ٣٠.

(٦) سورة الرعد آية : ٣٦.

(٧) سورة الرعد آية : ٣٦.

(٨) سورة الرعد آية : ٣٦.

[٣٧] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ ﴾[١]، يقول: كما أنزلنا إليك الكتاب يا محمد فأنكره الأحزاب كذلك أنزلنا إليك الحكـم والدين عربيا، نسب إلى العرب لأنه نزل بلغتهم فكذب به الأحزاب. وقيل: نظم الآية كما أنزل الكتب على الرسل بلغاتم فكذلك أنزلنا عليك الكتاب حكما عربيا. ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾[٢]. وقيل: في القبلة، ﴿ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[٣] يعني: من ناصر ولا حافظ.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾[٤]، روي أن اليهود، وقيل: إن المشركين قالوا: إن هذا الرجل ليست له همة إلا في النساء فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةًۚ ﴾[٥]، وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[٦]، يقول: لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فيه. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره أي: لكل كتاب أجل ومدة أي: الكتب الم لة لكل واحد منها وقت ي ل فيه.

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٧.
(٢) سورة الرعد آية : ٣٧.
(٣) سورة الرعد آية : ٣٧.
(٤) سورة الرعد آية : ٣٨.
(٥) سورة الرعد آية : ٣٨.
(٦) سورة الرعد آية : ٣٨.

[٣٩] ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ ﴾ [١]، قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم ويعقوب ﴿ وَيُثۡبِتُۖ ﴾ [٢] بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد. واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبير وقتادة: يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه. وقال ابن عباس: يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة وقيل: معنى الآية إن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قوله: أكلت، شربت، دخلت، خرجت، ونحوها من كلام هو صادق فيه، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، هذا قول الضحاك والكلبي. وقال الكلبي: يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، وقال عطية عن ابن عباس: هو الرجل يعمل بطاعة الله ﷻ ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو، والذي يثبت الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو في طاعة الله ﷻ فهـو الذي يثبت. وقال الحسن: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [٣] أي من جاء أجله يذهـب بـه ويثبت من لم يجئ أجلـه إلى يوم أجله. وعن سعيد ابن جبير قال: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [٤] من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها. وقال عكرمة: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [٥] من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات، كما قال الله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ ﴾ [٦].

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٢) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٣) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٤) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٥) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٦) سورة الفرقان آية : ٧٠.

وقال السدي: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [1] يعني القمر ﴿ وَيُثۡبِتُۖ ﴾ [2] يعني الشمس بيانه قوله تعالى: ﴿ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً ﴾ [3] وقال الربيع: هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه فأمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه، بيانه قوله ﷻ ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾ [4] الآية. ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [5]، أي: أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير. وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هما كتابان: كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وأم الكتاب الذي لا يغير منه شيء. وعن عطاء عن ابن عباس قال: إن لله تعالى لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من يا قوت لله في كل يوم فيه ثلاثمائة وستون لحظة ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [6]. وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون.

[٤٠] ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ ﴾ [7]، من العذاب قبل وفاتك، ﴿ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [8]، قبل ذلك، ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ [1]، ليس عليك إلا ذلك، ﴿ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [2]، الجزاء يوم القيامة.

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٢) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٣) سورة الإسراء آية : ١٢.
(٤) سورة الزمر آية : ٤٢.
(٥) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٦) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٧) سورة يونس آية : ٤٦.
(٨) سورة الرعد آية : ٤٠.

[٤١] قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ [٣] يعني: أهل مكة الذين يسألون محمدا ﷺ الآيات، ﴿ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [٤]، أكثر المفسرين على أن المراد منه فتح ديار الشرك، فإن ما زاد في ديار الإسلام فقد نقصر مع ديار الشرك، يقول: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [٥] فنفتحها لمحمد أرضا بعد أرض حوالي أرضهم، أفلا يعتبرون؟ هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة. وقال قوم: هو خراب الأرض معناه أو لم يروا أنا نأتي الأرض فنخربا ونلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بم ذلك؟ وقال مجاهد: هو خراب الأرض وقبض أهلها. وعن عكرمة قال: قبض الناس. وعن الشعبي مثله. وقال عطاء وجماعة: نقصانا موت العلماء، وذهاب الفقهاء قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ﴾ [٦] [٧].

﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ [٨]، لاراد لقضائه ولا ناقض لحكمه، ﴿ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [٩].

---

(١) سورة الرعد آية : ٤٠.
(٢) سورة الرعد آية : ٤٠.
(٣) سورة الرعد آية : ٤١.
(٤) سورة الرعد آية : ٤١.
(٥) سورة الرعد آية : ٤١.
(٦) البخاري العلم (١٠٠)، مسلم العلم (٢٦٧٣)، الترمذي العلم (٢٦٥٢)، ابن ماجه المقدمة (٥٢)، أحمد (١٦٢/٢)، الدارمي المقدمة (٢٣٩).
(٧) أخرجه البخاري في العلم ١ / ١٩٤ ومسلم في العلم رقم (٢٦٧٣) ٤ / ٢٠٥٨.
(٨) سورة الرعد آية : ٤١.
(٩) سورة الرعد آية : ٤١.

[٤٢] ﴿ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [١]، يعني: من قبل مشركي مكة، والمكر: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر، ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ ﴾ [٢]، أي: عند الله جزاء مكرهم. وقيل: إن الله خالق مكرهم جميعا بيده الخير والشر وإليه النفع والضر، فلا يضر أحد أحدا إلا بإذنه، ﴿ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٤٢ ﴾ [٣] أي: عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣ ﴾ [٤].

[٤٣] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ [٥]، إني رسول إليكم ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣ ﴾ [٦]، يريد مؤمني أهل الكتاب يشهدون أيضا على ذلك. قال قتادة: هو عبد الله بن سلام. وأنكر الشعبي هذا وقال: السورة مكية، وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة، وقال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣ ﴾ [٧] أهو عبد الله بن سلام؟ فقال: وكيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية؟ وقال الحسن ومجاهد: ومن عنده علم الكتاب هو الله ﷻ يدل عليه قراءة عبد الله بن عباس، وَمِنْ

---

(١) سورة الرعد آية : ٤٢.
(٢) سورة الرعد آية : ٤٢.
(٣) سورة الرعد آية : ٤٢.
(٤) سورة الرعد آية : ٤٣.
(٥) سورة الرعد آية : ٤٣.
(٦) سورة الرعد آية : ٤٣.
(٧) سورة الرعد آية : ٤٣.

عِنْدِهُ بكسر الميم والدال أي: من عند الله عز وجل. وقرأ الحسن وسعيد بن جبير وَمَنْ عِنْدَهُ بكسر الميم والدال عُلِـم الكتـاب على الفعل المجهول، دليل هذه القراءة: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[1] وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[2].

(١) سورة الكهف آية : ٦٥.

(٢) سورة الرحمن آية :١ - ٢.

(١٤) سورة إبراهيم

قوله تعالى الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ.....

[١] ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ ﴾ [(١)] أي: هذا كتاب ﴿ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ ﴾ [(٢)]، يا محمد يعني القرآن، ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [(٣)] أي: لتدعوهم من ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان، ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [(٤)]، بأمر ربهم. وقيل: بعلم ربهم، ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ﴾ [(٥)] أي: إلى دينه والعزيز هو الغالب والحميد المستحق بالحمد.

[٢] ﴿ ٱللَّهِ ﴾ [(٦)] قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر الله بالرفع على الاستئناف وخبره فيما بعده، وقرأ الآخرون بالخفض نعتا للعزيز الحميد، وكان يعقوب إذا وصل خفض وقال أبو عمرو: الخفض على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد، ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ﴾ [(٧)].

[٣] ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ﴾ [(٨)]، يختارون، ﴿ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [(٩)]، أي: يمنعون الناس عن قبول دين الله، ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ ﴾ [(١)]،

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١.
(٢) سورة إبراهيم آية : ١.
(٣) سورة إبراهيم آية : ١.
(٤) سورة إبراهيم آية : ١.
(٥) سورة إبراهيم آية : ١.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٢.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٢.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٣.
(٩) سورة إبراهيم آية : ٣.

يطلبونا زيغا وميلا يريد يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد. وقيل: الهاء راجعة إلى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق، أي بجهة الحرام. ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣ ﴾ (٢).

[٤] قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ ﴾ (٣)، بلغتهم ليفهموا عنه فإن قيل: كيف هذا وقد بعث النبي ﷺ إلى كافة الخلق؟ قيل: بعث من العرب بلسانهم والناس تبع لهم ثم بث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله ﷻ ويترجمون لهم بألسنتهم، ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤ ﴾ (٤).

[٥] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (٥) أي: من الكفر إلى الإيمان بالدعوة، ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٦)، قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة: بنعم الله. وقال مقاتل: بوقائع الله في الأمم السالفة. يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم، وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والمحنة فاجتزأ بذكر الأيام عنها لأنها كانت معلومة عندهم، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥ ﴾ (٧)، الصبار: الكثير الصبر، والشكور: الكثير الشكر، وأراد لكل مؤمن لأن الصبر والشكر من خصال المؤمنين.

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٣.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٣.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٤.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٤.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٥.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٥.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٥.

قوله تعالى وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ.....

[٦] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ (١)، قال الفراء: العلة الجالبة لهذه الواو أن الله تعالى أخبرهم أن آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع العذاب غير التذبيح، وبالتذبيح وحيث طرح الواو في يذبحون ويقتلون أراد تفسير العذاب الذي كانوا يسومونهم، ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ (٢)، يتركوهن أحياء ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦ ﴾ (٣).

[٧] ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ (٤)، أي: أعلم، يقال: أذن وتأذن بمعنى واحد، مثل أوعد وتوعد، ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾ (٥) نعمتي فآمنتم وأطعتم ﴿ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٦) في النعمة. وقيل: الشكر قيد الموجود وصيد المفقود. وقيل: لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الثواب.

﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ (٧)، نعمتي فجحدتموها ولم تشكروها، ﴿ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ (٨).

(١) سورة إبراهيم آية : ٦.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٦.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٦.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٧.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٧.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٧.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٧.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٧.

[8] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨ ﴾ [1] أي: غني عن خلقه حميد محمود في أفعاله لأنه فيها متفضل وعادل.

[9] ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ ﴾ [2]، خبر الذين ﴿ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [3]، يعني: من كان بعد قوم نوح وعاد وثمود ﴿ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ [4] بالدلالات الواضحات، ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ [5]، قال ابن مسعود: عضوا على أيديهم غيظا كما قال: عضوا عليكـم الأنامل من الغيظ. قال ابن عباس: لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم. قال مجاهد وقتادة: كذبوا الرسل وردوا ما جاءوا به، يقال: رددت قول فلان في فيه أي كذبته. وقال الكلبي: يعني أن الأمم ردوا أيديهم في أفواههم أي في أفواه أنفسهم أي وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا. وقال مقاتل: فردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك. وقيل: إن الأيدي بمعنى النعم معناه. ردوا ما لو قبلوا كانت أيادي ونعما في أفواههم أي: بأفواههم يعني: بألسنتهم. ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ۝٩ ﴾ [6]، موجب للريبة موقع للتهمة.

---

(1) سورة إبراهيم آية : 8.
(2) سورة إبراهيم آية : 9.
(3) سورة إبراهيم آية : 9.
(4) سورة إبراهيم آية : 9.
(5) سورة إبراهيم آية : 9.
(6) سورة إبراهيم آية : 9.

[١٠] ﴿ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾[1]، هذا استفهام بمعنى نفي ما اعتقدوه، ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[2]، خالقهما، ﴿ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾[3]، أي: ذنـوبـكــم، و ﴿ مِّن ﴾[4] صــلــة، ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾[5]، إلى حين استيفاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب، ﴿ قَالُوٓاْ ﴾[6]، للرسل، ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ ﴾[7]، ما أنتم، ﴿ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾[8]، في الصورة والجسم ولستم ملائكـة وإنما ﴿ تُرِيدُونَ ﴾[9]، بقولكــم، ﴿ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾[10]، حجة بينة على صحة دعواكم.

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١٠.
(٢) سورة إبراهيم آية : ١٠.
(٣) سورة إبراهيم آية : ١٠.
(٤) سورة إبراهيم آية : ١٠.
(٥) سورة إبراهيم آية : ١٠.
(٦) سورة إبراهيم آية : ١٠.
(٧) سورة إبراهيم آية : ١٠.
(٨) سورة إبراهيم آية : ١٠.
(٩) سورة إبراهيم آية : ١٠.
(١٠) سورة إبراهيم آية : ١٠.

قوله تعالى قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِن اللهَ يَمُن عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ....

[١١] ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[١]، بالنبوة والحكمة، ﴿ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾[٢].

[١٢] ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٣] وقد عرفنا أن لا ننال شيئا إلا بقضائه وقدره، ﴿ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ ﴾[٤]، بين لنا الرشد وبصرنا طريق النجاة. ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ ﴾[٥]، اللام لام القسم مجازا، والله لنصبرن ﴿ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[٦].

[١٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ ﴾[٧]، يعنون إلا أن ترجعوا أو حتى ترجعوا إلى ديننا، ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[٨].

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١١.
(٢) سورة إبراهيم آية : ١١.
(٣) سورة إبراهيم آية : ١٢.
(٤) سورة إبراهيم آية : ١٢.
(٥) سورة إبراهيم آية : ١٢.
(٦) سورة إبراهيم آية : ١٢.
(٧) سورة إبراهيم آية : ١٣.
(٨) سورة إبراهيم آية : ١٣.

[١٤] ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ﴾ [١] أي: بعد هلاكهم، ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى ﴾ [٢] أي: خاف قيامه بين يدي كما قال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [٣]، فأضاف قيام العبد إلى نفسه، كما تقول: ندمت على ضربك أي على ضربي إياك، ﴿ وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [٤] أي عقابي.

[١٥] قوله: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ ﴾ [٥] أي: استنصروا. قال ابن عباس ومقاتل: يعني الأمم وذلك أنهم قالوا: اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [٦]، وقال مجاهد وقتادة: واستفتحوا يعني الرسل وذلك أنهم لما يئسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب، كما قال نوح: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [٧] وقال موسى: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [٨]، الآية: ﴿ وَخَابَ ﴾ [٩]، خسر. وقيل: هلك،

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١٤.
(٢) سورة إبراهيم آية : ١٤.
(٣) سورة الرحمن آية : ٤٦.
(٤) سورة إبراهيم آية : ١٤.
(٥) سورة إبراهيم آية : ١٥.
(٦) سورة الأنفال آية : ٣٢.
(٧) سورة نوح آية : ٢٦.
(٨) سورة يونس آية : ٨٨.
(٩) سورة إبراهيم آية : ١٥.

﴿ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [1] والجبار: الذي لا يرى فوقه أحدا. والجبرية: طلب العلو بما لا غاية وراءه. وهذا الوصف لا يكون إلا لله عز وجل. وقيل: الجبار: الذي يجبر الخلق على مراده، والعنيد: المعاند للحق ومجانبه. قاله مجاهد، وعن ابن عباس: هو المعرض عن الحق. وقال مقاتل: هو المتكبر. وقال قتادة: العنيد الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله.

[١٦] ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ [2] أي: أمامه كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [3] أي أمامهم. قال أبو عبيدة: هو من الأضداد. وقال الأخفش: هو كما يقال: هذا الأمر من ورائك يريد أنه سيأتيك، وأنا من وراء فلان يعني أصل إليه. وقال مقاتل: من ورائه جهنم أي بعده. ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ [4] أي: من ماء هو صديد وهو ما يسيل من أبدان الكفار من القيح والدم. وقال محمد بن كعب: ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر.

[١٧] ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ [5] أي: يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة جرعة لمرارته وحرارته، ﴿ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ [6]، يكاد صلة أي لا يسيغه، كقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ [7] أي: لم يرها، قال ابن عباس: لا يجيزه. وقيل: معناه: يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلي في جوفه يقول الله ﷻ ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١٥.
(٢) سورة إبراهيم آية : ١٦.
(٣) سورة الكهف آية : ٧٩.
(٤) سورة إبراهيم آية : ١٦.
(٥) سورة إبراهيم آية : ١٧.
(٦) سورة إبراهيم آية : ١٧.
(٧) سورة النور آية : ٤٠.

﴿ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[1]، ويقول: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾[2]، يعني يجدهم الموت وألمه من كل مكان من أعضائه، قال إبراهيم التيمي: حتى من تحت كل شعرة من جسده. وقيل: يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله، ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾[3]، فيستريح، قال ابن جريج: تعلق بنفسه عند حنجرته ولا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانا من جوفه فتنفعه الحياة. نظيرها ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾[4]، ﴿ وَمِن وَرَائِهِ ﴾[5]، أمامه، ﴿ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾[6]، شديد، وقيل: العذاب الغليظ: الخلود في النار.

[١٨] ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ ﴾[7].

يعني: مثل أعمال الذين كفروا بربم كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾[8] أي: ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة ﴿ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾[9]، وصف اليوم بالعصوف، والعصوف من صفة الريح لأن الريح تكون فيه، كما يقال: يوم حار، ويوم بارد لأن الحر والبرد فيه. وقيل: معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لأنا

(١) سورة محمد آية : ١٥.
(٢) سورة إبراهيم آية : ١٧.
(٣) سورة إبراهيم آية : ١٧.
(٤) سورة طه آية : ٧٤.
(٥) سورة إبراهيم آية : ١٧.
(٦) سورة إبراهيم آية : ١٧.
(٧) سورة إبراهيم آية : ١٨.
(٨) سورة الزمر آية : ٦٠.
(٩) سورة إبراهيم آية : ١٨.

قد ذكـرت من قبل، وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يريد أنم لا ينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به، فذلك قوله تعالى: ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ ﴾[1]، يعني: الكفار ﴿ مِمَّا كَسَبُوا ﴾[2]، في الدنيا، ﴿ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾[3]، في الآخرة، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾[4].

قوله تعالى أَلَمْ تَرَ أن اللهَ خَلقَ السمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَق......

[١٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾[5]، قرأ حمزة والكسائي خالقَ السمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وفي سورة النور (خالق كل دابة) مضافا، وقرأ الآخرون (خلق) على الماضي وَالْأَرْض وكل بالنصب، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾[6] أي: لم يخلقهما باطلا وإنما خلقهما لأمر عظيم، ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾[7]، سواكم أطوع لله منكم.

[٢٠] ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[8] منيع شديد، يعني أن الأشياء تسهل في القدرة لا يصعب على الله شيء وإن جل وعظم.

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١٨.
(٢) سورة إبراهيم آية : ١٨.
(٣) سورة إبراهيم آية : ١٨.
(٤) سورة إبراهيم آية : ١٨.
(٥) سورة إبراهيم آية : ١٩.
(٦) سورة إبراهيم آية : ١٩.
(٧) سورة إبراهيم آية : ١٩.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٢٠.

[٢١] قوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [(١)] أي: خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعا، ﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ ﴾ [(٢)]، يعني الأتباع، ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ ﴾ [(٣)]، أي: تكبروا على الناس وهم القادة والرؤساء، ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا ﴾ [(٤)] جمع تابع مثل حرس وحارس، ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ ﴾ [(٥)]، دافعون، ﴿ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ ﴾ [(٦)]، يعني القادة للمتبوعين، ﴿ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَـٰكُمۡۖ ﴾ [(٧)] أي: لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى، فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة، ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ٢١ ﴾ [(٨)]، مهرب ولا منجا.

[٢٢] ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَـٰنُ ﴾ [(٩)]، يعني: إبليس، ﴿ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ [(١٠)]، أي فرغ منه فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وقال مقاتل: يوضع له منبر في النار فيرقاه فيجتمع عليه الكفار بالأئمة فيقول لهم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [(١١)]، فوفى

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٢١.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٢١.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٢١.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٢١.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٢١.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٢١.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٢١.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٢١.
(٩) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(١٠) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(١١) سورة إبراهيم آية : ٢٢.

لكم به، ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾[1]، وقيل: يقول لهم: قلت لكم: لا بعث ولا جنة ولا نار. ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ﴾[2] ولاية. وقيل: لم آتكم بحجة فيما دعوتكم إليه، ﴿ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ ﴾[3]، هذا استثناء منقطع معناه: ولكن ﴿ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾[4]، بإجابتي ومتابعتي من غير سلطان ولا برهان، ﴿ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾[5]، بمغيثكم ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾[6] بمغيثي ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾[7] أي: كفرت بجعلكم إياي شريكا في عبادته وتبرأت من ذلك، ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾[8]، الكافرين، ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾[9].

[٢٣] قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) ﴾[10]، يسلم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم. وقيل: المحيي بالسلام هو الله عز وجل.

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(٩) سورة إبراهيم آية : ٢٢.
(١٠) سورة إبراهيم آية : ٢٣.

[٢٤] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً ﴾[١]، ألم تعلم، والمثل قول سائر لتشبيه شيء بشيء ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾[٢]، وهي قول: لا إله إلا الله، ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾[٣]، وهي النخلة يريد كشجرة طيبة الثمرة، وقال أبو ظبيان عن ابن عباس: هي شجرة في الجنة ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾[٤]، في الأرض ﴿ وَفَرْعُهَا ﴾[٥]، أعلاها، ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾[٦]، كذلك أصل هذه الكلمة راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق فإذا تكلم بها عرجت فلا تحجب حتى تنتهي إلى الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[٧].

قوله تعالى تُؤْتِي أُكُلَهَا كُل حِينٍ بِإِذْنِ رَبِهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلناس لَعَلهُمْ يَتذَكَرُونَ.....

[٢٥] ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا ﴾[٨]، تعطي ثمرها، ﴿ كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ ﴾[٩]، والحين في اللغة هو الوقت، كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره وبركة إيمانه لا تنقطع أبدا، بل تصل إليه في كل وقت، والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة هي أن الشجرة

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٢٤.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٢٤.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٢٤.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٢٤.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٢٤.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٢٤.
(٧) سورة فاطر آية : ١٠.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٢٥.
(٩) سورة إبراهيم آية : ٢٥.

لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان. ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[١].

[٢٦] ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾[٢]. وهي الشرك، ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾[٣] وهي الحنظل. وقيل: هي الثوم. وقيل: الكشوت[٤].

﴿ ٱجْتُثَّتْ ﴾[٥]، يعني انقلعت، ﴿ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[٦]، ثبات، معناه وليس لها أصل ثابت في الأرض، ولا فرع صاعد إلى السماء، كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾[٧]، كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[٨]، يعني قبل الموت، ﴿ وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[٩]، يعني في القبر هذا قول أكثر المفسرين وقيل في الحياة الدنيا عند السؤال في القبر، وفي الآخرة: عند البعث، والأول أصح ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٢٥.

(٢) سورة إبراهيم آية : ٢٦.

(٣) سورة إبراهيم آية : ٢٦.

(٤) في لسان العرب ٢ / ١٨١ "الكشوث والأكشوث" نبات مجتث مقطوع الأصل، وقيل لا أصل له، وهو أصفر يتعلق بأطراف الشوك وغيره وقال الجوهري: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض.

(٥) سورة إبراهيم آية : ٢٦.

(٦) سورة إبراهيم آية : ٢٦.

(٧) سورة إبراهيم آية : ٢٧.

(٨) سورة إبراهيم آية : ٢٧.

(٩) سورة إبراهيم آية : ٢٧.

ﮋ ﭑ ﮊ (1) أي: لا يهـدي المشركين إلى الجـواب بالصـواب في القـبر ﮋ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﮊ (2)، من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبت.

[28] قوله تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ (3) عـن ابن عباس: هـم كفـار قريش. وقال عمـر: هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ (4)، قال: البوار يوم بدر، قوله: ﮋ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ (5) أي: غيروا نعمة الله عليهم في محمد ﷺ حيث ابتعثه الله منهم كفرا كفروا به فأحلوا أي أنزلوا قومهم ممن تابعهم على كفرهم دار البوار الهلاك، ثم بين دار البوار فقال:

[29] ﮋ ﭨ ﭩ ﮊ (6)، يدخلونا ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ (7)، المستقر.

[30] ﮋ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ (8)، أمثالا وليس لله تعالى ند، ﮋ ﭱ ﮊ (9)، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكذلك في الحج وسورة لقمان والزمر (ليضل) وقرأ

(1) سورة إبراهيم آية : 27.
(2) سورة إبراهيم آية : 27.
(3) سورة إبراهيم آية : 28.
(4) سورة إبراهيم آية : 28.
(5) سورة إبراهيم آية : 28.
(6) سورة إبراهيم آية : 29.
(7) سورة إبراهيم آية : 29.
(8) سورة إبراهيم آية : 30.
(9) سورة إبراهيم آية : 30.

الآخرون بضم الياء على معنى: ليضلوا الناس، ﴿ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ ﴾ [(١)]، عيشوا في الدنيا، ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(٢)].

[٣١] ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [(٣)] قال الفراء: هذا جزم على الجزاء، ﴿ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [(٤)] مخاللة وصداقة.

[٣٢] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ ﴾ [(٥)] بإذنه. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٦)] ذللها لكم تجرونا حيث شئتم.

[٣٣] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ ﴾ [(٧)] يجريان فيما يعود إلى مصالح العباد ولا يفتران، قال ابن عباس: دؤوبهما في طاعة الله ﷻ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٨)]، يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة.

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٣٠.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٠.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٣١.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٣١.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٣٢.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٣٢.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٣٣.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٣٣.

قوله تعالى وَآتَاكُمْ مِنْ كُل مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا.....

[٣٤] ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ ﴾ [(١)]، يعني: آتاكم من كل شيء سألتموه شيئا، فحذف الشيء الثاني اكتفاء بدلالة الكلام على التبغيض، وقيل: هو على التكثير نحو قولك: فلان يعلم كل شيء، وآتاه كل الناس، وأنت تريد بعضهم نظيره قوله تعالى: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [(٢)]، وقرأ الحسن مِنْ كُلٍ بالتنوين ما على النفي يعني من كل ما لم تسألوه، يعني: أعطاكم أشياء ما طلبتموها ولا سألتموها، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [(٣)]، أي: نعم الله، ﴿ لَا تُحْصُوهَآۗ ﴾ [(٤)]، أي: لا تطيقوا عدها ولا القيام بشكرها، ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [(٥)]، أي ظالم لنفسه بالمعصية كافر بربه في نعمته وقيل: الظلوم الذي يشكر غير من أنعم عليه والكافر من يجحد منعمه.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ﴾ [(٦)]، يعني: الحرم، ﴿ ءَامِنًا ﴾ [(٧)] ذا أمن يؤمن فيه، ﴿ وَٱجْنُبْنِى ﴾ [(٨)] أبعدني، ﴿ وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [(٩)]، يقال: جنبت الشيء

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٣٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ٤٤.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٣٤.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٣٤.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٣٤.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٣٥.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٣٥.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٣٥.
(٩) سورة إبراهيم آية : ٣٥.

وأجنبته جنبا وجنبته تجنيبا واجتنبته اجتنابا بمعنى واحد، فإن قيل: قد كان إبراهيم معصوما من عبادة بنيه الأصنام فكيف يستقيم السؤال وقد عبد كثير من بنيه الأصنام فأين الإجابة؟ قيل: الدعاء في حق إبراهيم لزيادة العصمة والتثبيت وأما دعاؤه لبنيه فأراد بنيه من صلبه ولم يعبد منهم أحد الصنم. وقيل: إن دعاءه لمن كان مؤمنا من بنيه.

[٣٦] ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾ (١) يعني: ضل بن كثير من الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن، وهذا من المقلوب نظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾ (٢)، أي: يخوفهم بأوليائه، وقيل: نسب الإضلال إلى الأصنام لأن سبب فيه كما يقول القائل: فتنتني الدنيا، نسب الفتنة إلى الدنيا لأنا سبب الفتنـة. ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ ﴾ (٣)، أي: من أهل ديني وملتي، ﴿ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (٤)، قال السدي: معناه: " ومن عصاني ثم تاب " وقال مقاتل بن حيان: ومن عصاني فيما دون الشرك. وقيل: قال ذلك قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾ (٥)، أدخل من للتبعيض، ومجاز الآية: أسكنت من ذريتي ولدا، ﴿ بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ (٦)، وهو مكة لأن مكة واد بين

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٣٦.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٥.

(٣) سورة إبراهيم آية : ٣٦.

(٤) سورة إبراهيم آية : ٣٦.

(٥) سورة إبراهيم آية : ٣٧.

(٦) سورة إبراهيم آية : ٣٧.

جبلين، ﴿ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [1] سماه محرما لأنه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [2] الأفئدة جمع الفؤاد ﴿ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [3]، تشتاق وتحن إليهن. قال السدي: معناه: أمل قلوبهم إلى هذا الموضع، قال مجاهد: لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند. وقال سعيد بن جبير: لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال: أفئدة من الناس وهم المسلمون. ﴿ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [4]، ما رزقت سكان القرى ذوات الماء، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ [5].

[٣٨] ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ ﴾ [6]، من أمورنا. وقال ابن عباس ومقاتل: من الوجد بإسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع. ﴿ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ﴾ [7] قيل: هذا كله قول إبراهيم متصل بما قبله. وقال الأكثرون: يقول الله ﷻ ﴿ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ﴾ [8].

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٣٧.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٧.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٣٧.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٣٧.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٣٧.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٣٨.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٣٨.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٣٨.

[٣٩] ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ ﴾[١]، أعطاني على كبر السن، ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾[٢]، قال ابن عباس: ولد إسماعيل لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة. وقال سعيد بن جبير: بشر إبراهيم بإسحاق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة.

[٤٠] ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٣]، يعني: ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها، ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ ﴾[٤] يعني: اجعل من ذريتي من يقيمون الصلاة. ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾[٥]، أي: عملي وعبادتي، سمى العبادة دعاء وقيل: معناه استجب دعائي.

[٤١] ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾[٦]، فإن قيل: كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين؟ قيل: قد قيل: إن أمه أسلمت، وقيل: أراد إن أسلما وتابا، وقيل: قال ذلك قبل أن يتبين له أمر أبيه وقد بين الله عذر خليله في استغفاره لأبيه في سورة التوبة. ﴿ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٧]، أي: اغفر للمؤمنين كلهم، ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾[٨]، أي يبدو ويظهر. وقيل: أراد يوم الحساب يوم يقوم الناس للحساب، فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوما.

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٣٩.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٩.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٤٠.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٤٠.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٤٠.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٤١.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٤١.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٤١.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ ﴾ [١] الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور، والآية لتسلية المظلوم وتهديد للظالم، ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [٢] أي: لا تغمض من هول ما ترى في ذلك اليوم، وقيل: ترتفع وتزول عن أماكنها.

قوله تعالى مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ.....

[٤٣] ﴿ مُهۡطِعِينَ ﴾ [٣]، قال قتادة: مسرعين. قال سعيد بن جبير: الاهطاع النسلان كعدو الذئب، وقال مجاهد: مديمي النظر، ومعنى الإهطاع أنهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالا، ولا يعرفون مواطن أقدامهم، ﴿ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ ﴾ [٤]، أي رافعي رءوسهم، قال القتيبي: المقنع الذي يرفع رأسه ويقبل بصره على ما بين يديه. وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى الماء لا ينظر أحد إلى أحد، ﴿ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ ﴾ [٥]، لا ترجع إليهم أبصارهم مع شدة النظر، وهي شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم. ﴿ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴾ [٦]، أي خالية. قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم، لا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى مكانها، فأفئدتهم هواء لا شيء فيها ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه، وقيل: خالية لا تعي شيئا ولا تعقل من الخوف. وقال الأخفش: جوفا لا عقول لها. والعرب تسمي كل أجوف خلو هواء. قال سعيد بن جبير: وأفئدتهم هواء أي: مترددة تمور في

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٤٢.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٤٢.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٤٣.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٤٣.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٤٣.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٤٣.

أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه، وحقيقة المعنى: أن القلوب زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم.

[٤٤] ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾[(١)]، خوفهـم، ﴿ يَوْمَ ﴾[(٢)]، أي: بيوم ﴿ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾[(٣)]. هو يوم القيامة ﴿ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾[(٤)]، أشركوا، ﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ ﴾[(٥)]، أمهلنا ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾[(٦)]، هذا سؤالهم الرد إلى الدنيـا، أي: ارجعنا ﴿ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ ﴾[(٧)]، فيجابون: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ ﴾[(٨)]، حلفتم في دار الدنيا، ﴿ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[(٩)]، عنها أي: لا تبعثون. وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ ﴾[(١٠)].

[٤٥] ﴿ وَسَكَنتُمْ ﴾[(١١)]، في الدنيا، ﴿ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾[(١)]، بالكفـر والعصيـان، يعني قوم نـوح وعاد وثمود وغيرهم.

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٤٤.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٤٤.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٤٤.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٤٤.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٤٤.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٤٤.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٤٤.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٤٤.
(٩) سورة إبراهيم آية : ٤٤.
(١٠) سورة النحل آية : ٣٨.
(١١) سورة إبراهيم آية : ٤٥.

﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾[2]، أي: عرفتم عقوبتنا إياهم، ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾[3]، أي بينا مثلكم كمثلهم.

[٤٦] ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾[4]، أي: جزاء مكرهم، ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ ﴾[5]، قرأ علي وابن مسعود: (وإن كاد مكرهم) بالدال، وقرأ العامة بالنون. ﴿ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾[6]، قرأ العامة لتزول بكسر اللام الأولى ونصب الثانية، معناه: وما كان مكرهم لتزول. قال الحسن: إن كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال. وقيل: معناه إن مكرهم لا يزيل أمر محمد ﷺ الذي هو ثابت كثبوت الجبال. وقرأ ابن جريج والكسائي: لَتَزُولُ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، معناه: إن مكرهم وإن عظم حتى بلغ محلا يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد. وقال قتادة: معناه: وإن كان مكرهم شركهم لتزول منه الجبال وهو قوله تعالى. ﴿ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٤٥.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٤٥.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٤٥.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٤٦.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٤٦.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٤٦.
(٧) سورة مريم آية : ٩٠ - ٩١.

[٤٧] ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾[1]، بالنصر لأوليائه وهلاك أعدائه، وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

[٤٨] قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ ﴾[3] قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد»[4][5].

وعن ابن مسعود في هذه الآية قال: تبدل الأرض بأرض كفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل فيها خطيئة وقيل: معنى التبديل جعل السماوات جنانا وجعل الأرض نيرانا. وقيل: تبديل الأرض تغييرها من هيئة إلى هيئة، وهي تسيير جبالها ولهم أنارها وتسوية أوديتها وقلع أشجارها وجعلها قاعا صفصفا، وتبديل السماوات تغييرها عن حالها بتكوير شمسها، وخسوف قمرها وانتثار نجومها، وكونا مرة كالدهان، ومرة كالمهل. عن عائشة قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ ﴾[6] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: على الصراط»[7].

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٤٧.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٤٧.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٤٨.
(٤) البخاري الرقاق (٦١٥٦)، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٩٠).
(٥) أخرجه البخاري في الرقاق ١١ / ٣٧٢ ومسلم في صفات المنافقين رقم (٢٧٩٠) ٤ / ٢١٥٠ والمصنف في شرح السنة ٥ / ١١٢.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٤٨.
(٧) أخرجه مسلم في صفات المنافقين رقم (٢٧٩١) ٤ / ٢١٥٠ والمصنف في شرح السنة ١٥ / ١٠٧.

﴿ وَبَرَزُواْ ﴾ [1]، خرجوا من قبورهم، ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [2] الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

[٤٩] ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ ﴾ [3]، مشدودين بعضهم ببعض، ﴿ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [4]، في القيود والأغلال واحدها: صفد، وكل من شددته شدا وثيقا فقد صفدته وقيل: يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة، بيانه قوله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [5]، يعني: قرناءهم من الشياطين وقيل: معناه مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد والقيود، ومنه قيل للجبل: قرن.

[٥٠] ﴿ سَرَابِيلُهُم ﴾ [6]، أي: قمصهم، واحدها: سربال. ﴿ مِّن قَطِرَانٍ ﴾ [7] هو ما تنأ به الإبل، وقرأ عكرمة ويعقوب مِنْ قَطِرٍ آنٍ على كلمتين منونتين، والقطر النحاس والصفر المذاب، والآن الذي انتهى حره، قال الله تعالى: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [8]. ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [9]، أي: تعلو.

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٤٨.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٤٨.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٤٩.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٤٩.
(٥) سورة الصافات آية : ٢٢.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٥٠.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٥٠.
(٨) سورة الرحمن آية : ٤٤.
(٩) سورة إبراهيم آية : ٥٠.

[٥١] ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ ﴾[١]، من خير وشر، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٥١ ﴾[٢].

[٥٢] ﴿ هَٰذَا ﴾[٣]، أي: هذا القرآن، ﴿ بَلَٰغٞ ﴾[٤]، أي تبليغ وعظة، ﴿ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ ﴾[٥].

وليخوفوا، ﴿ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾[٦]، أي ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله، ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٧]، أي: ليتعظ أولو العقول.

(١) سورة إبراهيم آية : ٥١.
(٢) سورة إبراهيم آية : ٥١.
(٣) سورة إبراهيم آية : ٥٢.
(٤) سورة إبراهيم آية : ٥٢.
(٥) سورة إبراهيم آية : ٥٢.
(٦) سورة إبراهيم آية : ٥٢.
(٧) سورة إبراهيم آية : ٥٢.

(١٥) سورة الحجر

قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين....

[١] ﴿ الٓر ﴾ [(١)] معناه أنا الله أرى، ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [(٢)]، أي: هذه آيات الكتاب، ﴿ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [(٣)] أي: وآيات قرآن، ﴿ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [(٤)]، أي: بيّن الحلال من الحرام والحق من الباطل، فإن قيل: لما ذكر الكتاب ثم قال: ﴿ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [(٥)] وكلاهما واحد؟ قلنا: قد قيل كل واحد منهما يفيد فائدة أخرى فإن الكتاب ما يكتب والقرآن ما يجمع بعضه إلى بعض. وقيل: المراد بالكتاب التوراة والإنجيل وبالقرآن هذا الكتاب.

[٢] ﴿ رُّبَمَا ﴾ [(٦)]، قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقون بتشديدها وهما لغتان، ورب للتقليل وكم للتكثير، ورب تدخل على الاسم وربما على الفعل، يقال: رب رجل جاءني وربما جاءني رجل، وأدخل ما هاهنا للفعل بعدها. ﴿ يَوَدُّ ﴾ [(٧)] يتمنى، ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [(٨)]، واختلف في الحالة التي يتمنى الكافر فيها الإسلام، قال الضحاك: حالة المعاينة. وقيل: يوم القيامة. والمشهور أنه حين يخرج الله المؤمنين من النار.

---

(١) سورة الحجر آية : ١.

(٢) سورة الحجر آية : ١.

(٣) سورة الحجر آية : ١.

(٤) سورة الحجر آية : ١.

(٥) سورة الحجر آية : ١.

(٦) سورة الحجر آية : ٢.

(٧) سورة الحجر آية : ٢.

(٨) سورة الحجر آية : ٢.

[٣] ﴿ ذَرۡهُمۡ ﴾ [١]، يا محمد يعني الذين كفروا، ﴿ يَأۡكُلُواْ ﴾ [٢] في الدنيا، ﴿ وَيَتَمَتَّعُواْ ﴾ [٣]، من لذاتم ﴿ وَيُلۡهِهِمُ ﴾ [٤]، يشغلهم، ﴿ ٱلۡأَمَلُۖ ﴾ [٥]، عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة، ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾ [٦]، إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا، وهذا تديد ووعيد. وقال بعض أهل العلم: ذرهم تديد وقوله: فسوف يعلمون، تديد آخر، فمتى يهنأ العيش بين تديدين. والآية نسختها آية القتال.

[٤] ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ ﴾ [٧]، أي: من أهل قرية، ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ۝٤ ﴾ [٨]، أي أجل مضروب لا يتقدم عليه ولا يأتيهم العذاب حتى يبلغوه ولا يتأخر عنهم.

[٥] ﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ [٩]، من صلة أي: ما تسبق أمة أجلها ﴿ وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥ ﴾ [١٠]، أي: الموت لا يتقدم ولا يتأخر، وقيل: العذاب. وقيل: الأجل المضروب.

---

(١) سورة الحجر آية : ٣.
(٢) سورة الحجر آية : ٣.
(٣) سورة الحجر آية : ٣.
(٤) سورة الحجر آية : ٣.
(٥) سورة الحجر آية : ٣.
(٦) سورة الحجر آية : ٣.
(٧) سورة الحجر آية : ٤.
(٨) سورة الحجر آية : ٤.
(٩) سورة الحجر آية : ٥.
(١٠) سورة الحجر آية : ٥.

[٦] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ [١] يعني: مشركي مكة، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ ﴾ [٢]، أي: القرآن وأرادوا به محمدا ﷺ ﴿ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ ﴾ [٣]، وذكروا تـ يل الذكر على سبيل الاستهزاء.

[٧] ﴿ لَّوۡ مَا ﴾ [٤] هلا ﴿ تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ [٥]، شاهدين لك بالصدق على ما تقول إن الله أرسلك، ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ ﴾ [٦]، إنك نبي.

[٨] ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ ﴾ [٧]، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بنونين الْمَلَائِكَةَ نصب، وقرأ أبو بكر بالتاء وضمها وفتح الزاي الملائكة رفع وقرأ الباقون بالتاء وفتحها وفتح الزاي الْمَلَائِكَةُ رفع. ﴿ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [٨] أي: بالعذاب ولو نزلت يعني الملائكة لعجلوا بالعذاب، ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ۝٨ ﴾ [٩] أي: مؤخرين، وقد كان الكفار يطلبون إنزال الملائكة عيانا فأجابهم الله تعالى بهذا. ومعناه أنهم لو نزلوا أعيانا لزال عن الكفار الإمهال وعذبوا في الحال.

---

(١) سورة الحجر آية : ٦.
(٢) سورة الحجر آية : ٦.
(٣) سورة الحجر آية : ٦.
(٤) سورة الحجر آية : ٧.
(٥) سورة الحجر آية : ٧.
(٦) سورة الحجر آية : ٧.
(٧) سورة الحجر آية : ٨.
(٨) سورة الحجر آية : ٨.
(٩) سورة الحجر آية : ٨.

[٩] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾[1]، يعني القـرآن، ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ ﴾[2]، أي: نحفظ القرآن من الشياطين أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه أو يبدلوا بغيره، قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[3] والباطل: هو إبليس لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما هو منه. وقيل: الهاء في (له) راجعة إلى محمد ﷺ أي: إنا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء كما قال جـل ذكـره: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4].

[١٠] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾[5]، أي رسلا، ﴿ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ﴾[6]، أي: في الأمم والقرون الماضية، والشيعة: هم القوم الـتمعة المتفقة كلمتهم على رأي واحد.

[١١] ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ ﴾[7]، كما فعلوا بك، ذكره تسلية للنبي ﷺ.

[١٢] ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ ﴾[1]، أي: كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسل في قلوب شيع الأولين كـذلك نسلكـه: ندخله، ﴿ فِى

(١) سورة الحجر آية : ٩.

(٢) سورة الحجر آية : ٩.

(٣) سورة فصلت آية : ٤٢.

(٤) سورة المائدة آية : ٦٧.

(٥) سورة الحجر آية : ١٠.

(٦) سورة الحجر آية : ١٠.

(٧) سورة الحجر آية : ١١.

﴿ قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[2]، يعني مشركي مكة قومك، وفيه رد على القدرية[3].

[١٣] ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾[4]، يعني: لا يؤمنون بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿ وَقَدۡ خَلَتۡ ﴾[5]، مضت، ﴿ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[6]، أي: وقائع الله تعالى الإهلاك فيمن كذب الرسل من الأمم الخالية يخوف أهل مكة.

[١٤] ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم ﴾[7]، يعني: على الذين يقولون لو ما تأتينا بالملائكة، ﴿ بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[8]، فظلت الملائكة يعرجون فيه وهم يرونا عيانا، هذا قول الأكثرين. وقال الحسن: معناه فظل هؤلاء الكفار يعرجون فيه أي: يصعدون. والأول أصح.

[١٥] ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ ﴾[9]، سدت، ﴿ أَبۡصَٰرُنَا ﴾[10]، قاله ابن عباس. وقال الحسن: سحرت، وقال قتادة: أخذت، وقال الكلبي: عميت. وقرأ ابن كثير سكرت

---

(١) سورة الحجر آية : ١٢.

(٢) سورة الحجر آية : ١٢.

(٣) القدرية هم الذين ينكرون القدر ويزعمون أن كل عبد خالق لفعله ليخرجوا بذلك فعل الإنسان عن قدرة الله. انظر الوصية الكبرى لابن تيمية ص ٥٧ تعليق (٥).

(٤) سورة الحجر آية : ١٣.

(٥) سورة الحجر آية : ١٣.

(٦) سورة الحجر آية : ١٣.

(٧) سورة الحجر آية : ١٤.

(٨) سورة الحجر آية : ١٤.

(٩) سورة الحجر آية : ١٥.

(١٠) سورة الحجر آية : ١٥.

بالتخفيف، أي: حبست ومنعت النظر كما يسكر النهر لحبس الماء، ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[(١)]، أي: عمل فينا السحر فسحرنا محمد.

قوله تعالى وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَمَاءِ بُرُوجًا وَزَيناهَا لِلناظِرينَ.....

[١٦] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾[(٢)]، والبروج هي النجوم الكبار مأخوذة من الظهور، يقال: تبرجت المرأة أي: ظهرت، وأراد بها المنازل التي ت لها الشمس والقمر والكواكب السيارة، وهي اثنا عشر برجا: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. وقال عطية: هي قصور في السماء عليها الحرس ﴿ وَزَيَّنَّـٰهَا ﴾[(٣)]، أي السماء بالشمس والقمر والنجوم. ﴿ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[(٤)].

[١٧] ﴿ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾[(٥)]، مرجوم. وقيل: ملعون قال ابن عباس: كانت الشياطين لا يحجبون عن السماوات وكانوا يدخلونا، ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة ما سمعوا، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد محمد. ﷺ منعوا من السماوات أجمع، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب، فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لإبليس، فقال: لقد حدث في الأرض حادث، قال: فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن فقالوا: هذا والله حدث.

---

(١) سورة الحجر آية : ١٥.

(٢) سورة الحجر آية : ١٦.

(٣) سورة الحجر آية : ١٦.

(٤) سورة الحجر آية : ١٦.

(٥) سورة الحجر آية : ١٧.

[١٨] ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ ﴾[١]، لكن من استرق السمع، ﴿ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾[٢]، والشهاب الشعلة من النار.

[١٩] قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾[٣]، بسطناها ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾[٤]، جبالا ثوابت، وقد كانت الأرض تميـد إلى أن أرساها الله بالجبال، ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا ﴾[٥]، أي: في الأرض، ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾[٦]، بقدر معلوم، وقيل: يعني في الجبال وهي جواهر من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها.

[٢٠] ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾[٧]، جمع معيشة، قيل: أراد بها المطاعم والمشارب والملابس. وقيل: ما يعيش به الآدمي في الدنيا، ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[٨]، أي: جعلنا فيها معايش من لستم له برازقين من الدواب والأنعام، أي: جعلنا لكم وكفيناكـم رزقها و (من) في الآية بمعنى ما، كقوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ﴾[٩]، وقيل: من في موضعها لأنه أراد المماليك مع الدواب. وقيل: من في محل الخفض عطفا على الكاف والميم في لكم.

---

(١) سورة الحجر آية : ١٨.
(٢) سورة الحجر آية : ١٨.
(٣) سورة الحجر آية : ١٩.
(٤) سورة الحجر آية : ١٩.
(٥) سورة الحجر آية : ١٩.
(٦) سورة الحجر آية : ١٩.
(٧) سورة الحجر آية : ٢٠.
(٨) سورة الحجر آية : ٢٠.
(٩) سورة النور آية : ٤٥.

[٢١] ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ ﴾ [١]، أي: وما من شيء، أي: وما من شيء، ﴿ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ [٢]، أي مفاتيح خزائنه. وقيل: أراد به المطر، ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [٣]، لكل أرض حد مقدر.

[٢٢] ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [٤] أي: حوامل لأنها تحمل الماء إلى السحاب، وهو جمع لاقحة، يقال: ناقة لاقحة إذا حملت الولد. قال ابن مسعود: يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمر به السحاب فيدر كما تدر اللقحة ثم تمطر. وقال أبو عبيدة: أراد باللواقح الملاقح واحدتها ملقحه، لأنها تلقح الأشجار. قال عبيد بن عمير: يبعث الله الريح المبشرة فتقم الأرض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاما، ثم يبعث اللواقح فتلقح الشجر. وقال أبو بكر بن عياش: لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه، فالصبا تيجه والشمال تجمعه والجنوب تذره والدبور تفرقه، ﴿ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ ﴾ [٥] أي: جعلنا المطر لكم سقيا وسقاه إذا أعطاه ما يشرب. وتقول العرب: سقيت الرجل ماء ولبنا إذا كان لسقيه، فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه ودوابه تقول العرب: أسقيته. ﴿ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [٦]، يعني المطر في خزائننا لا في خزائنكم. وقال سفيان: بمانعين.

---

(١) سورة الحجر آية : ٢١.
(٢) سورة الحجر آية : ٢١.
(٣) سورة الحجر آية : ٢١.
(٤) سورة الحجر آية : ٢٢.
(٥) سورة الحجر آية : ٢٢.
(٦) سورة الحجر آية : ٢٢.

[٢٣] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [١] نميت جميع الخلائق، فلا يبقى حي سوانا.

[٢٤] ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٢] قال ابن عباس: أراد بالمستقدمين الأموات وبالمستأخرين الأحياء. قال الشعبي: الأولين والآخرين. وقال عكرمة: المستقدمون من خلق الله والمستأخرون من لم يخلق الله. قال مجاهد: المستقدمون القرون الأولى والمستأخرون أمة محمد ﷺ وقال الحسن: المستقدمون في الطاعة والخير، والمستأخرون المبطئون عنها. وقيل: المستقدمون في الصفوف في الصلاة والمستأخرون فيها.

وقال الأوزاعي. أراد المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره. وقال مقاتل: أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال. وقال ابن عيينة: أراد من يسلم ومن لا يسلم.

[٢٥] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٣] على ما علم منهم.

وقيل: يملك الكل ثم يحشرهم الأولين والآخرين. قال النبي ﷺ ﴿ من مات على شيء بعثه الله عليه ﴾ [٤] [٥].

(١) سورة الحجر آية : ٢٣.

(٢) سورة الحجر آية : ٢٤.

(٣) سورة الحجر آية : ٢٥.

(٤) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٨)، أحمد (٣/٣١٤).

(٥) أخرجه الحاكـم في المستدرك ٤ / ٣١٣ وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٣١٣ والمصنف في شرح السنة ١٤ / ٤٠١ وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٨٣) ١ / ٥١٠ وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٧٨) ٤ / ٢٢٠٤ (يبعث كل عبد على ما مات عليه).

[٢٦] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾[(١)]، يعني: آدم عليه السلام، سمي إنسانا لظهوره وإدراك البصر إياه. وقيل: من النسيان لأنه عهد إليه فنسي. ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ ﴾[(٢)] وهو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة، أي: صوتا. قال ابن عباس: هو الطين الحر الطيب الذي إذا نضب عنه الماء تشقق فإذا حرك تقعقع. وقال مجاهد: هو الطين المنتن. واختاره الكسائي، وقال: هو من صل اللحم إذا أنتن، ﴿ مِّنْ حَمَإٍ ﴾[(٣)]، والحمأ: الطين المنتن الأسود، ﴿ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ ﴾[(٤)]، أي: متغير. قال مجاهد وقتادة: هو المنتن المتغير. وقال أبو عبيدة: هو المصبوب. تقول العرب: سننت الماء أي صببته. قال ابن عباس: هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار.

[٢٧] ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ ﴾[(٥)]، قال ابن عباس: هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر. وقال قتادة: هو إبليس خلق قبل آدم. ويقال: الجان أبو الجن وإبليس أبو الشيطان، وفي الجن مسلمون وكافرون، ويحيون ويموتون، وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ويموتون إذا مات إبليس. وذكر وهب: إن من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين، ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون. ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ ﴾[(٦)]، والسموم ريح حارة تدخل مسام الإنسان فتقتله. يقال: السموم بالنهار والحرور بالليل. وقيل: نار السموم لهب النار. وقيل: من نار السموم أي: من نار جهنم. وعن الضحاك عن ابن عباس قال: كان إبليس من حي من

---

(١) سورة الحجر آية : ٢٦.

(٢) سورة الحجر آية : ٣٣.

(٣) سورة الحجر آية : ٢٨.

(٤) سورة الحجر آية : ٢٦.

(٥) سورة الحجر آية : ٢٧.

(٦) سورة الحجر آية : ٢٧.

الملائكة يقال لهم: الجن خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، فأما الملائكة فإنم خلقوا من النور.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا ﴾[١]، أي: سأخلق بشرا، ﴿ مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ ﴾[٢].

[٢٩] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾[٣]، وعدلت صورته، وأتممت خلقه، ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[٤]، فصار بشرا حيا والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان وأضافه إلى نفسه تشريفا، ﴿ فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ ﴾[٥]، سجود تحية لا سجود عبادة.

[٣٠] ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[٦]، الـذيـن أمـروا بالسجود، ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ ﴾[٧]، فإن قيل: لم قال (كلهم أجمعون) وقد حصل المقصود بقوله: فسجد الملائكة؟ قلنا: زعم الخليل وسيبويه أنه ذكر ذلك تأكيدا وذكر المبرد أن قوله (فسجد الملائكة) كان من المحتمل أنه سجد بعضهم فذكر كلهم ليزول هذا الإشكـال، ثم كان يحتمل أنم سجدوا في أوقـات مختلفة فزال ذلك الإشكال بقوله: (أجمعون).

[٣١] ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ ﴾[٨].

(١) سورة الحجر آية : ٢٨.
(٢) سورة الحجر آية : ٢٨.
(٣) سورة الحجر آية : ٢٩.
(٤) سورة الحجر آية : ٢٩.
(٥) سورة الحجر آية : ٢٩.
(٦) سورة الحجر آية : ٣٠.
(٧) سورة الحجر آية : ٣٠.
(٨) سورة الحجر آية : ٣١.

قوله تعالى قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَاجِدِينَ....

[٣٢] ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾[١].

[٣٣] ﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴾[٢]، أراد: إني أفضل منه لأنه طيني، وأنا ناري والنار تأكل الطين.

[٣٤] ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا ﴾[٣] أي: من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾[٤]، طريد.

[٣٥] ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[٥]، قيل: إن أهل السماوات يلعنون إبليس كما يلعنه أهل الأرض فهو ملعون في السماء والأرض.

[٣٦] ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾[٦]، أراد الخبيث أن لا يموت.

[٣٧] ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴾[٧].

[٣٨] ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴾[٨]، أي: الوقت الذي يموت فيه الخلائق وهو النفخة الأولى.

---

(١) سورة الحجر آية : ٣٢.
(٢) سورة الحجر آية : ٣٣.
(٣) سورة الحجر آية : ٣٤.
(٤) سورة الحجر آية : ٣٤.
(٥) سورة الحجر آية : ٣٥.
(٦) سورة الحجر آية : ٣٦.
(٧) سورة الحجر آية : ٣٧.
(٨) سورة الحجر آية : ٣٨.

[٣٩] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾[١]، أضللتني. وقيل: خيبتني من رحمتك، ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٢] حب الدنيا ومعاصيك، ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾[٣]، أي: لأضلنهم، ﴿ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[٤].

[٤٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[٥]، المؤمنين الذين أخلصوا لك بالطاعة والتوحيد، ومن فتح اللام أي من أخلصته بتوحيدك فهديته واصطفيته.

[٤١] ﴿ قَالَ ﴾[٦]، الله تعالى ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾[٧]، قال الحسن: معناه صراط مستقيم. قال مجاهد: الحق يرجع إلى الله تعالى وعليه طريقه ولا يعوج عليه شيء. وقال الأخفش: يعني على الدلالة على الصراط المستقيم. قال الكسائي: هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك، أي: لا تفلت مني، كما قال ﷻ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾[٨]. وقيل: معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية.

---

(١) سورة الحجر آية : ٣٩.
(٢) سورة الحجر آية : ٣٩.
(٣) سورة الحجر آية : ٣٩.
(٤) سورة الحجر آية : ٣٩.
(٥) سورة الحجر آية : ٤٠.
(٦) سورة الحجر آية : ٤١.
(٧) سورة الحجر آية : ٤١.
(٨) سورة الفجر آية : ١٤.

[٤٢] ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[١]، أي: قوة. قال أهل المعاني: يعني على قلوبهم. معناه ليس لك عليهم سلطان تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي، وهؤلاء ثنية الله الذين هداهم واجتباهم. ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[٢].

[٤٣] ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٣]، يعني موعد إبليس ومن تبعه.

[٤٤] ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾[٤]، أطباق. قال علي كرم الله وجهه: تدرون كيف أبواب النار هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى، أي: سبعة أبواب بعضها فوق بعض وإن الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض. قال ابن جريج: النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية. ﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[٥] أي: لكل دركة قوم يسكنونها. وقال الضحاك: في الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، وفي الثانية النصارى، وفي الثالثة اليهود، وفي الرابعة الصابئون، في الخامسة المجوس، وفي السادسة أهل الشرك، وفي السابعة المنافقون، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٦].

[٤٥] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[٧]، أي: في بساتين وأنهار.

---

(١) سورة الحجر آية : ٤٢.
(٢) سورة الحجر آية : ٤٢.
(٣) سورة الحجر آية : ٤٣.
(٤) سورة الحجر آية : ٤٤.
(٥) سورة الحجر آية : ٤٤.
(٦) سورة النساء آية : ١٤٥.
(٧) سورة الحجر آية : ٤٥.

[٤٦] ﴿ ٱدۡخُلُوهَا ﴾ [١] أي: يقال لهم: ادخلوا الجنة، ﴿ بِسَلَٰمٍ ﴾ [٢]، أي: بسلامة ﴿ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [٣]، من الموت والخروج والآفات.

[٤٧] ﴿ وَنَزَعۡنَا ﴾ [٤]، أخرجنا، ﴿ مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ [٥]، هو الشحناء والعداوة والحقد والحسد، ﴿ إِخۡوَٰنًا ﴾ [٦]، نصب على الحال، ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ ﴾ [٧]، جمع سرير ﴿ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٨] يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحد منهم إلى قفا صاحبه.

[٤٨] ﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ ﴾ [٩]، لا يصيبهم، ﴿ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [١٠] أي: تعب، ﴿ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [١١]، هذه أنص آية في القرآن على الخلود.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [١٢]، قال ابن عباس: يعني لمن تاب منهم.

---

(١) سورة الحجر آية : ٤٦.
(٢) سورة الحجر آية : ٤٦.
(٣) سورة الحجر آية : ٤٦.
(٤) سورة الحجر آية : ٤٧.
(٥) سورة الحجر آية : ٤٧.
(٦) سورة الحجر آية : ٤٧.
(٧) سورة الحجر آية : ٤٧.
(٨) سورة الحجر آية : ٤٧.
(٩) سورة الحجر آية : ٤٨.
(١٠) سورة الحجر آية : ٤٨.
(١١) سورة الحجر آية : ٤٨.
(١٢) سورة الحجر آية : ٤٩.

[٥٠] ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [١] عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار » [٢] [٣].

[٥١] قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [٤] أي: عن الضيافة، والضيف اسم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليبشروا إبراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط.

قوله تعالى إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ.....

[٥٢] ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ ﴾ [٥]، إبراهيم، ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [٦] خائفون لأنهم لم يأكلوا طعامه.

---

(١) سورة الحجر آية : ٥٠.

(٢) البخاري الرقاق (٦١٠٤)، مسلم التوبة (٢٧٥٢)، الترمذي الدعوات (٣٥٤١)، ابن ماجه الزهد (٤٢٩٣)، أحمد (٢/٥١٤)، الدارمي الرقاق (٢٧٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق ١١ / ٣٠١ والمصنف في شرح السنة ١٤ / ٣٧٨.

(٤) سورة الحجر آية : ٥١.

(٥) سورة الحجر آية : ٥٢.

(٦) سورة الحجر آية : ٥٢.

[٥٣] ﴿ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ ﴾ [١] لا تخف، ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ [٢]، أي: غلام في صغره عليم في كبره يعني إسحاق، فتعجب إبراهيم عليه السلام من كبره وكبر امرأته.

[٥٤] ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي ﴾ [٣] أي: بالولد ﴿ عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ [٤]، أي: على حال الكبر قاله على طريق التعجب، ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [٥] فبأي شيء تبشرون.

[٥٥] ﴿ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٦] أي بالصدق، ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [٧].

[٥٦] ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ ﴾ [٨] قنط يقنط أي: من ييأس، ﴿ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٩]، أي: الخاسرون، والقنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكره.

---

(١) سورة الحجر آية : ٥٣.
(٢) سورة الحجر آية : ٥٣.
(٣) سورة الحجر آية : ٥٤.
(٤) سورة الحجر آية : ٥٤.
(٥) سورة الحجر آية : ٥٤.
(٦) سورة الحجر آية : ٥٥.
(٧) سورة الحجر آية : ٥٥.
(٨) سورة الحجر آية : ٥٦.
(٩) سورة الحجر آية : ٥٦.

[٥٧] ﴿ قَالَ ﴾ [1] إبراهيم لهم، ﴿ فَمَا خَطۡبُكُمۡ ﴾ [2]، ما شأنكم، ﴿ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٧ ﴾ [3].

[٥٨] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٍ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨ ﴾ [4]، مشركين.

[٥٩] ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ [5]، أتباعه وأهل دينه، ﴿ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩ ﴾ [6] خفف الجيم حمزة والكسائي وشدده الباقون.

[٦٠]. ﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ ﴾ [7]، أي: امـرأة لـوط، ﴿ قَدَّرۡنَآ ﴾ [8]، قضينا، ﴿ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٦٠ ﴾ [9] الباقين في العذاب، والاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي، فاستثنى امرأة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهالكين، قرأ أبو بكر (قدرنا) هاهنا وفي سورة النمل بتخفيف الدال. والباقون بتشديدها.

[٦١] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٦١ ﴾ [10].

(١) سورة الحجر آية : ٥٧.
(٢) سورة الحجر آية : ٥٧.
(٣) سورة الحجر آية : ٥٧.
(٤) سورة الحجر آية : ٥٨.
(٥) سورة الحجر آية : ٥٩.
(٦) سورة الحجر آية : ٥٩.
(٧) سورة الحجر آية : ٦٠.
(٨) سورة الحجر آية : ٦٠.
(٩) سورة الحجر آية : ٦٠.
(١٠) سورة الحجر آية : ٦١.

[٦٢] ﴿ قَالَ ﴾ [١] لوط لهم ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [٢] أي: أنا لا أعرفكم.

[٦٣] ﴿ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [٣]، أي: يشكون في أنه نازل بهم وهو العذاب لأنه كان يوعدهم بالعذاب ولا يصدقونه.

[٦٤] ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٤]، باليقين. وقيل: بالعذاب، ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٥].

[٦٥] ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [٦] أي: خلفهم، ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ [٧]، حتى لا يرتاعوا من العذاب إذا نزل بقومهم. وقيل: جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط، ﴿ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [٨]، قال ابن عباس: يعني الشام. وقال مقاتل: يعني زغر. وقيل: الأردن.

[٦٦] ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ [٩]، أي وقضينا إلى آل لوط ذلك الأمر أي أحكمنا الأمر الذي أمرنا في قوم لوط، وأخبرناه ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [١٠]، يدل عليه

---

(١) سورة الحجر آية : ٦٢.
(٢) سورة الحجر آية : ٦٢.
(٣) سورة الحجر آية : ٦٣.
(٤) سورة الحجر آية : ٦٤.
(٥) سورة الحجر آية : ٦٤.
(٦) سورة الحجر آية : ٦٥.
(٧) سورة الحجر آية : ٦٥.
(٨) سورة الحجر آية : ٦٥.
(٩) سورة الحجر آية : ٦٦.
(١٠) سورة الحجر آية : ٦٦.

قراءة عبد الله وقلنا له إن دابر هؤلاء يعني أصلهـم، ﴿ مَقْطُوعٌ ﴾[1]، مستأصـل، ﴿ مُّصْبِحِينَ ۝٦٦ ﴾[2]، إذا دخلوا في الصبح.

[٦٧] ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ﴾[3]، يعني سدوم، ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٦٧ ﴾[4]، بأضياف لوط أي: يبشر بعضهم بعضا طمعا في ركوب الفاحشة منهم.

[٦٨] ﴿ قَالَ ﴾[5]، لوط لقومه، ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى ﴾[6]، وحق على الرجل إكرام ضيفه، ﴿ فَلَا تَفْضَحُونِ ۝٦٨ ﴾[7]، فيهم.

[٦٩] ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۝٦٩ ﴾[8]، ولا تخجلون.

[٧٠] ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٠ ﴾[9]، أي: ألم ننهك عن أن تضيف أحدا من العالمين. وقيل: ألم ننهك أن تدخل الغرباء المدينة فإنا نركب منهم الفاحشة.

---

(١) سورة الحجر آية : ٦٦.
(٢) سورة الحجر آية : ٦٦.
(٣) سورة الحجر آية : ٦٧.
(٤) سورة الحجر آية : ٦٧.
(٥) سورة الحجر آية : ٦٨.
(٦) سورة الحجر آية : ٦٨.
(٧) سورة الحجر آية : ٦٨.
(٨) سورة الحجر آية : ٦٩.
(٩) سورة الحجر آية : ٧٠.

قوله تعالى قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ.....

[٧١] ﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ ﴾ [١] أزوجهن إياكم إن أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام، ﴿ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١ ﴾ [٢]، ما آمركم به. وقيل: أراد بالبنات نساء قومه لأن النبي كالوالد لأمته.

[٧٢] قال الله تعالى: ﴿ لَعَمۡرُكَ ﴾ [٣]، يا محمد أي وحياتك، ﴿ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ ﴾ [٤]، حيرتم وضلالتهم ﴿ يَعۡمَهُونَ ٧٢ ﴾ [٥]، يترددون، قال قتادة: يلعبون. روي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ وما أقسم الله تعالى بحياة أحد إلا بحياته [٦].

[٧٣] ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ٧٣ ﴾ [٧]، أي: حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب حين أصبحوا وتمامه حين أشرقوا.

[٧٤] ﴿ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤ ﴾ [٨].

[٧٥] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ ﴾ [٩]، قال ابن عباس: للناظرين. وقال مجاهد: للمتفرسين. وقال قتادة: للمعتبرين. وقال مقاتل: للمتفكرين.

---

(١) سورة الحجر آية : ٧١.
(٢) سورة الحجر آية : ٧١.
(٣) سورة الحجر آية : ٧٢.
(٤) سورة الحجر آية : ٧٢.
(٥) سورة الحجر آية : ٧٢.
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤ / ٤٤ والحارث بن أبي أسامة في مسنده وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوية. انظر الدر المنثور ٥ / ٨٩ والمطالب العالية ٣ / ٣٤٧.
(٧) سورة الحجر آية : ٧٣.
(٨) سورة الحجر آية : ٧٤.
(٩) سورة الحجر آية : ٧٥.

[٧٦] ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ [١]، يعني قرى قوم لوط، ﴿ لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [٢]، أي: بطريق واضح، وقال مجاهد: بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل.

[٧٧] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [٣].

[٧٨] ﴿ وَإِن كَانَ ﴾ [٤]، وقد كان ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ ﴾ [٥] الغيضة، ﴿ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [٦] لكافرين واللام للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف، وكانت عامة شجرهم الدوم وهو المقل.

[٧٩] ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [٧]، بالعذاب وذلك أن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجئوا إليها يلتمسون الروح، فبعث عليهم منها نارا فأحرقتهما، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ ﴾ [٨] ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾ [٩] يعني مدينتي قوم لوط وأصحاب الأيكة ﴿ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [١٠]، لبطريق واضح مستبين.

---

(١) سورة الحجر آية : ٧٦.
(٢) سورة الحجر آية : ٧٦.
(٣) سورة الحجر آية : ٧٧.
(٤) سورة الحجر آية : ٧٨.
(٥) سورة الحجر آية : ٧٨.
(٦) سورة الحجر آية : ٧٨.
(٧) سورة الحجر آية : ٧٩.
(٨) سورة الشعراء آية : ١٨٩.
(٩) سورة الحجر آية : ٧٩.
(١٠) سورة الحجر آية : ٧٩.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ ٱلْحِجْرِ ﴾[(١)]، وهي مدينة ثمود قوم صالح وهي بين المدينة والشام، ﴿ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[(٢)]، أراد صالحا وحده، وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن من كذب رسولا فقد كذب الرسل كلهم.

[٨١] ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا ﴾ [(٣)] يعني: الناقة وولدها والبئر والآية في الناقة خروجها من الصخرة وكبرها وقرب ولادها وغزارة لبنها، ﴿ فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[(٤)].

[٨٢] ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[(٥)]، من الخراب ووقوع الجبل عليهم.

[٨٣] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾[(٦)]، يعني: صيحة العذاب، ﴿ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[(٧)]، أي: داخلين في وقت الصبح.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[(٨)]، من الشرك والأعمال الخبيثة.

---

(١) سورة الحجر آية : ٨٠.
(٢) سورة الحجر آية : ٨٠.
(٣) سورة الحجر آية : ٨١.
(٤) سورة الحجر آية : ٨١.
(٥) سورة الحجر آية : ٨٢.
(٦) سورة الحجر آية : ٨٣.
(٧) سورة الحجر آية : ٨٣.
(٨) سورة الحجر آية : ٨٤.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ (١)، يعني: القيامة ﴿ لَأَتِيَةٌ ۖ ﴾ (٢)، يجازي المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٣)، فأعرض عنهم واعف عفوا حسنا. نسختها آية القتال.

[٨٦] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ (٤) بخلقه.

قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ.....

[٨٧] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٥)، قال عمر وعلي: فاتحة الكتاب. وهو قول قتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم ﴾ (٦) (٧).

وعن ابن مسعود قال: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب والقرآن العظيم سائر القرآن، واختلفوا في أن الفاتحة لم سميت مثاني؟ فقال ابن عباس والحسن وقتادة: لأنا تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة. وقيل: لأنا مقسومة بين الله وبين العبد بنصفين نصفها ثناء

---

(١) سورة الحجر آية : ٨٥.

(٢) سورة الحجر آية : ٨٥.

(٣) سورة الحجر آية : ٨٥.

(٤) سورة الحجر آية : ٨٦.

(٥) سورة الحجر آية : ٨٧.

(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٤٢٧)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٢٥)، أبو داود الصلاة (١٤٥٧)، مالك النداء للصلاة (١٨٧)، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٧٣).

(٧) أخرجه البخاري في تفسير سورة الحجر ٨ / ٣٨١.

ونصفها دعاء، كما روينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال. ﴿ يقول الله: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ﴾ [1] [2].

، وقال الحسين بن الفضل: سميت مثاني لأنا نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة. وقال مجاهد: سميت مثاني لأن الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الأمة فما أعطاها غيرهم. وقال أبو زيد البلخي: سميت مثاني لأنا تثني أهل الشر عن الفسق من قول العرب ثنيت عناني. وقيل: لأن أولها ثناء. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن السبع المثاني هي السبع الطوال أولها سورة البقرة وآخرها الأنفال مع التوبة. وقال بعضهم: سورة يونس بدل الأنفال، عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال. ﴿ إن الله تعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني ربي بالمفصل ﴾. وقال طاووس: القرآن كله مثاني قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [3]. وسمي القرآن مثاني لأن الأنباء والقصـص ثنيت فيه، وعلى هذا القول المراد بالسبع سبعة أسباع القرآن، فيكون تقديره على هذا وهي القرآن العظيم.

[٨٨] قوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ ﴾ [4]، يا محمد، ﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا ﴾ [5]، أصنافا، ﴿ مِّنۡهُمۡ ﴾ [6] أي: من الكفار متمنيا لها، نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها، ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [7]،

---

(١) مسلم الصلاة (٣٩٥)، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٥٣)، أحمد (٢/٢٨٦)، مالك النداء للصلاة (١٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة رقم (٣٩٥) ١ / ٣٩٦ والمصنف في شرح السنة ٣ / ٤٧.

(٣) سورة الزمر آية : ٢٣.

(٤) سورة الحجر آية : ٨٨.

(٥) سورة الحجر آية : ٨٨.

(٦) سورة الحجر آية : ٨٨.

(٧) سورة الحجر آية : ٨٨.

أي: لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل: هذه الآية متصلة بما قبلها وذلك أنه لما من الله تعالى عليه بالقرآن نهاه عن الرغبة في الدنيا:، ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ ﴾[1]، لين جانبك ﴿ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[2]، وارفق بهم والجناحان من ابن آدم جانباه.

[٨٩] ﴿ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾[3].

[٩٠] ﴿ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[4] قال الفراء: مجازة أنذركم عذابا كعذاب المقتسمين، حكي عن ابن عباس أنه قال: هم اليهود والنصارى.

[٩١] ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[5]، جزّؤوه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وبدلوه. وقيل: المقتسمون قوم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: شعر. وقال بعضهم: كذب. وقال بعضهم: أساطير الأولين. وقيل: الاقتسام هو أنهم فرقوا القول في رسول الله ﷺ فقالوا: ساحر كاهن شاعر، وقال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا عقاب مكة وطرفها، وقعدوا على نقابها فيقولون لمن جاء من الحجاج: لا تغتروا بهذا الرجل الخارج الذي يدعي النبوة منا، وتقول طائفة منهم: إنه مجنون وطائفة إنه كاهن وطائفة إنه شاعر، والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكما فإذا سئل عنه قال: صدق أولئك يعني المقتسمين. وقوله: ﴿ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[6]

---

(١) سورة الحجر آية : ٨٨.

(٢) سورة الحجر آية : ٨٨.

(٣) سورة الحجر آية : ٨٩.

(٤) سورة الحجر آية : ٩٠.

(٥) سورة الحجر آية : ٩١.

(٦) سورة الحجر آية : ٩١.

قيل: هو جمع عضو مأخوذ من قولهم عضيت الشيء تعضية، إذا فرقته ومعناه أنهم جعلوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: كهانة. وقال بعضهم: أساطير الأولين. وقيل: هو جمع عضة. يقال: عضة وعضين مثل برة وبرين وعزة وعزين، وأصلها عضهة ذهبت هاؤها الأصلية كما نقصوا من الشفة وأصلها شفهة بدليل أنك تقول في التصغير شفيهة، والمراد بالعضة الكذب والبهتان. وقيل: المراد بالعضين العضة وهو السحر يريد أنهم سموا القرآن سحرا.

[٩٢] ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١)، يوم القيامة.

[٩٣] ﴿ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) في الدنيا قال محمد بن إسماعيل: قال عدة من أهل العلم عن قوله لا إله إلا الله، فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (٣) قيل: قال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم لأنه أعلم بم منهم ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟ واعتمده قطرب فقال: السؤال ضربان: سؤال استعلام وسؤال توبيخ، فقوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (٤)، يعني: استعلاما. وقوله: ﴿ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٥) يعني: توبيخا وتقريعا. وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين: إن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة يسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها، نظير ذلك قوله

(١) سورة الحجر آية : ٩٢.
(٢) سورة الحجر آية : ٩٣.
(٣) سورة الرحمن آية : ٣٩.
(٤) سورة الرحمن آية : ٣٩.
(٥) سورة الحجر آية : ٩٢.

تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾[1]، وقال في آية أخرى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴾[2].

[٩٤] قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[3]، قال ابن عباس: أظهره. ويروى عنه: أمضه. وقال الضحاك: أعلم. وقال الأخفش: أفرق، أي: أفرق بالقرآن بين الحق والباطل. وقال سيبويه: اقض بما تؤمر، وأصل الصدع الفصل والفرق، أمر النبي ﷺ في هذه الآية بإظهار الدعوة. وروي عن عبد الله بن عبيدة قال: كان مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[4]، نسختها آية القتال.

[٩٥] ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾[5]، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ فاصدع بأمر الله ولا تخف أحدا غير الله ﷻ فإن الله كافيك من عاداك كما كفاك المستهزئين، وهم خمسة نفر من رؤساء قريش: الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان رأسهم- والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد المطلب بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن زمعة، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، والحارث بن قيس بن الطلاطلة.

[٩٦] ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[6] وقيل: استهزاؤهم واقتسامهم هو أن الله لما أنزل في القرآن سورة البقرة وسورة النحل وسورة

(١) سورة المرسلات آية : ٣٥.
(٢) سورة الزمر آية : ٣١.
(٣) سورة الحجر آية : ٩٤.
(٤) سورة الحجر آية : ٩٤.
(٥) سورة الحجر آية : ٩٥.
(٦) سورة الحجر آية : ٩٦.

النمل وسورة العنكبوت، كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء يقول هذا في سورة البقرة ويقول هذا في سورة النحل ويقول هذا في سورة العنكبوت.

[٩٧] فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[١].

[٩٨] ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[٢]، قال ابن عباس: فصل بأمر ربك، ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[٣]، من المصلين المتواضعين، وقال الضحاك: فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده، وكن من الساجدين، يعني: من المصلين. وروي « أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة »[٤] [٥].

[٩٩] ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[٦]، أي الموت الموقن به، وهذا معنى ما ذكر في سورة مريم. ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾[٧].

---

(١) سورة الحجر آية : ٩٧.
(٢) سورة الحجر آية : ٩٨.
(٣) سورة الحجر آية : ٩٨.
(٤) أحمد (٢٠٦/١).
(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة ٢ / ٩٤ والإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٨٨ والمصنف في شرح السنة ٤ / ١٥٥ وضعفه الألباني في تعليقه على المشكاة ١ / ٤١٦.
(٦) سورة الحجر آية : ٩٩.
(٧) سورة مريم آية : ٣١.

(١٦) سورة النحل

قوله تعالى أتى أمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَما يُشْرِكُونَ.....

[١] ﴿ أَتَىٰٓ ﴾ [(١)] أي: جاء ودنا وقرب، ﴿ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [(٢)]، قال ابن عرفة: تقول العــرب: أتاك الأمر وهو متوقع بعد، أي: أتى أمر الله وعده. ﴿ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾ [(٣)]، وقوعا، (أمر الله) قال الكلبي وغيره: المراد منه القيامة. قال ابن عباس: ﴿ لما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [(٤)] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما لم ي ل شيء قالوا: ما نرى شيئا ف ل قوله: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ [(٥)]، فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى: (أتى أَمْرُ اللهِ) فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رءوسهم وظنوا أنا قد أتت حقيقة ف لت (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) فاطمأنوا ﴾ [(٦)].

والاستعجال: طلب الشيء قبل حينه، ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ ﴿ بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه وإن كادت لتسبقني ﴾ [(٧)] وقال قوم: المراد بالأمر هاهنا عقوبة المكذوبين والعذاب بالسيف، وذلك أن النضر بن الحارث قال: ﴿ اللهم إن كان

---

(١) سورة النحل آية : ١.

(٢) سورة النحل آية : ١.

(٣) سورة النحل آية : ١.

(٤) سورة القمر آية : ١.

(٥) سورة الأنبياء آية : ١.

(٦) أخرجه الواحدي في أسباب ا ول ص ٣٢١ بدون إسناد ومعناه أخرجه الطبري ١٤ / ٧٥.

(٧) البخاري الرقاق (٦١٣٩)، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥١)، أحمد (٢٣٧/٣)، الدارمي الرقاق (٢٧٥٩).

هذا هو الحق مـن عنـدك فأمطـر علينـا حجارة من السماء فاستعجل العذاب ﴿ فنزلت هذه الآية ﴾ [1] [2].

وقتل النضر يوم بدر صبرا. ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ ﴾ [3]، معناه تعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون.

[٢] ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ [4]، قرأ العامة بضم الياء وكسر الزاي، و (الملائكة) نصب. وقرأ يعقوب بالتاء وفتحها وفتح الزاي و (الملائكة) رفع، ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ ﴾ [5] بالوحي سماه روحا لأنه يحيي به القلوب والحق. قال عطاء: بالنبوة. وقال قتادة: بالرحمة. قال أبو عبيدة: بالروح يعني مع الروح وهو جبرائيل. ﴿ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ ﴾ [6]، اعلموا ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾ [7] وقيل: معناه مروهم بقول لا إله إلا الله منذرين مخوفين بالقرآن إن لم يقولوا. وقوله: فاتقون أي: فخافون.

[٣] ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣ ﴾ [8]، أي: ارتفع عما يشركون.

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٣٧١)، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٩٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢ / ٥٠ قال ابن حجر في الفتح: أخرجه أحمد والطبري وسنده حسن وأصل الحديث في البخاري كتاب الرقاق ١١ / ٣٤٧ وفي مسلم في كتاب الفتن ٤ / ٢٢٦٨.

(٣) سورة النحل آية : ١.

(٤) سورة النحل آية : ٢.

(٥) سورة النحل آية : ٢.

(٦) سورة النحل آية : ٢.

(٧) سورة النحل آية : ٢.

(٨) سورة النحل آية : ٣.

[٤] ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ ﴾ (١) ﴿ خَصِيمٌ ﴾ (٢)، جدل بالباطل، ﴿ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ (٣)، نزلت في أبي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم فقال. أتقول إن الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم؟ كما قال جل ذكره ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ (٤) نزلت فيه أيضا. والصحيح أن الآية عامة، وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوه، من جحود نعم الله مع ظهورها عليهم.

[٥] قوله تعالـى: ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ﴾ (٥)، يعني الإبل والبقر والغنم، ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ (٦) يعني: من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولحفا تستدفئون بها، ﴿ وَمَنَـٰفِعُ ﴾ (٧)، بالنسـل والدر والركوب والحمل وغيرها، ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (٨)، يعني لحومها.

[٦] ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ (٩)، زينة، ﴿ حِينَ تُرِيحُونَ ﴾ (١٠) أي: حين تردونا بالعشي من مراعيها إلى مباركها التي تأوي إليها، ﴿ وَحِينَ

(١) سورة النحل آية : ٤.
(٢) سورة النحل آية : ٤.
(٣) سورة النحل آية : ٤.
(٤) سورة يس آية : ٧٨.
(٥) سورة النحل آية : ٥.
(٦) سورة النحل آية : ٥.
(٧) سورة النحل آية : ٥.
(٨) سورة النحل آية : ٥.
(٩) سورة النحل آية : ٦.
(١٠) سورة النحل آية : ٦.

﴿تَسْرَحُونَ ۝٦﴾[1]، أي: تخرجونا بالغداة من مراحها إلى مسارحها، وقدم الرواح لأن المنافع تؤخذ منها بعد الرواح، ومالكها يكون أعجب بها إذا راحت.

قوله تعالى وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ....

[٧] ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾[2]، أحمالكم، ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾[3] آخر غير بلدكـم. ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ﴾[4]، أي: بالمشقة والجهد. والشق: النصف أيضا أي: لم تكونوا بالغيه إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها. وقرأ أبو جعفر (بشق) بفتح الشين وهما لغتان مثل رَطل ورِطل. ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾[5]، بخلقه حيث جعل لكـم هذه المنافع.

[٨] ﴿وَٱلْخَيْلَ﴾[6]، يعني: وخلق الخيل وهي اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والنساء والسماء. ﴿وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ﴾[7]، يعني وجعلها زينة لكم مع المنافع التي فيها، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾[8] من وسائل الانتقال وأسباب الزينة، وقيل: يعني ما أعد الله في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر عدى قلب بشر.

---

(١) سورة النحل آية : ٦.
(٢) سورة النحل آية : ٧.
(٣) سورة النحل آية : ٧.
(٤) سورة النحل آية : ٧.
(٥) سورة النحل آية : ٧.
(٦) سورة النحل آية : ٨.
(٧) سورة النحل آية : ٨.
(٨) سورة النحل آية : ٨.

[٩] قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [١] يعني: بيان طريق الهدى من الضلالة. وقيل: بيان الحق بالآيات والبراهين، والقصد: الصراط المستقيم. ﴿ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ ﴾ [٢] يعني: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج، فالقصد من السبيل دين الإسلام، والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر. قال جابر بن عبد الله: قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض. وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله. قصد السبيل السنة. ومنها جائر: الأهواء والبدع، دليله قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ [٣]. ﴿ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩ ﴾ [٤]، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [٥].

[١٠] قوله. ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ ﴾ [٦]، تشربونه، ﴿ وَمِنۡهُ شَجَرٞ ﴾ [٧]، أي: من ذلك الماء شراب أشجاركم حياة نباتكم، ﴿ فِيهِ ﴾ [٨] يعني: في الشجر، ﴿ تُسِيمُونَ ۝١٠ ﴾ [٩]، ترعون مواشيكم.

---

(١) سورة النحل آية : ٩.
(٢) سورة النحل آية : ٩.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(٤) سورة النحل آية : ٩.
(٥) سورة السجدة آية : ١٣.
(٦) سورة النحل آية : ١٠.
(٧) سورة النحل آية : ١٠.
(٨) سورة النحل آية : ١٠.
(٩) سورة النحل آية : ١٠.

[١١] ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ﴾ [(١)] أي: ينبت الله لكم به يعني الماء الذي أنزل وقرأ أبو بكر عن عاصم (ننبت) بالنون. ﴿ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ ﴾ [(٢)].

[١٢] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ﴾ [(٣)]، ذلل لكم ﴿ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ ﴾ [(٤)]، مـذلـلات، ﴿ بِأَمۡرِهِۦٓۚ ﴾ [(٥)] أي: بإذنه وقرأ حفـص عن عاصم (والنجوم مسخرات) بالرفع على الابتداء. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝١٢ ﴾ [(٦)].

[١٣] ﴿ وَمَا ذَرَأَ ﴾ [(٧)]، خلق، ﴿ لَكُمۡ ﴾ [(٨)]، لأجلكم: أي: وسخر ما خلق لأجلكم، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [(٩)]، من الدواب والأشجار والثمار وغيرها، ﴿ مُخۡتَلِفًا ﴾ [(١٠)] نصب على الحال، ﴿ أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ ﴾ [(١١)]، يعتبرون.

---

(١) سورة النحل آية : ١١.
(٢) سورة النحل آية : ١١.
(٣) سورة النحل آية : ١٢.
(٤) سورة النحل آية : ١٢.
(٥) سورة النحل آية : ١٢.
(٦) سورة النحل آية : ١٢.
(٧) سورة النحل آية : ١٣.
(٨) سورة النحل آية : ١٣.
(٩) سورة النحل آية : ١٣.
(١٠) سورة النحل آية : ١٣.
(١١) سورة النحل آية : ١٣.

[١٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا ﴾ [(١)] يعني: السمك، ﴿ وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا ﴾ [(٢)] يعني: اللؤلؤ والمرجان، ﴿ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ [(٣)]، جواري فيه. قال قتادة: مقبلة ومدبرة وهو أنك ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة. وقال الحسن: مواخر أي مملوءة. وقال الفراء والأخفش: مواخر شواق تشق الماء بجؤجؤها. قال مجاهد: تمخر السفن الرياح. وأصل المخر: الرفع والشق، وفي الحديث: « إذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح » [(٤)]. أي: لينظر من أين مجراها وهبوبا حتى لا يرث عليه البول. وقال أبو عبيدة: صوائخ. والمخر: صوت هبوب الريح عند شدتها، ﴿ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [(٥)] يعني: التجارة، ﴿ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [(٦)]، إذ رأيتم صنع الله فيما سخر لكم.

قوله تعالى وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ....

[١٥] ﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾ [(٧)] أي لئلا تميد بكم أي تتحرك وتميل، والميد: هو الاضطراب والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر: ميد قال وهب: لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: إن هذه غير مقرة أحدا

---

(١) سورة النحل آية : ١٤.

(٢) سورة النحل آية : ١٤.

(٣) سورة النحل آية : ١٤.

(٤) أخرجه ابن حبان في المجروحين ٣ / ١٠٨ وذكره الزمخشري في الفائق ٣ / ٣٠٥ وابن الأثير في النهاية ٤ / ٣٠٥ والزيلعي في نصب الراية ٢ / ١٠٣.

(٥) سورة النحل آية : ١٤.

(٦) سورة النحل آية : ١٤.

(٧) سورة النحل آية : ١٥.

على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال، ﴿ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا ﴾ [1] أي: وجعل فيها أنارا وطرقا مختلفة ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [2]، إلى ما تريدون فلا تضلون.

[١٦] ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ ﴾ [3] يعني: معالم الطرق. قال بعضهم: ها هنا تم الكلام ثم ابتدأ، ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [4]، قال محمد بن كعب والكلبي: أراد بالعلامات الجبال والجبال تكون علامات النهار والنجوم علامات الليل. وقال مجاهد: أراد بالكل النجوم منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به.

[١٧] ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ ﴾ [5]، يعني: الله تعالى، ﴿ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ ﴾ [6]، يعني: الأصنام، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [7].

[١٨] ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ ﴾ [8] لتقصيركم في شكر نعمه ﴿ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [9] بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي.

[١٩] ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [1].

---

(١) سورة النحل آية : ١٥.
(٢) سورة النحل آية : ١٥.
(٣) سورة النحل آية : ١٦.
(٤) سورة النحل آية : ١٦.
(٥) سورة النحل آية : ١٧.
(٦) سورة النحل آية : ١٧.
(٧) سورة النحل آية : ١٧.
(٨) سورة النحل آية : ١٨.
(٩) سورة النحل آية : ١٨.

[٢٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [٢] يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب (يدعون) بالياء. ﴿ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [٣].

[٢١] ﴿ أَمۡوَٰتٌ ﴾ [٤] أي: الأصنام ﴿ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [٥]، يعني الأصنام ﴿ أَيَّانَ ﴾ [٦] متى ﴿ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [٧]، والقرآن يدل على أن الأصنام تبعث وتجعل فيها الحياة فتتبرأ من عابديها وقيل: ما يدري الكفار عبدة الأصنام متى يبعثون.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ ﴾ [٨]، جـاحدة، ﴿ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٩]، متعظمون.

[٢٣] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ [١٠]، حقا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [١١] عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان"، فقال

---

(١) سورة النحل آية : ١٩.
(٢) سورة النحل آية : ٢٠.
(٣) سورة النحل آية : ٢٠.
(٤) سورة النحل آية : ٢١.
(٥) سورة النحل آية : ٢١.
(٦) سورة النحل آية : ٢١.
(٧) سورة النحل آية : ٢١.
(٨) سورة النحل آية : ٢٢.
(٩) سورة النحل آية : ٢٢.
(١٠) سورة النحل آية : ٢٣.
(١١) سورة النحل آية : ٢٣.

رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا؟ قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس ﴾ [1] [2].

[٢٤] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ﴾ [3]، يعني: لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم مشركو مكة الذين اقتسموا عقابا إذا سأل منهم الحاج، ﴿ مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [4]، أحاديثهم وأباطيلهم.

[٢٥] ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ ﴾ [5] أي: ليجعلوا، ﴿ أَوۡزَارَهُمۡ ﴾ [6]، ذنوب أنفسهم، ﴿ كَامِلَةً ﴾ [7]، وإنما ذكر الكمال لأن البلايا التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون فيها من الحسنات لا تكفر عنهم شيئا، ﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾ [8]، بغير حجة فيصدونم عن الإيمان، ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [9]، ما يحملون. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا،

(١) مسلم الإيمان (٩١)، الترمذي البر والصلة (١٩٩٩)، أبو داود اللباس (٤٠٩١)، ابن ماجه المقدمة (٥٩)، أحمد (٤١٦/١).
(٢) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٩١) ١ / ٥٣ والمصنف في شرح السنة ١٣ / ١٦٥.
(٣) سورة النحل آية : ٢٤.
(٤) سورة النحل آية : ٢٤.
(٥) سورة النحل آية : ٢٥.
(٦) سورة النحل آية : ٢٥.
(٧) سورة النحل آية : ٢٥.
(٨) سورة النحل آية : ٢٥.
(٩) سورة النحل آية : ٢٥.

ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا ﴾ [1] [2].

[٢٦] قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [3]، وهو نمرود بن كنعان، بنى الصرح ببابل ليصعد السماء. قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع. وقال كعب ومقاتل: كان طوله فرسخين فهبت ريح وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ [4] أي: قصد تخريب بنيانهم من أصولها، ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ ﴾ [5] يعني أعلى البيوت ﴿ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [6]، من مأمنهم.

قوله تعالى ثُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقونَ فِيهِمْ.....

[٢٧] ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ [7]، يهينهم بالعذاب، ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ ﴾ [8]، تخالفون، المؤمنون فيهم ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب، وكسر نافع النون من (تشاقون) على الإضافة،

---

(١) مسلم العلم (٢٦٧٤)، الترمذي العلم (٢٦٧٤)، أبو داود السنة (٤٦٠٩)، أحمد (٣٩٧/٢)، الدارمي المقدمة (٥١٣).

(٢) أخرجه مسلم في العلم رقم (٢٦٧٤) ٤ / ٢٠٦٠ والمصنف في شرح السنة ١ / ٢٣٢.

(٣) سورة النحل آية : ٢٦.

(٤) سورة النحل آية : ٢٦.

(٥) سورة النحل آية : ٢٦.

(٦) سورة النحل آية : ٢٦.

(٧) سورة النحل آية : ٢٧.

(٨) سورة النحل آية : ٢٧.

والآخرون بفتحها. ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾[1]، وهم المؤمنون، ﴿ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ﴾[2]، الهوان، ﴿ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ ﴾[3]، أي: العذاب، ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[4].

[٢٨] ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[5] يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، قرأ حمزة (يتوفاهم) بالياء وكذا ما بعده، ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾[6]، بالكفر ونصب على الحال أي: في حال كفرهم، ﴿ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ ﴾[7] أي: استسلموا وانقادوا وقالوا، ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ ﴾[8]، شرك فقال لهم الملائكة، ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[9]. قال عكرمة: عنى بذلك من قتل من الكفار ببدر.

[٢٩] ﴿ فَٱدْخُلُوٓاْ ﴾[10] أي: قال لهم ادخلوا ﴿ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[11]، عن الإيمان، (وَقِيلَ لِلذِينَ اتقَوْا) وذلك أن أحياء

---

(١) سورة النحل آية : ٢٧.
(٢) سورة النحل آية : ٢٧.
(٣) سورة النحل آية : ٢٧.
(٤) سورة النحل آية : ٢٧.
(٥) سورة النحل آية : ٢٨.
(٦) سورة النحل آية : ٢٨.
(٧) سورة النحل آية : ٢٨.
(٨) سورة النحل آية : ٢٨.
(٩) سورة النحل آية : ٢٨.
(١٠) سورة النحل آية : ٢٩.
(١١) سورة النحل آية : ٢٩.

العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء يسأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون: ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون، ولو لم تلقه خير، فيقول السائل: إنا شر وفد إن رجعـت إلى قومي دون أن أدخل مكة فألقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبي، مبعوث.

[٣٠] فذلك قـولـه: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ ﴾ [١] يعني: أنزل خيرا، ثم ابتدأ فقال: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ ﴾ [٢]، كرامة من الله. قال ابن عباس: هي تضعيف الأجر إلى العشر. وقال الضحـاك: هـي النصر والفتح. وقال مجاهد: هي الرزق الحسن ﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [٣]، أي ولدار الحال الآخرة، ﴿ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠ ﴾ [٤]، قال الحسن: هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة. وقال أكثر المفسرين: هي الجنة، ثم فسرها.

[٣١] فقال: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١ ﴾ [٥].

[٣٢] ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [٦]، مؤمنين طاهرين من الشرك. قال مجاهد: زاكية أفعالهم وأقوالهم. وقيل: معناه إن وفاتم تقع طيبة

---

(١) سورة النحل آية : ٣٠.
(٢) سورة النحل آية : ٣٠.
(٣) سورة النحل آية : ٣٠.
(٤) سورة النحل آية : ٣٠.
(٥) سورة النحل آية : ٣١.
(٦) سورة النحل آية : ٣٢.

سهلة. ﴿ يَقُولُونَ ﴾ [1] يعني: الملائكة لهم، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ﴾ [2] وقيل: معناه يبلغونهم سلام الله، ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3].

[٣٣] قوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [4]، لقبض أرواحهم، ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ ﴾ [5]، يعني: يوم القيامة، وقيل: العذاب. ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾ [6]، أي: كفروا كما كفر الذين من قبلهم، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [7] بتعذيبه إياهم، ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [8].

[٣٤] ﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾ [9]، عقوبات كفرهم وأعمالهم الخبيثة، ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ [10]، نزل بهم، ﴿ مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [11].

.

(١) سورة النحل آية : ٣٢.
(٢) سورة النحل آية : ٣٢.
(٣) سورة النحل آية : ٣٢.
(٤) سورة النحل آية : ٣٣.
(٥) سورة النحل آية : ٣٣.
(٦) سورة النحل آية : ٣٣.
(٧) سورة النحل آية : ٣٣.
(٨) سورة النحل آية : ٣٣.
(٩) سورة النحل آية : ٣٤.
(١٠) سورة النحل آية : ٣٤.
(١١) سورة النحل آية : ٣٤.

قوله تعالى وَقَالَ الذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا....

[٣٥] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن ﴾ (١) ﴿ شَيْءٍ ﴾ (٢) يعني في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فلولا أن الله رضيها لنا لغير ذلك وهدانا إلى غيرها، ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٣)، أي: ليس إليهم الهداية إنما إليهم التبليغ.

[٣٦] ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ (٤) أي: كما بعثنا فيكم، ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ (٥)، وهو معبود من دون الله، ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ (٦)، أي: هداه الله إلى دينه، ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ ﴾ (٧) أي وجبت: بالقضاء السابق حتى مات على كفره، ﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (٨)، أي: مال أمرهم وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك.

---

(١) سورة النحل آية : ٣٥.
(٢) سورة النحل آية : ٣٥.
(٣) سورة النحل آية : ٣٥.
(٤) سورة النحل آية : ٣٦.
(٥) سورة النحل آية : ٣٦.
(٦) سورة النحل آية : ٣٦.
(٧) سورة النحل آية : ٣٦.
(٨) سورة آل عمران آية : ١٣٧.

[٣٧] ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ ﴾[(١)]، يا محمد، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ ﴾[(٢)]، قرأ أهل الكوفة (يهدي) بفتح الياء وكسر الدال أي: لا يهدي الله من أضله. وقيل: معناه لا يهتدي من أضله الله، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الدال يعني من أضله الله فلا هادي له كما قال: ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ ﴾[(٣)]، ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧ ﴾[(٤)] أي: مانعين من العذاب.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ ﴾[(٥)]، وهم منكرو البعث قال الله تعالى ردا عليهم: ﴿ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨ ﴾[(٦)].

[٣٩] ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ ﴾[(٧)] أي: ليظهر لهم الحق فيما يختلفون، ﴿ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩ ﴾[(٨)].

[٤٠] ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠ ﴾[(٩)]، يقول الله تعالى: إذا أردنا أن نبعث الموتى فلا تعب علينا في إحيائهم ولا في شيء مما يحدث إنما نقول له: كن فيكون.

---

(١) سورة النحل آية : ٣٧.
(٢) سورة النحل آية : ٣٧.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٨٦.
(٤) سورة النحل آية : ٣٧.
(٥) سورة النحل آية : ٣٨.
(٦) سورة النحل آية : ٣٨.
(٧) سورة النحل آية : ٣٩.
(٨) سورة النحل آية : ٣٩.
(٩) سورة النحل آية : ٤٠.

[٤١] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾[1]، عذبوا وأوذوا في الله، قال قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق منهم طائفة بالحبشة ثم بوأ الله لهم المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين. ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً ۖ ﴾[2]، وهو أنه أنزلهم المدينة. وقيل: معناه لنحسنن إليهم في الدنيا. وقيل: الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية. ﴿ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأَخِرَةِ أَكۡبَرُ ۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[3]. وقوله: (لو كانوا يعلمون) ينصرف إلى المشركين لأن المؤمنين كانوا يعلمونه.

[٤٢] ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾[4]، في الله على ما نالهم، ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[5].

قوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ....

[٤٣] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيۡهِمۡ ۚ ﴾[6]، نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد ﷺ وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فهل بعث

---

(١) سورة النحل آية : ٤١.
(٢) سورة النحل آية : ٤١.
(٣) سورة النحل آية : ٤١.
(٤) سورة النحل آية : ٤٢.
(٥) سورة النحل آية : ٤٢.
(٦) سورة النحل آية : ٤٣.

إلينا ملكا، ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ [1]، يعني مؤمني أهل الكتاب، ﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [2].

[٤٤] ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ ﴾ [3]، واختلفوا في الجالب للباء في قوله (بالبينات) قيل: هي راجعة إلى قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا)، وإلا بمعنى غير، مجاز: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال يوحى إليهم ولم نبعث ملائكة. وقيل: تأويله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر. ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [4]، أراد بالذكر الوحي وكان النبي ﷺ مبينا للوحي وبيان الكتاب يطلب من السنة ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [5].

[٤٥] ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ﴾ [6]، عملوا ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [7] من قبل يعني نمرود بن كنعان وغيره الكفار، ﴿ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [8].

(١) سورة النحل آية : ٤٣.
(٢) سورة النحل آية : ٤٣.
(٣) سورة النحل آية : ٤٤.
(٤) سورة النحل آية : ٤٤.
(٥) سورة النحل آية : ٤٤.
(٦) سورة النحل آية : ٤٥.
(٧) سورة النحل آية : ٤٥.
(٨) سورة النحل آية : ٤٥.

[٤٦] ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ ﴾[١]، بالعذاب، ﴿ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾[٢]، تصرفهم في الأسفار. وقال ابن عباس: في اختلافهم. وقال ابن جريج: في إقبالهم وإدبارهم، ﴿ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٣]، السابقين الله.

[٤٧] ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾[٤]، والتخوف: النقص، أي: ينقص من أطرافهم ونواحيهم شيئا بعد شيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوفه الدهر وتخونه إذا نقصه وأخذ ماله وحشمه، ويقال: هذا لغة بني هذيل. وقال الضحاك والكلبي: هو من الخوف، أي: أن يعذب طائفة ليتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابم. ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[٥]، حين لم يعجل بالعقوبة.

[٤٨] قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[٦]، قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب وكذلك في سورة العنكبوت، والآخرون بالياء خبرا عن الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم له ظل، ﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ﴾[٧]، قرأ أبو عمر، ويعقوب بالتاء والآخرون بالياء. ﴿ ظِلَـٰلُهُۥ ﴾[٨]، أي: تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي في أول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى، سجدا لله فميلانا ودورانا سجودها لله عز وجل. ويقال للظل بالعشي: فيء لأنه فاء أي

(١) سورة النحل آية : ٤٦.
(٢) سورة النحل آية : ٤٦.
(٣) سورة النحل آية : ٤٦.
(٤) سورة النحل آية : ٤٧.
(٥) سورة النحل آية : ٤٧.
(٦) سورة النحل آية : ٤٨.
(٧) سورة النحل آية : ٤٨.
(٨) سورة النحل آية : ٤٨.

رجع من المغرب إلى المشرق، فالفيء الرجوع، والسجود الميل. يقال: سجدت النخلة إذا مالت.

قوله ﷻ ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ ﴾[1]، قول قتادة والضحاك: أما اليمين فأول النهار والشمال آخر النهار، تسجد الظلال لله. وقيل: المراد من الظلال سجود الأشخاص فإذا قيل: لم وحد اليمين وجمع الشمائل؟ قيل: من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة، كقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ ﴾[2]، وقوله: ﴿ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾[3]، وقيل: اليمين يرجع إلى قوله: (وما خلق الله) ولفظ (ما) واحد والشمائل جمع يرجع إلى المعنى. ﴿ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[4]، صاغرون.

[٤٩] ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[5] إنما أخبر بـ (ما) لغلبة ما لا يعقل على من يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث، ﴿ مِن دَآبَّةٖ ﴾[6]، أراد من كل حيوان يدب. ويقال: السجود الطاعة والأشياء كلها مطيعة لله ﷻ من حيوان وجماد، قال الله تعالى: ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾[7]، وقيل: سجود الأشياء تذللها وتسخرها لما أريدت له وسخرت له. وقيل: سجود الجمادات وما لا يعقل

(١) سورة النحل آية : ٤٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٧.
(٤) سورة النحل آية : ٤٨.
(٥) سورة النحل آية : ٤٩.
(٦) سورة النحل آية : ٤٩.
(٧) سورة فصلت آية : ١١.

ظهور أثر الصنع فيه على معنى أنه يدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبر فيه، قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ ﴾[١]. ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾[٢]، خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السماوات والأرض تشريفا ورفعا لشأنهم. وقيل: لخروجهم من الموصوفين بالدبيب إذ لهم أجنحة يطيرون بها. وقيل: أراد ولله يسجد ما في السماوات من الملائكة وما في الأرض من دابة، وتسجد الملائكة. ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[٣].

[٥٠] ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[٤] كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾[٥]. ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾[٦].

[٥١] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾[٧].

[٥٢] ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ ﴾[٨]، الطاعة والإخلاص ﴿ وَاصِبًا ۚ ﴾[٩]، دائما ثابتا، معناه: ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك

---

(١) سورة فصلت آية : ٥٣.
(٢) سورة النحل آية : ٤٩.
(٣) سورة النحل آية : ٤٩.
(٤) سورة النحل آية : ٥٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ١٨.
(٦) سورة النحل آية : ٥٠.
(٧) سورة النحل آية : ٥١.
(٨) سورة النحل آية : ٥٢.
(٩) سورة النحل آية : ٥٢.

عنه بزوال أو هلاك غير الله ﷻ فإن الطاعة تدوم له ولا تنقطع. ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1]، أي: تخافون، استفهام على طريق الإنكار.

[٥٣] قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾[2]، أي: وما يكن من نعمة فمن الله، ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ ﴾[3]، القحط والمرض، ﴿ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[4]، تضجون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة.

[٥٤] ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[5].

قوله تعالى لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ....

[٥٥] ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ ﴾[6]، ليجحدوا، ﴿ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ ﴾[7]، وهذه اللام تسمى لام العاقبة، أي: حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء، ﴿ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ ﴾[8]، أي: عيشوا في الدنيا المدة التي ضربتها لكم، ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[9] عاقبة أمركم، هذا وعيد لهم.

---

(١) سورة النحل آية : ٥٢.
(٢) سورة النحل آية : ٥٣.
(٣) سورة النحل آية : ٥٣.
(٤) سورة النحل آية : ٥٣.
(٥) سورة النحل آية : ٥٤.
(٦) سورة النحل آية : ٥٥.
(٧) سورة النحل آية : ٥٥.
(٨) سورة النحل آية : ٥٥.
(٩) سورة النحل آية : ٥٥.

[٥٦] ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[١]، له حقا أي: الأصنام، ﴿ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ ﴾[٢]، من الأموال وهو ما جعلوا للأوثان من حروثهم وأنعامهم، فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، ثم رجع من الخبر إلى الخطاب فقال: ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ ﴾[٣]، يوم القيامة، ﴿ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦ ﴾[٤]، في الدنيا.

[٥٧] ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ ﴾[٥]، وهـم خزاعة وكنانة، قالوا: الملائكة بنات الله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧ ﴾[٦]، أي: ويجعلون لأنفسهم البنين الذين يشتهونم فيكون (ما) في محل النصب، ويجوز أن يكون على الابتداء فيكون (ما) في محل الرفع.

[٥٨] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا ﴾[٧]، متغيرا من الغم والكراهية، ﴿ وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ ﴾[٨]، وهو ممتلئ حزنا وغيظا فهو يكظمه، أي: يمسكه ولا يظهره.

[٥٩] ﴿ يَتَوَٰرَىٰ ﴾[٩]، أي: يختـفـي، ﴿ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ ﴾[١]. من الحزن والعار ثم يتفكر ﴿ أَيُمۡسِكُهُۥ ﴾[٢]، ذكر الكناية ردا

(١) سورة النحل آية : ٥٦.
(٢) سورة النحل آية : ٥٦.
(٣) سورة النحل آية : ٥٦.
(٤) سورة النحل آية : ٥٦.
(٥) سورة النحل آية : ٥٧.
(٦) سورة النحل آية : ٥٧.
(٧) سورة النحل آية : ٥٨.
(٨) سورة النحل آية : ٥٨.
(٩) سورة النحل آية : ٥٩.

على (ما) ﴿ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ [٣] أي: هوان، ﴿ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ ﴾ [٤]، أي: يخفيه فيئده، وذلك أن مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء خوفا من الفقر عليهم وطمع غير الأكفاء فيهن، وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى صارت سداسية قال: لأمها زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئرا في الصحراء فإذا بلغ بها البئر قال لها: انظري إلى هذه البئر، فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، فذلك قوله ﷻ (أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُرَابِ) ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩ ﴾ [٥]، بئس ما يقضون لله البنات ولأنفسهم البنين، نظيره: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ ﴾ [٦]، وقيل: بئس حكمهم وأد البنات.

[٦٠] ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [٧]، يعني: لهؤلاء الذين يصفون لله البنات ولأنفسهم البنين ﴿ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ ﴾ [٨]، صفة السوء من الاحتياج إلى الولد وكراهية

(١) سورة النحل آية : ٥٩.
(٢) سورة النحل آية : ٥٩.
(٣) سورة النحل آية : ٥٩.
(٤) سورة النحل آية : ٥٩.
(٥) سورة النحل آية : ٥٩.
(٦) سورة النجم آية :٢١ - ٢٢.
(٧) سورة النحل آية : ٦٠.
(٨) سورة النحل آية : ٦٠.

الإناث وقتلهن خوف الفقر، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ﴾[1] الصفة العليا وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو. وقيل: جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات. قال ابن عباس: مثـل السـوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله. ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦٠ ﴾[2].

[٦١] ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم ﴾[3]، فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم، ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا ﴾[4]، أي: على الأرض، كناية عن غير مذكور، ﴿ مِن دَآبَّةٖ ﴾[5]، قال قتادة في الآية: قد فعل الله ذلك من زمن نوح فأهلك من على الأرض إلا من كان في سفينة نوح عليه السلام. وقيل: إن معنى الآية لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ولم توجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد. ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ ﴾[6]، يمهلهم بحلمه إلى أجل، ﴿ مُّسَمّٗىۖ ﴾[7]، إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم.

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٦١ ﴾[8].

---

(١) سورة النحل آية : ٦٠.
(٢) سورة النحل آية : ٦٠.
(٣) سورة النحل آية : ٦١.
(٤) سورة النحل آية : ٦١.
(٥) سورة النحل آية : ٦١.
(٦) سورة النحل آية : ٦١.
(٧) سورة النحل آية : ٦١.
(٨) سورة النحل آية : ٦١.

[٦٢] قـوله عز وجـل: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [١]، لأنفسهم يعني البنات، ﴿ وَتَصِفُ ﴾ [٢]، أي: تقول: ﴿ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [٣]، يعني البنين محل (إن) نصب بدل عن الكذب، قال يمان: يعني بالحسنى: الجنة في المعاد يقولون نحن في الجنة إن كان محمد صادقا بالوعد في البعث. ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ [٤]، حقا. قال ابن عباس: بلى، ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [٥]، في الآخرة، ﴿ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [٦]، قرأ نافع بكسر الراء وكسرها أي: مضيعون أمر الله، وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أي: منسيون في النار، قاله ابن عباس، وقال سعيد بن جبير: مبعدون، وقال مقاتل: متروكون. قال قتادة: معجلون إلى النار. قال الفراء: مقدمون على النار، ومنه قوله ﷺ ﴿ أنا فرطكم على الحوض ﴾ [٧] [٨] أي: متقدمكم.

[٦٣] ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [٩] كما أرسـلنا إلـى هـذه الأمة، ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [١٠]، الخبيثة، ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ﴾ [١١]، ناصرهم،

---

(١) سورة النحل آية : ٦٢.

(٢) سورة النحل آية : ٦٢.

(٣) سورة النحل آية : ٦٢.

(٤) سورة النحل آية : ٦٢.

(٥) سورة النحل آية : ٦٢.

(٦) سورة النحل آية : ٦٢.

(٧) البخاري الرقاق (٦٢٠٥)، مسلم الفضائل (٢٢٩٧)، ابن ماجه المناسك (٣٠٥٧)، أحمد (٣٩٣/٥).

(٨) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الرقاق ١١ / ٤٦٣ ومسلم في الطهارة رقم (٢٤٩) ١ / ٢١٨.

(٩) سورة النحل آية : ٦٣.

(١٠) سورة النحل آية : ٦٣.

(١١) سورة النحل آية : ٦٣.

﴿ ٱلۡيَوۡمَ ﴾[1]، وقـرينهـم سماه وليا لهم لطاعتهم إياه، ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ ﴾[2]، في الآخرة.

[٦٤] ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾[3]، من الدين والأحكام، ﴿ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ ﴾[4]، أي: ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله (لتبين).

قوله تعالى وَاللهُ أَنزَلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا....

[٦٥] ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾[5]، يعني المطر، ﴿ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[6]، بالنبات، ﴿ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ﴾[7] بيبوستها، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥ ﴾[8]، سمع القلوب لا سمع الآذان.

[٦٦] ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗ ﴾[9]، لعظة، ﴿ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾[10]، قال الفراء: رد الكناية إلى النعم، والنعم والأنعام واحد، ولفظ النعم مذكر قال أبو عبيدة والأخفش: النعم يذكر ويؤنث فمن أنث فالمعنى الجمع

(١) سورة النحل آية : ٦٣.
(٢) سورة النحل آية : ٦٣.
(٣) سورة النحل آية : ٦٤.
(٤) سورة النحل آية : ٦٤.
(٥) سورة النحل آية : ٦٥.
(٦) سورة النحل آية : ٦٥.
(٧) سورة النحل آية : ٦٥.
(٨) سورة النحل آية : ٦٥.
(٩) سورة النحل آية : ٦٦.
(١٠) سورة النحل آية : ٦٦.

ومن ذكر فلحكم اللفظ. قال الكسائي: رده إلى ما يعني في بطون ما ذكرنا، وقال المؤرج: الكناية مردودة إلى البعض والجزء كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن إذا ليس لكلها لبن واللبن فيه مضمر، ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ ﴾ [1]، وهو ما في الكرش من الثقـل فإذا خرج منه لا يسمى فرثا، ﴿ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا ﴾ [2]، مـن الدم والفرث ليس عليه لـون دم ولا رائحـة فـرث، ﴿ سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ ﴾ [3]، هنيئا يجري على السهولة في الحلق.

[٦٧] ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ ﴾ [4] يعني: ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب، ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ ﴾ [5] والكناية في (منه) عائدة إلى (ما) محذوفة أي: ما تتخذون منه، ﴿ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ ﴾ [6]، قال قوم: السكر: الخمر، والرزق الحسن الخل والزبيب والتمر والربّ، قالوا: وهذا قبل تحريم الخمر، وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد، وقال الشعبي: السكر ما شربت، والرزق الحسن: ما أكلت. وروى العوفي عن ابن عباس: أن السكر هو الخل بلغة الحبشة، وقال بعضهم: السكر النبيذ المسكر، وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير، وهو قول الضحاك والنخعي، ومن يبيح شرب النبيذ ومن حرم يقول: المراد من الآية الإخبار لا الإحلال وأولى الأقاويل أن قوله: (تتخذون منه سكرا) منسوخ، روي عن ابن عباس قال: السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل. وقال

(١) سورة النحل آية : ٦٦.
(٢) سورة النحل آية : ٦٦.
(٣) سورة النحل آية : ٦٦.
(٤) سورة النحل آية : ٦٧.
(٥) سورة النحل آية : ٦٧.
(٦) سورة النحل آية : ٦٧.

أبو عبيدة: السكر الطعم يقال: هذا سكر لك أي: طعم، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [1].

[٦٨] ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [2]، أي: ألهمها وقذف في أنفسها ففهمته، والنحل زنابير العسل واحدتا نحلة. ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [3]، يبنون، وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الأماكن فهي تأوي إليها، قال ابن زيد: هي الكروم.

[٦٩] ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [4]، ليس معنى الكل العموم، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [5] ﴿ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ [6]. قيل: هي نعت الطرق، يقول: هي مذللة للنحل سهلة المسالك. قال مجاهد: لا يتوعر عليها مكان سلكته. وقال آخرون: الذلل نعت النحل، أي: مطيعة منقادة بالتسخير. يقال: إن أربابها ينقلونا من مكان إلى مكان ولها يعسوب إذا وقف وقفت وإذا سار سارت، ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴾ [7]، يعني: العسل ﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ [8]، أبيض وأحمر وأصفر.

---

(١) سورة النحل آية : ٦٧.
(٢) سورة النحل آية : ٦٨.
(٣) سورة النحل آية : ٦٨.
(٤) سورة النحل آية : ٦٩.
(٥) سورة النمل آية : ٢٣.
(٦) سورة النحل آية : ٦٩.
(٧) سورة النحل آية : ٦٩.
(٨) سورة النحل آية : ٦٩.

﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ ﴾[1]، أي: في العسل وقال مجاهد: أي في القرآن والأول أولى، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2]، فيعتبرون.

[٧٠] ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ ﴾[3]، صبيانا أو شبانا أو ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾[4]، أردئه قال مقاتل. يعني الهرم. قال قتادة: أرذل العمر: تسعون سنة روي عن علي قال: أرذل العمر: خمس وسبعون. وقيل: ثمانون سنة. ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ ﴾[5]، لكيلا يعقل بعد عقله الأول شيئا، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[6].

[٧١] ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾[7]، بسط عن واحد وضيق على الآخر وقلل وكثر. ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ﴾[8]، من العبيد، ﴿ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ ﴾[9]، أي: حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك، يقول الله تعالى: لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم الله سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشركين. قال قتادة: هذا

---

(١) سورة النحل آية : ٦٩.
(٢) سورة النحل آية : ٦٩.
(٣) سورة النحل آية : ٧٠.
(٤) سورة النحل آية : ٧٠.
(٥) سورة النحل آية : ٧٠.
(٦) سورة النحل آية : ٧٠.
(٧) سورة النحل آية : ٧١.
(٨) سورة النحل آية : ٧١.
(٩) سورة النحل آية : ٧١.

مثل ضربه الله ﷻ فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفراشه وماله أفتعدلون بالله خلقه وعباده. ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[1]. بالإشراك به.

[٧٢] قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[2]. يعني: النساء خلق من آدم وزوجته حواء، وقيل: من أنفسكم أي: من جنسكم أزواجا، ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[3]. قال ابن مسعود والنخعي: الحفدة أختان الرجل على بناته، وعن ابن مسعود أيضا أنهم الأصهار، فيكون معنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار. وقال عكرمة والحسن والضحاك: هم الخدم. قال مجاهد: هم الأعوان من أعانك فقد حفدك. وقال عطاء: هم ولد ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه. وقال قتادة: مهنة تمتهنونهم ويخدمونكم من أولادكـم. قال الكلبي ومقاتل: البنين الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينونه على عمله. وروى مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس: أنهم ولد الولد. وروى العوفي عنه: أنهم بنو امرأة الرجل ليسوا منه ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[4]، من النعم الحلال، ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ ﴾[5]، يعني الأصنام، ﴿ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[6]، يعني التوحيد والإسلام، وقيل: الباطل الشيطان أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة، وبنعمة الله أي بما أحل الله لهم يكفرون يجحدون تحليله.

---

(١) سورة النحل آية : ٧١.
(٢) سورة النحل آية : ٧٢.
(٣) سورة النحل آية : ٧٢.
(٤) سورة النحل آية : ٧٢.
(٥) سورة النحل آية : ٧٢.
(٦) سورة النحل آية : ٧٢.

قوله تعالى وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ....

[٧٣] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ [(١)]، يعني المطر، ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [(٢)]، يعني النبات، ﴿ شَيْـًٔا ﴾ [(٣)] قال الأخفش: هو بدل من الرزق معناه أنهم لا يملكون من أمر الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا. وقال الفراء: نصب شيئا بوقوع الرزق عليه أي لا يرزق شيئا، ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [(٤)]، ولا يقدرون على شيء بذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضر.

[٧٤] ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾ [(٥)]، يعني الأشباه فتشبهونه بخلقه وتجعلون له شريكا فإنه واحد لا مثل له، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [(٦)]، خطأ ما تضربون من الأمثال، ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر، فقال جل ذكره.

[٧٥] ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [(٧)] هذا مثل الكافر رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا ﴿ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ ﴾ [(٨)]، هذا مثل المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه في رضاء الله

---

(١) سورة النحل آية : ٧٣.
(٢) سورة النحل آية : ٧٣.
(٣) سورة النحل آية : ٧٣.
(٤) سورة النحل آية : ٧٣.
(٥) سورة النحل آية : ٧٤.
(٦) سورة النحل آية : ٧٤.
(٧) سورة النحل آية : ٧٥.
(٨) سورة النحل آية : ٧٥.

سرا وجهرا فأثابه الله عليه الجنة. ﴿ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ﴾[(١)]، ولم يقل هل يستويان لمكان (من) وهو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع، وكذلك قوله (لا يستطيعون) بالجمع لأجل من، معناه: هل يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر العامي والمؤمن المطيع. ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[(٢)]، يقول ليس الأمر كما يقولون ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله ﷻ لأنه المنعم والخالق والرازق، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون، ثم ضرب مثلا للأصنام فقال:

[٧٦] ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ ﴾[(٣)]، كل ثقـل ووبال علـى مولاه ابن عمـه وأهل ولايته، ﴿ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ ﴾[(٤)]، يرسله، ﴿ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍۖ ﴾[(٥)]، لأنه لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه، هذا مثل الأصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل، (وَهُوَ كَل عَلَى مَوْلَاهُ) عابده يحتاج إلى أن يحمله ويضعه ويخدمه، ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾[(٦)]، يعني: الله فإنه قادر متكلم يأمر بالتوحيد، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ ﴾[(٧)]، قال الكلبي: يعني يدلكم على صراط مستقيم. وقيل: هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم. وقيل: كلا المثلين للمؤمن والكافر، يرويه عطية عن ابن عباس قال عطاء: الأبكم أبي بن

(١) سورة النحل آية : ٧٥.
(٢) سورة النحل آية : ٧٥.
(٣) سورة النحل آية : ٧٦.
(٤) سورة النحل آية : ٧٦.
(٥) سورة النحل آية : ٧٦.
(٦) سورة النحل آية : ٧٦.
(٧) سورة النحل آية : ٧٦.

خلف، ومن يأمر بالعدل: حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون. وقال مقاتل: نزلت في هاشم بن عمرو بن الحرث بن ربيعة القرشي، وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ وقيل: نزلت في عثمان بن عفان ومولاه، كان عثمان ينفق عليه وكان مولاه يكره الإسلام.

[٧٧] ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [١]، في قرب كونا، ﴿ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ [٢]، إذا قال له كن فيكون، ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ ﴾ [٣]، بل هو أقرب، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [٤]، نزلت في الكفار الذين يستعجلون القيامة استهزاء.

[٧٨] ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [٥] تم الكلام ثم ابتدأ فقال جل وعلا، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ ﴾ [٦]، لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [٧]، نعمة كون السمع والأبصار والأفئدة قبل الخروج إذ يسمع الطفل ويبصر ولا يعلم، وهذه الجوارح من غير هذه الصفات كالمعدوم، كما قال

---

(١) سورة النحل آية : ٧٧.
(٢) سورة النحل آية : ٧٧.
(٣) سورة النحل آية : ٧٧.
(٤) سورة النحل آية : ٧٧.
(٥) سورة النحل آية : ٧٨.
(٦) سورة النحل آية : ٧٨.
(٧) سورة النحل آية : ٧٨.

فيمن لا يسمع الحق ولا يبصر العبر ولا يعقل الثواب: ﴿ صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ ﴾ [1] لا يشكرون نعمه.

[٧٩] ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾ [2]، قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء والباقون بالياء لقوله: (ويعبدون). ﴿ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٍ ﴾ [3]، مذللات، ﴿ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [4] وهو الهدف بين السماء والأرض، روى كعب الأحبار أن الطير ترفع اثني عشر ميلا ولا ترفع فوق هذا وفوق الجو السكاك السماء ﴿ مَا يُمۡسِكُهُنَّ ﴾ [5] في الهواء ﴿ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩ ﴾ [6].

قوله تعالى وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا....

[٨٠] ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ ﴾ [7] التي هي من الحجر والمدر، ﴿ سَكَنٗا ﴾ [8] أي: مسكنا تسكنونه، ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا ﴾ [9]، يعني الخيام والقباب والأخبية والفساطيط من الأنطاع والأدم، ﴿ تَسۡتَخِفُّونَهَا ﴾ [10] أي: يخف عليكم حملها، ﴿ يَوۡمَ

(١) سورة البقرة آية : ١٨.
(٢) سورة النحل آية : ٧٩.
(٣) سورة النحل آية : ٧٩.
(٤) سورة النحل آية : ٧٩.
(٥) سورة النحل آية : ٧٩.
(٦) سورة النحل آية : ٧٩.
(٧) سورة النحل آية : ٨٠.
(٨) سورة النحل آية : ٨٠.
(٩) سورة النحل آية : ٨٠.
(١٠) سورة النحل آية : ٨٠.

﴿ظَعۡنِكُمۡ﴾[1]، رحلتكم في سفركم، ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾[2]، في بلدكم لا تثقل عليكم في الحالين، ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ﴾[3]، يعني أصواف الضأن وأوبار الإبل أشعار المعز، والكناية راجعة إلى الأنعام، ﴿أَثَٰثٗا﴾[4] قال ابن عباس: مالا. قال مجاهد: متاعا. قال القتيبي: الأثاث المال جميعه من الإبل والغنم والمتاع، وقال غيره: هو متاع البيت من الفرش والأكسية، ﴿وَمَتَٰعًا﴾[5]، بلاغا ينتفعون بها، ﴿إِلَىٰ حِينٖ ۝٨٠﴾[6] يعني إلى حين الموت. وقيل: إلى حين تبلى.

[٨١] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا﴾[7] تستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال الأبنية والأشجار، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾[8]، يعني: الأسراب والغيران واحدها كن ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾[9] قمصا من الكتان والقز والقطن والصوف، ﴿تَقِيكُمُ﴾[10]، تمنعكم، ﴿ٱلۡحَرَّ﴾[11]، قال أهل المعاني: أراد الحر

(١) سورة النحل آية : ٨٠.
(٢) سورة النحل آية : ٨٠.
(٣) سورة النحل آية : ٨٠.
(٤) سورة النحل آية : ٨٠.
(٥) سورة النحل آية : ٨٠.
(٦) سورة النحل آية : ٨٠.
(٧) سورة النحل آية : ٨١.
(٨) سورة النحل آية : ٨١.
(٩) سورة النحل آية : ٨١.
(١٠) سورة النحل آية : ٨١.
(١١) سورة النحل آية : ٨١.

والبرد اكتفاء بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه. ﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ ﴾[1]، يعني: الدروع، والبأس: الحرب، يعني تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ۝٨١ ﴾[2]، تخلصون له الطاعة.

[٨٢] ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾[3]، فإن أعرضوا فلا يلحق في ذلك عتيب ولا سمة تقصير، ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٨٢ ﴾[4].

[٨٣] ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾[5]، قال السدي يعني: محمدا ﷺ ﴿ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[6]، يكذبون به. وقال قوم: هي الإسلام. وقال مجاهد وقتادة: يعني ما عُدّ لهم من النعم في هذه السورة يقرون أنا من الله، ثم قيل لهم: تصدقوا وامتثلوا لأمر الله فيها ينكرونا فيقولون ورثتها من آبائنا. وقال الكلبي: هو أنه لما ذكر لهم هذه النعمة قالوا: نعم هذه كلها من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا. وقال عوف بن عبد الله: هو قول الرجـل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا، ﴿ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٣ ﴾[7]، الجاحدون.

---

(١) سورة النحل آية : ٨١.
(٢) سورة النحل آية : ٨١.
(٣) سورة النحل آية : ٨٢.
(٤) سورة النحل آية : ٨٢.
(٥) سورة النحل آية : ٨٣.
(٦) سورة النحل آية : ٨٣.
(٧) سورة النحل آية : ٨٣.

[٨٤] قوله ﷻ ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾[١]، يعني رسولا ﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[٢]، في الاعتذار، وقيل: في الكلام أصلا، ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[٣]، يسترضون، يعني: لا يكلفون أن يرضوا ربهم لأن الآخرة ليست بدار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون، وحقيقة المعنى في الاستعتاب أنه التعرض لطلب الرضا وهذا الباب منسد في الآخرة على الكفار.

[٨٥] ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[٤]، كفروا، ﴿ ٱلْعَذَابَ ﴾[٥] يعني جهنم، ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[٦].

[٨٦] ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾[٧]، يوم القيامة، ﴿ شُرَكَآءَهُمْ ﴾[٨]، أوثانهم، ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ ﴾[٩]، أربابا

(١) سورة النحل آية : ٨٤.
(٢) سورة النحل آية : ٨٤.
(٣) سورة النحل آية : ٨٤.
(٤) سورة النحل آية : ٨٥.
(٥) سورة النحل آية : ٨٥.
(٦) سورة النحل آية : ٨٥.
(٧) سورة النحل آية : ٨٦.
(٨) سورة النحل آية : ٨٦.
(٩) سورة النحل آية : ٨٦.

ونعبدهم، ﴿ فَأَلْقَوْاْ ﴾[1]، يعني الأوثان، ﴿ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ ﴾[2]، أي: قالوا لهم، ﴿ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3]، في تسميتنا آلهة ما دعوناكم إلى عبادتنا.

[٨٧] ﴿ وَأَلْقَوْاْ ﴾[4]، يعني المشركين ﴿ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾[5]، استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا، ﴿ وَضَلَّ ﴾[6]، وزال، ﴿ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[7]، من أنا تشفع لهم.

قوله تعالى الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ....

[٨٨] ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[8]، منعوا الناس عن طريق الحق ﴿ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[9]، في الدنيا بالكفر وصد الناس عن الإيمان.

[٨٩] ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[10]، يعني نبيها لأن الأنبياء كانت تبعث إلى الأمم منها. ﴿ وَجِئْنَا

---

(١) سورة النحل آية : ٨٦.

(٢) سورة النحل آية : ٨٦.

(٣) سورة النحل آية : ٨٦.

(٤) سورة النحل آية : ٨٧.

(٥) سورة النحل آية : ٨٧.

(٦) سورة النحل آية : ٨٧.

(٧) سورة النحل آية : ٨٧.

(٨) سورة النحل آية : ٨٨.

(٩) سورة النحل آية : ٨٨.

(١٠) سورة النحل آية : ٨٩.

بِكَ ﴾ (1)، يا محمد ﴿ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (2)، الذين بعثت إليهم ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا ﴾ (3) بيانا، ﴿ لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (4)، يحتاج إليه من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام، ﴿ وَهُدًى ﴾ (5)، من الضلالة ﴿ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ ﴾ (6)، بشارة ﴿ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (7).

[٩٠] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (8)، بالإنصاف، ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (9)، إلى الناس وعن ابن عباس: العدل: التوحيد والإحسان: أداء الفرائض. وعنه أيضا: الإحسان: الإخلاص في التوحيد، وذلك معنى قول النبي ﷺ ﴿ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ﴾ (10) (11).

---

(1) سورة النحل آية : ٨٩.

(2) سورة النحل آية : ٨٩.

(3) سورة النحل آية : ٨٩.

(4) سورة النحل آية : ٨٩.

(5) سورة النحل آية : ٨٩.

(6) سورة النحل آية : ٨٩.

(7) سورة النحل آية : ٨٩.

(8) سورة النحل آية : ٩٠.

(9) سورة النحل آية : ٩٠.

(10) البخاري تفسير القرآن (٤٤٩٩)، مسلم الإيمان (١٠)، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١)، ابن ماجه المقدمة (٦٤)، أحمد (٤٢٦/٢).

(11) قطعة من الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في الإيمان ١ / ١١٤ ومسلم في الإيمان برقم (٨) ١ / ٣٦.

وقـال مقاتل: العـدل التوحيد، والإحسان: العفو عن الناس، ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1]، صلة الرحم، ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ﴾[2]، ما قبح من القول والفعل. وقال ابن عباس: الزنا، ﴿ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[3]، ما لا يعرف في شريعة ولا سنة، ﴿ وَٱلْبَغْيِ ۚ ﴾[4]، الكبر والظلم. وقال ابن عيينة: العدل استواء السر والعلانية، والإحسان: أن يكون سريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته، ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[5]، لعلكم تتعظون. قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية. وقال أيوب عن عكرمة: إن النبي ﷺ قرأ على الوليد: (إن اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْل) إلى آخر الآية فقال له: يا ابن أخي أعد فعاد عليه، فقال: إن له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر.

[٩١] قولـه تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾[6]، والعهد هاهنا هو اليمين، قال الشعبي: العهد يمين وكفارته كفارة اليمين، ﴿ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾[7]، تشديدها فتحنثوا فيها، ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ ﴾[8]، شهيدا بالوفاء، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا

(١) سورة النحل آية : ٩٠.
(٢) سورة النحل آية : ٩٠.
(٣) سورة النحل آية : ٩٠.
(٤) سورة النحل آية : ٩٠.
(٥) سورة النحل آية : ٩٠.
(٦) سورة النحل آية : ٩١.
(٧) سورة النحل آية : ٩١.
(٨) سورة النحل آية : ٩١.

تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ [1]، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وإن كان حكمها عاما، قيل: نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ أمرهم الله بالوفاء بها. وقال مجـاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية. ثم ضرب الله مثلا لنقض العهد.

[٩٢] فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ﴾ [2]، أي: من بعد غزله وإحكامه معناه: أنها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض، فكذلك أنتم إذا أنقضتم العهد، لا كففتم عن العهد ولا حين عاهدتم وفيتم به، ﴿ أَنكَٰثٗا ﴾ [3]، يعني أنقاضا واحدتها نكث وهو ما نقض بعد الفتل غزلا كان أو حبلا. ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ ﴾ [4]، أي: دخلا وخيانة وخديعة والدخل: ما يدخل في شيء للفساد، وقيل: الدخل والدغل أن يظهر الوفاء ويبطن النقض. ﴿ أَن تَكُونَ ﴾ [5] أي: لأن تكون، ﴿ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ ﴾ [6]، أي: أكثر وأعلى، ﴿ مِنۡ أُمَّةٍۚ ﴾ [7] قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوما أكثر منهم وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكثر، فمعناه: طلبتم العز بنقض العهد بأن كانت أمة أكثر من أمة فنهاهم الله عن ذلك. ﴿ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ ﴾ [8]، يختبركـم الله بأمره إياكـم

(١) سورة النحل آية : ٩١.
(٢) سورة النحل آية : ٩٢.
(٣) سورة النحل آية : ٩٢.
(٤) سورة النحل آية : ٩٢.
(٥) سورة النحل آية : ٩٢.
(٦) سورة النحل آية : ٩٢.
(٧) سورة النحل آية : ٩٢.
(٨) سورة النحل آية : ٩٢.

بالوفاء بالعهد، ﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[1]، في الدنيا.

[٩٣] ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[2]، على ملة واحدة وهي الإسلام، ﴿ وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾[3]، بخذلانه إياهم عدلا منه، ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾[4]، بتوفيقه إياهم فضلا منه، ﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[5]، يوم القيامة.

وَلَا تَتخِذُوا أَيمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتزِل قَدَمٌ بَعْدَ ثبُوتهَا....

[٩٤] ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا ﴾[6]، خديعة وفسادا، ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾[7]، فتغرون بها الناس فيسكنون إلى أيمانكم ويأمنون ثم تنقضونها، ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾[8]، فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة زلت قدمه، ﴿ وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ ﴾[9]، قيل: معناه سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد، ﴿ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾[10].

(١) سورة النحل آية : ٩٢.
(٢) سورة النحل آية : ٩٣.
(٣) سورة النحل آية : ٩٣.
(٤) سورة النحل آية : ٩٣.
(٥) سورة النحل آية : ٩٣.
(٦) سورة النحل آية : ٩٤.
(٧) سورة النحل آية : ٩٤.
(٨) سورة النحل آية : ٩٤.
(٩) سورة النحل آية : ٩٤.
(١٠) سورة النحل آية : ٩٤.

[٩٥] ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاًۚ ﴾[١]، يعني لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا، ولكن أوفوا بها. ﴿ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ ﴾[٢]، من الثواب لكم على الوفاء بالعهد، ﴿ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[٣]، فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك.

[٩٦] فقال: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ ﴾[٤]، أي: الدنيا وما فيها يفنى، ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ﴾[٥]، قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء، ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾[٦]، على الوفاء في السراء والضراء، ﴿ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[٧].

[٩٧] قوله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ ﴾[٨] ﴿ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ ﴾[٩] قال سعيد بن جبير وعطاء: هي الرزق الحلال. قال الحسن: هي القناعة. وقال مقاتل بن حيان: يعني العيش في الطاعة. قال أبو بكر الوراق: هي

---

(١) سورة النحل آية : ٩٥.
(٢) سورة النحل آية : ٩٥.
(٣) سورة النحل آية : ٩٥.
(٤) سورة النحل آية : ٩٦.
(٥) سورة النحل آية : ٩٦.
(٦) سورة النحل آية : ٩٦.
(٧) سورة النحل آية : ٩٦.
(٨) سورة النحل آية : ٩٧.
(٩) سورة النحل آية : ٩٧.

حلاوة الطاعة. وقال مجاهد وقتادة: هي الجنة. ورواه عوف عن الحسن. وقال: لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة. ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

[٩٨] ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[2]، أي: إذا أردت قراءة القرآن ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[3]، كقوله تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ ﴾[4]، والاستعاذة سنة عند قراءة القرآن، وأكثر العلماء على أن الاستعاذة قبل القراءة. وقال أبو هريرة: بعدها ولفظه أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. والاستعاذة بالله هي الاعتصام به.

[٩٩] ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ ﴾[5]، حجة وولاية، ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[6]، قال سفيان: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر.

[١٠٠] ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾[7]، يطيعونه ويدخلون في ولايته، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾[8]، أي: بالله مشركون. وقيل: الكناية راجعة إلى الشيطان، ومجازه الذين هم من أجله مشركون بالله.

---

(١) سورة النحل آية : ٩٧.
(٢) سورة النحل آية : ٩٨.
(٣) سورة النحل آية : ٩٨.
(٤) سورة المائدة آية : ٦.
(٥) سورة النحل آية : ٩٩.
(٦) سورة النحل آية : ٩٩.
(٧) سورة النحل آية : ١٠٠.
(٨) سورة النحل آية : ١٠٠.

[١٠١] ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ [١]، يعني وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكما آخر، ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ [٢]، أعلم بما هو أصلح لخلقه فيما يغير ويبدل من أحكامه، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ ﴾ [٣]، يا محمد، ﴿ مُفْتَرٍ ﴾ [٤]، مختلق وذلك أن المشركين قالوا: إن محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ما هو إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه، قال الله: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [٥]، حقيقة القرآن، وبيان الناسخ والمنسوخ.

[١٠٢] ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ ﴾ [٦]، يعني القـرآن، ﴿ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ [٧]، جبريـل، ﴿ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٨] بالصـدق، ﴿ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [٩]، أي: ليثبت قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا ويقينا، ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [١٠].

---

(١) سورة النحل آية : ١٠١.
(٢) سورة النحل آية : ١٠١.
(٣) سورة النحل آية : ١٠١.
(٤) سورة النحل آية : ١٠١.
(٥) سورة النحل آية : ١٠١.
(٦) سورة النحل آية : ١٠٢.
(٧) سورة النحل آية : ١٠٢.
(٨) سورة النحل آية : ١٠٢.
(٩) سورة النحل آية : ١٠٢.
(١٠) سورة النحل آية : ١٠٢.

قوله تعالى وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ....

[١٠٣] ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ (١)، آدمي وما هو من عند الله، واختلفوا في هذا البشر، قال ابن عباس: اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمي اللسان، ﴿ فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج، فكانوا يقولون: إنما يعلمه بلعام ﴾ (٢). وقال عكرمة: ﴿ كان النبي ﷺ يقرئ غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش، وكان يقرأ الكتب، فقالت قريش: إنما يعلمه بشر، يعيش ﴾. وقال الفراء: قال المشركون إنما يتعلم من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى، وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وكان أعجمي اللسان. وقال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي، يقال له جبر، وكان يقرأ الكتب، وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي: كان لنا عبدان من أهل عين النمر وكانا يصنعان السيوف بمكة، وكان يقرآن التوراة والإنجيل فربما مر بما النبي ﷺ وهما يقرآن التوراة، فيقف ويستمع. قال الضحاك: وكان النبي ﷺ إذا آذاه الكفار يقعد إليهما ويستريح بكلامهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما، فـ لت هذه الآية قال الله تعالى تكذيبا لهم: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ﴾ (٣)، أي يميلون ويشيرون إليه، ﴿ أَعْجَمِىٌّ ﴾ (٤)، الأعجمي الذي لا يفصح وإن كان يـ ل بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحا، والأعرابي البدوي، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن

---

(١) سورة النحل آية : ١٠٣.

(٢) أخرجه ابن جرير ١٤ / ١٧٧.

(٣) سورة النحل آية : ١٠٣.

(٤) سورة النحل آية : ١٠٣.

فصيحا، ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[(١)]، فصيح وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللغة لسان.

[١٠٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ ﴾[(٢)]، لا يرشدهم الله، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٣)]، ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون.

[١٠٥] فقال: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[(٤)]، لا محمد ﷺ فإن قيل: قد قال إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون فما معنى قوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبونَ)، قيل: إنما يفتري الكذب أخبار عن فعلهم وهم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب.

[١٠٦] ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾ [(٥)] قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عمار وذلك أن المشركين أخذوه وأباه يا سرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم، فأما سمية فإنا ربطت بين بعيرين ووجئ قُبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها يا سر وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ ﴿ ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله نلت منهم وذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف وجدت قلبك؟ قال: مطمئنا بالإيمان فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك فعد لهم بما قلت، ف لت هذه

(١) سورة النحل آية : ١٠٣.
(٢) سورة النحل آية : ١٠٤.
(٣) سورة النحل آية : ١٠٤.
(٤) سورة النحل آية : ١٠٥.
(٥) سورة النحل آية : ١٠٦.

الآية ﴾[1] وقال مقاتل: نزلت في جبر مـولى عامـر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها، ﴿ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾[2]، ثم أسلم مولى عامر بن الحضرمي وحسن إسلامه وهاجر جبر مع سيده، ﴿ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾[3] أي: فتح صـدره بالكفـر بالقبـول فاختـاره، ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[4]. وأجمع العلماء على أن من أكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفرا وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل.

[١٠٧] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ﴾[5]، آثـروا، ﴿ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[6]، لا يرشدهم.

[١٠٨] ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[7]، عما يراد بهم.

---

(١) أخرجه الطبري ١٤ / ١٨١ وعبد بن حميد والحاكم انظر الدر المنثور ٥ / ١٧٢.
(٢) سورة النحل آية : ١٠٦.
(٣) سورة النحل آية : ١٠٦.
(٤) سورة النحل آية : ١٠٦.
(٥) سورة النحل آية : ١٠٧.
(٦) سورة النحل آية : ١٠٧.
(٧) سورة النحل آية : ١٠٨.

[١٠٩] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾[1]، أي حقا، ﴿ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[2]، أي المغبونون.

[١١٠] ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ﴾[3]، عذبوا ومنعوا من الإسلام فتنهم المشركون ﴿ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ ﴾[4] على الإيمان والهجرة والجهاد، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾[5]، من بعد تلك الفتنة والغفلة ﴿ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾[6].

قوله تعالى يَوْمَ تَأْتِي كُل نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفى كُل نَفْسٍ مَا عَمِلتْ وَهُمْ لا يُظْلمُونَ.....

[١١١] ﴿ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ ﴾[7]، تخاصم وتحتج، ﴿ عَن نَّفۡسِهَا ﴾[8] بما أسلفت من خير وشر مشتغلا بها لا تتفرغ إلى غيرها، ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[9].

---

(١) سورة النحل آية : ١٠٩.
(٢) سورة النحل آية : ١٠٩.
(٣) سورة النحل آية : ١١٠.
(٤) سورة النحل آية : ١١٠.
(٥) سورة النحل آية : ١١٠.
(٦) سورة النحل آية : ١١٠.
(٧) سورة النحل آية : ١١١.
(٨) سورة النحل آية : ١١١.
(٩) سورة النحل آية : ١١١.

[١١٢] قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً ﴾ [١]، يعني. مكة كانت آمنة لا يهاج أهلها ولا يغار عليها، ﴿ مُّطْمَئِنَّةً ﴾ [٢]، قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب، ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [٣]، يحمل إليها من البر والبحر، نظيره: ﴿ تُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [٤]. ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ [٥]، جمع النعمة، وقيل: جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس، ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ ﴾ [٦] ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله ﷺ حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة، والجيف والكلاب الميتة، ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ وقالوا: ما هذا؟ هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون، وذكر اللباس لأن ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم، ﴿ وَٱلْخَوْفِ ﴾ [٧]، يعني: بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كانت تطيف بهم ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [٨].

---

(١) سورة النحل آية : ١١٢.
(٢) سورة النحل آية : ١١٢.
(٣) سورة النحل آية : ١١٢.
(٤) سورة القصص آية : ٥٧.
(٥) سورة النحل آية : ١١٢.
(٦) سورة النحل آية : ١١٢.
(٧) سورة النحل آية : ١١٢.
(٨) سورة النحل آية : ١١٢.

[١١٣] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾[1]، محمد ﷺ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[2].

[١١٤] ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾[3].

[١١٥] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا ﴾[4] ﴿ عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾[5].

[١١٦] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾[6]، أي: لا تقولوا لوصف ألسنتكم أو لأجل وصفكم الكذب أي: أنكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره، ﴿ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾[7]، يعني البحيرة والسائبة، ﴿ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ ﴾[8]، فتقولون إن الله أمرنا بذا، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[9]، لا ينجون من عذاب الله.

---

(١) سورة النحل آية : ١١٣.
(٢) سورة النحل آية : ١١٣.
(٣) سورة النحل آية : ١١٤.
(٤) سورة النحل آية : ١١٥.
(٥) سورة النحل آية : ١١٥.
(٦) سورة النحل آية : ١١٦.
(٧) سورة النحل آية : ١١٦.
(٨) سورة النحل آية : ١١٦.
(٩) سورة النحل آية : ١١٦.

[١١٧] ﴿ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ [(١)] يعني: الذي هم فيه متاع قليل أو لهم متاع قليل في الدنيا. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [(٢)]، في الآخرة.

[١١٨] ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ [(٣)] يعني في سورة الأنعام. وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ [(٤)] الآية ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ ﴾ [(٥)] بتحريم ذلك عليهم، ﴿ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [(٦)] فحرمنا عليهم ببغيهم.

[١١٩] ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ ﴾ [(٧)] يعني: بالإصلاح والاستقامة على التوبة، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾ [(٨)]، أي: من بعد الجهالة، ﴿ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾ [(٩)].

قوله تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ....

[١٢٠] قوله تعالى. ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [(١٠)] قال ابن مسعود: الأمة معلم الخير أي: كان معلم الخير، يأتم به أهل الدنيا، وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما

(١) سورة النحل آية : ١١٧.
(٢) سورة النحل آية : ١١٧.
(٣) سورة النحل آية : ١١٨.
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٦.
(٥) سورة النحل آية : ١١٨.
(٦) سورة النحل آية : ١١٨.
(٧) سورة النحل آية : ١١٩.
(٨) سورة النحل آية : ١١٩.
(٩) سورة النحل آية : ١١٩.
(١٠) سورة النحل آية : ١٢٠.

اجتمع في أمة، قال مجاهد: كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار. قال قتادة: ليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضونه ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ [(١)] مطيعا. وقيل. قائما بأوامر الله تعالى، ﴿ حَنِيفًا ﴾ [(٢)] مستقيما على دين الإسلام. وقيل: مخلصا. ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [(٣)].

[١٢١] ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ ﴾ [(٤)]، اختاره، ﴿ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ [(٥)]، أي: إلى دين الحق.

[١٢٢] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ ﴾ [(٦)]، يعني الرسالة والخلة. وقيل: لسان الصدق والثناء الحسن. وقال مقاتل بن حيان. يعني الصلاة عليه في قول هذه الأمة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم. وقيل: أولادا أبرارا على الكبر. وقيل: القبول العام في جميع الأمم. ﴿ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [(٧)]، مع آبائه الصالحين في الجنة. وفي الآية تقديم وتأخير مجازه: وآتيناه في الدنيا والآخرة حسنة، وإنه لمن الصالحين.

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٠.
(٢) سورة النحل آية : ١٢٠.
(٣) سورة النحل آية : ١٢٠.
(٤) سورة النحل آية : ١٢١.
(٥) سورة النحل آية : ١٢١.
(٦) سورة النحل آية : ١٢٢.
(٧) سورة النحل آية : ١٢٢.

[١٢٣] ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[(١)]، يا محمد ﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ ﴾[(٢)]، حاجا مسلما، ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[(٣)]، وقال أهل الأصول: كان النبي ﷺ مأمورا بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ في شريعته، وما لم ينسخ صار شرعا.

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ﴾ [(٤)] ﴿ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [(٥)] أي: خالفوا فيه. قيل: معناه إنما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه. وقيل: معناه ما فرض الله تعظيم السبت وتحريمه إلا على الذين اختلفوا فيه، يعني اليهود، قال قتادة: الذين اختلفوا فيه هم اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [(٦)].

قوله تعالى ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ....

[١٢٥] ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾[(٧)]، بالقرآن، ﴿ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾[(٨)]، يعني مواعظ القرآن. وقيل: الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب. وقيل: هو قـول اللين الرقيـق مـن غير تغليظ ولا تعنيف،

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٣.
(٢) سورة النحل آية : ١٢٣.
(٣) سورة النحل آية : ١٢٣.
(٤) سورة النحل آية : ١٢٤.
(٥) سورة النحل آية : ١٢٤.
(٦) سورة النحل آية : ١٢٤.
(٧) سورة النحل آية : ١٢٥.
(٨) سورة النحل آية : ١٢٥.

﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1]، وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن أي أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق، نسختها آيـة القتـال. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2].

[١٢٦] ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ ﴾[3]، هذه الآيات نزلت بالمدينة في شهداء أحد وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مثل به غير حنظلة بن الراهب فإن أباه أبا عمر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك، فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أظهرنا الله عليهم ل يدن على صنيعهم ولنمثلن بم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد، فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وأذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه فقال: « لئن أظفرني الله بم لأمثلن بسبعين منهم مكانك »، فأنزل الله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا) الآية. ﴿ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[4]، أي: ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي ﷺ « بل نصير، وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه »، قال ابن عباس والضحاك: كان هذا قبل نزول براءة حين أمر النبي ﷺ بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال، فلما أعز الإسلام وأهله نزلت براءة، وأمروا بالجهاد ونسخت هذه الآية، قال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين: الآية

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٥.

(٢) سورة النحل آية : ١٢٥.

(٣) سورة النحل آية : ١٢٦.

(٤) سورة النحل آية : ١٢٦.

محكمة نزلت فيمن ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه، أمر بالجزاء والعفو ومنع من الاعتداء، ثم قال لنبيه ﷺ.

[١٢٧] ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [1]، أي: بمعـونة الله وتوفيقه، ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [2]، في إعراضهم عنك، ﴿ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [3]، أي: مما فعلوا من الأفاعيل، وقال أبو عبيدة: الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن، فأما ما كان في القلب والصدر فإنه بفتح الضاد. وقال ابن قتيبة: الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين، ولين ولين، فعلى هذا هو صفة كأنه قال: ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم.

[١٢٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ [4]، المناهي، ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [5] بالعون والنصرة.

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٧.

(٢) سورة النحل آية : ١٢٧.

(٣) سورة النحل آية : ١٢٧.

(٤) سورة النحل آية : ١٢٨.

(٥) سورة النحل آية : ١٢٨.

(١٧) سورة الإسراء

قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾....

[١] ﴿ سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلاً ﴾(١)، سبحان الله تنزيه الله تعالى من كل سوء ووصف بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة وتكون سبحان بمعنى التعجب أسرى بعبده، أي: سيره، وكذلك سرى به، والعبد هو: محمد ﷺ ﴿ مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾(٢)، قيل: كان الإسراء من مسجد مكة. روى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن رسول ﷺ قال: ﴿ بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق ﴾(٣)، فذكر حديث المعراج وقال قوم: عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب ومعنى قوله: (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي: من الحرم. قال مقاتل: كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة. ويقال: كان في رجب. وقيل: كان في رمضان. ﴿ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾(٤)، يعني: بيت المقدس، وسمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار. وقيل: لبعده من المسجد الحرام. ﴿ ٱلَّذِى بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾(٥)، بالأنار والأشجار والثمار. وقال مجاهد: سماه مباركا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، وفيه الصخرة

(١) سورة الإسراء آية : ١.
(٢) سورة الإسراء آية : ١.
(٣) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٥)، مسلم الإيمان (١٦٤)، الترمذي تفسير القرآن (٣٣٤٦)، النسائي الصلاة (٤٤٨)، أحمد (٤/٢٠٨).
(٤) سورة الإسراء آية : ١.
(٥) سورة الإسراء آية : ١.

ومنه يحشر الناس يوم القيامة. ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ ﴾ [1] من عجائب قدرتنا، وقد رأى هناك الأنبياء والآيات الكبرى، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝ ﴾ [2]، ذكر السميع لينبه على أنه المجيب لدعائه، وذكر البصير لينبه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: « ما فقد جسد النبي ﷺ ولكن الله أسرى بروحه ». والأكثرون على أنه أسري بجسده في اليقظة وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك.

[٢] قوله ﷻ ﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا ﴾ [3]، بألا، ﴿ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ۝ ﴾ [4]، ربا كفيلا، قرأ أبو عمرو: (لا يتخذوا) بالياء لأنه خبر عنهم والآخرون بالتاء، يعني قلنا لهم لا تتخذوا.

[٣] ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا ﴾ [5]، قال مجاهد: هذا نداء يعني: يا ذرية من حملنا، ﴿ مَعَ نُوحٍۚ ﴾ [6]، في السفينة فأنجيناهم من الطوفان، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ۝ ﴾ [7]، كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال: الحمد لله، فسمي عبدا شكورا، أي: كثير الشكر.

---

(١) سورة الإسراء آية : ١.

(٢) سورة الإسراء آية : ١.

(٣) سورة الإسراء آية : ٢.

(٤) سورة الإسراء آية : ٢.

(٥) سورة الإسراء آية : ٣.

(٦) سورة الإسراء آية : ٣.

(٧) سورة الإسراء آية : ٣.

[٤] قوله ﷻ ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [١] أي: أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب أنم سيفسدون، والقضاء على وجوه: يكون أمرا كقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ [٢]، ويكون حكما كقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ ﴾ [٣] ويكون خلقا: كقوله ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾ [٤]، وقال ابن عباس وقتادة: يعني وقضينا عليهم، فإلى بمعنى على، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ﴿ لَتُفْسِدُنَّ ﴾ [٥]، لام القسم مجازه: والله لتفسدن، ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [٦]، بالمعاصي، والمراد بالأرض أرض الشام وبيت المقدس، ﴿ وَلَتَعْلُنَّ ﴾ [٧]، ولتستكبرن ولتظلمن الناس، ﴿ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ ﴾ [٨].

[٥] ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ [٩]، يعني أولى مرتين، قال قتادة: إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا المحارم. وقال محمد بن إسحاق: إفسادهم في المرة الأولى: قتل شعياء وارتكابم المعاصي. ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ [١٠]، قال

(١) سورة الإسراء آية : ٤.
(٢) سورة الإسراء آية : ٢٣.
(٣) سورة يونس آية : ٩٣.
(٤) سورة فصلت آية : ١٢.
(٥) سورة الإسراء آية : ٤.
(٦) سورة الإسراء آية : ٤.
(٧) سورة الإسراء آية : ٤.
(٨) سورة الإسراء آية : ٤.
(٩) سورة الإسراء آية : ٥.
(١٠) سورة الإسراء آية : ٥.

قتادة: يعني جالوت الخزري وجنوده، وهو الذي قتله داود. وقال سعيد بن جبير: يعني سنجاريب من أهل نينـوى. وقـال ابـن إسحـاق: بختنصر البابلي وأصحابه، وهو الأظهر. ﴿ أُوْلِي بَأْسٍ ﴾[1]، ذوي بطش، ﴿ شَدِيدٍ ﴾[2]، فـي الحرب، ﴿ فَجَاسُواْ ﴾[3]، أي: فطافوا وداروا، ﴿ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ ﴾[4]، وسطها يطلبونكـم، والجوس: طلب الشيء بالاستقصاء. قال الفراء: جاسوا قتلوكـم بين بيوتكـم، ﴿ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ﴾[5]، قضاء كائنا لا خلف فيه.

[٦] ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ ﴾[6]، يعني: الرجعة والدولة، ﴿ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦ ﴾[7]، عددا، أي: من ينفر معهم وعاد البلد أحسن مما كان.

[٧] ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ ﴾[8]، أي: لها ثوابا، ﴿ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ﴾[9]، أي: فعليها، كقوله تعالى: ﴿ فَسَلَٰمٞ لَّكَ ﴾[10] أي: عليك. وقيل:

---

(١) سورة الإسراء آية : ٥.
(٢) سورة الإسراء آية : ٥.
(٣) سورة الإسراء آية : ٥.
(٤) سورة الإسراء آية : ٥.
(٥) سورة الإسراء آية : ٥.
(٦) سورة الإسراء آية : ٦.
(٧) سورة الإسراء آية : ٦.
(٨) سورة الإسراء آية : ٧.
(٩) سورة الإسراء آية : ٧.
(١٠) سورة الواقعة آية : ٩١.

فلها الجزاء والعقاب، ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [1] أي: المرة الأخيرة من إفسادكم وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فسلط الله عليهم الفرس والروم حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ لِيَسُـٔۥُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ [2]، أي: تحزن وجوهكم وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن. قرأ الكسائي ويعقوب: (لنسوء) بالنون وفتح الهمزة على التعظيم، كقوله (وقضينا) و (بعثنا) وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالياء وفتح الهمزة على التوحيد، أي ليسوء الله وجوهكم، وقيل: ليسوء الوعد وجوهكـم، وقرأ الباقون بالياء وضم الهمزة على الجمع، أي ليسوء العباد أولوا البأس الشديد ﴿ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ﴾ [3]، يعني: بيت المقدس ونواحيه، ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ ﴾ [4]، وليهلكوا، ﴿ مَا عَلَوۡاْ ﴾ [5] أي: ما غلبوا عليه من بلادكم ﴿ تَتۡبِيرًا ۝٧ ﴾ [6].

[٨] ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ ﴾ [7]، يا بني إسرائيل، ﴿ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ ﴾ [8]، بعد انتقامه منكم فيرد الدولة إليكم، ﴿ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ ﴾ [9]، أي: إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى

---

(١) سورة الإسراء آية : ٧.

(٢) سورة الإسراء آية : ٧.

(٣) سورة الإسراء آية : ٧.

(٤) سورة الإسراء آية : ٧.

(٥) سورة الإسراء آية : ٧.

(٦) سورة الإسراء آية : ٧.

(٧) سورة الإسراء آية : ٨.

(٨) سورة الإسراء آية : ٨.

(٩) سورة الإسراء آية : ٨.

العقوبة. قـال قتادة: فعادوا فبعـث الله عليهم محمدا ﷺ فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨ ﴾[1]، سجنا ومحبسا من الحصر وهو الحبس. قال الحسن: حصيرا أي: فراشا. وذهب إلى الحصير الذي يبسط ويفرش.

قوله تعالى إن هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتِي هِيَ أَقْوَمُ....

[٩] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[2]، أي: إلى الطريقة التي هي أصوب. وقيل: الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿ وَيُبَشِّرُ ﴾[3]، يعني: القرآن، ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ ﴾[4] بأن لهم، ﴿ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾[5]، وهو الجنة.

[١٠] ﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠ ﴾[6]، وهو النار.

[١١] وقوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾[7]، حذف الواو لفظا لاستقلال اللام الساكنة كقوله: ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ ﴾[8]، وحذف في الخط أيضا وهي غير محذوفة في المعنى، ومعناه: ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه، ﴿ بِٱلشَّرِّ ﴾[9]، فيقول عند

(١) سورة الإسراء آية : ٨.
(٢) سورة الإسراء آية : ٩.
(٣) سورة الإسراء آية : ٩.
(٤) سورة الإسراء آية : ٩.
(٥) سورة الإسراء آية : ٩.
(٦) سورة الإسراء آية : ١٠.
(٧) سورة الإسراء آية : ١١.
(٨) سورة العلق آية : ١٨.
(٩) سورة الإسراء آية : ١١.

الغضب: اللهم العنه وأهلكه ونحوهما، ﴿ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ ﴾ [(١)]، أي: كدعائه ربه بالخير أن يهب له النعمة والعافية لو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك، ولكن الله لا يستجيب بفضله، ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾ [(٢)] بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه. قال جماعة من أهل التفسير، وقال ابن عباس: ضجرا لا صبر له على السراء والضراء.

[١٢] قوله ﷻ ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ ﴾ [(٣)]، أي: علامتين دالتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا، ﴿ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ ﴾ [(٤)]، قال ابن عباس: جعل الله نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس، ﴿ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ ﴾ [(٥)]، منيرة مضيئة، يعني يبصر بها. قال الكسائي: تقول العرب: أبصر النهار إذا أضاءت بحيث يبصر بها، ﴿ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ [(٦)]، أي: لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة. ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴾ [(٧)].

[١٣] قوله ﷻ ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ ﴾ [(٨)]، قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان. وقال الكلبي ومقاتل: خيره وشره معه لا

---

(١) سورة الإسراء آية : ١١.
(٢) سورة الإسراء آية : ١١.
(٣) سورة الإسراء آية : ١٢.
(٤) سورة الإسراء آية : ١٢.
(٥) سورة الإسراء آية : ١٢.
(٦) سورة الإسراء آية : ١٢.
(٧) سورة الإسراء آية : ١٢.
(٨) سورة الإسراء آية : ١٣.

يفارقه حتى يحاسبه به. وقال الحسن: يمنه وشؤمه. وعن مجاهد: ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. وقال أهل المعاني: أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة سمي طائرا على عادة العرب فيما كانت تتفاءل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها. وقال أبو عبيدة والقتيبي: أراد بالطائر حظه من الخير والشر من قولهم طار سهم فلان بكذا وكذا، وخص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق، ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ ﴾[1] يقول الله تعالى: ونحن نخرج له، ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا ﴾[2]، وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب: (ويخرج له) بفتح الياء وضم الراء، معناه: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا. وقرأ أبو جعفر (يخرج) بالياء وضمها وفتح الراء، ﴿ يَلْقَىٰهُ ﴾[3]، قرأ ابن عامر وأبو جعفر (يلقاه) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، يعني: يلقى الإنسان ذلك الكتاب، أي: يؤتاه. وقرأ الباقون بفتح الياء خفيفة أي يراه ﴿ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾[4]، وفي الآثار: أن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلا في يوم القيامة.

[١٤] ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ ﴾[5]، أي: يقال له: اقرأ كتابك، قوله تعالى: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[6]، محاسبا. قال الحسن: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك. قال قتادة: سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا.

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٣.
(٢) سورة الإسراء آية : ١٣.
(٣) سورة الإسراء آية : ١٣.
(٤) سورة الإسراء آية : ١٣.
(٥) سورة الإسراء آية : ١٤.
(٦) سورة الإسراء آية : ١٤.

[١٥] ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾[١]، لها ثوابه، ﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ ﴾[٢]، لأن عليها عقابه، ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ﴾[٣]، أي: لا تحمل حاملة حـمل أخرى من الآثام، أي: لا يؤخذ أحد بذنب أحد. ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ﴾[٤] إقامة للحجة وقطعا لعذر، وفيه دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل.

[١٦] ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾[٥]، قرأ مجاهد: (أمرنا) بالتشديد أي: سلطنا شرارها فعصوا، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب (أمرنا) بالمد، أي: أكثرنا. وقرأ الباقون بالقصر مختلفا، أي أمرناهم بالطاعة فعصوا، ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا، يقال: أمرهم الله أي كثرهم الله واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال: لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمارة والكثرة. (مترفيها) منعميها وأغنياءها ﴿ فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾[٦]، وجب عليها العذاب، ﴿ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[٧]، أي: خربناها وأهلكنا من فيها.

[١٧] قوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾[٨]، أي: المكذبة، ﴿ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ ﴾[١]، يخوف كفار مكة، ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا

(١) سورة الإسراء آية : ١٥.
(٢) سورة الإسراء آية : ١٥.
(٣) سورة الإسراء آية : ١٥.
(٤) سورة الإسراء آية : ١٥.
(٥) سورة الإسراء آية : ١٦.
(٦) سورة الإسراء آية : ١٦.
(٧) سورة الإسراء آية : ١٦.
(٨) سورة الإسراء آية : ١٧.

بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [2]، قال عبد الله بن أبي أوفى. القرن: مائة وعشرون سنة، فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن، وكان في آخره يزيد بن معاوية. وقيل: مائة سنة. وروي عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني أن رسول الله ﷺ وضع يده على رأسه وقال: ﴿ سيعيش هذا الغلام قرنا ﴾ [3] قال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة، ثم مات. قال الكلبي: القرن: ثمانون سنة. وقيل: أربعون سنة.

قوله تعالى مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ.....

[١٨] ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ [4]، يعني الدنيا أي الدار العاجلة، ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ [5]، من البسط والتقتير، ﴿ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [6]، أن نفعل به ذلك أو إهلاكه، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ ﴾ [7] في الآخرة، ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا ﴾ [8]، يدخل نارها، ﴿ مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [9]، مطرودا مبعدا.

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٧.

(٢) سورة الإسراء آية : ١٧.

(٣) أخرجه ابن جرير ١٥ / ٥٨ وذكره البخاري في التاريخ الصغير ص (٣٩) وأخرجه أبو نعيم كما في التهذيب ٥ / ١٣٩. ،.

(٤) سورة الإسراء آية : ١٨.

(٥) سورة الإسراء آية : ١٨.

(٦) سورة الإسراء آية : ١٨.

(٧) سورة الإسراء آية : ١٨.

(٨) سورة الإسراء آية : ١٨.

(٩) سورة الإسراء آية : ١٨.

[١٩] ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾[(١)]، عمل عملها، ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[(٢)]، مقبولا.

[٢٠] ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾[(٣)]، أي: نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾[(٤)]، أي: يرزقهما جميعا ثم يخلف بما الحال في المآل، ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ ﴾[(٥)]، رزق ربك، ﴿ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾[(٦)]، ممنوعا عن عباده فالمراد من العطاء العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الآخرة.

[٢١] ﴿ ٱنظُرْ ﴾[(٧)]، يا محمد، ﴿ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[(٨)]، في الرزق والعمل الصالح، يعني: طالب العاجلة وطالب الآخرة، ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾[(٩)].

[٢٢] ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾[(١)]، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره. وقيل: معناه لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلها آخر، ﴿ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[(٢)]، مذموما من غير حمد مخذولا من غير نصر.

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٩.
(٢) سورة الإسراء آية : ١٩.
(٣) سورة الإسراء آية : ٢٠.
(٤) سورة الإسراء آية : ٢٠.
(٥) سورة الإسراء آية : ٢٠.
(٦) سورة الإسراء آية : ٢٠.
(٧) سورة الإسراء آية : ٢١.
(٨) سورة الإسراء آية : ٢١.
(٩) سورة الإسراء آية : ٢١.

[٢٣] قوله ﷻ ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ [٣]، وأمر ربك، قال ابن عباس وقتادة والحسن: قال الربيع بن أنس: وأوجب ربك. قال مجاهد: وأوصى ربك، ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [٤] أي: وأمر بالوالدين إحسانا برا بهما وعطفا عليهما، ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ ﴾ [٥] قرأ حمزة والكسائي بالألف على التثنية فعلى هذا قوله: ﴿ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ [٦]، كلام مستأنف، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ ﴾ [٧] وقوله: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [٨] وقوله: (الذين ظلموا) ابتداء وقرأ الباقون (يَبْلُغَن) على التوحيد، ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [٩] كلمة كراهية، قال أبو عبيدة أصل التف والأف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها. وقيل: الأف ما يكون في المغابن من الوسخ، والتف ما يكون في الأصابع. وقيل: الأف وسخ الأنف والتف وسخ الأظفار. وقيل. الأف وسخ الظفر والتف ما رفعته بيدك من الأرض من شيء حقير، ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [١٠]، ولا تزجرهما، ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً

---

(١) سورة الإسراء آية : ٢٢.
(٢) سورة الإسراء آية : ٢٢.
(٣) سورة الإسراء آية : ٢٣.
(٤) سورة الإسراء آية : ٢٣.
(٥) سورة الإسراء آية : ٢٣.
(٦) سورة الإسراء آية : ٢٣.
(٧) سورة المائدة آية : ٧١.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٣.
(٩) سورة الإسراء آية : ٢٣.
(١٠) سورة الإسراء آية : ٢٣.

﴿ كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، حسنا جميلا لينا قال ابن المسيب: كقول العبد المذنب للسيد الفظ. وقال مجاهد: لا تسميهما ولا تكنيهما وقل لهما يا أبتاه يا أماه. وقال مجاهد: في هذه الآية أيضا إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقذرهما ولا تقل لهما أف حين تميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيرا.

[٢٤] ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾[2]، أي: ألن جانبك لهما واخضع لهما. قال عروة بن الزبير: ألن لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحباه ﴿ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾[3]، من الشفقة، ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[4]، أراد إذا كانا مسلمين. قال ابن عباس: هذا منسوخ بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[5] عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: « رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد »[6]. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر »[7] [8].

---

(١) سورة الإسراء آية : ٢٣.

(٢) سورة الإسراء آية : ٢٤.

(٣) سورة الإسراء آية : ٢٤.

(٤) سورة الإسراء آية : ٢٤.

(٥) سورة التوبة آية : ١١٣.

(٦) أخرجه الترمذي في البر ٦ / ٢٥ مرفوعا وموقوفا وقال في الموقوف: أصح، وأخرجه ابن حبان برقم (٢٠٢٦) ص (٤٩٦) من موارد الظمآن وصححه الحاكم ٤ / ١٥٢ والمصنف في شرح السنة ١٣ / ١٢.

(٧) النسائي الأشربة (٥٦٧٢)، أحمد (٢/٢٠٣)، الدارمي الأشربة (٢٠٩٣).

(٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٢٨ و ٤٤، والمصنف في شرح السنة ١٣ / ١٧ وفيه يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف وللحديث شواهد كثيرا وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢ / ٢٨٥.

[٢٥] ﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ ﴾ (١)، مـن بر الوالدين وعقوقهما، ﴿ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ ﴾ (٢)، أبرارا مطيعين بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك، ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ ﴾ (٣)، بعد المعصية ﴿ غَفُورٗا ٢٥ ﴾ (٤)، قال سعيد بن جبير في هذه الآية: هو الرجل يكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد به إلا الخير فإنه لا يؤاخذ به. قال سعيد بن المسيب: الأواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. قال سعيد بن جبير: الرجاع إلى الخير. وعن ابن عباس قال: هو الرجاع إلى الله فيما يحزنه وينوبه. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هم المسبحون، دليله قوله: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾ (٥). قال قتادة: هم المصلون، قال عون العقيلي: هم الذين يصلون صلاة الضحى.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ (٦)، يعني صلة الرحم، وأراد به قرابة الإنسان وعليه الأكثرون وعن علي بن الحسين: أراد به قرابة الرسول ﷺ ﴿ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ ﴾ (٧)، أي: لا تنفق مالك في المعصية. وقال مجاهد: لو أنفق الإنسان ماله كله كان تبذيرا ولو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا. وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه.

(١) سورة الإسراء آية : ٢٥.
(٢) سورة الإسراء آية : ٢٥.
(٣) سورة الإسراء آية : ٢٥.
(٤) سورة الإسراء آية : ٢٥.
(٥) سورة سبأ آية : ١٠.
(٦) سورة الإسراء آية : ٢٦.
(٧) سورة الإسراء آية : ٢٦.

[٢٧] ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ ﴾ [١]، أي: أولياءهم، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم. ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [٢]، جحودا لنعمه.

[٢٨] ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾ [٣]، نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحايين ما يحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول، فـ ل (وَإِما تُعْرِضَن عَنْهُمُ)، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم، ﴿ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ [٤]، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك، ﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [٥] لينا وهي العدة، أي: عدهم وعدا جميلا. وقيل: القول الميسور أن تقول: رزقنا الله وإياك.

قوله تعالى وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا....

[٢٩] ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [٦] يعني: ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها، ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا ﴾ [٧]، بالعطاء، ﴿ كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [٨]، فتعطي جميع ما عندك، ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴾ [١]، يلومك سائلـوك

---

(١) سورة الإسراء آية : ٢٧.
(٢) سورة الإسراء آية : ٢٧.
(٣) سورة الإسراء آية : ٢٨.
(٤) سورة الإسراء آية : ٢٨.
(٥) سورة الإسراء آية : ٢٨.
(٦) سورة الإسراء آية : ٢٩.
(٧) سورة الإسراء آية : ٢٩.
(٨) سورة الإسراء آية : ٢٩.

بالإمسـاك إذا لم تعطهـم، والملـوم الذي أتى بما يلوم نفسه أو يلوم غيره، ﴿ مَّحۡسُورًا ﴾ [٢] منقطعا لا شيء عندك تنفقه. يقال: حسرته بالمسألة إذا ألحفت عليه ودابة حسيرة إذا كانت كالة رازحة. قاد قتادة: (محسورا) نادما على ما فرط منك.

[٣٠] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ﴾ [٣]، يوسع ﴿ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾ [٤] أي: يقتر ويضيق، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ [٥].

[٣١] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ ﴾ [٦]، فقر، ﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ ﴾ [٧]، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة فنهوا عنه، وأخبروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى، ﴿ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴾ [٨]، قرأ ابن عامر وأبو جعفر (خطأ) أي: إثما كبيرا.

[٣٢] ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ [٩].

(١) سورة الإسراء آية : ٢٩.
(٢) سورة الإسراء آية : ٢٩.
(٣) سورة الإسراء آية : ٣٠.
(٤) سورة الإسراء آية : ٣٠.
(٥) سورة الإسراء آية : ٣٠.
(٦) سورة الإسراء آية : ٣١.
(٧) سورة الإسراء آية : ٣١.
(٨) سورة الإسراء آية : ٣١.
(٩) سورة الإسراء آية : ٣٢.

[٣٣] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (١)، وحقها: ما روينا أن النبي ﷺ قال: « لا يحل دم أمرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل كفر بعد إيمانه أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفسا بغير نفس فيقتل بها » (٢) (٣).

﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ (٤)، أي: قوة ولاية على القاتل بالقتل، قاله مجاهد، وقال الضحاك: سلطانه هو أنه يتخير فإن شاء استفاد منه وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء عفا عنه. ﴿ فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ﴾ (٥)، قرأ حمزة والكسائي: (فلا تسرف) بالتاء يخاطب ولي القتيل، وقرأ الآخرون بالياء على الغائب أي: لا يسرف الولي في القتل، واختلفوا في هذا الإسراف الذي منع منه ولي القتيل، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: معناه لا يقتل غير القاتل وذلك أنم كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه. وقال سعيد بن جبير: إذا كان القاتل واحـدا فلا يقتل جماعة بدل واحد، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفا لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه. وقال قتادة: معناه لا يمثل بالقاتل. ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (٦)، فالهاء راجعة إلى المقتول في قوله: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا) يعني: أن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القول على قاتله، وفي الآخرة بتكفير خطاياه وإيجاب النار لقاتله، هذا قول مجاهد، وقال قتادة: الهاء راجعة إلى ولي المقتول معناه أنه

---

(١) سورة الإسراء آية : ٣٣.

(٢) الترمذي الفتن (٢١٥٨)، النسائي تحريم الدم (٤٠١٩)، أبو داود الديات (٤٥٠٢)، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٣)، أحمد (٦٢/١)، الدارمي الحدود (٢٢٩٧).

(٣) أخرجه أبو داود في الديات ٦ / ٣٠١، والترمذي في الفتن ٣ / ٣٧٣، وابن ماجه في الحدود ٢ / ٨٤٧، والمصنف في شرح السنة ١ / ١٤٨ وأخرجه الشيخان عن ابن مسعود نحوه.

(٤) سورة الإسراء آية : ٣٣.

(٥) سورة الإسراء آية : ٣٣.

(٦) سورة الإسراء آية : ٣٣.

منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية. وقيل في قوله: (فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) أنه أراد به القاتل المعتدي، يقول: لا يعتدي بالقتل بغير الحق شأنه إن فعل ذلك فولي المقتول منصور عليه باستيفاء القصاص منه.

[٣٤] ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ ﴾ [(١)]، بالإتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه. وقيل: أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على نفسه، ﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴿٣٤﴾ ﴾ [(٢)]، وقال السدي: كان مطلوبا. وقيل: العهد يسأل عن صاحب العهد، فيقال: فيما نقضت كالموءودة تسأل فيم قتلت.

[٣٥] ﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ﴾ [(٣)]، قرأ حمزة والكسائي وحفص (بالقسطاس) بكسر القاف والباقون بضمه، وهما لغتان وهو الميزان صغيرا كان أو كبيرا أي: بميزان العدل. وقال الحسن: هو القبان- قال مجاهد: هو رومي. وقال غيره: هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل، أي: زنوا بالعدل. ﴿ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ ﴾ [(٤)]، أي: عاقبة.

[٣٦] ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾ [(٥)]، قال قتادة. لا تقل رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه. وقال مجاهد: لا ترم أحدا بما ليس لك به علم. قال القتيبي: لا تتبعه بالحدس والظن. وهو في اللغة اتباع الأثر، يقال: قفوت فلانا أقفوه وقفيته

---

(١) سورة الإسراء آية : ٣٤.

(٢) سورة الإسراء آية : ٣٤.

(٣) سورة الإسراء آية : ٣٥.

(٤) سورة الإسراء آية : ٣٥.

(٥) سورة الإسراء آية : ٣٦.

وأقفيته إذا اتبعت أثره، وبه سميت القافية لتتبعهم الآثار. قال القتيبي: هو مأخوذ من القفو كأنه يقفو الأمور، أي: يكون في إقفائها يتبعها ويتعرفها. وحقيقة المعنى: لا تتكلم أيها الإنسان بالحدس والظن. ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، قيل: معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده. وقيل. يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء. وقوله (كُل أُولِئكَ) أي حل هذه الجوارح والأعضاء، وعلى القول الأول يرجع أولئك إلى أربابها.

[٣٧] ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾[2]، أي بطرا وكبرا وخيلاء وهو تفسير المشي فلذلك أخرجه على المصدر، ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾[3] أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها، ﴿ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ ﴾[4] أي: لا تقدر أن تطال الجبال وتساويها بكبرك، معناه أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئا كمن يريد خرق الأرض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء. وقيل: ذكر ذلك لأن من مشى مختالا يمشي مرة على عقبه ومرة على صدور قدميه، فقيل له: إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عقبيك، ولن تبلغ الجبال طولا إن مشيت على صدور قدميك.

[٣٨] ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾[5]، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة برفع الهمزة وضم الهاء على الإضافة، ومعناه كل الذي ذكرنا من قوله ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[6] (كَانَ سَيئُهُ) أي: سيئ ما عددنا عليك

---

(١) سورة الإسراء آية : ٣٦.
(٢) سورة الإسراء آية : ٣٧.
(٣) سورة الإسراء آية : ٣٧.
(٤) سورة الإسراء آية : ٣٧.
(٥) سورة الإسراء آية : ٣٨.
(٦) سورة الإسراء آية : ٢٣.

عند ربك مكروها لأن فيما عددنا أمورا حسنة كقوله: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ (١) ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾ (٢) وغير ذلك، وقرأ الآخرون (سَيِّئَةً) منصوبة منونة يعني: كل الذي ذكرنا من قوله: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ﴾ (٣) إلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه، إذ الكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره، ولم يقل مكروهة لأن فيه تقديما وتأخيرا تقديره كل ذلك كان مكروها سيئه. وقوله (مَكْرُوهًا) على التكرير لا على الصفة مجازه كل ذلك كان سيئه وكان مكروها، راجع إلى المعنى دون اللفظ، لأن السيئة الذنب وهو مذكر.

قوله تعالى ذَلِكَ مِما أَوْحَى إِلَيْكَ رَبكَ مِنَ الْحِكْمَةِ....

[٣٩] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ (٤)، الذي ذكرناه، ﴿ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ ﴾ (٥)، وكل ما أمر الله به أو نهى الله عنه فهو حكمة. ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ (٦)، خاطب النبي ﷺ في هذه الآيات والمراد منه الأمة، ﴿ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩ ﴾ (٧)، مطرودا مبعدا من كل خير.

---

(١) سورة الإسراء آية : ٢٦.

(٢) سورة الإسراء آية : ٢٤.

(٣) سورة الإسراء آية : ٣٣.

(٤) سورة الإسراء آية : ٣٩.

(٥) سورة الإسراء آية : ٣٩.

(٦) سورة الإسراء آية : ٣٩.

(٧) سورة الإسراء آية : ٣٩.

[٤٠] قوله ﷻ ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم ﴾[1]، أي: اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة، يعني اختاركم، ﴿ بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ ﴾[2] لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله، ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[3]، يخاطب مشركي مكة.

[٤١] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾[4]، يعني الصبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج والإعلام والتشديد للتكثير والتكرير، ﴿ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴾[5] أي: ليتذكروا ويتعظوا، وقرأ حمزة والكسائي بإسكان الذال وضم الكاف وكذلك في الفرقان. ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾[6]، تصريفنا وتذكيرنا وتكريرنا، ﴿ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[7]، ذهابا وتباعدا عن الحق.

[٤٢] ﴿ قُل ﴾[8]، يا محمد لهؤلاء المشركين، ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾[9]، قرأ حفص وابن كثير (يَقُولُونَ) بالياء وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ ﴾[10]، لطلبوا يعني الآلهة ﴿ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[1]، بالمبالغة

(١) سورة الإسراء آية : ٤٠.
(٢) سورة الإسراء آية : ٤٠.
(٣) سورة الإسراء آية : ٤٠.
(٤) سورة الإسراء آية : ٤١.
(٥) سورة الإسراء آية : ٤١.
(٦) سورة الإسراء آية : ٤١.
(٧) سورة الإسراء آية : ٤١.
(٨) سورة الإسراء آية : ٤٢.
(٩) سورة الإسراء آية : ٤٢.
(١٠) سورة الإسراء آية : ٤٢.

والقهر ليزيلوا ملكه، كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض. وقيل: معناه لطلبوا إلى ذي العرش سبيلا بالتقرب إليه. قال قتادة: لعرفوا الله بفضله وابتغوا ما يقربهم إليه. والأول أصح، ثم نزه نفسه.

فقال عز من قائل: ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾[2]، قرأ حمزة والكسائي (تقولون) بالتاء والآخرون بالياء، ﴿ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[3].

[٤٤] ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[4]، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب (تُسَبِّحُ) بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث، ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾[5]، روي عن ابن عباس أنه قال: وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده. وقال قتادة: يعني الحيوانات والناميات. وقال بعض أهل المعاني: تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دامت تدل بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها. والأول هو المنقول عن السلف واعلم أن لله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه إليه. ﴿ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[6]، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[7].

(١) سورة الإسراء آية : ٤٢.
(٢) سورة الإسراء آية : ٤٣.
(٣) سورة الإسراء آية : ٤٣.
(٤) سورة الإسراء آية : ٤٤.
(٥) سورة الإسراء آية : ٤٤.
(٦) سورة الإسراء آية : ٤٤.
(٧) سورة الإسراء آية : ٤٤.

[٤٥] ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾[١]، يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به. قال قتادة: وهو الأكنة، والمستور بمعنى الساتر كقوله: ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ ﴾[٢] مفعول بمعنى فاعل. وقيل: مستور عن أعين الناس فلا يرونه. وفسره بعضهم بالحجاب عن الأعين. الظاهر كما روي عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾[٣] جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره، فقالت لأبي بكر: أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني؟ فقال: والله ما ينطق عن الهوى ولا ينطق بالشعر ولا يقوله، فرجعت وهي تقول: قد كنت جئت بذا الحجر لأرضخ برأسه، فقال أبو بكر: ما رأتك يا رسول الله؟ قال: لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني[٤].

[٤٦] ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾[٥]، أغطية، ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾[٦]، كراهية أن يفقهوه. وقيل: لئلا يفقهوه، ﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ ﴾[٧]، ثقلا لئلا يسمعوه. ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ ﴾[٨]، يعني إذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه،

---

(١) سورة الإسراء آية : ٤٥.

(٢) سورة مريم آية : ٦١.

(٣) سورة المسد آية : ١.

(٤) أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم. انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٤٤ و ٤ / ٥٦٥ ومجمع الزوائد.

(٥) سورة الإسراء آية : ٤٦.

(٦) سورة الإسراء آية : ٤٦.

(٧) سورة الإسراء آية : ٤٦.

(٨) سورة الإسراء آية : ٤٦.

﴿ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، جمع نافر مثل قاعد وقعود وجالس وجلوس، أي نافرين.

[٤٧] ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴾[2]، قيل: بـه صلـة أي: يطلبون سمعـه، ﴿ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ ﴾[3]، وأنت تقرأ القرآن، ﴿ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ ﴾[4]، يتناجون في أمرك. وقيل: ذو نجوى، فبعضهم يقول: هو مجنون، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: شاعر. ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[5]، يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه، ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾[6]، مطبوبا. وقال مجاهد: مخدوعا. وقيل: مصروفا عن الحق. يقال: ما سحرك عن كذا؟ أي ما صرفك عنه؟ وقال أبو عبيدة: أي رجلا له سحر، والسحر: الرئة أي: إنه بشر مثلكم تغذى معللا بالطعام والشراب يأكل ويشرب.

[٤٨] ﴿ ٱنظُرۡ ﴾[7]، يا محمد، ﴿ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾[8]، الأشباه، قالوا: شاعر وساحر وكاهن ومجنون، ﴿ فَضَلُّواْ ﴾[9]، فحاروا وحـادوا، ﴿ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾[10] أي: وصولا إلى طريق الحق.

---

(١) سورة الإسراء آية : ٤٦.
(٢) سورة الإسراء آية : ٤٧.
(٣) سورة الإسراء آية : ٤٧.
(٤) سورة الإسراء آية : ٤٧.
(٥) سورة الإسراء آية : ٤٧.
(٦) سورة الإسراء آية : ٤٧.
(٧) سورة الإسراء آية : ٤٨.
(٨) سورة الإسراء آية : ٤٨.
(٩) سورة الإسراء آية : ٤٨.
(١٠) سورة الإسراء آية : ٤٨.

[٤٩] ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا ﴾ [١] بعد الموت. قال مجاهد: ترابا. وقيل: حطاما. والرفات: كل ما يكسر ويبلى من كل شيء كالفتات والحطام. ﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [٢].

قوله تعالى قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا.....

[٥٠] ﴿ ۞ قُلْ ﴾ [٣]، لهم يا محمد ﴿ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [٤]، في الشدة والقوة، وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز، أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة.

[٥١] ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ ﴾ [٥]، قيل: السماء والأرض والجبـال. وقال مجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين: إنه الموت، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر مـن المـوت، أي: ولـو كنتـم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم، ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ ﴾ [٦]، مـن يبعثنا بعد الموت، ﴿ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ ﴾ [٧]، خلقكم، ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ [٨]، ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة، ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ [٩]، أي: يحركونا إذا قلت لهم

(١) سورة الإسراء آية : ٤٩.
(٢) سورة الإسراء آية : ٤٩.
(٣) سورة الإسراء آية : ٥٠.
(٤) سورة الإسراء آية : ٥٠.
(٥) سورة الإسراء آية : ٥١.
(٦) سورة الإسراء آية : ٥١.
(٧) سورة الإسراء آية : ٥١.
(٨) سورة الإسراء آية : ٥١.
(٩) سورة الإسراء آية : ٥١.

ذلك مستهزئين بـها، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ ﴾ (1)، أي: البعث والقيامـة، ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ (2) أي: هو قريـب، لأن عسى من الله واجب، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (3).

[52] ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ (4) من قبوركم إلى موقف القيامة، ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴾ (5)، قال ابن عباس: بأمره. وقال قتادة. بطاعته. وقيل: مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حتى لا ينفعهم الحمد. قيل: هذا خطاب مع المؤمنين فإنم يبعثون حامدين. ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾ (6)، في الدنيا أو في القبور، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (7)، لأن الإنسان لو مكث ألوفا من السنين في الدنيا أو في القبور عد ذلك قليلا في مدة القيامة والخلود. قال قتادة: يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة.

[53] قـولـه تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ﴾ (8)، للكافـرين ﴿ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ (9) ولا يكافئوهم بسفههم. قال الحسن: يقول له يهديك الله. وكان هذا قبل الإذن في الجهاد والقتال. وقيل: أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي: الخلـة التي هي أحسن. وقيل: الأحسن: كلمة الإخلاص لا إله إلا الله. ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ

---

(1) سورة الإسراء آية : 51.
(2) سورة الإسراء آية : 51.
(3) سورة الأحزاب آية : 63.
(4) سورة الإسراء آية : 52.
(5) سورة الإسراء آية : 52.
(6) سورة الإسراء آية : 52.
(7) سورة الإسراء آية : 52.
(8) سورة الإسراء آية : 53.
(9) سورة الإسراء آية : 53.

﴿ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾[1]، أي: يفسد ويلقي العداوة بينهم، ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣ ﴾[2]، ظاهر العداوة.

[٥٤] ﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ ﴾[3]، يوفقكم فتؤمنوا، ﴿ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ ﴾[4]، يميتكم على الشرك فتعذبوا، قاله ابن جريج. وقال الكلبي: إن يشأ يرحـمكم فينجيكـم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكـم فيسلطهم عليكـم، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤ ﴾[5] حفيظا وكفيلا. قيل: نسختها آية القتال.

[٥٥] ﴿ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾[6]، أي: ربك العالـم بمن في السموات والأرض فجعلهم مختلفين فـي صورهم وأخلاقهم وأحوالهم وملكهما، ﴿ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ ﴾[7]، قيل: جعل أهل السموات والأرض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض. قال قتادة: في هذه الآية اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما وقال لعيسى كن فيكون، وآتى سليمان ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا كما قال: ﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥ ﴾[8]، والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين

---

(١) سورة الإسراء آية : ٥٣.
(٢) سورة الإسراء آية : ٥٣.
(٣) سورة الإسراء آية : ٥٤.
(٤) سورة الإسراء آية : ٥٤.
(٥) سورة الإسراء آية : ٥٤.
(٦) سورة الإسراء آية : ٥٥.
(٧) سورة الإسراء آية : ٥٥.
(٨) سورة الإسراء آية : ٥٥.

سورة كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله ﷻ وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود، معناه: إنكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون فضل النبي ﷺ وإعطاءه القرآن؟ وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم.

[٥٦] قوله ﷻ ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ [١]، وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ﴾ [٢] للمشركين ﴿ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ [٣] أنها آلهة ﴿ مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ ﴾ [٤]، القحط والجوع، ﴿ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ ﴾ [٥]، إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر.

[٥٧] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [٦]، يعني الذين يدعونهم المشركون أنهم آلهة يعبدونهم. قال ابن عباس ومجاهد: وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة، والشمس والقمر والنجوم، ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ [٧] أي يطلبون ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [٨]، أي القربة. وقيل: الوسيلة الدرجة أي يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة

(١) سورة الإسراء آية : ٥٦.
(٢) سورة الإسراء آية : ٥٦.
(٣) سورة الإسراء آية : ٥٦.
(٤) سورة الإسراء آية : ٥٦.
(٥) سورة الإسراء آية : ٥٦.
(٦) سورة الإسراء آية : ٥٧.
(٧) سورة الإسراء آية : ٥٧.
(٨) سورة الإسراء آية : ٥٧.

العليا. وقيل: الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى. وقوله ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [(١)]، معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به. وقال الزجاج: أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح، ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ ﴾ [(٢)]، جنته، ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [(٣)]، أي يطلب منه الحذر. وقال عبد الله بن مسعود: نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية، وقرأ ابن مسعود (الذين تدعون) بالتاء.

[٥٨] ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ [(٤)] وما من قرية ﴿ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [(٥)]، أي: مخربوها ومهلكوا أهلها، ﴿ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ ﴾ [(٦)]، بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا. وقال مقاتل وغيره: مهلكوها في حق المؤمنين بالإماتة ومعذبوها في حق الكفار بأنواع العذاب. قال عبد الله بن مسعود: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في إهلاكها. ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [(٧)]، في اللوح المحفوظ، ﴿ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [(٨)]، مكتوبا. قال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أول ما خلق

(١) سورة النساء آية : ١١.
(٢) سورة الإسراء آية : ٥٧.
(٣) سورة الإسراء آية : ٥٧.
(٤) سورة الإسراء آية : ٥٨.
(٥) سورة الإسراء آية : ٥٨.
(٦) سورة الإسراء آية : ٥٨.
(٧) سورة الإسراء آية : ٥٨.
(٨) سورة الإسراء آية : ٥٨.

الله القلم فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: القدر، وما كان وما هو كائن إلى الأبد ﴾ [١] [٢].

قوله تعالى وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ....

[٥٩] قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ ﴾ [٣]، قال ابن عباس: ﴿ سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ إن شئت أن أستأني بم فعلت، وإن شئت أن أوتيهم ما سألوا فعلت، فإن لم يؤمنوا أهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم، فقال النبي ﷺ " لا بل تستأني بم ﴾ [٤] [٥] فأنزل الله ﷻ (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ) التي سألها كفار قريش (إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) فأهلكناهم، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكناهم، لأن من شأننا في الأمم إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانا أن نلكهم ولا نمهلهم، وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة في العذاب، فقال جل ذكره: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [٦]، ثم قال: ﴿ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً ﴾ [٧]، مضيئة بينة، ﴿ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ ﴾ [٨]، أي: جحدوا با أنا من عند

---

(١) الترمذي القدر (٢١٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود في السنة ٧ / ٦٩ والترمذي في القدر ٦ / ٣٦٨ والإمام أحمد في المسند ٥ / ٣١٧ والطيالسي في مسنده ص ٧٩ وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة ١ / ٣٤.

(٣) سورة الإسراء آية : ٥٩.

(٤) أحمد (٢٥٨/١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٢٥٨ والحاكم في المستدرك ٢ / ٣٦٢ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

.،

(٦) سورة القمر آية : ٤٦.

(٧) سورة الإسراء آية : ٥٩.

(٨) سورة الإسراء آية : ٥٩.

الله كما قال: ﴿ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴾[1]، أي: يجحدون وقيل: ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة، ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَـٰتِ ﴾[2] أي: العبر والدلالات، ﴿ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾[3]، للعباد ليؤمنوا. قال قتادة: إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون.

[٦٠] قوله ﷻ ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ ﴾[4]، أي: هم في قبضته لا يقدرون على الخروج عن مشيئته فهو حافظك ومانعك منهم فلا تبهم وامض إلى ما أمر الله به من تبليغ الرسالة، كما قال: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾[5]، ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَـٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ ﴾[6]، فالأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والأكثرون[7] والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك، وكذبوا وكان فتنة للناس. وقال قوم: أسري بروحه دون بدنه. وقال بعضهم: كان له معراجان رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب، وقال قوم: أراد بهذه الرؤيا ما رأى ﷺ عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون، فرجع إلى

(١) سورة الأعراف آية : ٩.

(٢) سورة الإسراء آية : ٥٩.

(٣) سورة الإسراء آية : ٥٩.

(٤) سورة الإسراء آية : ٦٠.

(٥) سورة المائدة آية : ٦٧.

(٦) سورة الإسراء آية : ٦٠.

(٧) أخرجه البخاري في تفسير سورة الإسراء ٨ / ٣٩٨. ،.

المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فكان رجوعه فتنة لبعضهم، حتى دخلها في العام المقبل، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾ (١)، ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (٢)، يعني شجرة الزقوم، مجازه والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن، والعرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون. وقيل: معناه الملعون أكلها، ونصب الشجرة عطفا على الرؤيا، أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا، والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين: أحدهما: أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة، وتعلمون أن النار تحرق الشجرة، والثاني: أن عبد الله بن الزبعري قال: إن محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر، وقال أبو جهل: يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بالتمر والزبد، فقال: يا قوم تزقموا فإن هذا ما يخوفكم به محمد، فوصفها الله تعالى في الصافات. وقيل: الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر فتخنقه، يعني الكشوث، ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ (٣)، التخويف، ﴿ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ۝ ﴾ (٤) أي: تمردا وعتوا عظيما.

[٦١] قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝ ﴾ (٥)، أي: خلقته من طين.

(١) سورة الفتح آية : ٢٧.
(٢) سورة الإسراء آية : ٦٠.
(٣) سورة الإسراء آية : ٦٠.
(٤) سورة الإسراء آية : ٦٠.
(٥) سورة الإسراء آية : ٦١.

[٦٢] ﴿ قَالَ ﴾(١)، يعني إبليس، ﴿ أَرَءَيْتَكَ ﴾(٢) أي أخبرني والكـاف لتأكيد المخاطبة، ﴿ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾(٣) أي: فضلته علـي: ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ ﴾(٤) أمهلتني ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾(٥) أي: لأستأصلنهم بالإضلال، يقال: احتنك الجراد الزرع إذا أكله كله. وقيل: هو من قول العرب حنك الدابة يحنك إذا شد في حنكها الأسفل حبـلا يقودهـا، أي لأقودنـهم كيف شئت. وقيل: لأستولين عليهم بالإغـواء، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾(٦)، يعني المعصومين الذين استثناهم الله ﷻ في قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾(٧).

[٦٣] ﴿ قَالَ ﴾(٨) الله ﴿ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ ﴾(٩) أي: جزاؤك وجزاء أتباعك، ﴿ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾(١٠)، وافرا مكملا، يقال: وفرته أوفره وفرا.

---

(١) سورة الإسراء آية : ٦٢.
(٢) سورة الإسراء آية : ٦٢.
(٣) سورة الإسراء آية : ٦٢.
(٤) سورة الإسراء آية : ٦٢.
(٥) سورة الإسراء آية : ٦٢.
(٦) سورة الإسراء آية : ٦٢.
(٧) سورة الإسراء آية : ٦٥.
(٨) سورة الإسراء آية : ٦٣.
(٩) سورة الإسراء آية : ٦٣.
(١٠) سورة الإسراء آية : ٦٣.

[٦٤] وقولـه: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ ﴾[١]، واستخفف واستجهد، ﴿ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم ﴾[٢]، أي: من ذرية آدم، ﴿ بِصَوْتِكَ ﴾[٣]، قال ابن عباس وقتادة: بدعائك إلى معصية الله، وكل داع إلى معصية الله فهو من جند إبليس. قال الأزهري: معناه ادعهم دعاء تستفزهـم به إلى جانبك، أي: تستخفهم. وقال مجاهد: بالغناء والمزامير، ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾[٤]، قيل: اجمع عليهم مكايدك وخيلك، ويقال: اجلبوا وجلبوا إذا صاحوا، يقول: صح بخيلك ورجلك وحثهم عليه بالإغواء، قال مقاتل: استعن عليهم بركبان جندك ومشاتم، والخيل: الركبان، والرجل: المشاة. قال أهل التفسير: كل راكب وماش في معاصي الله فهو من جند إبليس. وقال مجاهد وقتادة: إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس وهو كل ما يقاتل في المعصية، والرجل والرجالة والراجلة واحد، يقال: راجل ورجل مثل تاجر وتجر وراكب وركب، وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان، ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾[٥]، فالمشاركة في الأموال كل ما أصيب من حرام أو أنفق في حرام، هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبير، وقال عطاء: هو الربا وقال قتادة: هو ما كان المشركون يحرمونه من الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. وقال الضحاك: هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم، وأما الشركة في الأولاد، روي عن ابن عباس: أنا الموءودة. وقال مجاهد والضحاك: هم أولاد الزنا. وقال الحسن وقتادة: هو أنم هودوا أولادهم ونصروهم ومجسوهم. وروي عن جعفر بن محمد أن الشيطان

---

(١) سورة الإسراء آية : ٦٤.

(٢) سورة الإسراء آية : ٦٤.

(٣) سورة الإسراء آية : ٦٤.

(٤) سورة الإسراء آية : ٦٤.

(٥) سورة الإسراء آية : ٦٤.

يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ي ل الرجل. ﴿ وَعِدْهُمْۚ ﴾[1]، أي: خذ منهم الجميل في طاعتك. وقيل: قل لهـم: لا جنـة ولا نار ولا بعث. ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[2]، والغرور تزيين الباطل بما يظن أنه حق، فإن قيل: كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾[3]؟ قيل: هذا على طريق التهديد، كقوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾[4]، وكقول القائل: افعل ما شئت فسترى.

[٦٥] قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[5]، أي حافظا ومن يوكل الأمر إليه.

[٦٦] قوله ﷻ ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ ﴾[6] أي: يسوق ويجري لكم الفلك، ﴿ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾[7]، لتطلبوا من رزقه، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾ ﴾[8].

---

(١) سورة الإسراء آية : ٦٤.
(٢) سورة الإسراء آية : ٦٤.
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٨.
(٤) سورة فصلت آية : ٤٠.
(٥) سورة الإسراء آية : ٦٥.
(٦) سورة الإسراء آية : ٦٦.
(٧) سورة الإسراء آية : ٦٦.
(٨) سورة الإسراء آية : ٦٦.

قوله تعالى وَإِذَا مَسَّكُمُ الضر فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ....

[٦٧] ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ ﴾[(١)]، الشدة وخوف الغرق، ﴿ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ ﴾[(٢)]، أي: بطـل وسقط، ﴿ مَن تَدْعُونَ ﴾[(٣)]، من الآلهة، ﴿ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[(٤)]، إلا الله فلم تجدوا مغيثا سواه، ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ ﴾[(٥)]، أجاب دعاءكـم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم، ﴿ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾[(٦)]، عن الإيمان والإخلاص والطاعـة كفـرا منكـم لنعمه، ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾[(٧)].

[٦٨] ﴿ أَفَأَمِنتُمْ ﴾[(٨)]، بعـد ذلك، ﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ ﴾[(٩)]، يغـور بكـم، ﴿ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾[(١٠)]، ناحية البر وهي الأرض، ﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾[(١١)]، أي: يمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطر على قوم لوط. وقال أبو عبيدة والقتيبي:

---

(١) سورة الإسراء آية : ٦٧.
(٢) سورة الإسراء آية : ٦٧.
(٣) سورة الإسراء آية : ٦٧.
(٤) سورة الإسراء آية : ٦٧.
(٥) سورة الإسراء آية : ٦٧.
(٦) سورة الإسراء آية : ٦٧.
(٧) سورة الإسراء آية : ٦٧.
(٨) سورة الإسراء آية : ٦٨.
(٩) سورة الإسراء آية : ٦٨.
(١٠) سورة الإسراء آية : ٦٨.
(١١) سورة الإسراء آية : ٦٨.

الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء، وهي الحصـا الصغـار، ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً ﴿٦٨﴾ ﴾[1]، قال قتادة: مانعا.

[٦٩] ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ ﴾[2]، يعني في البحـر، ﴿ تَارَةً ﴾[3] مـرة، ﴿ أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾[4]، قال ابن عباس: أي: عاصفا وهي الريح الشديدة. وقال أبو عبيدة: هي الريح التي تقصف كل شيء، أي تدقه وتحطمه. وقال القتيبي: هي التي تقصف الشجر، أي تكسره، ﴿ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾[5]، ناصرا ولا ثائرا، وتبيع بمعنى تابع أي تابعا أي مطالبا بالثأر. وقيل. من يتبعنا بالإنكار. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أن نخسف، ونرسل، ونعيدكم، فنرسل، فنغرقكم)، بالنون فيهن، لقوله (علينا) وقرأ الآخرون بالياء لقوله: (إلا إياه) وقرأ أبو جعفر ويعقوب (فتغرقكـم) بالتاء يعني الريح.

[٧٠] قوله ﷻ ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾[6]، روي عن ابن عباس أنه قال: هو أنم يأكلون بالأيدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض. وروي عنه أنه قال: بالعقل. وقال الضحاك: بالنطق. وقال عطاء: بتعديل القامة وامتدادها، والدواب منكبة على وجوهها. وقيل: بحسن الصورة. وقيل. الرجال باللحى والنساء بالذوائب. وقيل: بأن سخر لهم سائر الأشياء. وقيل: بأن منهم خير أمة أخرجت للناس. ﴿ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ

(١) سورة الإسراء آية : ٦٨.
(٢) سورة الإسراء آية : ٦٩.
(٣) سورة الإسراء آية : ٦٩.
(٤) سورة الإسراء آية : ٦٩.
(٥) سورة الإسراء آية : ٦٩.
(٦) سورة الإسراء آية : ٧٠.

﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ [1]، أي: حملناهـم في البر على الدواب وفي البحر على السفن، ﴿ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [2]، يعني: لذيذ المطاعم والمشارب. قال مقاتل: السمن والزبد والتمر والحلوى، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفـى. ﴿ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [3]، وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل. وقال قوم: فضلوا على جميع الخلق إلا على الملائكة. وقال الكلبي: فضلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة. جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وأشباههم.

[٧١] قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ ﴾ [4]، قال مجاهد وقتادة: بنبيهم. وقال أبو صالح والضحاك: بكتابهم الذي أنزل عليهم. وقال الحسن وأبو العالية: بأعمالهم. وقال قتادة أيضا: بكتابهم الذي فيه أعمالهم، بدليل سياق الآية، ﴿ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [5] ويسمى الكتاب إماما كما قال ﷻ ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [6]. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾ [7]، وقال: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمةً يَدْعُونَ إِلَى النار)، وقيل: بمعبودهم. وعن سعيد بن المسيب قال: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر. وقال محمد بن

(١) سورة الإسراء آية : ٧٠.
(٢) سورة الإسراء آية : ٧٠.
(٣) سورة الإسراء آية : ٧٠.
(٤) سورة الإسراء آية : ٧١.
(٥) سورة الإسراء آية : ٧١.
(٦) سورة يس آية : ١٢.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٧٣.

كعب: (بِإِمَامِهِمْ)، قيل: يعني بأمهاتم، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها: لأجل عيسى عليه السلام، والثاني: لشرف الحسن والحسين، والثالث: لئلا يفتضح أولاد الزنا. ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾[1] أي: لا ينقص من حقهم قدر فتيل.

[٧٢] ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ ﴾[2]، اختلفوا في هذه الإشارة فقال قوم: هي راجعة إلى النعم التي عددها الله تعالى في هذه الآيات من قوله: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ ﴾[3] إلى قوله (تفضيلا) يقول: ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين أعمـى، ﴿ فَهُوَ فِي ﴾[4]، أمر، ﴿ ٱلْأَخِرَةِ ﴾[5]، التي لم يعاين ولم ير، ﴿ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾[6]، يروى هذا عن ابن عباس، وقال الآخرون: هي راجعة إلى الدنيا يقول من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق، فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا. وقيل. من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار. وقال الحسن: من كان في هذه الدنيا ضالا كافرا فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته، وأمال بعض القراء هذين الحرفين وفتحهما بعضهم، وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثاني فهو في الآخرة أشد عمى لقوله. (وأضل سبيلا).

(١) سورة الإسراء آية : ٧١.
(٢) سورة الإسراء آية : ٧٢.
(٣) سورة الإسراء آية : ٦٦.
(٤) سورة الإسراء آية : ٧٢.
(٥) سورة الإسراء آية : ٧٢.
(٦) سورة الإسراء آية : ٧٢.

[٧٣] قوله ﷻ ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ ﴾ [١] ليصرفونك ﴿ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [٢] من القرآن ﴿ لِتَفۡتَرِيَ ﴾ [٣]، لتختلق، ﴿ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا ﴾ [٤]، لو فعلت ما دعوك إلـيه ﴿ لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ ﴾ [٥] أي: والوك وصافوك.

[٧٤] ﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ ﴾ [٦]، على الحق بعصمتنا، ﴿ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ ﴾ [٧] أي: تميل، ﴿ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ ﴾ [٨] أي قريبا من الفعل.

[٧٥] ﴿ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ﴾ [٩]، أي: لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، يعني أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة. وقيل: الضعف هو العذاب سمي ضعفا لتضاعف الألم فيه. ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥ ﴾ [١٠]، أي: ناصرا يمنعك من عذابنا.

[٧٦] قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ ﴾ [١١]، اختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم: هذه الآية مدنية. قال الكلبي: لما قدم رسول الله ﷺ

(١) سورة الإسراء آية : ٧٣.
(٢) سورة الإسراء آية : ٧٣.
(٣) سورة الإسراء آية : ٧٣.
(٤) سورة الإسراء آية : ٧٣.
(٥) سورة الإسراء آية : ٧٣.
(٦) سورة الإسراء آية : ٧٤.
(٧) سورة الإسراء آية : ٧٤.
(٨) سورة الإسراء آية : ٧٤.
(٩) سورة الإسراء آية : ٧٥.
(١٠) سورة الإسراء آية : ٧٥.
(١١) سورة الإسراء آية : ٧٦.

المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسدا منهم، فأتوه وقالوا: يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، فإن كنت نبيا مثلهم فأت الشام، فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة. وفي رواية: إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج، فأنزل الله هذه الآية والأرض هاهنا هي المدينة. وقال مجاهد وقتادة: الأرض أرض مكة، والآية مكية، هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة، فخرج بنفسه. وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل: هم الكفار كلهم أرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه، فمنع الله ﷻ رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ما أملوا، والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة، ﴿ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ ﴾ [1] أي: بعدك ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [2] أي: لا يلبثون بعدك إلا قليلا حتى يهلكوا، فعلى هذا القول الأول مدة حياتهم، وعلى الثاني ما بين خروج النبي ﷺ إلى المدينة إلى أن قتلوا ببدر.

[٧٧] قوله ﷻ ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ [3] أي: كسنتنا، فانتصب بحذف الكاف، وسنة الله في الرسل إذا كذبتهم الأمم ألا يعذبهم ما دام نبيهم بين أظهرهم، فإذا خرج نبيهم من بين أظهرهم عذبهم. ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [4]، أي تبديلا.

(١) سورة الإسراء آية : ٧٦.
(٢) سورة الإسراء آية : ٧٦.
(٣) سورة الإسراء آية : ٧٧.
(٤) سورة الإسراء آية : ٧٧.

قوله تعالى أَقِمِ الصلاةَ لِدُلُوكِ الشمْسِ إِلى غَسَقِ اللَيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِن قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا....

[٧٨] قولــه: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ [(١)]، اختلفوا في الدلوك، روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الدلوك هو الغروب، وقال ابن عباس وابن عمر وجابر: هو زوال الشمس ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وغربت، والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به، ولأنا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر وإلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء، وقرآن الفجــر هو صلاة الصبح، قوله ﷻ ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ [(٢)]، أي: ظهور ظلمته، وقال ابن عباس: بدو الليل. وقال قتادة: وقت صلاة المغرب. وقال مجاهد: غروب الشمس، ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ [(٣)]، يعني صلاة الفجر، سمي صلاة الفجر قرآنا لأنا لا تجوز إلا بقرآن، وانتصاب القرآن من وجهين أحدهما أنه عطف على الصلاة، أي: وأقم قرآن الفجر، قاله الفراء، وقال أهل البصرة: على الإغراء أي: وعليك قرآن الفجر، ﴿ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ ﴾ [(٤)]، أي: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

[٧٩] قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ ﴾ [(٥)] أي: قم بعد نومك، والتهجد لا يكون إلا بعد النوم، يقال: تجد إذا قام بعد ما نام، وهجد إذا نام، والمراد من الآية: قيام الليل للصلاة، وكانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ في الابتداء، وعلى الأمة، لقوله

(١) سورة الإسراء آية : ٧٨.
(٢) سورة الإسراء آية : ٧٨.
(٣) سورة الإسراء آية : ٧٨.
(٤) سورة الإسراء آية : ٧٨.
(٥) سورة الإسراء آية : ٧٩.

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾[(1)]، ثم نزل التخفيف فصار الوجـوب منسوخـا في حق الأمة بالصلوات الخمس، وبقي الاستحباب: قال الله تعالى: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ ﴾[(2)]، وبقي الوجـوب في حـق النبي ﷺ قوله ﷻ ﴿ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾[(3)] أي: زيادة لك، يريد فضيلة زائدة، على سائر الفرائض، فرضها الله عليك.

وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الأمة، فصارت نافلة، وهو قول مجاهد وقتادة، لأن الله تعالى قال: (نَافِلَةً لَكَ) ولم يقل عليك، قوله ﷻ ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩ ﴾[(4)] عسى من الله تعالى واجب لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بم ما أطمعهم فيه، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأمته لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون، والأخبار في الشفاعة متواترة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة.

[٨٠] قوله ﷻ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ ﴾[(5)]، المراد من المدخل والمخرج الإدخال والإخراج، واختلف أهل التفسير فيه، فقال ابن عباس والحسن وقتادة: أدخلني مدخل صدق المدينة، وأخرجني مخرج صدق من مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة. وقال الضحاك: وأخرجني مخرج صدق من مكة آمنا من المشركين، وأدخلني مدخل صدق مكة ظاهرا عليها بالفتح. وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حقها مخرج صدق. وعن الحسن أنه قال: أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج

---

(١) سورة المزمل آية : ١ - ٢.
(٢) سورة المزمل آية : ٢٠.
(٣) سورة الإسراء آية : ٧٩.
(٤) سورة الإسراء آية : ٧٩.
(٥) سورة الإسراء آية : ٨٠.

صدق من مكة وقيل: أدخلني في طاعتك وأخرجني من المناهي وقيل: معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه، فإن ذا الوجهين لا يكون أمينا ووجيها عند الله. ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يئول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: ﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١). ﴿ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ۝٨٠ ﴾ (٢)، قال مجاهد: حجة بينة. وقال الحسن: ملكا قويا تنصرني به على من ناوأني وعزا ظاهرا أقيم به دينك، فوعده الله لي عن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له. قال قتادة: علم نبي الله ﷺ ألا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان نصير، فسأل سلطانا نصيرا كتاب الله وحدوده وإقامة دينه.

[٨١] قوله ﷻ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ (٣)، يعني القرآن، ﴿ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ ﴾ (٤)، أي الشيطان، قال قتادة، وقال السدي: الحق الإسلام، والباطل الشرك. وقيل: الحق عبادة الله، والباطل عبادة الأصنام. ﴿ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١ ﴾ (٥) ذاهبا، يقال: زهقت نفسه أي خرجت. عـن أبي معمر عن عبد الله، قال: « دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة صنـم، فجعل يطعنهـا بعود في يده ويقـول: " جَاءَ الْحَق وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩ ﴾ (٦) » (٧).

---

(١) سورة يونس آية : ٢.

(٢) سورة الإسراء آية : ٨٠.

(٣) سورة الإسراء آية : ٨١.

(٤) سورة الإسراء آية : ٨١.

(٥) سورة الإسراء آية : ٨١.

(٦) سورة سبأ آية : ٤٩.

(٧) أخرجه البخاري في التفسير ٨ / ٤٠٠.

[٨٢] قوله ﷻ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١]، قيل: (من) ليس للتبعيض، ومعناه: ونـ ل من القرآن ما هو كله شفاء، أي: بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة، وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين. ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[٢]، لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن من ينتفع به فيكون رحمة له، وقيل: زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تـ ل يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة، قال قتادة: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا.

[٨٣] قولـه تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ ﴾[٣]، عن ذكرنا ودعائنا، ﴿ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾[٤]، أي تباعد منا بنفسه، أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء. وقال عطاء: تعظم وتكبر، ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي، ويفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر وقرأ ابن عامر وأبو جعفر (وناء) مثل جاء قيل: هو بمعنى نأى، وقيل: ناء من النوء وهو النهوض والقيام. ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾[٥]، الشدة والضر، ﴿ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾[٦]، أي آيسا قنوطا. وقيل معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة، فإذا تأخرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن ييأس من الإجابة، وإن تأخرت فيدع الدعاء.

(١) سورة الإسراء آية : ٨٢.
(٢) سورة الإسراء آية : ٨٢.
(٣) سورة الإسراء آية : ٨٣.
(٤) سورة الإسراء آية : ٨٣.
(٥) سورة الإسراء آية : ٨٣.
(٦) سورة الإسراء آية : ٨٣.

[٨٤] قوله ﷻ ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ (١)، قال ابن عباس: على ناحيته. وقال مقاتل: على خليقته. قال الفراء: على طريقته التي جبل عليها. وقال القتيبي: على طبيعته وجبلته. وقيل: على السبيل الذي اختاره لنفسه، وهو من الشكل، يقال: لست على شكلي ولا شاكلتي، وكلها لغات متقاربة، تقول العرب: طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق، ومجاز الآية: كل يعمل على ما يشبهه كما يقال في المثل: كل امرئ يشبهه فعله. ﴿ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ ﴾ (٢)، أوضح طريقا.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ (٣)، واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه، فروى عن ابن عباس: إنه جبريل، وهو قول الحسن وقتادة، روي عن علي أنه قال: ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلها. وقال مجاهد: خلق على صور بني آدم لهم أيد وأرجل ورءوس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام، وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله تعالى خلقا أعظم من الروح غير العرش. وقيل: الروح هو القرآن. وقيل: المراد منه عيسى عليه السلام، فإنه روح الله وكلمته، ومعناه أنه ليس كما يقول اليهود ولا كما يقول النصارى، وقال قوم: هو الروح المركب في الخلق الذي يحيا به الإنسان، وهو الأصح. وتكلم فيه قوم فقال بعضهم: هو الدم ألا ترى أن الحيوان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم. وقال قوم: هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس. وقال قوم. هو عرض. وقال قوم: هو جسم لطيف. وقال بعضهم: الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم والبقاء، ألا ترى أنه إذا كان موجودا يكون الإنسان موصوفا بجميع هذه الصفات، فإذا خرج ذهب الكل، وأولى الأقاويل: أن يوكل علمه إلى الله ﷻ وهو قول أهل السنة. قال

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨٤.

(٢) سورة الإسراء آية : ٨٤.

(٣) سورة الإسراء آية : ٨٥.

عبد الله بن بريدة: إن الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقولـه ﷻ ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [1] قيل: مـن علـم ربي، ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ [2] أي: في جنب علم الله قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ. وقيل: خطاب لليهود لأنم كانوا يقولون: أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير. وقيل: كان النبي ﷺ يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر به أحدا لأن ترك إخباره به كان علما لنبوته. والأول أصح لأن الله ﷻ استأثر بعلمه.

[٨٦] قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [3]، يعني القرآن، معناه: إنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك، لو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك يعني القرآن، ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [4]، أي: من يتوكل برد القرآن إليك.

[٨٧] ﴿ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ ﴾ [5]، هذا استثناء منقطع معناه: ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك. ﴿ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾ ﴾ [6]، فإن قيل كيف يذهب القرآن وهو كلام الله ﷻ؟ قيل: المراد منه محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور. وقال عبد الله بن مسعود. اقرءوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس؟ قال: يسري عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا.

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨٥.
(٢) سورة الإسراء آية : ٨٥.
(٣) سورة الإسراء آية : ٨٦.
(٤) سورة الإسراء آية : ٨٦.
(٥) سورة الإسراء آية : ٨٧.
(٦) سورة الإسراء آية : ٨٧.

قوله تعالى قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِن عَلَى أنْ يَأتوا بِمِثْل هَذَا الْقُرْآن لَا يَأْتون بِمِثْلِهِ....

[٨٨] قوله جل وعلا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ﴾[١]، لا يقـدرون على ذلك، ﴿ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾[٢]، عونا ومظاهرا، نزلت حين قال الكفار: لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى، فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات المبالغة لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله.

[٨٩] قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ ﴾[٣]، من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها، ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾ ﴾[٤]، جحودا.

[٩٠] ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ ﴾[٥]، لن نصدقك، ﴿ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾[٦] يعني. أرض مكة ﴿ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾[٧] أي: عيونا.

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨٨.
(٢) سورة الإسراء آية : ٨٨.
(٣) سورة الإسراء آية : ٨٩.
(٤) سورة الإسراء آية : ٨٩.
(٥) سورة الإسراء آية : ٩٠.
(٦) سورة الإسراء آية : ٩٠.
(٧) سورة الإسراء آية : ٩٠.

[٩١] ﴿ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ﴾ (١)، بستان، ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝ ﴾ (٢)، تشقيقا.

[٩٢] ﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا ﴾ (٣)، قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين، أي: قطعا وهي جمع كسفة، وهي القطعة والجانب مثل كسرة وكسر، وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد، وجمعه أكساف وكسوف، أي: تسقطها طبقا واحدا. وقيل: أراد جانبها علينا. وقيل: معناه أيضا القطع، وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر في الشعراء وسبأ (كسفا) بالفتح، حفص، وفي الروم ساكنة أبو جعفر، وابن عامر. ﴿ أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝ ﴾ (٤)، قال ابن عباس: كفيلا أي يكفلون بما تقول. وقال الضحاك: ضامنا. وقال مجاهد: هو جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة. وقال قتادة: عيانا أي نراهم مقابلة أي معاينة. وقال الفراء: هو من قول العرب لقيت فلانا قبيلا، وقبيلا أي: معاينة.

[٩٣] ﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٌ مِّن زُخۡرُفٍ ﴾ (٥) أي: من ذهب، وأصله الزينة، ﴿ أَوۡ تَرۡقَىٰ ﴾ (٦)، تصعد، ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (٧)، هذا قول عبد الله بن أبي أمية، ﴿ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ (٨)، لصعودك، ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ

(١) سورة الإسراء آية : ٩١.
(٢) سورة الإسراء آية : ٩١.
(٣) سورة الإسراء آية : ٩٢.
(٤) سورة الإسراء آية : ٩٢.
(٥) سورة الإسراء آية : ٩٣.
(٦) سورة الإسراء آية : ٩٣.
(٧) سورة الإسراء آية : ٩٣.
(٨) سورة الإسراء آية : ٩٣.

عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ ﴾(١)، أمرنا فيه باتباعك، ﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي ﴾(٢)، وقرأ ابن كثير وابن عامر (قال) يعني محمدا، وقرأ الآخرون علـى الأمـر، أي: قـل يا محمـد، ﴿ هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ ﴾(٣)، أمره بتنزيهه وتمجيده، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر، وما أنا إلا بشر وليس ما سألتم في طوق البشر، واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله، مثل القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها، والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا، فرد الله عليهم سؤالهم.

[٩٤] قوله ﷻ ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾(٤)، جهلا منهم، ﴿ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ ﴾(٥)، أراد أن الكفار كانوا يقولون: لن نؤمن لك لأنك بشر، وهلا بعث الله إلينا ملكا فأجابهم الله تعالى:

[٩٥] ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ ﴾(٦)، مستوطنين مقيمين، ﴿ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ ﴾(٧)، من جنسهم لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس.

---

(١) سورة الإسراء آية : ٩٣.

(٢) سورة الإسراء آية : ٩٣.

(٣) سورة الإسراء آية : ٩٣.

(٤) سورة الإسراء آية : ٩٤.

(٥) سورة الإسراء آية : ٩٤.

(٦) سورة الإسراء آية : ٩٥.

(٧) سورة الإسراء آية : ٩٥.

[٩٦] ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾[١]، أني رسوله إليكم، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾[٢].

قوله تعالى وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ....

[٩٧] ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ ﴾[٣]، يهدونهم، ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾[٤] عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ ﴿ إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه ﴾[٥] [٦] ﴿ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ ﴾[٧]، فإن قيل كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم. وقد قال: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ ﴾[٨]، وقال: ﴿ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾[٩] وقال: ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[١٠]، أثبت الرؤية والكلام والسمع؟ قيل: يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء، وجواب آخر: قال ابن عباس: عميا لا

(١) سورة الإسراء آية : ٩٦.
(٢) سورة الإسراء آية : ٩٦.
(٣) سورة الإسراء آية : ٩٧.
(٤) سورة الإسراء آية : ٩٧.
(٥) البخاري تفسير القرآن (٤٤٨٢)، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٠٦)، أحمد (٢٢٩/٣).
(٦) أخرجه البخاري في التفسير ٨ / ٤٩٢ ومسلم في المنافقين ٤ / ٢١٦١.
(٧) سورة الإسراء آية : ٩٧.
(٨) سورة الكهف آية : ٥٣.
(٩) سورة الفرقان آية : ١٣.
(١٠) سورة الفرقان آية : ١٢.

يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون شيئا يسرهم. وقال الحسن: هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار. وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [(١)] يصيرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون. ﴿ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ [(٢)]، قال ابن عباس: كلما سكنت، أي: سكن لهيبها. وقال مجاهد: طفئت وقال قتادة: ضعفت وقيل: هو الهدو من غير أن يوجـد نقصان في ألم الكفار، لأن الله تعالى قال: ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ ﴾ [(٣)]، وقيل: كلما خبت أي أرادت أن تخبو، ﴿ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [(٤)]، أي: وقودا، وقيل: المراد من قوله: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ [(٥)] أي: نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا فيها إلى ما كانوا عليه وزيد في تسعير النار لتحرقهم.

[٩٨] ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [(٦)]، فأجابهم الله تعالى.

[٩٩] فقال: ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [(٧)]، في عظمتها وشدتها، ﴿ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [(١)]، في صغرهـم وضعفهـم، نظيره قوله

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠٨.
(٢) سورة الإسراء آية : ٩٧.
(٣) سورة الزخرف آية : ٧٥.
(٤) سورة الإسراء آية : ٩٧.
(٥) سورة الإسراء آية : ٩٧.
(٦) سورة الإسراء آية : ٩٨.
(٧) سورة الإسراء آية : ٩٩.

تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[2]. ﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا ﴾[3]، أي: وقتا لعذابهم، ﴿ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾[4]، أنه يأتيهم، قيل: هو الموت، وقيل: هو يوم القيامة، ﴿ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[5]، أي: جحودا وعنادا.

[١٠٠] ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ ﴾[6] أي: نعمة ربي. وقيل: رزق ربي، ﴿ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ ﴾[7]، لبخلتم وحبستم، ﴿ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ﴾[8]، أي: خشية الفاقة، قاله قتادة، وقيل: خشية النفاد، يقال: أنفق الرجل أي أملق وذهب ماله ونفق الشيء، أي: ذهب، وقيل: لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر، ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[9]، أي: بخيلا ممسكا عن الإنفاق.

[١٠١] قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾[10]، أي: دلالات واضحات، فهي الآيات التسع، قال ابن عباس والضحاك: هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. وقال

---

(١) سورة الإسراء آية : ٩٩.
(٢) سورة غافر آية : ٥٧.
(٣) سورة الإسراء آية : ٩٩.
(٤) سورة الإسراء آية : ٩٩.
(٥) سورة الإسراء آية : ٩٩.
(٦) سورة الإسراء آية : ١٠٠.
(٧) سورة الإسراء آية : ١٠٠.
(٨) سورة الإسراء آية : ١٠٠.
(٩) سورة الإسراء آية : ١٠٠.
(١٠) سورة الإسراء آية : ١٠١.

عكرمة وقتادة ومجاهد وعطاء: هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص الثمرات.

وذكر محمد بن كعب القرظي: الطمس والبحر بدل السنين ونقص من الثمرات.

وقال بعضهم: هن آيات الكتاب ﴿ فَسْئَلْ ﴾[1]، يا محمد، ﴿ بَنِيَ إِسْرَاءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ ﴾[2]، موسى، يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره، ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم. ﴿ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾[3]، أي: مطبوبا سحروك، قاله الكلبي، وقال ابن عباس: مخدوعا. وقيل: مصروفا عن الحق. وقال الفراء وأبو عبيدة: ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل. وقال محمد بن جرير: معطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك.

[١٠٢] ﴿ قَالَ ﴾[4]، موسى ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾[5]، قرأ العامة بفتح التاء خطابا لفرعون، وقرأ الكسائي بضم التاء، ويروى ذلك عن علي، وقال: لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق، ولو علم لآمن ولكن موسى هو الذي علم، قال ابن عباس: علمه فرعون ولكنه عاند، قال الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾[6]، وهذه القراءة وهي نصب التاء أصح في المعنى وعليه أكثر القراء، لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه، ولا يثبت عن علي رفع التاء لأنه

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٠١.

(٢) سورة الإسراء آية : ١٠١.

(٣) سورة الإسراء آية : ١٠١.

(٤) سورة الإسراء آية : ١٠٢.

(٥) سورة الإسراء آية : ١٠٢.

(٦) سورة النمل آية : ١٤.

روي عن رجل من مراد عن علي، وذلك الرجل مجهول ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي، ﴿ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾[1]، هذه الآيات التسع، ﴿ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾[2]، جمع بصيرة أي يبصر بها، ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[3]، قال ابن عباس: ملعونا. وقال مجاهد: هالكا. وقال قتادة: مهلكا. وقال الفراء: أي مصروفا ممنوعا عن الخير يقال: ما ثبرك عن هذا الأمر أي ما منعك وصرفك عنه.

[١٠٣] ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾[4]، أي: أراد فرعون أن يستفزهم موسى وبني إسرائيل أي يخرجهم، ﴿ مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾[5]، يعني أرض مصر، ﴿ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[6]، ونجينا موسى وقومه.

[١٠٤] ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[7]، أي من بعد هلاك فرعون، ﴿ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾[8]، يعني أرض مصر والشام، ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[9]، يعني يوم القيامة، ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[10] أي: جميعا إلى موقف القيامة. واللفيف:

(١) سورة الإسراء آية : ١٠٢.
(٢) سورة الإسراء آية : ١٠٢.
(٣) سورة الإسراء آية : ١٠٢.
(٤) سورة الإسراء آية : ١٠٣.
(٥) سورة الإسراء آية : ١٠٣.
(٦) سورة الإسراء آية : ١٠٣.
(٧) سورة الإسراء آية : ١٠٤.
(٨) سورة الإسراء آية : ١٠٤.
(٩) سورة الإسراء آية : ١٠٤.
(١٠) سورة الإسراء آية : ١٠٤.

الجمع الكثير إذا كانوا مختلطين من كل نوع، يقال: لفت الجيوش إذا اختلطوا وجمع القيامة كذلك فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر. وقال الكلبي: فإذا جاء وعد الآخرة يعني مجيء عيسى من السماء جئنا بكم لفيفا أي: الـ اع من كل قوم من هنا وهنا لفوا جميعا.

قوله تعالى وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا....

[١٠٥] ﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ ﴾[١]، يعني القرآن، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا ﴾[٢]، للمطيعين، ﴿ وَنَذِيرٗا ١٠٥ ﴾[٣]، للعاصين.

[١٠٦] ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ ﴾[٤]، قيل: أنزلناه نجوما لم يـ ل مرة واحدة، بدليل قراءة ابن عباس: (وَقُرْآناً فَرَّقْناهُ) بالتشديد، وقراءة العامة بالتخفيف، أي: فصلناه. وقيل: بيناه. وقال الحسن: معناه فرقنا به بين الحق والباطل. ﴿ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾[٥] أي: على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة، ﴿ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ ﴾[٦].

[١٠٧] ﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ ﴾[٧]، هذا على طريق الوعيد والتهديد، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ ﴾[٨]، قيل: هم مؤمنو أهل الكتاب وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله ﷺ ثم أسلموا بعد مبعثه، مثل زيد بن عمر بن نفيل

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٠٥.
(٢) سورة الإسراء آية : ١٠٥.
(٣) سورة الإسراء آية : ١٠٥.
(٤) سورة الإسراء آية : ١٠٦.
(٥) سورة الإسراء آية : ١٠٦.
(٦) سورة الإسراء آية : ١٠٦.
(٧) سورة الإسراء آية : ١٠٧.
(٨) سورة الإسراء آية : ١٠٧.

وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم. ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[(١)]، يعني القرآن ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ﴾[(٢)] أي: يسقطون على الأذقان، قال ابن عباس: أراد بها الوجوه، ﴿ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[(٣)].

[١٠٨] ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[(٤)]، أي: كائنا واقعا.

[١٠٩] ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾[(٥)]، أي: يقعون على الوجوه يبكون، البكاء مستحب عند قراءة القرآن، ﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾[(٦)]، نزول القرآن، ﴿ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[(٧)]، خضوعا لربهم، نظيره قوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾[(٨)].

[١١٠] ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾[(٩)]، قال ابن عباس: سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده: يا الله يا رحمن، فقال أبو جهل: إن محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(١٠)]. ومعناه أنهما اسمان

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٠٧.
(٢) سورة الإسراء آية : ١٠٧.
(٣) سورة الإسراء آية : ١٠٧.
(٤) سورة الإسراء آية : ١٠٨.
(٥) سورة الإسراء آية : ١٠٩.
(٦) سورة الإسراء آية : ١٠٩.
(٧) سورة الإسراء آية : ١٠٩.
(٨) سورة مريم آية : ٥٨.
(٩) سورة الإسراء آية : ١١٠.
(١٠) أخرجه الطبري في التفسير ١٥ / ١٨٢ وانظر أسباب النزول للواحدي ص٣٤١ والدر المنثور ٥ / ٣٤٨.

لواحد ﴿ أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ ﴾[1]، (ما) صلة معناه أيا ما تدعوا من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه، ﴿ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا ﴾[2] نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ (وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ ﴾[3] [4] أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن. وقال قوم: نزلت الآية في الدعاء. عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل ذلك في الدعاء.

[١١١] ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا ﴾[5]، أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمد على وحدانيته، ومعنى الحمد لله هو الثناء عليه بما هو أهله، قال الحسين بن الفضل: معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولدا، ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ ﴾[6]، قال مجاهد: لم يذل حتى يحتاج إلى ولي يتعزز به ﴿ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١ ﴾[7]، أي: وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي.

---

(١) سورة الإسراء آية : ١١٠.

(٢) سورة الإسراء آية : ١١٠.

(٣) سورة الإسراء آية : ١١٠.

(٤) أخرجه البخاري في تفسير سورة الإسراء ٨ / ٤٠٤ ومسلم في الصلاة ١ / ٣٢٩. .

(٥) سورة الإسراء آية : ١١١.

(٦) سورة الإسراء آية : ١١١.

(٧) سورة الإسراء آية : ١١١.

(١٨) سورة الكهف

قوله تعالى الْحَمْدُ لِلهِ الذِي أُنزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا.....

[١] ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [(١)] أثنى الله على نفسه بإنعامه على خلقه، وخص رسول ﷺ بالذكر، لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم. ﴿ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ ﴾ [(٢)].

[٢] ﴿ قَيِّمٗا ﴾ [(٣)]، فيه تقديم وتأخير معناه أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا (قيما) أي مستقيما. قال ابن عباس: عدلا. وقال الفراء: قيما على الكتب كلها أي: مصدقا لها ناسخا لشرائعها. وقال قتادة: ليس على التقديم والتأخير بل معناه: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، ولكن جعله قيما. قوله ﷻ ﴿ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ ﴾ [(٤)] أي: مختلفا، على ما قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢ ﴾ [(٥)] وقيل: معناه لم يجعله مخلوقا. وروي عن ابن عباس في قوله ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ ﴾ [(٦)] أي: غير مخلوق. ﴿ لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا ﴾ [(٧)]،

---

(١) سورة الكهف آية : ١.
(٢) سورة الكهف آية : ١.
(٣) سورة الكهف آية : ٢.
(٤) سورة الكهف آية : ١.
(٥) سورة النساء آية : ٨٢.
(٦) سورة الزمر آية : ٢٨.
(٧) سورة الكهف آية : ٢.

أي لينذر ببأس شديد، ﴿ مِّن لَّدُنۡهُ ﴾[1]، أي من عنده، ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنًا ۝٢ ﴾[2]. أي الجنة.

[٣] ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ ﴾[3] أي: مقيمين فيه.

[٤] ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ ﴾[4].

قوله تعالى مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ.....

[٥] ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ ﴾[5]، أي قالوه عن جهل لا عن علم، ﴿ كَبُرَتۡ ﴾[6]، أي عظمت، ﴿ كَلِمَةً ﴾[7]، نصب على التمييز، يقال: تقديره كبرت الكلمة كـلمة. وقيل: من كلمة، فحذف (من) فانتصب، ﴿ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ ﴾[8] أي: تظهر من أفواههم، ﴿ إِن يَقُولُونَ ﴾[9]، ما يقولون، ﴿ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾[10].

---

(١) سورة الكهف آية : ٢.
(٢) سورة الكهف آية : ٢.
(٣) سورة الكهف آية : ٣.
(٤) سورة الكهف آية : ٤.
(٥) سورة الكهف آية : ٥.
(٦) سورة الكهف آية : ٥.
(٧) سورة الكهف آية : ٥.
(٨) سورة الكهف آية : ٥.
(٩) سورة الكهف آية : ٥.
(١٠) سورة الكهف آية : ٥.

[٦] ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ ﴾[(١)]، من بعدهم، ﴿ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ ﴾[(٢)] أي: القرآن، ﴿ أَسَفًا ﴾[(٣)]، أي حزنا وقيل: غضبا.

[٧] ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا ﴾[(٤)]، فإن قيل: أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين؟ قيل: فيها زينة على معنى أنا تدل على وحدانية الله تعالى. وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة هم زينة الأرض. وقيل: أراد بم العلماء والصلحاء. وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنار، كما قال. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ ﴾[(٥)]. ﴿ لِنَبۡلُوَهُمۡ ﴾[(٦)]، لنختبرهم، ﴿ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾[(٧)]، أي أصلح عملا. وقيل. أيهم أترك للدنيا.

[٨] ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴾[(٨)]، فالصعيد وجه الأرض، وقيل هو التراب، جرزا يا بسا أملس لا ينبت شيئا. يقال: جزرت الأرض إذا أكل نباتا.

[٩] قوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[(٩)]، يعني أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي هم عجب من آياتنا. وقيل: معناه إنم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما

(١) سورة الكهف آية : ٦.
(٢) سورة الكهف آية : ٦.
(٣) سورة الكهف آية : ٦.
(٤) سورة الكهف آية : ٧.
(٥) سورة يونس آية : ٢٤.
(٦) سورة الكهف آية : ٧.
(٧) سورة الكهف آية : ٧.
(٨) سورة الكهف آية : ٨.
(٩) سورة الكهف آية : ٩.

خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم، والكهف: هو الغار في الجبل، واختلفوا في الرقيم، قال سعيد بن جبير: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الأقاويل، ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص، وقيل، من حجار، فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم، أي: المكتوب، والرقم: الكتابة. وحكي عن ابن عباس أنه قال: هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وعلى هذا هو من رقمة الوادي وهو جانبه، وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف، وقيل: اسم للجبل الذي فيه الكهف، ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف.

[١٠] فقال: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ (١)، أي صاروا إليه، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا أي: اتخذه م لا ﴿ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ (٢)، وهو غار في جبل مخلوس واسم الكهف: خيرم. ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ (٣). ومعنى الرحمة الهداية في الدين. وقيل: الرزق، ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا ﴾ (٤)، يسر لنا، ﴿ مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ (٥)، أي: ما نلتمس من خير رضاك وما فيه رشدنا، وقال ابن عباس: رشدا أي: مخرجا من الغار في سلامة.

[١١] ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ (٦)، أي أنماهم وألقينا عليهم النوم. وقيل: معناه منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم، فإن النائم إذا سمع الصوت ينتبه، ﴿ فِي ٱلْكَهْفِ

---

(١) سورة الكهف آية : ١٠.

(٢) سورة الكهف آية : ١٠.

(٣) سورة الكهف آية : ١٠.

(٤) سورة الكهف آية : ١٠.

(٥) سورة الكهف آية : ١٠.

(٦) سورة الكهف آية : ١١.

سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾[1]، أي: أنمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد. وقيل: ذكره يدل على الكثرة فإن القليل لا يعد في العادة.

[١٢] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾[2]، يعني من نومهم، ﴿ لِنَعْلَمَ ﴾ [3] أي: علم المشاهدة ﴿ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ﴾[4]، أي: الطائفتين، ﴿ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾[5]. وذلك أن أهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف واختلفوا في قوله ﴿ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ ﴾ [6] حفظ لما مكثوا في كهفهم نياما أمدا أي: غاية. وقال مجاهد: عددا ونصبه على التفسير.

[١٣] ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ [7] نقرأ عليك ﴿ نَبَأَهُم ﴾ [8]، خبر أصحاب الكهف. ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ [9]، بالصدق ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ [10]، شبان، ﴿ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾[11]، إيمانا وبصيرة.

---

(١) سورة الكهف آية : ١١.
(٢) سورة الكهف آية : ١٢.
(٣) سورة الكهف آية : ١٢.
(٤) سورة الكهف آية : ١٢.
(٥) سورة الكهف آية : ١٢.
(٦) سورة الكهف آية : ١٢.
(٧) سورة الكهف آية : ١٣.
(٨) سورة الكهف آية : ١٣.
(٩) سورة الكهف آية : ١٣.
(١٠) سورة الكهف آية : ١٣.
(١١) سورة الكهف آية : ١٣.

[١٤] ﴿ وَرَبَطْنَا ﴾ [١] شددنا، ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [٢]، بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف، ﴿ إِذْ قَامُواْ ﴾ [٣]، بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، ﴿ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ﴾ [٤]، قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان، ﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [٥]، يعني إن دعونا غير الله لقد قلنا إذا شططا، قال ابن عباس: جورا. وقال قتادة: كذبا. وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط.

[١٥] ﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ﴾ [٦]، يعني أهل بلدهم، ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ [٧]، أي من دون الله، ﴿ ءَالِهَةً ﴾ [٨]، يعني الأصنام يعبدونا، ﴿ لَّوْلَا ﴾ [٩]، أي هلا، ﴿ يَأْتُونَ عَلَيْهِم ﴾ [١٠]، أي على عبادتهم،

---

(١) سورة الكهف آية : ١٤.
(٢) سورة الكهف آية : ١٤.
(٣) سورة الكهف آية : ١٤.
(٤) سورة الكهف آية : ١٤.
(٥) سورة الكهف آية : ١٤.
(٦) سورة الكهف آية : ١٥.
(٧) سورة الكهف آية : ١٥.
(٨) سورة الكهف آية : ١٥.
(٩) سورة الكهف آية : ١٥.
(١٠) سورة الكهف آية : ١٥.

﴿ بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ ﴾[1]، بحجة واضحة، ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ ﴾[2]، وزعم أن له شريكا أو ولدا.

قوله تعالى وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللهَ....

[١٦] ثم قال بعضهم لبعض: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ ﴾[3]، يعني قومكم، ﴿ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[4]، قرأ ابن مسعود وَمَا يَعْبُدُونَ من دون اللَه، وأما القراءة المعروفة فمعناها أنم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأوثان يقول: إذا اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلا الله فإنكم لم تعتزلوا، ﴿ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ﴾[5]، فالجأوا إليـه، ﴿ يَنشُرۡ لَكُمۡ ﴾[6]، يبسط لكم، ﴿ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم ﴾[7]، يسهل لكم، ﴿ مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾[8] أي: ما يعود إليه يسركم ورفقكم. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (مرفقا) بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناهما واحد، وهو ما يرتفق به الإنسان.

[١٧] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ ﴾[9]، قرأ ابن عامر ويعقوب: بسكون الزاي وتشديد الراء على وزن تحمر، وقرأ أهل الكوفة بفتح الزاي

---

(١) سورة الكهف آية : ١٥.
(٢) سورة الكهف آية : ١٥.
(٣) سورة الكهف آية : ١٦.
(٤) سورة الكهف آية : ١٦.
(٥) سورة الكهف آية : ١٦.
(٦) سورة الكهف آية : ١٦.
(٧) سورة الكهف آية : ١٦.
(٨) سورة الكهف آية : ١٦.
(٩) سورة الكهف آية : ١٧.

خفيفة وألف بعدها، وقرأ الآخرون بتشديد الزاي، وكلها بمعنى واحد، أي: تميل وتعدل، ﴿ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾ [(١)] أي: جانب اليمين، ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ﴾ [(٢)]، أي: تتركهم وتعدل عنهم، ﴿ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [(٣)]، أصل القرض القطع، ﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ﴾ [(٤)] أي: متسع من الكهف وجمعها فجوات، قال ابن قتيبة: كان كهفهم مستقبل بنات نعش، لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب وفيما بين ذلك، قال: اختار الله لهم مضطجعا في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرها وتغير ألوانهم وهم في متسع ينالهم برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه. وقال بعضهم: هذا القول خطأ وهو أن الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا تقع عليهم ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم، ألا ترى أنه قال: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [(٥)]، من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التي يعتبر بها، ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ ﴾ [(٦)]، أي: من يضلله الله ولم يرشده، ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا ﴾ [(٧)]، معينا، ﴿ مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [(٨)].

(١) سورة الكهف آية : ١٧.
(٢) سورة الكهف آية : ١٧.
(٣) سورة الكهف آية : ١٧.
(٤) سورة الكهف آية : ١٧.
(٥) سورة الكهف آية : ١٧.
(٦) سورة الكهف آية : ١٧.
(٧) سورة الكهف آية : ١٧.
(٨) سورة الكهف آية : ١٧.

[١٨] قولـه تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا ﴾ [(١)] أي: منتبهين جمع: يقظ، ﴿ وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [(٢)]، نيام جمع راقد مثل قاعد وقعود وإنما اشتبه حالهم لأنهم كانوا مفتحة أعينهم يتنفسون ولا يتكلمون، ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [(٣)]، مرة للجنب الأيمن ومـرة للجنب الأيسر. قال ابن عباس: كانوا يقلبون في السنة مرة من جنب إلى جنب لئلا تأكل الأرض لحومهم. وقيل: كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم. وقال أبو هريرة: كان لهم في كل سنة تقلبان، ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [(٤)]، أكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب. وروي عن ابن جريج: أنه كان أسد أو سمي الأسد كلبا فإن النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب فقال: « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » [(٥)] فافترسه أسد، والأول المعروف قوله ﴿ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [(٦)] قال مجاهد والضحاك: والوصيد فناء الكهف. وقال عطاء: عتبة الباب. وقال السدي: الوصيد الباب. وهو رواية عكرمة عن ابن عباس، فإن قيل: لم يكن للكهف باب ولا عتبة؟ قيل: معناه موضع الباب والعتبة كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم. قال السدي: كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها، وإذا انقلبوا

---

(١) سورة الكهف آية : ١٨.
(٢) سورة الكهف آية : ١٨.
(٣) سورة الكهف آية : ١٨.
(٤) سورة الكهف آية : ١٨.
(٥) صححه الحاكم في المستدرك ٢ / ٥٣٩ ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤ / ٣٩.
(٦) سورة الكهف آية : ١٨.

إلى الشمال كسر أذنه اليسرى. ورقد عليها. ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[1]، يا محمد، ﴿ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾[2]، لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتم، ﴿ وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾[3]، خوفا قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرون بتخفيفها واختلفوا في أن الرعب كان لماذا؟ قيل: من وحشة المكان. وقال الكلبي: لأن أعينهم كانت مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا شعور. وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد.

[١٩] قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾[4]، أي كما أنماهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النومة التي تشبه الموت، ﴿ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾[5] ليسأل بعضهم بعضا واللام فيه لام العاقبة لأنهم لم يبعثوا للسؤال، ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾[6]، وهو رئيسهم مكسلمينا، ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ ﴾[7]، في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك، ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا ﴾[8]، وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فقالوا فانتبهوا

(١) سورة الكهف آية : ١٨.
(٢) سورة الكهف آية : ١٨.
(٣) سورة الكهف آية : ١٨.
(٤) سورة الكهف آية : ١٩.
(٥) سورة الكهف آية : ١٩.
(٦) سورة الكهف آية : ١٩.
(٧) سورة الكهف آية : ١٩.
(٨) سورة الكهف آية : ١٩.

حين انتبهوا عشية فقالوا: لبثنا يوما ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية، فقالوا: ﴿ أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ ﴾ (١)، فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم، ﴿ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ ﴾ (٢)، وقيل: إن رئيسهم مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال. دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم، ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ ﴾ (٣)، يعني تمليخا، قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بورقكم ساكنة الراء والباقون بكسرها ومعناهما واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة. ﴿ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ (٤)، قيل: هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فسموها في الإسلام طرسوس، ﴿ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا ﴾ (٥) أي: أحل طعاما حتى لا يكون من غصب أو سبب حرام، وقيل: أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقال الضحاك: أطيب طعاما. وقال مقاتل بن حيان: أجود طعاما. وقال عكرمة: أكثر، وأصل الزكاة الزيادة. وقيل: أرخص طعاما. ﴿ فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ ﴾ (٦)، أي قوت وطعام تأكلونه، ﴿ وَلۡيَتَلَطَّفۡ ﴾ (٧)،

(١) سورة الكهف آية : ١٩.
(٢) سورة الكهف آية : ١٩.
(٣) سورة الكهف آية : ١٩.
(٤) سورة الكهف آية : ١٩.
(٥) سورة الكهف آية : ١٩.
(٦) سورة الكهف آية : ١٩.
(٧) سورة الكهف آية : ١٩.

وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان، ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ ﴾[1]، ولا يعلمن ﴿ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩ ﴾[2]، من الناس.

[٢٠] ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ ﴾[3]، أي: يعلموا بمكانكم، ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾[4] قال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول. وقيل: يقتلوكم، وقيل: كان من عادتم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل. وقيل: يضربوكم، ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾[5] أي: إلى الكفر، ﴿ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ۝٢٠ ﴾[6]، إن عدتم إليه.

قوله تعالى وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيهِمْ لِيَعْلَمُوا أن وَعْدَ اللهِ حَق وَأن الساعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا....

[٢١] قوله ﷻ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا ﴾[7] أي: أطلعنا، ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾[8]، يقال: عثرت على الشيء إذا اطلعت عليه وأعثرت غيري أي أطلعته، ﴿ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾[9]، يعني أصحاب بيدروس الحاكم حين بعثوا الذين أنكروا البعث، ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾[10]، قال ابن عباس. يتنازعون في البنيان، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لأنم على ديننا، وقال

(١) سورة الكهف آية : ١٩.
(٢) سورة الكهف آية : ١٩.
(٣) سورة الكهف آية : ٢٠.
(٤) سورة الكهف آية : ٢٠.
(٥) سورة الكهف آية : ٢٠.
(٦) سورة الكهف آية : ٢٠.
(٧) سورة الكهف آية : ٢١.
(٨) سورة الكهف آية : ٢١.
(٩) سورة الكهف آية : ٢١.
(١٠) سورة الكهف آية : ٢١.

المشركون: نبني عليهم بنيانا لأنم من أهل ديننا. وقال عكرمة: تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح، وقال قوم للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله تعالى وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح.

وقيل: تنازعوا في مدة لبثهم. وقيل: في عددهم. ﴿ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾ (١)، بيدروس الملك وأصحـابه، ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٢).

[٢٢] ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ ﴾ (٣)، أي ظنا وحدسا مع غير يقين، ولم يقل هذا في حق السبعة، فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ (٤) يعنـي: المسلمـين، ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ ﴾ (٥)، اختلفوا في الواو في قوله: ﴿ وَثَامِنُهُمْ ﴾ (٦) وقيل. تركها وذكرها سواء. وقيل: هي واو الحكم والتحقيق كأنه حكى اختلافهم، وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ ﴾ (٧) والثامن لا يكون إلا بعد السابع. وقيل: هذه واو الثمانية، وذلك أن العرب تعد فتقول: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة،

---

(١) سورة الكهف آية : ٢١.

(٢) سورة الكهف آية : ٢١.

(٣) سورة الكهف آية : ٢٢.

(٤) سورة الكهف آية : ٢٢.

(٥) سورة الكهف آية : ٢٢.

(٦) سورة الكهف آية : ٢٢.

(٧) سورة الكهف آية : ٢٢.

نظيره قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ﴾ [1] إلى قوله: ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [2]، وقال في أزواج النبي ﷺ ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٍ مُّؤۡمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ۝ ﴾ [3]. ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ [4]، أي: بعددهم ﴿ مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٌۗ ﴾ [5]، أي: إلا قليل من الناس. قال ابن عباس: إنا من القليل كانوا سبعة. وقال محمد بن إسحاق: كانوا ثمانية ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ ﴾ [6]، أي: لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم، ﴿ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ [7]، إلا بظاهر ما قصصنا عليك، يقول: حسبك ما قصصت عليك فلا تزد عليه وقف عنده، ﴿ وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ ﴾ [8]، من أهل الكتاب، ﴿ أَحَدًا ۝٢٢ ﴾ [9] أي: لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك.

[٢٣] ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ ﴾ [10].

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٢.
(٢) سورة التوبة آية : ١١٢.
(٣) سورة التحريم آية : ٥.
(٤) سورة الكهف آية : ٢٢.
(٥) سورة الكهف آية : ٢٢.
(٦) سورة الكهف آية : ٢٢.
(٧) سورة الكهف آية : ٢٢.
(٨) سورة الكهف آية : ٢٢.
(٩) سورة الكهف آية : ٢٢.
(١٠) سورة الكهف آية : ٢٣.

[٢٤] ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ (١)، يعني: إذا عزمت على أن تفعل غدا شيئا فلا تقل أفعل غدا حتى تقول إن شاء الله، وذلك أن أهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، فقال: أخبركم غدا ولم يقل: إن شاء الله، فلبث الوحي أياما ثم نزلت هذه الآية، ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (٢)، قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن، وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان إلى سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس، وجوزه بعضهم إذا قرب الزمان، فإن بعد فلا يصح، ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالكلام. وقال عكرمة: معنى الآية واذكر ربك إذا غضبت. وقال وهب: مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب. وقال الضحاك والسدي: هذا في الصلاة، عن أنس قال: قال النبي ﷺ ﴿ من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ﴾ (٣) (٤). ﴿ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ (٥)، أي يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد. وقيل: أمر الله نبيه أن يذكره إذا نسي شيئا ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه. ويقال: هو أن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله ﷻ أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث أتاه من علم الغيب حال المرسلين ما كان أوضح لهم في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف، وقال بعضهم: هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله إن شاء

---

(١) سورة الكهف آية : ٢٤.

(٢) سورة الكهف آية : ٢٤.

(٣) البخاري مواقيت الصلاة (٥٧٢)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٨٤)، الترمذي الصلاة (١٧٨)، النسائي المواقيت (٦١٣)، أبو داود الصلاة (٤٤٢)، ابن ماجه الصلاة (٦٩٦)، أحمد (٣/٢٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في المواقيت ٢ / ٧٠ ومسلم في المساجد رقم (٥٩٧) ٢ / ٢٤١ والمصنف في شرح السنة ٢ / ٢٤١.

(٥) سورة الكهف آية : ٢٤.

الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول: (عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا).

[٢٥] قوله ﷻ ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ﴾[(١)]، يعني أصحاب الكهف. قال بعضهم: هذا خبر عن أهل الكتاب أنم قالوا ذلك، ولو كان خبرا من الله ﷻ عن قدر لبثهم لم يكن لقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ﴾[(٢)] وجه، وهذا قول قتادة، ويدل عليه قراءة ابن مسعود: (وقالوا لبثوا في كهفهم) ثم رد الله تعالى عليهم فقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ﴾[(٣)] وقال الآخرون. هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف، وهو الأصح، وأما قوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ﴾[(٤)] فمعناه أن الأمر من مدة لبثهم كما ذكرنا فإن نازعوك فيها فأجبهم: وقل الله أعلم بما لبثوا، أي: هو أعلم منكم، وقد أخبرنا بمدة لبثهم. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن هذه المدة من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم وقال: قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله. قوله تعالى: ﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ ﴾[(٥)] قرأ حمزة والكسائي: (ثلاث مائة) بلا تنوين، وقرأ الآخرون: بالتنوين، فإن قيل: لم قال ثلاثمائة سنين ولم يقل سنة؟ قيل: نزل قوله: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ ﴾[(٦)]، فقالوا: أياما أو شهورا أو سنين؟ ف لت ﴿ سِنِينَ ﴾[(٧)]، قال الفراء: ومن العرب من

(١) سورة الكهف آية : ٢٥.
(٢) سورة الكهف آية : ٢٦.
(٣) سورة الكهف آية : ٢٦.
(٤) سورة الكهف آية : ٢٦.
(٥) سورة الكهف آية : ٢٥.
(٦) سورة الكهف آية : ٢٥.
(٧) سورة الكهف آية : ٢٥.

يضع سنين في موضـع سنـة. وقيل: معنـاه ولبثـوا في كهفهـم سنين ثلاثمائة. ﴿ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾[1]، قال الكلبي: قالت نصارى نجران: أما ثلاثمائة فقد عرفنا وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت.

[٢٦] ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ﴾[2] روي عن علي أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة شمسية والله تعالى ذكر ثلاثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين، فيكون في ثلاثمائة تسع سنين فلذلك قال: ﴿ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾[3]. ﴿ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[4]، فالغيب ما يغيب عن إدراكك والله ﷻ لا يغيب عن إدراكه شيء. ﴿ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ ﴾[5] أي ما أبصـر الله بكـل موجود وأسمعه لكل مسموع، أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء، ﴿ مَا لَهُم ﴾[6] أي: ما لأهـل السموات والأرض، ﴿ مِّن دُونِهِۦ ﴾[7] أي: من دون الله، ﴿ مِن وَلِيّٖ ﴾[8]، ناصر، ﴿ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾[9]، قرأ ابن عامر ويعقوب: ولا تشرك بالتاء على المخاطبة والنهي، وقرأ الآخرون بالياء أي

(١) سورة الكهف آية : ٢٥.
(٢) سورة الكهف آية : ٢٦.
(٣) سورة الكهف آية : ٢٥.
(٤) سورة الكهف آية : ٢٦.
(٥) سورة الكهف آية : ٢٦.
(٦) سورة الكهف آية : ٢٦.
(٧) سورة الكهف آية : ٢٦.
(٨) سورة الكهف آية : ٢٦.
(٩) سورة الكهف آية : ٢٦.

لا يشرك الله في حكمه أحدا. وقيل: الحكم هنا علم الغيب لا يشرك في علم غيبه أحدا.

[٢٧] قوله ﴿ وَٱتۡلُ ﴾ [١] أي: واقرأ يا محمد، ﴿ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ ﴾ [٢]، يعني القرآن، واتبع ما فيه، ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [٣]، قال الكلبي: لا مغير للقرآن. وقيل: لا مغير لما أوعد بكلماته أهل معاصيه، ﴿ وَلَن تَجِدَ ﴾ [٤]، أنت، ﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾ [٥]، إن لم تتبع القرآن، ﴿ مُلۡتَحَدٗا ٢٧ ﴾ [٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حرزا. وقال الحسن: مدخلا. وقال مجاهد: ملجأ. وقيل: معدلا. وقيل: مهربا. وأصله من الميل.

قوله تعالى وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذِينَ يَدْعُونَ رَبهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ....

[٢٨] قوله ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾ [٧] الآية، نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوصة يشقها ثم ينسجها، فقال عيينة للنبي ﷺ أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها، فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا، فأنزل الله ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾ [٨]، أي:

---

(١) سورة الكهف آية : ٢٧.

(٢) سورة الكهف آية : ٢٧.

(٣) سورة الكهف آية : ٢٧.

(٤) سورة الكهف آية : ٢٧.

(٥) سورة الكهف آية : ٢٧.

(٦) سورة الكهف آية : ٢٧.

(٧) سورة الكهف آية : ٢٨.

(٨) سورة الكهف آية : ٢٨.

احبس يا محمد نفسك، ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ [(١)]، طرفي النهار ﴿ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ [(٢)] لا يريدون به عرضا من الدنيا. قال قتادة: نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضـرع يصلون صـلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسـي معهـم» [(٣)]. ﴿ وَلَا تَعۡدُ ﴾ [(٤)] أي: لا تصرف ولا تتجاوز، ﴿ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ [(٥)]، إلى غيرهم، ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [(٦)]، أي طلب مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبـة أهل الدنيا، ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ [(٧)]، أي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن. وقيل: أمية بن خلف، ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [(٨)]، أي مراده في طلب الشهوات، ﴿ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [(٩)]، قال قتادة ومجاهد: ضياعا. وقيل: معناه ضيع أمره وعطل أيامه. وقيل: ندما. وقال مقاتل ابن حيان: سرفا. وقال الفراء: متروكا. وقيل: باطلا. وقيل: مخالفا للحق. وقال الأخفش: مجاوز للحد. قيل: معنى التجاوز في الحد، هو قول عيينة: إن أسلمنا أسلم الناس وهذا إفراط عظيم.

---

(١) سورة الكهف آية : ٢٨.

(٢) سورة الكهف آية : ٢٨.

(٣) أبو داود العلم (٣٦٦٦)، أحمد (٦٣/٣).

(٤) سورة الكهف آية : ٢٨.

(٥) سورة الكهف آية : ٢٨.

(٦) سورة الكهف آية : ٢٨.

(٧) سورة الكهف آية : ٢٨.

(٨) سورة الكهف آية : ٢٨.

(٩) سورة الكهف آية : ٢٨.

[٢٩] ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [(١)]، أي ما ذكر من الإيمان والقرآن، معناه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس الحق من ربكم وإليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال، ليس إليّ من ذلك شيء. ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [(٢)]، هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله: ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ [(٣)]، وقيل: معنى الآية: وقل الحق من ربكم ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا فإن كفرتم فقد أعد لكم ربكم نارا أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم فلكم ما وصف الله ﷻ لأهل طاعته. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: من شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر، كفر وهو قوله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [(٤)]. ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾ [(٥)]، أعددنا وهيأنا من العتاد وهو العدة، ﴿ لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ [(٦)] للكافرين، ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [(٧)]، السرادق الحجزة التي تطيف بالفساطيط، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: « سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة » [(٨)] [(١)]. قال ابن عباس: هو حائط من نار. وقال الكلبي:

---

(١) سورة الكهف آية : ٢٩.
(٢) سورة الكهف آية : ٢٩.
(٣) سورة فصلت آية : ٤٠.
(٤) سورة الإنسان آية : ٣٠.
(٥) سورة الكهف آية : ٢٩.
(٦) سورة الكهف آية : ٢٩.
(٧) سورة الكهف آية : ٢٩.
(٨) الترمذي صفة جهنم (٢٥٨٤).

هو عنق يخـرج مـن النـار فيحيط بالكفار كالحظيرة. وقيل: هـو دخـان يحيـط بالكفـار وهـو الذي ذكـره الله تعالى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[2]. ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ ﴾[3] من شدة العطش، ﴿ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾[4] عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾[5] قال كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه ﴾[6]. وقال ابن عباس: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت. وقال مجاهد: هو القيح والدم، وسئل ابن مسعود عن المهل؟ فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابـا، ثم قال: هـذا أشبه شيء بالمهل، ﴿ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾[7]، ينضـج الوجـوه مـن حـره، ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ ﴾[8] النـار، ﴿ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[9]، قال ابن عباس: م لا. وقال مجاهد: مجتمعا. وقال عطاء: مقرا. وقال القتيبي: مجلسا. وأصل المرتفق المتكأ.

---

(١) أخرجه الترمذي في صفة جهنم ٧ / ٣٠٦ وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين وفي رشدين بن سعد مقال، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٢٩ والحاكم ٤ / ٦٠١ والطبري ١٥ / ٢٣٩ والمصنف في شرح السنة ١٥ / ٢٤٥.

(٢) سورة المرسلات آية : ٣٠.

(٣) سورة الكهف آية : ٢٩.

(٤) سورة الكهف آية : ٢٩.

(٥) سورة الكهف آية : ٢٩.

(٦) أخرجه الترمذي في الموضع السابق ٧ / ٣٠٥ وأحمد في المسند ٣ / ٧٠ والحاكم ٤ / ٦٠٤ والمصنف في شرح السنة ١٥ / ٢٤٥ بنفس الإسناد، وهو ضعيف.

(٧) سورة الكهف آية : ٢٩.

(٨) سورة الكهف آية : ٢٩.

(٩) سورة الكهف آية : ٢٩.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ ﴾[١]، فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٢]؟ قيل: جوابه قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى ﴾[٣]، وأما قوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ﴾[٤] فكلام معترض. وقيل: فيه إضمار معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم، ثم ذكر الجزاء.

[٣١] فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾[٥]، أي: إقامة، يقال: عدن فلان بالمكان إذا أقام به، سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها، ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾[٦]، قال سعيد بن جبير: يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور: واحد من ذهب، وواحد من فضة، وواحد من لؤلؤ ويواقيت، ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ ﴾[٧]، وهو مارق من الديباج، ﴿ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾[٨]، وهو ما غلظ منه، ومعنى الغلظ في ثياب الجنة إحكامه. وعن أبي عمران الجوني قال: السندس هو الديباج المنسوج بالذهب، ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾[٩]، في الجنان، ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾[١٠]، وهي

---

(١) سورة الكهف آية : ٣٠.
(٢) سورة الكهف آية : ٣٠.
(٣) سورة الكهف آية : ٣١.
(٤) سورة الكهف آية : ٣٠.
(٥) سورة الكهف آية : ٣١.
(٦) سورة الكهف آية : ٣١.
(٧) سورة الكهف آية : ٣١.
(٨) سورة الكهف آية : ٣١.
(٩) سورة الكهف آية : ٣١.
(١٠) سورة الكهف آية : ٣١.

السـرر في الحجال واحدتا أريكـة، ﴿ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ ﴾ [1] أي نعم الجزاء، ﴿ وَحَسُنَتۡ ﴾ [2] الجنان ﴿ مُرۡتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [3] أي: مجلسا ومقرا.

[٣٢] ﴿ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيۡنِ ﴾ [4] اذكر لهم خبر رجلين، ﴿ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ ﴾ [5]، بستانين، ﴿ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ ﴾ [6]، أي: أطفناهما من جوانبهما بنخل، والحفاف الجانب، وجمعه أحفة، يقال: حف به القوم أي طافوا بجوانبه، ﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [7]، أي جعلنا حول الأعناب النخيل ووسط الأعناب الزرع. وقيل: بينهما أي بين الجنتين زرعا يعني لم يكن بين الجنتين موضوع خراب.

[٣٣] ﴿ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ ﴾ [8]، أي أعطـت كل واحدة من الجنتين، ﴿ أُكُلَهَا ﴾ [9]، ثمرها تاما، ﴿ وَلَمۡ تَظۡلِم ﴾ [10]، لم تنقص، ﴿ مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ

(١) سورة الكهف آية : ٣١.
(٢) سورة الكهف آية : ٣١.
(٣) سورة الكهف آية : ٣١.
(٤) سورة الكهف آية : ٣٢.
(٥) سورة الكهف آية : ٣٢.
(٦) سورة الكهف آية : ٣٢.
(٧) سورة الكهف آية : ٣٢.
(٨) سورة الكهف آية : ٣٣.
(٩) سورة الكهف آية : ٣٣.
(١٠) سورة الكهف آية : ٣٣.

﴿ وَفَجَّرْنَا ﴾[1]، قرأ العامة بالتشديد، وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم، ﴿ خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[2] يعني شققنا وأخرجنا وسطهما نهرا.

[٣٤] ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ﴾[3]، لصاحب البستان، ﴿ ثَمَرٌ ﴾[4] قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب ثمر بفتح الثاء والميم، وكذلك بثمرة، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء ساكنة الميم، وقرأ الآخرون بضمهما، فمن قرأ بالفتح هو جمع ثمرة وهو ما تخرجه الشجرة من الثمار المأكولة، ومن قرأ بالضم فهي الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف، جمع ثمار. وقال مجاهد: ذهب وفضة. وقيل: جميع الثمرات. قال الأزهري: الثمرة تجمع على ثمر، ويجمع الثمر على ثمـار، ثم تجمـع الثمـار علـى ثمـر. ﴿ فَقَالَ ﴾[5]، يعني صاحـب البستان، ﴿ لِصَـٰحِبِهِۦ ﴾[6]، المؤمن، ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾[7]، يخاطبه ويجاوبه، ﴿ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ ﴾[8] أي: عشيرة ورهطا. وقال قتادة: خدما وحشما. وقال مقاتل: ولدا، تصديقه قوله تعالى: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ ﴾[9].

(١) سورة الكهف آية : ٣٣.
(٢) سورة الكهف آية : ٣٣.
(٣) سورة الكهف آية : ٣٤.
(٤) سورة الكهف آية : ٣٤.
(٥) سورة الكهف آية : ٣٤.
(٦) سورة الكهف آية : ٣٤.
(٧) سورة الكهف آية : ٣٤.
(٨) سورة الكهف آية : ٣٤.
(٩) سورة الكهف آية : ٣٩.

قوله تعالى وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا.....

[٣٥] ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ ﴾[١]، يعني الكافر، أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه أثمارها، ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾[٢]، بكفره، ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ ﴾[٣]، تلك، ﴿ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ ﴾[٤]، قال أهل المعاني: راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى أبدا وأنكر البعث.

[٣٦] فقال: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾[٥]، كائنة، ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦ ﴾[٦]، قرأ أهل الحجاز والشام هكذا على التثنية، يعني من الجنتين، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الآخرون منها أي: من الجنة التي دخلهـا، ﴿ مُنقَلَبًا ۝٣٦ ﴾[٧] أي: مرجعا إن قيل: كيف قال ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى ﴾[٨]، وهو منكر البعث؟ قيل: معناه ولئن رددت إلى ربي على ما تزعم أنت يعطيني هنالك خيرا منها فإنه لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها.

---

(١) سورة الكهف آية : ٣٥.
(٢) سورة الكهف آية : ٣٥.
(٣) سورة الكهف آية : ٣٥.
(٤) سورة الكهف آية : ٣٥.
(٥) سورة الكهف آية : ٣٦.
(٦) سورة الكهف آية : ٣٦.
(٧) سورة الكهف آية : ٣٦.
(٨) سورة الكهف آية : ٣٦.

[٣٧] ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ ﴾[(١)]، المسلم، ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾[(٢)]، أي خلق أصلك من تراب، ﴿ ثُمَّ ﴾[(٣)]، خلقك، ﴿ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾[(٤)] أي: عدلك بشرا سويا ذكرا.

[٣٨] ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾[(٥)]، قرأ ابن عامر ويعقوب لكنا بالألف في الوصل، وقرأ الباقون بلا ألف واتفقوا على إثبات الألف في الوقف، وأصله " لكن أنا " فحذفت الهمزة طلبا للتخفيف لكثرة استعمالها ثم أدغمت إحدى النونين في الأخرى، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازه: لكن الله هو ربي ﴿ وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾[(٦)].

[٣٩] ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾[(٧)]، أي هلا إذ دخلت جنتك، ﴿ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[(٨)] أي: الأمر ما شاء الله. وقيل: جوابه مضمر أي ما شاء الله كان، وقوله: ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾[(٩)]، أي لا أقدر على حفظ مالي أو دفع شيء عنه إلا بالله، وروي عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى من مالـه شيئا يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه. قال: مـا شـاء الله لا قـوة إلا بالله. ثم قـال: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا

---

(١) سورة الكهف آية : ٣٧.
(٢) سورة الكهف آية : ٣٧.
(٣) سورة الكهف آية : ٣٧.
(٤) سورة الكهف آية : ٣٧.
(٥) سورة الكهف آية : ٣٨.
(٦) سورة الكهف آية : ٣٨.
(٧) سورة الكهف آية : ٣٩.
(٨) سورة الكهف آية : ٣٩.
(٩) سورة الكهف آية : ٣٩.

﴿ وَوَلَدًا ﴾ [1] (أنا) عماد [2] ولذلك نصب أقل معناه: إن ترني أقل منك مالا وولدا فتكبرت وتعظمت علي.

[٤٠] ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ ﴾ [3]، فلعل ربي، ﴿ أَن يُؤۡتِيَنِ ﴾ [4]، يعطيني في الآخـرة، ﴿ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا ﴾ [5]، أي عـلـى جنتـك، ﴿ حُسۡبَانًا ﴾ [6]، قال قتادة: عذابا. وقال ابن عباس رضي الله عنه نارا. وقال القتيبي: مرامي. ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [7]، وهي مثل صاعقة أو شيء يهلكهـا، واحدتها حسبانـة، ﴿ فَتُصۡبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [8]، أي أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها. وقيل: تزلق فيها الأقدام. وقال مجاهد: رملا هائلا.

[٤١] ﴿ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرًا ﴾ [9]، أي: غائرا منقطعا ذاهبا لا تناله الأيدي، ولا الدلاء، والغور مصدر وضع موضع الاسم، مثل زور وعدل، ﴿ فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ [10]، يعني: إن طلبته لم تجده.

(١) سورة الكهف آية : ٣٩.
(٢) وهكذا في طبعة ١٣٤٣ هـ وكذا في طبعة النمر وهو صحيح ،.
(٣) سورة الكهف آية : ٤٠.
(٤) سورة الكهف آية : ٤٠.
(٥) سورة الكهف آية : ٤٠.
(٦) سورة الكهف آية : ٤٠.
(٧) سورة الكهف آية : ٤٠.
(٨) سورة الكهف آية : ٤٠.
(٩) سورة الكهف آية : ٤١.
(١٠) سورة الكهف آية : ٤١.

[٤٢] ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾[(١)]، أي أحاط العذاب بثمر جنته، وذلك أن الله تعالى أرسـل عليها نارا فأهلكتها وغار ماؤها، ﴿ فَأَصْبَحَ ﴾[(٢)]، صاحبها الكافر ﴿ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾[(٣)]، أي يصفـق بيده على الأخرى ويقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا، ﴿ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ ﴾[(٤)]، أي ساقطة، ﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾[(٥)]، سقوفها، ﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾[(٦)].

[٤٣] قال الله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ ﴾[(٧)]، جماعة، ﴿ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[(٨)]، يمنعونه من عذاب الله ﴿ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[(٩)]، ممتنعا منتقما لا يقدر على الانتصار لنفسه. وقيل: لا يقدر على رد ما ذهب عنه.

[٤٤] ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾[(١٠)]، يعني في القيامة، قرأ حمزة والكسائي (الوِلاية) بكسر الواو، يعني السلطان، وقرأ الآخرون بفتح الواو من الموالاة والنصر، كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[(١١)]، قال القتيبي: يريد أنم يتلونه

(١) سورة الكهف آية : ٤٢.
(٢) سورة الكهف آية : ٤٢.
(٣) سورة الكهف آية : ٤٢.
(٤) سورة الكهف آية : ٤٢.
(٥) سورة الكهف آية : ٤٢.
(٦) سورة الكهف آية : ٤٢.
(٧) سورة الكهف آية : ٤٣.
(٨) سورة الكهف آية : ٤٣.
(٩) سورة الكهف آية : ٤٣.
(١٠) سورة الكهف آية : ٤٤.
(١١) سورة البقرة آية : ٢٥٧.

يومئـذ ويتبرءون مما كانوا يعبدون. وقيـل: بالفتح الربوبية وبالكسر الإمارة، ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾ [1] برفع القاف أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية، وتصديقه قراءة أبي: (هنالك الولاية الحق لله)، وقرأ الآخرون بالجر على صفة الله كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ [2] ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾ [3]، أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يثيب، ﴿ وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [4]، أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير إثابة، وعاقبة: طاعة، قرأ حمزة وعاصم (عقبا) ساكنة القاف، وقرأ الآخرون بضمها.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم ﴾ [5]، يا محمد أي لقومك: ﴿ مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [6]، يعني المطر، ﴿ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ [7]، خرج منه كل لون وزهرة، ﴿ فَأَصْبَحَ ﴾ [8]، عن قريب ﴿ هَشِيمًا ﴾ [9]، يا بسا. قال ابن عباس وقال الضحاك: كسيرا. والهشيم: ما يبس وتفتت من النباتات فأصبح

---

(١) سورة الكهف آية : ٤٤.
(٢) سورة الأنعام آية : ٦٢.
(٣) سورة الكهف آية : ٤٤.
(٤) سورة الكهف آية : ٤٤.
(٥) سورة الكهف آية : ٤٥.
(٦) سورة الكهف آية : ٤٥.
(٧) سورة يونس آية : ٢٤.
(٨) سورة الكهف آية : ٤٥.
(٩) سورة الكهف آية : ٤٥.

هشيما، ﴿ تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ﴾ [1]، قال ابن عبـاس: تفرقه الرياح. وقال أبو عبيدة مثله. وقال القتيبي: تنسفه، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [2]، قادرا.

قوله تعالى الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَملًا....

[٤٦] ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ ﴾ [3]، التي يفتخر بها عتبة وأصحابه الأغنياء، ﴿ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [4]، ليست من زاد الآخرة، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام. ﴿ وَٱلۡبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ ﴾ [5]، اختلفوا فيها، فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقد روينا أن النبي ﷺ قال: ﴿ أفضل الكلام أربع كلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ [6] [7]. وقال سعيد بن جبير ومسروق وإبراهيم: الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس. ويروى هذا عن ابن عباس، وعنه رواية أخرى أنها الأعمال الصالحة، وهو قول قتادة. قوله تعالى: ﴿ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ [8]، أي جزاء، المراد ﴿ وَخَيۡرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [1] أي ما يأمله الإنسان.

---

(١) سورة الكهف آية : ٤٥.

(٢) سورة الكهف آية : ٤٥.

(٣) سورة الكهف آية : ٤٦.

(٤) سورة الكهف آية : ٤٦.

(٥) سورة الكهف آية : ٤٦.

(٦) مسلم الآداب (٢١٣٧)، أحمد (١١/٥).

(٧) أخرجه البخاري تعليقا في الأيمان والنذور ١١ / ٥٦٦ ومسلم من حديث سمرة بن جندب ٣ / ١٦٧٥ والنسائي وابن حبان. انظر فتح الباري ١١ / ٥٦٧.

(٨) سورة الكهف آية : ٤٦.

[٤٧] ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ ﴾[٢]. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (تسير " بالتاء وفتح الياء " الجبال " رفع ") دليله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ ﴾[٣]، وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء، الجبال نصب، وسير الجبال نقلها من مكان إلى مكان، ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ ﴾[٤]، أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا نبات، كما قال: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ۝١٠٧ ﴾[٥]، قال عطاء: هو بروز ما في باطنها من الموتى وغيرهم، فترى باطن الأرض ظاهرا، ﴿ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ ﴾[٦]، جميعا إلى الموقف والحساب، ﴿ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ ﴾[٧]، أي نترك منهم، ﴿ أَحَدٗا ۝٤٧ ﴾[٨].

[٤٨] ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا ﴾[٩]، أي صفا صفا فوجا فوجا، لا أنهم صف واحد. وقيل: قياما، ثم يقال لهم يعني الكفار: ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ

---

(١) سورة الكهف آية : ٤٦.
(٢) سورة الكهف آية : ٤٧.
(٣) سورة التكوير آية : ٣.
(٤) سورة الكهف آية : ٤٧.
(٥) سورة طه آية :١٠٦ - ١٠٧.
(٦) سورة الكهف آية : ٤٧.
(٧) سورة الكهف آية : ٤٧.
(٨) سورة الكهف آية : ٤٧.
(٩) سورة الكهف آية : ٤٨.

﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾[1]، يعني أحياء، وقيل: فرادى كما ذكر في سورة الأنعام. وقيل: غرلا. ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾[2]، يوم القيامة، يقوله لمنكري البعث.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾[3]، يعني كتاب أعمال العباد يوضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائلهم وقيل: معناه يوضع بين يدي الله تعالى. ﴿ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾[4]، خائفين، ﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾[5]، مـن الأعمال السيئة، ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾[6]، إذا رأوها، ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا ﴾[7]، يا هلاكنا، والويل والويلة الهلكة، وكان من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء تنبيه المخاطبين، ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾[8]، من ذنوبنا. قال ابن عباس: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: القهقهة. وقال سعيد بن جبير: الصغيرة: اللمم واللمس والقبلة، والكبيرة: الزنا. ﴿ إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ ﴾[9]، عددها، قال السدي: كتبها أثبتها. قال مقاتل بن حيان: حفظها ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ ﴾[10]، مكتوبا

(١) سورة الكهف آية : ٤٨.
(٢) سورة الكهف آية : ٤٨.
(٣) سورة الكهف آية : ٤٩.
(٤) سورة الكهف آية : ٤٩.
(٥) سورة الكهف آية : ٤٩.
(٦) سورة الكهف آية : ٤٩.
(٧) سورة الكهف آية : ٤٩.
(٨) سورة الكهف آية : ٤٩.
(٩) سورة الكهف آية : ٤٩.
(١٠) سورة الكهف آية : ٤٩.

مثبتا في كتابهم، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[1]، أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا. وقال الضحاك: لا يؤاخذ أحدا بجرم لم يعمله. وقال عبد الله بن قيس: يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما العرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله. ورفعه بعضهم عن أبي موسى.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾[2]، يقول: واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾[3]، قال ابن عباس: كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم. وقال الحسـن: كان مـن الجن ولم يكن من الملائكة، فهو أصل الجن كمـا أن آدم أصـل الإنس، ﴿ فَفَسَقَ ﴾[4]، أي خرج، ﴿ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[5]، عن طاعة ربه، ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ ﴾[6]، يعني يـا بني آدم ﴿ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ﴾[7]، أي أعداء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن إبليس يضع ﴾[8] ﴿ عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس، فأدناهم منه م لة أعظمهم

(١) سورة الكهف آية : ٤٩.
(٢) سورة الكهف آية : ٥٠.
(٣) سورة الكهف آية : ٥٠.
(٤) سورة الكهف آية : ٥٠.
(٥) سورة الكهف آية : ٥٠.
(٦) سورة الكهف آية : ٥٠.
(٧) سورة الكهف آية : ٥٠.
(٨) مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٣)، أحمد (٣/٣١٥).

فتنة، يجيء أحدهم فيقول. فعلت كـذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت ﴾[1]. قـال الأعمش: أراه قال: فيلتزمه[2]. قوله تعالى: ﴿ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلاً ﴾[3]، قال قتادة: بئس ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم.

[٥١] ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ ﴾[4]، ما أحضرتم، وقرأ أبو جعفر (ما أشهدناهم) بالنون والألف على التعظيم، أي أحضرناهم يعني إبليس وذريته. وقيل: الكفار، وقال الكلبي: يعني الملائكة، ﴿ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾[5]، يقول ما أشهدتم خلقا فأستعين بم على خلقها وأشاورهم فيها، ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[6]، أي الشياطين الذين يضلون الناس عضدا أي: أنصارا وأعوانا.

[٥٢] قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ ﴾[7] قرأ حمزة بالنون والآخرون بالياء أي: يقول الله لهم يوم القيامة، ﴿ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ﴾[8]، يعني الأوثان ﴿ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾[9]،

---

(١) مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٣)، أحمد (٣١٥/٣).

(٢) أخرجه مسلم في صفات المنافقين برقم (٢٨١٣) (٤ / ٢١٦) والمصنف في شرح السنة (١٤ / ٤١٠).

(٣) سورة الكهف آية : ٥٠.

(٤) سورة الكهف آية : ٥١.

(٥) سورة الكهف آية : ٥١.

(٦) سورة الكهف آية : ٥١.

(٧) سورة الكهف آية : ٥٢.

(٨) سورة الكهف آية : ٥٢.

(٩) سورة الكهف آية : ٥٢.

أنم شركائي، ﴿ فَدَعَوۡهُمۡ ﴾[١]، فاستغاثوا بهم، ﴿ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ ﴾[٢]، أي لم يجيبوهم ولم ينصروهم ﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم ﴾[٣]، يعني بين الأوثان وعبدتها وقيل: بين أهل الهدى وأهل الضلال، ﴿ مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ ﴾[٤] مهلكا قاله عطاء والضحاك. وقال ابن عباس: هو واد في النار. وقال مجاهد: واد في جهنم. وقال عكرمة: هو نهر في النار يسيل نارا على حافته حيات مثل البغال الدهم. قال ابن الأعرابي: وكل حاجز بين شيئين فهو موبق، وأصله الهلاك يقال: أوبقه أي أهلكه، قال الفراء: وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الآخرة، والبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى: (لقد تقطع بينكم) على قراءة من قرأ بالرفع.

[٥٣] ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ ﴾[٥]، أي المشركون، ﴿ فَظَنُّوٓاْ ﴾[٦]، أيقنوا، ﴿ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾[٧]، داخلوها وواقعون فيها، ﴿ وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ ﴾[٨]، معدلا لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

---

(١) سورة الكهف آية : ٥٢.

(٢) سورة الكهف آية : ٥٢.

(٣) سورة الكهف آية : ٥٢.

(٤) سورة الكهف آية : ٥٢.

(٥) سورة الكهف آية : ٥٣.

(٦) سورة الكهف آية : ٥٣.

(٧) سورة الكهف آية : ٥٣.

(٨) سورة الكهف آية : ٥٣.

قوله تعالى وَلَقَدْ صَرفْنا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلناسِ مِنْ كُل مَثَلٍ وَكانَ الْإِنْسَانُ أكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا....

[٥٤] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾[(١)]، بينا، ﴿ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ ﴾[(٢)]، أي ليتذكروا ويتعظوا، ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴿٥٤﴾ ﴾[(٣)]، خصومة في الباطل. قال ابن عباس: أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن. قال الكلبي: أراد به أبي بن خلف الجمحي. وقيل: المراد من الآية الكفار، لقوله تعالى: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[(٤)]، وقيل: هي على العموم، وهذا أصح.

[٥٥] قوله ﷻ ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ ﴾[(٥)]، القرآن والإسلام والبيان من الله عز وجل. وقيل: إنه الرسول ﷺ. ﴿ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[(٦)]، يعني سنتنا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا. وقيل: إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين من معاينة العذاب، كما قالوا: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[(٧)]، ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ

---

(١) سورة الكهف آية : ٥٤.
(٢) سورة الكهف آية : ٥٤.
(٣) سورة الكهف آية : ٥٤.
(٤) سورة الكهف آية : ٥٦.
(٥) سورة الكهف آية : ٥٥.
(٦) سورة الكهف آية : ٥٥.
(٧) سورة الأنفال آية : ٣٢.

﴿ قُبُلًا ﴾[1]، قال ابن عباس: أي: عيانا من المقابلة. وقال مجاهد: فجأة، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة ﴿ قُبُلًا ﴾[2] بضم القاف والباء، جمع قبيل أي: أصناف العذاب نوعا نوعا.

[٥٦] ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[3]، ومجادلتهم قولهم: ﴿ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[4] وقوله: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[5] وما أشبهه. ﴿ لِيُدْحِضُوا۟ ﴾[6]، ليبطلوا، ﴿ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾[7]، وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق، ﴿ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾[8]، فيه إضمار يعني وما أنذروا به وهو القرآن، هزوا أي استهزأ.

[٥٧] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ ﴾[9]، وعظ، ﴿ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾[10]، تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها، ﴿ وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ

---

(١) سورة الكهف آية : ٥٥.
(٢) سورة الكهف آية : ٥٥.
(٣) سورة الكهف آية : ٥٦.
(٤) سورة الإسراء آية : ٩٤.
(٥) سورة الزخرف آية : ٣١.
(٦) سورة الكهف آية : ٥٦.
(٧) سورة الكهف آية : ٥٦.
(٨) سورة الكهف آية : ٥٦.
(٩) سورة الكهف آية : ٥٧.
(١٠) سورة الكهف آية : ٥٧.

يَدَاهُۚ ﴾[1]، أي ما عمل من المعاصي من قبل، ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً ﴾[2]، أغطية، ﴿ أَن يَفۡقَهُوهُ ﴾[3]، أي يفهموه يريد لئلا يفهموه، ﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ ﴾[4]، أي صمما وثقلا، ﴿ وَإِن تَدۡعُهُمۡ ﴾[5]، يا محمد ﴿ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾[6]، إلى الدين، ﴿ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ ﴾[7]، وهذا في أقوام علم الله منهم أنم لا يؤمنون.

[٥٨] ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ ﴾[8]، ذو النعمة ﴿ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم ﴾[9]، يعاقب الكفار، ﴿ بِمَا كَسَبُواْ ﴾[10]، من الذنوب ﴿ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ ﴾[11]، في الدنيـا، ﴿ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ ﴾[12]، يعني البعـث والحساب، ﴿ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[13]، ملجأ.

---

(١) سورة الكهف آية : ٥٧.
(٢) سورة الكهف آية : ٥٧.
(٣) سورة الكهف آية : ٥٧.
(٤) سورة الكهف آية : ٥٧.
(٥) سورة الكهف آية : ٥٧.
(٦) سورة الكهف آية : ٥٧.
(٧) سورة الكهف آية : ٥٧.
(٨) سورة الكهف آية : ٥٨.
(٩) سورة الكهف آية : ٥٨.
(١٠) سورة الكهف آية : ٥٨.
(١١) سورة الكهف آية : ٥٨.
(١٢) سورة الكهف آية : ٥٨.
(١٣) سورة الكهف آية : ٥٨.

[٥٩] ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾[١]، يعني قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، ﴿ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾[٢]، كفروا، ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩ ﴾[٣]، أي أجلا، قرأ أبو بكر (لمهلكهم) بفتح الميم واللام، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وكذلك في النمل ﴿ مَهْلِكَ ﴾[٤] أي لوقت هلاكهم، وقرأ الآخرون بضم الميم وفتح اللام أي: لإهلاكهم.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾[٥]، عامة أهل العلم قالوا: إنه موسى بن عمران. وقال بعضهم: هو موسى بن ميشا من أولاد يوسف. والأول أصح ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾[٦]، يوشع بن نون، ﴿ لَآ أَبْرَحُ ﴾[٧]، أي لا أزال أسير ﴿ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠ ﴾[٨]، أي وإن كان حقبا أي دهرا طويلا وزمانا، وجمعه أحقاب، والحقب: جمع الحقب. قال عبد الله بن عمر: والحقب ثمانون سنة، فحملا خبزا وسمكة مالحة حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلا.

---

(١) سورة الكهف آية : ٥٩.
(٢) سورة الكهف آية : ٥٩.
(٣) سورة الكهف آية : ٥٩.
(٤) سورة النمل آية : ٤٩.
(٥) سورة الكهف آية : ٦٠.
(٦) سورة الكهف آية : ٦٠.
(٧) سورة الكهف آية : ٦٠.
(٨) سورة الكهف آية : ٦٠.

[٦١] فذلك قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا ﴾[1]، يعني موسى وفتاه، ﴿ مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ﴾[2] أي: بين الفريقين، ﴿ نَسِيَا ﴾[3]، تركا، ﴿ حُوتَهُمَا ﴾[4]، وإنما كان الحوت مع يوشع، وهو الذي نسيه وأضاف النسيان إليهما لأنما جميعا تزوداه لسفرهما، كما يقال: خرج القوم إلى موضع كذا وحملوا من الزاد كذا وإنما حمله واحد منهم، ﴿ فَٱتَّخَذَ ﴾[5]، أي الحوت، ﴿ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾[6]، أي مسلكا قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى صار صخرة.

قوله تعالى فلما جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا....

[٦٢] قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾[7]، يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين، ﴿ قَالَ ﴾[8]، موسى ﴿ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾[9]، أي طعامنا، والغداء ما يعد للأكل غدوة، والعشاء ما يعد للأكل عشية، ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾[10]، أي تعبا وشدة وذلك أنه ألقي على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة، ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه.

---

(١) سورة الكهف آية : ٦١.
(٢) سورة الكهف آية : ٦١.
(٣) سورة الكهف آية : ٦١.
(٤) سورة الكهف آية : ٦١.
(٥) سورة الكهف آية : ٦١.
(٦) سورة الكهف آية : ٦١.
(٧) سورة الكهف آية : ٦٢.
(٨) سورة الكهف آية : ٦٢.
(٩) سورة الكهف آية : ٦٢.
(١٠) سورة الكهف آية : ٦٢.

[٦٣] ﴿ قَالَ ﴾ [١] له فتاه يذكر ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ ﴾ [٢]، وهي صخرة كانت بالموضع الموعود ﴿ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ [٣]، أي تركته وفقدته، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره، فنسي أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد. قيل: في الآية إضمار معناه: نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، ثم قال: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [٤]، أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان، وقيل: معناه أنسانيه لئلا أذكره، ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣ ﴾ [٥]، قيل: هذا من قول يوشع، ويقول طفر الحوت إلى البحر فاتخذ فيه مسلكا فعجبت من ذلك عجبا. وروينا في الخبر: كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا [٦].

[٦٤] ﴿ قَالَ ﴾ [٧] موسى ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ [٨]، أي نطلب، ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤ ﴾ [٩] أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاءا منه يبتغيانه، فوجدا عبدا من عبادنا، قيل: كان ملكا من الملائكة، والصحيح الذي

---

(١) سورة الكهف آية : ٦٣.
(٢) سورة الكهف آية : ٦٣.
(٣) سورة الكهف آية : ٦٣.
(٤) سورة الكهف آية : ٦٣.
(٥) سورة الكهف آية : ٦٣.
(٦) في رواية البخاري في كتاب التفسير: (فكان لفتاه عجبا وللحوت سربا).
(٧) سورة الكهف آية : ٦٤.
(٨) سورة الكهف آية : ٦٤.
(٩) سورة الكهف آية : ٦٤.

جاء في التواريخ، وثبت عن النبي ﷺ ﴿ أنه الخضر ﴾ [(١)] واسمه بليا بن ملكان، قيل: كان من نسل بني إسرائيل. وقيل: كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا في الدنيا، والخضر لقب له.

[٦٥] فذلك قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً ﴾ [(٢)]، أي نعمة، ﴿ مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [(٣)]، أي إلهاما ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم، يقول: جئت لأتبعك.

[٦٦] ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾ [(٤)]، وأصحبك، ﴿ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [(٥)] قرأ أبو عمرو ويعقوب: (رشدا) بفتح الراء والشين، وقرأ الآخرون بضم الراء وسكون الشين، أي صوابا. وقيل: علما ترشدني به. وفي بعض الأخبار أنه لما قال له موسى هذا قال له الخضر: كفى بالتوراة علما وبني إسرائيل شغلا، فقال له موسى: إن الله أمرني بذا فحينئذ.

[٦٧] ﴿ قَالَ ﴾ [(٦)]، له الخضر، ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٧)]، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أمورا منكرة، ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات، ثم بين عذره في ترك الصبر.

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى (٦ / ٤٣١). .،

(٢) سورة الكهف آية : ٦٥.

(٣) سورة الكهف آية : ٦٥.

(٤) سورة الكهف آية : ٦٦.

(٥) سورة الكهف آية : ٦٦.

(٦) سورة الكهف آية : ٦٧.

(٧) سورة الكهف آية : ٦٧.

[٦٨] فقال له: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾[1]. أي علما.

[٦٩] ﴿ قَالَ ﴾[2]، موسى، ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾[3]، إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿ وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾[4]، أي لا أخالفك فيما تأمرني.

[٧٠] ﴿ قَالَ ﴾[5] الخضر، ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي ﴾[6]، فإن صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار إليه إلا أنه شرط عليه شرطا فقال، ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِي ﴾[7]، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون، والآخرون بسكون اللام وتخفيف النون، ﴿ عَن شَيْءٍ ﴾[8] أعمله فيما تنكره وتعترض عليه، عن شيء، حتى ابتدأ لك بذكره فأبين لك شأنه.

[٧١] ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾[9] يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانا فوجدا سفينة فركباها، وروينا عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: ﴿ مرت بم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما لججوا البحر أخذ الخضر فأسا فخرق

(١) سورة الكهف آية : ٦٨.
(٢) سورة الكهف آية : ٦٩.
(٣) سورة الكهف آية : ٦٩.
(٤) سورة الكهف آية : ٦٩.
(٥) سورة الكهف آية : ٧٠.
(٦) سورة الكهف آية : ٧٠.
(٧) سورة الكهف آية : ٧٠.
(٨) سورة الكهف آية : ٧٠.
(٩) سورة الكهف آية : ٧١.

لوحا من السفينة ﴾ [1] فذلك قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ ﴾ [2]، له موسى، ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [3]، قرأ حمزة والكسائي: ليغرق بالياء وفتحها وفتح الراء وقرأ الآخرون بالتاء ورفعها وكسر الراء أهلها النصب على أن الفعل للخضر، ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ [4] أي منكرا، والإمر في كلام العرب الداهية، وأصله كل شيء شديد كثير، يقال: إمر القوم إذا كثروا واشتد أمرهم. وقال القتيبي: ﴿ إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ [5] أي عجبا.

[٧٢] ﴿ قَالَ ﴾ [6]، العالم وهو الخضر، ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [7].

[٧٣] ﴿ قَالَ ﴾ [8]، موسى، ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾ [9]، قال ابن عباس: إنه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام، فكأنه نسي شيئا آخر. وقيل: معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك. وقال أبي بن كعب عن النبي ﷺ ﴿ كانت الأولى من موسى

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٤٤٨)، مسلم الفضائل (٢٣٨٠)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٤٩)، أحمد (١١٨/٥).
(٢) سورة الكهف آية : ٧١.
(٣) سورة الكهف آية : ٧١.
(٤) سورة الكهف آية : ٧١.
(٥) سورة الكهف آية : ٧١.
(٦) سورة الكهف آية : ٧٢.
(٧) سورة الكهف آية : ٧٢.
(٨) سورة الكهف آية : ٧٣.
(٩) سورة الكهف آية : ٧٣.

نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا ﴾ [1] [2] ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِى ﴾ [3]، ولا تغشني، ﴿ مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [4]، وقيل: لا تكلفني مشقة، يقال: أرهقته عسرا أي كلفته ذلك، يقول لا تضيق على أمري وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر.

[٧٤] ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ [5]، في القصة أنما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاما ظريفا وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال الضحاك: كان غلاما يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا ﴾ [6] [7]. ﴿ قَالَ ﴾ [8] موسى، ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [9]، قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو: (زاكية) بالألف، وقرأ الآخرون: زَكِيةً، قال الكسائي والفراء: معناهما واحد، مثل: القاسية والقسية، وقال أبو عمرو بن العلاء: الزاكية التي لم تذنب قط، والزكية التي أذنبت ثم تابت، ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ [10]، أي لم تقتل نفسا بشيء

---

(١) البخاري الشروط (٢٥٧٨)، مسلم الفضائل (٢٣٨٠)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٤٩)، أحمد (١١٨/٥).

(٢) انظر صحيح البخاري ٥ / ٣٢٦ ومسلم ٤ / ١٨٤٧. ،.

(٣) سورة الكهف آية : ٧٣.

(٤) سورة الكهف آية : ٧٣.

(٥) سورة الكهف آية : ٧٤.

(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٤٤٩)، مسلم القدر (٢٦٦١)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٤٩)، أبو داود السنة (٤٧٠٥)، أحمد (١١٩/٥).

(٧) أخرجه مسلم في القدر برقم (٢٦٦١) ٤ / ٢٠٥٠.

(٨) سورة الكهف آية : ٧٤.

(٩) سورة الكهف آية : ٧٤.

(١٠) سورة الكهف آية : ٧٤.

وجب به عليها القتل، ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ۝٧٤ ﴾[1]، أي منكرا. قال قتادة: النكر أعظم من الإمر لأنه حقيقة الهلاك، وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك، وقيل: الأمر أعظم لأنه كان فيه تغريق جمع كثير. قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر هاهنا نكرا وفي سورة الطلاق بضم الكاف، والآخرون بسكونها.

[٧٥] ﴿ ۞ قَالَ ﴾[2]، يعني الخضر ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۝٧٥ ﴾[3]، قيل: زاد هنا لأنه نقض العهد مرتين، وفي القصة أن يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه.

[٧٦] ﴿ قَالَ ﴾[4]، موسى، ﴿ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا ﴾[5]، بعد هذه المرة، ﴿ فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ ﴾[6]، وفارقني، وقرأ يعقوب: فلا تصحبني بغير ألف من الصحبة. ﴿ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ۝٧٦ ﴾[7]، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر من لدني خفيفة النون وقرأ الآخرون، بتشديدها، قال ابن عباس: أي قد أعذرت فيما بيني وبينك. وقيل: قد حذرتني أني لا أستطيع معك صبرا. وقيل: اتضح لك العذر في مفارقتي. عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل

---

(١) سورة الكهف آية : ٧٤.
(٢) سورة الكهف آية : ٧٥.
(٣) سورة الكهف آية : ٧٥.
(٤) سورة الكهف آية : ٧٦.
(٥) سورة الكهف آية : ٧٦.
(٦) سورة الكهف آية : ٧٦.
(٧) سورة الكهف آية : ٧٦.

لرأى العجب ﴿(١) (٢) ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾(٣) فلو صبر لرأى العجـب.

قوله تعالى فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا.....

[٧٧] قوله تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾(٤)، قال ابن عباس: يعني أنطاكيه. وقال ابن سيرين. هي الأيلة وهي أبعد الأرض من السماء. وقيل: برقة. وعن أبي هريرة: بلدة بالأندلس. ﴿ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾(٥)، قال أبي بن كـعب عن النبي ﷺ ﴿ حتى إذا أتيا أهل قرية لئاما فطافا في المالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾(٦) (٧). وروي أنما طافا في القرية فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما. وروي أنما طافـا في القوم فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافوهم فلم يضيفوهما. قال قتادة: شر القرى التي لا تضيف الضيف. قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾(٨)، أي يسقط، وهذا من مجاز كلام العرب، لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط، كما تقول العرب: داري تنظر إلى دار فلان

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٤٤٩)، مسلم الفضائل (٢٣٨٠)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٤٩)، أبو داود الحروف والقراءات (٣٩٨٤)، أحمد (١٢١/٥).

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل برقم (٢٣٨٠) ١٤ / ١٨٥١.

(٣) سورة الكهف آية : ٧٦.

(٤) سورة الكهف آية : ٧٧.

(٥) سورة الكهف آية : ٧٧.

(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٤٤٩)، مسلم الفضائل (٢٣٨٠)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٤٩)، أبو داود الحروف والقراءات (٣٩٨٤)، أحمد (١١٩/٥).

(٧) قطعة من الحديث السابق.

(٨) سورة الكهف آية : ٧٧.

إذا كانت تقابلها. ﴿ فَأَقَامَهُۥۖ ﴾[1]، أي سواه ﴿ قَالَ ﴾[2] موسى ﴿ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ٧٧ ﴾[3]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لَتَخِذْتَ بتخفيف التاء وكسر الخاء، وقرأ الآخرون لتخذت بتشديد التاء وفتح الخاء، وهما لغتان مثل اتبع وتبع عليه يعني على إصلاح الجدار، ﴿ أَجۡرًا ٧٧ ﴾[4] يعني جعلا، معناه: إنك قد علمت وإننا جياع وإن أهل القرية لم يطعمونا فلو أخذت على عملك أجرا.

[٧٨] قال الخضر، ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ ﴾[5]، يعني هذا وقت فراق بيني وبينك. وقيل: هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا. وقال الزجاج: معناه هذا فراق بيننا أي فراق اتصالنا وكرر بين تأكيدا ﴿ سَأُنَبِّئُكَ ﴾[6]، أي سوف أخبرك ﴿ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ ﴾[7]، وفي بعض التفاسير أن موسى أخذ بثوبه، فقال. أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني.

[٧٩] فقال: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾[8]، أي: يؤاجرون ويكتسبون بها، ﴿ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾[9]، أجعلها ذات عيب، ﴿ وَكَانَ

(١) سورة الكهف آية : ٧٧.
(٢) سورة الكهف آية : ٧٧.
(٣) سورة الكهف آية : ٧٧.
(٤) سورة الكهف آية : ٧٧.
(٥) سورة الكهف آية : ٧٨.
(٦) سورة الكهف آية : ٧٨.
(٧) سورة الكهف آية : ٧٨.
(٨) سورة الكهف آية : ٧٩.
(٩) سورة الكهف آية : ٧٩.

﴿ وَرَآءَهُم ﴾ [1]، أي أمامهم، ٣٦٠ ملك، كقوله: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ [2]، وقيل: وراءهم خلفهم، وكان رجوعهم في طريقهم عليه، والأول أصح يدل عليه قراءة ابن عباس وكان أمامهم ﴿ مَّلِكٌ ﴾ [3]، ﴿ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ۝٧٩ ﴾ [4]، أي: كل سفينة صالحة غصبا وكان ابن عباس يقرأ كذلك فخرقها وعيبها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ ﴾ [5]، أي فعلمنا، وفي قراءة ابن عباس: وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين فخشينا، أي فعلمنا، ﴿ أَن يُرۡهِقَهُمَا ﴾ [6]، يغشيهما، وقال الكلبي: يكلفهما، ﴿ طُغۡيَٰنًا وَكُفۡرًا ۝٨٠ ﴾ [7]، قال سعيد بن جبير: فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه.

[٨١] ﴿ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا ﴾ [8]، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمر بالتشديد هاهنا وفي سورة التحريم والقلم، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان وفرق بعضهم فقال: التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قاصم والإبدال رفع الشيء ووضع شيء

---

(١) سورة الكهف آية : ٧٩.

(٢) سورة إبراهيم آية : ١٦.

(٣) سورة الكهف آية : ٧٩.

(٤) سورة الكهف آية : ٧٩.

(٥) سورة الكهف آية : ٨٠.

(٦) سورة الكهف آية : ٨٠.

(٧) سورة الكهف آية : ٨٠.

(٨) سورة الكهف آية : ٨١.

آخر مكانه، ﴿ رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾[1]، أي صلاحا وتقوى، ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾[2]، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بضم الحاء والباقون بجزمها أي: عطفا من الرحمة. وقيل: هو من الرحم والقرابة، قال قتادة: أي أوصل للرحم وأبر بوالديه، قال مطرف: شرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل. ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾[3]، وكان اسمهما أصرم وصريم، ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾[4]، اختلفوا في ذلك الك ، روي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ كان ذهبا وفضة ﴾[5]. وقال عكرمة: كان مالا. وعن سعيد بن جبير: كان الك صحفا فيها علم ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا ﴾[6]، قيل: كان اسمه كاشح وكان من الأتقياء. قال ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما، وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء، قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده، وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم. قال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر

(١) سورة الكهف آية : ٨١.

(٢) سورة الكهف آية : ٨١.

(٣) سورة الكهف آية : ٨٢.

(٤) سورة الكهف آية : ٨٢.

(٥) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الكهف ٨ / ٦٠٠ والحاكـم في المستدرك ٢ / ٣٦٩ والبخاري في تاريخه والطبراني. انظر تحفة الأحوذي ٨ / ٦٠١.

(٦) سورة الكهف آية : ٨٢.

ولدي فأزيد في صلاتي. قوله ﷻ ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾[1]، أي يبلغا ويعقلا. وقيل: أن يدركا شدتما وقوتما. وقيل: ثمان عشرة سنة، ﴿ وَيَسۡتَخۡرِجَا ﴾[2] حينئذ ﴿ كَنزَهُمَا رَحۡمَةً ﴾[3]، نعمة، ﴿ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ﴾[4]، أي باختياري ورأيي، بل فعلته بأمر الله وإلهامه، ﴿ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾[5]، أي لم تطق عليه صبرا، واستطاع واسطاع بمعنى واحد.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ ﴾[6]، خبرا، واختلفوا في نبوته والأكثرون على أنه كان ملكا عادلا صالحا.

قوله تعالى إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا....

[٨٤] قوله ﷻ ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[7]، أوطأنا، والتمكين: تمهيد الأسباب. وقال علي: سخر له السحاب فحمله عليها، ومد له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكنه في الأرض، وهو أنه سهل عليه السير فيها وذلل له طرقها. ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[8] أي: من كل شيء يحتاج إليه الخلق.

---

(١) سورة الكهف آية : ٨٢.
(٢) سورة الكهف آية : ٨٢.
(٣) سورة الكهف آية : ٨٢.
(٤) سورة الكهف آية : ٨٢.
(٥) سورة الكهف آية : ٨٢.
(٦) سورة الكهف آية : ٨٣.
(٧) سورة الكهف آية : ٨٤.
(٨) سورة الكهف آية : ٨٤.

وقيل: من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء، ﴿ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾[1]، أي: علما يتسبب به إلى كل ما يريد، ويسير به في أقطار الأرض، والسبب: ما يوصل به إلى الشيء. وقال الحسن: بلاغا إلى حيث أراد. وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض.

[٨٥] ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾[2]، أي: سلك وسار طريقا، قرأ أهل الحجاز والبصرة: فاتبع ثم اتبع موصولا مشددا، قرأ الآخرون بقطع الألف وجزم التاء: وقيل: معناهما واحد، والصحيح الفرق بينهما فمن قطع الألف فمعناه أدرك ولحق، ومن قرأ بالتشديد فمعناه سار، يقال: ما زلت أتبعه حتى اتبعته أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته. وقوله: سببا أي طريقا. وقال ابن عباس: م لا.

[٨٦] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾[3]، قرأ أبو جعفر وأبو عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر (حامية) بالألف غير مهموزة، أي حارة، وقرأ الآخرون ﴿ حَمِئَةٍ ﴾[4] مهموزا بغير الألف أي ذات حماة، وهي الطينة السوداء، وسأل معاوية كعبا: كيف تجد في التوراة أن تغرب الشمس؟ قال: نجد في التوراة أنا تغرب في ماء وطين. قال القتيبي: يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾[5] أي عندها عين حمئة أو في رأي العين. ﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ ﴾[6]، أي عند العين أمة ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾[7]، يستدل بذا من زعم أنه كان نبيا فإن الله تعالى خاطبه،

---

(١) سورة الكهف آية : ٨٤.

(٢) سورة الكهف آية : ٨٥.

(٣) سورة الكهف آية : ٨٦.

(٤) سورة الكهف آية : ٨٦.

(٥) سورة الكهف آية : ٨٦.

(٦) سورة الكهف آية : ٨٦.

(٧) سورة الكهف آية : ٨٦.

والأصح أنه لم يكن نبيا والمراد منه الإلهام، ﴿ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ ﴾ [1]، يعني إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام، ﴿ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [2]، يعني تعفو وتصفح. وقيل: تأسرهم فتعلمهم الهدى، خيره الله بين الأمرين.

[٨٧] ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ ﴾ [3]، كفر، ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ﴾ [4]، أي: نقتله، ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ ﴾ [5]، في الآخرة ﴿ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [6] أي: منكرا يعني بالنار، والنار أنكر من القتل.

[٨٨] ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [7]، قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب ﴿ جَزَآءً ﴾ [8] منصوبا منونا أي: فله الحسنى جزاء نصب على المصدر، وقرأ الآخرون بالرفع على الإضافة، والحسنى الجنة وإضافة الحسن إليها كما قال: ﴿ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ ﴾ [9]، والدار هي الآخرة. وقيل: المراد بالحسنى على هذه القراءة الأعمال الصالحة. ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [10]، أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا. وقال مجاهد: يسرا أي معروفا.

(١) سورة الكهف آية : ٨٦.
(٢) سورة الكهف آية : ٨٦.
(٣) سورة الكهف آية : ٨٧.
(٤) سورة الكهف آية : ٨٧.
(٥) سورة الكهف آية : ٨٧.
(٦) سورة الكهف آية : ٨٧.
(٧) سورة الكهف آية : ٨٨.
(٨) سورة الكهف آية : ٨٨.
(٩) سورة الأعراف آية : ١٦٩.
(١٠) سورة الكهف آية : ٨٨.

[٨٩] ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ ﴾[١]، أي سلك طرقا ومنازل.

[٩٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾[٢]، أي موضع طلوعها، ﴿ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ ﴾[٣]، قال قتادة والحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء، فكانوا يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم.

[٩١] قوله ﷻ ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾[٤]، قيل: معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها، والصحيح أن معناه كما حكم في القوم الذين هم عند غروب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند طلوع الشمس، ﴿ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١ ﴾[٥]، يعني بما عنده ومعه من الجند والعدة والآلات خبرا أي علما.

[٩٢] ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ ﴾[٦].

[٩٣] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾[٧] هما هنا جبلان سدد، والقرنين ما بينهما حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم. ﴿ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا ﴾[٨] يعني: أمام السدين. ﴿ لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ ﴾[٩]، قرأ حمزة والكسائي (يفقهون) بضم

(١) سورة الكهف آية : ٨٩.
(٢) سورة الكهف آية : ٩٠.
(٣) سورة الكهف آية : ٩٠.
(٤) سورة الكهف آية : ٩١.
(٥) سورة الكهف آية : ٩١.
(٦) سورة الكهف آية : ٩٢.
(٧) سورة الكهف آية : ٩٣.
(٨) سورة الكهف آية : ٩٣.
(٩) سورة الكهف آية : ٩٣.

الياء وكسر القاف على معنى لا يفهمون غيرهم قولا، وقرأ الآخرون بفتح الياء والقاف، أي لا يفهمون كلام غيرهم، قال ابن عباس: لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم.

[٩٤] ﴿ قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [١] فإن قيل: كيف قالوا ذلك وهم لا يفهمون؟ قيل: كلم عنهم مترجم، دليله قراءة ابن مسعود: لا يكادون يفقهون قولا قال الذين من دونهم يا ذا القرنين. ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ [٢]، قرأهما عاصم مهموزين، والآخرون بغير همز، وهما لغتان أصلهما من أجيج النار، وهو ضوؤها وشررها، شبهوا به لكثرتهم وشدتهم، وقيل: بالهمز من أجيج النار وبترك الهمز اسمان أعجميان، مثل هاروت وماروت قوله تعالى: ﴿ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٣]، قال الكلبي: فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يا بسا إلا احتملوه، وأدخلوه أرضهم، وقد لقوا منهم أذى شديدا وقتلا. وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس. وقيل: معناه أنهم سيفسدون في الأرض عند خروجهم. ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ [٤]، قرأ حمزة والكسائي (خراجا) بالألف، وقرأ الآخرون خرجا بغير ألف وهما لغتان بمعنى واحد، أي جعلا وأجرا من أموالنا. وقال أبو عمرو: الخرج ما تبرعت به، والخراج ما لزمك أداؤه. وقيل: الخراج على الأرض والخرج على الرقاب. يقال: أد خرج رأسك وخراج مدينتك. ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ [٥]، أي حاجزا فلا يصلون إلينا.

---

(١) سورة الكهف آية : ٩٤.
(٢) سورة الكهف آية : ٩٤.
(٣) سورة الكهف آية : ٩٤.
(٤) سورة الكهف آية : ٩٤.
(٥) سورة الكهف آية : ٩٤.

[٩٥] ﴿ قَالَ ﴾[(١)]، لهم ذو القرنين: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ ﴾[(٢)]، قرأ ابن كثير (مكنني) بنونين ظاهرين. وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام، أي ما قواني عليه، ﴿ رَبِّي خَيْرٌ ﴾[(٣)]، من جعلكم، ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾[(٤)]، معناه إني لا أريد المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم، ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾[(٥)]، أي سدا، قالوا: وما تلك القوة؟ قال: فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل، والآلة. قالوا وما تلك الآلة؟ قال:

[٩٦] ﴿ ءَاتُونِي ﴾[(٦)]، أعطوني وقرأ أبو بكر ائتوني أي جيئوني، ﴿ زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾[(٧)]، أي قطع الحديد واحدتا زبرة، فأتوه با وبالحطب وجعل بعضها على بعض فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾[(٨)]، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بضم الصاد والدال، وجزم أبو بكر الدال، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما الجبلان، ساوى أي: سوى بين طرفي الجبلين. ﴿ قَالَ ٱنفُخُواْ ﴾[(٩)]، وفي القصة أنه جعل الفحم والحطـب في خلال زبـر الحديد ثم قال انفخوا يعني في النار، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ

(١) سورة الكهف آية : ٩٥.
(٢) سورة الكهف آية : ٩٥.
(٣) سورة الكهف آية : ٩٥.
(٤) سورة الكهف آية : ٩٥.
(٥) سورة الكهف آية : ٩٥.
(٦) سورة الكهف آية : ٩٦.
(٧) سورة الكهف آية : ٩٦.
(٨) سورة الكهف آية : ٩٦.
(٩) سورة الكهف آية : ٩٦.

﴿ نَارًا ﴾[(١)]، أي صار الحديد نارا، ﴿ قَالَ ءَاتُونِيٓ ﴾[(٢)]، قرأ حمزة وأبو بكر وصلا، وقرأ الآخرون بقطع الألف. ﴿ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا ﴿٩٦﴾ ﴾[(٣)]، أي آتوني قطرا أفرغ عليه، والإفراغ الصب والقطر هو النحاس المذاب، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس. قال قتادة: هو كالبر والبحر طريقة سوداء وطريقة حمراء، وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ.

[٩٧] ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ ﴾[(٤)]، أن يعلوه من فوقه لطوله وملاسته، ﴿ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبًا ﴿٩٧﴾ ﴾[(٥)]، من أسفله لشـدته ولصلابته. وقرأ حمزة ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ ﴾[(٦)] بتشديد الطاء أدغم تاء الافتعال في الطاء.

قوله تعالى قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبي جَعَلَهُ دَكاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبي حَقّا.....

[٩٨] ﴿ قَالَ ﴾[(٧)] يعنـي ذا القرنيـ ـن، ﴿ هَـٰذَا ﴾[(٨)]، أي السـ ـد، ﴿ رَحۡمَةٌ ﴾[(٩)]، نعمة، ﴿ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي ﴾[(١٠)]، قيل: القيامة.

(١) سورة الكهف آية : ٩٦.
(٢) سورة الكهف آية : ٩٦.
(٣) سورة الكهف آية : ٩٦.
(٤) سورة الكهف آية : ٩٧.
(٥) سورة الكهف آية : ٩٧.
(٦) سورة الكهف آية : ٩٧.
(٧) سورة الكهف آية : ٩٨.
(٨) سورة الكهف آية : ٩٨.
(٩) سورة الكهف آية : ٩٨.
(١٠) سورة الكهف آية : ٩٨.

وقيل: وقت خروجهم. ﴿ جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ ﴾[1]، قرأ أهل الكوفة ﴿ دَكَّآءَ ۖ ﴾[2] بالمد والهمز، أي أرضا ملساء، وقرا الآخرون بلا مد أي: جعله مدكوكا مستويا مع وجه الأرض، ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾[3].

[٩٩] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ ﴾[4]، قيل: هذا عند فتح السد، يقول: تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم على بعـض، كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتم، وقيل: هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض، ويختلط إنسيهم بجنيهم حيارى، ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾[5]، لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة، ﴿ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾[6]، في صعيد واحد.

[١٠٠] ﴿ وَعَرَضْنَا ﴾[7]، أبرزنا، ﴿ جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[8]، حتى يشاهدوها عيانا.

[١٠١] ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ ﴾[9]، أي غشاء والغطاء ما يغطى به الشيء ويستره، ﴿ عَن ذِكْرِى ﴾[10]، يعني عن الإيمان والقرآن. وعن الهدى والبيان.

---

(١) سورة الكهف آية : ٩٨.

(٢) سورة الكهف آية : ٩٨.

(٣) سورة الكهف آية : ٩٨.

(٤) سورة الكهف آية : ٩٩.

(٥) سورة الكهف آية : ٩٩.

(٦) سورة الكهف آية : ٩٩.

(٧) سورة الكهف آية : ١٠٠.

(٨) سورة الكهف آية : ١٠٠.

(٩) سورة الكهف آية : ١٠١.

(١٠) سورة الكهف آية : ١٠١.

وقيل. عن رؤية الدلائل. ﴿ وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴾[1]، أي سمع القبول، والإيمان لغلبة الشقاوة عليهم. وقيل: لا يعقلون وقيل: كانوا لا يستطيعون أي لا يقدرون أن يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدة عداوتم، كقول الرجل: لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئا لعداوته.

[١٠٢] ﴿ أَفَحَسِبَ ﴾[2]، أفظن، ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ ﴾[3]، أربابا يريد بالعباد عيسى والملائكة، كلا بل هم لهم أعداء ويتبرءون منهم. قال ابن عباس: يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله. وقال مقاتل: الأصنام سماها عبادا، كما قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ ﴾[4]، وجواب هذا الاستفهام محذوف. قال ابن عباس: يريد إني لأغضب لنفسي، يقول أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم؟ ! وقيل: أفظنوا أنم ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء. ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾[5]، أي: م لا، قال ابن عباس: هي مثواهم. وقيل: اا ل ما يهيأ للضيف، يريد هي معدة لهم عندنا كاا ل للضيف.

[١٠٣] ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾[6]، يعني الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا، كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربحا

(١) سورة الكهف آية : ١٠١.
(٢) سورة الكهف آية : ١٠٢.
(٣) سورة الكهف آية : ١٠٢.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٩٤.
(٥) سورة الكهف آية : ١٠٢.
(٦) سورة الكهف آية : ١٠٣.

فخسر وخاب سعيه، واختلفوا فيهم، قال ابن عباس وسعد بن أبي وقاص: هم اليهود والنصارى. وقيل: هم الرهبان.

[١٠٤] ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ [١] حـبسـوا أنفسهـم فـي الصوامع. وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حروراء. ﴿ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ ﴾ [٢]، بطل عملهم واجتهادهم، ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [٣]، أي عملا.

[١٠٥] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ ﴾ [٤]، بطلت، ﴿ أَعۡمَـٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [٥]، أي لا نجعل لهم خطرا وقدرا، تقول العرب: ما لفلان عندي وزن أي قدر لخسته، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » [٦] [٧] وقال: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [٨]، قال أبو سعيد الخدري: يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئـا، فذلك قولـه تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [٩].

---

(١) سورة الكهف آية : ١٠٤.
(٢) سورة الكهف آية : ١٠٤.
(٣) سورة الكهف آية : ١٠٤.
(٤) سورة الكهف آية : ١٠٥.
(٥) سورة الكهف آية : ١٠٥.
(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٤٥٢)، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥).
(٧) أخرجه البخاري في التفسير ٨ / ٤٢٦ ومسلم في صفات المنافقين برقم (٢٧٨٥) ٤ / ٢١٤٧.
(٨) سورة الكهف آية : ١٠٥.
(٩) سورة الكهف آية : ١٠٥.

[١٠٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [1] الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقـدارهم، ثم ابتـدأ فقـال: ﴿ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى ﴾ [2]، يعني القـرآن، ﴿ وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [3]، أي سخرية ومهزوءا بم.

[١٠٧] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ ﴾ [4]، روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنار الجنة » [5] [6]. قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأقصاها وأرفعها. قال كعب: الفردوس هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال مجاهد. هو البستان بالرومية. وقال عكرمة: هي الجنة بلسان الحبش. قال الزجاج: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، وقال الضحاك: هي الجنة الملتفة الأشجار. وقيل: هي الروضة المستحسنة. وقيل. هي التي تنبت ضروبا من النبات، وجمعه فراديس، ﴿ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ ﴾ [7]، قيل أي م لا. وقيل: ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا، ومعنى كانت لهم أي في علم الله قبل أن يخلقوا.

---

(١) سورة الكهف آية : ١٠٦.

(٢) سورة الكهف آية : ١٠٦.

(٣) سورة الكهف آية : ١٠٦.

(٤) سورة الكهف آية : ١٠٧.

(٥) البخاري الجهاد والسير (٢٦٣٧)، أحمد (٢/٣٣٥).

(٦) قطعة من حديث أخرجه البخاري في التوحيد ١٣ / ٤٠٤.

(٧) سورة الكهف آية : ١٠٧.

[١٠٨] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ ﴾[(١)]، لا يطلبون، ﴿ عَنۡهَا حِوَلاً ﴾[(٢)]، أي تحولا إلى غيرها. قال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إلى دار إذا توافقه إلى دار أخرى.

[١٠٩] ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾[(٣)]، قال ابن عباس: قالت اليهود يا محمد تزعم أنا قد أوتينا الحكمة، وفي كتابك ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرًا كَثِيرًاۗ ﴾[(٤)]، ثم نقول: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[(٥)]؟ فأنزل الله هذه الآية. وقيل لما نزلت: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[(٦)]، قالت اليهود: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فأنزل الله: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا ﴾[(٧)] سمي المداد مدادا لإمداد الكتاب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء. قال مجاهد: لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب، ﴿ لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ ﴾[(٨)] أي ماؤه، ﴿ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ ﴾[(٩)]، قرأ حمزة والكسائي ينفد بالياء لتقدم الفعل، والباقـون بالتاء، ﴿ كَلِمَٰتُ رَبِّي ﴾[(١٠)]، أي علمه وحكمه، ﴿ وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ

(١) سورة الكهف آية : ١٠٨.
(٢) سورة الكهف آية : ١٠٨.
(٣) سورة الكهف آية : ١٠٩.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٩.
(٥) سورة الإسراء آية : ٨٥.
(٦) سورة الإسراء آية : ٨٥.
(٧) سورة الكهف آية : ١٠٩.
(٨) سورة الكهف آية : ١٠٩.
(٩) سورة الكهف آية : ١٠٩.
(١٠) سورة الكهف آية : ١٠٩.

مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1]، معناه لو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لنفد البحر ولم تنفد كلمات الله، ولو جئنا بمثله مددا بمثل ماء البحر في كثرته مدادا وزيادة، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[2].

[١١٠] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[3]، قال ابن عباس علم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه، فأمره الله أن يقر فيقول: أنا آدمي مثلكـم إلا إني خصصت بالوحي وأكرمني الله به، يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد لا شريك له، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾[4]، أي يخاف المصير إليه. وقيل: يأمل رؤية ربه، فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعا فجمع به المعنيين، ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[5]، أي لا يرائي بعمله، قال النبي ﷺ ﴿ من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به ﴾[6] [7] وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم

---

(١) سورة الكهف آية : ١٠٩.

(٢) سورة لقمان آية : ٢٧.

(٣) سورة الكهف آية : ١١٠.

(٤) سورة الكهف آية : ١١٠.

(٥) سورة الكهف آية : ١١٠.

(٦) البخاري الرقاق (٦١٣٤)، مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٧)، ابن ماجه الزهد (٤٢٠٧)، أحمد (٣١٣/٤).

(٧) أخرجه البخاري في الرقاق ١١ / ٢٣٥ ومسلم في البر والصلة برقم (٢٦٤٢) ٤ / ٢٠٣٤ والمصنف في شرح السنة ١٤ / ٣٢٣.

الشرك الأصغر "، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: " الرياء ﴾ [1] [2].

(١) أحمد (٤٢٨/٥).

(٢) أخرج هذه الرواية الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص٤٢٨،٤٢٩ والمصنف في شرح السنة ١٤ / ٣٢٤ قال الهيثمي: (رجاله رجال الصحيح) وقال المسند: " إسناده جيد ".

(١٩) سورة مريم

قوله تعالى كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبكَ عَبْدَهُ زَكَرِيا.....

[١] قوله ﷻ ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾[1]، قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وضده ابن عامر وحمزة وبكسرهما الكسائي وأبو بكر والباقون بفتحهما. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو اسم من أسماء الله تعالى. وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن. وقيل: اسم للسـورة. وقيل: هـو قسم أقسم الله به. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾[2] قال: الكاف من كريم وكبير، والهاء من هاد، والياء من رحيم، والعين من عليم، وعظيم، والصاد من صادق. وقال الكلبي: معناه كاف لخلقه، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده.

[٢] ﴿ ذِكۡرُ ﴾[3]، رفع بالمضمر أي هذا الذي نتلوه عليك ذكر ﴿ رَحۡمَتِ رَبِّكَ ﴾[4]، وفيه تقديم وتأخير معناه: ذكر ربك، ﴿ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ ﴾[5]، برحمته.

[٣] ﴿ إِذۡ نَادَىٰ ﴾[6]، دعـا ﴿ رَبَّهُۥ ﴾[7]، في محرابـه، ﴿ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ ﴾[8]، دعا سرا من قومه في جوف الليل.

---

(١) سورة مريم آية : ١.

(٢) سورة مريم آية : ١.

(٣) سورة مريم آية : ٢.

(٤) سورة مريم آية : ٢.

(٥) سورة مريم آية : ٢.

(٦) سورة مريم آية : ٣.

(٧) سورة مريم آية : ٣.

(٨) سورة مريم آية : ٣.

[٤] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ﴾[(١)]، ضعف ورق، ﴿ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي ﴾[(٢)]، من الكبر. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس، ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ ﴾[(٣)]، أي أبيض شعر الرأس، ﴿ شَيۡبٗا ﴾[(٤)]، شمطا، ﴿ وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ ﴾[(٥)]، يقول عودتني الإجابة فيما مضى ولم تخيبني. وقيل: معناه لما دعوتني إلى الإيمان آمنت ولم أشق بترك الإيمان.

[٥] ﴿ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ ﴾[(٦)]، والموالى: بنو العم. قال مجاهد: العصبة. وقال أبو صالح: الكلالة. وقال الكلبي: الورثة. ﴿ مِن وَرَآءِي ﴾[(٧)]، من بعد موتي، قرأ ابن كثير ﴿ مِن وَرَآءِي ﴾[(٨)] بفتح الياء، والآخرون بإسكانها. ﴿ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا ﴾[(٩)]، لا تلد، ﴿ فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ﴾[(١٠)]، أعطني من عندك ﴿ وَلِيّٗا ۝٥ ﴾[(١١)].

[٦] ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ ﴾[(١٢)]، قرأ أبو عمرو والكسائي بجزم الثاء فيهما على جواب الدعاء، وقرأ الآخرون بالرفع على الحال والصفة، يعني وليا وارثا،

---

(١) سورة مريم آية : ٤.
(٢) سورة مريم آية : ٤.
(٣) سورة مريم آية : ٤.
(٤) سورة مريم آية : ٤.
(٥) سورة مريم آية : ٤.
(٦) سورة مريم آية : ٥.
(٧) سورة مريم آية : ٥.
(٨) سورة مريم آية : ٥.
(٩) سورة مريم آية : ٥.
(١٠) سورة مريم آية : ٥.
(١١) سورة مريم آية : ٥.
(١٢) سورة مريم آية : ٦.

واختلفوا في هذا الإرث، قال الحسن: معناه يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة. وقيل: أراد ميراث النبوة والعلم. وقيل: أراد إرث الحبورة، لأن زكريا كان رأس الأحبار. وقال الزجاج: والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي من الأنبياء أن يرثه بنو عمه ماله، والمعنى: أنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على ما كان شاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته، ويرث نبـوته وعمله لئلا يضيع الدين. وهـذا معنى قول عطـاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. ﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ ﴾ [(١)]، أي برا تقيا مرضيا.

[٧] قوله ﷻ ﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ [(٢)]، وفيه اختصار، معناه فاستجاب الله دعاءه، فقال: يا زَكَرِيا إِنا نُبَشرُكَ، ﴿ بِغُلَـٰمٍ ﴾ [(٣)] بولد ذكر، ﴿ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝ ﴾ [(٤)]، قال قتادة والكلبي: لم يسم أحد قبله يحيى. وقال سعيد بن جبير وعطاء: لم نجعل له شبها ومثلا، كما قال الله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝ ﴾ [(٥)]، أي مثلا، والمعنى: أنه لم يكن له مثل لأنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط. وقيل: لم يكن له ميل في أمر النساء، لأنه كان سيدا وحصورا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي لم تلد العواقر مثله ولدا. وقيل: لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى إنما أراد بعضها لأن الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه.

---

(١) سورة مريم آية : ٦.

(٢) سورة مريم آية : ٧.

(٣) سورة مريم آية : ٧.

(٤) سورة مريم آية : ٧.

(٥) سورة مريم آية : ٦٥.

[٨] ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ ﴾[(١)]، من أين، ﴿ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ ﴾[(٢)]، أي يبسا، وقال قتادة: يريد تحول العظم، يقال: عتا الشيخ يعتو عتيا وعسيا، إذا انتهى سنه وكبر، وشيخ عات وعاس إذا صار إلى حالة اليبس والجفاف. وقرأ حمزة والكسائي: عتيا وبكيا وصليا وجثيا بكسر أوائلهن، والباقون برفعها، وهما لغتان.

[٩] ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ ﴾[(٣)]، يسير، ﴿ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ ﴾[(٤)]، قرأ حمزة، والكسائي (خلقناك) بالنون والألف على التعظيم، ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾[(٥)]، أي من قبل يحيى، ﴿ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ ﴾[(٦)].

[١٠] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ ﴾[(٧)]، دلالة على حمل امرأتي، ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠ ﴾[(٨)]، أي صحيحا سليما من غير ما بأس ولا خرس. قال مجاهد: أي لا يمنعك من الكلام مرض. وقيل: ثلاث ليال سويا أي متتابعا، والأول أصح. وفي القصة: أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه.

---

(١) سورة مريم آية : ٨.
(٢) سورة مريم آية : ٨.
(٣) سورة مريم آية : ٩.
(٤) سورة مريم آية : ٩.
(٥) سورة مريم آية : ٩.
(٦) سورة مريم آية : ٩.
(٧) سورة مريم آية : ١٠.
(٨) سورة مريم آية : ١٠.

[١١] قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾[١]، وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون إذ خرج عليهم زكريا متغيرا لونه فأنكروه، فقالوا: مالك يا زكريا؟ ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾[٢]، قال مجاهد: كتب لهم بالأرض، ﴿ أَن سَبِّحُواْ ﴾[٣]، أي صلوا لله ﴿ بُكْرَةً ﴾[٤]، غدوة، ﴿ وَعَشِيًّا ۝١١ ﴾[٥]، أنه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة.

قوله تعالى يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيا....

[١٢] قوله ﷻ ﴿ يَٰيَحْيَىٰ ﴾[٦]، قيل: فيه حذف معناه: وهبنا له يحيى وقلنا له: يا يحيى، ﴿ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[٧]، يعني التوراة، ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾[٨]، بجـد، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ ﴾[٩]، قـال ابن عباس رضي الله عنهما: النبوة، ﴿ صَبِيًّا ۝١٢ ﴾[١٠]، وهو ابن ثلاث سنين. وقيل: أراد بالحكـم فهم

---

(١) سورة مريم آية : ١١.
(٢) سورة مريم آية : ١١.
(٣) سورة مريم آية : ١١.
(٤) سورة مريم آية : ١١.
(٥) سورة مريم آية : ١١.
(٦) سورة مريم آية : ١٢.
(٧) سورة مريم آية : ١٢.
(٨) سورة مريم آية : ١٢.
(٩) سورة مريم آية : ١٢.
(١٠) سورة مريم آية : ١٢.

الكتاب، فقرأ التوراة وهو صغير. وعن بعض السلف قال. من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكـم صبيا [1].

[١٣] ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [2]، رحمة من عندنا ﴿ وَزَكَوٰةً ﴾ [3]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالزكاة الطاعة والإخلاص. وقال قتادة ﷺ هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد، ليدعوهم إلى طاعة ربهم ويعمل عملا صالحا في إخلاص. وقال الكلبي: يعني صدقة تصدق الله بها على أبويه، ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ ﴾ [4]، مسلما ومخلصا مطيعا، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها.

[١٤] ﴿ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ [5]، أي بارا لطيفا بهما محسنا إليهما. ﴿ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ ﴾ [6]، الجبار المتكبر، وقيل: الجبار الذي يضرب، ويقتل على الغضب، والعصي العاصي.

[١٥] ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ ﴾ [7]، أي: سلام له، ﴿ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥ ﴾ [8]، قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال يوم ولد

---

(١) أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس مرفوعا، وأخرجـه ابن أبي حاتم والديلمي موقوفا على ابن عباس. انظر الدر المنثور ٥ / ٤٨٥ كشف الخفا للعجلوني ٢ / ٨٦.

(٢) سورة مريم آية : ١٣.

(٣) سورة مريم آية : ١٣.

(٤) سورة مريم آية : ١٣.

(٥) سورة مريم آية : ١٤.

(٦) سورة مريم آية : ١٤.

(٧) سورة مريم آية : ١٥.

(٨) سورة مريم آية : ١٥.

فيخرج مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم، ويوم يبعث حيا فيرى نفسه في محشر لم ير مثله، فخصر يحيى بالسلامة فـي هذه المواطن.

[١٦] قوله ﷻ ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[1]، في القرآن، ﴿ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ ﴾[2]، تنحت واعتزلت، ﴿ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾[3]، من قومها، ﴿ مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ ﴾[4]، أي مكانا في الدار مما يلي المشرق، وكان يوما شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقة تفلي رأسها. وقيل: كانت طهرت من الحيض، فذهبت لتغتسل. قال الحسن: ومن ثم اتخذت النصارى المشرق قبلة.

[١٧] ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ ﴾[5]، فضربت، ﴿ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا ﴾[6]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سترا. وقيل: جلست وراء جدار، وقال مقاتل: وراء جبل. وقال عكرمة: إن مريـم كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق، فذلك قوله. ﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا ﴾[7]، يعني جبريل عليه السلام، ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ ﴾[8]،

(١) سورة مريم آية : ١٦.
(٢) سورة مريم آية : ١٦.
(٣) سورة مريم آية : ١٦.
(٤) سورة مريم آية : ١٦.
(٥) سورة مريم آية : ١٧.
(٦) سورة مريم آية : ١٧.
(٧) سورة مريم آية : ١٧.
(٨) سورة مريم آية : ١٧.

وقيل: المراد بالروح عيسى عليه السلام، جاء في صورة بشر فحملت به. الأول أصح فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد.

[١٨] و ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾ [١]، مؤمنا مطيعا، فإن قيل: إنما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا؟ قيل: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمنا فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون إيمانك مانعا من الظلم، وكذلك هاهنا معناه: وينبغي أن يكون تقواك مانعا لك من الفجور.

[١٩] ﴿ قَالَ ﴾ [٢]، لها جبريل، ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ ﴾ [٣]، قرأ نافع وأهل البصرة: (ليهب لك) أي ليهب لكربك، وقرأ الآخـرون: ﴿ لِأَهَبَ لَكِ ﴾ [٤] أسند الفعـل إلى الرسول، وإن كانت الهبة من الله تعالى، لأنه أرسل به، ﴿ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾ [٥]، ولدا صالحا طاهرا من الذنوب.

[٢٠] ﴿ قَالَتۡ ﴾ [٦]، مريم ﴿ أَنَّىٰ ﴾ [٧]، من أين، ﴿ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ ﴾ [٨]، لم يقربني زوج، ﴿ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴾ [٩] فاجرة، تريد أن الولد إنما يكون من نكاح أو سفاح، ولم يكن هنا واحد منهما.

---

(١) سورة مريم آية : ١٨.
(٢) سورة مريم آية : ١٩.
(٣) سورة مريم آية : ١٩.
(٤) سورة مريم آية : ١٩.
(٥) سورة مريم آية : ١٩.
(٦) سورة مريم آية : ٢٠.
(٧) سورة مريم آية : ٢٠.
(٨) سورة مريم آية : ٢٠.
(٩) سورة مريم آية : ٢٠.

[٢١] ﴿ قَالَ ﴾ [١]، جبريل، ﴿ كَذَٰلِكِ ﴾ [٢]، قيل: معنا، كما قلت يا مريم ولكـن، ﴿ قَالَ رَبُّكِ ﴾ [٣]، وقيل: هكذا قال ربك ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ [٤] أي خلق ولد بلا أب ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [٥] علامـة ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ [٦] دلالـة على قدرتنا، ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [٧]، ونعمة لمن تبعه على ديـنه، ﴿ وَكَانَ ﴾ [٨] ذلك، ﴿ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [٩]، محكوما مفروغا عنه لا يرد ولا يبدل.

[٢٢] قوله ﷻ ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ ﴾ [١٠]، قيل: إن جبريل رفع عنها درعها فنفخ في جيبها فحملت حين أصبحت. وقيل: مد جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب. وقيل: نفخ في كم قميصها. وقيل: في فيها. وقيل. نفخ جبريل عليه السلام نفخا من بعيد فوصل الريح إليها فحملت بعيسى في الحال، ﴿ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ ﴾ [١١]، أي تنحت بالحمل فلما حملته انتبذت به أي وانفردت، ﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [١٢]، أي بعيدا من أهلها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم، فرارا من قومها أن يعيروها

---

(١) سورة مريم آية : ٢١.

(٢) سورة مريم آية : ٢١.

(٣) سورة مريم آية : ٢١.

(٤) سورة مريم آية : ٢١.

(٥) سورة مريم آية : ٢١.

(٦) سورة مريم آية : ٢١.

(٧) سورة مريم آية : ٢١.

(٨) سورة مريم آية : ٢١.

(٩) سورة مريم آية : ٢١.

(١٠) سورة مريم آية : ٢٢.

(١١) سورة مريم آية : ٢٢.

(١٢) سورة مريم آية : ٢٢.

بولادتنا من غير زوج، واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة. وقيل. كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء. وقيل: كان مدة ثمانية أشهر، وكان ذلك آية أخرى لأنه ليلا يعيش ولد يولد لثمانية أشهر، وولد عيسى لهذه المدة وعاش. وقيل. ولدت لستة أشهر. وقال مقاتل بن سليمان. حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعته حين زالت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين، وكانت قد حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى.

[٢٣] ﴿ فَأَجَآءَهَا ﴾ [١]، أي ألجأها وجاء بها، ﴿ ٱلْمَخَاضُ ﴾ [٢]، وهو وجع الولادة، ﴿ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ [٣] وكانت نخلة يا بسة في الصحراء، في شدة الشتاء، لم يكن لها سعف، وقيل: التجأت إليها لتستند إليها وتتمسك بها على وجع الولادة، ﴿ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا ﴾ [٤]، تمنت الموت استحياء من الناس وخوف الفضيحة، ﴿ وَكُنتُ نَسْيًا ﴾ [٥]، قرأ حمزة وحفص (نسيا) بفتح النون، والباقون بكسرها، وهما لغتان، مثل الوتر والوتر والجسر والجسر، وهو الشيء المنسي، والنسي في اللغة كل ما ألقي ونسي ولم يذكر لحقارته، ﴿ مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٦]، أي متروكا. قال قتادة: شيء لا يعرف ولا يذكر. قال عكرمة والضحاك ومجاهد: جيفة ملقاة. وقيل: تعني لم أخلق.

---

(١) سورة مريم آية : ٢٣.

(٢) سورة مريم آية : ٢٣.

(٣) سورة مريم آية : ٢٣.

(٤) سورة مريم آية : ٢٣.

(٥) سورة مريم آية : ٢٣.

(٦) سورة مريم آية : ٢٣.

[٢٤] ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ ﴾[1]، قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها بكسر الميم والتاء يعني جبريل عليه السلام، وكانت مريم على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها فناداها، وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء وأراد جبريل عليه السلام أيضا ناداها من سفح الجبل. وقيل: هو عيسى لما خرج من بطن أمه ناداها، ﴿ أَلَّا تَحۡزَنِي ﴾[2]، وهو قول مجاهد والحسن، والأول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والسدي وقتادة والضحاك وجماعة أن المنادي كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها ألا تحزني، ﴿ قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ ﴾[3]، والسري: النهر الصغير. وقيل: تحتك أي جعله الله تحت أمرك إن أمرتيه أن يجري جرى وإن أمرتيه بالإمساك أمسك. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ضرب جبريل عليه السلام. ويقال: ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب وجرى. وقيل: كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة، فأورقت وأثمرت وأرطبت. وقال الحسن: تحتك سريا يعني عيسى وكان والله عبدا سريا يعني رفيعا.

[٢٥] ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ ﴾[4]، يعني قيل لمريم: حركي ﴿ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾[5]، تقول العرب: هزه وهز به، كما يقول حز رأسه وحز برأسه، وأمدد الجبل وأمدد به، ﴿ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ ﴾[6]، القراءة المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين، يعني تتساقط، فأدغمت إحدى التاءين في السين يعني

(١) سورة مريم آية : ٢٤.
(٢) سورة مريم آية : ٢٤.
(٣) سورة مريم آية : ٢٤.
(٤) سورة مريم آية : ٢٥.
(٥) سورة مريم آية : ٢٥.
(٦) سورة مريم آية : ٢٥.

تسقط عليك النخلة رطبا، وخفف حمزة السين وحذف التاء التي أدغمها غيره، وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف خفيف على وزن تفاعل وتساقط بمعنى أسقط، والتأنيث لأجـل النخلـة، وقـرأ يعقوب (يساقط) بالياء مشددة رده إلى الجذع، ﴿ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [1]، مجنيا. وقيل: الجني هو الذي بلغ الغاية، وجاء أوان اجتنائه. قال الربيع بن خثيم: ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل.

قوله تعالى فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا....

[٢٦] قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي ﴾ [2]، يعني فكلي يا مريم من الرطب واشربي من ماء النهر، ﴿ وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ [3]، يعني طيبي نفسا وقيل: قري عينك بولدك عيسى. يقال: أقر الله عينك يعني صادف فؤادك ما يرضيك، فتقر عينك من النظر إليه. وقيل: أقر الله عينه يعني أنامها، يقال: قر يقر إذا سكن. وقيل: إن العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حارا، فمن هذا قيل: أقر الله عينه وأسخن الله عينه، ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ [4]، يعني ترين، فدخل عليه نون التأكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين، معناه: فإما ترين من البشر أحدا فيسألك عن ولدك ﴿ فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا ﴾ [5]، يعني: صمتا، وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والصوم في اللغة: الإمساك عن الطعام والشراب والكلام. قال السدي: كان في بني إسرائيل من إذا أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم

---

(١) سورة مريم آية : ٢٥.
(٢) سورة مريم آية : ٢٦.
(٣) سورة مريم آية : ٢٦.
(٤) سورة مريم آية : ٢٦.
(٥) سورة مريم آية : ٢٦.

حتى يمسي. وقيل: إن الله تعالى أمرها أن تقـول هـذا إشارة. وقيل: أمرها أن تقول هذا القدر نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده، ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس.

[٢٧] ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ﴾[2]، وقيل: إنه ولدته ثم حملته في الحال إلى قومها. وقال الكلبي: حمل يوسف النجار مريم عليها السلام وابنها عيسى صلوات الله على نبينا وعليه إلى غار ومكث أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها، ثم حملته مريم عليها السلام إلى قومها. فكلمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال: يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين، ﴿ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾[3]، عظيما منكرا، قال أبو عبيدة: كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فري، قال النبي ﷺ في عمر: « فلم أر عبقريا يفري فريه »[4] [5] يعني عمله.

[٢٨] ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾[6]، يريد يا شبيهة هارون، قال قتادة وغيره: كان هارون رجلا صالحا عابدا في بني إسرائيل. وروي أنه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل سوى سائر الناس، شبهوها على معنى إنا ظننا أنك مثله في الصلاح، وليس المراد منه الأخوة في النسب كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ

---

(١) سورة مريم آية : ٢٦.

(٢) سورة مريم آية : ٢٧.

(٣) سورة مريم آية : ٢٧.

(٤) البخاري المناقب (٣٤٣٤)، مسلم فضائل الصحابة (٢٣٩٣)، الترمذي الرؤيا (٢٢٨٩)، أحمد (٢/١٠٧).

(٥) أخرجه البخاري في المناقب ٦ / ٦٢٩ ومسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٣٩٣) ٤ / ١٨٦٢.

(٦) سورة مريم آية : ٢٨.

كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [1] أي أشباههم. وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها، وكان أمثل رجل في بني إسرائيل. وقال السدي: إنما عنوا به هارون أخا موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم. وقيل: كان هارون رجلا فاسقا في بني إسرائيل عظيم الفسق فشبهوها به.

﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ﴾ [2] عمران، ﴿ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ [3]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: زانيا، ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ ﴾ [4]، حنة، ﴿ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [5]، أي زانية فمن أين لك هذا الولد؟

[٢٩] ﴿ فَأَشَارَتْ ﴾ [6] مريم ﴿ إِلَيْهِ ﴾ [7]، أي إلى عيسى عليه السلام أن كلموه. قال ابن عباس رضي الله عنهما. لما لم تكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها، وفى القصة: لما أشارت إليه غضب القوم، وقالوا مع ما فعلت أتسخرين بنا؟ ثم، ﴿ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾ [8] أي: من هو في المهد، وهو حجرها. وقيل: هو المهد بعينه، ﴿ كَانَ ﴾ [9] بمعنى هو، وقال أبو عبيدة: كان صلة أي كيف نكلم صبيا في المهد، وقد يجيء كان حشوا في الكلام لا معنى له كقوله:

---

(١) سورة الإسراء آية : ٢٧.
(٢) سورة مريم آية : ٢٨.
(٣) سورة مريم آية : ٢٨.
(٤) سورة مريم آية : ٢٨.
(٥) سورة مريم آية : ٢٨.
(٦) سورة مريم آية : ٢٩.
(٧) سورة مريم آية : ٢٩.
(٨) سورة مريم آية : ٢٩.
(٩) سورة مريم آية : ٢٩.

﴿ هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٣ ﴾ [1] أي: هل أنا؟ قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم. وقيل: لما أشارت إليه ترك الثدي واتكأ على يساره، وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه.

[٣٠] ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾ [2]، وقال وهب: أتاها زكريا عند مناظرتا اليهود فقال لعيسى: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما. وقال مقاتل: بل هو يوم ولد: إني عبد الله، أقر على نفسه بالعبودية لله ﷻ أول ما تكلم لئلا يتخذ إلها، ﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝٣٠ ﴾ [3]، قيل: معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا. وقيل: هذا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ، كما قيل للنبي ﷺ متى كنت نبيا؟ قال: « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » [4] [5]. وقال الأكثرون: أوتي الإنجيل وهو صغير طفل، وكان يعقل عقل الرجال. وعن الحسن أنه قال: ألهم التوراة وهو في بطن أمه.

[٣١] ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ ﴾ [6]، أي نفاعا حيث ما توجهت. وقال مجاهد: معلما للخير. وقال عطاء: أدعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته. وقيل: مباركا على من تبعني: ﴿ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [7]، أي أمرني بهما، فإن قيل: لم يكن

---

(١) سورة الإسراء آية : ٩٣.

(٢) سورة مريم آية : ٣٠.

(٣) سورة مريم آية : ٣٠.

(٤) الترمذي المناقب (٣٦٠٩).

(٥) صححه الحاكم في المستدرك ٢ / ٦٠٩ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٧٩ والبخاري في تاريخه ٧ / ٣٧٤.

(٦) سورة مريم آية : ٣١.

(٧) سورة مريم آية : ٣١.

لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة؟ قيل: معناه بالزكاة لو كان لي مال. وقيل: أوصاني بالزكـاة أي أمرني أن أوصيكـم بالزكاة. وقيل: بالاستكثار من الخير. ﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (١).

[٣٢] ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ (٢) أي وجعلني برا بوالدتي، ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٣)، أي عاصيا لربه. وقيل: الشقي الذي يذنب ولا يتوب.

[٣٣] ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ ﴾ (٤)، أي السلام عند الولادة من طعن الشيطان. ﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾ (٥)، أي عند الموت من الشرك، ﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (٦)، من الأهوال، فلما كلمهم عيسى بذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

[٣٤] ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (٧)، قال الزجاج: أي ذلك الذي قال: إني عبد الله عيسى ابن مريم، ﴿ قَوْلُ الْحَقِّ ﴾ (٨)، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾ (٩) بنصب اللام وهو نصب على المصدر أي: قال: قول الحق، ﴿ الَّذِي فِيهِ

---

(١) سورة مريم آية : ٣١.
(٢) سورة مريم آية : ٣٢.
(٣) سورة مريم آية : ٣٢.
(٤) سورة مريم آية : ٣٣.
(٥) سورة مريم آية : ٣٣.
(٦) سورة مريم آية : ٣٣.
(٧) سورة مريم آية : ٣٤.
(٨) سورة مريم آية : ٣٤.
(٩) سورة مريم آية : ٣٤.

﴿ يَمْتَرُونَ ﴾[1]، يختلفون، فقائل يقول: هو ابن الله، وقائل يقول: هو الله، وقائل يقول: هو ساحر كذاب، وقرأ الآخرون برفع اللام يعني هو قول الحق، أي هذا الكلام هو قول الحق، أضاف القول إلى الحق، كما قال: حق اليقين، ووعد الصدق، وقيل: هو نعت لعيسى ابن مريم، يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله الحق هو الله الذي فيه يمترون ويشكون ويختلفون ويقولون غير الحق، ثم نفى عن نفسه الولد، ثم عظم نفسه فقال:

[٣٥] ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾[2]، أي ما كان من صفته اتخاذ الولد. وقيل: اللام منقولة أي ما كان الله أن يتخذ من ولد، ﴿ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾[3]، إذا أراد أن يحدث أمرا، ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[4].

[٣٦] ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾[5]، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو أن الله بفتح الألف يرجع إلى قوله: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾[6] وبأن الله ربي وربكم، وقرأ أهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الألف على الاستئناف، ﴿ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[7].

---

(١) سورة مريم آية : ٣٤.
(٢) سورة مريم آية : ٣٥.
(٣) سورة مريم آية : ٣٥.
(٤) سورة مريم آية : ٣٥.
(٥) سورة مريم آية : ٣٦.
(٦) سورة مريم آية : ٣١.
(٧) سورة مريم آية : ٣٦.

[٣٧] قوله: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ ﴾[(١)]، يعني النصارى سموا أحزابا لأنهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى، النسطورية والملكانية واليعقوبية. ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧ ﴾[(٢)]، يعني يوم القيامة.

[٣٨] ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ ﴾[(٣)]، أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر، أخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا. قال الكلبي: لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ﴾[(٤)] الآية. ﴿ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٣٨ ﴾[(٥)]، أي: في خطأ بين.

قوله تعالى وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

[٣٩] ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾[(٦)]، فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وذبح الموت. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرقون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود

(١) سورة مريم آية : ٣٧.
(٢) سورة مريم آية : ٣٧.
(٣) سورة مريم آية : ٣٨.
(٤) سورة المائدة آية : ١١٦.
(٥) سورة مريم آية : ٣٨.
(٦) سورة مريم آية : ٣٩.

فلا موت ﴾ [1] [2] ثم قرأ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [3]. ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ [4]. أي عما يفعل بهم في الآخرة، ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [5]، لا يصدقون.

[٤٠] قوله ﷻ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ [6] أي نميت سكان الأرض ونهلكهم جميعا، ويبقى الرب وحده فيرثهم، ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [7]، فنجزيهم بأعمالهم.

[٤١] ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [8]، الصديق الكثير الصدق القائم عليه. وقيل: من صدق الله في وحدانيته، وصدق أنبياءه ورسله، وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها، فهو الصديق. والنبي العالي في الرتبة بإرسال الله تعالى إياه.

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٤٥٣)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٩)، الترمذي صفة الجنة (٢٥٥٨)، أحمد (٩/٣).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير ٨ / ٤٢٨ ومسلم في الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٤٩) ٤ / ٢١٨٨.

(٣) سورة مريم آية : ٣٩.

(٤) سورة مريم آية : ٣٩.

(٥) سورة مريم آية : ٣٩.

(٦) سورة مريم آية : ٤٠.

(٧) سورة مريم آية : ٤٠.

(٨) سورة مريم آية : ٤١.

[٤٢] قوله تـعالـى: ﴿ إِذْ قَالَ ﴾[1]، إبراهيم، ﴿ لِأَبِيهِ ﴾[2]، آزر وهو يعبد الأصنام، ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ﴾[3]، صوتا، ﴿ وَلَا يُبْصِرُ ﴾[4]، شيئا، ﴿ وَلَا يُغْنِي عَنكَ ﴾[5]، أي لا يكفيك، ﴿ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾[6].

[٤٣] ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[7]، بالله والمعرفة، ﴿ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ ﴾[8]، على ديني، ﴿ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾[9]، مستقيما.

[٤٤] ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾[10]، لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك، ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾[11]، عاصيا، كان بمعنى الحال، أي هو كذلك.

[٤٥] ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ ﴾[1]، أي أعلم، ﴿ أَن يَمَسَّكَ ﴾[2]، يصيبك، ﴿ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾[3]، إن أقمت على الكفر، ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾[4]، قرينا في النار.

---

(١) سورة مريم آية : ٤٢.
(٢) سورة مريم آية : ٤٢.
(٣) سورة مريم آية : ٤٢.
(٤) سورة مريم آية : ٤٢.
(٥) سورة مريم آية : ٤٢.
(٦) سورة مريم آية : ٤٢.
(٧) سورة مريم آية : ٤٣.
(٨) سورة مريم آية : ٤٣.
(٩) سورة مريم آية : ٤٣.
(١٠) سورة مريم آية : ٤٤.
(١١) سورة مريم آية : ٤٤.

[٤٦] ﴿ قَالَ ﴾ [٥] أبوه مجيبا له، ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ [٦]، لئن لم تسكـت وترجـع عن عيبـك آلهتنا وشتمك إياها، ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ [٧]، قال الكلبي ومقاتل والضحاك: لأشتمنك ولأبعدنك عني بالقول القبيح. قال ابن عبـاس: لأضربنك. وقـال الحسن: لأقتلنك بالحجـارة. ﴿ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [٨]، قال الكلبي: اجتنبني طويلا. وقال مجاهد وعكرمة: حينا. وقال سعيد بن جبير: دهرا. أصله المكث، ومنه يقال: تمليت حينا، والملوان: الليل والنهار. وقال قتادة وعطاء: سالما. وقال ابن عباس: اعتزلني سالما لا تصيبك مني معرة، يقال: فلان ملي بأمر كذا إذا كان كافيا.

[٤٧] ﴿ قَالَ ﴾ [٩] إبراهيم، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ [١٠]، أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره. وقيل: هذا سلام هجران ومفارقة. وقيل: سلام بر ولطـف، هـو جواب الحليـم للسفيـه. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [١١]. ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ

(١) سورة مريم آية : ٤٥.
(٢) سورة مريم آية : ٤٥.
(٣) سورة مريم آية : ٤٥.
(٤) سورة مريم آية : ٤٥.
(٥) سورة مريم آية : ٤٦.
(٦) سورة مريم آية : ٤٦.
(٧) سورة مريم آية : ٤٦.
(٨) سورة مريم آية : ٤٦.
(٩) سورة مريم آية : ٤٧.
(١٠) سورة مريم آية : ٤٧.
(١١) سورة الفرقان آية : ٦٣.

لَكَ رَبِّيٓ ۖ ﴾ [(١)]، قيل. إنه لما أعياه أمره ووعده أن يراجع الله فيه، فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له، معناه سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة. ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ ﴾ [(٢)]، برا لطيفا. قال الكلبي: عالما يستجيب لي إذا دعوته. قال مجاهد: عودني الإجابة لدعائي.

[٤٨] ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [(٣)]، أي: أعتزل ما تعبدون من دون الله. قال مقاتل: كان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من كوثى، فهاجر منها إلى الأرض المقدسة، ﴿ وَأَدۡعُواْ رَبِّي ﴾ [(٤)]، أي أعبد ربي، ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ ﴾ [(٥)]، أي عسى ألا أشقى بدعائه وعبادته، كما أنتم تشقون بعبادة الأصنام. وقيل: عسى أن يجيبني إذا دعوته ولا يخيبني.

[٤٩] ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [(٦)]، فذهب مهاجرا.

[٥٠] ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا ﴾ [(٧)] أي: نعمتنا. قال الكلبي: المال والولد، وهو قول الأكثرين، قالوا معناه: ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق. وقيل: الكتاب والنبوة، ﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠ ﴾ [(٨)]، يعني ثناء حسنا رفيعا في كل أهل الأديان، فكلهم يتولونم ويثنون عليهم.

---

(١) سورة مريم آية : ٤٧.
(٢) سورة مريم آية : ٤٧.
(٣) سورة مريم آية : ٤٨.
(٤) سورة مريم آية : ٤٨.
(٥) سورة مريم آية : ٤٨.
(٦) سورة مريم آية : ٤٩.
(٧) سورة مريم آية : ٥٠.
(٨) سورة مريم آية : ٥٠.

قوله تعالى وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًا....

[٥١] قوله ﷻ ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا ﴾[١]، غير مراء أخلص العبادة والطاعة لله عز وجل. وقرأ أهل الكوفة ميم مخلصا بفتح اللام أي مختارا اختاره الله عز وجل. وقيل: أخلصه الله من الدنس ﴿ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١ ﴾[٢].

[٥٢] ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ ﴾[٣]، يعني يمين موسى، والطور: جبل بين مصر ومدين. ويقال اسمه الزبير، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار ﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠ ﴾[٤]. ﴿ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢ ﴾[٥]، أي: مناجيا، فالنجي المناجي، كما يقال: جليس ونديم. قال ابن عباس: معناه قربه فكلمه، ومعنى التقريب إسماعه كلامه. وقيل: رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم.

[٥٣] ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ۝٥٣ ﴾[٦]، وذلك حين دعا موسى فقال: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ ﴾[٧] ﴿ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ﴾[٨]، فأجاب الله دعاءه وأرسل إلى هارون، ولذلك سماه هبة له.

---

(١) سورة مريم آية : ٥١.
(٢) سورة مريم آية : ٥١.
(٣) سورة مريم آية : ٥٢.
(٤) سورة القصص آية : ٣٠.
(٥) سورة مريم آية : ٥٢.
(٦) سورة مريم آية : ٥٣.
(٧) سورة طه آية : ٢٩.
(٨) سورة طه آية : ٣٠.

[٥٤] ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ ﴾[(١)]، وهو إسماعيل بن إبراهيم جد النبي ﷺ ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ ﴾[(٢)]، قال مجاهـد: لم يعد شيئا إلا وفى به ﴿ وَكَانَ رَسُولاً ﴾[(٣)]، إلى جرهم، ﴿ نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾[(٤)]، مخبرا عن الله عز وجل.

[٥٥] ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ ﴾[(٥)] أي: قومه. وقيل: أهله وجميع أمته، ﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾[(٦)]، قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله تعالى عليهم، وهي الحنيفية التي افترضت علينا، ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾[(٧)]، قائما لله بطاعته. وقيل: رضيه الله ﷻ لنبوته ورسالته.

[٥٦] قوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ ﴾[(٨)]، هو جد أبي نوح، واسمه: أخنوخ، سمي إدريس لكثرة درسه الكتب. وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس الثياب المخيطة، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح، وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم النجوم والحساب، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾[(٩)].

---

(١) سورة مريم آية : ٥٤.
(٢) سورة مريم آية : ٥٤.
(٣) سورة مريم آية : ٥٤.
(٤) سورة مريم آية : ٥٤.
(٥) سورة مريم آية : ٥٥.
(٦) سورة مريم آية : ٥٥.
(٧) سورة مريم آية : ٥٥.
(٨) سورة مريم آية : ٥٦.
(٩) سورة مريم آية : ٥٦.

[٥٧] ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [1]، قيل: هي الجنة. وقيل: هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا. وقيل: إنه رفع إلى السماء الرابعة.

[٥٨] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ [2]، أي إدريس ونوحا، ﴿ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ ﴾ [3]، أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم لأنه ولد سام بن نوح، ﴿ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [4]، يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب، قوله: ﴿ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [5]، أي ومن ذرية إسرائيل وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى، ﴿ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ ﴾ [6]، هؤلاء كانوا من أرشدنا واصطفينا، ﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ﴾ [7]، سجدا جمع ساجد وبكيا جمع باك، أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا.

[٥٩] قوله تعالى: ﴿ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ ﴾ [8]، أي: من بعد النبيين المذكورين خلف وهم قوم سوء والخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح قال السدي: أراد بهم اليهود ومن لحق بهم. وقال مجاهد وقتادة: هم قوم في هذه الأمة، ﴿ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [9]، تركوا الصلاة المفروضة. وقال ابن مسعود وإبراهيم:

---

(١) سورة مريم آية : ٥٧.
(٢) سورة مريم آية : ٥٨.
(٣) سورة مريم آية : ٥٨.
(٤) سورة مريم آية : ٥٨.
(٥) سورة مريم آية : ٥٨.
(٦) سورة مريم آية : ٥٨.
(٧) سورة مريم آية : ٥٨.
(٨) سورة مريم آية : ٥٩.
(٩) سورة مريم آية : ٥٩.

أخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العـصر حتى تغرب الشمس، ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ ﴾ [1]، أي المعاصي وشرب الخمر، أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله. وقال مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ي وا بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة. ﴿ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [2]، قال ابن وهب: الغي نر في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه. وقال ابن عباس: الغي واد في جهنم، وإن أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزاني المصر عليه، ولشارب الخمر المدمن عليها، ولآكل الربا الذي لا ي ع عنه، ولأهل العقوق ولشاهد الزور، ولا مرأة أدخلت على زوجها ولدا، وقال عطاء: الغي واد في جهنم يسيل قيحا ودما. وقال كعب: هو واد في جهنم أبعدها قعرا، وأشدها حرا فيه بئر تسمى الهيم، كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فيسعر با جهنم وقال الضحاك: غيا وخسرانا. وقيل: هلاكا. وقيل: عذابا. وقوله: ﴿ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [3] ليس مراده يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الروية.

[٦٠] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ [4].

[٦١] ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴾ [1]، ولم يروها، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ ﴾ [2]، يعني أتيا مفعول بمعنى فاعل. وقيل: لم يقل

---

(١) سورة مريم آية : ٥٩.

(٢) سورة مريم آية : ٥٩.

(٣) سورة مريم آية : ٥٩.

(٤) سورة مريم آية : ٦٠.

أتيا لأن كل من أتاك فقد أتته، والعرب لا تفرق بين قول القائل أتت علي خمسون سنة وبين قوله أتيت على خمسين سنة، ويقول: وصل إلي الخير ووصلت إلى الخير، قال ابن جرير: وعده أي موعوده، وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته.

[٦٢] ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ (٣)، في الجنة ﴿ لَغْوًا ﴾ (٤)، باطلا وفحشا وفضولا من الكلام. وقال مقاتل: هو اليمين الكاذبة، ﴿ إِلَّا سَلَـٰمًا ﴾ (٥)، استثناء من غير جنسه يعني بل يسمعون فيها سلاما أي قولا يسلمون منه، والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن السلامة، معناه إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم، إنما يسمعون ما يسلمهم. وقيل: هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم. وقيل: هو تسليم الله عليهم، ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ﴾ (٦)، قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي، بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار. وقيل: إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل بإرخاء الحجب. وقيل: المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق، وكان الحسن البصري يقول: كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي، فوصف الله عز وجل أهل جنته بذلك.

---

(١) سورة مريم آية : ٦١.
(٢) سورة مريم آية : ٦١.
(٣) سورة مريم آية : ٦٢.
(٤) سورة مريم آية : ٦٢.
(٥) سورة مريم آية : ٦٢.
(٦) سورة مريم آية : ٦٢.

[٦٣] ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [(١)] أي: نعطي وننزل. وقيل: يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا، ﴿ مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ [(٢)]، أي المتقين من عباده.

[٦٤] ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [(٣)] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿ يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ ﴾ [(٤)] فنزلت ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [(٥)] الآية: قال: كان هذا الجواب لمحمد ﷺ [(٦)]. وقال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي: ﴿ احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فقال: أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله، حتى شق ذلك على النبي ﷺ ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ " أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك "، فقال له جبريل: إني كنت أشوق، ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست، فأنزل الله ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [(٧)] وأنزل: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [(٨)]. ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ

(١) سورة مريم آية : ٦٣.
(٢) سورة مريم آية : ٦٣.
(٣) سورة مريم آية : ٦٤.
(٤) البخاري التوحيد (٧٠١٧)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٥٨)، أحمد (٣٥٧/١).
(٥) سورة مريم آية : ٦٤.
(٦) أخرجه البخاري في التفسير ٨ / ٤٢٨ وفي التوحيد ١٣ / ٤٤٠ والمصنف في شرح السنة ١٣ / ٣٢٥.
(٧) سورة مريم آية : ٦٤.
(٨) سورة الضحى آية ١: - ٣.

ذَٰلِكَۚ ﴾ [1]، أي له علم ما بين أيدينا، واختلفوا فيه فقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل: ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب، وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك ما يكون هذا من الوقت إلى قيام الساعة، وقيل: ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك أي ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة. وقيل: ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها، وما بين ذلك مدة حياتنا. وقيل: ما بين أيدينا بعد أن نموت وما خلفنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة. وقيل: ما بين أيدينا من الأرض إذا أردنا الـ ول إليها وما خلفنا السماء إذا نزلنا منها، وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله ﷻ فلا نقدر علـى شيء إلا بأمـره. ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [2]، أي ناسيا، يقول: ما نسيك ربك أي ما تركك، والناسي التارك.

[٦٥] ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ ﴾ [3] أي اصبر على أمره ونيه، ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [4]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثلا. وقال سعيد بن جبير: عدلا. وقال الكلبي. هل تعلم أحدا يسمى الله غيره.

قوله تعالى وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِت لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيا....

[٦٦] ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ [5]، يعني أبي بن خلف الجمحي كان منكرا للبعث، قال: ﴿ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾ [1]، من القبر، قاله استهزاء وتكذيبا للبعث.

---

(١) سورة مريم آية : ٦٤.

(٢) سورة مريم آية : ٦٤.

(٣) سورة مريم آية : ٦٥.

(٤) سورة مريم آية : ٦٥.

(٥) سورة مريم آية : ٦٦.

[٦٧] قال الله ﷻ ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ﴾[٢]، أي يتذكر ويتفكر، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب يذكر خفيف، ﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾[٣]، يعني أبي بن خلف ﴿ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾[٤]، أي لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة، ثم أقسم بنفسه، فقال:

[٦٨] ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾[٥] أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث، ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾[٦]، مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة، ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ ﴾[٧]، قيل: في جهنم، ﴿ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾[٨]، قال ابن عباس ﵄ جماعات، جمع جثوة، وقال الحسن والضحاك: جمع جاث أي جاثين على الركب. قال السدي: قائمين على الركب لضيق المكان.

[٦٩] ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ ﴾[٩]، لنخرجن، ﴿ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾[١٠]، أي من كل أمة وأهل دين من الكفار. ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾[١١]، عتوا قال ابن

(١) سورة مريم آية : ٦٦.
(٢) سورة مريم آية : ٦٧.
(٣) سورة مريم آية : ٦٧.
(٤) سورة مريم آية : ٦٧.
(٥) سورة مريم آية : ٦٨.
(٦) سورة مريم آية : ٦٨.
(٧) سورة مريم آية : ٦٨.
(٨) سورة مريم آية : ٦٨.
(٩) سورة مريم آية : ٦٩.
(١٠) سورة مريم آية : ٦٩.
(١١) سورة مريم آية : ٦٩.

عباس رضي الله عنهما: يعني جرأة. وقال مجاهد: فجورا يريد الأعتى فالأعتى. وقال الكلبي: قائدهم ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال النار من هو أكبر جرما وأشد كفرا. وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلمين مغلولين، ثم يقدم الأكفر فالأكفر ورفع أيهم على معنى الذي، يقال لهم: أيهم أشد على الرحمن عتيا. وقيل على الاستئناف، ثم لننزعن يعمل في موضع من كل شيعة.

[٧٠] ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾(١)، أي أحق بدخول النار، يقال: صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا، صلى يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا إذا دخل النار وقاسى حرها.

[٧١] ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾(٢)، أي وما منكم إلا واردها، وقيل: القسم في مضمر أي والله ما منكم من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة المكان، واختلفوا في الورود هاهنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله: ﴿ وَارِدُهَا ﴾ (٣) قال ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الأكثرين معنى الورود هاهنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المتقين، فيخرجهم منها، والدليل على أن الورود هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ (٤) وقال قوم: ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا: النار لا يدخلها مؤمن أبدا، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾

---

(١) سورة مريم آية : ٧٠.

(٢) سورة مريم آية : ٧١.

(٣) سورة مريم آية : ٧١.

(٤) سورة هود آية : ٩٨.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [1]، وقالوا: كل من دخلها لا يخرج منها، والمـراد مـن قوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [2]، الحضور والرؤية، لا الدخول، كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [3] أراد به الحضور. وروي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: وإن منكم إلا واردها يعني القيامة والكناية راجعة إليها، والأول أصح، وعليه أهل السنة أنم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله ﷻ منها أهل الإيمان، بدليل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [4]، أي اتقوا الشرك، وهم المؤمنون. والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت والدليل على هذا ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم ﴾ [5] [6] وأراد بالقسم قوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [7]. عن أنس عن النبي ﷺ قال: ﴿ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير. ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير ﴾ [8] [9] وقال أبان عن قتادة " من

---

(١) سورة الأنبياء آية :١٠١ - ١٠٢.

(٢) سورة مريم آية : ٧١.

(٣) سورة القصص آية : ٢٣.

(٤) سورة مريم آية : ٧٢.

(٥) البخاري الجنائز (١١٩٣)، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٣٤)، النسائي الجنائز (١٨٧٦)، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٦٠٣)، أحمد (٣/٣٤).

(٦) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور ١١ / ٥٤١ ومسلم في البر والصلة برقم (٢٦٣٢) ٤ / ٢٠٢٨.

(٧) سورة مريم آية : ٧١.

(٨) البخاري الإيمان (٤٤)، مسلم الإيمان (١٩٣)، الترمذي صفة جهنم (٢٥٩٣)، ابن ماجه الزهد (٤٣١٢)، أحمد (٣/١١٦).

(٩) أخرجه البخاري في الإيمان ١ / ١٠٣ ومسلم في الإيمان رقم (١٩٢) ١ / ١٨٢. ،.

إيمان " مكان " خير " وأما قوله ﷻ ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ ﴾ [1] قيل: إن الله ﷻ أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكون قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل لم يسمعوا حسيسها ويجوز ألا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها، لأن الله ﷻ يجعلها عليهم بردا وسلاما. ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمًا مَّقۡضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [2]، أي كان ورودكم جهنم حتما لازما مقضيا قضاه الله عليكم.

[٧٢] ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [3]، أي اتقوا الشرك، وقرأ الكسائي (ننجي) بالتخفيف، والباقون بالتشديد ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [4]، جميعا. وقيل: جاثين على الركب، وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين، وترك فيها الظالمين، وهم المشركون.

[٧٣] ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ ﴾ [5]، واضحات، ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [6]، يعني النضر بن الحارث وذويه من قريش، ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [7]، يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون أشعارهم ويدهنون رءوسهم ويلبسون ثيابهم، فقالوا

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١٠٢.
(٢) سورة مريم آية : ٧١.
(٣) سورة مريم آية : ٧٢.
(٤) سورة مريم آية : ٧٢.
(٥) سورة مريم آية : ٧٣.
(٦) سورة مريم آية : ٧٣.
(٧) سورة مريم آية : ٧٣.

للمؤمنين: ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾[1]، م لا ومسكنا، وهو موضع الإقامة، وقرأ ابن كثير: (مقاما) بضم الميم أي إقامة، ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾[2]، أي مجلسا، ومثله النادي، فأجابهم الله تعالى فقال:

[٧٤] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا ﴾[3]، أي متاعا وأموالا. وقال مقاتل: لباسا وثيابا، ﴿ وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾[4]، قرأ أكثر القراء بالهمز أي منظرا من الرؤية، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش ريا مشددا بغير همز، وله تفسيران، أحدهما: هو الأول بطرح الهمز والثاني من الري الذي هو ضد العطش، ومعناه الارتواء من النعمة، فإن المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذبول الفقر.

[٧٥] ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ ﴾[5]، هذا أمر بمعنى الخبر، معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ ﴾[6]، وهو الأسر والقتل في الدنيا، ﴿ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾[7]، يعني القيامة فيدخلون النار، ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾[8]، عند ذلك ﴿ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾[9]،

---

(١) سورة مريم آية : ٧٣.
(٢) سورة مريم آية : ٧٣.
(٣) سورة مريم آية : ٧٤.
(٤) سورة مريم آية : ٧٤.
(٥) سورة مريم آية : ٧٥.
(٦) سورة مريم آية : ٧٥.
(٧) سورة مريم آية : ٧٥.
(٨) سورة مريم آية : ٧٥.
(٩) سورة مريم آية : ٧٥.

ه لا، ﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾[1]، أقل ناصرا أهم أم المؤمنون؟ لأنم في النار والمؤمنون في الجنة. وهذا رد عليهم في قوله: ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾[2].

[٧٦] ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ ﴾[3]، أي إيمانا وإيقانا على يقينهم، ﴿ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ ﴾[4]، الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها، ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾[5] عاقبة ومرجعا.

قوله تعالى أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا....

[٧٧] قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾[6] عن مسروق حدثنا خباب قال: كنت قينا فعملت للعاص بن وائل فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: أما والله حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إنه سيكون لي ثم مال وولد فأقضيك، فأنزل الله ﷻ ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾[7] [8].

---

(١) سورة مريم آية : ٧٥.
(٢) سورة مريم آية : ٧٣.
(٣) سورة مريم آية : ٧٦.
(٤) سورة الكهف آية : ٤٦.
(٥) سورة مريم آية : ٧٦.
(٦) سورة مريم آية : ٧٧.
(٧) سورة مريم آية : ٧٧.
(٨) أخرجه البخاري في التفسير ٨ / ٤٣٠.

[٧٨] ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ ﴾[١]، قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أعلم الغيب حتى يعلم في الجنة هو أم لا؟ ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾[٢]، يعني قال: لا إله إلا الله. وقال قتادة: يعني أعمل عملا صالحا قدمه؟ وقال الكلبي: أعهد إليه أن يدخل الجنة.

[٧٩] ﴿ كَلَّا ۚ ﴾[٣]، رد عليه يعني لم يفعل ذلك، ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾[٤]، سنحفظ عليه، ﴿ مَا يَقُولُ ﴾[٥]، فنجازيه به في الآخرة. وقيل: نأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول. ﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ ﴾[٦]، أي نزيده عذابا فوق العذاب. وقيل: نطيل مدة عذابه.

[٨٠] ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾[٧]، أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه وقوله ما يقول لأنه زعم أن له مالا وولدا في الآخرة، أي لا نعطيه ونعطي غيره فيكون الإرث راجعا إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول. وقيل: معنى قوله: ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾[٨] أي: نحفظ ما يقول حتى نجازيه به، ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾[٩]، يوم القيامة لا مال ولا ولد.

---

(١) سورة مريم آية : ٧٨.
(٢) سورة مريم آية : ٧٨.
(٣) سورة مريم آية : ٧٩.
(٤) سورة مريم آية : ٧٩.
(٥) سورة مريم آية : ٧٩.
(٦) سورة مريم آية : ٧٩.
(٧) سورة مريم آية : ٨٠.
(٨) سورة مريم آية : ٨٠.
(٩) سورة مريم آية : ٨٠.

[٨١] ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ [١] يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونا، ﴿ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ۝٨١ ﴾ [٢]، أي منعة، يعني يكونون لهم شفعاء يمنعونم من العذاب.

[٨٢] ﴿ كَلَّاۚ ﴾ [٣]، أي ليس الأمر كما زعموا، ﴿ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ ﴾ [٤]، أي يجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونا عبادة المشركين ويتبرءون منهم، كما أخبر الله تعالى: ﴿ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ۝٦٣ ﴾ [٥]، ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ۝٨٢ ﴾ [٦] أي أعداء لهم، وكانوا أولياءهم في الدنيا. وقيل: أعوانا عليهم يكذبونم ويلعنونم.

[٨٣] ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [٧]، أي سلطناهم عليهم وذلك حين قال لإبليس: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ [٨]، الآية ﴿ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا ۝٨٣ ﴾ [٩]، تزعجهم إزعاجا من الطاعة إلى المعصية، والأز والهز التحريك أي تحركهم وتحثهم على المعاصي.

---

(١) سورة مريم آية : ٨١.
(٢) سورة مريم آية : ٨١.
(٣) سورة مريم آية : ٨٢.
(٤) سورة مريم آية : ٨٢.
(٥) سورة القصص آية : ٦٣.
(٦) سورة مريم آية : ٨٢.
(٧) سورة مريم آية : ٨٣.
(٨) سورة الإسراء آية : ٦٤.
(٩) سورة مريم آية : ٨٣.

[٨٤] ﴿ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ [١]، أي لا تطلب عقوبتهم، ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ۝٨٤ ﴾ [٢]، قال الكلبي: يعني الليالي والأيام والشهور والأعوام. وقيل: الأنفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الأجل الذي أجل لعذابهم.

[٨٥] قوله: ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ۝٨٥ ﴾ [٣] أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته ﴿ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ [٤] أي إلى جنته وفدا أي جماعات جمع وافد، مثل راكب وركب. وصاحب وصحب. وقال ابن عباس: ركبانا. وقال أبو هريرة: على الإبل. وقال علي بن أبي طالب: ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت.

[٨٦] ﴿ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [٥]، الكافرين الكاذبين، ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ۝٨٦ ﴾ [٦]، أي مشاة. وقيل: عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش. والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش.

[٨٧] ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ۝٨٧ ﴾ [٧]، يعني لا إله إلا الله. وقيل: معناه لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا يعني المؤمنين،

---

(١) سورة مريم آية : ٨٤.
(٢) سورة مريم آية : ٨٤.
(٣) سورة مريم آية : ٨٥.
(٤) سورة مريم آية : ٨٥.
(٥) سورة مريم آية : ٨٦.
(٦) سورة مريم آية : ٨٦.
(٧) سورة مريم آية : ٨٧.

كقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ ﴾ [1]، وقيل: لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله أي لا يشفع إلا المؤمن.

قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا....

[٨٨] ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [2]، يعني اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله، وقرأ حمزة والكسائي (ولدا) بضم الواو وسكون اللام هاهنا وفي الزخرف وسورة نوح، ووافق ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في سورة نوح، والباقون بفتح الواو هاهنا، وهما لغتان مثل العرب والعرب العجم والعجم.

[٨٩] ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾ [3]، قال ابن عباس: منكرا. وقال قتادة ومجاهد: عظيما. وقال مقاتل: لقد قلتم قولا عظيما. والإد في كلام العرب أعظم الدواهي.

[٩٠] ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ [4]، قرأ نافع والكسائي يكاد بالياء هاهنا وفي حمعسق لتقدم الفعل، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السماوات، ﴿ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ [5]، ها هنا وفي حمعسق بالنون من الانفطار، أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب وافق ابن عامر وحمزة هاهنا لقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ ﴾ [6] و ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ ﴾ [7]، وقرأ الباقون بالتاء من

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٨.

(٢) سورة مريم آية : ٨٨.

(٣) سورة مريم آية : ٨٩.

(٤) سورة مريم آية : ٩٠.

(٥) سورة مريم آية : ٩٠.

(٦) سورة الانفطار آية : ١.

(٧) سورة المزمل آية : ١٨.

التفطير ومعناهما واحد، يقال: انفطر الشيء وتفطر أي تشقق، ﴿ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ ﴾ [1]، أي: تنكسر كسرا. وقيل: تنشق الأرض أي تنخسف بهم، والانفطار في السماء أن تسقط عليهم وتخر الجبال هدا أي تنطبق عليهم.

[٩١] ﴿ أَن دَعَوْا ﴾ [2]، أي من أجل أن جعلوا.

[﴿ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ ﴾ [3]]، قال ابن عباس وكعب: فزعت السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا: اتخذ الله ولدا، ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال:

[٩٢] ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ ﴾ [4]، أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به.

[٩٣] ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [5]، أي إلا آتيه يوم القيامة، ﴿ عَبْدًا ۝٩٣ ﴾ [6] ذليلا خاضعا يعني الخلق كلهم عبيده.

[٩٤] ﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ ﴾ [7] أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم، فلا يخفى عليه شيء.

---

(١) سورة مريم آية : ٩٠.
(٢) سورة مريم آية : ٩١.
(٣) سورة مريم آية : ٩١.
(٤) سورة مريم آية : ٩٢.
(٥) سورة مريم آية : ٩٣.
(٦) سورة مريم آية : ٩٣.
(٧) سورة مريم آية : ٩٤.

[٩٥] ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [(١)] وحيدا ليس معه من الدنيا شيء.

[٩٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [(٢)]

أي: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله ويحببهم إلى عباده المؤمنين. عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا أحب الله العبد قال لجبرائيل: قد أحببت فلانا فأحبه، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله ﷻ قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض العبد » [(٣)] قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك [(٤)].

[٩٧] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [(٥)]، أي سهلنا القرآن بلسانك يا محمد، ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [(٦)]، يعني المؤمنين، ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [(٧)] شدادا في الخصومة، جمع الألد. وقال الحسن: صما عن الحق، قال مجاهد: الألد الظالم الذي لا يستقيم. قال أبو عبيدة: الألد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل.

---

(١) سورة مريم آية : ٩٥.

(٢) سورة مريم آية : ٩٦.

(٣) البخاري التوحيد (٧٠٤٧)، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٣٧)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٦١)، أحمد (٣٤١/٢)، مالك الجامع (١٧٧٨).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ٢ / ٩٥٣ والبخاري في الأدب ١٠ / ٤٦١ ومسلم في البر والصلة رقم (٢٦٣٧) ٤ / ٢٠٣٠.

(٥) سورة مريم آية : ٩٧.

(٦) سورة مريم آية : ٩٧.

(٧) سورة مريم آية : ٩٧.

[٩٨] ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ ﴾ [١]، هل ترى، وقيل: هل تجد ﴿ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾ ﴾ [٢]، أي صوتا، والركز: الصوت الخفي، قال الحسن: أي بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر.

(١) سورة مريم آية : ٩٨.

(٢) سورة مريم آية : ٩٨.

(٢٠) سورة طه

قوله تعالى طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى....

[١] ﴿ طه ﴿١﴾ ﴾ [(١)]، قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء، وبكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما، قيل: هو قسم. وقيل: اسم من أسماء الله تعالى. وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك: معناه يا رجل. وقال قتادة: هو يا رجل بالسريانية. وقال الكلبي: هو يا إنسان بلغة عك. وقال مقاتل: معناه طأ الأرض بقدميك يريد في التهجد. وقال محمد بن كعب القرظي: هو قسم أقسم الله ﷻ بطوله وهدايته. قال سعيد بن جبير: الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هاد، قال الكلبي: لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يخفف على نفسه فقال:

[٢] ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ [(٢)]، وقيل: لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا: ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك، فنزلت ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ [(٣)] أي لتعني وتتعب، وأصل الشقاء في اللغة العناء.

[٣] ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [(٤)]، أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى. وقيل: تقديره ما أنزل عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى.

---

(١) سورة طه آية : ١.

(٢) سورة طه آية : ٢.

(٣) سورة طه آية : ٢.

(٤) سورة طه آية : ٣.

[٤] ﴿ تَنزِيلاً ﴾ [(١)]، بدل من قوله تذكرة، ﴿ مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ [(٢)] أي من الله الذي خلق الأرض، ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝ ﴾ [(٣)]، يعني العالية الرفيعة وهي جمع العليا كقولهم كبرى وصغرى وصغر.

[٥] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [(٤)].

[٦] ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [(٥)]، يعني الهواء، ﴿ وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ ﴾ [(٦)]، والثرى هو التراب الندي.

[٧] ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ ﴾ [(٧)]، أي تعلن به ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝ ﴾ [(٨)]، قال الحسن: السر ما أسره الرجل إلى غيره، وأخفى من ذلك ما أسر من نفسه. وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: السر ما تسر في نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله ﷻ في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك تعلم ما تسر به اليوم وما تعلم ما تسر به غدا، والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسر به غدا. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: السر ما أسر ابن آدم في نفسه، والخفي ما خفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعمله.

(١) سورة طه آية : ٤.
(٢) سورة طه آية : ٤.
(٣) سورة طه آية : ٤.
(٤) سورة طه آية : ٥.
(٥) سورة طه آية : ٦.
(٦) سورة طه آية : ٦.
(٧) سورة طه آية : ٧.
(٨) سورة طه آية : ٧.

وقال مجاهد: السر: العمل الذي تسره من الناس، وأخفى: الوسوسة. وقيل: السر هو العزيمة وأخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه. وقال زيد بن أسلم: يعلم السر وأخفى أي يعلم أسرار العباد، وأخفى سره من عباده فلا يعلمه أحد، ثم وحد نفسه، فقال:

[٨] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [١].

[٩] ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ [٢]، أي قد أتاك استفهام بمعنى التقرير.

[١٠] ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا ﴾ [٣]، وذلك أن موسى استأذن شعيبا في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فأذن له فخرج بأهله وماله، وكانت أيام الشتاء فسار في البرية غير عارف بطرقها، فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ ﴾ [٤]، أقيموا، قرأ حمزة بضم الهاء ههنا وفي القصص، ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ ﴾ [٥]، أي أبصرت، ﴿ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ [٦]، قطعة من نار، والقبس قطعة من نار يأخذها في طرف عمود ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [٧]، أي أجد عند النار من يدلني على الطريق.

---

(١) سورة طه آية : ٨.

(٢) سورة طه آية : ٩.

(٣) سورة طه آية : ١٠.

(٤) سورة طه آية : ١٠.

(٥) سورة طه آية : ١٠.

(٦) سورة طه آية : ١٠.

(٧) سورة طه آية : ١٠.

[١١] ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا ﴾ [(١)] قال أهل التفسير: لم يكن الذي رآه موسى نارًا بل كان نورًا ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه نارا. وقال أكثر المفسرين: إنه نور الرب ﷻ وقال سعيد بن جبير: هي النار بعينها وهي إحدى حجب الله تعالى، يدل عليه ما روينا عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: « حجابه النار لو كشفها الله لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » [(٢)] [(٣)] ﴿ نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ ﴾ [(٤)].

[١٢] ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [(٥)]، قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو، " أني" بفتح الألف على معنى: نودي بأني، وقرأ الآخرون بكسر الألف أي نودي، فقيل: إني أنا ربك ﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ ﴾ [(٦)]، أي المطهر، ﴿ طُوٗى ۝١٢ ﴾ [(٧)]، وطوى اسم الوادي وقال الضحاك: طوى واد مستدير عميق مثل الطوى في استدارته.

قوله تعالى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى....

[١٣] ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ ﴾ [(٨)]، اصطفيتك برسالاتي، قرأ حمزة وأنّا مشددة النون، اخترناك على التعظيم ﴿ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ ﴾ [(٩)]، إليك.

---

(١) سورة طه آية : ١١.

(٢) مسلم الإيمان (١٧٩)، أحمد (٤/٤٠٥).

(٣) أخرجه مسلم في الايمان برقم (١٧٩) ١ / ١٦١.

(٤) سورة طه آية : ١١.

(٥) سورة طه آية : ١٢.

(٦) سورة طه آية : ١٢.

(٧) سورة طه آية : ١٢.

(٨) سورة طه آية : ١٣.

(٩) سورة طه آية : ١٣.

[١٤] ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾[1]، ولا تعبد غيري، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾[2]، قال مجاهد: أقم الصلاة لتذكرني بها، وقال مقاتل: إذا تركت صلاة ثم ذكرتها، فأقمها.

[١٥] ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾[3]، قيل: معناه إن الساعة آتية أخفيها وأكاد صلة وأكثر المفسرين قالوا: معناه أكاد أخفيها من نفسي وذكر ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون: كتمت سرك من نفسي أي أخفيته غاية الإخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء، وقال: أكاد أي أريد، ومعنى الآية: إن الساعة آتية أريد أخفيها، والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت، وقرأ الحسن بفتح الألف أي أظهرها، يقال: خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته، وقوله تعالى: ﴿ لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ ﴾[4]، أي تعمل من خير وشر.

[١٦] ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا ﴾[5]، فلا يصرفنك عن الإيمان بالساعة، ﴿ مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾[6]، مراده خالف أمر الله ﴿ فَتَرۡدَىٰ ١٦ ﴾[7]، أي فتهلك.

---

(١) سورة طه آية : ١٤.
(٢) سورة طه آية : ١٤.
(٣) سورة طه آية : ١٥.
(٤) سورة طه آية : ١٥.
(٥) سورة طه آية : ١٦.
(٦) سورة طه آية : ١٦.
(٧) سورة طه آية : ١٦.

[١٧] قوله ﷻ ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[(١)]، سؤال تقرير والحكمة في هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على أنا عصا حتى إذا قلبها حية علم أنه معجزة عظيمة، وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره: هل تعرف هذا؟ وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

[١٨] ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾[(٢)]، قيل: وكانت لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن ﴿ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا ﴾[(٣)]، أعتمد عليها إذا مشيت وإذا عييت وعند الوثبة، ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾[(٤)]، أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم، وقرأ عكرمة (وأهس) بالسين غير المعجمة، أي أزجر بها الغنم، والهس زجر الغنم، ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[(٥)]، حاجات ومنافع أخرى، جمع مأربة بفتح الراء، ولم يقل (أخر) لرؤوس الآي، وأراد بالمأرب ما يستعمل فيه العصا في السفر، فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر، ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع، ويستظل بها إذا قعد وغير ذلك.

[١٩] ﴿ قَالَ ﴾[(٦)]، الله تعالى، ﴿ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[(٧)]، انبذها، قال وهب: ظن موسى أنه يقول ارفضها.

---

(١) سورة طه آية : ١٧.
(٢) سورة طه آية : ١٨.
(٣) سورة طه آية : ١٨.
(٤) سورة طه آية : ١٨.
(٥) سورة طه آية : ١٨.
(٦) سورة طه آية : ١٩.
(٧) سورة طه آية : ١٩.

[٢٠] ﴿ فَأَلْقَىٰهَا ﴾ (١)، على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة، ﴿ فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ ﴾ (٢)، صفراء من أعظم ما يكون من الحيات، ﴿ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٣) تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر: ﴿ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ (٤) وهي الحية الصغيرة الخفيفة الجسم، وقال في موضع: ﴿ ثُعْبَانٌ ﴾ (٥)، وهو أكبر ما يكون من الحيات، فأما الحية فإنا تجمع الصغير والكبير والذكر والأنثى، وقيل: الجان عبارة عن ابتداء حالها فإنا كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبان، والثعبان عبارة عن انتهاء حالها، وقيل: إنا كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان. قال محمد بن إسحاق: نظر موسى فإذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نودي أن يا موسى أقبل وارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف.

[٢١] ﴿ قَالَ خُذْهَا ﴾ (٦)، بيمينك، ﴿ وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ (٧)، هيئتها الأولى أي نردها عصا كما كانت، قال المفسرون: أراد الله ﷻ أن يري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون.

---

(١) سورة طه آية : ٢٠.
(٢) سورة طه آية : ٢٠.
(٣) سورة طه آية : ٢٠.
(٤) سورة النمل آية : ١٠.
(٥) سورة الأعراف آية : ١٠٧.
(٦) سورة طه آية : ٢١.
(٧) سورة طه آية : ٢١.

قوله تعالى وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ....

[٢٢] قولـه تعالى: ﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾[١]، يعني إبطك، قال مجاهد: تحت عضدك، وجناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه، ﴿ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ ﴾[٢]، نيرة مشرقة، ﴿ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ﴾[٣]، من غير عيب، والسوء ههنا بمعنى البرص. قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر، ﴿ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤]، يعني دلالة أخرى على صدقك سوى العصا.

[٢٣] ﴿ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ﴾[٥]، ولم يقل الكبر لرؤوس الآي وقيل: فيه إضمار معناه لنريك من آياتنا الكبرى، دليله قول ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[٦]، يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد، فادعه إلى عبادتي.

[٢٥] ﴿ قَالَ ﴾[٧]، موسى، ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ ﴾[٨]، وسعه للحق، قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك، وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفا

---

(١) سورة طه آية : ٢٢.
(٢) سورة طه آية : ٢٢.
(٣) سورة طه آية : ٢٢.
(٤) سورة طه آية : ٢٢.
(٥) سورة طه آية : ٢٣.
(٦) سورة طه آية : ٢٤.
(٧) سورة طه آية : ٢٥.
(٨) سورة طه آية : ٢٥.

شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده، وكان يضيق صدرًا بما كلف من مقاومة فرعون وجنده فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدا لا يقدر على مضرته إلا بإذن الله وإذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده.

[٢٦] ﴿ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴾ [١]، يعني سهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون.

[٢٧، ٢٨] ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴾ [٢]، يقول: احلل العقدة كي يفقهوا كلامي.

[٢٩] ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا ﴾ [٣]، معينًا وظهيرًا، ﴿ مِّنْ أَهْلِي ﴾ [٤] والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك، ثم بين من هو فقال:

[٣٠] ﴿ هَٰرُونَ أَخِي ﴾ [٥]، وكان هارون أكبر من موسى بأربع سنين وكان أفصح منه لسانًا وأجمل وأوسم، أبيض اللون، وكان موسى آدم أقنى أجعد.

[٣١] ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴾ [٦]، قو به ظهري.

[٣٢] ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ [٧]، يعني في النبوة وتبليغ الرسالة، وقرأ ابن عامر (أَشْدُدْ) بفتح الألف (وَأُشْرِكْهُ) بضمها على الجواب حكاية عن موسى يعني أفعل

(١) سورة طه آية : ٢٦.
(٢) سورة طه آية :٢٧ - ٢٨.
(٣) سورة طه آية : ٢٩.
(٤) سورة طه آية : ٢٩.
(٥) سورة طه آية : ٣٠.
(٦) سورة طه آية : ٣١.
(٧) سورة طه آية : ٣٢.

ذلك، وقرأ الآخرون على الدعاء، والمسألة عطفا على ما تقدم من قوله: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

[٣٣] ﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾[2]، قال الكلبي: نصلي لك كثيرا.

[٣٤] ﴿ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[3]، نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك.

[٣٥] ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾[4]، خبيرًا عليمًا.

قوله تعالى قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى....

[٣٦] ﴿ قَالَ ﴾[5]، الله تعالى ﴿ قَدۡ أُوتِيتَ ﴾[6]، أعطيت، ﴿ سُؤۡلَكَ ﴾[7]، جميع ما سألته، ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾[8].

[٣٧] ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ ﴾[9]، أنعمنا عليك، ﴿ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾[10]، يعني قبل هذه المرة وهي.

---

(١) سورة طه آية : ٢٥- ٢٦.
(٢) سورة طه آية : ٣٣.
(٣) سورة طه آية : ٣٤.
(٤) سورة طه آية : ٣٥.
(٥) سورة طه آية : ٣٦.
(٦) سورة طه آية : ٣٦.
(٧) سورة طه آية : ٣٦.
(٨) سورة طه آية : ٣٦.
(٩) سورة طه آية : ٣٧.
(١٠) سورة طه آية : ٣٧.

[٣٨] ﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾[1]، وحي إلهام، ﴿ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ ﴾[2]، ما يلهم. ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليك فقال:

[٣٩] ﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ ﴾[3]، يعني ألهمناها أن اجعليه في التابوت، ﴿ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾[4]، يعني نهر النيل، ﴿ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾[5]، يعني شاطئ النهر، لفظه أمر ومعناه خبر، ومجازه حتى يلقيه اليم بالساحل، ﴿ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ ﴾[6]، يعني فرعون، فاتخذت تابوتًا ووضعت فيه موسى ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذ تابوت يجيء به الماء فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجهًا، فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي ﴾[7]، قال ابن عباس: أحبه وحببه إلى خلقه. قال عكرمة: ما رآه أحد إلا أحبه. قال قتادة: ملاحة كانت في عيني موسى، ما رآه أحد إلا عشقه ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ ﴾[8]، يعني لتربى بمرآي ومخطر مني، قرأ أبو جعفر وَلْتُصْنَعَ بالجزم.

---

(١) سورة طه آية : ٣٨.
(٢) سورة طه آية : ٣٨.
(٣) سورة طه آية : ٣٩.
(٤) سورة طه آية : ٣٩.
(٥) سورة طه آية : ٣٩.
(٦) سورة طه آية : ٣٩.
(٧) سورة طه آية : ٣٩.
(٨) سورة طه آية : ٣٩.

[٤٠] ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ ﴾[(١)]، واسمها مريم متعرفة خبره، ﴿ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾[(٢)]، يعني على امرأة، ترضعه وتضمه إليها، وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة، فلما قالت ذلك لهم أخته، قالوا: نعم، فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾[(٣)]، بلقائك، ﴿ وَلَا تَحْزَنَ ﴾[(٤)]، أي ليذهب عنها الحزن، ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾[(٥)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان قتل قبطيا كافرًا. قال كعب الأحبار: كان إذْ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة، ﴿ فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾[(٦)]، أي من غم القتل وكربه، ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾[(٧)]، قال ابن عباس رضي الله عنه. اختبرناك اختبارًا. وقال الضحاك ومقاتل: ابتليناك ابتلاءً. وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصا.

وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: أن الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذ بلحية فرعون حتى هم بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة، ثم قتله القبطي، وخروجه إلى مدين خائفًا، فكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير، فعلى هذا معنى فتناك: خلصناك من تلك المحن كما يفتن

---

(١) سورة طه آية : ٤٠.
(٢) سورة طه آية : ٤٠.
(٣) سورة طه آية : ٤٠.
(٤) سورة طه آية : ٤٠.
(٥) سورة طه آية : ٤٠.
(٦) سورة طه آية : ٤٠.
(٧) سورة طه آية : ٤٠.

الذهب من النار فيخلص من كل خبث فيه، والفتون مصدر ﴿ فَلَبِثْتَ ﴾[1]، فمكثت أي فخرجت من أرض مصر إلى مدين فلبثت، ﴿ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾[2]، يعني ترعى الأغنام عشر سنين، ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر، هرب إليها موسى ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ۝ ﴾[3]، قال مقاتل: على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما كان موعدًا في تقدير الله، قال محمد بن كعب: جئت على القدر الذي قدرت لك أنك تجيء إلي فيه. وقال عبد الرحمن بن كيسان: على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، وهذا معنى قول أكثر المفسرين، أي على الموعد الذي وعده الله وقدره أنه يوحى إليه بالرسالة، وهو أربعون سنة.

[٤١] قوله ﷻ ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝ ﴾[4]، أي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي، يعني لتتصرف على إرادتي ومحبتي وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبته، قال الزجاج: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي، كأني الذي أقمت بك عليهم الحجة وخاطبتهم.

[٤٢] ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى ﴾[5]، بدلالاتي، وقال ابن عباس: يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى ﴿ وَلَا تَنِيَا ﴾[6]، ولا تضعفا، وقال السدي: لا تفترا. وقال محمد بن كعب: لا تقصرا، ﴿ فِى ذِكْرِى ۝ ﴾[7].

(١) سورة طه آية : ٤٠.
(٢) سورة طه آية : ٤٠.
(٣) سورة طه آية : ٤٠.
(٤) سورة طه آية : ٤١.
(٥) سورة طه آية : ٤٢.
(٦) سورة طه آية : ٤٢.
(٧) سورة طه آية : ٤٢.

[٤٣، ٤٤] ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [١]، يقول دارياه وارفقا به، قال ابن عباس رضي الله عنه لا تعنفا في قولكما، وقال السدي وعكرمة: كنياه فقولا يا أبا العباس، وقيل: يا أبا الوليد وقيل: أمرهما باللطافة في القول لما له من حق التربية وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله موسى أن يأتي هارون وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه إلى مرحله وأخبره بما أوحى إليه، ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ ﴾ [٢]، أي يتعظ ويخاف ويسلم، فإن قيل: كيف قال ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾ [٣] وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم؟ قيل: معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما. وقال الحسين بن الفضل: هو ينصرف إلى غير فرعون مجازه لعله يتذكر ويخشى خاش إذا رأى بري وألطافي بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية.

[٤٥] ﴿ قَالَا ﴾ [٤]، يعني موسى وهارون، ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ ﴾ [٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعجل علينا بالقتل والعقوبة، يقال: فرط عليه فلان إذا عجل بمكروه، وفرط منه أمر أي بدر وسبق، ﴿ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ ﴾ [٦]، أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا.

---

(١) سورة طه آية :٤٣ - ٤٤.
(٢) سورة طه آية : ٤٤.
(٣) سورة طه آية : ٤٤.
(٤) سورة طه آية : ٤٥.
(٥) سورة طه آية : ٤٥.
(٦) سورة طه آية : ٤٥.

[٤٦] ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[١]، قال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما.

[٤٧] ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾[٢]، أرسلنا إليك، ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[٣]، أي خل عنهم وأطلقهم من أعمالك، ﴿ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ ﴾[٤]، لا تتعبهم في العمل، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة، ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ ﴾[٥]، قال فرعون: وما هي؟ فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس، ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾[٦]، ليس المراد منه التحية إنما معناه يسلم من عذاب الله من أسلم.

[٤٨] ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾[٧]، أي إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه.

[٤٩] ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[٨]، من إلهكما الذي أرسلكما.

[٥٠] ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[٩]، قال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته

---

(١) سورة طه آية : ٤٦.
(٢) سورة طه آية : ٤٧.
(٣) سورة طه آية : ٤٧.
(٤) سورة طه آية : ٤٧.
(٥) سورة طه آية : ٤٧.
(٦) سورة طه آية : ٤٧.
(٧) سورة طه آية : ٤٨.
(٨) سورة طه آية : ٤٩.
(٩) سورة طه آية : ٥٠.

لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم، ولا خلق البهائم كخلق الإنسان ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح. وقال الضحاك: أعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والأذن للسمع.

قوله تعالى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأولى....

[٥١] ﴿ قَالَ ﴾ [١] فرعون، ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [٢]، ومعنى البال الحال، أي ما حال القرون الماضية والأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونني إليه فإنا كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث.

[٥٢] ﴿ قَالَ ﴾ [٣]، موسى، ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ [٤]، أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها. وقيل: إنما رد موسى علم ذلك إلى الله لأنه لم يعلم ذلك، فإن التوراة أنزلت إليه بعد هلاك فرعون وقومه. ﴿ فِى كِتَٰبٍ ﴾ [٥]، يعني في اللوح المحفوظ، ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى ﴾ [٦]، أي لا يخطئ. وقيل: لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء، ﴿ وَلَا يَنسَى ﴾ [٧]، ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم وقيل: لا ينسى أي لا يترك الانتقام فينتقم من الكفار ويجازي المؤمن.

---

(١) سورة طه آية : ٥١.
(٢) سورة طه آية : ٥١.
(٣) سورة طه آية : ٥٢.
(٤) سورة طه آية : ٥٢.
(٥) سورة طه آية : ٥٢.
(٦) سورة طه آية : ٥٢.
(٧) سورة طه آية : ٥٢.

[٥٣] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾[١]، قرأ أهل الكوفة: (مَهْدًا)، ههنا وفي الزخرف فيكون مصدرًا أي فرشا، وقرأ الآخرون: (مِهَادا)، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾[٢] أي فراشـا وهو اسـم يفرش كالبسـاط اسم لما يبسط، ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾[٣] السلك إدخال الشيء في الشيء والمعنى: أدخل في الأرض لأجلكم طرقًا تسلكونا. قال ابن عباس: سلك لكم فيها طرقًا تسلكونا، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[٤]، يعني المطر، تم الإخبار عن موسى. ثم أخبر الله عن نفسه بقوله. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾[٥]، بذلك الـماء ﴿أَزْوَٰجًا﴾[٦]، أصنافا، ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣﴾[٧]، مختلف الألوان والطعوم والمنافع من أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، فكل صنف منها زوج، فمنها للناس ومنها للدواب.

[٥٤] ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟﴾[٨] أي وارتعوا، ﴿أَنْعَٰمَكُمْ ۗ﴾[٩]، تقول العرب: رعيت الغنـم فرعت أي أسيمـوا أنعامكم ترعى، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾[١٠]،

(١) سورة طه آية : ٥٣.
(٢) سورة النبأ آية : ٦.
(٣) سورة طه آية : ٥٣.
(٤) سورة طه آية : ٥٣.
(٥) سورة طه آية : ٥٣.
(٦) سورة طه آية : ٥٣.
(٧) سورة طه آية : ٥٣.
(٨) سورة طه آية : ٥٤.
(٩) سورة طه آية : ٥٤.
(١٠) سورة طه آية : ٥٤.

الذي ذكرت، ﴿ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴾[1]، لذوي العقول، واحدتها نهية سميت نهية لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي. قال الضحاك: لأولي النهى الذي ينتهون عما حرم الله عليهم، قال قتادة: لذوي الورع.

[55] ﴿ ۞ مِنْهَا ﴾ [2] أي من الأرض، ﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ [3]، يعني أباكم آدم ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [4]، أي عند الموت والدفن، ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [5]، يوم البعث.

[56] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ﴾ [6]، يعني فرعون، ﴿ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا ﴾ [7]، يعني الآيات التسع التي أعطاها الله موسى، ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ [8]، بها وزعم أنها سحر، ﴿ وَأَبَىٰ ﴾ [9]، أن يسلم.

---

(١) سورة طه آية : ٥٤.
(٢) سورة طه آية : ٥٥.
(٣) سورة طه آية : ٥٥.
(٤) سورة طه آية : ٥٥.
(٥) سورة طه آية : ٥٥.
(٦) سورة طه آية : ٥٦.
(٧) سورة طه آية : ٥٦.
(٨) سورة طه آية : ٥٦.
(٩) سورة طه آية : ٥٦.

[٥٧] ﴿ قَالَ ﴾ [(١)]، يعني فرعون ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ﴾ [(٢)]، يعني أرض مصر، ﴿ بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧ ﴾ [(٣)]، أي تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها.

[٥٨] ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ [(٤)]، أي فاضرب بينا وبينك أجلا وميقاتا، ﴿ لَّا نُخْلِفُهُۥ ﴾ [(٥)]، قرأ أبو جعفر ﴿ لَّا نُخْلِفُهُۥ ﴾ [(٦)] جزمًا لا نجاوزه، ﴿ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨ ﴾ [(٧)]، قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب: (سوى) بضم السين، وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان مثل عُدًى وعِدًى وطُوًى وطِوًى، قال مقاتل وقتادة: مكانًا عدلا بيننا وبينك. وعن ابن عباس: نَصَفًا، ومعناه تستوي مسافة الفريقين إليه. قال أبو عبيدة والقتيبي: وسطًا بين الفريقين. قال مجاهد: منصفا. وقال الكلبي: يعني سوى هذا المكان.

[٥٩] ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ [(٨)]، قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي: كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة. وقيل: هو يوم النيروز. وقال ابن عباس

---

(١) سورة طه آية : ٥٧.

(٢) سورة طه آية : ٥٧.

(٣) سورة طه آية : ٥٧.

(٤) سورة طه آية : ٥٨.

(٥) سورة طه آية : ٥٨.

(٦) سورة طه آية : ٥٨.

(٧) سورة طه آية : ٥٨.

(٨) سورة طه آية : ٥٩.

وسعيد بن جبير: يوم عاشوراء، ﴿ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩ ﴾[1]، أي وقت الضحوة نارًا جهارًا ليكون أبعد من الريبة.

[٦٠] ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ﴾[2]، مكـره وحيلتـه وسحرته، ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ ﴾[3]، أي الميعاد.

[٦١] ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ ﴾[4]، يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد حبل وعصا. وقيل: كانوا أربعمائة. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفا. وقيل: أكثر من ذلك، ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾[5]، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿ فَيُسْحِتَكُم ﴾[6] بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان. قال مقاتل والكلبي: فيهلككم. وقال قتادة. فيستأصلكم، ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١ ﴾[7].

[٦٢] ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾[8]، أي تناظروا وتشاوروا، يعني السحرة في أمر موسى سرا من فرعون. قال الكلبي: قالوا سرا: إن غلبنا موسى اتبعناه. وقال محمد بن

---

(١) سورة طه آية : ٥٩.
(٢) سورة طه آية : ٦٠.
(٣) سورة طه آية : ٦٠.
(٤) سورة طه آية : ٦١.
(٥) سورة طه آية : ٦١.
(٦) سورة طه آية : ٦١.
(٧) سورة طه آية : ٦١.
(٨) سورة طه آية : ٦٢.

إسحاق: لما قال لهم موسى: لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا، قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول السحر. ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾[1]، أي المناجاة يكون مصدرا واسما.

[٦٣] ثم ﴿ قَالُوٓاْ ﴾[2]، وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون، ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[3]، يعني موسى وهارون، وقرأ ابن كثير وحفص: (إن) بتخفيف النون ﴿ هَٰذَٰنِ ﴾[4] أي ما هذان إلا ساحران، كقوله: ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[5]، أي ما نظنك إلا من الكاذبين، وشدد ابن كثير النون من هذان، وقرأ أبو عمرو: (إن) بتشديد النون (هذين) بالياء على الأصل، وقرأ الآخرون: إن بتشديد النون هَذَان بالألف واختلفوا فيه وقال قوم: هو لغة بلحارث ابن كعب وخثعم وكنانة فإنهم يجعلون الاثنين في موضع الرفع والنصب والخفض بالألف، يقولون: أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان، فلا يتركون ألف التثنية في شيء، وكذلك يجعلون كل يا ء ساكنة انفتح ما قبلها أَلِفًا، كما في التثنية، يقولون: كسرت يداه وركبت علاه، يعني يديه وعليه. قال شاعرهم:

تزود مني بين أذناه ضربة ... دعته إلى هابي التراب عقيم

(١) سورة طه آية : ٦٢.
(٢) سورة طه آية : ٦٣.
(٣) سورة طه آية : ٦٣.
(٤) سورة طه آية : ٦٣.
(٥) سورة الشعراء آية : ١٨٦.

وقيل. تقدير الآية (إنه هذان)، فحذف الهاء، وذهب جماعة إلى أن حرف (إنّ) ههنا بمعنى نعم، أي نعم هذان [1]. ﴿ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم ﴾ [2]، مصر، ﴿ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۝٦٣ ﴾ [3]، قال ابن عباس: يعني بسراة قومكم وأشرافكم، يقال هؤلاء طريقة قومهم أي أشرافهم، والمثلى تأنيث الأمثل، وهو الأفضل، حديث الشعبي عن علي، قال: يصرفان وجوه الناس إليهما. قال قتادة: طريقتهم المثلى كان بنو إسرائيل يومئذ أكثر القوم عددًا وأموالا، فقال عدو الله: يريد أن يذهبا بم لأنفسهم. وقيل: بطريقتكم المثلى أن بسنتكم ودينكم الذي أنتم عليه، والمثلى نعت الطريق، تقول العرب: فلان على الطريقة المثلى، يعني على الصراط المستقيم.

[٦٤] ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ﴾ [4]، قرأ أبو عمرو (فاجمعوا) بوصل الألف وفتح الميم، من الجمع أي لا تدعوا أشياء من كيدهم إلا جئتم به والصحيح أن معناه العزم والإحكام، أي اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له لا تختلفوا فيختل أمركم، ﴿ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ ﴾ [5] أي جميعا، قاله مقاتل والكلبي، وقال قوم: أي مصطفين مجتمعين ليكون أشد

(١) ذكر الإمام أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ج ٦ ص ٢٥٥-: صحة وثبوت الاستعمال "إن" بمعنى "نعم" في اللغة العربية فقال: "إن" بمعنى "نعم"، وثبت ذلك في اللغة، فتحمل الآية عليه، و"هذان لساحران" مبتدأ وخبر. وقد ساق أوجهًا صحيحة في اللغة لإثبات صحة القراءة المتواترة الثابتة في المصحف الشريف، فارجع إليه إن شئت. وانظر ما ذكر الإمام الشوكاني في ذلك في تفسيره فيض القدير ج ٣ ص ٣٧٣.

(٢) سورة طه آية : ٦٣.

(٣) سورة طه آية : ٦٣.

(٤) سورة طه آية : ٦٤.

(٥) سورة طه آية : ٦٤.

لهيبتكم، وقال أبو عبدة: الصف التمع، ويسمى المصلى صفا معناه ثم ائتوا المكان الموعد صفّا، ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾[1]، أي فاز من غلب.

قوله تعالى قَالُوا يَا مُوسَى إما أنْ تُلْقِيَ وَإما أنْ نَكُونَ أولَ مَنْ ألْقى.....

[٦٥] ﴿ قَالُواْ ﴾[2]، يعني السحرة، ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾[3] عِصِيِّنَا.

[٦٦] ﴿ قَالَ ﴾[4]، موسى، ﴿ بَلْ أَلْقُواْ ﴾[5]، أنتم أولا، ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ ﴾[6]، وفيه إضمار، أي فألقوا فإذا حبالهم، ﴿ وَعِصِيُّهُمْ ﴾[7]، جمع العصا، ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ﴾[8]، قرأ ابن عامر ويعقوب تخيل بالتاء رد إلى الحبال والعصـي، وقرأ الآخرون بالياء ردوه إلى الكيد والسحر، ﴿ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[9]، حتى تظن أنا تسعى أي تمشي وذلك أنم كانوا لطخوا حبالهم وعصيهم بالزئبق، فلما أصابه حر الشمس انمست واهتازت فظن موسى أنا تقصده وفي القصة أنم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى

(١) سورة طه آية : ٦٤.
(٢) سورة طه آية : ٦٥.
(٣) سورة طه آية : ٦٥.
(٤) سورة طه آية : ٦٦.
(٥) سورة طه آية : ٦٦.
(٦) سورة طه آية : ٦٦.
(٧) سورة طه آية : ٦٦.
(٨) سورة طه آية : ٦٦.
(٩) سورة طه آية : ٦٦.

والقوم كأن الأرض امتلأت حيات، وكانت قد أخذت ميلا من كل جانب ورأوا أنا تسعى.

[٦٧] ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾(١)، أي وجد، وقيل. أضمر في نفسه خوفًا، واختلفوا في خوفه طبع البشرية وذلك أنه ظن أنا تقصده، وقال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره فلا يتبعونه.

[٦٨] ﴿ قُلْنَا ﴾(٢)، لموسى، ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(٣)، أي الغالب، يعني لك الغلبة والظفر.

[٦٩] ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾(٤)، يعني العصا، ﴿ تَلْقَفْ ﴾(٥)، تلتقم وتبتلع، ﴿ مَا صَنَعُوٓاْ ﴾(٦)، قرا ابن عامر تلقف برفع الفاء ههنا، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الأمر، ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ ﴾(٧) أي الذي صنعوا، (كَيْدُ سِحْرٍ)، أي حيلة سحر هكذا قرأ حمزة والكسائي بكسر السين بلا ألف وقرأ الآخرون، ﴿ سَٰحِرٍ ﴾(٨) لأن إضافة الكيد إلى الفاعل أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية، ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ

(١) سورة طه آية : ٦٧.
(٢) سورة طه آية : ٦٨.
(٣) سورة طه آية : ٦٨.
(٤) سورة طه آية : ٦٩.
(٥) سورة طه آية : ٦٩.
(٦) سورة طه آية : ٦٩.
(٧) سورة طه آية : ٦٩.
(٨) سورة طه آية : ٦٩.

أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]، من الأرض، قال ابن عباس: لا يسعد حيث كان. وقيل: معناه حيث احتال.

[٧٠، ٧١] ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ﴾[2]، لرئيسكم ومعلمكم، ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[3]، يعني على جذوع النخل، ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا ﴾[4]، يعني على إيمانكم به أنا أو رب موسى على ترك الإيمان به، ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾[5]، يعني أدوم.

[٧٢] ﴿ قَالُواْ ﴾[6]، يعني السحرة، ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ ﴾[7]، لن نختارك، ﴿ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[8]، يعني الدلالات، قال مقاتل: يعني اليد البيضاء والعصا.

وقيل: كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحرًا فأين حبالنا وعصينا. وقيل: من البينات يعني من اليقين والعلم ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾[9]، يعني لن نؤثرك على الله الذي فطرنا، وقيل: هو قسم، ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾[10]، يعني فاصنع ما أنت صانع،

---

(١) سورة طه آية : ٦٩.
(٢) سورة طه آية : ٧٠ - ٧١.
(٣) سورة طه آية : ٧١.
(٤) سورة طه آية : ٧١.
(٥) سورة طه آية : ٧١.
(٦) سورة طه آية : ٧٢.
(٧) سورة طه آية : ٧٢.
(٨) سورة طه آية : ٧٢.
(٩) سورة طه آية : ٧٢.
(١٠) سورة طه آية : ٧٢.

﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾[1]، يعني أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب.

[٧٣] ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾[2]، فإن قيل كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين يحلفون بعزة فرعون أن لهم الغلبة. قيل: روي عن الحسن أنه قال: كان فرعون يكره قومًا على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله وقد كان أكرههم في الابتداء. وقال مقاتل: كانت السحرة اثنين وسبعين، اثنان من القبط، وسبعون من بني إسرائيل، كان عدو الله فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قوله: ﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾[3]، قال عبد العزيز بن أبان: قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائما وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون: إن هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يتعلموا، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾[4]، ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[5]، قال محمد بن إسحاق: خير منك ثوابًا وأبقى عذابًا، وقال محمد بن كعب: خير منك ثوابًا إن أطيع وأبقى منك عذابًا إن عصي وهذا جواب لقوله: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾[6].

(١) سورة طه آية : ٧٢.
(٢) سورة طه آية : ٧٣.
(٣) سورة طه آية : ٧٣.
(٤) سورة طه آية : ٧٣.
(٥) سورة طه آية : ٧٣.
(٦) سورة طه آية : ٧١.

[٧٤] ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمًا ﴾[(١)]، قيل: هذا ابتداء كلام من الله تعالى، وقيل: من تمام قول السحرة مجرما أي مشركًا يعني من مات على الشرك، ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾[(٢)]، فيستريح، ﴿ وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ ﴾[(٣)]، حياة ينتفع بها.

[٧٥] ﴿ وَمَن يَأۡتِهِۦ ﴾[(٤)]، قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر، وقالون ويعقوب، وقرأ الآخرون بالإشباع، ﴿ مُؤۡمِنًا ﴾[(٥)]، أي: من مات على الإيمان، ﴿ قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ ﴾[(٦)]، أي الرفيعة، والعُلى جمع والعليا تأنيث الأعلى.

[٧٦] ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦ ﴾[(٧)]، يعني تطهر من الذنوب.

قوله تعالى وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا....

[٧٧] قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي ﴾[(٨)]، يعني أسر بهم ليلا من أرض مصر، ﴿ فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾[(٩)]، يعني اجعل لهم طريقًا في

(١) سورة طه آية : ٧٤.
(٢) سورة طه آية : ٧٤.
(٣) سورة طه آية : ٧٤.
(٤) سورة طه آية : ٧٥.
(٥) سورة طه آية : ٧٥.
(٦) سورة طه آية : ٧٥.
(٧) سورة طه آية : ٧٦.
(٨) سورة طه آية : ٧٧.
(٩) سورة طه آية : ٧٧.

البحر بالضرب بالعصا، ﴿ يَبَسًا ﴾[(١)]، ليس فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيبس لهم الطريق في البحر، ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا ﴾[(٢)]، قرأ حمزة لَا تَخَفْ بالجزم على النهي، والباقون بالألف والرفع على النفي، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧ ﴾[(٣)]، قيل: لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر أمامك.

[٧٨] ﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ ﴾[(٤)]، فلحقهم، ﴿ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ ﴾[(٥)]، وقيل: معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى وقومه، والباء فيه زائدة وكان هو فيهم، ﴿ فَغَشِيَهُم ﴾[(٦)]، أصابهم، ﴿ مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨ ﴾[(٧)]، وهو الغرق. وقيل: غشيهم علاهم وسترهم من اليم ما غشيهم يريد غشيهم بعض ماء اليم لا كله. وقيل: غشيهم من اليم ما غشيهم قوم موسى فغرقهم ونجا موسى وقومه.

[٧٩] ﴿ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩ ﴾[(٨)]، يعني ما أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون في قوله: ﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩ ﴾[(٩)].

---

(١) سورة طه آية : ٧٧.
(٢) سورة طه آية : ٧٧.
(٣) سورة طه آية : ٧٧.
(٤) سورة طه آية : ٧٨.
(٥) سورة طه آية : ٧٨.
(٦) سورة طه آية : ٧٨.
(٧) سورة طه آية : ٧٨.
(٨) سورة طه آية : ٧٩.
(٩) سورة غافر آية : ٢٩.

[٨٠] قولـه: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾[١]، فرعـون ﴿ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾[٢].

[٨١] ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾[٣]، قرأ حمزة والكسائي أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بالتاء على التوحيد، وقرأ الآخرون بالنون والألف على التعظيم، ولم يختلفوا في ونزلنا لأنه مكتوب بالألف، ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ﴾[٤]، قال ابن عباس: لا تظلموا. وقال الكلبي: لا تكفروا النعمة فتكونوا ظالمين طاغين. وقيل: لا تنفقوا في معصيتي. وقيل: لا تتقووا بنعمتي على معاصي. وقيل: لا تدخروا فادخروا فتدود، ﴿ فَيَحِلَّ ﴾[٥]، قرأ الأعمش والكسائي فيحل بضم الحاء، ومن يحلل بضم اللام، يعني ي ل، وقرأ الآخرون بكسرها يعني يجب، ﴿ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾[٦]، هلك وتردى في النار.

[٨٢] ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾[٧]، قـال ابن عبـاس: تاب من الشرك، ﴿ وَءَامَنَ ﴾[٨]، ووحد الله وصدقه، ﴿ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ﴾[٩]، أدى

(١) سورة طه آية : ٨٠.
(٢) سورة طه آية : ٨٠.
(٣) سورة طه آية : ٨١.
(٤) سورة طه آية : ٨١.
(٥) سورة طه آية : ٨١.
(٦) سورة طه آية : ٨١.
(٧) سورة طه آية : ٨٢.
(٨) سورة طه آية : ٨٢.
(٩) سورة طه آية : ٨٢.

الفرائض، ﴿ ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]، قال عطاء عن ابن عباس: علم أن ذلك توفيق من الله. وقال قتادة وسفيان الثوري: يعني لزم الإسلام حتى مات عليه. قال الشعبي ومقاتل والكلبي: علم أن ذلك ثوابا. وقال زيد بن أسلم: تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل. قال الضحاك: استقام. وقال سعيد بن جبير: أقام على السنة والجماعة.

[٨٣] ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ ﴾[2]، يعني وما حملك علـى العجلة، ﴿ عَن قَوۡمِكَ ﴾[3]، وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه إلى الجبل ليأخذوا التوراة فسار بم ثم عجل موسى من بينهم شوقا إلى ربه ﷻ وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾[4].

[٨٤] ﴿ قَالَ ﴾[5]، مجيبا لربه تعالى: ﴿ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾[6]، يعني هم بالقرب مني يأتون من بعدي ﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾[7]، لتزداد رضًا.

[٨٥] ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ ﴾[8]، أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفًا، من بعدك: أي من بعد

(١) سورة طه آية : ٨٢.
(٢) سورة طه آية : ٨٣.
(٣) سورة طه آية : ٨٣.
(٤) سورة طه آية : ٨٣.
(٥) سورة طه آية : ٨٤.
(٦) سورة طه آية : ٨٤.
(٧) سورة طه آية : ٨٤.
(٨) سورة طه آية : ٨٥.

انطلاقك إلى الجبل، ﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [1]، أي دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل، وأضافه إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه.

[٨٦] ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ [2]، حزينا. ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ ﴾ [3]، صدقا أنه يعطيكم التوراة، ﴿ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ ﴾ [4]، مدة مفارقتي إياكم، ﴿ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [5] أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم به الغضب من ربكم ﴿ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴾ [6].

[٨٧] ﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا ﴾ [7]، قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم: ﴿ بِمَلۡكِنَا ﴾ [8] بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي بضمها، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: ونحن نملك أمرنا. وقيل: باختيارنا، ومن قرأ بالضم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا، وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه، ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ ﴾ [9]، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب حملنا بفتح الحاء، وتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم أي جعلونا نحملها وكلفنا

(١) سورة طه آية : ٨٥.
(٢) سورة طه آية : ٨٦.
(٣) سورة طه آية : ٨٦.
(٤) سورة طه آية : ٨٦.
(٥) سورة طه آية : ٨٦.
(٦) سورة طه آية : ٨٦.
(٧) سورة طه آية : ٨٧.
(٨) سورة طه آية : ٨٧.
(٩) سورة طه آية : ٨٧.

حملها، ﴿ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ ﴾[1]، من حُلي قوم فرعون، سماها أوزارًا لأنهم أخذوها على وجه العارية فلم يردها، وذلك أن بني إسرائيل كانوا قد استعاروا حليا من القبط وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر. وقيل: إن الله تعالى لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذوها وكانت غنيمة ولما تكن الغنيمة حلالا لهم في ذلك الزمان، فسماها أوزارًا لذلك، ﴿ فَقَذَفۡنَٰهَا ﴾[2]، قيل: إن السامري قال لهم أحفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع موسى، قال السدي: قال لهم هارون: إن تلك غنيمة لا تحل فاحفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع موسى، فيرى رأيه فيهـا، ففعلـوا. قوله: ﴿ فَقَذَفۡنَٰهَا ﴾ [3] أي طرحناها في الحفرة، ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾[4]، ما معه من الحلي فيها، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أوقد هارون نارًا وقال: اقذفوا فيها ما معكم، فألقوه فيها ثم ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل. قال قتادة: كان صر قبضة من ذلك التراب في عمامته.

قوله تعالى فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ....

[٨٨] ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾[5]، أي تركه موسى ههنا وذهب يطلبه. وقيل: أخطأ الطريق وضل.

---

(١) سورة طه آية : ٨٧.

(٢) سورة طه آية : ٨٧.

(٣) سورة طه آية : ٨٧.

(٤) سورة طه آية : ٨٧.

(٥) سورة طه آية : ٨٨.

[٨٩] قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾ [١]، أي: لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوه، ﴿ وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [٢]، وقيل: إن هارون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له: ما هذا؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي، فقال هارون: اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه، فألقى التراب في فم العجل وقال: كن عجلا يخور فكان ذلك بدعوة هارون، والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل.

[٩٠] ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ [٣]، أي من قبل رجوع موسى، ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ [٤]، ابتليتم بالعجل، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ [٥]، على ديني في عبادة الله، ﴿ وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾ [٦]، في ترك عبادة العجل.

[٩١] ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ ﴾ [٧]، أي لن نزال، ﴿ عَلَيْهِ ﴾ [٨]، على عبادته، ﴿ عَـٰكِفِينَ ﴾ [٩]، مقيمين، ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ [١٠]، فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى

(١) سورة طه آية : ٨٩.
(٢) سورة طه آية : ٨٩.
(٣) سورة طه آية : ٩٠.
(٤) سورة طه آية : ٩٠.
(٥) سورة طه آية : ٩٠.
(٦) سورة طه آية : ٩٠.
(٧) سورة طه آية : ٩١.
(٨) سورة طه آية : ٩١.
(٩) سورة طه آية : ٩١.
(١٠) سورة طه آية : ٩١.

وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل، قال للسبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة، فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله.

[٩٢] و ﴿ قَالَ ﴾ [١]، له ﴿ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ ﴾ [٢]، أشركوا.

[٩٣] ﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ ﴾ [٣]، أي: أن تتبعني و (لا) صلة أي تتبع أمري ووصيتي، يعني: هلا قاتلتهم وقد علمت أني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم.

وقيل: أن لا تتبعني، أي: ما منعك من اللحوق بي وإخباري بضلالتهم، فتكون مفارقتك إياهم تقريعًا وزجرًا لهم عما أتوه، ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ﴾ [٤]، أي خالفت أمري.

[٩٤] ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى ﴾ [٥]، أي بشعر رأسي وكان قد أخذ ذوائبه، ﴿ خَشِيتُ أَن ﴾ [٦]، لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا، ﴿ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ ﴾ [٧]، أي خشيت إن فارقتهم واتبعتك صاروا أحزابًا يتقاتلون، فتقول أنت فرقت بين بني إسرائيل، ﴿ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ [٨]،

---

(١) سورة طه آية : ٩٢.
(٢) سورة طه آية : ٩٢.
(٣) سورة طه آية : ٩٣.
(٤) سورة طه آية : ٩٣.
(٥) سورة طه آية : ٩٤.
(٦) سورة طه آية : ٩٤.
(٧) سورة طه آية : ٩٤.
(٨) سورة طه آية : ٩٤.

ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك: اخلفني في قومي، وأصلح أي ارفق بهم، ثم أقبل موسى على السامري.

[٩٥] ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ ﴾[١]، أي ما أمرك وشأنك؟ وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ ﴾[٢].

[٩٦] ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾[٣]، رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا، قرأ حمزة والكسائي ما لم تبصروا بالتاء على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر، ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾[٤]، أي من تراب أثر فرس جبريل، ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾[٥] أي ألقيتها في فم العجل، وقال بعضهم: إنما خار لهذا لأن التراب كان مأخوذًا من تحت حافر فرس جبريل، فإن قيل: كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس؟ قيل: لأن أمه لما ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعته في الكهف حذرًا عليه فبعث الله جبريل ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة. ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ ﴾[٦]، أي زينت، ﴿ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾[٧].

(١) سورة طه آية : ٩٥.
(٢) سورة طه آية : ٩٥.
(٣) سورة طه آية : ٩٦.
(٤) سورة طه آية : ٩٦.
(٥) سورة طه آية : ٩٦.
(٦) سورة طه آية : ٩٦.
(٧) سورة طه آية : ٩٦.

[٩٧] ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ﴾[(١)]، أي ما دمت حيا، ﴿ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾[(٢)]، أي لا تخالط أحدًا ولا يخالطك أحد وأمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه. قال ابن عباس: لا مساس لك ولولدك، والمساس من المماسة معناه لا يمس بعضنا بعضًا، فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمس أحدًا ولا يمسه أحد، فعاقبه الله بذلك، وكان إذا لقي أحدًا يقول: لا مساس، أي لا تقربني ولا تمسني، وقيل: كان إذا مس أحدًا أو مسه أحد حما جميعًا حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك، وإذا مس أحد من غيرهم أحدًا منهم حما جميعًا في الوقت، ﴿ وَإِنَّ لَكَ ﴾[(٣)] يا سامري، ﴿ مَوْعِدًا ﴾[(٤)]، لعذابك، ﴿ لَّن تُخْلَفَهُۥ ﴾[(٥)]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: لَنْ تُخْلِفَهُ بكسر اللام أي لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة، وقرأ الآخرون بفتح اللام أي لن تكذبه ولن يخلفك الله، ومعناه أن الله تعالى يكافئك على فعلك ولا تفوته، ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ﴾[(٦)]، بزعمك، ﴿ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾[(٧)]، أي ظلت ودمت عليه مقيمًا تعبده، والعرب تقول: ظلت أفعل كذا بمعنى ظللت ومستُ بمعنى مسستُ، وقرأ أبو جعفر بالتخفيف من الإحراق، ﴿ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ ﴾[(٨)]،

(١) سورة طه آية : ٩٧.
(٢) سورة طه آية : ٩٧.
(٣) سورة طه آية : ٩٧.
(٤) سورة طه آية : ٩٧.
(٥) سورة طه آية : ٩٧.
(٦) سورة طه آية : ٩٧.
(٧) سورة طه آية : ٩٧.
(٨) سورة طه آية : ٩٧.

لنذرينه، ﴿ فِي ٱلْيَمِّ ﴾[1]، في البحر، ﴿ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾[2]، روي أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم لأنه كان قد صار لحمًا ودمًا ثم حرقه بالنار، ثم ذراه في اليم، قرأ ابن محيصن: لَنَحْرُقَنَّهُ بفتح النون وضم الراء لنبردنه بالمبرد، ومنه قيل للمبرد المحرق. وقال السدي. أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذاره في اليم.

[٩٨] ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾[3]، وسع علمه كل شيء.

قوله تعالى كَذَلِكَ نَقُص عَلَيْكَ مِنْ أَنباءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنا ذِكْرًا....

[٩٩] ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ ﴾[4]، من الأمور، ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾[5]، يعني القرآن.

[١٠٠] ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾[6]، أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه، ﴿ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[7]، حملا ثقيلا من الإثم.

[١٠١] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ ﴾[8]، مقيمين في عذاب الوزر، ﴿ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾[9]، أي بئس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفرًا بالقرآن.

---

(١) سورة طه آية : ٩٧.
(٢) سورة طه آية : ٩٧.
(٣) سورة طه آية : ٩٨.
(٤) سورة طه آية : ٩٩.
(٥) سورة طه آية : ٩٩.
(٦) سورة طه آية : ١٠٠.
(٧) سورة طه آية : ١٠٠.
(٨) سورة طه آية : ١٠١.
(٩) سورة طه آية : ١٠١.

[١٠٢] ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾[1]، قرأ أبو عمرو ننفخ بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله: ﴿ وَنَحْشُرُ ﴾[2] وقرأ الآخرون بالياء وضمها وفتح الفاء على غير تسمية الفاعل، ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[3]، المشركين، ﴿ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[4]، والزرقة هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه. وقيل: زرقًا أي عميًا. وقيل: عطاشًا.

[١٠٣] ﴿ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾[5]، أي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية، ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾[6]، أي ما مكثتم في الدنيا، ﴿ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[7]، أي عشر ليال. وقيل: في القبور: بين النفختين، وهو أربعون سنة، لأن العذاب يرفع عنهم بين النفختين استقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا.

[١٠٤] قال الله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[8]، أي يتشاورون بينهم، ﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾[9]، أوفاهم عقلا وأعدلهم قولا، ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا

---

(١) سورة طه آية : ١٠٢.
(٢) سورة طه آية : ١٠٢.
(٣) سورة طه آية : ١٠٢.
(٤) سورة طه آية : ١٠٢.
(٥) سورة طه آية : ١٠٣.
(٦) سورة طه آية : ١٠٣.
(٧) سورة طه آية : ١٠٣.
(٨) سورة طه آية : ١٠٤.
(٩) سورة طه آية : ١٠٤.

يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]، قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة. وقيل: نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم.

[١٠٥] قوله: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾[2]، قال ابن عباس: سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ فقال: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية، والنسف هو القلع يعني يقلعها من أصلها ويجعلها هباء منثورا.

[١٠٦] ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾[3]، يعني فيدع أماكن الجبال من الأرض، ﴿ قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ ﴾[4] يعني أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها، والقاع ما انبسط من الأرض والصفصف الأملس.

[١٠٧] ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾ ﴾[5]، قال مجاهد: انخفاضًا وارتفاعًا. وقال الحسن: العوج ما انخفض من الأرض، والأمت ما نشز من الروابي، يعني لا ترى واديًا ولا رابية. قال قتادة: لا ترى فيها صدعا ولا أكمة.

[١٠٨] ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ ﴾[6]، أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، وهو إسرافيل، وذلك أنه يضع الصور في فيه، ويقول: أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن، ﴿ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ ﴾[7]، يعني لدعائه، وهو من المقلوب يعني لا عوج لهم من دعاء الداعي لا يزيغون عنه يمينًا ولا شمالا

---

(١) سورة طه آية : ١٠٤.

(٢) سورة طه آية : ١٠٥.

(٣) سورة طه آية : ١٠٦.

(٤) سورة طه آية : ١٠٦.

(٥) سورة طه آية : ١٠٧.

(٦) سورة طه آية : ١٠٨.

(٧) سورة طه آية : ١٠٨.

ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعًا، ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ ﴾[1]، يعني سكتت وذلت وخضعت، وصف الأصوات بالخشوع والمراد أهلها، ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[2]، يعني صوت وطء الأقدام إلى المحشر، والهمس الصوت الخفي كصوت أخفاف الإبل في المشي. وقال مجاهد: هو تخافت الكلام وخفض الصوت. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تحريك الشفاه من غير منطق.

[١٠٩] ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ ﴾[3]، يعني لا تنفع الشفاعة أحدًا من الناس، ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾[4]، يعني إلا من أذن الله له أن يشفع، ﴿ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[5] يعني ورضي قوله، قال ابن عباس: يعني قال: لا إله إلا الله، وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن.

[١١٠] ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾[6]، الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي، أي يعلم الله ما بين أيديهم وما خلفهم وما خلفوا من أمر الدنيا. وقيل: ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الأعمال، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[7]، قيل: الكناية ترجع إلى (ما) أي: هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، وهم لا يعلمونه. وقيل: الكناية راجعة إلى (الله) لأن عباده لا يحيطون به علمًا.

---

(١) سورة طه آية : ١٠٨.
(٢) سورة طه آية : ١٠٨.
(٣) سورة طه آية : ١٠٩.
(٤) سورة طه آية : ١٠٩.
(٥) سورة طه آية : ١٠٩.
(٦) سورة طه آية : ١١٠.
(٧) سورة طه آية : ١١٠.

[١١١] ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾[1]، أي ذلت وخضعت، ومنه قيل للأسير: عان، وقال طلق بن حبيب: هو السجود على الجبهة للحي القيوم، ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾[2]، قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله، والظلم هو الشرك.

[١١٢] ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ﴾[3]، قرأ ابن كثير "فلا يخف" مجزومًا على النهي جوابًا لقوله تعالى: (ومن يعمل)، وقرأ الآخرون (فلا يخافُ) مرفوعا على الخبر، ﴿ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾[4]، قال ابن عباس: لا يخاف أن يزداد على سيئاته لا أن ينقص من حسناته. وقال الحسن: لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيء. وقال الضحاك: لا يؤخذ بذنب لم يعمله وتبطل حسنة عملها، وأصل الهضم النقص والكسر، ومنه هضم الطعام.

[١١٣] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾[5]، أي كما بينا في هذه السورة، ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾[6]، يعني أنزلنا هذا الكتاب، ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[7]، يعني بلسان العرب، ﴿ وَصَرَّفْنَا ﴾[8] يعني بينا ﴿ فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾[9]، أي صرفنا القول فيه بذكر

(١) سورة طه آية : ١١١.
(٢) سورة طه آية : ١١١.
(٣) سورة طه آية : ١١٢.
(٤) سورة طه آية : ١١٢.
(٥) سورة طه آية : ١١٣.
(٦) سورة طه آية : ١١٣.
(٧) سورة طه آية : ١١٣.
(٨) سورة طه آية : ١١٣.
(٩) سورة طه آية : ١١٣.

الوعيـد، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[1]، أي يجتنبون الشـرك، ﴿ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١١٣﴾ ﴾[2]، أي يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عتاب الله للأمم الخالية.

قوله تعالى فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَق....

[١١٤] ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾[3]، جل الله عن إلحاد الملحدين وعما يقوله المشركون، ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[4]، أراد النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبدر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة، ومخافة الانفلات والنسيان، فنهاه الله عن ذلك، وقال: ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[5]، أي لا تعجل بقراءته، ﴿ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ ﴾[6]، أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ، نظيره قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴾[7] وقرأ يعقوب: (نقضي) بالنون وفتحها وكسر الضاد، وفتح الياء: (وحيه) بالنصب، وقال مجاهد وقتادة: معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[8]، يعني بالقرآن ومعانيه. وقيل علما إلى ما علمت. وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني إيمانًا ويقينًا.

---

(١) سورة طه آية : ١١٣.
(٢) سورة طه آية : ١١٣.
(٣) سورة طه آية : ١١٤.
(٤) سورة طه آية : ١١٤.
(٥) سورة طه آية : ١١٤.
(٦) سورة طه آية : ١١٤.
(٧) سورة القيامة آية : ١٦.
(٨) سورة طه آية : ١١٤.

[١١٥] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ ﴾ [(١)] يعني أمرناه وأوحينا إليه ألا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: (لعلهم يتقون)، ﴿ فَنَسِىَ ﴾ [(٢)]، فترك الأمر، والمعنى أنهم نقضوا العهد فإن آدم أيضا عهدنا إليه فنسي، ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [(٣)]، قال الحسن: لم نجد له صبرًا عما نُهي عنه وقال عطية العوفي: حفظًا لما أمر به.

وقال قتيبة: رأيا معزومًا حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، والعزم في اللغة هو توطين النفس على الفعل، قال أبو أمامة الباهلي: لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه، وقد قال الله: ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [(٤)]، فإن قيل: أتقولون إن آدم كان ناسيًا لأمر الله حين أكل من الشجرة؟ قيل: يجوز أن يكون نسي أمره، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعًا عن الإنسان بل كان مؤاخذًا به، وإنما رفع عنا، وقيل: نسي عقوبة الله وظن أنه نناه تـ يها.

[١١٦] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ [(٥)]، أن يسجد.

[١١٧] ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ [(٦)]، حواء، ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [(٧)]، يعني تتعب وتنصب، ويكون عيشك من كد

(١) سورة طه آية : ١١٥.
(٢) سورة طه آية : ١١٥.
(٣) سورة طه آية : ١١٥.
(٤) سورة طه آية : ١١٥.
(٥) سورة طه آية : ١١٦.
(٦) سورة طه آية : ١١٧.
(٧) سورة طه آية : ١١٧.

يمينك بعرق جبينك. قال السدي: يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبز. وعن سعيد بن جبير: قال أهبط إلى آدم ثورًا أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه، ولم يقل: فتشقيا رجوعًا به إلى آدم لأن تعبه أكثر فإن الرجل هو الساعي على زوجته. وقيل: لأجل رءوس الآي.

[١١٨] ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ﴾[١]، أي في الجنة ﴿ وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾[٢].

[١١٩] ﴿ وَأَنَّكَ ﴾[٣]، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالفتح نسقًا على قوله: ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ﴾[٤] ﴿ لَا تَظْمَؤُا ﴾[٥] لا تعطش، ﴿ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[٦] يعني لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها. وقال عرمة: لا تصيبك الشمس وأذاها، لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود.

[١٢٠] ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾[٧]، يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت مخلدًا، يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت مخلدًا، ﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[٨]، لا يبيد ولا يفنى.

(١) سورة طه آية : ١١٨.
(٢) سورة طه آية : ١١٨.
(٣) سورة طه آية : ١١٩.
(٤) سورة طه آية : ١١٨.
(٥) سورة طه آية : ١١٩.
(٦) سورة طه آية : ١١٩.
(٧) سورة طه آية : ١٢٠.
(٨) سورة طه آية : ١٢٠.

[١٢١] ﴿ فَأَكَلَا ﴾[1]، يعني آدم وحواء عليهما السلام، ﴿ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ ﴾[2]، بأكل الشجرة، ﴿ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾[3]، يعني فعل ما لم يكن له فعله. وقيل: أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عنه أكله، فخاب ولم ينل مراده. وقال ابن الأعرابي: أي فسد عليه عيشه وصار من العز إلى الذل، ومن الراحة إلى التعب. قال ابن قتيبة: يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه إنما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية، كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ويعتاده.

[١٢٢] ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾[4]، اختاره واصطفاه، ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[5]، بالعفو، ﴿ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[6]، هداه إلى التوبة حتى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا.

[١٢٣] ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾[7]، يعني الكتاب والرسول، ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾[8]، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ

(١) سورة طه آية : ١٢١.
(٢) سورة طه آية : ١٢١.
(٣) سورة طه آية : ١٢١.
(٤) سورة طه آية : ١٢٢.
(٥) سورة طه آية : ١٢٢.
(٦) سورة طه آية : ١٢٢.
(٧) سورة طه آية : ١٢٣.
(٨) سورة طه آية : ١٢٣.

﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾[1]. وقال الشعبي عن ابن عباس: أجار الله تعالى تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة، وقرأ هذه الآية.

[١٢٤] ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾[2]، يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾[3]، ضيقًا قيل: هو عذاب القبر وقال الحسن: هو الزقوم والضريع والغسلين في النار. وقال عكرمة: هو الحرام. وقال الضحاك: هو الكسب الخبيث. وعن ابن عباس: قال: الشقاء. ورُوي عنه أنه قال. كل ما أعطي العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة، وإن أقوامًا أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكًا، وذلك أنهم يرون الله ليس بمختلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله، قال سعيد بن جبير: يسلبه القناعة حتى لا يشبع، ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾[4]، قال ابن عباس. أعمى البصر. وقال مجاهد: أعمى عن الحجة.

قوله تعالى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا....

[١٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥﴾[5]، بالعين أو بصيرا بالحجة.

---

(١) سورة طه آية : ١٢٣.
(٢) سورة طه آية : ١٢٤.
(٣) سورة طه آية : ١٢٤.
(٤) سورة طه آية : ١٢٤.
(٥) سورة طه آية : ١٢٥.

[١٢٦] ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ﴾ [١]، أي كما ﴿ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ﴾ [٢]، فتركتها وأعرضت عنها، ﴿ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [٣] تترك في النار. قال قتادة: نسُوا من الخير ولم ينسوا من العذاب.

[١٢٧] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ [٤]، أي وكما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك، ﴿ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾ [٥]، أشرك، ﴿ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ ﴾ [٦]، مما يعذبهم به في الدنيا والقبر، ﴿ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [٧]، وأدوم.

[١٢٨] ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ [٨]، يبين لهم القرآن يعني كفار مكة، ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ ﴾ [٩]، ديارهم ومنازلهم إذا سافروا، والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [١٠]، لذوي العقول.

---

(١) سورة طه آية : ١٢٦.
(٢) سورة طه آية : ١٢٦.
(٣) سورة طه آية : ١٢٦.
(٤) سورة طه آية : ١٢٧.
(٥) سورة طه آية : ١٢٧.
(٦) سورة طه آية : ١٢٧.
(٧) سورة طه آية : ١٢٧.
(٨) سورة طه آية : ١٢٨.
(٩) سورة طه آية : ١٢٨.
(١٠) سورة طه آية : ١٢٨.

[١٢٩] ﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ ﴾ [(١)] فيه تقديم وتأخير، تقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجلا مسمى، والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم، أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزامًا، أي لكان العذاب لازمًا لهم كما لزم القرون الماضية الكافرة.

[١٣٠] ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [(٢)]، نسختها آية القتال، ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ [(٣)]، أي صل بأمر ربك. وقيل: صل لله بالحمدلة والثناء عليه، ﴿ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ [(٤)]، يعني صلاة الصبح، ﴿ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ ﴾ [(٥)]، صلاة العصر، ﴿ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ ﴾ [(٦)]، ساعاتها واحدها أنى، ﴿ فَسَبِّحۡ ﴾ [(٧)]، يعني صلاة المغرب والعشاء. قال ابن عباس: يريد أول الليل، ﴿ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [(٨)]، يعني صلاة الظهر، وسمي وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال، وهو النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء، وقيل: المراد من آناء الليل صلاة العشاء ومن أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب، لأن الظهر في آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف الآخر من النهار، فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلي المغرب، ﴿ لَعَلَّكَ

(١) سورة طه آية : ١٢٩.
(٢) سورة طه آية : ١٣٠.
(٣) سورة طه آية : ١٣٠.
(٤) سورة طه آية : ١٣٠.
(٥) سورة طه آية : ١٣٠.
(٦) سورة طه آية : ١٣٠.
(٧) سورة طه آية : ١٣٠.
(٨) سورة طه آية : ١٣٠.

تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [1]، أي ترضى ثوابه في المعاد، وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم: تُرضي بضم التاء أي تعطي ثوابه. وقيل: ترضى أي يرضاك الله تعالى، كما قال: ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ ﴾ [2]، وقيل: معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة، كما قال: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [3].

[١٣١] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ ﴾ [4]، قال أبو رافع: ﴿ نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال لي: "قل له: إن رسول الله يقول لك يعني كذا وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال رجب" فأتيته فقلت له ذلك فقال: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: والله لئن باعني وأسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه ﴾ [5]. ف لت هذه الآية: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ ﴾ [6]، لا تنظر، ﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ ﴾ [7]، أعطينا، ﴿ أَزۡوَٰجٗا ﴾ [8]، أصنافا، ﴿ مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [9] أي زينتها وبجتها، وقرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ

---

(١) سورة طه آية : ١٣٠.

(٢) سورة مريم آية : ٥٥.

(٣) سورة الضحى آية : ٥.

(٤) سورة طه آية : ١٣١.

(٥) أخرجه إسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار والطبري والطبراني وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو متروك انظر الكافي الشافي ص ١٠٩ وأسباب ال ول للواحدي ص ٣٥٢ وأيد القرطبي بطلان هذه الرواية ١١ / ٢٦٣.

(٦) سورة طه آية : ١٣١.

(٧) سورة طه آية : ١٣١.

(٨) سورة طه آية : ١٣١.

(٩) سورة طه آية : ١٣١.

العامة بجزمها، ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [1]، أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرًا وطغيانًا، ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ ﴾ [2]، في المعاد يعني في الجنة، ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [3]، قال أبي ابن كعب: من لم يستعز بعز الله تقطعت نفسه حسرات، ومن يتبع بصره فيما في أيدي الناس بطل حزنه، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه.

[١٣٢] ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ ﴾ [4]، أي قومك. وقيل: من كان على دينك، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ ﴾ [5]، ﴿ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [6]، أي اصبر على الصلاة، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ﴾ [7]، لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا، ولا أن ترزق نفسك وإنما نكلفك عملا، ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ ﴾ [8]، الخاتمة الجميلة المحمودة، ﴿ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [9]، أي لأهل التقوى. قال ابن عباس: يعني الذين صدقوك واتبعوك واتقوني. وفي بعض المسانيد أن النبي ﷺ ﴿ كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴾.

(١) سورة طه آية : ١٣١.
(٢) سورة طه آية : ١٣١.
(٣) سورة طه آية : ١٣١.
(٤) سورة طه آية : ١٣٢.
(٥) سورة مريم آية : ٥٥.
(٦) سورة طه آية : ١٣٢.
(٧) سورة طه آية : ١٣٢.
(٨) سورة طه آية : ١٣٢.
(٩) سورة طه آية : ١٣٢.

[١٣٣] قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ﴾ (١)، يعني المشركين، ﴿ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ ﴾ (٢)، أي الآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة، ﴿ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ ﴾ (٣)، قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم ﴿ تَأۡتِهِم ﴾ (٤) لتأنيث البينة، وقرأ الآخرون بالياء لتقدم الفعل، لأن البينة هي البيان فرد إلى المعنى، ﴿ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ (٥)، يعني بيان ما فيها، وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية. وقيل: أو لم يأتم ما في الصحف الأولى التوراة والإنجيل وغيرهما من أنباء الأمم أنم اقترحوا الآيات، فلما أتتهم ولم يؤمنوا با، كيف عجلنا لهم العذاب والهلاك، فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك.

[١٣٤] ﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ ﴾ (٦)، يعني من قبل إرسال الرسول وإنزال القرآن، ﴿ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ ﴾ (٧)، هلا ﴿ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا ﴾ (٨)، يدعونا، أي لقالوا يوم القيامة، ﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴾ (٩)، بالعذاب والذل والهوان والخزي والافتضاح.

---

(١) سورة طه آية : ١٣٣.
(٢) سورة طه آية : ١٣٣.
(٣) سورة طه آية : ١٣٣.
(٤) سورة طه آية : ١٣٣.
(٥) سورة طه آية : ١٣٣.
(٦) سورة طه آية : ١٣٤.
(٧) سورة طه آية : ١٣٤.
(٨) سورة طه آية : ١٣٤.
(٩) سورة طه آية : ١٣٤.

[١٣٥] ﴿ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ ﴾[1]، منتظر دوائر الزمان، وذلك أن المشركين قالوا: نتربص بمحمد حوادث الدهر، فإذا مات تخلصنا، قال الله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُواْۖ ﴾[2]، فانتظروا، ﴿ فَسَتَعۡلَمُونَ ﴾[3]، إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، ﴿ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ ﴾[4]، المستقيم، ﴿ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥ ﴾[5]، من الضلالة نحن أم أنتم؟.

(١) سورة طه آية : ١٣٥.
(٢) سورة طه آية : ١٣٥.
(٣) سورة طه آية : ١٣٥.
(٤) سورة طه آية : ١٣٥.
(٥) سورة طه آية : ١٣٥.

(٢١) سورة الأنبياء

قوله تعالى اقْتَرَبَ لِلناسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ.....

[١] ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ ﴾ [(١)]، قيل: اللام بمعنى مـ ن، يعني اقترب من الناس ﴿ حِسَابُهُمۡ ﴾ [(٢)]، يعني وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم، يعني يوم القيامة، نزلت في منكري البعث، ﴿ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ ﴾ [(٣)]، عن التأهب له.

[٢] ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ ﴾ [(٤)]، يعني ما يحدث الله من تـ يل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به. قال مقاتل: يحدث الله الأمر بعد الأمر. وقيل: الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من السنن والمواعظ سوى القرآن، وأضافه إلى الرب ﷻ لأنه قال بأمر الرب، ﴿ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ ﴾ [(٥)]، يعني استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون.

[٣] ﴿ لَاهِيَةً ﴾ [(٦)]، ساهية غافلة، ﴿ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ [(٧)]، معرضة عن ذكر الله، وقوله: ﴿ لَاهِيَةً ﴾ [(٨)] نعت تقدم الاسم، ومن حق النعت أن يتبع الاسم في الإعراب، وإذا تقدم النعت الاسم فله حالتان: فصل ووصل، فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١.

(٢) سورة الأنبياء آية : ١.

(٣) سورة الأنبياء آية : ١.

(٤) سورة الأنبياء آية : ٢.

(٥) سورة الأنبياء آية : ٢.

(٦) سورة الأنبياء آية : ٣.

(٧) سورة الأنبياء آية : ٣.

(٨) سورة الأنبياء آية : ٣.

﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ [1] وفي الوصل حالة ما قبله من الإعراب كقوله: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا ﴾ [2]. ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [3]، يعني أشركـوا، قوله: ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ [4] فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، أراد: الذين ظلموا أسروا النجوى. وقيل: محل الذين رفع على أسروا. قال المبرد: هذا كقولك: إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله، على البدل مما في انطلقوا.

ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال: ﴿ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ ﴾ [5]، أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة، ﴿ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ ﴾ [6]، يعني تحضرون السحر وتقبلونه، ﴿ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝ ﴾ [7]، تعلمون أنه سحر.

[٤] ﴿ قَالَ ﴾ [8]، لهم محمد، ﴿ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [9]، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿ قَالَ رَبِّي ﴾ [10]، على الخبر عن محمد ﷺ ﴿ يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ

(١) سورة القمر آية : ٧.
(٢) سورة النساء آية : ٧٥.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٣.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٣.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٣.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٣.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٣.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٤.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٤.
(١٠) سورة الأنبياء آية : ٤.

﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ (١) أي لا يخفى عليه شيء، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ (٢)، لأقوالهم، ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ۝٤ ﴾ (٣)، بأفعالهم.

[٥] ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ ﴾ (٤)، أباطيلها وأقاويلها وأهاويلها رآها في النوم، ﴿ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ (٥)، أختلقه، ﴿ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ ﴾ (٦)، يعني أن المشركين اقتسموا القول فيه وفيما يقوله، قال بعضهم: أضغاث أحلام. وقال بعضهم: بل هو فرية. وقال بعضهم: بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر. ﴿ فَلۡيَأۡتِنَا ﴾ (٧) محمد، ﴿ بِـَٔايَةٖ ﴾ (٨)، إن كان صادقًا ماله ﴿ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٥ ﴾ (٩)، من الرسل بالآيات.

[٦] قال الله تعالى مجيبًا لهم: ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم ﴾ (١٠)، أي قبل مشركي مكة، ﴿ مِّن قَرۡيَةٍ ﴾ (١١)، أي من أهل قرية آتتهم الآيات، ﴿ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ ﴾ (١٢)، أهلكناهم

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٤.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٤.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٤.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٥.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٥.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٥.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٥.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٥.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٥.
(١٠) سورة الأنبياء آية : ٦.
(١١) سورة الأنبياء آية : ٦.
(١٢) سورة الأنبياء آية : ٦.

بالتكذيب، ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾[(١)]، إن جاءتم آية، معناه: أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء.

[٧] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾[(٢)]، هذا جواب لقولهم: ﴿ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[(٣)] يعني إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالا نوحي إليهم، ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾[(٤)]، يعني أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فإنم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرًا، وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ وأمر المشركين بمسألتهم لأنم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن به. وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، ﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾[(٥)].

[٨] ﴿ وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ ﴾[(٦)]، أي الرسل، ﴿ جَسَدًا ﴾[(٧)]، ولم يقل أجسادًا لأنه اسم الجنس، ﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾[(٨)]، هذا رد لقولهم: ﴿ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ

(١) سورة الأنبياء آية : ٦.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٧.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٣.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٧.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٧.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٨.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٨.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٨.

﴿يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾[1]، يقول: لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام، ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾[2]، في الدنيا.

[٩] ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾[3]، الذي وعدناهـم بإهـلاك أعدائهـم، ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ﴾[4]، يعني أنجينا المؤمنين الذين صدقوهم، ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٩﴾[5]، يعني المشركين المكذبين، وكل مشرك مسرف على نفسه.

[١٠] ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا﴾[6]، يا معشـر قريش، ﴿فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ﴾[7]، يعني شرفكم، كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾[8]، وهو شرف لمن آمن به، وقال مجاهد: فيه حديثكم. وقال الحسن: فيه ذكركم أي ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٠﴾[9].

(١) سورة الفرقان آية : ٧.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٨.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٩.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٩.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٩.
(٦) سورة الأنبياء آية : ١٠.
(٧) سورة الأنبياء آية : ١٠.
(٨) سورة الزخرف آية : ٤٤.
(٩) سورة الأنبياء آية : ١٠.

قوله تعالى وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ....

[١١] ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ [١]، أهلكنا، والقصم الكسر، ﴿ مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ [٢]، أي كافرة، يعني أهلها، ﴿ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا ﴾ [٣]، يعني: أحدثنا بعد هلاك أهلها، ﴿ قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [٤].

[١٢] ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ ﴾ [٥]، يعني رأوا عذابنا بحاسة البصر، ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [٦]، يعني يسرعون هاربين.

[١٣] ﴿ لَا تَرْكُضُواْ ﴾ [٧]، يعني قيل لهم لا تركضوا لا تربوا لا تذهبوا، ﴿ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ [٨]، يعنى نعمتم به، ﴿ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [٩]، قال ابن عباس: عن قتل نبيكم وقيل: من دنياكم شيئا.

[١٤] ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [١٠].

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١١.
(٢) سورة الأنبياء آية : ١١.
(٣) سورة الأنبياء آية : ١١.
(٤) سورة الأنبياء آية : ١١.
(٥) سورة الأنبياء آية : ١٢.
(٦) سورة الأنبياء آية : ١٢.
(٧) سورة الأنبياء آية : ١٣.
(٨) سورة الأنبياء آية : ١٣.
(٩) سورة الأنبياء آية : ١٣.
(١٠) سورة الأنبياء آية : ١٤.

[١٥] ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ [(١)]، أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا، دعاؤهم يدعون بها ويرددونها؟ ﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا ﴾ [(٢)] كما يحصد الزرع، ﴿ خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [(٣)]، ميتين.

[١٦] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [(٤)]، أي عبثا وباطلا.

[١٧] ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ [(٥)]، اختلفوا في اللهو، قال ابن عباس في رواية عطاء: اللهو ههنا المرأة، وهو قول الحسن وقتادة، وقال في رواية الكلبي. اللهو الولد وهو قول السدي، وهو في المرأة أظهر لأن الوطء يسمى لهوًا في اللغة، والمرآة محل الوطء ﴿ لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ [(٦)]، يعني من عندنا من حور العين لا من عندكم من أهل الأرض. وقيل: معناه لو كان جائزًا ذلك في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم بل يستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه، وتأويل الآية أن النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بذا وقال: ﴿ لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ [(٧)] لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره، ﴿ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [(٨)]، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: (إن) للنفي، معناه: ما كنا فاعلين. وقيل: ﴿ إِن كُنَّا

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١٥.
(٢) سورة الأنبياء آية : ١٥.
(٣) سورة الأنبياء آية : ١٥.
(٤) سورة الأنبياء آية : ١٦.
(٥) سورة الأنبياء آية : ١٧.
(٦) سورة الأنبياء آية : ١٧.
(٧) سورة الأنبياء آية : ١٧.
(٨) سورة الأنبياء آية : ١٧.

﴿ فَٰعِلِينَ ۝١٧ ﴾ [1] للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنا، ولكنا لم نفعله لأنه لا يليق بالربوبية.

[١٨] ﴿ بَلْ ﴾ [2]، يعني دع ذلك الذي قالوا فإنه كذب وباطل، ﴿ نَقْذِفُ ﴾ [3]، نرمي ونسلط، ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ [4]، بالإيمان، ﴿ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ ﴾ [5]، على الكفر، وقيل. الحق قول الله، فإنه لا ولد له، والباطل قولهم أتخذ الله ولدا، ﴿ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ [6]، يعني يهلكه، وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [7]، ذاهب، والمعنى: أنا نبطل كذبهم بما تبين من الحق حتى يضمحل ويذهب، ثم أوعدهم على كذبهم فقال: ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ ﴾ [8]، يا معشر الكفار. ﴿ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨ ﴾ [9]، الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد. وقال مجاهد. مما تكذبون.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١٧.
(٢) سورة الأنبياء آية : ١٨.
(٣) سورة الأنبياء آية : ١٨.
(٤) سورة الأنبياء آية : ١٨.
(٥) سورة الأنبياء آية : ١٨.
(٦) سورة الأنبياء آية : ١٨.
(٧) سورة الأنبياء آية : ١٨.
(٨) سورة الأنبياء آية : ١٨.
(٩) سورة الأنبياء آية : ١٨.

[١٩] ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[(١)]، عبيدا وملكا، ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ ﴾[(٢)]، يعني الملائكة. ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾[(٣)]، ولا يأنفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها، ﴿ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ ﴾[(٤)]، لا يعيون، يقال: حسر واستحسر إذا تعب وأعيا. وقال السدي: لا ينقطعون عن العبادة.

[٢٠] ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾[(٥)]، لا يضعفون، قال كعب الأحبار: التسبيح لهم كالنفس لبني آدم.

[٢١] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ ﴾ [(٦)] استفهام بمعنى الجحد أي لم يتخذوا، ﴿ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾[(٧)]، يعني الأصنام من الخشب والحجارة وهما من الأرض، ﴿ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ ﴾[(٨)]، يحيون الأموات، ولا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم.

(١) سورة الأنبياء آية : ١٩.
(٢) سورة الأنبياء آية : ١٩.
(٣) سورة الأنبياء آية : ١٩.
(٤) سورة الأنبياء آية : ١٩.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٠.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٢١.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٢١.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٢١.

[٢٢] ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ﴾[(١)]، يعني في السماء والأرض، ﴿ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[(٢)]، يعني غير الله، ﴿ لَفَسَدَتَاۚ ﴾[(٣)]، لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام، ثم نزه نفسه فقال: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[(٤)]، يعني يصمه به المشركون من الشريك والولد.

[٢٣] ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ ﴾[(٥)]، ويحكم على خلقه لأنه الرب ﴿ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[(٦)]، عن أفعالهم وأعمالهم لأنم عبيد.

[٢٤] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ ﴾[(٧)]، استفهام إنكار وتوبيخ، ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ ﴾[(٨)]، يعني حجتكم على ذلك، ثم قال مستأنفا، ﴿ هَٰذَا ﴾[(٩)]، يعني القرآن. ﴿ ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ ﴾[(١٠)]، فيه خبر من معي على ديني ومن تبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿ وَذِكۡرُ ﴾[(١١)]، خبر، ﴿ مَن

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٢.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٢.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٢.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٢٢.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٣.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٢٣.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٢٤.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٢٤.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٢٤.
(١٠) سورة الأنبياء آية : ٢٤.
(١١) سورة الأنبياء آية : ٢٤.

قَبۡلِيۗ ﴾[1]، من الأمم السالفة ما فعل بم في الدنيا وما يفعل بم في الآخرة. وعن ابن عباس في رواية عطاء: ذكر من معي: القرآن، وذكر من قبلي: التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولدا، ﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

قوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون.....

[٢٥] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾[3]، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي إليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم، لقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول، ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[4]، وحدون.

[٢٦] ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ ﴾[5]، نزلت في خزاعة حيث قال: الملائكة بنات الله ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۚ ﴾[6]، نزه نفسه عما قالوا، ﴿ بَلۡ عِبَادٞ ﴾[7]، أي هم عباد، يعني الملائكة، ﴿ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[8].

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٤.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٤.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٥.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٢٥.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٦.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٢٦.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٢٦.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٢٦.

[٢٧] ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾[1]، لا يقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به، ﴿ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2]، معناه أنهم لا يخالفونه قولا ولا عملا.

[٢٨] ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾[3]، أي ما عملوا وما هم عاملون. وقيل: ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[4]، قال ابن عباس: أي إلا لمن قال: لا إله إلا الله، وقال مجاهد: أي لمن رضي عنه، ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[5]، خائفون لا يأمنون مكره.

[٢٩] ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ ﴾[6]، قال مقاتل: عنى به إبليس حين دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة نفسه، فإن أحدا من الملائكة لم يقل إني إله من دون الله، ﴿ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[7]، الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٧.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٧.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٨.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٢٨.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٨.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٢٩.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٢٩.

[٣٠] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[١]، قرأ العامة بالواو وقرأ ابن كثير ألم ير بغير واو، وكذلك هو في مصاحفهم معناه: ألم يعلم الذين كفروا، ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا ﴾[٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وعطاء وقتادة: كانتا شيئا واحدا ملتزقتين، ﴿ فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ ﴾[٣]، فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد، والفتق الشق، قال كعب: خلق الله السماوات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحا فوسطها ففتحهما با. قال مجاهد والسدي: كانت السماوات مرتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتحها فجعلها سبع أرضين. قال عكرمة وعطية: كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، وإنما قال: ﴿ رَتۡقٗا ﴾[٤] على التوحيد وهو من نعت السماوات والأرض لأنه مصدر وضع موضع الاسم، مثل الزور والصوم ونحوهما، ﴿ وَجَعَلۡنَا ﴾[٥]، وخلقنا، ﴿ مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ ﴾[٦]، أي أحيينا بالماء الذي ﯾ ل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر، يعني أنه سبب لحياة كل شيء.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء آية : ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء آية : ٣٠.

(٤) سورة الأنبياء آية : ٣٠.

(٥) سورة الأنبياء آية : ٣٠.

(٦) سورة الأنبياء آية : ٣٠.

والمفسرون يقولون: يعني أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء. لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾[1]، قال أبو العالية: يعني النطفة، فإن قيل: قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء؟ قيل: هذا على وجه التكثير، يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء، ﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

[٣١] ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ ﴾[3]، أي جبالا ثوابت، ﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾[4]، لئلا تميـد بـهـم، ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾[5]، في الرواسـي، ﴿ فِجَاجًا ﴾[6]، طرقا ومسالك، والفج الطريق الواسع بين الجبلين، أي جعلنا بين الجبال طرقا كي يهتدوا إلى مقاصدهم، ﴿ سُبُلًا ﴾[7]، تفسير للفجاج، ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[8].

[٣٢] ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾[9]، من أن تسقط، دليله قوله تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾[10]، وقيل: محفوظا من الشياطين

---

(١) سورة النور آية : ٤٥.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٣٠.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٣١.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٣١.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٣١.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٣١.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٣١.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٣١.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٣٢.
(١٠) سورة الحج آية : ٦٥.

بالشهب، دليله قوله تعالى: ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ [1]، ﴿ وَهُمْ ﴾ [2]، يعني الكفار، ﴿ عَنْ ءَايَٰتِهَا ﴾ [3]، أي عن ما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها، ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ [4]، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

[٣٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [5]، يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء، وإنما قال: يسبحون، ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح، فذكر على ما يعقل، والفلك مدار النجوم الذي يضمها، والفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك، ومنه فلكة المغزل، وقال الحسن: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل، يريد أن الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة. قال الضحاك: فلكها مجراها وسرعة سيرها. قال مجاهد: كهيئة حديد الرحى.

وقال بعضهم: الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه، وهو معنى قول قتادة وقال الكلبي: الفلك استدارة السماء. وقال آخرون: الفلك موج مكفوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم.

(١) سورة الحجر آية : ١٧.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٣٢.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٣٢.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٣٢.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٣٣.

[٣٤] قوله ﷻ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾[١]، دوام البقاء في الدنيا، ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾[٢]، أي أفهم الخالدون إن مت، قيل: نزلت هذه الآية حين قالوا: نتربص بمحمد ريب المنون.

[٣٥] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم ﴾[٣]، نختبركم ﴿ بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ ﴾[٤]، بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر، وقيل: بما تحبون وما تكرهون، ﴿ فِتْنَةً ﴾[٥]، ابتلاء لننظر كيف شكرتم فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون، ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[٦].

[٣٦] ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ ﴾[٧]، ما يتخذونك، ﴿ إِلَّا هُزُوًا ﴾[٨]، سخريا، قال السدي: نزلت في أبي جهل مر به النبي ﷺ فضحك، وقال: هذا نبي بني عبد مناف، ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى ﴾[٩]، أي يقول بعضهم لبعض: أهذا الذي، ﴿ يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾[١٠]، أي يعيبها، يقال: فلان يذكر فلانا أي يعيبه، وفلان يذكر

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٤.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٣٤.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٣٥.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٣٥.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٣٥.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٣٥.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٣٦.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٣٦.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٣٦.
(١٠) سورة الأنبياء آية : ٣٦.

الله أي يعظمه ويبجله، ﴿ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[1]، وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة، و ﴿ هُمۡ ﴾[2] الثانية صلة.

قوله تعالى خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ

[٣٧] ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ ﴾[3]، اختلفوا فيه، فقال قوم. معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع، كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾[4] والمراد بالإنسان آدم، وأورث أولاده العجلة، والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء: خلقت منه، كما يقول: خلقت من تعب وخلقت من غضب، تريد المبالغة في وصفه بذلك، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾[5]، وقال قوم: معناه خلق الإنسان يعني آدم من تعجيل في خلق الله إياه، لأن خلقه كان بعد خلق كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة، فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس ﴿ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾[6]، هذا خطاب للمشركين، نزل هذا في المشركين كانوا يستعجلون بالعذاب ويقولون أمطر علينا حجارة من السماء: وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، فقال تعالى: ﴿ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾[7] أي مواعيدي فلا تستعجلون، أي فلا تطلبوا العذاب من وقته، فأراهم يوم بدر، وقيل: كانوا يستعجلون القيامة.

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٦.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٣٦.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٣٧.
(٤) سورة الإسراء آية : ١١.
(٥) سورة الإسراء آية : ١١.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٣٧.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٣٧.

[٣٨، ٣٩] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴾ [(١)]،

فقال تعالى: ﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ ﴾ [(٢)]، لا يدفعون ﴿ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ ﴾ [(٣)]، قيل: ولا عن ظهورهم السياط، ﴿ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [(٤)]، يمنعون من العذاب، وجواب لو في قوله: ﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ﴾ [(٥)] محذوف معناه: ولو علموا لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا، ولا قالوا متى هذا الوعد.

[٤٠] ﴿ بَلۡ تَأۡتِيهِم ﴾ [(٦)]، يعني الساعة ﴿ بَغۡتَةً ﴾ [(٧)]، فجأة، ﴿ فَتَبۡهَتُهُمۡ ﴾ [(٨)]، أي تحيرهم، يقال: فلان مبهوت أي متحير، ﴿ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ [(٩)]، يمهلون.

[٤١] ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ ﴾ [(١٠)] نزل ﴿ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [(١١)] أي جزاء استهزائهم.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٨.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٣٩.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٣٩.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٣٩.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٣٩.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٤٠.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٤٠.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٤٠.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٤٠.
(١٠) سورة الأنبياء آية : ٤١.
(١١) سورة الأنبياء آية : ٤١.

[٤٢] ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم ﴾[1]، يحفظكم، ﴿ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ ﴾[2]، إن أنزل بكم عذابه، وقال ابن عباس: من يمنعكم من عذاب الرحمن، ﴿ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم ﴾[3]، عن القرآن ومواعظ الله، ﴿ مُّعۡرِضُونَ ۝٤٢ ﴾[4].

[٤٣] ﴿ أَمۡ لَهُمۡ ﴾[5]، أي: صلة فيه، وفي أمثاله ﴿ ءَالِهَةٌ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ ﴾[6]، فيه تقديم وتأخير، تقديره: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم، ثم وصف الآلهة بالضعف، فقال تعالى: ﴿ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ ﴾[7]، منع أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم، ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ۝٤٣ ﴾[8]، قال ابن عباس: يمنعون.

وقال عطية: عنه يجارون، تقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان، أي مجير منه. وقال مجاهد: ينصرون ويحفظون. وقال قتادة: لا يصبحون من الله بخير.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٤٢.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٤٢.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٤٢.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٤٢.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٤٣.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٤٣.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٤٣.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٤٣.

[٤٤] ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[١]، الكفار، ﴿ وَءَابَآءَهُمْ ﴾[٢]، في الدنيا أي أمهلناهم. وقيل: أعطيناهم النعمة، ﴿ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾[٣]، أي امتد بم الزمان فاغتروا، ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾[٤]، أي ما ننقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين، يريد ظهور النبي ﷺ وفتحه ديار الشرك أرضا فأرضا، ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٥]، أم نحن.

قوله تعالى قُلْ إِنمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصم الدعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ.....

[٤٥] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ﴾[٦]، أي أخوفكم بالقرآن، ﴿ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ ﴾[٧]، قرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالتاء وضمها وكسر الميم، (الصم) نصبا، جعل الخطاب للنبي ﷺ وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وفتح الميم، الصم رفع، ﴿ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[٨]، يخوفون.

[٤٦] ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ ﴾[٩]، أصابتهم ﴿ نَفْحَةٌ ﴾[١٠]، قال ابن عباس رضي الله عنهما طرف. وقيل: قليل. وقال ابن جريج. نصيب، من قولهم نفح فلان لفلان من

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٤٤.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٤٤.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٤٤.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٤٤.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٤٤.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٤٥.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٤٥.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٤٥.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٤٦.
(١٠) سورة الأنبياء آية : ٤٦.

ماله أي أعطاه حظا ونصيبا منه. وقيل: ضربة من قولهم نفحت الدابة برجلها إذا ضربت بها، ﴿ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، أي بإهلاكنا إنا كنا مشركين، دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا بالشرك.

[٤٧] ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾[2]، أي ذوات القسط والقسط: العدل، ﴿ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ ﴾[3]، أي: لا تنقص من ثواب حسناتها ولا يزاد على سيئاتها ﴿ وَإِن كَانَ ﴾[4]، الشيء، ﴿ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾[5]، أي زنة مثقال حبة. ﴿ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾[6]، قرأ أهل المدينة (مثقال) برفع اللام هاهنا وفي سورة لقمان يعني: وإن وقع مثقال حبة من خردل ونصبها الآخرون على معنى وإن كان ذلك الشيء مثقال حبة من خردل، ﴿ أَتَيْنَا بِهَا ۗ ﴾[7] أحضرناها لنجازي بها، ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[8]، قال السدي: محصين، والحسب معناه: العد، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عالمين حافظين، لأن من حسب شيئا علمه وحفظه.

[٤٨] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[9]، يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل، وهو التوراة. وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٤٦.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٤٧.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٤٧.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٤٧.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٤٧.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٤٧.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٤٧.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٤٧.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٤٨.

تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾[1]، يعني يوم بدر لأنه قال ﴿ وَضِيَآءً ﴾[2]، أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضياء، وهو التوراة. ومن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: ﴿ وَضِيَآءً ﴾[3]، زائدة مقحمة، معناه: آتيناه التوراة ضياء، وقيل: هو صفة أخرى للتوراة، ﴿ وَذِكۡرًا ﴾[4]، تذكيرا، ﴿ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[5].

[٤٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[6]، أي يخافونه ولم يروه، ﴿ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[7]، خائفون.

[٥٠] ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٌ مُّبَارَكٌ ﴾[8]، يعني القرآن وهو ذكر لمن تذكر به، مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير، ﴿ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ ﴾[9]، يا أهل مكة، ﴿ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[10]، جاحدون، هذا استفهام توبيخ وتعيير.

(١) سورة الأنفال آية : ٤١.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٤٨.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٤٨.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٤٨.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٤٨.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٤٩.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٤٩.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٥٠.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٥٠.
(١٠) سورة الأنبياء آية : ٥٠.

[٥١] قوله ﷻ ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾[١]، قال القرطبي: أي صلاحه، ﴿ مِن قَبْلُ ﴾[٢]، يعني من قبل موسى وهارون، وقال المفسرون: رشده من قبل، أي هداه من قبل البلوغ، وهو حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هديناه صغيرا كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ ﴾[٣] ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ ﴾[٤]، أنه أهل للهداية والنبوة.

[٥٢] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ﴾[٥]، أي الصور، يعني الأصنام ﴿ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ ﴾[٦]، يعني على عبادتها مقيمون.

[٥٣] ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ ﴾[٧]، فاقتدينا بهم.

[٥٤] ﴿ قَالَ ﴾[٨]، إبراهيم، ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤ ﴾[٩]، خطأ بين بعبادتكم إياها.

[٥٥] ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ ﴾[١٠]، يعنون أجاد أنت فيما تقول أم لاعب؟.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٥١.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٥١.
(٣) سورة مريم آية : ١٢.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٥١.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٥٢.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٥٢.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٥٣.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٥٤.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٥٤.
(١٠) سورة الأنبياء آية : ٥٥.

[٥٦] ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾[(١)]، خلقهن، ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦ ﴾[(٢)]، يعني على أنه الإله الذي لا يستحق العبادة غيره. وقيل: من الشاهدين على أنه خالق السماوات والأرض.

[٥٧] ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم ﴾[(٣)]، لأمكرن بها، ﴿ بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ ﴾[(٤)]، يعني بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم.

قوله تعالى فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ.....

[٥٨] ﴿ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا ﴾[(٥)]، قرأ الكسائي "جذاذا" بكسر الجيم أي كسرا وقطعا جمع جذيذ، وهو الهشم مثل خفيف وخفاف، وقرأ الآخرون بضمها، مثل الحطام والرفات، ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ ﴾[(٦)]، فإنه لم يكسره ووضع الفأس في عنقه، وقيل: ربطه بيده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وشبة وخشب وحجر، وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه يا قوتتان تتقدان. قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨ ﴾[(٧)]، قيل: معناه لعلهم يرجعون إلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها، وقيل: لعلهم إليه يرجعون فيسألونه، فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم جذاذا.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٥٦.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٥٦.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٥٧.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٥٧.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٥٨.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٥٨.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٥٨.

[٥٩] ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]، يعني من الرمين.

[٦٠] ﴿ قَالُواْ ﴾ [2] يعني الذين سمعوا قول إبراهيم وتالله لأكيدن أصنامكم، ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾[3]، يعيبهم ويسبهم، ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[4]، وهو الذي نظن أنه صنع هذا، فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه.

[٦١] ﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾[5]، قاله نمرود يقول: جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[6]، عليه أنه الذي فعله، كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، قاله الحسن وقتادة والسدي، وقال محمد ابن إسحاق: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [7] أي يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به.

[٦٢] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾[8]، له ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾[9].

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٥٩.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٦٠.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٦٠.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٦٠.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٦١.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٦١.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٦١.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٦٢.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٦٢.

[٦٣] ﴿ قَالَ ﴾ [١]، إبراهيم، ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ [٢]، غضب من أن يعبد معه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [٣]، حتى يخبروا من فعل ذلك بهم. قال القتيبي: معناه بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط فجعل النطق شرطا للفعل أي إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضميره أنا فعلت.

[٦٤] ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [٤]، أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم، ﴿ فَقَالُوٓا۟ ﴾ [٥]، ما نراه إلا كما قال، ﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٦]، يعني بعبادتكم من لا يتكلم. وقيل: أنتم الظالمون هذا الرجل سؤالكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها.

[٦٥] ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ [٧]، قال أهل التفسير: أجرى الله الحق على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ [٨] أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال: نكس المريض إذا رجع إلى حالته الأولى، وقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ

(١) سورة الأنبياء آية : ٦٣.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٦٣.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٦٣.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٦٤.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٦٤.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٦٤.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٦٥.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٦٥.

﴿يَنطِقُونَ ۝٦٥﴾[1]، فكيف نسألهم؟ فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليه السلام.

[٦٦] ﴿قَالَ﴾[2]، لهم، ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾[3]، إن عبدتموه، ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦﴾[4]، إن تركتم عبادته.

[٦٧] ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾[5]، يعني تبا وقذرا لكم، ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾[6]، يعني أليس لكم عقل تعرفون به هذا، فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب.

[٦٨] ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾[7]، يعني إن كنتم ناصرين لها.

[٦٩] قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾[8]، قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات إبراهيم من بردها.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٦٥.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٦٦.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٦٦.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٦٦.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٦٧.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٦٧.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٦٨.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٦٩.

[٧٠] قوله: ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[(١)]، قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم، وقيل: معناه إن الله ﷻ أرسل على نمرود وأهله البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته.

[٧١] قوله: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا ﴾[(٢)]، من نمرود وقومه من أرض العراق، ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[(٣)]، يعني الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنار، ومنها بعث أكثر الأنبياء. خرج من كوثى من أرض العراق مهاجرًا إلى ربه، ومعه لوط وسارة، كما قال الله تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ ﴾[(٤)] فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه.

[٧٢] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ ﴾[(٥)]، قال مجاهد وعطاء: معنى النافلة: العطية وهما جميعا من عطاء الله نافعة يعني عطاء، قال الحسن والضحاك. فضلا. وعن ابن عباس وأبي بن كعب وأبي زيد وقتادة رضي الله عنهم: النافلة هو يعقوب لأن الله ﷻ أعطاه إسحاق بدعائه حيث قال: ﴿ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[(٦)]، وزاد يعقوب وهو ولد الولد، والنافلة الزيادة، ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[(٧)]، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٧٠.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٧١.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٧١.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٢٦.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٧٢.
(٦) سورة الصافات آية : ١٠٠.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٧٢.

قوله تعالى وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ....

[٧٣] ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾[١]، يقتدى بم في الخيرات يهدون بأمرنا يدعون الناس إلى ديننا، ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾[٢]، يعني العمل بالشرائع، ﴿ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٣]، يعني المحافظة عليها، ﴿ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ ﴾[٤]، إعطاءها، ﴿ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣ ﴾[٥]، موحدين.

[٧٤] ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ ﴾[٦]، يعني وآتينا لوطا، وقيل: واذكر لوطا آتيناه، ﴿ حُكۡمٗا ﴾[٧]، يعني الفصل بين الخصوم بالحق، ﴿ وَعِلۡمٗا ﴾[٨]، ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ ﴾[٩]، يعني سدوما وكان أهلها يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أخر، كانوا يعملونا من المنكرات، ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ٧٤ ﴾[١٠].

[٧٥] ﴿ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ ﴾[١١].

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٧٣.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٧٣.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٧٣.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٧٣.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٧٣.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٧٤.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٧٤.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٧٤.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٧٤.
(١٠) سورة الأنبياء آية : ٧٤.
(١١) سورة الأنبياء آية : ٧٥.

[٧٦] ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ ﴾[(١)]، دعا، ﴿ مِن قَبْلُ ﴾[(٢)]، يعني من قبل إبراهيم ولوط، ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾[(٣)]، قال ابن عباس: من الغرق وتكذيب قومه. وقيل: لأنه كان أطول الأنبياء عمرا وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم.

[٧٧] ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ ﴾[(٤)]، منعناه، ﴿ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾[(٥)]، أن يصلوا إليه بسوء. وقال أبو عبيدة: يعني على القوم، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[(٦)].

[٧٨] قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾[(٧)]، اختلفوا في الحرث، قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وأكثر المفسرين: كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده. وقال قتادة: كان زرعا، ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾[(٨)]، يعني رعته ليلا فأفسدته، والنفش الرعي بالليل والهمل بالنهار وهما الرعي بلا راع، ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[(٩)]، يعني كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه، قال ابن عباس وقتادة والزهري: وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب زرع

(١) سورة الأنبياء آية : ٧٦.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٧٦.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٧٦.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٧٧.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٧٧.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٧٧.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٧٨.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٧٨.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٧٨.

والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع إن هذا انفلتت غنمه ليلا ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء، فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث، فخرجا فمرا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمرهما لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال: كيف تقضي؟ قال: أدفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئة يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت وحكم بذلك.

[٧٩] قوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ ﴾[1]، أي علمناه القضية وألهمناها سليمان، ﴿ وَكُلًّا ﴾[2]، يعني داود وسليمان، ﴿ ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾[3]، قال الحسن. لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد أهلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿ كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك؟ وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان وأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، ففالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله فهو ابنها فقضى به للصغرى ﴾[4] [5]. قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ ﴾[6]، أي وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع داود إذا سبح، قال ابن عباس:

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٧٩.

(٢) سورة الأنبياء آية : ٧٩.

(٣) سورة الأنبياء آية : ٧٩.

(٤) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٤٤)، مسلم الأقضية (١٧٢٠)، النسائي آداب القضاة (٥٤٠٢)، أحمد (٣٢٢/٢).

(٥) أخرجه البخاري في الأنبياء ٦ / ٤٥٨ ومسلم في الأقضية رقم (١٧٢٠) ٣ / ١٣٤٣.

(٦) سورة الأنبياء آية : ٧٩.

كان يفهم تسبيح الحجر والشجر. وقال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير. وقال قتادة. يسبحن أي يصلين معه إذا صلى. وقيل: كان داود إذ فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه. ﴿ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ۝٧٩ ﴾[1]، ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير.

[٨٠] ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾[2]، المراد باللبوس هنا الدروع لأنا تلبس وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملبوس كالجلوس والركوب، قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح والدرع يجمع الخفة والحصانة، ﴿ لِتُحْصِنَكُم ﴾ [3] لتحرزكم وتمنعكم، ﴿ مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ [4] أي من حرب عدوكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم وقيل: ليحصنكم الله ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ۝٨٠ ﴾[5]، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة. فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول.

[٨١] ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾[6]، أي وسخرنا لسليمان الريح وهي هواء متحرك وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحس بحركته، والريح يذكر ويؤنث، عاصفة شديدة الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضع آخر تجري بأمره رخاء والرخاء اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين

(١) سورة الأنبياء آية : ٧٩.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٨٠.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٨٠.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٨٠.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٨٠.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٨١.

لانت، ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ ﴾ [1]، يعني الشام وذلك إنا كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان ثم يعود إلى م له بالشام ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [2]، علمناه، ﴿ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [3]، بصحة التدبير فيه أي علمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه عز وجل.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [4]، يعني وسخرنا له من الشياطين، ﴿ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ ﴾ [5]، يعني يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر، ﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ [6]، يعني دون الغوص وهو ما ذكر الله ﷻ ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ [7] الآية. ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [8]، حتى لا يخرجوا من أمره. وقال الزجاج: معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا.

قوله تعالى وَأيوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أني مَسنِيَ الضر وَأنتَ أَرْحَمُ الراحِمِينَ.....

[٨٣] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ [9]، يعني دعا ربه، واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لأجله: أني مسني الضر وفي مدة بلائه، فروى ابن شهاب

(١) سورة الأنبياء آية : ٨١.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٨١.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٨١.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٨٢.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٨٢.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٨٢.
(٧) سورة سبأ آية : ١٣.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٨٢.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٨٣.

عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة. وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما.

وقال كعب: كان أيوب في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبع أيام. وقار الحسن: مكث أيوب مطروحا على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير امرأته رحمة صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ما ابتلاه به فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال: رب ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [1]، فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان. ثم ركض برجله ركضة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال: فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقـد ضاعفه الله فإن قيل: إن الله سماه صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ [2] و ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ ﴾ [3]، قيل: ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ ﴾ [4]، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله ﷻ فلا يكون جزعا ولا ترك صبرا كما قال يعقوب: ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [5]. قال سفيان بن عيينة:

(١) سورة الأنبياء آية : ٨٣.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٨٣.
(٣) سورة ص آية : ٤١.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٨٤.
(٥) سورة يوسف آية : ٨٦.

وكذلك من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعا كما روي ﴿ أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال: كيف تجدك؟ قال: أجدني مغموما وأجدني مكروبا ﴾[1]. وقال لعائشة حين قالت وارأساه: ﴿ قال: بل أنا وارأساه ﴾[2] [3].

[٨٤] قوله: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾[4]، واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن وأكثر المفسرين: رد الله ﷻ إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياهم الله وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن: قال الحسن: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رد الله إليه وأهله، يدل عليه ما روي عن الضحاك عن ابن عباس: أن الله ﷻ رد إلى المرأة شبابا فولدت له ستة وعشرين ذكرا. قال عكرمة: قيل لأيوب: إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتى مثلهم في الدنيا، فعلى هذا يكون معنى الآية: وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد، ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾[5]، أي نعمة من عندنا، ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[6]، أي عظة وعبرة لهم.

---

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣ / ١٣٩ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه عبد الله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث.

(٢) البخاري الأحكام (٦٧٩١).

(٣) أخرجه البخاري في المرضى ١٠ / ١٢٣.

(٤) سورة الأنبياء آية : ٨٤.

(٥) سورة الأنبياء آية : ٨٤.

(٦) سورة الأنبياء آية : ٨٤.

[٨٥] قوله: ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ ﴾[1]، يعني ابن إبراهيم، ﴿ وَإِدۡرِيسَ ﴾[2]، وهو أخنوخ، ﴿ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥ ﴾[3]، على أمر الله، واختلفوا في ذا الكفل، فقال عطاء: إن نبيا من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه إني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك أن يصلي بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا فتكفل، ووفى به فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل وقيل: إن ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة إلى أن يقبضه الله فوفى به، واختلفوا في أنه كان نبيا، فقال بعضهم: كان نبيا. وقيل: هو إلياس. وقيل: زكريا. وقال أبو موسى: لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا.

[٨٦] ﴿ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ ﴾[4]، يعني ما أنعم به عليهم في الدنيا من النبوة وصيرهم إليه في الجنة من الثواب، ﴿ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٦ ﴾[5].

قوله تعالى وَذَا النون إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ......

[٨٧] ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾[6]، أي اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى، ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا ﴾[7] والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي تكون من واحد، كالمسافر والمعاقبة، فمعنى قوله مغاضبا أي غضبان. وقال الحسن: إنما غاضب ربه ﷻ من أجل أنه أمره

(١) سورة الأنبياء آية : ٨٥.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٨٥.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٨٥.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٨٦.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٨٦.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٨٧.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٨٧.

بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص إليهم، فقيل له إن الأمر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر إلى أن يأخذ نعلا يلبسها فلم ينظر، وكان في خلقه ضيق فذهب مغاضبا. وعن ابن عباس، قال: أتى جبريل يونس فقال: انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم، فقال: ألتمس دابة، قال: الأمر أعجل من ذلك فغضب فانطلق إلى السفينة ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ (١)، أي لن نقضي عليه العقوبة، قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي، وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال: قدر الله الشيء تقديرا وقدر يقدر قدرا بمعنى واحد، ومنه قوله: ﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ (٢) في قراءة من خففها دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ (٣) بالتشديد، وقال عطاء وكثير من العلماء: معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس، كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾ (٤)، أي يضيق. وقال ابن زيد: هو استفهام معناه فظن أنه يعجز ربه، فلا يقدر عليه. وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على الهول خفيف ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ ﴾ (٥)، يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، وروي عن أبي هريرة مرفوعا: أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه. فقالوا: يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٨٧.

(٢) سورة الواقعة آية : ٦٠.

(٣) سورة الأنبياء آية : ٨٧.

(٤) سورة الرعد آية : ٢٦.

(٥) سورة الأنبياء آية : ٨٧.

وفي رواية: صوتا معروفا من مكان مجهول، فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت، فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم فشفعوا له، عند ذلك فأمر الحوت فقذفه إلى الساحل، كما قال الله تعالى: ﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾[1].

[٨٨] فذلك قوله ﷻ ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾[2]، أي أجبناه، ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾[3]، من تلك الظلمات ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[4]، من كل كرب إذا دعونا واستغاثوا بنا واختلفوا في أن رسالة يونس بن متى كانت؟ فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنا كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت، بدليل أن الله ﷻ ذكره في سورة الصافات، ﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ ﴾[5]، ثم ذكر بعده: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[6]، وقال الآخرون. إنا كانت من قبل بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة الصافات آية : ١٤٥.

(٢) سورة الأنبياء آية : ٨٨.

(٣) سورة الأنبياء آية : ٨٨.

(٤) سورة الأنبياء آية : ٨٨.

(٥) سورة الصافات آية : ١٤٥.

(٦) سورة الصافات آية : ١٤٧.

(٧) سورة الصافات آية :١٣٩ - ١٤٠.

[٨٩] قوله ﷻ ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾ [(١)]، أي دعا ربه، ﴿ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا ﴾ [(٢)]، وحيدا لا ولد لي وارزقني وارثا، ﴿ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [(٣)]، أثنى على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه أفضل من بقي حيا.

[٩٠] ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ [(٤)]، ولدا ﴿ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ ﴾ [(٥)] أي جعلناهـا ولودا بعد ما كانت عقيما، قاله أكثر المفسرين، وقال بعضهم: كانت سيئة الخلق فأصلحهـا الله لـه بأن رزقهـا حسن الخلق. ﴿ إِنَّهُمۡ ﴾ [(٦)] الأنبياء، يعني الأنبياء الذين سماهم في هذه السورة ﴿ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا ﴾ [(٧)]، طمعا ﴿ وَرَهَبٗاۖ ﴾ [(٨)]، خوفا، رغبا في رحمة الله، ورهبا من عذاب الله، ﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [(٩)]، أي متواضعين، قال قتادة: ذللا لأمر الله. قال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٨٩.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٨٩.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٨٩.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٩٠.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٩٠.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٩٠.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٩٠.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٩٠.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٩٠.

قوله تعالى وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.....

[٩١] ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾[١]، حفظت من الحرام وأراد مريم بنت عمران، ﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾[٢]، أي أمرنا جبرائيل حتى نفخ في جيب درعها، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضاف الروح إليه تشريفا لعيسى عليه السلام، ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١ ﴾[٣]، أي دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب ولم يقل آيتين وهما آيتان لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولأن الآية كانت فيهما واحدة، وهي أنها أتت به من غير فحل.

[٩٢] قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ ﴾[٤]، أي ملتكم ودينكم، ﴿ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[٥]، أي دينا واحدا وهو الإسلام، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان، وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع. ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢ ﴾[٦].

(١) سورة الأنبياء آية : ٩١.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩١.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٩١.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٩٢.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٩٢.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٩٢.

[٩٣] ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [(١)]، أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقا وأحزابا، قال الكلبي: فرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض، والتقطع ههنا بمعنى التقطيع، ﴿ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣ ﴾ [(٢)]، فنجزيهم بأعمالهم.

[٩٤] ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ ﴾ [(٣)]، لا يجحد ولا يبطل عمله سعيه بل يشكر ويثاب عليه، ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝٩٤ ﴾ [(٤)]، لعمله حافظون، وقيل: معنى الشكر من الله الـازاة، ومعنى الكفران ترك الـازاة.

[٩٥] ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ ﴾ [(٥)]، قال ابن عباس: معنى الآية وحرام على قرية أي أهل قرية، ﴿ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ﴾ [(٦)] أن يرجعوا بعد الهلاك، فعلى هذا تكون (لا) صلة، وقال آخرون: الحرام بمعنى الواجب، فعلى هذا تكون (لا) ثابتة معناه واجب على أهل قرية أهلكناهم ﴿ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝٩٥ ﴾ [(٧)]، إلى الدنيا، وقال الزجاج: معناه حرام على أهل قرية أهلكناهم أي حكمنا بلاكهم أن يتقبل أعمالهم لأنم لا يرجعون أي لا يتوبون، والدليل على هذا المعنى أنه قال الآية التي قبلها: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ ﴾ [(٨)] أي يتقبل عمله ثم ذكر هذه الآية عقيبه وبين أن الكافر لا يتقبل عمله.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٩٣.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩٣.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٩٤.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٩٤.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٩٥.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٩٥.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٩٥.
(٨) سورة الأنبياء آية : ٩٤.

[٩٦] قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ ﴾[(١)]، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: (فتحـت) بالتشديـد علـى التكثير، وقـرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾[(٢)]، يريد فتـح السـد عن يأجوج، ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[(٣)]، أي نشز وتل، والحـدب المكان المرتفع، ﴿ يَنسِلُونَ ﴾[(٤)]، يسرعون النـزول من الآكام والتلال كنسلان الذئب، وهو سرعة مشيه، واختلفوا في هذه الكناية، فقال قوم: عنى بها يأجوج ومأجوج وقال قوم: أراد جميع الخلق يعني أنهم يخرجون من قبورهم.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾[(٥)] يعني القيامة، قال الفراء وجماعة: الواو في قوله وأقترب مقحمة فمعناه حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق وقال قوم: لا يجوز طرح الواو، وجعلوا جواب حتى إذا فتحت في قوله يا ويلنا، فيكون مجاز الآية: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق، قالوا يا ويلنـا قد كنـا في غفلة من هذا. قوله: ﴿ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[(٦)]، وفي قوله هي ثلاثة أوجه أحدها: أنها كناية عن الأبصار، ثم أظهر الأبصار بيانا معناه: فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا. والثاني: أن هي تكون عمدا كقوله: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾[(٧)]، والثالث: أن يكون تمام الكلام عند

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٩٦.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩٦.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٩٦.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٩٦.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٩٧.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٩٧.
(٧) سورة الحج آية : ٤٦.

قوله: ﴿ هِىَ ﴾ [(١)]، على معنى فإذا هي بارزة يعني مـن قربـها كأنها حاضرة، ثم ابتدأ: ﴿ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [(٢)]، على تقديم الخبر على الابتداء، مجازها: أبصار الذين كفروا شاخصة. قال الكلبي شخصت أبصار الكفار فلا تكـاد تطرف من شـدة ذلك اليـوم وهوله، يقولون: ﴿ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٍ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ [(٣)]، اليـوم، ﴿ بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [(٤)]، بوضعنا العبادة في غير موضعها.

[٩٨] ﴿ إِنَّكُمۡ ﴾ [(٥)] أيهـا المشركـون ﴿ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [(٦)]، يعني الأصنام، ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [(٧)]، يعني وقودها. وقال مجاهد وقتادة: حطبها، والحصب في لغة أهل اليمن الحطب. وقال عكرمة: هذا الحطب بلغة الحبشة. قال الضحاك: يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصب. وأصل الحصب المرمي، قال الله ﷻ ﴿ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا ﴾ [(٨)] أي ريحا ترميهم بحجارة، وقرأ علـي بـن أبي طـالب: حطـب جهنـم، ﴿ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [(٩)]، أي فيها داخلون.

(١) سورة الأنبياء آية : ٩٧.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩٧.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٩٧.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٩٧.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٩٨.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٩٨.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٩٨.
(٨) سورة القمر آية : ٣٤.
(٩) سورة الأنبياء آية : ٩٨.

[٩٩] ﴿ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [١]، يعني الأصنام، ﴿ ءَالِهَةً ﴾ [٢] على الحقيقة، ﴿ مَّا وَرَدُوهَاۖ ﴾ [٣]، أي ما دخل عابدوها النار، ﴿ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ ﴾ [٤]، يعني العابد والمعبودين.

[١٠٠، ١٠١] ﴿ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾ [٥]، قال بعض أهل العلم: إن ههنا بمعنى إلا معناه: إلا الذين سبقت لهم منا الحسنى، يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ ﴾ [٦]، قيل: الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة. وقال أكثر المفسرين: عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره.

[١٠٢] ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ ﴾ [٧]، يعني صوتا وحركة تلهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة، والحس والحسيس الصوت الخفي، ﴿ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ ﴾ [٨]، مقيمون كما قال: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ ﴾ [٩].

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٩٩.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩٩.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٩٩.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٩٩.
(٥) سورة الأنبياء آية :١٠٠ - ١٠١.
(٦) سورة الأنبياء آية : ١٠١.
(٧) سورة الأنبياء آية : ١٠٢.
(٨) سورة الأنبياء آية : ١٠٢.
(٩) سورة الزخرف آية : ٧١.

[١٠٣] ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾[1]، قال ابن عباس: الفزع الأكبر النفخة الأخيرة بدليل قوله ﷻ ﴿ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2]، قال الحسن: حين يؤمر بالعبد إلى النار. قال ابن جريج: حين يذبح الموت وتنادي: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه. ﴿ وَتَتَلَقَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾[3]، أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم، ويقولون: ﴿ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[4].

قوله تعالى يَوْمَ نَطْوِي السَمَاءَ كَطَيِّ السجِلِ لِلْكُتُبِ.....

[١٠٤] ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ ﴾[5] اختلفوا في السجل، فقال السدي، السجل ملك يكتب أعمال العباد، واللام زائدة، أي كطي السجل الكتب كقوله: ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾[6]، اللام فيه زائدة، وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون: السجل الصحيفة للكتب أي لأجل ما كتب، معناه: كطي الصحيفة على مكتوبا، والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتبة، والطي الدرج الذي هو ضد النشر، ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ ﴾[7]، أي كما

(١) سورة الأنبياء آية : ١٠٣.

(٢) سورة النمل آية : ٨٧.

(٣) سورة الأنبياء آية : ١٠٣.

(٤) سورة الأنبياء آية : ١٠٣.

(٥) سورة الأنبياء آية : ١٠٤.

(٦) سورة النمل آية : ٧٢.

(٧) سورة الأنبياء آية : ١٠٤.

بدأناهم في بطون أمهاتم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [(١)].

[١٠٥] ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ [(٢)] قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور جميع الكتب المنزلة، والذكر أم الكتاب الذي عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ. وقال ابن عباس والضحاك: الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة. وقال الشعبي: الزبور كتاب داود، والذكر التوراة، وقيل: الزبور زبور داود والذكر القرآن، وبعد بمعنى قبل، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [(٣)]: أي أمامهم ﴿ أَنَّ الْأَرْضَ ﴾ [(٤)] يعني أرض الجنة، ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [(٥)]، قال مجاهد: يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ﴾ [(٦)]، وقال ابن عباس: أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله بإظهار الدين وإعزاز المسلمين. وقيل: أراد بالأرض الأرض المقدسة.

[١٠٦] ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا ﴾ [(٧)]، أي في هذا القرآن، ﴿ لَبَلَاغًا ﴾ [(٨)]، وصولا إلى البغية أي من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجوه من الثواب. وقيل: بلاغا أي

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٤.
(٢) سورة الأنبياء آية : ١٠٥.
(٣) سورة الكهف آية : ٧٩.
(٤) سورة الأنبياء آية : ١٠٥.
(٥) سورة الأنبياء آية : ١٠٥.
(٦) سورة الزمر آية : ٧٤.
(٧) سورة الأنبياء آية : ١٠٦.
(٨) سورة الأنبياء آية : ١٠٦.

كفاية. يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغة أي كفاية، والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر، ﴿ لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴾[1]، أي المؤمنين الذين يعبدون الله، وقال ابن عباس: عالمين وقال كعب الأحبار: هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان.

[١٠٧] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[2]، قال ابن زيد: يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم. وقال ابن عباس: هو عام في حق من أمن ومن لم يؤمن، فمن آمن رحمة له في الدنيا والأخرة؟ ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم، وقد قال النبي ﷺ ﴿ إنما أنا رحمة مهداة ﴾[3][4].

[١٠٨] ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[5]. أي أسلموا.

[١٠٩] ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ ﴾[6]، أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا، ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ ﴾[7]، يعني إنذارا بينا نستوي في علمه لا استيذانا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم، يعني أذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به، وقيل: لتستووا

(١) سورة الأنبياء آية : ١٠٦.
(٢) سورة الأنبياء آية : ١٠٧.
(٣) الدارمي المقدمة (١٥).
(٤) أخرجه الدارمي عن أبي صالح مرسلا ١ / ٩ ووصله الحاكم ١ / ٣٥ وصححه على شرط الشيخين. قال الهيثمي في المجمع ٨ / ٢٥٧: (رواه البزار والطبراني في الصغير، ورجال البزار رجال الصحيح).
(٥) سورة الأنبياء آية : ١٠٨.
(٦) سورة الأنبياء آية : ١٠٩.
(٧) سورة الأنبياء آية : ١٠٩.

في الإيمان به ﴿ وَإِنۡ أَدۡرِىٓ ﴾[1]، يعني وما أعلم. ﴿ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾[2]، يعني القيامة.

[١١٠] ﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴾[3].

[١١١] ﴿ وَإِنۡ أَدۡرِى لَعَلَّهُۥ ﴾[4]، يعني لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور، ﴿ فِتۡنَةٌ ﴾[5] اختبار، ﴿ لَّكُمۡ ﴾[6]، ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم، ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[7]، يعني تتمتعون إلى انقضاء آجالكم.

[١١٢] ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ ﴾[8] قرأ حفص عن عاصم: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم ﴾[9]، وقرأ الآخرون: قُل رَب احْكُم يعني افصل بيني وبين من كذبني بالحق، فإن قيل: كيف قال: احكم بالحق؟ قيل: الحق ههنا بمعنى العذاب لأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر، نظيره قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾[10]، قال أهل المعاني: معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طلب منه أو لم يطلب، ومعنى الطلب ظهور

(١) سورة الأنبياء آية : ١٠٩.
(٢) سورة الأنبياء آية : ١٠٩.
(٣) سورة الأنبياء آية : ١١٠.
(٤) سورة الأنبياء آية : ١١١.
(٥) سورة الأنبياء آية : ١١١.
(٦) سورة الأنبياء آية : ١١١.
(٧) سورة الأنبياء آية : ١١١.
(٨) سورة الأنبياء آية : ١١٢.
(٩) سورة الأنبياء آية : ١١٢.
(١٠) سورة الأعراف آية : ٨٩.

الرغبة من الطالب في حكمه من الحق، ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَـٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[1]، من الكذب والباطل.

(١) سورة الأنبياء آية : ١١٢.

(٢٢) سورة الحج

قوله تعالى يَا أيهَا الناسُ اتقُوا رَبكُمْ إِن زَلْزَلَةَ الساعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ....

[١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ ﴾ [(١)]، أي: احذروا عقابه بطاعته، ﴿ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ ﴾ [(٢)]، والزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحالة الهائلة، واختلفوا في هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبي: هي من أشراط الساعة. وقيل: قيام الساعة. وقال الحسن والسدي: هده الزلزلة تكون يوم القيامة.

وقال ابن عباس: زلزلة الساعة قيامها فتكون معها.

[٢] ﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا ﴾ [(٣)]، يعني الساعة، وقيل: الزلزلة، ﴿ تَذۡهَلُ ﴾ [(٤)] ابن عبـاس: تشغل، وقيل: تنسى، يقال ذهلت عن كذا إذا تركته واشتغلت بغيره عنه ﴿ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ ﴾ [(٥)]، أي: كل امرأة معها ولد ترضعه، يقال: امرأة مرضع بلا هاء إذا أريد به الصفة مثل حائض وحامل، فإذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء. ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا ﴾ [(٦)]، أي: تسقط ولدها من هول ذلك اليوم قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حمل. ومن قال. تكون في القيامة قال: هذا على وجه تعظيم الأمر لا على حقيقته كقولهم أصابني أمر يشيب منه الوليد يريد به شدته. ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم

---

(١) سورة الحج آية : ١.

(٢) سورة الحج آية : ١.

(٣) سورة الحج آية : ٢.

(٤) سورة الحج آية : ٢.

(٥) سورة الحج آية : ٢.

(٦) سورة الحج آية : ٢.

بِسُكَٰرَىٰ ﴾ [1] قال الحسن. معناه وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب. وقيل: معناه وترى الناس كأنم سكارى ﴿ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾ [2].

[٣] قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [3] نزلت في النضر بن الحارث، وكان كثير الجدل وكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وكان ينكر البعث وإحياء من صار ترابا. قوله تعالى: ﴿ وَيَتَّبِعُ ﴾ [4] أي: يتبع في جداله في الله بغير علم، ﴿ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ ﴾ [5]، والمريد المتمرد الغالي العاتي المستمر في الشر.

[٤] ﴿ كُتِبَ عَلَيۡهِ ﴾ [6]، قضي على الشيطان، ﴿ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ [7]، اتبعه ﴿ فَأَنَّهُۥ ﴾ [8]، يعني الشيطان ﴿ يُضِلُّهُۥ ﴾ [9]، أي: يضل من تولاه، ﴿ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ ﴾ [10]، ثم ألزم الحجة، منكري البعث.

---

(١) سورة الحج آية : ٢.
(٢) سورة الحج آية : ٢.
(٣) سورة الحج آية : ٣.
(٤) سورة الحج آية : ٣.
(٥) سورة الحج آية : ٣.
(٦) سورة الحج آية : ٤.
(٧) سورة الحج آية : ٤.
(٨) سورة الحج آية : ٤.
(٩) سورة الحج آية : ٤.
(١٠) سورة الحج آية : ٤.

[٥] فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ ﴾ [(١)]، يعني: في شك، ﴿ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم ﴾ [(٢)] يعني: أباكم أدم الذي هو أصل النسل، ﴿ مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ [(٣)] يعني ذريته والنطفة هي المني وأصلها الماء القليـل وجمعها نطاف، ﴿ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ﴾ [(٤)]، وهي الدم الغليظ المتجمد الطري، وجمعها علق وذلك أن النطفة تصير دما غليظا ثم تصير لحما، ﴿ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ ﴾ [(٥)]، وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ، ﴿ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ﴾ [(٦)]، قال ابن عباس وقتادة: مخلقة أي تامة وغير مخلقة غير تامة أي ناقصة الخلق. وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة يعني السقط. وقيل: المخلقة الولـد الذي تأتي به المرأة لوقتـه، وغير المخلقة السقـط. ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ ﴾ [(٧)]، كما قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة. وقيل. لنبين لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون إليه في العبادة، ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [(٨)]، فلا تمجه ولا تسقطه، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ [(٩)]، إلى وقت خروجها من الرحم تامة الخلق

(١) سورة الحج آية : ٥.
(٢) سورة الحج آية : ٥.
(٣) سورة الحج آية : ٥.
(٤) سورة الحج آية : ٥.
(٥) سورة الحج آية : ٥.
(٦) سورة الحج آية : ٥.
(٧) سورة الحج آية : ٥.
(٨) سورة الحج آية : ٥.
(٩) سورة الحج آية : ٥.

والمدة. ﴿ ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ ﴾ [(١)] من بطون أمهاتكم ﴿ طِفۡلٗا ﴾ [(٢)] أي: صغارًا ولم يقل أطفالا لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد. وقيل. تشبيها بالمصدر مثل عدل وزور.

﴿ ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ ﴾ [(٣)] يعني: الكمال والقوة، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ [(٤)]، من قبل بلوغ الكبر، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ ﴾ [(٥)]، أي: الهرم والخرف، ﴿ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [(٦)]، أي: يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئا ثم ذكر دليلا أخر على البعث فقال: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ ﴾ [(٧)]، أي يا بسة لا نبات فيها، ﴿ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ﴾ [(٨)]، المطر، ﴿ ٱهۡتَزَّتۡ ﴾ [(٩)]، تحركت بالنبات وذلك أن الأرض ترتفع بالنبات فذلك تحركها، ﴿ وَرَبَتۡ ﴾ [(١٠)]، أي: ارتفعت وزادت، وقرأ أبو جعفر: (ورأبت) بالهمزة، وكذلك في حم السجدة أي: ارتفعت وعلت، قال المبرد: أراد اهتز وربا نباتها فحذف المضاف، والاهتزاز في النبات أظهر، يقال. اهتز النبات أي: طال وإنما أنث

(١) سورة الحج آية : ٥.
(٢) سورة الحج آية : ٥.
(٣) سورة الحج آية : ٥.
(٤) سورة الحج آية : ٥.
(٥) سورة الحج آية : ٥.
(٦) سورة الحج آية : ٥.
(٧) سورة الحج آية : ٥.
(٨) سورة الحج آية : ٥.
(٩) سورة الحج آية : ٥.
(١٠) سورة الحج آية : ٥.

لذكر الأرض. وقيل. فيه تقديم وتأخير معناه: ربت واهتزت، ﴿ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝ ﴾ [1]، أي: صنف حسن يبهج به من رآه أي: يسر، فهذا دليل آخر على البعث.

[٦] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [2]، أي: لتعلموا أن الله هو الحق، ﴿ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝ ﴾ [3].

[٧] ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝ ﴾ [4].

قوله تعالى وَمِنَ الناس مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ......

[٨] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [5] يعني: النضر بن الحارث، ﴿ وَلَا هُدٗى ﴾ [6]، بيان ﴿ وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝ ﴾ [7].

[٩] ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ ﴾ [8]، متبخترا لتكبره. وقال. مجاهد وقتادة: أي لاوي عنقه. قال عطية وابن زيد: معرضا عما يدعى إليه تكبرا. وقال ابن جريج: يعرض عن الحق تكبرا. والعطف: الجانب، وعطفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ

---

(١) سورة الحج آية : ٥.
(٢) سورة الحج آية : ٦.
(٣) سورة الحج آية : ٦.
(٤) سورة الحج آية : ٧.
(٥) سورة الحج آية : ٨.
(٦) سورة الحج آية : ٨.
(٧) سورة الحج آية : ٨.
(٨) سورة الحج آية : ٩.

ﵟءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗاﵞ[1]، وقال تعالى: ﵟوَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡﵞ[2]. ﵟلِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖﵞ[3]، عن دين الله، ﵟلَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖﵞ[4]، عذاب وهوان هو القتل ببدر، فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يوم بدر صبرا. ﵟوَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ﵞ[5].

[١٠] ويقال له: ﵟذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠ﵞ[6]، فيعذبهم بغير ذنب وهو جل ذكره على أي وجه شاء تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم.

[١١] قوله تعالى: ﵟوَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖﵞ[7]، الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته ذكرا وكثر ماله قال: هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن إليه، وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية وأجهضت فرسه وقل ماله قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شرا فينقلب عن دينه، وذلك الفتنة فأنزل الله عز وجل. ﵟوَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖﵞ[8]، أكثر المفسرين قالوا على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل

(١) سورة لقمان آية : ٧.
(٢) سورة المنافقون آية : ٥.
(٣) سورة الحج آية : ٩.
(٤) سورة الحج آية : ٩.
(٥) سورة الحج آية : ٩.
(٦) سورة الحج آية : ١٠.
(٧) سورة الحج آية : ١١.
(٨) سورة الحج آية : ١١.

والحائط الذي كالقائم عليه غير مستقر، فقيل للشاك في الدين أنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن كالقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونـوا على حـرف، قال الحسـن: هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه.

﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ﴾ [1]، صحة في جسمه وسعة في معيشته، ﴿ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾ [2]، أي: رضي به وسكن إليه، ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ [3]، بلاء في جسده وضيق في معيشته، ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ [4]، ارتـد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [5]، يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمله، ﴿ وَٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [6]، بذهاب الدين والخلود في النار ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [7] الظاهر.

[١٢] ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ ﴾ [8]، إن عصـاه لـم يعبـده، ﴿ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾ [1]، إن أطاعـه وعبـده ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ [2]، عن الحق والرشد.

---

(١) سورة الحج آية : ١١.
(٢) سورة الحج آية : ١١.
(٣) سورة الحج آية : ١١.
(٤) سورة الحج آية : ١١.
(٥) سورة الحج آية : ١١.
(٦) سورة الحج آية : ١١.
(٧) سورة الحج آية : ١١.
(٨) سورة الحج آية : ١٢.

[١٣] ﴿ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ ﴾ [٣] أي: ضر عبادته، فإن قيل: قد قال لمن ضره أقرب من نفعه ولا نفع في عبادة الصنم أصلا؟ قيل: هذا على عـادة العـرب فإنم يقولون لما لا يكون أصلا بعيد، كقوله: ﴿ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ ﴾ [٤] أي: لا رجع أصلا فلما كان نفع الصنم بعيدا على معنى أنه لا نفع فيه أصلا قيل: ضره أقرب من نفعه لأنه كائن. ﴿ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ ﴾ [٥]: أي: الناصر. وقيل: المعبود. ﴿ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣ ﴾ [٦]، أي: الصاحب والمخالط يعني الوثن، والعرب تسمي الزوج العشير لأجل المخالطة.

[١٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ ﴾ [٧].

[١٥] ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [٨]، يعني نبيه محمدا ﷺ ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ ﴾ [٩]، أي: بحبل ﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [١٠] أراد بالسماء سقف البيت على قول الأكثرين أي: ليشدد حبلا في سقف بيته فليختنق به حتى يموت، ﴿ ثُمَّ

(١) سورة الحج آية : ١٢.
(٢) سورة الحج آية : ١٢.
(٣) سورة الحج آية : ١٣.
(٤) سورة ق آية : ٣.
(٥) سورة الحج آية : ١٣.
(٦) سورة الحج آية : ١٣.
(٧) سورة الحج آية : ١٤.
(٨) سورة الحج آية : ١٥.
(٩) سورة الحج آية : ١٥.
(١٠) سورة الحج آية : ١٥.

﴿ لْيَقْطَعْ ﴾ [1] الحبل بعد الاختناق. وقيل: ثم ليقطع أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيمـوت مختنقـا، ﴿ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ ﴾ [2]، صنعـه وحيلته، ﴿ مَا يَغِيظُ ۝ ﴾ [3] (ما) بمعنى المصدر أي: هل يذهبن كيده وحيلته غيظه معناه فليختنق غيظا حتى يموت، وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعله لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت، ولكنه كما يقال للحاسد: إن لم ترض هذا فاختنق ومت غيظا. وقال ابن زيد: المراد من السماء السماء المعروفة ومعنى الآية: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فإن أصله من السماء فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه من السماء فلينظر هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل.

[١٦] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ [4] أي مثل ذلك يعني ما تقـدم مـن آيات القـرآن، ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [5]، يعني القرآن ﴿ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ۝ ﴾ [6].

[١٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ ﴾ [7]، يعني: عبدة الأوثان، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴾ [8]، يحكم بينهم، ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ ﴾ [1].

---

(١) سورة الحج آية : ١٥.
(٢) سورة الحج آية : ١٥.
(٣) سورة الحج آية : ١٥.
(٤) سورة الحج آية : ١٦.
(٥) سورة الحج آية : ١٦.
(٦) سورة الحج آية : ١٦.
(٧) سورة الحج آية : ١٧.
(٨) سورة الحج آية : ١٧.

قوله تعالى أَلَمْ تَرَ أن اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأرضِ وَالشمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنجُومُ.....

[١٨] ﴿ أَلَمۡ ﴾ [٢]، ألم تعلم، وقيل: ألم ﴿ تَرَ ﴾ [٣] بقلبك ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾ [٤]، قال مجاهد: سجودها تحول ظلالها.

وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه. وقيل: سجودها بمعنى الطاعة فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله خاشع لله مسبح له كما أخبرنا الله تعالى عن السماوات والأرض ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ ﴾ [٥]، وقال في وصف الحجارة ﴿ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ ﴾ [٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ ﴾ [٧]، وهذا مذهب حسن موافق لأهل السنة. قوله: ﴿ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾ [٨]، أي: من هذه الأشياء كلها تسبح الله ﷻ وكثير من الناس يعني المسلمين. ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ ﴾ [٩]،

---

(١) سورة الحج آية : ١٧.
(٢) سورة الحج آية : ١٨.
(٣) سورة الحج آية : ١٨.
(٤) سورة الحج آية : ١٨.
(٥) سورة فصلت آية : ١١.
(٦) سورة البقرة آية : ٧٤.
(٧) سورة الإسراء آية : ٤٤.
(٨) سورة الحج آية : ١٨.
(٩) سورة الحج آية : ١٨.

وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلالهم لله ﷻ والواو في قوله: ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (١)، واو الاستئناف. ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ ﴾ (٢) أي: يهنه الله ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ (٣) أي: من يذله الله فلا يكرمه أحد، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ (٤)، أي: يكرم ويهين فالسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته.

[١٩] قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ (٥) أي: جادلوا في دينه وأمره والخصم اسم شبيه بالمصدر، فلذلك قال: ﴿ ٱخْتَصَمُوا۟ ﴾ (٦) بلفظ الجمع كقوله: ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٧)، واختلفوا في هذين الخصمين. فقيل: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. وقال ابن عباس وقتادة: نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نحن أولى بالله منكم وأقدم منكم كتابا، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم به حسدا، فهذه خصومتهم في ربهم. وقال مجاهد وعطاء بن أبي رباح والكلبي: هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا. وقال بعضهم جعل الأديان ستة

---

(١) سورة الحج آية : ١٨.
(٢) سورة الحج آية : ١٨.
(٣) سورة الحج آية : ١٨.
(٤) سورة الحج آية : ١٨.
(٥) سورة الحج آية : ١٩.
(٦) سورة الحج آية : ١٩.
(٧) سورة ص آية : ٢١.

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [(١)] الآية فجعل خمسة للنار وواحدا للجنة. فقوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [(٢)] ينصرف إليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم ثم بين الله ﷻ ما للخصمين فقال: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ ﴾ [(٣)] قال سعيد بن جبير: ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء إذا حمى أشد حرا منه وسمي باسم الثياب لأنا تحيط بم كإحاطة الثياب. وقال بعضهم: يلبس أهل النار مقطعات من النار، ﴿ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ۝١٩ ﴾ [(٤)]، الحميم: هو الماء الحار الذي انتهت حرارته.

[٢٠] ﴿ يُصۡهَرُ بِهِۦ ﴾ [(٥)] أي: يذاب بالحميم، ﴿ مَا فِي بُطُونِهِمۡ ﴾ [(٦)]، يقال: صهرت الإلية والشحم بالنار إذا أذبتهما أصهرها صهرا معناه يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم حتى يسقط ما في بطونم من الشحوم والأحشاء، ﴿ وَٱلۡجُلُودُ ۝٢٠ ﴾ [(٧)] أي: يشوي حرها جلودهم فتتساقط.

[٢١] قوله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ۝٢١ ﴾ [(٨)]، سياط من حديد واحدتا مقمعة، قال الليث: المقمعة شبه الجزر من الحديد، من قولهم: قمعت رأسه إذا ضربته ضربا عنيفا.

---

(١) سورة البقرة آية : ٦٢.
(٢) سورة الحج آية : ١٩.
(٣) سورة الحج آية : ١٩.
(٤) سورة الحج آية : ١٩.
(٥) سورة الحج آية : ٢٠.
(٦) سورة الحج آية : ٢٠.
(٧) سورة الحج آية : ٢٠.
(٨) سورة الحج آية : ٢١.

[٢٢] ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ ﴾ (١)، يعني: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم ﴿ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ (٢)، يعني: ردوا إليها بالمقامع. وفي التفسير: إن جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا. ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ ﴾ (٣)، أي: تقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق، أي: المحرق مثل الأليم والوجيع، قال الزجاج: هؤلاء أحد الخصمين. وقال في الآخر وهم المؤمنون.

[٢٣] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ (٤)، جمع سوار، ﴿ وَلُؤۡلُؤٗاۖ ﴾ (٥)، قرأ أهل المدينة وعاصم (ولؤلؤا) ههنا وفي سورة الملائكة بالنصب وافق يعقوب ههنا على معنى ويحلون لؤلؤا ولأنا مكتوبة في المصاحف بالألف وقرأ الآخرون بالخفض عطفا على قوله من ذهب، ﴿ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ ﴾ (٦) أي: أنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ (٧)، قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلا الله. وقال ابن زيد: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله.

---

(١) سورة الحج آية : ٢٢.
(٢) سورة الحج آية : ٢٢.
(٣) سورة الحج آية : ٢٢.
(٤) سورة الحج آية : ٢٣.
(٥) سورة الحج آية : ٢٣.
(٦) سورة الحج آية : ٢٣.
(٧) سورة الحج آية : ٢٤.

وقال السدي: أي القرآن. وقيل: هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده. ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[1]، إلى دين الله وهو الإسلام والحميد هو الله المحمود في أفعاله.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2]، عطف المستقبل عن الماضي لأن المراد من لفظ المستقبل الماضي كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3]، وقيل: معناه إن الذين كفروا فيما تقدم ويصدون عن سبيل الله في الحال، أي: وهم يصدون. ﴿ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾[4]، أي: ويصدون عن المسجد الحرام. ﴿ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ ﴾[5]، قبلة لصلاتم ومنسكا ومتعبدًا كما قال: ﴿ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾[6]. ﴿ سَوَآءً ﴾[7]، قرأ حفص عن عاصم ويعقوب: ﴿ سَوَآءً ﴾[8] نصبا بإيقاع الجعل عليه يتعدى إلى مفعولين. وقيل: معناه مستويا فيه، ﴿ ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ ﴾[9]، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر، وتم الكلام عند قوله: ﴿ لِلنَّاسِ ﴾[10] وأراد بالعاكف المقيم فيه، وبالبادي

(١) سورة الحج آية : ٢٤.
(٢) سورة الحج آية : ٢٥.
(٣) سورة النساء آية : ١٦٧.
(٤) سورة الحج آية : ٢٥.
(٥) سورة الحج آية : ٢٥.
(٦) سورة آل عمران آية : ٩٦.
(٧) سورة الحج آية : ٢٥.
(٨) سورة الحج آية : ٢٥.
(٩) سورة الحج آية : ٢٥.
(١٠) سورة الحج آية : ٢٥.

الطارئ المنتاب إليه من غيره، واختلفوا في معنى الآية فقال قوم: سواء العاكف فيه والباد يعني في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه، وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة، وقالوا: المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة في فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت، وقال الآخرون: المراد منه جميع الحرم، ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في الـ ول به ليس أحدهما أحق بالمـ ل يكون فيه من الأخر غير أنه لا يزعج فيه أحد إذا كان قد سبق إلى مـ ل، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد، قالوا: هما سواء في البيوت والمنازل. وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وعلى القول الأول وهو الأقرب إلى الصواب يجوز لأن الله تعالى قال: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ ﴾ [1]، وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » [2] [3] فنسب الدار إليه نسب ملك، واشترى عمر دارًا للسجن بمكة بأربعة آلاف درهم، فدل على جواز بيعها وهذا قول طاوس وعمر بن دينار وبه قال الشافعي. قوله ﷻ ﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥ ﴾ [4] أي: في المسجد الحرام وهو الميـل إلى الظلـم، والباء في قوله ﴿ بِإِلۡحَادِۭ ﴾ [5] زائدة كقوله: ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ﴾ [6]، ومعناه من يرد فيه إلحادا بظلم، وأنكر المبرد أن تكون الباء زائدة وقال: معنى الآية من تكن إرادته فيه بأن يلحد بظلم. واختلفوا في هذا الإلحاد فقال

---

(١) سورة الحج آية : ٤٠.

(٢) مسلم الجهاد والسير (١٧٨٠)، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٣٠٢٤)، أحمد (٥٣٨/٢).

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٨٠) ٣ / ١٤٠٥. ،.

(٤) سورة الحج آية : ٢٥.

(٥) سورة الحج آية : ٢٥.

(٦) سورة المؤمنون آية : ٢٠.

مجاهد وقتادة: هو الشرك وهو عبادة غير الله. وقال قوم: هو كل شيء كان منهيا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم. وقال عطاء: هو دخول الحرم غير محرم أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد أو قطع شجر. وقال ابن عباس: هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك، وهذا معنى قول الضحاك. وعن مجاهد أنه قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات. وقال حبيب بن أبي ثابت: وهو احتكار الطعام بمكة. وقال عبد الله بن مسعود: لو أن رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أن رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد أخر أذاقه الله من عذاب أليم. قال السدي: إلا أن يتوب.

قوله تعالى وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا.....

[٢٦] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [(١)]، أي: وطأنا. قال ابن عباس: جعلنا. وقيل: بينا. قال الزجاج. جعلنا مكان البيت مبوأ لإبراهيم. وقال مقاتل بن حيان: هيئنا. وإنما ذكر مكان البيت لأنه لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبني فبعث الله ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت على الأساس. قوله تعالى: ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾ [(٢)] أي: عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا، ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ [(٣)]، أي: الذين يطوفون بالبيت، ﴿ وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾ [(٤)] أي: المقيمين، ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [(٥)]، أي: المصلين.

---

(١) سورة الحج آية : ٢٦.
(٢) سورة الحج آية : ٢٦.
(٣) سورة الحج آية : ٢٦.
(٤) سورة الحج آية : ٢٦.
(٥) سورة الحج آية : ٢٦.

[٢٧] ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ ﴾ [١] أي: أعلم ونادى في الناس، ﴿ بِٱلْحَجِّ ﴾ [٢]، فقال إبراهيم وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعلينا البلاغ، فقام إبراهيم وقال: يا أيها الناس، ألا إن ربكم قد بنى لكم بيتا وكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم فأجابه كل من كان يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، قال ابن عباس وزعم الحسن أن قوله: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ [٣] كلام مستأنف وإن المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع. وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا ﴾ [٤] [٥]. قوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾ [٦]، أي: مشاة على أرجلهم جمع راجل، مثل قائم وقيام وصائم وصيام، ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ [٧]، أي: ركبانا على كل ضامر، والضامر: البعير المهزول. ﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٨] من كل طريق بعيد.

(١) سورة الحج آية : ٢٧.
(٢) سورة الحج آية : ٢٧.
(٣) سورة الحج آية : ٢٧.
(٤) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥٨)، مسلم الحج (١٣٣٧)، الترمذي العلم (٢٦٧٩)، النسائي مناسك الحج (٢٦١٩)، ابن ماجه المقدمة (٢)، أحمد (٥٠٨/٢).
(٥) أخرجه مسلم في الحج رقم (١٣٣٧) ٢ / ٩٧٥ والمصنف في شرح السنة ٧ / ٣.
(٦) سورة الحج آية : ٢٧.
(٧) سورة الحج آية : ٢٧.
(٨) سورة الحج آية : ٢٧.

[٢٨] ﴿ لِّيَشْهَدُواْ ﴾ [(١)]، ليحضروا، ﴿ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾ [(٢)]، قال سعيد بن المسيب: العفو والمغفرة. وقال سعيد بن جبير: التجارة، وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس، قال الأسواق. وقال مجاهد: التجارة وما يرضي الله به من أمر الدنيا والآخرة.

﴿ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾ [(٣)]، يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين. قيل لها: معلومات للحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. ويروى عن علي رضي الله عنه أنها يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق. وقال مقاتل: المعلومات أيام التشريق.

﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ ﴾ [(٤)]، يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم، وهي الإبل والبقر والغنم. واختار الزجاج أن الأيام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لأن الذكر على بهيمة الأنعام يدل على التسمية على نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام.

﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا ﴾ [(٥)] أمر إباحة وليس بواجب، وإنما قال ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئا واتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع. واختلفوا في الهدي الواجب بالشرع هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئا مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد، فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئا وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال أحمد وإسحاق، وقال مالك: يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي

---

(١) سورة الحج آية : ٢٨.

(٢) سورة الحج آية : ٢٨.

(٣) سورة الحج آية : ٢٨.

(٤) سورة الحج آية : ٢٨.

(٥) سورة الحج آية : ٢٨.

وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور، وعند أصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما. قوله ﷻ ﴿ وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، يعني: الزمن الفقير الذي لا شيء له والبائس الذي اشتد بؤسه، والبؤس شدة الفقر.

[٢٩] ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ ﴾[2]، التفث الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث، تقول العرب لمن تستقذره: ما أتفثك أي ما أوسخك. والحاج أشعث أغبر أي: لم يحلق شعره ولم يقلم ظفره فقضاء التفث إزالة هذه الأشياء ليقضوا تفثهم، أي: ليزيلوا أدرانم، والمراد منه الخروج عن الإحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الإبط والاستحداد وقلم الأظفار ولبس الثياب. قال ابن عمر وابن عباس: قضاء التفث مناسك الحج كلها. وقال مجاهد: هو مناسك الحج وأخذ الشارب ونتف الإبط وحلق العانة وقلم الأظفار. وقيل: التفث ههنا رمي الجمـار. قال الزجاج: لا نعرف التفث ومعناه إلا من القرآن. قوله تعالى: ﴿ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ﴾[3]، قال مجاهد: أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج أي: ليتموها بقضائها. وقيل: المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره. وقيل: أراد به الخروج عما وجب عليه نذرا ولم ينذر. والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وفى بنذره. وقرأ عاصـم برواية أبي بكر (وليوفوا) بنصب الواو وتشديد الفاء ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾[4]، أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، والطواف ثلاثة، طواف القدوم: وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الأسود إلى أن

---

(١) سورة الحج آية : ٢٨.

(٢) سورة الحج آية : ٢٩.

(٣) سورة الحج آية : ٢٩.

(٤) سورة الحج آية : ٢٩.

ينتهي إليه ويمشي أربعا، وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه. والطواف الثاني: هو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به. والطواف الثالث هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها ترك طواف الوداع. قوله: ﴿ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩ ﴾ [1] واختلفوا في معنى العتيق، فقال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة: سمي عتيقا لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قط. وقال سفيان بن عيينة: سمي عتيقا لأنه لم يملك قط وقال الحسن وابن زيد: سمي به لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس، يقال دينار عتيق أي قديم، وقيل: سمي عتيق لأن الله أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان.

[٣٠] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [2] أي: الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج، ﴿ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [3]، أي معاصي الله وما نهى عنه وتعظيمها ترك ملابستها. قال الليث: حرمات الله ما لا يحل انتهاكها. وقال الزجاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه، وذهب قوم إلى أن معنى الحرمات ههنا المناسك بدليل ما يتصل بها من الآيات. وقال ابن زيد: الحرمات ههنا البيت الحرام، والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والإحرام. ﴿ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [4]، أي: تعظيم الحرمات، خير له عند الله في الآخرة، ﴿ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾ [5] أن تأكلوها إذا ذبحتموها وهي الإبل

---

(١) سورة الحج آية : ٢٩.

(٢) سورة الحج آية : ٣٠.

(٣) سورة الحج آية : ٣٠.

(٤) سورة الحج آية : ٣٠.

(٥) سورة الحج آية : ٣٠.

والبقر والغنم، ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[1]، تحريمه وهو قوله في سورة المائدة ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾[2]، الآية، ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾[3] أي: عبادتا، يقول: كونوا على جانب منها فإنا رجس، أي: سبب الرجس، وهو العذاب والرجس: بمعنى الرجز وقال الزجاج: (من) ههنا للتجنيس أي: اجتنبوا الأوثان التي هي رجس، ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾[4]، يعني: الكذب والبهتان. وقال ابن مسعود: شهادة الزور، وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

قوله تعالى حُنَفَاءَ لِلهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ....

[٣١] ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ ﴾[5]، مخلصين له، ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾[6]، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا يسمون حنفاء، فنزلت: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾[7] أي: حجاجًا لله مسلمين موحدين يعني: من أشرك لا يكون حنيفًا. ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ ﴾[8]، أي: سقط، ﴿ مِنَ السَّمَاءِ ﴾[9]، إلى الأرض، ﴿ فَتَخْطَفُهُ

(١) سورة الحج آية : ٣٠.
(٢) سورة المائدة آية : ٣.
(٣) سورة الحج آية : ٣٠.
(٤) سورة الحج آية : ٣٠.
(٥) سورة الحج آية : ٣١.
(٦) سورة الحج آية : ٣١.
(٧) سورة الحج آية : ٣١.
(٨) سورة الحج آية : ٣١.
(٩) سورة الحج آية : ٣١.

﴿ ٱلطَّيۡرُ ﴾[1]، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقرأ أهـل المدينـة فتخطفـه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي يتخطفـه، ﴿ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾[2]، أي: تميل وتذهب به، ﴿ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١ ﴾[3]، أي: بعيد معناه أن بعد من أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها.

[٣٢] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[4]، يعني: الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقـول الزور، ﴿ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ ﴾[5]، قـال ابـن عبـاس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها مـن الأشعار وهـو إعلامهـا ليعلـم أنها هـدي وتعظيمهـا استسمانـها واستحسانها، وقيـل: شعائـر الله أعـلام دينه فإنها من تقوى القلوب، أي: فإن تعظيمها من تقـوى القلـوب.

(١) سورة الحج آية : ٣١.
(٢) سورة الحج آية : ٣١.
(٣) سورة الحج آية : ٣١.
(٤) سورة الحج آية : ٣٢.
(٥) سورة الحج آية : ٣٢.

[٣٣] ﴿ لَكُمۡ فِيهَا ﴾ [(١)] أي: في البدن قبل تسميتها للهدى، ﴿ مَنَٰفِعُ ﴾ [(٢)]، في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ [(٣)]، وهو أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقول قتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابا وتسميتها هديًا بأن تركبوها وتشربوا ألبانا عند الحاجة إلى أجل مسمى، يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء ابن أبي رباح. وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة، لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة. وقيل. لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضـاء المناسك إلى أجل مسمى، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ ﴾ [(٤)]، أي: منحرها، ﴿ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣ ﴾ [(٥)] أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: ﴿ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [(٦)] أي: الحرم كله. وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ﴾ [(٧)]. ومن قال: الشعائر المناسك قال معنى قوله ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣ ﴾ [(٨)]

---

(١) سورة الحج آية : ٣٣.
(٢) سورة الحج آية : ٣٣.
(٣) سورة الحج آية : ٣٣.
(٤) سورة الحج آية : ٣٣.
(٥) سورة الحج آية : ٣٣.
(٦) سورة التوبة آية : ٢٨.
(٧) أخرجه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) ٢ / ٨٩٣ والمصنف في شرح السنة ٧ / ١٥٠.
(٨) سورة الحج آية : ٣٣.

أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر.

[٣٤] قـال الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ (١)، يعني جماعـة مؤمنـة سلفت قبلكم، ﴿ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ (٢)، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع، يعني مذبحا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج يعني إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿ لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ (٣)، عند نحرها وذبحها وسماها بيمة لأنها لا تتكلم، وقال: ﴿ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ (٤) وقيدها بالنعم لأن من البهائم مـا ليس مـن الأنعام كالخيـل والبغـال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (٥)، أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، ﴿ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ (٦)، انقادوا وأطيعوا، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٧)، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل والخبت المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمر بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

---

(١) سورة الحج آية : ٣٤.
(٢) سورة الحج آية : ٣٤.
(٣) سورة الحج آية : ٣٤.
(٤) سورة الحج آية : ٣٤.
(٥) سورة الحج آية : ٣٤.
(٦) سورة الحج آية : ٣٤.
(٧) سورة الحج آية : ٣٤.

[٣٥] ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ ﴾[١]، من البلاء والمصائب، ﴿ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٢]، أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ ﴾[٣]، أي: يتصدقون.

[٣٦] ﴿ وَٱلۡبُدۡنَ ﴾[٤]، جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها يريد الإبل العظام الصحاح الأجسام، يقال: بَدُنَ الرجل بدنًا وبدانةً إذا ضخم، فأما إذا سن واسترخى يقال: بدن تبدينًا. قال عطاء والسدي: البُدن البقر أما الغنم فلا تسمى بدنة.

﴿ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾[٥]، من أعلام دينه، سميت شعائر لأنها تشعر، وهو أن تُطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ ﴾[٦]، النفع في الدنيا والأجر في العقبى، ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ﴾[٧]، أي: عند نحرها، ﴿ صَوَآفَّۖ ﴾[٨]، أي: قيامًا على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وإحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك. وقرأ أبي الحسن ومجاهد (صوافي) بالياء أي صافية خالصة لله لا شريك له فيها، ﴿ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا ﴾[٩]، يعني: سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض، وأصل الوجوب: الوقوع. يقال:

---

(١) سورة الحج آية : ٣٥.
(٢) سورة الحج آية : ٣٥.
(٣) سورة الحج آية : ٣٥.
(٤) سورة الحج آية : ٣٦.
(٥) سورة الحج آية : ٣٦.
(٦) سورة الحج آية : ٣٦.
(٧) سورة الحج آية : ٣٦.
(٨) سورة الحج آية : ٣٦.
(٩) سورة الحج آية : ٣٦.

وجبـت الشمس إذا سقطـت للمغيب، ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾ [(١)]، أمر إباحة، ﴿ وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ ﴾ [(٢)]، اختلفوا في معناهما، فقال عكرمة وإبراهيم وقتادة: القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يُعطى ولا يسأل، والمعترّ الذي يسأل. وروى العوفي عن ابن عباس: القانع الذي لا يعترض ولا يسأل، فعلى هذين التأويلين يكون القانع من القناعة يقال: قنع قانعة إذا رضي بما قُسم له.

وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي: القانع الذي يسأل والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل، فيكون القانع من قنع قنوعًا إذا سأل. وقال ابن زيد: القانع المسكين، والمعتر الذي ليس بمسكين، ولا يكون له ذبيحة يجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم. ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ [(٣)] يعني: مثل ما وصفنا من نحرها قيامًا ﴿ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ ﴾ [(٤)]، نعمة منا لتتمكنوا من نحرها، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [(٥)]، لكي تشكروا إنعامي عليكم.

[٣٧] ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ [(٦)]، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله فأنزل الله هذه الآية: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ [(٧)]، قرأ يعقوب (تنال وتناله) بالتاء فيهما، وقرأ العامة بالياء، قال مقاتل: لن

(١) سورة الحج آية : ٣٦.
(٢) سورة الحج آية : ٣٦.
(٣) سورة الحج آية : ٣٦.
(٤) سورة الحج آية : ٣٦.
(٥) سورة الحج آية : ٣٦.
(٦) سورة الحج آية : ٣٧.
(٧) سورة الحج آية : ٣٧.

يُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها، ﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ ﴾[1]، ولكن ترفع إليه منكم الأعمال الصالحة والتقوى، والإخلاص وما أريد به وجه الله، ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾[2]، يعني: البدن، ﴿ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ ﴾[3]، أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[4]، قال ابن عباس: الموحدين.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ ﴾[5]، قرأ ابن كثير وأهل البصرة (يدفع)، وقرأ الآخرون (يدافع) بالألف يريد يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[6]، يعني: خوان في أمانة الله كفور لنعمته، قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه. قال الزجاج: من تقرب إلى الأصنام بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور.

قوله تعالى أُذِنَ لِلذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنهُمْ ظُلِمُوا وَإن اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ.....

[٣٩] ﴿ أُذِنَ ﴾[7]، قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم أذن بضم الألف والباقون بفتحها، أي: أذن الله، ﴿ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ ﴾[8]، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص

---

(١) سورة الحج آية : ٣٧.
(٢) سورة الحج آية : ٣٧.
(٣) سورة الحج آية : ٣٧.
(٤) سورة الحج آية : ٣٧.
(٥) سورة الحج آية : ٣٨.
(٦) سورة الحج آية : ٣٨.
(٧) سورة الحج آية : ٣٩.
(٨) سورة الحج آية : ٣٩.

﴿ يُقَـٰتَلُونَ ﴾ [1] بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون، وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذين أذن لهم بالجهاد (يقاتلون) المشركين، قال المفسرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ هذه الآية، وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال، فـ لت هذه الآية بالمدينة وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فكانوا يمنعون فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجـرة، ﴿ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ ﴾ [2]، يعني: بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [3].

[٤٠] ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [4]، بدل من الذين الأولى ﴿ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ ﴾ [5]، يعني: لم يخرجوا مـن ديارهـم إلا لقولهـم ربنا الله وحده، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ [6]، بالجهاد وإقامة الحدود، ﴿ لَّهُدِّمَتْ ﴾ [7]، قرا أهل المدينة بتخفيف الدال وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير فالتخفيف يكون للتقليل والتكثير والتشديد يختص

---

(١) سورة الحج آية : ٣٩.
(٢) سورة الحج آية : ٣٩.
(٣) سورة الحج آية : ٣٩.
(٤) سورة الحج آية : ٤٠.
(٥) سورة الحج آية : ٤٠.
(٦) سورة الحج آية : ٤٠.
(٧) سورة الحج آية : ٤٠.

بالتكثير، ﴿ صَوَٰمِعُ ﴾ [1] قال مجاهد والضحاك: يعني: صوامع الرهبان. وقال قتادة: صوامع الصابئين، ﴿ وَبِيَعٌ ﴾ [2]، يعني بيع النصارى جمع بيعة وهي كنيسة النصارى، ﴿ وَصَلَوَٰتٌ ﴾ [3] يعني كنائس اليهود ويسمونها بالعبرية صلوتا، ﴿ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ ﴾ [4]، يعني مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ ومعنى الآية: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البيع والصوامع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد وقال ابن زيد: أراد بالصلوات صلوات أهل الإسلام فإنها لا تنقطع إذا دخل العدو عليهم. ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ ﴾ [5]، يعني: ينصر دينه ونبيه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [6].

[٤١] ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [7]، قال الزجاج: هذا من صفة ناصريه ومعنى مكناهم نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا في البلاد قال: هم أصحاب محمد ﷺ. قال الحسن: هذه الأمة

---

(١) سورة الحج آية : ٤٠.
(٢) سورة الحج آية : ٤٠.
(٣) سورة الحج آية : ٤٠.
(٤) سورة الحج آية : ٤٠.
(٥) سورة الحج آية : ٤٠.
(٦) سورة الحج آية : ٤٠.
(٧) سورة الحج آية : ٤١.

﴿ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1]، يعني: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه يعني يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع ولا مدع.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾[2]، يعزي نبيه ﷺ ﴿ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾[3].

[٤٣] ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾[4].

[٤٤] ﴿ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾[5]، يعني: أمهلتهم وأخرت عقوبتهم، ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ ﴾[6]، عاقبتهم، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[7]، يعني: إنكاري، أي: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من يخالف النبي ﷺ ويكذبه.

[٤٥] ﴿ فَكَأَيِّن ﴾[8]، فكم ﴿ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا ﴾[9] بالنون والألف على التعظيم، ﴿ وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾[10]، يعني: وأهلها ظالمون، ﴿ فَهِىَ خَاوِيَةٌ ﴾[11]

---

(١) سورة الحج آية : ٤١.
(٢) سورة الحج آية : ٤٢.
(٣) سورة الحج آية : ٤٢.
(٤) سورة الحج آية : ٤٣.
(٥) سورة الحج آية : ٤٤.
(٦) سورة الحج آية : ٤٤.
(٧) سورة الحج آية : ٤٤.
(٨) سورة الحج آية : ٤٥.
(٩) سورة الحج آية : ٤٥.
(١٠) سورة الحج آية : ٤٥.
(١١) سورة الحج آية : ٤٥.

ساقطة ﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾[(١)]، على سقوفها، ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾[(٢)]: يعني وكم من بئر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها ﴿ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[(٣)]، قال قتادة والضحاك ومقاتل: رفيع طويل، من قولهم: شاد بناءه إذا رفعه. وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء: مجصص من مشيد، وهو الجص.

[٤٦] ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[(٤)]، يعني: كفار مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية، ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[(٥)]، يعني: ما يذكـر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها، ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[(٦)]، ذكر التي في الصدور تأكيدًا كقوله: ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾[(٧)] معناه أن العمى الضار هو عمى القلب، فأما عمى البصر فليس بضار في أمر الدين، قال قتادة: البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلب هو البصر النافع.

(١) سورة الحج آية : ٤٥.
(٢) سورة الحج آية : ٤٥.
(٣) سورة الحج آية : ٤٥.
(٤) سورة الحج آية : ٤٦.
(٥) سورة الحج آية : ٤٦.
(٦) سورة الحج آية : ٤٦.
(٧) سورة الأنعام آية : ٣٨.

قوله تعالى وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِن يَوْمًا عِنْدَ رَبِكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِما تَعُدونَ.....

[٤٧] ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾[(١)]، نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. ﴿ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾[(٢)]، فأنجز ذلك يوم بدر. ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[(٣)] قال ابن عباس: يعني يومًا من الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض.

وقال مجاهد وعكرمة: يومًا من أيام الآخرة، والدليل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ أبشروا يا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة ﴾[(٤)] [(٥)]

قال ابن زيد: هذه أيام الآخرة: وقوله: (مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون) يوم القيامة. والمعنى على هذا أنهم يستعجلون بالعذاب، وإن يوما من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة. وقيل: معناه إن يوما من أيام العذاب الذي استعجلوه في الثقل والاستطالة والشدة كألف سنة مما تعدون، فكيف تستعجلونه هذا كما يقال: أيام الهموم طوال، وأيام السرور قصار. وقيل: معناه إن يومًا عنده وألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

---

(١) سورة الحج آية : ٤٧.

(٢) سورة الحج آية : ٤٧.

(٣) سورة الحج آية : ٤٧.

(٤) أبو داود العلم (٣٦٦٦)، أحمد (٩٦/٣).

(٥) أخرجه أبو داود في العلم ٥ / ٢٥٥ قال المنذري: في إسناده المعلى بن زياد وفيه مقال.

[٤٨] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا ﴾[١]، يعني أمهلتها، ﴿ وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾[٢].

[٤٩] ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[٣].

[٥٠] ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[٤] الرزق الكريم الذي لا ينقطع أبدا. وقيل: هو الجنة.

[٥١] ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾[٥]، يعني عملوا في إبطال آياتنا، ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾[٦]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بالتشديد ههنا وفي سورة سبأ يعني مثبطين الناس عن الإيمان، وقرأ الآخرون ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾[٧] بالألف يعني معاندين مشاقين. وقال قتادة. معناه ظانين ومقدرين أنم يعجزوننا بزعمهم ألا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، ومعنى يعجزوننا أي يفوتوننا فلا نقدر عليهم، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾[٨]، وقيل: معاجزين مغالبين يريد كل واحد أن يظهر عجز صاحبه.

---

(١) سورة الحج آية : ٤٨.
(٢) سورة الحج آية : ٤٨.
(٣) سورة الحج آية : ٤٩.
(٤) سورة الحج آية : ٥٠.
(٥) سورة الحج آية : ٥١.
(٦) سورة الحج آية : ٥١.
(٧) سورة الحج آية : ٥١.
(٨) سورة الحج آية : ٥١.

[٥٢، ٥٣] قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾ [(١)] وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانًا، ﴿ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [(٢)] وهو الذي يكون نبوته إلهاما أو منامًا، وكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا ﴿ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ [(٣)] قال بعضهم. أي: أحب شيئًا واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ﴿ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ [(٤)] يعني مراده. وعن ابن عباس قال: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ما وجد إليه سبيلا، وما من نبي إلا تمنى أن يؤمن به قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي به قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان. وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ [(٥)] يعني تلا وقرأ كتاب الله تعالى ألقى الشيطان في أمنيته يعني في تلاوته، ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [(٦)] أي: يبطله ويذهبه، ﴿ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ ﴾ [(٧)]، فيثبتها، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةً ﴾ [(٨)]، أي: محنة وبلية، ﴿ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [(٩)]، شك ونفاق، ﴿ وَٱلۡقَاسِيَةِ ﴾ [(١٠)]، يعني:

---

(١) سورة الحج آية : ٥٢.
(٢) سورة الحج آية : ٥٢.
(٣) سورة الحج آية : ٥٢.
(٤) سورة الحج آية : ٥٢.
(٥) سورة الحج آية : ٥٢.
(٦) سورة الحج آية : ٥٢.
(٧) سورة الحج آية : ٥٢.
(٨) سورة الحج آية :٥٢ - ٥٣.
(٩) سورة الحج آية : ٥٣.
(١٠) سورة الحج آية : ٥٣.

الجافية، ﴿ قُلُوبُهُمۡ ﴾[1]، عـن قبول الحق وهم المشـركـون، ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، المشـركين ﴿ لَفِى شِقَاقِۭ ﴾[3] ضـلال، ﴿ بَعِيدٖ ۝٥٣ ﴾[4] أي: في خلاف شديد.

[٥٤] ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾[5]، التوحيد والقرآن. وقال السدي: التصديق بنسخ الله تعالى، ﴿ أَنَّهُ ﴾[6] يعني: الذي أحكم الله من آيات القرآن هو ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ ﴾[7]، أي: يعتقدون أنه من الله، ﴿ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾[8] يعني: فتسكن إليه قلوبهم، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٤ ﴾[9]، أي: طريق قويم هو الإسلام.

[٥٥] ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ ﴾[10]، يعني في شك مما ألقى الشيطان. وقال ابن جريج: منه أي من القرآن. وقيل: من الدين وهو الصراط المستقيم. ﴿ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً ﴾[11]، يعني: القيامة. وقيل: الموت ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ

---

(١) سورة الحج آية : ٥٣.
(٢) سورة الحج آية : ٥٣.
(٣) سورة الحج آية : ٥٣.
(٤) سورة الحج آية : ٥٣.
(٥) سورة الحج آية : ٥٤.
(٦) سورة الحج آية : ٥٤.
(٧) سورة الحج آية : ٥٤.
(٨) سورة الحج آية : ٥٤.
(٩) سورة الحج آية : ٥٤.
(١٠) سورة الحج آية : ٥٥.
(١١) سورة الحج آية : ٥٥.

﴿ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ٥٥ ﴾ [1] قال الضحاك وعكرمة: عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة. والأكثرون على أن اليوم العقيم يوم بدر لأنه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة. وسمي يوم بدر عقيمًا لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم إذا مُنع من الولد.

وقيل: لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وقال ابن جريج: لأنما لم يُنظروا فيه إلى الليل حتى قتلوا قبل المساء.

قوله تعالى الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ فِي جَنات النعيم.....

[٥٦] ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ﴾ [2]، يعني يوم القيامة، ﴿ لِّلَّهِ ﴾ [3] غير منازع، ﴿ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ [4]، ثم بين الحكم فقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ ﴾ [5].

[٥٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥٧ ﴾ [6].

[٥٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [7]، فارقوا أوطانم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه، ﴿ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ ﴾ [8]، وهم كذلك، قرأ ابن عامر (قتلوا)

(١) سورة الحج آية : ٥٥.
(٢) سورة الحج آية : ٥٦.
(٣) سورة الحج آية : ٥٦.
(٤) سورة الحج آية : ٥٦.
(٥) سورة الحج آية : ٥٦.
(٦) سورة الحج آية : ٥٧.
(٧) سورة الحج آية : ٥٨.
(٨) سورة الحج آية : ٥٨.

بالتشديد ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾[1]، والرزق الحسن الذي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[2]، قيل: هو قوله: ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[3].

[٥٩] ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ﴾[4]، لأن لهم فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ ﴾[5]، بنياتم، ﴿ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾[6]، عنهم.

[٦٠] ﴿ ۞ ذَٰلِكَ ﴾[7]، يعني: الأمر ذلك الذي قصصنا عليكم، ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ﴾[8]، جازى الظالم بمثل ظلمه. قال الحسن: يعني قاتل المشركين كما قاتلوه، ﴿ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ ﴾[9]، يعني ظلم بإخراجه من م له يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم إلى مفارقة أوطانم، نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم، وثبت

---

(١) سورة الحج آية : ٥٨.
(٢) سورة الحج آية : ٥٨.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٩.
(٤) سورة الحج آية : ٥٩.
(٥) سورة الحج آية : ٥٩.
(٦) سورة الحج آية : ٥٩.
(٧) سورة الحج آية : ٦٠.
(٨) سورة الحج آية : ٦٠.
(٩) سورة الحج آية : ٦٠.

المسلمون لهم فنصروا عليهم، قال تعالى: ﴿ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾ [1] والعقاب الأول بمعنى الجزاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [2] عفا عن مساوئ المؤمنين وغفر ذنوبهم.

[٦١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [3] يعني ذلك النصر ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ [4]، القادر على ما يشاء فمن قدرته أنه ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [5].

[٦٢] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ ﴾ [6] قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي وحفص بالياء وقرأ الآخرون بالتاء، يعني المشركين ﴿ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾ [7] العالي على كل شيء، ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [8] العظيم الذي كل شيء دونه

[٦٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [9]، بالنبات، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ [1]، بأرزاق عباده واستخراج النبات من الأرض، ﴿ خَبِيرٌ ﴾ [2]، بما في قلوب العباد إذا تأخر المطر عنهم.

---

(١) سورة الحج آية : ٦٠.
(٢) سورة الحج آية : ٦٠.
(٣) سورة الحج آية : ٦١.
(٤) سورة الحج آية : ٦١.
(٥) سورة الحج آية : ٦١.
(٦) سورة الحج آية : ٦٢.
(٧) سورة الحج آية : ٦٢.
(٨) سورة الحج آية : ٦٢.
(٩) سورة الحج آية : ٦٣.

[٦٤] ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ ﴾[٣]، عبيدا وملكا، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ﴾[٤]، عن عباده، ﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾[٥]، في أفعاله.

قوله تعالى أَلَمْ تَرَ أن الله سَخرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْض وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ....

[٦٥] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ ﴾[٦] يعني وسخر لكم الفلك، ﴿ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾[٧]، وقيل: ما في الأرض الدواب التي تركب في البر، والفلك التي تركب في البحر، ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾[٨]، لكيلا تسقط على الأرض، ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾[٩].

[٦٦] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ﴾[١٠]، يعني: أنشأكم ولم تكونوا شيئا، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾[١١]، عند انقضاء آجالكم، ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ ﴾[١٢]، يوم البعث للثواب والعقاب، ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾[١٣]، لنعم الله.

---

(١) سورة الحج آية : ٦٣.
(٢) سورة الحج آية : ٦٣.
(٣) سورة الحج آية : ٦٤.
(٤) سورة الحج آية : ٦٤.
(٥) سورة الحج آية : ٦٤.
(٦) سورة الحج آية : ٦٥.
(٧) سورة الحج آية : ٦٥.
(٨) سورة الحج آية : ٦٥.
(٩) سورة الحج آية : ٦٥.
(١٠) سورة الحج آية : ٦٦.
(١١) سورة الحج آية : ٦٦.
(١٢) سورة الحج آية : ٦٦.
(١٣) سورة الحج آية : ٦٦.

[٦٧] ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾[١]، قال ابن عباس: يعني شريعة هم عاملون بها. وروي عنه أنه قال: عيدا. قال قتادة ومجاهد: موضع قربان يذبحون فيه. وقيل: موضع عبادة مَألفًا يألفونه. والمنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد لعمل خير أو شر، ومنه مناسك الحج لتردد الناس إلى أماكن أعمال الحج. ﴿ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ﴾[٢]، يعني في أمر الذبائح. نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لأصحاب النبي ﷺ ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله؟ قال الزجاج: معنى قوله "لا ينازعنك" أي: لا تنازعهم أنت، كما يقال: لا يخاصمك فلان، أي: لا تخاصمه، وهذا جائز فيما يكون بين الاثنين، ولا يجوز لا يضربنك فلان وأنت تريد لا تضربه وذلك أن المنازعة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا تـرك أحدهما فلا مخاصمة هناك. ﴿ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾[٣]، إلى الإيمان بربك، ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾[٤].

[٦٨] ﴿ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٥].

[٦٩] ﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٦]، فتعرفون حينئذ الحق من الباطل. والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

---

(١) سورة الحج آية : ٦٧.
(٢) سورة الحج آية : ٦٧.
(٣) سورة الحج آية : ٦٧.
(٤) سورة الحج آية : ٦٧.
(٥) سورة الحج آية : ٦٨.
(٦) سورة الحج آية : ٦٩.

[٧٠] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾[١]، كله، ﴿ فِى كِتَٰبٍ ۚ ﴾[٢]، يعني اللوح المحفوظ، ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾[٣] يعني: علمه لجميع ذلك، ﴿ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[٤].

[٧١] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾[٥]، حجة وبرهاناً، ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ ﴾[٦]، يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم، ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾[٧]، للمشركين، ﴿ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾[٨]، مانع يمنعهم من عذاب الله.

[٧٢] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾[٩]، يعني: القرآن، ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ ﴾[١٠]، يعني الإنكار يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس، ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ ﴾[١١]، يعني: يقعون ويبسطون إليكم أيديهم

(١) سورة الحج آية : ٧٠.
(٢) سورة الحج آية : ٧٠.
(٣) سورة الحج آية : ٧٠.
(٤) سورة الحج آية : ٧٠.
(٥) سورة الحج آية : ٧١.
(٦) سورة الحج آية : ٧١.
(٧) سورة الحج آية : ٧١.
(٨) سورة الحج آية : ٧١.
(٩) سورة الحج آية : ٧٢.
(١٠) سورة الحج آية : ٧٢.
(١١) سورة الحج آية : ٧٢.

بالسوء. وقيل: يبطشون، ﴿ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ ﴾[1]، يعني: محمد وأصحابه من شدة الغيـظ. يقال: سطـا عليـه وسطا به إذا تناوشه بالبطش والعنف، وأصل السطو القهر. ﴿ قُلۡ ﴾[2]، يا محمد، ﴿ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ﴾[3]، يعني بشر لكم وأكره إليكم من القرآن الذي تستمعون، ﴿ ٱلنَّارُ ﴾[4] يعني: هي النار، ﴿ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٢ ﴾[5].

قوله تعالى يَا أيهَا الناسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ......

[٧٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ ﴾[6]، معنى: ضرب جعل كقولهم: ضرب السلطان البعث على الناس وضرب الجزية على أهل الذمة أي جعل ذلك عليهم. ومعنى الآية: جعل لي شبه وشبه بي الأوثان، أي: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها ومعنى ﴿ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ ﴾[7]، يعني: فاستمعوا حالها وصفتها، ثم بين ذلك فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[8]، يعني: الأصنام، قرأ يعقوب بالياء والباقون بالتاء ﴿ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا ﴾[9]، واحدا في صغره وقلته لأنا لا تقدر عليه والذباب واحد وجمعه القليل أذبة والكثير ذباب مثل غراب وأغربة وغربان، ﴿ وَلَوِ

(١) سورة الحج آية : ٧٢.
(٢) سورة الحج آية : ٧٢.
(٣) سورة الحج آية : ٧٢.
(٤) سورة الحج آية : ٧٢.
(٥) سورة الحج آية : ٧٢.
(٦) سورة الحج آية : ٧٣.
(٧) سورة الحج آية : ٧٣.
(٨) سورة الحج آية : ٧٣.
(٩) سورة الحج آية : ٧٣.

ﭐجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴾ [1]، يعني خلقه، ﴿ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ﴾ [2]، قال ابن عباس: كانوا يطلون الأصنام بالزعفران، فإذا جف جاء الذباب فاستلب منه. وقال السدى: كانوا يضعون الطعام بين يدي الأصنام فتقع الذباب عليه فيأكلن منه. وقال ابن زيد: كانوا يحلون الأصنام باليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر، ويطيبونا بألوان الطيب فربما تسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استردادها فذلك قوله: ﴿ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا ﴾ [3] أي: وإن يسلب الذباب الأصنام شيئا مما عليها لا يقدرون أن يستنقذوه منه، ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [4]، قال ابن عباس: الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب من الصنم، والمطلوب الصنم يطلب الذباب منه السلب. وقيل: على العكس: الطالب الصنم والمطلوب الذباب. وقال الضحاك: الطالب العابد والمطلوب المعبود.

[٧٤] ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ ﴾ [5]، ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته إن أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [6].

[٧٥] ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي ﴾ [1]، يعني يختار ﴿ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴾ [2] وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [3] يعني يختار من

(١) سورة الحج آية : ٧٣.
(٢) سورة الحج آية : ٧٣.
(٣) سورة الحج آية : ٧٣.
(٤) سورة الحج آية : ٧٣.
(٥) سورة الحج آية : ٧٤.
(٦) سورة الحج آية : ٧٤.

الناس رسلا مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، نزلت حين قال المشركون أأنزل الله عليه الذكر من بيننا، فأخبر أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ (٤) يعني سميع لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته.

[٧٦] ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ (٥) قال ابن عباس: ما قدموا ﴿ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ ﴾ (٦)، ما خلفوا. وقال الحسن: ما بين أيديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون من بعد. وقيل: ما بين أيديهم ملائكته وكتبه ورسله قبل أن خلقهم وما خلفهم أي ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم. ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ (٧).

[٧٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ﴾ (٨)، يعني صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود، ﴿ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ (٩)، أي: وحده، ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ ﴾ (١٠)، قال ابن عباس: صلة الرحم ومكارم الأخلاق،

---

(١) سورة الحج آية : ٧٥.
(٢) سورة الحج آية : ٧٥.
(٣) سورة الحج آية : ٧٥.
(٤) سورة الحج آية : ٧٥.
(٥) سورة الحج آية : ٧٦.
(٦) سورة الحج آية : ٧٦.
(٧) سورة الحج آية : ٧٦.
(٨) سورة الحج آية : ٧٧.
(٩) سورة الحج آية : ٧٧.
(١٠) سورة الحج آية : ٧٧.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[1]، لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة. واختلف أهل العلم في سجود التلاوة عقيب قراءة هذه الآية، فذهب قوم إلى أنه يسجد عندها وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق. وذهب قوم إلى أنه لا يسجد ههنا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وعدة سجود القرآن أربعة عشر عند أكثر أهل العلم منها ثلاث في المفصل. وذهب قوم إلى أنه ليس في المفصل سجود.

[٧٨] قوله: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾[2]، قيل: جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه، قاله ابن عباس، وعنه أيضا أنه قال: لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد، كما قال تعالى: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾[3]. قال الضحاك ومقاتل: اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته. وقال مقاتل بن سليمان: نسخها قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[4]، وقال أكثر المفسرين. حق الجهاد أن تكون نيته خالصة صادقة لله عز وجل. وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى. وقال عبد الله بن المبارك: هو مجاهدة النفس وهو الجهاد الأكبر وهو حق الجهاد. ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾[5] يعني: اختاركم لدينه، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[6]، ضيق، معناه أن المؤمن لا يبتلى بشيء، الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص، وبعضها بأنواع

(١) سورة الحج آية : ٧٧.
(٢) سورة الحج آية : ٧٨.
(٣) سورة المائدة آية : ٥٤.
(٤) سورة التغابن آية : ١٦.
(٥) سورة الحج آية : ٧٨.
(٦) سورة الحج آية : ٧٨.

الكفارات، فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد سبيلا إلى الخلاص من العقاب فيه. وقيل: من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس ذلك عليكم وسع الله عليكم حتى تتيقنوا. وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة في السفر والتيمم عند فقد الماء وأكل الميتة عند الضرورة والإفطار بالسفر والمرض والصلاة قاعدا عند العجز عن القيام. وهو قول الكلبي، وروي عن ابن عباس أنه قال: الحرج ما كان على بني إسرائيل من الأعمال التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الأمة. ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ﴾ [(١)]، يعني كلمة أبيكم نصب بـ ع حرف الصفة وقيل: نصب على الإغراء، يعني اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم، وإنما أمرنا باتباع ملة إبراهيم لأنا داخلة في ملة محمد ﷺ فإن قيل فما وجه قوله: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ ﴾ [(٢)] وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟ قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين وإبراهيم أب لهم على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [(٣)]، وقال النبي ﷺ ﴿ إنما أنا لكم مثل الوالد ﴾ [(٤)] [(٥)] ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ [(٦)]، يعني أن الله تعالى سماكـم ﴿ ٱلْمُسْلِمِينَ

---

(١) سورة الحج آية : ٧٨.

(٢) سورة الحج آية : ٧٨.

(٣) سورة الأحزاب آية : ٦.

(٤) النسائي الطهارة (٤٠)، أبو داود الطهارة (٨)، ابن ماجه الطهارة وسننها (٣١٣)، أحمد (٢٤٧/٢)، الدارمي الطهارة (٦٧٤).

(٥) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في الطهارة ١ / ١٨ والنسائي في الطهارة ١ / ٣٨ وابن ماجة في الطهارة ١ / ١١٤ والدارمي ١ / ١٧٢ وصححه ابن حبان برقم (١٢٨) ص ٦٢ ورواه المصنف فى شرح السنة ١ / ٣٥٦ وقال: هذا حديث صحيح.

(٦) سورة الحج آية : ٧٨.

﴿ مِن قَبۡلُ ﴾[(١)]، يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾[(٢)] يعني: وفي الكتاب، هذا قول أكثر المفسرين. وقال ابن زيد: هو يرجع إلى إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه، من قبل هذا الوقت وفي هذا الوقـت، وهـو قولـه: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ ﴾[(٣)]، ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ ﴾[(٤)]، يوم القيامة أن قد بلغكم، ﴿ وَتَكُونُواْ ﴾[(٥)]، أنتم، ﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴾[(٦)]، أن رسلهم قد بلغتهم، ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ ﴾[(٧)]، ثقوا بالله وتوكلوا عليه. قال الحسن: تمسكوا بدين الله. وروي عن ابن عباس قال: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره. وقيل. معناه ادعوه ليثبتكم على دينه. وقيل: الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة، ﴿ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ ﴾[(٨)]، وليكم وناصركم وحافظكم، ﴿ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨ ﴾[(٩)]، الناصر لكم.

---

(١) سورة الحج آية : ٧٨.
(٢) سورة الحج آية : ٧٨.
(٣) سورة البقرة آية : ١٢٨.
(٤) سورة الحج آية : ٧٨.
(٥) سورة الحج آية : ٧٨.
(٦) سورة الحج آية : ٧٨.
(٧) سورة الحج آية : ٧٨.
(٨) سورة الحج آية : ٧٨.
(٩) سورة الحج آية : ٧٨.

(٢٣) سورة المؤمنون

قوله تعالى قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ.....

[١] قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ [(١)]، قد حرف تأكيد، وقال المحققون: قد يقرب الماضي من الحال، يدل على أن الفلاح قد حصل لهم وأنم عليه في الحال وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل، والفلاح. النجاة والبقاء، قال ابن عباس: قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة.

[٢] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [(٢)] اختلفوا في معنى الخشوع، فقال ابن عباس: مخبتون أذلاء. وقال الحسن وقتادة: خائفون. وقال مقاتل: متواضعون. وقال مجاهد: هو غض البصر وخفض الصوت، والخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبصر والصوت، قال الله ﷻ ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [(٣)]، عن علي رضي الله عنه هو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا. وقال سعيد بن جبير: هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله، ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل. وقال عمرو بن دينار: هو السكون وحسن الهيئة. وقال ابن سيرين وغيره: هو ألا ترفع بصرك عن موضع سجودك. وقال أبو هريرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [(٤)] رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود. وقال عطاء: هو ألا تعبث بشيء من جسدك في الصلاة. وقيل: الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والإعراض عما سواها، والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١.

(٢) سورة المؤمنون آية : ٢.

(٣) سورة طه آية : ١٠٨.

(٤) سورة المؤمنون آية : ٢.

[٣] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [(١)] قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك وقال الحسن: عن المعاصي. وقال الزجاج: عن كل باطل ولهو ومالا يجمل من القول والفعل. وقيل: هو معارضة الكفار بالشتم والسب، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [(٢)]، أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه.

[٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [(٣)]، أي: للزكاة الواجبة مؤدون، فعبر عن التأدية بالفعل لأنها فعل. وقيل: الزكاة ههنا هو العمل الصالح، أي: والذين هم للعمل الصالح فاعلون.

[٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [(٤)]، الفرج اسم يجمع سوأة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج التعفف عن الحرام.

[٦] ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ ﴾ [(٥)]، أي: من أزواجهم، وعلى بمعنى من ﴿ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ [(٦)]، (ما) في محل الخفض يعني أو مما ملكت أيمانهم، والآية في الرجال خاصة بدليل قوله: ﴿ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ [(٧)] والمرأة لا يجوز أن تستمتع بفرج مملوكها. ﴿ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [(٨)]، يعني يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته فإنه

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٣.

(٢) سورة الفرقان آية : ٧٢.

(٣) سورة المؤمنون آية : ٤.

(٤) سورة المؤمنون آية : ٥.

(٥) سورة المؤمنون آية : ٦.

(٦) سورة المؤمنون آية : ٦.

(٧) سورة المؤمنون آية : ٦.

(٨) سورة المؤمنون آية : ٦.

لا يلام على ذلك، وإنما لا يلام فيهما إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأتى، وفي حال الحيض والنفاس، فإنه محظور وهو على فعله ملوم.

[٧] ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ (١)، أي: التمس وطلب سوى الأزواج والولائد المملوكة، ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ (٢)، الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام.

[٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ ﴾ (٣)، قرأ ابن كثير (لأماناتم) على التوحيد ههنا وفي سورة المعارج، كقوله تعالى: ﴿ وَعَهْدِهِمْ ﴾ (٤) والباقون (٥) بالجمع، كقوله ﷻ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ (٦)، ﴿ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ ﴾ (٧)، حافظون، أي يحفظون ما ائتمنوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها، يقومون بالوفاء بها، والأمانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، ويكون من العبيد كالودائع والصنائع فعلى العبد الوفاء بجميعها.

[٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ ﴾ (٨)، قرأ حمزة ة والكسائي (صلاتم)، على التوحيد، والآخرون "صلواتم" على الجمع. ﴿ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ (٩) أي يداومون، على

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٧.

(٢) سورة المؤمنون آية : ٧.

(٣) سورة المؤمنون آية : ٨.

(٤) سورة المؤمنون آية : ٨.

(٥) أي وقرا الباقون بالجمع.

(٦) سورة النساء آية : ٥٨.

(٧) سورة المؤمنون آية : ٨.

(٨) سورة المؤمنون آية : ٩.

(٩) سورة المؤمنون آية : ٩.

حفظها ويراعون أوقاتا، كرر ذكر الصلاة ليبين أن المحافظة عليها واجبة كما أن الخشوع فيها واجب.

[١٠] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾[(١)]، أهل هذه الصفة، ﴿ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ﴾[(٢)]، يرثون منازل أهل النار من الجنة. وقال بعضهم: معنى الوراثة هو أنه يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونا كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث.

[١١] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾[(٣)]، وهو أعلى الجنة قد ذكرناه في سورة الكهف، ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾[(٤)]، لا يموتون ولا يخرجون.

قوله تعالى وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ.....

[١٢] وقوله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾[(٥)]، يعني: ولد آدم، والإنسان اسم الجنس يقع على، الواحد والجمع، ﴿ مِن سُلَٰلَةٍ ﴾[(٦)]، روي عن ابن عباس أنه قال: السلالة صفوة الماء. وقال مجاهد: من بني آدم. وقال عكرمة: هو يسيل من الظهر، والعرب تسمي النطفة سلالة والولد سليلا وسلالة لأنما مسلولان منه. قوله: ﴿ مِّن طِينٍ ۝١٢ ﴾[(٧)]، يعني: طين آدم. والسلالة: تولدت من طين خلق أدم منه.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠.
(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠.
(٣) سورة المؤمنون آية : ١١.
(٤) سورة المؤمنون آية : ١١.
(٥) سورة المؤمنون آية : ١٢.
(٦) سورة المؤمنون آية : ١٢.
(٧) سورة المؤمنون آية : ١٢.

وقيل: المراد من الإنسان هو آدم. وقوله: ﴿ مِن سُلَٰلَةٍ ﴾ [1] أي: سل من كل تربة.

[١٣] ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةً ﴾ [2]، يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة، ﴿ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [3]، حريز وهو الرحم مكن وهيئ لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها.

[١٤، ١٥] ﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمًا ﴾ [4]، قرأ ابن عامر وأبو بكر (عظما) ﴿ فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمًا ﴾ [5] بسكون الظاء على التوحيد فيهما، وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة. وقيـل: بين كل خلقتين أربعون عاما. ﴿ فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمًا ﴾ [6]، أي ألبسنا، ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ ﴾ [7]، اختلف المفسرون فيه، فقال ابن عباس وغيره: هو نفخ الروح فيه. وقال قتادة: نبات الأسنان والشعر. وروى ابن جريج عن مجاهد: أنه استواء الشباب. وعن الحسن قال: ذكرا أو أنثى. وروى العوفي عن ابن عباس: أن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الاتضاع، إلى القعود إلى القيام، إلى المشي إلى الفطام، إلى أن يأكـل ويشرب، إلى أن يبلغ الحلم، ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها. ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ ﴾ [8]، أي: استحق التعظيم والثناء بأنه لم

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٢.

(٢) سورة المؤمنون آية : ١٣.

(٣) سورة المؤمنون آية : ١٣.

(٤) سورة المؤمنون آية : ١٤.

(٥) سورة المؤمنون آية : ١٤.

(٦) سورة المؤمنون آية : ١٤.

(٧) سورة المؤمنون آية : ١٤.

(٨) سورة المؤمنون آية : ١٤.

يزل ولا يزال. ﴿ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [1]، المصورين والمقدرين. والخلق في اللغة التقدير. وقال مجاهد: يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، يقال: رجل خالق أي: صانع. وقال ابن جريج: إنما جمع الخالقين لأن عيسى كان يخلق كما قال: ﴿ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ ﴾ [2] فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين. ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [3]، والميت بالتشديد، والمائت الذي لم يمت بعد وسيموت، والميت بالتخفيف من مات، ولذلك لم يجز التخفيف ههنا. كقوله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [4].

[١٦] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [5].

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ [6]، أي: سبع سماوات، سميت طرائق لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض. وقيل: سميت طرائق لأنا طرائق الملائكة. ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ [7]، أي كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [8]. وقيل: ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٤.
(٢) سورة آل عمران آية : ٤٩.
(٣) سورة المؤمنون آية : ١٥.
(٤) سورة الزمر آية : ٣٠.
(٥) سورة المؤمنون آية : ١٦.
(٦) سورة المؤمنون آية : ١٧.
(٧) سورة المؤمنون آية : ١٧.
(٨) سورة الحج آية : ٦٥.

وقيل: وما كنا عن الخلق غافلين أي بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب.

قوله تعالى وَأَنْزَلْنا مِنَ السمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْض وَإِنا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ...

[١٨] ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴾ [(١)]، يعلمه الله. قال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة، ﴿ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٢)]، يريد ما يبقى في الغدران والمستنقعات ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر. وقيل: فأسكناه في الأرض ثم أخرجنا منها ينابيع، فماء الأرض كله من السماء، ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [(٣)]، حتى تهلكوا عطشا وتلك مواشيكم وتخرب أراضيكم.

[١٩] قوله تعالى: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ ﴾ [(٤)]، يعني بالماء، ﴿ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ [(٥)]، في الجنات، ﴿ فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [(٦)]، شتاء وصيفا، وخص النخيل والأعناب بالذكر لأنا أكثر فواكه العرب.

[٢٠] ﴿ وَشَجَرَةً ﴾ [(٧)] أي: أنشأ لكم شجرة ﴿ تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ [(٨)]، وهي الزيتون، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو (سيناء) بكسر السين. وقرأ الآخرون بفتحها،

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٨.
(٢) سورة المؤمنون آية : ١٨.
(٣) سورة المؤمنون آية : ١٨.
(٤) سورة المؤمنون آية : ١٩.
(٥) سورة المؤمنون آية : ١٩.
(٦) سورة المؤمنون آية : ١٩.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٢٠.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٢٠.

واختلفوا في معناه وفي ﴿ سِينِينَ ﴾ [1] في قوله تعالى: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [2] قال مجاهد: معناه البركة، أي: من جبل مبارك. وقال قتادة: معناه الحسن، أي من الجبل الحسن. وقال الضحاك: هو بالنبطية، ومعناه الحسن: وقال عكرمة: هو بالحبشية. وقال الكلبي: معناه الشجر، أي: جبل ذو شجر. وقيل: هو بالسريانية الملتفة بالأشجار. وقال مقاتل: كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سينا، وسينين بلغة النبط. وقيل: هو فيعال من السناء وهو الارتفاع. قال ابن زيد: هو الجمل الذي نودي منه موسى بين مصر وأيلة. وقال مجاهد: سينا اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عنده. وقال عكرمة: هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل، ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ﴾ [3]، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ويعقوب تنبت بضم التاء وكسر الباء وقرأ الآخرون بفتح التاء وضم الباء، فمن قرأ بفتح التاء فمعناه تنبت تثمر الدهن وهو الزيتون. وقيل: تنبت ومعها الدهن، ومن قرأ بضم التاء، اختلفوا فيه فمنهم من قال: الباء زائدة معناه تنبت الدهن كما يقال أخذت ثوبه وأخذت بثوبه، ومنهم من قال نبت وأنبت لغتان بمعنى واحد، ﴿ وَصِبۡغٍ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾ [4]، الصبغ والصباغ الإدام الذي لون الخبز إذ غمس فيه وينصبغ، والإدام كل ما يؤكل مع الخبز سواء ينصبغ به الخبز ولا يصبغ. قال مقاتل: جعل الله في هذه الشجرة أدما ودهنا، فالأدم: الزيتون، والدهن الزيت، وقال: خص الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت بـا. ويقال: لأن الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان.

---

(١) سورة التين آية : ٢.

(٢) سورة التين آية : ٢.

(٣) سورة المؤمنون آية : ٢٠.

(٤) سورة المؤمنون آية : ٢٠.

[٢١] قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾[(١)]، يعني: آية تعتبرون بها، ﴿ نُّسْقِيكُم ﴾[(٢)]، قرأ العامة بالنون، وقرأ أبو جعفر ههنا بالتاء وفتحها، ﴿ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[(٣)].

[٢٢] ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[(٤)]، يعني: على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر.

[٢٣] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[(٥)]، وحده، ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[(٦)]، معبود سواه، ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[(٧)]، أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره.

[٢٤] ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾[(٨)]، يعني: يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعا وأنتم له تبع، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[(٩)]، ألا يعبد سواه، ﴿ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾[(١٠)]، يعني بإبلاغ الوحي

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٢١.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٢١.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٢١.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٢٢.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٢٣.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٢٣.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٢٣.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٢٤.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٢٤.
(١٠) سورة المؤمنون آية : ٢٤.

﴿ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا ﴾[1]، الذي يدعونا إليه نوح ﴿ فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ ﴾[2]، وقيل: ما سمعنا بهذا أي: بإرسال بشر رسولا.

[٢٥] ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ ﴾[3]، يعني جنون، ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥ ﴾[4]، يعني إلى أن يموت فتستريحوا منه.

[٢٦] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ ﴾[5]، يعني: أعني بإهلاكهم لتكذيبهم إياي.

[٢٧] ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا ﴾[6]، أدخل فيها، يقال: سلكته في كذا وأسلكته فيه، ﴿ مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ ﴾[7]، يعني من سبق عليه الحكم بالهلاك. ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧ ﴾[8].

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٢٤.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٢٤.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٢٥.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٢٥.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٢٦.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٢٧.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٢٧.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٢٧.

قوله تعالى ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾....

[٢٨، ٢٩] ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ ﴾[(١)]، اعتدلت ﴿ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[(٢)]، يعني الكافرين، ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾[(٣)]، قرأ أبو بكر عن عاصم (م لا) بفتح الميم وكسر الزاي، أي يريد موضع الـ ول، قيل: هذا هو السفينة بعد الركوب، وقيل: هو الأرض بعد الـ ول، ويحتمل أنه أراد في السفينة، ويحتمل بعد الخروج وقرأ الباقون م لا بضم الميم وفتح الزاي أي إنزالا، مباركا، فالبركة في السفينة النجاة وفي الـ ول بعد الخروج كثرة النسل من أولاده الثلاثة، ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾[(٤)].

[٣٠] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾[(٥)]، يعني الذي ذكرت من أمر نوح والسفينة وإهلاك أعداء الله ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾[(٦)] لدلالات على قدرته، ﴿ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾[(٧)]، يعني: وقد كنا وقيل: وما كنا إلا مبتلين أي: مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بم.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٢٨.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٢٨.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٢٩.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٢٩.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٣٠.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٣٠.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٣٠.

[٣١] ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾[1]، مـن بعد إهلاكهم، ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

[٣٢] ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[3]، يعني هودا وقومه. وقيل: صالحا وقومه. والأول أظهر، ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[4].

[٣٣] ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[5]، أي المصير إلى الآخرة ﴿ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ ﴾[6]، نعمناهم ووسعنا عليهم، ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[7]، يعني مما تشربون منه.

[٣٤] ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[8]، لمغبونون.

[٣٥] ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[9]، من قبوركم أحياء وأعاد إنكم لما طال الكلام، ومعنى الكلام: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون؟ وكذلك هو في قراءة عبد الله.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٣١.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٣١.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٣٢.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٣٢.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٣٣.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٣٣.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٣٣.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٣٤.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٣٥.

[٣٦] ﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ [١]، قال ابن عباس: هي كلمة بعد، أي: بعيد ما توعدون، قرأ أبو جعفر (هيهات هيهات) بكسر التاء، وقرأ نصر ابن عاصم بالضم، وكلها لغات صحيحة فمن نصب جعله مثل أين وكيف، ومن رفع جعله مثل منذ وقط وحيث، ومن كسر جعله مثل أمس وهؤلاء، ووقف عليها أكثر القراء بالتاء، ويروى عن الكسائي الوقف عليها بالهاء.

[٣٧] ﴿ إِنْ هِيَ ﴾ [٢]، يعنون الدنيا، ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [٣]، قيل: فيه تقديم وتأخير، أي: نحيا ونموت لأنهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت. وقيل: يموت الآباء ويحيا الأبناء. وقيل: يموت قوم ويحيا قوم. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [٤]، بمنشرين بعد الموت.

[٣٨] ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ [٥]، يعني الرسول، ﴿ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [٦]، مصدقين بالبعث بعد الموت.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٣٦.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٣٧.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٣٧.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٣٧.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٣٨.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٣٨.

[٣٩، ٤٠] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾[1]. ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾[2]، أي: عن قليل و (ما) صلة، ﴿ لَّيُصۡبِحُنَّ ﴾[3]، ليصيرن، ﴿ نَٰدِمِينَ ﴾[4]، على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾[5]، يعني صيحة العذاب، ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾[6]، قيل: أراد بالصيحـة الهلاك. وقيـل: صـاح بم جبريل صيحة فتصدعت قلوبم، ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ ﴾[7]، وهو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر، معناه: صيرناهم هلكـى فيبسـوا يبس الغثـاء من نبات الأرض، ﴿ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[8].

[٤٢] ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾[9]، يعني: أقواما آخرين.

[٤٤] ﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ ﴾[10]، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زمانا طويلا وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين مهملة. ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٣٩.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٤٠.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٤٠.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٤٠.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٤١.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٤١.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٤١.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٤١.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٤٢.
(١٠) سورة المؤمنون آية : ٤٤.

﴿ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا ﴾[1]، بالهلاك، أي: أهلكنـا بعضهم في إثر بعض، ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ ﴾[2]، يعني سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنم، وهي جمع أحدوثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هو في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحدوثة إنما يقال صار فلان حديثا، ﴿ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[3].

قوله تعالى ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ.....

[٤٥] ﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[4]، يعني بحجة بينة من اليد والعصا. وغيرهما.

[٤٦] ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾[5]، تعظموا عن الإيمان، ﴿ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[6]، متكبرين قاهرين بالظلم.

[٤٧] ﴿ فَقَالُوٓاْ ﴾[7]، يعني فرعون وقومه، ﴿ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا ﴾[8]، يعني: موسى وهارون، ﴿ وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[9] مطيعون متذللون والعرب تسمي كل من دان للملك عابدا له.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٤٤.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٤٤.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٤٤.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٤٥.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٤٦.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٤٦.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٤٧.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٤٧.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٤٧.

[٤٨] ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[١]، بالغرق.

[٤٩] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾[٢]، التوراة، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[٣]، أي لكي يهتدي به قومه.

[٥٠، ٥١] ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾[٤]، دلالة على قدرتنا، ولم يقل آيتين، قيل: معناه شأنهما آية. وقيل: معناه جعلنا كل واحد منهما آية، كقوله تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾[٥]. ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾[٦]، الربوة المكان المرتفع من الأرض، واختلفت الأقوال فيها، فقال عبد الله بن سلام: هي دمشق، وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل، وقال الضحاك: غوطة دمشق. وقال أبو هريرة: هي الرملة. وقال عطاء عن ابن عباس: هي بيت المقدس، وهو قول قتادة وكعب. وقال كعب: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا. وقال ابن زيد: هي مصر. وقال السدي: أرض فلسطين. ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ ﴾[٧] أي: مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها. ﴿ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾[٨]، فالمعين الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون، مفعول من عانه يعنيه إذا أدركه البصر. قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾[٩]،

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٤٨.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٤٩.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٤٩.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٥٠.
(٥) سورة الكهف آية : ٣٣.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٥٠.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٥٠.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٥٠.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٥١.

قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة: أراد به محمد ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة. وقال بعضهم: أراد به عيسى وقيل: أراد به جميع الرسل عليهم السلام، ﴿ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [1]، أي الحلالات، ﴿ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ [2]، الصلاح هـو الاستقامـة على ما توجبه الشريعة، ﴿ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [3].

[٥٢] ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ ﴾ [4] قرأ أهل الكوفة وإن بكسر الألف على الابتداء وقرأ الباقـون بفتـح الألف وخفف ابن عامـر النون وجعل إن صلة مجازه وهذه ﴿ أُمَّتُكُمْ ﴾ [5] قرأ الباقون بتشديد النون على معنى وبأن هذا تقديره بأن هذه أمتكم، أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها، ﴿ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [6]، أي ملة واحدة وهي الإسلام؟ ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [7] أي: اتقوني لهذا، وقيل: معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكـم فأمركـم واحـد ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [8] فاحذروني وقيل: هو نصب بإضمار فعل، أي: أعلموا أن هذه أمتكم أي ملتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٥١.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٥١.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٥١.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٥٢.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٥٢.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٥٢.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٥٢.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٥٢.

[٥٣] ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم ﴾[1]، دينهم، ﴿ بَيۡنَهُمۡ ﴾[2] تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا، ﴿ زُبُرٗاۖ ﴾[3]. أي: فرقا وقطعا مختلفة، واحدها زبور وهو الفرقة والطائفة، ومثله الزبرة وجمعها زبر، ومنه. ﴿ زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ ﴾[4] أي: صاروا فرقا كزبر الحديد. وقرأ بعض أهل الشام (زبرا) بفتح الباء، قال قتادة ومجاهد: (زبرا) أي: كتبا يعني دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخرون. وقيل: جعلوا كتبهم قطعا مختلفة آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض، وحرفوا البعض ﴿ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ ﴾[5] أي: بما عندهم منهم الذين، ﴿ فَرِحُونَ ٥٣ ﴾[6] معجبون ومسرورون.

[٥٤] ﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ ﴾[7]، قال ابن عباس: في كفرهم وضلالتهم، وقيل: عمايتهم، وقيل: غفلتهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ ﴾[8]، إلى أن يموتوا.

[٥٥] ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ ﴾[9] ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من المال والبنين في الدنيا.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٥٣.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٥٣.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٥٣.
(٤) سورة الكهف آية : ٩٦.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٥٣.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٥٣.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٥٤.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٥٤.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٥٥.

[٥٦] ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[١]، أي: نجعل لهم في الخيرات ونقدمها ثوابا لأعمالهم لمرضاتنا عنهم، ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٢]، إن ذلك استدراج لهم. ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال:

[٥٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[٣]، أي: خائفون، والإشفاق: الخوف، والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه، قال الحسن البصري: المؤمن من جمع إحسانا وخشية والمنافق من جمع إساءة وأمنا.

[٥٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[٤] يصدقون.

[٥٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[٥].

[٦٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا ﴾[٦]. أي: يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، وروي عن عائشة أنا كانت تقرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا ﴾[٧] أي: يعملون ما عملوا من أعمال البر، ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾[٨]، أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم، ﴿ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[٩]، لأنهم يوقنون أنهم يرجعون إلى الله عز وجل. قال الحسن: عملوا لله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٥٦.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٥٦.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٥٧.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٥٨.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٥٩.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٦٠.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٦٠.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٦٠.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٦٠.

ترد عليهم. ﴿ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ [(١)] أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: "لا يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه ﴾[(٢)].

[٦١] قوله ﷻ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾[(٣)]، يبادرون إلى الأعمال الصالحات، ﴿ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١ ﴾ [(٤)] أي: إليها سابقون، كقوله تعالى: ﴿ لِمَا نُهُواْ ﴾ [(٥)] أي: إلى ما نوا، و ﴿ لِمَا قَالُواْ ﴾ [(٦)] ونحوها، وقال ابن عباس في معنى هذه الآية: سبقت لهم من الله السعادة. وقال الكلبي: سبقوا الأمم في الخيرات.

قوله تعالى وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.....

[٦٢] قوله ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ ﴾[(٧)]، أي: طاقتها فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر، ﴿ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾[(٨)]، وهو اللوح المحفوظ ينطق بالحق يبين بالصدق، ومعنى الآية لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلا ما أطاقت من العمل، وقد أثبتنا عمله في اللوح المحفوظ، فهو ينطق به ويبينه. وقيل: هو كتب

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير ٩ / ١٩ والإمام أحمد ٦ / ١٥٩ - ٢٠٦ والحاكم ٢ / ٣٩٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والطبري ١٨ / ٣٤.

(٣) سورة المؤمنون آية : ٦١.

(٤) سورة المؤمنون آية : ٦١.

(٥) سورة الأنعام آية : ٢٨.

(٦) سورة المجادلة آية : ٣.

(٧) سورة المؤمنون آية : ٦٢.

(٨) سورة المؤمنون آية : ٦٢.

أعمال العباد التي تكتبها الحفظة، ﴿ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [1]، ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم.

[٦٣] ثم ذكر الكفار فقال: ﴿ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ ﴾ [2] أي: في غفلة وجهالة، ﴿ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ [3] أي: من القرآن ﴿ وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ [4]، أي: للكفار أعمال خبيثة من المعاصي، والخطايا محكومة عليهما من دون ذلك، يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرهـا الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ [5]، ﴿ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾ [6] لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة، هذا قول أكثر المفسرين. وقال قتادة: هذا ينصرف إلى المسلمين وأن لهم أعمالا سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون، والأول أظهر.

[٦٤] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم ﴾ [7]، أي: أخذنا أغنياءهـم ورؤساءهم، ﴿ بِٱلۡعَذَابِ ﴾ [8]، قال ابن عباس: هو السيف يوم بدر. وقال الضحاك: يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: « اللهم اشدد وطأتك على مضر،

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٦٢.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٦٣.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٦٣.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٦٣.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٥٧.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٦٣.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٦٤.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٦٤.

واجعلها عليهم سنين كسني يوسف ﴾ [1] [2] فابتلاهم الله ﷻ بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف. ﴿ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [3] يجزعون ويستغيثون وأصل الجأر رفع الصوت بالتضرع.

[٦٥] ﴿ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾ [4]، أي لا تضجـوا، ﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [5]، لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم.

[٦٦] ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [6]، يعني القرآن، ﴿ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [7] ترجعون القهقرى تتأخرون عن الإيمان.

[٦٧] ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ [8]، اختلفوا في هذه الكناية فأظهر الأقاويل أنها تعود إلى البيت الحرام كناية عن غير مذكور، أي: مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام وتعظمهم به أنهم كانوا يقولون: نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف، هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة، وقيل: مستكبرين بـه أي بالقـرآن فلم يؤمنـوا به. والأول أظهر، المراد منه الحرم،

(١) البخاري الأذان (٧٧١)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٥)، النسائي التطبيق (١٠٧٤)، أبو داود الصلاة (١٤٤٢)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٤٤)، أحمد (٢/٢٥٥)، الدارمي الصلاة (١٥٩٥).

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الدعوات ١١ / ١٩٣ ومسلم في المساجد رقم (٦٧٥) ١ / ٤٦٦.

(٣) سورة المؤمنون آية : ٦٤.

(٤) سورة المؤمنون آية : ٦٥.

(٥) سورة المؤمنون آية : ٦٥.

(٦) سورة المؤمنون آية : ٦٦.

(٧) سورة المؤمنون آية : ٦٦.

(٨) سورة المؤمنون آية : ٦٧.

﴿ سَـٰمِرًا ﴾[1]، نصب على الحال، أي أنهم يسهرون بالليل في مجالسهم حول البيت، ووحد سامرا وهو بمعنى السمار لأنه وضع موضع الوقت، أراد تجرون ليلا. وقيل: وحد سامر، ومعنـاه الجمـع، قوله: ﴿ ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾[2]، ﴿ تَهۡجُرُونَ ۝٦٧ ﴾[3] قال نافع (تجرون) بضم التاء وكسر الجيم من الأهجار وهو الإفحاش في القول، أي تفحشون وتقولون الخنا، وذكر أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ وأصحابه، وقرأ الآخرون (تجرون) بفتح التاء وضم الجيم، أي: تعرضون عن النبي ﷺ وعن الإيمان والقرآن، وترفضونا. وقيل: هو من الهجر وهو القول القبيح، يقال: هجر يهجر هجرا إذا قال غير الحق. وقيل. تزؤون وتقولون ما لا تعلمون، من قولهم هجر الرجل في منامه إذا هذى.

[٦٨] ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ﴾[4]، يعني يتدبروا ﴿ ٱلۡقَوۡلَ ﴾[5]، يعني ما جاءهم من القول وهو القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ ﴿ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦٨ ﴾[6]، فأنكروا، يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلا إلى قومهم كذلك بعثنا محمدا ﷺ إليهم. وقيل. أم بمعنى بل يعني جاءهم ما لم يأت أبائهم الأولين فلذلك أنكروا.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٦٧.
(٢) سورة الحج آية : ٥.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٦٧.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٦٨.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٦٨.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٦٨.

[٦٩] ﴿ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ ﴾[(١)]، محمدا ﷺ ﴿ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩ ﴾[(٢)]، قال ابن عباس: أليس قد عرفوا محمدا ﷺ صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود، وهذا على سبيل التوبيخ على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة.

[٧٠] ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ ﴾[(٣)]، جنون وليس كذلك ﴿ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ ﴾[(٤)]، يعني بالصـدق والقول الـذي لا تخفـى صحته وحسنه على عاقل، ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠ ﴾[(٥)].

[٧١] ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾[(٦)]، قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة: الحق هو الله أي لو اتبع الله مرادهم فيما يفعل، وقيل. لو اتبع مرادهم، فسمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون: ﴿ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾[(٧)]، وقال الفراء والزجاج: والمراد بالحق القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه ﴿ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾[(٨)]، وهو كقوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

(١) سورة المؤمنون آية : ٦٩.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٦٩.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٧٠.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٧٠.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٧٠.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٧١.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٧١.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٧١.

لَفَسَدَتَا ﴾ [1]. ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ [2]، بما يذكرهم، قال ابن عباس: أي بما فيه فخرهم وشرفهم يعني القرآن، فهو كقوله تعالى. ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ [3]، أي: شرفكم ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [4]، أي شـرف لك ولقومـك. ﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم ﴾ [5]، يعني عـن شرفهـم، ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [6].

[٧٢] ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ ﴾ [7]، على ما جئتهم به، ﴿ خَرْجًا ﴾ [8]، أجرا وجعـلا ﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ [9]، يعني ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [10]، قرأ حمزة والكسائي (خراجا) (فخرج) كلاهما بالألف وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف وقرأ الآخرون (خرجا) بغير الألف (فخراج) بالألف.

[٧٣] ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ [11]، وهو الإسلام.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٢.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٧١.
(٣) سورة الأنبياء آية : ١٠.
(٤) سورة الزخرف آية : ٤٤.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٧١.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٧١.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٧٢.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٧٢.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٧٢.
(١٠) سورة المؤمنون آية : ٧٢.
(١١) سورة المؤمنون آية : ٧٣.

[٧٤] ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ ﴾[١]، أي عن دين الحق، ﴿ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[٢]، لعادلون مائلون.

قوله تعالى وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍ لَلَجوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.....

[٧٥] ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾[٣]، قحـط وجـدوبـة ﴿ لَّلَجُّواْ ﴾[٤]، تمادوا، ﴿ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[٥]، ولم يـ عوا عنه.

[٧٦] ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾[٦]، ﴿ وذلك أن النبي ﷺ دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسني [٧]. يوسف فأصابهم القحط، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ وقال: أنشدك الله والرحم، ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: بلى، فقال: قد قتلت الأباء بالسيف والأبناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط، فدعا فكشف عنهم، فأنزل الله هذه الآية ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ ﴾ [٨] ﴾، أي: ما خضعوا وما ذلوا لربهم، وأصله طلب السكون، ﴿ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[٩]، أي: لم يتضرعوا إلى ربهم بل مضوا على تمردهم.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٧٤.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٧٤.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٧٥.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٧٥.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٧٥.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٧٦.
(٧) هكذا في الأصل، وفي طبعة النمر وزميله.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٧٦.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٧٦.

[٧٧] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴾[١]، قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر وهو قول مجاهد، وقيل: هو الموت. وقيل: هو قيام الساعة؟ ﴿ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ ﴾[٢]، آيسون من كل خير.

[٧٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ ﴾[٣] أي: أنشأ لكم الأسماع ﴿ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ ﴾[٤]، لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[٥]، أي: لم تشكروا هذه النعم.

[٧٩] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ ﴾[٦]، خلقكم، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩ ﴾[٧]، تبعثون.

[٨٠] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾[٨]، أي: تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان، قال الفراء: جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض، ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾[٩]، ما ترون من صنعه فتعتبرون.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٧٧.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٧٧.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٧٨.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٧٨.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٧٨.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٧٩.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٧٩.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٨٠.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٨٠.

[٨١] ﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[1]، أي: كذبوا كما كذب الأولون.

[٨٢] ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[2]، لمحشورون، قالوا ذلك على طريق الإنكار في التعجب.

[٨٣] ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا ﴾[3]، الوعد، ﴿ مِن قَبْلُ ﴾[4]، أي: وعد أباءنا قوم زعموا أنهم رسل الله فلم نر له حقيقة، ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[5]، أكاذيب الأولين.

[٨٤] ﴿ قُل ﴾[6]، يا محمد مجيبا لهم يعني أهل مكة، ﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾[7]، من الخلق، ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[8]، خالقها ومالكها.

[٨٥] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾[9]، ولا بد لهم من ذلك لأنهم يقرون أنها مخلوقة. ﴿ قُلْ ﴾[10] لهم إذا أقروا بذلك، ﴿ أَفَلَا

(١) سورة المؤمنون آية : ٨١.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٨٢.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٨٣.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٨٣.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٨٣.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٨٤.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٨٤.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٨٤.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٨٥.
(١٠) سورة المؤمنون آية : ٨٥.

تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1]، فتعلمون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على إحيائهم بعد الموت.

[٨٦] ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾[2].

[٨٧] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾[3]، قرأ العامة (لله) ومثله ما بعده فجعلوا الجواب على المعنى كقول القائل للرجل: من مولاك؟ فيقول: لفلان، أي أنا لفلان وهو مولاي، وقرأ أهل البصرة فيها (الله) وكذلك هو في مصحف أهل البصرة وفي سائر المصاحف مكتوب بالألف كالأول، ﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[4]، تحذرون.

[٨٨] ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[5]، الملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة، ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾[6]، أي: يؤمن من يشاء ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾[7]، أي: لا يؤمن من أخافه الله أو يمنع هو من السوء من يشاء ولا يمنع منه من أراده بسوء ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[8]، قيل: معناه أجيبوا إن كنتم تعلمون.

[٨٩] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[9]، أي: تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته، والمعنى: كيف يخيل لكم الحق باطلا؟.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٨٥.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٨٦.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٨٧.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٨٧.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٨٨.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٨٨.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٨٨.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٨٨.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٨٩.

قوله تعالى بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَق وَإِنهُمْ لَكَاذِبُونَ.....

[٩٠] ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ ﴾ [١]، بالصدق ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠ ﴾ [٢]، فيما يدعون من الشريك والولد.

[٩١] ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ ﴾ [٣]، أي: من شريك، ﴿ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ [٤]، أي: تفرد بما خلقه فلم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره، ومنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق. ﴿ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ﴾ [٥]، أي: طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم، ثم نزه نفسه فقال: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ ﴾ [٦].

[٩٢] ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [٧] قرأ أهل المدينة والكوفة غير حفص (عالم) برفع الميم على الابتداء، وقرأ الآخرون بجرها على نعت الله في سبحان الله، ﴿ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٩٢ ﴾ [٨]، أي: تعظم عما يشركون، ومعناه أنه أعظم من أن يوصف بذا الوصف.

(١) سورة المؤمنون آية : ٩٠.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٩٠.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٩١.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٩١.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٩١.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٩١.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٩٢.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٩٢.

[٩٣] قولـه: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى ﴾[1]، أي: إن أريتني، ﴿ مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[2]، أي: ما أوعدتم من العذاب.

[٩٤] ﴿ رَبِّ ﴾[3]، أي: يا رب، ﴿ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[4]، أي: لا تلكني بلاكهم.

[٩٥] ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ ﴾[5]، مـــن العـذاب لهـم، ﴿ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[6].

[٩٦] ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[7]، أي: ادفع بالخلة التي هي أحسن هي الصفح والإعراض والصبر، ﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾[8]، يعني أذاهم، أمرهم بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة، نسختها آية السيف. ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[9]، يكذبون ويقولون من الشرك.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٩٣.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٩٣.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٩٤.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٩٤.
(٥) سورة المؤمنون آية : ٩٥.
(٦) سورة المؤمنون آية : ٩٥.
(٧) سورة المؤمنون آية : ٩٦.
(٨) سورة المؤمنون آية : ٩٦.
(٩) سورة المؤمنون آية : ٩٦.

[٩٧] ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ ﴾[1]، أي: أمتنع وأعتصم بك، ﴿ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ ﴾[2]، قال ابن عباس: نزغاتهم. وقال الحسن: وساوسهم. وقال مجاهد: نفخهم ونفثهم. وقال أهل المعاني: دفعهم بالإغواء إلى المعاصي، وأصل الهمز شدة الدفع.

[٩٨] ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ۝٩٨ ﴾[3]، في شيء من أموري، وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يوسوسه. ثم أخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت.

[٩٩] فقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ ﴾[4]، ولم يقل ارجعني وهو يسأل الله وحده الرجعة على عادة العرب فإنهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[5] ومثله كثير في القرآن. وقيل: هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم استغاثوا بالله أولا ثم رجعوا إلى مسالة الملائكة الرجوع إلى الدنيا.

[١٠٠] قوله تعالى: ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾[6] أي: ضيعت أن أقول لا إله إلا الله. وقيل: أعمل بطاعة الله. قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فرحم الله امرءًا

(١) سورة المؤمنون آية : ٩٧.
(٢) سورة المؤمنون آية : ٩٧.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٩٨.
(٤) سورة المؤمنون آية : ٩٩.
(٥) سورة الحجر آية : ٩.
(٦) سورة المؤمنون آية : ١٠٠.

أعمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب ﴿ كَلَّآ ﴾[1]، كلمة ردع وزجر، أي: لا يرجع إليها، ﴿ إِنَّهَا ﴾[2] يعني: سؤاله الرجعة، ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾[3]، ولا ينالها، ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾[4]، أي أمامهم وبين أيديهم حاجز، ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[5]، والبرزخ الحاجز بين الشيئين، واختلفوا في معناه ههنا، فقال مجاهد: حجاب بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا. وقال قتادة: بقية الدنيا. وقال الضحاك: البرزخ ما بين الموت إلى البعث. وقيل: هو القبر وهم فيه إلى يوم يبعثون.

[١٠١] ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾[6]، اختلفوا في هذه النفخة، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنا النفخة الأولى ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[7] ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[8]، ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[9]، ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[10]. وعن ابن مسعود: أنا النفخة

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠٠.
(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠٠.
(٣) سورة المؤمنون آية : ١٠٠.
(٤) سورة المؤمنون آية : ١٠٠.
(٥) سورة المؤمنون آية : ١٠٠.
(٦) سورة المؤمنون آية : ١٠١.
(٧) سورة الزمر آية : ٦٨.
(٨) سورة المؤمنون آية : ١٠١.
(٩) سورة الزمر آية : ٦٨.
(١٠) سورة الصافات آية : ٢٧.

الثانية، قال: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي مناد: هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده وولده وزوجته أو أخيـه فيأخذ منه، ثم قرأ ابن مسعود ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [(١)]. وفي رواية عطاء عن ابن مسعود: أنا الثانية فلا أنساب بينهم أي: لا يتفاخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا. من أنت ومن أي قبيلة أنت؟ ولم يرد أن الأنساب تنقطع.

فإن قيل: قد قال ههنا ﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [(٢)] وقال في موضع آخر: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [(٣)]؟ الجواب. ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن للقيامة أحوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون.

[١٠٢] قوله: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [(٤)].

[١٠٣] ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴾ [(٥)].

[١٠٤]. ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [(١)] أي: تسفع وقيل: تحرق، ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾ [(٢)]، عابسون.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠١.
(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠١.
(٣) سورة الصافات آية : ٢٧.
(٤) سورة المؤمنون آية : ١٠٢.
(٥) سورة المؤمنون آية : ١٠٣.

قوله تعالى ألَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ.....

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِى تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [٣]، يعني القرآن تخوفون بها، ﴿ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ ﴾ [٤].

[١٠٦] ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا ﴾ [٥]، قرأ حمزة والكسائي: شقاوتنا بالألف وفتح الشين وهما لغتان أي: غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد. ﴿ وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ ﴾ [٦] عن الهدى.

[١٠٧] ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا ﴾ [٧] أي: من النار، ﴿ فَإِنۡ عُدۡنَا ﴾ [٨] لما تكره ﴿ فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ ﴾ [٩].

[١٠٨] ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ ﴾ [١٠]، أبعدوا، ﴿ فِيهَا ﴾ [١١]، كما يقال للكلب إذا طرد اخسأ، ﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾ [١٢]، في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم فعند ذلك

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠٤.
(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠٤.
(٣) سورة المؤمنون آية : ١٠٥.
(٤) سورة المؤمنون آية : ١٠٥.
(٥) سورة المؤمنون آية : ١٠٦.
(٦) سورة المؤمنون آية : ١٠٦.
(٧) سورة المؤمنون آية : ١٠٧.
(٨) سورة المؤمنون آية : ١٠٧.
(٩) سورة المؤمنون آية : ١٠٧.
(١٠) سورة المؤمنون آية : ١٠٨.
(١١) سورة المؤمنون آية : ١٠٨.
(١٢) سورة المؤمنون آية : ١٠٨.

أيس المساكين من الفرج، قال الحسن. هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يُفهمون ولا يفهمون.

[١٠٩] ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ [(١)] الهاء في (إنه) عماد وتسمى أيضا الهولة، ﴿ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى ﴾ [(٢)]، وهم المؤمنون ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [(٣)].

[١١٠] ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ [(٤)]، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي (سخريا) بضم السين هاهنا وفي سورة ص، وقرأ الباقون بكسرهما واتفقوا على الضم في سورة الزخرف. قال الخليل: هما لغتان مثل قولهم: بحر لجي، ولجي بضم اللام وكسرها، مثل كوكب دري ودري، قال الفراء والكسائي: الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول، والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل واتفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير، ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ﴾ [(٥)] أي: أنساكـم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم، ﴿ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [(٦)]، نظيره ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [(٧)] قال مقاتل: نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من أصحابه، كان كفار قريش يستهزؤون بهم.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠٩.
(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠٩.
(٣) سورة المؤمنون آية : ١٠٩.
(٤) سورة المؤمنون آية : ١١٠.
(٥) سورة المؤمنون آية : ١١٠.
(٦) سورة المؤمنون آية : ١١٠.
(٧) سورة المطففين آية : ٢٩.

[١١١] ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ ﴾ [(١)]، على أذاكـم واستهزائكـم فـي الـدنيا، ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [(٢)] قرأ حمزة والكسائي (إنهم) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتحها، فيكون في موضع المفعول الثاني إني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة.

[١١٢] ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ [(٣)]، قرأ حمزة والكسائي: وقل إن، على الأمر والنهي. ومعنى الآية: قولوا أيها الكافرون، فأخرج الكلام مخرج الواحد، والمراد منه الجماعة إذا كان معناه مفهوما ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم، أي قل يا أيها الكافرون وقرأ ابن كثير: قل كـم على الأمر، وقال أن على الخبر لأن الثانية جواب، وقرأ الآخرون قال فيهما جميعا أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث كـم لبثتم، ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٤)]، أي: في الدنيا وفي القبور ﴿ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ [(٥)].

[١١٣] ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [(٦)]، نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب، ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ [(٧)]، الملائكـة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونا عليهم.

[١١٤] ﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾ [(١)]، أي: ما لبثتم في الدنيا، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [(٢)] سماه قليلا لأن الواحد وإن طال مكثه في الدنيا فإنه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة

(١) سورة المؤمنون آية : ١١١.
(٢) سورة المؤمنون آية : ١١١.
(٣) سورة المؤمنون آية : ١١٢.
(٤) سورة المؤمنون آية : ١١٢.
(٥) سورة المؤمنون آية : ١١٢.
(٦) سورة المؤمنون آية : ١١٣.
(٧) سورة المؤمنون آية : ١١٣.

لأن لبثه في الدنيا والقبر متناه ﴿ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3]، قدر لبثكم في الدنيا.

[١١٥] ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا ﴾[4]، لعبا وباطلا لا لحكمة، وهو نصب على الحال، أي: عابثين. وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وهو مثل قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[5] وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله تعالى، ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[6] أي: أفحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم. ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون.

[١١٦] فقال جل ذكره: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[7] يعني السرير الحسن. وقيل: المرتفع.

[١١٧] ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾[8] أي: لا حجة له به ولا بينة لأنه لا حجة في دعوى الشرك، ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ ﴾[9]، جزاؤه، ﴿ عِندَ

(١) سورة المؤمنون آية : ١١٤.
(٢) سورة المؤمنون آية : ١١٤.
(٣) سورة المؤمنون آية : ١١٤.
(٤) سورة المؤمنون آية : ١١٥.
(٥) سورة القيامة آية : ٣٦.
(٦) سورة المؤمنون آية : ١١٥.
(٧) سورة المؤمنون آية : ١١٦.
(٨) سورة المؤمنون آية : ١١٧.
(٩) سورة المؤمنون آية : ١١٧.

رَبِّهِۦٓ ﴾[1]، يجازيه بعلمه كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[2]، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[3]. لا يسعد من جحد وكذب.

[١١٨] ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١١٧.

(٢) سورة الغاشية آية : ٢٦.

(٣) سورة المؤمنون آية : ١١٧.

(٤) سورة المؤمنون آية : ١١٨.

(٢٤) سورة النور

قوله تعالى سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ....

[١] ﴿ سُورَةٌ ﴾ (١)، أي: هـذه سورة، ﴿ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا ﴾ (٢) قرأ ابن كثير وأبو عمر (وفرضناها) بتشديد الراء، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل با. وقيل: معناه قدرنا ما فيها من الحدود، والفرض: التقدير، قال الله ﷻ ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ (٣) أي: قدرتم، ودليل التخفيف قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (٤)، وأما التشديد فمعناه فصلناه وبيناه. وقيل: هو بمعنى الفرض الذي هو بمعنى الإيجاب أيضا والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من الفرائض، أي أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة. ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ (٥)، واضحات، ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ﴾ (٦)، تتعظون.

[٢] قوله ﷻ ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ ﴾ (٧) أراد إذا كانا حرين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين، فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة، يقال جلده إذا ضرب جلده، كما يقال رأسه وبطنه، إذا ضرب رأسه وبطنه، وذكر بلفظ الجلد لئلا يبرح ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم، وقد وردت السنة أنه يجلد مائة

---

(١) سورة النور آية : ١.

(٢) سورة النور آية : ١.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٧.

(٤) سورة القصص آية : ٨٥.

(٥) سورة النور آية : ١.

(٦) سورة النور آية : ١.

(٧) سورة النور آية : ٢.

ويغرب عاما [(١)] وهو قول أكثر أهل العلم، وإن كان الزاني محصنا فعليه الرجم، ذكرناه في سورة النساء [(٢)] ﴿ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٌ ﴾ [(٣)] أي: رحمة ورقة، وقرأ ابن كثير (رأفة) بفتح الهمزة، والرأفة معنى يكون في القلب، لا ينهى عنه لأنه لا يكون باختيار الإنسان.. واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: لا تأخذكم بما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي. وقال جماعة: معناها ولا تأخذكم بما رأفة فتخففوا الضرب ولكن أوجعوهما ضربا، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن. قال الزهري: يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب. وقال قتادة: يجتهد في حد الزنا ويخفف في الشرب والفرية. ﴿ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)]، أي: في حكم الله، ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ [(٥)]، معناه أن المؤمن لا تأخذه الرأفة إذا جاء أمر الله تعالى، ﴿ وَلۡيَشۡهَدۡ ﴾ [(٦)] وليحضـر ﴿ عَذَابَهُمَا ﴾ [(٧)] حدهمـا إذا أقيـم عليهمـا ﴿ طَآئِفَةٌ ﴾ [(٨)]، نفر، ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ﴾ [(٩)]، قال مجاهد والنخعي: أقله رجل واحد فما فوقه وقال عكرمة وعطاء: رجلان فصاعدا. وقال الزهري وقتادة: ثلاثة فصاعدا. وقال مالك وابن زيد: أربعة بعدد شهود الزنا.

---

(١) أخرج البخاري في الشهادات ٥ / ٢٥٥ أن رسول الله أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتغريب عام.
(٢) آية: ١٦.
(٣) سورة النور آية : ٢.
(٤) سورة النور آية : ٢.
(٥) سورة النور آية : ٢.
(٦) سورة النور آية : ٢.
(٧) سورة النور آية : ٢.
(٨) سورة النور آية : ٢.
(٩) سورة النور آية : ٢.

[٣] قوله:- ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ﴾ (١)، اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها، فقال قوم: قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر، وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب أناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فـ لت هذه الآية (وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أن يتزوجوا تلك البغايا لأنـن كن مشركات، وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري والشعبي، ورواية العوفي عن ابن عباس، وقال عكرمة: نزلت في نساء بمكة والمدينة، منهن تسع لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بـا، منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، فكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مالكة، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة، فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله ﷺ في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله هذه الآية.

وقال قوم: المراد من النكاح هو الجماع، ومعناه أن الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزان أو مشرك، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم. ورواه الوالبي عن ابن عباس، قال يزيد بن هارون. إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك، وإن جامعها وهو محرم فهو زان، وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول: إذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان أبدا. وقال الحسن: الزاني المـلود لا ينكـح إلا زانية مجلودة والزانية المـلودة لا ينكحها إلا زان مجلود. قال سعيد بن المسيب وجماعة: إن حكـم الآية منسوخ، فكان نكاح الزانية حراما بـذه الآية فنسخها قوله: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ ﴾ (٢) فدخلت الزانية في أيامى المسلمين.

---

(١) سورة النور آية : ٣.

(٢) سورة النور آية : ٣٢.

[٤] قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً ﴾ [١]، أراد بالرمي القذف بالزنا وكل من رمى محصنا أو محصنة بالزنا، فقال له: زنيت أو يا زاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة، إن كان حرا وإن كان عبدا فيجلد أربعين وإن كان المقذوف غير محصن، فعلى القاذف التعزير وشرائط الإحصان خمسة: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزاني حتى أن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته وامتد عمره فقذفه قاذف فلا حد عليه. فإن أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لأن الحد الذي وجب عليه حد الفرية وقد ثبت صدقه، وقوله: (وَالذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) أي: يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحرائر العفائف ﴿ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ [٢] يشهدون على زناهن ﴿ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً ﴾ [٣] أي: اضربوهم ثمانين جلدة. ﴿ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝ ﴾ [٤].

[٥] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ ﴾ [٥]، اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكـم هذا الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته قبلت شهادته، سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبلها، لقوله تعالى: (إلا الذِينَ تَابُوا) وقالوا: الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق وذهب قوم إلى أن شهـادة المحـدود في القذف لا تقبـل أبدا وإن تاب،

(١) سورة النور آية : ٤.
(٢) سورة النور آية : ٤.
(٣) سورة النور آية : ٤.
(٤) سورة النور آية : ٤.
(٥) سورة النور آية : ٥.

وقالوا: الاستثناء يرجع إلى قوله: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١)، وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة، وقال: الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو، ولا يسقط بالتوبة. فإن قيل: إذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ﴿ أَبَدًا ﴾ (٢) قيل: معناه لا تقبل شهادته أبدا ما دام هو مصرا على قذفه لأن أبد كل إنسان مدته على ما يليق بحاله، كما يقال: لا تقبل شهادة الكافر أبدا: يراد ما دام كافرا.

[٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ (٣)، يقذفون نساءهم، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ ﴾ (٤)، يشهدون على صحة ما قالوا، ﴿ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾ (٥) غير أنفسهم، ﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٦)، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب (أربع شهادات) برفع العين على خبر الابتداء، أي: فشهادة أحدهم التي تدرأ الحد أربع شهادات، وقرأ الآخرون بالنصب أي: فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

[٧] ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (٧)، قرأ نافع ويعقوب (أن) خفيفة وكذلك الثانية (لعنة الله) رفع، ثم يعقوب قرأ (غضب) بالرفع، وقرأ نافع (غضب) بكسر الضاد وفتح الباء على الفعل الماضي (الله) رفع، وقرأ الآخرون

---

(١) سورة النور آية : ٤.
(٢) سورة النور آية : ٤.
(٣) سورة النور آية : ٦.
(٤) سورة النور آية : ٦.
(٥) سورة النور آية : ٦.
(٦) سورة النور آية : ٦.
(٧) سورة النور آية : ٧.

﴿ أَنَّ ﴾ [(١)] بالتشديد فيهما، ﴿ لَعۡنَتَ ﴾ [(٢)] نصب، و ﴿ غَضَبَ ﴾ [(٣)] بفتح الضاد على الاسم، ﴿ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)] جر، وقرأ حفص عن عاصم ﴿ وَٱلۡخَـٰمِسَةَ ﴾ [(٥)] الثانية نصب، أي ويشهد الشهادة الخامسة، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره في أن كالأولى.

[٨] قوله: ﴿ وَيَدۡرَؤُاْ ﴾ [(٦)] يدفع، ﴿ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَـٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ۝٨ ﴾ [(٧)].

[٩] ﴿ وَٱلۡخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٩ ﴾ [(٨)] وأراد بالعذاب الحد كما قال في أول السورة: ﴿ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ﴾ [(٩)] أي: أحدهما ومعنى الآية أن الزوج إذ لاعن وجب على المرأة حد الزنا، وإذا وجب عليها حد الزنا بلعانه فأرادت إسقاطه عن نفسها فإنا تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به، وتقول في الخامسة علي غضب الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به.

(١) سورة النور آية : ٧.
(٢) سورة النور آية : ٧.
(٣) سورة النور آية : ٩.
(٤) سورة النور آية : ٩.
(٥) سورة النور آية : ٩.
(٦) سورة النور آية : ٨.
(٧) سورة النور آية : ٨.
(٨) سورة النور آية : ٩.
(٩) سورة النور آية : ٢.

[١٠] قوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [١]، جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ ﴾ [٢] يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة ﴿ حَكِيمٌ ﴾ [٣] فيما فرض من الحدود.

قوله تعالى إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم....

[١١] قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾ [٤] بالكذب وهو أسوأ الكذب سمي إفكا لكونه مصروفا عن الحق، من قوله: أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه "وهو ما مثل في عائشة رضي الله عنها عند تخلفها عن رسول الله ﷺ في أحد غزواته بعد أن أحضرها صفوان السلمي" وذلك أن عائشة تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه، ﴿ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [٥] أي جماعة منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة ابن عبيد الله وغيرهم، ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ [٦]، يا عائشة ويا صفوان، وقيل: هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي ﷺ ولصفوان، يعني لا تحسبوا الإفك شرا لكم، ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [٧]، لأن الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم.

---

(١) سورة النور آية : ١٠.
(٢) سورة النور آية : ١٠.
(٣) سورة النور آية : ١٠.
(٤) سورة النور آية : ١١.
(٥) سورة النور آية : ١١.
(٦) سورة النور آية : ١١.
(٧) سورة النور آية : ١١.

قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم ﴾[1]، يعني من العصبة الكاذبة ﴿ مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ ﴾[2]، أي: جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه، ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١ ﴾[3] أي: تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه، قرأ يعقوب (كبره) بضم الكاف، وقرأ العامة بالكسر قال الكسائي: هما لغتان. قال الضحاك: قام بإشاعة الحديث، وهو عبد الله بن أبي ابن سلول. وروى الزهري عن عروة عن عائشة ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[4] قالت: عبد الله بن أبي ابن سلول، والعذاب الأليم هو النار في الآخرة.

[١٢] قوله: ﴿ لَّوْلَآ ﴾[5]، هلا، ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ ﴾[6] بإخوانهم، ﴿ خَيْرًا ﴾[7]، قال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ ﴾[8]، ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[9]. ﴿ وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢ ﴾[10]، أي: كذب بين.

---

(١) سورة النور آية : ١١.
(٢) سورة النور آية : ١١.
(٣) سورة النور آية : ١١.
(٤) سورة النور آية : ١١.
(٥) سورة النور آية : ١٢.
(٦) سورة النور آية : ١٢.
(٧) سورة النور آية : ١٢.
(٨) سورة النساء آية : ٢٩.
(٩) سورة النور آية : ٦١.
(١٠) سورة النور آية : ١٢.

[١٣] ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾[(١)]، على ما زعموا، ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[(٢)]، فإن قيل: كيف يصيرون عند الله كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت "؟ قيل: عند الله أي في حكم الله وقيل: معناه كذبوهم بأمر الله. وقيل: هذا في حق عائشة ومعناه أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

[١٤] ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ ﴾[(٣)]، خضتم، ﴿ فِيهِ ﴾[(٤)]، من الإفك، ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[(٥)] قال ابن عباس: أي عذاب لا انقطاع له يعني في الآخرة لأنه ذكر عذاب الدنيا من قبل، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[(٦)]، وقد أصابه فإنه قد جلد وحد، وقد روت عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية حد أربعة نفر: عبد الله بن أبي وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش.

[١٥] قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ ﴾[(٧)]، تقولونه، ﴿ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾[(٨)]، قال مجاهد ومقاتل: يرويه بعضكم عن بعض. وقال الكلبي: وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل

---

(١) سورة النور آية : ١٣.
(٢) سورة النور آية : ١٣.
(٣) سورة النور آية : ١٤.
(٤) سورة النور آية : ١٤.
(٥) سورة النور آية : ١٤.
(٦) سورة النور آية : ١١.
(٧) سورة النور آية : ١٥.
(٨) سورة النور آية : ١٥.

فيقول: بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا، وكذا قرأه أبي بن كعب. وقال الزجاج: يلقيه بعضكم إلى بعض، وقرأت عائشة (تلقونه) بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق وهو الكذب، ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا ﴾[١]، تظنون أنه سهل لا إثم فيه، ﴿ وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[٢] في الوزر.

[١٦] ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ ﴾[٣]، هذا اللفظ هاهنا بمعنى التعجب، ﴿ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾[٤]، يعني كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته. وفي بعض الأخبار أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري: أما بلغك ما يقول الناس في عائشة؟ فقال أبو أيوب: سبحانك هذا بتان عظيم، ف لت الآية على وفق قوله.

[١٧] ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحرم الله عليكـم وقال مجاهد: ينهاكـم الله. ﴿ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[٦].

[١٨] ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ ﴾[٧]، بالأمر والنهي، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾[٨] بأمر عائشة وصفوان بن المعطل، ﴿ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[٩]، حكم ببراءتها.

---

(١) سورة النور آية : ١٥.
(٢) سورة النور آية : ١٥.
(٣) سورة النور آية : ١٦.
(٤) سورة النور آية : ١٦.
(٥) سورة النور آية : ١٧.
(٦) سورة النور آية : ١٧.
(٧) سورة النور آية : ١٨.
(٨) سورة النور آية : ١٨.
(٩) سورة النور آية : ١٨.

[١٩] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ ﴾ [١]، يعني يظهر ويذيع الزنا، ﴿ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ [٢]، يعني عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقين، والعذاب في الدنيا الحد وفي الآخرة النار، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ﴾ [٣]، كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله، ﴿ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾ [٤].

[٢٠] ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠ ﴾ [٥]، جواب (لولا) محذوف يعني: لعاجلكم بالعقوبة، قال ابن عباس: يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة.

قوله تعالى يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَتبِعُوا خُطُوَاتِ الشيْطَانِ وَمَنْ يَتبِعْ خُطُوَاتِ الشيْطَانِ فَإِنهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...

[٢١] قوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ [٦] يعني بالقبائح من الأفعال، ﴿ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ [٧]، كل ما يكرهه الله، ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ ﴾ [٨]، قال مقاتل: ما صلح. وقال ابن قتيبة: ما طهر، ﴿ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ ﴾ [٩] والآية على العموم عند بعض

---

(١) سورة النور آية : ١٩.
(٢) سورة النور آية : ١٩.
(٣) سورة النور آية : ١٩.
(٤) سورة النور آية : ١٩.
(٥) سورة النور آية : ٢٠.
(٦) سورة النور آية : ٢١.
(٧) سورة النور آية : ٢١.
(٨) سورة النور آية : ٢١.
(٩) سورة النور آية : ٢١.

المفسرين، قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكـم أحد. وقال قوم: هذا الخطاب للذين خاضوا في الإفك، ومعناه: ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: ما قبل توبة أحد منكـم، ﴿ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى ﴾[1]، يطهر ﴿ مَن يَشَآءُ ۗ ﴾[2]، من الذنب بالرحمة والمغفرة، ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

[٢٢] قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾[4]، يعني ولا يحلف، وهو يفعل من الألية وهي القسم، وقرأ أبو جعفر يتأل بتقديم التاء وتأخير الهمزة، وهو يتفعل من الألية وهي القسم. ﴿ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾[5]، يعني أولو الغنى والسعة يعني أبا بكر الصديق ﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ ﴾[6]، يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبي بكر، حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ ﴾[7]، عنهم خوضهم في أمر عائشة، ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ ﴾[8]، يخاطب أبا بكر، ﴿ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[9] فلما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح

(١) سورة النور آية : ٢١.
(٢) سورة النور آية : ٢١.
(٣) سورة النور آية : ٢١.
(٤) سورة النور آية : ٢٢.
(٥) سورة النور آية : ٢٢.
(٦) سورة النور آية : ٢٢.
(٧) سورة النور آية : ٢٢.
(٨) سورة النور آية : ٢٢.
(٩) سورة النور آية : ٢٢.

نفقته التي كانت ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا [١] وقال ابن عباس والضحاك: أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر ألا يتصدقون على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعوهم، فأنزل الله هذه الآية.

[٢٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾ [٢]، العفائف، ﴿ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ﴾ [٣] عـن الـفـواحـش، ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [٤]، والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشـة كذلك، قوله تعالى: ﴿ لُعِنُواْ ﴾ [٥]، عـذبوا، ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ [٦]، بـالـحـد، ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [٧]، بالنار، ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ ﴾ [٨]، قال مقاتل: هذا خاص في عبد الله بن أبي المنافق. وروي عن خصيف قال: قلت لسعيد بن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة، فقال ذلك لعائشة خاصة. وقال قوم: هي لعائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات وقال الآخرون: نزلت هذه الآية في أزواج النبي ﷺ وكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٨ / ٤٥٥ ومسلم في التوبة رقم (٢٧٧٠) ٤ / ٢١٢٩.
(٢) سورة النور آية : ٢٣.
(٣) سورة النور آية : ٢٣.
(٤) سورة النور آية : ٢٣.
(٥) سورة النور آية : ٢٣.
(٦) سورة النور آية : ٢٣.
(٧) سورة النور آية : ٢٣.
(٨) سورة النور آية : ٢٣.

ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ [1] إلى قوله ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [2] فأنزل الجلد والتوبة.

[٢٤] ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ﴾ [3]، قرأ حمزة والكسائي بالياء لتقديم الفعل وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾ [4]، وهذا قبل أن يختم على أفواههم، ﴿ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم ﴾ [5]، يروى أنه يختم على الأفواه فتتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا. وقيل: معناه تشهد ألسنة بعضهم على بعض وأيديهم وأرجلهم، ﴿ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ ﴾ [6].

[٢٥] ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ [7]، جزاءهم الواجب. وقيل: حسابهم العدل. ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥ ﴾ [8]، يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين.

---

(١) سورة النور آية : ٤.
(٢) سورة النور آية : ٥.
(٣) سورة النور آية : ٢٤.
(٤) سورة النور آية : ٢٤.
(٥) سورة النور آية : ٢٤.
(٦) سورة النور آية : ٢٤.
(٧) سورة النور آية : ٢٥.
(٨) سورة النور آية : ٢٥.

[٢٦] قوله سبحانه تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ [١]، قال أكثر المفسرين: الخبيثات من القـول والكـلام للخبيثين مـن الناس. ﴿ وَٱلْخَبِيثُونَ ﴾ [٢]، مـن الناس، ﴿ لِلْخَبِيثَٰتِ ﴾ [٣] مـن القـول، ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [٤]، مـن القـول ﴿ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ [٥]، مـن النـاس، ﴿ وَٱلطَّيِّبُونَ ﴾ [٦]، مـن النـاس، ﴿ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [٧]، من القول، والمعنى: أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس والطيب لا يليق إلا بالطيب، فعائشة لا تليق بها الخبيثات من القول لأنها طيبة فتضاف إليها طيبات الكلام من المدح والثناء الحسن وما يليق بها. قال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء، وهذا ذم للذين قذفوا عائشة، ومدح للذين برؤوها بالطهارة. وقال ابن زيد: معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي والشاكين في الدين، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب ﷺ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ ﴾ [٨] يعني: عائشة وصفوان

(١) سورة النور آية : ٢٦.
(٢) سورة النور آية : ٢٦.
(٣) سورة النور آية : ٢٦.
(٤) سورة النور آية : ٢٦.
(٥) سورة النور آية : ٢٦.
(٦) سورة النور آية : ٢٦.
(٧) سورة النور آية : ٢٦.
(٨) سورة النور آية : ٢٦.

ذكرهما بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ [(١)] أي: إخوان. وقيل: أولئك مبرؤون يعني الطيبين والطيبات مبرؤون، ﴿مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾ [(٢)]، فالمغفرة هي العفو عن الذنوب والرزق الكريم الجنة. وروي أن عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها، منها أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها، وقبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجرها، ودفن في بيتها، وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافه، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة خليفة رسول الله ﷺ وصديقه، وخلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقا كريما، وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء.

[٢٧] قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾ [(٣)]، قيل: معنى قوله: (حَتى تَسْتأنِسُوا) أي: حتى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا وكذلك كان يقرأ أبي بن كعب، والقراءة المعروفة تستأنسوا وهو بمعنى الاستئذان. وقيل: الاستئناس طلب الأنس وهو أن ينظر هل في البيت ناس فيؤذنهم إني داخل. وقال الخليل: الاستئناس الاستبصار من قوله: آنست نارا أي: أبصرتها. وقيل: هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحنح، يؤذن أهل البيت. وجملة حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد السلام والاستئذان. واختلفوا في أنه يقدم الاستئذان أم السلام؟ فقال قوم: يقدم الاستئذان فيقول: أأدخل سلام عليكم، لقوله تعالى: (حَتى تَسْتأنِسُوا وَتُسَلمُوا عَلَى أهْلِهَا) والأكثرون على أنه يقدم

(١) سورة النساء آية : ١١.
(٢) سورة النور آية : ٢٦.
(٣) سورة النور آية : ٢٧.

السلام فيقول: سلام عليكم أأدخل. وفي الآية تقديم وتأخير، تقديرها: حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا. وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود.

قوله تعالى فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ...

[٢٨] قوله: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا ﴾ [١] أي إن لم تجدوا في البيوت أحدا يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها، ﴿ حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ ﴾ [٢] يعني إذا كان في البيت قوم فقالوا: ارجع فليرجع ولا يقعد على الباب ملازما، ﴿ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ ﴾ [٣]، يعني الرجوع أطهر وأصلح لكم. قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ ﴾ [٤]، من الدخول بالإذن وغير الإذن، ولما نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق، ليس فيها ساكن؟

[٢٩] فأنزل الله ﷻ ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ ﴾ [٥] أي: بغير استئذان، ﴿ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ ﴾ [٦] يعني منفعة لكم واختلفوا في هذه البيوت، فقال قتادة: هي الخانات والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأووا أمتعتهم إليها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع والاتقاء من الحر والبرد. وقال ابن زيد: هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلونا للبيع والشراء وهو المنفعة. وقال إبراهيم

---

(١) سورة النور آية : ٢٨.
(٢) سورة النور آية : ٢٨.
(٣) سورة النور آية : ٢٨.
(٤) سورة النور آية : ٢٨.
(٥) سورة النور آية : ٢٩.
(٦) سورة النور آية : ٢٩.

النخعي: ليس على حوانيت السوق إذن، وقيل: هي جميع البيوت التي لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ۝٢٩ ﴾[1] .

[٣٠] قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾[2]، أي: عن النظر إلى ما يحل النظر إليه: وقيل: (من) صلة يعني يغضوا أبصارهم. وقيل: هو ثابت لأن المؤمنين غير مأمورين بغض البصر أصلا لأنه لا يجب الغض عما يحل النظر إليه، وإنما أمروا بأن يغضوا عما لا يحل النظر إليه، ﴿ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ﴾[3]، عما لا يحل، قال أبو العالية: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام، إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[4] يعني غض البصر وحفظ الفرج، ﴿ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ ﴾[5]، يعني خير لهم وأطهر، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ ﴾[6] يعني عليم بما يفعلون.

[٣١] قوله ﷻ ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ﴾[7]، عما لا يحل، ﴿ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[8]، عمن لا يحل. وقيل أيضا: يحفظن فروجهن يعني

---

(١) سورة النور آية : ٢٩.
(٢) سورة النور آية : ٣٠.
(٣) سورة النور آية : ٣٠.
(٤) سورة النور آية : ٣٠.
(٥) سورة النور آية : ٣٠.
(٦) سورة النور آية : ٣٠.
(٧) سورة النور آية : ٣١.
(٨) سورة النور آية : ٣١.

يسترنا حتى لا يراها أحد، ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ [١]، يعني لا يظهرن زينتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية وهما زينتان خفية وظاهرة، فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد، فلا يجوز لها إظهارها، ولا للأجنـبي النظر إليها، والمراد من الزينة موضع الزينة. قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [٢]، أراد به الزينة الظاهرة، واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها الله تعالى:، قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان. وقال ابن مسعـود: هـي الثياب بدليل قوله تعالى: ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [٣]، وأراد بها الثياب وقال الحسن: الوجه والثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف، فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئا منها غض البصر، قولـه ﷻ ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ ﴾ [٤]، يعني: ليلقين بمقانعهـن، ﴿ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [٥]، وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وصدورهن وأعناقهن وأقراطهن. قالت عائشة: رحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﷻ (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِن عَلَى جُيوبِهن) شققن مروطهن فاختمرن بها. ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [٦]، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار إلا لبعولتهن، أي إلا

---

(١) سورة النور آية : ٣١.
(٢) سورة النور آية : ٣١.
(٣) سورة الأعراف آية : ٣١.
(٤) سورة النور آية : ٣١.
(٥) سورة النور آية : ٣١.
(٦) سورة النور آية : ٣١.

لأزواجهن، ﴿ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ ﴾ [(١)]، فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة، ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدنها غير أنه يكره له النظر إلى فرجها. قوله تعالى: ﴿ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾ [(٢)] أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة كالرجل المحرم، هذا إذا كانت المرأة مسلمة، فإن كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تنكشف لها. اختلف أهل العلم فيه، فقال بعضهم. يجور كـما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء، وقال بعضهم: لا يجوز لأن الله تعالى قال: (أَوْ نِسَائِهِن) والكافرة ليست من نسائنا ولأنها أجنبية في الديـن، وكانـت أبعد من الرجل الأجنبي، قوله تعالى: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ﴾ [(٣)]، اختلفوا فيها، فقال قوم: عبد المرأة محرم لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفا وأن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما بين السرة والركبة، كالمحارم وهو ظاهر القرآن وقال قوم: هو كالأجنبي معها، وهو قول سعيد بن المسيب، وقال: المراد من الآية الإماء دون العبيد، قوله: ﴿ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ﴾ [(٤)]، قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غير بنصب الراء على القطع لأن (التابعين) معرفة و (غير) نكرة. وقيل: بمعنى (إلا) فهو استثناء معناه: يبدين زينتهن للتابعين إلا ذا الإربة منهم فإنهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا إربة. وقرأ الآخرون بالجر على نعت (التابعين) والإربة والأرب الحاجة، والمراد بـ (التابعين غير أولي الإربة) هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا

(١) سورة النور آية : ٣١.
(٢) سورة النور آية : ٣١.
(٣) سورة النور آية : ٣١.
(٤) سورة النور آية : ٣١.

ذلك، ولا حاجة لهم في النساء، وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي. وعن ابن عباس أنه الأحمق العنين. وقال الحسن: هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن. وقال سعيد بن جبير: هو المعتوه وقال عكرمة: المجبوب. وقيل هو المخنث. وقال مقاتل: الشيخ الهرم والعنين والخصي والمجبوب ونحوه. ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾[1]، أراد بالطفل الأطفال يكون واحدا وجمعا، أي: لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها. وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وهو قول مجاهد، وقيل: لم يطيقوا أمر النساء. وقيل: لم يبلغوا حد الشهوة. ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[2]، كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها، فنهيت عن ذلك. ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[3]، من التقصير الواقع في أمره ونهيه. وقيل: راجعوا طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة، ﴿ أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[4]، عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "يا ﴿ أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة ﴾[5] [6].

---

(١) سورة النور آية : ٣١.
(٢) سورة النور آية : ٣١.
(٣) سورة النور آية : ٣١.
(٤) سورة النور آية : ٣١.
(٥) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٢)، أبو داود الصلاة (١٥١٥)، أحمد (٢١١/٤).
(٦) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء برقم (٢٠٧٢) ٤ / ٢٠٧٦ والمصنف في شرح السنة ٥ / ٥٧١.

قوله تعالى وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...

[٣٢] قوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ [(١)]، الأيامى جمع أيم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة يقال رجل: أيم وامرأة أيمة، وأيم، ومعنى الآية: زوجوا أيها المؤمنون من أحرار رجالكم ونسائكم ﴿ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ ﴾ [(٢)]، وهذا الأمر أمر ندب واستحباب. يستحب لمن تاقت نفسه إلى النكاح ووجد أهبة النكاح أن يتزوج، وإن لم يجد أهبة النكاح يكسر شهوته بالصوم، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ﴾ [(٣)] [(٤)] وقال رسول الله ﷺ ﴿ تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم حتى بالسقط ﴾ [(٥)]. ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٦)]، قيل: الغنى هاهنا القناعة. وقيل اجتماع الرزقين رزق الزوج ورزق الزوجة. وقات عمر: عجبت لمن ابتغى الغنى بغير النكاح، والله ﷻ يقول: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله). وروي عن بعضهم: أن الله تعالى

---

(١) سورة النور آية : ٣٢.

(٢) سورة النور آية : ٣٢.

(٣) البخاري النكاح (٤٧٧٩)، مسلم النكاح (١٤٠٠)، الترمذي النكاح (١٠٨١)، النسائي الصيام (٢٢٤٠)، أبو داود النكاح (٢٠٤٦)، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥)، أحمد (٣٧٨/١)، الدارمي النكاح (٢١٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في النكاح ٩ / ١٠٦ ومسلم في النكاح رقم (١٤٠٠) ٢ / ١٠١٨.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٦ / ١٧٣ عن سعيد بن أبي هلال مرسلا.

(٦) سورة النور آية : ٣٢.

وعد الغني بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى: (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ)، وقال تعـالـى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ (١).

[٣٣] ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ (٢)، أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون مالا ينكحون به للصداق والنفقة، ﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (٣) أي يوسع عليهم من رزقه. قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (٤) أي: يطلبون المكاتبة، ﴿ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ (٥)، سبب نزول هذه الآية ما روي أن غلاما لحويطـب بن عبد العزيز سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، فأنزل الله هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار، ووهب له منها عشرين دينارا فأداها، وقتل يوم حنين في الحرب، والكتابة أن يقول الرجل لمملوك: كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما يؤدي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا، فإذا أديت فأنت حر، والعبد يقبل ذلك، فإذا أدى المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد أداء المال، وإذا أعتق بعد أداء المال فما فضل في يده من المال، يكون له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في حال الكتابة في العتق، وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده إلى الرق، وما في يده من المال يكون لمولاه، وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ (٦) أمرا يجب ! على المولى أن يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا إذا سأل العبد ذلك، على قيمته أو

(١) سورة النساء آية : ١٣٠.
(٢) سورة النور آية : ٣٣.
(٣) سورة النور آية : ٣٣.
(٤) سورة النور آية : ٣٣.
(٥) سورة النور آية : ٣٣.
(٦) سورة النور آية : ٣٣.

أكثر، وإن سأل على أقل من قيمته فلا يجب، وهو قول عطاء وعمرو بن دينار، وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه أمر ندب واستحباب، ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ ﴾ [1]، اختلفوا في معنى الخير، فقال ابن عمر: قوة على الكسب. وهو قول مالك والثوري، وقال الحسن ومجاهد والضحاك: مالا، كقوله تعالى: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ [2] أي: مالا، قال الزجاج: لو أراد به المال لقال إن علمتم لهم خيرا، وقال إبراهيم وابن زيد وعبيدة: صدقا وأمانة. وقال طاوس وعمرو بن دينار: مالا وأمانة. وقال الشافعي: وأظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الأمانة، فأحب أن لا يمنع من كتابته إذا كان هكذا. وحكى محمد بن سيرين عن عبيدة: إن علمتم فيهم خيرا أي: أقاموا الصلاة. وقيل: هو أن يكون العبد بالغا عاقلا، فأما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح، وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق. قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ ﴾ [3]، اختلفوا فيه فقال بعضهم: هذا خطاب للموالي يجب على المولى أن يحط عن مكاتبه من مال كتابته شيئا، وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة، وبه قال الشافعي، ثم اختلفوا في قدره فقال قوم: يحط عنه ربع مال الكتابة، وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعا، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يحط عنه الثلث. وقال الآخرون: ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء، وهو قول الشافعي وقال بعضهم: هو أمر استحباب، والوجوب أظهر، وقال قوم: أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات

(١) سورة النور آية : ٣٣.
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٠.
(٣) سورة النور آية : ٣٣.

المفروضات، بقوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ [(١)] وهو قول الحسن وزيد بن أسلـم، وقال إبراهيم: هـو حـث لجميـع الناس على معونتهم، قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا ﴾ [(٢)] الآية، نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كانت له جاريتان معاذة ومسيكة، وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام أتيا رسول الله ﷺ وشكتا إليه، فأنزل هذه الآية: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ) إماءكـم (عَلَى الْبِغَاءِ) أي الزنا (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) أي إذا أردن، وليسر معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا وإن لم يردن تحصنا، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [(٣)] أي إذا كنتم مؤمنين. وقيل: شرط إرادة التحصن لأن الإكراه إنما يكـون عند إرادة التحصن، فإذا لـم ترد التحصن بغت طوعا، والتحصن التعفف، وقال الحسن بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغـاء. ﴿ لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ [(٤)] أي: لتطلبوا من أموال الدنيا يريد من كسبهن وبيع أولادهن، ﴿ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٥)]، يعني للمكرهات، والوزر على المكره.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧.

(٢) سورة النور آية : ٣٣.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٩.

(٤) سورة النور آية : ٣٣.

(٥) سورة النور آية : ٣٣.

[٣٤] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ [1]، من الحلال والحـرام، ﴿ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [2] أي شبها من حالكم بحالهم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين، ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [3] للمؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [4]، قال ابن عباس: هادي أهل السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من الضلالة ينجون. وقال الضحاك: منور السماوات والأرض، يقال: نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء. وقال مجـاهد: مدبر الأمور فـي السماوات والأرض. وقال أبي بن كـعب والحسن وأبو العالية: مزين السماوات والأرض، زين السماء بالشمس والقمر والنجوم، وزين الأرض بالأنبياء والعلمـاء والمؤمنين. ويقـال: بالنبات والأشجار. قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ [5] أي مثل نور الله تعالى في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به كما قال فهو على نور من ربه، وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره في قلب المؤمن. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: مثل نوره الذي أعطى المؤمن. وقال بعضهم: الكناية عائدة إلى المؤمن، أي: مثل نور قلب المؤمن، وكان أبي يقرأ: (مثل نور من آمن به) وهو عبد جعل الإيمان والقرآن في صدره. وقال الحسن وزيد بن أسلم: أراد بالنور القرآن. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو محمد ﷺ وقيل: أراد بالنور الطاعة، سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه

---

(١) سورة النور آية : ٣٤.
(٢) سورة النور آية : ٣٤.
(٣) سورة النور آية : ٣٤.
(٤) سورة النور آية : ٣٥.
(٥) سورة النور آية : ٣٥.

الأنوار إلى نفسه تفضيلا، ﴿ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾ [(١)] وهي الكوة التي لا منفذ لها فإن كان لها منفذ فهي كوة. وقيل: المشكاة حبشية. قال مجاهد: هي القنديل ﴿ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ﴾ [(٢)] أي: سراج، أصله من الضوء، ومنه الصبح، ومعناه: كمصباح في مشكاة، ﴿ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ﴾ [(٣)]، يعني القنديل، قال الزجاج. إنما ذكر الزجاجة لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء، وضوء يزيد في الزجاج، ثم وصف الزجاجة، فقال: ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ ﴾ [(٤)] قرأ أبو عمر والكسائي (درئ) بكسر الدال والهمزة، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمزة، فمن كسر الدال فهو فعيل من الدرء وهو الدفع لأن الكوكب يدفع الشياطين من السماء وشبهه بحالة الدفع لأنه يكون في تلك الحالة أضوأ وأنور، ويقال: هو من درأ الكوكب إذا اندفع منقبضا فيتضاعف ضوؤه في ذلك الوقت. وقيل: دري مكرر أي طالع، يقال: درأ النجم إذا طلع وارتفع. ويقال: درأ علينا فلان أي طلع وظهر، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة قال أكثر النحاة: هو لحن لأنه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين، قال أبو عبيدة: وأنا أرى لها وجها وذلك أنا دروء على وزن فعول، مثل سبوح وقدوس، وقد استثقلوا كثرة الضمات فردوا بعضها إلى الكسر، كما قالوا: عتيا وهو فعول من عتوت، وقرأ الآخرون (دري) بضم الدال وتشديد الياء بلا همز، أي: شديد الإنارة نسبت إلى الدر في صفائه وحسنه، وإن كان الكوكب أكثر ضوءا من الدر لكنه يفضل الكوكب بضيائه، كما يفضل الدر سائر الحب. وقيل: الكوكـب الدري واحد من الكواكـب الخمسة العظام، وهي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد. وقيل: شبهه بالكوكب، ولم يشبهه بالشمس والقمر لأن

---

(١) سورة النور آية : ٣٥.

(٢) سورة النور آية : ٣٥.

(٣) سورة النور آية : ٣٥.

(٤) سورة النور آية : ٣٥.

الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف. ﴿ يُوقَدُ ﴾ [1] قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (توقد) بالتاء وفتحها وفتح الواو والدال أو تشديد القاف على الماضي يعني المصباح، أي: اتقد يقال توقدت النار إذا اتقدت. وقرأ أهل الكوفة غير حفص توقد بالتاء وضمها وفتح القاف خفيفا، يعني الزجاجة أي: نار الزجاجة لأن الزجاجة لا توقد، وقرأ الآخـرون باليـاء وضمهـا خفيفـا يعني المصباح، ﴿ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ [2]، أي من زيت شجرة مباركة، فحـذف المضـاف بدليـل قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ ﴾ [3]، وأراد بالشجرة المباركة الزيتونة وهي كثيرة البركة، وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به هو أضوأ وأصفي الأدهان، وهو إدام وفاكهة، ولا يحتاج في استخراجه إلى إعصار بل كل أحد يستخرجه، قوله تعالى: ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [4] أي: ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت، بل هي ضاحية الشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبا فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين، فيكون زيتها أضوأ وهذا كما يقال: فلان ليس بأسود ولا بأبيض يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص، بل اجتمع فيه كل واحد منهما. وقال السدي وجماعة: معناه أنا ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل، فهي لا تضرها شمس ولا ظل. وقيل: معناه أنا معتدلة ليست في شرق يضرها الحر، ولا في غرب يضرها البرد. وقيل: معناه هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي. وقال الحسن: ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو

---

(١) سورة النور آية : ٣٥.

(٢) سورة النور آية : ٣٥.

(٣) سورة النور آية : ٣٥.

(٤) سورة النور آية : ٣٥.

غربـية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره. ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا ﴾[1]، دهنها، ﴿ يُضِيٓءُ ﴾[2] مـن صفـائه، ﴿ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌۚ ﴾[3]، أي: قبل أن تصيبه النار، ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ ﴾[4]، يعني نور المصباح على نور الزجاجة. واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل، فقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى: (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) فقال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن. روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره، والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان، والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده، فمثله كمثل الشجرة التي التف بها الشجر خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن، قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال: إن أعطي شكر، وإن أبتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له بموافقته إياه نور على نور. وقال الحسن وابن زيد: هذا مثل القرآن، فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقرآن، والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي، (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ) تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ، نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والإعلام قبل نزول القرآن، فازداد

---

(١) سورة النور آية : ٣٥.

(٢) سورة النور آية : ٣٥.

(٣) سورة النور آية : ٣٥.

(٤) سورة النور آية : ٣٥.

بذلك نورا على نور قوله تعالى: ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [(١)]، قال ابن عباس رضي الله عنهمـا: لديـن الإسلام وهو نور البصيرة وقيل: القرآن ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ ﴾ [(٢)]، يبين الله الأشياء للناس تقريبا للأفهام وتسهيلا لسبل الإدراك، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [(٣)].

[٣٦] قوله: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ ﴾ [(٤)]، أي ذلك المصباح في بيوت. وقيل: يوقد في بيوت، والبيوت: هي المساجد، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المساجد بيوت الله في الأرض، وروى صالح بن حيان عن ابن بريدة في قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ)، قال: إنما هي أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلاها قبلة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ. قوله: ﴿ أَن تُرْفَعَ ﴾ [(٥)]، قال مجاهد: أن تبنى نظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [(٦)] قال الحسن: أي تعظـم أي لا يذكـر فيـه الخنـا من القول. ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [(٧)] قال ابن عباس رضي الله عنهما: يتلى فيها كتابه، (يُسَبِّحُ)، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يسبح) بفتح الباء على غير تسمية الفاعل

(١) سورة النور آية : ٣٥.

(٢) سورة النور آية : ٣٥.

(٣) سورة النور آية : ٣٥.

(٤) سورة النور آية : ٣٦.

(٥) سورة النور آية : ٣٦.

(٦) سورة البقرة آية : ١٢٧.

(٧) سورة النور آية : ٣٦.

والوقف على هذه القراءة عند قوله: (وَالْآصَالِ) وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلا للرجال، ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ ﴾[1]، أي: يصلي، ﴿ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ ﴾[2]، أي بالغداة والعشي. قال أهل التفسير: أراد به الصلوات المفروضات. فالتي تؤدى بالغداة صلاة الصبح والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل يجمعهما. وقيل: أراد به صلاة الصبح والعصر.

قوله تعالى رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصلاةِ وَإِيتَاءِ الزكاةِ...

[٣٧] قـوله: ﴿ رِجَالٌ ﴾[3]، قيل: خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لأنه ليس على النسـاء جمعـة ولا جماعـة في المسجـد، ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ ﴾[4]، لا تشغلـهـم، ﴿ تِجَـٰرَةٌ ﴾[5]، قيل: خص التجارة بالذكر لأنا أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات، وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لأنه ذكر البيع بعد هذا، كقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً ﴾[6] يعني الشراء، وقال الفراء - التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه. قوله: ﴿ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[7]،

---

(١) سورة النور آية : ٣٦.
(٢) سورة النور آية : ٣٦.
(٣) سورة النور آية : ٣٧.
(٤) سورة النور آية : ٣٧.
(٥) سورة النور آية : ٣٧.
(٦) سورة الجمعة آية : ١١.
(٧) سورة النور آية : ٣٧.

عـن حضـور المساجـد لإقامـة الصلاة، ﴿ وَإِقَامِ ﴾[1]، أي: لإقامة، ﴿ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[2]، حذف الهاء وأراد أداءها في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة وأعاد ذكر إقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لأنه أراد بإقام الصلاة حفظ المواقيت. روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد، فقال ابن عمر فيهم نزلت: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ) ﴿ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾[3]، المفروضة، قال ابن عباس ﷺ إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها. وقيل: هي الأعمال الصالحة. ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[4]، قيل: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر، وتنفتح أبصار من الأغطية. وقيل: تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة، وتقلب الأبصار من هوله أي: ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الأيمان أم من قبل الشمائل، وذلك يوم القيامة. وقيل: فتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج، وتقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته.

[٣٨] ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾[5]، يريد أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، أي بأحسن ما عملوا، يريد يجزيهم

---

(١) سورة النور آية : ٣٧.

(٢) سورة النور آية : ٣٧.

(٣) سورة النور آية : ٣٧.

(٤) سورة النور آية : ٣٧.

(٥) سورة النور آية : ٣٨.

بحسناتم، وما كان من مساوي أعمالهم لا يجزيهم بها، ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ ﴾ [1]، ما لم يستحقوه بأعمالهم، ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [2]، ثم ضرب لأعمال الكفار مثلا.

[٣٩] فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾ [3]، السراب الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري، يشبه الماء الجاري على الأرض يظنه من رآه ماء، فإذا قرب منه انفش فلم ير شيئا، والقيعة: جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض، وفيه يكون السراب، ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ ﴾ [4]، أي يتوهمه العطشان، ﴿ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ ﴾ [5]، أي: جاء ما قد رأى أنه ماء. وقيل: جاء موضع السراب، ﴿ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [6]، على ما قدره وحسبه، كذلك الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عملـه أغنى منه شيئا ولا نفعه. ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾ [7]، أي عند عمله، أي وجد الله بالمرصاد. وقيل: قدم على الله، ﴿ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ ﴾ [8]، أي جزاء عمله، ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [9].

---

(١) سورة النور آية : ٣٨.
(٢) سورة النور آية : ٣٨.
(٣) سورة النور آية : ٣٩.
(٤) سورة النور آية : ٣٩.
(٥) سورة النور آية : ٣٩.
(٦) سورة النور آية : ٣٩.
(٧) سورة النور آية : ٣٩.
(٨) سورة النور آية : ٣٩.
(٩) سورة النور آية : ٣٩.

[٤٠] ﴿ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ ﴾ [(١)]، وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول مثل أعمالهم من فسادها وجهالتهم فيها كظلمات، ﴿ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾ [(٢)]، وهو العميق الكثير الماء، ولجة البحر: معظمه، ﴿ يَغْشَىٰهُ ﴾ [(٣)]، يـعلـوه، ﴿ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ ﴾ [(٤)]، متراكم، ﴿ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ﴾ [(٥)]، قرأ ابن كثير برواية القواس (سحاب) بالرفع والتنوين، ظُلُمَاتٌ، بالجر على البدل من قوله: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ). وروى أبو الحسن البري عنه: (سحاب ظلمات) بالإضافة، وقرأ الآخرون (سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ) كلاهما بالرفع والتنوين، فيكون تمام الكلام عند قوله (سحاب) ثم ابتدأ فقال: (ظلمات)، ﴿ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [(٦)] ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر بعضها فوق بعض، أي: ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج فوق الموج، وظلمة السحاب على ظلمة الموج، وأراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه، وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه. ﴿ إِذَآ أَخْرَجَ ﴾ [(٧)]، يعني الناظر، ﴿ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ [(٨)]، يعني لم يقـرب مـن أن يراها من شدة الظلمة. وقال الفراء:

---

(١) سورة النور آية : ٤٠.
(٢) سورة النور آية : ٤٠.
(٣) سورة النور آية : ٤٠.
(٤) سورة النور آية : ٤٠.
(٥) سورة النور آية : ٤٠.
(٦) سورة النور آية : ٤٠.
(٧) سورة النور آية : ٤٠.
(٨) سورة النور آية : ٤٠.

﴿ يَكَدْ ﴾ [(١)] صلة أي لم يرها، قال المبرد. بعني لم يرها إلا بعد الجهد، كما يقول القائل: ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه، ولكن بعد يأس وشدة. وقيل: معناه قرب من رؤيتها ولم يرهـا، كـما يقال: كاد النعام يطير. ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠ ﴾ [(٢)]، قال ابن عباس: من لم يجعل الله له دينا وإيمانا فلا دين له. وقيل: من لم يهده الله فلا إيمان له ولا يهديه أحد. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر. والأكثرون على أنه عام في جميع الكفار.

[٤١] قولـه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ۖ ﴾ [(٣)]، باسطات أجنحتهن بالهواء. قيل: خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنا تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكـم مـن في السماء والأرض، ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ ﴾ [(٤)]، قـال مجاهد: الصلاة لبني آدم، والتسبيح لسائر الخلق. وقيل: إن ضرب الأجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه. قوله: (كُل قَدْ عَلِمَ) أي: كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه. وقيل: معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١ ﴾ [(٥)].

[٤٢] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٢ ﴾ [(٦)].

---

(١) سورة النور آية : ٤٠.
(٢) سورة النور آية : ٤٠.
(٣) سورة النور آية : ٤١.
(٤) سورة النور آية : ٤١.
(٥) سورة النور آية : ٤١.
(٦) سورة النور آية : ٤٢.

[٤٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى ﴾[١]، يعني يسوق بأمره، ﴿ سَحَابًا ﴾[٢]، إلى حيث يريـد، ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾[٣]، يعني يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض، ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾[٤]، متراكمـا بعضه فوق بعض، ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾[٥] يعني المطر، ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾[٦]، وسطه وهو جمع الخلل، كالجبال جمع الجبل. ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾[٧]، يعني: ي ل البرد، و (من) صلة، وقيل: معناه وي ل من السماء من جبال أي مقدار جبال في الكثرة من البرد، (من) في قوله (مِنْ جِبَالٍ) صلة أي: وي ل من السماء جبالا من برد. وقيل: معناه وي ل من جبال في السماء تلك الجبال من برد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أخبر الله ﷻ أن في السماء جبالا من برد، ومفعول الإنزال محذوف تقديره: وي ل من السماء من جبال فيها برد، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه. قال أهل النحو. ذكر الله تعالى (من) ثلاث مرات في هذه الآية فقوله: (من السماء) لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء، وقوله تعالى: (مِنْ جِبَالٍ) للتبعيض لأن ما ي له الله تعالى بعض تلك الجبال التي في السماء، وقوله تعالى: (مِنْ بَرَدٍ) للتجنيس لأن تلك الجبال من جنس البرد. ﴿ فَيُصِيبُ بِهِۦ ﴾[٨]،

(١) سورة النور آية : ٤٣.
(٢) سورة النور آية : ٤٣.
(٣) سورة النور آية : ٤٣.
(٤) سورة النور آية : ٤٣.
(٥) سورة النور آية : ٤٣.
(٦) سورة النور آية : ٤٣.
(٧) سورة النور آية : ٤٣.
(٨) سورة النور آية : ٤٣.

يعني بالبرد ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ [1]، فيهلك زروعه وأمواله ﴿ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ ﴾ [2]، فلا يضره، ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ ﴾ [3]، يعني ضوء برق السحاب، ﴿ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [4]، من شدة ضوئه وبريقه.

قوله تعالى يُقلبُ اللهُ الليْلَ وَالنهَارَ إن في ذَلكَ لَعِبْرَةً لأولي الأبصَار...

[٤٤] ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ ﴾ [5]، يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويذهب بالليل، ويذهب بالنهار ويذهب بالليل، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ [6]، يعني في ذلك الذي ذكرت من هذه الأشياء، ﴿ لَعِبۡرَةً لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [7] يعني دلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ ﴾ [8]، قرأ حمزة والكسائي (خالق كل) بالإضافة، وقرأ الآخرون (خَلَقَ كُلَّ) على الفعل، ﴿ مِّن مَّآءٍۖ ﴾ [9]، يعني من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة ولا الجن، لأنا لا نشاهدهم. وقيل: أصل جميع الخلق من الماء، وذلك أن الله تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه ريحا فخلق منها الملائكة، وبعضه نارا فخلق منها الجن، وبعضها طينا فخلق منها آدم، ﴿ فَمِنۡهُم مَّن

(١) سورة النور آية : ٤٣.
(٢) سورة النور آية : ٤٣.
(٣) سورة النور آية : ٤٣.
(٤) سورة النور آية : ٤٣.
(٥) سورة النور آية : ٤٤.
(٦) سورة النور آية : ٤٤.
(٧) سورة النور آية : ٤٤.
(٨) سورة النور آية : ٤٥.
(٩) سورة النور آية : ٤٥.

﴿ يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ﴾[1]، كالحيات والحيتان والديدان، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ﴾[2]، مثل بني آدم والطير، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ ﴾[3]، كالبهائم والسباع، ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الأرض لأنا في الصورة كالتي يمشي على الأربع، وإنما قال: (من يمشي)، و (من) إنما تستعمل فيمن يعقل دون من لا يعقل من الحيات والبهائم، لأنه ذكر كل دابة، فدخل فيه الناس وغيرهم، وإذا جمع اللفظ من يعقل ومن لا يعقل تجعل الغلبة لمن يعقل. ﴿ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾[4].

[٤٦] ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ﴾[5]، إليك، ﴿ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[6].

[٤٧] ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾[7]. يعني المنافقين يقولونه، ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ ﴾[8] يعرض عن طاعة الله ورسوله، ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ ﴾[9]، أي من بعد قولهم آمنا، ويدعو إلى غير حكم الله. قال الله

---

(١) سورة النور آية : ٤٥.
(٢) سورة النور آية : ٤٥.
(٣) سورة النور آية : ٤٥.
(٤) سورة النور آية : ٤٥.
(٥) سورة النور آية : ٤٦.
(٦) سورة النور آية : ٤٦.
(٧) سورة النور آية : ٤٧.
(٨) سورة النور آية : ٤٧.
(٩) سورة النور آية : ٤٧.

تعالى: ﴿ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، نزلت هذه الآية في بشر المنافق كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكـم إلى محمد ﷺ وقال المنافق: نتحاكـم إلى كعب بن الأشرف، فإن محمدا يحيف علينا، فأنزل الله هذه الآية.

[٤٨] ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ﴾[2] الرسول يحكـم بحكـم الله، ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[3]، يعني عن الحكم. وقيل: عن الإجابة.

[٤٩] ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4]، مطيعين منقادين لحكمه، يعني إذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا بالحق.

[٥٠] ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ ﴾[5] يعني شكوا، هذا استفهام ذم وتوبيخ، يعني هم كذلك، ﴿ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ ﴾[6]، يعني بظلم، ﴿ بَلۡ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[7]، لأنفسهم بإعراضهم عن الحق.

---

(١) سورة النور آية : ٤٧.
(٢) سورة النور آية : ٤٨.
(٣) سورة النور آية : ٤٨.
(٤) سورة النور آية : ٤٩.
(٥) سورة النور آية : ٥٠.
(٦) سورة النور آية : ٥٠.
(٧) سورة النور آية : ٥٠.

[٥١] ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [١] إلى كتاب الله ورسوله، ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [٢]، هذا ليس على طريق الخبر لكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا، ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى: ﴿ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ ﴾ [٣]، يعني سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة. ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١ ﴾ [٤].

[٥٢] ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾ [٥] قال ابن عباس رضي الله عنهما: فيما ساءه وسره ويخشى الله على ما عمل من الذنوب. ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ [٦]، فيما بعد، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢ ﴾ [٧] الناجون، قرأ أبو عمرو وأبو بكر (يتقه) ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون، كما في نظائرها ويشبعها الباقون كسرا، وقرأ حفص (يتقه) بسكون القاف واختلاس الهاء، وهذه اللغة إذا سميت الياء للجزم يسكنون ما قبلها يقولون لم أشتر طعاما بسكون الراء.

[٥٣] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ [٨]، جهد اليمين أن يحلف بالله ولا حلف فوق الحلف بالله، ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ ﴾ [٩]، وذلك أن المنافقين

(١) سورة النور آية : ٥١.
(٢) سورة النور آية : ٤٨.
(٣) سورة النور آية : ٥١.
(٤) سورة النور آية : ٥١.
(٥) سورة النور آية : ٥٢.
(٦) سورة النور آية : ٥٢.
(٧) سورة النور آية : ٥٢.
(٨) سورة النور آية : ٥٣.
(٩) سورة النور آية : ٥٣.

كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أينما كنت نكن معك، لئن خرجت خرجنا وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال تعالى: ﴿ قُل ﴾[1]، لهم، ﴿ لَّا تُقۡسِمُواْۖ ﴾[2] لا تحلفوا، وقد تم الكلام، ثم قال: ﴿ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ ﴾[3]، يعني هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد، وهي معروفة يعني أمر عرف أنكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون، هذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه. وقيل: معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل. وقال مقاتل بن سليمان: لكن منكم طاعة معروفة. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٥٣ ﴾[4].

قوله تعالى قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرسُولَ فَإِنْ تَوَلوْا فَإِنمَا عَلَيْهِ مَا حُملَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُملْتُمْ...

[٥٤] ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾[5]، يعني تولوا عن طاعة الله ورسوله، ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ ﴾[6]، يعني على الرسول ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة، ﴿ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ ﴾[7]، من الإجابة والطاعة، ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٥٤ ﴾[8]، أي التبليغ البين.

---

(١) سورة النور آية : ٥٣.
(٢) سورة النور آية : ٥٣.
(٣) سورة النور آية : ٥٣.
(٤) سورة النور آية : ٥٣.
(٥) سورة النور آية : ٥٤.
(٦) سورة النور آية : ٥٤.
(٧) سورة النور آية : ٥٤.
(٨) سورة النور آية : ٥٤.

[55] قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (1)، قال أبو العالية: في هذه الآية مكث النبي ﷺ بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه، وأمروا بالصبر على أذى الكفار، وكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة، وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم: أما يأتي علينا يوم نؤمن فيه ونضع السلاح، فأنزل الله هذه الآية: (وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنهُمْ) أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة، يعني والله ليستخلفنهم أي ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانا، ﴿ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ (2)، قرأ أبو بكر عن عاصم (كما استخلف) بضم التاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى: (وعد الله) قال قتادة: (كَمَا اسْتَخْلَفَ) داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء. وقيل: كما استخلف الذين من قبلهم أي بني إسرائيل حيث أهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم، ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ ﴾ (3)، أي اختار، قال ابن عباس: يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان، ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم ﴾ (4)، قرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب بالتخفيف من الإبدال، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبديل، وهما لغتان، وقال بعضهم: التبديل تغير حال إلى حال، والإبدال رفع الشيء وجعل غيره مكانه، ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًاۚ يَعۡبُدُونَنِي ﴾ (5)، آمنين، ﴿ لَا يُشۡرِكُونَ بِي

(1) سورة النور آية : 55.
(2) سورة النور آية : 55.
(3) سورة النور آية : 55.
(4) سورة النور آية : 55.
(5) سورة النور آية : 55.

شَيْـًٔا ۚ ﴾[1]، فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الأرض. ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾[2]، أراد به كفران النعمة، ولم يرد الكفر بالله، ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[3]، العاصون لله، قال أهل التفسير: أول من كفر بذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله ما بم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا.

[٥٦،٥٧] قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[4]، أي افعلوها على رجاء الرحمة. ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[5]، قرأ عامر وحمزة (لا يحسبن) بالياء أي لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم، ﴿ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[6]، وقرأ الآخرون بالتاء يقول: لا تحسبن يا محمد الذين كفروا معجزين فائتين عنا، ﴿ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾[7].

[٥٨] قـولـه تعـالـى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ﴾[8] اللام لام الأمر ﴿ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾[9] يعني العبيد والإماء، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ

(١) سورة النور آية : ٥٥.
(٢) سورة النور آية : ٥٥.
(٣) سورة النور آية : ٥٥.
(٤) سورة النور آية : ٥٦.
(٥) سورة النور آية : ٥٧.
(٦) سورة النور آية : ٥٧.
(٧) سورة النور آية : ٥٧.
(٨) سورة النور آية : ٥٨.
(٩) سورة النور آية : ٥٨.

﴿ مِنكُمْ ﴾[1]، من الأحرار، ليس المراد منهم الأطفال الذين لم يظهروا على عـورات النسـاء، بل الذين عرفـوا أمر النساء ولكن لم يبلغوا. ﴿ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ ﴾[2]، أي ليستـأذنـوا في ثلاث أوقـات، ﴿ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾[3]، يريـد المقيـل، ﴿ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ﴾[4]، وإنما خص هذه الأوقات لأنا ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الإنسان ما لا يحب أن يراه أحد، أمر العبيد والصبيان بالاستئذان في هذه الأوقات، وأما غيرهم فليستأذنوا في جميع الأوقات ﴿ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ ﴾[5]، قرأ حمزة والكسائي (ثلاث) بنصب التاء بدلا من قوله: (ثلاث مرات)، وقرأ الآخرون بالرفع، أي هذه الأوقات ثلاث عورات لكم، سميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته، ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ ﴾[6]، جناح ﴿ وَلَا عَلَيْهِمْ ﴾[7]، على العبيد والخـدم والصبيـان، ﴿ جُنَاحُۢ ﴾[8]، في الدخول عليكـم من غير استئذان، ﴿ بَعْدَهُنَّۚ ﴾[9]، أي بعـد هـذه الأوقات الثلاثة، ﴿ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم ﴾[10]، أي: العبيد

(١) سورة النور آية : ٥٨.
(٢) سورة النور آية : ٥٨.
(٣) سورة النور آية : ٥٨.
(٤) سورة النور آية : ٥٨.
(٥) سورة النور آية : ٥٨.
(٦) سورة النور آية : ٥٨.
(٧) سورة النور آية : ٥٨.
(٨) سورة النور آية : ٥٨.
(٩) سورة النور آية : ٥٨.
(١٠) سورة النور آية : ٥٨.

والخـدم يطوفـون عليكم فيترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالهم بغير إذن، ﴿ بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ﴾[1]، أي يطوف بعضكم على بعض ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ ﴾[2]، واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: منسوخ. قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن للقوم ستور ولا حجاب، فكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرون منهم ما لا يحبون، فأمروا بالاستئذان، وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان، وذهب قوم إلى أنا غير منسوخة، روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت الشعبي عن هذه الآية (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أمنسوخة هي؟ قال: لا والله، قلت: إن الناس لا يعملون بها، قال: الله المستعان[3].

وقال سعيد بن جبير في هذه الآية. أن ناسا يقولون: نسخت والله ما نسخت، ولكنها مما تاون به الناس.

قوله تعالى وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...

[٥٩] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ ﴾[4] أي: الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا، ﴿ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ ﴾[5]، أي يستأذنون في جميع الأوقات في الدخـول عليكـم، ﴿ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾[6]، من الأحرار والكبار. وقيل: يعني الذين كانوا مع إبراهيم وموسى وعيسى، ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ

(١) سورة النور آية : ٥٨.
(٢) سورة النور آية : ٥٨.
(٣) أخرجه الطبري ١٨ / ١٦٢، ١٦٣ ونسبه السيوطي ٦ / ٣١٩ للفريابي.
(٤) سورة النور آية : ٥٩.
(٥) سورة النور آية : ٥٩.
(٦) سورة النور آية : ٥٩.

لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ [1]، دلالاتـه. وقيل: أحكامه، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ [2]، بأمور خلقه، ﴿ حَكِيمٌ ۝ ﴾ [3]، بما دبر لهم. قال سعيد بن المسيب: يستأذن الرجل على أمه فإنما أنزلت هذه الآية في ذلك. وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته؟ قال: نعم إن لم يفعل رأى منها ما يكره.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [4]، يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر لا يلدن ولا يحضن، واحدتا قاعد بلا هاء. وقيل: قعدن عن الأزواج، وهذا معنى قوله: ﴿ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ [5] أي لا يردن الرجال لكبرهن، قال ابن قتيبة: سميت المرأة قاعدا إذا كبرت لأنا تكثر القعود. وقال ربيعة الرأي: هن العجز اللائي إذا رأوهن الرجال استقذروهن، فأما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الآية، ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ [6]، عند الرجال، يعني يضعن بعض ثيابن، وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب، والقناع الذي فوق الخمار، فأما الخمار فلا يجوز وضعه، وفي قراءة ابن مسعود ﷺ وأبي ابن كعب (أن يضعن من ثيابن)، ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾ [7]، أي من غير أن يردن بوضع الجلباب، والرداء إظهار زينتهن، والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تتـ ه عنه.

(١) سورة النور آية : ٥٩.
(٢) سورة النور آية : ٥٩.
(٣) سورة النور آية : ٥٩.
(٤) سورة النور آية : ٦٠.
(٥) سورة النور آية : ٦٠.
(٦) سورة النور آية : ٦٠.
(٧) سورة النور آية : ٦٠.

﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ ﴾[1]، فلا يلقين الجلباب والرداء، ﴿ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٦٠ ﴾[2].

[٦١] قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾[3] الآية، اختلف العلماء في هذه الآية فقيل: (على) بمعنى في أي ليس في الأعمى يعني ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض. وقال مجاهد: نزلت الآية ترخصا لهؤلاء في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية. وقال سعيد بن المسيب: كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زمناهم ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون: لا ندخلها وهم غيب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم. قال الحسن: نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد. قال: تم الكلام عند قوله: (ولا على المريض حرج)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[4] كلام منقطع عما قبله. وقيل: لما نزل قوله. ﴿ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[5] قالوا: لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فأنزل الله ﷻ ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ﴾[6]، أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم. قيل: أراد من أموال عيالكم وأزواجكم، وبيت المرأة كبيت الزوج. وقال ابن قتيبة: أراد من بيوت أولادكم نسب الأولاد إلى الآباء،

---

(١) سورة النور آية : ٦٠.
(٢) سورة النور آية : ٦٠.
(٣) سورة النور آية : ٦١.
(٤) سورة النور آية : ٦١.
(٥) سورة النساء آية : ٢٩.
(٦) سورة النور آية : ٦١.

كـما جاء في الحديث: ﴿ أنت ومالك لأبيك ﴾ [(١)] [(٢)] ﴿ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ [(٣)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخر. وقال الضحاك: يعني في بيوت عبيدكم ومماليككم، وذلك أن السيد يملك م ل عبده والمفاتيح الخزائن، لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [(٤)] ويجوز أن يكون الذي يفتح به. قال عكرمة: إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن، فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير. وقال السدي: الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه. وقال قوم: وما ملكتم مفاتحه ما خزنتموه عندكم. قال مجاهد وقتادة: من بيوت أنفسكم مما أحرزتم وملكتم، ﴿ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ ﴾ [(٥)]. الصديق الذي صدقك في المودة، والمعنى ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ ﴾ [(٦)]، من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا، من غير أن تتزودوا وتحملوا. قوله: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتًاۚ ﴾ [(٧)] رخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا جميعا

---

(١) ابن ماجه التجارات (٢٢٩١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في التجارات برقم (٢٢٩١) ٢ / ٧٦٩. قال في الزوائد: وإسناده صحيح ورجاله ثقات على شرط البخاري. ،.

(٣) سورة النور آية : ٦١.

(٤) سورة الأنعام آية : ٥٩.

(٥) سورة النور آية : ٦١.

(٦) سورة النور آية : ٦١.

(٧) سورة النور آية : ٦١.

أو أشتاتا متفرقين، ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[1]، أي يسلم بعضكم على بعض، هذا في دخول الرجل ببيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته. وقال قتادة: إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهو أحق من سلمت عليه، وإذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. ﴿ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[2]، نصب على المصدر أي تحيون تحية، ﴿ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[3]، وقال ابن عبـاس رضي الله عنهما: حسنة جميلة. وقيل: ذكر البركة والطيبة هاهنا لما فيه من الثواب والأجر. ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[4].

قوله تعالى إِنَمَا الْمُؤْمِنُونَ الَذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتى يَسْتَأذِنُوهُ...

[٦٢] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ ﴾[5]، أي مع رسول الله ﷺ ﴿ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾[6]، يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل، ﴿ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾[7]، لم يتفرقوا عنه لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر، ﴿ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾[8]، قال المفسرون: كان

(١) سورة النور آية : ٦١.
(٢) سورة النور آية : ٦١.
(٣) سورة النور آية : ٦١.
(٤) سورة النور آية : ٦١.
(٥) سورة النور آية : ٦٢.
(٦) سورة النور آية : ٦٢.
(٧) سورة النور آية : ٦٢.
(٨) سورة النور آية : ٦٢.

رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه فيعرف أنه إنما قام يستأذن، فيأذن لمن شاء منهم. قال مجاهد: وإذن الإمام يوم يوم الجمعة أن يشير بيده. قال أهل العلم: وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذن، وإذا استأذن فللإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام، فإن حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتحيض منهم امرأة أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ ﴾[1]، أي أمرهم، ﴿ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ ﴾[2]، في الانصراف، معناه إن شئت فأذن وإن شئت فلا تأذن، ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٦٢ ﴾[3].

[٦٣] ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾[4]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب ل ول البلاء بكم ليس كدعاء غيره. وقال مجاهد وقتادة: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله، ولكن فخموه وشرفوه، فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع، ﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ ﴾[5]، أي: يخرجون ﴿ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ ﴾[6]، أي يستر بعضهم بعضا ويروغ في خيفة، فيذهب،

(١) سورة النور آية : ٦٢.
(٢) سورة النور آية : ٦٢.
(٣) سورة النور آية : ٦٢.
(٤) سورة النور آية : ٦٣.
(٥) سورة النور آية : ٦٣.
(٦) سورة النور آية : ٦٣.

واللواذ مصدر لاوذ يلاوذ ملاوذة، ولواذا، قيل: كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله ﷺ مختفين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لواذا أي يلوذ بعضهم ببعض، وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار، ومعنى قولـه: (قـد يعلـم الله) للتهديد بالمجازاة، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾[1]، أي أمره، و (عن) صلة. وقيل: معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه. ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2] أي لئلا تصيبهم فتنة، قال مجاهد: بلاء في الدنيا، ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[3]، وجيع في الآخرة. وقيل: عذاب أليم عاجل في الدنيا. ثم عظم نفسه.

[٦٤] فـقـال: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾[4]، ملكا وعبيدا، ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾[5]، من الإيمان والنفاق أي يعلم، و (قد) صلة ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾[6]، يعني يوم البعث، ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ ﴾[7]، من الخير والشر، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾ ﴾[8].

---

(١) سورة النور آية : ٦٣.
(٢) سورة النور آية : ٦٣.
(٣) سورة النور آية : ٦٣.
(٤) سورة النور آية : ٦٤.
(٥) سورة النور آية : ٦٤.
(٦) سورة النور آية : ٦٤.
(٧) سورة النور آية : ٦٤.
(٨) سورة النور آية : ٦٤.

(٢٥) سورة الفرقان

قوله تعالى تَبَارَكَ الذِي نَزلَ الفُرْقَانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالمِينَ نَذِيرًا....

[١] ﴿ تَبَارَكَ ﴾[(١)]، تفاعل، من البركة، عن ابن عباس: معناه جاء بكل بركة، دليله قوله الحسن: مجيء البركة من قبله. وقال الضحاك: تعظم، ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[(٢)]، أي القرآن، ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾[(٣)]، محمد ﷺ ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾[(٤)]، أي: للجن والإنس. قيل: النذير هو القرآن. وقيل: محمد ﷺ.

[٢] ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[(٥)]، مما يطلق عليه صفة المخلوق، ﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾[(٦)]، فسواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدر لكل شيء تقديرا من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق.

قوله تعالى وَاتخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلقُونَ...

[٣] قوله ﷻ ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ ﴾[(٧)]، يعني عبدة الأوثان، ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾[(٨)]، يعني: الأصنام، ﴿ لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا

(١) سورة الفرقان آية : ١.
(٢) سورة الفرقان آية : ١.
(٣) سورة الفرقان آية : ١.
(٤) سورة الفرقان آية : ١.
(٥) سورة الفرقان آية : ٢.
(٦) سورة الفرقان آية : ٢.
(٧) سورة الفرقان آية : ٣.
(٨) سورة الفرقان آية : ٣.

يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴾[1]، أي دفع ضر ولا جلب نفع، ﴿ وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ ﴾[2]، أي إماتة ولا إحياء، ﴿ وَلَا نُشُورٗا ۝٣ ﴾[3] أي بعثا بعد الموت.

[٤] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[4]، يعني المشركين، يعني النضـر بن الحارث وأصحابه، ﴿ إِنۡ هَٰذَآ ﴾[5]، ما هذا القرآن، ﴿ إِلَّآ إِفۡكٌ ﴾[6]، كذب، ﴿ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾[7]، اختلقه محمد ﷺ ﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ ﴾[8] قال مجاهد: يعني اليهود. وقال الحسن: هو عبيد بن الخضر الحبشي الكاهن. وقيل: جبر ويسار وعداس بن عبيد، كانوا بمكة من أهل الكتاب، فزعم المشركون أن محمدا ﷺ يأخذ منهم، قال الله تعالى: ﴿ فَقَدۡ جَآءُو ﴾[9]، يعني قائلي هذه المقالة، ﴿ ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ ﴾[10] أي بظلم وزور. فلما حذف الباء انتصب، يعني جاؤوا شركا وكذبا بنسبتهم كلام الله تعالى إلى الإفك والافتراء.

---

(١) سورة الفرقان آية : ٣.
(٢) سورة الفرقان آية : ٣.
(٣) سورة الفرقان آية : ٣.
(٤) سورة الفرقان آية : ٤.
(٥) سورة الفرقان آية : ٤.
(٦) سورة الفرقان آية : ٤.
(٧) سورة الفرقان آية : ٤.
(٨) سورة الفرقان آية : ٤.
(٩) سورة الفرقان آية : ٤.
(١٠) سورة الفرقان آية : ٤.

[٥] ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا ﴾[١]، يعني النضر بن الحارث كان يقول: إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الأولون مثل حديث رستم واسفنديار، اكتتبها انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس، ومعنى اكتتب يعني طلب أن يكتب له لأنه كان لا يكتب، ﴿ فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ ﴾[٢]، يعني تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، ﴿ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ ﴾[٣]، غدوة وعشيا. قال الله ﷻ ردا عليهم:

[٦] ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ﴾[٤]، يعني القرآن، ﴿ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾[٥]، يعني الغيب، ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦ ﴾[٦].

[٧] ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾[٧]، يعنون محمدا ﷺ ﴿ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾[٨]، كما نأكل نحن، ﴿ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾[٩] يلتمس المعاش كما نمشي فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة، وكانوا يقولون له لست أنت بملك ولا بملك، لأنك تأكل والملك لا يأكل، ولست بملك لأن الملك لا يتسوق، وأنت تتسوق وتتبذل. وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه آدميا ومشيه في الأسواق

---

(١) سورة الفرقان آية : ٥.
(٢) سورة الفرقان آية : ٥.
(٣) سورة الفرقان آية : ٥.
(٤) سورة الفرقان آية : ٦.
(٥) سورة الفرقان آية : ٦.
(٦) سورة الفرقان آية : ٦.
(٧) سورة الفرقان آية : ٧.
(٨) سورة الفرقان آية : ٧.
(٩) سورة الفرقان آية : ٧.

لتواضعه، وكان ذلك صفة له وشيء من ذلك لا ينافي النبوة. ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ ﴾ [1]، فيصدقه، ﴿ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ ﴾ [2]، داعيا.

[٨] ﴿ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ ﴾ [3]، أي: ي ل عليه ك من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى التـردد والتصرف في طلـب المعـاش، ﴿ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ ﴾ [4]، بستـان، ﴿ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ ﴾ [5]، قـرأ حمزة والكسائي (نأكل) بالنون أي نأكل نحن منها، ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨ ﴾ [6]، مخدوعا. وقيل: مصروفا عن الحق.

[٩] ﴿ ٱنظُرۡ ﴾ [7]، يا محمد، ﴿ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ ﴾ [8]، يعني الأشباه، فقال: مسحور محتاج وغيره، ﴿ فَضَلُّواْ ﴾ [9]، عن الحق، ﴿ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٩ ﴾ [10]، إلى الهدى ومخرجا عن الضلالة.

[١٠] ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ [1] الذي قالوا أو أفضل من الك والبستان الذي ذكروا وروى عكرمة عن ابن عباس قال: يعني خيرا من المشي

(١) سورة الفرقان آية : ٧.
(٢) سورة الفرقان آية : ٧.
(٣) سورة الفرقان آية : ٨.
(٤) سورة الفرقان آية : ٨.
(٥) سورة الفرقان آية : ٨.
(٦) سورة الفرقان آية : ٨.
(٧) سورة الفرقان آية : ٩.
(٨) سورة الفرقان آية : ٩.
(٩) سورة الفرقان آية : ٩.
(١٠) سورة الفرقان آية : ٩.

في الأسواق والتماس المعاش، ثم بين ذلك الخير فقال: ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾[2]، بيوتا مشيدة، والعرب تسمي كل بيت مشيد قصرا.

[١١] قوله ﷻ ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ﴾[3]، بالقيامة، ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾[4]، نارا مستعرة.

قوله تعالى إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا...

[١٢] ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[5] ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا ﴾[6]. قالوا: وهل لها من عينين؟ قـال: ﴿ نعـم ألم تستمعوا قول الله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[7] ﴾ وقيل: إذا رأتم زبانيتها ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا ﴾[8] غليانا كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب. ﴿ وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[9] صوتا. فإن قيل: كيف يسمع التغيظ؟ قيل: معناه رأوا وعلموا أن لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا، وقيل: سمعوا لها تغيظا أي: صوت التغيظ مع التلهب والتوقد.

---

(١) سورة الفرقان آية : ١٠.
(٢) سورة الفرقان آية : ١٠.
(٣) سورة الفرقان آية : ١١.
(٤) سورة الفرقان آية : ١١.
(٥) سورة الفرقان آية : ١٢.
(٦) البخاري العلم (١١٠)، مسلم مقدمة (٣)، أحمد (٤١٠/٢).
(٧) سورة الفرقان آية : ١٢.
(٨) سورة الفرقان آية : ١٢.
(٩) سورة الفرقان آية : ١٢.

[١٣] ﴿ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾[(١)]، قال ابن عباس: يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح، ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾[(٢)]، مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل. مقرنين مع الشياطين في السلاسل، ﴿ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ١٣ ﴾[(٣)] قال ابن عباس: ويلا. وقال الضحاك: هلاكا، وفي الحديث: «إن أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول: يا ثبوراه، وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادون يا ثبوراه وينادي يا ثبورهم، فيقال لهم:

[١٤] ﴿ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدۡعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ١٤ ﴾[(٤)] »، قيل: أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة.

[١٥] قوله عز وجل. ﴿ قُلۡ أَذَٰلِكَ ﴾[(٥)]، يعني الذي ذكرته من صفة النار وأهلها، ﴿ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءً ﴾[(٦)]، ثوابا ﴿ وَمَصِيرًا ١٥ ﴾[(٧)] مرجعا.

[١٦] ﴿ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدًا مَّسۡـُٔولًا ١٦ ﴾[(٨)]، مطلوبا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا: ربنا وآتنا ما وعدتنا على

---

(١) سورة الفرقان آية : ١٣.
(٢) سورة الفرقان آية : ١٣.
(٣) سورة الفرقان آية : ١٣.
(٤) سورة الفرقان آية : ١٤.
(٥) سورة الفرقان آية : ١٥.
(٦) سورة الفرقان آية : ١٥.
(٧) سورة الفرقان آية : ١٥.
(٨) سورة الفرقان آية : ١٦.

رسلك، يقول: كان أعطى الله المؤمنين جنة خلد وعدا وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا ومسألتهم إياه ذلك. قال محمد بن كعب القرظي: الطلب من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتم.

[١٧] ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ [(١)]، قرأ ابن كثير ويعقوب وحفص (يحشرهم) بالياء وقرأ الباقون بالنون، ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [(٢)]، قال مجاهد: من الملائكة والجن والإنس وعيسى وعزير. وقال عكرمة والضحاك والكلبي: يعني الأصنام ثم يخاطبهم، ﴿ فَيَقُولُ ﴾ [(٣)]، قرأ ابن عامر بالنون والآخرون بالياء ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ [(٤)]، أخطئوا الطريق.

[١٨] ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾ [(٥)]، نزهوا الله من أن يكون معه إله ﴿ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [(٦)]، يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم. وقيل: ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك. وقرأ أبو جعفر (أن نتخذ) بضم النون وفتح الخاء فتكون (من) الثاني صلة، ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ [(٧)]، في الدنيا بطول العمر والصحة والنعمة، ﴿ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ [(٨)]، تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن. وقيل: تركوا ذكركم وغفلوا عنه، ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا

---

(١) سورة الفرقان آية : ١٧.

(٢) سورة الفرقان آية : ١٧.

(٣) سورة الفرقان آية : ١٧.

(٤) سورة الفرقان آية : ١٧.

(٥) سورة الفرقان آية : ١٨.

(٦) سورة الفرقان آية : ١٨.

(٧) سورة الفرقان آية : ١٨.

(٨) سورة الفرقان آية : ١٨.

﴿ بُورًا ۝١٨ ﴾[1]، يعني هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان، رجل يقال له بائر، وقوم بور، وأصله من البوار وهو الكساد والفساد، ومنه بوار السلعة وهو كسادها. وقيل هو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث.

[١٩] ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم ﴾[2]، هذا الخطاب مع المشركين، أي كذبكم المعبودون، ﴿ بِمَا تَقُولُونَ ﴾[3] إنهم آلهة، ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ ﴾[4]، قرأ حفص بالتاء يعني العابدين، وقرأ الآخرون بالياء يعني: الآلهة. ﴿ صَرْفًا ﴾[5] يعني صرف العذاب عن أنفسهم، ﴿ وَلَا نَصْرًا ﴾[6] يعني ولا نصر أنفسهم. قيل: ولا نصركـم أيها العابدون من عذاب الله بدفع العذاب عنكـم وقيل: الصرف الحيلة، ومنه قول العرب: إنه ليصرف أي يحتال، ﴿ وَمَن يَظْلِم ﴾[7]، يشرك، ﴿ مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۝١٩ ﴾[8].

[٢٠] قوله ﷻ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[9]، يـا مـحـمـد، ﴿ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾[10] روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما عير

---

(١) سورة الفرقان آية : ١٨.
(٢) سورة الفرقان آية : ١٩.
(٣) سورة الفرقان آية : ١٩.
(٤) سورة الفرقان آية : ١٩.
(٥) سورة الفرقان آية : ١٩.
(٦) سورة الفرقان آية : ١٩.
(٧) سورة الفرقان آية : ١٩.
(٨) سورة الفرقان آية : ١٩.
(٩) سورة الفرقان آية : ٢٠.
(١٠) سورة الفرقان آية : ٢٠.

المشركون رسول الله ﷺ وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، أنزل الله ﷻ هذه الآية، يعني ما أنا إلا رسول وما كنت بدعا من الرسل، وهم كانوا بشرا يأكلون الطعام، ﴿ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (١). وقيل: معناه وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل لهم مثل هذا أنم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كما قال في موضع آخر: ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك، ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ (٢) أي بلية فالغني فتنة للفقير، يقول الفقير: ما لي لم أكن مثله، والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع. وقال ابن عباس: أي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من خلاقهم، وتتبعوا الهدى. وقيل: نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلم فرأى الوضيع قد أسلم قبله أنف، وقال: أسلم بعده فيكون له علي السابقة والفضل، فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام، فذلك افتتان بعضهم ببعض ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ (٣) يعني على هذه الحالة من الفقر والشدة والأذى، ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (٤)، بمن صبر ومن جزع.

قوله تعالى وَقَالَ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا...

[٢١] ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ (٥)، أي لا يخافون البعث، قال الفراء: الرجاء بمعنى الخوف لغة تامة، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ

(١) سورة الفرقان آية : ٢٠.
(٢) سورة الفرقان آية : ٢٠.
(٣) سورة الفرقان آية : ٢٠.
(٤) سورة الفرقان آية : ٢٠.
(٥) سورة الفرقان آية : ٢١.

﴿ وَقَارًا ۝١٣ ﴾ [1] أي: لا تخافون لله عظمة. ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [2]، فتخبرنا أن محمدا صادق، ﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ ﴾ [3]، فيخبرنا بذلك، ﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ [4]، أي تعظموا. ﴿ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [5]، بهذه المقالة، ﴿ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١ ﴾ [6] قال مجاهد: عتوا طغوا في القول والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم. وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به.

[٢٢] ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ﴾ [7] عند الموت. وقيل: في القيامة. ﴿ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [8]، للكافرين، وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة، ويقولون للكفار: لا بشرى لكم، هكذا قال عطية، وقال بعضهم: معناه أنه لا بشرى يوم القيامة للمجرمين، أي لا بشارة لهم بالجنة، كما يبشر المؤمنون. ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٢٢ ﴾ [9]، قال عطاء عن ابن عباس: تقول الملائكة: حراما محرما أن يدخل الجنة، إلا من قال لا إله إلا الله. وقال مقاتل: إذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة: حراما محرما عليكم أن يكون لكم البشرى. وقال بعضهم: هذا قول الكفار للملائكة. قال ابن جريج: كانت العرب إذا نزلت بم شدة رأوا ما يكرهون، قالوا:

---

(١) سورة نوح آية : ١٣.
(٢) سورة الفرقان آية : ٢١.
(٣) سورة الفرقان آية : ٢١.
(٤) سورة الفرقان آية : ٢١.
(٥) سورة الفرقان آية : ٢١.
(٦) سورة الفرقان آية : ٢١.
(٧) سورة الفرقان آية : ٢٢.
(٨) سورة الفرقان آية : ٢٢.
(٩) سورة الفرقان آية : ٢٢.

حجرا محجورا، فهم يقولونه إذا عاينوا الملائكة قال مجاهد: يعني عوذا معاذا يستعيذون به من الملائكة.

[٢٣] ﴿ وَقَدِمْنَآ ﴾[(١)]، وعمدنا، ﴿ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[(٢)]، أي باطلا لا ثواب له، فهم لم يعملوه لله عز وجل. واختلفوا في الهباء قال علي: هو ما يرى في الكوة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد، والمنثور: المفرق، وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير: هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر. وقال مقاتل: هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير. وقيل: الهباء المنثور ما يرى في الكوة والهباء المنبث هو ما تطيره الرياح من سنابك الخيل.

[٢٤] قوله ﷻ ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾[(٣)]، أي: من هؤلاء المشركين المتكبرين، ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴿٢٤﴾ ﴾[(٤)] موضع قائلة يعني أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، قال الأزهري: القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال: ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴿٢٤﴾ ﴾[(٥)] والجنة لا نوم فيها.

(١) سورة الفرقان آية : ٢٣.
(٢) سورة الفرقان آية : ٢٣.
(٣) سورة الفرقان آية : ٢٤.
(٤) سورة الفرقان آية : ٢٤.
(٥) سورة الفرقان آية : ٢٤.

[٢٥] قوله ﷻ ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ ﴾ [(١)]، أي عن الغمام الباء وعن يتعاقبان كما يقال: رميت عن القوس وبالقوس وتشقق بمعنى تتشقق، أدغموا إحدى التاءين في الأخرى، وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بتخفيف الشين هاهنا، وفي سورة (ق) بحذف إحدى التاءين، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي تنشق بالغمام وهو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. ﴿ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ﴾ [(٢)]، قرأ ابن كثير (ونـ ل) بنونين خفيف ورفع اللام، (الملائكة) نصب، قال ابن عباس: تشقق السماء الدنيا فيـ ل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس، ثم تشقق السماء الثانية فيـ ل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا، ومن الجن والإنس، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها، ثم يـ ل الكروبيون ثم حملة العرش.

[٢٦] ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ ﴾ [(٣)] أي الملك الذي هو الملك الحق حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس: يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره. ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦ ﴾ [(٤)]، شديدا فهذا الخطاب يدل على أنه لا يكون على المؤمن عسيرا، وجاء في الحديث: « إنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا » [(٥)] [(٦)].

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢٥.

(٢) سورة الفرقان آية : ٢٥.

(٣) سورة الفرقان آية : ٢٦.

(٤) سورة الفرقان آية : ٢٦.

(٥) أحمد (٧٥/٣).

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٧٥ وقال الهيثمي في المـع ١٠ / ٣٣٧: وإسناده حسن على ضعف في رواية.

[٢٧] ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ [(١)] أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط تحسرا على ما فعل ﴿ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ ﴾ [(٢)] في الدنيا، ﴿ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ ﴾ [(٣)]، ليتني اتبعت محمدا ﷺ واتخذت معه سبيلا إلى الهدى.

[٢٨] ﴿ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ ﴾ [(٤)]، يعني أبي بن خلف.

[٢٩] ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ ﴾ [(٥)]، عن الإيمان والقرآن، ﴿ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ ﴾ [(٦)] يعني الذكر مع الرسول ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾ [(٧)]، وهو كل متمرد عات من الإنس والجن وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان. ﴿ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾ ﴾ [(٨)]، أي تاركا يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب، وحكم هذه الآية عام في حق كل متحابين اجتمعا على معصية الله. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ﴾ [(٩)] [(١٠)].

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢٧.

(٢) سورة الفرقان آية : ٢٧.

(٣) سورة الفرقان آية : ٢٧.

(٤) سورة الفرقان آية : ٢٨.

(٥) سورة الفرقان آية : ٢٩.

(٦) سورة الفرقان آية : ٢٩.

(٧) سورة الفرقان آية : ٢٩.

(٨) سورة الفرقان آية : ٢٩.

(٩) الترمذي الزهد (٢٣٧٨)، أبو داود الأدب (٤٨٣٣)، أحمد (٢/٣٣٤).

(١٠) أخرجه أبو داود في الأدب ٧ / ١٨٦ والترمذي في الزهد ٧ / ٤٩ وقال: هذا حديث حسن غريب وصححه الحاكم ٤ / ١٧١ والإمام أحمد ٢ / ٣٠٣ والمصنف في شرح السنة ١٣ / ٧٠.

[٣٠] ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ ﴾ [(١)]، يعني: ويقول الرسول في ذلك اليوم: ﴿ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [(٢)] يعني متروكا فأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه. وقيل: جعلوه بمـ لة الهجر وهو الهذيان، والقول السيئ فزعموا أنه شعر وسحر، وهو النخعي ومجاهد. وقيل: قال الرسول يعني محمدا ﷺ يشكو قومه إلى الله يا رب: إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعزاه الله تعالى فقال:

[٣١] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا ﴾ [(٣)]، يعني كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا، ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۗ ﴾ [(٤)]، يعني المشركين. قال مقاتل: يقول: لا يكبرن عليك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فاصبر لأمري كما صبروا فإني ناصرك وهاديك، ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [(٥)].

[٣٢] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةً ۚ ﴾ [(٦)] كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود، قال الله سبحانه وتعالى. ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ [(٧)]، فعلنا، ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ ﴾ [(٨)]، يعني أنزلناه متفرقا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب أنزلت على ا لأنبياء يكتبون ويقرؤون، وأنزل الله القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ،

---

(١) سورة الفرقان آية : ٣٠.

(٢) سورة الفرقان آية : ٣٠.

(٣) سورة الفرقان آية : ٣١.

(٤) سورة الفرقان آية : ٣١.

(٥) سورة الفرقان آية : ٣١.

(٦) سورة الفرقان آية : ٣٢.

(٧) سورة الفرقان آية : ٣٢.

(٨) سورة الفرقان آية : ٣٢.

ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به. ﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[1]، قال ابن عباس: بيناه بيانا، والترتيل التبيين في ترتل وتثبت. وقال السدي: فصلناه تفصيلا. وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض. وقال النخعي والحسن: فرقناه تفريقا آية بعد آية.

قوله تعالى وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا...

[٣٣] ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ ﴾[2]، يا محمد يعني هؤلاء المشركين، ﴿ بِمَثَلٍ ﴾[3]، يضربونه في إبطال أمرك ﴿ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[4]، يعني بما ترد به ما جاؤوا به من المثل وتبطله، فسمى ما يردون من الشبه مثلا، وسمى ما يدفع به الشبه حقا، ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[5]، يعني بيانا وتفصيلا، والتفسير تفعيل من الفسر وهو كشف ما قد غطي، ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال:

[٣٤] ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾[6]، أي: هم الذين، ﴿ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾[7]، فيساقون ويجرون، ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾[8]، يعني مكانة ومنزلة، ويقال: منزلا ومصيرا ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[9]، أخطأ طريقا.

---

(١) سورة الفرقان آية : ٣٢.
(٢) سورة الفرقان آية : ٣٣.
(٣) سورة الفرقان آية : ٣٣.
(٤) سورة الفرقان آية : ٣٣.
(٥) سورة الفرقان آية : ٣٣.
(٦) سورة الفرقان آية : ٣٤.
(٧) سورة الفرقان آية : ٣٤.
(٨) سورة الفرقان آية : ٣٤.
(٩) سورة الفرقان آية : ٣٤.

[٣٥] ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴾[1]، معينا وظهيرا.

[٣٦] ﴿ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾[2]، يعني القبط، ﴿ فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ ﴾[3]، فيه إضمار، أي: فكذبوهما فدمرناهم، ﴿ تَدۡمِيرٗا ﴾[4]، أهلكناهم إهلاكا. ٣٧،

[٣٨] ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ ﴾[5]، أي: الرسول، ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل، فلذلك ذكر بلفظ الجمع. ﴿ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ ﴾[6]، يعني لمن بعدهم عبرة، ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾[7]، في الآخرة ﴿ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾[8] سوى ما حل به من عاجل العذاب. ﴿ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ ﴾[9]، يعني وأهلكنا عادا وثمود، ﴿ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ ﴾[10]، اختلفوا فيهم، قال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر قعودا عليها وأصحاب مواشي يعبدون الأصنام فوجه الله إليهم

(١) سورة الفرقان آية : ٣٥.
(٢) سورة الفرقان آية : ٣٦.
(٣) سورة الفرقان آية : ٣٦.
(٤) سورة الفرقان آية : ٣٦.
(٥) سورة الفرقان آية : ٣٧.
(٦) سورة الفرقان آية : ٣٧.
(٧) سورة الفرقان آية : ٣٧.
(٨) سورة الفرقان آية : ٣٧.
(٩) سورة الفرقان آية : ٣٨.
(١٠) سورة الفرقان آية : ٣٨.

شعيبا يدعوهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانم، وفي أذى شعيب عليه السلام فبينما هم حوالي البئر في منازلهم انارت بم البئر فخسف الله بم وبديارهم ورباعهم، فهلكوا جميعا، والرس: البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهو رس. وقال قتادة والكلبي: الرس بئر بأرض اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله ﷻ وقال بعضهم: هم بقية ثمود وقوم صالح، وهم أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]. وقال سعيد بن جبير: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى. وقال كعب ومقاتل والسدي: الرس بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيب النجار، وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس. وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرس هو الأخدود الذي حفروه. وقال عكرمة. هـم قوم رسوا نبيهم في بئر. وقيل: الرس المعدن وجمعه رساس، ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾[2]، يعني وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وأصحاب الرس.

[٣٩] ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ﴾[3]، يعني الأشباه في إقامة الحجة عليهم، فلم نلكهم إلا بعد الإنذار، ﴿ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾[4]، يعني أهلكنا إهلاكا. وقال الأخفش: كسرنا تكسيرا. قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته.

[٤٠] ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾[5]، يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط "وكانت خمس قرى فأهلك الله أربعا منها وبقيت واحدة، هي أصغرها

---

(١) سورة الحج آية : ٤٥.

(٢) سورة الفرقان آية : ٣٨.

(٣) سورة الفرقان آية : ٣٩.

(٤) سورة الفرقان آية : ٣٩.

(٥) سورة الفرقان آية : ٤٠.

وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ ﴾ [1]، إذا مروا بم في أسفارهم فيعتبروا ويتفكروا لأن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند مرهم إلى الشام، ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ ﴾ [2]، لا يخافون، ﴿ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [3] بعثا.

[٤١] قوله ﷻ ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ ﴾ [4]، يعني ما يتخذونك، ﴿ إِلَّا هُزُوًا ﴾ [5]، يعني مهزوءا به، نزلت في أبي جهل كان إذا مر بأصحابه على رسول الله ﷺ قال مستهزئا: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾ [6].

[٤٢] ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا ﴾ [7]، يعني قد قارب أن يضلنا، ﴿ عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ ﴾ [8] يعني لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها، ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [9]، من أخطأ طريقا.

[٤٣] ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [10]، وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فإذا رأى حجرا أحسن منه طرح الأول وأخذ الآخر، فعبدوه. وقال ابن عباس: أرأيت من ترك عبادة الله وخالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي، ﴿ أَفَأَنتَ

---

(١) سورة الفرقان آية : ٤٠.
(٢) سورة الفرقان آية : ٤٠.
(٣) سورة الفرقان آية : ٤٠.
(٤) سورة الفرقان آية : ٤١.
(٥) سورة الفرقان آية : ٤١.
(٦) سورة الفرقان آية : ٤١.
(٧) سورة الفرقان آية : ٤٢.
(٨) سورة الفرقان آية : ٤٢.
(٩) سورة الفرقان آية : ٤٢.
(١٠) سورة الفرقان آية : ٤٣.

تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾[1]، يعني حافظا، يقول: أفأنت عليه كفيل تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهوى من دون الله، أي لست كذلك.

قوله تعالى أَمْ تَحْسَبُ أن أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالْأَنعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلَ سَبِيلًا...

[٤٤] ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ ﴾[2] ما تقول سماع طالب الأفهام، ﴿ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ ﴾[3]، ما يعاينون من الحجة والإعلام، ﴿ إِنۡ هُمۡ ﴾[4]، ما هم، ﴿ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾ ﴾[5]، لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعهدونها، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم، ورزقهم، ولأن الأنعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون.

[٤٥] قوله ﷻ ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾[6]، معناه ألم تر إلى مد ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، جعله ممدودا لأنه ظل لا شمس معه، كما قال في ظل الجنة: ﴿ وَظِلٍّ مَّمۡدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[7] لم يكن معه شمس. ﴿ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾[8]، أي: دائما ثابتا لا يزول، ولا تذهبه الشمس. قال أبو عبيدة: الظل ما نسخته الشمس، وهو بالغداوة والفيء ما نسخ الشمس، وهو بعد الزوال، سمي فيئا لأنه

(١) سورة الفرقان آية : ٤٣.
(٢) سورة الفرقان آية : ٤٤.
(٣) سورة الفرقان آية : ٤٤.
(٤) سورة الفرقان آية : ٤٤.
(٥) سورة الفرقان آية : ٤٤.
(٦) سورة الفرقان آية : ٤٥.
(٧) سورة الواقعة آية : ٣٠.
(٨) سورة الفرقان آية : ٤٥.

فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾[1]، يعني على الظل. ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها.

[٤٦] ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ ﴾[2]، يعني الظل، ﴿ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[3]، بالشمس التي تأتي عليه، والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءا فجزءا قبضا يسيرا أي خفيا.

[٤٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾[4]، أي سترا تستترون به، يريد أن ظلمته تغشى كل شيء، كاللباس الذي يشتمل على لابسه، ﴿ وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾[5]، راحة لأبدانكـم وقطعا لعملكم، وأصل السبت القطع، والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته. ﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾[6]، أي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء الرزق وتنتشرون لأشغالكم.

[٤٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾[7]، يعني المطر ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾[8]، والطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره، فهو اسم لما يتطهر به كالسحور اسم لما يتسحر به والفطور اسم لما

(١) سورة الفرقان آية : ٤٥.
(٢) سورة الفرقان آية : ٤٦.
(٣) سورة الفرقان آية : ٤٦.
(٤) سورة الفرقان آية : ٤٧.
(٥) سورة الفرقان آية : ٤٧.
(٦) سورة الفرقان آية : ٤٧.
(٧) سورة الفرقان آية : ٤٨.
(٨) سورة الفرقان آية : ٤٨.

يفطر به، والدليل عليه ما روينا أن النبي ﷺ قال في البحر: ﴿ هو الطهور ماؤه الحل ميتته ﴾ [1] [2] وأراد به المطهر فالماء مطهر لأنه يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة، كما قال في آية أخرف: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ [3] فثبت به أن التطهير يختص بالماء، وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة، مثل الخل وماء الورد والمرق ونحوها، ولو جاز إزالة النجاسة با لجاز إزالة الحدث با، وذهب بعضهم إلى أن الطهور ما يتكرر منه التطهير كالصبور اسم لمن يتكرر منه الصبر والشكور اسم لمن يتكرر منه الشكر، وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء الذي توضأ منه مرة.

[٤٩] قوله ﷻ ﴿ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ ﴾ [4]، أي: بالمطر، ﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ [5]، ولم يقل ميتة لأنه رجع به إلى الموضع والمكان، ﴿ وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا ﴾ [6]، نسقي من ذلك الماء أنعاما ﴿ وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [7] أي بشرا كثيرا، والأناسي جمع إنسي، وقيل: جمع إنسان، وأصله أناسين مثل بستان وبساتين، فجعل الياء عوضا عن النون.

---

(١) الترمذي الطهارة (٦٩)، النسائي المياه (٣٣٢)، أبو داود الطهارة (٨٣)، ابن ماجه الطهارة وسننها (٣٨٦)، أحمد (٢/٣٦١)، مالك الطهارة (٤٣)، الدارمي الطهارة (٧٢٩).

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١ / ٢٢ وأبو داود في الوضوء بماء البحر ١ / ٨٠ والترمذي فيما جاء في ماء البحر ١ / ٢٢٤ وقال: (حديث حسن صحيح) والنسائي في الطهارة ١ / ٥٠ وابن ماجه في الوضوء بماء البحر ١ / ١٣٦ وصححه الحاكم ١ / ١٤٠.

(٣) سورة الأنفال آية : ١١.

(٤) سورة الفرقان آية : ٤٩.

(٥) سورة الفرقان آية : ٤٩.

(٦) سورة الفرقان آية : ٤٩.

(٧) سورة الفرقان آية : ٤٩.

[٥٠] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ ﴾ [(١)]، يعني المطر مرة ببلد ومرة ببلد آخر. قال ابن عباس: ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض. وقرأ هذه الآية. وقيل: المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطلا ورذاذا ونحوها. وقيل: التصريف راجع إلى الريح. ﴿ لِيَذَّكَّرُواْ ﴾ [(٢)] أي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى، ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ ﴾ [(٣)]، وكفرانم هو أنم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا. عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما أنصرف أقبل على الناس فقال: ﴿ هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم: قال: "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب ﴾ [(٤)] [(٥)].

[٥١] قوله ﷻ ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ ﴾ [(٦)]. رسولا ينذرهم، لكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة جميعها لتستوجب بصبرك على ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة.

---

(١) سورة الفرقان آية : ٥٠.

(٢) سورة الفرقان آية : ٥٠.

(٣) سورة الفرقان آية : ٥٠.

(٤) البخاري الأذان (٨١٠)، مسلم الإيمان (٧١)، النسائي الاستسقاء (١٥٢٥)، أبو داود الطب (٣٩٠٦)، أحمد (١١٧/٤)، مالك النداء للصلاة (٤٥١).

(٥) أخرجه مالك في الاستسقاء ١ / ١٩٢ والبخاري في الاستسقاء ٢ / ٥٢٢ ومسلم في الإيمان رقم (٧١) ١ / ٨٣ والمصنف في شرح السنة ٤ / ٤١٩.

(٦) سورة الفرقان آية : ٥١.

[٥٢] ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [(١)] فيما يدعونك فيه من موافقتهم ومداهنتهم.

﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ [(٢)] أي: بالقرآن، ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [(٣)] شديدا.

[٥٣] ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ [(٤)]، أي: خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر، وقيل: أرسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرج، وأصل المرج الخلط والإرسال، يقال: مرجت الدابة وأمرجتها إذا أرسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشاء، ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ [(٥)]، شديد العذوبة والفرات أعذب الميـاه، ﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [(٦)]، شديد الملوحـة. وقيل: أجـاج أي مـر، ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ [(٧)] أي: حاجزا بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب، ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [(٨)] أي: سترا ممنوعا فلا يبغيان، فلا يفسد الملح العذب.

[٥٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ [(٩)]، من النطفة، ﴿ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ﴾ [(١٠)]، أي: جعله ذا نسب وذا صهر، قيل. النسب ما لا يحل نكاحه

---

(١) سورة الفرقان آية : ٥٢.
(٢) سورة الفرقان آية : ٥٢.
(٣) سورة الفرقان آية : ٥٢.
(٤) سورة الفرقان آية : ٥٣.
(٥) سورة الفرقان آية : ٥٣.
(٦) سورة الفرقان آية : ٥٣.
(٧) سورة الفرقان آية : ٥٣.
(٨) سورة الفرقان آية : ٥٣.
(٩) سورة الفرقان آية : ٥٤.
(١٠) سورة الفرقان آية : ٥٤.

والصهر ما يحل نكاحه، فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها، وقيل- وهو الصحيح- النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة، وهو السبب المحرم للنكاح، ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [1].

[55] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [2]، يعني هؤلاء المشركين، ﴿ مَا لَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [3]، إن عبدوه، ﴿ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ [4] إن تركوه، ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ [5]، أي: معينا للشيطان على ربه بالمعاصي. وقال الزجاج: أي يعاون الشيطان على معصية الله لأن عبادتم الأصنام معاونة للشيطان. وقيل: معناه وكان الكافر على ربه ظهيرا أي هينا ذليلا كما يقال: الرجل جعلني بظهير أي جعلني هينا. ويقال: ظهر به إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه.

قوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبشرًا وَنَذِيرًا....

[56] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [6]، أي: منذرا.

[57] ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [7]، أي على تبليغ الوحي، ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [8]، فتقولوا إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه فلا نتبعه، ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ

(١) سورة الفرقان آية : ٥٤.
(٢) سورة الفرقان آية : ٥٥.
(٣) سورة الفرقان آية : ٥٥.
(٤) سورة الفرقان آية : ٥٥.
(٥) سورة الفرقان آية : ٥٥.
(٦) سورة الفرقان آية : ٥٦.
(٧) سورة الفرقان آية : ٥٧.
(٨) سورة الفرقان آية : ٥٧.

سَبِيلاً ﴿٥٧﴾ ﴾[1]، هذا من الاستثناء المنقطع، مجازه: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا بالإنفاق من ماله في سبيله فعل ذلك، والمعنى: لا أسألكم لنفسي أجرا ولكن لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته.

[٥٨] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ ﴾[2]، أي صل له شكرا على نعمه. وقيل: قل سبحان الله والحمد لله، ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[3]، عالما بصغيرها وكبيرها فيجازيهم بها.

[٥٩] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾[4]، أي بالرحمن، قال الكلبي: يقول فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكرنا من خلق السماوات والأرض والاستواء على العرش: وقيل: الخطاب للرسول والمراد منه غيره لأنه كان مصدقا به، والمعنى: أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيري. وقيل: الباء بمعنى عن أي: فاسأل عنه خبير وهو الله عز وجل. وقيل: جبريل عليه السلام.

[٦٠] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾[5]، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، كانوا يسمونه رحمن اليمامة. ﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾[6]، قرأ حمزة والكسائي (يأمرنا) بالياء أي لما يأمـرنا محمـد بالسجـود له،

---

(١) سورة الفرقان آية : ٥٧.

(٢) سورة الفرقان آية : ٥٨.

(٣) سورة الفرقان آية : ٥٨.

(٤) سورة الفرقان آية : ٥٩.

(٥) سورة الفرقان آية : ٦٠.

(٦) سورة الفرقان آية : ٦٠.

وقرأ الآخرون بالتاء أي لما تأمرنا أنت يا محمد، ﴿ وَزَادَهُمْ ﴾ [(١)] يعنـي زادهـم قـول القـائل لـهم: (اسْجُدُوا لِلرحْمَنِ) ﴿ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ [(٢)] عن الدين والإيمان.

[٦١] قوله ﷻ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ [(٣)]، قـال الحسن ومجاهد وقتادة: (البروج) هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها، وقال عطية العوفي: بروجا أي: قصورا فيها الحرس، كـما قال: ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [(٤)]، وقال عطاء عن ابن عباس: هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكـب السبعة السيارة، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات، فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ﴾ [(٥)]، يعني الشمس كـما قال: ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [(٦)] وقرأ حمزة والكسائي (سرجا) بالجمع يعني النجوم. ﴿ وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ [(٧)] والقمر قد دخل في السرج على قراءة من قرأ

---

(١) سورة الفرقان آية : ٦٠.

(٢) سورة الفرقان آية : ٦٠.

(٣) سورة الفرقان آية : ٦١.

(٤) سورة النساء آية : ٧٨.

(٥) سورة الفرقان آية : ٦١.

(٦) سورة نوح آية : ١٦.

(٧) سورة الفرقان آية : ٦١.

بالجمع، غير أنه خصه بالذكر لنوع فضيلة، كما قال: ﴿ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[(١)]، خـص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في الفاكهة.

[٦٢] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾[(٢)]، اختلفوا فيها قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر. قال مجاهد: يعني جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض، وقال ابن زيد وغيره: يعني يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهـب أحدهمـا جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان، ﴿ لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾[(٣)]، قرأ حمزة بتخفيف الدال والكاف وضمها من الذكـر، وقـرأ الآخـرون بتشديدهمـا أي يتذكـر ويتعـظ ﴿ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[(٤)] قال مجاهد: أي شكر نعمة ربه عليه فيهما.

[٦٣] قوله ﷻ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾[(٥)]، يعني أفاضل العباد. وقيل: هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل، وإلا فالخلق كلهم عباد الله. ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[(٦)]، يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين ولا مرحين، ولا متكبرين، وقال الحسن: علماء وحكماء. وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون، وإن سفـه عليهـم حلموا، والهون في اللغة الرفق واللين، ﴿ وَإِذَا

---

(١) سورة الرحمن آية : ٦٨.
(٢) سورة الفرقان آية : ٦٢.
(٣) سورة الفرقان آية : ٦٢.
(٤) سورة الفرقان آية : ٦٢.
(٥) سورة الفرقان آية : ٦٣.
(٦) سورة الفرقان آية : ٦٣.

خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ [1]، يعني السفهاء بما يكرهون ﴿ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [2]، قال مجاهد: سدادا من القول. وقال مقاتل بن حيان: قولا يسلمون فيه من الإثم. وقال الحسن: إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا، وليس المراد منه السلام المعروف. وروي عن الحسن: معناه سلموا عليهم، دليله قوله عز وجل. ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [3]، قال الكلبي وأبو العالية: هذا قبل أن يؤمر بالقتال، ثم نسختها آية القتال: وروي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف نارهم، ثم قرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [4] قال: هذا وصف ليلهم.

[٦٤] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ ﴾ [5]، يقال لمن أدرك الليل: بات نام أو لم ينم، يقال: بات فلان قلقا، والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة، ﴿ سُجَّدًا ﴾ [6]، على وجوههم، ﴿ وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [7]، على أقدامهم. قال ابن عباس: من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما.

(١) سورة الفرقان آية : ٦٣.
(٢) سورة الفرقان آية : ٦٣.
(٣) سورة القصص آية : ٥٥.
(٤) سورة الفرقان آية : ٦٤.
(٥) سورة الفرقان آية : ٦٤.
(٦) سورة الفرقان آية : ٦٤.
(٧) سورة الفرقان آية : ٦٤.

[٦٥] قوله ﷿ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1]، يعني ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار، ومنه سمي الغريم لطلبه حقه والحاجة على صاحبه وملازمته إياه. وقيل: غراما هلاكا.

[٦٦] ﴿ إِنَّهَا ﴾[2]، يعني جهنم، ﴿ سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ ﴾[3]، يعني بئس موضع قرار وإقامة.

[٦٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾[4] واختلفوا في معنى الإسراف والإقتار، فقال بعضهم: الإسراف النفقة في معصية الله وإن قلت، والإقتار منع حق الله تعالى. وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وقال الحسن في هذه الآية لم ينفقوا في معاصي الله ولـم يمسكوا عن فرائض الله. وقال قوم: الإسراف مجاوزة الحد في الإنفاق، حتى يدخل في حد التبذير، والإقتار التقصير عما لا بد منه، وهذا معنى قول إبراهيم لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف، ﴿ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾[5]، قصدا وسطا بين الإسراف والإقتار، حسنة بين السيئتين.

قوله تعالى وَالذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النفْسَ التِي حَرمَ اللهُ إلا بِالْحَق وَلَا يَزْنُونَ...

[٦٨] قوله ﷿ ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾[6]، الآية. ﴿ قال رجل: يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: "أن تدعو لله ندا وهو خلقك " قال:

---

(١) سورة الفرقان آية : ٦٥.

(٢) سورة الفرقان آية : ٦٦.

(٣) سورة الفرقان آية : ٦٦.

(٤) سورة الفرقان آية : ٦٧.

(٥) سورة الفرقان آية : ٦٧.

(٦) سورة الفرقان آية : ٦٨.

ثم أي؟ قال. "أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك "، قال: ثم أي؟ قال: "أن تزاني حليلة جارك ﴾[1]، فأنزل الله تصديقها: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾[2]. قوله ﷻ (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ)، أي شيئا من هذه الأفعال، (يَلْقَ أَثَامًا)، يوم القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يريد جزاء الإثم. وقال أبو عبيدة: الآثام العقوبة. وقال مجاهد: الآثام واد في جهنم.

[٦٩] ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾[3]، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف) و (يخلد) برفع الفاء والدال على الابتداء وشداد بن عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط.

[٧٠] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾[4]، قال قتادة: إلا من تاب وآمن بربه وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربه ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[5]، فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا، قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والسدي والضحاك: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصانا. وقال قوم: يبدل الله سيئاتم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة، وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول، وقال بعضهم: إن الله ﷻ يمحو بالندم جميع السيئات، ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

---

(١) البخاري الديات (٦٤٦٨)، مسلم الإيمان (٨٦)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٨٣)، النسائي تحريم الدم (٤٠١٤)، أبو داود الطلاق (٢٣١٠)، أحمد (١/٣٨٠).

(٢) سورة الفرقان آية : ٦٨.

(٣) سورة الفرقان آية : ٦٩.

(٤) سورة الفرقان آية : ٧٠.

(٥) سورة الفرقان آية : ٧٠.

[٧١] قوله ﷻ ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [١]، قال بعض أهل العلم هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا، يعني من تاب من الشرك وعمل صالحا أي: أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن، ﴿ فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [٢]، أي يعود إليه بالموت ﴿ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ [٣] حسنا يفضل به على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الأولى وهو قوله: (ومن تاب) رجوع عن الشرك والثاني رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة. وقال بعضهم: هذه الآية أيضا في التوبة عن جميع السيئات. ومعناه: ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله. وقوله: (يَتُوبُ إِلَى اللهِ) خبر بمعنى الأمر، أي: ليتب إلى الله. وقيل: معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله.

[٧٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [٤]، قـال الضحاك وأكثر المفسرين: يعني الشرك. وقال علي بن طلحة: يعني شهادة الزور. وقال ابن جريج: يعني الكـذب. وقال مجاهد: يعني أعياد المشركين. وقيل: النوح، قال قتادة: لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم. وقال محمد ابن الحنفية: لا يشهدون اللهو والغناء، قال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق، ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [٥]، قال مقاتل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد، نظيره قوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [٦]، قال السدي: وهي

---

(١) سورة الفرقان آية : ٧١.

(٢) سورة الفرقان آية : ٧١.

(٣) سورة الفرقان آية : ٧١.

(٤) سورة الفرقان آية : ٧٢.

(٥) سورة الفرقان آية : ٧٢.

(٦) سورة القصص آية : ٥٥.

منسوخة بآية القتال. قال الحسن والكلبي: اللغو المعاصي كلها يعني إذا مروا بمجلس اللهو والباطل مروا كراما مسرعين معرضين. يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تـ ه وأكره نفسه عنه.

[٧٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ ﴾ (1)، لم يقعوا ولم يسقطوا، ﴿ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣ ﴾ (٢)، كأنم صم عمي بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه. قال القتيبي: لم يتغافلوا عنها كأنم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها.

[٧٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ (٣)، يعني أولادا أبرارا أتقياء، يقولون: اجعلهم صالحين فتقر أعيننا بذلك. قال القرظي: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل. وقاله الحسن: ووحد القرة لأنا مصدر وأصلها من القر لأن العرب تتأذى من الحر وتستروح إلى البرد وتذكر قرة العين عند السرور وسخنة العين عند الحزن، ويقال: دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حار. وقال الأزهري: معنى قرة الأعين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر إلى غيره. ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ ﴾ (٤) يعني أئمة يقتدون في الخير بنا. قال الحسن: نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون. وقال ابن عباس: اجعلنا أئمة هداة، كما قال: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (5)، ولا تجعلنا أئمة ضلالة كما

---

(١) سورة الفرقان آية : ٧٣.
(٢) سورة الفرقان آية : ٧٣.
(٣) سورة الفرقان آية : ٧٤.
(٤) سورة الفرقان آية : ٧٤.
(٥) سورة الأنبياء آية : ٧٣.

قال: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [(١)]، وقيل: هذا من المقرب يعني واجعل المتقين لنا إماما واجعلنا مؤتمين مقتدين بم، وهو قول مجاهد.

[٧٥] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ﴾ [(٢)] يعني ينالون، ﴿ ٱلْغُرْفَةَ ﴾ [(٣)] يعني الدرجة الرفيعة في الجنة والغرفة كل بناء مرتفع عال وقال عطاء: يريد غرف الدر والزبرجد في الجنة، ﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [(٤)]، على أمر الله تعالى وطاعته. وقيل: على أذى المشركين. وقيل: عن الشهـوات ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً ﴾ [(٥)] أي ملكـا وقيل: بقاء دائما، ﴿ وَسَلَـٰمًا ۝٧٥ ﴾ [(٦)] أي: يسلم بعضهم على بعض. وقال الكلبي: يحيي بعضهم بالسلام، ويرسل الرب إليهم بالسلام. وقيل: سلاما أي سلامة من الآفات.

[٧٦] ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦ ﴾ [(٧)].أي: موضع قرار وإقامة.

[٧٧] ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى ﴾ [(٨)]، قال مجاهد وابن زيد. أي ما يصنع وما يفعل بكم؟ قال أبو عبيدة يقال: ما عبأت به شيئا أي لم أعده، فوجوده وعدمه سواء، مجازه: أي وزن وأي مقدار لكم عنده، ﴿ لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [(٩)]، إيـاه، وقيل: لولا إيمانكم،

---

(١) سورة القصص آية : ٤١.
(٢) سورة الفرقان آية : ٧٥.
(٣) سورة الفرقان آية : ٧٥.
(٤) سورة الفرقان آية : ٧٥.
(٥) سورة الفرقان آية : ٧٥.
(٦) سورة الفرقان آية : ٧٥.
(٧) سورة الفرقان آية : ٧٦.
(٨) سورة الفرقان آية : ٧٧.
(٩) سورة الفرقان آية : ٧٧.

وقيل: لولا عبادتكم، وقيل: لولا دعاؤه إياكـم إلى الإسلام، فإذا آمنتم ظهر لكم قدر. وقال قوم: معناها قل ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه يعني أنه خلقكم لعبادته، كما قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١). وهذا قول ابن عباس ومجاهد، وقال قوم: قل ما يعبأ ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه آلهة، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم، كما قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ (٢) وقيل: ما يعبأ بعذابكـم لـولا دعاؤكـم إياه في الشدائـد، كما قال: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (٤). وقيـل: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ (٥) يقول ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم. ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾ (٦)، أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني إن الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه. ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (٧)، هذا تذييه لهم أي يكون تكذيبهم لزاما، قال ابن عباس: موتا. وقال أبو عبيدة: هلاكا. وقال ابن زيد: قتالا. والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله. وقال ابن جرير: عذابا دائما وهلاكا مقيما يلحق بعضكم ببعض واختلفوا فيه فقال قوم: هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون. وقيل: اللزام هو عذاب الآخرة.

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦.
(٢) سورة النساء آية : ١٤٧.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٥.
(٤) سورة الأنعام آية : ٤٢.
(٥) سورة الفرقان آية : ٧٧.
(٦) سورة الفرقان آية : ٧٧.
(٧) سورة الفرقان آية : ٧٧.

(٢٦) سورة الشعراء

قوله تعالى طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ...

[١] ﴿ طسٓمٓ ﴾ [(١)] روى علي بن طلحة الوالبي عن ابن عباس: أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى: وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقال مجاهد: اسم للسورة. قال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله بطوله وسنائه وملكه.

[٢] ﴿ تِلْكَ ﴾ [(٢)]، أي هـذه، ﴿ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [(٣)].

[٣] ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ ﴾ [(٤)]، قاتل، ﴿ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [(٥)]، إن لـم يؤمنوا ذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه وكان يحرص على إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية.

[٤] ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [(٦)]، قال قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله. وقال ابن جريج: معناه لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية. وقوله ﷻ ﴿ خَٰضِعِينَ ﴾ [(٧)] ولم يقل خاضعة وهي صفة الأعناق، ففيه أقاويل: أحدها: أراد أصحاب الأعناق فحـذف الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، جعل الفعل أولا للأعناق ثم جعل خاضعين

---

(١) سورة الشعراء آية : ١.
(٢) سورة الشعراء آية : ٢.
(٣) سورة الشعراء آية : ٢.
(٤) سورة الشعراء آية : ٣.
(٥) سورة الشعراء آية : ٣.
(٦) سورة الشعراء آية : ٤.
(٧) سورة الشعراء آية : ٤.

للرجال. وقال الأخفش: رد الخضوع على المضمر الذي أضاف الأعناق إليه. وقال قوم: ذكر الصفة لمجاورتها المذكر، وهو قوله على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه إلى المؤنث. وقيل: أراد فظلوا خاضعين فعبروا بالعنق عن جميع البدن، كقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ ﴾ (1) و ﴿ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ ﴾ (2). وقال مجاهد: أراد بالأعناق الرؤساء والكبراء، أي فظلت كبراؤهم خاضعين، وقيل: أراد بالأعناق الجماعات، يقال: جاء القوم عنقا عنقا أي جماعات وطوائف. وقيل: إنما قال خاضعين على وفاق رؤوس الآي ليكون على نسق واحد.

[5] ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ ﴾ (3)، وعظ وتذكير، ﴿ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ ﴾ (4)، أي محدث إنزاله، فهو محدث في التنزيل. قال الكلبي: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول ﴿ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ۝٥ ﴾ (5)، أي عن الإيمان به.

[6] ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ ﴾ (6)، أي. فسوف يأتيهم، ﴿ أَنۢبَٰٓؤُاْ ﴾ (7)، أخبار وعواقب، ﴿ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦ ﴾ (8).

---

(1) سورة الحج آية : 10.
(2) سورة الإسراء آية : 13.
(3) سورة الشعراء آية : 5.
(4) سورة الشعراء آية : 5.
(5) سورة الشعراء آية : 5.
(6) سورة الشعراء آية : 6.
(7) سورة الشعراء آية : 6.
(8) سورة الشعراء آية : 6.

[٧] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٍ ﴾[(١)]، صنف وضرب، ﴿ كَرِيمٍ ۝٧ ﴾[(٢)] حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام، يقال: نخلة كريمة إذا طاب حملها، وناقة كريمة إذا كثر لبنها. قال الشعبي: الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

[٨] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾[(٣)]، الذي ذكرت، ﴿ لَأٓيَةٗۖ ﴾[(٤)]، دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي، ﴿ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨ ﴾[(٥)]، مصدقين أي سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون. وقال سيبويه: كان هاهنا صلة مجازه: وما أكثرهم مؤمنين.

[٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾[(٦)]، العزيز بالنقمـة مـن أعدائـه، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ۝٩ ﴾[(٧)]، ذو الرحمة بأوليائه.

[١٠] قوله ﷻ ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾[(٨)]، واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة والنار، ﴿ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ ﴾[(٩)]، يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب.

(١) سورة الشعراء آية : ٧.
(٢) سورة الشعراء آية : ٧.
(٣) سورة الشعراء آية : ٨.
(٤) سورة الشعراء آية : ٨.
(٥) سورة الشعراء آية : ٨.
(٦) سورة الشعراء آية : ٩.
(٧) سورة الشعراء آية : ٩.
(٨) سورة الشعراء آية : ١٠.
(٩) سورة الشعراء آية : ١٠.

[١١] ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾[١]، ألا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته.

[١٢] ﴿ قَالَ ﴾[٢]، يعني موسى، ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ ﴾[٣].

[١٣] ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾[٤] بتكذيبهم إياي، و ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾[٥]، قال: هذا للعقدة التي كانت على لسانه، قرأ يعقوب (ويضيق)، (ولا ينطلق) بنصب القافين علـى معنى وأن يضيـق، وقـرأ العامة برفعهما ردا على قوله: (إني أخاف)، ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[٦]، ليؤازرني ويظاهرني على تبليغ الرسالة.

[١٤] ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ ﴾[٧]، أي دعوى ذنب، وهو قتله القبطي، ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾[٨] أي يقتلونني به.

[١٥] ﴿ قَالَ ﴾[٩]، الله تعالى ﴿ كَلَّا ۖ ﴾[١٠]، أي لن يقتلوك ﴿ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[١١]، سامعون ما يقولون، ذكر معكم بلفظ الجمع،

---

(١) سورة الشعراء آية : ١١.
(٢) سورة الشعراء آية : ١٢.
(٣) سورة الشعراء آية : ١٢.
(٤) سورة الشعراء آية : ١٣.
(٥) سورة الشعراء آية : ١٣.
(٦) سورة الشعراء آية : ١٣.
(٧) سورة الشعراء آية : ١٤.
(٨) سورة الشعراء آية : ١٤.
(٩) سورة الشعراء آية : ١٥.
(١٠) سورة الشعراء آية : ١٥.
(١١) سورة الشعراء آية : ١٥.

وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة. وقيل: أراد معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون.

[١٦] ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]، ولم يقل رسولا رب العالمين لأنه أراد الرسالة أنا ذو رسالة رب العالمين، وقال أبو عبيدة: يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا رسولي ووكيلي وهذان وهؤلاء رسولي ووكيلي، كما قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ﴾[٢]، وقيل: معناه كل واحد منا رسول رب العالمين.

[١٧] ﴿ أَنْ أَرْسِلْ ﴾[٣]، أي بأن أرسل، ﴿ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[٤]، أي إلى فلسطين، ولا تستعبدهم، وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا، فانطلق موسى إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك.

[١٨] ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾[٥]، صبيا، ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[٦]، وهو ثلاثون سنة.

[١٩] ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ ﴾[٧]، يعني قتل القبطي، ﴿ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٨]، قال الحسن والسدي: يعني وأنت من الكافرين بإلهك الذي

(١) سورة الشعراء آية : ١٦.
(٢) سورة الكهف آية : ٥٠.
(٣) سورة الشعراء آية : ١٧.
(٤) سورة الشعراء آية : ١٧.
(٥) سورة الشعراء آية : ١٨.
(٦) سورة الشعراء آية : ١٨.
(٧) سورة الشعراء آية : ١٩.
(٨) سورة الشعراء آية : ١٩.

تدعيه، ومعناه: على ديننا هذا الذي تعيبه. وقال أكثر المفسرين: معنى قوله وأنت من الكافرين يعني من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي، يقول ربيناك فينا فكافأتنا أن قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا. وهذا رواية العوفي عن ابن عباس: إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية.

قوله تعالى قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنا مِنَ الضالينَ...

[٢٠] ﴿ قَالَ ﴾[1]، موسى ﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا ﴾[2]، أي فعلت ما فعلت حينئذ، ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ ﴾[3]، أي من الجاهلين، لم يأت من الله شيئا. وقيل: من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله. وقيل: من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد. وقيل. من المخطئين.

[٢١] ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾[4]، إلى مدين، ﴿ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا ﴾[5]، يعني النبوة، وقال مقاتل: يعني العلم والفهم، ﴿ وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢١ ﴾[6].

[٢٢] ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٢ ﴾[7]، اختلفوا في تأويلها فحملها بعضهم على الإقرار وبعضهم على الإنكار، فمن قال هو إقرار قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه، ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني إسرائيل، ولم

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢٠.
(٢) سورة الشعراء آية : ٢٠.
(٣) سورة الشعراء آية : ٢٠.
(٤) سورة الشعراء آية : ٢١.
(٥) سورة الشعراء آية : ٢١.
(٦) سورة الشعراء آية : ٢١.
(٧) سورة الشعراء آية : ٢٢.

يستعبده كما استعبد بني إسرائيل، مجازه: بلى وتلك نعمة لك علي أن عبدت بني إسرائيل، وتركتني فلم تستعبدني. ومن قال: هو إنكار قال قوله: وتلك نعمة هو على طريق الاستفهام أي: أو تلك نعمة؟ حذف ألف الاستفهام، كقوله: ﴿ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾[1]؟ يقول: تمن علي أن ربيتني وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة؟ أو يريد: كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي، ومن أهين قومه ذل، فتعبيدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إلي، وقيل: معناه تمن علي بالتربية. وقوله: ﴿ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[2] أي باستعبادك بني إسرائيل وقتلك أولادهم، دفعت إليك حتى ربيتني وكفلتني ولو لم تستعبدهم وتقتلهـم كان لي مـن أهـل مـن يربيني ولم يلقوني في اليم، فأي نعمة لك علي؟ قوله: ﴿ عَبَّدتَّ ﴾[3] أي اتخذتم عبيدا، يقال: عبدت فلانا وأعبدته وتعبدته واستعبدته، أي اتخذته عبدا.

[٢٣] ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[4]، يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إلي يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه مما هو سؤال عن جنس الشيء، والله م ه عن الجنسية، فأجابه موسى عليه السلام يذكر أفعاله التي يعجز عن الإتيان بمثلها.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٤.

(٢) سورة الشعراء آية : ٢٢.

(٣) سورة الشعراء آية : ٢٢.

(٤) سورة الشعراء آية : ٢٣.

[٢٤] ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[١]، إنه خالقهما. قال أهل المعاني: أي كما توقنون هذه الأشياء التي تعاينونا فأيقنوا أن إله الخلق هو الله ﷻ فلما قال موسى ذلك تحير فرعون في جواب موسى.

[٢٥] ﴿ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ ﴾[٢]، مـن أشراف قومـه استبعادا لقول موسى، ﴿ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[٣]، وذلك أنم كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم، فزادهم موسى في البيان.

[٢٦] ﴿ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٤].

[٢٧] ﴿ قَالَ ﴾[٥]، يعني فرعون، ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ ﴾[٦]، يتكلم بكلام لا نعقله ولا نعرف صحته، وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل، فزاد موسى في البيان.

[٢٨] ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٧].

[٢٩] ﴿ قَالَ ﴾[٨]، فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٩]، من المحبوسين.

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢٤.
(٢) سورة الشعراء آية : ٢٥.
(٣) سورة الشعراء آية : ٢٥.
(٤) سورة الشعراء آية : ٢٦.
(٥) سورة الشعراء آية : ٢٧.
(٦) سورة الشعراء آية : ٢٧.
(٧) سورة الشعراء آية : ٢٨.
(٨) سورة الشعراء آية : ٢٩.
(٩) سورة الشعراء آية : ٢٩.

[٣٠] ﴿ قَالَ ﴾ [(١)] له موسى حين توعده بالسجن ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ ﴾ [(٢)] أي: وإن جئتك، ﴿ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(٣)]، بآية مبينة، ومعنى الآية أتفعل ذلك وإن أتيتك بحجة بينة؟ وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد البيان.

[٣١] ﴿ قَالَ ﴾ [(٤)]، له فرعون، ﴿ فَأْتِ بِهِۦٓ ﴾ [(٥)] فإنا لن نسجنك حينئذ، ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [(٦)].

[٣٢، ٣٣] ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٧)]، فقال وهل غيرها، ﴿ وَنَزَعَ ﴾ [(٨)]، موسى، ﴿ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٩)].

[٣٤] ﴿ قَالَ ﴾ [(١٠)] فرعون. ﴿ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [(١١)].

[٣٥] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [(١٢)].

---

(١) سورة الشعراء آية : ٣٠.
(٢) سورة الشعراء آية : ٣٠.
(٣) سورة الشعراء آية : ٣٠.
(٤) سورة الشعراء آية : ٣١.
(٥) سورة الشعراء آية : ٣١.
(٦) سورة الشعراء آية : ٣١.
(٧) سورة الشعراء آية : ٣٢.
(٨) سورة الشعراء آية : ٣٣.
(٩) سورة الشعراء آية : ٣٣.
(١٠) سورة الشعراء آية : ٣٤.
(١١) سورة الشعراء آية : ٣٤.
(١٢) سورة الشعراء آية : ٣٥.

[٣٦] ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾[1].

[٣٧] ﴿ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾[2].

[٣٨] ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ﴾[3]، وهو يوم الزينة. وروي عن ابن عباس قال: وافق ذلك اليوم يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز.

[٣٩] ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴾[4]، لتنظروا إلى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة.

قوله تعالى لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ....

[٤٠] ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾[5]، لموسى، وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء، وأرادوا بالسحرة موسى وهارون وقومهما.

[٤١] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾[6].

[٤٢] ﴿ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾[7].

[٤٣] ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴾[8].

---

(١) سورة الشعراء آية : ٣٦.
(٢) سورة الشعراء آية : ٣٧.
(٣) سورة الشعراء آية : ٣٨.
(٤) سورة الشعراء آية : ٣٩.
(٥) سورة الشعراء آية : ٤٠.
(٦) سورة الشعراء آية : ٤١.
(٧) سورة الشعراء آية : ٤٢.
(٨) سورة الشعراء آية : ٤٣.

[٤٤] ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[١].

[٤٥] ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾[٢].

[٤٦] ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾[٣].

[٤٧] ﴿ قَالُواْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤].

[٤٨] ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[٥].

[٤٩] ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٦].

[٥٠] ﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ﴾[٧] لا ضرر، ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[٨].

[٥١] ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٩] من أهل زماننا.

[٥٢] ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾[١٠]، يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر.

---

(١) سورة الشعراء آية : ٤٤.
(٢) سورة الشعراء آية : ٤٥.
(٣) سورة الشعراء آية : ٤٦.
(٤) سورة الشعراء آية : ٤٧.
(٥) سورة الشعراء آية : ٤٨.
(٦) سورة الشعراء آية : ٤٩.
(٧) سورة الشعراء آية : ٥٠.
(٨) سورة الشعراء آية : ٥٠.
(٩) سورة الشعراء آية : ٥١.
(١٠) سورة الشعراء آية : ٥٢.

[٥٣] ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]، يحشرون الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة. وقيل: حتى يجمعوا له الجيش.

[٥٤] ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[2]، عصابة ﴿ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[3]، والشرذمة القطعة من الناس غير الكثير، وجمعها شراذم.

[٥٥] ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[4]، يقال غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبه، والغيظ والغضب واحد، يقول: أغضبونا لمخالفتهم ديننا، وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا.

[٥٦] ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[5] قال أهل التفسير: حاذرون أي مؤدون ومقوون، أي: ذوو أداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح، ومعنى حذرون أي خائفون شرهم. وقال الزجاج: الحاذر المستعد، والحذر المستيقظ. وقال الفراء: الحاذر الذي يحذرك الآن، والحذر المخوف. وكذلك لا تلقاه إلا حذرا. والحذر اجتناب الشيء خوفا منه.

[٥٧] ﴿ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ ﴾[6]، وفـي القصة البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل، ﴿ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ ﴾[7]، أنهار جارية.

---

(١) سورة الشعراء آية : ٥٣.

(٢) سورة الشعراء آية : ٥٤.

(٣) سورة الشعراء آية : ٥٤.

(٤) سورة الشعراء آية : ٥٥.

(٥) سورة الشعراء آية : ٥٦.

(٦) سورة الشعراء آية : ٥٧.

(٧) سورة الشعراء آية : ٥٧.

[٥٨] ﴿ وَكُنُوزٍ ﴾[(١)]، يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة، قال مجاهد: سماها كنوزا لأنه لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله منها فهو ك وإن كان ظاهرا ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ ﴾[(٢)]، أي مجلس حسن، قال المفسرون: أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: هي المنابر.

[٥٩] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾[(٣)]، كما وصفنا، ﴿ وَأَوْرَثْنَـٰهَا ﴾[(٤)]، بلاكهم، ﴿ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ ﴾[(٥)]، وذلك أن الله تعالى رد بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمساكن.

[٦٠] ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝ ﴾[(٦)]، يعني لحقوهم في وقت إشراق الشمس، وهو إضاءتا أي أدرك قوم فرعون موسى وأصحابه وقت شروق الشمس.

قوله تعالى فَلما تَرَاءَى الْجَمْعَان قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنا لَمُدْرَكُونَ...

[٦١] ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾[(٧)]، يعني تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه ﴿ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ ﴾[(٨)]، يعني سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بم.

---

(١) سورة الشعراء آية : ٥٨.
(٢) سورة الشعراء آية : ٥٨.
(٣) سورة الشعراء آية : ٥٩.
(٤) سورة الشعراء آية : ٥٩.
(٥) سورة الشعراء آية : ٥٩.
(٦) سورة الشعراء آية : ٦٠.
(٧) سورة الشعراء آية : ٦١.
(٨) سورة الشعراء آية : ٦١.

[٦٢] ﴿ قَالَ ﴾ [1]، موسى ثقة بوعد الله إياه ﴿ كَلَّآ ﴾ [2] لن يدركونا، ﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [3]، يدلني على طريق النجاة.

[٦٣] ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ ﴾ [4]، يعني فضربه فانفلق فانشق، ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴾ [5]، قطعة من الماء، ﴿ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [6]، كالجبل الضخم.

[٦٤] ﴿ وَأَزْلَفْنَا ﴾ [7] يعني وقربنا، ﴿ ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [8]، يعني قوم فرعون، يقول: قدمناهم إلى البحر وقربناهم إلى الهلاك، وقال أبو عبيدة: وأزلفنا: جمعنا، ومنه ليلة المزدلفة أي ليلة الجمع.

[٦٥] ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [9].

[٦٦] ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [10]، فرعون وقومه. وقال سعيد بن جبير: كان البحر ساكنا قبل ذلك فلما ضربه موسى بالعصا اضطرب فجعل يمد ويجزر.

---

(١) سورة الشعراء آية : ٦٢.
(٢) سورة الشعراء آية : ٦٢.
(٣) سورة الشعراء آية : ٦٢.
(٤) سورة الشعراء آية : ٦٣.
(٥) سورة الشعراء آية : ٦٣.
(٦) سورة الشعراء آية : ٦٣.
(٧) سورة الشعراء آية : ٦٤.
(٨) سورة الشعراء آية : ٦٤.
(٩) سورة الشعراء آية : ٦٥.
(١٠) سورة الشعراء آية : ٦٦.

[٦٧] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1]، أي من أهل مصر، قيل. لم يكن آمن من أهل مصر إلا آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن، ومريم بنت ماموبا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام.

[٦٨] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾[2]، العزيز في الانتقام من أعدائه، الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم.

[٦٩] قوله: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[3].

[٧٠] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[4]، أي شيء تعبدون.

[٧١] ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[5]، يعني نقيم على عبادتها. قال بعض أهل العلم: إنما قال: (فنظل) لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار، دون الليل، يقال: ظل يفعل كذا إذا فعل بالنهار.

[٧٢] ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾[6]، أي هل يسمعون دعاءكم، ﴿ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[7] قال ابن عباس: يسمعون لكم؟

[٧٣] ﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ ﴾[8]، قيل: بالرزق، ﴿ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]، إن تركتم عبادتها.

---

(١) سورة الشعراء آية : ٦٧.
(٢) سورة الشعراء آية : ٦٨.
(٣) سورة الشعراء آية : ٦٩.
(٤) سورة الشعراء آية : ٧٠.
(٥) سورة الشعراء آية : ٧١.
(٦) سورة الشعراء آية : ٧٢.
(٧) سورة الشعراء آية : ٧٢.
(٨) سورة الشعراء آية : ٧٣.

[٧٤] ﴿ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[٢]، معناه إنا لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا لكن اقتدينا بآبائنا، فيه إبطال التقليد في الدين. ٧٥،

[٧٦] ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾[٣]، الأولون.

[٧٧] ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾[٤]، يعني أعدائي ووحده على معنى أن كل معبود لكم عدو لي، فإن قيل: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات؟ قيل: معناه فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾[٥]، وقال الفراء هو من المقلوب أراد فإنهم عدو لهم لأن من عاديته فقد عاداك. وقيل: فإنهم عدو لي على معنى إني لا أتوهم ولا أطلب من جهتهم نفعا كما لا يتولى العدو ولا يطلب من جهته النفع، قوله: ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٦]، اختلفوا في هذا الاستثناء، قيل: هو استثناء منقطع، كأنه قال: فإنهم عدو لي لكن رب العالمين وليي. وقيل: إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله، فقال إبراهيم: كل من تعبدون أعدائي إلا رب العالمين. وقيل: إنهم غير معبود لي إلا رب العالمين، فإني أعبده. وقال الحسين بن الفضل: معناه إلا من عند رب العالمين، ثم وصف معبوده فقال:

---

(١) سورة الشعراء آية : ٧٣.

(٢) سورة الشعراء آية : ٧٤.

(٣) سورة الشعراء آية :٧٥ - ٧٦.

(٤) سورة الشعراء آية : ٧٧.

(٥) سورة مريم آية : ٨٢.

(٦) سورة الشعراء آية : ٧٧.

[٧٨] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [١] أي يرشدني إلى طريق النجاة.

[٧٩] ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [٢] أي يرزقني ويغذيني بالطعام والشراب، فهو رازقي ومن عنده رزقي.

[٨٠] ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ ﴾ [٣] أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفا كله من الله، استعمالا لحسن الأدب كما قال الخـضر: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾ [٤]، وقال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾ [٥]، ﴿ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [٦]، أي يبرئني من المرض.

[٨١] ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ [٧]، أدخل (ثم) هاهنا للتراخي أي يميتني في الدنيا ويحييني في الآخرة.

[٨٢] ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ ﴾ [٨]، أرجو، ﴿ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٩]، أي خطاياي يوم الحساب. قال مجاهد: هو قوله: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [١٠]، وقوله: ﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا ﴾ [١]، وقوله لسارة:

(١) سورة الشعراء آية : ٧٨.
(٢) سورة الشعراء آية : ٧٩.
(٣) سورة الشعراء آية : ٨٠.
(٤) سورة الكهف آية : ٧٩.
(٥) سورة الكهف آية : ٨٢.
(٦) سورة الشعراء آية : ٨٠.
(٧) سورة الشعراء آية : ٨١.
(٨) سورة الشعراء آية : ٨٢.
(٩) سورة الشعراء آية : ٨٢.
(١٠) سورة الصافات آية : ٨٩.

هذه أختي، وزاد الحسن وقوله للكواكب: ﴿ هَـٰذَا رَبِّى ﴾ [2]. وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه وأخبار أنه لا تصلح الإلهية إلا لمن يفعل هذه الأفعال.

[٨٣] ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا ﴾ [3] قال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه. وقال مقاتل: الفهم والـعـلـم.

وقال الكلبي: النبوة، ﴿ وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [4]، بمن قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة.

قوله تعالى وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ...

[٨٤] ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [5]، أي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الأمم التي تجيء بعدي، فأعطاه الله ذلك فجعل كل أهل الأديان يتولونه ويثنون عليه. قال القتيبي: وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون به.

[٨٥] ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [6]، أي ممن تعطيه جنة النعيم.

[٨٦] ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [7]، وقال هذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله، كما سبق ذكره في سورة التوبة.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٦٣.

(٢) سورة الأنعام آية : ٧٦.

(٣) سورة الشعراء آية : ٨٣.

(٤) سورة الشعراء آية : ٨٣.

(٥) سورة الشعراء آية : ٨٤.

(٦) سورة الشعراء آية : ٨٥.

(٧) سورة الشعراء آية : ٨٦.

[٨٧] ﴿ وَلَا تُخۡزِنِي ﴾ [١] لا تفضحني ﴿ يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٢].

[٨٨، ٨٩] ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [٣]، أي خالص من الشرك والشك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، هذا قول أكثر المفسرين، قال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح، وهو قلـب المؤمن لأن قلـب الكافر والمنافـق مريض. قال الله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [٤] قال ابن عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على السنة.

[٩٠، ٩١] ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ﴾ [٥]، قربت ﴿ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ﴾ [٦] أظهرت، ﴿ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٧]، للكافرين.

[٩٢،٩٣] ﴿ وَقِيلَ لَهُمۡ ﴾ [٨] يـــوم القيـامـة، ﴿ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ ﴾ [٩]، يمنعونكم من العذاب، ﴿ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [١٠] لأنفسهم.

---

(١) سورة الشعراء آية : ٨٧.

(٢) سورة الشعراء آية : ٨٧.

(٣) سورة الشعراء آية : ٨٨ - ٨٩.

(٤) سورة البقرة آية : ١٠.

(٥) سورة الشعراء آية : ٩٠.

(٦) سورة الشعراء آية : ٩٠ - ٩١.

(٧) سورة الشعراء آية : ٩١.

(٨) سورة الشعراء آية : ٩٢.

(٩) سورة الشعراء آية : ٩٢ - ٩٣.

(١٠) سورة الشعراء آية : ٩٣.

[٩٤] ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا ﴾ [١]، قال ابن عباس: جمعوا. وقال مجاهد: دهورا. وقال مقاتل: قذفوا. وقال الزجاج: طرح بعضهم على بعض. وقال القتيبي: ألقوا على رؤوسهم. ﴿ هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [٢]، يعني الشياطين، قاله قتادة ومقاتل. وقال الكلبي: كفرة الجن.

[٩٥] ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [٣]، وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس. ويقال: ذريته.

[٩٦] ﴿ قَالُواْ ﴾ [٤] أي: قال الغاوون للشياطين والمعبودين، ﴿ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [٥]، مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضا.

[٩٧] ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [٦].

[٩٨] ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم ﴾ [٧]، نعدلكم، ﴿ بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٨] فنعبدكم.

[٩٩] ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ ﴾ [٩] أي: ما دعانا إلى الضلال، ﴿ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [١٠]. قال مقاتل: يعني الشياطين. وقال الكلبي: إلا ولونا

---

(١) سورة الشعراء آية : ٩٤.
(٢) سورة الشعراء آية : ٩٤.
(٣) سورة الشعراء آية : ٩٥.
(٤) سورة الشعراء آية : ٩٦.
(٥) سورة الشعراء آية : ٩٦.
(٦) سورة الشعراء آية : ٩٧.
(٧) سورة الشعراء آية : ٩٨.
(٨) سورة الشعراء آية : ٩٨.
(٩) سورة الشعراء آية : ٩٩.
(١٠) سورة الشعراء آية : ٩٩.

الذين اقتدينا بهم. وقال أبو العالية وعكرمة: يعني إبليس وابن آدم الأول وهو قابيل لأنه أول من سن القتل، وأنواع المعاصي.

[١٠٠] ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴾[١]، أي: من يشفع لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين.

[١٠١] ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[٢]، أي قريب يشفع لنا يقوله الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق هو الصادق في المودة بشرط الدين.

[١٠٢] ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾[٣]، أي: رجعة إلى الدنيا، ﴿ فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤].

[١٠٣] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٥].

[١٠٤] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٦] العزيز الذي لا يغالب، فالله عزيز وهو في وصف عزته رحيم.

[١٠٥] قوله ﷻ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٧] قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد أرأيت قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٨] و ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ

(١) سورة الشعراء آية : ١٠٠.
(٢) سورة الشعراء آية : ١٠١.
(٣) سورة الشعراء آية : ١٠٢.
(٤) سورة الشعراء آية : ١٠٢.
(٥) سورة الشعراء آية : ١٠٣.
(٦) سورة الشعراء آية : ١٠٤.
(٧) سورة الشعراء آية : ١٠٥.
(٨) سورة الشعراء آية : ١٠٥.

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[1] و ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[2]، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إن الآخر جاء بما جاء به الأول، فإذا كذبوا واحدا فقد كذبوا الرسل أجمعين.

[١٠٦] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾[3]، في النسب لا في الدين. ﴿ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[4].

[١٠٧] ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾[5]، على الوحي.

[١٠٨] ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[6]، بطاعته وعبادته، ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[7]، فيما آمركم به من الإيمان والتوحيد.

[١٠٩] ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ ﴾[8]، ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[9].

[١١٠] ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[10] بـطـاعـتـه وعبادته ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾[11].

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٢٣.

(٢) سورة الشعراء آية : ١٤١.

(٣) سورة الشعراء آية : ١٠٦.

(٤) سورة الشعراء آية : ١٠٦.

(٥) سورة الشعراء آية : ١٠٧.

(٦) سورة الشعراء آية : ١٠٨.

(٧) سورة الشعراء آية : ١٠٨.

(٨) سورة الشعراء آية : ١٠٩.

(٩) سورة الشعراء آية : ١٠٩.

(١٠) سورة الشعراء آية : ١١٠.

(١١) سورة الشعراء آية : ١١٠.

[١١١] ﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ ﴾ [(١)] السفلة. وعن ابن عباس قال: الصاغة. وقال عكرمة: الحاكة والأساكفة.

قوله تعالى قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ...

[١١٢] ﴿ قَالَ ﴾ [(٢)]، نوح، ﴿ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ ﴾ [(٣)] أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم، وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله ولي منهم ظاهر أمرهم.

[١١٣] ﴿ إِنۡ حِسَابُهُمۡ ﴾ [(٤)]، ما حسابهم، ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ ﴾ [(٥)]، لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم. قال الزجاج: الصناعات لا تضر في الديانات. وقيل: معناه أي لم أعلم أن الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم.

[١١٤، ١١٥] ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥ ﴾ [(٦)].

[١١٦] ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ ﴾ [(٧)]، عما تقول، ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ ﴾ [(٨)]، قال مقاتل والكلبي: من المقتولين بالحجارة. وقال الضحاك: من المشتومين.

---

(١) سورة الشعراء آية : ١١١.
(٢) سورة الشعراء آية : ١١٢.
(٣) سورة الشعراء آية : ١١٢.
(٤) سورة الشعراء آية : ١١٣.
(٥) سورة الشعراء آية : ١١٣.
(٦) سورة الشعراء آية : ١١٤ - ١١٥.
(٧) سورة الشعراء آية : ١١٦.
(٨) سورة الشعراء آية : ١١٦.

[١١٧، ١١٨] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ ﴾[1]، فاحكـم، ﴿ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ﴾[2]، حكما ﴿ وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[3].

[١١٩] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾[4]، الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان كلها.

[١٢٠] ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[5]، أي أغرقنا بعد إنجاء نوح، وأهله: من بقي من قومه.

[١٢١] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾[6].

[١٢٢] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾[7].

[١٢٣] قوله ﷻ ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[8].

[١٢٤] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾[9]، يعني في النسب لا في الدين، ﴿ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[10].

---

(١) سورة الشعراء آية: ١١٧ - ١١٨.
(٢) سورة الشعراء آية: ١١٨.
(٣) سورة الشعراء آية: ١١٨.
(٤) سورة الشعراء آية: ١١٩.
(٥) سورة الشعراء آية: ١٢٠.
(٦) سورة الشعراء آية: ١٢١.
(٧) سورة الشعراء آية: ١٢٢.
(٨) سورة الشعراء آية: ١٢٣.
(٩) سورة الشعراء آية: ١٢٤.
(١٠) سورة الشعراء آية: ١٢٤.

[١٢٥] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [1]، على الرسالة، قال الكلبي: أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تتهموني اليوم.

[١٢٦] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [2].

[١٢٧] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [3].

[١٢٨] ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ [4]، قال الوالبي عن ابن عباس: بكل شرف. وقال الضحاك ومقاتل والكلبي: بكل طريق، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وعن مجاهد قال: هو الفج بين الجبلين. وعنه أيضا: أنه المنظرة [5]. ﴿ آيَةً ﴾ [6]، علامة ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ [7]، بمن مر بالطريق، والمعنى: أنهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم.

[١٢٩] ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ [8]، قال ابن عباس: أبنية. وقال مجاهد: قصورا مشيدة. وعن الكلبي: أنها الحصون. وقال قتادة: مآخذ الماء يعني الحياض، واحدتها مصنعة، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [9]، أي كأنكم تبقون فيها خالدين. والمعنى: أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون.

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٢٥.
(٢) سورة الشعراء آية : ١٢٦.
(٣) سورة الشعراء آية : ١٢٧.
(٤) سورة الشعراء آية : ١٢٨.
(٥) بوزن المتربة وهي المرقبة انظر مختار الصحاح ص٦٦٧.
(٦) سورة الشعراء آية : ١٢٨.
(٧) سورة الشعراء آية : ١٢٨.
(٨) سورة الشعراء آية : ١٢٩.
(٩) سورة الشعراء آية : ١٢٩.

[١٣٠] ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم ﴾ [(١)]، أخذتم وسطوتم، ﴿ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝ ﴾ [(٢)] قتلا بالسيف وضربا بالسوط، والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب.

[١٣١] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ ﴾ [(٣)].

[١٣٢] ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [(٤)]، أي أعطاكـم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال:

[١٣٣، ١٣٤] ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ ﴾ [(٥)]، يعني بساتين وأنهار.

[١٣٥] ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ [(٦)]، قال ابن عباس: إن عصيتموني، ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [(٧)].

[١٣٦] ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا ﴾ [(٨)] يعني مستو عندنا، ﴿ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ۝ ﴾ [(٩)]، الوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد. قال الكلبي: نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا.

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٣٠.
(٢) سورة الشعراء آية : ١٣٠.
(٣) سورة الشعراء آية : ١٣١.
(٤) سورة الشعراء آية : ١٣٢.
(٥) سورة الشعراء آية : ١٣٣ - ١٣٤.
(٦) سورة الشعراء آية : ١٣٥.
(٧) سورة الشعراء آية : ١٣٥.
(٨) سورة الشعراء آية : ١٣٦.
(٩) سورة الشعراء آية : ١٣٦.

قوله تعالى إِنْ هَذَا إِلا خُلُقُ الأولِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذبِينَ....

[١٣٧] ﴿ إِنْ هَـٰذَآ ﴾[(١)]، ما هذا، ﴿ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[(٢)]، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (خلق) بفتح الخاء وسكون اللام أي اختلاق الأولين وكذبهم، دليل هذه القراءة قوله تعالى: (وتخلقون إفكا)، وقرأ الآخرون (خلق) بضم الخاء واللام، أي عادة الأولين من قبلنا، وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب.

[١٣٨] ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[(٣)].

[١٣٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَـٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[(٤)].

[١٤٠] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾[(٥)].

[١٤١- ١٤٦] قوله ﷻ ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَـٰهُنَآ ﴾[(٦)]، يعني في الدنيا ﴿ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[(٧)]، من العذاب.

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٣٧.

(٢) سورة الشعراء آية : ١٣٧.

(٣) سورة الشعراء آية : ١٣٨.

(٤) سورة الشعراء آية : ١٣٩.

(٥) سورة الشعراء آية : ١٤٠.

(٦) سورة الشعراء آية: ١٤١ - ١٤٦.

(٧) سورة الشعراء آية : ١٤٦.

[١٤٧، ١٤٨] ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا ﴾ [(١)] ثمرها يريد ما يطلع منها من الثمر، ﴿ هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [(٢)] قال ابن عباس: لطيف، ومنه هضيم الكشح إذا كان لطيفا. وروى عطية عنه: يا نع نضيج. وقال عكرمة: هو اللين. وقال الحسن: هو الرخو. وقال مجاهد: متهشم متفتت إذا مس، وذلك أنه ما دام رطبا فهو هضيم، فإذا يبس فهو هشيم. وقال الضحاك ومقاتل: قد ركب بعضه بعضا حتى هضم بعضه بعضا، أي كسره. وقال أهل اللغة: هو المنضم بعضه إلى بعض في وعائه قبل أن يظهر. وقال الأزهري: الهضيم هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعومة. وقيل. هضيم أي هاضم يهضم الطعام. وكل هذا للطافته.

[١٤٩] ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [(٣)]، وقرئ: (فرهين)، قيل: معناهما واحد. وقيل: فارهين أي حاذقين بنحتها، من قولهم: فره الرجل فراهة فهو فاره، ومن قرأ (فرهين) قال ابن عباس: أشرين بطرين. وقال عكرمة: ناعمين. وقال مجاهد: شرهين. قال قتادة: معجبين بصنيعكم. قال السدي: متجبرين. وقال أبو عبيدة: مرحين. وقال الأخفش: فرحين. والعرب تعاقب بين الهاء والحاء مثل مدحته ومدهته. قال الضحاك: كيسين.

[١٥٠، ١٥١] ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [(٤)]، قال ابن عباس: المشركين. وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم.

---

(١) سورة الشعراء آية :١٤٧ - ١٤٨.

(٢) سورة الشعراء آية : ١٤٨.

(٣) سورة الشعراء آية : ١٤٩.

(٤) سورة الشعراء آية :١٥٠ - ١٥١.

[١٥٢] ﴿ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [1] بالمعاصـــي، ﴿ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾ [2]، لا يطيعون الله فيما أمرهم به.

[١٥٣] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ [3]، قال مجاهد وقتادة: من المسحورين المخدوعين، أي ممن يسحر مرة بعد مرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب، يقال: سحره أي علله بالطعام والشراب، يريد إنك تأكل الطعام والشراب ولست بملك، بل:

[١٥٤] ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ ﴾ [4]، على صحة ما تقول. ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [5]، أنك رسول الله إلينا.

[١٥٥] ﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ ﴾ [6]، حظ ونصيب من الماء، ﴿ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [7].

[١٥٦] ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ ﴾ [8]، بعقر، ﴿ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [9].

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٥٢.
(٢) سورة الشعراء آية : ١٥٢.
(٣) سورة الشعراء آية : ١٥٣.
(٤) سورة الشعراء آية : ١٥٤.
(٥) سورة الشعراء آية : ١٥٤.
(٦) سورة الشعراء آية : ١٥٥.
(٧) سورة الشعراء آية : ١٥٥.
(٨) سورة الشعراء آية : ١٥٦.
(٩) سورة الشعراء آية : ١٥٦.

[١٥٧] ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾(١)، على عقرها حين رأوا العذاب.

[١٥٨] ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

[١٥٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾(٣).

قوله تعالى كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ...

[١٦٠- ١٦٥] قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ ﴾(٤)، قال مقاتل: يعني جماع الرجال. ﴿ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾(٥)، يعني من بني آدم.

[١٦٦] ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾(٦)، قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال، ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾(٧)، معتدون مجاوزون الحلال إلى الحرام.

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٥٧.

(٢) سورة الشعراء آية : ١٥٨.

(٣) سورة الشعراء آية : ١٥٩.

(٤) سورة الشعراء آية : ١٦٠ - ١٦٥.

(٥) سورة الشعراء آية : ١٦٥.

(٦) سورة الشعراء آية : ١٦٦.

(٧) سورة الشعراء آية : ١٦٦.

[١٦٧] ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾[(١)] من قريتنا.

[١٦٨] ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[(٢)]، المبغضين، ثم دعا فقال:

[١٦٩] ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[(٣)]، من العمل الخبيث.

[١٧٠، ١٧١] قال الله تعالى: ﴿ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾[(٤)]، وهي امرأة لوط بقيت في العذاب والهلاك.

[١٧٢] ﴿ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[(٥)] أي: أهلكناهم.

[١٧٣] ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[(٦)]، قال وهب بن منبه: الكبريت والنار.

[١٧٤] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ ﴾[(٧)].

[١٧٥] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾[(٨)].

[١٧٦] قوله ﷻ ﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[(٩)]، وهم قوم شعيب عليه السلام، قرأ العراقيون: (الآيكة) هاهنا وفي ص بالهمزة وسكون اللام وكسر التاء،

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٦٧.

(٢) سورة الشعراء آية : ١٦٨.

(٣) سورة الشعراء آية : ١٦٩.

(٤) سورة الشعراء آية : ١٧٠ - ١٧١.

(٥) سورة الشعراء آية : ١٧٢.

(٦) سورة الشعراء آية : ١٧٣.

(٧) سورة الشعراء آية : ١٧٤.

(٨) سورة الشعراء آية : ١٧٥.

(٩) سورة الشعراء آية : ١٧٦.

وقرأ الآخرون: (ليكة) بفتح اللام والتاء غير مهموز، جعلوها اسم البلدة، وهو لا ينصرف، ولم يختلفوا في سورة الحجر وق أنما مهموزان مكسوران، والأيكة: الغيضة من الشجر الملتف.

[١٧٧] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴾ [(١)] ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال أخاهم شعيبا لأنه كان منهم، وكان الله تعالى بعثه إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة. ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [(٢)].

[١٧٨- ١٨٠] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [(٣)]، وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة وتبليغ الرسالة.

[١٨١] ﴿ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [(٤)]، الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن.

قوله تعالى وَاتقُوا الذِي خَلقَكُمْ وَالجِبلةَ الأولينَ...

[١٨٢- ١٨٤] ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ ﴾ [(٥)]

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٧٧.

(٢) سورة الشعراء آية : ١٧٧.

(٣) سورة الشعراء آية: ١٧٨ - ١٨٠.

(٤) سورة الشعراء آية : ١٨١.

(٥) سورة الشعراء آية: ١٨٢ - ١٨٤.

الخليقة، ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [1] يعني الأمم المتقدمين، والجبلة: الخلق، يقال: جبل أي خلق.

[١٨٥- ١٨٨] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [2]. أي من نقصان الكيل والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إلي وما علي إلا الدعوة.

[١٨٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ ﴾ [3]، وذلك أنه أخذهم حر شديد، فكانوا يدخلون الأسراب فإذا دخلوها وجدوها أشد حرا فخرجوا فأظلتهم سحابة وهي الظلة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا، ذكرناه في سورة هود [4].

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [5].

[١٩٠] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [6].

[١٩١] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾ [7].

[١٩٢-١٩٣] قوله ﷻ ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ [8]، يعني القرآن، ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [1]، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص: (نزل)

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٨٤.

(٢) سورة الشعراء آية :١٨٥ - ١٨٨.

(٣) سورة الشعراء آية : ١٨٩.

(٤) من آية ٨٤ إلى ٩٥.

(٥) سورة الشعراء آية : ١٨٩.

(٦) سورة الشعراء آية : ١٩٠.

(٧) سورة الشعراء آية : ١٩١.

(٨) سورة الشعراء آية : ١٩٢.

خفيف (الروح الأمين) برفع الحاء والنون، أي نزل جبريل بالقرآن. وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي: نزل الله به جبريل لقوله ﷻ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾[2].

[١٩٤] ﴿ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾[3]، يا محمد حتى وعيته، ﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[4]، المخوفين.

[١٩٥] ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾[5]، قال ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه.

[١٩٦] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾[6]، أي ذكر إنزال القرآن، قاله أكثر المفسرين، وقال مقاتل: ذكر محمد ﷺ ونعته، ﴿ لَفِي زُبُرِ ﴾[7]، كتب ﴿ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾[8].

[١٩٧] ﴿ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً ﴾[9]، قرأ ابن عامر: (تكن) بالتاء آية بالرفع، جعل الآية اسما وخبره: ﴿ أَن يَعۡلَمَهُۥ ﴾[10]، وقرأ الآخرون بالياء، (آية) نصب، جعلوا الآية خبر يكن، معناه: أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علم بني إسرائيل آية، أي علامة ودلالة على

(١) سورة الشعراء آية: ١٩٢ - ١٩٣.
(٢) سورة الشعراء آية : ١٩٢.
(٣) سورة الشعراء آية : ١٩٤.
(٤) سورة الشعراء آية : ١٩٤.
(٥) سورة الشعراء آية : ١٩٥.
(٦) سورة الشعراء آية : ١٩٦.
(٧) سورة الشعراء آية : ١٩٦.
(٨) سورة الشعراء آية : ١٩٦.
(٩) سورة الشعراء آية : ١٩٧.
(١٠) سورة الشعراء آية : ١٩٧.

نبوة محمد ﷺ لأن العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ فقالوا: إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته، فكان ذلك آية على صدقه. قوله تعالى: ﴿ أَن يَعْلَمَهُۥ ﴾[(١)]، يعني يعلم محمد ﷺ ﴿ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٩٧ ﴾[(٢)]، قال عطية: كانوا خمسة: عبد الله بن سلام وابن يا مين وثعلبة وأسد وأسيد.

[١٩٨] ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ ﴾[(٣)]، يعني القرآن، ﴿ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨ ﴾[(٤)] جمع الأعجمي، وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربيا في النسب، والعجمي: منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحا. ومعنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان.

[١٩٩] ﴿ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم ﴾[(٥)] بغير لغة العرب، ﴿ مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١٩٩ ﴾[(٦)] وقالوا: ما نفقه قولك، نظيره قوله ﷻ ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ﴾[(٧)]، وقيل: معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من اتباعه.

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٩٧.
(٢) سورة الشعراء آية : ١٩٧.
(٣) سورة الشعراء آية : ١٩٨.
(٤) سورة الشعراء آية : ١٩٨.
(٥) سورة الشعراء آية : ١٩٩.
(٦) سورة الشعراء آية : ١٩٩.
(٧) سورة فصلت آية : ٤٤.

[٢٠٠] ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ ﴾[1]، قال ابن عباس والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[2].

[٢٠١] ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾[3]، أي بالقرآن، ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[4]، يعني عند الموت.

[٢٠٢] ﴿ فَيَأۡتِيَهُم ﴾[5]، يعني العذاب، ﴿ بَغۡتَةً ﴾[6]، فجأة، ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[7] به في الدنيا.

[٢٠٣] ﴿ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾[8]، أي لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة والنظرة. قال مقاتل: لما أوعد النبي ﷺ بالعذاب، قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب متى هذا العذاب؟ قال الله تعالى:

[٢٠٤، ٢٠٥] ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[9]، كثيرة في الدنيا يعني كفار مكة ولم نلكهم.

[٢٠٦] ﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[10] يعني بالعذاب.

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢٠٠.

(٢) سورة الشعراء آية : ٢٠٠.

(٣) سورة الشعراء آية : ٢٠١.

(٤) سورة الشعراء آية : ٢٠١.

(٥) سورة الشعراء آية : ٢٠٢.

(٦) سورة الشعراء آية : ٢٠٢.

(٧) سورة الشعراء آية : ٢٠٢.

(٨) سورة الشعراء آية : ٢٠٣.

(٩) سورة الشعراء آية: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(١٠) سورة الشعراء آية : ٢٠٦.

قوله تعالى مَا أغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتعُونَ....

[٢٠٧] ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧ ﴾ [١]، به في تلك السنين. والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط.

[٢٠٨] ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ﴾ [٢] رسل ينذرونهم.

[٢٠٩] ﴿ ذِكۡرَىٰ ﴾ [٣] محلها نـصـب أي ينذرونهم، تذكرة، وقيل: رفع أي تلك ذكرى، ﴿ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩ ﴾ [٤] في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

[٢١٠] ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ ﴾ [٥]، وذلك أن المشركين كانوا يقولون: إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد ﷺ فقال جل ذكره: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ﴾ [٦] أي بالقرآن، الشياطين.

[٢١١] ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ ﴾ [٧]، أن ينزلوا بالقرآن، ﴿ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ ﴾ [٨] ذلك.

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢٠٧.
(٢) سورة الشعراء آية : ٢٠٨.
(٣) سورة الشعراء آية : ٢٠٩.
(٤) سورة الشعراء آية : ٢٠٩.
(٥) سورة الشعراء آية : ٢١٠.
(٦) سورة الشعراء آية : ٢١٠.
(٧) سورة الشعراء آية : ٢١١.
(٨) سورة الشعراء آية : ٢١١.

[٢١٢] ﴿ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ ﴾ [١] أي عن استراق السمـع من السمـاء، ﴿ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [٢]، أي محجوبون بالشهب مرجومون.

[٢١٣] ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت إلها غيري لعذبتك.

[٢١٤] ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [٥] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: "أرأيتكـم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي "؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" فقال أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟! ثم قال: فنزلت (تبت يدا أبي لهب وتب) » [٦].

[٢١٥] قوله ﷻ ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ ﴾ [٧] يعني ألن جانبك ﴿ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [٨].

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢١٢.
(٢) سورة الشعراء آية : ٢١٢.
(٣) سورة الشعراء آية : ٢١٣.
(٤) سورة الشعراء آية : ٢١٤.
(٥) سورة الشعراء آية : ٢١٤.
(٦) أخرجه البخاري في التفسير ٨ / ٧٣٧ ومسلم في الإيمان رقم (٢٠٨) ١ / ١٩٣ والمصنف في شرح السنة ١٣ / ٣٢٧.
(٧) سورة الشعراء آية : ٢١٥.
(٨) سورة الشعراء آية : ٢١٥.

[٢١٦] ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [(١)] من الكفر وعبادة غير الله.

[٢١٧] ﴿ وَتَوَكَّلْ ﴾ [(٢)]، قرأ أهل المدينة والشام فتوكل بالفاء، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون بالواو (وتوكل)، ﴿ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [(٣)] ليكفيك كيد الأعداء.

[٢١٨] ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [(٤)] إلى صلاتك، عن أكثر المفسرين. وقال مجاهد: الذي يراك أينما كنت وقيل: حين تقوم لدعائهم.

[٢١٩] ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [(٥)]، يعني يرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك. قال عكرمة وعطية عن ابن عباس: في الساجدين أي في المصلين. وقال مقاتل والكلبي: أي مع المصلين في الجـماعة، يقول: يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صليت مع المصلين في الجماعة. وقال الحسن: وتقلبك في الساجدين أي تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين. وقال سعيد بن جبير: يعني وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك والساجدون. هم الأنبياء. وقال عطاء عن ابن عباس. أراد تقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة.

[٢٢٠] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [(٦)].

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢١٦.
(٢) سورة الشعراء آية : ٢١٧.
(٣) سورة الشعراء آية : ٢١٧.
(٤) سورة الشعراء آية : ٢١٨.
(٥) سورة الشعراء آية : ٢١٩.
(٦) سورة الشعراء آية : ٢٢٠.

[٢٢١] ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ ﴾[(١)]، أخبركم، ﴿ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ ﴾[(٢)]، هذا جواب قولهم: (تنـ ل عليه الشياطين). ثم بين فقال:

[٢٢٢] ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ [(٣)] أي تنـزل، ﴿ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ ﴾[(٤)]، كـذاب ﴿ أَثِيمٍ ٢٢٢ ﴾ [(٥)] فاجر، قال قتادة: هم الكهنة يسترق الجن السمع ثم يلقون إلى أوليائهم من الإنس. وهو قوله عز وجل.

[٢٢٣] ﴿ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ ﴾ [(٦)]، أي يستمعون من الملائكة مسترقين فيلقون إلى الكهنة، ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣ ﴾ [(٧)] لأنم يخلطون به كذبا كثيرا.

[٢٢٤] قولـه ﷻ ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤ ﴾ [(٨)]، قـال أهـل التفسير: أراد شـعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ و (الغاوون)، هم الرواه الذين يروون هجاء النبي ﷺ والمسلمين. وقال قتادة ومجاهد: الغاوون هم الشياطين.

[٢٢٥] ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٍ ﴾[(٩)]، مـن أوديـة الكـلام، ﴿ يَهِيمُونَ ٢٢٥ ﴾ [(١٠)]، حائرون وعن طريق الحق جائرون، والهائم: الذاهب

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢٢١.
(٢) سورة الشعراء آية : ٢٢١.
(٣) سورة الشعراء آية : ٢٢٢.
(٤) سورة الشعراء آية : ٢٢٢.
(٥) سورة الشعراء آية : ٢٢٢.
(٦) سورة الشعراء آية : ٢٢٣.
(٧) سورة الشعراء آية : ٢٢٣.
(٨) سورة الشعراء آية : ٢٢٤.
(٩) سورة الشعراء آية : ٢٢٥.
(١٠) سورة الشعراء آية : ٢٢٥.

على وجهه لا مقصد له. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: في كل لغو يخوضون. وقال مجاهد: في كل فن يفتنون. وقال قتادة: يمدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل، فالوادي مثل لفنون الكلام، كما يقال: أنا في واد وأنت في واد. وقيل: في كل واد يهيمون أي على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافي.

[٢٢٦] ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾[١]، أي: يكذبون في شعرهم يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة، ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية، ويهجون شعراء الكفار، وينافحون عن النبي ﷺ وأصحابه، منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، فقال:

[٢٢٧] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٢] عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ ﴿ إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي ﷺ "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل ﴾[٣] [٤].

وعن عائشة قالت: ﴿ كان رسول الله ﷺ يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح عن رسول الله ﷺ ﴾[٥]، ويقول رسول الله ﷺ ﴿ إن الله يؤيد حسان بروح القدس، ما ينافح أو يفاخر عن رسول

(١) سورة الشعراء آية : ٢٢٦.

(٢) سورة الشعراء آية : ٢٢٧.

(٣) أحمد (٣٨٧/٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في كتاب الجامع ١١ / ٢٦٣ وصححه ابن حبان ص ٤٩٤ من موارد الظمآن والبيهقي في السنن ١٠ / ٢٣٩ والإمام أحمد في المسند ٣ / ٤٥٦ والمصنف في شرح السنة ١٢ / ٣٧٨.

(٥) الترمذي الأدب (٢٨٤٦).

الله ﴾ (١) (٢). ﴿ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٣) أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، ﴿ وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ (٤)، قال مقاتل: انتصروا في المشركين لأنهم بدأوا بالهجاء، ثم أوعد شعراء المشركين فقال: ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ (٥)، أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ ﴿ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧ ﴾ (٦)، أي مرجع يرجعون بعد الموت. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى جهنم والسعير. والله أعلم.

---

(١) الترمذي الأدب (٢٨٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في الأدب ٨ / ١٣٧ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وصححه الحاكم ٣ / ٤٨٧ والمصنف في شرح السنة ١٢ / ٣٧٧.

(٣) سورة الشعراء آية : ٢٢٧.

(٤) سورة الشعراء آية : ٢٢٧.

(٥) سورة الشعراء آية : ٢٢٧.

(٦) سورة الشعراء آية : ٢٢٧.

(٢٧) سورة النمل

قوله تعالى طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ...

[١] ﴿ طسٓ ﴾ [(١)] قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد سبق الكلام في حروف الهجاء. ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [(٢)]، أي هذه آيات القرآن، ﴿ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [(٣)]، يعني وآيات كتاب مبين.

[٢] ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [(٤)]، يعني هو هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين المصدقين به بالجنة.

[٣] ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [(٥)]، أي يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها، ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [(٦)]، يعطون ما وجب عليهم من زكاة أموالهم لأربابها، ﴿ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ﴾ [(٧)].

[٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [(٨)]، القبيحة حتى رأوها حسنة، ﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ ﴾ [(٩)]، أي يترددون فيها متحيرين.

---

(١) سورة النمل آية : ١.
(٢) سورة النمل آية : ١.
(٣) سورة النمل آية : ١.
(٤) سورة النمل آية : ٢.
(٥) سورة النمل آية : ٣.
(٦) سورة النمل آية : ٣.
(٧) سورة النمل آية : ٣.
(٨) سورة النمل آية : ٤.
(٩) سورة النمل آية : ٤.

[٥] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾[١]، شـدة العذاب في الدنيا بالقتل والأسر ببدر، ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝ ﴾[٢] لأنم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار.

[٦] ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾[٣]، أي تؤتى القرآن، ﴿ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ ﴾[٤]، أي وحيا من عند الله الحكيم العليم.

[٧] قوله ﷻ ﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ ﴾[٥]، أي واذكر يا محمد إذا قال موسى لأهله في مسيره من مدين إلى مصر، ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا ﴾[٦]، أي أبصرت نارا، ﴿ سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ ﴾[٧]، أي امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق أو النار، وكان قد ترك الطريق، ﴿ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ ﴾[٨]، قرأ أهل الكوفة بشهاب بالتنوين جعلوا القبس نعتا للشهاب، وقرأ الآخرون بلا تنوين على الإضافة، وهو إضافة الشيء إلى نفسه، لأن الشهاب والقبس متقاربان في المعنى، وهو العود الذي في أحد طرفيه فيه نار، وليس في الطرف الآخر نار. وقال بعضهم: الشهاب هو شيء ذو نور، مثل العمود، والعرب تسمي كل أبيض ذي نور شهابا، والقبس:

---

(١) سورة النمل آية : ٥.
(٢) سورة النمل آية : ٥.
(٣) سورة النمل آية : ٦.
(٤) سورة النمل آية : ٦.
(٥) سورة النمل آية : ٧.
(٦) سورة النمل آية : ٧.
(٧) سورة النمل آية : ٧.
(٨) سورة النمل آية : ٧.

القطعة من النار، ﴿ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧ ﴾ [(١)]، تستدفئون من البرد وكان ذلك في شدة الشتاء.

[٨] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ [(٢)] أي بورك على من في النار أو من في النار، والعرب تقول: باركه الله وبارك فيه وبارك عليه، بمعنى واحد. وقال قوم: البركة راجعة إلى موسى والملائكة، معناه: بورك في من طلب النار، وهو موسى عليه السلام، ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار، ومعناه: بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار، وهذا تحية من عند الله ﷻ لموسى بالبركة، كما حيا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت. ومذهب أكثر المفسرين أن المراد بالنار النور، وذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه نارا، ومن في النار هم الملائكة، وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح، ومن حولها موسى لأنه كان بالقرب منها، ولم يكن فيها. وقيل: من في النار ومن حولها جميعا الملائكة وقيل: من في النار موسى ومن حولها الملائكة، وموسى وإن لم يكن في النار كان قريبا منها كما يقال: بلغ فلان المـ ل إذا قرب منه، وإن لم يبلغه بعد، وذهب بعضهم إلى أن البركة راجعة إلى النار. وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: معناه بوركت النار. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سمعت أبيا يقرأ: أن بوركت النار ومن حولها، و (من) قد يأتي بمعنى ما و (ما) قد يكون صلة في الكلام، كقوله: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ ﴾ [(٣)]، ومعناه: بورك في النار وفيمن حولها وهم الملائكة وموسى عليه السلام، وسمى النار مباركة كما سمى البقعة مباركة فقال: ﴿ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ

(١) سورة النمل آية : ٧.

(٢) سورة النمل آية : ٨.

(٣) سورة ص آية : ١١.

﴿ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ ﴾[1]، وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله: ﴿ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾[2]، يعني قدس من في النار، وهو الله عنى به نفسه، على معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها، ثم نزه الله نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب، فقال جل ذكره. ﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ ﴾[3]، ثم تعرف إلى موسى بصفاته، فقال:

[٩] ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩ ﴾[4]، والهاء في قوله: (إنه) عماد وليس بكناية، وقيل: هي كناية عن الأمر والشأن، أي الأمر والشأن أي المعبود أنا، ثم أرى موسى آية على قدرته، فقال:

[١٠] ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ ﴾[5]، تتحرك، ﴿ كَأَنَّهَا جَآنّٞ ﴾[6] وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابا، ﴿ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا ﴾[7]، وهرب من الخوف، ﴿ وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ ﴾[8]، ولم يرجع، يقال: عقب فلان إذا رجع، وكل راجع معقب. وقال قتادة: ولم يلتفت، فقال الله ﷻ ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠ ﴾[9]،

(١) سورة القصص آية : ٣٠.
(٢) سورة النمل آية : ٨.
(٣) سورة النمل آية : ٨.
(٤) سورة النمل آية : ٩.
(٥) سورة النمل آية : ١٠.
(٦) سورة النمل آية : ١٠.
(٧) سورة النمل آية : ١٠.
(٨) سورة النمل آية : ١٠.
(٩) سورة النمل آية : ١٠.

يريد إذا آمنهم لا يخافون أما الخوف الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم، قال النبي ﷺ ﴿ أنا أخشاكم لله ﴾ (١) (٢).

[١١] وقوله: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (٣)، واختلف في هذا الاستثناء، قيل: هذا إشارة إلى أن موسى حين قتل القبطي خاف من ذلك، ثم تاب فقال: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فغفر له، قال ابن جريج: قال الله تعالى لموسى: إنما أخفتك لقتلك النفس. وقال: معنى الآية لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب، فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ (٤) ثم ابتدأ الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة، وفي الآية متروك استغنى عن ذكره بدلالة الكلام عليه، تقديره: فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم. قال بعض العلماء: ليس هذا باستثناء من المرسلين لأنه لا يجوز عليهم الظلم، بل هو استثناء من المتروك في الكلام، معناه لا يخاف لدي المرسلون، إنما الخوف على غيرهم من الظالمين، إلا من ظلم ثم تاب، وهذا من الاستثناء المنقطع، معناه: لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف، فإن تاب وبدل حسنا بعد سوء فإن الله غفور رحيم، يعني يغفر الله له ويزيل الخوف عنه. وقال بعض النحويين: (إلا هاهنا بمعنى ولا، يعني: لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يقول: لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى. ﴿ شَطْرَهُۥ

---

(١) البخاري الإيمان (٢٠)، مسلم الصيام (١١١٠)، أبو داود الصوم (٢٣٨٩)، أحمد (٦/٦٧)، مالك الصيام (٦٤١).

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري في النكاح ٩ / ١٠٤ ومسلم في الصيام رقم (١١٠٨) ٢ / ٧٧٩.

(٣) سورة النمل آية : ١١.

(٤) سورة النمل آية : ١١.

لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ [1] يعني ولا الذين ظلموا، ثم أراه الله آية أخرى فقال:

[١٢] ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ [2]، والجيب حيث جبب من القميص، أي قطع، قال أهل التفسير: كانت عليه مدرعة من صوف لا كـم لها ولا أزرار فأدخل يد، في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، فذلك قوله: ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [3]، من غير برص، ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ ﴾ [4]، يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بن، ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [5].

[١٣] ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ [6]، بينة واضحة يبصر با، ﴿ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [7]، ظاهر.

قوله تعالى وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ...

[١٤] ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا ﴾ [8]، أي أنكروا الآيات ولم يقروا أنا من عند الله، ﴿ وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [9]، يعني علمـوا أنا من عند الله، قوله: ﴿ ظُلْمًا

(١) سورة البقرة آية : ١٥٠.
(٢) سورة النمل آية : ١٢.
(٣) سورة النمل آية : ١٢.
(٤) سورة النمل آية : ١٢.
(٥) سورة النمل آية : ١٢.
(٦) سورة النمل آية : ١٣.
(٧) سورة النمل آية : ١٣.
(٨) سورة النمل آية : ١٤.
(٩) سورة النمل آية : ١٤.

﴿ وَعُلُوًّاۚ ﴾[1]، يعني شركا وتكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى، ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤ ﴾[2].

[١٥] قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ ﴾[3]، يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال، ﴿ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا ﴾[4]، بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ ﴾[5].

[١٦] ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ ﴾[6]، نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده، وكان لداود تسعة عشر ابنا، وأعطي سليمان ما أعطي داود من الملك، وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين. وقال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبدا من سليمان، وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى، ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ﴾[7] سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه، كما يفهم من كلام الناس ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ ﴾[8]، يؤتى الأنبياء والملوك، قال ابن عباس: من أمر الدنيا والآخرة. وقال مقاتل: يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين

---

(١) سورة النمل آية : ١٤.
(٢) سورة النمل آية : ١٤.
(٣) سورة النمل آية : ١٥.
(٤) سورة النمل آية : ١٥.
(٥) سورة النمل آية : ١٥.
(٦) سورة النمل آية : ١٦.
(٧) سورة النمل آية : ١٦.
(٨) سورة النمل آية : ١٦.

والريـاح، ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾[1]، الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا.

[١٧] قوله ﷻ ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ ﴾[2]، وجمع لسليمان، ﴿ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾[3] في مسيره، ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[4]، فهم يكفون. وقال مقاتل: يوزعون يساقون، وقال السدي: يوقفون. وقيل: يجمعون. وأصل الوزع الكف والمنع.

[١٨] قوله ﷻ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾[5] قال كعب: إنه واد بالطائف، وقال قتادة ومقاتل. هو أرض بالشام. ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ ﴾[6] ولم تقـل: ادخلن لأنه لما جعل لهم قولا كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين، ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾[7]، لا يكسرنكـم، ﴿ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾[8]، والحطم الكسر، ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[9]، فسمع سليمان قولها. ومعنى الآية: إنكـم لو لم تدخلوا مساكنكم وطؤوكم ولم يشعروا بكم.

---

(١) سورة النمل آية : ١٦.
(٢) سورة النمل آية : ١٧.
(٣) سورة النمل آية : ١٧.
(٤) سورة النمل آية : ١٧.
(٥) سورة النمل آية : ١٨.
(٦) سورة النمل آية : ١٨.
(٧) سورة النمل آية : ١٨.
(٨) سورة النمل آية : ١٨.
(٩) سورة النمل آية : ١٨.

[١٩] قوله ﷻ ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ [(١)] قال الزجاج: أكثر ضحك الأنبياء التبسم. وقوله: ﴿ ضَاحِكًا ﴾ [(٢)] أي متبسما. قيل: كان أوله التبسم وآخره الضحك ثم حمد سليمان ربه على ما أنعم عليه، ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾ [(٣)]، ألهمني، ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [(٤)]، أي أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم، قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن بعدهم، من النبيين. وقيل: أدخلني الجنة برحمتك من عبادك الصالحين.

[٢٠] قوله ﷻ ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ﴾ [(٥)] أي: طلبها وبحث عنها، والتفقد طلب ما فقد، ومعنى الآية. طلب ما فقد من الطير، ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ [(٦)]، أي ما للهدهد لا أراه، ثم أدركه الشك في غيبته، فقال: ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [(٧)]، يعني أكان من الغائبين، والميم صلة، وقيل: أم بمعنى بل، ثم أوعده على غيبته، فقال:

---

(١) سورة النمل آية : ١٩.
(٢) سورة النمل آية : ١٩.
(٣) سورة النمل آية : ١٩.
(٤) سورة النمل آية : ١٩.
(٥) سورة النمل آية : ٢٠.
(٦) سورة النمل آية : ٢٠.
(٧) سورة النمل آية : ٢٠.

[٢١] ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ ﴾ (١)، لأقطعن حلقه، ﴿ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ (٢)، بحجة بينة في غيبته، وعذر ظاهر.

[٢٢] ﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ﴾ (٣)، أي غير طويل، ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ ﴾ (٤)، والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته، يقول: علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك، ﴿ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ ﴾ (٥) اسم البلد أو اسم رجل، ﴿ بِنَبَإٖ ﴾ (٦)، بخبر ﴿ يَقِينٍ ﴾ (٧)، فقال سليمان: وما ذاك؟ قال:

قوله تعالى إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم...

[٢٣] ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ ﴾ (٨)، وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكا عظيم الشأن، ﴿ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ (٩) يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة، ﴿ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴾ (١٠) سرير ضخم كان مضروبا من الذهب مكللا بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوله من الياقوت والزمرد عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق.

(١) سورة النمل آية : ٢١.
(٢) سورة النمل آية : ٢١.
(٣) سورة النمل آية : ٢٢.
(٤) سورة النمل آية : ٢٢.
(٥) سورة النمل آية : ٢٢.
(٦) سورة النمل آية : ٢٢.
(٧) سورة النمل آية : ٢٢.
(٨) سورة النمل آية : ٢٣.
(٩) سورة النمل آية : ٢٣.
(١٠) سورة النمل آية : ٢٣.

[٢٤] ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [(١)].

[٢٥] ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ ﴾ [(٢)]، قرأ أبو جعفر والكسائي (ألا يسجدوا) بالتخفيف وإذا وقفوا يقولون: ألا يأثم يبتدئون. اسجدوا، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، وجعلوه أمرا من عند الله مستأنفا، وحذفوا هؤلاء اكتفاء بدلالة يا عليها، وذكر بعضهم سماعا من العرب ألا يا ارحمونا، يريدون ألا يا قوم وعلى هذا يكون قوله ألا كلاما معترضا من غير القصة إما من الهدهد وإما من سليمان. قال أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف يعني يا أيها الناس اسجدوا. وقرأ الآخرون ألا يسجدوا بالتشديد بمعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا، ﴿ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ ﴾ [(٣)]، أي الخفي المخبأ، ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [(٤)]، أي ما خبأت. قال أكثر المفسرين. خبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات. وفي قراءة عبد الله: (يخرج الخــبء من السماوات والأرض)، ومن وفي يتعاقبان تقول العرب: لأستخرجن العلم فيكم يريد منكم. وقيل: معنى الخبء الغيب، يريد يعلم غيب السماوات والأرض، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(٥)]، قرأ الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء فيهما لأن أول الآية خطاب على قراءة الكسائي بتخفيف ألا وقرأ الآخرون بالياء.

---

(١) سورة النمل آية : ٢٤.

(٢) سورة النمل آية : ٢٥.

(٣) سورة النمل آية : ٢٥.

(٤) سورة النمل آية : ٢٥.

(٥) سورة النمل آية : ٢٥.

[٢٦] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره. وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيما فهو صغير وحقير في جنب عرشه ﷻ تم هاهنا كلام الهدهد، فلما فرغ الهدهد من كلامه.

[٢٧] (قَالَ)، سليمان للهدهد ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ ﴾[2]، فيما أخبرت ﴿ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3] ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين، قال ابن جريج: لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه. وقال قتادة: وكذلك كل الأنبياء كانت تكتب جملا لا يطيلون ولا يكثرون، فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه. فقال للهدهد:

[٢٨] ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾[4]، تنح عنهم فكن قريبا منهم، ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[5]، يردون من الجواب. وقال ابن زيد: في الآية تقديم وتأخير مجازها: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم، أي انصرف إلي فأخذ الهدهد الكتاب فأتى به إلى بلقيس، فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها.

[٢٩] ﴿ قَالَتْ ﴾[6]، لهم بلقيس، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ ﴾[1]، وهم أشراف الناس وكبراؤهم ﴿ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[2]، قال عطاء والضحاك: سمته كريما لأنه

(١) سورة النمل آية : ٢٦.
(٢) سورة النمل آية : ٢٧.
(٣) سورة النمل آية : ٢٧.
(٤) سورة النمل آية : ٢٨.
(٥) سورة النمل آية : ٢٨.
(٦) سورة النمل آية : ٢٩.

كان مختوما، وقال قتادة ومقاتل: كتاب كريم أي حسن، وروي عن ابن عباس: كريم أي شريف لشرف صاحبه، وقيل: سمته كريما لأنه كان مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم بينت الكتاب.

[٣٠] فقالت: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَـٰنَ ﴾ [٣]، وبينـت المكتـوب فقالـت ﴿ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ ﴾ [٤].

[٣١] ﴿ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ ﴾ [٥]، قال ابن عباس: أي لا تتكبروا علي. وقيل: لا تتعظموا ولا تترفعوا علي. وقيل: معناه لا تمتنعوا علي من الإجابة، فإن ترك الإجابة من العلو والتكبر، ﴿ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣١ ﴾ [٦]، مؤمنين طائعين. قيل: هو من الإسلام، وقيل: هو من الاستسلام.

[٣٢] ﴿ قَالَتۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي ﴾ [٧]، أشيروا علي فيما عرض لي وأجيبوني فيما أشاوركم فيه، ﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً ﴾ [٨]، قاضية وفاصلة، ﴿ أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ۝٣٢ ﴾ [٩] أي تحضرون.

---

(١) سورة النمل آية : ٢٩.
(٢) سورة النمل آية : ٢٩.
(٣) سورة النمل آية : ٣٠.
(٤) سورة النمل آية : ٣٠.
(٥) سورة النمل آية : ٣١.
(٦) سورة النمل آية : ٣١.
(٧) سورة النمل آية : ٣٢.
(٨) سورة النمل آية : ٣٢.
(٩) سورة النمل آية : ٣٢.

[٣٣] ﴿ قَالُواْ ﴾ (١)، مجيبين لها، ﴿ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ ﴾ (٢)، في القتال، ﴿ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ (٣) عند الحرب، قال مقاتل: أرادوا بالقوة كثرة العدد وبالبأس الشديد الشجاعة، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتم بذلك ثم قالوا، ﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ (٤)، أيتها الملكة في القتال وتركه، ﴿ فَٱنظُرِى ﴾ (٥)، من الرأي، ﴿ مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٦)، تجدين لأمرك مطيعين.

[٣٤] ﴿ قَالَتْ ﴾ (٧)، بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال، ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً ﴾ (٨)، عنوة، ﴿ أَفْسَدُوهَا ﴾ (٩) خربوها، ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ (١٠)، أي أهانوا أشرافها وكبراءها، كي يستقيم لهم الأمر تحذرهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم، وتناهى الخبر عنها هاهنا، فصدق الله قولها فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١١)، أي كما قالت هي يفعلون.

(١) سورة النمل آية : ٣٣.
(٢) سورة النمل آية : ٣٣.
(٣) سورة النمل آية : ٣٣.
(٤) سورة النمل آية : ٣٣.
(٥) سورة النمل آية : ٣٣.
(٦) سورة النمل آية : ٣٣.
(٧) سورة النمل آية : ٣٤.
(٨) سورة النمل آية : ٣٤.
(٩) سورة النمل آية : ٣٤.
(١٠) سورة النمل آية : ٣٤.
(١١) سورة النمل آية : ٣٤.

[٣٥] ثم قالت: ﴿ وَإِنِّى مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ [١]، والهدية هي العطية على طريق الملاطفة، وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست، فقالت للملأ من قومها: إني مرسلة إليهم أي إلى سليمان وقومه بدية أصانعه با عن ملكي وأختبره با أملك هو أم نبي؟ فإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن نتبعه على دينه، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٣٥ ﴾ [٢]، فأهدت إليه، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان فأخبره الخبر كله، ثم رد سليمان الهدية.

قوله تعالى فَلَما جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِما آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيتِكُمْ تَفْرَحُونَ....

[٣٦] كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ ﴾ [٣]، أعطاني الله من النبوة والدين والحكمة والملك، ﴿ خَيۡرٌ ﴾ [٤]، أفضل، ﴿ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ۝٣٦ ﴾ [٥]، لأنكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة با تفرحون بإهداء بعضكم إلى بعض، فأما أنا فلا أفرح با وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنني فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحدا، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة، ثم قال للمنذر بن عمرو وأمير الوفد.

---

(١) سورة النمل آية : ٣٥.

(٢) سورة النمل آية : ٣٥.

(٣) سورة النمل آية : ٣٦.

(٤) سورة النمل آية : ٣٦.

(٥) سورة النمل آية : ٣٦.

[٣٧] ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ ﴾[1]، بالهدية ﴿ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم ﴾[2]، لا طاقة لهم، ﴿ بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ ﴾[3]، أي من أرضهم وبلادهم وهي سبأ، ﴿ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾[4]، ذليلون إن لم يأتوني مسلمين، قال وهب وغيره من أهل الكتب: فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان قالت: قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إلى سليمان: إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك فأقبل سليمان حينئذ على جنوده.

[٣٨] ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨ ﴾[5]، أي مؤمنين، وقال ابن عباس: طائعين، واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحـضار عرشها، فقال أكثرهم: لأن سليمان علم أنا إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها، وقيل: ليريها قدرة الله وعظم سلطانه في معجزة يأتي بما في عرشها، وقال قتادة: لأنه أعجبته صفته لما وصفه الهدهد فأحب أن يراه. قال ابن زيد: أراد أن يأمر بتنكره وتغييره ليختبر بذلك عقلها.

[٣٩] ﴿ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾[6]، وهو المارد القوي، قال ابن عباس: العفريت الداهية. وقال الضحاك - هو الخبيث. وقال الربيع: الغليظ، قال الفراء: القوي الشديد، وقيل. هو صخرة الجني وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه، ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ

---

(١) سورة النمل آية : ٣٧.

(٢) سورة النمل آية : ٣٧.

(٣) سورة النمل آية : ٣٧.

(٤) سورة النمل آية : ٣٧.

(٥) سورة النمل آية : ٣٨.

(٦) سورة النمل آية : ٣٩.

﴿ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ ﴾ [1]، أي من مجلسك الذي تقضي فيه، قال ابن عباس: وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه إلى متسع النهار، ﴿ وَإِنِّي عَلَيۡهِ ﴾ [2] أي على حمله ﴿ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ ﴾ [3] على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا.

[٤٠] فـ ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [4]، واختلفوا فيه فقال بعضهم: هو جبريل. وقيل: هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان. وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا، وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان، قال له عالم من بني إسرائيل آتاه الله علما وفهما: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾ [5]، قال سليمان: هات، قال أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك فإن دعوت الله وطلبت إليه كان عندك، فقال: صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت، وقوله تعالى: ﴿ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾ [6] قـال سعيد بن جبير. يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى، وهو أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك. قال قتادة: قبل أن يأتيك الشخـص من مد البصر. وقال مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئا. قال وهب: تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك ﴿ فَلَمَّا

---

(١) سورة النمل آية : ٣٩.
(٢) سورة النمل آية : ٣٩.
(٣) سورة النمل آية : ٣٩.
(٤) سورة النمل آية : ٤٠.
(٥) سورة النمل آية : ٤٠.
(٦) سورة النمل آية : ٤٠.

رَءَاهُ ﴾ [1]، يعني رأى سليمان العرش، ﴿ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ [2]، محمولا إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف، ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ ﴾ [3]، نعمه، ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [4]، فلا أشكرها، ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ [5]، أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ ﴾ [6]، عن شكره ﴿ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [7]، بأفضال على من يكفر نعمه.

[٤١] قوله تعالى: ﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا ﴾ [8]، يقول: غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته، قال قتادة ومقاتل: هو أن يزاد فيه وينقص منه، وروي أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله، وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر، ﴿ نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ ﴾ [9]، إلى عرشها فتعرفه، ﴿ أَمْ تَكُونُ مِنَ ﴾ [10]، الجاهلين، ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [11]، إليه، إنما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب

(١) سورة النمل آية : ٤٠.
(٢) سورة النمل آية : ٤٠.
(٣) سورة النمل آية : ٤٠.
(٤) سورة النمل آية : ٤٠.
(٥) سورة النمل آية : ٤٠.
(٦) سورة النمل آية : ٤٠.
(٧) سورة النمل آية : ٤٠.
(٨) سورة النمل آية : ٤١.
(٩) سورة النمل آية : ٤١.
(١٠) سورة النمل آية : ٤١.
(١١) سورة النمل آية : ٤١.

وغيرهما: أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية، وإذا ولدت له ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده، فأساؤوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا: إن في عقلها شيئا وإن رجلها كحافر الحمار وأنا شعراء الساقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح.

[٤٢] ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ ﴾ (١)، لها ﴿ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ ﴾ (٢)

قال مقاتل: عرفته لكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها. وقال عكرمة: كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من أن تكذب، ولم تقل لا خوفا من التكذيب، قـالت: كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل: اشتبه عليها أمر العرش لأنها تركته في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها، قيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب، فقالت: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ ﴾ (٣) بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسل، ﴿ مِن قَبۡلِهَا ﴾ (٤)، من قبل الآية في العرش ﴿ وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٥)، منقادين طائعين لأمر سليمان، وقيل: قوله: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا ﴾ (٦) قاله سليمان، يقول: وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة، وكنا مسلمين، هذا قول مجاهد. وقيل: معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين لله.

---

(١) سورة النمل آية : ٤٢.

(٢) سورة النمل آية : ٤٢.

(٣) سورة النمل آية : ٤٢.

(٤) سورة النمل آية : ٤٢.

(٥) سورة النمل آية : ٤٢.

(٦) سورة النمل آية : ٤٢.

[٤٣] قوله ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [١] أي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس أن تعبد الله، أي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله، فعلى هذا التأويل يكون (ما) في محل الرفع. وقيل: معناه ما صدها عن عبادة الله نقصان عقلها كما قالت الجن: إن في عقلها شيئا بل ما كانت تعبد من دون الله. وقيل: معناه وصدها سليمان ما كانت تعبد من دون الله أي منعها من ذلك وحال بينها وبينه فيكون محل (ما) نصبا، ﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [٢]، هذا استئناف أخبر الله تعالى أنا كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس.

[٤٤] قوله: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ﴾ [٣] الآية، وذلك أن سليمان أراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفها لما قالت الشياطين: إن رجليها كحافر الحمار وهي شعراء الساقين، أمر الشياطين فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج، وقيل: بيتا من زجاج كأنه الماء بياضا وقيل: الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء. وقيل: إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها، فلما جاءت قيل لها: ادخلي الصرح، ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ﴾ [٤]، وهي معظم الماء، ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ [٥] لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدما وساقا إلا أنا كانت شعراء الساقين، فلما رأى سليمان ذلك ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ ﴾ [٦]، مملس

---

(١) سورة النمل آية : ٤٣.

(٢) سورة النمل آية : ٤٣.

(٣) سورة النمل آية : ٤٤.

(٤) سورة النمل آية : ٤٤.

(٥) سورة النمل آية : ٤٤.

(٦) سورة النمل آية : ٤٤.

مستو، ﴿ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [(١)] وليس بماء، ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانـت قـد رأت حـال العرش والصرح فأجابت، ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي ﴾ [(٢)]، بالكفر، وقال مقاتل: لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله فقالت: رب إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، ﴿ وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [(٣)] أي أخلصت له التوحيد، وقيل: إنا لما بلغت الصرح فظنته لجة، قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يغرقني، وكان القتل علي أهون من هذا فقولها: ﴿ ظَلَمۡتُ نَفۡسِي ﴾ [(٤)] تعني بذلك الظن.

قوله تعالى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ...

[٤٥] قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ﴾ [(٥)]، أي أن، ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ [(٦)]، وحده، ﴿ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ ﴾ [(٧)]، مؤمن وكافر، ﴿ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [(٨)]، في الدين، قال مقاتل واختصامهم ما ذكر في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ

(١) سورة النمل آية : ٤٤.
(٢) سورة النمل آية : ٤٤.
(٣) سورة النمل آية : ٤٤.
(٤) سورة النمل آية : ٤٤.
(٥) سورة النمل آية : ٤٥.
(٦) سورة النمل آية : ٤٥.
(٧) سورة النمل آية : ٤٥.
(٨) سورة النمل آية : ٤٥.

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾[1]، إلى قولـه: ﴿ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[2].

[٤٦] فـ ﴿ قَالَ ﴾[3]، لهـم صـالح، ﴿ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾[4]، بالبلاء والعقوبـة، ﴿ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾[5]، العافية والرحمة، ﴿ لَوْلَا ﴾[6]، هلا ﴿ تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ ﴾[7] بالتوبـة مـن كفـركـم، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[8].

[٤٧] ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا ﴾[9]، أي تشاءمنا، وأصله تطيرنا، ﴿ بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ ﴾[10]، قيل: وإنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم. وقيل: لأنه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا فقالوا: أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك، ﴿ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ ﴾[11]، أي ما يصيبكـم من الخير والشر عند الله بأمره وهو مكتوب عليكم، سمي طائرا لسرعة نزوله بالإنسان فإنه لا شيء

(١) سورة الأعراف آية : ٧٥.
(٢) سورة الأعراف آية : ٧٧.
(٣) سورة النمل آية : ٤٦.
(٤) سورة النمل آية : ٤٦.
(٥) سورة النمل آية : ٤٦.
(٦) سورة النمل آية : ٤٦.
(٧) سورة النمل آية : ٤٦.
(٨) سورة النمل آية : ٤٦.
(٩) سورة النمل آية : ٤٧.
(١٠) سورة النمل آية : ٤٧.
(١١) سورة النمل آية : ٤٧.

أسرع من قضاء محتوم، قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم. وقيل: طائركم أي عملكم عند الله، سمي طائرا لسرعة صعوده إلى السماء. ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، قال ابن عباس: تختبرون بالخير والشر، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[2]، وقال محمد بن كعب القرظي: تعذبون.

[٤٨] قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾[3]، يعني مدينة ثمود وهي الحجر، ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾[4]، من أبناء أشرافهم، ﴿ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[5]، وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة وهم غواة قوم صالح ورأسهم قدار بن سالف، وهو الذي تولى عقرها كانوا يعملون بالمعاصي.

[٤٩] ﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾[6]، تحالفوا، يقول بعضهم لبعض: احلفوا بالله أيها القوم، وموضع تقاسموا جزم على الأمر، وقال قوم: محله نصب على الفعل الماضي، يعني أنم تحالفوا وتواثقوا، تقديره: قالوا متقاسمين بالله، ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾[7]، أي: لنقتلنه بياتا أي ليلا، ﴿ وَأَهْلَهُۥ ﴾[8]، أي قومه الذين أسلموا معه، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي (لتبيتنه) و (لتقولن) بالتاء فيهما وضم لام الفعل على الخطاب، وقرأ الآخرون

(١) سورة النمل آية : ٤٧.
(٢) سورة الأنبياء آية : ٣٥.
(٣) سورة النمل آية : ٤٨.
(٤) سورة النمل آية : ٤٨.
(٥) سورة النمل آية : ٤٨.
(٦) سورة النمل آية : ٤٩.
(٧) سورة النمل آية : ٤٩.
(٨) سورة النمل آية : ٤٩.

بالنون فيهما وفتح لام الفعل، ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ ﴾[1]، أي لولي دمه، ﴿ مَا شَهِدْنَا ﴾[2] ما حضرنا، ﴿ مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ ﴾[3]، أي إهلاكهم، ولا ندري من قتله، ومن فتح الميم فمعناه هلاك أهله، ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4]، في قولنا ما شهدنا ذلك.

[٥٠] ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا ﴾[5] غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح والفتك به، ﴿ وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾[6]، جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم، ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[7].

[٥١] ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا ﴾[8]، قرأ أهل الكوفة (أنا) بفتح الألف ردا على العاقبة، أي أنا دمرناهم، وقرأ الآخرون (إنا) بالكسر على الاستئناف، ﴿ دَمَّرْنَٰهُمْ ﴾[9]، أي أهلكناهم التسعة. واختلفوا في كيفية هلاكهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الملائكة، فقتلهم. قال مقاتل:

---

(١) سورة النمل آية : ٤٩.
(٢) سورة النمل آية : ٤٩.
(٣) سورة النمل آية : ٤٩.
(٤) سورة النمل آية : ٤٩.
(٥) سورة النمل آية : ٥٠.
(٦) سورة النمل آية : ٥٠.
(٧) سورة النمل آية : ٥٠.
(٨) سورة النمل آية : ٥١.
(٩) سورة النمل آية : ٥١.

نزل في سفح جبل ينظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم، ﴿ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ ﴾[1]، أهلكهم الله بالصيحة.

[52] ﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ ﴾[2]، نصب على الحال أي خالية، ﴿ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ ﴾[3]، أي بظلمهم وكفرهم، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ ﴾[4]، لعبرة، ﴿ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝ ﴾[5]، قدرتنا.

[53] ﴿ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ ﴾[6]، يقال: كان الناجون منهم أربعة آلاف.

[54] قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾[7] وهي الفعلة القبيحة، ﴿ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝ ﴾[8]، أي تعلمون أنا فاحشة. وقيل: معناه يرى بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم.

[55] ﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ۝ ﴾[9].

---

(1) سورة النمل آية : 51.
(2) سورة النمل آية : 52.
(3) سورة النمل آية : 52.
(4) سورة النمل آية : 52.
(5) سورة النمل آية : 52.
(6) سورة النمل آية : 53.
(7) سورة النمل آية : 54.
(8) سورة النمل آية : 54.
(9) سورة النمل آية : 55.

قوله تعالى فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ....

[٥٦] ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [(١)] من أدبار الرجال.

[٥٧] ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا ﴾ [(٢)]، قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا، ﴿ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [(٣)]، أي الباقين في العذاب.

[٥٨] ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ ﴾ [(٤)]، وهو الحجارة، ﴿ فَسَآءَ ﴾ [(٥)] فبئس، ﴿ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [(٦)].

[٥٩] قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ [(٧)]، هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية، وقيل: على جميع نعمه، ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ﴾ [(٨)]، قال مقاتل: هم الأنبياء والمرسلون، دليله قوله ﷻ ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [(٩)]، وقال ابن عباس في رواية أبي مالك: هم أصحاب محمد ﷺ.

---

(١) سورة النمل آية : ٥٦.
(٢) سورة النمل آية : ٥٧.
(٣) سورة النمل آية : ٥٧.
(٤) سورة النمل آية : ٥٨.
(٥) سورة النمل آية : ٥٨.
(٦) سورة النمل آية : ٥٨.
(٧) سورة النمل آية : ٥٩.
(٨) سورة النمل آية : ٥٩.
(٩) سورة الصافات آية : ١٨١.

وقال الكلبي. هم أمة محمد ﷺ وقيل: هم المؤمنين من السابقين واللاحقين، ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]، قرأ أهل البصرة وعاصم: (يشركون) بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، يخاطب أهل مكة وفيه إلزام الحجة على المشركين بعد هلاك الكفار، يقول: آلله خير لمن عبده أم الأصنام خير لمن عبدها والمعنى: أن الله نجى من عبده من الهلاك، والأصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب بهم.

[٦٠] ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[2]، معناه آلهتكم خير أم الذي خلق السماوات والأرض، ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[3]، يعني المطر، ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ﴾[4]، بساتين جمع حديقة، قال الفراء: الحديقة البستان المحاط عليه، فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة، ﴿ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾[5]، أي منظر حسن والبهجة: الحسن يبتهج به من يراه، ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾[6]، أي ما ينبغي لكم، لأنكم لا تقدرون عليها. ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾[7]، استفهام على طريق الإنكار أي هل معه معبود سواه يعينه على صنعه بل ليس معه إله. ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ ﴾[8]، يعني كفار مكة، ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾[9] يشركون.

(١) سورة النمل آية : ٥٩.
(٢) سورة النمل آية : ٦٠.
(٣) سورة النمل آية : ٦٠.
(٤) سورة النمل آية : ٦٠.
(٥) سورة النمل آية : ٦٠.
(٦) سورة النمل آية : ٦٠.
(٧) سورة النمل آية : ٦٠.
(٨) سورة النمل آية : ٦٠.
(٩) سورة النمل آية : ٦٠.

[٦١] ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا﴾[1]، لا تميد بأهلهـا، ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾[2]، وسطهـا ﴿أَنۡهَٰرًا﴾[3] تطرد بالميـاه، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾[4]، جبالا ثوابت، ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾[5]، العـذب والمـالـح، ﴿حَاجِزًاۗ﴾[6] مانعا لئلا يختلط أحدهما بالآخر، ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦١﴾[7]، توحيد ربهم وسلطانه.

[٦٢] ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ﴾[8]، المـكـروب المجهود، ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[9]، الضر، ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾[10]، سكانها يهلك قرنا وينشئ آخر. وقيل: يجعل أولادكـم خلفاءكـم. وقيل: جعلكم خلفاء الجن في الأرض. ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾[11]، قرأ أبو عمرو بالياء والآخرون بالتاء.

---

(١) سورة النمل آية : ٦١.
(٢) سورة النمل آية : ٦١.
(٣) سورة النمل آية : ٦١.
(٤) سورة النمل آية : ٦١.
(٥) سورة النمل آية : ٦١.
(٦) سورة النمل آية : ٦١.
(٧) سورة النمل آية : ٦١.
(٨) سورة النمل آية : ٦٢.
(٩) سورة النمل آية : ٦٢.
(١٠) سورة النمل آية : ٦٢.
(١١) سورة النمل آية : ٦٢.

[٦٣] ﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ [١] إذا سافرتم، ﴿ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ ﴾ [٢] أي قدام المطر، ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [٣].

قوله تعالى أمنْ يَبْدَأ الخَلْقَ ثُمَ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السمَاءِ وَالْأَرض أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ...

[٦٤] ﴿ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [٤]، بعد الموت، ﴿ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [٥]، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات، ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ ﴾ [٦]، حجتكم على قولكم أن مع الله إلها آخر. ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٧].

[٦٥] ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [٨]، نزلت في المشركين حيث سألوا النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة، ﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ ﴾ [٩]، متى، ﴿ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [١٠].

---

(١) سورة النمل آية : ٦٣.
(٢) سورة النمل آية : ٦٣.
(٣) سورة النمل آية : ٦٣.
(٤) سورة النمل آية : ٦٤.
(٥) سورة النمل آية : ٦٤.
(٦) سورة النمل آية : ٦٤.
(٧) سورة النمل آية : ٦٤.
(٨) سورة النمل آية : ٦٥.
(٩) سورة النمل آية : ٦٥.
(١٠) سورة النمل آية : ٦٥.

[٦٦] ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ ﴾ (١)، قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو: (أدرك) على وزن أفعل أي بلغ ولحق، كما يقال: أدركه علمي إذا لحقه وبلغه، يريد ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم أعلموه في الآخرة. وقال مجاهد: يدرك علمهم، ﴿ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ (٢)، ويعلمونا إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم. قال مقاتل: بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا وهو قوله: ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا ﴾ (٣)، يعني هم اليوم في شك من الساعة وقرأ الآخرون بل ادارك موصولا مشددا مع الألف بعد الدال المشدد، يعني تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق، وقيل: معناه اجتمع علمهم حين عاينوها في الآخرة أنا كائنة، وهم في شك منها في وقتهم، فيكون بمعنى الأول، وقيل: هو على طريق الاستفهام، معناه: هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة؟ يعني: لم يتتابع وضل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه، لأن في الاستفهام ضربا من الجحد يدل عليه، قراءة ابن عباس (بلى) بإثبات الياء، (أادارك) بفتح الألف على الاستفهام، يعني: لم يدرك، وجملة القول فيه أن الله أخبر أنم إذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب، وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا، وذكر علي بن عيسى أن معنى (بل) هاهنا لو ومعناه لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة لم يشكوا بل هم في شك منها، بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة. ﴿ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ ﴾ (٤)، جمع عم وهو الأعمى القلب. قال الكلبي: يقول هم جهلة بها.

---

(١) سورة النمل آية : ٦٦.

(٢) سورة النمل آية : ٦٦.

(٣) سورة النمل آية : ٦٦.

(٤) سورة النمل آية : ٦٦.

[٦٧] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[1]، يعني مشركي مكة، ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ۝٦٧ ﴾[2]، من قبورنا أحياء، قرأ أهل المدينة (إذا) غير مستفهم (أئنا) بالاستفهام، وقرأ ابن عامر والكسائي (أئنا) بمزتين أننا بنونين، وقرأ الآخرون باستفهامها.

[٦٨] ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا ﴾[3]، أي هذا البعث، ﴿ نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ ﴾[4]، أي من قبل محمد وليس ذلك بشيء ﴿ إِنۡ هَٰذَآ ﴾[5]، ما هذا، ﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦٨ ﴾[6]، أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها.

[٦٩] ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٦٩ ﴾[7].

[٧٠] ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾[8]، على تكذيبهم إياك وإعراضهم عنك، ﴿ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ۝٧٠ ﴾[9] نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا أعقاب مكة.

[٧١] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٧١ ﴾[10].

---

(١) سورة النمل آية : ٦٧.
(٢) سورة النمل آية : ٦٧.
(٣) سورة النمل آية : ٦٨.
(٤) سورة النمل آية : ٦٨.
(٥) سورة النمل آية : ٦٨.
(٦) سورة النمل آية : ٦٨.
(٧) سورة النمل آية : ٦٩.
(٨) سورة النمل آية : ٧٠.
(٩) سورة النمل آية : ٧٠.
(١٠) سورة النمل آية : ٧١.

[٧٢] ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ ﴾ [١]، أي دنا وقرب، ﴿ لَكُم ﴾ [٢] وقيل تبعكـم والمعنى ردفكم أدخل فيه اللام كما أدخل في قوله: ﴿ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [٣] قال الفراء: اللام صلة زائدة كما تقول: نقدته مائة ونقدت له ﴿ بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [٤] من العذاب فحل بم ذلك يوم بدر.

[٧٣] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [٥]، قال مقاتل: على أهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [٦]، ذلك.

[٧٤] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾ [٧] تخفـي، ﴿ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [٨].

[٧٥] ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ ﴾ [٩]، أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشيء غائب، ﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ [١٠]، أي في اللوح المحفوظ.

---

(١) سورة النمل آية : ٧٢.
(٢) سورة النمل آية : ٧٢.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٤.
(٤) سورة النمل آية : ٧٢.
(٥) سورة النمل آية : ٧٣.
(٦) سورة النمل آية : ٧٣.
(٧) سورة النمل آية : ٧٤.
(٨) سورة النمل آية : ٧٤.
(٩) سورة النمل آية : ٧٥.
(١٠) سورة النمل آية : ٧٥.

[٧٦] ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[١]، أي يبين لهم، ﴿ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[٢] من أمر الدين، قال الكلبي: إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض، فـ ل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه.

قوله تعالى وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ....

[٧٧] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾[٣]، يعنـي القـرآن ﴿ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[٤].

[٧٨] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى ﴾[٥]، يفصل، ﴿ بَيْنَهُم ﴾[٦]، أي بين المختلفين في الدين يـوم القيامـة، ﴿ بِحُكْمِهِۦ ﴾[٧]، الحق، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾[٨]، المنيع فلا يرد له أمر، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾[٩]، بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء.

[٧٩] ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾[١٠] البين.

---

(١) سورة النمل آية : ٧٦.
(٢) سورة النمل آية : ٧٦.
(٣) سورة النمل آية : ٧٧.
(٤) سورة النمل آية : ٧٧.
(٥) سورة النمل آية : ٧٨.
(٦) سورة النمل آية : ٧٨.
(٧) سورة النمل آية : ٧٨.
(٨) سورة النمل آية : ٧٨.
(٩) سورة النمل آية : ٧٨.
(١٠) سورة النمل آية : ٧٩.

[٨٠] ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[(١)]، يعني الكفار، ﴿ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[(٢)]، معرضين، فإن قيل ما معنى قوله: ﴿ وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[(٣)]، وإذا كانوا صما لا يسمعون سواء ولوا أو لم يولوا؟ قيل: ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة. وقيل: الأصم إذا كان حاضرا فقد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم. قال قتادة: الأصم إذا ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان، ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه، والأصم الذي لا يسمع.

[٨١] ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ ﴾[(٤)]، قرأ الأعمش وحمزة (تدي) بالتاء وفتحها على الفعل (العمي) بنصب الياء هاهنا وفي الروم، وقرأ الآخرون بادي بالياء على الاسم، (العمي) بكسر الياء، ﴿ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ ﴾[(٥)] أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان، ﴿ إِن تُسۡمِعُ ﴾[(٦)]، ما تسمع، ﴿ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾[(٧)]، إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله، ﴿ فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[(٨)] مخلصون.

(١) سورة النمل آية : ٨٠.

(٢) سورة النمل آية : ٨٠.

(٣) سورة النمل آية : ٨٠.

(٤) سورة النمل آية : ٨١.

(٥) سورة النمل آية : ٨١.

(٦) سورة النمل آية : ٨١.

(٧) سورة النمل آية : ٨١.

(٨) سورة النمل آية : ٨١.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ (١)، وجب العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم، ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ (٢)، واختلفوا في كلامها، فقال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام. وقال بعضهم: كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن، وتقول لآخر: هذا كافر. وقيل: كلامها ما قال الله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٣)، قال مقاتل: تكلمهم بالعربية، فتقول: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث، قرأ أهل الكوفة (أن الناس) بفتح الألف أي بأن الناس، وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف، أي إن الناس كانوا بآيتنا لا يوقنون قبل خروجها. قال ابن عمر: وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، وقرأ سعيد بن جبير وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي: (تكلمهم) وبفتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح، وقال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية (تكلمهم) أو (تكلم) قال: كل ذلك تفعل، تكلم المؤمن وتكلم الكافر.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ (٤) أي من كل قرن جماعة، ﴿ مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ (٥)، وليس من هاهنا للتبعيض لأن جميع المكذبين يحشرون، ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (٦)، يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا إلى النار.

---

(١) سورة النمل آية : ٨٢.
(٢) سورة النمل آية : ٨٢.
(٣) سورة النمل آية : ٨٢.
(٤) سورة النمل آية : ٨٣.
(٥) سورة النمل آية : ٨٣.
(٦) سورة النمل آية : ٨٣.

[٨٤] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو ﴾[1]، يوم القيامة، ﴿ قَالَ ﴾[2]، الله لهم، ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا ﴾[3]، ولم تعرفوها حق معرفتها، ﴿ أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[4]، حين لم تفكروا فيها ومعنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين.

[٨٥] ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ ﴾[5]، وجب العذاب، ﴿ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ ﴾[6]، بما أشركوا، ﴿ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[7]، قال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة لهم، نظيره قوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[8] ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[9]، وقيل: لا ينطقون لأن أفواههم مختومة.

[٨٦] قوله ﷻ ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ﴾[10]، خلقنا، ﴿ ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ ﴾[11]، مضيئا يبصر فيه، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[12]، يصدقون فيعتبرون.

---

(١) سورة النمل آية : ٨٤.

(٢) سورة النمل آية : ٨٤.

(٣) سورة النمل آية : ٨٤.

(٤) سورة النمل آية : ٨٤.

(٥) سورة النمل آية : ٨٥.

(٦) سورة النمل آية : ٨٥.

(٧) سورة النمل آية : ٨٥.

(٨) سورة المرسلات آية : ٣٥.

(٩) سورة المرسلات آية : ٣٦.

(١٠) سورة النمل آية : ٨٦.

(١١) سورة النمل آية : ٨٦.

(١٢) سورة النمل آية : ٨٦.

[٨٧] قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [(١)]، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل وقال الحسن: الصور هي القرن، وأول بعضهم كلامه أن الأرواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الأرواح إلى الأجساد فتحيا بالأجساد، قوله: ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [(٢)]، أي فصعق كما قـال في آيـة أخرى: ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [(٣)]، أي ماتوا، والمعنى أنه يلقي عليهم الفزع إلى أن يموتوا وقيل: ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفـزع ونفخـة الصعق ونفخة القيام لـرب العالمين، قولـه: ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [(٤)]، اختلفوا في هذا الاستثناء، روي عن أبي هريرة « أن النبي ﷺ سأل جبريل عن قوله: ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [(٥)]، قال: هم الشهداء المقلدون أسيافهم حول العرش » [(٦)] وروى سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل الفزع إليهم، وفي بعض الآثار: الشهداء ثنية الله أي الذين استثناهم الله تعالى. وقال الكلبي ومقاتل: يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الأربعة ثم يقبض الله روح ميكائيل ثم روح ملك الموت، ثم روح جبريل فيكون آخرهم موتا جبريل ﴿ وَكُلٌّ ﴾ [(٧)] أي كل الذين

---

(١) سورة النمل آية : ٨٧.
(٢) سورة النمل آية : ٨٧.
(٣) سورة الزمر آية : ٦٨.
(٤) سورة النمل آية : ٨٧.
(٥) سورة النمل آية : ٨٧.
(٦) عزاه السيوطي في الدر (٧ / ٢٤٩) لأبي يعلى والدارقطني وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي.
(٧) سورة النمل آية : ٨٧.

أحيوا بعد المـوت، ﴿ أَتَوْهُ ﴾[1]، قـرأ الأعـمش وحمـزة وحفـص ﴿ أَتَوْهُ ﴾[2] مقصورا بفتح التـاء علـى الفعـل أي جـاءوه، وقـرأ الآخـرون بالـمد وضـم التاء كقـولـه تعـالـى. ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾[3] ﴿ دَ ٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[4]، صاغرين.

[٨٨] قـال الله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾[5]، قائمـة واقفـة، ﴿ وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ ﴾[6]، أي تسير سير السحاب، ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾[7]، نصب على المصدر، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾[8]، يعني أحكـم، ﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[9]، قرأ ابن كثير وأهل البصرة بالياء والباقون بالتاء.

قوله تعالى مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم من فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ....

[٨٩] ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾[10]، بكلمة الإخلاص وهي الشهادة أن لا إله إلا الله، قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف ولا يستثني أن الحسنة لا إله إلا الله. وقال قتادة:

---

(١) سورة النمل آية : ٨٧.
(٢) سورة النمل آية : ٨٧.
(٣) سورة مريم آية : ٩٥.
(٤) سورة النمل آية : ٨٧.
(٥) سورة النمل آية : ٨٨.
(٦) سورة النمل آية : ٨٨.
(٧) سورة النمل آية : ٨٨.
(٨) سورة النمل آية : ٨٨.
(٩) سورة النمل آية : ٨٨.
(١٠) سورة النمل آية : ٨٩.

بالإخلاص. وقيل: هي كل الطاعة، ﴿ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا ﴾ [1]، قال ابن عباس: فمنها يصل الخير إليه يعني له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان فلا لأنه ليس شيء خيرا من قوله لا إله إلا الله. وقيل: ﴿ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا ﴾ [2] يعني رضوان الله، قال تعالى: ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [3]، وقال محمد بن كعب: قال عبد الرحمن بن زيد: ﴿ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا ﴾ [4] يعني الأضعاف أعطاه الله تعالى بالواحدة عشرا فصاعدا، وهذا حسن لأن للأضعاف خصائص منها أن العبد يسأل عن عمله ولا يسأل عن الأضعاف، ومنها أن للشيطان سبيلا إلى عمله وليس له سبيل إلى الأضعاف ولا مطمع للخصوم في الأضعاف ولأن الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب تبارك وتعالى، ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ ﴾ [5]، قرأ أهل الكوفة من فزع بالتنوين يومئذ بفتح الميم، وقرأ الآخرون بالإضافة لأنه أعم فإنه يقتضي الأمن من جميع فزع ذلك اليوم، وبالتنوين كأنه فزع دون فزع، ويفتح أهل المدينة الميم من يومئذ.

[٩٠] ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾ [6]، يعني الشرك، ﴿ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [7]، يعني ألقوا على وجوههم، يقال: كبت الرجل إذا ألقيته على وجهه فانكب

---

(١) سورة النمل آية : ٨٩.
(٢) سورة النمل آية : ٨٩.
(٣) سورة التوبة آية : ٧٢.
(٤) سورة النمل آية : ٨٩.
(٥) سورة النمل آية : ٨٩.
(٦) سورة النمل آية : ٩٠.
(٧) سورة النمل آية : ٩٠.

وأكب، وتقول لهم خزنة جهنم: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1]، في الدنيا من الشرك.

[٩١] قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ ﴾[2]، يقول الله لرسوله ﷺ قل إنما أمرت، ﴿ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾[3]، يعني مكة، ﴿ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾[4]، يعني جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها، ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ ﴾[5]، خلقا وملكا، ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[6]، لله.

[٩٢] ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ ﴾[7]، يعني وأمرت أن أتلو القرآن، ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾[8]، أي نفع اهتدائه يرجع إليه، ﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾[9]، عن الإيمان وأخطأ عن طريق الهدى، ﴿ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[10]، من المخوفين فليس علي إلا البلاغ، نسختها آية القتال.

---

(١) سورة النمل آية : ٩٠.
(٢) سورة النمل آية : ٩١.
(٣) سورة النمل آية : ٩١.
(٤) سورة النمل آية : ٩١.
(٥) سورة النمل آية : ٩١.
(٦) سورة النمل آية : ٩١.
(٧) سورة النمل آية : ٩٢.
(٨) سورة النمل آية : ٩٢.
(٩) سورة النمل آية : ٩٢.
(١٠) سورة النمل آية : ٩٢.

[٩٣] ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[(١)]، على نعمه، ﴿ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾[(٢)]، يعني يـوم بدر من القتل والسبي وضرب الملائكـة وجوههم وأدبارهم، نظيره قوله ﷻ ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾[(٣)]، وقال مجاهد: سيريكم آياته في السماء والأرض وفي أنفسكـم، كما قـال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[(٤)]، ﴿ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ ﴾[(٥)]، يعني تعرفون الآيات والـدلالات، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[(٦)]، وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم .

(١) سورة النمل آية : ٩٣.
(٢) سورة النمل آية : ٩٣.
(٣) سورة الأنبياء آية : ٣٧.
(٤) سورة فصلت آية : ٥٣.
(٥) سورة النمل آية : ٩٣.
(٦) سورة النمل آية : ٩٣.

(٢٨) سورة القصص

قوله تعالى طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ....

[١] ﴿ طسٓمٓ ۝١ ﴾ [(١)].

[٢] ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ ﴾ [(٢)].

[٣] ﴿ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [(٣)]، بالصدق، ﴿ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ ﴾ [(٤)] يصدقون بالقرآن.

[٤] ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا ﴾ [(٥)]، استكبر وتجبر وتعظم، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [(٦)]، أرض مصر، ﴿ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا ﴾ [(٧)] فرقا وأصنافا في الخدمة والتسخير، ﴿ يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ ﴾ [(٨)]، أراد الطائفة بني إسرائيل، ثم فسر الاستضعاف فقال، ﴿ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ ﴾ [(٩)]. سمى هذا استضعافا لأنم عجزوا أو ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ ﴾ [(١٠)].

---

(١) سورة القصص آية : ١.
(٢) سورة القصص آية : ٢.
(٣) سورة القصص آية : ٣.
(٤) سورة القصص آية : ٣.
(٥) سورة القصص آية : ٤.
(٦) سورة القصص آية : ٤.
(٧) سورة القصص آية : ٤.
(٨) سورة القصص آية : ٤.
(٩) سورة القصص آية : ٤.
(١٠) سورة القصص آية : ٤.

[٥] ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [١] يعني بني إسرائيل، ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ [٢]، قادة في الخير يقتدى بم. وقال قتادة: ولاة وملوكا دليله قوله ﷻ ﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ [٣]، وقال مجاهد: دعاة إلى الخير. ﴿ وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ۝ ﴾ [٤]، يعني أملاك فرعون وقومه يخلفونم في مساكنهم.

قوله تعالى وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْض وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ...

[٦] ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٥]، أوطّن لهم في الأرض مصر والشام، ونجعلها لهم مكانا يستقرون فيه، ﴿ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ ﴾ [٦]، قرأ الأعمش وحمزة والكسائي (يرى) بالياء وفتحها، ﴿ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا ﴾ [٧]، مرفوعات على أن الفعل لهم، وقرأ الآخرون بالنون وضمها وكسر الراء ونصب الياء ونصب ما بعده يوقع الفعل عليه، ﴿ مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝ ﴾ [٨]، والحذر هو التوقي من الضرر، وذلك أنم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل منه، فأراهم الله ما كانوا يحذرون.

---

(١) سورة القصص آية : ٥.
(٢) سورة القصص آية : ٥.
(٣) سورة المائدة آية : ٢٠.
(٤) سورة القصص آية : ٥.
(٥) سورة القصص آية : ٦.
(٦) سورة القصص آية : ٦.
(٧) سورة القصص آية : ٦.
(٨) سورة القصص آية : ٦.

[٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [١] وهو وحي إلهام ولا وحي نبوة، قال قتادة: قذفنا في قلبها، وأم موسى يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب، ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [٢]، واختلفوا في مدة الرضاع، قيل: ثمانية أشهر. وقيل - أربعة أشهر. وقيل: ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها، وهو لا يبكي ولا يتحرك، ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾ [٣]، يعني من الذبح، ﴿ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [٤]، واليم البحر وأراد هاهنا النيل، ﴿ وَلَا تَخَافِى ﴾ [٥]، قيل: لا تخافي عليه من الغرق، وقيل: من الضيعة، ﴿ وَلَا تَحْزَنِىٓ ﴾ [٦]، على فراقه، ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾ [٧]، روى عطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال. إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم إلى أن أنجاهم الله على يد نبيه.

[٨] ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ ﴾ [٨]، والالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب، ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [٩]، وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك، قرأ حمزة

---

(١) سورة القصص آية : ٧.
(٢) سورة القصص آية : ٧.
(٣) سورة القصص آية : ٧.
(٤) سورة القصص آية : ٧.
(٥) سورة القصص آية : ٧.
(٦) سورة القصص آية : ٧.
(٧) سورة القصص آية : ٧.
(٨) سورة القصص آية : ٨.
(٩) سورة القصص آية : ٨.

والكسائي (حُزْنًا) بضم الحاء وسكون الزاي، وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي وهما لغتان، ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝٨ ﴾[1]، عاصين آثمين.

[٩] قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾[2] دعه يكون قرة عين لي ولك، ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾[3] وروي أنا قالت له إنه أتانا من أرض أخرى ليس من بني إسرائيل، ﴿ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩ ﴾[4]، أن هلاكهم على يديه فاستحياه فرعون وألقى الله عليه محبته.

[١٠] وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾[5]، أي خاليا من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن: فارغا أي ناسيا للوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر ولا تخاف ولا تحزن، والعهد الذي عهد أن يرده إليها ويجعله من المرسلين، فجاءها الشيطان فقال: كرهت أن يقتله فرعون ورجاله فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فألقيته في البحر، وأغرقتيه، فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت: إنه وقع في يد عدوه الذي فررت منه، فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها. وقال أبو عبيدة: فارغا أي فارغا من الحزن لعلمها بصدق وعد الله تعالى وأنكر القتيبي هذا وقال: كيف يكون هذا والله تعالى يقول: ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾[6]، والأول أصح قوله ﷻ

---

(١) سورة القصص آية : ٨.
(٢) سورة القصص آية : ٩.
(٣) سورة القصص آية : ٩.
(٤) سورة القصص آية : ٩.
(٥) سورة القصص آية : ١٠.
(٦) سورة القصص آية : ١٠.

﴿ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ ﴾ [1]، قيل: الهاء في به راجعة إلى موسى أي كادت لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها. وقال عكرمة عن ابن عباس: كادت تقول وابناه. وقال مقاتل: لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها. وقال الكلبي: كادت تظهر أنه ابنها وذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعدما شب: موسى بن فرعون، فشق عليها وكادت تقول: بلى هو ابني. وقال بعضهم: الهاء عائدة إلى الوحي أي كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أن يرده إليها، ﴿ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا ﴾ [2]، بالعصمة والصبر والتثبيت، ﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ﴾ [3]، المصدقين لوعـد الله حين قـال لها: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ ﴾ [4].

[١١] ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ ﴾ [5]، أي لمريم أخت موسى ﴿ قُصِّيهِ ﴾ [6] اتبعي أثره حتى تعلمي خبره، ﴿ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٍ ﴾ [7] أي عن بعد، وفي القصة أنا كانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسا تُري أنا لا تنظره، ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝ ﴾ [8] أنا أخته وأنا ترقبه، قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كل همها من الدنيا أن تجد له مرضعة وكلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها، فذلك قوله ﷻ

(١) سورة القصص آية : ١٠.
(٢) سورة القصص آية : ١٠.
(٣) سورة القصص آية : ١٠.
(٤) سورة القصص آية : ٧.
(٥) سورة القصص آية : ١١.
(٦) سورة القصص آية : ١١.
(٧) سورة القصص آية : ١١.
(٨) سورة القصص آية : ١١.

[١٢] ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾[١]، والمراد من التحريم المنع والمراضع جمع المرضع، ﴿ مِن قَبْلُ ﴾[٢] أي من قبل مجيء أم موسى فلما رأت أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلبه ذلك قالت لهم: هل أدلكم؟ وفي القصة أن موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا ويصيح وهم في طلب مرضعة له، ﴿ فَقَالَتْ ﴾[٣]، يعني أخت موسى، ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ ﴾[٤]، أي يضمونه ﴿ لَكُمْ ﴾[٥]، ويرضعونه، وهي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صغيرا ترضعه، ﴿ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ۝١٢ ﴾[٦]، والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، قالوا: نعم فأتينا بها، فانطلقت إلى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها إليهم، فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه فذلك قوله تعالى:

[١٣] ﴿ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾[٧]، برد موسى إليها، ﴿ وَلَا تَحْزَنَ ﴾[٨]، أي لئلا تحزن، ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾[٩]، برده إليها، ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٣ ﴾[١٠]، أن الله وعدها رده إليها.

(١) سورة القصص آية : ١٢.
(٢) سورة القصص آية : ١٢.
(٣) سورة القصص آية : ١٢.
(٤) سورة القصص آية : ١٢.
(٥) سورة القصص آية : ١٢.
(٦) سورة القصص آية : ١٢.
(٧) سورة القصص آية : ١٣.
(٨) سورة القصص آية : ١٣.
(٩) سورة القصص آية : ١٣.
(١٠) سورة القصص آية : ١٣.

قوله تعالى وَلَما بَلغَ أَشُدهُ وَاسْتَوى آتيْناهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذلِكَ نَجْزي المُحْسِنينَ....

[١٤] ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ (١)، قال الكلبي: الأشد ما بين ثماني عشر سنة إلى ثلاثين سنة. وقال مجاهد وغيره: ثلاث وثلاثون سنة، ﴿ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ (٢)، أي بلغ أربعين سنة، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقيل: استوى انتهى شبابه ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ (٣)، أي الفقه والعقل والعلم في الدين، فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبيا، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤).

[١٥] قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ ﴾ (٥)، يعني دخل موسى المدينة، قال السدي: هي مدينة منف من أرض مصر - وقال مقاتل: كانت قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر. وقيل: مدينة عين الشمس، ﴿ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ (٦)، وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلولة. وقال محمد بن كعب القرظي: دخلها فيما بين المغرب والعشاء. واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت. قال السدي: وذلك أن موسى كان يسمى ابن فرعون، فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرفها أحد، ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ (٧)، يختصمان ويتنازعان، ﴿ هَٰذَا مِن

---

(١) سورة القصص آية : ١٤.
(٢) سورة القصص آية : ١٤.
(٣) سورة القصص آية : ١٤.
(٤) سورة القصص آية : ١٤.
(٥) سورة القصص آية : ١٥.
(٦) سورة القصص آية : ١٥.
(٧) سورة القصص آية : ١٥.

شِيعَتِهِۦ ﴾ (1)، مـن بني إسرائيل ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ ﴾ (2)، من القبط وقيل: هذا من شيعته وهذا من عدوه أي هذا مؤمن وهذا كافر، ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ (3)، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، والاستغاثة طلب الغوث فغضب موسى واشتد غضبه لأنه تناوله وهو يعلم م لة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة من أم موسى ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ ﴾ (4)، وقرأ ابن مسعود (فلكزه موسى) ومعناهما واحد وهو الضرب بجميع الكف. وقيل: الوكز الضرب في الصدر واللكز في الظهر. وقال الفراء: معناهما واحد وهو الدفع، قال أبو عبيدة: الوكز الدفع بأطراف الأصابع؟ ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ ﴾ (5)، أي فقتله وفرغ من أمره، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه، فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (6)، أي بَينُ الضلالة.

[١٦] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ﴾ (7)، بقتل القبطي من غير أمر، ﴿ فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ (8).

---

(١) سورة القصص آية : ١٥.

(٢) سورة القصص آية : ١٥.

(٣) سورة القصص آية : ١٥.

(٤) سورة القصص آية : ١٥.

(٥) سورة القصص آية : ١٥.

(٦) سورة القصص آية : ١٥.

(٧) سورة القصص آية : ١٦.

(٨) سورة القصص آية : ١٦.

[١٧] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾(١)، بالمغفرة، ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ﴾(٢)، عونا، ﴿ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾(٣)، قال ابن عباس: للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرا، وهو قول مقاتل، قال قتادة: لن أعين بعدها على خطيئة، قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني.

[١٨] ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾(٤) أي في المدينة التي قتل فيها القبطي ﴿ خَآئِفًا ﴾(٥)، من قتله القبطي، ﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾(٦)، ينتظر سوءا، والترقب: انتظار المكروه، قال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به، ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾(٧)، يستغيثه ويصيح به من بعيد ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ ﴾(٨)، للإسرائيلي ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾(٩).

ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثي عليه وقيل: إنما قال موسى للفرعوني: إنك لغوي مبين بظلمك. والأول أصوب وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيلي.

(١) سورة القصص آية : ١٧.
(٢) سورة القصص آية : ١٧.
(٣) سورة القصص آية : ١٧.
(٤) سورة القصص آية : ١٨.
(٥) سورة القصص آية : ١٨.
(٦) سورة القصص آية : ١٨.
(٧) سورة القصص آية : ١٨.
(٨) سورة القصص آية : ١٨.
(٩) سورة القصص آية : ١٨.

[١٩] ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ [(١)]، وذلك أن موسى أدركته الرقة بالإسرائيلي فعد يده ليبطش بالفرعوني فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش له لما رأى من غضبه ومع قوله إنك لغوي مبين، ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ ﴾ [(٢)] ما تريد، ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٣)] بالقتل ظلما، ﴿ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [(٤)]، فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق إلى فرعون وأخبره بذلك، وأمر فرعون بقتل موسى. قال ابن عباس: فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم.

[٢٠] ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ ﴾ [(٥)] من شيعة موسى، ﴿ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [(٦)]، أي من آخرها ﴿ يَسْعَىٰ ﴾ [(٧)]، أي يسرع في مشيه فأخذ طريقا قريبا حتى سبق إلى موسى فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقا آخر، ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ [(٨)]، يعني أشراف قوم فرعون يتشاورون فيك، ﴿ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [(٩)]، قال الزجاج: يأمر بعضهم

---

(١) سورة القصص آية : ١٩.
(٢) سورة القصص آية : ١٩.
(٣) سورة القصص آية : ١٩.
(٤) سورة القصص آية : ١٩.
(٥) سورة القصص آية : ٢٠.
(٦) سورة القصص آية : ٢٠.
(٧) سورة القصص آية : ٢٠.
(٨) سورة القصص آية : ٢٠.
(٩) سورة القصص آية : ٢٠.

بعضا بقتلك، ﴿ فَٱخۡرُجۡ ﴾[1]، من المدينة، ﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ ﴾[2]، في الأمر لك بالخروج.

[٢١] ﴿ فَخَرَجَ مِنۡهَا ﴾[3]، موسى، ﴿ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ ﴾[4]، أي ينتظر الطلب، ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ ﴾[5]، الكافرين.

قوله تعالى وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ...

[٢٢] ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ ﴾[6] أي قصد نحوها ماضيا يقال: داره تلقاء دار فلان إذا كانت محاذيتها، وأصله من اللقاء، قال الزجاج: يعني سلك الطريق التي يلقى مدين فيها، ومدين هو مدين بن إبراهيم سميت البلدة باسمه، وكان موسى قد خرج خائفا بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد، وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر، ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢ ﴾[7]، أي قصد الطريق إلى مدين، قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها.

[٢٣] ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ ﴾[8]، وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم، ﴿ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ ﴾[9]، جماعة، ﴿ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ ﴾[1]، مواشيهم، ﴿ وَوَجَدَ

---

(١) سورة القصص آية : ٢٠.
(٢) سورة القصص آية : ٢٠.
(٣) سورة القصص آية : ٢١.
(٤) سورة القصص آية : ٢١.
(٥) سورة القصص آية : ٢١.
(٦) سورة القصص آية : ٢٢.
(٧) سورة القصص آية : ٢٢.
(٨) سورة القصص آية : ٢٣.
(٩) سورة القصص آية : ٢٣.

﴿ مِن دُونِهِمُ ﴾ [2]، يعني سوى الجماعة، ﴿ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ ﴾ [3]، يعني تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر، قال الحسن: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس. وقال قتادة: تكفان الناس عن أغنامهما. وقيل: تمنعان أغنامهما عن أن تشذ وتذهب. والقول الأول أصوبهما لما بعده وهو قوله: ﴿ قَالَ ﴾ [4]، يعني موسى للمرأتين، ﴿ مَا خَطۡبُكُمَاۖ ﴾ [5]، ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس، ﴿ قَالَتَا لَا نَسۡقِي ﴾ [6]، أغنامنا، ﴿ حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ ﴾ [7]، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر (يَصْدُرَ) بفتح الياء وضم الدال على اللزوم، أي حتى يرجع الرعاء عن الماء، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء، والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار، ومعنى الآية: لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء لأنا امرأتان لا نطيق أن نستسقي ولا نستطيع أن نزاحـم الرجـال، فإذا صـدروا سقينـا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض، ﴿ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [8]، لا يقدر أن يسقي مواشيه، فلذلك احتجنا نحن إلى سقي الغنم. واختلفوا في اسم أبيهما، فقال مجاهد والضحاك والسدى والحسن: شعيب النبي عليه السلام. وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير: هو بيرون بن أخي شعيب، فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس، فسقى غنم المرأتين. فذلك قوله:

---

(١) سورة القصص آية : ٢٣.
(٢) سورة القصص آية : ٢٣.
(٣) سورة القصص آية : ٢٣.
(٤) سورة القصص آية : ٢٣.
(٥) سورة القصص آية : ٢٣.
(٦) سورة القصص آية : ٢٣.
(٧) سورة القصص آية : ٢٣.
(٨) سورة القصص آية : ٢٣.

[٢٤] ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ [(١)]، ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع، ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ ﴾ [(٢)]، من طعام، ﴿ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [(٣)]، قال أهل اللغة: اللام بمعنى إلى يقال: هو فقير له وفقير إليه يقول: إني لما أنزلت إلي من خير أي طعام فقير محتاج، كان يطلب الطعام لجوعه فلما رجعتا إلى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحداهما: أذهبي فادعيه لي.

[٢٥] قال الله تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [(٤)] قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة، ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [(٥)] فمشت المرأة ومشى موسى خلفها، فكانت الريح تضرب ثوبا فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها، فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت ففعلت ذلك، ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾ [(٦)]، يعني أمره أجمع، من قتله القبطي وقصد فرعون قتله، ﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(٧)]، يعني فرعون وقومه، وإنما قال هذا لأنه لم يكن لفرعون سلطان على أهل مدين.

---

(١) سورة القصص آية : ٢٤.
(٢) سورة القصص آية : ٢٤.
(٣) سورة القصص آية : ٢٤.
(٤) سورة القصص آية : ٢٥.
(٥) سورة القصص آية : ٢٥.
(٦) سورة القصص آية : ٢٥.
(٧) سورة القصص آية : ٢٥.

[٢٦] ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ ﴾ [١]، اتخذه أجيرا ليرعى أغنامنا، ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٢]، يعني خير من استعملت من قوي على العمل وأداء الأمانة، فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فإنه رفع حجرا من رأس البر لا يرفعه إلا عشرة. وقيل: إلا أربعون رجلا. وأما أمانته فإنه قال لي: امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك.

[٢٧] ﴿ قَالَ ﴾ [٣] شعيب عند ذلك، ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ ﴾ [٤] قيل: زوجه الكبرى وذهب أكثرهم إلى أنه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورة وهي التي ذهبت لطلب موسى، ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ ﴾ [٥]، يعني أن تكون أجيرا لي ثمان سنين، قال الفراء: يعني اجعل ثوابي من تزويجها أن ترعى غنمي، تقول العرب: أجرك الله بأجرك أي أثابك والحجج السنون واحدتا حجة، ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ ﴾ [٦]، أي إن أتممت عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع، وليس بواجب عليك، ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ ﴾ [٧]، أن ألزمك تمام العشر إلا أن تتبرع، ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٨]، قال عمر: يعني في حسن الصحبة والوفاء بما قلت.

---

(١) سورة القصص آية : ٢٦.
(٢) سورة القصص آية : ٢٦.
(٣) سورة القصص آية : ٢٧.
(٤) سورة القصص آية : ٢٧.
(٥) سورة القصص آية : ٢٧.
(٦) سورة القصص آية : ٢٧.
(٧) سورة القصص آية : ٢٧.
(٨) سورة القصص آية : ٢٧.

[٢٨] ﴿ قَالَ ﴾[1]، موسى ﴿ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾[2]، يعني هذا الشرط بيني وبينك، فما شرطت علي فلك وما شرطت أن تزويج إحداهما فلي، والأمر بيننا، تم الكلام ثم قال: ﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾[3]، يعني أي الأجلين (وما) صلة نصب بمعنى أتممت أو فرغت من الثمان أو العشر، ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ﴾[4] لا ظلم لي بأن أطالب بأكثر منهـم، ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[5]، قال ابن عباس ومقاتل: شهيد فيما بيني وبينك.

قوله تعالى فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا...

[٢٩] ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾[6]، يعني أتمه وفرغ منه، ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾[7]، فخرج بأهله إلى جانب مصر، ﴿ ءَانَسَ ﴾[8] يعني أبصر، ﴿ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾[9]، وكان في البرية في ليلة مظلمة شاتية شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق، ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾[10]، يعني عن

(١) سورة القصص آية : ٢٨.
(٢) سورة القصص آية : ٢٨.
(٣) سورة القصص آية : ٢٨.
(٤) سورة القصص آية : ٢٨.
(٥) سورة القصص آية : ٢٨.
(٦) سورة القصص آية : ٢٩.
(٧) سورة القصص آية : ٢٩.
(٨) سورة القصص آية : ٢٩.
(٩) سورة القصص آية : ٢٩.
(١٠) سورة القصص آية : ٢٩.

الطريق لأنه كان قد أخطأ الطريق، ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [(١)]، يعني قطعة وشعلة من النار، وفيها ثلاث لغات: قرأ عاصم (جَذْوَةٍ) بفتح الجيـم، وقرأ حمزة بضمها وقرأ الآخرون بكسرها، قال قتادة ومقاتل: هي العود الذي قـد احترق بعضـه وجمعهـا أجـذى، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [(٢)]، تستدفئون.

[٣٠] ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ [(٣)]، يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى، ﴿ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ ﴾ [(٤)]، لموسى جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا. وقال عطاء: يريد المقدسة، ﴿ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [(٥)]، من ناحية الشجرة ﴿ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(٦)].

[٣١] ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾ [(٧)]، تتحرك، ﴿ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ [(٨)]، وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها، ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ [(٩)] هاربا منها، ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ

---

(١) سورة القصص آية : ٢٩.
(٢) سورة القصص آية : ٢٩.
(٣) سورة القصص آية : ٣٠.
(٤) سورة القصص آية : ٣٠.
(٥) سورة القصص آية : ٣٠.
(٦) سورة القصص آية : ٣٠.
(٧) سورة القصص آية : ٣١.
(٨) سورة القصص آية : ٣١.
(٩) سورة القصص آية : ٣١.

﴿ ﴾[1]، لم يرجع فنودي، ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

[٣٢] ﴿ ٱسْلُكْ ﴾[3]، أدخل ﴿ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾[4].

برص فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس، ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ ﴾[5]، قرأ أهل الكوفة والشام بضم الواو وسكون الهاء وبفتح الراء حفص، وقرأ الآخرون بفتحها وكلها لغات بمعنى الخوف ومعنى الآية إذا هَالَكَ أمر يدك ما ترى من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى والجناح اليد كلها. وقيل: هو العضد. وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم: أمره الله بضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية. وقيل: المراد من ضم الجناح السكون يعني سكن روعك واخفض عليك جأشك لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه، ومثله قوله: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾[6] يريد الرفق، وقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[7] أي ارفق بم وألن جانبك لهم، وقال الفراء: أراد بالجناح العصا، معناه اضمم إليك عصاك، وقيل: الرهب الكم بلغة حمير، قال الأصمعي: سمعت بعض الأعراب يقول: أعطني ما في رهبك أي في كمك، معناه اضمم إليك يدك وأخرجها من الكم، لأنه تناول العصا ويده في كمه، ﴿

(١) سورة القصص آية : ٣١.
(٢) سورة القصص آية : ٣١.
(٣) سورة القصص آية : ٣٢.
(٤) سورة القصص آية : ٣٢.
(٥) سورة القصص آية : ٣٢.
(٦) سورة الإسراء آية : ٢٤.
(٧) سورة الشعراء آية : ٢١٥.

﴿ فَذَٰنِكَ ﴾[1]، يعني العصا واليد البيضـاء، ﴿ بُرْهَـٰنَانِ ﴾[2]، آيتـان، ﴿ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3].

[٣٣] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾[4].

[٣٤] ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾[5]، وإنما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه، ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا ﴾[6]، عونا، يقال: ردأته أي أعنته، ﴿ يُصَدِّقُنِيٓ ﴾[7]، قرأ ابن عمر وعامر وحمزة برفع القاف على الحال، أي ردا مصدقا، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الدعاء والتصديق لهارون في قول الجميع، قال مقاتل: لكي يصدقني فرعون، ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾[8]، يعني فرعون وقومه.

[٣٥] ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾[9]، أي نقويك بأخيك وكان هارون يومئذ بمصر، ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا ﴾[10] حجة وبرهانا، ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ

---

(١) سورة القصص آية : ٣٢.
(٢) سورة القصص آية : ٣٢.
(٣) سورة القصص آية : ٣٢.
(٤) سورة القصص آية : ٣٣.
(٥) سورة القصص آية : ٣٤.
(٦) سورة القصص آية : ٣٤.
(٧) سورة القصص آية : ٣٤.
(٨) سورة القصص آية : ٣٤.
(٩) سورة القصص آية : ٣٥.
(١٠) سورة القصص آية : ٣٥.

بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ [(١)]، أي لا يصلون إليكما بقتل ولا سوء لمكان آياتنا، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ونجعل لكما سلطانا بآياتنا بما نعطيكما من المعجزات فلا يصلون إليكما، ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [(٢)]، أي لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه.

قوله تعالى فَلَما جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأولينَ....

[٣٦] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ [(٣)]، واضحات، ﴿ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ [(٤)] مختلف ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ [(٥)] بالذي تدعونا إليه، ﴿ فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [(٦)].

[٣٧] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ ﴾ [(٧)] بالمحق من المبطل، ﴿ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ [(٨)]، يعني العقبى المحمودة في الدار الآخرة، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [(٩)] يعني الكافرون.

---

(١) سورة القصص آية : ٣٥.
(٢) سورة القصص آية : ٣٥.
(٣) سورة القصص آية : ٣٦.
(٤) سورة القصص آية : ٣٦.
(٥) سورة القصص آية : ٣٦.
(٦) سورة القصص آية : ٣٦.
(٧) سورة القصص آية : ٣٧.
(٨) سورة القصص آية : ٣٧.
(٩) سورة القصص آية : ٣٧.

[٣٨] ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ ﴾[1]، يعني فاطبخ لي الآجر، وقيل: إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به، ﴿ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا ﴾[2]، قصرا عاليا، وقيل: منارة، ﴿ لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾[3]، أنظر إليه وأقف على حاله، ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ ﴾[4]، يعني موسى، ﴿ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ ﴾[5]، في زعمه أن للأرض وللخلق إلها غيري، وأنه رسوله.

[٣٩] ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ ﴾[6]، قرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب: (يَرْجِعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون بضم الياء وفتح الجيم.

[٤٠] ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾[7].

[٤١] ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ ﴾[8]، قادة ورؤساء، ﴿ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١ ﴾[9]، لا ينجون من العذاب.

---

(١) سورة القصص آية : ٣٨.
(٢) سورة القصص آية : ٣٨.
(٣) سورة القصص آية : ٣٨.
(٤) سورة القصص آية : ٣٨.
(٥) سورة القصص آية : ٣٨.
(٦) سورة القصص آية : ٣٩.
(٧) سورة القصص آية : ٤٠.
(٨) سورة القصص آية : ٤١.
(٩) سورة القصص آية : ٤١.

[٤٢] ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾[١]، خزيا وعذابا، ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[٢]، من المبعدين الملعونين، وقال أبو عبيدة: من المهلكين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون، يقال: قبحه الله وقبحه إذا جعله قبيحا، ويقال: قبحه قبحا وقبوحا إذا أبعد من كل خير.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[٣]، يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى، ﴿ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ ﴾[٤]، يعني ليبصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به، ﴿ وَهُدًى ﴾[٥]، من الضلال لمن عمل به، ﴿ وَرَحْمَةً ﴾[٦]، لمن آمن به، ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٧] بما فيه من المواعظ والبصائر.

قوله تعالى وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ....

[٤٤] ﴿ وَمَا كُنتَ ﴾[٨] يا محمد ﴿ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ ﴾[٩]، يعني بجانب الجبل الغربي، قاله قتادة والسدي، وقال الكلبي: بجانب الوادي الغربي. قال ابن عباس رضي الله

(١) سورة القصص آية : ٤٢.
(٢) سورة القصص آية : ٤٢.
(٣) سورة القصص آية : ٤٣.
(٤) سورة القصص آية : ٤٣.
(٥) سورة القصص آية : ٤٣.
(٦) سورة القصص آية : ٤٣.
(٧) سورة القصص آية : ٤٣.
(٨) سورة القصص آية : ٤٤.
(٩) سورة القصص آية : ٤٤.

عنهما: يريد حيث ناجى موسى ﴿ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾[1]، يعني عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه، ﴿ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2] الحاضرين ذلك المنام فتذكره من ذات نفسك.

[٤٥] ﴿ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا ﴾[3]، خلقنا أمما من بعد موسى عليه السلام، ﴿ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾[4]، أي طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وميثاقه وتركوا أمره، وذلك أن الله تعالى قد عهد إلى موسى وقومه عهودا في محمد والإيمان به، فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها، ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا ﴾[5]، مقيما، ﴿ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾[6]، كمقام موسى وشعيب فيهم، ﴿ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ﴾[7]، تذكرهم بالوعد والوعيد، قال مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم، ﴿ وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[8]، أي أرسلناك رسولا وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الأخبار، فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولم تخبرهم بها.

(١) سورة القصص آية : ٤٤.
(٢) سورة القصص آية : ٤٤.
(٣) سورة القصص آية : ٤٥.
(٤) سورة القصص آية : ٤٥.
(٥) سورة القصص آية : ٤٥.
(٦) سورة القصص آية : ٤٥.
(٧) سورة القصص آية : ٤٥.
(٨) سورة القصص آية : ٤٥.

[٤٦] ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾[(١)]، بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى، ﴿ إِذْ نَادَيْنَا ﴾[(٢)]، قيل: إذ نادينا موسى خذ الكتاب بقوة، ﴿ وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[(٣)] أي ولكن رحمناك رحمة بإرسالك وبالوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك، ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[(٤)]، يعني أهل مكة، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[(٥)].

[٤٧] ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ ﴾[(٦)]، عقوبة ونقمة، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[(٧)] من الكفر والمعصية، ﴿ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ ﴾[(٨)]، هلا، ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[(٩)]، وجواب لولا محذوف أي لعاجلناهم بالعقوبة، يعني لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم. وقيل: معناه لما بعثناك إليهم رسولا ولكن بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

---

(١) سورة القصص آية : ٤٦.
(٢) سورة القصص آية : ٤٦.
(٣) سورة القصص آية : ٤٦.
(٤) سورة القصص آية : ٤٦.
(٥) سورة القصص آية : ٤٦.
(٦) سورة القصص آية : ٤٧.
(٧) سورة القصص آية : ٤٧.
(٨) سورة القصص آية : ٤٧.
(٩) سورة القصص آية : ٤٧.

[٤٨] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا ﴾[١]، يعني محمدا ﷺ ﴿ قَالُواْ ﴾[٢]، يعني كفار مكة، ﴿ لَوۡلَآ ﴾[٣]، هلا ﴿ أُوتِيَ ﴾[٤] محمد، ﴿ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ ﴾[٥]، من الآيات كاليد البيضاء والعصا، وقيل: مثل ما أوتي موسى كتابا جملة واحدة. قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ ﴾[٦]، أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد، ﴿ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا ﴾[٧]، قرأ أهل الكوفة: (سحران) أي التوراة والقرآن تظاهرا يعني كل سحر يقوي الآخر نسب التظاهر إلى السحرين على الاتساع، قال الكلبي: كانت مقالتهم تلك حين بعثوا في أمر رسول ﷺ إلى رءوس اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد فأخبروهم أن نعته في كتابهم التوراة، فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا: ﴿ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا ﴾[٨]، وقرأ الآخرون: (ساحران) يعنون محمدا وموسى عليهما السلام، لأن معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب، ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٩].

(١) سورة القصص آية : ٤٨.
(٢) سورة القصص آية : ٤٨.
(٣) سورة القصص آية : ٤٨.
(٤) سورة القصص آية : ٤٨.
(٥) سورة القصص آية : ٤٨.
(٦) سورة القصص آية : ٤٨.
(٧) سورة القصص آية : ٤٨.
(٨) سورة القصص آية : ٤٨.
(٩) سورة القصص آية : ٤٨.

[٤٩] ﴿ قُلۡ ﴾ (١)، لهم يا محمد ﴿ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ ﴾ (٢)، يعني مـن التـوراة والقـرآن، ﴿ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٩ ﴾ (٣).

[٥٠] ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ ﴾ (٤) أي لم يأتوا بما طلبت، ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٠ ﴾ (٥).

قوله تعالى وَلَقَدْ وَصلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلهُمْ يَتذَكرُونَ...

[٥١] ﴿ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ (٦)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينا، قال الفراء: أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا قال قتادة: وصل لهم القول في هذا القرآن يعني كيف صنع بمن مضى. قال مقاتل: بينا لكفار مكة بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم، وقال ابن زيد: وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنم عاينوا الآخرة في الدنيا، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١ ﴾ (٧).

[٥٢] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ (٨)، من قبل محمد ﷺ وقيل. من قبل القرآن، ﴿ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ ﴾ (١)، نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام

---

(١) سورة القصص آية : ٤٩.
(٢) سورة القصص آية : ٤٩.
(٣) سورة القصص آية : ٤٩.
(٤) سورة القصص آية : ٥٠.
(٥) سورة القصص آية : ٥٠.
(٦) سورة القصص آية : ٥١.
(٧) سورة القصص آية : ٥١.
(٨) سورة القصص آية : ٥٢.

وأصحابه، وقال مقاتل: بل هم أهل الإنجيل الذي قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي ﷺ وقال سعيد بن جبير: هم أربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا: يا نبي الله ! إن لنا أموالا فإن أذنت لنا انصرفنا وجئنا بأموالنا فواسينـا المسلمين بـها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، فـ ل فيهم. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [٢] إلى قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٥٤ ﴾ [٣]، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام، ثم وصفهم الله فقال:

[٥٣] ﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [٤]، يعني القرآن، ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ﴾ [٥]، وذلك أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣ ﴾ [٦]، أي من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد ﷺ أنه نبي حق.

[٥٤] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ ﴾ [٧]، لإيمانهم بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [٨]، على دينهم، قال مجاهد: نزلت في قوم من أهل الكتاب

---

(١) سورة القصص آية : ٥٢.
(٢) سورة القصص آية : ٥٢.
(٣) سورة القصص آية : ٥٤.
(٤) سورة القصص آية : ٥٣.
(٥) سورة القصص آية : ٥٣.
(٦) سورة القصص آية : ٥٣.
(٧) سورة القصص آية : ٥٤.
(٨) سورة القصص آية : ٥٤.

أسلموا فأوذوا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك، قال مقاتل. يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو والمغفرة، ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1]، في الطاعة.

[55] ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ ﴾[2]، القبيح من القول، ﴿ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[3] وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم، ﴿ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ﴾[4]، لنا ديننا ولكم دينكم، ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾[5]، ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة، معناه سلمتم منا لا نعاوضكم بالشتم والقبح من القول، ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[6]، أي دين الجاهلين، يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه. وقيل: لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسعة، وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال.

[56] قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[7]، أي أحببت هدايته. وقيل: أحببته لقرابته، ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[8]، قال مجاهد ومقاتل: بمن قدر له الهدى، نزلت في أبي طالب قال له النبي ﷺ ﴿ قل لا إله إلا الله

---

(1) سورة القصص آية : 54.
(2) سورة القصص آية : 55.
(3) سورة القصص آية : 55.
(4) سورة القصص آية : 55.
(5) سورة القصص آية : 55.
(6) سورة القصص آية : 55.
(7) سورة القصص آية : 56.
(8) سورة القصص آية : 56.

أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ﴾[1]، فأنزل الله تعالى هذه الآية [2].

[٥٧] ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ ﴾[3]، أرض مكة، نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي ﷺ إنا لنعلم أن الذي تقول حق ولكنا إن اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة، وهو معنى قوله: ﴿ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ ﴾[4]، والاختطاف الانتزاع بسرعة، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[5]، وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا، لحرمة الحرم، ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة، ﴿ يُجۡبَىٰٓ ﴾[6]، قرأ أهل المدينة ويعقوب: (تجبى) بالتاء لأجل الثمرات، والآخرون بالياء للحائل بين الاسم المؤنث والفعل، أي يجلب ويجمع، ﴿ إِلَيۡهِ ﴾[7]، يقال: جبيت العامة في الحوض أي جمعته، قال مقاتل: يحمل إلى الحرم، ﴿ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ ﴾[8]، أن ما يقوله حق.

---

(١) مسلم الإيمان (٢٥)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٨٨)، أحمد (٢/٤٤١).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٢٤) ١ / ٥٥ والبخاري مطولا بلفظ آخر في التفسير ٨ / ٦٠٥.

(٣) سورة القصص آية : ٥٧.

(٤) سورة القصص آية : ٥٧.

(٥) سورة القصص آية : ٥٧.

(٦) سورة القصص آية : ٥٧.

(٧) سورة القصص آية : ٥٧.

(٨) سورة القصص آية : ٥٧.

[٥٨] قوله ﷻ ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ ﴾[١]، أي من أهل قرية، ﴿ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ ﴾[٢]، أي في معيشتها، أي أشرت وطغت، قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام، ﴿ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ ﴾[٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسكنها إلا المسافرون وما رأوا الطريق يوما أو ساعة، معناه لم تسكن مـن بعدهـم إلا سكونا قليلا. وقيل: معناه لم يعمر منها إلا أقلها وأكثرها خراب، ﴿ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥٨ ﴾[٤]، كقوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا ﴾[٥].

[٥٩] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ ﴾[٦]، أي القرى الكافر أهلها، ﴿ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا ﴾[٧]، يعني في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الأعظم ببعثة الرسول فيها لأن الرسول يبعث إلى الأشراف والأشراف يسكنون المدائن، والمواضع التي هي أم ما حولها، ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ ﴾[٨]، قال مقاتل: يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا، ﴿ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩ ﴾[٩]، مشركون، يريد أهلكهم بظلمهم.

---

(١) سورة القصص آية : ٥٨.
(٢) سورة القصص آية : ٥٨.
(٣) سورة القصص آية : ٥٨.
(٤) سورة القصص آية : ٥٨.
(٥) سورة مريم آية : ٤٠.
(٦) سورة القصص آية : ٥٩.
(٧) سورة القصص آية : ٥٩.
(٨) سورة القصص آية : ٥٩.
(٩) سورة القصص آية : ٥٩.

قوله تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾....

[٦٠] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾ (١)، تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝﴾ (٢)، أن الباقي خير من الفاني، قرأ عامة القراء: (تعقلون) بالتاء وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء.

[٦١] ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا﴾ (٣)، أي الجنة، ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ (٤)، مصيبه ومدركه وصائر إليه، ﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ (٥)، ويزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ۝﴾ (٦) النار، قال قتادة: يعني المؤمن والكافر، قال مجاهد: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل، وقال محمد بن كعب: نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل، وقال السدي: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة.

[٦٢] ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ۝﴾ (٧)، في الدنيا أنهم شركائي.

[٦٣] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ (٨) أوجب عليهم العذاب وهم رءوس الضلالة، ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾ (١)، أي دعونا إلى الغي وهم الأتباع، ﴿

---

(١) سورة القصص آية : ٦٠.
(٢) سورة القصص آية : ٦٠.
(٣) سورة القصص آية : ٦١.
(٤) سورة القصص آية : ٦١.
(٥) سورة القصص آية : ٦١.
(٦) سورة القصص آية : ٦١.
(٧) سورة القصص آية : ٦٢.
(٨) سورة القصص آية : ٦٣.

أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ (٢)، أضللناهم كما ضللنا، ﴿ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ﴾ (٣)، منهم، ﴿ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (٤) برئ بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (٥).

[٦٤] ﴿ وَقِيلَ ﴾ (٦)، للكفار، ﴿ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ (٧) أي الأصنام لتخلصكم من العذاب، ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ (٨)، لم يجيبوهم، ﴿ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٩)، وجواب لو محذوف على تقدير لو أنم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب.

[٦٥] ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ (١٠)، أي يسأل الله الكفار، ﴿ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (١١).

[٦٦] ﴿ فَعَمِيَتْ ﴾ (١)، خفيت واشتبهت، ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ ﴾ (٢)، أي الأخبار والأعذار، وقال مجاهد: الحجج، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ (٣)، فلا يكون لهم عذر ولا حجة،

(١) سورة القصص آية : ٦٣.
(٢) سورة القصص آية : ٦٣.
(٣) سورة القصص آية : ٦٣.
(٤) سورة القصص آية : ٦٣.
(٥) سورة الزخرف آية : ٦٧.
(٦) سورة القصص آية : ٦٤.
(٧) سورة القصص آية : ٦٤.
(٨) سورة القصص آية : ٦٤.
(٩) سورة القصص آية : ٦٤.
(١٠) سورة القصص آية : ٦٥.
(١١) سورة القصص آية : ٦٥.

حجـة، ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[4] لا يجيبون، وقال قتادة: لا يحتجون، وقيل: يسكتون لا يسأل بعضهم بعضا.

[٦٧]. ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾[5]، من السعداء الناجين.

[٦٨] قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[6]، نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم. قوله ﷻ ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾[7]، قيل: (ما) للإثبات، معناه: ويختار الله ما كان لهم الخيرة، أي يختار ما هو الأصلح والخير. وقيل: هو للنفي أي ليس إليهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله كما قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾[8]، والخيرة اسم من الاختيار يقام مقام المصدر، وهي اسم للمختار أيضا كما يقال: محمد خيرة الله من خلقه، ثم نزه نفسه فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[9].

---

(١) سورة القصص آية : ٦٦.
(٢) سورة القصص آية : ٦٦.
(٣) سورة القصص آية : ٦٦.
(٤) سورة القصص آية : ٦٦.
(٥) سورة القصص آية : ٦٧.
(٦) سورة القصص آية : ٦٨.
(٧) سورة القصص آية : ٦٨.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٣٦.
(٩) سورة القصص آية : ٦٨.

[٦٩] ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (١)، يظهرون.

[٧٠] ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ ﴾ (٢) يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة، ﴿ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ (٣)، فصل القضاء بين الخلق. قال ابن عباس رضي الله عنهما: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤).

قوله تعالى قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ...

[٧١] قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾ (٥)، أخبروني يا أهل مكة ﴿ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾ (٦)، دائما، ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (٧) لا نار معه، ﴿ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ ﴾ (٨)، بنهار تطلبون فيه المعيشة، ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (٩)، سماع فهم وقبول.

---

(١) سورة القصص آية : ٦٩.
(٢) سورة القصص آية : ٧٠.
(٣) سورة القصص آية : ٧٠.
(٤) سورة القصص آية : ٧٠.
(٥) سورة القصص آية : ٧١.
(٦) سورة القصص آية : ٧١.
(٧) سورة القصص آية : ٧١.
(٨) سورة القصص آية : ٧١.
(٩) سورة القصص آية : ٧١.

[٧٢] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾ [(١)] أخبروني يا أهل مكة ﴿ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [(٢)]، لا دليل فيه، ﴿ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [(٣)]، ما أنتم عليه من الخطأ.

[٧٣] ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ [(٤)]، أي في الليل، ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [(٥)]، نعم الله عز وجل.

[٧٤] ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [(٦)]، كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ.

[٧٥] ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ [(٧)]، أخرجنا، ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [(٨)]، يعني رسولهم الذي أرسل إليهم كما قال. فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ [(٩)]، حجتكم بأن معي شريكا. ﴿ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ ﴾ [(١٠)]، التوحيد، ﴿ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [(١١)]، في الدنيا.

---

(١) سورة القصص آية : ٧٢.
(٢) سورة القصص آية : ٧٢.
(٣) سورة القصص آية : ٧٢.
(٤) سورة القصص آية : ٧٣.
(٥) سورة القصص آية : ٧٣.
(٦) سورة القصص آية : ٧٤.
(٧) سورة القصص آية : ٧٥.
(٨) سورة القصص آية : ٧٥.
(٩) سورة القصص آية : ٧٥.
(١٠) سورة القصص آية : ٧٥.
(١١) سورة القصص آية : ٧٥.

[٧٦] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ ﴾[١]، كان ابن عمه لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام، وموسى بن عمران بن قاهث، وقال ابن إسحاق: كان قارون عم موسى كان أخا عمران، وهما ابنا يصهر، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون، ولكنه نافق كما نافق السامري، ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾[٢]، قيل: كان عاملا لفرعون على بني إسرائيل، فكان يبغي عليهم ويظلمهم، وقال قتادة: بغى عليهم بكثرة المال، وقال الضحاك: بغى عليهم بالشرك، وقيل: بغى عليهم بالكبر والعلو ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ ﴾[٣]، هي جمع مفتاح وهو الذي يفتح به الباب، هذا قول قتادة ومجاهد وجماعة، وقيل: مفاتح خزائنه، كما قال: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾[٤] أي خزائنه ﴿ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ ﴾[٥]، لتثقلهم أي وتميل بهم إذا حملوها لثقلها، قال أبو عبيدة: هذا من المقلوب تقديره: ما إن العصبة لتنوء بها، يقال: ناء فلان بكذا إذا نهض به مثقلا، واختلفوا في عدد العصبة قال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين. وقيل: أربعون رجلا. وقيل: سبعون ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ ﴾[٦]، قال لقارون قومه من بني إسرائيل ﴿ لَا

(١) سورة القصص آية : ٧٦.
(٢) سورة القصص آية : ٧٦.
(٣) سورة القصص آية : ٧٦.
(٤) سورة الأنعام آية : ٥٩.
(٥) سورة القصص آية : ٧٦.
(٦) سورة القصص آية : ٧٦.

﴿ تَفۡرَحۡ ﴾ [1]، لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ ﴾ [2]، الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.

[٧٧] ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ [3] اطلب فيما أعطاك الله من الأمـوال والنعمـة الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [4]، قال مجاهد وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا والآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للآخرة وقال السدي: بالصدقة وصلة الرحم، وقال علي: لا تنس صحتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة، قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» الحديث صحيح مرسل [5] قال الحسن: أمر أن يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه، قال منصور بن زاذان في قوله: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [6] قـال: قوتـك وقـوت أهـلك، ﴿ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ

(١) سورة القصص آية : ٧٦.
(٢) سورة القصص آية : ٧٦.
(٣) سورة القصص آية : ٧٧.
(٤) سورة القصص آية : ٧٧.
(٥) أخرجه مرسلا كما ذكر المصنف أبو نعيم في الحلية ٤ / ١٤٨ والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم والعمل ص ٢١٨ وابن أبي شيبة في المصنف ١٣ / ٢٢٣ ووصله الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه المصنف في شرح السنة ١٤ / ٢٢٤ وابن المبارك في الزهد ص٢ بسند صحيح. انظر فتح الباري ١١ / ٢٣٥.
(٦) سورة القصص آية : ٧٧.

﴾[1]، أي أحسن بطاعة الله كما أحسن الله إليك بنعمته وقيل: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك، ﴿ وَلَا تَبۡغِ ﴾[2]، لا تطلب، ﴿ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[3].

وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾[4].

قوله تعالى قَالَ إِنمَا أُوتيتُهُ عَلى عِلمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أن اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرون مَنْ هُوَ أَشَد مِنْهُ قُوةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا....

[٧٨] ﴿ قَالَ ﴾[5]، يعني قارون، ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾[6] أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره، قيل: هو علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب: كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وكان ذلك سبب أمواله. وقيل: ﴿ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾[7] بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب. قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ ﴾[8]، الكافرة، ﴿ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ

(١) سورة القصص آية : ٧٧.
(٢) سورة القصص آية : ٧٧.
(٣) سورة القصص آية : ٧٧.
(٤) سورة القصص آية : ٧٧.
(٥) سورة القصص آية : ٧٨.
(٦) سورة القصص آية : ٧٨.
(٧) سورة القصص آية : ٧٨.
(٨) سورة القصص آية : ٧٨.

﴿ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ ﴾[1]، للأموال، ﴿ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ ﴾[2]، قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال، وقال مجاهد: يعني لا يسأل الملائكة عنهم لأنم يعرفونم بسيماهم. قال الحسن: لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

[٧٩] ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ ﴾[3]، من المال.

[٨٠] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾[4]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني الأحبار من بني إسرائيل. وقال مقاتل: أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون في الدنيا.؟ ﴿ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ ﴾[5]، يعني ما عند الله من الثواب والجزاء خير ﴿ لِّمَنۡ ءَامَنَ ﴾[6]، وصدق بتوحيد الله، ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾[7]، مما أوتي قـارون في الدنيـا، ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ ﴾[8]، قال مقاتل: لا يؤتاها يعني الأعمال الصالحة. وقال الكلبي: لا يعطاها في الآخرة. وقيل: لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا.

(١) سورة القصص آية : ٧٨.
(٢) سورة القصص آية : ٧٨.
(٣) سورة القصص آية : ٧٩.
(٤) سورة القصص آية : ٨٠.
(٥) سورة القصص آية : ٨٠.
(٦) سورة القصص آية : ٨٠.
(٧) سورة القصص آية : ٨٠.
(٨) سورة القصص آية : ٨٠.

[٨١] قوله ﷻ ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ ﴾[١]، من جماعة، ﴿ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٢]، يمنعونه من الله، ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۝٨١ ﴾[٣]، الممتنعين مما نزل به من الخسف.

[٨٢] ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ ﴾[٤]، صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني ﴿ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾[٥]، اختلفوا في معنى هذه اللفظة، قال مجاهد:

ألم تعلم، وقال قتادة: ألم تر. قال الفراء: هي كلمة تقرير كقول الرجل أما ترى إلى صنع الله وإحسانه. وعن الحسن: أنه كلمة ابتداء تقديره أن الله يبسط الرزق. وقيل: هو تنبيه بم لة إلا وقال قطرب: ويك بمعنى ويلك حذفت اللام منه وقال الخليل: وي مفصولة من كأن ومعناها التعجب كما يقول: وي لم فعلت ذلك، وذلك أن القوم تندموا فقالوا: وي متندمين على ما سلف منهم وكأن معناه أظن ذلك وأقدره، كما تقول: كأن الفرج قد أتاك أي أظن ذلك وأقدره، ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ ﴾[٦]، أي يوسع ويضيق، ﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ ﴾[٧]، قرأ حفص ويعقوب

(١) سورة القصص آية : ٨١.
(٢) سورة القصص آية : ٨١.
(٣) سورة القصص آية : ٨١.
(٤) سورة القصص آية : ٨٢.
(٥) سورة القصص آية : ٨٢.
(٦) سورة القصص آية : ٨٢.
(٧) سورة القصص آية : ٨٢.

بفتح الخاء والسين وقرأ العامة بضم الخاء وكسر السين، ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.[1]

[٨٣] قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [2].

قال الكلبي ومقاتل: استكبارا عن الإيمان، وقال عطاء: علوا واستطالة على الناس وتاونا بم. وقال الحسن: لم تطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطانا. وعن علي رضي الله عنه أنا نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدرة، ﴿ وَلَا فَسَادًا ۚ ﴾ [3]، قال الكلبي: هو الدعاء إلى عبادة غير الله. وقال عكرمة: أخذ أموال الناس بغير حق. قال ابن جريج ومقاتل: العمل بالمعاصي، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [4]، أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أمره واجتناب معاصيه. قال قتادة: الجنة للمتقين.

[٨٤] ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [5].

قوله تعالى إن الذي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآن لَرَادكَ إلى مَعَادٍ....

[٨٥] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [6] أي أنزل عليك القرآن - على قول أكثر المفسرين - وقال عطاء: أوجب عليك العمل بالقرآن، ﴿

(١) سورة القصص آية : ٨٢.
(٢) سورة القصص آية : ٨٣.
(٣) سورة القصص آية : ٨٣.
(٤) سورة القصص آية : ٨٣.
(٥) سورة القصص آية : ٨٤.
(٦) سورة القصص آية : ٨٥.

لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ ﴾ [1]، إلى مكة، وذلك أن النبي ﷺ ﴿ لما خرج مهاجرا إلى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأتاه جبريل وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ ﴾ [2] ﴿ وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ ﴾ [3] إلى الموت. وقال الزهري وعكرمة: إلى القيامة. وقيل: إلى الجنة. ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ [4]، أي يعلم من جاء بالهدى وهذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي ﷺ إنك لفي ضلال، فقال الله ﷻ قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى أي يعلم من جاء بالهدى يعني نفسه، ﴿ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾ [5]، يعني المشركين ومعناه أعلم بالفريقين.

[٨٦] قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ [6]، أي يوحي إليك القرآن، ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ ﴾ [7]، قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع

(١) سورة القصص آية : ٨٥.
(٢) سورة القصص آية : ٨٥.
(٣) سورة القصص آية : ٨٥.
(٤) سورة القصص آية : ٨٥.
(٥) سورة القصص آية : ٨٥.
(٦) سورة القصص آية : ٨٦.
(٧) سورة القصص آية : ٨٦.

معناه لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن، ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[1]، أي معينا لهم على دينهم.

وقال مقاتل: وذلك حين دعي إلى دين آبائه فذكر الله نعمه وناه عن مظاهرتم على ما هم عليه.

[٨٧] ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾[2]، يعني القرآن، ﴿ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ ﴾[3] إلى معرفته وتوحيده، ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[4]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد به أهل دينه أي لا تظاهروا الكفار ولا توافقهم.

[٨٨] ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾[5]، أي فصل القضاء، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[6]، تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

(١) سورة القصص آية : ٨٦.
(٢) سورة القصص آية : ٨٧.
(٣) سورة القصص آية : ٨٧.
(٤) سورة القصص آية : ٨٧.
(٥) سورة القصص آية : ٨٨.
(٦) سورة القصص آية : ٨٨.

(٢٩) سورة العنكبوت

قوله تعالى الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ...

[٢،١] ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ [١] أظن الناس، ﴿ أَن يُتۡرَكُوٓاْ ﴾ [٢]، بغير اختبار ولا ابتلاء، ﴿ أَن يَقُولُوٓاْ ﴾ [٣] أي بأن يقولوا، ﴿ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ ﴾ [٤]، لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم ليبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب وقيل: (وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) بالأوامر والنواهي، وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعضهم، فأنزل الله هذه الآية، ثم عزاهم فقال:

[٣] ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ ﴾ [٥]، يعني الأنبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب، ﴿ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ [٦]، في قولهم آمنا، ﴿ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝ ﴾ [٧]، والله أعلم بم قبل الاختبار، ومعنى الآية: وليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه، وقال مقاتل: فليرين الله. وقيل. ليميز الله كقوله: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [٨].

---

(١) سورة العنكبوت آية :١ - ٢.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٢.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٢.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٢.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٣.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٣.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٣.
(٨) سورة الأنفال آية : ٣٧.

[٤] ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[١]، يعني الشرك، ﴿ أَن يَسۡبِقُونَاۚ ﴾[٢]، يعجزونا ويفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم، ﴿ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤ ﴾[٣]، أي بئس ما حكموا حين ظنوا ذلك.

[٥] ﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ ﴾[٤]، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل: من كان يخشى البعث والحساب، والرجاء بمعنى الخوف، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه من كان يطمع في ثواب الله، ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ ﴾[٥]. يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب. وقال مقاتل: يعني يوم القيامة لكائن، ومعنى الآية أن من يخشى الله أو يأمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم، كما قال: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾[٦] الآية، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥ ﴾[٧].

[٦] ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ ﴾[٨]، له ثوابه، والجهاد هو الصبر على الشدة ويكون ذلك في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾[٩]، عن أعمالهم وعباداتهم.

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٤.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٤.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٤.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٥.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٥.
(٦) سورة الكهف آية : ١١٠.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٥.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٦.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٦.

قوله تعالى وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ لَنُكفرَن عَنْهُمْ سَيئاتِهِمْ وَلَنجْزِيَنهُمْ أحْسَنَ الذِي كانُوا يَعْمَلُونَ...

[٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [١]، لنبطلنها يعني حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل، فالتكفير إذهاب السيئة بالحسنة، ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [٢]، أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة، وقيل: نعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن، كما قال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [٣].

[٨] قوله ﷻ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [٤]، أي برا بما عطفا عليهما، معناه ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن، نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والأحزاب في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه: حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الأولين وكان بارا بأمه قالت له أمه: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ ! والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي وإن شئت فلا تأكلي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر بالبر بوالديه والإحسان إليهما وأن لا يطعمها في الشرك، فذلك قوله ﷻ ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ

(١) سورة العنكبوت آية : ٧.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٧.
(٣) سورة الأنعام آية : ١٦٠.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٨.

بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾[1]، جاء في الحديث: ﴿ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴾[2] [3].

ثم أوعد بالمصير إليه فقال: ﴿ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾[4]، أخبركم بصالح أعمالكم وسيئها فأجزيكم عليها.

[٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩ ﴾[5]، في زمرة الصالحين وهم الأنبياء والأولياء، وقيل: في مدخل الصالحين، وهو الجنة.

[١٠] قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ ﴾[6]، أصابه بلاء من الناس افتتن، ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾[7]، أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة، أي جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه، فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه، هذا قول السدي وابن زيد، قالا: هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر، ﴿ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾[8]، أي فتح ودولة للمؤمنين، ﴿ لَيَقُولُنَّ ﴾[9]، يعني هؤلاء المنافقين للمؤمنين، ﴿ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ

(١) سورة العنكبوت آية : ٨.
(٢) البخاري المغازي (٤٠٨٥)، مسلم الإمارة (١٨٤٠)، النسائي البيعة (٤٢٠٥)، أبو داود الجهاد (٢٦٢٥)، أحمد (١/١٣١).
(٣) رواه الإمام أحمد ٥ / ٦٦ وصححه الحاكم ٣ / ٤٤٣ وأخرجه المصنف في شرح السنة ١ / ٤٤.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٨.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٩.
(٦) سورة العنكبوت آية : ١٠.
(٧) سورة العنكبوت آية : ١٠.
(٨) سورة العنكبوت آية : ١٠.
(٩) سورة العنكبوت آية : ١٠.

﴿ ﴾[1]، علـى عدوكم وكنا مسلمين وإنما أكرهنا حتى قلنا فكذبهم الله وقال: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] من الإيمان والنفاق.

[١١] ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[3]، صدقوا فثبتوا على الإسلام عند البلاء، ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[4] بترك الإسلام عند نزول البلاء قال الشعبي: هذه الآيات العشر من أول السورة إلى هاهنا مدنية وباقي السورة مكية.

[١٢]: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا ﴾[5]، قال مجاهد: هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم، وقال الكلبي ومقاتل: قاله أبو سفيان لمن آمن من قريش: اتبعوا سبيلنا ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم، فذلك قوله: ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾[6] أوزاركم، قال الفراء: لفظه أمر معناه خبر، مجازه: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كقوله: ﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾[7]، وقيل: هو جزم على الأمر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك فأكذبهم الله ﷻ فقال: ﴿ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[8]، أي فيما قالوا من حمل خطاياهم.

(١) سورة العنكبوت آية : ١٠.
(٢) سورة العنكبوت آية : ١٠.
(٣) سورة العنكبوت آية : ١١.
(٤) سورة العنكبوت آية : ١١.
(٥) سورة العنكبوت آية : ١٢.
(٦) سورة العنكبوت آية : ١٢.
(٧) سورة طه آية : ٣٩.
(٨) سورة العنكبوت آية : ١٢.

[١٣] ﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ ﴾[1]، أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم، ﴿ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ ﴾[2]، أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم، نظيره قوله ﷻ ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾[3]، ﴿ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣ ﴾[4]، سؤال توبيخ وتقريع.

[١٤] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ ﴾[5]، فغرقوا، ﴿ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ ﴾[6]، قال ابن عباس: مشركون.

قوله تعالى فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ...

[١٥] ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾[7]، يعني من الغرق، ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَآ ﴾[8]، يعني السفينة ﴿ ءَايَةٗ ﴾[9]، أي عبرة، ﴿ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥ ﴾[10]، فإنا كانت باقية على الجودي مدة مديدة. وقيل: جعلنا عقوبتهم للغرق عبرة.

---

(١) سورة العنكبوت آية : ١٣.
(٢) سورة العنكبوت آية : ١٣.
(٣) سورة النحل آية : ٢٥.
(٤) سورة العنكبوت آية : ١٣.
(٥) سورة العنكبوت آية : ١٤.
(٦) سورة العنكبوت آية : ١٤.
(٧) سورة العنكبوت آية : ١٥.
(٨) سورة العنكبوت آية : ١٥.
(٩) سورة العنكبوت آية : ١٥.
(١٠) سورة العنكبوت آية : ١٥.

[١٦] قوله تعالى: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [١]، أي وأرسلنا إبراهيم، ﴿ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ﴾ [٢] أطيعوه وخافوه ﴿ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ ﴾ [٣].

[١٧] ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا ﴾ [٤] أصناما، ﴿ وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ ﴾ [٥]، تقولون كذبا، قال مقاتل: تصنعون أصناما بأيديكم فتسمونا آلهة، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا ﴾ [٦]، لا يقدرون أن يرزقوكم، ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧ ﴾ [٧].

[١٨] ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ ﴾ [٨]، مثل عاد وثمود وغيرهم فأهلكوا، ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨ ﴾ [٩].

[١٩] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ﴾ [١]، كيف يخلقهم ابتداء نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ ﴾ [٢] في الآخرة بعد البعث ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ ﴾ [٣].

---

(١) سورة العنكبوت آية : ١٦.
(٢) سورة العنكبوت آية : ١٦.
(٣) سورة العنكبوت آية : ١٦.
(٤) سورة العنكبوت آية : ١٧.
(٥) سورة العنكبوت آية : ١٧.
(٦) سورة العنكبوت آية : ١٧.
(٧) سورة العنكبوت آية : ١٧.
(٨) سورة العنكبوت آية : ١٨.
(٩) سورة العنكبوت آية : ١٨.

[٢٠] ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ﴾ [٤] فانظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم، ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ [٥]، أي ثم الله الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية بعد الموت، فكما لم يتعذر عليه إحداثها مبتدئا لا يتعذر عليه إنشاؤها معيدا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٠ ﴾ [٦].

[٢١] ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ۝٢١ ﴾ [٧].

[٢٢] ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٨]، فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾ [٩] والخطاب مع الآدميين وهم ليسوا في السماء؟ قال الفراء: معناه ولا من في السماء بمعجز أي لا يعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء. وقال قطرب: معناه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝٢٢ ﴾ [١٠]، أي من ولي يمنعكم مني ولا نصير ينصركم من عذابي.

---

(١) سورة العنكبوت آية : ١٩.
(٢) سورة العنكبوت آية : ١٩.
(٣) سورة العنكبوت آية : ١٩.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٢٠.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٢٠.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٢٠.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٢١.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٢٢.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٢٢.
(١٠) سورة العنكبوت آية : ٢٢.

[٢٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ ﴾[١]، بالقرآن وبالبعـث، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[٢] فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم، وهي معترضة في قصة إبراهيم ثم عاد إلى قصة إبراهيم، فقال جل ذكره:

قوله تعالى فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النارِ...

[٢٤] ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ ﴾[٣]، وجعلها عليه بردا وسلاما، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٤] يصدقون.

[٢٥] ﴿ وَقَالَ ﴾[٥]، يعني إبراهيم لقومه، ﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ﴾[٦]، قرأ ابن كثير والكسائي وأبو عمرو ويعقوب: مَودةُ رفعا بلا تنوين، ﴿ بَيْنِكُمْ ﴾[٧] خفضا بالإضافة على معنى: إن الذين اتخذتم من دون الله أوثانا هي مودة بينكم، ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[٨]، ثم هي تنقطع ولا تنفع في الآخرة، وقرأ حمزة وحفص (مودة) نصبا بغير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها، وقرأ الآخرون مَودةَ منصوبة منونة بينكم بالنصب، معناه إنكم اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتواردون على عبادتا وتتواصلون عليها في الدنيا ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٢٣.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٢٣.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٢٤.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٢٤.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٢٥.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٢٥.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٢٥.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٢٥.

بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا ﴾[1]، تتبرأ الأوثـان من عابديهـا وتتبرأ القـادة مـن الأتبـاع وتلعـن الأتبـاع القادة، ﴿ وَمَأۡوَىٰكُمُ ﴾[2]، جميعا العابدون والمعبودون، ﴿ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

[٢٦] ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ ﴾[4]، يعني صدقه وهو أول من صدق إبراهيم وكان ابن أخيه، ﴿ وَقَالَ ﴾[5] يعني ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ ﴾[6]، فهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر، قال مقاتل: هاجر إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾[7].

[٢٧] ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ ﴾[8]، يقال: إن الله لم يبعث نبيا بعد إبراهيم إلا من نسله، ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[9]، وهو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يتولونه، وقال السدي: هو الولد الصالح، وقيل: هو أنه

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٢٥.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٢٥.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٢٥.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٢٦.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٢٦.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٢٦.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٢٦.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٢٧.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٢٧.

رأى مكانه في الجنة، ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٢٧ ﴾ [1] أي في زمرة الصالحين. قال ابن عباس: مثل آدم ونوح.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ ﴾ [2]، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر: أَإِنكُمْ بالاستفهام، وقرأ الباقون بلا استفهام، واتفقوا على استفهام الثانية، ﴿ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ ﴾ [3]، وهي إتيان الرجال، ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢٨ ﴾ [4].

[٢٩] ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [5]، وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين، فترك الناس الممر بهم، وقيل: تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء، ﴿ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ [6]، النادي والندى والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [7] لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح، ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوا ﴾ [8]، له استهزاء ﴿ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٢٩ ﴾ [9]، أن العذاب نازل بنا، فعند ذلك.

(١) سورة العنكبوت آية : ٢٧.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٢٨.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٢٨.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٢٨.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٢٩.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٢٩.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٢٩.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٢٩.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٢٩.

[٣٠] ﴿ قَالَ ﴾ [(١)]، لوط، ﴿ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(٢)]، بتحقيق قولي في العذاب.

قوله تعالى وَلَما جَاءَتْ رُسُلُنا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِن أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ...

[٣١] ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾ [(٣)]، من الله بإسحاق ويعقوب، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ ﴾ [(٤)]، يعني قوم لوط، والقرية سدوم، ﴿ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [(٥)].

[٣٢] ﴿ قَالَ ﴾ [(٦)] إبراهيم للرسل، ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ ﴾ [(٧)]، قالت الملائكة ﴿ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ ﴾ [(٨)]، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (لَنُنْجِيَنَّهُ) بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، ﴿ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٩)]، أي الباقين في العذاب.

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٣٠.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٣٠.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٣١.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٣١.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٣١.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٣٢.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٣٢.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٣٢.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٣٢.

[٣٣] ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا ﴾[(١)]، ظـن أنـم من الإنس، ﴿ سِيٓءَ بِهِمۡ ﴾[(٢)] حـزن بـهـم، ﴿ وَضَاقَ بِهِمۡ ﴾[(٣)] بمجيئهـم ﴿ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ ﴾[(٤)]، من قومك علينا، ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ ﴾[(٥)]، بإهلاكنا إياهم، ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ ﴾[(٦)]، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: مُنَجوكَ بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد.

[٣٤] ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ ﴾[(٧)]، قرأ ابن عامر بالتشديد، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا ﴾[(٨)]، عذابا، ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[(٩)]، قال مقاتل: الخسف والحصب، ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ ﴾[(١٠)].

[٣٥] ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ﴾[(١١)] من قريات لوط، ﴿ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ ﴾[(١٢)]، عبرة ظاهرة، ﴿ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥ ﴾[(١٣)]، يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول، قال ابن

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٣٣.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٣٣.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٣٣.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٣٣.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٣٣.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٣٣.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٣٤.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٣٤.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٣٤.
(١٠) سورة العنكبوت آية : ٣٤.
(١١) سورة العنكبوت آية : ٣٥.
(١٢) سورة العنكبوت آية : ٣٥.
(١٣) سورة العنكبوت آية : ٣٥.

عباس: الآية البينة هي آثار منازلهم الخربة. وقال قتادة: هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقال مجاهد: هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض.

[٣٦] ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[(١)]، أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا، ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾[(٢)]، أي واخشوا اليوم الآخر، ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[(٣)].

[٣٧] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[(٤)].

[٣٨] ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ ﴾[(٥)]، أي وأهلكنا عادا وثمود، ﴿ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم ﴾[(٦)]، يا أهل مكة، ﴿ مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ ﴾[(٧)]، منازلهم بالحجر واليمن، ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[(٨)]، عن سبيل الحـق ﴿ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[(٩)]، قال مقاتل والكلبي وقتادة: كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى، وهم على الباطل، والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين، قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر.

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٣٦.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٣٦.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٣٦.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٣٧.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٣٨.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٣٨.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٣٨.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٣٨.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٣٨.

قوله تعالى وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ...

[٣٩] ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ ﴾ (١)، أي وأهلكنا هؤلاء، ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ (٢)، بالدلالات، ﴿ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ ﴾ (٣) أي فائتين من عذابنا.

[٤٠] ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا ﴾ (٤)، وهم قوم لوط، والحاصب الريح التي تحمل الحصا وهي الحصا الصغار، ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ (٥)، يعني ثمود، ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ (٦) يعني قارون وأصحابه، ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ ﴾ (٧)، يعني قوم نوح وفرعون وقومه، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠ ﴾ (٨).

[٤١] ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ ﴾ (٩) أي الأصنام يرجون نصرها ونفعها، ﴿ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ ﴾ (١٠) لنفسها تأوي إليه، وإن بيتها

(١) سورة العنكبوت آية : ٣٩.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٣٩.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٣٩.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٤٠.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٤٠.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٤٠.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٤٠.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٤٠.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٤١.
(١٠) سورة العنكبوت آية : ٤١.

في غاية الضعف والوهن، لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الأوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا. ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

[٤٢] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾[2]، قرأ أهل البصرة وعاصم يدعون بالياء لذكر الأمم قبلها، وقرأ الآخرون بالتاء.

[٤٣] ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ ﴾[3] الأشباه والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول يريد أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة، ﴿ نَضْرِبُهَا ﴾[4]، نبينها، ﴿ لِلنَّاسِ ۖ ﴾[5]، قال عطاء ومقاتل: لكفار مكة، ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[6] ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله، عن جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال: « العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ».

[٤٤] قوله ﷻ ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾[7]، أي للحق وإظهار الحق، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾[1]، في خلقها، ﴿ لَءَايَةً ﴾[2]، لدلالة ﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[3]، على قدرته وتوحيده.

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٤١.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٢.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٣.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٤٣.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٤٣.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٤٣.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٤٤.

[٤٥] ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (٤)، يعني القرآن، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾ (٥)، الفحشاء ما قبح من الأعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع، قال ابن مسعود وابن عباس: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر يزدد بصلاته بالمعروف ولم تنهه عن منكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا.

وقال الحسن وقتادة: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه، وقال ابن عون: معنى الآية إن الصلاة تنهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها. وقيل: أراد بالصلاة القرآن، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ (٦) أي بقراءتك. وقيل: أراد أن يقـرأ القـرآن في الصـلاة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر قوله ﷻ ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾ (٧)، أي ذكر الله أفضل الطاعات، قال رسول والله ﷺ ﴿ ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير " لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم "؟ قالوا: بلى، قال: " ذكر الله ﴾ (٨) (١) وقال قوم: معنى قوله ولذكر الله أكبر أي ذكر الله إياكم

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٤.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٤.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٤.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٤٥.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٤٥.
(٦) سورة الإسراء آية : ١١٠.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٤٥.
(٨) الترمذي الدعوات (٣٣٧٧)، ابن ماجه الأدب (٣٧٩٠)، أحمد (٤٤٧/٦)، مالك النداء للصلاة (٤٩٠).

أفضل من ذكركم إياه وقال عطاء في قوله: (إن الصلاد تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)، قال: ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية.؟ ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ (٤٥) [٢]، قال عطاء: يريد لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَا بِالَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَا الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ...

[٤٦] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [٣]، لا تخاصموهم، ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [٤]، أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه، وأراد من قبل الجزية منهم، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ [٥] أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب، فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ومجاز الآية: إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر، وقال سعيد بن جبير: هم أهل الحرب ومن لا عهد له. قال قتادة ومقاتل: صارت منسوخة بقوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [٦]. ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ [٧] يريد إذا أخبركم واحد منهم مما قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات ٩ / ٣١٧، وابن ماجه في الأدب رقم (٣٧٩٠) ٢ / ١٢٤٥ وصححه الحاكم في المستدرك ١ / ٤٩٦ ووافقه الذهبي، وأخرجه مالك في الموطأ ١ / ٢١١ والإمام أحمد في المسند ٦ / ٤٤٧ والمصنف في شرح السنة ٥ / ١٦ وقال: حديث حسن.

(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٥.

(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٦.

(٤) سورة العنكبوت آية : ٤٦.

(٥) سورة العنكبوت آية : ٤٦.

(٦) سورة التوبة آية : ٢٩.

(٧) سورة العنكبوت آية : ٤٦.

أنزل إلينا وأنزل إليكم، ﴿ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1] عن أبي هريرة قال. كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونا بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ. ﴿ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ﴾[2] [3].

[٤٧] قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾[4] يعني كما أنزلنا إليهم الكتاب، ﴿ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ ﴾[5]، يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[6]، يعني أهل مكة، ﴿ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ ﴾[7]، وهم مؤمنو أهل مكة، ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[8]، وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمدا نبي والقرآن حق فجحدوا. وقال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرفة.

[٤٨] ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ ﴾[9]، يا محمد، ﴿ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾[10]، يعني من قبل ما أنزل إليك الكتاب، ﴿ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ ﴾[1]، يعني ولا تكتبه يعني لم تكن

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٦.
(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٢١٥).
(٣) أخرجه البخاري في التوحيد ١٣ / ٥١٦ والمصنف في شرح السنة ١ / ٢٦٨.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٤٧.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٤٧.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٤٧.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٤٧.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٤٧.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٤٨.
(١٠) سورة العنكبوت آية : ٤٨.

تقرأ ولا تكتب قبل الوحي، ﴿ إِذًا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾[2]، يعني لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها، قاله قتادة. وقال مقاتل: المبطلون هم اليهود، ومعناه إذا لشكوا فيك واتموك، وقالوا: إن الذي نجد نعته في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت.

[٤٩] ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ ﴾[3]، قال الحسن: يعني القرآن آيات بينات، ﴿ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾[4]، يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: بل هو - يعني محمدا ﷺ - ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب، لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم، ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[5].

[٥٠] ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ ﴾[6]، كما أنزل على الأنبياء من قبل، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر آية على التوحيد، وقرأ الآخرون آيات من ربه. قوله ﷻ ﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[7] وهو القادر على إرسالها إذا شاء

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٨.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٨.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٩.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٤٩.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٤٩.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٥٠.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٥٠.

أرسلها، ﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ ﴾[١]، أنذر أهل المعصية بالنار، وليس إنزال الآيات بيدي.

[٥١] ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ ﴾[٢]، هذا الجواب لقولهم: ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ ﴾[٣] قال: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾[٤]، يعني أولم يكفهم من الآيات القرآن يتلى عليهم، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾[٥]، في إنزال القرآن، ﴿ لَرَحۡمَةً وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ۝٥١ ﴾[٦]، أي تذكيرا وعظة لمن آمن وعمل به.

[٥٢] ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدًاۖ ﴾[٧]، أني رسوله وهذا القرآن كتابه ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾[٨]، قال ابن عباس: بغير الله. وقال قتادة: بعبادة الشيطان، ﴿ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٥٢ ﴾[٩].

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٠.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٥١.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٥٠.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٥١.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٥١.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٥١.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٥٢.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٥٢.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٥٢.

قوله تعالى وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ...

[٥٣] ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾[١]، نزلت في النضر بن الحارث حين قال: فأمطر علينا حجارة من السماء ﴿ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾[٢]، قال ابن عباس: ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم يعني لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب، وقيل: يوم بدر، ﴿ لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم ﴾[٣]، يعني العذاب وقيل: الأجل، ﴿ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[٤]، بإتيانه.

[٥٤] ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾[٥]، أعاده تأكيدا، ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[٦]، جامعة لهم لا يبقى أحد منهم إلا دخلها.

[٥٥] ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ﴾[٧]، يصيبهم ﴿ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾[٨]، يعني إذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم كما قال: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[٩]، ﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا ﴾[١٠]، قرأ نافع وأهل الكوفة: ثم

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٣.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٥٣.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٥٣.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٥٣.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٥٤.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٥٤.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٥٥.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٥٥.
(٩) سورة الأعراف آية : ٤١.
(١٠) سورة العنكبوت آية : ٥٥.

يقول بالياء أي ويقول لهم الموكل بعذابهم: ذوقوا، وقرأ الآخرون بالنون لأنه لما كان بأمره نسب إليه، أي جزاء ﴿ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[1].

[٥٦] ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[2]، قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة، إن أرضي يعني المدينة واسعة آمنة، قال مجاهد: إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها. وقال سعيد بن جبير: إذا عمل في الأرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة. وقال عطاء: إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة، وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له العبادة. وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا: نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة، فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج. وقال مطرف بن عبد الله: أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا.

[٥٧] ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ﴾[3]، خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة أي كل واحد ميت أينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت، ﴿ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾[4]، فنجزيكم بأعمالكم، وقرأ أبو بكر: يُرْجَعُونَ.

[٥٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾[5] قرأ حمزة والكسائي بالثاء ساكنة من غير همز فقال: ثوى الرجل إذا أقام وأثوبته إذا أنزلته م لا يقيما فيه، وقرأ

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٥.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٥٦.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٥٧.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٥٧.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٥٨.

الآخرون بالباء وفتحها وتشديد الواو وهمزة بعدها أي لنـ لهم، ﴿ مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا ﴾[1]، علالي، ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[2].

[٥٩] ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾[3]، على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم، ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[4]، يعتمدون.

[٦٠] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ﴾[5]، وذلك أن النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذهم المشركون: ﴿ هاجروا إلى المدينة ﴾، فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ ﴾[6] ذات حاجة إلى غداء، ﴿ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ﴾[7] أي لا ترفع معها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطير، ﴿ ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ ﴾[8]، حيث كنتم، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[9]، السميع لأقوالكم لا نجد ما ننفق بالمدينة، العليم بما في قلوبكم.

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٨.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٥٨.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٥٩.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٥٩.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٦٠.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٦٠.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٦٠.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٦٠.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٦٠.

[٦١] قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾(١)، يعني كفار مكة، ﴿ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(٢).

[٦٢] ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾(٣).

[٦٣] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ ﴾(٤) على أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾(٥) وقيل: قل الحمد لله على إقرارهم لزوم النعمة عليهم، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾(٦)، ينكرون التوحيد مع إقرارهم أنه الخالق لهذه الأشياء.

قوله تعالى وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِن الدارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ...

[٦٤] قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ ﴾(٧)، اللهو هو الاستماع بلذات الدنيا، واللعب العبث سميت بما لأنا فانية ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ

(١) سورة العنكبوت آية : ٦١.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٦١.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٢.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٦٣.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٦٣.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٦٣.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٦٤.

﴿ ٱلۡحَيَوَانُۚ ﴾[1] أي الحياة الدائمة الباقية، والحيوان بمعنى الحياة أي فيها الحياة الدائمة، ﴿ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2]، فناء الدنيا وبقاء الآخرة.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ ﴾[3]، وخافوا الغرق، ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4]، وتركوا الأصنام، ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[5]، هذا إخبار عن عنادهم وأنهم عند الشدائد يقرون أن القادر على كشفها هو الله ﷻ وحده، فإذا زالت عادوا إلى كفرهم، قال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الريح ألقوها في البحر وقالوا: يا رب يا رب.

[٦٦] ﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾[6]، هذا لام الأمر ومعناه التهديد والوعيد، كقولـه: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾[7]، أي ليجحـدوا نعمة الله في إنجائه إياهم، ﴿ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ ﴾[8]، قرأ حمزة والكسائي ساكنة اللام، وقرأ الباقون بكسرها نسقا على قوله: (لِيكفُروا)، ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[9]، وقيل: من كسر اللام جعلها لام كي وكذلك في ليكفروا، والمعنى لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة.

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٦٤.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٦٤.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٥.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٦٥.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٦٥.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٦٦.
(٧) سورة فصلت آية : ٤٠.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٦٦.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٦٦.

[٦٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [(١)]، يسبي بعضهم بعضا، وأهل مكة آمنون، ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [(٢)]، بالأصنام والشيطان، ﴿ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [(٣)]، بمحمد والإسلام، ﴿ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٤)].

[٦٨] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [(٥)]، فزعم أن لله شريكا وأنه أمر بالفواحش، ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [(٦)]، بمحمد ﷺ والقرآن، ﴿ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [(٧)]، استفهام بمعنى التقرير، معناه: أما لهذا الكافر مأوى في جهنم.

[٦٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا ﴾ [(٨)]، الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا، ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾ [(٩)]، لنثبتهم على ما قاتلوا عليه، وقيل: ل يدنم هدى كما قال: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ ﴾ [(١٠)]، وقيل: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة هي التي توصل با إلى رضا الله ﷻ وقيل: الاهدة هي الصبر على الطاعات. قال الحسن: أفضل الجهاد مخالفة الهوى. وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٦٧.
(٢) سورة العنكبوت آية : ٦٧.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٧.
(٤) سورة العنكبوت آية : ٦٧.
(٥) سورة العنكبوت آية : ٦٨.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٦٨.
(٧) سورة العنكبوت آية : ٦٨.
(٨) سورة العنكبوت آية : ٦٩.
(٩) سورة العنكبوت آية : ٦٩.
(١٠) سورة مريم آية : ٧٦.

لنهدينهم سبل الجنة. وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة، وروي عن ابن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [1] بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم.

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٦٩.

(٣٠) سورة الروم

قوله تعالى الم غُلِبَتِ الرومُ فِي أَدْنى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ...

[١ - ٣] ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (١) أي أقرب أرض الشام إلى أرض فارس، قال عكرمة: هي أذرعات وكسكر، وقال مجاهد: أرض الجزيرة. وقال مقاتل: الأردن وفلسطين. ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ ﴾ (٢)، أي الروم من بعد غلبة فارس إياهم، والغلب والغلبة لغتان، ﴿ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ ﴾ (٣)، فارس.

[٤] ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾ (٤)، والبضع ما بين الثلاث إلى السبع، وقيل: ما بين الثلاث إلى التسع: وقيل: ما دون العشرة. وقرأ عبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري والحسن وعيسى بن عمر: غَلَبَتِ بفتح الغين واللام، (سَيُغْلَبونَ) بضم الياء وبفتح اللام، وقالوا: نزلت حين أخبر النبي ﷺ عن غلبة الروم فارس، ومعنى الآية: الم غلبت الروم فارس في أدنى الأرض إليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم. والأول أصح وهو قول أكثر المفسرين. ﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ﴾ (٥)، من بعد دولة الروم على فارس ومن بعدها فأي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره. "؟ ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ ﴾ (٦).

---

(١) سورة الروم آية : ١ - ٣.
(٢) سورة الروم آية : ٣.
(٣) سورة الروم آية : ٣.
(٤) سورة الروم آية : ٤.
(٥) سورة الروم آية : ٤.
(٦) سورة الروم آية : ٤.

[٥] ﴿ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [(١)]، الروم على فارس، قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون، بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك، ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ [(٢)] بالمؤمنين.

قوله تعالى وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِن أَكْثَرَ الناس لَا يَعْلَمُونَ...

[٦] ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ ﴾ [(٣)] نصب على المصدر أي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس، ﴿ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ ﴾ [(٤)].

[٧] ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [(٥)]، يعني أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون ﴿ وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [(٦)]، ساهون عنها جاهلون لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها.

[٨] ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [(٧)] أي للحق، وقيل: لإقامة الحق، ﴿ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ ﴾ [(٨)]، أي لوقت

---

(١) سورة الروم آية : ٥.
(٢) سورة الروم آية : ٥.
(٣) سورة الروم آية : ٦.
(٤) سورة الروم آية : ٦.
(٥) سورة الروم آية : ٧.
(٦) سورة الروم آية : ٧.
(٧) سورة الروم آية : ٨.
(٨) سورة الروم آية : ٨.

معلـوم إذا انتهت إليه فنيت وهو القيامة، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ ﴾[1].

[٩] ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾[2]، أولم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا، ﴿ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[3] حرثوها وقلبوها للزراعة، ﴿ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾[4]، أي أكثر مما عمرها أهل مكة، قيل: قال ذلك لأنه لم يكن لأهل مكة حرث، ﴿ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ ﴾[5]، فلم يؤمنوا فأهلكهم الله، ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ ﴾[6]، ينقص حقوقهم، ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩ ﴾[7]، ببخس حقوقهم.

[١٠] ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ﴾[8] أي أساءوا العمل، ﴿ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾[9]، يعني الخلة التي تسوؤهم وهي النار، وقيل: السوء اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة، ﴿ أَن كَذَّبُواْ ﴾[10] أي لأن كذبوا، وقيل: تفسير السوء ما بعده

(١) سورة الروم آية : ٨.
(٢) سورة الروم آية : ٩.
(٣) سورة الروم آية : ٩.
(٤) سورة الروم آية : ٩.
(٥) سورة الروم آية : ٩.
(٦) سورة الروم آية : ٩.
(٧) سورة الروم آية : ٩.
(٨) سورة الروم آية : ١٠.
(٩) سورة الروم آية : ١٠.
(١٠) سورة الروم آية : ١٠.

وهو قوله أن كذبوا يعني ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيئات على أن كذبوا، ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[1]، قرأ أهل الحجاز والبصرة: (عاقبة) بالرفع أي ثم كان آخر أمرهم السوء، وقرأ الآخرون بالنصب على خبر كان، وتقديره: ثم كان السوء عاقبة الذين أساءوا.

[١١] قوله تعالى. ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾[2]، أي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء، ولم يقل يعيدهم، رده إلى الخلق، ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[3] فيجزيهم بأعمالهم.

[١٢] ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾[4]، قال قتادة والكلبي: ييأس المشركون من كل خير. وقال الفراء: ينقطع كلامهم وحجتهم. وقال مجاهد: يفتضحون.

[١٣] ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾[5]، جاحدين متبرئين يتبرءون منها وتتبرأ منهم.

[١٤] ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴾[6]، أي يتميز أهل الجنة من أهل النار. وقال مقاتل: يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبدا.

[١٥] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ ﴾[1]، وهي البستان الذي في غاية النضارة، ﴿ يُحۡبَرُونَ ﴾[2]، قال ابن عباس: يكرمون.

(١) سورة الروم آية : ١٠.
(٢) سورة الروم آية : ١١.
(٣) سورة الروم آية : ١١.
(٤) سورة الروم آية : ١٢.
(٥) سورة الروم آية : ١٣.
(٦) سورة الروم آية : ١٤.

وقال مجاهد وقتادة: ينعمون. وقال أبو عبيدة: يسرون، والحبرة السرور، وقيل: الحبرة في اللغة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين، وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: تحبرون هو السماع في الجنة.

قوله تعالى وَأما الذِينَ كفَرُوا وَكذبُوا بِآيَاتنَا وَلقَاءِ الآخِرَةِ فَأولئكَ فِي العَذَاب مُحْضَرُونَ...

[١٦] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [٣] أي البعث يوم القيامة، ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [٤].

[١٧] قـوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [٥]، أي سبحوا الله ومعناه صلوا لله، ﴿ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ [٦]، أي تدخلـوا في الصباح وهو صلاة المغرب والعشاء، ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [٧] تدخلون في الصباح، وهو صلاة الصبح.

[١٨] ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٨]، قال ابن عباس: يحمده أهل السماوات والأرض ويصلون له، ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ [٩] أي صلوا له عشيا يعني صلاة العصر،

(١) سورة الروم آية : ١٥.
(٢) سورة الروم آية : ١٥.
(٣) سورة الروم آية : ١٦.
(٤) سورة الروم آية : ١٦.
(٥) سورة الروم آية : ١٧.
(٦) سورة الروم آية : ١٧.
(٧) سورة الروم آية : ١٧.
(٨) سورة الروم آية : ١٨.
(٩) سورة الروم آية : ١٨.

﴿ وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ۝١٨ ﴾[1]، تدخلون في الظهيرة وهو الظهر، قال نافع بن الأزرق لابن عباس: هل تجد صلاة الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وقرأ هاتين الآيتين، وقال: جمعت الآية صلاة الخمس ومواقيتها.

[١٩] قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١٩ ﴾[2]، قرأ حمزة والكسائي (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الراء.

[٢٠] ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ﴾[3]، أي خلق أصلكم يعني آدم من تراب، ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ ﴾[4]، تنبسطون في الأرض.

[٢١] ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴾[5]، قيل: من جنسكم من بني آدم، وقيل: خلق حواء من ضلع آدم ﴿ لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ ﴾[6]، جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ ﴾[7]، في عظمة الله وقدرته.

---

(١) سورة الروم آية : ١٨.
(٢) سورة الروم آية : ١٩.
(٣) سورة الروم آية : ٢٠.
(٤) سورة الروم آية : ٢٠.
(٥) سورة الروم آية : ٢١.
(٦) سورة الروم آية : ٢١.
(٧) سورة الروم آية : ٢١.

[٢٢] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾[١]، يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما، ﴿ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ ﴾[٢]، أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣]، قرأ حفص: (لِلْعَالِمِينَ) بكسر اللام.

[٢٣] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ ﴾[٤] أي منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار أي تصرفكم في طلب المعيشة، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٥]، سماع تدبر واعتبار.

[٢٤] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا ﴾[٦]، للمسافر من الصواعق، ﴿ وَطَمَعًا ﴾[٧]، للمقيم في المطر. ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ﴾[٨]، يعني بالمطر، ﴿ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ ﴾[٩]، أي بعد يبسها ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[١٠].

---

(١) سورة الروم آية : ٢٢.
(٢) سورة الروم آية : ٢٢.
(٣) سورة الروم آية : ٢٢.
(٤) سورة الروم آية : ٢٣.
(٥) سورة الروم آية : ٢٣.
(٦) سورة الروم آية : ٢٤.
(٧) سورة الروم آية : ٢٤.
(٨) سورة الروم آية : ٢٤.
(٩) سورة الروم آية : ٢٤.
(١٠) سورة الروم آية : ٢٤.

قوله تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُم إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ...

[٢٥] ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ﴾[(١)]. قال ابن مسعود: قامتا على غير عمد بأمره. وقيل: يدوم قيامهما بأمره، ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾[(٢)]، قال ابن عباس: من القبور، ﴿ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[(٣)]، منها وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من الأرض.

[٢٦] ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[(٤)]، مطيعون، قال الكلبي: لهذا خاص لمن كان منهم مطيعا، عن ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة.

[٢٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾[(٥)]، يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث، ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾[(٦)]، قال الربيع بن خثيم وقتادة والكلبي: أي هو هين عليه وما شيء عليه بعزيز، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وقال مجاهد وعكرمة: وهو أهون عليه أي أيسر ووجهه أنه على طريق ضرب المثل أي هو أهون عليه على ما يقع في عقولكم، فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء، أي الابتداء، وقيل: هو أهون عليه عندكم. وقيل: هو أهون عليه أي على الخلق يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفا، ثم علقا ثم مضغا إلى أن

---

(١) سورة الروم آية : ٢٥.

(٢) سورة الروم آية : ٢٥.

(٣) سورة الروم آية : ٢٥.

(٤) سورة الروم آية : ٢٦.

(٥) سورة الروم آية : ٢٧.

(٦) سورة الروم آية : ٢٧.

يصيروا رجالا ونساء ﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ (1)، أي الصفة العليا ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (2) قال ابن عباس: هي أنه ليس كمثله شيء، وقال قتادة: هي أنه لا إله إلا هو ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ (3)، في ملكه، ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾ (4)، في خلقه.

[28] ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ ﴾ (5)، أي بين لكم شبها بحالكم، وذلك المثل من أنفسكم ثم بين المثل فقال: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم ﴾ (6)، أي عبيدكم ﴿ مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ (7)، من المال ﴿ فَأَنتُمۡ ﴾ (8)، وهم، ﴿ فِيهِ سَوَآءٞ ﴾ (9)، أي شرع أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم، ﴿ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ (10)، أي تخافون أن يشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر شريكه الحر في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمر دونه وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب أن ينفرد به، قال ابن عباس: تخافونم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فإذا لم تخافوا هذا من مواليكم ولم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونا شركائي وهم عبيدي،

(1) سورة الروم آية : 27.
(2) سورة الروم آية : 27.
(3) سورة الروم آية : 27.
(4) سورة الروم آية : 27.
(5) سورة الروم آية : 28.
(6) سورة الروم آية : 28.
(7) سورة الروم آية : 28.
(8) سورة الروم آية : 28.
(9) سورة الروم آية : 28.
(10) سورة الروم آية : 28.

ومعنى قولـه: ﴿ أَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ (١) أي أمثالكـم الأحرار كقولـه: ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ (٢) أي بأمثـالهـم، ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣)، ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم.

[٢٩] ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ (٤)، أشـركوا بالله، ﴿ أَهْوَآءَهُم ﴾ (٥) في الشرك، ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ ﴾ (٦)، جهلا بما يجب عليهـم، ﴿ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ ﴾ (٧)، أي أضل الله ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٨)، مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ (٩)، أي أخلص دينك لله قاله سعيد بن جبير، وإقامة الوجه إقامة الدين، وقال غيره: سدد عملك، والوجه ما يتوجه إليه الإنسان ودينه وعمله، مما يتوجه إليه لتسديده ﴿ حَنِيفًا ۚ ﴾ (١٠)، " مائلا مستقيما عليه، ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ﴾ (١١)، دين الله وهو نصب على الإغراء أي الزم فطرة الله ﴿ ٱلَّتِى فَطَرَ

(١) سورة الروم آية : ٢٨.
(٢) سورة النور آية : ١٢.
(٣) سورة الروم آية : ٢٨.
(٤) سورة الروم آية : ٢٩.
(٥) سورة الروم آية : ٢٩.
(٦) سورة الروم آية : ٢٩.
(٧) سورة الروم آية : ٢٩.
(٨) سورة الروم آية : ٢٩.
(٩) سورة الروم آية : ٣٠.
(١٠) سورة الروم آية : ٣٠.
(١١) سورة الروم آية : ٣٠.

﴿ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾[1]، أي خلق الناس عليها، هذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة الدين وهو الإسلام، وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين هم الذين فطرهم الله على الإسلام ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ﴾[2] فمن حمل الفطرة على الدين قال: معناه. لا تبديل لدين الله وهو خبر بمعنى النهي أي لا تبدلوا دين الله، قال مجاهد وإبراهيم: معنى الآية الزموا فطرة الله أي دين الله واتبعوه ولا تبدلـوا التوحيـد بالشـرك، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾[3]، المستقيـم، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٠ ﴾[4]، وقيل: لا تبديل لخلق الله أي ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاء لا يبدل فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا.

[٣١] ﴿ ۞ مُنِيبِينَ ﴾[5] أي فأقم وجهك أنت وأمتك منيبين إليه لأن المخاطبة للنبي ﷺ ويدخل معه فيها الأمة كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[6]، ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ ﴾[7] أي راجعين إليه بالتوبة منيبين إليه بالطاعة ﴿ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٣١ ﴾[8].

---

(١) سورة الروم آية : ٣٠.
(٢) سورة الروم آية : ٣٠.
(٣) سورة الروم آية : ٣٠.
(٤) سورة الروم آية : ٣٠.
(٥) سورة الروم آية : ٣١.
(٦) سورة الطلاق آية : ١.
(٧) سورة الروم آية : ٣١.
(٨) سورة الروم آية : ٣١.

[٣٢] ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ ﴾ (١) أي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى. وقيل: هم أهل البدع من هذه الأمة، ﴿ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢)، أي راضون بما عندهم.

قوله تعالى وَإِذَا مَس الناسَ ضُر دَعَوْا رَبهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُم إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبهِمْ يُشْرِكُونَ...

[٣٣] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ ﴾ (٣)، قحط وشدة، ﴿ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ (٤)، مقبلين إليه بالدعاء ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً ﴾ (٥)، خصبا ونعمة، ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٦).

[٣٤] ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ ﴾ (٧)، ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا، هذا خطاب تهديد فقال: ﴿ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٨)، حالكم في الآخرة.

[٣٥] ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا ﴾ (٩)، قال ابن عباس: حجة وعذرا، وقال قتادة: كتابا، ﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ ﴾ (١)، ينطق، ﴿ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢) أي ينطق بشركهم ويأمرهم به.

---

(١) سورة الروم آية : ٣٢.
(٢) سورة الروم آية : ٣٢.
(٣) سورة الروم آية : ٣٣.
(٤) سورة الروم آية : ٣٣.
(٥) سورة الروم آية : ٣٣.
(٦) سورة الروم آية : ٣٣.
(٧) سورة الروم آية : ٣٤.
(٨) سورة الروم آية : ٣٤.
(٩) سورة الروم آية : ٣٥.

[٣٦] ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً ﴾[٣]، أي الخصب وكثرة المطر، ﴿ فَرِحُواْ بِهَاۖ ﴾[٤]، يعني فرح البطر، ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ ﴾[٥]، أي الجدب وقلة المطر ويقال الخوف والبلاء ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[٦]، من السيئات، ﴿ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ ﴾[٧]، ييأسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر الله عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة.

[٣٧] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧ ﴾[٨].

[٣٨] قـولـه تعالـى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾[٩]، من البر والصلة، ﴿ وَٱلۡمِسۡكِينَ ﴾[١٠]، وحقه أن يتصدق عليه، ﴿ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ﴾[١١]، يعني المسافر،

---

(١) سورة الروم آية : ٣٥.
(٢) سورة الروم آية : ٣٥.
(٣) سورة الروم آية : ٣٦.
(٤) سورة الروم آية : ٣٦.
(٥) سورة الروم آية : ٣٦.
(٦) سورة الروم آية : ٣٦.
(٧) سورة الروم آية : ٣٦.
(٨) سورة الروم آية : ٣٧.
(٩) سورة الروم آية : ٣٨.
(١٠) سورة الروم آية : ٣٨.
(١١) سورة الروم آية : ٣٨.

وقيل: هو الضعيف، ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [(١)]، يطلبون ثواب الله بما يعملون، ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٢)].

[٣٩] قوله ﷻ ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا ﴾ [(٣)]، قرأ ابن كثير. (أتيتم) مقصورا وقرأ الآخرون بالمد أي أعطيتم، ومن قصر فمعناه ما جئتم من ربا ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء كما يقول: أتيت خطئا وأتيت صوابا فهو يئول في معنى إلى قول مَنْ مَد. ﴿ لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ [(٤)]، قرأ أهل المدينة ويعقوب: لتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب أي لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها، ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله: ﴿ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [(٥)]، في أموال الناس أي في اختطاف أموال الناس واجتذابا، واختلفوا في معنى الآية، فقال سعيد بن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك وأكثر المفسرين: هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهذا جائز حلال لكن لا ثواب عليها في القيامة، وهو معنى قوله ﷻ فلا يربو عند الله، وكان هذا حراما على النبي ﷺ خاصة لقوله تعالى. ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ [(٦)] أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت، وقال النخعي: هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله. وقال الشعبي: هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله التماس عونه لوجه الله فلا يربو عند الله لأنه لم يرد به

(١) سورة الروم آية : ٣٨.
(٢) سورة الروم آية : ٣٨.
(٣) سورة الروم آية : ٣٩.
(٤) سورة الروم آية : ٣٩.
(٥) سورة الروم آية : ٣٩.
(٦) سورة المدثر آية : ٦.

وجه الله تعالى، ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ ﴾[1]، أعطيتم من صدقة ﴿ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[2]، فيضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها، فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات، تقول العرب: القوم مهزولون ومسمونون إذا هزلت أو سمنت إبلهم.

[٤٠] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[3].

[٤١] قوله ﷻ ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[4]، يعني قحط المطر وقلة النبات وأراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية. قال عكرمة: العرب تسمي المصر بحرا يقال: أجدب البر وانقطعت مادة البحر، ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾[5]، أي بشؤم ذنوبهم ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾[6]، أي عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[7]، عن الكفر وأعمالهم الخبيثة.

---

(١) سورة الروم آية : ٣٩.
(٢) سورة الروم آية : ٣٩.
(٣) سورة الروم آية : ٤٠.
(٤) سورة الروم آية : ٤١.
(٥) سورة الروم آية : ٤١.
(٦) سورة الروم آية : ٤١.
(٧) سورة الروم آية : ٤١.

قوله تعالى قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ

[٤٢] ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [١]، لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية، ﴿ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٢]، فأهلكوا بكفرهم.

[٤٣] ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ [٣]، المستقيم وهو دين الإسلام ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [٤]، يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الله ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٥]، أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير.

[٤٤] ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾ [٦]، أي وبال كفره، ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [٧]، يوطئون المضاجع ويسوونا في القبور.

[٤٥]. ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [٨] قال ابن عباس: ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٩].

---

(١) سورة الروم آية : ٤٢.
(٢) سورة الروم آية : ٤٢.
(٣) سورة الروم آية : ٤٣.
(٤) سورة الروم آية : ٤٣.
(٥) سورة الروم آية : ٤٣.
(٦) سورة الروم آية : ٤٤.
(٧) سورة الروم آية : ٤٤.
(٨) سورة الروم آية : ٤٥.
(٩) سورة الروم آية : ٤٥.

[٤٦] قوله ﷻ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ [١] تبشر بالمطر، ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [٢]، نعمة المطر وهي الخصب، ﴿ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [٣]، لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [٤]، رب هذه النعم.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [٥]، بالدلالات الواضحات على صدقهم. ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾ [٦]، عذبنا الذين كذبوهم، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٧]، إنجاؤهم من العذاب ففي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء، قال الحسن: أنجاهم مع الرسول من عذاب الأمم.

[٤٨] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [٨]، أي ينشره، ﴿ فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [٩]، مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على من يشاء، ﴿ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ﴾ [١٠]، قطعـا متفرقـة، ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾ [١]، المطـر، ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ

---

(١) سورة الروم آية : ٤٦.
(٢) سورة الروم آية : ٤٦.
(٣) سورة الروم آية : ٤٦.
(٤) سورة الروم آية : ٤٦.
(٥) سورة الروم آية : ٤٧.
(٦) سورة الروم آية : ٤٧.
(٧) سورة الروم آية : ٤٧.
(٨) سورة الروم آية : ٤٨.
(٩) سورة الروم آية : ٤٨.
(١٠) سورة الروم آية : ٤٨.

﴿ خِلَٰلِهِۦۖ ﴾ [2] وسطه، ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [3]، أي بالودق، ﴿ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٨ ﴾ [4] يفرحون بالمطر.

[٤٩] ﴿ وَإِن كَانُواْ ﴾ [5] وقد كانوا ﴿ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ۝٤٩ ﴾ [6]، أي آيسين، وقيل: الأولى ترجع إلى إنزال المطر والثانية إلى إنشاء السحاب.

[٥٠] ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ [7] أراد برحمة الله المطر أي انظر إلى حسن تأثيره في الأرض، قال مقاتل: أثر رحمة الله أي نعمته وهو النبت، ﴿ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ [8]، يعني أن ذلك الذي يحيي الأرض لمحيي الموتى، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٥٠ ﴾ [9].

قوله تعالى وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ...

[٥١] ﴿ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا ﴾ [10] باردة مضرة فأفسدت الزرع، ﴿ فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا ﴾ [1] أي والنبت والزرع مصفرا بعد الخضرة، ﴿ لَّظَلُّواْ ﴾ [2]، لصاروا، ﴿

(١) سورة الروم آية : ٤٨.
(٢) سورة الروم آية : ٤٨.
(٣) سورة الروم آية : ٤٨.
(٤) سورة الروم آية : ٤٨.
(٥) سورة الروم آية : ٤٩.
(٦) سورة الروم آية : ٤٩.
(٧) سورة الروم آية : ٥٠.
(٨) سورة الروم آية : ٥٠.
(٩) سورة الروم آية : ٥٠.
(١٠) سورة الروم آية : ٥١.

﴿ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ [3] أي من بعد اصفرار الزرع، ﴿ يَكۡفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [4]، يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم جحدوا سالف نعمتي.

[٥٢] ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [5].

[٥٣] ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [6].

[٥٤] ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ﴾ [7]، قرئ بضم الضاد وفتحها، فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم، ومعنى من ضعف أي من نطفة يريد من ذي ضعف أي من ماء ذي ضعف كما قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ [8]، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ﴾ [9]، من بعد ضعف الطفولية شبابا وهو وقت القوة، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ

(١) سورة الروم آية : ٥١.
(٢) سورة الروم آية : ٥١.
(٣) سورة الروم آية : ٥١.
(٤) سورة الروم آية : ٥١.
(٥) سورة الروم آية : ٥٢.
(٦) سورة الروم آية : ٥٣.
(٧) سورة الروم آية : ٥٤.
(٨) سورة المرسلات آية : ٢٠.
(٩) سورة الروم آية : ٥٤.

مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ ﴾[1]، من الضعـف والقـوة والشباب والشيبة، ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[2]، بتدبير خلقه، ﴿ ٱلۡقَدِيرُ ۝ ﴾[3] على ما يشاء.

[55] ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾[4]، يحلف المشركـون، ﴿ مَا لَبِثُواْ ﴾[5]، في الدنيا ﴿ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ ﴾[6] إلا ساعة استقلوا أجل الدنيا لّما عاينوا الآخرة، وقال مقاتل والكلبي: ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال: ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ ﴾[7]. ﴿ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ۝ ﴾[8]، يصرفون عن الحق في الدنيا، قال الكلبي ومقاتل: كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث، والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يتبين لأهل الجمع أنم كاذبون فيه، وكان ذلك بقضاء الله وبقدره بدليل قوله: ﴿ يُؤۡفَكُونَ ۝ ﴾[9] أي يصرفون عن الحق، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبم فقال:

[56] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[10] أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور، وقيل: في كتاب الله أي في حكم الله،

---

(١) سورة الروم آية : ٥٤.
(٢) سورة الروم آية : ٥٤.
(٣) سورة الروم آية : ٥٤.
(٤) سورة الروم آية : ٥٥.
(٥) سورة الروم آية : ٥٥.
(٦) سورة الروم آية : ٥٥.
(٧) سورة الأحقاف آية : ٣٥.
(٨) سورة الروم آية : ٥٥.
(٩) سورة الروم آية : ٥٥.
(١٠) سورة الروم آية : ٥٦.

وقال قتادة ومقاتل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وقال الذين في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث يعني الذين يعلمون كتاب الله، وقرءوا قوله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[(١)]، أي قالوا للمتكبرين لقد لبثتم، ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(٢)]،، وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾[(٣)]، يعني عذرهم ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[(٤)] لا يطلب منهم العتبى والرجوع إلى الدنيا.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾[(٥)]، ما أنتم إلا على باطل.

[٥٩] ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٦)] توحيد الله.

[٦٠] ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾[(٧)]، في نصرتك وإظهارك على عدوك ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾[(٨)]، لا يستجهلنك معناه لا يحملنك الذين لا يوقنون على الجهل

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠٠.
(٢) سورة الروم آية : ٥٦.
(٣) سورة الروم آية : ٥٧.
(٤) سورة الروم آية : ٥٧.
(٥) سورة الروم آية : ٥٨.
(٦) سورة الروم آية : ٥٩.
(٧) سورة الروم آية : ٦٠.
(٨) سورة الروم آية : ٦٠.

واتباعهم في الغي وقيل: لا يستخفن رأيك وحلمك، ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠ ﴾[1]، بالبعث والحساب.

(١) سورة الروم آية : ٦٠.

(٣١) سورة لقمان

قوله تعالى الم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ...

[١ - ٣] ﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ [(١)]، قرأ حمزة (ورحمة) بالرفع على الابتداء أي هو هدى ورحمة، وقرأ الآخرون بالنصب على الحال ﴿ لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾ [(٢)].

[٤،٥] ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [(٣)].

[٦] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ [(٤)]، الآية. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم فيحدث بها قريشا فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فأنزل الله هذه الآية. وقال مجاهد: يعني شراء القيان والمغنيين، ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذات لهو أو ذا لهو الحديث، وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا: لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه، ومعنى قوله: ﴿ يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ [(٥)] أي يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن، قال أبو الصباء البكري: سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات. وعن الضحاك قال: هو الشرك. وقال قتادة: هو كل لهو ولعب ﴿

---

(١) سورة لقمان آية :١ - ٣.

(٢) سورة لقمان آية : ٣.

(٣) سورة لقمان آية :٤ - ٥.

(٤) سورة لقمان آية : ٦.

(٥) سورة لقمان آية : ٦.

لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ [1] يعني يفعله عن جهل. قال قتادة: بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق. وقوله تعالى: ﴿ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ ﴾ [2]، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب. ﴿ وَيَتَّخِذَهَا ﴾ [3] بنصب الدال عطفا على قوله: ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ [4] وقرأ الآخرون بالرفع نسقا على قوله: ﴿ يَشۡتَرِي ﴾ [5]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ ﴾ [6].

[7] ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ ﴾ [7].

[8] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ [8].

[9،10] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ ﴾ [9]. حسن.

---

(1) سورة لقمان آية : ٦.
(2) سورة لقمان آية : ٦.
(3) سورة لقمان آية : ٦.
(4) سورة لقمان آية : ٦.
(5) سورة لقمان آية : ٦.
(6) سورة لقمان آية : ٦.
(7) سورة لقمان آية : ٧.
(8) سورة لقمان آية : ٨.
(9) سورة لقمان آية: ٩ - ١٠.

[١١] ﴿ هَـٰذَا ﴾[1]، يعني الذي ذكرت مما تعاينون، ﴿ خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[2]، من آلهتكم التي تعبدونا، ﴿ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١ ﴾[3].

قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ...

[١٢] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾[4]، يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝١٢ ﴾[5].

[١٣] ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ ﴾[6]، واسمه أنعم ويقال: مشكم، ﴿ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣ ﴾[7]، قرأ ابن كثير: ﴿ يَـٰبُنَىِّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ ﴾[8] بإسكان الياء، وفتحها حفص، والباقون بالكسر، ﴿ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ ﴾[9] بفتح

---

(١) سورة لقمان آية : ١١.
(٢) سورة لقمان آية : ١١.
(٣) سورة لقمان آية : ١١.
(٤) سورة لقمان آية : ١٢.
(٥) سورة لقمان آية : ١٢.
(٦) سورة لقمان آية : ١٣.
(٧) سورة لقمان آية : ١٣.
(٨) سورة لقمان آية : ١٣.
(٩) سورة لقمان آية : ١٦.

الياء حفص، والباقون بالكسر، ﴿ يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [1] بفتح الياء البزي عن ابن كثير وحفص، وبإسكانها القواس، والباقون بكسرها.

[١٤] ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ ﴾ [2]، قال ابن عباس: شدة بعد شدة. وقال الضحاك: ضعفا على ضعف. قال مجاهد: مشقة على مشقة. وقال الزجاج: المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة. ويقال: الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف، ﴿ وَفِصَـٰلُهُۥ ﴾ [3]، أي فطامه، ﴿ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [4] المرجع، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين.

[١٥] ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ [5]، أي بالمعروف، وهو البر والصلة والعشرة الجميلة، ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ [6]، أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ وأصحابه، قال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال: نعم هو صادق فآمنوا به ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا فهؤلاء لهم

---

(١) سورة لقمان آية : ١٧.
(٢) سورة لقمان آية : ١٤.
(٣) سورة لقمان آية : ١٤.
(٤) سورة لقمان آية : ١٤.
(٥) سورة لقمان آية : ١٥.
(٦) سورة لقمان آية : ١٥.

سابقة الإسلام أسلمـوا بإرشاد أبي بكر، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾[1]، يعني أبـا بكـر، ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٥ ﴾[2]، وقيل: نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه وقيل: الآية عامة في حق كافة الناس.

[١٦] ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾[3]، الكنايـة في قولـه: ﴿ إِنَّهَآ ﴾[4]، راجعة إلى الخطيئة، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ ﴾[5].

قـال قتـادة: تكن في جبل. وقال ابن عباس: في صخرة تحت الأرضين السبع ﴿ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾[6]، باستخراجها، ﴿ خَبِيرٞ ۝١٦ ﴾[7]، عالم بمكانها، قال الحسن: معنى الآية هي الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها.

[١٧] ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾[8]، يعني من الأذى، ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧ ﴾[1]، يريد الأمر بالمعروف

---

(١) سورة لقمان آية : ١٥.
(٢) سورة لقمان آية : ١٥.
(٣) سورة لقمان آية : ١٦.
(٤) سورة لقمان آية : ١٦.
(٥) سورة لقمان آية : ١٦.
(٦) سورة لقمان آية : ١٦.
(٧) سورة لقمان آية : ١٦.
(٨) سورة لقمان آية : ١٧.

والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فيهما من الأمور الواجبة التي أمر الله بها أو من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها.

[١٨] ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾[٢]، قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ ﴾ [٣] بتشديد العين من غير ألف وقرأ الآخرون تُصَاعِرْ بالألف يقال: صعر وجهه وصاعر إذا مال "أعرض تكبرا ورجل أصعر أي مائل العنق. قال ابن عباس: يقول لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه. وقال عكرمة: هو الذي إذا سُلِّمَ عليه لَوَى عنقه تقصيرا. وقال الربيع بن أنس وقتادة: ولا تحتقرن الفقراء ليكن الفقر والغنى عندك سواء، ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾[٤]. خيلاء تكبرا، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾[٥]، في مشيه ﴿ فَخُورٍ ﴾[٦]، على الناس.

[١٩] ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾[٧]، أي ليكن مشيك قصدا لا تخيلا ولا إسراعا. وقال عطـاء: امش بالوقار والسكينة، كقوله: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[٨]، ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾[٩]، وقال مقاتل: اخفض من صوتك، ﴿ إِنَّ أَنكَرَ

(١) سورة لقمان آية : ١٧.
(٢) سورة لقمان آية : ١٨.
(٣) سورة لقمان آية : ١٨.
(٤) سورة لقمان آية : ١٨.
(٥) سورة لقمان آية : ١٨.
(٦) سورة لقمان آية : ١٨.
(٧) سورة لقمان آية : ١٩.
(٨) سورة الفرقان آية : ٦٣.
(٩) سورة لقمان آية : ١٩.

ﭐلۡأَصۡوَٰتِ ﴾ [(١)]، أقبح الأصوات ﴿ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [(٢)]، أوله زفير وآخره شهيق وهما صوتا أهل النار، وقال موسى بن أعين: سمعت سفيان الثوري يقول في قوله: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [(٣)]، قال: صياح كل شيء تسبيح لله إلا الحمار. وقال جعفر الصادق في قوله: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [(٤)] قال: هي العطسة القبيحة المنكرة.

قوله تعالى أَلَمْ تَرَوْا أن اللهَ سَخرَ لَكُمْ مَا فِي السمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرض وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...

[٢٠] قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [(٥)]، أتم وأكمل، ﴿ نِعَمَهُۥ ﴾ [(٦)] قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وحفص ﴿ نِعَمَهُۥ ﴾ [(٧)] بفتح العين والهاء على الجمع، وقرأ الآخرون منونة على الواحد ومعناها الجمع أيضا كقوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [(٨)]، ﴿ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ ﴾ [(٩)]، قال عكرمة عن ابن عباس: النعمة الظاهرة الإسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة. وقال الضحاك: الظاهرة حسن الصورة

---

(١) سورة لقمان آية : ١٩.
(٢) سورة لقمان آية : ١٩.
(٣) سورة لقمان آية : ١٩.
(٤) سورة لقمان آية : ١٩.
(٥) سورة لقمان آية : ٢٠.
(٦) سورة لقمان آية : ٢٠.
(٧) سورة لقمان آية : ٢٠.
(٨) سورة إبراهيم آية : ٣٤.
(٩) سورة لقمان آية : ٢٠.

وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة. وقال مقاتل. الظاهرة تسوية الخلق والرزق والإسلام، والباطنة الإيمان. وقال الربيع: الظاهرة الجوارح والباطنة القلب، وقيل: الظاهرة الإقرار باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب. وقيل: الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق. وقال عطاء: الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة. وقال مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد بالملائكة. وقيل: الظاهرة الإمداد بالملائكة والباطنة إلقاء الرعب في قلوب الكفار. وقال سهل بن عبد الله: الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ [1] نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم، ﴿ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٢٠ ﴾ [2].

[٢١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ [3]، قال الله ﷻ ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [4]، وجواب لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه، يعني يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿ ۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [5]، يعني لله أي يخلص دينه لله ويفوض أمره إلى الله، ﴿ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [6]، في عمله، ﴿ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ

(١) سورة لقمان آية : ٢٠.
(٢) سورة لقمان آية : ٢٠.
(٣) سورة لقمان آية : ٢١.
(٤) سورة لقمان آية : ٢١.
(٥) سورة لقمان آية : ٢٢.
(٦) سورة لقمان آية : ٢٢.

ۗ ﴾ (١)، أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢).

[٢٣] ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣).

[٢٤] ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ﴾ (٤)، أي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلا إلى انقضاء آجالهم، ﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ ﴾ (٥) ثم نلجئهم ونردهم في الآخرة، ﴿ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٦)، وهو عذاب النار.

[٢٥] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٧).

[٢٦] ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٨).

[٢٧] قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ ﴾ (٩) قال قتادة: إن المشركين قالوا: إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفد فينقطع فـ لـت. ﴿ وَلَوْ

---

(١) سورة لقمان آية : ٢٢.
(٢) سورة لقمان آية : ٢٢.
(٣) سورة لقمان آية : ٢٣.
(٤) سورة لقمان آية : ٢٤.
(٥) سورة لقمان آية : ٢٤.
(٦) سورة لقمان آية : ٢٤.
(٧) سورة لقمان آية : ٢٥.
(٨) سورة لقمان آية : ٢٦.
(٩) سورة لقمان آية : ٢٧.

﴿ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ [1] أي بريــت أقلامــا، ﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ ﴾ [2]، قرأ أبو عمرو ويعقوب: (وَالْبَحْرَ) بالنصب عطفا على (مَا)، والباقون بالرفع على الاستئناف ﴿ يَمُدُّهُۥ ﴾ [3] أي يزيده، وينصبّ فيه ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [4] من خلفه، ﴿ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [5]، وفي الآية اختصار تقديره: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده مع بعده سبعــة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفدت كلمات الله. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [6].

[٢٨] ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ ﴾ [7] أي: كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [8].

قوله تعالى ألَمْ تَرَ أن اللهَ يُولِجُ اللّيْلَ فِي النهَارِ وَيُولِجُ النهَارَ فِي اللّيْل وَسَخرَ الشمْسَ وَالْقَمَرَ كُل يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمى...

[٢٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [9].

(١) سورة لقمان آية : ٢٧.
(٢) سورة لقمان آية : ٢٧.
(٣) سورة لقمان آية : ٢٧.
(٤) سورة لقمان آية : ٢٧.
(٥) سورة لقمان آية : ٢٧.
(٦) سورة لقمان آية : ٢٧.
(٧) سورة لقمان آية : ٢٨.
(٨) سورة لقمان آية : ٢٨.
(٩) سورة لقمان آية : ٢٩.

[٣٠] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾[(١)]، أي ذلك الذي ذكرت لتعلموا أن الله هو الحق، ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾[(٢)].

[٣١] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾[(٣)]، إن ذلك من نعمة الله عليكم، ﴿ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾[(٤)]، عجائبه، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾[(٥)] على أمر الله ﴿ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾[(٦)]، لنعمه.

[٣٢] ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ ﴾[(٧)]، قال مقاتل: كالجبال. وقال الكلبي: كالسحاب. والظل جمع الظلة شبه با الموج في كثرتا وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظل وهي جمع، لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء، ﴿ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾[(٨)] أي عدل موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني ثبت على إيمانه قيل: نزلت في عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح إلى البر فجاءتم ريح عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن إلى محمد ﷺ ولأضعن يدي في يده فسكنت الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه. وقال مجاهد: فمنهم مقتصد في القول مضمر للكفر وقال الكلبي: مقتصد في القول أي مكان

(١) سورة لقمان آية : ٣٠.
(٢) سورة لقمان آية : ٣٠.
(٣) سورة لقمان آية : ٣١.
(٤) سورة لقمان آية : ٣١.
(٥) سورة لقمان آية : ٣١.
(٦) سورة لقمان آية : ٣١.
(٧) سورة لقمان آية : ٣٢.
(٨) سورة لقمان آية : ٣٢.

الكفار لأن بعضهـم كان أشد قولا وأغلى في الافتراء من بعض، ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴾[1]، والختر أسوأ الغدر.

[٣٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي ﴾[2]، لا يقضي ولايغني، ﴿ وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ ﴾[3]، مغن، ﴿ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ ﴾[4]، قال ابن عباس: كل امرئ تهمه نفسه، ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[5]، يعني الشيطان. قال سعيد بن جبير: هو أن يعمل المعصية ويتمنى المغفرة.

[٣٤] قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [6] الآية نزلت في الحارث بن عمرو من أهل البادية أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال: إن أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلى، فمتى تلد، وقد علمتُ أين ولدتُ فبأي أرض أموت؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ﴾ [7] وقرأ أبي بن كعب (بأية أرض) لأن الأرض ليس فيها من علامات التأنيث شيء. وقيل أراد بالأرض المكان، عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: « مفاتيح الغيب خمس: إن

(١) سورة لقمان آية : ٣٢.
(٢) سورة لقمان آية : ٣٣.
(٣) سورة لقمان آية : ٣٣.
(٤) سورة لقمان آية : ٣٣.
(٥) سورة لقمان آية : ٣٣.
(٦) سورة لقمان آية٢ / ٥٢٤ والمصنف في شرح السنة ٤ / ٤٤.

الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ [(١)] [(٢)] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [(٣)].

(٣٢) سورة السجدة

قوله تعالى الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ...

[١، ٢] ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [(٤)]، قال مقاتل: لا شك فيه أنه تنزيل من رب العالمين.

[٣] ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ﴾ [(٥)] بل يقولون ﴿ ٱفۡتَرَىٰهُۚ ﴾ [(٦)]، وقيل: الميم صلة أي أيقولون افتراه، استفهام توبيخ، وقيل: أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراه، وقيل: فيه إضمار مجاز فهم يؤمنون، أم يقولون افتراه، ثم قال: ﴿ بَلۡ هُوَ ﴾ [(٧)]، يعني القرآن، ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم ﴾ [(٨)] يعني لم يأتهم، ﴿ مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ [(٩)]، قال قتادة: كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ وقال ابن عباس ومقاتل: ذاك في الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام وبين محمد ﷺ ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [(١٠)].

---

(١) البخاري التوحيد (٦٩٤٤)، أحمد (٢/٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في الاستسقاء ٢ / ٥٢٤ والمصنف في شرح السنة ٤ / ٤٢٢.

(٣) سورة لقمان آية : ٣٤.

(٤) سورة السجدة آية :١ - ٢.

(٥) سورة السجدة آية : ٣.

(٦) سورة السجدة آية : ٣.

(٧) سورة السجدة آية : ٣.

(٨) سورة السجدة آية : ٣.

(٩) سورة السجدة آية : ٣.

(١٠) سورة السجدة آية : ٣.

[٤] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [١] .

[٥] ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [٢] أي يحكم الأمر وي ل القضاء والقدر، ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٣]، وقيل: ي ل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض، ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ ﴾ [٤]، يصعد ﴿ إِلَيْهِ ﴾ [٥]، جبريل بالأمر، ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [٦] ، أي في يوم واحد من أيام الدنيا وقدره مسيرة ألف سنة خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، يقول: لو سار فيه أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة، والملائكة يقطعون في يوم واحد، هذا في وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء، وأما قوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [٧]، أراد مدة المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا، هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك. وقوله: إليه أي إلى الله. وقيل: على هذا التأويل إلى مكان الملك الذي أمره الله ﷻ أن يعرج إليه. وقال بعضهم: ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم أقصر، معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا، ثم يعرج أي

---

(١) سورة السجدة آية : ٤.
(٢) سورة السجدة آية : ٥.
(٣) سورة السجدة آية : ٥.
(٤) سورة السجدة آية : ٥.
(٥) سورة السجدة آية : ٥.
(٦) سورة السجدة آية : ٥.
(٧) سورة المعارج آية : ٤.

يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا، وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكام في يوم مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة، وأما قوله: خمسين ألف سنة فإنه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث: ﴿ أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا ﴾[1] [2] وقال إبراهيم التيمي لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر، ويجوز أن يكون هذا إخبار عن شدته وهوله ومشقته.

[٦] ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[3]، معنى ذلك الذي صنع ما ذكره من خلق السماوات والأرض عالم ما غاب عن عيان الخلق وما حضر، ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ﴾[4].

[٧] ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾[5]، قـرأ نافـع وأهل الكوفة ﴿ خَلَقَهُۥۖ ﴾[6] بفتح اللام على الفعل وقرأ الآخرون بسكونا، أي أحسن خلق كل شيء، قال ابن عباس: أتقنه وأحكمه. قال قتادة: حسن. وقال مقاتل: علم كيف يخلق كل شيء، من قولك: فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه. وقيل: خلق كل حيوان على صورته لم يخلق

(١) أحمد (٧٥/٣).
(٢) أخرج نحوه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٧٥ والمصنف في شرح السنة ١٥ / ١٢٩ قال الشيخ الأرناؤوط: وفيه ابن لهيعة سيئ الحفظ وحسنه الهيثمي في المجمع ١٠ / ٣٣٧.
(٣) سورة السجدة آية : ٦.
(٤) سورة السجدة آية : ٦.
(٥) سورة السجدة آية : ٧.
(٦) سورة السجدة آية : ٧.

البعض على صورة البعض، فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح به معاشه، ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾[1]، يعني آدم.

[8] ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ ﴾[2]، يعني ذريته، ﴿ مِن سُلَـٰلَةٍ ﴾[3]، نطفة سميت سلالة لأنا تسل من الإنسان ﴿ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾[4]، أي ضعف وهو نطفة الرجل.

[9] ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾[5]، ثم سوى خلقه، ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ ﴾[6]، ثم عاد إلى ذريته، فقال: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ﴾[7]، بعد أن كنتم نطفا، ﴿ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ ﴾[8]، يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه.

[10] ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾[9]، يعني منكري البعث، ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا ﴾[10]، هلكنا ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[11] وصرنا ترابا وأصله من قولهم: ضل الماء في اللبن إذا ذهب، ﴿ أَءِنَّا

(1) سورة السجدة آية : 7.
(2) سورة السجدة آية : 8.
(3) سورة السجدة آية : 8.
(4) سورة السجدة آية : 8.
(5) سورة السجدة آية : 9.
(6) سورة السجدة آية : 9.
(7) سورة السجدة آية : 9.
(8) سورة السجدة آية : 9.
(9) سورة السجدة آية : 10.
(10) سورة السجدة آية : 10.
(11) سورة السجدة آية : 10.

لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۢ ﴾(1)، استفهام إنكار. قال الله ﷻ ﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ﴾(2)، أي بالبعث بعد الموت.

[11] ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم ﴾(3)، يقبض أرواحكم، ﴿ مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾(4)، أي وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيل، والتوفي استيفاء المضروب للخلق في الأزل، معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١ ﴾(5)، أي تصيرون إليه أحياء فيجزيكم بأعمالكم.

قوله تعالى وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ...

[12] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾(6)، المشركون، ﴿ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ ﴾(7)، مطأطئو رءوسهم، ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾(8)، حياء منه وندما. ﴿ رَبَّنَآ ﴾(9)، أي يقولون: ربنا ﴿ أَبْصَرْنَا ﴾(10)، ما كنا به مكذبين، ﴿ وَسَمِعْنَا ﴾(1)، منك تصديق ما أتتنا به

---

(1) سورة السجدة آية : 10.
(2) سورة السجدة آية : 10.
(3) سورة السجدة آية : 11.
(4) سورة السجدة آية : 11.
(5) سورة السجدة آية : 11.
(6) سورة السجدة آية : 12.
(7) سورة السجدة آية : 12.
(8) سورة السجدة آية : 12.
(9) سورة السجدة آية : 12.
(10) سورة السجدة آية : 12.

به رسلك. وقيل: أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا، ﴿ فَٱرۡجِعۡنَا ﴾[2]، فارددنا إلى الدنيا، ﴿ نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ ﴾[3]، وجواب لو مضمر مجازه لرأيت العجب.

[١٣] ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا ﴾[4]، رشدها وتوفيقها للإيمان، ﴿ وَلَٰكِنۡ حَقَّ ﴾[5]، وجب، ﴿ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣ ﴾[6]، وهو قوله لإبليس: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥ ﴾[7]، ثم يقال لأهل النار، وقال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة.

[١٤] ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ ﴾[8]، أي تركتم الإيمان به في الدنيا، ﴿ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ ﴾[9]، تركناكم ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤ ﴾[10]، من الكفر والتكذيب.

---

(١) سورة السجدة آية : ١٢.
(٢) سورة السجدة آية : ١٢.
(٣) سورة السجدة آية : ١٢.
(٤) سورة السجدة آية : ١٣.
(٥) سورة السجدة آية : ١٣.
(٦) سورة السجدة آية : ١٣.
(٧) سورة ص آية : ٨٥.
(٨) سورة السجدة آية : ١٤.
(٩) سورة السجدة آية : ١٤.
(١٠) سورة السجدة آية : ١٤.

[١٥] قوله ﷻ ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا ﴾[١]، وعظوا بها، ﴿ خَرُّوا۟ سُجَّدًا ﴾[٢]، سقطوا على وجوههم ساجدين، ﴿ وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[٣]، قيل: صلوا بأمر ربهم، وقيل: قالوا: سبحان الله وبحمده، ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[٤]، عن الإيمان والسجود له.

[١٦] ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾[٥]، ترتفع وتنبوا، ﴿ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[٦]، جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل، الذين يقومون للصلاة، واختلفوا في المراد بهذه الآية، قال أنس: نزلت فينا معشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ. وعن أنس أيضا قال: نزلت في أناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر، وقالا: هي صلاة الأوابين. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوابين. وقال عطاء: هم الذين لا يقومون حتى يصلوا العشاء الآخرة. وعن أبي الدرداء وأبي ذر وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم: هم الذين يصلون العشاء الآخرة والفجر في جماعة، وأشهر الأقاويل أن المراد منه صلاة الليل، وهو قول الحسن ومجاهد ومالك

---

(١) سورة السجدة آية : ١٥.

(٢) سورة السجدة آية : ١٥.

(٣) سورة السجدة آية : ١٥.

(٤) سورة السجدة آية : ١٥.

(٥) سورة السجدة آية : ١٦.

(٦) ٧ / ٣٦٢ وقال: (هذا حديث حسن صحيح) والنسائي في التفسير ٢ / ١٥٦ وابن ماجه في الفتن رقم (٣٩٧٣) وعبد الرزاق في المصنف ١١ / ١٩٤ وعبد بن حميد في المنتخب من المسند برقم (١١٢) ص ٦٨ وأخرجه الحاكم مطولا ٢ / ٤) وعبد الرزاق في المصنف ١١ / ١٩٤ وعبد بن حميد في المنتخب من المسند برقم (١١٢) ص ٦٨ وأخرجه الحاكم مطولا ٢ / ٤١٢ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

والأوزاعي وجماعة، ﴿ عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفرنا فأصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: " لقد سألت عن أمر عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت "، ثم قال: " ألا أدلك على أبواب الخير: الصـوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجـل في جـوف الليـل " ثم تـلا ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [7] حتى بلـغ ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾ [8] ثم قال: ألا أدلك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: " رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد ﴾ [9].

قوله ﷻ ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [1] قال ابن عباس: خوفا من النار وطمعا في الجنة، ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ ﴾ [2]، قيل: أراد به الصدقة المفروضة. وقيل: في الواجب والتطوع.

[١٧] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم ﴾ [3]، قرأ حمزة ويعقوب:(أُخْفِي لَهُمْ) ساكنة الياء أي أنا أخفي لهم، ومن حجته قراءة ابن مسعود (نخفي) بالنون، وقرأ الآخرون بفتحها، ﴿ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [4]، ما تقر به أعينهم، ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾ [5] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "يقول ﴿ الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي

---

(١) سورة السجدة آية : ١٦.
(٢) سورة السجدة آية : ١٦.
(٣) سورة السجدة آية : ١٧.
(٤) سورة السجدة آية : ١٧.
(٥) سورة السجدة آية : ١٧.

الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴾ (1) (2) ". قال ابن عباس: هذا مما لا تفسير له. وعن بعضهم قال: أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

[١٨] قوله ﷻ ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ (3)، ولم يقل لا يستويان لأنه لم يرد مؤمنا واحدا وفاسقا واحدا بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين.

[١٩] ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (4)، التي يأوي إليها المؤمنون، ﴿ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (5).

[٢٠] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (6).

قوله تعالى وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ...

[٢١] ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ (7) أي سوى العذاب الأكبر، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (8) قال أبي بن كعب والضحاك والحسن وإبراهيم: العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وهو رواية الوالبي عن ابن عباس. وقال

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٥٠١)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤)، الترمذي تفسي٦ / ٣١٨ ومسلم في الجنة برقم (٢٨٢٤) ٤ / ٢أحمد (٤٣٨/٢)، الدارمي الرقاق (٢٨٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٦ / ٣١٨ ومسلم في الجنة برقم (٢٨٢٤) ٤ / ٢١٧٤.

(٣) سورة السجدة آية : ١٨.

(٤) سورة السجدة آية : ١٩.

(٥) سورة السجدة آية : ١٩.

(٦) سورة السجدة آية : ٢٠.

(٧) سورة السجدة آية : ٢١.

(٨) سورة السجدة آية : ٢١.

عكرمة عنه: الحدود. وقال مقاتل: الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب. وقال ابن مسعود: هو القتـل بالسيـف يـوم بدر، وهو قول قتادة والسدي، ﴿ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ [1]، يعني عذاب الآخرة، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [2] إلى الإيمان، يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط.

[٢٢] قوله ﷻ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [3]، يعني المشركين، ﴿ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4].

[٢٣، ٢٤] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ ﴾ [5]، يعني فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة المعراج، قاله ابن عباس وغيره عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: « رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة » [6] [7] قال السدي: فلا تكن في مرية من لقائه أي مـن تلقي موسـى كتاب الله بالرضا والقبول، ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُ ﴾ [8]، يعني الكتاب وهـو التـوراة، وقال قتادة: موسى، ﴿ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ ﴾ [9]، يعني من بني إسرائيـل، ﴿

(١) سورة السجدة آية : ٢١.
(٢) سورة السجدة آية : ٢١.
(٣) سورة السجدة آية : ٢٢.
(٤) سورة السجدة آية : ٢٢.
(٥) سورة السجدة٦ / ٣١٤ ومسلم في الإيمان برقم (١٦٥) ١ / ١)، مسلم الإيمان (١٦٥)، أحمد (٣٤٢/١).
(٧) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٦ / ٣١٤ ومسلم في الإيمان برقم (١٦٥) ١ / ١٥١.
(٨) سورة السجدة آية : ٢٣.
(٩) سورة السجدة آية : ٢٣ - ٢٤.

﴿ أَيِمَّةً ﴾[1]، قادة في الخير يقتـدى بهم، يعني الأنبياء الذين كانوا فيهم. وقال قتـادة: أتبـاع الأنبيـاء، ﴿ يَهْدُونَ ﴾[2] يدعـون، ﴿ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾[3]، قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم أي لصبرهم وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميـم، أي حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر، ﴿ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

[٢٥] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ ﴾[5]، يقضي، ﴿ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[6].

[٢٦] ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ ﴾[7]، لم يتبين، ﴿ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[8]، آيات الله وعظاته فيتعظون بها.

[٢٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾[1]، أي اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ ﴾[2]، من العشب والتبن، ﴿ وَأَنفُسُهُمْ ۖ ﴾[3]، مـن الحبوب والأقـوات، ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة السجدة آية : ٢٤.
(٢) سورة السجدة آية : ٢٤.
(٣) سورة السجدة آية : ٢٤.
(٤) سورة السجدة آية : ٢٤.
(٥) سورة السجدة آية : ٢٥.
(٦) سورة السجدة آية : ٢٥.
(٧) سورة السجدة آية : ٢٦.
(٨) سورة السجدة آية : ٢٦.

[٢٨] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [٥]، قيل: أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد، قال قتادة: قال أصحاب النبي للكفار: إن لنا يوما نتنعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم، فقالوا استهزاء: متى هذا الفتح؟ أي القضاء والحكم، وقال الكلبي: يعني فتح مكة. وقال السدي: يوم بدر لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون لهم: إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم، فيقولون: متى هذا الفتح.

[٢٩] ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ ﴾ [٦]، يوم القيامة، ﴿ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ ﴾ [٧]، ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال: معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا، ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [٨]، لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا.

[٣٠] ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [٩] قال ابن عباس: نسختها آية السيف، ﴿ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ [١٠]، قيل: انتظر موعدي لك بالنصر إنهم منتظرون بك حوادث الزمان. وقيل: انتظر عذابنا فيهم فإنهم منتظرون ذلك.

---

(١) سورة السجدة آية : ٢٧.
(٢) سورة السجدة آية : ٢٧.
(٣) سورة السجدة آية : ٢٧.
(٤) سورة السجدة آية : ٢٧.
(٥) سورة السجدة آية : ٢٨.
(٦) سورة السجدة آية : ٢٩.
(٧) سورة السجدة آية : ٢٩.
(٨) سورة السجدة آية : ٢٩.
(٩) سورة السجدة آية : ٣٠.
(١٠) سورة السجدة آية : ٣٠.

(٣٣) سورة الأحزاب

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا...﴾

[١] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ (١)، نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور وعمرو بن سفيان السلمي، وذلك أنهم قدموا المدينة على عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم، فقال: إني قد أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ (٢) أي دُمْ على التقوى، كالرجل يقول لغيره وهو قائم: قم هاهنا أي اثبت قائما. وقيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة. وقال الضحاك: معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم. ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٣) من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور، ﴿ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ ﴾ (٤) من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ (٥)، لخلقه، قبل أن يخلقهم، ﴿ حَكِيمًا ۝١ ﴾ (٦) فيما دبره لهم.

---

(١) سورة الأحزاب آية : ١.
(٢) سورة الأحزاب آية : ١.
(٣) سورة الأحزاب آية : ١.
(٤) سورة الأحزاب آية : ١.
(٥) سورة الأحزاب آية : ١.
(٦) سورة الأحزاب آية : ١.

[٢] ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٢ ﴾[١]، قرأ أبو عمرو (يعملون خبيرا) و (يعملون بصيرا) بالياء فيهما وقرأ غيره بالتاء.

[٣] ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾[٢] ثق بالله، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٣ ﴾[٣] حافظا لك، وقيل: كفيلا برزقك.

[٤] قوله ﷻ ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴾[٤] نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وقال الزهري ومقاتل: هذا مثل ضربه الله ﷻ للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين. ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ ﴾[٥] صورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، يقول الله تعالى: ما جعل نساءكم اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم، ولكنه منكر وزور، وفيه كفارة نذكرها إن شاء الله تعالى في سورة المجادلة. ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ ﴾[٦]، يعني من تبنيتموه ﴿ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ﴾[٧]، فيه نسخ التبني، وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له يدعوه الناس إليه ويرث ميراثه، وأن

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٢.

(٢) سورة الأحزاب آية : ٣.

(٣) سورة الأحزاب آية : ٣.

(٤) سورة الأحزاب آية : ٤.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٤.

(٦) سورة الأحزاب آية : ٤.

(٧) سورة الأحزاب آية : ٤.

النبي ﷺ أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهـو ينهـى الناس عـن ذلك فأنزل الله هذه الآية ونسخ التبني، ﴿ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ﴾ [1]، لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد ﷺ نسب لا حقيقة له، ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾ [2]، يعني قوله الحق، ﴿ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ﴾ [3]، أي يرشدهم إلى سبيل الحق.

[5] ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾ [4] الذين ولدوهـم، ﴿ هُوَ أَقْسَطُ ﴾ [5] أعدل ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ [6]، يعني فهم إخوانكم، ﴿ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ ﴾ [7]، إن كانوا محررين وليسوا بنيكم، أي سموهم بأسماء إخوانكم في الدين. وقيل: مواليكم أي أولياءكم في الدين، ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾ [8]، قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه، ﴿ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ ﴾ [9]، ومن دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي. وقال قتادة: فيما أخطأتم به أن تدعوه لغير أبيه

(١) سورة الأحزاب آية : ٤.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٤.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٤.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٥.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٥.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٥.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٥.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٥.
(٩) سورة الأحزاب آية : ٥.

وهو يظن أنه كذلك ومحل (ما) في قوله تعالى: ﴿ مَّا تَعَمَّدَتْ ﴾ [1] خفض ردا على ﴿ مَّا ﴾ [2] التي في قوله: ﴿ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾ [3] مجازه ولكن فيما تعمدت قلوبكم، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [4] قال رسول الله ﷺ ﴿ من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام ﴾ [5] [6].

[٦] قوله ﷻ ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [7]، يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم. وقال ابن عباس وعطاء: يعني إذا دعاهم النبي ﷺ ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من أنفسهم، وقيل: هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذلك النفس دونه. وقيل: كان النبي ﷺ يخرج إلى الجهاد فيقول قوم: نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، ف لت الآية، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ﴿ ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم ﴿ ٱلنَّبِيُّ

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥.

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥.

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥.

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥.

(٥) البخاري المغازي (٤٠٧٢)، مسلم الإيمان (٦٣)، أبو ٨ / ٤٥ ومسلم في الإيمان رقم (٦٣) ١ / ٨٦١٠)، أحمد (١/١٨٠)، الدارمي السير (٢٥٣٠).

(٦) أخرجه البخاري في المغازي ٨ / ٤٥ ومسلم في الإيم٥ / ٦١ ومسلم في الفرائض رقم (١٦١٩) ٣ / ١آية : ٦.

أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ [1] فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك دَيْنًا أو ضِيَاعًا فليأتني فأنا مولاه ﴾ [2].

قوله ﷻ ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [3]، وفي حرف أُبيّ (وأزواجه وأمهاتم)، وهو لهم وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأبيد، لا في النظر إليهن والخلوة بن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ﴾ [4] ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [5]، يعني في الميراث، قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة. قال الكلبي: آخى رسول الله ﷺ بين الناس، فكان يؤاخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت هذه الآية ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [6] في حكم الله و ﴿ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [7]، الذين آخى رسول الله ﷺ بينهم، ﴿ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ [8]، يعني ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرث بالإيمان والهجرة، نسخت هذه الآية الموارثة بالمآخاة والهجرة وصارت القرابة. قوله: ﴿ إِلَّآ أَن

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٦.

(٢) أخرجه البخاري في الاستقراض ٥ / ٦١ ومسلم في الفرائض رقم (١٦١٩) ٣ / ١٢٣٨.

(٣) سورة الأحزاب آية : ٦.

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٣.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٦.

(٦) سورة الأحزاب آية : ٦.

(٧) سورة الأحزاب آية : ٦.

(٨) سورة الأحزاب آية : ٦.

تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ ﴾ [1]، أراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين، وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه. وقال مجاهد: أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة لحق الإيمان بالهجرة. وقيل: أراد بالآية إثبات الميراث بالإيمان والهجرة، يعني وأولو الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض، أي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا يعني إلا أن توصوا لذوي قراباتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة، وهذا قول قتادة وعطاء وعكرمة. ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٦ ﴾ [2]، أي كان الذي ذكر من أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا. وقال القرظي: في التوراة.

قوله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا...

[٧] ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ ﴾ [3]، على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض. قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله ويصدق بعضهم بعضا وينصحوا لقومهم، ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ ﴾ [4]، خص هؤلاء الخمسة بالذكر من النبيين لأنهم أصحاب

(١) سورة الأحزاب آية : ٦.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٦.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٧.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٧.

الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝ ﴾[1]، عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا.

[٨] ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾[2]، يقول: أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه أنهم صادقون لتبكيت من أرسلوا إليهم. وقيل: ليسأل الصادقين عن علمهم لله عز وجل. وقيل: ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبم. ﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ﴾[3].

[٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[4]، وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق، ﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾[5]، يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير، ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾[6]، وهي الصَبا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور »[7] [8].

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٧.

(٢) سورة الأحزاب آية : ٨.

(٣) سورة الأحزاب آية : ٨.

(٤) سورة الأحزاب آية : ٩.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٩.

(٦) سورة الأحزاب آ٢ / ٥٢ ومسلم في الاستسقاء رقم (٩٠٠) ٢ / ٦صلاة الاستسقاء (٩٠٠)، أحمد (٣٤١/١).

(٨) أخرجه البخاري في الاستسقاء ٢ / ٥٢ ومسلم في الاستسقاء رقم (٩٠٠) ٢ / ٦١٧.

قوله تعالى: ﴿ وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[1]، وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ، فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض فانهزموا من غير قتال. ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ ﴾[2].

[١٠] ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ ﴾[3] أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة، ﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾[4]، يعني من بطن الوادي من قبل الغرب، وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه، وأبو الأعور بن سفيان السلمي من قبل الخندق، وكان السبب الذي جر غزوة الخندق فيما قيل إجلاء رسول الله ﷺ بني النضير من ديارهم، ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[5]، مالت وشخصت من الرعب، وقيل: مالت عن الشيء فلم تنظر إلى عدوها، ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾[6]، فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق مات الفزع، والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف، قال الفراء: معناه أنم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته فإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره، ﴿

(١) سورة الأحزاب آية : ٩.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٩.
(٣) سورة الأحزاب آية : ١٠.
(٤) سورة الأحزاب آية : ١٠.
(٥) سورة الأحزاب آية : ١٠.
(٦) سورة الأحزاب آية : ١٠.

﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[1]، أي اختلفت الظنون فظن المنافقون استئصال محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وظن المؤمنون النصر والظفر لهم، قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر: الظنونا والرسولا والسبيلا بإثبات الألف وصلا ووقفا لأنا مثبتة في المصاحف بالألف، وقرأ أهل البصرة وحمزة بغير الألف في الحالين على الأصل، وقرأ الآخرون بالألف في الوقف دون الوصل لموافقة رءوس الآي.

[١١] ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ﴾[2]، أي عند ذلك اختبر، ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3]، بالحصر والقتال ليتبين المخلص من المنافق، ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[4]، حركوا حركة شديدة.

[١٢] ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ ﴾[5]، معتب بن قشير، وقيل: عبد الله بن أبي وأصحابه، ﴿ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[6] شك وضعف اعتقاد، ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[7]، وهو قول أهل النفاق: يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا والله الغرور.

[١٣] ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾[8]، أي من المنافقين وهم أوس بن قيظي وأصحابه، ﴿ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ ﴾[1]، يعني المدينة، قال أبو عبيدة: يثرب، وقال: هي مدينة

---

(١) سورة الأحزاب آية : ١٠.
(٢) سورة الأحزاب آية : ١١.
(٣) سورة الأحزاب آية : ١١.
(٤) سورة الأحزاب آية : ١١.
(٥) سورة الأحزاب آية : ١٢.
(٦) سورة الأحزاب آية : ١٢.
(٧) سورة الأحزاب آية : ١٢.
(٨) سورة الأحزاب آية : ١٣.

الرسول ﷺ في ناحية منها، وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب، وقال: "هي طابة"، كأنه كره هذا اللفظ ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [2]، قرأ العامة بفتح الميم أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وحفص بضم الميم أي لا إقامة لكم، ﴿ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [3] إلى منازلكم عن اتباع محمد ﷺ وقيل: عن القتال إلى مساكنكم، ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ ﴾ [4] وهم بنو حارثة وبنو سلمة، ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ [5]، أي خالية ضائعة، وهو مما يلي العدو ونخشى عليها السراق، وقرأ أبو رجاء العطاردي (عَوِرَةٌ) بكسر الواو، أي قصيرة الجدران يسهل دخول السراق عليها، فكذبهم الله فقال: ﴿ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [6]، أي ما يريدون إلا الفرار.

[١٤] ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم ﴾ [7] أي لو دخل عليهم المدينة هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب ﴿ مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾ [8]، جوانبها ونواحيها جمع قطر، ﴿ ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ [9]، أي الشرك، ﴿ لَأَتَوْهَا ﴾ [10]، لأعطوها، وقرأ أهل الحجاز

(١) سورة الأحزاب آية : ١٣.
(٢) سورة الأحزاب آية : ١٣.
(٣) سورة الأحزاب آية : ١٣.
(٤) سورة الأحزاب آية : ١٣.
(٥) سورة الأحزاب آية : ١٣.
(٦) سورة الأحزاب آية : ١٣.
(٧) سورة الأحزاب آية : ١٤.
(٨) سورة الأحزاب آية : ١٤.
(٩) سورة الأحزاب آية : ١٤.
(١٠) سورة الأحزاب آية : ١٤.

لأتوها مقصورا، أي لجاءوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام، ﴿ وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ ﴾ [1]، أي ما احتبسوا عن الفتنة، ﴿ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [2]، ولأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيبة به أنفسهم، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى يهلكوا.

[١٥] ﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ [3]، أي من قبل غزوة الخندق، ﴿ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ﴾ [4]، من عدوهم أي لا ينهزمون، قال يزيد بن رومان: هم بنو حارثة هَموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها. وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة، قالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله إليهم ذلك ﴿ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [5]، أي مسئولا عنه.

قوله تعالى قُلْ لَنْ يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا...

[١٦] ﴿ قُل ﴾ [6]، لهـم ﴿ لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ﴾ [1]، الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل، ﴿ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [2]، أي لا تمتعون بعد هذا الفرار إلا مدة آجالكم وهي قليل.

---

(١) سورة الأحزاب آية : ١٤.
(٢) سورة الأحزاب آية : ١٤.
(٣) سورة الأحزاب آية : ١٥.
(٤) سورة الأحزاب آية : ١٥.
(٥) سورة الأحزاب آية : ١٥.
(٦) سورة الأحزاب آية : ١٦.

[١٧] ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [٣] أي يمنعكـم من عذابه، ﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا ﴾ [٤]، هزيمة، ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ ﴾ [٥]، نصـرة، ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ [٦]، أي قريبا ينفعهـم، ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [٧]، أي ناصرا يمنعهم.

[١٨] ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ [٨]، أي المثبطين للناس عن رسول الله ﷺ ﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ ﴾ [٩]، أي ارجعوا إلينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك، قال قتادة: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ ﴾ [١٠]، الحرب، ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٨﴾ ﴾ [١١]، رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا.

---

(١) سورة الأحزاب آية : ١٦.
(٢) سورة الأحزاب آية : ١٦.
(٣) سورة الأحزاب آية : ١٧.
(٤) سورة الأحزاب آية : ١٧.
(٥) سورة الأحزاب آية : ١٧.
(٦) سورة الأحزاب آية : ١٧.
(٧) سورة الأحزاب آية : ١٧.
(٨) سورة الأحزاب آية : ١٨.
(٩) سورة الأحزاب آية : ١٨.
(١٠) سورة الأحزاب آية : ١٨.
(١١) سورة الأحزاب آية : ١٨.

[١٩] ﴿ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۚ ﴾[1]، بخلاء بالنفقة في سبيل الله، وقال قتادة: بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله بالبخل والجبن، فقال: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ ﴾[2]، في الرءوس من الخوف والجبن، ﴿ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ ﴾[3]، أي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت، وذلك أن من قرب من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف، ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم ﴾[4]، آذوكم ورموكم في حال الأمن، ﴿ بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[5]، ذربة، جمع حديد، يقال للخطيب الفصيح: الذرب اللسان مسلق ومصلق وسلاق وصلاق، قال ابن عباس: سلقوكم أي عضدوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة. وقال قتادة: بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا فإنا قد شهدنا معكم القتال، فلستم أحق بالغنيمة منا، فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم، ﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ ﴾[6]، أي عند الغنيمة يشاحون المؤمنين، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ ﴾[7]، قال مقاتل: أبطل الله جهادهم، ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩ ﴾[8].

---

(١) سورة الأحزاب آية : ١٩.
(٢) سورة الأحزاب آية : ١٩.
(٣) سورة الأحزاب آية : ١٩.
(٤) سورة الأحزاب آية : ١٩.
(٥) سورة الأحزاب آية : ١٩.
(٦) سورة الأحزاب آية : ١٩.
(٧) سورة الأحزاب آية : ١٩.
(٨) سورة الأحزاب آية : ١٩.

[٢٠] ﴿ يَحۡسَبُونَ ﴾[1]، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿ ٱلۡأَحۡزَابَ ﴾[2]، يعني قريشا وغطفان اليهود، ﴿ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ ﴾[3]، لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا، ﴿ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴾[4]، أي يرجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب، ﴿ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾[5]، أي يتمنوا لو كانوا في بادية مع الأعراب من الخـوف والجبن، يقـال: بدا يبـدو بداوة إذا خـرج إلى الباديـة، ﴿ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ ﴾[6]، أخباركم وما آل إليه أمركم، وقرأ يعقوب: (يسّاءَلُونَ) مشددة ممدودة أي يتساءلون، ﴿ وَلَوۡ كَانُواْ ﴾[7]، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ ﴾[8]، تعذيرا، أي يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم، فيقولون قد قاتلنا.

[٢١] ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾[9] أي قدوة صالحة، وهي فعلة من الائتساء، كالقدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر، أي به اقتداء حسن إن تنصروا دين الله وتوازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه، وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه، وقتل عمه وأوذي بضروب من الأذى فواساكم مع

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٢٠.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٢٠.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٢٠.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٢٠.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٢٠.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٢٠.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٢٠.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٢٠.
(٩) سورة الأحزاب آية : ٢١.

ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته، ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ ﴾[1]، بدل من قوله: لكم، وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين، يعني أن الأسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله، قال ابن عباس: يرجو ثواب الله. وقال مقاتل: يخشى الله ﴿ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾[2]، أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال، ﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[3] في جميع المواطن على السراء والضراء.

ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال:

[٢٢] ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ ﴾[4]، تسليما لأمر الله وتصديقا لوعده، ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾[5]، وعد الله إياهم ما ذكر في سورة البقرة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾[6]، إلى قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[7]، فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء، فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[8]، أي تصديقا لله وتسليما لأمر الله.

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٢١.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٢١.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٢١.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٢٢.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٢٢.
(٦) سورة البقرة آية : ٢١٤.
(٧) سورة البقرة آية : ٢١٤.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٢٢.

قوله تعالى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا...

[٢٣] ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾[١]، أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به، ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾[٢]، أي فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد، والنحب: النذر، والنحب: الموت أيضا، قال مقاتل: قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه. وقيل: قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب: نحب فلان في سَيْرِهِ يومه وليله أجمع إذا مد فلم ي ل، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ ﴾[٣]، الشهادة، وقال محمد بن إسحاق: فمنهم من قضى نحبه من استشهد يوم بدر وأحد ومنهم من ينتظر يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة أو النصر، ﴿ وَمَا بَدَّلُوا۟ ﴾[٤] عهدهم ﴿ تَبْدِيلًا ۝٢٣ ﴾[٥].

[٢٤] قوله ﷻ ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾[٦]، أي جزاء صدقهم، وصدقهم هو الوفاء بالعهد، ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾[٧]، فيهديهم إلى الإيمان، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٤ ﴾[٨].

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٢٣.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٢٣.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٢٣.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٢٣.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٢٣.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٢٤.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٢٤.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٢٤.

[٢٥] ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[(١)]، من قريش وغطفان، ﴿ بِغَيْظِهِمْ ﴾[(٢)]، لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا، ﴿ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ ﴾[(٣)]، ظفرا، ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ ﴾[(٤)]، بالملائكة والريح، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾[(٥)]، قويا في ملكه عزيزا في انتقامه.

[٢٦] ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[(٦)]، أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ والمسلمين وهم بنو قريظة، ﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾[(٧)]، حصونهم ومعاقلهم، واحدها صيصية، ومنه قيل: للقرن ولشوكة الديك والحاكة صيصية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب فيها راجعين إلى بلادهم وانصرف النبي ﷺ والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم. فقال: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فأمر النبي ﷺ مناديا فأذن أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم، فتلاحق به الناس فأتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ « لا يصلين أحد العصر إلا في بني

(١) سورة الأحزاب آية : ٢٥.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٢٥.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٢٥.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٢٥.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٢٥.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٢٦.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٢٦.

قريظة ﴾ [1] فصلوا العصر بما بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله ﷺ قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله، قال رسول الله ﷺ ﴿ ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم؟ " قالوا: بلى قال: فذاك إلى سعد بن معاذ، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتُسْبى الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ لسعد: " لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ﴾ [2]، وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس مـن الهجـرة ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [3]، وهـم الرجـال يقال: كانوا ستمائة، ﴿ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦ ﴾ [4]، وهم النساء والذراري، يقال: كانوا سبعمائة وخمسين، ويقال: سبعمائة.

[٢٧] ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ ﴾ [5]، بعد، قال ابن زيد ومقاتل: يعني خيبر، قال قتادة كنا نحدث أنا مكة. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۝٢٧ ﴾ [6].

---

(١) البخاري الجمعة (٩٠٤)، مسلم الجهاد والسير (١٧٧٠).
(٢) مسلم الجهاد والسير (١٧٦٩)، أحمد (١٤٢/٦).
(٣) سورة الأحزاب آية : ٢٦.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٢٦.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٢٧.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٢٧.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ ﴾ [1] متعة الطلاق، ﴿ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨ ﴾ [2].

[٢٩] ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٢٩ ﴾ [3]، سبب الآية أن نساء النبي ﷺ سألنه شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ وتابعنها على ذلك [4] قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ [5].

[٣٠] ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ [6]، بمعصية ظاهرة وقال ابن عباس: المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق، ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ ﴾ [7]، قرأ ابن كثير وابن عامر: (نُضَعِّفُ) بالنون وكسر العين وتشديدها، الْعَذَابَ نصب، وقرأ

---

(١) سورة الأح٨ / ٥١٩ مسلم (١٤٧٥) ٢ / ١١٠٥ - ١١٠٨، الطبري ٢١ / ١٥٦ شرح السنة ٩ / ة٢ : ٢٩.

(٤) أي بقية نسائه، انظر فتح الباري ٨ / ٥١٩ مسلم (١٤٧٥) ٢ / ١١٠٥ - ١١٠٨، الطبري ٢١ / ١٥٦ شرح السنة ٩ / ٢١٥.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٢.

(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٠.

(٧) سورة الأحزاب آية : ٣٠.

الآخرون بالياء وفتح العين ﴿ ٱلۡعَذَابُ ﴾ [(١)] رفع ويشددها أبو جعفر وأهل البصرة، وشدد أبو عمرو هذه وحدها لقوله: ﴿ ضِعۡفَيۡنِۚ ﴾ [(٢)]، وقرأ الآخرون: (يُضَاعَفُ) بالألف وفتح العين، ﴿ ٱلۡعَذَابُ ﴾ [(٣)] رفع، وهما لغتان مثل بَعدَ وَبَاعَدَ، قال أبو عمرو وأبو عبيدة: ضَعفْت الشيء إذا جعلتـه مثليـه وضاعفتـه جعلتـه أمثاله. ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾ [(٤)]، قال مقاتل: كان عذابا على الله هاهنا وتضعيف عقوبتهن على المعصية لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة وتضعيف ثوابهن لرفع م لتهن، وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين.

قوله تعالى وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُن لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا...

[٣١] ﴿ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ ﴾ [(٥)]، يطع، ﴿ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ ﴾ [(٦)]، أي مثل أجر غيرها، قال مقاتل: مكان كل حسنة عشرين حسنة. ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴾ [(٧)]، حسنا يعني الجنة.

[٣٢] ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ ﴾ [(٨)]، قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٠.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٠.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٠.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٠.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٣١.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٣١.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٣١.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٣٢.

ولم يقل كواحدة لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، قال الله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [1] وقال: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [2]، ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ [3]، الله أطِعْنَهُ، ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ﴾ [4]، لا تَلِن بالقول للرجال ولا تُرَقِقْنَ الكلام، ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [5]، أي فجور وشهوة، وقيل: نفاق، والمعنى لا تقلن قولا يجد منافق أو فاجر به سبيلا إلى الطمع فُيكِن، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المنالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع، ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [6]، ما يوجبه الدين والإسلام بتصريح وبيان من غير خضوع.

[٣٣] ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [7]، قرأ أهل المدينة وعاصم ﴿ وَقَرْنَ ﴾ [8] بفتح القاف، وقرأ الآخرون بكسرها فمن فتح القاف فمعناه: اقررن أي الزمن بيوتكن، من قولهم: قررت بالمكان أقر قرا، ويقال: قررت أقر وقررت أقر وهما لغتان، فحذفت الراء الأولى التي هي عين الفعل لثقل التضعيف ونقلت حركتها إلى القاف كقولهم: في ظللت ظلت ومن كسر القاف فقد قيل: هو من قررت أقر معناه أقررن بكسر الراء فحذفت الأولى ونقلت حركتها إلى القاف كما ذكرنا، وقيل: وهو الأصح أنه أمر من الوقار كقولهم من الوعد عدن ومن الوصل صلن أي كن أهل وقار وسكون، من قولهم: وقر

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٥.

(٢) سورة الحاقة آية : ٤٧.

(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٢.

(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٢.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٢.

(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٢.

(٧) سورة الأحزاب آية : ٣٣.

(٨) سورة الأحزاب آية : ٣٣.

فلان يقر وقورا إذا سكن واطمأن، ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴾ [1] قال مجاهد وقتادة: التبرج هو التكسر والتغنج، وقال ابن أبي نجيح: هو التبختر. وقيل: هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال، ﴿ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [2]، اختلفوا في الجاهلية الأولى. قال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد ﷺ وقال أبو العالية: هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام. وقال الكلبي: كان ذلك في زمن نمرود الجبار، وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الجاهلية الأولى بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة. وقال قتادة: هي ما قبل الإسلام. وقيل: الجاهلية الأولى ما ذكرنا والجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان. وقيل: قد تذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝ ﴾ [3]، ولم يكن لها أخرى. قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [4]، أراد بالرجس الإثم الذي نهى الله النساء عنه، قاله مقاتل، وقال ابن عباس: يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رِضًا، وقال قتادة: يعني السوء. وقال مجاهد: الرجس الشك، وأراد بأهل البيت نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته، وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، وتلا قوله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [5]، وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهما إلى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين، قال زيد بن أرقم: أهل بيته مَنْ حَرُمَ الصدَقَةُ عليه بعده، آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٣.

(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٣.

(٣) سورة النجم آية : ٥٠.

(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٣.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٤.

[٣٤] قـولـه تعالـى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[١]، أي القرآن، ﴿ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[٢]، قال قتادة: يعني السنة. وقال مقاتل: أحكام القرآن ومواعظه. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[٣]، أي لطيفا بأوليائه خبيرا بجميع خلقه.

[٣٥] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾[٤]، الآية. وذلك أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله إن الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير، فمـا فينا خير نذكـر بـه، إنا نخـاف ألا يقبـل الله منا طاعة فأنزل الله هـذه الآية ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[٥]، المطيعين ﴿ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٦] في إيمانم وفيمـا ساءهـم وسرهـم، ﴿ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٧]، علـى ما أمر الله بـه، ﴿ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[٨]، المتواضعين، ﴿ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ ﴾[٩]، وقيـل: أراد بـه الخشـوع في الصلاة ومـن الخشوع ألا يلتفـت، ﴿ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[١٠]، ممـا رزقهم الله ﴿ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٤.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٤.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٤.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٥.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٥.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٥.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٣٥.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٣٥.
(٩) سورة الأحزاب آية : ٣٥.
(١٠) سورة الأحزاب آية : ٣٥.

﴿ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ ﴾[1] عما لا يحل ﴿ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[2]، قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٣٥ ﴾[3].

قوله تعالى وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...

[٣٦] قوله تعالى. ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾[4]، الآية نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمهما أمية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ خطب رسول الله ﷺ زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه، فلما خطب رسول الله ﷺ زينب وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة فيها حدة، وكذلك كره أخوها ذلك، فأنزل الله ﷻ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ ﴾[5]، يعني عبد الله بن جحش؟ ﴿ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ ﴾[6] يعني أخته زينب، ﴿ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا ﴾[7]،

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٥.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٥.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٥.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٦.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٦.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٦.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٣٦.

أي إذا أراد الله ورسوله أمرا وهو نكاح زينب لزيد ﴿ أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾ [1] قرأ أهل الكوفة أن يكون بالياء للحائل بين التأنيث والفعل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الْخِيَرَةِ من أمـرهم، والخيرة الاختيـار، والمعنى أن يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به، ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦ ﴾ [2]، أي أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعا ذلك رضيا بذلك وسلما، وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها، فأنكحها رسول الله ﷺ زيدا فدخل با.

[٣٧] ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ ﴾ [3]، الآية نزلت في زينب وذلك ﴿ أن رسول الله ﷺ لما زوج زينب من زيد مكثت عنده حينا ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: "إني أريد أن أفارق صاحبتي "، قال: ما لك أَرَابَكَ منها شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيرا، ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانا، فقال له النبي ﷺ " أمسك عليك زوجك ﴾، ﴿ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [4]، في أمرها، ثم طلقها زيد، فذلك قوله ﷻ ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ﴾ [5]، بالإسلام ﴿ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ ﴾ [6] بالتربية والإعتاق وهو زيد بن حارثة، ﴿ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ ﴾ [7]، يعني زينب بنت جحش، ﴿ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [8] فيها ولا تفارقها،

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٦.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٦.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٣٧.

﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ [(١)]، أي تُسِر في نفسك ما الله مظهره، أي كان في قلبه لو فارقها لتزوجها، وقال ابن عباس: حبها. وقال قتادة: ود أنه طلقها، ﴿ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ ﴾ [(٢)]، قال ابن عباس والحسن: تستحييهم. وقيل: تخشى لائمة الناس أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها. ﴿ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ ﴾ [(٣)]، قال ابن عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية. وروي عن مسروق قال: قالت عائشة: لو كتم النبي ﷺ شيئا مما أوحي إليه لكتم هذه الآية ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ [(٤)]. وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله: ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ ﴾ [(٥)] قلت: يقول لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك، فقال: أمسك عليك زوجك واتق الله، فقال علي بن الحسين: ليس كذلك بل كان الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها، فلما جاء زيد وقال: إني أريد أن أطلقها قال له: أمسك عليك زوجك، فعاتبه الله وقال: لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك، وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال: ﴿ زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾ [(٦)] فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لأظهر ذلك لأنه لا يجوز أن

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٧.

يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنا ستكون زوجة له وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد: التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي، وهذا قول حسن مرض، وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها ونكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الأنبياء لأن العمد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المآثم، لأن الود وميل النفس من طبع البشر وقوله: ﴿ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [1] أمر بالمعروف وهو حسن لا إثم فيه، قوله تعالى. ﴿ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ ﴾ [2]، لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه السلام قد قال: ﴿ أنا أخشاكم لله وأتقاكم ﴾ [3]، ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله تعالى أحق بالخشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء. قوله ﷻ ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا ﴾ [4]، أي حاجة من نكاحها، ﴿ زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾ [5]، وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها، قال أنس: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات. وقال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي ﷺ إني لأدلُ عليك بثلاث: ما من نسائك امرأة تدلي بهن. جدي وجدك واحد، إني أنكحنيك الله في السماء، وإن السفير لجبريل عليه السلام. ﴿ لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ ﴾ [6]، إثم، ﴿ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ ﴾ [1]،

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٧.

(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٧.

(٣) البخاري الإيمان (٢٠)، مسلم الصيام (١١١٠)، أبو داود الصوم (٢٣٨٩)، أحمد (٦٧/٦)، مالك الصيام (٦٤١).

(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٧.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٧.

(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٧.

والأدعياء جميع الدعي وهو المتبنى، يقول: زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته لتعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني، وإن كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب. ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴿٣٧﴾ ﴾[2]، أي كان قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾[3]، أي فيما أحل الله له، ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾[4]، أي كسنة الله، نصب بنزع الخافض، وقيل: نصب على الإغراء أي الزموا سنة الله، ﴿ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ﴾[5]، أي في الأنبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم وقيل: أشار بالسنة إلى النكاح فإنه من سنة الأنبياء عليهم السـلام، وقيل: إلى كثـرة الأزواج مثل داود وسليمان عليهما السلام، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾[6]، قضاء مقضيا كائنا ماضيا.

[٣٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾[7]، يعني سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله، ﴿ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[8]، أي لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾[9]، حافظا

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٧.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٨.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٨.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٨.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٨.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٣٩.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٣٩.
(٩) سورة الأحزاب آية : ٣٩.

لأعمال خلقه ومحاسبهم " ثم إن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال الناس: إن محمدا تزوج امرأة ابنه.

[٤٠] فأنزل الله ﷻ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [(١)]، يعني زيد بن حارثة، أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وكذلك الحسن والحسين، فإن النبي ﷺ قال للحسن: « إن ابني هذا سيد » [(٢)]؟ قيل: هؤلاء كانوا صغارا لم يكونوا رجالا. والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [(٣)]، ختـم الله بـه النبيين، وقرأ ابن عامر وابن عاصم: ﴿ وَخَاتَمَ ﴾ [(٤)] بفتح التاء على الاسم، أي آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم. قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا. وروي عن عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [(٥)] عن أبي سلمة قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ « مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت أنا سددت موضع اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل » [(٦)] [(١)].

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٠.

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٧)، الترمذي المناقب (٣٧٧٣)، النسائي الجمعة (١٤١٠)، أبو داود السنة (٤٦٦٢)، أحمد (٥١/٥).

(٣) سورة الأحزاب آية : ٤٠.

(٤) سورة الأحزاب آية : ٤٠.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٤٠.

(٦) البخار٣ / ٢٠١ وأخرج البخاري نحوه ٦ / ٥٥٨ وكذا مسلم ٤ / ١ الأمثال (٢٨٦٢)، أحمد (٣٦١/٣).

[٤١] قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [٢] قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الأحوال، فقال: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [٣]. وقال: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [٤] أي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا.

[٤٢] ﴿ وَسَبِّحُوهُ ﴾ [٥]، أي صلوا له، ﴿ بُكْرَةً ﴾ [٦]، يعني صلاة الصبح، ﴿ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [٧]، يعني صلاة العصر. وقال الكلبي: وأصيلا صلاة الظهر والعصر والعشاءين. وقال مجاهد: يعني قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فعبر بالتسبيح عن أخواته. وقيل: المراد من قوله ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

[٤٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [٨]، فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين. قال السدي: قالت بنو إسرائيل لموسى: أيصلي ربنا فَكَبُرَ هذا

---

(١) أخرجه المصنف في شرح السنة ١٣ / ٢٠١ وأخرج البخاري نحوه ٦ / ٥٥٨ وكذا مسلم ٤ / ١٧٩١.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٤١.
(٣) سورة النساء آية : ١٠٣.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٤١.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٤٢.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٤٢.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٤٢.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٤٣.

الكلام على موسى، فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي وأن صلاتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كل شيء، وقيل: الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده. وقيل: الثناء عليه ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[1]، أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور؟ ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[2].

قوله تعالى تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا...

[٤٤] ﴿ تَحِيَّتُهُمْ ﴾[3]، أي تحية المؤمنين، ﴿ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾[4]، أي يرون الله، ﴿ سَلَـٰمٌ ﴾[5]، أي يسلم الله عليهم، ويسلمهم من جميع الآفات. وروي عن البراء بن عازب قال: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾[6] يعني يلقون ملك الموت، لا يقبض روح مؤمن إلا يسلم عليه. وعن ابن مسعود قال: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: إن ربك يقرئك السلام. وقيل: تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حتى يخرجوا من قبورهم. ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾[7]، يعني الجنة.

[٤٥] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[8]، أي شاهدا للرسل بالتبليغ ومبشرا لمن آمن بالجنة ونذيرا لمن كذب بآياتنا بالنار.

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٣.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٤٣.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٤٤.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٤٤.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٤٤.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٤٤.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٤٤.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٤٥.

[٤٦] ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1]، إلى توحيده وطاعته، ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾[2]، بأمره، ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[3]، سماه سراجا لأنه يهتدي به كالسراج يستضاء به في الظلمة.

[٤٧] ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾[4].

[٤٨] ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[5]، ذكرنا تفسيره في أول السورة، ﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾[6]، قال ابن عباس وقتادة: اصبر على أذاهم. وقال الزجاج: لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآياته القتال. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾[7]، حافظا.

[٤٩] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾[8]، فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح، حتى لو قال لامرأة أجنبية: إذا نكحتك فأنت طالق، وقال: كل امرأة أنكحها فهي طالق، فنكح لا يقع الطلاق ﴿ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾[9]، تجامعوهن، ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ ﴾[10]، تحصونا بالأقراء والأشهر، ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾[1]، أي

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٦.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٤٦.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٤٦.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٤٧.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٤٨.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٤٨.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٤٨.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٤٩.
(٩) سورة الأحزاب آية : ٤٩.
(١٠) سورة الأحزاب آية : ٤٩.

أعطوهن ما يستمتعن به، قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة فإن كان قد فرض لها صداقا فلهـا نصف الصـداق ولا متعـة وقال قتادة: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ ﴾ (٢)، وقيل: هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة ولها مع نصف المهر، وذهب بعضهم إلى أنا تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية، ﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٤٩﴾ ﴾ (٣)، خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ (٤)، أي مهورهن، ﴿ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ﴾ (٥)، رد عليك من الكفار بأن تسبي فتملك مثل صفية وجويرية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له، ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ ﴾ (٦)، يعني نساء قريش، ﴿ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ﴾ (٧)، يعني نساء بني زهرة، ﴿ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾ (٨)، إلى المدينة فمن لم تاجر منهن معه لم يجز له نكاحها. وروى أبو صالح عن أم هانئ أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أكن من المهاجرات

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٩.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٧.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٤٩.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٠.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٠.
(٦) سور٩ / ٧٤ وقال: (حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه) والطبري ٢٢ / ٢٠ وصحح الحاكم ٢ / ٤ أخرجه الترمذي في التفسير ٩ / ٧٤ وقال: (حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه) والطبري ٢٢ / ٢٠ وصححه الحاكم ٢ / ٤٢٠.

وكنت من الطلقاء، ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل [٩] ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ [١]، أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك من غير صداق، فأما غير المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه، وأول بعضهم الهجرة في قوله: ﴿ ٱلَّتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾ [٢] على الإسلام أي أسلمن معك، وكان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر، وكان ذلك من خصائصه ﷺ في النكاح لقوله تعالى: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ [٣] كالزيادة على الأربع ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه لا مشاركة لأحد معه فيه ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ ﴾ [٤]، أي أوجبنا على المؤمنين، ﴿ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ ﴾ [٥]، من الأحكام ألا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ [٦]، أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين، ﴿ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ ﴾ [٧]، وهذا يرجع إلى أول الآية أي أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكي لا يكون عليك حرج وضيق، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٠ ﴾ [٨].

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٠.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٠.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٠.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٠.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٠.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٥٠.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٥٠.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٥٠.

قوله تعالى تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُن وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ...

[٥١] ﴿ ۞ تُرْجِى ﴾ [(١)]، أي تؤخر، ﴿ مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِىٓ ﴾ [(٢)]، أي تضم، ﴿ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [(٣)]، اختلف المفسرون في معنى الآية فأشهر الأقاويل أنه في الْقَسْمِ كانت واجبة عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن، قال أبو رزين وابن زيد: نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن النبي ﷺ شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله ﷻ أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة،، أن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله والدار الآخرة، على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم، أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن في النفقة والقسمة، فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء، وكان ذلك من خصائصه، فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط وقال مجاهد: ترجي من تشاء منهن يعني تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد إليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد. وقال ابن عباس: تطلق منهن وتمسك من تشاء. وقال الحسن: تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء أمتك، قال: وكان النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول ﷺ وقيل: تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن لك فتؤويها إليك وتترك من تشاء فلا تقبلها ﴿ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ ﴾ [(٤)]، أي طلبت وأردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن عن الْقَسْمِ، ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَ

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥١.

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥١.

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥١.

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥١.

ﵟ ﵞ[1] لا إثم عليك فأباح الله له ترك القسم لهن حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها، ويرد إلى فراشه من عزلها تفضيلا له على سائر الرجال، ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ ﴾[2]، أي التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله ﷻ ﴿ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ ﴾[3]، أعطيتهن، ﴿ كُلُّهُنَّۚ ﴾[4]، من تقرير وإرجاء وعزل وإيواء، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ ﴾[5]، من أمر النساء والميل إلى بعضهن، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝ ﴾[6].

[52] قوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ ﴾[7]، قرأ أبو عمرو ويعقوب (لا تَحِل) بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء من بعد يعني من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك، وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، هذا قول ابن عباس وقتادة وقال مجاهد: معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا أن تبدل بهن، يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى، يقول: لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية، إلا ما ملكت يمينك، أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن وقال ابن زيد في قوله: ﴿ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ

(1) سورة الأحزاب آية : 51.
(2) سورة الأحزاب آية : 51.
(3) سورة الأحزاب آية : 51.
(4) سورة الأحزاب آية : 51.
(5) سورة الأحزاب آية : 51.
(6) سورة الأحزاب آية : 51.
(7) سورة الأحزاب آية : 52.

﴿ أَزۡوَٰجٍ ﴾ [1]، كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم، يقول الرجل للرجل. بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي تـ ل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله: ﴿ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ ﴾ [2]، يعني لا تبادل بأزواج غيرك بأن تعطيه زوجك وتأخذ زوجته، إلا ما ملكت يمينك لا بأس أن تبدل بجاريتك ما شئت، فأما الحرائر فلا. قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ﴾ [3]، يعني ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها. قال ابن عباس: يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد جعفر أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها فنهي عن ذلك، ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ ﴾ [4]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ملك بعد هؤلاء مارية، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ۝٥٢ ﴾ [5]، حافظا.

[٥٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ [6] يقـول: إلا أن تُدْعَوْا، ﴿ إِلَىٰ طَعَامٍ ﴾ [7]، فيؤذن لكم فتأكلونه، ﴿ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ [8]، غير منتظرين إدراكه ووقت نضجه، يقال: أنى الحميم إذا انتهى حره، وَأَنى أن يفعل ذلك إذا حان، إنى بكسر الهمـزة مقصـورة، فإذا فتحتها مددت فقلت الإناء،

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٢.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٢.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٢.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٢.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٢.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٥٣.

وفيه لغتان: إِنى يَأْنى وَآنَ يَئِينُ مثل حَانَ يَحِينُ، ﴿ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ ﴾[(١)]، أكلتـم الطعـام، ﴿ فَٱنتَشِرُواْ ﴾ [(٢)] تفرقوا واخرجوا من م له، ﴿ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ [(٣)]، ولا طالبين الأنس للحديث، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلا فنُهوا عن ذلك، ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [(٤)]، أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء، ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [(٥)]، أي من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة رسول الله ﷺ متنقبة كانت أو غير متنقبة، ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [(٦)] من الريب ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [(٧)]، ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء، ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [(٨)]، نزلت في رجل من أصحاب النبي ﷺ قال لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحن عائشة، قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة بن عبيد الله فأخبره الله ﷻ أن ذلك محرم، وقال: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣ ﴾ [(٩)]، أي ذنبا عظيما.

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٥٣.
(٩) سورة الأحزاب آية : ٥٣.

[٥٤] ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [١]، نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله ﷺ وقيل: قال رجل من الصحابة: ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا، فـ لت هذه الآية، ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: ونحن أيضا نكلمهن من وراء الحجاب؟

قوله تعالى لَا جُنَاحَ عَلَيْهِن فِي آبَائِهِن وَلَا أَبْنَائِهِن وَلَا إِخْوَانِهِن وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِن وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِن...

[٥٥] فأنزل الله: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ ﴾ [٢] أي لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب من هؤلاء ﴿ وَلَا نِسَآئِهِنَّ ﴾ [٣]، قيل: أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخـول عليهن، وقيل: هو عام في المسلمات والكتابيات، وإنما قال: ﴿ وَلَا نِسَآئِهِنَّ ﴾ [٤]، لأنهن بين أجناسهن، ﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ﴾ [٥]، واختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا؟ فقال قوم: يكون محرما لقوله ﷻ ﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ﴾ [٦]، وقال قوم: هو كالأجانب، والمراد من الآية الإماء دون العبيد، ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ﴾ [٧] أن يراكن

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٤.

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٥.

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٥.

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٥.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٥.

(٦) سورة الأحزاب آية : ٥٥.

(٧) سورة الأحزاب آية : ٥٥.

غير هؤلاء، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1]، من أعمال العباد ﴿ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾[2].

[٥٦] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾[3]، قال ابن عباس: أراد إن الله يرحم النبي، والملائكة يدعون له. وعن ابن عباس أيضا: يصلون يتبركون. وقيل: الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ ﴾[4]، أي ادعوا له بالرحمة، ﴿ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[5]، أي حيوه بتحية الإسلام. وقال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا ﴾[6] [7].

[٥٧] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾[8]، قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا: عزير ابن الله وأما النصارى فقالوا: المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٥.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٥.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٦.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٦.
(٦) مسلم الصلاة (٤٠٨)، الترمذي الصلا ١ / ٣٠٦. والمصنف في شرح السنة ٣ / ١بو داود الصلاة (١٥٣٠)، أحمد (٣٧٢/٢).
(٧) أخرجه مسلم في الصلاة برقم (٤٠٨) ١ / ٣٠٦. والمصنف في شرح السنة ٣ / ١٩٥.
(٨) سورة الأحزاب آية ٣ / ٥٢٨ ومسلم في اللباس برقم (٢١١١) ٣ / ١اللباس والزينة (٢١١١)، أحمد (٢٣٢/٢).

المشركون فقالوا: الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل: معنى يؤذون الله: أي يلحدون في أسمائه وصفاته، وقال عكرمة: هم أصحاب التصاوير، عن أبي زرعة سمع أبا هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « قال الله تعالى: ومن أظلم من ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة »(٩) (١) وقال بعضهم: ﴿ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾ (٢) أي يؤذون أولياء الله، كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (٣)، أي أهل القرية. فعن النبي ﷺ قال: « قال الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب » (٤) (٥) وقال: « من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة » ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه.. ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم والله ﷻ ه ه عن أن يلحقه أذى من أحد. وإيذاء الرسول قال ابن عباس: هو أنه شج في وجهه وكسرت رباعيته. وقيل: شاعر ساحر معلم مجنون.

[٥٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ (٦)، من غير أن عملوا ما أوجب آذاهم، وقال مجاهد: يقعون فيهم ويرمونم بغير جرم، ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨ ﴾ (٧)، وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه. وقيل: نزلت في شأن عائشة. وقال الضحاك والكلبي: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن،

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ١٣ / ٥٢٨ ومسلم في اللباس برقم (٢١١١) ٣ / ١٦٧١.
(٢) ١ / ٣ة الأحزاب آية : ٥٧.
(٣) سورة يوسف آية : ٨٢.
(٤) البخاري الرقاق (٦١٣٧).
(٥) أخرجه البخاري في الرقاق ١١ / ٣٤٠. ،.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٥٨.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٥٨.

فيغمزون المرأة فإن سكتت اتبعوها وإن زجرتم انتهوا عنها. ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل كان وَاحِدًا، يخرجن في درع وخمارة الحرة والأمة كذلك فشكـون ذلك إلى أزواجهـن فذكروا ذلك لرسـول الله ﷺ فنزلت هـذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [1] الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

[٥٩] فقال: جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [2] جمع الجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، وقال ابن عباس وأبو عبيدة: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رءوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر، ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ ﴾ [3]، أنهن حرائر، ﴿ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [4]، فلا يتعرض لهن، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٠ ﴾ [5]، قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة، وقال: يا لكاع أتتشبهين بالحرائر، ألقي القناع.

[٦٠] قوله ﷻ ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ [6]، عن نفاقهم، ﴿ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [7]، فجور، يعني الزنا، ﴿ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [8]، بالكذب

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٨.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٩.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٩.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٩.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٠.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٦٠.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٦٠.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٦٠.

وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس الرعب وإذا التحم القتال ولوا وانزموا، ويقولون: قد أتاكم العدو ونحوها. وقال الكلبي: كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الأخبار ﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾[1]، لنحرشنك بم ولنسلطنـك عليهـم، ﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ ﴾[2]، لا يساكنوك في المدينة ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٦٠﴾ ﴾[3]، حتى يخرجوا منها، وقيل: لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة.

[٦١] ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ ﴾[4]، مطرودين، نصب على الحال، ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ ﴾[5]، وجدوا وأدركوا، ﴿ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً ﴿٦١﴾ ﴾[6]، أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به.

[٦٢] ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾[7]، أي كسنة الله، ﴿ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ ۖ ﴾[8]، من المنافقين والذين فعلوا مثل هؤلاء، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً ﴿٦٢﴾ ﴾[9].

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٦٠.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٦٠.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٦٠.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٦١.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٦١.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٦١.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٦٢.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٦٢.
(٩) سورة الأحزاب آية : ٦٢.

قوله تعالى َيسْألُكَ الناسُ عَن الساعَةِ قُلْ إنما عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا ُيدْريكَ لَعَل الساعَةَ َتكُونُ قَريبًا...

[٦٣] قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ (١)، أيْ أي شيء يعلمك أمر الساعة، ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه، ﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (٢).

[٦٤ - ٦٦] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ (٣)، ظهرا لبطن حين يسحبون عليها، ﴿ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٤)، في الدنيا.

[٦٧] ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا ﴾ (٥). قرأ ابن عامر ويعقوب. ساداتنا بكسر التاء وألف قبلها على جمع الجمع، وقرأ الآخرون بفتح التاء بلا ألف قبلها، ﴿ وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾ (٦).

[٦٨] ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (٧)، أي ضعفي عذاب غيرهم. قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (٨)، قرأ عاصم كبيرا بالباء. قال الكلبي: أي عذابا

(١) سورة الأحزاب آية : ٦٣.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٦٣.
(٣) سورة الأحزاب آية :٦٤ - ٦٦.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٦٦.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٦٧.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٦٧.
(٧) سورة الأحزاب آية : ٦٨.
(٨) سورة الأحزاب آية : ٦٨.

كثيرا، وقرأ الآخرون بالثاء كقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ ﴾[1]، وهذا يشهد للكثرة أي مرة بعد مرة.

[٦٩] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ ﴾[2]، فطهره الله مما قالوا، ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾[3]، أي كريما ذا جاه، يقال: وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه، إذا كان ذا جاه وقدر. قال ابن عباس: كان حَظِيا عند الله لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه. وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة. وقيل: كان محببا مقبولا.

[٧٠] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ ﴾[4]، قال ابن عباس: صوابا. وقال قتادة. عدلا. وقال الحسن: صدقا. وقيل: مستقيما. وقال عكرمة: هو قول لا إله إلا الله.

[٧١] ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾[5]، قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم. وقال مقاتل: يزك أعمالكم، ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[6]، أي ظفر بالخير كله.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦١.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٦٩.
(٣) سورة الأحزاب آية : ٦٩.
(٤) سورة الأحزاب آية : ٧٠.
(٥) سورة الأحزاب آية : ٧١.
(٦) سورة الأحزاب آية : ٧١.

[٧٢] قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ [١]، الآية، أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده، عرضها على السماوات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، وهذا قول ابن عباس، وقال ابن مسعود: الأمانة أداء الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان، وأشد من هذا كله الودائع، وقال مجاهد: الأمانة الفرائض وحدود الدين. وقال أبو العالية: ما أمروا به ونهوا عنه: وقال زيد بن أسلم: هو الصوم والغسل من الجنابة، وما يخفى من الشرائع. وقال بعضهم: هي أمانات الناس والوفاء بالعهد، فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء قليل ولا كثير، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس، فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السماوات والأرض والجبال، هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف. وقال بعضهم: المراد من العرض على السماوات والأرض هو العرض على أهل السماوات والأرض، عرضها على من فيها من الملائكة. وقيل: على أهلها كلها دون أعيانها، كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [٢] أي أهل القرية. والأول أصح، وهو قول العلماء ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [٣]، أي خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب، ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [٤]، يعني آدم عليه السلام، فقال الله لآدم: إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت، فتحملها آدم ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٧٢.

(٢) سورة يوسف آية : ٨٢.

(٣) سورة الأحزاب آية : ٧٢.

(٤) سورة الأحزاب آية : ٧٢.

ظَلُومًا جَهُولاً ﴿٧٢﴾ ﴾ [1]، قال ابن عباس: ظلوما لنفسه جهولا لأمر الله وما احتمل من الأمانة. وقال الكلبي: ظلوما حين عصى ربه، جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة. وقال مقاتل: ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل.

[٧٣] قوله ﷻ ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ﴾ [2]، وقال مقاتل: ليعذبم بما خانوا الأمانة ونقضوا الميثاق، ﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [3]، يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة. وقال ابن قتيبة: أي عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله، ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات.

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٧٢.

(٢) سورة الأحزاب آية : ٧٣.

(٣) سورة الأحزاب آية : ٧٣.

(٣٤) سورة سبأ

قوله تعالى الْحَمْدُ لِلهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ...

[١] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[١]، ملكا وخلقا، ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[٢]، كما هو له في الدنيا، لأن النعم في الدارين كلها منه، وقيل: الحمد لله في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾[٣]، و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾[٤]، ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ ﴾[٥].

[٢] ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٦]، أي يدخل فيها من الماء والأموات، ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾[٧]، من النبات والأموات إذا حشروا، ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[٨]،

---

(١) سورة سبأ آية : ١.
(٢) سورة سبأ آية : ١.
(٣) سورة فاطر آية : ٣٤.
(٤) سورة الزمر آية : ٧٤.
(٥) سورة سبأ آية : ١.
(٦) سورة سبأ آية : ٢.
(٧) سورة سبأ آية : ٢.
(٨) سورة سبأ آية : ٢.

من الأمطار، ﴿ وَمَا يَعۡرُجُ ﴾[1]، يصعد، ﴿ فِيهَاۚ ﴾[2]، من الملائكة وأعمال العباد، ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ﴾[3].

[٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾[4]، الساعة ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ ﴾[5] قرأ أهل المدينة والشام: عَالِمُ بالرفع على الاستئناف وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب، أي وربي عالم الغيب، وقرأ حمزة والكسائي: (عَلامِ) على وزن فَعال، وجر الميم، ﴿ لَا يَعۡزُبُ ﴾[6]، لا يغيب، ﴿ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ ﴾[7]، أي من الذرة، ﴿ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣ ﴾[8].

[٤] ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾[9] يعني الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ ﴾[10]، حسن يعني في الجنة.

(١) سورة سبأ آية : ٢.
(٢) سورة سبأ آية : ٢.
(٣) سورة سبأ آية : ٢.
(٤) سورة سبأ آية : ٣.
(٥) سورة سبأ آية : ٣.
(٦) سورة سبأ آية : ٣.
(٧) سورة سبأ آية : ٣.
(٨) سورة سبأ آية : ٣.
(٩) سورة سبأ آية : ٤.
(١٠) سورة سبأ آية : ٤.

[٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا ﴾[1]، في إبطال أدلتنا، ﴿ مُعَـٰجِزِينَ ﴾[2]، يحسبون أنم يفوتوننا، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝ ﴾[3]، قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب. ﴿ أَلِيمٞ ۝ ﴾[4] بالرفع هاهنا وفي الجاثية على نعت العذاب، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت الرجز، وقال قتادة: الرجز سوء العذاب.

[٦] ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾[5]، يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه. وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ ﴿ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[6]، يعني القـرآن، ﴿ هُوَ ٱلۡحَقَّ ﴾[7]، يعني أنـه مـن عند الله، ﴿ وَيَهۡدِيٓ ﴾[8]، يعني القرآن، ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝ ﴾[9]، وهو الإسلام.

[٧] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[10]، منكرين للبعث متعجبين منه، ﴿ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ ﴾[11]، أي يخبركم يعنون محمدا ﷺ ﴿ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾[12]،

---

(١) سورة سبأ آية : ٥.
(٢) سورة سبأ آية : ٥.
(٣) سورة سبأ آية : ٥.
(٤) سورة سبأ آية : ٥.
(٥) سورة سبأ آية : ٦.
(٦) سورة سبأ آية : ٦.
(٧) سورة سبأ آية : ٦.
(٨) سورة سبأ آية : ٦.
(٩) سورة سبأ آية : ٦.
(١٠) سورة سبأ آية : ٧.
(١١) سورة سبأ آية : ٧.
(١٢) سورة سبأ آية : ٧.

قُطِّعْتم كُل تقطيع وَفُرِّقْتم كل تفريق وَصِرْتم ترابا ﴿ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ ﴾ [(١)]
يقول لكم إنكم لفي خلق جديد.

قوله تعالى أَفْتَرَى عَلى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنةٌ بَل الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضلال الْبعِيدِ...

[٨] ﴿ أَفۡتَرَىٰ ﴾ [(٢)]، ألف استفهام دخلت على ألف الوصل ولذلك نصبت، ﴿ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾ [(٣)] يقولون: أزعم كذبا أم به جنون، قال الله تعالى ردا عليهم: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨ ﴾ [(٤)]، من الحق في الدنيا.

[٩] قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [(٥)]، فيعلموا أنم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بم لا يخرجون من أقطارها وأنا القادر عليهم، ﴿ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ [(٦)]، قرأ الكسائي ﴿ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ﴾ [(٧)] بإدغام الفاء في الباء، ﴿ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ [(٨)]، قرأ حمزة والكسائي: إِنْ يَشَأْ يَخْسِفْ أَوْ يُسْقِطْ، بالياء فيهن لذكر الله من قبل، قرأ الآخرون

---

(١) سورة سبأ آية : ٧.
(٢) سورة سبأ آية : ٨.
(٣) سورة سبأ آية : ٨.
(٤) سورة سبأ آية : ٨.
(٥) سورة سبأ آية : ٩.
(٦) سورة سبأ آية : ٩.
(٧) سورة سبأ آية : ٩.
(٨) سورة سبأ آية : ٩.

بالنون فيهن، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾[1]، أي فيما ترون من السماء والأرض، ﴿ لَآيَةً ﴾[2]، تدل على قدرتنا على البعث ﴿ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ ﴾[3]، تائب راجع إلى الله بقلبه.

[١٠] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ ﴾[4]، يعني النبوة والكتاب، وقيل: الملك. وقيل: جميع ما أوتي من حسن الصوت وتليين الحديد وغير ذلك مما خص به، ﴿ يَـٰجِبَالُ ﴾[5]، أي وقلنا: يا جبال، ﴿ أَوِّبِى ﴾[6]، أي سبحي، ﴿ مَعَهُۥ ﴾[7] إذا سبح، وقال القتيبي: أصله من التأويب في السير وهو أن يسير النهار كله فيـ ل ليلا بالتسبيح معه. وقال وهب: نوحي معه، ﴿ وَٱلطَّيْرَ ۖ ﴾[8]، عطف على موضع الجبال، لأن كل منادى في موضع النصب. وقيل: معناه وسخرنا وأمرنا الطير أن تسبح معه. وقرأ يعقوب: وَالطّيْر بالرفع ردا على الجبال أي أوبي أنت والطير ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ ﴾[9]، حتى كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة.

(١) سورة سبأ آية : ٩.
(٢) سورة سبأ آية : ٩.
(٣) سورة سبأ آية : ٩.
(٤) سورة سبأ آية : ١٠.
(٥) سورة سبأ آية : ١٠.
(٦) سورة سبأ آية : ١٠.
(٧) سورة سبأ آية : ١٠.
(٨) سورة سبأ آية : ١٠.
(٩) سورة سبأ آية : ١٠.

[١١] ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾[١]، دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الأرض، ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ ﴾[٢]، واسرد نسج الدروع، يقال لصانعه: السراد والزراد، يقول: قدر المسامير في حلق الدرع أي لا تجعل المسامير دقاقا فتفلت ولا غلاظا فتكسر الحلق، ويقال: السرد المسمار في الحلقة، يقال: درع مسرودة أي مسمورة الحلق، وقدر في السرد اجعله على القصد وقدر الحاجة، ﴿ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ ﴾[٣]، يريد داود وآله، ﴿ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٤].

[١٢] ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ ﴾[٥]، أي وسخرنا لسليمان الريح، وقرأ أبو بكر عن عاصم الريحُ بالرفع أي سخر له الريحُ، ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ ﴾[٦]، أي سير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير رواحها مسيرة شهر، وكانت تسير في يوم واحد مسيرة شهرين ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ ﴾[٧]، أي أذبنا له عين النحاس، والقطر النحاس ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ ﴾[٨]، بأمر ربه، قال ابن عباس: سخر الله الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، ﴿ وَمَن يَزِغْ ﴾[٩]،

(١) سورة سبأ آية : ١١.
(٢) سورة سبأ آية : ١١.
(٣) سورة سبأ آية : ١١.
(٤) سورة سبأ آية : ١١.
(٥) سورة سبأ آية : ١٢.
(٦) سورة سبأ آية : ١٢.
(٧) سورة سبأ آية : ١٢.
(٨) سورة سبأ آية : ١٢.
(٩) سورة سبأ آية : ١٢.

أي يعدل، ﴿ مِنۡهُمۡ ﴾[(١)]، من الجن، ﴿ عَنۡ أَمۡرِنَا ﴾ [(٢)] الذي أمرنا به مـن طاعـة سليمـان، ﴿ نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾[(٣)]، في الآخرة، وقال بعضهم: في الدنيا وذلك أن الله ﷻ وكل بم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته.

[١٣] ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾[(٤)]، أي مساجد والأبنية المرتفعة قوله: ﴿ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ [(٥)] أي كانوا يعملون له تماثيل أي صورا من نحاس وصفر وشبّة وزجاج ورخام. وقيل: كانوا يصورون السباع والطير. وقيل: كانوا يتخذون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المسجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة، ولعلها كانت مباحـة في شريعتهم، كما أن عيسى كان يتخذ صورا من الطين فينفخ فيهـا فتكـون طيرا بإذن الله. ﴿ وَجِفَانٖ ﴾[(٦)]، أي قصاع واحدتا جفنة، ﴿ كَٱلۡجَوَابِ ﴾[(٧)]، كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجمع واحدتا جابية ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ [(٨)] أي وقلنا: اعملوا آل داود شكرا، مجازه: اعملوا يا آل داود بطاعـة الله شكرا له على نعمه، ﴿

(١) سورة سبأ آية : ١٢.
(٢) سورة سبأ آية : ١٢.
(٣) سورة سبأ آية : ١٢.
(٤) سورة سبأ آية : ١٣.
(٥) سورة سبأ آية : ١٣.
(٦) سورة سبأ آية : ١٣.
(٧) سورة سبأ آية : ١٣.
(٨) سورة سبأ آية : ١٣.

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[1]، أي العامل بطاعتي شكرا لنعمتي قيل: المراد من آل داود هو داود نفسه. وقيل: داود وسليمان وأهل بيته.

[١٤] ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾[2]، أي على سليمان، قال أهل العلم: كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات قائما وكانت الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته وينظرون إليه يحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك، فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الأرضة عصا سليمان، فخر ميتا فعلموا بموته فذلك قوله: ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾[3]، وهي الأرضة التي، ﴿ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾[4]، يعني عصاه ﴿ فَلَمَّا خَرَّ ﴾[5]، أي سقط على الأرض، ﴿ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ ﴾[6]، أي علمت الجن وأيقنت، ﴿ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[7]، أي في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حيا، أراد بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب، لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب، لغلبة الجهل عليهم، وذكر الأزهري أن معناه تبينت الجن، أي ظهرت وانكشفت الجن للإنس، أي

(١) سورة سبأ آية : ١٣.
(٢) سورة سبأ آية : ١٤.
(٣) سورة سبأ آية : ١٤.
(٤) سورة سبأ آية : ١٤.
(٥) سورة سبأ آية : ١٤.
(٦) سورة سبأ آية : ١٤.
(٧) سورة سبأ آية : ١٤.

ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: تبينت الإنس أن لـو كانوا يعلمون الغيب ما لبثـوا في العـذاب المهين، أي علمـت الإنس وأيقنت ذلك، وقرأ يعقوب: ﴿ تَبَيَّنَتِ ﴾ [(١)] بضم التاء وكسر الياء أي أعلمت الإنس والجن، ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله، وتَبَينَ لازم ومتعد.

قوله تعالى لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ...

[١٥] قوله ﷻ ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ ﴾ [(٢)]، روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي، قال: « قال رجل: يا رسول الله أخبرني عن سبأ كان رجلا أو امرأة أو أرضا؟ قال: كان رجلا من العرب وله عشرة من الولد » [(٣)] ﴿ فِي مَسْكَنِهِمْ ﴾ [(٤)]، قرأ حمزة وحفص ﴿ مَسْكَنِهِمْ ﴾ [(٥)] بفتح الكاف على الواحد وقرأ الكسائي بكسر الكاف وقرأ الآخرون مَسَاكِنِهِمْ على الجمع وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن، ﴿ ءَايَةٌ ﴾ [(٦)]، دلالة علـى وحدانيتنا وقدرتنا، ثم فسر الآية فقال: ﴿ جَنَّتَانِ ﴾ [(٧)]، أي هي جنتان بستانان، ﴿ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ [(٨)]، أي عن يمين الوادي وشماله. وقيل: عن يمين من أتاهما وشماله، وكان لهما واد قد أحاطت الجنتـان بذلك الوادي ﴿

(١) سورة سبأ آية : ١٤.
(٢) سورة سبأ آية : ١٥.
(٣) الترمذي تفسير القرآن (٣٢٢٢)، أبو داود الحروف والقراءات (٣٩٨٨).
(٤) سورة سبأ آية : ١٥.
(٥) سورة سبأ آية : ١٥.
(٦) سورة سبأ آية : ١٥.
(٧) سورة سبأ آية : ١٥.
(٨) سورة سبأ آية : ١٥.

﴿ كُلُواْ ﴾ (١)، أي وقيل لهم: كلوا، ﴿ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ ﴾ (٢)، يعني من ثمار الجنتين ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ ﴾ (٣)، أي على ما رزقكم من النعمة والمعنى اعملوا بطاعته، ﴿ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ ﴾ (٤)، أي أرض سبأ بلدة طيبة ليست بسبخة أي طيبة الهواء، ﴿ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ ﴾ (٥)، قال مقاتل: وربكم إن شكرتموه فيما رزقكم رب غفور للذنوب.

[١٦] ﴿ فَأَعۡرَضُواْ ﴾ (٦)، قال وهب: أرسل الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم، وقالوا: ما نعرف لله ﷻ علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا إن استطاع، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ ﴾ (٧)، وَالْعَرِم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس به الماء، وقال ابن الأعرابي: العرم السيل الذي لا يطاق وقيل: العرم الوادي وأصله من العرامة وهي الشدة والقوة ﴿ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٍ ﴾ (٨)، وقرأ العامة بالتنوين، وقرأ أهل البصرة: (أُكُلِ خَمْطٍ) بالإضافة، الأكل الثمر، والخمط الأراك وثمره يقال له البرير، هذا قول أكثر المفسرين، وقال المبرد والزجاج: كل نبت قد أخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله هو خمط. وقال ابن الأعرابي: الخمط ثمر شجرة يقال له فسوة الضبع، على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به، فمن جعل الخمط اسما للمأكول فالتنوين في

---

(١) سورة سبأ آية : ١٥.
(٢) سورة سبأ آية : ١٥.
(٣) سورة سبأ آية : ١٥.
(٤) سورة سبأ آية : ١٥.
(٥) سورة سبأ آية : ١٥.
(٦) سورة سبأ آية : ١٦.
(٧) سورة سبأ آية : ١٦.
(٨) سورة سبأ آية : ١٦.

أُكُلٍ حسن، ومن جعله أصلا وجعل الأكل ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة، والتنوين سائغ تقول العرب: في بستان فلان أعناب كرم، يترجم عن الأعناب بالكرم لأنا منه، ﴿ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [1]، فالأثل هو الطرفاء، وقيل: هو شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه، والسدر شجر النبق ينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين، ولم يكن هذا من ذلك، بل كان سدرا بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء، قال قتادة: كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر بأعمالهم.

[١٧] ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ﴾ [2]، أي ذلك الذي فعلنا بم جزيناهم بكفرهم، ﴿ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [3] أي وهل يجازى مثل هذا الجزاء إلا الكفور، وقال مجاهد: يجازى أي يعاقب. ويقال في العقوبة: يُجَازَى، وفي المثوبة يُجْزَى. قال مقاتل: هل يكافأ بعمله السيئ إلا الكفور لله في نعمه. قال الفراء: المؤمن يُجْزَى ولا يُجَازَى أي يجزى للثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته.

[١٨] ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [4] بالماء والشجر هي قرى الشام، ﴿ قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ [5]، متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربا منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام. وقيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام، ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ [6]، أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى وكان

---

(١) سورة سبأ آية : ١٦.

(٢) سورة سبأ آية : ١٧.

(٣) سورة سبأ آية : ١٧.

(٤) سورة سبأ آية : ١٨.

(٥) سورة سبأ آية : ١٨.

(٦) سورة سبأ آية : ١٨.

مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار ﴿ سِيرُوا۟ فِيهَا ﴾ [(١)]، أي وقلنا لهم: سيروا فيها، وقيل: هو أمر بمعنى الخبر أي مكناهم من السير فكانوا يسيرون فيها ﴿ لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ﴾ [(٢)]، أي بالليالي والأيام أي وقت شئتم، ﴿ ءَامِنِينَ ۝١٨ ﴾ [(٣)]، لا تخافون عَدُوا ولا جوعا ولا عطشا، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية، وقالوا: لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن تشتهيه.

[١٩] ﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [(٤)]، فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود الأزواد، فعجل الله لهم الإجابة. وقال مجاهد: بطروا النعمة وسئموا الراحة ﴿ وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ [(٥)]، بالبطر والطغيان. قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ [(٦)]، عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم، ﴿ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ ﴾ [(٧)]، فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ﴾ [(٨)]، لعبرا ودلالات، ﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ [(٩)]، عن معاصي الله، ﴿ شَكُورٍ ۝١٩ ﴾ [(١٠)]، لأنعمه،

---

(١) سورة سبأ آية : ١٨.
(٢) سورة سبأ آية : ١٨.
(٣) سورة سبأ آية : ١٨.
(٤) سورة سبأ آية : ١٩.
(٥) سورة سبأ آية : ١٩.
(٦) سورة سبأ آية : ١٩.
(٧) سورة سبأ آية : ١٩.
(٨) سورة سبأ آية : ١٩.
(٩) سورة سبأ آية : ١٩.
(١٠) سورة سبأ آية : ١٩.

قال مقاتل: يعني المؤمن من هذه الأمة صبور على البلاء شاكر للنعماء قال مطرف: هو المؤمن إذا أعطي شَكَرَ وإذا ٱبْتِلِيَ صَبَرَ.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ [١]، قرأ أهل الكوفة: (صَدَّقَ) بالتشديد أي ظن فيهم ظنا حيث قال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٢] ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [٣] فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بم واتباعهم إياه، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي صَدَقَ عليهم في ظنه بم أي على أهل سبأ. وقال مجاهد: على الناس كلهم إلا من أطاع الله، ﴿ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [٤]، قال السدي عن ابن عباس: يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [٥]، يعني المؤمنين. وقيل: هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه.

[٢١] قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ [٦]، أي ما كان تسليطنا إياه عليهم، ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ﴾ [٧]، أي إلا لنعلم أي لنرى ونميز المؤمن من الكافر، وأراد علم الوقوع والظهور، وقد كان معلوما عنده بالغيب، ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [٨] رقيب.

---

(١) سورة سبأ آية : ٢٠.
(٢) سورة ص آية : ٨٢.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٧.
(٤) سورة سبأ آية : ٢٠.
(٥) سورة الحجر آية : ٤٢.
(٦) سورة سبأ آية : ٢١.
(٧) سورة سبأ آية : ٢١.
(٨) سورة سبأ آية : ٢١.

[٢٢] ﴿ قُلِ ﴾ [(١)]، يا محمد لكفار مكة، ﴿ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم ﴾ [(٢)]، أنم آلهة، ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ [(٣)]، وفي الآية حذف أي ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ثم وصفها فقال: ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [(٤)]، من خير وشر ونفـع وضر ﴿ وَمَا لَهُمۡ ﴾ [(٥)]، أي للآلهة، ﴿ فِيهِمَا ﴾ [(٦)]، في السماوات والأرض، ﴿ مِن شِرۡكٖ ﴾ [(٧)]، من شركة، ﴿ وَمَا لَهُۥ ﴾ [(٨)]، أي وما لله، ﴿ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(٩)]، عون.

قوله تعالى وَلَا تَنفَعُ الشفاعَةُ عِنْدَهُ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...

[٢٣] ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴾ [(١٠)] الله في الشفاعة، قاله تكذيبا لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله له أن يشفع له، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: أُذِنَ بضم الهمزة، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(١١)]، قرأ ابن عامر

(١) سورة سبأ آية : ٢٢.
(٢) سورة سبأ آية : ٢٢.
(٣) سورة سبأ آية : ٢٢.
(٤) سورة سبأ آية : ٢٢.
(٥) سورة سبأ آية : ٢٢.
(٦) سورة سبأ آية : ٢٢.
(٧) سورة سبأ آية : ٢٢.
(٨) سورة سبأ آية : ٢٢.
(٩) سورة سبأ آية : ٢٢.
(١٠) سورة سبأ آية : ٢٣.
(١١) سورة سبأ آية : ٢٣.

ويعقوب بفتح الفاء وكسر الزاي في ﴿ فَزِعَ ﴾[1] أي كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم، فالتفزيع إزالة الفزع كالتمريض والتفريط واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة، فقال قوم: هم الملائكة، ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم إنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله ﷻ وقال بعضهم: إنما يفزعون حذرا من قيام الساعة. وقال جماعة: الموصوفون بذلك المشركون قال الحسن وابن زيد: حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا: الحق، فأقروا به حين لا ينفعهم الإقرار.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾[2]، فالرزق من السماوات ومن الأرض النبات، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾[3]، أي إن لم يقولوا: رازقنا الله، فقل أنت إن رازقكم هو الله، ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[4]. ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج كما يقول القائل للآخر: أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب، والمعنى ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال، فالنبي ﷺ ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال، فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب. وقال بعضهم: أو بمعنى الواو والألف فيه صلة، كأنه قال: وإنا وإياكـم لعلى هدى أو في ضلال مبين يعني نحن على الهدى وأنتم على الضلال.

[٢٥] ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة سبأ آية : ٢٣.
(٢) سورة سبأ آية : ٢٤.
(٣) سورة سبأ آية : ٢٤.
(٤) سورة سبأ آية : ٢٤.
(٥) سورة سبأ آية : ٢٥.

[٢٦] ﴿ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ﴾[1]، يعني يوم القيامة.

﴿ ثُمَّ يَفۡتَحُ ﴾[2]، يقضي، ﴿ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦ ﴾[3].

[٢٧] ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ ﴾[4]، أي أعلموني الذين ألحقتموهـم به أي بالله شركـاء في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون، ﴿ كَلَّاۚ ﴾[5]، لا يخلقون ولا يرزقون، ﴿ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ﴾[6]، الغالب على أمره، ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾[7] في تدبيره لخلقه فأنى يكون له شريك في ملكه.

[٢٨] قوله ﷻ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾[8]، يعني للناس أحمرهم وأسودهم، ﴿ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[9]، أي مبشرا ومنذرا، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾[10]، وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «كان النبي يبعث إلى قومه

---

(١) سورة سبأ آية : ٢٦.
(٢) سورة سبأ آية : ٢٦.
(٣) سورة سبأ آية : ٢٦.
(٤) سورة سبأ آية : ٢٧.
(٥) سورة سبأ آية : ٢٧.
(٦) سورة سبأ آية : ٢٧.
(٧) سورة سبأ آية : ٢٧.
(٨) سورة سبأ آية : ٢٨.
(٩) سورة سبأ آية : ٢٨.
(١٠) سورة سبأ آية : ٢٨.

خاصة وبعثت إلى الناس عامة ﴾ [1] [2] وقيل: كافة أي كافا يكفهم عما هم عليه من الكفر، والهاء للمبالغة.

[29] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [3]، يعني القيامة.

[30] ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [4]، أي لا تتقدمون عليه يعني يوم القيامة، وقال الضحاك: يوم الموت لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون بأن يزاد في أجلكم أو ينقص منه.

[31] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [5]، يعني التوراة والإنجيل، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ [6]، يا محمد، ﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ ﴾ [7]، محبوسون، ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ ﴾ [8]، يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال، ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ ﴾ [9]، استحقروا وهم

---

(١) البخاري التيمم (٣٢٨)، مسلم المساجد ومواضع ١ / ٤٣٥ ومسلم في المساجد رقم (٥٢١) ١ / ٣٧٠ والمصنف في شرح السنة ١٣ / ١اة (١٣٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في التيمم ١ / ٤٣٥ ومسلم في المساجد رقم (٥٢١) ١ / ٣٧٠ والمصنف في شرح السنة ١٣ / ١٩٦.

(٣) سورة سبأ آية : ٢٩.

(٤) سورة سبأ آية : ٣٠.

(٥) سورة سبأ آية : ٣١.

(٦) سورة سبأ آية : ٣١.

(٧) سورة سبأ آية : ٣١.

(٨) سورة سبأ آية : ٣١.

(٩) سورة سبأ آية : ٣١.

الأتباع، ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾ [1]، وهم القادة والأشراف، ﴿ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ۝٣١ ﴾ [2]، أي أنتم منعتمونا عن الإيمان بالله ورسوله.

قوله تعالى قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ...

[٣٢] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾ [3]، أجـابـهـم المتبوعون في الكفر، ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ۝٣٢ ﴾ [4]، بترك الإيمان.

[٣٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [5]، أي مكركم بنا في الليل والنهار، والعرب تضيف الفعل إلى الليل والنهار على توسع في الكلام. وقيل: مكر الليل والنهار وهو طول السلامة وطول الأمل فيهما، كقوله تعالى: ﴿ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ ﴾ [6]. ﴿ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ﴾ [7]، وأظهروا ﴿ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ [8]، وقيل: أخفوا، وهو من الأضداد، ﴿ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ [9]، في النار والأتباع

(١) سورة سبأ آية : ٣١.
(٢) سورة سبأ آية : ٣١.
(٣) سورة سبأ آية : ٣٢.
(٤) سورة سبأ آية : ٣٢.
(٥) سورة سبأ آية : ٣٣.
(٦) سورة الحديد آية : ١٦.
(٧) سورة سبأ آية : ٣٣.
(٨) سورة سبأ آية : ٣٣.
(٩) سورة سبأ آية : ٣٣.

والمتبوعين جميعا. ﴿ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [1] من الكفر والمعاصي في الدنيا.

[٣٤] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ ﴾ [2]، رؤساؤها وأغنياؤهـا، ﴿ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [3].

[٣٥] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ [4]، يعني قال المترفون للفقراء الذين آمنوا، ﴿ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا ﴾ [5]، ولو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [6]، أي إن الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا.

[٣٦] ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾ [7]، يعني إن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاء وامتحانا لا يدل البسط على رضا الله عنه ولا التضييق على سخطه، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [8]، أنا كذلك.

---

(١) سورة سبأ آية : ٣٣.
(٢) سورة سبأ آية : ٣٤.
(٣) سورة سبأ آية : ٣٤.
(٤) سورة سبأ آية : ٣٥.
(٥) سورة سبأ آية : ٣٥.
(٦) سورة سبأ آية : ٣٥.
(٧) سورة سبأ آية : ٣٦.
(٨) سورة سبأ آية : ٣٦.

[٣٧] ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ﴾[(١)]، أي قربى، قال الأخفـش: قربى اسـم مصدر كأنه قال: بالتي تقربكـم عندنا تقريبا، ﴿ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ ﴾[(٢)]، يعني من آمن ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾[(٣)]، قال ابن عباس يريد إيمانه وعمله يقربه مني، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ ﴾[(٤)]، أي يضعف الله لهم حسناتم فيجزي بالحسنة الواحدة إلى سبعمائة في ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾[(٥)]، قرأ حمزة: (في الغرفة) على واحدة، وقرأ الآخرون بالجمع لقوله: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا ﴾[(٦)].

[٣٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ ﴾[(٧)]، يعملون، ﴿ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾[(٨)]، في إبطال حجتنا، ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾[(٩)]، معاندين يحسبون أنم يعجزوننا ويفوتوننا، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ ﴾[(١٠)].

---

(١) سورة سبأ آية : ٣٧.
(٢) سورة سبأ آية : ٣٧.
(٣) سورة سبأ آية : ٣٧.
(٤) سورة سبأ آية : ٣٧.
(٥) سورة سبأ آية : ٣٧.
(٦) سورة العنكبوت آية : ٥٨.
(٧) سورة سبأ آية : ٣٨.
(٨) سورة سبأ آية : ٣٨.
(٩) سورة سبأ آية : ٣٨.
(١٠) سورة سبأ آية : ٣٨.

[٣٩] ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ [(١)]، يعطي خلفه قال سعيد بن جبير: ما كان في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه، وقال الكلبي: ما تصدقتم من صدقه وأنفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق، إما أن يعجله في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [(٢)]، خير من يعطي ويرزق. وروينا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك ﴾ [(٣)] [(٤)] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ي لان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا ﴾ [(٥)] [(٦)].

قوله تعالى وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ...

[٤٠] قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ [(٧)]، قرأ يعقوب وحفص ﴿ يَحْشُرُهُمْ ﴾ [(٨)]، ويقول بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿ جَمِيعًا ﴾ [(٩)] يعني هؤلاء

---

(١) سورة سبأ آية : ٣٩.

(٢) سورة سبأ آية : ٣٩.

(٣) البخاري النفقات (٥٠٣٧)، مسلم الز٣ / ٤٦٤ ومسلم في الزكاة برقم (٩٩٣) ٢ / ٦ابن ماجه المقدمة (١٩٧)، أحمد (٣١٣/٢).

(٤) أخرجه البخاري في التوحيد ١٣ / ٤٦٤ ومسلم في الزكاة برق٣ / ٣٠٤ ومسلم في الزكاة برقم (١٠١٠) ٢ / ٧٣٧٤)، مسلم الزكاة (١٠١٠)، أحمد (٣٤٧/٢).

(٦) أخرجه البخاري في الزكاة ٣ / ٣٠٤ ومسلم في الزكاة برقم (١٠١٠) ٢ / ٧٠٠.

(٧) سورة سبأ آية : ٤٠.

(٨) سورة سبأ آية : ٤٠.

(٩) سورة سبأ آية : ٤٠.

الكفار، ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]، في الدنيا، قال قتادة: هذا استفهام تقرير، كقوله تعالى لعيسى: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[2]، فتتبرأ منهم الملائكة.

[٤١] ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ ﴾[3]، تنـزيها لك، ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ﴾[4]، أي نحن نتولاك ولا نتولاهم، ﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾[5]، يعني الشياطين، فإن قيل لهم: كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله: ﴿ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾[6]، قيل: أراد الشياطين زينوا لهم عبـادة الملائكـة، فهم كانوا يطيعـون الشياطين في عبـادة الملائكـة، فقوله ﴿ يَعْبُدُونَ ﴾[7] أي يطيعون الجن ﴿ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[8]، يعني مصدقون للشياطين.

[٤٢] ثم يقول الله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا ﴾[9]، بالشفاعة، ﴿ وَلَا ضَرًّا ﴾[1] بالعذاب، يريد أنم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر، ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة سبأ آية : ٤٠.
(٢) سورة المائدة آية : ١١٦.
(٣) سورة سبأ آية : ٤١.
(٤) سورة سبأ آية : ٤١.
(٥) سورة سبأ آية : ٤١.
(٦) سورة سبأ آية : ٤١.
(٧) سورة سبأ آية : ٤١.
(٨) سورة سبأ آية : ٤١.
(٩) سورة سبأ آية : ٤٢.

[٤٣] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ ﴾[٣]، يعنون محمدا ﷺ ﴿ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ ﴾[٤]، يعنون القرآن، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾[٥]، أي بين.

[٤٤] ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم ﴾[٦]، يعني هؤلاء المشركين، ﴿ مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ ﴾[٧]، يقرؤونا، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[٨]، أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب.

[٤٥] ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[٩]، من الأمم رسلنا وهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وغيرهم، ﴿ وَمَا بَلَغُواْ ﴾[١٠] يعني هؤلاء المشركين، ﴿ مِعْشَارَ ﴾[١١]، أي عشر، ﴿ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾[١٢]، أي أعطينا الأمم الخالية من القوة

---

(١) سورة سبأ آية : ٤٢.
(٢) سورة سبأ آية : ٤٢.
(٣) سورة سبأ آية : ٤٣.
(٤) سورة سبأ آية : ٤٣.
(٥) سورة سبأ آية : ٤٣.
(٦) سورة سبأ آية : ٤٤.
(٧) سورة سبأ آية : ٤٤.
(٨) سورة سبأ آية : ٤٤.
(٩) سورة سبأ آية : ٤٥.
(١٠) سورة سبأ آية : ٤٥.
(١١) سورة سبأ آية : ٤٥.
(١٢) سورة سبأ آية : ٤٥.

والنعمة وطول العمر، ﴿ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[1]، أي إنكاري وتغييري عليهم، يحذر كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية.

[٤٦] ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ ﴾[2] أي بخصلة واحدة، ثم بين تلك الخصلة فقال: ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾[3]، أي لأجل الله، ﴿ مَثْنَىٰ ﴾[4]، أي اثنين اثنين، ﴿ وَفُرَٰدَىٰ ﴾[5]، أي واحدا واحدا، ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ ﴾[6]، جميعا أي تجتمعون فتنظرون وتتحاورون وتنفردون، فتفكرون في حال محمد ﷺ فتعلموا، ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ ﴾[7]، أي جنون، وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق، كقوله: ﴿ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾[8]. ﴿ إِنْ هُوَ ﴾[9]، ما هو، ﴿ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[10]، قال مقاتل: تم الكلام عند قوله (ثـم تتفكروا) أي في خلق السماوات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ثـم ابتدأ فقال: ما بصاحبكم من جنة.

(١) سورة سبأ آية : ٤٥.
(٢) سورة سبأ آية : ٤٦.
(٣) سورة سبأ آية : ٤٦.
(٤) سورة سبأ آية : ٤٦.
(٥) سورة سبأ آية : ٤٦.
(٦) سورة سبأ آية : ٤٦.
(٧) سورة سبأ آية : ٤٦.
(٨) سورة النساء آية : ١٢٧.
(٩) سورة سبأ آية : ٤٦.
(١٠) سورة سبأ آية : ٤٦.

[٤٧] ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم ﴾[١]، على تبليغ الرسالة، ﴿ مِّنْ أَجْرٍ ﴾[٢]، جعل ﴿ فَهُوَ لَكُمْ ﴾[٣]، يقول: قل لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجرا فتفهموني، ومعنى قوله: ﴿ فَهُوَ لَكُمْ ﴾[٤] أي لم أسألكـم شيئا كقول القائل: ما لي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء، ﴿ إِنْ أَجْرِيَ ﴾[٥]، ما ثوابي، ﴿ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[٦].

[٤٨] ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾[٧]، والقذف الرمي بالسهم والحصى، والكلام، ومعناه أتى بالحق وبالوحي ي له من السماء فيقذفه إلى الأنبياء، ﴿ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾[٨]، رفع بخبر إن أي وهو علام الغيوب.

قوله تعالى قُلْ جَاءَ الْحَق وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ...

[٤٩] ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾[٩]، يعني القرآن والإسلام، ﴿ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾[١٠]، أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدىء شيئا أو يعيد، كما

(١) سورة سبأ آية : ٤٧.
(٢) سورة سبأ آية : ٤٧.
(٣) سورة سبأ آية : ٤٧.
(٤) سورة سبأ آية : ٤٧.
(٥) سورة سبأ آية : ٤٧.
(٦) سورة سبأ آية : ٤٧.
(٧) سورة سبأ آية : ٤٨.
(٨) سورة سبأ آية : ٤٨.
(٩) سورة سبأ آية : ٤٩.
(١٠) سورة سبأ آية : ٤٩.

قال تعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ ﴾[1]، وقال قتادة. الباطل هو إبليس، وهو قول مقاتل والكلبي، وقيل: الباطل الأصنام.

[٥٠] ﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ ﴾[2]، وذلك أن كفار مكة يقولون له: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، وقال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ ﴾[3] أي إثم ضلالتي على نفسي، ﴿ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ ﴾[4]، من القرآن والحكمة، ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٞ ۝٥٠ ﴾[5].

[٥١] ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ ﴾[6]، قال قتادة: عند البعث حين يخرجون من قبورهم، ﴿ فَلَا فَوۡتَ ﴾[7]، أي فلا يفوتوني كما قال: ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝ ﴾[8]، وقيل: إذا فزعوا، فوت ولا نجاة، ﴿ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٥١ ﴾[9]، قال الكلبي: من تحت أقدامهم، وقيل: أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها، وحيثما كانوا فهم من الله قريب، لا يفوتونه. وقيل: من مكان قريب يعني عذاب الدنيا. وقال الضحاك: يوم بدر. وقال ابن أبزى: خسف بالبيداء، وفي الآية حذف تقديره: ولو ترى إذ فزعوا لرأيت أمرا تعتبر به.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١٨.
(٢) سورة سبأ آية : ٥٠.
(٣) سورة سبأ آية : ٥٠.
(٤) سورة سبأ آية : ٥٠.
(٥) سورة سبأ آية : ٥٠.
(٦) سورة سبأ آية : ٥١.
(٧) سورة سبأ آية : ٥١.
(٨) سورة ص آية : ٣.
(٩) سورة سبأ آية : ٥١.

[٥٢] ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[1]، حين عاينوا العذاب، قيل: عند اليأس وقيل: عند البعث. ﴿ وَأَنَّىٰ ﴾[2]، من أين، ﴿ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ﴾[3] التناوش بالمد والهمزة، وبواو صافية من غير مد ولا همز، ومعناه التناول أي كيف تناول ما بعد عنهم، وهو الإيمان والتوبة، وقد كان قريبا في الدنيا فضيعوه، ومن همز قيل: معناه هذا أيضا. وقيل: التناوش بالهمزة من النبش وهو حركة في إبطاء، يقال: جاء نبشا أي مبطئا متأخرا، والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه، وعن ابن عباس قال: يسألون الرد إلى الدنيا فيقال: وأنى لهم الرد إلى الدنيا، ﴿ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٢ ﴾[4] أي من الآخرة إلى الدنيا.

[٥٣] ﴿ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾[5]، أي بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة، ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٣ ﴾[6]، قال مجاهد، يرمون محمدا بالظن لا باليقين، وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن، ومعنى الغيب: هو الظن لأنه غاب علمه عنهم، والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون، والمعنى يرمون محمدا بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون. وقال قتادة: يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار.

[٥٤] ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[7]، أي الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا. وقيل: نعيم الدنيا وزهرتا، ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم ﴾[1]، يعني بنظرائهم، ومن

(١) سورة سبأ آية : ٥٢.
(٢) سورة سبأ آية : ٥٢.
(٣) سورة سبأ آية : ٥٢.
(٤) سورة سبأ آية : ٥٢.
(٥) سورة سبأ آية : ٥٣.
(٦) سورة سبأ آية : ٥٣.
(٧) سورة سبأ آية : ٥٤.

كان على مثل حالهم من الكفار، ﴿ مِّن قَبۡلُۚ ﴾[2]. أي لم يقبل منهم الإيمان والتوبـة في وقت اليأس، ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ ﴾[3]، من البعث ونزول العذاب بهم، ﴿ مُّرِيبِۭ ٥٤ ﴾[4]، موقع لهم الريبة والتهمة.

(١) سورة سبأ آية : ٥٤.

(٢) سورة سبأ آية : ٥٤.

(٣) سورة سبأ آية : ٥٤.

(٤) سورة سبأ آية : ٥٤.

(٣٥) سورة فاطر

قوله تعالى الْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ...

[١] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١]، خالقهما ومبدعها على غير مثـال سبـق، ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ ﴾[٢] ذوي أجنحة ﴿ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾[٣]، قال قتادة ومقاتل: بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة أجنحة، ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله، ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ ﴾[٤]، وقال ابن مسعود في قوله ﷻ ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾[٥]، قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح، وقال ابن شهاب في قوله يزيد في الخلق ما يشاء قال: حسن الصوت. وعن قتادة قال: هو الملاحـة في العينين. وقيل: هـو العقـل والتمييز. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[٦].

[٢] ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ﴾[٧]، قيل: من مطر ورزق، ﴿ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ ﴾[٨]، لا يستطيع أحد حبسها، ﴿ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾[١]، فيما أمسك ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[٢]، فيما أرسل من مطر ورزق.

---

(١) سورة فاطر آية : ١.

(٢) سورة فاطر آية : ١.

(٣) سورة فاطر آية : ١.

(٤) سورة فاطر آية : ١.

(٥) سورة النجم آية : ١٨.

(٦) سورة فاطر آية : ١.

(٧) سورة فاطر آية : ٢.

(٨) سورة فاطر آية : ٢.

[٣] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَـٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ (٣) قرأ حمزة والكسائي غيْر بجر الراء، وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله،لأن ﴿ مِنۡ ﴾ (٤) زيادة، وهذا استفهام على طريق التقرير كأنه قال لا خالق غير الله، ﴿ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (٥)، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات، ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣ ﴾ (٦).

قوله تعالى وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ...

[٤] ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَۚ ﴾ (٧)، يعزي نبيه ﷺ ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٤ ﴾ (٨).

[٥] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ ﴾ (٩)، يعني وعد القيامة، ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ ﴾ (١٠)، وهو الشيطان.

(١) سورة فاطر آية : ٢.
(٢) سورة فاطر آية : ٢.
(٣) سورة فاطر آية : ٣.
(٤) سورة فاطر آية : ٣.
(٥) سورة فاطر آية : ٣.
(٦) سورة فاطر آية : ٣.
(٧) سورة فاطر آية : ٤.
(٨) سورة فاطر آية : ٤.
(٩) سورة فاطر آية : ٥.
(١٠) سورة فاطر آية : ٥.

[٦] ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾[١]، أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه، ﴿ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ ﴾[٢]، أي أشياعه وأولياءه ﴿ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾[٣]، أي ليكونوا في السعير، ثم بين حال مرافقيه ومخالفيه فقال:

[٧] ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ ﴾[٤].

[٨] قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾[٥]، قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، وقال سعيد بن جبير: نزلت في أصحاب الأهواء والبدع. وقال قتادة: منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكبائر فليسوا منهم لأنم لا يستحلون الكبائر، ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ ﴾ [٦] شبه وموه (عليه) وحسن ﴿ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ [٧] أي قبيح عمله، ﴿ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ ﴾[٨]، زين له الشيطان ذلك بالوسواس، وفي الآية حذف مجازه: أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾[٩]، وقيـل:

---

(١) سورة فاطر آية : ٦.
(٢) سورة فاطر آية : ٦.
(٣) سورة فاطر آية : ٦.
(٤) سورة فاطر آية : ٧.
(٥) سورة فاطر آية : ٨.
(٦) سورة فاطر آية : ٨.
(٧) سورة فاطر آية : ٨.
(٨) سورة فاطر آية : ٨.
(٩) سورة فاطر آية : ٨.

جوابـه تحت قوله: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾[(1)]، فيكون معناه أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة، أي تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. وقال الحسن بن الفضل: فيه تقديم وتأخير مجازه: أفمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا، قرأ أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾[(2)].

[9] ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾[(3)] من القبور.

[10] قوله ﷻ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ ﴾[(4)]، وقال الفراء: معنى الآية من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا، وقال قتادة: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله، معناه: الدعاء إلى طاعة من له العزة، أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته، كما يقال: من كان يريد المال فالمال لفلان، أي فليطلبه من عنده وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ ﴾[(5)] ﴿ كَلَّا ۚ ﴾[(6)]، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ

---

(1) سورة فاطر آية : 8.
(2) سورة فاطر آية : 8.
(3) سورة فاطر آية : 9.
(4) سورة فاطر آية : 10.
(5) سورة مريم آية : 81.
(6) سورة مريم آية : 82.

مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [1]، ﴿ إِلَيْهِ ﴾ [2]، أي إلى الله، ﴿ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [3]، وهو قوله لا إله إلا الله، وقيل: هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل: الكلم الطيب ذكر الله. وعن قتادة: إليه يصعد الكلم الطيب أي يقبل الله الكلم الطيب. قوله: ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ [4]، أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب، فالهاء في قوله يرفعه راجعة إلى الكلم الطيب، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين. وقال الحسن وقتادة: الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله، ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ [5]، وجاء في الحديث: ﴿ لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا قولا ولا عملا إلا بنية ﴾ [6] وقال قوم: الهاء في قوله يرفعه راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادرا عن التوحيد، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل، وقيل: الرفع من صفة الله ﷻ معناه: العمل الصالح يرفعه الله عز وجل. وقال سفيان بن عيينة: العمل الصالح الخالص يعني أن الإخلاص سبب قبول

(١) سورة النساء آية : ١٣٩.

(٢) سورة فاطر آية : ١٠.

(٣) سورة فاطر آية : ١٠.

(٤) سورة فاطر آية : ١٠.

(٥) سورة فاطر آية : ١٠.

(٦) هكذا رواه البغوي بغير سنده، وتبعه عليه الخازن في تفسيره، وذكر الإمام الطبري في تفسيره ج ٢٢ ص٨٠ أوله وعزاه لقتادة.

الخيرات من الأقوال والأفعال، دليله قوله ﷻ ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1]، فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[2]، قال الكلبي: أي الذين يعملون السيئات. وقال مقاتل: يعني الشرك. وقال أبو العالية: يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ ﴾[3]، وقال مجاهد وشهر بن حوشب: هم أصحاب الرياء. ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[4]، يبطل ويهلك في الآخرة.

[١١] قوله ﷻ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾[5]، أي آدم، ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[6]، يعني نسله، ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ ﴾[7] ذكرانا وإناثا ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾[8]، لا يطول عمره، ﴿ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ ﴾[9]، يعني من عمر آخر، كما يقال لفلان: عندي درهم ونصفه أي نصف

(١) سورة الكهف آية : ١١٠.
(٢) سورة فاطر آية : ١٠.
(٣) سورة الأنفال آية : ٣٠.
(٤) سورة فاطر آية : ١٠.
(٥) سورة فاطر آية : ١١.
(٦) سورة فاطر آية : ١١.
(٧) سورة فاطر آية : ١١.
(٨) سورة فاطر آية : ١١.
(٩) سورة فاطر آية : ١١.

درهم آخر، ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ ﴾[1]، وقيل: قوله ولا ينقص من عمره منصرف إلى الأول ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ١١ ﴾[2]، أي كتابة الأجل والأعمار على الله هين.

قوله تعالى وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ...

[١٢] قـوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ ﴾[3]، يعني العذب والمالح ثم ذكرهما فقال، ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾[4]، طيب، ﴿ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ ﴾[5] أي جائز في الخلق هنيء، ﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌۖ ﴾[6]، شديد الملوحة. وقال الضحاك: هو المر. ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾[7]، يعني الحيتـان مـن العذب والمالح جميعا ﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً ﴾[8]، أي من المالح دون العذب، ﴿ تَلْبَسُونَهَاۖ ﴾[9]، يعني اللؤلؤ. وقيل: نسب اللؤلؤ إليهمـا، عيـون عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من ذلك، ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾[10]، جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة، ﴿ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[11]، بالتجارة، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ ﴾[1] الله على نعمه.

(١) سورة فاطر آية : ١١.
(٢) سورة فاطر آية : ١١.
(٣) سورة فاطر آية : ١٢.
(٤) سورة فاطر آية : ١٢.
(٥) سورة فاطر آية : ١٢.
(٦) سورة فاطر آية : ١٢.
(٧) سورة فاطر آية : ١٢.
(٨) سورة فاطر آية : ١٢.
(٩) سورة فاطر آية : ١٢.
(١٠) سورة فاطر آية : ١٢.
(١١) سورة فاطر آية : ١٢.

[١٣] ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾[٢]، يعني الأصنام، ﴿ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾[٣]، وهو لفافة النواة، وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة.

[١٤] ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ ﴾[٤]، يعني إن تدعوا الأصنام، ﴿ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ ﴾[٥]، ما أجابوكم، ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ ﴾[٦]، يتبرءون منكـم ومن عبادتكـم إياها، يقولون: ما كنتم إيانا تعبدون. ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ﴾[٧]، يعني نفسه أي لا ينبئك أحد مثلي خبير عالم بالأشياء.

[١٥] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾[٨]، إلى فضـل الله والفقير المحتاج، ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[٩]، الغني عن خلقه المحمود في إحسانه إليهم.

[١٦، ١٧] ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧ ﴾[١]، شديد.

---

(١) سورة فاطر آية : ١٢.
(٢) سورة فاطر آية : ١٣.
(٣) سورة فاطر آية : ١٣.
(٤) سورة فاطر آية : ١٤.
(٥) سورة فاطر آية : ١٤.
(٦) سورة فاطر آية : ١٤.
(٧) سورة فاطر آية : ١٤.
(٨) سورة فاطر آية : ١٥.
(٩) سورة فاطر آية : ١٥.

[١٨] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ ﴾[٢]، أي نفس مثقلة بذنوبها غيرها، ﴿ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾[٣]، أي حمل ما عليها من الذنوب، ﴿ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ ﴾[٤]، أي ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه. قال ابن عباس: يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يا بني احمل عني بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع حسبي ما علي. ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ ﴾[٥]، يخافون، ﴿ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾[٦]، ولم يروه. وقال الأخفش: تأويله أي إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب، ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ ﴾[٧]، أصلح وعمل خيرا، ﴿ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ ﴾[٨]، لها ثوابه، ﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[٩].

قوله تعالى وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ...

[١٩] ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾[١٠]، يعني الجاهل والعالم. وقيل: الأعمى عن الهدى والبصير بالهدى، أي المؤمن والمشرك.

[٢٠] ﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ ﴾[١]، يعني الكفر والإيمان.

---

(١) سورة فاطر آية :١٦ - ١٧.
(٢) سورة فاطر آية : ١٨.
(٣) سورة فاطر آية : ١٨.
(٤) سورة فاطر آية : ١٨.
(٥) سورة فاطر آية : ١٨.
(٦) سورة فاطر آية : ١٨.
(٧) سورة فاطر آية : ١٨.
(٨) سورة فاطر آية : ١٨.
(٩) سورة فاطر آية : ١٨.
(١٠) سورة فاطر آية : ١٩.

[٢١] ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴾[2]، يعني الجنة والنار، قال ابن عباس: الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار. وقيل: الحرور يكون بالنهار مع الشمس.

[٢٢] ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ ﴾[3]، يعني المؤمنين والكفار. وقيل: العلماء والجهال. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ ﴾[4]، حتى يتعظ ويجيب، ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾[5]، يعني الكفار شبههـم بالأموات في القبور حين لم يجيبوا.

[٢٣] ﴿ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾[6]، ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار.

[٢٤] ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ ﴾[7]، ما من أمة فيما مضى ﴿ إِلَّا خَلَا ﴾[8]، سلف، ﴿ فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[9]، نبي منذر.

[٢٥] ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ ﴾[10]، بالكتب ﴿ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾[1]، الواضح كرر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد.

---

(١) سورة فاطر آية : ٢٠.
(٢) سورة فاطر آية : ٢١.
(٣) سورة فاطر آية : ٢٢.
(٤) سورة فاطر آية : ٢٢.
(٥) سورة فاطر آية : ٢٢.
(٦) سورة فاطر آية : ٢٣.
(٧) سورة فاطر آية : ٢٤.
(٨) سورة فاطر آية : ٢٤.
(٩) سورة فاطر آية : ٢٤.
(١٠) سورة فاطر آية : ٢٥.

[٢٦] ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [٢]، أي إنكاري.

[٢٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ ﴾ [٣] طرق وخطط واحدتا جدة مثل مدة ومدد، ﴿ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [٤]، يعني سود غرابيب على التقديم والتأخير، يقال: أسود غربيب أي شديد السواد تشبيها بلون الغراب، أي طرائق سود.

[٢٨] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ [٥]، ذكر الكناية لأجل من، وقيل: رد الكناية إلى ما في الإضمار، مجازه: ومن الناس والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه، ﴿ كَذَٰلِكَ ۗ ﴾ [٦]، يعني كما اختلف ألوان الثمار والجبال، وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ ﴾ [٧]، قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني قال النبي ﷺ ﴿ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ﴾ [٨] [٩]. وقال مسروق: كفى بخشية الله علما وكفى

(١) سورة فاطر آية : ٢٥.

(٢) سورة فاطر آية : ٢٦.

(٣) سورة فاطر آية : ٢٧.

(٤) سورة فاطر آية : ٢٧.

(٥) سورة فاطر آية : ٢٨.

(٦) سورة فاطر آية : ٢٨.

(٧) سورة فاطر آية : ٢٨.

(٨) البخاري الجمعة (٩٩٧)، مسلم الكسوف (٩٠٨ / ٢٨٠ ومسلم في الفضائل برقم (٢٣٥٩) ٤ / ١الك النداء للصلاة (٤٤٤).

(٩) قطعة من حديث رواه البخاري في التفسير ٨ / ٢٨٠ ومسلم في الفضائل برقم (٢٣٥٩) ٤ / ١٨٢٣.

بالاغترار بالله جهلا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1]، أي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾[2]، يعني قرأوا القرآن، ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾[3]، لن تفسد ولن تلك، والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب، قال الفراء: قوله يرجون جواب لقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾[4].

[٣٠] ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾[5]، جزاء أعمالهم بالثواب، ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾[6]، قال ابن عباس: يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن، ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[7]، قال ابن عباس: يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم.

قوله تعالى وَالذِي أوْحَيْنا إلَيْكَ مِنَ الكِتابِ هُوَ الحَق مُصَدقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...

[٣١] ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[8]، يعني القرآن، ﴿ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[9]، من الكتب، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[1].

(١) سورة فاطر آية : ٢٨.
(٢) سورة فاطر آية : ٢٩.
(٣) سورة فاطر آية : ٢٩.
(٤) سورة فاطر آية : ٢٩.
(٥) سورة فاطر آية : ٣٠.
(٦) سورة فاطر آية : ٣٠.
(٧) سورة فاطر آية : ٣٠.
(٨) سورة فاطر آية : ٣١.
(٩) سورة فاطر آية : ٣١.

[٣٢] ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [2]، يعني الكتاب الذي أنزلنا إليك الذي ذكر في الآية الأولى وهو القرآن جعلناه ينتهي إلى، ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [3]، ويجوز أن يكون ﴿ ثُمَّ ﴾ [4] بمعنى الواو، أي وأورثنا، كقوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [5]، أي وكان من الذين آمنوا، ومعنى أورثنا أعطينا لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد.

وقيل: أورثنا أي أخرنا، ومنه الميراث لأنه أخر عن الميت، ومعناه أخرنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناكموه، وأهلنا له الذين اصطفينا من عبادنا، قال ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ ثم قسمهم ورتبهم فقال: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [6] اختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ هذه الآية: « أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا، وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم، ثم يدخل الجنة » [7] ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [8]. وقال عقبة بن صهبان: سألت عائشة عن قول

---

(١) سورة فاطر آية : ٣١.
(٢) سورة فاطر آية : ٣٢.
(٣) سورة فاطر آية : ٣٢.
(٤) سورة فاطر آية : ٣٢.
(٥) سورة البلد آية : ١٧.
(٦) سورة فاطر آية : ٣٢.
(٧) قال الهيثمي في المجمع ٧ / ٩٥: رواه الطبراني وأحمد باختصار. وأخرجه الحاكم ٢ / ٤٢٦ والطبري ٢٢ / ١٣٧.
(٨) سورة فاطر آية : ٣٤.

الله ﷻ ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [1] الآية، فقالت: يا بني كلهم في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكـم، فجعلت نفسها معنا. وقال مجاهد والحسن وقتادة: فمنهم ظالم لنفسه وهم أصحاب المشأمة، ومنهم مقتصد هم أصحاب الميمنة، ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم. وعن ابن عباس قال: السابق: المؤمن المخلص، والمقتصد: المرائي، والظالم: الكافر نعمة الله غير الجاحـد لها، لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [2]، وقال بعضهم: يذكر ذلك عن الحسن، قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته. وقيل: الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه، والمقتصد الذي يستوي ظاهره وباطنه، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره، وقيل: الظالم من وحد الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله، والمقتصد من وحد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه، والسابق من وحد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله. وقيل: الظالم التالي للقرآن، والمقتصد القارئ له العالم به، والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه. وقيل: الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة، وقال سهل بن عبد الله: السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل وقال بعضهم: المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي. وقيل: المراد منه المنافق، فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [3] وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وإرسال الرسول إليهم وإنزال الكتب. والأول هو المشهـور أن المراد

---

(١) سورة فاطر آية : ٣٢.

(٢) سورة فاطر آية : ٣٣.

(٣) سورة فاطر آية : ٣٣.

من جميعهم المؤمنون، وعليه عامة أهل العلم. قوله: ﴿ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ [1] أي: سابق إلى الجنة وإلى رحمة الله بالخيرات أي بالأعمال الصالحات، ﴿ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [2]، أي أمر الله وإرادته، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾ [3]، يعني إيراثهم الكتاب.

[٣٣] ثم أخبر بثوابهم فقال: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ [4]، يعني الأصناف الثلاثة، قرأ أبو عمرو (يدخلونا) بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ ﴾ [5].

[٣٤] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ [6] أي ويقولون إذا دخلوا الجنة، ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ﴾ [7]، والحزن واحد كالبخل والبخل. قال ابن عباس: حزن النار. وقال قتادة: حزن الموت. وقال مقاتل: حزنوا لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم. وقال عكرمة: حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات. وقال القاسم: حزن زوال النعم وتقليب القلب، وخوف العاقبة، وقيل: حزن أهوال يوم القيامة. وقال الكلبي: ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو لمعاد ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ﴾ [8].

---

(١) سورة فاطر آية : ٣٢.
(٢) سورة فاطر آية : ٣٢.
(٣) سورة فاطر آية : ٣٢.
(٤) سورة فاطر آية : ٣٣.
(٥) سورة فاطر آية : ٣٣.
(٦) سورة فاطر آية : ٣٤.
(٧) سورة فاطر آية : ٣٤.
(٨) سورة فاطر آية : ٣٤.

[٣٥] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا ﴾[1]، أنزلنا، ﴿ دَارَ ٱلْمُقَامَةِ ﴾[2]، أي الإقامة، ﴿ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾[3]، أي لا يصيبنا فيها عياء ولا مشقة، ﴿ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[4]، عياء من التعب.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ ﴾[5]، أي لا يهلكون فيستريحوا كقوله ﷻ ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ ﴾[6]، أي قتله. وقيل: لا يقضى عليهم الموت فيموتوا، كقوله: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ ﴾[7] أي ليقض علينا الموت فنستريح، ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ ﴾[8]، من عذاب النار، ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[9]، كافر، قرأ أبو عمرو (يجزى) بالياء وضمها وفتح الزاي كُل رفع على غير تسمية الفاعل، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي ﴿ كُلَّ ﴾[10] نصب.

---

(١) سورة فاطر آية : ٣٥.
(٢) سورة فاطر آية : ٣٥.
(٣) سورة فاطر آية : ٣٥.
(٤) سورة فاطر آية : ٣٥.
(٥) سورة فاطر آية : ٣٦.
(٦) سورة القصص آية : ١٥.
(٧) سورة الزخرف آية : ٧٧.
(٨) سورة فاطر آية : ٣٦.
(٩) سورة فاطر آية : ٣٦.
(١٠) سورة فاطر آية : ٣٦.

[٣٧] ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ ﴾ [١]، يستغيثون ويصيحون، ﴿ فِيهَا ﴾ [٢] وهو افتعال من الصراخ وهو الصياح يقولون، ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا ﴾ [٣]، منها من النار، ﴿ نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ ﴾ [٤]، في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقول الله لهم توبيخا ﴿ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ [٥]، قيل: هو البلوغ. وقال عطاء وقتادة والكلبي: ثمان عشرة سنة. وقال الحسن: أربعون سنة. وقال ابن عباس: ستون سنة، يروى ذلك عـن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى إلى ابن آدم، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿ أعذر الله تعالى إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة ﴾ [٦] [٧] ﴿ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ ﴾ [٨]، يعني محمدا ﷺ هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: القرآن. وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع: هو الشيب. معناه: أولم نعمركم حتى شبتم، ويقال: الشيب نذير الموت. وفي الأثر: ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها: استعدي فقد قرب الموت. قوله: ﴿ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ ﴾ [٩].

(١) سورة فاطر آية : ٣٧.
(٢) سورة فاطر آية : ٣٧.
(٣) سورة فاطر آية : ٣٧.
(٤) سورة فاطر ١ / ٢ : ٣٧.
(٥) سورة فاطر آية : ٣٧.
(٦) البخاري الرقاق (٦٠٥٦)، أحمد (٢/٢٧٥).
(٧) أخرجه البخاري في الرقاق ١١ / ٢٣٨.
(٨) سورة فاطر آية : ٣٧.
(٩) سورة فاطر آية : ٣٧.

[٣٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

قوله تعالى هُوَ الذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ...

[٣٩] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[2]، أي يخلف بعضكم بعضا، وقيل: جعلكم أمة خلفت من قبلها. ورأت فيمن قبلها، ما ينبغي أن تعتبر به، ﴿ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ ﴾[3]، أي عليه وبال كفره ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ ﴾[4]، غضبا ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٣٩﴾ ﴾[5].

[٤٠] ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[6]، أي جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني الأصنام، ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا ﴾[7]، قال مقاتل: هل أعطينا كفار مكة كتابا، ﴿ فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ ﴾[8]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص ﴿ بَيِّنَتٖ ﴾[9] على التوحيد، وقرأ الآخرون بينات على الجمع، يعني دلائل واضحة منه في ذلك الكتاب من

---

(١) سورة فاطر آية : ٣٨.

(٢) سورة فاطر آية : ٣٩.

(٣) سورة فاطر آية : ٣٩.

(٤) سورة فاطر آية : ٣٩.

(٥) سورة فاطر آية : ٣٩.

(٦) سورة فاطر آية : ٤٠.

(٧) سورة فاطر آية : ٤٠.

(٨) سورة فاطر آية : ٤٠.

(٩) سورة فاطر آية : ٤٠.

ضروب البيان، ﴿ بَلْ إِن يَعِدُ ﴾[1]، أي ما يعد، ﴿ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠ ﴾[2]، الغرور ما يغر الإنسان مما لا أصل له، قال مقاتل: يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة غرور وباطل.

[٤١] قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ ﴾[3]، أي: كيلا تزولا، ﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ ﴾[4]، أي ما يمسكهما أحد من بعده، أي أحد سواه، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١ ﴾[5]، فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم ههنا؟ قيل: لأن السماوات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار فأمسكهما الله تعالى عن الزوال لحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة.

[٤٢] ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾[6]، يعني كفار مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم، وأقسموا بالله وقالوا: لو أتى رسول الله لنكونن أهدى دينا منهم، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ فلما بعث محمد كذبوه، فأنزل الله ﷻ ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾[7]، رسـول، ﴿ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ ﴾[8]، يعني من اليهود

---

(١) سورة فاطر آية : ٤٠.
(٢) سورة فاطر آية : ٤٠.
(٣) سورة فاطر آية : ٤١.
(٤) سورة فاطر آية : ٤١.
(٥) سورة فاطر آية : ٤١.
(٦) سورة فاطر آية : ٤٢.
(٧) سورة فاطر آية : ٤٢.
(٨) سورة فاطر آية : ٤٢.

والنصارى، ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾[1]، محمد ﷺ ﴿ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾[2]، أي ما زادهم مجيئه إلا تباعدا عن الهدى.

[٤٣] ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[3]، نصب ﴿ ٱسْتِكْبَارًا ﴾[4] على البدل من النفور، ﴿ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ﴾[5]، يعني العمل القبيح، أضيف المكر إلى صفته، قال الكلبي: هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي ﷺ وقرأ حمزة (ومكر السيئ) ساكنة الهمزة تخفيفا وهي قراءة الأعمش، ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ ﴾[6]، أي لا يحل ولا يحيط المكر السيئ، ﴿ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾[7]، فقتلوا يوم بدر، وقال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك. والمعنى: إن وبال مكرهم راجع إليهـم، ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ ﴾[8]، ينتظرون، ﴿ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[9]، إلا أن ي ل بم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار، ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾[10].

(١) سورة فاطر آية : ٤٢.
(٢) سورة فاطر آية : ٤٢.
(٣) سورة فاطر آية : ٤٣.
(٤) سورة فاطر آية : ٤٣.
(٥) سورة فاطر آية : ٤٣.
(٦) سورة فاطر آية : ٤٣.
(٧) سورة فاطر آية : ٤٣.
(٨) سورة فاطر آية : ٤٣.
(٩) سورة فاطر آية : ٤٣.
(١٠) سورة فاطر آية : ٤٣.

[٤٤] ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ ﴾[١]، يعني ليفوت عنه ﴿ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾[٢].

قوله تعالى وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ الناسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابةٍ...

[٤٥] ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ ﴾[٣]، من الجرائم، ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾[٤]، يعني على ظهر الأرض كناية عن غير مذكور، ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾[٥]، كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح، ﴿ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾[٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل طاعته وأهل معصيته.

---

(١) سورة فاطر آية : ٤٤.
(٢) سورة فاطر آية : ٤٤.
(٣) سورة فاطر آية : ٤٥.
(٤) سورة فاطر آية : ٤٥.
(٥) سورة فاطر آية : ٤٥.
(٦) سورة فاطر آية : ٤٥.

(٣٦) سورة يس

قوله تعالى يس وَالقرآن الْحَكِيمِ إنكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ...

[١] ﴿ يسٓ ۝١ ﴾[(١)]، ون، قرأ بإخفاء النون فيهما ابن عامر والكسائي وأبو بكر وورش بخلف عنه في: نون والقلم، والباقون يظهرون فيهما، واختلفوا في تأويل (يس) حسب اختلافهم في حروف التهجي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قسم، يروى عنه أن معناه: يا إنسان بلغة طيء، يعني محمدا ﷺ وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وجماعة. وقال أبو العالية: يا رجل. وقال أبو بكر الوراق: يا سيد البشر.

[٢] ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ ﴾[(٢)].

[٣] ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ ﴾[(٣)]، أقسم الله بالقرآن بأن محمدا ﷺ من المرسلين، وهو رد على الكفار حيث قالوا: ﴿ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ ﴾[(٤)].

[٤] ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ ﴾[(٥)]، هو خبر بعد خبر، أي إنك لمن المرسلين وإنك على صراط مستقيم. وقيل: معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم.

[٥] ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾[(٦)]، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص (ت يل) بنصب اللام كأنه قال نزل ت يلا، وقرأ الآخرون بالرفع، أي هو ت يل العزيز الرحيم.

---

(١) سورة يس آية : ١.
(٢) سورة يس آية : ٢.
(٣) سورة يس آية : ٣.
(٤) سورة الرعد آية : ٤٣.
(٥) سورة يس آية : ٤.
(٦) سورة يس آية : ٥.

[٦] ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾[(١)]، قيل: (ما) للنفي أي لم ينذر آباؤهم لأن قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ. وقيل (ما) بمعنى الذي أي لتنذر قوما بالذي أنذر آباؤهم، ﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ ﴾[(٢)]، عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ ﴾[(٣)]، وجب العذاب، ﴿ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ ﴾[(٤)]، هـذا كقولـه: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧١ ﴾[(٥)].

[٨] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾[(٦)] قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غل، أراد: منعناهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثلا لذلك، قال الفراء: معناه إنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾[(٧)] معناه لا تمسكها عن النفقة. ﴿ فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾[(٨)]، وهي كناية عن الأيدي وإن لم يجر لها ذكر لأن الغل يجمع اليد إلى العنق، معناه: إنا جعلنا في أيديهم وأعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان، ﴿ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ ﴾[(٩)] المقمح الذي رفع رأسه وغض بصره، يقال: بعير قامح إذا روى من الماء فأقمح إذا رفع رأسه وغض

---

(١) سورة يس آية : ٦.
(٢) سورة يس آية : ٦.
(٣) سورة يس آية : ٧.
(٤) سورة يس آية : ٧.
(٥) سورة الزمر آية : ٧١.
(٦) سورة يس آية : ٨.
(٧) سورة الإسراء آية : ٢٩.
(٨) سورة يس آية : ٨.
(٩) سورة يس آية : ٨.

بصره. قال الأزهري: أراد أن أيديهم لما غلت إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانم ورءوسهم، فهم مرفوعوا الرءوس برفع الأغلال إياها.

[٩] ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ [(١)]، قرأ حمزة والكسائي وحفص (سدا) بفتح السين، وقرأ الآخرون بضمها، ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ ﴾ [(٢)]، فأعميناهم من التغشية وهي التغطية، ﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾ [(٣)]، سبيل الهدى.

[١٠] ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ ﴾ [(٤)].

[١١] ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ [(٥)]، يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع الذكر يعني القرآن فعمل بما فيه، ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١ ﴾ [(٦)]، حسن وهو الجنة.

[١٢] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [(٧)]، عند البعث، ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾ [(٨)]، من الأعمال من خير وشر، ﴿ وَآثَارَهُمْ ﴾ [(٩)]، أي ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة، قال النبي ﷺ ﴿ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان

---

(١) سورة يس آية : ٩.
(٢) سورة يس آية : ٩.
(٣) سورة يس آية : ٩.
(٤) سورة يس آية : ١٠.
(٥) سورة يس آية : ١١.
(٦) سورة يس آية : ١١.
(٧) سورة يس آية : ١٢.
(٨) سورة يس آية : ١٢.
(٩) سورة يس آية : ١٢.

عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا ﴾ [1] [2].

وقال قوم: قوله: (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أي: خطاهم إلى المسجد. روي عن أبي سعيد الخدري قال: شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى: (ونكتب ما قدموا وآثارهم) [3]. قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَهُ ﴾ [4] حفظناه وعددناه وبيناه، ﴿ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [5]، وهو اللوح المحفوظ.

قوله تعالى وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ...

[١٣] قوله ﷻ ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [6]، يعني اذكر لهم شبها مثل حالهم من قصة أصحاب القرية وهي أنطاكية، ﴿ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [7]، يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام.

[١٤] فذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ ﴾ [8]، قال وهب: اسمهما يوحنا وبولس، ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا ﴾ [9]، يعني فقوينا ﴿ بِثَالِثٍ ﴾ [10]، برسول ثالث

---

(١) مسلم الزكاة (١٠١٧)، الترمذي العلم (٢٦٧٥)، النسائي الزكاة٢ / ٧٠٤ والمصنف في شرح السنة ٦ / ١، أحمد (٣٥٩/٤)، الدارمي المقدمة (٥١٤٩ / ٩٤ وقال (حديث حسن غريب) وصححه الحاكم ٢ / ٤٧٠٤ والمصنف في شرح السنة ٦ / ١٥٩.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير ٩ / ٩٤ وقال (حديث حسن غريب) وصححه الحاكم ٢ / ٤٢٨.

(٤) سورة يس آية : ١٢.

(٥) سورة يس آية : ١٢.

(٦) سورة يس آية : ١٣.

(٧) سورة يس آية : ١٣.

(٨) سورة يس آية : ١٤.

(٩) سورة يس آية : ١٤.

(١٠) سورة يس آية : ١٤.

وهو شمعون، وقرأ أبو بكر عن عاصم (فعززنا) بالتخفيف وهو بمعنى الأول كقولك: شددنا وشددنا، بالتخفيف بالتثقيل، وقيل: أي فغلبنا من قولهم: من عز بز. وقال كعب: الرسولان صادق وصدوق، والثالث شلوم، وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى إنما بعثهم بأمره تعالى، ﴿ فَقَالُوٓاْ ﴾ [1]، جميعا لأهل أنطاكية، ﴿ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [2].

[١٥] ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [3]، ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون.

[١٦] ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [4].

[١٧] ﴿ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾ [5].

[١٨] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ ﴾ [6]، تشاءمنا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم، فقالوا: أصابنا هذا بشؤمكم، ﴿ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ ﴾ [7]، لنقتلنكم، وقال قتادة: بالحجارة ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [8].

---

(١) سورة يس آية : ١٤.
(٢) سورة يس آية : ١٤.
(٣) سورة يس آية : ١٥.
(٤) سورة يس آية : ١٦.
(٥) سورة يس آية : ١٧.
(٦) سورة يس آية : ١٨.
(٧) سورة يس آية : ١٨.
(٨) سورة يس آية : ١٨.

[١٩] ﴿ قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ ﴾[(١)]، يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم. وقال ابن عباس والضحاك: حظكم من الخير والشر، ﴿ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ ﴾[(٢)]، يعني وعظتم بالله، وهذا استفهام محذوف، الجواب: إن ذكرتم ووعظتم بالله تطيرتم بنا، وقرأ أبو جعفر (أن) بفتح الهمزة الملينة ذكرتم بالتخفيف، ﴿ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾[(٣)]، مشركون مجاوزون الحد.

[٢٠] قوله ﷻ ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ﴾[(٤)]، وهو حبيب النجار، وقال السدي: كان قصارا. وقال وهب: كان رجلا يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين، فيطعم نصفا لعياله ويتصدق بنصفه، فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم، ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ﴾[(٥)].

[٢١] ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ ﴾[(٦)]، قال قتادة: كان حبيب في غار يعبد الله، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فاظهر دينه، فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم: تسألون عن هذا أجرا؟ قالوا: لا، فأقبل على قومه فقال: (يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون)، فلما قال ذلك قالوا له: وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم؟

---

(١) سورة يس آية : ١٩.

(٢) سورة يس آية : ١٩.

(٣) سورة يس آية : ١٩.

(٤) سورة يس آية : ٢٠.

(٥) سورة يس آية : ٢٠.

(٦) سورة يس آية : ٢١.

[٢٢] فقال: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[١]، قرأ حمزة ويعقوب (ما لي) بإسكان الياء، والآخرون بفتحها. قيل. أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم، لأن الفطرة أثر النعمة، وكانت عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر وكان بم أليق وقيل: إنم - لما قال: اتبعوا المرسلين- أخذوه فرفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم؟ فقال: (وما لي لا أعبد الذي فطرني)، يعني وأي شيء في إذا لم أعبد الخالق، (وإليه ترجعون) تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم.

[٢٣] ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾[٢]، استفهام بمعنى الإنكار، أي لا أتخذ من دونه آلهة، ﴿ إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ ﴾[٣]، بسوء ومكروه، ﴿ لَّا تُغۡنِ عَنِّي ﴾[٤]، لا تدفع عني، ﴿ شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾[٥] أي لا شفاعة لها أصلا فتغني ﴿ وَلَا يُنقِذُونِ ﴾[٦]، من ذلك المكروه، وقيل: لا ينقذون من العذاب لو عذبني الله إن فعلت ذلك.

[٢٤] ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[٧]، خطأ ظاهر.

[٢٥] ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾[٨]، يعني فاسمعوا مني، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه.

---

(١) سورة يس آية : ٢٢.
(٢) سورة يس آية : ٢٣.
(٣) سورة يس آية : ٢٣.
(٤) سورة يس آية : ٢٣.
(٥) سورة يس آية : ٢٣.
(٦) سورة يس آية : ٢٣.
(٧) سورة يس آية : ٢٤.
(٨) سورة يس آية : ٢٥.

[٢٦] فذلك قوله: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ ۖ ﴾[1]، فلما أفضى إلى الجنة، ﴿ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ ﴾[2].

[٢٧] ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾[3]، يعني بغفران ربي لي، ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ﴾[4]، تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه، ليرغبوا في دين الرسل، فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النقمة، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم.

قوله تعالى وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السمَاءِ وَمَا كُنا مُنْزِلينَ...

[٢٨] فذلك قوله: ﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[5]، يعني الملائكة، ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ ﴾[6]، وما كنا نفعل هذا بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر مما يظنون. وقيل: معناه (وما أنزلنا على قومه من بعده) أي على قوم حبيب من بعد قتله من جند وما كما ه لين، ز لهم على الأمم إذا أهلكناهم، كالطوفان والصاعقة والريح، ثم بين عقوبتهم.

[٢٩] فقال تعالى: ﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[7]، وقرأ أبو جعفر: صيحة واحدة، بالرفع جعل الكون بمعنى الوقوع. قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة، ﴿ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ ﴾[1]، ميتون.

---

(١) سورة يس آية : ٢٦.
(٢) سورة يس آية : ٢٦.
(٣) سورة يس آية : ٢٧.
(٤) سورة يس آية : ٢٧.
(٥) سورة يس آية : ٢٨.
(٦) سورة يس آية : ٢٨.
(٧) سورة يس آية : ٢٩.

[٣٠] ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ ﴾[٢]، قال عكرمة: يعني يا حسرتم على أنفسهم والحسرة شدة الندامة، وفيه قولان: أحدهما يقول الله تعالى: (يا حسرة) وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسل، والآخر أنه من قول الهالكين. قال أبو العالية: لما عاينوا العذاب قالوا: يا حسرة أي ندامة على العباد يعني على العباد يعني الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بم، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم. قال الأزهري: الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه المخاطبين. وقيل العرب تقول. يا حسرتي ويا عجبا على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه، فكأنه يقول: أيها العجب هذا وقتك؟ وأيتها الحسرة هذا أوانك؟ حقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجب، ثم بين سبب الحسرة والندامة، فقال: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٣٠ ﴾[٣].

[٣١] ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾[٤]، ألم يخبروا يعني أهل مكة، ﴿ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ ﴾[٥]، والقرن أهـل كل عصر، سموا بذلك لاقترانم في الوجود، ﴿ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝٣١ ﴾[٦]، أي لا يعودون إلى الدنيا فلا يعتبرون بم.

[٣٢] ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ ﴾[٧]، قرأ عاصم وحمزة (لما) بالتشديد هاهنا وفي الزخرف والطارق، وافق ابن عامر إلا في الزخرف، ووافق أبو جعفر في الطارق، وقرأ الآخرون بالتخفيف، فمن شدد جعل (إن) بمعنى الجحد، و (لما) بمعنى إلا، تقديره: وما

---

(١) سورة يس آية : ٢٩.
(٢) سورة يس آية : ٣٠.
(٣) سورة يس آية : ٣٠.
(٤) سورة يس آية : ٣١.
(٥) سورة يس آية : ٣١.
(٦) سورة يس آية : ٣١.
(٧) سورة يس آية : ٣٢.

كل إلا جميع، ومن خفف جعل (إن) للتحقيق و (ما) صلة، مجازه: كل جميع، ﴿ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٣٢ ﴾[1].

[٣٣] ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا ﴾[2]، بالمطر، ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا ﴾[3]، يعني الحنطة والشعير وما أشبههما، ﴿ فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣ ﴾[4]، أي من الحب.

[٣٤] ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ ﴾[5] بساتين، ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا ﴾[6]، في الأرض، ﴿ مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤ ﴾[7].

[٣٥] ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ ﴾[8]، أي من الثمر الحاصل بالماء، ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ ﴾[9]، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (عملت) بغير هاء، وقرأ الآخرون (عملته) بالهاء أي يأكلون من الذي عملته، ﴿ أَيْدِيهِمْ ۖ ﴾[10]، من الزرع والغرس، والهاء عائدة إلى (ما) التي هي بمعنى الذي. وقيل: ما للنفي في قوله ما عملته أيديهم أي وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم، ولا صنع لهم فيها، وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل، وقيل:

---

(١) سورة يس آية : ٣٢.
(٢) سورة يس آية : ٣٣.
(٣) سورة يس آية : ٣٣.
(٤) سورة يس آية : ٣٣.
(٥) سورة يس آية : ٣٤.
(٦) سورة يس آية : ٣٤.
(٧) سورة يس آية : ٣٤.
(٨) سورة يس آية : ٣٥.
(٩) سورة يس آية : ٣٥.
(١٠) سورة يس آية : ٣٥.

أراد العيون والأنار التي لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها، ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]، نعمة الله.

[٣٦] ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾[2]، أي الأصناف كلها، ﴿ مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾[3]، من الثمار والحبوب، ﴿ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[4]، يعني الـذكـور والإناث، ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[5]، مما خلق من الأشياء مع دواب البر والبحر.

[٣٧] ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ﴾[6]، تدل على قدرتنا، ﴿ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ ﴾[7]، نـ ع ونكشط، ﴿ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[8]، داخلون في الظلمة، ومعناه نذهب النهار ونجيء بالليل، وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، فتظهر الظلمة.

[٣٨] ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ﴾[9]، أي إلى مستقر لها. قيل: إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة. وقيل: إنا تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربا، ثم ترجع فذلك مستقرها لأنا لا تجاوزه. وقيل: مستقرها ناية ارتفاعها في السماء في

---

(١) سورة يس آية : ٣٥.
(٢) سورة يس آية : ٣٦.
(٣) سورة يس آية : ٣٦.
(٤) سورة يس آية : ٣٦.
(٥) سورة يس آية : ٣٦.
(٦) سورة يس آية : ٣٧.
(٧) سورة يس آية : ٣٧.
(٨) سورة يس آية : ٣٧.
(٩) سورة يس آية : ٣٨.

الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء، ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾[1]، وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس: والشمس تجري لا مستقر لها، وهي قراءة ابن مسعود أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبدا ذلك تقدير العزيز العليم.

[٣٩] ﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ ﴾[2]، أي قدرنا له، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصـرة (القمر) برفع الراء لقوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ ﴾[3]، وقرأ الآخرون بالنصـب لقولـه: (قدرناه) أي قدرنـا القمر، ﴿ مَنَازِلَ ﴾[4]، وقد ذكرنا عددها في سورة يونس[5] فإذا صار القمر إلى آخر المنازل دق فذلك قوله: ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾[6]، والعرجون عود العذق الذي عليه الشماريخ فإذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر، فشبه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به.

[٤٠] ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾[7]، أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾[8]، أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته. وقيل: لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، لا يطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء، وإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة. وقيل: (لا الشمس ينبغي لها

---

(١) سورة يس آية : ٣٨.
(٢) سورة يس آية : ٣٩.
(٣) سورة فصلت آية : ٣٧.
(٤) سورة يس آية : ٣٩.
(٥) انظر هنا (ص ٣٩٠) من هذا المختصر.
(٦) سورة يس آية : ٣٩.
(٧) سورة يس آية : ٤٠.
(٨) سورة يس آية : ٤٠.

أن تدرك القمر) أي تجتمع معه في فلك واحد (ولا الليل سابق النهار) أي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما فاصل، ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1]، يجرون.

قوله تعالى وَآيَةٌ لَهُمْ أنا حَمَلْنا ذُرِيَتهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ...

[٤١] ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[2]، والمراد بالذرية الآباء والأجداد، واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد، ﴿ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾[3]، أي المملوء، وأراد سفينة نوح، وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح، وكانوا في أصلابهم.

[٤٢] ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾[4]، قيل: أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها. وقيل: أراد بالسفن التي تجري في الأنهار فهي في الأنهار كالفلك الكبار في البحار، هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما، وروي عن ابن عباس: أنه قال: وخلقنا لهم من مثله ما يركبون، يعني الإبل؛ فالإبل في البر كالسفن في البحر.

[٤٣] ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ ﴾[5]، أي لا مغيث، ﴿ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾[6]، ينجون من الغرق. قال ابن عباس: ولا أحد ينقذهم من عذابي.

[٤٤] ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾[7]، إلى انقضاء آجالهم، يعني إلا أن يرحمهم ويمتعهم إلى حين آجالهم.

---

(١) سورة يس آية : ٤٠.
(٢) سورة يس آية : ٤١.
(٣) سورة يس آية : ٤١.
(٤) سورة يس آية : ٤٢.
(٥) سورة يس آية : ٤٣.
(٦) سورة يس آية : ٤٣.
(٧) سورة يس آية : ٤٤.

[٤٥] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾[(١)]، قال ابن عباس: ما بين أيديكم يعني الآخرة، فاعملوا لها وما خلفكم يعني من الدنيا فاحذروها، ولا تغتروا بها. وقيل: ما بين أيديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم، وما خلفكم عذاب الآخرة، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[(٢)]، والجـواب محذوف تقديره: إذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه، دليله ما بعده.

[٤٦] ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾[(٣)]، أي دلالة على صدق محمد ﷺ ﴿ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[(٤)].

[٤٧] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[(٥)]، أعطاكـم الله، ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ ﴾[(٦)]، أنرزق، ﴿ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ ﴾[(٧)]، وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله، وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم، قالوا: أنطعم أنرزق من لو يشاء الله أطعمه رزقه، ثم لم يرزقه مع قدرته عليه، فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا مما يتمسك به البخلاء، يقولون: لا نعطي من حرمه الله، وهذا الذي يزعمون باطل، لأن الله أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء، فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله، ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما أمر وفرض له في مال الغني، ولا

(١) سورة يس آية : ٤٥.
(٢) سورة يس آية : ٤٥.
(٣) سورة يس آية : ٤٦.
(٤) سورة يس آية : ٤٦.
(٥) سورة يس آية : ٤٧.
(٦) سورة يس آية : ٤٧.
(٧) سورة يس آية : ٤٧.

اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه، ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، يقول الكفار للمؤمنين: ما أنتم إلا في خطإ بين في اتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه.

[٤٨] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾[2]، أي القيامة والبعث، ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3].

[٤٩] قال الله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ ﴾[4]، أي ما ينتظرون، ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾[5]، قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى، ﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾[6]، يعني يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء، ويتكلمون في المجالس والأسواق، قرأ حمزة (يخصمون) بسكون الخاء وتخفيف الصاد، أي يغلب بعضهم بعضا بالخصام، وقرأ الآخرون بتشديد الصاد، أي يختصمون، أدغمت التاء في الصاد.

[٥٠] قوله ﷻ ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾[7]، أي لا يقدرون الإيصاء. قال مقاتل: عجلوا عن الوصية فماتوا، ﴿ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾[8]، ينقلبون، والمعنى أن الساعة لا تمهلهم لشيء.

---

(١) سورة يس آية : ٤٧.
(٢) سورة يس آية : ٤٨.
(٣) سورة يس آية : ٤٨.
(٤) سورة يس آية : ٤٩.
(٥) سورة يس آية : ٤٩.
(٦) سورة يس آية : ٤٩.
(٧) سورة يس آية : ٥٠.
(٨) سورة يس آية : ٥٠.

[٥١] ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾[1]، وهي الأخيرة نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ ﴾[2]، يعني القبور، واحدها: جدث، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ۝٥١ ﴾[3]، يخرجون من القبور أحياء، ومنه قيل للولد: نسل لخروجه من بطن أمه.

[٥٢] ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾[4] قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة: إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين، فيرقدون فإذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل. وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابا صار عذاب القبر في جنبها كالنوم، فقالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ ثم قالوا: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢ ﴾[5]، أقروا حين لم ينفعهم الإقرار. وقيل: قالت الملائكة لهم: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون). قال مجاهد: يقول الكفار: (من بعثنا من مرقدنا) فيقول المؤمنون: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢ ﴾[6].

[٥٣] ﴿ إِن كَانَتۡ ﴾[7]، ما كانت، ﴿ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[8]، يعني النفخة الأخيرة، ﴿ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ۝٥٣ ﴾[1].

---

(١) سورة يس آية : ٥١.
(٢) سورة يس آية : ٥١.
(٣) سورة يس آية : ٥١.
(٤) سورة يس آية : ٥٢.
(٥) سورة يس آية : ٥٢.
(٦) سورة يس آية : ٥٢.
(٧) سورة يس آية : ٥٣.
(٨) سورة يس آية : ٥٣.

[٥٤] ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (٢).

قوله تعالى إن أصْحَابَ الْجَنةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ...

[٥٥] ﴿ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ ﴾ (٣)، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (في شغل) اختلفوا في معنى الشغل، قال ابن عباس: في افتضاض الأبكار. وقال وكيع بن الجراح: في السماع. وقال الكلبي: في شغل عن أهل النار وعما هم فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم. وقال الحسن: شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب. وقال ابن كيسان: في زيارة بعضهم بعضا. وقيل: في ضيافة الله تعالى. ﴿ فَـٰكِهُونَ ۝ ﴾ (٤)، قرأ أبو جعفر (فكهون) حيث كان، وافقه حفص في المطففين وهما لغتان مثل الحاذر والحذر، أي ناعمون. قال مجاهد والضحاك: معجبون بما هم فيه. وعن ابن عباس قال: فرحون.

[٥٦] ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ ﴾ (٥)، أي حلائلهم، ﴿ فِى ظِلَـٰلٍ ﴾ (٦)، قرأ حمزة والكسائي ظلل بضم الظاء من غير ألف، جمع ظله، وقرأ العامة (في ظلال) بالألـف وكسر الظاء على جـمع ظل، ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ (٧)، يعني السرر في الحجال واحدتا

---

(١) سورة يس آية : ٥٣.
(٢) سورة يس آية : ٥٤.
(٣) سورة يس آية : ٥٥.
(٤) سورة يس آية : ٥٥.
(٥) سورة يس آية : ٥٦.
(٦) سورة يس آية : ٥٦.
(٧) سورة يس آية : ٥٦.

أريكة. قال ثعلب: لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة. ﴿ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]، ذوو اتكاء.

[٥٧] ﴿ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2]، يتمنون ويشتهون.

[٥٨] ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾[3]، أي يقول الله لهم قولا، وقيل: يسلم عليهم في ديارهم. وقيل: تسلم عليهم الملائكة من ربهم. وقال مقاتل: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم. وقيل: يعطيهم السلامة يقول: اسلموا السلامة الأبدية.

[٥٩] ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[4]، قال مقاتل: اعتزلوا اليوم الصالحين. قال أبو العالية: تميزوا. وقال السدي: كونوا على حدة. وقال الزجاج: انفردوا عن المؤمنين. قال الضحاك: إن لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين، لا يرى ولا يرى.

[٦٠] ﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[5] ألم آمركم يا بني آدم، ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾[6]، أي لا تطيعوا الشيطان في معصية الله، ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ ﴾[7]، ظاهر العداوة.

---

(١) سورة يس آية : ٥٦.

(٢) سورة يس آية : ٥٧.

(٣) سورة يس آية : ٥٨.

(٤) سورة يس آية : ٥٩.

(٥) سورة يس آية : ٦٠.

(٦) سورة يس آية : ٦٠.

(٧) سورة يس آية : ٦٠.

[٦١] ﴿ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ ﴾[1]، أطيعوني ووحدوني، ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ ﴾[2].

[٦٢] ﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ ﴾[3]، قرأ أهل المدينة وعاصم (جبلا) معناها: الخلق والجماعة أي خـلقا كثيرا ﴿ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ ﴾[4]، ما أتاكـم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس، ويقال لهم لما دنوا من النار.

[٦٣] ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٦٣ ﴾[5]، بها في الدنيا.

[٦٤] ﴿ ٱصۡلَوۡهَا ﴾[6] ادخلوها ﴿ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤ ﴾[7].

[٦٥] ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥ ﴾[8]، هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم ﴿ مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣ ﴾[9]، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم.

---

(١) سورة يس آية : ٦١.
(٢) سورة يس آية : ٦١.
(٣) سورة يس آية : ٦٢.
(٤) سورة يس آية : ٦٢.
(٥) سورة يس آية : ٦٣.
(٦) سورة يس آية : ٦٤.
(٧) سورة يس آية : ٦٤.
(٨) سورة يس آية : ٦٥.
(٩) سورة الأنعام آية : ٢٣.

[٦٦] ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ [(١)]، أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق، وهو معنى الطمس كما قال الله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ ﴾ [(٢)] يقول: كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة، ﴿ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ [(٣)]، فتبادروا إلى الطريق، ﴿ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [(٤)]، فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم؟ يعني: لو تشاء لأضللناهم عن الهدى، وتركناهم عميا يترددون، فكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ هذا قول الحسن والسدي، وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وعطاء: معناه لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم، فأعميناهم عن غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى، فأبصروا رشدهم، (فأنى يبصرون) ولم أفعل ذلك بم؟

[٦٧] ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَـٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ [(٥)]، يعني مكانتهم، يريد: لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم، وقيل: لو نشاء لجعلناهم حجارة، وهم قعود في منازلهم لا أرواح لهم. ﴿ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٦)]، يعني إلى ما كانوا عليه على وقيل: لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع.

[٦٨] ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ ﴾ [(٧)] أي نرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق. وقيل: ننكسه في الخلق أي نضعف جوارحه بعد قوتا ونردها إلى نقصانا

---

(١) سورة يس آية : ٦٦.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠.
(٣) سورة يس آية : ٦٦.
(٤) سورة يس آية : ٦٦.
(٥) سورة يس آية : ٦٧.
(٦) سورة يس آية : ٦٧.
(٧) سورة يس آية : ٦٨.

بعد زيادتنا. ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1]، فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت.

[٦٩] قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾[2]، قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا: إن محمدا شاعر، وما يقوله شعر، فأنزل الله تكذيبا لهم: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) أي ما يتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت من الشعر، حتى إذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا، ﴿ إِنْ هُوَ ﴾[3]، يـعني ما القرآن، ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾[4]، موعظة، ﴿ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾[5]، فيه الفرائض والحدود والأحكام.

[٧٠] ﴿ لِيُنْذِرَ ﴾[6]، قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب (لتنذر) بالتاء وكذلك في الأحقاف، وافق ابن كثير في الأحقاف، أي لتنذر يا محمد، وقرأ الآخرون بالياء أي لينذر القرآن، ﴿ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾[7]، يعني مؤمنا حي القلب لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر، ﴿ وَيَحِقَّ الْقَوْلُ ﴾[8]، ويجب حجة العذاب ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[9].

(١) سورة يس آية : ٦٨.
(٢) سورة يس آية : ٦٩.
(٣) سورة يس آية : ٦٩.
(٤) سورة يس آية : ٦٩.
(٥) سورة يس آية : ٦٩.
(٦) سورة يس آية : ٧٠.
(٧) سورة يس آية : ٧٠.
(٨) سورة يس آية : ٧٠.
(٩) سورة يس آية : ٧٠.

قوله تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا أنا خَلَقْنا لَهُمْ مِما عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ...

[٧١] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾[١]، تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد، ﴿ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[٢]، ضابطون قاهرون، أي لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم.

[٧٢] وهي قوله: ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ ﴾[٣]، سخرناها لهم، ﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴾[٤]، أي ما يركبون وهي الإبل، ﴿ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[٥]، من لحمانا.

[٧٣] ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾[٦]، أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها، ﴿ وَمَشَارِبُ ﴾[٧]، من ألبانا، ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[٨]، رب هذه النعم.

[٧٤] ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[٩]، يعني: لتمنعهم من عذاب الله، ولا يكون ذلك قط.

[٧٥] ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾[١٠]، قال ابن عباس: لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب. ﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[١]، أي الكفار جند

---

(١) سورة يس آية : ٧١.
(٢) سورة يس آية : ٧١.
(٣) سورة يس آية : ٧٢.
(٤) سورة يس آية : ٧٢.
(٥) سورة يس آية : ٧٢.
(٦) سورة يس آية : ٧٣.
(٧) سورة يس آية : ٧٣.
(٨) سورة يس آية : ٧٣.
(٩) سورة يس آية : ٧٤.
(١٠) سورة يس آية : ٧٥.

للأصنام يغضبون لها ويحضرونا في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا. وقيل: هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون في النار.

[٧٦] ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾[٢]، يعني قول كفار مكة في تكذيبك، ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾[٣]، في ضمائرهم من التكـذيب، ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦ ﴾[٤]، من عبادة الأصنام أو ما يعلنون بألسنتهم من الأذى.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ ﴾[٥]، جدل بالباطل، ﴿ مُّبِينٌ ۝٧٧ ﴾[٦]، بين الخصومة، يعني أنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم، فكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع الخصومة، ﴿ نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده، فقال: أترى يحيي الله هذا بعدما رم؟ فقال النبي ﷺ "نعم ويبعثك ويدخلك النار ﴾ فأنزل الله هذه الآيات[٧].

[٧٨] ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾[٨]، بدء أمره ثم، ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ ﴾[٩]، بالية، ولم يقل رميمة لأنه معدول عن فاعله وكل ما كان

(١) سورة يس آية : ٧٥.
(٢) سورة يس آية : ٧٦.
(٣) ٣ / ٣ة يس آية : ٧٦.
(٤) سورة يس آية : ٧٦.
(٥) سورة يس آية : ٧٧.
(٦) سورة يس آية : ٧٧.
(٧) أخرجه الطبري ٢٣ / ٣٠ والواحدي في أسباب اا ول.
(٨) سورة يس آية : ٧٨.
(٩) سورة يس آية : ٧٨.

معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن أخواته، كقوله: ﴿ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ۝٢٨ ﴾[1]، أسقط الهاء لأنا كانت مصروفة عن باغية.

[٧٩] ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ ﴾[2]، خلقها، ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾[3].

[٨٠] ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا ﴾[4]، قال ابن عباس: هما شجرتان يقال لأحدهما: المرخ والأخرى: العفار، فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله ﷻ تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا العناب. ﴿ فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ ﴾[5]، تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان.

[٨١] فقال: ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ ﴾[6]، قرأ يعقوب يقدر بالياء على الفعل، ﴿ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ ﴾[7]، أي قل بلى هو قادر على ذلك، ﴿ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ﴾[8]، يخلق خلقا بعد خلق، ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨١ ﴾[1] بجميع ما خلق.

---

(١) سورة مريم آية : ٢٨.
(٢) سورة يس آية : ٧٩.
(٣) سورة يس آية : ٧٩.
(٤) سورة يس آية : ٨٠.
(٥) سورة يس آية : ٨٠.
(٦) سورة يس آية : ٨١.
(٧) سورة يس آية : ٨١.
(٨) سورة يس آية : ٨١.

[٨٢] ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ ﴾ (٢).

[٨٣] ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ ﴾ (٣)، أي ملك، ﴿ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝ ﴾ (٤).

(١) سورة يس آية : ٨١.

(٢) سورة يس آية : ٨٢.

(٣) سورة يس آية : ٨٣.

(٤) سورة يس آية : ٨٣.

(٣٧) سورة الصافات

قوله تعالى وَالصافاتِ صَفّا فَالزاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتالِيَاتِ ذِكْرًا...

[١] ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ ﴾[1]، قال ابن عباس، رضي الله عنهما والحسن وقتادة: هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة، وقيل: هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريده. وقيل: هي الطيور دليله قوله تعالى: ﴿ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ ﴾[2].

[٢] قوله تعالى: ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ ﴾[3]، يعني تزجر السحاب وتسوقه، وقال قتادة: هي زواجر القرآن تنهي وتزجر عن القبائح.

[٣] ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ ﴾[4]، هم الملائكة يتلون ذكر الله عز وجل. وقيل: هم جماعة قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله تعالى به، وجواب القسم:

[٤] قوله: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ ﴾[5]، وقيل: فيه إضـمـار، أي ورب الصـافـات والزاجـرات والتاليات، وذلك أن كفار مكة قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ ﴾[6]؟ فأقسم الله بهؤلاء.

---

(١) سورة الصافات آية : ١.
(٢) سورة النور آية : ٤١.
(٣) سورة الصافات آية : ٢.
(٤) سورة الصافات آية : ٣.
(٥) سورة الصافات آية : ٤.
(٦) سورة ص آية : ٥.

[٥] ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ [١]، أي مطالع الشمس، فإن قيل: قد قال في موضع: (رب المشارق والمغارب)، وقال في موضع: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [٢] وقال في موضع: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [٣]، فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟ قيل: أما قوله: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [٤]، أراد به جهة المشرق وجهة المغرب. وقوله: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [٥] أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وأراد بالمغربين: مغرب الشتاء ومغرب الصيف. وقوله: ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ [٦]، أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة في المشرق وثلثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها لا ترجع إلى الكوة التي تطلع الشمس منها من ذلك اليوم إلى العام المقبل، فهي المشارق والمغارب، وقيل: كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب، كأنه أراد رب جميع ما شرقت عليه الشمس وغربت.

[٦] ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [٧]، قرأ عاصم، برواية أبي بكر (بزينة) منونة، (الكواكب) نصب أي بتزييننا الكواكب وقرأ حمزة وحفص (بزينة)

---

(١) سورة الصافات آية : ٥.
(٢) سورة الرحمن آية : ١٧.
(٣) سورة الشعراء آية : ٢٨.
(٤) سورة الشعراء آية : ٢٨.
(٥) سورة الرحمن آية : ١٧.
(٦) سورة المعارج آية : ٤٠.
(٧) سورة الصافات آية : ٦.

منونة (الكواكب) خفضا على البدل، أي بزينة بالكواكب، أي زيناها بالكواكب. وقرأ الآخرون (بزينة الكواكب)، بلا تنوين على الإضافة. قال ابن عباس: بضوء الكواكب.

[٧] ﴿ وَحِفْظًا ﴾ [١]. أي وحفظناها حفظا. ﴿ مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [٢]، متمرد يرمون بها.

[٨] ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾ [٣]، قرأ حمزة والكسائي وحفص (يسمعون) بتشديد السين والميم، أي لا يتسمعون، فأدغمت التاء في السين، وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم، ﴿ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [٤]، أي إلى الكتيبة من الملائكة، والملأ الأعلى هم الملائكة لأنهم في السماء ومعناه أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملأ الأعلى، ﴿ وَيُقْذَفُونَ ﴾ [٥]، يرمون، ﴿ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [٦]، من كل آفاق السماء بالشهب.

[٩] ﴿ دُحُورًا ﴾ [٧]، يبعدونهم عن مجالس الملائكة، يقال: دحره دحرا ودحورا إذ طرده وأبعده، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ ﴾ [٨]، دائم، قال مقاتل: دائم إلى النفخة الأولى لأنهم يحرقون ويتخبلون.

[١٠] ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾ [١]، اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة، ﴿ فَأَتْبَعَهُۥ ﴾ [٢]، لحقه، ﴿ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [٣]، كوكب مضيء قوي لا يخطئه

---

(١) سورة الصافات آية : ٧.
(٢) سورة الصافات آية : ٧.
(٣) سورة الصافات آية : ٨.
(٤) سورة الصافات آية : ٨.
(٥) سورة الصافات آية : ٨.
(٦) سورة الصافات آية : ٨.
(٧) سورة الصافات آية : ٩.
(٨) سورة الصافات آية : ٩.

يقتله، أو يحرقه أو يخبله، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعا في السلامة ونيل المراد، كراكب السفينة، قال عطاء: سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لأنه يثقبهم.

[١١] ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾(٤)، يعني سلهم يعني أهل مكة، ﴿ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾(٥)، يعني من السماوات والأرض والجبال، وهذا استفهام بمعنى التقرير أي هذه الأشياء أشد خلقا كما قال: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾(٦)، وقال: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾(٧)، وقيل: (أم من خلقنا) يعني من الأمم الخالية، لأن (من) يذكر فيمن يعقل، يقول: إن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الأمم، وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب؟! ثم ذكر خلق الإنسان، فقال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾(٨)، يعني جيد حر لاصق يعلق باليد، ومعناه اللازم إبدال الميم باء كأنه يلزم اليد. وقال مجاهد والضحاك: منتن.

[١٢] ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾(٩)، قرأ حمزة والكسائي بضم التاء، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس، والعجب من الله ﷻ ليس كالتعجب من الآدميين كما قال:

---

(١) سورة الصافات آية : ١٠.
(٢) سورة الصافات آية : ١٠.
(٣) سورة الصافات آية : ١٠.
(٤) سورة الصافات آية : ١١.
(٥) سورة الصافات آية : ١١.
(٦) سورة غافر آية : ٥٧.
(٧) سورة النازعات آية : ٢٧.
(٨) سورة الصافات آية : ١١.
(٩) سورة الصافات آية : ١٢.

﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴾ [1] أن قال ﷻ ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ [2] والعجب من الآدميين إنكاره وتعظيمه، والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا، وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب النبي ﷺ. أي عجبت من تكذيبهم إياك، ﴿ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [3] يعني وهم يسخرون من تعجبك. قال قتادة: عجب النبي ﷺ من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به، فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به، فعجب من ذلك النبي ﷺ فقال الله تعالى: (بل عجبت ويسخرون).

[١٣] ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [4]، يعني إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون.

[١٤] ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةً ﴾ [5]، قال ابن عباس ومقاتل يعني انشقاق القمر، ﴿ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [6]، يسخرون ويستهزئون، وقيل: يستدعي بعضهم عن بعض السخرية.

[١٥] ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [7]، يعني سحر بين.

[١٦] ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [8].

---

(١) سورة التوبة آية : ٧٩.
(٢) سورة التوبة آية : ٦٧.
(٣) سورة الصافات آية : ١٢.
(٤) سورة الصافات آية : ١٣.
(٥) سورة الصافات آية : ١٤.
(٦) سورة الصافات آية : ١٤.
(٧) سورة الصافات آية : ١٥.
(٨) سورة الصافات آية : ١٦.

[١٧] ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧ ﴾[1]. أي وآباؤنا الأولون.

[١٨] ﴿ قُلۡ نَعَمۡ ﴾[2]، تبعثون، ﴿ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨ ﴾[3]، صاغرون، والدخور أشد الصغار.

[١٩] ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ ﴾[4] أي قصة البعث أو القيامة، ﴿ زَجۡرَةٌ ﴾[5]، أي صيحة، ﴿ وَٰحِدَةٌ ﴾[6]، يعني نفخة البعث، ﴿ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ١٩ ﴾[7]، أحياء.

[٢٠] ﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠ ﴾[8]، أي يوم الحساب ويوم الجزاء.

[٢١] ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾[9]، يوم القضاء، وقيل: يوم الفصل بين المحسن والمسيء، ﴿ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١ ﴾[10].

[٢٢، ٢٣] ﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[11] أي أشركوا، اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء، ﴿ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾[12]، أشياعهم وأتباعهم وأمثالهم، قال قتادة والكلبي:

---

(١) سورة الصافات آية : ١٧.
(٢) سورة الصافات آية : ١٨.
(٣) سورة الصافات آية : ١٨.
(٤) سورة الصافات آية : ١٩.
(٥) سورة الصافات آية : ١٩.
(٦) سورة الصافات آية : ١٩.
(٧) سورة الصافات آية : ١٩.
(٨) سورة الصافات آية : ٢٠.
(٩) سورة الصافات آية : ٢١.
(١٠) سورة الصافات آية : ٢١.
(١١) سورة الصافات آية : ٢٢.
(١٢) سورة الصافات آية : ٢٢.

كل من عمل مثل عملهم فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا. وقال الضحاك ومقاتل: وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة. وقال الحسن: وأزواجهم المشركات. ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [1] في الدنيا، يعني الأوثان والطواغيت. وقال مقاتل: يعني إبليس وجنوده، واحتج بقوله: ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ﴾ [2]، ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝ ﴾ [3]، قال ابن عباس: دلوهم إلى طريق النار. وقال ابن كيسان: قدموهم. والعرب تسمي السابق هاديا.

[٢٤] ﴿ وَقِفُوهُمْ ﴾ [4]، واحبسوهم، يقال: وقفته وقفا فوقف وقوفا. قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط، فقيل: وقفوهم ﴿ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝ ﴾ [5]، قال ابن عباس: عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

قوله تعالى مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ...

[٢٥] ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝ ﴾ [6]، أي لا تتناصرون، يقال لهم توبيخا: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا، يقول لهم خزنة النار هذا جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر: ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝ ﴾ [7].

---

(١) سورة الصافات آية :٢٢ - ٢٣.

(٢) سورة يس آية : ٦٠.

(٣) سورة الصافات آية : ٢٣.

(٤) سورة الصافات آية : ٢٤.

(٥) سورة الصافات آية : ٢٤.

(٦) سورة الصافات آية : ٢٥.

(٧) سورة القمر آية : ٤٤.

[٢٦] فقال الله تعالى: ﴿ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴾[١]، قال ابن عباس: خاضعون. وقال الحسن: منقادون؟ يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع له، والمعنى: هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم.

[٢٧] ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾[٢]، أي الرؤسـاء والأتبـاع ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾[٣]، يتخاصمون.

[٢٨] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾[٤]، أي الأتباع للرؤساء، ﴿ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾[٥]، أي من قبل الدين فتضلوننا عنه وترووننا أن الدين ما تضلوننا به، قاله الضحاك، وقال مجاهد: عن الصراط الحق، واليمين عبارة عن الدين والحق، وقال بعضهم: كان الرؤساء يحلفون لهم أن ما يدعونم إليه هو الحق، فمعنى قوله. (تأتوننا عن اليمين) أي من ناحية الإيمان التي كنتم تحلفونا فوثقنا با. وقيل: عن اليمين أي عن القوة والقدرة، كقوله: ﴿ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴾[٦]، والمفسرون على القول الأول.

[٢٩] ﴿ قَالُواْ ﴾[٧]، يعني الرؤساء للأتباع، ﴿ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[٨]، لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه، أي إنما الكفر من قبلكـم.

---

(١) سورة الصافات آية : ٢٦.
(٢) سورة الصافات آية : ٢٧.
(٣) سورة الصافات آية : ٢٧.
(٤) سورة الصافات آية : ٢٨.
(٥) سورة الصافات آية : ٢٨.
(٦) سورة الحاقة آية : ٤٥.
(٧) سورة الصافات آية : ٢٩.
(٨) سورة الصافات آية : ٢٩.

[٣٠] ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ﴾[(١)]، من قوة وقدرة فنقهركـم على متابعتنا، ﴿ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[(٢)]، ضالين.

[٣١] ﴿ فَحَقَّ ﴾[(٣)]، وجب، ﴿ عَلَيْنَا ﴾[(٤)]، جميعا، ﴿ قَوْلُ رَبِّنَآ ﴾[(٥)]، يعني كلمة العذاب، وهي قوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[(٦)].

﴿ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[(٧)]، العذاب، أي أن الضال والمضل جميعا في النار.

[٣٢] ﴿ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ ﴾[(٨)]، فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه، ﴿ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[(٩)]، ضالين.

[٣٣] قال الله: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[(١٠)]، الرؤساء والأتباع.

[٣٤] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[(١١)]، قال ابن عباس: الذين جعلوا لله شركاء.

---

(١) سورة الصافات آية : ٣٠.
(٢) سورة الصافات آية : ٣٠.
(٣) سورة الصافات آية : ٣١.
(٤) سورة الصافات آية : ٣١.
(٥) سورة الصافات آية : ٣١.
(٦) سورة هود آية : ١١٩.
(٧) سورة الصافات آية : ٣١.
(٨) سورة الصافات آية : ٣٢.
(٩) سورة الصافات آية : ٣٢.
(١٠) سورة الصافات آية : ٣٣.
(١١) سورة الصافات آية : ٣٤.

[٣٥] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١]، يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها.

[٣٦] ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [٢]، يعني النبي ﷺ.

[٣٧] قال الله ﷻ ردا عليهم: ﴿ بَلْ جَآءَ ﴾ [٣] محمد ﴿ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [٤]، أي أنه أتى بما أتى به الرسل قبله.

[٣٨، ٣٩] ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٥]، في الدنيا من الشرك.

[٤٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [٦]، الموحدين.

[٤١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [٧]، يعني بكرة وعشيا كما قال: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [٨].

[٤٢] ﴿ فَوَٰكِهُ ﴾ [٩] جمع الفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها، وهي كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت، ﴿ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ [١]، بثواب الله.

---

(١) سورة الصافات آية : ٣٥.
(٢) سورة الصافات آية : ٣٦.
(٣) سورة الصافات آية : ٣٧.
(٤) سورة الصافات آية : ٣٧.
(٥) سورة الصافات آية :٣٨ - ٣٩.
(٦) سورة الصافات آية : ٤٠.
(٧) سورة الصافات آية : ٤١.
(٨) سورة مريم آية : ٦٢.
(٩) سورة الصافات آية : ٤٢.

[٤٣،٤٤] ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٤ ﴾[٢]، لا يرى بعضهم قفا بعض.

[٤٥] ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ ﴾[٣]، إناء فيه شراب ولا يكون كأسا حتى يكون فيه شراب، وإلا فهو إناء، ﴿ مِّن مَّعِينٖ ۝٤٥ ﴾[٤]، خمر جارية في الأنار ظاهرة تراها العيون.

[٤٦] ﴿ بَيۡضَآءَ ﴾[٥]، قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضا من اللبن، ﴿ لَذَّةٖ ﴾[٦]، أي لذيذة، ﴿ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ ﴾[٧].

[٤٧] ﴿ لَا فِيهَا غَوۡلٞ ﴾[٨]، قال الشعبي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها. قال الكلبي: إثم. وقال قتادة: وجع البطن. وقال الحسن: صداع. وقال أهل المعاني: الغول فساد يلحق في خفاء، يقال: اغتاله اغتيالا إذا أفسد عليه أمره في خفية، وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد، منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقيء والبول، ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة. ﴿ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧ ﴾[٩]، قرأ حمزة والكسائي (ي فون) بكسر الزاي وافقهما عاصم في الواقعة، وقرأ الآخرون بفتح الزاي

---

(١) سورة الصافات آية : ٤٢.
(٢) سورة الصافات آية :٤٣ - ٤٤.
(٣) سورة الصافات آية : ٤٥.
(٤) سورة الصافات آية : ٤٥.
(٥) سورة الصافات آية : ٤٦.
(٦) سورة الصافات آية : ٤٦.
(٧) سورة الصافات آية : ٤٦.
(٨) سورة الصافات آية : ٤٧.
(٩) سورة الصافات آية : ٤٧.

فيهما فمن فتح الزاي فمعناه: لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون، يقال: نزف الرجل فهو م وف ونزيف إذا سكر، ومن كسر الزاي فمعناه: لا ي ف شرابهم، يقال أنزف الرجل فهو م وف إذا فنيت خمره.

[٤٨] ﴿ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾[1]، حابسات الأعين غاضات الجفون، قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، ﴿ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[2]، أي حسان الأعين، يقال: رجل أعين وامرأة عيناء ونساء عين.

[٤٩] ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ ﴾[3]، جمع البيضة، ﴿ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[4]، مضمون مستور، وإنما ذكر المكنون والبيض جمع لأنه رده إلى اللفظ. قال الحسن: شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها، فلونا أبيض في صفرة. ويقال: هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة (بيضاء) مشربة صفرة، والعرب تشبهها ببيضة النعامة.

[٥٠] ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[5]، يعني أهل الجنة في الجنة يسأل بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا.

[٥١] ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾[6]، يعني من أهـل الجنة، ﴿ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[7]، في الدنيا ينكر البعث. قال مجاهد: كان شيطانا. وقال الآخرون: كان من الإنس. وقال مقاتل: كانا أخوين. وقال الباقون: كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس

(١) سورة الصافات آية : ٤٨.
(٢) سورة الصافات آية : ٤٨.
(٣) سورة الصافات آية : ٤٩.
(٤) سورة الصافات آية : ٤٩.
(٥) سورة الصافات آية : ٥٠.
(٦) سورة الصافات آية : ٥١.
(٧) سورة الصافات آية : ٥١.

والآخر مؤمن اسمه يهوذا، وهما اللذان قص الله تعالى خبرهـا في سـورة الكهـف في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ ﴾[1].

قوله تعالى يَقُولُ أَئِنكَ لَمِنَ الْمُصَدِقِينَ أَئِذَا مِتْنا وَكُنا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنا لَمَدِينُونَ...

[٥٢] ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ ﴾[2]، بالبعث.

[٥٣] ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ ﴾[3]، مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار.

[٥٤] ﴿ قَالَ ﴾[4]، الله تعالى لأهل الجنة: ﴿ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ ﴾[5]، إلى النار. وقيل: يقول المؤمن لإخوانه أهل الجنة: هل أنتم مطلعون إلى النار لننظر كيف م لة أخي فيقول أهل الجنة: أنت أعرف به منا.

[٥٥] ﴿ فَٱطَّلَعَ ﴾[6]، قال ابن عباس: إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار، فاطلع هذا المؤمن، ﴿ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٥ ﴾[7]، فرأى قرينه في وسط النار، وإنما سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه.

[٥٦] ﴿ قَالَ ﴾[8] له، ﴿ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝٥٦ ﴾[1] والله لقد كدت أن تلكني، قال مقاتل: والله لقد كدت أن تغويني، ومن أغوى إنسانا فقد أهلكه.

---

(١) سورة الكهف آية : ٣٢.

(٢) سورة الصافات آية : ٥٢.

(٣) سورة الصافات آية : ٥٣.

(٤) سورة الصافات آية : ٥٤.

(٥) سورة الصافات آية : ٥٤.

(٦) سورة الصافات آية : ٥٥.

(٧) سورة الصافات آية : ٥٥.

(٨) سورة الصافات آية : ٥٦.

[٥٧] ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى ﴾[2]، رحمته وإنعامه علي بالإسلام، ﴿ لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ ﴾[3]، معك في النار. ٥٨،

[٥٩] ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ ﴾[4] ﴿ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ ﴾[5]، في الدنيا، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ ﴾[6] قال بعضهم: يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت: أفما نحن بميتين؟ فتقول لهم الملائكة: لا.

[٦٠] فيقولون: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ ﴾[7]، وقيل: إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذبون. وقيل: يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره.

[٦١] قال الله تعالى: ﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ۝٦١ ﴾[8]، أي لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله: (أولئك لهم رزق معلوم)، إلى (فليعمل العاملون).

[٦٢] ﴿ أَذَٰلِكَ ﴾[9]. أي ذلك الذي ذكر لأهل الجنة، ﴿ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ ﴾[1]، التي هي نزل أهل النار. والزقوم: شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم،

---

(١) سورة الصافات آية : ٥٦.
(٢) سورة الصافات آية : ٥٧.
(٣) سورة الصافات آية : ٥٧.
(٤) سورة الصافات آية : ٥٨.
(٥) سورة الصافات آية : ٥٩.
(٦) سورة الصافات آية : ٥٩.
(٧) سورة الصافات آية : ٦٠.
(٨) سورة الصافات آية : ٦١.
(٩) سورة الصافات آية : ٦٢.

يكره أهل النار على تناولها، فهم يتزقمونه على أشد كراهية، ومنه قولهم: تزقم الطعام إذا تناوله على كره ومشقة.

[٦٣] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝ ﴾ [٢]، للكافرين، وذلك أنم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟.

[٦٤] فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝ ﴾ [٣]، قعر النار، وقال الحسن: أصلها في قعر جهنم وأغصانا ترتفع إلى دركاتا.

[٦٥] ﴿ طَلْعُهَا ﴾ [٤]، ثمرها سمي طلعا لطلوعه، ﴿ كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ ۝ ﴾ [٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الشياطين بأعيانم شبه با لقبحها، لأن الناس إذا وصفوا شيئا بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان- وإن كانت الشياطين لا ترى- لأن قبح صورتا متصور في النفس، وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي، وقال بعضهم. أراد بالشياطين الحيات، والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا. وقيل. هي شجرة قبيحة مرة منتنة تكون في البادية تسميها العرب رءوس الشياطين.

[٦٦] ﴿ فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ ﴾ [٦]، والملء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه.

---

(١) سورة الصافات آية : ٦٢.
(٢) سورة الصافات آية : ٦٣.
(٣) سورة الصافات آية : ٦٤.
(٤) سورة الصافات آية : ٦٥.
(٥) سورة الصافات آية : ٦٥.
(٦) سورة الصافات آية : ٦٦.

[٦٧] ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا ﴾[١]، خلطا ومزاجا، ﴿ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾[٢] من ماء حار شديد الحرارة، يقال: إنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوبا له.

[٦٨] ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ ﴾[٣]، بعد شرب الحميم، ﴿ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾[٤]، وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم، دل عليه قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[٥]، وقرأ ابن مسعود: (ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم).

[٦٩،٧٠] ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ﴾[٦] وجدوا، ﴿ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[٧]، يسرعون، قال الكلبي: يعملون مثل أعمالهم.

[٧١] ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[٨]، من الأمم الخالية.

[٧٢،٧٣] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[٩]، الكافرين أي كان عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[١]، الموحدين نجوا من العذاب.

---

(١) سورة الصافات آية : ٦٧.
(٢) سورة الصافات آية : ٦٧.
(٣) سورة الصافات آية : ٦٨.
(٤) سورة الصافات آية : ٦٨.
(٥) سورة الرحمن آية : ٤٤.
(٦) سورة الصافات آية : ٦٩.
(٧) سورة الصافات آية :٦٩ - ٧٠.
(٨) سورة الصافات آية : ٧١.
(٩) سورة الصافات آية :٧٢ - ٧٣.

[٧٥] ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ ﴾[2]، دعا ربه على قومه فقال: ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝ ﴾[3]، ﴿ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝ ﴾[4]، نحن يعني أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه.

[٧٦] ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ﴾[5]، الغم العظيم الذي لحق قومه وهو الغرق.

قوله تعالى وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ...

[٧٧] ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝ ﴾[6]، وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح، روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم، قال سعيد بن المسيب: كان ولد نوح ثلاث: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك.

[٧٨] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝ ﴾[7]، أي أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة.

[٧٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾[8]، أي سلام عليه منا في العالمين. وقيل: أي تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الصافات آية : ٧٤.
(٢) سورة الصافات آية : ٧٥.
(٣) سورة القمر آية : ١٠.
(٤) سورة الصافات آية : ٧٥.
(٥) سورة الصافات آية : ٧٦.
(٦) سورة الصافات آية : ٧٧.
(٧) سورة الصافات آية : ٧٨.
(٨) سورة الصافات آية : ٧٩.

[٨٠] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1]، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين. ٨١،

[٨٢] ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾[2]، يعني الكفار.

[٨٣، ٨٤] قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ ﴾[3]، أي من أهل دينه وملته وسنته، ﴿ لَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[4]، مخلص من الشرك والشك.

[٨٥] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾[5]، استفهام توبيخ.

[٨٦] ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾[6]، يعني أتأفكون إفكا وهو أسوأ الكذب، وتعبدون آلهة سوى الله.

[٨٧] ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[7]، إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم.

[٨٨، ٨٩] ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾[8]، قال ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنا غير معبودة، وكان لهم من الغد عيد ومجمع وكانوا يدخلون على أصنامهم ويفرشون لهم الفراش، ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل

---

(١) سورة الصافات آية : ٨٠.

(٢) سورة الصافات آية :٨١ - ٨٢.

(٣) سورة الصافات آية : ٨٣.

(٤) سورة الصافات آية :٨٣ - ٨٤.

(٥) سورة الصافات آية : ٨٥.

(٦) سورة الصافات آية : ٨٦.

(٧) سورة الصافات آية : ٨٧.

(٨) سورة الصافات آية :٨٨ - ٨٩.

خروجهم إلى عيدهم، زعموا التبرك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه، فقالوا لإبراهيم: ألا تخرج غدا معنا إلى عيدنا، فنظر إلى النجوم فقال: إني سقيم، قال ابن عباس: مطعون، وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما. قال الحسن: مريض. وقال مقاتل: وجع. وقال الضحاك: سأسقم.

[٩٠] ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [١]، إلى عيدهم فدخل إبراهيم على الأصنام فكسرها.

[٩١] كما قال الله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ [٢]، ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه، ﴿ فَقَالَ ﴾ [٣] استهزاء بها. ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٤]، يعني الطعام الذي بين أيديكم.

[٩٢، ٩٣] ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ [٥]، أي كان يضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى العمل من الشمال. وقيل: باليمين أي بالقوة. وقيل: أراد به القسم أي بالقسم الذي سبق منه وهو قوله: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾ [٦].

[٩٤] ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ﴾ [٧]، يعني إلى إبراهيم، ﴿ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [١]، يسرعون، وذلك أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه، وقرأ الأعمش

---

(١) سورة الصافات آية : ٩٠.
(٢) سورة الصافات آية : ٩١.
(٣) سورة الصافات آية : ٩١.
(٤) سورة الصافات آية : ٩١.
(٥) سورة الصافات آية :٩٢ - ٩٣.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٥٧.
(٧) سورة الصافات آية : ٩٤.

وحمزة (يزفون) بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان. وقيل بضم الياء: أي يحملون دوابهم على الجد والإسراع.

[٩٥] ﴿ قَالَ ﴾[٢]، لهم إبراهيم على وجه الحجاج، ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ ﴾[٣]، يعني ما تنحتون بأيديكم.

[٩٦] ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾[٤]، بأيديكم من الأصنام.

[٩٧] ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ۝ ﴾[٥]، معظم النار، قال مقاتل: بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا، وملئوه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها.

[٩٨] ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا ﴾[٦]، شرا وهو أن يحرقوه، ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝ ﴾[٧]، أي المقهورين حيث سلم الله تعالى إبراهيم ورد كيدهم.

[٩٩] ﴿ وَقَالَ ﴾[٨] يعني إبراهيم، ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾[٩]، أي مهاجر إلى ربي، والمعنى: أهجر دار الكفر وأذهب إلى مرضاة ربي، قاله بعد الخروج من النار، كما

(١) سورة الصافات آية : ٩٤.
(٢) سورة الصافات آية : ٩٥.
(٣) سورة الصافات آية : ٩٥.
(٤) سورة الصافات آية : ٩٦.
(٥) سورة الصافات آية : ٩٧.
(٦) سورة الصافات آية : ٩٨.
(٧) سورة الصافات آية : ٩٨.
(٨) سورة الصافات آية : ٩٩.
(٩) سورة الصافات آية : ٩٩.

قال: ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ [(١)]، ﴿ سَيَهۡدِينِ ۝٩٩ ﴾ [(٢)]، إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام. قال مقاتل: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد.

[١٠٠] فقال: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ ﴾ [(٣)]، يعني هب لي ولدا صالحا من الصالحين.

[١٠١] ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ۝١٠١ ﴾ [(٤)]، قيل بغلام في صغره حليم في كبره، ففيه بشارة أنه نبي وأنه يعيش فينتهي في السن حتى يوصف بالحلم.

[١٠٢] ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ ﴾ [(٥)]، قال ابن عباس وقتادة: يعني المشي معه إلى الجبل. وقال مجاهد عن ابن عباس: لما شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم، والمعنى: بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله. قال الكلبي: يعني العمل لله تعالى، وهو قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد، قالوا: هو العبادة لله تعالى، واختلفوا في سنه، قيل: كان ابن ثلاث عشرة سنة. وقيل: كان ابن سبع سنين. قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ [(٦)]، اختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق، فقال قوم: هو إسحاق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس. وقال آخرون: هو إسماعيل، وإليه ذهب عبد الله بن عمر، وكلا القولين يروى عن رسول الله ﷺ ومن ذهب إلى أن الذبيح إسحاق احتـج مـن

(١) سورة العنكبوت آية : ٢٦.
(٢) سورة الصافات آية : ٩٩.
(٣) سورة الصافات آية : ١٠٠.
(٤) سورة الصافات آية : ١٠١.
(٥) سورة الصافات آية : ١٠٢.
(٦) سورة الصافات آية : ١٠٢.

القرآن بقولـه: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ [1] أمر بذبح من بشر به، وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق، كما قال في سورة هود: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ ﴾ [2]، ومن ذهب إلى أنه إسماعيل احتج بأن الله تعالى ذكـر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢ ﴾ [3]، دل على أن المذبوح غيره، ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [4] قرأ حمزة والكسائي (تري) بضم التاء وكسر الراء ماذا تشير، وإنما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزيمته على طاعته، وقرأ العامة بفتح التاء والراء إلا أبا عمرو فإنه يميل الراء، قال له ابنه: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ [5]، وقال ابن إسحاق وغيره: فلما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمدية ننطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر، ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ [6].

قوله تعالى فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا...

[١٠٣] ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا ﴾ [7]، انقادا وخضعا لأمر الله تعالى، قال قتادة: أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه، ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ ﴾ [1]، أي صرعه على الأرض. قال ابن عباس: أضجعه على الأرض والجبهة بين الجبينين.

---

(١) سورة الصافات آية :١٠١ - ١٠٢.
(٢) سورة هود آية : ٧١.
(٣) سورة الصافات آية : ١١٢.
(٤) سورة الصافات آية : ١٠٢.
(٥) سورة الصافات آية : ١٠٢.
(٦) سورة الصافات آية : ١٠٢.
(٧) سورة الصافات آية : ١٠٣.

[١٠٤، ١٠٥] ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [(٢)]، تم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾ [(٣)]، والمعنى: إنا كما عفونا عن إبراهيم عند ذبح ولده نجزي من أحسن في طاعتنا، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه.

[١٠٦] ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝ ﴾ [(٤)]، الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه. وقال مقاتل: البلاء هاهنا النعمة، وهي أن فدي ابنه بالكبش، فإن قيل: كيف قال صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح؟ قيل: جعله مصدقا لأنه قد أتى بما أمكنه، والمطلوب إسلامهما لأمر الله تعالى وقد فعلا.

[١٠٧] قوله: ﴿ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [(٥)]، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن، فقال: هذا فداء لابنك فاذبحه دونه، فكبر جبريل وكبر الكبش وكبر إبراهيم وكبر ابنه، فأخذ إبراهيم الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه، قال مجاهد: سماه عظيما لأنه متقبل. وقال الحسين بن الفضل: لأنه كان من عند الله. وقيل: عظيم في الشخص. وقيل: في الثواب.

[١٠٨] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ ﴾ [(٦)]، أي تركنا له في الآخرين ثناء حسنا.

[١٠٩- ١١٢] ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ ﴾ [(١)]، فمن جعل

---

(١) سورة الصافات آية : ١٠٣.

(٢) سورة الصافات آية :١٠٤ - ١٠٥.

(٣) سورة الصافات آية : ١٠٥.

(٤) سورة الصافات آية : ١٠٦.

(٥) سورة الصافات آية : ١٠٧.

(٦) سورة الصافات آية : ١٠٨.

الذبيح إسماعيل قال: بشره بعد هذه القصة بإسحاق نبيا جزاء لطاعته، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بشر إبراهيم بنبوة إسحاق. رواه عكرمة عن ابن عباس. قال: بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ.

[١١٣] ﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ ﴾[2]، يعني على إبراهيم في أولاده، ﴿ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ ﴾[3]، يكون أكثر الأنبياء من نسله، ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ ﴾[4]، أي مؤمن، ﴿ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ ﴾[5]، أي كافر، ﴿ مُبِينٞ ١١٣ ﴾[6]، أي ظاهر الكفر.

[١١٤] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤ ﴾[7]، أنعمنا عليهم بالنبوة.

[١١٥] ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا ﴾[8]، بنى إسرائيل، ﴿ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ١١٥ ﴾[9]، أي الغم العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم. وقيل: من الغرق.

[١١٦] ﴿ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ ﴾[1]، يعني موسى وهارون وقومهما، ﴿ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦ ﴾[2]، على القبط.

---

(١) سورة الصافات آية :١٠٩ - ١١٢.
(٢) سورة الصافات آية : ١١٣.
(٣) سورة الصافات آية : ١١٣.
(٤) سورة الصافات آية : ١١٣.
(٥) سورة الصافات آية : ١١٣.
(٦) سورة الصافات آية : ١١٣.
(٧) سورة الصافات آية : ١١٤.
(٨) سورة الصافات آية : ١١٥.
(٩) سورة الصافات آية : ١١٥.

[١١٧] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝١١٧ ﴾[٣]، أي المستنير وهو التوراة.

[١١٨- ١٢٢] ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١١٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝١١٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٢١ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٢ ﴾[٤].

[١٢٣] قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٢٣ ﴾[٥]، روي عن عبد الله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس. وفي مصحفه: وإن إدريس لمن المرسلين. وهذا قول عكرمة، وقال الآخرون: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل. قال ابن عباس: هو ابن عم اليسع. قال محمد بن إسحاق: هو إلياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران.

[١٢٤، ١٢٥] ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ أَتَدْعُونَ ﴾[٦]، أتعبدون، ﴿ بَعْلًا ﴾[٧]، وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، ولذلك سميت مدينتهم بعلبك، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: البعل الرب بلغة أهل اليمن. ﴿ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٢٥ ﴾[٨]، فلا تعبدونه.

---

(١) سورة الصافات آية : ١١٦.

(٢) سورة الصافات آية : ١١٦.

(٣) سورة الصافات آية : ١١٧.

(٤) سورة الصافات آية :١١٨ - ١٢٢.

(٥) سورة الصافات آية : ١٢٣.

(٦) سورة الصافات آية :١٢٤ - ١٢٥.

(٧) سورة الصافات آية : ١٢٥.

(٨) سورة الصافات آية : ١٢٥.

[١٢٦] ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[(١)]، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب (الله ربكم ورب) بنصب الهاء والباءين على البدل، وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف.

قوله تعالى فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ...

[١٢٧] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴾[(٢)]، في النار.

[١٢٨] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[(٣)]، من قومه فإنهم نجوا من العذاب.

[١٢٩، ١٣٠] ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾[(٤)]، قرأ نافع وابن عامر (آل يا سين) بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة لأنها في المصحف مفصولة، وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة، فمن قرأ (آل يس) مقطوعة قيل: أراد آل محمد ﷺ وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر، وقيل: أراد إلياس، والقراءة المعروفة بالوصل، واختلفوا فيه، فقد قيل: إلياسين لغة في إلياس مثل إسماعيل واسماعين وميكائيل وميكائين، وقال الفراء: هو جمع أراد إلياس وأصحابه وأتباعه من المؤمنين، فيكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف، وفي حرف عبد الله بن مسعود: سلام على إدراسين يعني إدريس وأتباعه، لأنه يقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين.

[١٣١- ١٣٥] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾[(٥)]، أي الباقين في العذاب.

(١) سورة الصافات آية : ١٢٦.
(٢) سورة الصافات آية : ١٢٧.
(٣) سورة الصافات آية : ١٢٨.
(٤) سورة الصافات آية :١٢٩ - ١٣٠.
(٥) سورة الصافات آية :١٣١ - ١٣٥.

[١٣٦] ﴿ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾[1]، والتدمير الإهلاك.

[١٣٧] ﴿ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم ﴾[2]، علـى آثارهـم ومنـازلهـم، ﴿ مُّصۡبِحِينَ ﴾[3]، وقت الصباح.

[١٣٨] ﴿ وَبِٱلَّيۡلِۚ ﴾[4]، يريد تمرون بالنهار وبالليل عليهم إذا ذهبتم إلى أسفاركـم ورجعتم، ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[5]، فتعتبرون.

[١٣٩] قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[6]، أي من جملة رسل الله.

[١٤٠] ﴿ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾[7]، يعني هرب، قال ابن عباس رضي الله عنهما ووهب: كان يونس وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمستور منهم، فقصد البحر فركب السفينة، فاحتبست السفينة فقال الملاحون: هاهنا عبد آبق من سيده، فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس، فاقترعوا ثلاثا فوقعت على يونس، فقال يونس: أنا الآبق، وزج نفسه في الماء.

[١٤١] فذلك قوله ﷻ ﴿ فَسَاهَمَ ﴾[8]، فقارع والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة، ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴾[1]، أي المقروعين.

---

(١) سورة الصافات آية : ١٣٦.
(٢) سورة الصافات آية : ١٣٧.
(٣) سورة الصافات آية : ١٣٧.
(٤) سورة الصافات آية : ١٣٨.
(٥) سورة الصافات آية : ١٣٨.
(٦) سورة الصافات آية : ١٣٩.
(٧) سورة الصافات آية : ١٤٠.
(٨) سورة الصافات آية : ١٤١.

[١٤٢] ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ ﴾[٢]، ابتلعه، ﴿ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ ﴾[٣]، آت بما يلام عليه.

[١٤٣] ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[٤]، من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر، وقال ابن عباس: من المصلين. وقال وهب: من العابدين. وقال الحسن: ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا. وقال الضحاك: شكر الله تعالى له طاعته القديمة. وقيل: ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[٥] في بطن الحوت. قال سعيد بن جبير: يعني قوله: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٦].

[١٤٤] ﴿ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[٧]، لصار بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة.

[١٤٥] ﴿ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ ﴾[٨]، طرحناه، ﴿ بِٱلۡعَرَآءِ ﴾[٩]، يعني على وجه الأرض، قال السدي: بالساحل، والعراء: الأرض الخالية عن الشجر والنبات. ﴿ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ ﴾[١]، عليل كالفرخ الممعط، وقيل: كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة.

---

(١) سورة الصافات آية : ١٤١.
(٢) سورة الصافات آية : ١٤٢.
(٣) سورة الصافات آية : ١٤٢.
(٤) سورة الصافات آية : ١٤٣.
(٥) سورة الصافات آية : ١٤٣.
(٦) سورة الأنبياء آية : ٨٧.
(٧) سورة الصافات آية : ١٤٤.
(٨) سورة الصافات آية : ١٤٥.
(٩) سورة الصافات آية : ١٤٥.

[١٤٦] ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ ﴾[٢]، أي له، وقيل: عنده، ﴿ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ ﴾[٣]، يعني القرع على قول جميع المفسرين، وقال الحسن ومقاتل: كل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين، قال مقاتل بن حيان: فكان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي، فإن قيل: قال هاهنا: (فنبذناه بالعراء)، وقال في موضع آخر: ﴿ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ ﴾[٤]، فهل ما يدل على أنه لم ينبذ، قيل: لولا هناك يرجع إلى الذم، معناه: لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم، ولكن تداركه النعمة فنبذ وهو غير مذموم.

[١٤٧] ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ ﴾[٥]، قال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه، وقوله: (وأرسلناه) أي وقد أرسلناه، وقيل. كان إرساله بعد خروجه من بعد بطن الحوت إليهم، وقيل: إلى قوم آخرين. ﴿ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ ﴾[٦]، قال مقاتل والكلبي: معناه بل يزيدون. وقال الزجاج: (أو) هاهنا على أصلها، ومعناه أو يزيدون على تدبركم وظنكم، كالرجل يرى قوما فيقول هؤلاء ألف أو يزيدون فالشك على تقدير المخلوقين، والأكثرون على أن معناه ويزيدون، واختلفوا في مبلغ تلك الزيادة، فقال ابن عباس ومقاتل: ﴿ كانوا عشرين ألفا ﴾، ورواه

---

(١) سورة الصافات آية : ١٤٥.

(٢) سورة الصافات آية : ١٤٦.

(٣) سورة الصافات آية : ١٤٦.

(٤) سور٩ / ٩٧ وقال:(حديث غريب) والطبري ٢٣ / ١آية : ١٤٧.

(٦) سورة الصافات آية : ١٤٧.

أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ [1] وقال الحسن: بضعا وثلاثين ألفا. وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفا.

[١٤٨] ﴿ فَـَٔامَنُواْ ﴾ [2]، يعني الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب، ﴿ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [3]، أي حين انقضاء آجالهم. وتقدم قبل ذلك في سورة يونس آية (٩٨).

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ ﴾ [4]، فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ، ﴿ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [5]، وذلك أن جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، يقول: جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين.

[١٥٠] ﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا ﴾ [6]، معناه: أخلقنا الملائكة إناثا، ﴿ وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [7]، حاضرون خلقنا إياهم، نظيره قوله: ﴿ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ ﴾ [8].

[١٥١، ١٥٢] ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ ﴾ [9]، من كذبهم، ﴿ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [1].

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ٩ / ٩٧ وقال:(حديث غريب) والطبري ٢٣ / ١٠٤. ،.
(٢) سورة الصافات آية : ١٤٨.
(٣) سورة الصافات آية : ١٤٨.
(٤) سورة الصافات آية : ١٤٩.
(٥) سورة الصافات آية : ١٤٩.
(٦) سورة الصافات آية : ١٥٠.
(٧) سورة الصافات آية : ١٥٠.
(٨) سورة الزخرف آية : ١٩.
(٩) سورة الصافات آية : ١٥١.

[١٥٣] ﴿ أَصْطَفَى ﴾ [٢]، قرأ أبو جعفر (لكاذبون)، (اصطفى) موصولا على الخبر عن قول المشركين، وعند الوقف يبتديان: اصطفى بكسر الألف، وقراءة العامة بقطع الألف لأنا ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة، مثل أستكبرت ونحوها، ﴿ ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [٣].

قوله تعالى مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ...

[١٥٤] ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [٤]، لله بالبنات ولكم بالبنين.

[١٥٥] ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [٥]، أفلا تتعظون.

[١٥٦] ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [٦]، برهان بين على أن لله ولدا.

[١٥٧] ﴿ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ ﴾ [٧]، الذي لكم فيه حجة، ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [٨]، في قولكم.

[١٥٨] ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [٩]. قال مجاهد وقتادة: وأراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنابهم عن الأبصار. وقال ابن عباس: حي من الملائكة يقال لهم الجن، ومنهم إبليس، قالوا: هم بنات الله. وقال الكلبي: قالوا -لعنهم الله-: بل تزوج من

---

(١) سورة الصافات آية: ١٥١ - ١٥٢.
(٢) سورة الصافات آية : ١٥٣.
(٣) سورة الصافات آية : ١٥٣.
(٤) سورة الصافات آية : ١٥٤.
(٥) سورة الصافات آية : ١٥٥.
(٦) سورة الصافات آية : ١٥٦.
(٧) سورة الصافات آية : ١٥٧.
(٨) سورة الصافات آية : ١٥٧.
(٩) سورة الصافات آية : ١٥٨.

الجن فخرج منها الملائكة، تعالى الله عن ذلك، وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات الله، فقال أبو بكر الصديق: فمن أمهاتم؟ قالوا: سروات الجن. وقال الحسن: معنى النسب أنم أشركوا الشياطين في عبادة الله، ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ ﴾ [1]، يعني قائلي هذا القول، ﴿ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [2]، في النار ثم نزه نفسه عما قالوا فقال:

[١٥٩، ١٦٠] ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [3] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [4]، هذا استثناء من المحضرين يعني أنم لا يحضرون.

[١٦١] قوله ﷻ ﴿ فَإِنَّكُمْ ﴾ [5]، يقول لأهل مكة، ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [6]، من الأصنام.

[١٦٢] ﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [7]، على ما تعبدون، ﴿ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [8]، بمضلين أحدا.

[١٦٣] ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [9]، إلا من قدر الله أنه سيدخل النار أي سبق له في علم الله الشقاوة.

---

(١) سورة الصافات آية : ١٥٨.
(٢) سورة الصافات آية : ١٥٨.
(٣) سورة الصافات آية : ١٥٩.
(٤) سورة الصافات آية : ١٦٠.
(٥) سورة الصافات آية : ١٦١.
(٦) سورة الصافات آية : ١٦١.
(٧) سورة الصافات آية : ١٦٢.
(٨) سورة الصافات آية : ١٦٢.
(٩) سورة الصافات آية : ١٦٣.

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1]، أي ما منا ملك إلا له مقام معلوم في السماوات يعبد الله فيه، قال ابن عباس: ما في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح.

[١٦٥] ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[2]، قال قتادة: هم الملائكة صفوا أقدامهم. وقال الكلبي: صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض.

[١٦٦] ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[3]، أي المصلون المنزهون الله عن السوء، يخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين، كما زعمت الكفار، ثم أعاد الكلام إلى الأخبار عن المشركين فقال:

[١٦٧] ﴿ وَإِن كَانُواْ ﴾[4]، أي وقد كانوا يعني أهل مكة، ﴿ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾[5]، لام التأكيد.

[١٦٨] ﴿ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرًا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[6]، أي كتابا مثل كتاب الأولين.

[١٦٩، ١٧٠] ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[7]، أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به، ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[8]، هذا تهديد لهم.

---

(١) سورة الصافات آية : ١٦٤.
(٢) سورة الصافات آية : ١٦٥.
(٣) سورة الصافات آية : ١٦٦.
(٤) سورة الصافات آية : ١٦٧.
(٥) سورة الصافات آية : ١٦٧.
(٦) سورة الصافات آية : ١٦٨.
(٧) سورة الصافات آية: ١٦٩ - ١٧٠.
(٨) سورة الصافات آية : ١٧٠.

[١٧١] ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[1]، وهي قوله: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾[2].

[١٧٢، ١٧٣] ﴿ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾[3]، أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة.

[١٧٤] ﴿ فَتَوَلَّ ﴾[4]، أعرض، ﴿ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[5]، قال ابن عباس: يعني الموت. وقال مجاهد: يوم بدر. وقال السدي: حتى يأمرك بالقتال. وقيل: إلى أن يأتيهم عذاب الله. قال مقاتل بن حيان: نسختها آية القتال.

[١٧٥] ﴿ وَأَبۡصِرۡهُمۡ ﴾[6]، إذا نزل بم العذاب، ﴿ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴾[7]، ذلك. فقالوا متى هذا العذاب؟

[١٧٦، ١٧٧] فقال الله ﷻ ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ۝ فَإِذَا نَزَلَ ﴾[8]، يعني العذاب، ﴿ بِسَاحَتِهِمۡ ﴾[9]، قال مقاتل: بحضرتم. وقيل: بفنائهم. قال الفراء: العرب

(١) سورة الصافات آية : ١٧١.
(٢) سورة المجادلة آية : ٢١.
(٣) سورة الصافات آية :١٧٢ - ١٧٣.
(٤) سورة الصافات آية : ١٧٤.
(٥) سورة الصافات آية : ١٧٤.
(٦) سورة الصافات آية : ١٧٥.
(٧) سورة الصافات آية : ١٧٥.
(٨) سورة الصافات آية :١٧٦ - ١٧٧.
(٩) سورة الصافات آية : ١٧٧.

تكتفي بذكر الساحة عن القوم، ﴿ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1]، فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا بالعذاب، ثم كرر ما ذكرنا تأكيدا لوعيد العذاب فقال:

[١٧٨، ١٧٩] ﴿ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ ﴾[2]، العذاب إذا نزل بم، ﴿ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[3]، ثم نزه نفسه:

[١٨٠] فقال: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ ﴾[4]، الغلبة والقوة، ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[5]، من اتخاذ الصاحبة والأولاد.

[١٨١] ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾[6]، الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع.

[١٨٢] ﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[7]، على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) سورة الصافات آية : ١٧٧.
(٢) سورة الصافات آية : ١٧٨ - ١٧٩.
(٣) سورة الصافات آية : ١٧٩.
(٤) سورة الصافات آية : ١٨٠.
(٥) سورة الصافات آية : ١٨٠.
(٦) سورة الصافات آية : ١٨١.
(٧) سورة الصافات آية : ١٨٢.

(٣٨) سورة ص

قوله تعالى ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ...

[١] ﴿ صٓ ﴾[(١)]، قيل: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور، وقال محمد بن كعب القرظي: ص مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد. وقال الضحاك: معناه صدق الله. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدق محمد ﷺ ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ ﴾[(٢)]، أي ذي البيان، وقال الضحاك: ذي الشرف، دليله قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾[(٣)]، وهو قسم، واختلفوا في جواب القسم، قيل جوابه قد تقدم، وهو قوله ﴿ صٓ ﴾[(٤)] أقسم الله بالقرآن أن محمدا قد صدق. وقال الفراء: ص معناه وجب وحق فهي جواب قوله: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾[(٥)]، كما تقول: نزل والله، وقيل. جواب القسم محذوف تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار، ودل على هذا المحذوف.

[٢] قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[(٦)]، قال قتادة: موضع القسم قوله: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[(٧)]، كما قال ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ ﴾[(٨)] ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ ﴾[(٩)].

---

(١) سورة ص آية : ١.
(٢) سورة ص آية : ١.
(٣) سورة الزخرف آية : ٤٤.
(٤) سورة ص آية : ١.
(٥) سورة ص آية : ١.
(٦) سورة ص آية : ٢.
(٧) سورة ص آية : ٢.
(٨) سورة ق آية : ١.
(٩) سورة ق آية : ٢.

وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: بل الذين كفروا ﴿ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝ ﴾ [1] والقرآن ذي الذكر، وقال الأخفش: جوابه قوله تعالى: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾ [2]، كقوله: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا ﴾ [3] وقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ ﴾ [4] - ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ ﴾ [5]، وقيل: جوابه قوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا ﴾ [6]، وقال الكسائي: قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝ ﴾ [7]، وهذا ضعيف لأنه تخلل بين هذا القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة، وقال القتيبي: (بل) لتدارك كلام ونفي آخر، ومجاز الآية: إن الله أقسم ب ص والقرآن ذي الذكر أن الذين كفروا من أهل مكة في عزة حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة لمحمد ﷺ وقال مجاهد: ﴿ فِي عِزَّةٍ ﴾ [8]: معازين [9].

[٣] ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ [10]، يعني مـن الأمـم الخالية، ﴿ فَنَادَوا ﴾ [11]، استغاثوا عند نزول العذاب وهول النقمة، ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ

---

(١) سورة ص آية : ٢.
(٢) سورة ص آية : ١٤.
(٣) سورة الشعراء آية : ٩٧.
(٤) سورة الطارق آية : ١.
(٥) سورة الطارق آية : ٤.
(٦) سورة ص آية : ٥٤.
(٧) سورة ص آية : ٦٤.
(٨) سورة ص آية : ٢.
(٩) في نسخة أخرى: (متعازين).
(١٠) سورة ص آية : ٣.
(١١) سورة ص آية : ٣.

﴿٣﴾ ﴾[1]، أي ليس حين نزول العذاب بهم حين فرار، والمناص مصدر ناص ينوص، هو الفرار والتأخر، يقال: ناص ينوص إذا تأخر وباص يبوص إذا تقدم، ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن، وقال النحويون: هي لا، زيدت فيها التاء، كقولهم: رب وربت وثم وثمت، وأصلها هاء وصلت بلا، فقالوا: لاه، كما قالوا ثمة فجعلوها في الوصل تاء والوقف عليه بالتاء عند الزجاج، وعند الكسائي بالهاء لاه، وذهب إلى أن التاء زيدت في حين والوقف على ولا، ثم يبتدئ: تحين، وهو اختيار أبي عبيد، وقال: كذلك وجدت في مصحف عثمان.

[٤] ﴿ وَعَجِبُوٓاْ ﴾[2]، يعني الكفار الذين ذكرهم الله ﷻ في قوله. ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[3]، ﴿ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ ﴾[4]، يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم، ﴿ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾[5].

[٥] ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ ﴾[6] كيف يسع الخلق كلهم إله واحد، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ ﴾[7]، أي عجيب، والعجب والعجاب واحد، كقولهم رجل كريم وكرام وكـبير وكبار وطويل وطوال وعريـض وعراض. [٦] ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ ﴾[8]، أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه

---

(١) سورة ص آية : ٣.
(٢) سورة ص آية : ٤.
(٣) سورة ص آية : ٢.
(٤) سورة ص آية : ٤.
(٥) سورة ص آية : ٤.
(٦) سورة ص آية : ٥.
(٧) سورة ص آية : ٥.
(٨) سورة ص آية : ٦.

ويقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا علـى آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم، ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ ﴾[1]، أي الأمر يراد بنا، وذلك أن عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا: إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يراد بنا، وقيل: يراد بأهل الأرض، وقيل: يراد بمحمد أن يملك علينا.

[٧] ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا ﴾[2]، أي بذا الذي يقوله محمد من التوحيد، ﴿ فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[3]، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: يعنون في النصرانية لأنا آخر الملل وهم لا يوحدون، بل يقولون ثالث ثلاثة. وقال مجاهد وقتادة: يعنون ملة قريش ودينهما الذي هم عليه، ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ۝٧ ﴾[4]، كذب وافتعال.

[٨] ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾[5]، القرآن، ﴿ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾[6]، وليس بأكـبرنا ولا أشرفنا، يقوله أهل مكة، قال الله ﷻ ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ﴾[7]، أي وحيي وما أنزلت، ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨ ﴾[8]، أي لم يذوقوا عذابي، ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول.

---

(١) سورة ص آية : ٦.
(٢) سورة ص آية : ٧.
(٣) سورة ص آية : ٧.
(٤) سورة ص آية : ٧.
(٥) سورة ص آية : ٨.
(٦) سورة ص آية : ٨.
(٧) سورة ص آية : ٨.
(٨) سورة ص آية : ٨.

[٩] ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ ﴾ [(١)]، أعندهم، ﴿ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ﴾ [(٢)]، يعني نعمة ربك مفاتيح النبوة يعطونا من شاءوا، ونظيره ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ ﴾ [(٣)] أي نبوة ربك، ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ ﴾ [(٤)]، العزيز في ملكه الوهاب وهب النبوة لمحمد ﷺ.

[١٠] ﴿ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ ﴾ [(٥)]، أي ليس لهم ذلك، ﴿ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠ ﴾ [(٦)]، أي إن ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون قال مجاهد وقتادة: أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه، وهذا أمر توبيخ وتعجيز.

[١١] ﴿ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ ﴾ [(٧)]، أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك، و (ما) صلة، ﴿ مَهۡزُومٞ ﴾ [(٨)]، مغلوب، ﴿ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١ ﴾ [(٩)]، أي من جملة الأجناد يعني قريشا، قال قتادة: أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين، وقال سيهزم الجمع ويولون الدبر، فجاء تأويلها يوم بدر، وهنالك إشارة إلى

---

(١) سورة ص آية : ٩.
(٢) سورة ص آية : ٩.
(٣) سورة الزخرف آية : ٣٢.
(٤) سورة ص آية : ٩.
(٥) سورة ص آية : ١٠.
(٦) سورة ص آية : ١٠.
(٧) سورة ص آية : ١١.
(٨) سورة ص آية : ١١.
(٩) سورة ص آية : ١١.

بدر ومصارعهم، ﴿ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝ ﴾[1]، أي: من جملة الأحزاب، أي: هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالتكذيب، فقهروا وأهلكوا.

[١٢] ثم قال معزيا لنبيه ﷺ ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ۝ ﴾[2]، قال ابن عباس ومحمد بن كعب: ذو البناء المحكم، وقيل: أراد ذو الملك الشديد الثابت، وقال القتيبي: تقول العرب هم في عز ثابت الأوتاد، يريدون أنه دائم شديد، وأصل هذا أن بيوتم كانت تثبت بالأوتاد، وقال الضحاك: ذو القوة والبطش. وقال عطية: ذو الجنود والجموع الكثيرة، يعني أنم كانوا يقوون أمره، ويشدون ملكه، كما يقوي الوتد الشيء، وسميت الأجناد أوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونا ويوتدونا في أسفارهم، وهو رواية عطية عن ابن عباس، وقال الكلبي ومقاتل: (الأوتاد) جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها، وكان إذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل يد ورجل منه إلى سارية ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت. وقال مجاهد ومقاتل بن حيان: كان يمد الرجل مستلقيا على الأرض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد. وقال السدي: كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات[3]. وقال قتادة وعطاء: كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه.

[١٣] ﴿ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ۝ ﴾[4]، الذي تحزبوا على الأنبياء، فاعلم أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب.

---

(١) سورة ص آية : ١١.

(٢) سورة ص آية : ١٢.

(٣) سيأتي الكلام على ذلك في سورة الفجر آية (١٠).

(٤) سورة ص آية : ١٣.

[١٤] ﴿ إِن كُلٌّ ﴾[(١)]، ما كل، ﴿ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤ ﴾[(٢)]، وجب عليهم ونزل بهم عذابي.

[١٥] ﴿ وَمَا يَنظُرُ ﴾[(٣)]، ينتظر، ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[(٤)]، يعني: كفار مكة، ﴿ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً ﴾[(٥)]، وهي نفخة الصور، ﴿ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥ ﴾[(٦)]، قرأ حمزة والكسائي (فواق) بضم الفاء، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان، فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم، قال ابن عباس وقتادة: من رجوع، أي: ما يرد ذلك الصوت فيكون له رجوع. وقال مجاهد: نظرة. وقال الضحاك: مثنوية، أي صرف ورد، والمعنى أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف، وفرق بعضهم بين الفتح والضم، فقال الفراء وأبو عبيدة: الفتح بمعنى الراحة والإفاقة، كالجواب من الإجابة، وذهبا بها إلى إفاقة المريض من علته، والفواق بالضم ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق، أي أن العذاب لا يمهلهم بذلك القدر، وقيل: هما أيضا مستعارتان من الرجوع، لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين، وإفاقة المريض رجوعه إلى الصحة.

[١٦] ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝١٦ ﴾[(٧)]، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: يعني كتابنا، والقط الصحيفة التي أحصت كل شيء، قال الكلبي: لما

---

(١) سورة ص آية : ١٤.
(٢) سورة ص آية : ١٤.
(٣) سورة ص آية : ١٥.
(٤) سورة ص آية : ١٥.
(٥) سورة ص آية : ١٥.
(٦) سورة ص آية : ١٥.
(٧) سورة ص آية : ١٦.

نزلت في الحاقة: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾[1]، ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ﴾[2]، قالوا استهزاء: عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب. وقال سعيد بن جبير: يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول. وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي: يعني عقوبتنا ونصيبنا من العذاب. وقال عطاء: قال النضر بن الحارث، هو قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. وعن مجاهد قال: قطنا حسابنا، ويقال لكتاب الحساب قط. وقال أبو عبيدة والكسائي: القط الكتاب بالجوائز.

قوله تعالى اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوابٌ...

[١٧] قال الله تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾[3]، أي على ما يقوله الكفار من تكذيبك، ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾[4]، قال ابن عباس: أي القوة في العبادة، وقيل: ذو القوة في الملك. ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾[5]، رجاع إلى الله ﷻ بالتوبة عن كل ما يكره، قال ابن عباس: مطيع. قال سعيد بن جبير: مسبح بلغة الحبش.

[١٨] ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ ﴾[6]، كما قال: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ ﴾[7]، ﴿ يُسَبِّحْنَ ﴾[8] بتسبيحه، ﴿ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾[9]، قال

---

(١) سورة الحاقة آية : ١٩.
(٢) سورة الحاقة آية : ٢٥.
(٣) سورة ص آية : ١٧.
(٤) سورة ص آية : ١٧.
(٥) سورة ص آية : ١٧.
(٦) سورة ص آية : ١٨.
(٧) سورة الأنبياء آية : ٧٩.
(٨) سورة ص آية : ١٨.
(٩) سورة ص آية : ١٨.

الكلبي: غدوة وعشية والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها. وفسره ابن عباس: بصلاة الضحي.

[١٩] قوله ﷻ ﴿ وَٱلطَّيۡرَ ﴾(١)، أي وسخرنا له الطير، ﴿ مَحۡشُورَةٗ ﴾(٢)، مجموعة إليه تسبح معه، ﴿ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ ﴾(٣)، مطيع رجاع إلى طاعته بالتسبيح، وقيل: أواب معه أي مسبح.

[٢٠] ﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ ﴾(٤)، أي قويناه بالحرس والجنود، قال ابن عباس: كان أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ ﴾(٥)، يعني النبوة والإصابة في الأمور، ﴿ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠ ﴾(٦)، قال ابن عباس: بيان الكلام، وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل: علم الحكم والتبصر في القضاء. وقال علي بن أبي طالب: هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر، لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به. ويروى ذلك عن أبي بن كعب قال: فصل الخطاب الشهود والأيمان. وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح. وروي عن الشعبي: أن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد، إذا أراد الشروع في كلام آخر، وأول من قاله داود عليه السلام.

---

(١) سورة ص آية : ١٩.

(٢) سورة ص آية : ١٩.

(٣) سورة ص آية : ١٩.

(٤) سورة ص آية : ٢٠.

(٥) سورة ص آية : ٢٠.

(٦) سورة ص آية : ٢٠.

[٢١] قوله ﷻ ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ [١] فما شعر وهو يصلي إلا وهما بين يديه جالسين، يقال: كانا جبريل وميكائيل، فذلك قوله عز وجل: ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ ﴾ [٢]، خبر الخصم، ﴿ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ [٣]، صعدوا وعلوا، يقال: تسورت الحائط والسور إذا علوته، وإنما جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمؤنث، ومعنى الجمع في الاثنين موجود، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء هذا كما قال الله تعالى: ﴿ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ [٤].

[٢٢] ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ ﴾ [٥]، خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه، فقال: ما أدخلكما علي، ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ ﴾ [٦]، أي نحن خصمان ﴿ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ [٧]، جئناك لتقضي بيننا، فإن قيل: كيف قال: ﴿ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ [٨] وهما ملكان لا يبغيان؟ قيل: معناه رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر، وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما. ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ ﴾ [٩]، أي لا تجر، يقال: شط الرجل شططا وأشط

(١) سورة ص آية : ٢١.
(٢) سورة ص آية : ٢١.
(٣) سورة ص آية : ٢١.
(٤) سورة التحريم آية : ٤.
(٥) سورة ص آية : ٢٢.
(٦) سورة ص آية : ٢٢.
(٧) سورة ص آية : ٢٢.
(٨) سورة ص آية : ٢٢.
(٩) سورة ص آية : ٢٢.

إشطاطا إذا جار في حكمه، ومعناه مجاوزة الحد، وأصل الكلمة من شطت الـدار وأشطـت إذا بـعدت. ﴿ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾[1]، أرشدنا إلى طريق الصواب والعدل، فقال داود لهما: تكلما.

[٢٣] فقال أحدهمـا: ﴿ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِي ﴾[2]، أي علـى ديني وطريقتـي، ﴿ لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً ﴾[3]، يعنـي امـرأة، ﴿ وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾[4]، أي امرأة واحدة، والعرب تكني بالنعجة من المرأة، قال الحسين بن الفضل: هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغي فهو كقولهم: ضرب زيد عمرا أو اشترى بكر دارا، ولا ضرب هنالك ولا شراء ﴿ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا ﴾[5]، قال ابن عباس: أعطنيها. قال مجاهد: انزل لي عنها. وحقيقته ضمها إلي فاجعلني كافلها، وهو الذي يعولها وينفق عليهـا والمعنى: طلقهـا لأتزوجهـا، ﴿ وَعَزَّنِي ﴾[6]، وغلبني، ﴿ فِي ٱلۡخِطَابِ ﴾[7]، أي في القول. وقيل: قهرني لقوة ملكه. وقال الضحاك: يقول إن تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني، وحقيقة المعنى: أن الغلبة كانت له لضعفي في يده، وإن كان الحق معي وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها إلى نسائه.

---

(١) سورة ص آية : ٢٢.

(٢) سورة ص آية : ٢٣.

(٣) سورة ص آية : ٢٣.

(٤) سورة ص آية : ٢٣.

(٥) سورة ص آية : ٢٣.

(٦) سورة ص آية : ٢٣.

(٧) سورة ص آية : ٢٣.

[٢٤] ﴿ قَالَ ﴾ [(١)]، أي قال داود، ﴿ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ ﴾ [(٢)] أي بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه، فإن قيل: كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟ قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول. ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ ﴾ [(٣)]، الشركـاء ﴿ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ [(٤)]، يظلم بعضهم بعضا، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [(٥)]، فإنهم لا يظلمون أحدا. ﴿ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ﴾ [(٦)]، أي قليل هم، و (ما) صلة، يعني: الصالحين الذين لا يظلمون قليل، قالوا: فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء، فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه، وذلك قوله: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ ﴾ [(٧)]، أيقن وعلم، ﴿ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ ﴾ [(٨)]، إنما ابتليناه، وقال القائلون بتنزيه الأنبياء في هذه القصة: إن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالا له، فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه، فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده إذا هلك، ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله ﴿ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا ﴾ [(٩)]، أي ساجدا، عبر بالركوع عن

(١) سورة ص آية : ٢٤.
(٢) سورة ص آية : ٢٤.
(٣) سورة ص آية : ٢٤.
(٤) سورة ص آية : ٢٤.
(٥) سورة ص آية : ٢٤.
(٦) سورة ص آية : ٢٤.
(٧) سورة ص آية : ٢٤.
(٨) سورة ص آية : ٢٤.
(٩) سورة ص آية : ٢٤.

السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء، قال الحسين بن الفضل: سألني عبد الله بن طاهر عن قوله: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ [1] هل يقال للراكع خر؟ قلت: لا، ومعناه فخر بعدما كان راكعا أي [سجد]. ﴿ وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ [2]، أي رجع وتاب.

[٢٥] ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ [3]، يعني ذلك الذنب، ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ ﴾ [4]، بعد المغفرة، ﴿ عِندَنَا ﴾ [5]، يوم القيامة، ﴿ لَزُلْفَىٰ ﴾ [6] لقربة ومكانة، ﴿ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [7]، أي حسن مرجع ومنقلب.

[٢٦] قوله ﷻ ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [8] تدبر أمور العباد بأمرنا، ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [9]، بالعدل، ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [10]، أي بأن تركوا الإيمان بيوم الحساب. وقال الزجاج: بتركهم العمل لذلك اليوم. وقال عكرمة والسدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا، أي تركوا القضاء بالعدل.

---

(١) سورة ص آية : ٢٤.
(٢) سورة ص آية : ٢٤.
(٣) سورة ص آية : ٢٥.
(٤) سورة ص آية : ٢٥.
(٥) سورة ص آية : ٢٥.
(٦) سورة ص آية : ٢٥.
(٧) سورة ص آية : ٢٥.
(٨) سورة ص آية : ٢٦.
(٩) سورة ص آية : ٢٦.
(١٠) سورة ص آية : ٢٦.

قوله تعالى وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا...

[٢٧] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ﴾[١]، قال ابن عباس: لا لثواب ولا لعقاب. ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ ﴾[٢]، يعني أهل مكة هم الذين ظنوا أنهم خلقوا لغير شيء، وأنه لا بعث ولا حساب. ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٣].

[٢٨] ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٤]، قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة من الخير ما يعطون، فنزلت هذه الآية: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[٥]، أي المؤمنين كالكفار. وقيل: أراد بالمتقين أصحاب محمد ﷺ أي لا نجعل ذلك.

[٢٩] ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ ﴾[٦]، أي هذا الكتـاب أنزلنـاه إليـك، ﴿ مُبَـٰرَكٌ ﴾[٧]، كثـير خـيره ونفعـه، ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ﴾[٨] أي ليتدبـروا، ﴿ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾[٩]، وليتفكروا فيها، وقـرأ أبو جعفر (ليتدبروا) بتاء واحدة وتخفيـف الدال، قـال الحسن: تدبر آياته اتباعه، ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ ﴾[١٠]، ليتعظ، ﴿ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[١].

(١) سورة ص آية : ٢٧.
(٢) سورة ص آية : ٢٧.
(٣) سورة ص آية : ٢٧.
(٤) سورة ص آية : ٢٨.
(٥) سورة ص آية : ٢٨.
(٦) سورة ص آية : ٢٩.
(٧) سورة ص آية : ٢٩.
(٨) سورة ص آية : ٢٩.
(٩) سورة ص آية : ٢٩.
(١٠) سورة ص آية : ٢٩.

[٣٠، ٣١] قوله ﷻ ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ ﴾[٢]، والصافنات هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يد أو رجل، يقال: صفن الفرس يصفن صفونا إذا قام على ثلاثة قوائم، وقلب أحد حوافره. وقيل: الصافن في اللغة القائم. والجياد الخيار السراع، وأحدها جواد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يريد الخيل السوابق.

[٣٢] ﴿ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ ﴾[٣]، أي آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل، والعرب تعاقب بين الراء واللام، فتقول: ختلت الرجل وخترته، أي خدعته، وسميت الخيل خيرا لأنه معقود بنواصيها الخير، الأجر والمغنم، قال مقاتل: يعني المال فهي الخيل التي عرضت عليه. ﴿ عَن ذِكْرِ رَبِّى ﴾[٤]، يعني عن الصلاة وهي صلاة العصر. ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ ﴾[٥]، أي توارت الشمس بالحجاب أي استترت بما يحجبها عن الأبصار.

[٣٣] ﴿ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ ﴾[٦]، أي ردوا الخيل علي فردوها، ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣ ﴾[٧]، قال أبو عبيدة: طفق يفعل مثل: ما زال يفعل، والمراد بالمسح القطع، فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل وأكثر المفسرين، وكان ذلك مباحا له لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرم،

---

(١) سورة ص آية : ٢٩.
(٢) سورة ص آية : ٣٠ - ٣١.
(٣) سورة ص آية : ٣٢.
(٤) سورة ص آية : ٣٢.
(٥) سورة ص آية : ٣٢.
(٦) سورة ص آية : ٣٣.
(٧) سورة ص آية : ٣٣.

ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر. وقال محمد بن إسحاق: لم يعنفه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل. وقال بعضهم: إنه ذبحها ذبحا وتصدق بلحومها، وكان الذبح على ذلك الوجه مباحا في شريعته. وقال قوم: معناه أنه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكي الصدقة. وقال الزهري وابن كيسان: إنه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبا لها وشفقة عليها، وهذا قول ضعيف، والمشهور هو الأول.

[٣٤] قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَـٰنَ ﴾ [(١)]، اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه، ﴿ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤ ﴾ [(٢)]، أي رجع إلى ملكه بعد أربعين يوما فلما رجع.

[٣٥] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾ [(٣)]، قال مقاتل وابن كيسان: لا يكون لأحد من بعدي، قال عطاء بن أبي رباح: يريد هب لي ملكا لا تسلبنيه في آخر عمري، وتعطيه غيري كما استلبته فيما مضى من عمري. ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ ﴾ [(٤)]، قيل: سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته، ومعجزة، وقيل: سأل ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد إليه ملكـه، وزاده فيه. وقال مقاتل بن حيان: كان لسليمان ملكا ولكنه أراد بقول: ﴿ لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾ [(٥)] تسخير الرياح والطير والشياطين، بدليل ما بعده.

(١) سورة ص آية : ٣٤.
(٢) سورة ص آية : ٣٤.
(٣) سورة ص آية : ٣٥.
(٤) سورة ص آية : ٣٥.
(٥) سورة ص آية : ٣٥.

[٣٦] قوله ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾[(١)]، لينة ليست بعاصفة، ﴿حَيْثُ أَصَابَ ٣٦﴾[(٢)]، حيث أراد، تقول العرب: أصاب الصواب فأخطأ الجواب تريد أراد الصواب.

[٣٧] ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ﴾[(٣)]، أي سخرنا له الشياطين، ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾[(٤)]، يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، ﴿وَغَوَّاصٍ ٣٧﴾[(٥)]، يستخرجون له اللآلئ من البحر، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر.

[٣٨] ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ٣٨﴾[(٦)]، مشدودين في القيود، أي وسخرنا له آخرين يعني مردة الشياطين سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد.

[٣٩] ﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا﴾[(٧)]، أي قلنا له هذا عطاؤنا، ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾[(٨)]، المن هو الإحسان إلى من تشاؤه ومن لا تشاؤه، معناه: أعط من شئت وأمسك عمن شئت، ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٩﴾[(٩)]، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت. قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة، إلا سليمان فإن أعطى أُجر، وإن لم يعط

---

(١) سورة ص آية : ٣٦.
(٢) سورة ص آية : ٣٦.
(٣) سورة ص آية : ٣٧.
(٤) سورة ص آية : ٣٧.
(٥) سورة ص آية : ٣٧.
(٦) سورة ص آية : ٣٨.
(٧) سورة ص آية : ٣٩.
(٨) سورة ص آية : ٣٩.
(٩) سورة ص آية : ٣٩.

لم يكن عليه تبعة. وقال مقاتل: هذا في أمر الشياطين، يعني: خل من شئت منهم وأمسك من شئت في وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه.

[٤٠] ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ ﴾ [١].

[٤١] قوله ﷻ ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ ﴾ [٢]، بمشقة وضر، قرأ أبو جعفر (بُنُصُب) بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد، ومعنى الكل واحد. قال قتادة ومقاتل: بنصب في الجسد، ﴿ وَعَذَابٍ ﴾ [٣]، في المال وقد ذكرنا قصة أيوب في سورة الأنبياء عليهم السلام [آية ٨٣].

[٤٢] فلما انقضت مدة بلائه قيل له: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ ﴾ [٤]، اضرب برجلك الأرض ففعل فنبعت عين ماء، ﴿ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ ﴾ [٥]، فأمره الله يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة فركـض الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد، فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه، فقوله: ﴿ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٌ ﴾ [٦]، يعني الذي اغتسل منه بارد، ﴿ وَشَرَابٌ ﴾ [٧]، أراد الذي شرب منه.

(١) سورة ص آية : ٤٠.
(٢) سورة ص آية : ٤١.
(٣) سورة ص آية : ٤١.
(٤) سورة ص آية : ٤٢.
(٥) سورة ص آية : ٤٢.
(٦) سورة ص آية : ٤٢.
(٧) سورة ص آية : ٤٢.

قوله تعالى وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبابِ...

[٤٣، ٤٤] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١] ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ﴾[٢]، وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش، ﴿ فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾[٣]، في يمينك وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فأمره الله أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار ويضربا ضربة واحدة، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[٤].

[٤٥] ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ ﴾[٥]، قرأ ابن كثير (عبدنا) على التوحيد، وقرأ الآخرون (عبادنا) بالجمع، ﴿ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى ﴾[٦]، قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة الله، ﴿ وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[٧]، في المعرفة بالله أي البصائر في الدين، قال قتادة ومجاهد: أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين.

[٤٦] ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم ﴾[٨]، اصطفيناهم، ﴿ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾[٩]، قرأ أهل المدينة (بخالصة) مضافا وقرأ الآخرون بالتنوين، فمن أضاف فمعناه: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة وأن يعملوا لها، والذكرى بمعنى الذكر، قال مالك بن دينار:

---

(١) سورة ص آية : ٤٣.
(٢) سورة ص آية : ٤٤.
(٣) سورة ص آية : ٤٤.
(٤) سورة ص آية : ٤٤.
(٥) سورة ص آية : ٤٥.
(٦) سورة ص آية : ٤٥.
(٧) سورة ص آية : ٤٥.
(٨) سورة ص آية : ٤٦.
(٩) سورة ص آية : ٤٦.

نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها، وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها. وقال قتادة: كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عز وجل. وقال السدي: أخلصوا بخوف الآخرة. وقيل: معناه أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة. قال ابن زيد: ومن قرأ بالتنوين: فمعناه بخلة خالصة، وهي ذكرى الدار، فيكون ذكرى الدار بدلا عن الخالصة. وقيل: أخلصناهم: جعلناهم مخلصين، بما أخبرنا عنهم من ذكر الآخرة.

[٤٧- ٤٩] ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ ﴾[1]، أي هذا الذي يتلى عليكم ذكر، وقيل ذكر أي شرف وذكر جميل تذكرون به ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ ﴾[2].

[٥٠] ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝ ﴾[3]، أي أبوابا مفتحة لهم.

[٥١، ٥٢] ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝ ﴾[4]، مستويات الأسنان، بنات ثلاث وثلاثين سنة، واحدها ترب. وعن مجاهد قال: متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن.

[٥٣] ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾[5]، قرأ ابن كثير (يوعدون) بالياء هاهنا وفي (ق) أي ما يوعد المتقون، وافق أبو عمرو هاهنا وقرأ الباقون بالتاء فيهما، أي قل للمؤمنين: هذا ما توعدون، ﴿ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝ ﴾[6]، أي في يوم الحساب.

(١) سورة ص آية : ٤٧ - ٤٩.
(٢) سورة ص آية : ٤٩.
(٣) سورة ص آية : ٥٠.
(٤) سورة ص آية: ٥١ - ٥٢.
(٥) سورة ص آية : ٥٣.
(٦) سورة ص آية : ٥٣.

[٥٤] ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[1]، فناء وانقطاع.

[٥٥] ﴿ هَـٰذَا ﴾[2]، أي الأمر هذا ﴿ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ ﴾[3]، للكافرين، ﴿ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾[4]، مرجع.

[٥٦] ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾[5]، يدخلونا ﴿ فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[6].

[٥٧] ﴿ هَـٰذَا ﴾[7] أي هذا العذاب، ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾[8]، قال الفراء: أي هذا حميم وغساق فليذوقوه، والحميم الماء الحار الذي انتهى حره وغساق، قرأ حمزة والكسائي وحفص (وغساق) حيث كان بالتشديد، وخففها الآخرون، فمن شدد جعله اسما على فعال نحو الخباز والطباخ، ومن خفف جعله اسما على فعال نحو العذاب، واختلفوا في معنى الغساق، قال ابن عباس: هو الزمهرير يحرقهم ببرده، كما تحرقهم النار بحرها. قال مقاتل ومجاهد: هو الذي انتهى برده. وقيل: هو المنتن بلغة الترك. وقال قتادة: هو ما يغسق أي ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة، من قولهم غسقت عينه إذا انصبت، والغسقان الانصباب.

[٥٨] ﴿ وَءَاخَرُ ﴾[9]، قرأ أهل البصرة (وآخر) بضم الألف على جمع أخرى، مثل الكبرى والكبر، واختاره أبو عبيدة لأنه نعته بالجمع، فقال: أزواج، وقرأ الآخرون بفتح

(١) سورة ص آية : ٥٤.
(٢) سورة ص آية : ٥٥.
(٣) سورة ص آية : ٥٥.
(٤) سورة ص آية : ٥٥.
(٥) سورة ص آية : ٥٦.
(٦) سورة ص آية : ٥٦.
(٧) سورة ص آية : ٥٧.
(٨) سورة ص آية : ٥٧.
(٩) سورة ص آية : ٥٨.

الهمزة مشبعة على الواحد، ﴿ مِن شَكۡلِهِۦٓ ﴾[1]، مثله أي مثل الحميم والغساق ﴿ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨ ﴾[2]، أي أصناف أخر من العذاب.

[٥٩] ﴿ هَٰذَا فَوۡجٌ مُّقۡتَحِمٌ مَّعَكُمۡۖ ﴾[3]، قال ابن عباس: هذا هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للكفار: هذا يعني الأتباع فوج: جماعة مقتحم معكم النار، أي داخلوها كما أنتم دخلتموها، والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج، والاقتحام الدخول في الشيء رميا بنفسه فيه، قال الكلبي: إنم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم في النار خوفا من تلك المقامع، فقالت القادة: ﴿ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ ﴾[4]، يعني بالأتباع، ﴿ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩ ﴾[5]، أي داخلوها كما صلينا.

[٦٠] ﴿ قَالُواْ ﴾[6]، فقال الأتباع للقادة، ﴿ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ ﴾[7]، والمرحب والرحب: السعة، تقول العرب: مرحبا وأهلا وسهلا أي أتيت رحبا وسعة، وتقول: لا مرحبا بك أي لا رحبت عليك الأرض. ﴿ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ ﴾[8]، يقول الأتباع للقادة: أنتم بدأتــم بالكفر قبلنا وشرعتم وسننتموه لنا وقيل: أنتم قدمتم هذا

(١) سورة ص آية : ٥٨.
(٢) سورة ص آية : ٥٨.
(٣) سورة ص آية : ٥٩.
(٤) سورة ص آية : ٥٩.
(٥) سورة ص آية : ٥٩.
(٦) سورة ص آية : ٦٠.
(٧) سورة ص آية : ٦٠.
(٨) سورة ص آية : ٦٠.

العذاب لنا بدعائكم إيانا إلى الكفر، ﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝ ﴾[1]، أي فبئس دار القرار جهنم.

[٦١] ﴿ قَالُواْ ﴾[2]، يعني الأتباع، ﴿ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا ﴾[3]، أي شرعه وسنه لنا، ﴿ فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ۝ ﴾[4]، أي ضعف عليه العذاب في النار. قال ابن مسعود: يعني حيات وأفاعي.

قوله تعالى وَقَالُوا مَا لَنا لَا نَرَى رِجَالًا كُنا نَعُدهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ...

[٦٢] ﴿ وَقَالُواْ ﴾[5]، يعني صناديد قريش وهم في النار، ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم ﴾[6]، في الدنيا، ﴿ مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝ ﴾[7]، يعنون فقراء المؤمنين: عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا وسلمان رضى الله عنهم، ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا:

[٦٣] ﴿ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا ﴾[8]، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي: (من الأشرار اتخذناهم) وصل، ويكسرون الألف عند الابتداء، وقرأ الآخرون بقطع الألف وفتحها على الاستفهام، قال أهل المعاني: القراءة الأولى أولى لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سخريا فلا يستقيم الاستفهام، وتكون أم على هذه القراءة بمعنى بل، ومن فتح الألف قال هو على

---

(١) سورة ص آية : ٦٠.
(٢) سورة ص آية : ٦١.
(٣) سورة ص آية : ٦١.
(٤) سورة ص آية : ٦١.
(٥) سورة ص آية : ٦٢.
(٦) سورة ص آية : ٦٢.
(٧) سورة ص آية : ٦٢.
(٨) سورة ص آية : ٦٣.

اللفظ لا على المعنى ليعادل (أم) في قوله: ﴿ أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1]، قـال الفراء: هذا من الاستفهـام الذي معنـاه التوبيخ والتعجب، ﴿ أَمْ زَاغَتْ ﴾[2] أي مالت ﴿ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[3]، ومجاز الآية: ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار؟ أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا؟ وقيل: أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا؟ فقال ابن كيسان: يعني أم كانوا خيرا منا ولكن نحن لا نعلم، وكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا.

[٦٤] ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾[4]، الذي ذكرت، ﴿ لَحَقٌّ ﴾[5] ثم بين فقال، ﴿ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾[6]، أي تخاصم أهل النار في النار لحق.

[٦٥] ﴿ قُلْ ﴾[7]، يا محمد لمشركي مكة، ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ﴾[8]، مخوف، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[9].

[٦٦] ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾[10].

---

(١) سورة ص آية : ٦٣.
(٢) سورة ص آية : ٦٣.
(٣) سورة ص آية : ٦٣.
(٤) سورة ص آية : ٦٤.
(٥) سورة ص آية : ٦٤.
(٦) سورة ص آية : ٦٤.
(٧) سورة ص آية : ٦٥.
(٨) سورة ص آية : ٦٥.
(٩) سورة ص آية : ٦٥.
(١٠) سورة ص آية : ٦٦.

[٦٧] قوله: ﴿ قُلۡ ﴾ (١)، يا محمد، ﴿ هُوَ ﴾ (٢)، يعني القرآن، ﴿ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ ﴾ (٣)، قالـه ابن عبـاس ومجاهد وقتادة، وقيل: هو يعني القيامة لقوله: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾ (٤).

[٦٨، ٦٩] ﴿ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ ﴾ (٥)، يعني الملائكة، ﴿ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ۝٦٩ ﴾ (٦)، يعني في شأن آدم عليه السلام، حين قال الله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ﴾ (٧).

[٧٠] ﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٧٠ ﴾ (٨)، قال الفراء. إن شئت جعلت ﴿ أَنَّمَآ ﴾ (٩) في موضع رفع أي ما يوحي إلي إلا الإنذار، وإن شئت جعلت المعنى: ما يوحى إلي إلا أني نذير مبين. وقرأ أبو جعفر: (إنما) بكسر الألف، لأن الوحي قول.

[٧١] قوله ﷻ ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١ ﴾ (١٠)، يعني آدم عليه السلام.

(١) سورة ص آية : ٦٧.
(٢) سورة ص آية : ٦٧.
(٣) سورة ص آية : ٦٧.
(٤) سورة النبأ آية :١ - ٢.
(٥) سورة ص آية :٦٨ - ٦٩.
(٦) سورة ص آية : ٦٩.
(٧) سورة البقرة آية : ٣٠.
(٨) سورة ص آية : ٧٠.
(٩) سورة ص آية : ٧٠.
(١٠) سورة ص آية : ٧١.

[٧٢- ٧٥] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ [(١)]، أتممت خلقه، ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ [(٢)]، ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، ﴿ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [(٣)]، المتكبرين، استفهام توبيخ وإنكار، يقول: أستكبرت بنفسك حتى أبيت السجود؟ أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم؟.

[٧٦، ٧٧] ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ [(٤)]، أي من الجنة، وقيل: من السماوات. وقال الحسن وأبو العالية: أي من الخلقة التي أنت فيها. قال الحسن بن الفضل: هذا تأويل صحيح لأن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة، فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه، ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [(٥)]، مطرود.

[٧٨- ٨١] ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ ﴾ [(٦)]، وهو النفخة الأولى.

قوله تعالى قَالَ فَالْحَق وَالْحَق أَقُولُ لَأَملأن جَهَنمَ مِنْكَ وَمِمنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ...

[٨٢، ٨٤] ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [(١)]، قرأ عاصم وحمزة ويعقوب: (فالحق) برفع القاف على

(١) سورة ص آية : ٧٢.
(٢) سورة ص آية :٧٢ - ٧٥.
(٣) سورة ص آية : ٧٥.
(٤) سورة ص آية : ٧٦ - ٧٧.
(٥) سورة ص آية : ٧٧.
(٦) سورة ص آية :٧٨ - ٨١.

الابتداء وخبره محذوف تقديره: الحق مني، ونصب الثانية أي: وأنا أقول الحق، قاله مجاهد، وقرأ الآخرون بنصبهما، واختلفوا في وجههما، قيل: نصب الأول على الإغراء كأنه قال: الزم الحق، والثاني بإيقاع القول عليه أي أقول الحق. وقيل: الأول قسم أي فبالحق وهو الله ﷻ فانتصب بـ ع الخافـض، وهو حرف الصفة، وانتصاب الثاني بإيقاع القول عليه. وقيل: الثاني تكرار القسم، أقسم الله بنفسه.

[٨٥، ٨٦] ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾[٢]، على تبليغ الرسالة، ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾[٣]، جعل، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[٤]، المتقولين القرآن من تلقاء نفسي، وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلفه.

[٨٧] قوله: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾[٥]، ما هو يعني القرآن، ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾[٦]، موعظة، ﴿ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٧]، للخلق أجمعين.

[٨٨] ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ ﴾[٨]، أنتم يا كفار مكة، ﴿ نَبَأَهُۥ ﴾[٩]، خبر صدقه، ﴿ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾[١٠]، قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت. وقال عكرمة: يعني يوم

---

(١) سورة ص آية :٨٢ - ٨٤.
(٢) سورة ص آية : ٨٥ - ٨٦.
(٣) سورة ص آية : ٨٦.
(٤) سورة ص آية : ٨٦.
(٥) سورة ص آية : ٨٧.
(٦) سورة ص آية : ٨٧.
(٧) سورة ص آية : ٨٧.
(٨) سورة ص آية : ٨٨.
(٩) سورة ص آية : ٨٨.
(١٠) سورة ص آية : ٨٨.

القيامة. وقال الكلبي: من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا، ومن مات علمه بعد موته.
قال الحسن: ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

(٣٩) سورة الزمر

قوله تعالى تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ...

[١] ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ (١)، أي هذا ت يل الكتاب. وقيل: ت يل الكتاب مبتدأ وخبره، ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ (٢)، أي ت يل الكتاب من الله لا من غيره.

[٢] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (٣)، قال مقاتل: لم ي له باطلا لغير شيء، ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾ (٤)، الطاعة.

[٣] ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾ (٥)، قال قتادة: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: لا يستحق الدين الخالص إلا الله. وقيل: الدين الخالص من الشرك هو لله. ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ (٦)، أي من دون الله، ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ (٧)، يعني الأصنام، ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾ (٨)، أي قالوا ما نعبدهم، ﴿ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (٩)، وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس، قال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم: من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأوثان؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى أي قربى، وهو اسم أقيم في مقام المصدر، كأنه قال:

---

(١) سورة الزمر آية : ١.
(٢) سورة الزمر آية : ١.
(٣) سورة الزمر آية : ٢.
(٤) سورة الزمر آية : ٢.
(٥) سورة الزمر آية : ٣.
(٦) سورة الزمر آية : ٣.
(٧) سورة الزمر آية : ٣.
(٨) سورة الزمر آية : ٣.
(٩) سورة الزمر آية : ٣.

إلا ليقربونا إلى الله تقريبا ويشفعوا لنا عند الله، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ ﴾[1]، يوم القيامة، ﴿ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ ﴾[2]، من أمر الدين، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾[3]، لا يرشد لدينه من كـذب فقال: إن الآلهة لتشفع. وكفى باتخاذ الآلهة دونه كذبا وكفرا.

[٤] ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ ﴾[4]، لاختار، ﴿ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ ﴾[5]، يعني الملائكة، كما قالوا: لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا، ثم نزه نفسه فقال: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ ﴾[6]، تـ يها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته، ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[7].

[٥] ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ﴾[8]، قال قتادة: يغشى هذا هذا، كما قال: ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾[9]، وقيل: يدخل أحدهما على الآخر كما قال: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾[1]،

(١) سورة الزمر آية : ٣.
(٢) سورة الزمر آية : ٣.
(٣) سورة الزمر آية : ٣.
(٤) سورة الزمر آية : ٤.
(٥) سورة الزمر آية : ٤.
(٦) سورة الزمر آية : ٤.
(٧) سورة الزمر آية : ٤.
(٨) سورة الزمر آية : ٥.
(٩) سورة الأعراف آية : ٥٤.

ٱلَّيۡلِ ﴾ [1]، وقال الحسن والكلبي: ينقص من الليل فيزيد في النهار، وينقص من النهار فيزيد في الليل، فما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل، ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة، وأصل التكوير اللف والجمع، ومنه: كور العمامة. ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝ ﴾ [2].

قوله تعالى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُم جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ...

[٦] ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [3]، يعني آدم، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾ [4]، يعني حواء، ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ [5]، معنى الإنزال ههنا: الإحداث والإنشاء، كقوله تعالى: ﴿ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسًا يُوَٰرِي ﴾ [6]، وقيل: إنه أنزل الماء الذي هو سبب نبات القطن الذي يكون منه اللباس، وسبب النبات الذي تبقى به الأنعام. وقيل: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ [7] جعلها لكم نزلا ورزقا، ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٍۚ ﴾ [8]، أصناف، مر تفسيرها في سورة الأنعام آية (١٤٣). ﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقًا مِّنۢ بَعۡدِ

(١) سورة الحج آية : ٦١.
(٢) سورة الزمر آية : ٥.
(٣) سورة الزمر آية : ٦.
(٤) سورة الزمر آية : ٦.
(٥) سورة الزمر آية : ٦.
(٦) سورة الأعراف آية : ٢٦.
(٧) سورة الزمر آية : ٦.
(٨) سورة الزمر آية : ٦.

خَلْقٍ ﴾[1]، نطفة ثم علقة ثم مضغة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[2]، ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾[3]، قال ابن عباس: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ﴾[4]، أي الذي خلق هذه الأشياء، ﴿ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾[5]، عن طريق الحق بعد هذا البيان.

[٧] ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[6]، قال ابن عباس والسدي: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[7]، فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى، كقوله تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾[8]، يريد بعض العباد، وأجراه قوم على العموم، وقالوا: لا يرضى لأحد من عباده الكفر، ومعنى الآية: لا يرضى لعباده الكفر أن يكفروا به، ويروى ذلك عن قتادة، وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل وإن كان بإرادته، ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا ﴾[9]، تؤمنوا بربكم وتطيعوه، ﴿ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[10]، فيثيبكم عليه، قرأ أبو عمرو (يرضه لكم) ساكنة الهاء، ويختلسها أهل المدينة وعاصم

---

(١) سورة الزمر آية : ٦.
(٢) سورة نوح آية : ١٤.
(٣) سورة الزمر آية : ٦.
(٤) سورة الزمر آية : ٦.
(٥) سورة الزمر آية : ٦.
(٦) سورة الزمر آية : ٧.
(٧) سورة الحجر آية : ٤٢.
(٨) سورة الإنسان آية : ٦.
(٩) سورة الزمر آية : ٧.
(١٠) سورة الزمر آية : ٧.

وحمزة، والباقون بالإشباع، ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾[1].

[٨] ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾[2]، راجعا إليه مستغيثا به، ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ ﴾[3]، أعطاه نعمة منه، ﴿ نَسِيَ ﴾[4]، ترك، ﴿ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾[5]، أي نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه، ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[6]، يعني الأوثان، ﴿ لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ ﴾[7]، ليزل عن دين الله، ﴿ قُلْ ﴾[8]، لهذا الكافر، ﴿ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ ﴾[9]، في الدنيا إلى أجلك، ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ ﴾[10]، قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة. وقال مقاتل: نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي. وقيل: عام في كل كافر.

[٩] ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ﴾[11]، قرأ ابن كثير ونافع وحمزة (أمن) بتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بتشديدها، فمن شدد فله وجهان، أحدهما: أن تكون الميم في (أم) صلة،

---

(١) سورة الزمر آية : ٧.

(٢) سورة الزمر آية : ٨.

(٣) سورة الزمر آية : ٨.

(٤) سورة الزمر آية : ٨.

(٥) سورة الزمر آية : ٨.

(٦) سورة الزمر آية : ٨.

(٧) سورة الزمر آية : ٨.

(٨) سورة الزمر آية : ٨.

(٩) سورة الزمر آية : ٨.

(١٠) سورة الزمر آية : ٨.

(١١) سورة الزمر آية : ٩.

فيكون معنى الكلام استفهاما وجوابه محذوفا، مجازه: أمن هو قانت كمن هو غير قانت؟ كقوله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ﴾ [(١)]، يعني كمن لم يشرح صدره. والوجه الآخر: أنه عطف على الاستفهام، مجازه: الذي جعل لله أندادا خير أمن هو قانت؟ ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على معناه: أهذا كالذي جعل لله أندادا؟ وقيل: الألف في (أمن) بمعنى حرف النداء، تقديره: يا من هو قانت، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بالياء، فتقول: أبني فلان ويا بني فلان، فيكون معنى الآية. قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت ﴿ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا ﴾ [(٢)]، إنك من أهل الجنة، قاله ابن عباس، وفي رواية عطاء: نزلت في أبي بكر الصديق. وقال الضحاك: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعن ابن عمر أنا نزلت في عثمان، وعن الكلبي أنا نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان، والقانت: المقيم على الطاعة. قال ابن عمر: القنوت قراءة القرآن وطول القيام، وآناء الليل: ساعاته، ﴿ وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ﴾ [(٣)]، يعني في الصلاة، ﴿ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ ﴾ [(٤)]، يخاف الآخرة، ﴿ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ ﴾ [(٥)]، يعني كمن لا يفعل شيئا من ذلك، ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا ﴾ [(٦)]، قيل: الذين يعلمون عمار، والذين لا يعلمون: أبو حذيفة المخزومي، ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [(٧)].

---

(١) سورة الزمر آية : ٢٢.

(٢) سورة الزمر آية : ٩.

(٣) سورة الزمر آية : ٩.

(٤) سورة الزمر آية : ٩.

(٥) سورة الزمر آية : ٩.

(٦) سورة الزمر آية : ٩.

(٧) سورة الزمر آية : ٩.

[١٠] ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ ﴾[١]، بطاعته واجتناب معاصيه، ﴿ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ ﴾[٢]، أي آمنوا وأحسنوا العمل، حسنة يعني الجنة، قاله مقاتل. وقال السدي: في هذه الدنيا حسنة يعني الصحة والعافية، ﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ ﴾[٣]، قال ابن عباس: يعني ارتحلوا من مكة. وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي. وقيل: نزلت في مهاجري الحبشة. وقال سعيد بن جبير: من أمر بالمعاصي ببلد فليهرب منها إلى غيرها. ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾[٤]، الذي صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى. وقيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه، حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بم البلاء، وصبروا وهاجروا قال علي رضي الله عنه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرين، فإنه يحثى لهم حثيا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾[٥]، حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل.

قوله تعالى قُلْ إِنِي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَولَ الْمُسْلِمِينَ...

[١١] ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾[٦]، مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا.

(١) سورة الزمر آية : ١٠.
(٢) سورة الزمر آية : ١٠.
(٣) سورة الزمر آية : ١٠.
(٤) سورة الزمر آية : ١٠.
(٥) سورة الزمر آية : ١٠.
(٦) سورة الزمر آية : ١١.

[١٢] ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ ﴾[(١)]، من هذه الأمة.

[١٣] ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾[(٢)]، وعبدت غيره، ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ ﴾[(٣)]، وهذا حين دعي إلى دين آبائه.

[١٤، ١٥] ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ ﴾[(٤)]، أمر توبيخ وتهديد، ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ ﴾[(٥)]. أزواجهم وخدمهم، ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥ ﴾[(٦)]، قال ابن عباس: وذلك أن الله جعل لكل إنسان مـ لا في الجنة وأهلا، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك الم ل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك الم ل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله. وقيل: خسران النفس بدخول النار، وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله، وذلك هو الخسران المبين.

[١٦] ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾[(٧)]، أطباق سرادقات من النار ودخانا، ﴿ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ﴾[(٨)]، فراش ومهاد من نار إلى أن ينتهي إلى القعر، سمي الأسفل

---

(١) سورة الزمر آية : ١٢.
(٢) سورة الزمر آية : ١٣.
(٣) سورة الزمر آية : ١٣.
(٤) سورة الزمر آية :١٤ - ١٥.
(٥) سورة الزمر آية : ١٥.
(٦) سورة الزمر آية : ١٥.
(٧) سورة الزمر آية : ١٦.
(٨) سورة الزمر آية : ١٦.

ظللا لأنا ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله ﷻ ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [1]. ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [2].

[١٧، ١٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [3]، الأوثان، ﴿ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [4]، رجعوا إلى عبادة الله، ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ ﴾ [5]، في الدنيا بالجنة وفي العقبى بالمغفرة، ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ ﴾ [6]، القرآن ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ ﴾ [7]، قال السدي: أحسن ما يؤمرون به فيعملونه. وقيل: هو أن الله ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو، والعفو أحسن الأمرين. وقيل: ذكر العزائم [والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم] [8] وقيل: يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن. وقال عطاء عن ابن عباس: آمن أبو بكر بالنبي ﷺ فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا، فنزلت فيهم: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ ﴾ [9]، وكله حسن. ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟

---

(١) سورة الأعراف آية : ٤١.
(٢) سورة الزمر آية : ١٦.
(٣) سورة الزمر آية : ١٧.
(٤) سورة الزمر آية : ١٧.
(٥) سورة الزمر آية : ١٧.
(٦) سورة الزمر آية :١٧ - ١٨.
(٧) سورة الزمر آية : ١٨.
(٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٢٣٩.
(٩) سورة الزمر آية : ١٧ - ١٨.

﴿ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [1]، وقال ابن زيد: نزلت ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [2] الآيتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، زيد بن عمرو بن نفيل وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي. والأحسن: قول لا إله إلا الله.

[١٩] ﴿ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [3]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: من سبق في علم الله أنه من أهل النار. وقيل: كلمة العذاب قوله: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ [4] وقيل: كلمة العذاب قوله: "هؤلاء في النار ولا أبالي " [5]. ﴿ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩ ﴾ [6]، أي لا تقدر عليه. قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده.

[٢٠] ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ ﴾ [7]، أي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها، ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠ ﴾ [8]، أي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه.

[٢١] قوله ﷻ ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ ﴾ [9]، أدخل ذلك الماء، ﴿ يَنَٰبِيعَ ﴾ [10]، عيونا وركايا، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [1]، قال الشعبي: كل ماء

---

(١) سورة الزمر آية : ١٨.
(٢) سورة الزمر آية : ١٧.
(٣) سورة الزمر آية : ١٩.
(٤) سورة الأعراف آية : ١٨.
(٥) ما بين المعكوفتين من نسخة محمد النمر وزملائه.
(٦) سورة الزمر آية : ١٩.
(٧) سورة الزمر آية : ٢٠.
(٨) سورة الزمر آية : ٢٠.
(٩) سورة الزمر آية : ٢١.
(١٠) سورة الزمر آية : ٢١.

في الأرض فمن السماء نزل، ﴿ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ ﴾[2]، بالماء ﴿ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ﴾[3]، أحمر وأصفر وأخضر، ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾[4]، ييبس، ﴿ فَتَرَىٰهُ ﴾[5]، بعـد خضرته ونضرته، ﴿ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ ﴾[6]، فتاتا متكسـرا، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[7].

قوله تعالى أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِهِ...

[٢٢] قوله ﷻ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ﴾[8]، وسعه لقبول الحق، ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾[9]، كمن أقسى الله قلبه؟ قوله ﷻ ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[10]، قال مالك بن دينار. ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله ﷻ على قوم إلا نزع منهم الرحمة.

[٢٣] قوله ﷻ ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾[11]، يشبه بعضه بعضا في الحسن، ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف. ﴿ مَّثَانِيَ ﴾[1]، يثنى فيه

---

(١) سورة الزمر آية : ٢١.
(٢) سورة الزمر آية : ٢١.
(٣) سورة الزمر آية : ٢١.
(٤) سورة الزمر آية : ٢١.
(٥) سورة الزمر آية : ٢١.
(٦) سورة الزمر آية : ٢١.
(٧) سورة الزمر آية : ٢١.
(٨) سورة الزمر آية : ٢٢.
(٩) سورة الزمر آية : ٢٢.
(١٠) سورة الزمر آية : ٢٢.
(١١) سورة الزمر آية : ٢٣.

فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهي والأخبار والأحكام، ﴿ تَقْشَعِرُّ ﴾[(٢)]، تضطرب وتشمئز، ﴿ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾[(٣)]، والاقشعرار تغير في جلد الإنسان عند الوجل والخوف، وقيل: المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم، ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[(٤)]، أي لذكر الله، أي إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم، كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[(٥)]، وحقيقة المعنى: أن قلوبهم تقشعر من الخوف وتلين عند الرجاء. ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[(٦)]، يعني أحسن الحديث، ﴿ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[(٧)].

[٢٤] ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾[(٨)]، أي شدته، ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾[(٩)]، قال مجاهد: يجر على وجهه في النار. وقال عطاء: يرمى به في النار منكوسا فأول شيء تمسه النار وجهه. قال مقاتل: هو أن الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه إلى عنقه، وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر، وهو معلق في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه، للأغلال التي في عنقه ويده. ومجاز

---

(١) سورة الزمر آية : ٢٣.
(٢) سورة الزمر آية : ٢٣.
(٣) سورة الزمر آية : ٢٣.
(٤) سورة الزمر آية : ٢٣.
(٥) سورة الرعد آية : ٢٨.
(٦) سورة الزمر آية : ٢٣.
(٧) سورة الزمر آية : ٢٣.
(٨) سورة الزمر آية : ٢٤.
(٩) سورة الزمر آية : ٢٤.

الآية: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب؟ ﴿ وَقِيلَ ﴾ [1]، يعني تقول الخزنة ﴿ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤ ﴾ [2] أي وباله.

[٢٥] ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [3]، من قبل كفار مكة كذبوا الرسل، ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٥ ﴾ [4]، يعني وهم آمنون غافلون من العذاب.

[٢٦] ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ ﴾ [5]، العذاب والهوان، ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٢٦ ﴾ [6].

[٢٧] ﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ [7]، يتعظون.

[٢٨] ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [8]، نصب على الحال، ﴿ غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ ﴾ [9]، قال ابن عباس: غير مختلف. قال مجاهد، غير ذي لبس. قال السدي: غير مخلوق. ويروى ذلك عن مالك بن أنس، وحكى عن سفيان ابن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق، ﴿ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨ ﴾ [10]، الكفر والتكذيب.

---

(١) سورة الزمر آية : ٢٤.
(٢) سورة الزمر آية : ٢٤.
(٣) سورة الزمر آية : ٢٥.
(٤) سورة الزمر آية : ٢٥.
(٥) سورة الزمر آية : ٢٦.
(٦) سورة الزمر آية : ٢٦.
(٧) سورة الزمر آية : ٢٧.
(٨) سورة الزمر آية : ٢٨.
(٩) سورة الزمر آية : ٢٨.
(١٠) سورة الزمر آية : ٢٨.

[٢٩] ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً ﴾[(١)]، قال الكسائي نصب رجلا لأنه تفسير للمثل، ﴿ فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾[(٢)]، متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم، يقال رجل شكس شرس إذا كان سيئ الخلق مخالفا للناس لا يرضى بالإنصاف. ﴿ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾[(٣)]، قرأ أهل مكة والبصرة (سالما) بالألف أي خالصا له لا شريك ولا منازع له فيه، وقرأ الآخرون (سلما) بفتح اللام من غير ألف، وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم: هو لك سلم، أي مسلم لا منازع لك فيه. ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلاًۚ ﴾[(٤)]، هذا مثل ضربه الله ﷻ للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، وهذا استفهام إنكار أي لا يستويان، ثم قال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ ﴾[(٥)]، أي لله الحمد كله دون غيره من المعبودين. ﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[(٦)]، ما يصيرون إليه والمراد بالأكثر الكل.

[٣٠] ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾[(٧)]، أي ستموت، ﴿ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[(٨)]. أي سيموتون، قال الفراء والكسائي: الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت، الميت بالتخفيف من فارقه الروح، ولذلك لم يخفف ههنا.

[٣١] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[(١)]، قال ابن عباس: يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم.

---

(١) سورة الزمر آية : ٢٩.

(٢) سورة الزمر آية : ٢٩.

(٣) سورة الزمر آية : ٢٩.

(٤) سورة الزمر آية : ٢٩.

(٥) سورة الزمر آية : ٢٩.

(٦) سورة الزمر آية : ٢٩.

(٧) سورة الزمر آية : ٣٠.

(٨) سورة الزمر آية : ٣٠.

قوله تعالى فَمَنْ أظلَمُ مِمنْ كَذَبَ عَلى اللهِ وَكَذبَ بِالصدْقِ إِذْ جَاءَهُ...

[٣٢] قوله ﷻ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٢]، فزعم أن له ولدا وشريكا، ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ ﴾[٣]، بالقرآن، ﴿ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾[٤]، م ل ومقام، ﴿ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٥]، استفهام بمعنى التقرير.

[٣٣] ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ ﴾[٦]، قـال ابـن عبـاس: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾[٧] يعنـي رسـول الله ﷺ جـاء بلا إلـه إلا الله ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ ﴾[٨] الرسول أيضا بلغه إلى الخلق. وقال السدي: والذي جاء بالصدق جبريل جاء بالقرآن، وصدق به محمد ﷺ تلقاه بالقبول. وقال الكلبي وأبو العالية: والذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وصدق به أبو بكر رضي الله عنه. وقال قتادة ومقاتل: والذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وصدق به هم المؤمنون، لقوله ﷻ ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٩]، وقال عطاء: والذي جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع، وحينئذ يكون الذي بمعنى الذين، وقال الحسن: هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاءوا به في الآخرة.

---

(١) سورة الزمر آية : ٣١.
(٢) سورة الزمر آية : ٣٢.
(٣) سورة الزمر آية : ٣٢.
(٤) سورة الزمر آية : ٣٢.
(٥) سورة الزمر آية : ٣٢.
(٦) سورة الزمر آية : ٣٣.
(٧) سورة الزمر آية : ٣٣.
(٨) سورة الزمر آية : ٣٣.
(٩) سورة الزمر آية : ٣٣.

وفي قراءة عبد الله بن مسعـود: والذين جـاءوا بالصـدق وصـدقوا بـه. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

[٣٤، ٣٥] ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ ﴾[2]، يسترها عليهم بالمغفرة، ﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3]، قال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوئ.

[٣٦] قوله ﷻ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ ﴾[4]، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: (عباده) بالجمع يعني الأنبياء عليهم السلام، قصدهم قومهم بالسوء كما قال: ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُۖ ﴾ [5] فكفاهم الله شر من عاداهم ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾ [6] وذلك أنهم خوفوا النبي ﷺ معرة معاداة الأوثان. وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون، ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[7].

(١) سورة الزمر آية : ٣٣.
(٢) سورة الزمر آية :٣٤ - ٣٥.
(٣) سورة الزمر آية : ٣٥.
(٤) سورة الزمر آية : ٣٦.
(٥) سورة غافر آية : ٥.
(٦) سورة الزمر آية : ٣٦.
(٧) سورة الزمر آية : ٢٣.

[٣٧] ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، منيع في ملكه منتقم من أعدائه.

[٣٨] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾[2]، بشدة وبلاء، ﴿ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ﴾[3]، بنعمة وبركة، ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ ﴾[4]، قرأ أهل البصرة (كاشفات) و (ممسكات) بالتنوين، (ضره) و (رحمته) بنصب الراء والتاء، وقرا الآخرون بلا تنوين وجر الراء والتاء على الإضافة، قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسكتوا، فقال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ ﴾[5]، ثقتي به واعتمادي عليه، ﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[6]، يثق به الواثقون.

[٣٩، ٤٠] ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[7]، أي يـ ل عليه عذاب دائم.

(١) سورة الزمر آية : ٣٧.
(٢) سورة الزمر آية : ٣٨.
(٣) سورة الزمر آية : ٣٨.
(٤) سورة الزمر آية : ٣٨.
(٥) سورة الزمر آية : ٣٨.
(٦) سورة الزمر آية : ٣٨.
(٧) سورة الزمر آية : ٣٩ - ٤٠.

قوله تعالى إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا...

[٤١] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ ﴾ [١]، وبال ضلالته عليه، ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [٢]، بحفيظ ورقيب لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم.

[٤٢] قـولـه ﷻ ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ [٣]، أي الأرواح، ﴿ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [٤]، فيقبضهـا عنـد فناء أكلها وانقضاء آجالها، وقوله: ﴿ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [٥] يريد موت أجسادها. ﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ ﴾ [٦]، يريد يتوفى الأنفس التي لم تمت، ﴿ فِى مَنَامِهَا ۖ ﴾ [٧]، والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز، ولكل إنسان نفسان إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس، والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس. ﴿ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ﴾ [٨]، فلا يردها إلى الجسد، قرأ حمزة والكسائي (قضي) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء، (الموت) رفع على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد، (الموت) نصب لقوله ﷻ (اللَّهُ يَتَوَفى الْأَنفُسَ).

---

(١) سورة الزمر آية : ٤١.
(٢) سورة الزمر آية : ٤١.
(٣) سورة الزمر آية : ٤٢.
(٤) سورة الزمر آية : ٤٢.
(٥) سورة الزمر آية : ٤٢.
(٦) سورة الزمر آية : ٤٢.
(٧) سورة الزمر آية : ٤٢.
(٨) سورة الزمر آية : ٤٢.

﴿ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ [1]، ويرد الأخرى، وهـي التي لم يقـض عليهـا المـوت، إلى الجسـد، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ [2]، إلى أن يأتي وقت موته، ويقال للإنسان نفس وروح، فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح. وعن علي قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسـده، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [3]، لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها. قال مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث، يعني إن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث.

[٤٣] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ ﴾ [4]، يا محـمـد، ﴿ أَوَلَوۡ كَانُواْ ﴾ [5]، وإن كـانوا يعني الآلهة، ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [6]، من الشفاعة، ﴿ وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [7] أنكـم تعبدونم، وجواب هذه محذوف تقديره: وإن كانوا بذه الصفة تتخذونم.

[٤٤] ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾ [8]، قال مجاهد: لا يشفع أحد إلا بإذنه، ﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [9].

---

(١) سورة الزمر آية : ٤٢.
(٢) سورة الزمر آية : ٤٢.
(٣) سورة الزمر آية : ٤٢.
(٤) سورة الزمر آية : ٤٣.
(٥) سورة الزمر آية : ٤٣.
(٦) سورة الزمر آية : ٤٣.
(٧) سورة الزمر آية : ٤٣.
(٨) سورة الزمر آية : ٤٤.
(٩) سورة الزمر آية : ٤٤.

[٤٥] ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ ﴾[1]، نفرت. وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبضت عن التوحيد. وقـال قتادة: استكبرت. وأصل الاشمئزاز النفور والاستكبار، ﴿ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾[2]، يعني الأصنام، ﴿ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٥ ﴾[3]، يفرحون، قال مجاهد ومقاتل. وذلك حين قرأ النبي ﷺ سورة والنجم فألقى الشيطان في أمنيته: تلك الغرانيق العلى، ففرح به الكفار.

[٤٦] ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝٤٦ ﴾[4].

[٤٧] قوله ﷻ ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ۝٤٧ ﴾[5]، قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة. قال السدي: ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات، والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا.

---

(١) سورة الزمر آية : ٤٥.

(٢) سورة الزمر آية : ٤٥.

(٣) سورة الزمر آية : ٤٥.

(٤) سورة الزمر آية : ٤٦.

(٥) سورة الزمر آية : ٤٧.

قوله تعالى وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ...

[٤٨] ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ ﴾[١]، أي مساوئ أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله. ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٢].

[٤٩] ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ ﴾[٣]، شدة، ﴿ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ ﴾[٤]، أعطيناه، ﴿ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ ﴾[٥]، أي على علم من الله أني له أهل. وقال مقاتل: على خير علمه الله عندي، وذكر الكناية لأن المراد من النعمة الإنعام، ﴿ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ ﴾[٦]، يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبلية. وقيل: بل الكلمة التي قالها فتنة. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[٧]، أنه استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[٨] قال مقاتل: يعني قارون فإنه قال: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴾[٩]، ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[١]، فما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئا.

---

(١) سورة الزمر آية : ٤٨.
(٢) سورة الزمر آية : ٤٨.
(٣) سورة الزمر آية : ٤٩.
(٤) سورة الزمر آية : ٤٩.
(٥) سورة الزمر آية : ٤٩.
(٦) سورة الزمر آية : ٤٩.
(٧) سورة الزمر آية : ٤٩.
(٨) سورة الزمر آية : ٥٠.
(٩) سورة القصص آية : ٧٨.

[٥١] ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ ﴾[٢]، أي جزاؤها يعني العذاب، ثم [أوعد] كفار مكة فقال: ﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[٣]، بفائتين لأن مرجعهم إلى الله عز وجل.

[٥٢] ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[٤]، أي يوسـع الرزق لمن يشاء، ﴿ وَيَقْدِرُ ۚ ﴾[٥]، أي يقتـر علـى مـن يشـاء، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[٦].

[٥٣] قـولـه ﷻ ﴿ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ ﴾ [٧] أراد بالإسـراف ارتكـاب الكبـائر. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[٨].

[٥٤] قوله ﷻ ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾[٩]، أقبلـوا وارجعـوا إليـه بالطاعة، ﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾[١]، وأخلصوا له التوحيد، ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[٢].

---

(١) سورة الزمر آية : ٥٠.
(٢) سورة الزمر آية : ٥١.
(٣) سورة الزمر آية : ٥١.
(٤) سورة الزمر آية : ٥٢.
(٥) سورة الزمر آية : ٥٢.
(٦) سورة الزمر آية : ٥٢.
(٧) سورة الزمر آية : ٥٣.
(٨) سورة الزمر آية : ٥٣.
(٩) سورة الزمر آية : ٥٤.

[٥٥] ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [٣]، يعني القرآن، والقرآن كله حسن، ومعنى الآية ما قاله الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فإن في القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الأدون لئلا يرغب فيه، وذكر الأحسن لتؤثره. قال السدي: الأحسن ما أمر الله به في الكتاب، ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝ ﴾ [٤].

[٥٦] ﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٌ ﴾ [٥]، يعني لئلا تقول نفس، قال المبرد: أي بادروا واحذروا أن تقول نفس. وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول، ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ ﴾ [٦]، يا ندامتا، والتحسر الاغتمام على ما فات، وأراد يا حسرتي على الإضافة، لكن العرب تحول يا ء الكناية ألفا في الاستغاثة، فتقول: يا ويلتا ويا ندامتا، وربما ألحقوا بـا الياء بعد الألف ليدل على الاضافة، وكذلك قرأ أبو جعفر يا حسرتاي، وقيـل: معنى قوله يا حسرتا يا أيتها الحسرة هذا وقتك، ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [٧]، قال الحسن: قصرت في طاعة الله. وقال مجاهد: في أمر الله. وقال سعيد بن جبير. في حق الله. وقيل: ضيعت في ذات الله. وقيل: معناه قصرت في الجانب الذي يردني إلى رضـاء الله. والعـرب تسمـي الجنـب جانبا، ﴿ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ

---

(١) سورة الزمر آية : ٥٤.
(٢) سورة الزمر آية : ٥٤.
(٣) سورة الزمر آية : ٥٥.
(٤) سورة الزمر آية : ٥٥.
(٥) سورة الزمر آية : ٥٦.
(٦) سورة الزمر آية : ٥٦.
(٧) سورة الزمر آية : ٥٦.

﴿٥٦﴾ ﴾[1]، المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين، قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته.

قوله تعالى أَوْ تَقُولَ لَوْ أن اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتقِينَ...

[٥٧، ٥٨] ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ ﴾[2]، عيانا، ﴿ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً ﴾[3]، رجعة إلى الدنيا، ﴿ فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[4]، الموحدين.

[٥٩] يقال لهذا القائل: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى ﴾[5]، يعني القرآن، ﴿ فَكَذَّبْتَ بِهَا ﴾[6]، وقلت إنها ليست من الله، ﴿ وَٱسْتَكْبَرْتَ ﴾[7]، تكبرت عن الإيمان بها، ﴿ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾[8].

[٦٠] ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[9] فزعموا أن له ولدا وشريكا، ﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[10]، عن الإيمان.

---

(١) سورة الزمر آية : ٥٦.
(٢) سورة الزمر آية :٥٧ - ٥٨.
(٣) سورة الزمر آية : ٥٨.
(٤) سورة الزمر آية : ٥٨.
(٥) سورة الزمر آية : ٥٩.
(٦) سورة الزمر آية : ٥٩.
(٧) سورة الزمر آية : ٥٩.
(٨) سورة الزمر آية : ٥٩.
(٩) سورة الزمر آية : ٦٠.
(١٠) سورة الزمر آية : ٦٠.

[٦١] ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ ﴾(١)، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (بمفازاتهم) بالألف على الجمع، أي بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة، وقرأ الآخرون ﴿ بِمَفَازَتِهِمۡ ﴾ (٢) على الواحد لأن المفازة بمعنى الفوز، أي ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة. قال المبرد: المفازة مفعلة من الفوز، والجمع حسن كالسعادة والسعادات. ﴿ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ ﴾(٣)، لا يصيبهم المكروه، ﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١ ﴾(٤).

[٦٢] ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾(٥)، أي الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها.

[٦٣] ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾(٦)، أي مفاتيح خزائن السماوات والأرض، واحدها مقلاد، مثل: مفتاح، مفاتيح. وقال قتادة ومقاتل: مفاتيح السماوات والأرض بالرزق والرحمة. وقال الكلبي: خزائن المطر وخزائن النبات. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾(٧).

[٦٤] قوله ﷻ ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ ﴾(٨)؟ قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه. قرأ أهل الشام (تأمرونني) بنونين خفيفتين على

(١) سورة الزمر آية : ٦١.
(٢) سورة الزمر آية : ٦١.
(٣) سورة الزمر آية : ٦١.
(٤) سورة الزمر آية : ٦١.
(٥) سورة الزمر آية : ٦٢.
(٦) سورة الزمر آية : ٦٣.
(٧) سورة الزمر آية : ٦٣.
(٨) سورة الزمر آية : ٦٤.

الأصل، وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام.

[٦٥] ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[١]، أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ والمراد منه غيره. وقيل: هذا أدب من الله ﷻ لنبيه وتديد لغيره، لآن الله تعالى عصمه من الشرك. ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[٢].

[٦٦] ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[٣]، لإنعامه عليك.

[٦٧] قوله ﷻ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾[٤]، ما عظموه حق عظمته حين أشـركوا بـه، ثم أخبـر عـن عظمتـه فقال: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٥]، قال رسول الله ﷺ « يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون »[٦]، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[٧].

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٥.

(٢) سورة الزمر آية : ٦٥.

(٣) سورة الزمر آية : ٦٦.

(٤) سورة الزمر آية : ٦٧.

(٥) سورة الزمر آية : ٦٧.

(٦) البخاري التوحيد (٦٩٧٧)، مسلم٤ / ٢ة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٨)، ابن ماجه الزهد (٤٢٧٥)، أحمد (٨٨/٢).

(٧) في صفات المنافقين برقم (٢٧٨٦) ٤ / ٢١٤٧.

قوله تعالى وَنُفِخَ فِي الصورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ...

[٦٨] قوله ﷻ ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [(١)] أي ماتوا من الفزع، وهي النفخة الأولى، ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [(٢)]، اختلفوا في الذين استثناهم ﷻ وقد ذكرناهم في سورة النمل، قال الحسن: إلا من شاء الله يعني الله وحده، ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ ﴾ [(٣)]، أي في الصور، ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ [(٤)]، أي مرة أخرى، ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [(٥)]، من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم.

[٦٩] قوله ﷻ ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [(٦)]، أضاءت، ﴿ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [(٧)]، بنور خالقها، وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو. وقال الحسن والسدي: بعدل ربها، وأراد بالأرض عرصات القيامة، ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ ﴾ [(٨)]، أي كتاب الأعمال، ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [(٩)]، قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة، وهم أمة محمد ﷺ. وقال عطاء: يعني الحفظة يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا

---

(١) سورة الزمر آية: ٦٨.
(٢) سورة الزمر آية: ٦٨.
(٣) سورة الزمر آية: ٦٨.
(٤) سورة الزمر آية: ٦٨.
(٥) سورة الزمر آية: ٦٨.
(٦) سورة الزمر آية: ٦٩.
(٧) سورة الزمر آية: ٦٩.
(٨) سورة الزمر آية: ٦٩.
(٩) سورة الزمر آية: ٦٩.

سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾[2]، أي بالعدل، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[3]، أي لا يزاد في سيئاتم ولا ينقص من حسناتم.

[٧٠] ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾[4]، أي ثواب ما عملت، ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[5]، قال عطاء: يريد أني عالـم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد.

قوله تعالى وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَمَ زمرا...

[٧١] ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾[6] سوقا عنيفا، ﴿ زُمَرًا ۖ ﴾[7]، أفواجا بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة. قال أبو عبيدة والأخفش: زمرا أي جماعات في تفرقة، واحدتا زمرة. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[8]، السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك، قرأ أهل الكوفة (فتحت) بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ ﴾[9]، توبيخا وتقريعا لهم، ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ ﴾[10]،

---

(١) سورة ق آية: ٢١.
(٢) سورة الزمر آية: ٦٩.
(٣) سورة الزمر آية: ٦٩.
(٤) سورة الزمر آية: ٧٠.
(٥) سورة الزمر آية: ٧٠.
(٦) سورة الزمر آية: ٧١.
(٧) سورة الزمر آية: ٧١.
(٨) سورة الزمر آية: ٧١.
(٩) سورة الزمر آية: ٧١.
(١٠) سورة الزمر آية: ٧١.

وجبت، ﴿ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [(١)] وهو قوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [(٢)].

[٧٢، ٧٣] ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [(٣)] يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طبتم. قال ابن عباس: طاب لكم المقام. قال قتادة: هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا أدخلوا الجنة.

[٧٤] ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ ﴾ [(٤)]، أي أرض الجنة. وهو قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [(٥)]. ﴿ نَتَبَوَّأُ ﴾ [(٦)]، ننزل، ﴿ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ ﴾ [(٧)]، قال الله تعالى ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [(٨)]، ثواب المطيعين.

---

(١) سورة الزمر آية: ٧١.
(٢) سورة هود آية: ١١٩.
(٣) سورة الزمر الآيتان: ٧٢ ، ٧٣.
(٤) سورة الزمر آية: ٧٤.
(٥) سورة الأنبياء آية: ١٠٥.
(٦) سورة الزمر آية: ٧٤.
(٧) سورة الزمر آية: ٧٤.
(٨) سورة الزمر آية: ٧٤.

[٧٥] ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾[1]، أي محدقين محيطين بالعرش، المحيطين بحوافه أي بجوانبه، ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[2]، قيل: هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكليف متروك في ذلك اليوم، ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾[3]، أي قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل، ﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[4]، يقول أهل الجنة: شكرا حين تم وعد الله لهم.

---

(١) سورة الزمر آية: ٧٥.

(٢) سورة الزمر آية: ٧٥.

(٣) سورة الزمر آية: ٧٥.

(٤) سورة الزمر آية: ٧٥.

(٤٠) سورة غافر

قوله تعالى حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ...

[١] قوله ﷻ ﴿ حمٓ ﴾ [(١)] قد سبق الكلام في حروف التهجي. قال السدي عن ابن عباس: حم اسم الله الأعظم. وروى عكرمة عنه قال: الر وحـم، ونون، حروف الرحمن مقطعة. وقال سعيد بن جبير وعطاء الخراساني: الحاء افتتاح أسمائه حكيم حميد حي حليم حنان، والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان. وقال الضحاك والكسائي: معناه قضى ما هو كائن كأنه أشار إلى أن معناه حـم بضم الحاء وتشديد الميم، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر حم بكسر الحاء، والباقون بفتحها.

[٢، ٣] ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ [(٢)]، ساتر الذنب و ﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ [(٣)]، يعني التوبة مصدر تاب يتوب توبا. وقيل: التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وحومة وحوم. وقال ابن عباس. غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله، وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ [(٤)]، لمن لا يقول لا إله إلا الله، ﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ [(٥)]، ذي الغنى عمن لا يقول لا إله إلا الله. قال مجاهد. ذي الطول ذي السعة والغنى. وقال الحسن: ذو الفضل. قال قتادة: ذو النعم: ذو القدرة

---

(١) سورة غافر آية: ١.
(٢) سورة غافر الآيتان : ٢ ، ٣.
(٣) سورة غافر آية: ٣.
(٤) سورة غافر آية: ٣.
(٥) سورة غافر آية: ٣.

وأصل الطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه. ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[1].

[٤] ﴿ مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾[2]، في دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[3]، قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: ﴿ مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[4]، و ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾[5] قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٤﴾ ﴾[6]، تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم، فإن عاقبة أمرهم العذاب، نظيره قوله ﷻ ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ ﴾[7].

[٥] ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ ﴾[8]، وهم الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من [بعد] قوم نوح، ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ ﴾[9]، قال ابن عباس: ليقتلوه ويهلكوه، وقيل. ليأسروه. والعرب تسمي

---

(١) سورة غافر آية: ٣.
(٢) سورة غافر آية: ٤.
(٣) سورة غافر آية: ٤.
(٤) سورة غافر آية: ٤.
(٥) سورة البقرة آية: ١٧٦.
(٦) سورة غافر آية: ٤.
(٧) سورة آل عمران آية: ١٩٦.
(٨) سورة غافر آية: ٥.
(٩) سورة غافر آية: ٥.

الأسير أخيذا ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ ﴾[1]، ليبطلوا، ﴿ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾[2]، الذي جاء به الرسل ومجادلتهم مثل قولهم: ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾[3]، ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[4] ونحو ذلك. ﴿ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ ﴾[5]

[٦] ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾[6]، يعني كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[7]، من قومك، ﴿ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ﴾[8]

[٧] قوله ﷻ ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ ﴾[9]، حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة. قوله ﷻ ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾[10]، يصدقون بأنه واحد لا شريك له ﴿ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا ﴾[11]، يعني يقولون ربنا، ﴿ وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾[12]، قيل:

---

(١) سورة غافر آية: ٥.
(٢) سورة غافر آية: ٥.
(٣) سورة إبراهيم آية: ١٠.
(٤) سورة الفرقان آية: ٢١.
(٥) سورة غافر آية: ٥.
(٦) سورة غافر آية: ٦.
(٧) سورة غافر آية: ٦.
(٨) سورة غافر آية: ٦.
(٩) سورة غافر آية: ٧.
(١٠) سورة غافر آية: ٧.
(١١) سورة غافر آية: ٧.
(١٢) سورة غافر آية: ٧.

نصب على التفسير، وقيل: على النقل، أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، ﴿ فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ ﴾[1]، دينك. ﴿ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ ﴾[2]، قال مطرف: أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين.

قوله تعالى رَبَنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَناتِ عَدْنٍ التِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهمْ وَأَزْوَاجِهمْ وَذُرياتِهمْ...

[٨] ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ ﴾[3]، آمن، ﴿ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾[4]، قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم[5].

[٩] ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾[6]، العقوبات، ﴿ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[7]، أي ومن تقه السيئات يعني العقوبات، وقيل: جزاء السيئات، ﴿ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾[8].

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ ﴾[1]، يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتم، وعاينوا العذاب، فيقال لهم: ﴿ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن

(١) سورة غافر آية: ٧.
(٢) سورة غافر آية: ٧.
(٣) سورة غافر آية: ٨.
(٤) سورة غافر آية: ٨.
(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٥.
(٦) سورة غافر آية: ٩.
(٧) سورة غافر آية: ٩.
(٨) سورة غافر آية: ٩.

مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[٢]، يعني لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكـم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم.

[١١] ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾[٣]، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة والضحاك: كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما موتتان وحياتان، وهذا كقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[٤]، وقال السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة. ﴿ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾[٥]، أي من خروج من النار إلى الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك، نظيره: ﴿ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[٦].

[١٢] قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ ﴾[٧]، وفيه متروك استغني عنه لدلالة الظاهر عليه، مجازه: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك، وهذا العذاب والخلود في النار بأنكـم إذا دعي الله وحده كفرتم أي إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم،

---

(١) سورة غافر آية: ١٠.
(٢) سورة غافر آية: ١٠.
(٣) سورة غافر آية: ١١.
(٤) سورة البقرة آية: ٢٨.
(٥) سورة غافر آية: ١١.
(٦) سورة الشورى آية: ٤٤.
(٧) سورة غافر آية: ١٢.

وقلتم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ ﴾[1]، ﴿ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ ﴾[2]، غيـره، ﴿ تُؤۡمِنُواْۚ ﴾[3]، تصدقوا ذلك الشرك، ﴿ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢ ﴾[4]. الذي لا أعلى منه ولا أكبر.

[١٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ ﴾[5]، يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ ﴾[6]، وما يتعظ بذه الآيات ﴿ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾[7]، يرجع إلى الله تعالى في جميع أموره.

[١٤] ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[8]، الطاعة والعبادة. ﴿ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ ﴾[9].

[١٥] ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾[10]، رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ ﴾[11]، ي ل الوحي، سماه روحا لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان

---

(١) سورة ص آية: ٥.
(٢) سورة غافر آية: ١٢.
(٣) سورة غافر آية: ١٢.
(٤) سورة غافر آية: ١٢.
(٥) سورة غافر آية: ١٣.
(٦) سورة غافر آية: ١٣.
(٧) سورة غافر آية: ١٣.
(٨) سورة غافر آية: ١٤.
(٩) سورة غافر آية: ١٤.
(١٠) سورة غافر آية: ١٥.
(١١) سورة غافر آية: ١٥.

بالأرواح، ﴿ مِنۡ أَمۡرِهِۦ ﴾[1]، قال ابن عباس: من قضائه. وقيل: من قوله. وقال مقاتل: بأمره. ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ ﴾[2]، أي لينذر النبي بالوحي، ﴿ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾[3]، وقرأ يعقوب بالتاء أي لتنذر أنت يا محمد يوم التلاق، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض. وقال قتادة: ومقاتل: يلتقي فيه الخلق والخالق. قال ابن زيد: يتلاقى العباد. وقال ميمون بن مهران: يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم. وقيل: يلتقي العابدون والمعبودون. وقيل: يلتقي فيه المرء مع عمله.

[١٦] ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ ﴾[4]، خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء، ﴿ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ ﴾[5]، من أعمالهم وأحوالهم، ﴿ شَيۡءٞۚ ﴾[6]، ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق، ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾[7]، فلا أحد يجيبه فيجيب بنفسه فيقول، ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[8]، الذي قهر الخلق بالموت.

قوله تعالى الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ...

[١٧] ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ ﴾[9]، يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة غافر آية: ١٥.
(٢) سورة غافر آية: ١٥.
(٣) سورة غافر آية: ١٥.
(٤) سورة غافر آية: ١٦.
(٥) سورة غافر آية: ١٦.
(٦) سورة غافر آية: ١٦.
(٧) سورة غافر آية: ١٦.
(٨) سورة غافر آية: ١٦.
(٩) سورة غافر آية: ١٧.

[١٨] ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ ﴾[٢]، يعني يوم القيامة سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب، نظيره قوله ﷻ ﴿ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧ ﴾[٣]، أي قربت القيامة. ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾[٤]، وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر، فهي لا تعود إلى أماكنها وهي لا تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا، ﴿ كَـٰظِمِينَ ۚ ﴾[٥]، مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به. ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ﴾[٦]، قريب ينفعهم، ﴿ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨ ﴾[٧] فيشفع فيهم.

[١٩] ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾[٨] أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل. قال مجاهد: نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه. ﴿ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩ ﴾[٩].

[٢٠] ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾[١]، يعني الأوثان، ﴿ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ ﴾[٢]، لأنها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٢٠ ﴾[٣].

---

(١) سورة غافر آية: ١٧.
(٢) سورة غافر آية: ١٨.
(٣) سورة النجم آية: ٥٧.
(٤) سورة غافر آية: ١٨.
(٥) سورة غافر آية: ١٨.
(٦) سورة غافر آية: ١٨.
(٧) سورة غافر آية: ١٨.
(٨) سورة غافر آية: ١٩.
(٩) سورة غافر آية: ١٩.

[٢١] ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٤)، فلم ينفعهم ذلك. ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (٥)، يدفع عنهم العذاب.

[٢٢- ٢٥] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ (٦) أي ذلك العذاب الذي نزل بهم، ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ﴾ (٧)، يعني فرعون وقومه، ﴿ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ (٨)، قال قتادة: هذا غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان، فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم، فـمعناه أعيدوا عليهـم القتل، ﴿ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ ﴾ (٩)، ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى

---

(١) سورة غافر آية: ٢٠.
(٢) سورة غافر آية: ٢٠.
(٣) سورة غافر آية: ٢٠.
(٤) سورة غافر آية: ٢١.
(٥) سورة غافر آية: ٢١.
(٦) سورة غافر آية: ٢٢.
(٧) سورة غافر الآيات من ٢٢ : ٢٥.
(٨) سورة غافر آية: ٢٥.
(٩) سورة غافر آية: ٢٥.

ومظاهرته، ﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [(١)]، وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم، ﴿ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٢٥ ﴾ [(٢)]، أي يذهب كيدهم باطلا، ويحيق بم ما يريده الله عز وجل.

قوله تعالى وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِني أَخَافُ أَنْ يُبدلَ دِينَكُمْ...

[٢٦] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ [(٣)]، لملئه، ﴿ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ [(٤)]، وإنما قال هذا لأنه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفا من الهلاك، ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ [(٥)]، أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا، ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ ﴾ [(٦)]، أن يغير، ﴿ دِينَكُمْ ﴾ [(٧)] الذي أنتم عليه، ﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝٢٦ ﴾ [(٨)] أراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره.

[٢٧، ٢٨] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ ﴾ [(٩)]، لما توعده فرعون بالقتل، ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ [(١٠)]، واختلفوا في هذا المؤمن قال مقاتل والسدي: كان قبطيا ابن عم فرعون

---

(١) سورة غافر آية: ٢٥.
(٢) سورة غافر آية: ٢٥.
(٣) سورة غافر آية: ٢٦.
(٤) سورة غافر آية: ٢٦.
(٥) سورة غافر آية: ٢٦.
(٦) سورة غافر آية: ٢٦.
(٧) سورة غافر آية: ٢٦.
(٨) سورة غافر آية: ٢٦.
(٩) سورة غافر آية: ٢٧.
(١٠) سورة غافر الآيتان : ٢٧ ، ٢٨.

وهو الذي حكى الله عنه فقال: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ [(١)]، وقال قوم: كان إسرائيليا، ومجاز الآية. وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، وكان اسمه حزبيل عند ابن عباس، وأكثر العلماء. وقال ابن إسحاق: كان اسمه جبريل. وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبا. ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ [(٢)]، لأن يقول ربي الله، ﴿ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [(٣)]، أي بما يدل على صدقه، ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ﴾ [(٤)]، لا يضركـم ذلك، ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا ﴾ [(٥)]، فكذبتموه وهو صادق، ﴿ يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ [(٦)]، قال أبو عبيد: المراد بالبعض الكل، أي إن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما وعدكم من العذاب. قال الليث: (بعض) ههنا صلة، يريد: يصبكم الذي يعدكـم. وقال أهل المعاني: هذا على الظاهر في الحجاج كأنه قال أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكـم وفي بعض ذلك هلاككم، فذكر البعض ليوجب الكل، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ﴾ [(٧)]، إلى دينه، ﴿ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ [(٨)]، مشرك، ﴿ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [(٩)]، على الله.

---

(١) سورة القصص آية: ٢٠.
(٢) سورة غافر آية: ٢٨.
(٣) سورة غافر آية: ٢٨.
(٤) سورة غافر آية: ٢٨.
(٥) سورة غافر آية: ٢٨.
(٦) سورة غافر آية: ٢٨.
(٧) سورة غافر آية: ٢٨.
(٨) سورة غافر آية: ٢٨.
(٩) سورة غافر آية: ٢٨.

[٢٩] ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[(١)]، غالبين في أرض مصر، ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ ﴾[(٢)]، من يمنعنا من عذاب الله، ﴿ إِن جَآءَنَاۚ ﴾[(٣)]، والمعنى لكم الملك اليوم فلا تعرضوا لعذاب الله بالتكـذيب وقتل النبي، فإنه لا مانع من عذاب الله إن حل بكـم، ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ ﴾[(٤)]، من الرأي والنصيحة، ﴿ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾[(٥)]، لنفسي.

وقال الضحاك: ما أعلمكم إلا ما أعلم، ﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩ ﴾[(٦)]، ما أدعوكـم إلا إلى طريق الهدى.

[٣٠-٣١] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ﴾[(٧)]، أي مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب، ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١ ﴾[(٨)]، أي لا يهلكهم قبل إيجاب الحجة عليهم.

[٣٢] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ ﴾[(٩)]، يوم القيامة يدعى كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار

---

(١) سورة غافر آية: ٢٩.
(٢) سورة غافر آية: ٢٩.
(٣) سورة غافر آية: ٢٩.
(٤) سورة غافر آية: ٢٩.
(٥) سورة غافر آية: ٢٩.
(٦) سورة غافر آية: ٢٩.
(٧) سورة غافر الآيتان : ٣٠ ، ٣١.
(٨) سورة غافر آية: ٣١.
(٩) سورة غافر آية: ٣٢.

أصحاب الجنة، وينادي أصحاب الأعراف، وينادي بالسعادة والشقاوة، ألا إن فلان ابن فلان قـد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وفلان ابن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا، وينادي حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وقرأ ابن عباس والضحاك: يوم التناد بتشديد الدال أي يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا فندوا في الأرض كما تند الإبل إذا شردت عن أربابها. وقال الضحاك: وكذلك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ ﴾ [1]، وقوله: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ ﴾ [2].

قوله تعالى وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ...

[٣٣-٣٤] ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾ [3]، منصرفين عن موقف الحساب إلى النار. وقال مجاهد: فارين غير معجزين، ﴿ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ ﴾ [4]، يعصمكم من عذابه، ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ ﴾ [5]، يعني يوسف بن يعقوب من قبل، أي من قبل موسى، ﴿ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ [6]، يعني قوله ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [7]، ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا

(١) سورة الحاقة آية: ١٧.
(٢) سورة الرحمن آية: ٣٣.
(٣) سورة غافر آية: ٣٣.
(٤) سورة غافر آية: ٣٣.
(٥) سورة غافر الآيتان : ٣٣ ، ٣٤.
(٦) سورة غافر آية: ٣٤.
(٧) سورة يوسف آية: ٣٩.

﴿ جَآءَكُم بِهِۦ ﴾[1]، قال ابن عباس: من عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ ﴾[2]، مات، ﴿ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ ﴾[3]، أي أقمتم على كفركـم وظننتم أن لا يجدد عليكـم الحجة، ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ ﴾[4]، مشرك ﴿ مُّرۡتَابٌ ۝٣٤ ﴾[5]، شاك.

[٣٥] ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[6]، قال الزجـاج. هذا تفسير للمسـرف المرتـاب يعني الذين يـجادلـون في آيـات الله آي في إبطـالها بالتكـذيب، ﴿ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ ﴾[7]، حجـة، ﴿ أَتَىٰهُمۡۖ ﴾[8]، مـن الله، ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا ﴾[9]، أي كبر ذلك الجدال مقتا، ﴿ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ۝٣٥ ﴾[10]، قرأ أبو عمرو وابن عامر (قلب) بالتنوين، قرأ الآخرون بالإضافة، دليله قراءة عبد الله بن مسعود (على قلب كل متكبر جبار).

---

(١) سورة غافر آية: ٣٤.
(٢) سورة غافر آية: ٣٤.
(٣) سورة غافر آية: ٣٤.
(٤) سورة غافر آية: ٣٤.
(٥) سورة غافر آية: ٣٤.
(٦) سورة غافر آية: ٣٥.
(٧) سورة غافر آية: ٣٥.
(٨) سورة غافر آية: ٣٥.
(٩) سورة غافر آية: ٣٥.
(١٠) سورة غافر آية: ٣٥.

[٣٦، ٣٧] ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ﴾ [(١)]، لوزيره، ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا ﴾ [(٢)]، والصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد وأصله من التصريح وهو الإظـهـار، ﴿ لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [(٣)]، يعني طرقها وأبوابا من سماء إلى سماء، ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [(٤)]، قراءة العامة برفع العين نسقا على قوله. (أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ)، وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين وهي قراءة حميد الأعرج، على جواب لعل بالفاء، ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ ﴾ [(٥)]، يعني موسى، ﴿ كَٰذِبٗاۚ ﴾ [(٦)]، فيما يقولون إن له ربا غيري، ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ ﴾ [(٧)]، قرأ أهل الكوفة ويعقوب (وصد) بضم الصاد نسقا على قوله: (زُيِنَ ِلفِرْعَوْنَ) قال ابن عباس: صده الله عن سبيل الهدى. وقرأ الآخرون بالفتح أي صد فرعون الناس عن السبيل. ﴿ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ۝٣٧ ﴾ [(٨)]، يعني وما كيده في إبطال آيات الله وآيات موسى إلا في خسار وهلاك.

[٣٨] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ ﴾ [(٩)]، طريق الهدى.

---

(١) سورة غافر آية: ٣٦.

(٢) سورة غافر آية: ٣٦.

(٣) سورة غافر الآيتان : ٣٦ ، ٣٧.

(٤) سورة غافر آية: ٣٧.

(٥) سورة غافر آية: ٣٧.

(٦) سورة غافر آية: ٣٧.

(٧) سورة غافر آية: ٣٧.

(٨) سورة غافر آية: ٣٧.

(٩) سورة غافر آية: ٣٨.

[٣٩] ﴿ يَـٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَـٰعٌ ﴾[١]، متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع، ﴿ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾[٢] التي لا تزول.

[٤٠] ﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[٣]، قال مقاتل: لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير.

قوله تعالى وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النارِ...

[٤١] ﴿ ۞ وَيَـٰقَوۡمِ مَا لِىٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِىٓ ﴾[٤]، يعني مالكم كما تقول العرب: مالي أراك حزينا؟ أي مالك؟ يقول: أخبروني عنكم كيف هذه الحال أدعوكـم إلى النجاة من النار بالإيمان بالله، ﴿ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾[٥]، إلى الشرك الذي يوجب النار، ثم فسر فقال:

[٤٢] ﴿ تَدۡعُونَنِى لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِى بِهِۦ عِلۡمٌ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ ﴾[٦]، العزيز في انتقامه ممن كفر، الغفار لذنوب أهل التوحيد.

[٤٣] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾[٧]، حقا، ﴿ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِىٓ إِلَيۡهِ ﴾[١]، أي إلى الوثـن، ﴿ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٌ فِى ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[٢]، فقال السدي: لا يستجيب لأحد في

---

(١) سورة غافر آية: ٣٩.
(٢) سورة غافر آية: ٣٩.
(٣) سورة غافر آية: ٤٠.
(٤) سورة غافر آية: ٤١.
(٥) سورة غافر آية: ٤١.
(٦) سورة غافر آية: ٤٢.
(٧) سورة غافر آية: ٤٣.

الدنيا ولا في الآخرة، يعني ليست له استجابة [دعوة]. وقيل: ليست به دعوة إلى عبادته في الدنيا لأن الأوثان لا تدعي الربوبية، ولا تدعو إلى عبادتنا، وفي الآخرة تتبرأ من عابديها. ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[3]، مرجعنا إلى الله فيجازي كلا بما يستحق، ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[4]، المشركين، ﴿ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾[5].

[٤٤] ﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ ﴾[6]، إذا عاينتم العذاب حين ألا ينفعكم الذكر، ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾[7]، وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[8]، يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه.

[٤٥] وذلك قوله ﷻ ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ ﴾[9]، ما أرادوا به من الشر، قال قتادة: نجا مع موسى وكان قبطيا، ﴿ وَحَاقَ ﴾[10] نزل، ﴿ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾[11]، الغرق في الدنيا والنار في الآخرة.

---

(١) سورة غافر آية: ٤٣.
(٢) سورة غافر آية: ٤٣.
(٣) سورة غافر آية: ٤٣.
(٤) سورة غافر آية: ٤٣.
(٥) سورة غافر آية: ٤٣.
(٦) سورة غافر آية: ٤٤.
(٧) سورة غافر آية: ٤٤.
(٨) سورة غافر آية: ٤٤.
(٩) سورة غافر آية: ٤٥.
(١٠) سورة غافر آية: ٤٥.
(١١) سورة غافر آية: ٤٥.

[٤٦] وذلك قوله: ﴿ ٱلنَّارُ ﴾ [١]، هي رفع على البدل من السوء، ﴿ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ [٢]، صباحا ومساء، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال: يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة. وقال قتادة ومقاتل والسدي والكلبي: تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا. ثم أخبر الله عن مستقرهم يوم القيامة فقال: ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ﴾ [٣] من الدخول، أي يقال لهم ادخلوا يا ﴿ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾ [٤]، وقيل من الإدخال، أي يقال للملائكة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. قال ابن عباس: يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ أغرقوا.

[٤٧] ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [٥]، أي اذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعني أهل النار في النار ﴿ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا ﴾ [٦]، في الدنيا، ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ ﴾ [٧]، والتبع يكون واحدا وجمعا في قول أهل البصرة، واحده تابع، وقال أهل الكوفة: هو جمع لا واحد له وجمعه أتباع.

---

(١) سورة غافر آية: ٤٦.
(٢) سورة غافر آية: ٤٦.
(٣) سورة غافر آية: ٤٦.
(٤) سورة غافر آية: ٤٦.
(٥) سورة غافر آية: ٤٧.
(٦) سورة غافر آية: ٤٧.
(٧) سورة غافر آية: ٤٧.

[٤٨، ٤٩] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۝٤٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ ﴾[1]، حين اشتد عليهم العذاب، ﴿ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩ ﴾[2].

قوله تعالى قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى...

[٥٠] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾[3] يعني خزنة جهنم لهم، ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا ﴾[4]، أنتم إذا ربكم، أي إنا لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب. قال الله تعالى. ﴿ دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠ ﴾[5]، أي يبطل ويضل ولا ينفعهم.

[٥١] قوله ﷻ ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[6]، قال ابن عباس: بالغلبة والقهر. وقال الضحاك: بالحجة وفي الآخرة بالعذاب. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم، ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل، قتل به سبعون ألفا، فهو

(١) سورة غافر آية: ٤٩.
(٢) سورة غافر آية: ٤٩.
(٣) سورة غافر آية: ٥٠.
(٤) سورة غافر آية: ٥٠.
(٥) سورة غافر آية: ٥٠.
(٦) سورة غافر آية: ٥١.

منصورون بأحد هذه الوجوه، ﴿ وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ ﴾[(١)]، يعني يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

[٥٢] ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ ﴾[(٢)]، إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم، وإن تابوا لم ينفعهم، ﴿ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ ﴾[(٣)]، البعد من الرحمة، ﴿ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢ ﴾[(٤)]، يعني جهنم.

[٥٣] ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾[(٥)]، قال مقاتل: الهدى من الضلالة، يعني التوراة، ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ۝٥٣ ﴾[(٦)]، التوراة.

[٥٤] ﴿ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٤ ﴾[(٧)].

[٥٥] ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾[(٨)]، يا محمد على أذاهم، ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾[(٩)]، في إظهار دينك، وإهلاك أعدائك ﴿ حَقّٞ ﴾[(١٠)]، قال الكلبي: نسخت آية القتال آية الصبر، ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[(١١)]، هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده،

---

(١) سورة غافر آية: ٥١.
(٢) سورة غافر آية: ٥٢.
(٣) سورة غافر آية: ٥٢.
(٤) سورة غافر آية: ٥٢.
(٥) سورة غافر آية: ٥٣.
(٦) سورة غافر آية: ٥٣.
(٧) سورة غافر آية: ٥٤.
(٨) سورة غافر آية: ٥٥.
(٩) سورة غافر آية: ٥٥.
(١٠) سورة غافر آية: ٥٥.
(١١) سورة غافر آية: ٥٥.

﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾[1]، صل شاكرا لربك، ﴿ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾[2]، قال الحسن: يعني صلاة العصر وصلاة الفجر. وقال ابن عباس: الصلوات الخمس.

[٥٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ ﴾[3]، ما في قلوبهم والصدر موضع القلب، فكنى به عن القلب لقرب الجوار، ﴿ إِلَّا كِبۡرٌ ﴾[4]، قال ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة، ﴿ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ ﴾[5]، قال مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر، لأن الله ﷻ مذلهم. قال ابن قتيبة: إن في صدورهم إلا تكبر على محمد ﷺ وطمع في أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك. قال أهل التفسير: نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويرد الملك إلينا، قال الله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ ﴾[6]، من فتنة الدجال، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[7].

[٥٧] ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[8] مع عظمهما، ﴿ أَكۡبَرُ ﴾[9]، أعظم في الصدور، ﴿ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ ﴾[1]، أي من إعادتهم بعد الموت، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

(١) سورة غافر آية: ٥٥.
(٢) سورة غافر آية: ٥٥.
(٣) سورة غافر آية: ٥٦.
(٤) سورة غافر آية: ٥٦.
(٥) سورة غافر آية: ٥٦.
(٦) سورة غافر آية: ٥٦.
(٧) سورة غافر آية: ٥٦.
(٨) سورة غافر آية: ٥٧.
(٩) سورة غافر آية: ٥٧.

ٱلنَّاسِ ﴾ [2]، يعني الكفار، ﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ ﴾ [3]، حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها. وقال قوم: أكبر أي أعظم من خلق الدجال، (ولكن أكثر الناس)، يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨ ﴾ [4]، قرأ أهل الكوفة (تتذكرون) بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم.

قوله تعالى إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون...

[٥٩] ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ [5]، أي القيامة ﴿ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا ﴾ [6]. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩ ﴾ [7].

[٦٠] ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [8] أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم وأغفر لكم، فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة، عن النعمان بن بشير قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «إن الدعاء هو العبادة» [9]، ثم قرأ: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ

(١) سورة غافر آية: ٥٧.
(٢) سورة غافر آية: ٥٧.
(٣) سورة غافر آية: ٥٧.
(٤) سورة غافر آية: ٥٨.
(٥) سورة غافر آية: ٥٩.
(٦) سورة غافر آية: ٥٩.
(٧) سورة غافر آية: ٥٩.
(٨) سورة غافر آية: ٦٠.
(٩) الترمذي تفسير القرآن (٢٩٦٩)،ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٨).

دَاخِرِينَ ۝ ﴾ [(١)] ﴿ [(٢)] عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ ﴿ من لم يدع الله غضب الله عليه ﴾ [(٣)] [(٤)] وقيل: الدعاء: هو الذكر والسؤال، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝ ﴾ [(٥)] صاغرين ذليلين.

[٦١- ٦٣] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۝ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝ كَذَٰلِكَ ﴾ [(٦)]، يعني كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل، كذلك ﴿ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝ ﴾ [(٧)].

[٦٤، ٦٥] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا ﴾ [(٨)]، فراشا، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ [(٩)] سقفا كالقبة ﴿ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ ﴾ [(١٠)] قال مقاتل: خلقكم فأحسن خلقكم. قال ابن عباس: خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده، وغير

---

(١) سورة غافر آية: ٦٠.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة ٢/ ١٤١ والترمذي في التفسير ١٢١/٩ وقال (حديث حسن صحيح) والنسائي في التفسير ٢٥٣/٢ وابن ماجه في الدعاء برقم (٣٨٢٨) ١٢٥٨/٢ والحاكم ٤٩٠/١ وصححه ووافقه الذهبي والمصنف في شرح السنة ١٨٨/٥.

(٣) الترمذي الدعوات (٣٣٧٣)،ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٧)،أحمد (٤٤٣/٢).

(٤) أخرجه أحمد (٤٤٢/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٥٨)، والترمذي (٣٣٧٣) وابن ماجه (٣٨٢٧)، والحاكم (٤٩١/١)، والمصنف في شرح السنة (رقم ١٣٨٩) .

(٥) سورة غافر آية: ٦٠.

(٦) سورة غافر الآيات من ٦١ : ٦٣.

(٧) سورة غافر آية: ٦٣.

(٨) سورة غافر آية: ٦٤.

(٩) سورة غافر آية: ٦٤.

(١٠) سورة غافر آية: ٦٤.

ابن آدم يتناول بفيه. ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾[1]، قيل: هو من غير رزق الدواب ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٤ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥ ﴾[2]، قال الفراء: هو خبر وفيه إضمار الأمر، مجازه: فادعوه واحمدوه. وروي عن مجاهد عن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله ﷻ ﴿ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥ ﴾[3].

[٦٦] ﴿ ۞قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٦ ﴾[4]، وذلك حين دعي إلى الكفر.

قوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...

[٦٧] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾[5] أي أطفالا، ﴿ ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ ﴾[6]، أي من قبل أن يصير شيخا. ﴿ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ ﴾[7]، جميعا، ﴿ أَجَلٗا

---

(١) سورة غافر آية: ٦٤.

(٢) سورة غافر الآيتان : ٦٤ ، ٦٥.

(٣) سورة غافر آية: ٦٥.

(٤) سورة غافر آية: ٦٦.

(٥) سورة غافر آية: ٦٧.

(٦) سورة غافر آية: ٦٧.

(٧) سورة غافر آية: ٦٧.

مُّسَمًّى ﴾ (1)، وقتا معلوما محدودا لا تجاوزونه، يريد أجل الحياة إلى الموت، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (2)، أي لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته.

[68، 69] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (3)، يعني القرآن يقولون ليس من عند الله، ﴿ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ (4)، كيف يصرفون عن دين الحق. قيل: هم المشركون. وعن محمد بن سيرين وجماعة: إنا نزلت في القدرية.

[70، 71] ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ (5)، يجرون.

[72] ﴿ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (6)، قال مقاتل: توقد بهم النار. وقال مجاهد: يصيرون وقودا للنار.

[73، 74] ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (7) يعني الأصنام، ﴿ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا ﴾ (8)، فقدناهم فلا نراهم، ﴿ بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن

---

(1) سورة غافر آية: 67.

(2) سورة غافر آية: 67.

(3) سورة غافر الآيتان : 68 ، 69.

(4) سورة غافر آية: 69.

(5) سورة غافر الآيتان : 70 ، 71.

(6) سورة غافر آية: 72.

(7) سورة غافر الآيتان : 73 ، 74.

(8) سورة غافر آية: 74.

قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [1]، قيل: أنكروا. وقيل: معناه بل لم نكن ندعو من قبل شيئا ينفع ويضر. وقال الحسين بن الفضل: أي لم نكن نصنع من قبل شيئا أي ضاعت عبادتنا لها، كما يقول من ضاع عمله: ما كنت أعمل شيئا. قال الله ﷻ ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ [2] أي كما أضل هؤلاء، ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [3].

[٧٥] ﴿ ذَٰلِكُم ﴾ [4] العذاب الذي نزل بكم، ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴾ [5] تبطرون وتأشرون، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [6] تفرحون وتختالون.

[٧٦، ٧٧] ﴿ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾ [7]، بنصرك، ﴿ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ ﴾ [8]، من العذاب في حياتك، ﴿ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [9]، قبل أن يحل ذلك بهم، ﴿ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [10].

(١) سورة غافر آية: ٧٤.
(٢) سورة غافر آية: ٧٤.
(٣) سورة غافر آية: ٧٤.
(٤) سورة غافر آية: ٧٥.
(٥) سورة غافر آية: ٧٥.
(٦) سورة غافر آية: ٧٥.
(٧) سورة غافر الآيتان : ٧٦ ، ٧٧.
(٨) سورة غافر آية: ٧٧.
(٩) سورة غافر آية: ٧٧.
(١٠) سورة غافر آية: ٧٧.

قوله تعالى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...

[٧٨] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ [(١)]، خبرهم في القرآن، ﴿ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ﴾ [(٢)]، بأمر الله وإرادته، ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [(٣)]، قضاؤه بين الأنبياء والأمم، ﴿ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [(٤)].

[٧٩،٨٠] ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ﴾ [(٥)]، بعضها، ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ [(٦)]، في أصوافها وأوبارها وأشعـارها وألبـانها. ﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ [(٧)]، تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد ولتبلغوا عليها حاجاتكم، ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [(٨)]، أي على الإبل في البر وعلى السفن في البحر، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [(٩)].

---

(١) سورة غافر آية: ٧٨.
(٢) سورة غافر آية: ٧٨.
(٣) سورة غافر آية: ٧٨.
(٤) سورة غافر آية: ٧٨.
(٥) سورة غافر آية: ٧٩.
(٦) سورة غافر الآيتان : ٧٩ ، ٨٠.
(٧) سورة غافر آية: ٨٠.
(٨) سورة غافر آية: ٨٠.
(٩) سورة الإسراء آية: ٧٠.

[٨١] ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[(١)]، دلائل قدرته، ﴿ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[(٢)].

[٨٢] ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[(٣)]، يعني مصانعهم وقصورهم، ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم ﴾[(٤)]، لم ينفعهم، ﴿ مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[(٥)]، وقيل: هو بمعنى الاستفهام، ومجازه: أي شيء أغنى عنهم كسبهم؟

[٨٣،٨٤] ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ ﴾[(٦)]، رضوا، ﴿ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[(٧)]، قال مجاهد هو قولهم: نحن أعلم لن نبعث ولن نعذب، سمي ذلك علما على ما يدعونه وهو في الحقيقة جهل. ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[(٨)]، يعني تبرأنا مما كنا نعدل بالله.

---

(١) سورة غافر آية: ٨١.
(٢) سورة غافر آية: ٨١.
(٣) سورة غافر آية: ٨٢.
(٤) سورة غافر آية: ٨٢.
(٥) سورة غافر آية: ٨٢.
(٦) سورة غافر آية: ٨٣.
(٧) سورة غافر آية: ٨٣.
(٨) سورة غافر الآيتان : ٨٣ ، ٨٤.

[٨٥] ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ ﴾[١]، عذابنا، ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ﴾[٢]، قال نصبها بـ ع الخافض، أي كسنة الله. وقيل: على المصدر. وقيل: على الإغراء أي احذروا سنة الله، ﴿ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ ﴾[٣]، وتلك السنة أنهم إذا عاينوا عذاب الله آمنوا، ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب. ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٥ ﴾[٤]، بذهاب نعيم الدارين، قال الزجاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنهم يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.

(١) سورة غافر آية: ٨٥.
(٢) سورة غافر آية: ٨٥.
(٣) سورة غافر آية: ٨٥.
(٤) سورة غافر آية: ٨٥.

(٤١) سورة فصلت

قوله تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون...

[١، ٢] ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ [1]، قال الأخفش: تـ يل مبتدأ وخبره قوله عز وجل

[٣] ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [2] بينـت آياتـه ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾ [3]، اللسان العربي ولو كان بغير لسانم ما علموه ونصب قرآنا بوقوع البيان عليه أي فصلناه قرآنا.

[٤] ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [4]، نعتان للقرآن أي بشيرا لأولياء الله ونذيرا لأعدائـه، ﴿ فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ ﴾ [5]، أي لا يصغون إليه تكبرا.

[٥] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ [6]، يعني مشركي مكة ﴿ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ ﴾ [7]، في أغطية، ﴿ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ [8]، فلا نفقه ما تقول، ﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ ﴾ [9]، صمم فلا نسمع ما تقول، والمعنى: إنا في ترك القبول عندك بم لة من لا يفهم ولا يسمع، ﴿ وَمِنۢ

---

(١) سورة فصلت الآيتان : ١ ، ٢.
(٢) سورة فصلت آية: ٣.
(٣) سورة فصلت آية: ٣.
(٤) سورة فصلت آية: ٤.
(٥) سورة فصلت آية: ٤.
(٦) سورة فصلت آية: ٥.
(٧) سورة فصلت آية: ٥.
(٨) سورة فصلت آية: ٥.
(٩) سورة فصلت آية: ٥.

بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [1]، خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على ما تقول، ﴿ فَٱعْمَلْ ﴾ [2]، أنت على دينك، ﴿ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ۝ ﴾ [3]، على ديننا.

[٦] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [4]، يعني كواحد منكم ولولا الوحي ما دعوتكم، وهو قوله: ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [5]، قال الحسن: علمه الله التواضع، ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [6]، توجهوا إليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله، ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ ﴾ [7]، من ذنوبكم، ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ﴾ [8].

[٧] ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [9]، قال ابن عباس: الذين لا يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد. وقال الحسن وقتادة: لا يقرون بالزكاة ولا يرون إيتاءها واجبا وكان يقول: الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك.

وقال الضحاك ومقاتل: لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون. وقال مجاهد: لا يزكون أعمالهم ﴿ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ۝ ﴾ [10].

---

(١) سورة فصلت آية: ٥.

(٢) سورة فصلت آية: ٥.

(٣) سورة فصلت آية: ٥.

(٤) سورة فصلت آية: ٦.

(٥) سورة فصلت آية: ٦.

(٦) سورة فصلت آية: ٦.

(٧) سورة فصلت آية: ٦.

(٨) سورة فصلت آية: ٦.

(٩) سورة فصلت آية: ٧.

(١٠) سورة فصلت آية: ٧.

[٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ (١)، قال ابن عباس: غير مقطوع. وقال مقاتل: غير منقوص، ومنه المنون لأنه ينقص منة الإنسان وقوته، وقيل: غير ممنون عليهم به. وقال مجاهد: غير محسوب. وقال السدي: نزلت هذه الآيه في المرضى والزمنى والهرمى، إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم كأصح ما كانوا يعملون فيه.

[٩] قوله ﷻ ﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾ (٢)، يوم الأحد ويوم الاثنين، ﴿ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٣).

[١٠] ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا ﴾ (٤) أي في الأرض، ﴿ رَوَٰسِيَ ﴾ (٥) جبالا ثوابت، ﴿ مِن فَوۡقِهَا ﴾ (٦)، من فوق الأرض، ﴿ وَبَٰرَكَ فِيهَا ﴾ (٧) أي في الأرض بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار، ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا ﴾ (٨)، قال الحسن ومقاتل: قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم. وقال عكرمة والضحاك: قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد. قال الكلبي: قدر الخبز لأهل قطر والذرة لأهل قطر والسمك لأهل قطر وكذلك أقواتها. ﴿ فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ ﴾ (٩)، يريد خلق ما في الأرض وقدر الأقوات في يومين يوم الثلاثاء والأربعاء فهما

(١) سورة فصلت آية: ٨.
(٢) سورة فصلت آية: ٩.
(٣) سورة فصلت آية: ٩.
(٤) سورة فصلت آية: ١٠.
(٥) سورة فصلت آية: ١٠.
(٦) سورة فصلت آية: ١٠.
(٧) سورة فصلت آية: ١٠.
(٨) سورة فصلت آية: ١٠.
(٩) سورة فصلت آية: ١٠.

مع الأحد والاثنين أربعة أيام، رد الآخـر على الأول في الذكـر ﴿ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[1] قرأ أبو جعفر (سَوَآءٌ) رفع على الابتداء أي هي سواء، وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله: ﴿ فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ ﴾[2]، وقرأ الآخرون (سواء) نصب على المصدر استوت استواء، ومعناه: سواء للسائلين عن ذلك. قال قتادة والسدي: من سأل عنه فهكذا الأمر سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الأرض والأقوات؟

[١١] ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[3]، أي عمد إلى خلق السمـاء، ﴿ وَهِيَ دُخَانٞ ﴾[4]، وكان ذلك الدخان بخار الـماء، ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا ﴾[5]، أي: ائتيا ما آمركما أي: افعلاه، كما يقال: ائت ما هذا الأحسن أي افعله. وقال طاوس عن ابن عباس: ائتيا أعطيا، يعني: أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد. قال ابن عباس: قال الله ﷻ أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشقي أنارك وأخرجي ثمارك ونباتك، وقال لهما افعلا ما آمركما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها فأجابتا بالطوع، ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾[6]، ولم يقل طائعتين لأنه ذهب به إلى السماوات والأرض ومن فيهن، مجازه: أتينا بما فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل.

---

(١) سورة فصلت آية: ١٠.

(٢) سورة فصلت آية: ١٠.

(٣) سورة فصلت آية: ١١.

(٤) سورة فصلت آية: ١١.

(٥) سورة فصلت آية: ١١.

(٦) سورة فصلت آية: ١١.

قوله تعالى فَقَضَاهُن سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْن وَأَوْحَى فِي كُل سَمَاءٍ أَمْرَهَا...

[١٢] ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾ (١)، أي أتمهن وفرغ من خلقهن، ﴿ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ ﴾ (٢)، قال عطاء عن ابن عباس: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله. وقال قتادة والسدي. يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل: وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة. ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ (٣)، وكواكب، ﴿ وَحِفۡظٗاۚ ﴾ (٤) لها، ونصب حفظا على المصدر، أي حفظناها بالكواكب حفظا من الشياطين الذين يسترقون السمع، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ (٥)، الذي ذكر من صنعه، ﴿ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ (٦)، في ملكه، ﴿ ٱلۡعَلِيمِ ١٢ ﴾ (٧)، بخلقه.

[١٣] قوله ﷻ ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ ﴾ (٨)، يعني هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان، ﴿ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ ﴾ (٩)، خوفتكم، ﴿ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ ﴾ (١) أي هلاكا مثل هلاكهم، والصاعقة: المهلكة من كل شيء.

---

(١) سورة فصلت آية: ١٢.
(٢) سورة فصلت آية: ١٢.
(٣) سورة فصلت آية: ١٢.
(٤) سورة فصلت آية: ١٢.
(٥) سورة فصلت آية: ١٢.
(٦) سورة فصلت آية: ١٢.
(٧) سورة فصلت آية: ١٢.
(٨) سورة فصلت آية: ١٣.
(٩) سورة فصلت آية: ١٣.

[١٤] ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ﴾ (٢)، يعني عادا أو ثمودا، ﴿ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ (٣)، أراد بقوله: ﴿ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٤) الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ (٥) يعني من بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أرسلوا إليهم هود وصالح، فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى عاد وثمود وفي قوله (ومن خلفهم) راجعة إلى الرسل، ﴿ أَلَّا ﴾ (٦) بأن لا ﴿ تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ ﴾ (٧) بدل هؤلاء الرسل، ﴿ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ (٨)، أي لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة، ﴿ فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٩)

[١٥] قولـه ﷻ ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ ﴾ (١٠)، وذلك أن هودا هددهم بالعذاب، فقالوا: من أشد منا قوة، ونحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا، وكانوا ذوي أجسـام طـوال، قـال الله تعالى ردا

---

(١) سورة فصلت آية: ١٣.

(٢) سورة فصلت آية: ١٤.

(٣) سورة فصلت آية: ١٤.

(٤) سورة فصلت آية: ١٤.

(٥) سورة فصلت آية: ١٤.

(٦) سورة فصلت آية: ١٤.

(٧) سورة فصلت آية: ١٤.

(٨) سورة فصلت آية: ١٤.

(٩) سورة فصلت آية: ١٤.

(١٠) سورة فصلت آية: ١٥.

عليهم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

[١٦] ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾[2]، عاصفة شديدة الصوت، من الصرة وهي الصيحة. وقيل: هي الباردة من الصر وهو البرد، ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾[3]، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (نَحْسات) بسكون الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها نكدات مشئومات ذات نحوس. وقال الضحاك: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر، ﴿ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ﴾[4]، أي عذاب الهون والذل، ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى ﴾[5]، أشد إهانة ﴿ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[6].

[١٧] ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[7]، دعوناهم، قاله مجاهد، وقال ابن عباس: بينا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله: ﴿ هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾[8]، ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾[9] فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ

---

(١) سورة فصلت آية: ١٥.

(٢) سورة فصلت آية: ١٦.

(٣) سورة فصلت آية: ١٦.

(٤) سورة فصلت آية: ١٦.

(٥) سورة فصلت آية: ١٦.

(٦) سورة فصلت آية: ١٦.

(٧) سورة فصلت آية: ١٧.

(٨) سورة الإنسان آية: ٣.

(٩) سورة فصلت آية: ١٧.

ﵟٱلۡعَذَابِﵞ [1]، أي هلكة العذاب ﵟٱلۡهُونِﵞ [2]، أي ذي الهون وهو الذي يهينهم، ويجزيهم ﵟبِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧ﵞ [3].

[١٨،١٩] ﵟوَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ١٨ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِﵞ [4]، قرأ نافع ويعقوب: (نحشر) بالنون، (أعداء) نصب، وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين (أعداء) رفع أي يجمع إلى النار ﵟفَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩ﵞ [5]، يساقون ويدفعون إلى النار، وقال قتادة والسدي: يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

[٢٠] ﵟحَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَاﵞ [6] جاءوا النار ﵟشَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُمﵞ [7]، أي بشراتم، ﵟبِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ﵞ [8]، وقال السدي وجماعة: المراد بالجلد الفروج. وقال مقاتل: تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم.

قوله تعالى وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ...

[٢١] ﵟوَقَالُواْﵞ [9]، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﵟلِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖﵞ [10]، تم الكلام هاهنا. وقال الله

(١) سورة فصلت آية: ١٧.
(٢) سورة فصلت آية: ١٧.
(٣) سورة فصلت آية: ١٧.
(٤) سورة فصلت الآيتان : ١٨ ، ١٩.
(٥) سورة فصلت آية: ١٩.
(٦) سورة فصلت آية: ٢٠.
(٧) سورة فصلت آية: ٢٠.
(٨) سورة فصلت آية: ٢٠.
(٩) سورة فصلت آية: ٢١.
(١٠) سورة فصلت آية: ٢١.

تعالى، ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (١)، وليس هذا من جواب الجلود، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢).

[٢٢] ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ (٣)، أي: تستخفون - عند أكثر أهل العلم. وقال مجاهد: تتقون. وقال قتادة: تظنون. ﴿ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٤).

[٢٣] قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ (٥)، أهلككم، أي: ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، أرداكم. قال ابن عباس: طرحكم في النار، ﴿ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٦) ثم أخبر عن حالهم فقال:

[٢٤] ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (٧)، مسكن لهم، ﴿ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ ﴾ (٨)، يسترضوا وطلبوا العتبى، ﴿ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٩)، المرضين، والمعتب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل، يقال: أعتبني فلان أي أرضاني بعد إسخاطه إياي، واستعتبه طلبت منه أن يعتب أي يرضى.

---

(١) سورة فصلت آية: ٢١.
(٢) سورة فصلت آية: ٢١.
(٣) سورة فصلت آية: ٢٢.
(٤) سورة فصلت آية: ٢٢.
(٥) سورة فصلت آية: ٢٣.
(٦) سورة فصلت آية: ٢٣.
(٧) سورة فصلت آية: ٢٤.
(٨) سورة فصلت آية: ٢٤.
(٩) سورة فصلت آية: ٢٤.

[٢٥] ﴿ ۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ ﴾[1]، أي بعثنا ووكلنا، وقال مقاتل: هيأنا. وقال الزجاج: سببنا لهم. ﴿ قُرَنَآءَ ﴾[2]، نظراء من الشياطين حتى أضلوهم، ﴿ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[3]، من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة، ﴿ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾[4]، من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث، ﴿ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ ﴾[5] مع أمم ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥ ﴾[6]

[٢٦] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[7]، من مشركي قريش، ﴿ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ ﴾[8]، قال ابن عباس: يعني الغطوا فيه، وكان بعضهم يوصي إلى بعض. إذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو. قال مجاهد: والغوا فيه بالْمُكاء والصفير. وقال الضحاك: أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول. وقال السدي: صيحوا في وجهه. ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾[9]، محمدا على قراءته.

[٢٧] ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي ﴾[10]، يعني بأسوأ الذي، أي بأقبح الذي، ﴿ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧ ﴾[1]، في الدنيا وهو الشرك بالله.

---

(١) سورة فصلت آية: ٢٥.

(٢) سورة فصلت آية: ٢٥.

(٣) سورة فصلت آية: ٢٥.

(٤) سورة فصلت آية: ٢٥.

(٥) سورة فصلت آية: ٢٥.

(٦) سورة فصلت آية: ٢٥.

(٧) سورة فصلت آية: ٢٦.

(٨) سورة فصلت آية: ٢٦.

(٩) سورة فصلت آية: ٢٦.

(١٠) سورة فصلت آية: ٢٧.

[٢٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[٢]، الذي ذكرت من العذاب الشديد، ﴿ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ﴾[٣]، ثم بين ذلك الجزاء فقال: ﴿ ٱلنَّارُ ﴾[٤]، أي هو النار، ﴿ لَهُمۡ فِيهَا ﴾[٥]، أي في النار، ﴿ دَارُ ٱلۡخُلۡدِ ﴾[٦]، دار الإقامة لا انتقال منها، ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٧].

[٢٩] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[٨]، أي في النار يقولون، ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾[٩]، يعنون إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأنهما سنا المعصية، ﴿ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا ﴾[١٠]، في النار ﴿ لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[١١]، ليكونا في الدرك الأسفل من النار. قال ابن عباس: ليكونا أشد عذابا منا.

---

(١) سورة فصلت آية: ٢٧.
(٢) سورة فصلت آية: ٢٨.
(٣) سورة فصلت آية: ٢٨.
(٤) سورة فصلت آية: ٢٨.
(٥) سورة فصلت آية: ٢٨.
(٦) سورة فصلت آية: ٢٨.
(٧) سورة فصلت آية: ٢٨.
(٨) سورة فصلت آية: ٢٩.
(٩) سورة فصلت آية: ٢٩.
(١٠) سورة فصلت آية: ٢٩.
(١١) سورة فصلت آية: ٢٩.

قوله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا...

[٣٠] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ [١]، سئل أبو بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئا. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه أخلصوا العمل لله. وقال علي رضي الله عنه أدوا الفرائض. وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض. وقال الحسن: استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته. وقال مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [٢]، قال ابن عباس: عند الموت. وقال قتادة ومقاتل: إذ قاموا من قبورهم. قال وكيع بن الجراح: البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث. ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ ﴾ [٣]، من الموت. وقال مجاهد: لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة. ﴿ وَلَا تَحۡزَنُواْ ﴾ [٤]، على ما خلفتم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم، ﴿ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٥].

[٣١] ﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ ﴾ [٦]، تقول لهم الملائكة الذين تـ ل عليهم بالبشارة: نحن أولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم، ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [١]، أي في الدنيا

---

(١) سورة فصلت آية: ٣٠.

(٢) سورة فصلت آية: ٣٠.

(٣) سورة فصلت آية: ٣٠.

(٤) سورة فصلت آية: ٣٠.

(٥) سورة فصلت آية: ٣٠.

(٦) سورة فصلت آية: ٣١.

والآخرة. قال السدي: تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ ﴾[2]، من الكرامات واللذات، ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا ﴾[3]، في الجنة ﴿ مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[4]، تتمنون.

[٣٢،٣٣] ﴿ نُزُلاً ﴾[5] رزقا، ﴿ مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[6]، إلى طاعته، ﴿ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[7]، قال ابن سيرين. هو رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله. وقال الحسن: هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني مع المسلمين. وقالت عائشة: أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين. وقال عكرمة. هو المؤذن أبو إمامة الباهلي، وعمل صالحا صلى ركعتين بين الأذان والإقامة. وقال قيس بن أبي حازم: هو الصلاة بين الأذان الإقامة.

[٣٤] قوله ﷻ ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾[8]، قال الفراء: (لا) هاهنا صلة، معناه: لا تستوي الحسنة والسيئة، يعني الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعفو

---

(١) سورة فصلت آية: ٣١.
(٢) سورة فصلت آية: ٣١.
(٣) سورة فصلت آية: ٣١.
(٤) سورة فصلت آية: ٣١.
(٥) سورة فصلت آية: ٣٢.
(٦) سورة فصلت الآيتان : ٣٢ ، ٣٣.
(٧) سورة فصلت آية: ٣٣.
(٨) سورة فصلت آية: ٣٤.

والإساءة. ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]، قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة. ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ ﴾[2]، يعني إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذي بينك وبينه عداوة، ﴿ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾[3]، كالصديق والقريب. قال مقاتل بن حيان: نزلت في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ ثم أسلم فصار وليا بالإسلام، حميما بالقرابة.

[٣٥] ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾[4]، ما يلقى هذه الخصلة وهي دفـع السيئـة بالحسنـة، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾[5]، على كظم الغيظ واحتمال المكروه، ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾[6]، في الخير والثواب، وقال قتادة: الحظ العظيم الجنة، أي ما يلقاها إلا من وجبت له الجنة.

[٣٦] ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾[7]، لاستعاذتك وأقوالك، ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ ﴾[8]، بأفعالك وأحوالك.

---

(١) سورة فصلت آية: ٣٤.

(٢) سورة فصلت آية: ٣٤.

(٣) سورة فصلت آية: ٣٤.

(٤) سورة فصلت آية: ٣٥.

(٥) سورة فصلت آية: ٣٥.

(٦) سورة فصلت آية: ٣٥.

(٧) سورة فصلت آية: ٣٦.

(٨) سورة فصلت آية: ٣٦.

[٣٧] قوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾[١]، إنما قال ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾[٢] بالتأنيث لأنه أجراها على طريق جمع التكسير، ولم يجرها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث، ﴿ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ ﴾[٣].

[٣٨] ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾[٤]، عن السجود، ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾[٥]، يعني الملائكة ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ٣٨ ﴾[٦] لا يملون ولا يفترون.

قوله تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ...

[٣٩] ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾[٧]، دلائل قدرته، ﴿ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً ﴾[٨] يابسة غبراء لا نبات فيها، ﴿ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾[٩].

[٤٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾[١٠]، يميلون عن الحق في أدلتنا، قال مجاهد: يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط. قال قتادة: يكذبون في آياتنا. قال

(١) سورة فصلت آية: ٣٧.
(٢) سورة فصلت آية: ٣٧.
(٣) سورة فصلت آية: ٣٧.
(٤) سورة فصلت آية: ٣٨.
(٥) سورة فصلت آية: ٣٨.
(٦) سورة فصلت آية: ٣٨.
(٧) سورة فصلت آية: ٣٩.
(٨) سورة فصلت آية: ٣٩.
(٩) سورة فصلت آية: ٣٩.
(١٠) سورة فصلت آية: ٤٠.

السدي: يعاندون ويشاقون. قال مقاتل: نزلت في أبي جهل. ﴿ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ ﴾[1]، وهو أبو جهل، ﴿ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾[2]، قيل: هو حمزة. وقيل: عثمان. وقيل: عمار بن يا سر. ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ ﴾[3]، أمر تديد ووعيد، ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[4]، عالم فيجازيكم به.

[٤١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ ﴾[5]، بالقرآن، ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ ﴾[6]، ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب: (إن الذين كفروا)، على تقدير الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم. وقيل: خبره قوله من بعد: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[7]، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ﴾[8]، قال الكلبي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: كريم على الله: قال قتادة: أعزه الله عز وجل فلا يجد الباطل إليه سبيلا.

[٤٢] وهو قوله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ ﴾[9]، قال قتادة والسدي: الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه. قال الحجاج: معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وعلى هذا معنى: الباطل الزيادة والنقصان. وقال مقاتل: لا يأتيه التكذيب من

---

(١) سورة فصلت آية: ٤٠.
(٢) سورة فصلت آية: ٤٠.
(٣) سورة فصلت آية: ٤٠.
(٤) سورة فصلت آية: ٤٠.
(٥) سورة فصلت آية: ٤١.
(٦) سورة فصلت آية: ٤١.
(٧) سورة فصلت آية: ٤٤.
(٨) سورة فصلت آية: ٤١.
(٩) سورة فصلت آية: ٤٢.

الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله. ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[1]، ثم عزّى نبيه ﷺ على تكذيبهم.

[٤٣] فقال: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ ﴾[2]، من الأذى، ﴿ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾[3]، يقول إنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك ساحر كما يقال لك، وكُذبوا كما كذبت، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾[4]، لمن تاب وآمن بك ﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾[5]، لمن أصر على التكذيب.

[٤٤] ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَهُ ﴾[6]، أي جعلنا هذا الكتاب الذي تقـرؤه على النـاس، ﴿ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴾[7]، بغير لغة العرب، ﴿ لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَتُهُۥٓ ﴾[8]، هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها، ﴿ ءَاْعْجَمِىٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾[9]، يعني أكتاب أعجمي ورسول عربي؟ وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي أنهم كانوا يقولون: المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي.

قال مقاتل: وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي، وكان يهوديا أعجميا، يعني أبا فكيهة، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار فضربه سيده،

(١) سورة فصلت آية: ٤٢.
(٢) سورة فصلت آية: ٤٣.
(٣) سورة فصلت آية: ٤٣.
(٤) سورة فصلت آية: ٤٣.
(٥) سورة فصلت آية: ٤٣.
(٦) سورة فصلت آية: ٤٤.
(٧) سورة فصلت آية: ٤٤.
(٨) سورة فصلت آية: ٤٤.
(٩) سورة فصلت آية: ٤٤.

وقال: إنك تعلم محمدا، فقال يسار: هو يعلمني، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ قُلۡ ﴾[(١)]، يا محمد ﴿ هُوَ ﴾[(٢)]، يعني القرآن، ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ ﴾[(٣)] لما في القلوب، وقيل: شفاء من الأوجاع، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ ﴾[(٤)]، قال قتادة: عموا عن القرآن وصموا عنه فلا ينتفعون به، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٤٤ ﴾[(٥)]، أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون.

[٤٥] ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ ﴾[(٦)]، فمصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك، ﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ ﴾[(٧)]، في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن، ﴿ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾[(٨)]، لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم، ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ ﴾[(٩)]، من صدقك، ﴿ مُرِيبٖ ۝٤٥ ﴾[(١٠)]، موقع لهم الريبة.

---

(١) سورة فصلت آية: ٤٤.

(٢) سورة فصلت آية: ٤٤.

(٣) سورة فصلت آية: ٤٤.

(٤) سورة فصلت آية: ٤٤.

(٥) سورة فصلت آية: ٤٤.

(٦) سورة فصلت آية: ٤٥.

(٧) سورة فصلت آية: ٤٥.

(٨) سورة فصلت آية: ٤٥.

(٩) سورة فصلت آية: ٤٥.

(١٠) سورة فصلت آية: ٤٥.

[٤٦] ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦ ﴾ [(١)].

قوله تعالى: إِلَيْهِ يُرَد عِلْمُ الساعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أكْمَامِهَا...

[٤٧] ﴿ ۞إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ ﴾ [(٢)]، أي علمها إذا سئل عنها مردود إليه لا يعلمه غيره، ﴿ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا ﴾ [(٣)] أوعيتها واحدها: كِم ﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ ﴾ [(٤)]، إلا بإذنه، يقول: يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ ﴾ [(٥)]، ينادي الله المشركين، ﴿ أَيۡنَ شُرَكَآءِي ﴾ [(٦)]، الذين كنتم تزعمون أنا آلهة، ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ [(٧)]، يعني المشركين، ﴿ ءَاذَنَّٰكَ ﴾ [(٨)]، أعلمناك، ﴿ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧ ﴾ [(٩)]، أي من شاهد بأن لك شريكا لما عاينوا العذاب تبرءوا من الأصنام.

[٤٨] ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ ﴾ [(١٠)]، يعبدون، ﴿ مِن قَبۡلُۖ ﴾ [(١)] في الدنيا، ﴿ وَظَنُّواْ ﴾ [(٢)]، أيقنوا، ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٤٨ ﴾ [(٣)]، مهرب.

---

(١) سورة فصلت آية: ٤٦.
(٢) سورة فصلت آية: ٤٧.
(٣) سورة فصلت آية: ٤٧.
(٤) سورة فصلت آية: ٤٧.
(٥) سورة فصلت آية: ٤٧.
(٦) سورة فصلت آية: ٤٧.
(٧) سورة فصلت آية: ٤٧.
(٨) سورة فصلت آية: ٤٧.
(٩) سورة فصلت آية: ٤٧.
(١٠) سورة فصلت آية: ٤٨.

[٤٩] ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾[4]، لا يمل الكافر، ﴿ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ ﴾[5] لا يزال يسأل ربه الخير، يعني المال والغنى والصحة، ﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾[6]، الشدة والفقر، ﴿ فَيَـُٔوسٌ ﴾[7]، من روح الله، ﴿ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[8]، من رحمته.

[٥٠] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾[9]، آتيناه خيرا وعافية وغنى، ﴿ مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾[10]، من بعد شدة وبلاء أصابته، ﴿ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى ﴾[11]، أي بعملي وأنا محبوب بذا، ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾[12]، يقول هذا الكافر لست على يقين من البعث، فإن كان الأمر على ذلك، ورددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى، أي الجنة أي كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في

---

(١) سورة فصلت آية: ٤٨.
(٢) سورة فصلت آية: ٤٨.
(٣) سورة فصلت آية: ٤٨.
(٤) سورة فصلت آية: ٤٩.
(٥) سورة فصلت آية: ٤٩.
(٦) سورة فصلت آية: ٤٩.
(٧) سورة فصلت آية: ٤٩.
(٨) سورة فصلت آية: ٤٩.
(٩) سورة فصلت آية: ٥٠.
(١٠) سورة فصلت آية: ٥٠.
(١١) سورة فصلت آية: ٥٠.
(١٢) سورة فصلت آية: ٥٠.

الآخرة. ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾[1]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: لنوقفنهم على مساوئ أعمالهم، ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ ﴾[2].

[٥١] ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝ ﴾[3]، كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، يقال: أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض، أي أكثر.

[٥٢] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ ﴾[4]، هذا القرآن ﴿ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝ ﴾[5]، خلاف للحق بعيد عنه أي فلا أحد أضل منكم.

[٥٣] ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾[6]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يعني منازل الأمم الخالية. ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[7]، بالبلاء والأمراض. وقال قتادة: في الآفاق يعني وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم يوم بدر. وقال مجاهد والحسن والسدي والكلبي: في الآفاق ما يفتح من القرى على محمد ﷺ والمسلمين، وفي أنفسهم فتح مكة. ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[8]، يعني دين الإسلام. وقيل: القرآن يتبين لهم أنه من عند الله.

---

(١) سورة فصلت آية: ٥٠.
(٢) سورة فصلت آية: ٥٠.
(٣) سورة فصلت آية: ٥١.
(٤) سورة فصلت آية: ٥٢.
(٥) سورة فصلت آية: ٥٢.
(٦) سورة فصلت آية: ٥٣.
(٧) سورة فصلت آية: ٥٣.
(٨) سورة فصلت آية: ٥٣.

وقيل: محمد ﷺ يتبين لهم أنه مؤيد من قبل الله تعالى. وقال عطاء وابن زيد: في الآفاق يعني أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنار، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، حتى يتبين لهم أنه الحق. ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [1]، قال مقاتل: أولم يكف بربك لأنه على كل شيء شهيد شاهد لا يغيب عنه شيء.

[٥٤] ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ ﴾ [2]، في شك من البعث، ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ [3]، أحاط بكل شيء علما.

---

(١) سورة فصلت آية: ٥٣.

(٢) سورة فصلت آية: ٥٤.

(٣) سورة فصلت آية: ٥٤.

(٤٢) سورة الشورى

قوله تعالى حم عسق كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ...

[١، ٢] ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ ﴾ [(١)]، سئل الحسين بن الفضل لِمَ يُقَطع حم عسق ولم يُقطع كهيعص؟ فقال: لأنها سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره، ولأنها عُدا آيتين، وأخواتها مثل كهيعص المص المر عدت آية واحدة. وقيل: لأن أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجي لا غير، واختلفوا في حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا، وقال: معناها: حم أي قضي ما هو كائن، وروى عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: ح حلمه، م مجده، ع علمه، س سناؤه، ق قدرته، أقسم الله بها. وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح: ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش، م ملك يتحول من قوم إلى قوم، ع عدو لقريش يقصدهم، س سبئ يكون فيهم، ق قدرة الله النافذة في خلقه، وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه حم عسق.

[٣] فلذلك قال: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ ﴾ [(٢)]، وقرأ ابن كثير (يوحى) بفتح الحاء وحجته قوله: (أوحينا إليك)، ﴿ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ [(٣)]، وعلى هذه القراءة قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ﴾ [(٤)]، تبيين للفاعل كأنه قيل: من يوحي؟ فقيل: الله العزيز الحكيم، وقرأ الآخرون (يوحي) بكسر الحاء، إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم. قال عطاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: يريد أخبار الغيب.

---

(١) سورة الشورى الآيتان : ١ ، ٢.

(٢) سورة الشورى آية: ٣.

(٣) سورة الشورى آية: ٣.

(٤) سورة الشورى آية: ٣.

[٤، ٥] ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ ﴾[1]، أي كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين: ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴾[2] نظيره في سورة مريم: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾[3]. ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾[4]، من المؤمنين، ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾[5]

[٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾[6]، يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها، ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾[7]، لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم.

[٧] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾[8]، مثل ما ذكرنا، ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾[9]، مكة يعني أهلها، ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[10]، يعني قرى الأرض كلها، ﴿

---

(١) سورة الشورى الآيتان : ٤ ، ٥.
(٢) سورة البقرة آية: ١١٦.
(٣) سورة مريم الآيات من ٨٨ : ٩٠.
(٤) سورة الشورى آية: ٥.
(٥) سورة الشورى آية: ٥.
(٦) سورة الشورى آية: ٦.
(٧) سورة الشورى آية: ٦.
(٨) سورة الشورى آية: ٧.
(٩) سورة الشورى آية: ٧.
(١٠) سورة الشورى آية: ٧.

﴿ وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ ﴾[1] أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين وأهل السماوات والأرضين، ﴿ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾[2]، لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾[3] فضل من الله، ﴿ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧ ﴾[4] عدل من الله -عزّ وجلّ.

[٨] قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[5]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: على دين واحد. وقال مقاتل: على ملة الإسلام كقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ ﴾[6]، ﴿ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾[7]، في دين الإسلام، ﴿ وَٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[8]، الكافرون، ﴿ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ ﴾[9]، يدفع عنهم العذاب، ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨ ﴾[10]، يمنعهم من النار.

---

(١) سورة الشورى آية: ٧.
(٢) سورة الشورى آية: ٧.
(٣) سورة الشورى آية: ٧.
(٤) سورة الشورى آية: ٧.
(٥) سورة الشورى آية: ٨.
(٦) سورة الأنعام آية: ٣٥.
(٧) سورة الشورى آية: ٨.
(٨) سورة الشورى آية: ٨.
(٩) سورة الشورى آية: ٨.
(١٠) سورة الشورى آية: ٨.

[٩] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ ﴾[١]، بل اتخذوا أي الكافرون، ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ﴾[٢]، أي من دون الله، ﴿ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ ﴾[٣]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: وليك يا محمد وولي من اتبعك، ﴿ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٩ ﴾[٤].

[١٠] ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ ﴾[٥]، من أمر الدين، ﴿ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾[٦]، يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٧]، الذي يحكم بين المختلفين هو ﴿ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠ ﴾[٨].

قوله تعالى فَاطِرُ السمَاوَاتِ وَالْأَرض جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ...

[١١] ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴾[٩]، من مثل خلقكم حلائل، قيل: إنما قال من أنفسكم لأنه خلق حواء من ضلع آدم، ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ ﴾[١٠]، أصنافا ذكورا وإناثا ﴿ يَذۡرَؤُكُمۡ ﴾[١١]، يخلقكم، ﴿ فِيهِۚ ﴾[١]،

(١) سورة الشورى آية: ٩.
(٢) سورة الشورى آية: ٩.
(٣) سورة الشورى آية: ٩.
(٤) سورة الشورى آية: ٩.
(٥) سورة الشورى آية: ١٠.
(٦) سورة الشورى آية: ١٠.
(٧) سورة الشورى آية: ١٠.
(٨) سورة الشورى آية: ١٠.
(٩) سورة الشورى آية: ١١.
(١٠) سورة الشورى آية: ١١.
(١١) سورة الشورى آية: ١١.

أي في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: على هذا الوجه من الخلقة. قال مجاهد: نسلا بعد نسل من الناس والأنعام. وقيل: في بمعنى الباء أي يذرؤكم به. وقيل معناه يكثركم بالتزويج. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾[2]، مثل صلة أي ليس هو كشيء فأدخل المثل للتوكيد، كقوله: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾[3]، وقيل: الكاف صلة، مجازه: ليس مثله شيء. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ليس له نظير. ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[4].

[١٢] ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[5]، مفاتيح الرزق في السماوات والأرض. قال الكلبي: المطر والنبات. ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾[6] لأن مفاتيح الرزق بيده، ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[7].

[١٣] ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾[8]، بيـن وسـن لكـم، ﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾[9]، وهو أول أنبياء الشريعة. قال مجاهد: أوصيناك وإياه يا محمد دينا واحدا. ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[10]، من القرآن وشرائع الإسلام، ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ

(١) سورة الشورى آية: ١١.
(٢) سورة الشورى آية: ١١.
(٣) سورة البقرة آية: ١٣٧.
(٤) سورة الشورى آية: ١١.
(٥) سورة الشورى آية: ١٢.
(٦) سورة الشورى آية: ١٢.
(٧) سورة الشورى آية: ١٢.
(٨) سورة الشورى آية: ١٣.
(٩) سورة الشورى آية: ١٣.
(١٠) سورة الشورى آية: ١٣.

﴿ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[1]، واختلفوا في وجه الآية، فقال قتادة: تحليل الحلال وتحريم الحرام. وقال الحكم: تحريم الأمهات والبنات والأخوات. وقال مجاهد: لم يبعث الله نبيا إلا أوصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم. وقيل: هو التوحيد والبراءة من الشرك. وقيل: هو ما ذكر من بعد وهو قوله: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[2]، بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة، ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾[3]، من التوحيد ورفض الأوثان ثم قال: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ ﴾[4]، يصطفي لدينه من عباده من يشـاء، ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[5]، يُقبل إلى طاعته.

[١٤] ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ ﴾[6]، يعني أهل الأديان المختلفة، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يعني أهل الكتاب. ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾[7]، بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك، ﴿ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾[8]، أي للبغي، قال عطاء: يعني بغيا بينهم على محمد ﷺ ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾[9]، في تأخير العذاب عنهم، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ

(١) سورة الشورى آية: ١٣.
(٢) سورة الشورى آية: ١٣.
(٣) سورة الشورى آية: ١٣.
(٤) سورة الشورى آية: ١٣.
(٥) سورة الشورى آية: ١٣.
(٦) سورة الشورى آية: ١٤.
(٧) سورة الشورى آية: ١٤.
(٨) سورة الشورى آية: ١٤.
(٩) سورة الشورى آية: ١٤.

مُّسَمًّى ﴾ [(١)]، وهو القيامة، ﴿ لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [(٢)]، بين من آمن وكفر، يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا، ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [(٣)] يعني اليهود والنصارى، ﴿ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ [(٤)]، أي من بعد أنبيائهم، وقيل: من بعد الأمم الخالية. وقال قتادة: معناه من قبلهم أي من قبل مشركي مكة. ﴿ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [(٥)]، أي من محمد -صلى الله عليه وسلم.

[١٥] ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ ﴾ [(٦)]، أي فإلى ذلك كما يقال دعوت [إلى] فلان ولفلان، وذلك إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد، ﴿ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ ﴾ [(٧)]، أي اثبت على الدين الذي أمرت به، ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ ﴾ [(٨)] أي آمنت بكتب الله كلها، ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ﴾ [(٩)]، أن أعدل بينكم، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام. وقيل: لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء، ﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ ﴾ [(١٠)]، يعني إلهنا واحد وإن اختلفت

---

(١) سورة الشورى آية: ١٤.
(٢) سورة الشورى آية: ١٤.
(٣) سورة الشورى آية: ١٤.
(٤) سورة الشورى آية: ١٤.
(٥) سورة الشورى آية: ١٤.
(٦) سورة الشورى آية: ١٥.
(٧) سورة الشورى آية: ١٥.
(٨) سورة الشورى آية: ١٥.
(٩) سورة الشورى آية: ١٥.
(١٠) سورة الشورى آية: ١٥.

أعمالنا فكل يجازى بعمله، ﴿ لَا حُجَّةَ ﴾[1]، لا خصومة، ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾[2]، نسختها آية القتال، فإذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة، ﴿ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾[3]، في المعاد لفصل القضاء، ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[4].

قوله تعالى وَالذِينَ يُحَاجونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ...

[١٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ ﴾[5]، يخاصمون في دين الله تعالى نبيه ﷺ وقال قتادة: هم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم، فنحن خير منكم، فهذه خصومتهم. ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ ﴾[6]، أي استجاب له الناس فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته، ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾[7]، خصومتهم باطلة، ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾[8]، في الآخرة.

[١٧] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[9]، قال قتادة ومجاهد ومقاتل: العدل، سمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية. قال ابن عباس -رضي الله

---

(١) سورة الشورى آية: ١٥.
(٢) سورة الشورى آية: ١٥.
(٣) سورة الشورى آية: ١٥.
(٤) سورة الشورى آية: ١٥.
(٥) سورة الشورى آية: ١٦.
(٦) سورة الشورى آية: ١٦.
(٧) سورة الشورى آية: ١٦.
(٨) سورة الشورى آية: ١٦.
(٩) سورة الشورى آية: ١٧.

عنهما-: أمر الله تعالى بالوفاء، ونهى عن البخس. ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾[1]، ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي، ومجازه: الوقت قريب. وقال الكسائي: إتيانها قريب.

قال مقاتل: ذكر النبي ﷺ الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين، فقالوا تكذيبا: متى تكون الساعة؟

[١٨] فأنزل الله هذه الآية: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾[2]، ظنا منهم أنها غير آتية، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ ﴾[3]، أي خائفون، ﴿ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾[4]، أنها آتية لا ريب فيها، ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ ﴾[5] يخاصمون وقيل يدخلهم المرية والشك، ﴿ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾[6].

[١٩] ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾[7]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: حفي بهم. قال عكرمة: بار بهم. قال السدي. رفيق. قال مقاتل: لطيف بالبر والفاجر حيث لا يهلكهم جوعا بمعاصيهم، يدل عليه قوله: ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾[8]، وكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه. قال جعفر بن محمد الصادق.

---

(١) سورة الشورى آية: ١٧.
(٢) سورة الشورى آية: ١٨.
(٣) سورة الشورى آية: ١٨.
(٤) سورة الشورى آية: ١٨.
(٥) سورة الشورى آية: ١٨.
(٦) سورة الشورى آية: ١٨.
(٧) سورة الشورى آية: ١٩.
(٨) سورة الشورى آية: ١٩.

اللطف في الرزق من وجهين: أحدهما: أنه جعل رزقك من الطيبات، والثاني: أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة. ﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾[1].

[٢٠] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ ﴾[2]، الحرث في اللغة: الكسب، يعني من كان يريد بعمله الآخرة، ﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾[3]، بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة، ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا ﴾[4]، يريد بعمله الدنيا، ﴿ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾[5]، قال قتادة: أي نؤته بقدر ما قسم الله له، كما قال: ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾[6]. ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[7]: لأنه لم يعمل للآخرة.

[٢١] قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[8]، يعني كفار مكة، يقول ألهم آلهة سنوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: شرعوا لهم دينا غير دين الإسلام، ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ ﴾[9]، لولا أن الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم

---

(١) سورة الشورى آية: ١٩.
(٢) سورة الشورى آية: ٢٠.
(٣) سورة الشورى آية: ٢٠.
(٤) سورة الشورى آية: ٢٠.
(٥) سورة الشورى آية: ٢٠.
(٦) سورة الإسراء آية: ١٨.
(٧) سورة الشورى آية: ٢٠.
(٨) سورة الشورى آية: ٢١.
(٩) سورة الشورى آية: ٢١.

القيامة، حيث قال: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ ﴾[1]، ﴿ لَقُضِىَ بَيۡنَهُمۡۗ ﴾[2]، لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا، ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[3]، المشركين، ﴿ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[4]، في الآخرة.

[٢٢] ﴿ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[5]، المشركين يوم القيامة، ﴿ مُشۡفِقِينَ ﴾[6]، وجلين، ﴿ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ ﴾[7]، جزاء كسبهم وقع بهم، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾[8].

قوله تعالى ذَلِكَ الذِي يُبَشرُ اللهُ عِبَادَهُ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدةَ فِي الْقُرْبَى...

[٢٣] ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى ﴾[9]، ذكرت من نعيم الجنة، ﴿ يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِۗ ﴾[10]، فإنم أهله، ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي

(١) سورة القمر آية: ٤٦.
(٢) سورة الشورى آية: ٢١.
(٣) سورة الشورى آية: ٢١.
(٤) سورة الشورى آية: ٢١.
(٥) سورة الشورى آية: ٢٢.
(٦) سورة الشورى آية: ٢٢.
(٧) سورة الشورى آية: ٢٢.
(٨) سورة الشورى آية: ٢٢.
(٩) سورة الشورى آية: ٢٣.
(١٠) سورة الشورى آية: ٢٣.

ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [1] عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي. وقال عكرمة: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا إلا أن تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم، وليس كما يقول الكذابون. وقال الحسن: هو القربى إلى الله، يقول: إلا التقرب إلى الله والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح. وقال بعضهم: معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم. وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [2]، ليس باستثناء متصل بالأول حتى يكون ذلك أجرا على مقابلة أداء الرسالة، بل هو منقطع، ومعناه: ولكني أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرابتي منكم ﴿ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ ﴾ [3]، أي من يكتسب طاعة نزد له فيها حسنًا بالتضعيف، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ ﴾ [4]، للذنـوب، ﴿ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [5]، للقليل حتى يضاعفها.

[٢٤] ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ﴾ [6]، بل يقولون يعني كفار مكة، ﴿ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ ﴾ [7]، قال مجاهد: نربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم، وقولهم إنه مفتر، قال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية، ثم ابتدأ فقال: ﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾ [8]، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازه: والله يمحو الباطل. فهو

(١) سورة الشورى آية: ٢٣.
(٢) سورة الشورى آية: ٢٣.
(٣) سورة الشورى آية: ٢٣.
(٤) سورة الشورى آية: ٢٣.
(٥) سورة الشورى آية: ٢٣.
(٦) سورة الشورى آية: ٢٤.
(٧) سورة الشورى آية: ٢٤.
(٨) سورة الشورى آية: ٢٤.

في محل رفع ولكنه حذفت منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذفت من قوله: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [1] و ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ [2] أخبر أن ما يقولونه باطل يمحوه الله، ﴿ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾ [3]، أي الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام، ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [4].

[٢٥] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [5]، قال ابن عباس: يريد أولياءه وأهل طاعته، قيل: التوبة ترك المعاصي نية وفعلا، والإقبال على الطاعة نية وفعلا، قال سهل بن عبد الله: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. ﴿ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [6]، إذا تابوا فلا يؤاخذهم بها ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [7]، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [8] بالتاء، وقالوا: هو خطاب للمشركين، وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن قوم، فقال: قبله يقبل التوبة عن عباده، وبعده: ويزيدهم من فضله.

[٢٦] ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [9]، أي ويجيب الذين آمنوا، ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [1]، إذا دعوه، وقال عطاء عن ابن عباس: ويثيب الذين آمنوا. ﴿

---

(١) سورة الإسراء آية: ١١.
(٢) سورة العلق آية: ١٨.
(٣) سورة الشورى آية: ٢٤.
(٤) سورة الشورى آية: ٢٤.
(٥) سورة الشورى آية: ٢٥.
(٦) سورة الشورى آية: ٢٥.
(٧) سورة الشورى آية: ٢٥.
(٨) سورة الشورى آية: ٢٥.
(٩) سورة الشورى آية: ٢٦.

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ﴾[2]، سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه. وقال أبو صالح عنه: يشفعهم في إخوانهم، ويزيدهم من فضله قال في إخوان إخوانهم. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾[3].

[٢٧] ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾[4]، قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فأنزل الله ﷻ هذه الآية ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾[5]، وسع الله الرزق ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾[6]، ﴿لَبَغَوْا۟﴾[7]، لطغوا وعتوا، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾[8]، قال ابن عباس: بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس، ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾[9]، أرزاقهم، ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ﴾[10]، كما يشاء نظرا منه لعباده ولحكمة اقتضتها قدرته، ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾[11].

---

(١) سورة الشورى آية: ٢٦.
(٢) سورة الشورى آية: ٢٦.
(٣) سورة الشورى آية: ٢٦.
(٤) سورة الشورى آية: ٢٧.
(٥) سورة الشورى آية: ٢٧.
(٦) سورة الشورى آية: ٢٧.
(٧) سورة الشورى آية: ٢٧.
(٨) سورة الشورى آية: ٢٧.
(٩) سورة الشورى آية: ٢٧.
(١٠) سورة الشورى آية: ٢٧.
(١١) سورة الشورى آية: ٢٧.

[٢٨] قوله ﷻ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾[١]، المطر، ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ ﴾[٢]، يعني من بعد ما يئس الناس منه وذلك أدعى لهم إلى الشكر، قال مقاتل: حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله نعمته، ﴿ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ ﴾[٣]، يبسط مطره، كما قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ ﴾[٤]. ﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ﴾[٥]، لأهل طاعته، ﴿ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٨ ﴾[٦]، عند خلقه.

[٢٩] ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝٢٩ ﴾[٧]، يعني يوم القيامة.

[٣٠] ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[٨]، قرأ أهل المدينة والشام (بما كسبت) بغير فاء وكذلك هو في مصاحفهم، فمن حذف الفاء جعل (ما) في أول الآية بمعنى الذي أصابكم بما كسبت أيديكم. ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾[٩]، قال

(١) سورة الشورى آية: ٢٨.
(٢) سورة الشورى آية: ٢٨.
(٣) سورة الشورى آية: ٢٨.
(٤) سورة الأعراف آية: ٥٧.
(٥) سورة الشورى آية: ٢٨.
(٦) سورة الشورى آية: ٢٨.
(٧) سورة الشورى آية: ٢٩.
(٨) سورة الشورى آية: ٣٠.
(٩) سورة الشورى آية: ٣٠.

الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ ﴿ والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر ﴾ . [1] ".

[٣١] ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ [2]، بفائتين، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [3]، هربا يعني لا تعجزونني حيث ما كنتم ولا تسبقونني، ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ ﴾ [4].

قوله تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ...

[٣٢] قوله ﷻ ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ ﴾ [5]، يعني السفن، واحدتا جارية وهي السائرة، ﴿ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [6]، أي الجبال، قال مجاهد: القصور، أحدها علم، وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم.

[٣٣] ﴿ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ ﴾ [7]، التي تجريها، ﴿ فَيَظۡلَلۡنَ ﴾ [1]، يعني الجواري، ﴿ رَوَاكِدَ ﴾ [2] ثوابت ﴿ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ ﴾ [3]، على ظهر البحر لا تجري،

---

(١) ضعيف: أخرجه هناد في الزهد (رقم ٤٣١)، وعزاه في الدر (٩/٦) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر، وأخرج ابن جرير (٢١/٢٥) والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد نحوه عن قتادة مرسلا، وأخرج نحوه ابن عساكر وابن مردويه عن البراء، وفي الصحيحين عن عائشة بمعناه وقد صححه الألباني في الجامع الصغير بلفظ: "ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب وما يدفع الله عنه أكثر.

(٢) سورة الشورى آية: ٣١.

(٣) سورة الشورى آية: ٣١.

(٤) سورة الشورى آية: ٣١.

(٥) سورة الشورى آية: ٣٢.

(٦) سورة الشورى آية: ٣٢.

(٧) سورة الشورى آية: ٣٣.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٣٣ ﴾[4]، أي لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء.

[٣٤] ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ ﴾[5]، يهلكهن ويغرقهن، ﴿ بِمَا كَسَبُواْ ﴾[6]، أي بما كسبت ركبانها من الذنوب، ﴿ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ٣٤ ﴾[7]، من ذنوبهم فلا يعاقب عليها.

[٣٥] ﴿ وَيَعْلَمَ ﴾[8]، قرأ أهل المدينة والشام: (يعلم) برفع الميم على الاستئناف كقوله ﷻ في سورة براءة: ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾[9]، وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ١٤٢ ﴾[10]، صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافا وكراهية لتوالي الجزم. ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ٣٥ ﴾[11]، أي يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث أن لا مهرب لهم من عذاب الله.

---

(١) سورة الشورى آية: ٣٣.

(٢) سورة الشورى آية: ٣٣.

(٣) سورة الشورى آية: ٣٣.

(٤) سورة الشورى آية: ٣٣.

(٥) سورة الشورى آية: ٣٤.

(٦) سورة الشورى آية: ٣٤.

(٧) سورة الشورى آية: ٣٤.

(٨) سورة الشورى آية: ٣٥.

(٩) سورة التوبة آية: ١٥.

(١٠) سورة آل عمران آية: ١٤٢.

(١١) سورة الشورى آية: ٣٥.

[٣٦] ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ ﴾[1]، من رياش الدنيا، ﴿ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[2]، ليس من زاد المعاد، ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[3]، من الثواب، ﴿ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ ﴾[4]، فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهم يتمتعان بها فإذا صار إلى الآخرة كان ما عند الله خيرا للمؤمن.

[٣٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ ﴾[5] قد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء [آية: ٣١] ﴿ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾[6]، قال السدي: يعني الزنا. وقال مجاهد ومقاتل: ما يوجب الحد. ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ ﴾[7]، يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون.

[٣٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ ﴾[8]، أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾[9]، يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨ ﴾[10].

---

(١) سورة الشورى آية: ٣٦.
(٢) سورة الشورى آية: ٣٦.
(٣) سورة الشورى آية: ٣٦.
(٤) سورة الشورى آية: ٣٦.
(٥) سورة الشورى آية: ٣٧.
(٦) سورة الشورى آية: ٣٧.
(٧) سورة الشورى آية: ٣٧.
(٨) سورة الشورى آية: ٣٨.
(٩) سورة الشورى آية: ٣٨.
(١٠) سورة الشورى آية: ٣٨.

[٣٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ ﴾[(١)]، الظلم والعـدوان، ﴿ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[(٢)]، ينتقمون من ظالميهم من غير أن يعتدوا. قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين: صنف يعفون عن ظالميهم فبدأ بذكرهم، وهو قوله: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[(٣)]، وصنف ينتصرون من ظالميهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية. قال إبراهيم: في هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا. قال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم مكنهم الله في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم، ثم ذكر الله الانتصار فقال:

[٤٠] ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴾[(٤)]، سمي الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابهما في الصورة. قال مقاتل: يعني القصاصات في الجراحات والدماء. قال مجاهد والسدي: هو جواب القبيح إذا قال له أحد أخزاك الله يقول أخزاك الله، وإذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدي. وقال هشام بن حجيرة: الجارح إذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتمك فتشتمه. ثم ذكر العفو فقال: ﴿ فَمَنْ عَفَا ﴾[(٥)]، [عمن] ظلمه، ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾[(٦)]، بالعفو بينه وبين ظالمه، ﴿ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾[(٧)]، قال الحسن: إذا

---

(١) سورة الشورى آية: ٣٩.
(٢) سورة الشورى آية: ٣٩.
(٣) سورة الشورى آية: ٣٧.
(٤) سورة الشورى آية: ٤٠.
(٥) سورة الشورى آية: ٤٠.
(٦) سورة الشورى آية: ٤٠.
(٧) سورة الشورى آية: ٤٠.

كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا، ثم قرأ هذه الآية. ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، قال ابن عباس: الذين يبدءون بالظلم.

[٤١] ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ ﴾[2] أي بعد ظلم الظالم إياه، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾[3]، يعني المنتصرين، ﴿ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[4] بعقوبة ومؤاخذة.

[٤٢] ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾[5]، يبدءون بالظلم، ﴿ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[6]، يعملون فيها بالمعاصي، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[7].

[٤٣] ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾[8]، فلم ينتصر، ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾[9]، الصبر والتجاوز، ﴿ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[10]، حقها وجزمها. قال مقاتل: من الأمور التي أمر الله بها. قال الزجاج: الصابر يؤتى بصبره الثواب، فالرغبة في الثواب أتم عزما.

[٤٤] ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[1]، فماله من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذاب الله، ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ

(١) سورة الشورى آية: ٤٠.
(٢) سورة الشورى آية: ٤١.
(٣) سورة الشورى آية: ٤١.
(٤) سورة الشورى آية: ٤١.
(٥) سورة الشورى آية: ٤٢.
(٦) سورة الشورى آية: ٤٢.
(٧) سورة الشورى آية: ٤٢.
(٨) سورة الشورى آية: ٤٣.
(٩) سورة الشورى آية: ٤٣.
(١٠) سورة الشورى آية: ٤٣.

﴿ ٱلۡعَذَابَ ﴾[2]، يوم القيامة، ﴿ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ ﴾[3]، يسألون الرجعة في الدنيا.

قوله تعالى وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذل يَنظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِي...

[٤٥] ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا ﴾[4]، أي على النار، ﴿ خَٰشِعِينَ ﴾[5]، خاضعين متواضعين، ﴿ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ ﴾[6]، خفي النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلةً في أنفسهم. وقيل: (من) بمعنى الباء أي بطرف خفي ضعيف مع الذل. وقيل: إنما قال: ﴿ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ ﴾[7] لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها. وقيل: معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾[8]، قيل: خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار وأهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة. ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ ﴾[9].

---

(١) سورة الشورى آية: ٤٤.
(٢) سورة الشورى آية: ٤٤.
(٣) سورة الشورى آية: ٤٤.
(٤) سورة الشورى آية: ٤٥.
(٥) سورة الشورى آية: ٤٥.
(٦) سورة الشورى آية: ٤٥.
(٧) سورة الشورى آية: ٤٥.
(٨) سورة الشورى آية: ٤٥.
(٩) سورة الشورى آية: ٤٥.

[٤٦] ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[١]، طريق إلى الصواب وإلى الوصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى قد استدت عليهم طرق الخير.

[٤٧] ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم ﴾[٢]، أجيبوا داعي الله يعني محمدا ﷺ ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾[٣]، لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ ﴾[٤] تلجئون إليه ﴿ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[٥] من منكر يغير ما بكم.

[٤٨] ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ ﴾[٦]، عن الإجابة، ﴿ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ ﴾[٧]، ما عليك، ﴿ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾[٨]، قال ابن عباس: يعني الغنى والصحة. ﴿ فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ ﴾[٩]، قحط، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[١٠]، أي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد بأول شدة جميع ما سلف من النعم.

---

(١) سورة الشورى آية: ٤٦.
(٢) سورة الشورى آية: ٤٧.
(٣) سورة الشورى آية: ٤٧.
(٤) سورة الشورى آية: ٤٧.
(٥) سورة الشورى آية: ٤٧.
(٦) سورة الشورى آية: ٤٨.
(٧) سورة الشورى آية: ٤٨.
(٨) سورة الشورى آية: ٤٨.
(٩) سورة الشورى آية: ٤٨.
(١٠) سورة الشورى آية: ٤٨.

قوله تعالى لِلهِ مُلْكُ السمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا...

[٤٩] ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[١]، له التصـرف فيهمـا بما يريـد، ﴿ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا ﴾[٢]، فلا يكون له ولد ذكر، قيل: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر لأن الله تعالى بـدأ بالإنـاث، ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ ﴾[٣]، فلا يكون له أنثى.

[٥٠] ﴿ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ ﴾[٤]، يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث، ﴿ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ ﴾[٥]، فلا يلد ولا يولد له. قيل: هذا في الأنبياء عليهم السلام ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا ﴾[٦] يعني لوطا لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتـان، ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ ﴾[٧] يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى، ﴿ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ ﴾[٨] يعني محمـدا ﷺ ولـد له بنـون وبنـات،

---

(١) سورة الشورى آية: ٤٩.
(٢) سورة الشورى آية: ٤٩.
(٣) سورة الشورى آية: ٤٩.
(٤) سورة الشورى آية: ٥٠.
(٥) سورة الشورى آية: ٥٠.
(٦) سورة الشورى آية: ٤٩.
(٧) سورة الشورى آية: ٤٩.
(٨) سورة الشورى آية: ٥٠.

﴿ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ ﴾ [1] يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما، وهذا على وجه التمثيل، والآية عامة في حق كافة الناس، ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾ [2].

[51] قوله ﷻ ﴿ ۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ﴾ [3]، وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال: لم ينظر موسى إلى الله ﷻ فأنزل الله تعالى: ﴿ ۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ﴾ [4] يوحي إليه في المنام أو بالإلهام، ﴿ أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [5]، يسمعه كلامه ولا يراه كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام، ﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا ﴾ [6]، إما جبريل أو غيره من الملائكة ﴿ فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴾ [7]، أي يوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء، قرأ نافع: (أو يرسل) برفع اللام على الابتداء، (فيوحي) ساكنة الياء، وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفا على محل الوحي لأن معناه: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه أو يرسل رسولا ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴾ [8].

[52] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ [9]، أي كما أوحينا إلى سائر رسلنا، ﴿ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ [1]، قال ابن عباس: نبوة. وقال الحسن: رحمة. وقال السدي ومقاتل: وحيا.

---

(١) سورة الشورى آية: ٥٠.
(٢) سورة الشورى آية: ٥٠.
(٣) سورة الشورى آية: ٥١.
(٤) سورة الشورى آية: ٥١.
(٥) سورة الشورى آية: ٥١.
(٦) سورة الشورى آية: ٥١.
(٧) سورة الشورى آية: ٥١.
(٨) سورة الشورى آية: ٥١.
(٩) سورة الشورى آية: ٥٢.

وحيا. وقال الكلبي: كتابا. وقال الربيع: جبريل. وقال مالك بن دينار: يعني القرآن. ﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي ﴾[2]، قبل الوحي، ﴿ مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾[3]، يعني شرائع الإيمان ومعالمه، قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: الإيمان في هذا الموضع الصلاة، ودليله قوله ﷻ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾[4] وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه ﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا ﴾[5]، قال ابن عباس: يعني الإيمان. وقال السدي: يعني القرآن. ﴿ نَّهۡدِي بِهِۦ ﴾[6] نرشد به، ﴿ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ ﴾[7]، أي لتدعو، ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ ﴾[8]، يعني الإسلام.

[٥٣] ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥٣ ﴾[9]، أي أمور الخلائق كلها في الآخرة.

---

(١) سورة الشورى آية: ٥٢.
(٢) سورة الشورى آية: ٥٢.
(٣) سورة الشورى آية: ٥٢.
(٤) سورة البقرة آية: ١٤٣.
(٥) سورة الشورى آية: ٥٢.
(٦) سورة الشورى آية: ٥٢.
(٧) سورة الشورى آية: ٥٢.
(٨) سورة الشورى آية: ٥٢.
(٩) سورة الشورى آية: ٥٣.

(٤٣) سورة الزُخْرُف

قوله تعالى حــم وَالكِتَابِ الْمُبِينِ إنا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيا لَعَلكُمْ تَعْقِلُونَ...

[١، ٢] ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ ﴾[(١)]، أقسم بالكتاب الذي أبان طرق الهدي من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة.

[٣] ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ ﴾[(٢)]، قوله جعلناه أي: صيرنا هذا الكتاب عربيا. وقيل: بيناه. وقيل: سميناه. وقيل: وصفناه، يقال جعل فلان زيدا أعلم الناس، أي وصفه بذا كقـوله تعـالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ ﴾[(٣)] وقوله: ﴿ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ۝٩١ ﴾[(٤)]، وقال ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ ﴾[(٥)]، كلها بمعنى الوصف والتسمية.

[٤] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾[(٦)]، يعني القرآن، ﴿ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[(٧)]، في اللوح المحفوظ، قال قتادة: أم الكتاب أصل الكتاب، وأم كل شيء أصله. قال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق، فالكتاب عنـده، ثم قـرأ ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا ﴾[(٨)]، فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ

(١) سورة الزخرف الآيتان : ١ ، ٢.
(٢) سورة الزخرف آية: ٣.
(٣) سورة الزخرف آية: ١٩.
(٤) سورة الحجر آية: ٩١.
(٥) سورة التوبة آية: ١٩.
(٦) سورة الزخرف آية: ٤.
(٧) سورة الزخرف آية: ٤.
(٨) سورة الزخرف آية: ٤.

﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾[1]. ﴿ لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[2]، قال قتادة: يخبر عن منزلته وشرفه، أي إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعلي رفيع شريف محكم من الباطل.

[5] ﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا ﴾[3]، يقال: ضربت عنه وأضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه، والصفح مصدر قولهم صفحت عنه إذا أعرضت عنه، وذلك بأن توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن، ومعناه: أفنترك عنكم الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان؟ استفهام بمعنى الإنكار، أي لا نفعل ذلك، وهذا قول قتادة وجماعة، قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله. وقيل: معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين معرضين. قال الكسائي والسدي: أفنطوي عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون. وقال الكلبي: أفنترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم. وقال مجاهد والسدي: أفنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفـركم. ﴿ أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ ﴾[4]، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على معنى إذ كنتم كقوله: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[5]، وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم مسرفين مشركين.

(1) سورة البروج الآيتان : 21 ، 22.
(2) سورة الزخرف آية: 4.
(3) سورة الزخرف آية: 5.
(4) سورة الزخرف آية: 5.
(5) سورة آل عمران آية: 139.

[٦، ٧] ﴿ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم ﴾[١]، أي وما كان يأتيهم، ﴿ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧ ﴾[٢]، كاستهزاء قومك بك، يُعزي نبيه ﷺ.

[٨] ﴿ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا ﴾[٣]، أي أقوى من قومك يعني الأولين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل، ﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ ﴾[٤]، أي صفتهم وسنتهم وعقوبتهم، فعاقبة هؤلاء كذلك في الإهلاك.

[٩] ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم ﴾[٥]، أي سألت قومك، ﴿ مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩ ﴾[٦]، وأقروا بأن الله خالقها، وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم، إلى هاهنا تم الإخبار عنهم، ثم ابتدأ دالا على نفسه بصنعه فقال:

[١٠] ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠ ﴾[٧]، إلى مقاصدكم في أسفاركم.

---

(١) سورة الزخرف الآيتان : ٦ ، ٧.
(٢) سورة الزخرف آية: ٧.
(٣) سورة الزخرف آية: ٨.
(٤) سورة الزخرف آية: ٨.
(٥) سورة الزخرف آية: ٩.
(٦) سورة الزخرف آية: ٩.
(٧) سورة الزخرف آية: ١٠.

قوله تعالى وَالذِي نَزلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً بِقدَرٍ فَأنشَرْنا بِهِ بَلدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخرَجُونَ...

[١١] ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴾ [١]، أي بقدر حاجتكم إليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم. ﴿ فَأَنشَرْنَا ﴾ [٢]، أحيينا، ﴿ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ﴾ [٣]، أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك، ﴿ تُخْرَجُونَ ۝١١ ﴾ [٤]، من قبوركم أحياء.

[١٢] ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾ [٥]، أي الأصناف كلها. ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ ﴾ [٦]، في البر والبحر.

[١٣] ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [٧]، ذكر الكناية لأنه ردها إلى (ما)، ﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [٨]، بتسخير المراكب في البر والبحر، ﴿ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾ [٩]، ذلل لنا هذا، ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ ﴾ [١٠]، مطيقين، وقيل: ضابطين.

---

(١) سورة الزخرف آية: ١١.
(٢) سورة الزخرف آية: ١١.
(٣) سورة الزخرف آية: ١١.
(٤) سورة الزخرف آية: ١١.
(٥) سورة الزخرف آية: ١٢.
(٦) سورة الزخرف آية: ١٢.
(٧) سورة الزخرف آية: ١٣.
(٨) سورة الزخرف آية: ١٣.
(٩) سورة الزخرف آية: ١٣.
(١٠) سورة الزخرف آية: ١٣.

[١٤] ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾[(١)]، لمنصرفون في المعاد.

[١٥] قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾[(٢)]، أي نصيبا وبعضا وهو قولهم: الملائكة بنات الله، ومعنى الجعل هاهنا الحكم بالشيء والقول كما تقول: جعلت زيدا أفضل الناس، أي وصفته وحكمت به ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾[(٣)]، يعني الكافر، ﴿ لَكَفُورٞ ﴾[(٤)]، جحود لنعم الله، ﴿ مُّبِينٌ ﴾[(٥)]، ظاهر الكفران.

[١٦] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ ﴾[(٦)]، هذا استفهام توبيخ وإنكار، يقول: اتخذ ربكم لنفسه البنات، ﴿ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴾[(٧)]، كقوله: ﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ ﴾[(٨)].

[١٧] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ﴾[(٩)]، بما جعل الله شبها وذلك أن ولد كل شيء يشبهه، يعني إذا بشر أحدهم بالبنات كما ذكر في سورة النحل: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴾[(١٠)]، من الغيظ والحزن.

---

(١) سورة الزخرف آية: ١٤.
(٢) سورة الزخرف آية: ١٥.
(٣) سورة الزخرف آية: ١٥.
(٤) سورة الزخرف آية: ١٥.
(٥) سورة الزخرف آية: ١٥.
(٦) سورة الزخرف آية: ١٦.
(٧) سورة الزخرف آية: ١٦.
(٨) سورة الإسراء آية: ٤٠.
(٩) سورة الزخرف آية: ١٧.
(١٠) سورة النحل آية: ٥٨.

[١٨] ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ ﴾[١]، قرأ حمزة والكسائي ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أي يربى، وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، أي ينبت ويكبر، ﴿ فِي ٱلْحِلْيَةِ ﴾[٢]، في الزينة يعني النساء، ﴿ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾[٣]، في المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن، قال قتادة: في هذه الآية قلما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها، (أومن)، في محل من ثلاثة أوجه: الرفع على الابتداء، والنصب على الإضمار، مجازه: أومن ينشأ في الحلية يجعلونه بنات الله، والخفض ردا على قوله: (مما يخلق)، وقوله: (بِمَا ضَرَبَ).

[١٩] ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ ﴾[٤]، قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو ﴿ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [٥] بالباء والألف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٦]، وقرأ الآخرون: (عند الرحمن) بالنون ونصب الدال على الظرف وتصديقه كقوله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [٧] الآية، ﴿ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ ﴾ [٨] قرأ أهل المدينة على ما لم يسم فاعله، ولينوا الهمزة الثانية بعد الاستفهام، أي أحضروا خلقهم، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي أحضروا خلقهم حين خلقوا، وهذا

(١) سورة الزخرف آية: ١٨.
(٢) سورة الزخرف آية: ١٨.
(٣) سورة الزخرف آية: ١٨.
(٤) سورة الزخرف آية: ١٩.
(٥) سورة الزخرف آية: ١٩.
(٦) سورة الأنبياء آية: ٢٦.
(٧) سورة الأعراف آية: ٢٠٦.
(٨) سورة الزخرف آية: ١٩.

كقوله: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾[1]، ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ ﴾[2]، على الملائكة أنهم بنات الله، ﴿ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[3]، عنها، قال الكلبي ومقاتل: لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال: ﴿ ما يدريكم أنهم بنات الله؟ قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا "، فقال الله تعالى: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[4] ﴾، عنها في الآخرة.

[٢٠] ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾[5]، يعني الملائكة، قاله قتادة ومقاتل والكلبي، وقال مجاهد: يعني الأوثان وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاه منها بعبادتنا. قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾[6]، فيما يقولون ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[7] ما هم إلا كاذبون في قولهم: إن الله تعالى رضي منا عبادتنا، وقيل: إن هم إلا يخرصون، في قولهم: إن الملائكة إناث وإنهم بنات الله.

[٢١] ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ ﴾[8]، أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله، ﴿ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾[9].

---

(١) سورة الصافات آية: ١٥٠.
(٢) سورة الزخرف آية: ١٩.
(٣) سورة الزخرف آية: ١٩.
(٤) سورة الزخرف آية: ١٩.
(٥) سورة الزخرف آية: ٢٠.
(٦) سورة الزخرف آية: ٢٠.
(٧) سورة الزخرف آية: ٢٠.
(٨) سورة الزخرف آية: ٢١.
(٩) سورة الزخرف آية: ٢١.

[٢٢] ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾[١]، على دين وملة، قال مجاهد: على إمام. ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢ ﴾[٢]، جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم الأولين مهتدين.

قوله تعالى وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمةٍ وَإِنا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ...

[٢٣] ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ ﴾[٣]، أغنياؤها ورؤساؤها، ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾[٤]، بهم.

[٢٤] ﴿ ۞ قَٰلَ ﴾[٥]، قرأ ابن عامر وحفص: (قال) على الخبر، وقرأ آخرون (قل) على الأمر ﴿ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم ﴾[٦]، قرأ أبو جعفر: (جئناكم) على الجمع، والآخرون (جئتكم) على الواحد، ﴿ بِأَهۡدَىٰ ﴾[٧]، بدين أصوب، ﴿ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ ﴾[٨]، قال الزجاج: قال لهم: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه "؟ فأبوا أن يقبلوه، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ ﴾[٩].

(١) سورة الزخرف آية: ٢٢.
(٢) سورة الزخرف آية: ٢٢.
(٣) سورة الزخرف آية: ٢٣.
(٤) سورة الزخرف آية: ٢٣.
(٥) سورة الزخرف آية: ٢٤.
(٦) سورة الزخرف آية: ٢٤.
(٧) سورة الزخرف آية: ٢٤.
(٨) سورة الزخرف آية: ٢٤.
(٩) سورة الزخرف آية: ٢٤.

[٢٥] ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥ ﴾ [١] .

[٢٦، ٢٧] قوله ﷻ ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ ﴾ [٢]، أي بريء، ولا يثنى البراء ولا يجمع ولا يؤنث لأنه مصدر وضع موضع النعت. ﴿ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ ﴾ [٣]، يرشدني لدينه.

[٢٨] ﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ [٤]، يعني هذه الكلمة، ﴿ كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ ﴾ [٥]، قال مجاهد وقتادة: يعني كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله كلمة باقية في عقبه أي في ذريته. قال قتادة: لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده. وقال القرظي: يعني جعل وصية إبراهيم التي أوصى بها بنيه باقية في نسله وذريته، وهو قوله ﷻ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ ﴾ [٦]، وقال ابن زيد: يعني قوله: ﴿ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ ﴾ [٧]، وقرأ: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [٨]، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨ ﴾ [٩]، لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه إلى دين إبراهيم. وقال السدي. لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله -عزّ وجلّ.

---

(١) سورة الزخرف آية: ٢٥.
(٢) سورة الزخرف آية: ٢٦.
(٣) سورة الزخرف الآيتان : ٢٦ ، ٢٧.
(٤) سورة الزخرف الآيتان : ٢٧ ، ٢٨.
(٥) سورة الزخرف آية: ٢٨.
(٦) سورة البقرة آية: ١٣٢.
(٧) سورة البقرة آية: ١٣١.
(٨) سورة الحج آية: ٧٨.
(٩) سورة الزخرف آية: ٢٨.

[٢٩] ﴿ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ ﴾ [1]، يعني المشركين في الدنيا ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [2]، يعني القرآن، وقال الضحاك: الإسلام. ﴿ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ٢٩ ﴾ [3]، يبين لهم الأحكام وهو محمد ﷺ وكان من حق هذا الإنعام أن يطيعوه، فلم يفعلوا، وعصوا.

[٣٠، ٣١] وهو قوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [4]، يعني القرآن، ﴿ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ ﴾ [5]، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، قاله قتادة، وقال مجاهد: عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد يا ليل الثقفي من الطائف. وقيل: الوليد بن المغيرة من مكة، ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. ويروى هذا عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما.

[٣٢] قال الله تعالى: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ ﴾ [6]، يعني النبوة، قال مقاتل: يقول بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونا حيث شاءوا؟ ثم قال: ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ [7]، فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا ملكا وهذا مملوكا فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا، كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا،

---

(١) سورة الزخرف آية: ٢٩.

(٢) سورة الزخرف آية: ٢٩.

(٣) سورة الزخرف آية: ٢٩.

(٤) سورة الزخرف آية: ٣٠.

(٥) سورة الزخرف الآيتان : ٣٠ ، ٣١.

(٦) سورة الزخرف آية: ٣٢.

(٧) سورة الزخرف آية: ٣٢.

﴿ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾ [1]، بالغنى والمال، ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ ﴾ [2]، ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله، وهذا بأعماله، فيلتئم قوام أمر العالم. وقال قتادة والضحاك: يملك بعضهم بمالهم بعضا بالعبودية والملك. ﴿ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ ﴾ [3]، يعني الجنة، ﴿ خَيۡرٞ ﴾ [4]، للمؤمنين، ﴿ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [5]، مما يجمع الكفار من الأموال.

[٣٣] ﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [6]، أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر، ﴿ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ ﴾ [7]، مصاعد ودرجا من فضة، ﴿ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [8]، يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح إذا علوته.

قوله تعالى وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتكِئُونَ وَزُخْرُفًا...

[٣٤] ﴿ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾ [9]، من فضة، ﴿ وَسُرُرًا ﴾ [1] أي وجعلنا لهم سررا من فضة، ﴿ عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2].

---

(١) سورة الزخرف آية: ٣٢.
(٢) سورة الزخرف آية: ٣٢.
(٣) سورة الزخرف آية: ٣٢.
(٤) سورة الزخرف آية: ٣٢.
(٥) سورة الزخرف آية: ٣٢.
(٦) سورة الزخرف آية: ٣٣.
(٧) سورة الزخرف آية: ٣٣.
(٨) سورة الزخرف آية: ٣٣.
(٩) سورة الزخرف آية: ٣٤.

[٣٥] ﴿ وَزُخۡرُفٗاۚ ﴾ [٣]، أي ولجعلنا مع ذلك لهم زخرفا وهو الذهـب، نظيره: ﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ ﴾ [٤]، ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ [٥]، قرأ حمزة وعاصم " لما " بالتشديد على معنى: وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، فكان: "لما" بمعنى إلا، وخففه الآخرون على معنى وكل ذلك متاع الحياة الدنيا، فيكون: (إن) للابتداء، و (ما) صلة، يريد أن هذا كله متاع الحياة الدنيا يزول ويذهب، ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥ ﴾ [٦]، خاصة يعني الجنة.

[٣٦] قوله ﷻ ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ [٧]، أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه، ولم يرج ثوابه، يقال: عشوت إلى النار أعشو عشوا، إذا قصدتها مهتديا بها، وعشوت عنها أعرضت عنها، كما يقول: عدلت إلى فلان وعدلت عنه وملت إليه وملت عنه. قال القرظي: يولي ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن. قال أبو عبيدة والأخفش: يظلم بصرف بصره عنه. قال الخليل بن أحمد: أصل العشو النظر ببصر ضعيف. وقرأ ابن عباس: (ومن يعش) بفتح الشين أي يعم، يقال عشي يعشي عشيا إذا عمي فهو أعشى، وامرأة عشواء. ﴿ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا ﴾ [٨]، قرأ يعقوب: (يقيض)

---

(١) سورة الزخرف آية: ٣٤.
(٢) سورة الزخرف آية: ٣٤.
(٣) سورة الزخرف آية: ٣٥.
(٤) سورة الإسراء آية: ٩٣.
(٥) سورة الزخرف آية: ٣٥.
(٦) سورة الزخرف آية: ٣٥.
(٧) سورة الزخرف آية: ٣٦.
(٨) سورة الزخرف آية: ٣٦.

بالياء، والباقون بالنون، نسبب له شيطانا ونضمه إليه ونسلطه عليه، ﴿ فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، لا يفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى.

[٣٧] ﴿ وَإِنَّهُمۡ ﴾[2]، يعني الشياطين، ﴿ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3]، أي ليمنعونهم عن الهدى ﴿ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[4]، ويحسب كفار بني آدم أنهم على هدى.

[٣٨] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾[5]، قرأ أهل العراق غير أبي بكر: (جاءنا) على الواحد يعنون الكافر، وقرأ الآخرون: جاءانا، على التثنية يعنون الكافر وقرينه قد جعلا في سلسلة واحدة. ﴿ قَالَ ﴾[6]، الكافر لقرينه الشيطان، ﴿ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ ﴾[7]، أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر: القمران، ولأبي بكر وعمر: العمران. وقيل: أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، والأول أصح، ﴿ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾[8]، قال أبو سعيد الخدري: إذا بُعث الكافر زُوج بقرينه الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار.

(١) سورة الزخرف آية: ٣٦.
(٢) سورة الزخرف آية: ٣٧.
(٣) سورة الزخرف آية: ٣٧.
(٤) سورة الزخرف آية: ٣٧.
(٥) سورة الزخرف آية: ٣٨.
(٦) سورة الزخرف آية: ٣٨.
(٧) سورة الزخرف آية: ٣٨.
(٨) سورة الزخرف آية: ٣٨.

[٣٩] ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[1]، في الآخرة، ﴿ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾[2]، أشركتم في الدنيا، ﴿ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[3]، يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم العذاب، لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب. وقال مقاتل: لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر.

[٤٠] ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[4]، يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون.

[٤١] ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾[5]، بأن نميتك قبل أن نعذبم، ﴿ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[6]، بالقتل بعدك.

[٤٢] ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ﴾[7]، في حياتك، ﴿ ٱلَّذِي وَعَدْنَٰهُمْ ﴾[8] من العذاب، ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[9]، قادرون متى شئنا عذبناهم، وأراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر، وهذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن وقتادة: عنى به أهل الإسلام

---

(١) سورة الزخرف آية: ٣٩.
(٢) سورة الزخرف آية: ٣٩.
(٣) سورة الزخرف آية: ٣٩.
(٤) سورة الزخرف آية: ٤٠.
(٥) سورة الزخرف آية: ٤١.
(٦) سورة الزخرف آية: ٤١.
(٧) سورة الزخرف آية: ٤٢.
(٨) سورة الزخرف آية: ٤٢.
(٩) سورة الزخرف آية: ٤٢.

من أمة محمد ﷺ وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة في أمته، فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي يقر عينه، وأبقى النقمة بعده.

[٤٣] ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾[١].

[٤٤] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾[٢]، يعني القرآن، ﴿ لَذِكْرٌ لَّكَ ﴾[٣]، أي لشرف لك، ﴿ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾[٤]، من قريش، نظيره: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ ﴾[٥]، أي شرفكم، ﴿ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٦]، عن حقه وأداء شكره. قال مجاهد: القوم هم العرب، فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم، ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب، حتى يكون الأكثر لقريش ولبني هاشم. وقيل: ذلك شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به، وسوف تسألون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه.

[٤٥] ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[٧]، اختلفوا في هؤلاء المسئولين، قال عطاء عن ابن عباس: « لما أسري بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين، فأذن جبريل ثم أقام، وقال يا محمد تقدم فصل بهم، فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل: سل يا محمد من أرسلنا قبلك من رسلنا، الآية، قال رسول الله ﷺ لا أسأل فقد اكتفيت »، وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد،

---

(١) سورة الزخرف آية: ٤٣.
(٢) سورة الزخرف آية: ٤٤.
(٣) سورة الزخرف آية: ٤٤.
(٤) سورة الزخرف آية: ٤٤.
(٥) سورة الأنبياء آية: ١٠.
(٦) سورة الزخرف آية: ٤٤.
(٧) سورة الزخرف آية: ٤٥.

قالوا: جمع الله له المرسلين ليلة أسري به وأمره أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل. وقال أكثر المفسرين: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء هل جاءتم الرسل إلا بالتوحيد؟ يدل عليه قراءة عبد الله وأبي: (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا)، ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله -عزّ وجلّ.

[٤٦، ٤٧] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [١] استهزاء.

قوله تعالى وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ...

[٤٨] ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ [٢]، قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها، ﴿ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ [٣]، بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، فكانت هذه دلالات لموسى، وعذابا لهم، فكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٤]، عن كفرهم.

[٤٩] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ [٥]، لموسى لما عاينوا العذاب، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ [٦]، يا أيها العالم الكامل الحاذق، إنما قالوا هذا توقيرا وتعظيما له لأن السحر عندهم كان علما عظيما وصفة ممدوحة، وقيل: معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره. وقال الزجاج: خاطبوه به لما تقدم

(١) سورة الزخرف الآيتان : ٤٦ ، ٤٧.
(٢) سورة الزخرف آية: ٤٨.
(٣) سورة الزخرف آية: ٤٨.
(٤) سورة الزخرف آية: ٤٨.
(٥) سورة الزخرف آية: ٤٩.
(٦) سورة الزخرف آية: ٤٩.

له عندهم من التسمية بالساحر. ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ [(١)]، أي بما أخبرتنا من عهده إليك إن آمنا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنا العذاب، ﴿ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [(٢)]، مؤمنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا.

[٥٠] فذلك قوله ﷻ ﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [(٣)]، ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[٥١] ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [(٤)]، أنار النيل، ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ ﴾ [(٥)] من تحت قصوري، وقال قتادة: تجري بين يدي في جناني وبساتيني. وقال الحسن: بأمري. ﴿ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [(٦)]، عظمتي وشدة ملكي.

[٥٢] ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ ﴾ [(٧)]، بل أنا خير، (أم) بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين، وقال الفراء: الوقف على قوله (أم) وفيه إضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم ابتدأ فقال أنا خير، ﴿ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ ﴾ [(٨)]، ضعيف حقير يعني موسى، قوله: ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ [(٩)] يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه.

(١) سورة الزخرف آية: ٤٩.
(٢) سورة الزخرف آية: ٤٩.
(٣) سورة الزخرف آية: ٥٠.
(٤) سورة الزخرف آية: ٥١.
(٥) سورة الزخرف آية: ٥١.
(٦) سورة الزخرف آية: ٥١.
(٧) سورة الزخرف آية: ٥٢.
(٨) سورة الزخرف آية: ٥٢.
(٩) سورة الزخرف آية: ٥٢.

[٥٣] ﴿ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ ﴾[1]، إن كان صادقا، ﴿ أَسۡوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾[2]، قرأ حفص ويعقوب (أَسْوِرَةٌ) جمع سوار، وقرأ الآخرون (أساورة) على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع. قال مجاهد: كانوا إذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته، فقال فرعون: هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيدًا تجب علينا طاعته. ﴿ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ۝٥٣ ﴾[3]، متتابعين يتابع بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره.

[٥٤] قال الله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ ﴾[4]، أي استخف فرعون قومه القبط، أي وجدهم جهالا. وقيل حملهم على الخفة والجهل. يقال استخفه عن رأيه إذا حمله على الجهل وأزاله عن الصواب، ﴿ فَأَطَاعُوهُۚ ﴾[5]، على تكذيب موسى، ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٤ ﴾[6]

[٥٥،٥٦] ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾[7]، أغضبونا، ﴿ ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفًا ﴾[8]، هم الماضون المتقدمون من الأمم، يقال: سلف يسلف إذا تقدم، والسلف من تقدم من الآباء فجعلناهم متقدمين ليتعظ بم الآخرون، ﴿

(١) سورة الزخرف آية: ٥٣.
(٢) سورة الزخرف آية: ٥٣.
(٣) سورة الزخرف آية: ٥٣.
(٤) سورة الزخرف آية: ٥٤.
(٥) سورة الزخرف آية: ٥٤.
(٦) سورة الزخرف آية: ٥٤.
(٧) سورة الزخرف آية: ٥٥.
(٨) سورة الزخرف الآيتان : ٥٥ ، ٥٦.

﴿ وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ [1]، عبرة وعظة لمن بقي بعدهم. وقيل: سلفا لكفار هذه الأمة إلى النار ومثلا لمن يجيء بعدهم.

[٥٧] ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ [2]، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبعري مع النبي ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [3]، وقد ذكرناه في سورة الأنبياء عليهم السلام. ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [4]، قرأ أهل المدينة والشام والكسائي (يصدون) بضم الصاد، أي يعرضون، وقرأ الآخرون بكسر الصاد، واختلفوا في معناه، قال الكسائي: هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون، وشد عليه يشد ويشد، ونم بالحديث ينم وينم، وقال ابن عباس: معناه يضجون. وقال سعيد بن المسيب: يصيحون. وقال الضحاك: يعجون. وقال قتادة: يجزعون. وقال القرظي: يضجرون. لما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون يقولون ما يريد منا محمد إلا أن نعبده ونتخذه إلها كما عبدت النصارى عيسى.

[٥٨] ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ [5]، قال قتادة: أم هو يعنون محمدا فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا. وقال السدي وابن زيد أم هو يعنون عيسى، قالوا: يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار، وقال الله تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ ﴾ [6]، يعني هذا المثل، ﴿ لَكَ إِلَّا جَدَلًا

(١) سورة الزخرف آية: ٥٦.
(٢) سورة الزخرف آية: ٥٧.
(٣) سورة الأنبياء آية: ٩٨.
(٤) سورة الزخرف آية: ٥٧.
(٥) سورة الزخرف آية: ٥٨.
(٦) سورة الزخرف آية: ٥٨.

ﱡ ﱠ(١)، خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله: ﴿ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾(٢)، هؤلاء الأصنام. ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ ﴾(٣).

[٥٩] ثم ذكر عيسى فقال: ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾(٤)، ما هو يعني عيسى عليه السلام، ﴿ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾(٥)، بالنبوة، ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا ﴾(٦) آية وعبرة، ﴿ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ ﴾(٧)، يعرفون به قدرة الله ﷻ على ما يشاء حيث خلقه من غير أب.

[٦٠] ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ ﴾(٨)، أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ۝٦٠ ﴾(٩)، يكونون خلفاء منكم يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني. وقيل: يخلف بعضهم بعضا.

قوله تعالى وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ...

[٦١] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾(١٠)، يعني عيسى عليه السلام ﴿ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ ﴾(١)، يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة: (إنه لَعَلَمٌ

---

(١) سورة الزخرف آية: ٥٨.
(٢) سورة الأنبياء آية: ٩٨.
(٣) سورة الزخرف آية: ٥٨.
(٤) سورة الزخرف آية: ٥٩.
(٥) سورة الزخرف آية: ٥٩.
(٦) سورة الزخرف آية: ٥٩.
(٧) سورة الزخرف آية: ٥٩.
(٨) سورة الزخرف آية: ٦٠.
(٩) سورة الزخرف آية: ٦٠.
(١٠) سورة الزخرف آية: ٦١.

للساعة) بفتح اللام والعين أي أمارة وعلامة، وقال الحسن وجماعة: وإنه يعني وإن القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها، ويخبركم بأحوالها وأهوالها، ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾[2]، فلا تشكنّ فيها، قال ابن عباس: لا تكـذبوا بـها، ﴿ وَٱتَّبِعُونِۚ ﴾[3]، على التوحيـد، ﴿ هَـٰذَا ﴾[4]، الذي أنا عليه، ﴿ صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[5].

[٦٢] ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ﴾[6]، لا يصرفنكم، ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُۖ ﴾[7]، عن دين الله، ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[8].

[٦٣] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾[9]، بالنبوة، ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ ﴾[10]، من أحكام التوراة، قال قتادة: يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى. قال الزجاج: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وبيّن لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ ﴾[11].

---

(١) سورة الزخرف آية: ٦١.
(٢) سورة الزخرف آية: ٦١.
(٣) سورة الزخرف آية: ٦١.
(٤) سورة الزخرف آية: ٦١.
(٥) سورة الزخرف آية: ٦١.
(٦) سورة الزخرف آية: ٦٢.
(٧) سورة الزخرف آية: ٦٢.
(٨) سورة الزخرف آية: ٦٢.
(٩) سورة الزخرف آية: ٦٣.
(١٠) سورة الزخرف آية: ٦٣.
(١١) سورة الزخرف آية: ٦٣.

[٦٤ - ٦٦] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾[1]، هل ينتظرون، ﴿ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾[2]، يعني أنا تأتيهم لا محالة فكأنم ينتظرونا، ﴿ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾[3]، فجأة، ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[4].

[٦٧] ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾[5]، على المعصية في الدنيا، ﴿ يَوْمَئِذٍۭ ﴾[6]، يوم القيامة، ﴿ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[7]، إلا المتحابين في الله ﷻ على طاعة الله -عزّ وجلّ.

[٦٨، ٦٩] ﴿ يَـٰعِبَادِ ﴾[8]، أي فيقال لهم يا عبادي، ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[9]، فييأس الناس منها غير المسلمين.

[٧٠] فيقال لهم: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[10]، تسرون وتنعمون.

---

(١) سورة الزخرف الآيات من ٦٤ : ٦٦.
(٢) سورة الزخرف آية: ٦٦.
(٣) سورة الزخرف آية: ٦٦.
(٤) سورة الزخرف آية: ٦٦.
(٥) سورة الزخرف آية: ٦٧.
(٦) سورة الزخرف آية: ٦٧.
(٧) سورة الزخرف آية: ٦٧.
(٨) سورة الزخرف آية: ٦٨.
(٩) سورة الزخرف الآيتان : ٦٨ ، ٦٩.
(١٠) سورة الزخرف الآيتان : ٦٩ ، ٧٠.

[٧١] ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ ﴾[١]، جمع صحفـة وهي القصعـة الواسعة، ﴿ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ ﴾[٢]، جمع كوب وهو إناء مستـدير مـدور الرأس لا عـرى لها، ﴿ وَفِيهَا ﴾[٣]، أي في الجنة، ﴿ مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ ﴾[٤].

[٧٢،٧٣] ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣ ﴾[٥]

قوله تعالى إن الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ...

[٧٤ - ٧٧] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[٦]، المشركين، ﴿ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ ﴾[٧]، يدعون خازن النار، ﴿ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ ﴾[٨]، ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة، ﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧ ﴾[٩]، مقيمون في العذاب.

---

(١) سورة الزخرف آية: ٧١.
(٢) سورة الزخرف آية: ٧١.
(٣) سورة الزخرف آية: ٧١.
(٤) سورة الزخرف آية: ٧١.
(٥) سورة الزخرف الآيتان : ٧٢ ، ٧٣.
(٦) سورة الزخرف آية: ٧٤.
(٧) سورة الزخرف الآيتان : ٧٤ ، ٧٧.
(٨) سورة الزخرف آية: ٧٧.
(٩) سورة الزخرف آية: ٧٧.

[٧٨] ﴿ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ ﴾[1]، يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٨ ﴾[2].

[٧٩] ﴿ أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ ﴾[3]، أحكموا ﴿ أَمۡرًا ﴾[4]، في المكر برسول الله ﷺ ﴿ فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ۝٧٩ ﴾[5]، محكمون أمرا في مجازاتم، قال مجاهد: إن كادوا شرا كدتم مثله.

[٨٠، ٨١] ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ ﴾[6]، ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم، ﴿ بَلَىٰ ﴾[7]، نسمع ذلك ونعلم، ﴿ وَرُسُلُنَا ﴾[8]، أيضا من الملائكة يعني الحفظة، ﴿ لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ۝٨٠ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ۝٨١ ﴾[9]، يعني إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم، فأنا أول من عبده بأنه واحد لا شريك له ولا ولد. قال ابن عباس: (إن كان) أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك، جعل (إن) بمعنى الجحد. قال السدي: معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من أعبده بذلك، ولكن لا ولد له. وقيل: العابدين بمعنى الآنفين، يعنى أول الجاحدين والمنكرين لما قلتم. ويقال: معناه أنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد،

---

(١) سورة الزخرف آية: ٧٨.
(٢) سورة الزخرف آية: ٧٨.
(٣) سورة الزخرف آية: ٧٩.
(٤) سورة الزخرف آية: ٧٩.
(٥) سورة الزخرف آية: ٧٩.
(٦) سورة الزخرف آية: ٨٠.
(٧) سورة الزخرف آية: ٨٠.
(٨) سورة الزخرف آية: ٨٠.
(٩) سورة الزخرف الآيتان : ٨٠ ، ٨١.

يقال: عبد يعبد - إذا أنف أو غضب - عبدا. وقال قوم: قلّ ما يُقال: عَبَدَ فهو عابد، إنما يقال: عَبَدَ فهو عَبْدٌ.

[٨٢] ثم نزه نفسه فقال: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1] عما يقولون من الكذب.

[٨٣] ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ ﴾[2]، في باطلهم، ﴿ وَيَلْعَبُوا۟ ﴾[3]، في دنياهم، ﴿ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[4]، يعني يوم القيامة.

[٨٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ ﴾[5]، قال قتادة: يُعْبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾[6]، في تدبير خلقه، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾[7]، بمصالحهم.

[٨٥] ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[8]، قرأ ابن كثير والنسائي (يرجعون) بالياء، والآخرون بالتاء.

[٨٦] ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾[9]، وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عُبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا

---

(١) سورة الزخرف آية: ٨٢.
(٢) سورة الزخرف آية: ٨٣.
(٣) سورة الزخرف آية: ٨٣.
(٤) سورة الزخرف آية: ٨٣.
(٥) سورة الزخرف آية: ٨٤.
(٦) سورة الزخرف آية: ٨٤.
(٧) سورة الزخرف آية: ٨٤.
(٨) سورة الزخرف آية: ٨٥.
(٩) سورة الزخرف آية: ٨٦.

يكون (من) في محل الرفع، وقيل: (من) في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، يعني أنهم لا يملكون الشفاعة إلا لمن شهد الحق والأولى أصح، وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد، ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦ ﴾ [1] بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.

[٨٧] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧ ﴾ [2]، يصرفون عن عبادته.

[٨٨] ﴿ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ ﴾ [3]، يعني قول محمد ﷺ شاكيا إلى ربه يا رب، ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨ ﴾ [4]، قرأ عاصم وحمزة (وَقِيلِهِ) بجر اللام والهاء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب، وقرأ الآخرون بالنصب، وله وجهان: أحدهما معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يا رب، والثاني: وقال قيله.

[٨٩] ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ [5] أعرض عنهم، ﴿ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ ﴾ [6]، معناه المتاركة، كقوله تعالى: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝٥٥ ﴾ [7]، ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٨٩ ﴾ [8]، قرأ أهل المدية والشام بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، وقال مقاتل: نسختها آية السيف.

---

(١) سورة الزخرف آية: ٨٦.
(٢) سورة الزخرف آية: ٨٧.
(٣) سورة الزخرف آية: ٨٨.
(٤) سورة الزخرف آية: ٨٨.
(٥) سورة الزخرف آية: ٨٩.
(٦) سورة الزخرف آية: ٨٩.
(٧) سورة القصص آية: ٥٥.
(٨) سورة الزخرف آية: ٨٩.

(٤٤) سورة الدُخَانِ

قوله تعالى حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنا كُنا مُنْذِرِينَ...

[١ - ٣] ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾ [١]، قال قتادة وابن زيد: هي ليلة القدر أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا، ثم نزل جبريل على النبي ﷺ نجوما في عشرين سنة. وقال آخرون هي ليلة النصف من شعبان ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾ [٢].

[٤] ﴿ فِيهَا ﴾ [٣]، أي في الليلة المباركة، ﴿ يُفۡرَقُ ﴾ [٤] أي يفصل، ﴿ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ [٥]، محكم، وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج، يقال: يحج فلان ويحج فلان، قال الحسن ومجاهد وقتادة: يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة، وقال عكرمة. هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد.

[٥] ﴿ أَمۡرٗا ﴾ [٦]، أي أنزلنا أمرا، ﴿ مِّنۡ عِندِنَآۚ ﴾ [٧] قال الفراء: نصب على معنى فيها يفرق كل أمر حكيم فرقا وأمرا، أي نأمر أمرا ببيان ذلك. ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ ﴾ [١]، محمدا ﷺ ومن قبله من الأنبياء.

---

(١) سورة الدخان الآيات من ١ : ٣.

(٢) سورة الدخان آية: ٣.

(٣) سورة الدخان آية: ٤.

(٤) سورة الدخان آية: ٤.

(٥) سورة الدخان آية: ٤.

(٦) سورة الدخان آية: ٥.

(٧) سورة الدخان آية: ٥.

[٦، ٧] ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[٢]، قال ابن عباس رأفة مني بخلقي ونعمتي عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل. وقال الزجاج: أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾[٣]، قرأ أهل الكوفة: (رب) جرا ردا على قوله: (من ربك)، ورفعه الآخرون ردا على قوله: (هو السميع العليم)، وقيل: على الابتداء، ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ ﴾[٤]، أن الله رب السماوات والأرض.

[٨، ٩] ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ ﴾[٥]، من هذا القرآن، ﴿ يَلْعَبُونَ ۝٩ ﴾[٦] يهزءون به لاهون عنه.

[١٠، ١١] ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ ﴾[٧]، تقديره: هو عذاب إلهي ويجوز: أن يكون حكاية لكلامهم بما بعده، أي يقولون هذا عذاب أليم.

[١٢، ١٣] ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[٨]، من أين لهم التذكر والاتعاظ؟ يقول: كيف يتذكرون ويتعظون؟ ﴿ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ﴾[١]، ظاهر الصدق يعني محمدا -صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة الدخان آية: ٥.

(٢) سورة الدخان آية: ٦.

(٣) سورة الدخان الآيتان : ٦ ، ٧.

(٤) سورة الدخان آية: ٧.

(٥) سورة الدخان الآيتان : ٨ ، ٩.

(٦) سورة الدخان آية: ٩.

(٧) سورة الدخان الآيتان : ١٠ ، ١١.

(٨) سورة الدخان الآيتان : ١٢ ، ١٣.

[١٤] ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ ﴾[٢]، أعرضوا عنه، ﴿ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ ﴾[٣]، أي يعلمه بشر، ﴿ مَّجۡنُونٌ ﴾[٤].

[١٥] قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ ﴾[٥] أي عذاب الجوع ﴿ قَلِيلاً ﴾[٦]، أي زمانا يسيرا، قال مقاتل: إلى يوم بدر. ﴿ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴾[٧]، إلى كفركم.

[١٦] ﴿ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾[٨]، وهو يوم بدر، ﴿ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[٩]، وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء وقال الحسن: يوم القيامة، وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس.

[١٧] ﴿ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ﴾[١٠]، بلونا، ﴿ قَبۡلَهُمۡ ﴾[١١]، قبل هؤلاء، ﴿ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴾[١٢]، على الله وهو موسى بن عمران.

---

(١) سورة الدخان آية: ١٣.
(٢) سورة الدخان آية: ١٤.
(٣) سورة الدخان آية: ١٤.
(٤) سورة الدخان آية: ١٤.
(٥) سورة الدخان آية: ١٥.
(٦) سورة الدخان آية: ١٥.
(٧) سورة الدخان آية: ١٥.
(٨) سورة الدخان آية: ١٦.
(٩) سورة الدخان آية: ١٦.
(١٠) سورة الدخان آية: ١٧.
(١١) سورة الدخان آية: ١٧.
(١٢) سورة الدخان آية: ١٧.

[١٨] ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ ﴾[(١)]، يعني بني إسرائيل أطلقـهم ولا تعـذبم، ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٨ ﴾[(٢)]، على الوحي.

قوله تعالى وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ إني آتيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ...

[١٩] ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾[(٣)]، أي لا تتجبروا عليه بترك طاعته ﴿ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٩ ﴾[(٤)]، ببرهان بين على صدق قولي، فلما قال ذلك توعدوه بالقتل.

[٢٠] فقال ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠ ﴾[(٥)]، أن تقتلون، وقال ابن عباس: تشتمون وتقولوا هو ساحر. وقال قتادة: ترجموني بالحجارة.

[٢١] ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ۝٢١ ﴾[(٦)]، فاتركوني لا معي ولا علي. وقال ابن عباس: فاعتزلوا أذاي باليد واللسان، فلم يؤمنوا.

[٢٢] ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝٢٢ ﴾[(٧)]، مشركون فأجابه الله وأمره أن يسري.

[٢٣] فقال: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا ﴾[(٨)]، أي ببني إسرائيل، ﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣ ﴾[(١)]، يتبعكم فرعون وقومه.

---

(١) سورة الدخان آية: ١٨.
(٢) سورة الدخان آية: ١٨.
(٣) سورة الدخان آية: ١٩.
(٤) سورة الدخان آية: ١٩.
(٥) سورة الدخان آية: ٢٠.
(٦) سورة الدخان آية: ٢١.
(٧) سورة الدخان آية: ٢٢.
(٨) سورة الدخان آية: ٢٣.

[٢٤] ﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ ﴾[٢]، إذا قطعته أنت وأصحابك، ﴿ رَهۡوًاۖ ﴾[٣]، ساكنا على حالته وهيئته، بعد أن ضربته ودخلته، معناه لا تأمره أن يرجع اتركه حتى يدخله آل فرعون، وأصل الرهو: السكون. وقال مقاتل: معناه اترك البحر راهيا أي ساكنا، فسمي بالمصدر، أي ذا رهو. وقال كعب: اتركه طريقا. قال قتادة: طريقا يا بسا. قال قتادة: لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فقيل له: اترك البحر رهوا كما هو، ﴿ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤ ﴾[٤]، أخبر موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه كما جاوزه، ثم ذكر ما تركوا بمصر.

[٢٥، ٢٦] فقال: ﴿ كَمۡ تَرَكُواْ ﴾[٥]، يعني بعد الغرق، ﴿ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ ﴾[٦]، مجلس شريف، قال قتادة: الكريم الحسن.

[٢٧] ﴿ وَنَعۡمَةٖ ﴾[٧]، ومتعة وعيش لين، ﴿ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ ﴾[٨]، ناعمين وفاكهين أشرين بطرين.

[٢٨] ﴿ كَذَٰلِكَۖ ﴾[٩]، قال الكلبي: كذلك أفعل بمن عصاني، ﴿ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨ ﴾[١٠]، يعني بني إسرائيل.

---

(١) سورة الدخان آية: ٢٣.
(٢) سورة الدخان آية: ٢٤.
(٣) سورة الدخان آية: ٢٤.
(٤) سورة الدخان آية: ٢٤.
(٥) سورة الدخان آية: ٢٥.
(٦) سورة الدخان الآيتان : ٢٥ ، ٢٦.
(٧) سورة الدخان آية: ٢٧.
(٨) سورة الدخان آية: ٢٧.
(٩) سورة الدخان آية: ٢٨.
(١٠) سورة الدخان آية: ٢٨.

[٢٩] ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [(١)]، وذلك أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحا، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكـي الأرض عليـه. ﴿ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾ [(٢)]، لم ينظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها.

[٣٠] ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [(٣)]، قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل.

[٣١، ٣٢] ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ ﴾ [(٤)] يعني مؤمني بني إسرائيل، ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [(٥)] بهم ﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(٦)]، على عالمي زمانهم.

[٣٣] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴾ [(٧)] قال قتادة: نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى، والنعم التي أنعمها عليهم. قال ابن زيد: ابتلاهم بالرخاء والشدة، وقرأ (ونبلوكم بالشر والخير فتنة).

(١) سورة الدخان آية: ٢٩.
(٢) سورة الدخان آية: ٢٩.
(٣) سورة الدخان آية: ٣٠.
(٤) سورة الدخان آية: ٣٢.
(٥) سورة الدخان آية: ٣٢.
(٦) سورة الدخان آية: ٣٢.
(٧) سورة الدخان آية: ٣٣.

[٣٤، ٣٥] ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[1]، يعني مشركي مكة ﴿ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ ﴾[2]، أي لا موتة إلا هذه التي نموتها في الدنيا، ثم لا بعث بعدها. وهو قوله. ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥ ﴾[3]، بمبعوثين بعد موتتنا.

[٣٦، ٣٧] ﴿ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ ﴾[4]، الذين ماتوا، ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣٦ ﴾[5]، أنا نبعث أحياء بعد الموت، ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال: ﴿ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٍ ﴾ [6] أي ليسوا خيرا منهم، يعني أقوى وأشد وأكثر من قوم تبع. قال قتادة: هو تبع الحميري، وكان سار بالجيوش حتى حيّر الحيرة، وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن، سُمّي تُبعا لكثرة أتباعه، وكل واحد منهم يسمى تبعا لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا الملك يعبد النار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حِمْيَر، فكذبوه ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾[7]، من الأمم الكافرة ﴿ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ۝٣٧ ﴾[8].

---

(١) سورة الدخان آية: ٣٤.
(٢) سورة الدخان الآيتان : ٣٤ ، ٣٥.
(٣) سورة الدخان آية: ٣٥.
(٤) سورة الدخان آية: ٣٦.
(٥) سورة الدخان آية: ٣٦.
(٦) سورة الدخان آية: ٣٧.
(٧) سورة الدخان آية: ٣٧.
(٨) سورة الدخان آية: ٣٧.

[٣٨، ٣٩] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[١]، قيل: يعني للحق وهو الثواب على الطاعة والعقـاب على المعصيـة. ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ ﴾[٢].

قوله تعالى إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ...

[٤٠] ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾[٣]، يوم يفصل الرحمن بين العباد ﴿ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠ ﴾[٤]، يوافي يوم القيامة الأولون والآخرون.

[٤١] ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا ﴾[٥]، لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا، ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١ ﴾[٦]، لا يمنعون من عذاب الله.

[٤٢] ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ ﴾[٧]، يريد المؤمنين فإنه يشفع بعضـهم لبعـض، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾[٨]، في انتقامه من أعدائه، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢ ﴾[٩]، بالمؤمنين.

[٤٣، ٤٤] ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ ﴾[١٠] ذي الإثم، وهو أبو جهل.

---

(١) سورة الدخان الآيتان : ٣٨ ، ٣٩.
(٢) سورة الدخان آية: ٣٩.
(٣) سورة الدخان آية: ٤٠.
(٤) سورة الدخان آية: ٤٠.
(٥) سورة الدخان آية: ٤١.
(٦) سورة الدخان آية: ٤١.
(٧) سورة الدخان آية: ٤٢.
(٨) سورة الدخان آية: ٤٢.
(٩) سورة الدخان آية: ٤٢.
(١٠) سورة الدخان الآيتان : ٤٣ ، ٤٤.

[٤٥، ٤٦] ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾[1]، وهو دردي الزيت الأسـود، ﴿ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ ﴾[2]، قرأ ابن كثير وحفص (يغلي) بالياء، جعلا الفعل للمهل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة، ﴿ فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ ﴾[3] أي بطون الكفار ﴿ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦ ﴾[4]، كالماء الحار إذا اشتد غليانه.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ ﴾[5]، أي يقـال للزبانية خـذوه يعني الأثيـم، ﴿ فَٱعْتِلُوهُ ﴾[6]، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمرو بكسر التاء، وقرأ الباقون بضمها، وهما لغتان، أي ادفعوه وسوقوه، يقال: عتله يعتله عتلا إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب، ﴿ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧ ﴾[7]، وسطه.

[٤٨] ﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٨ ﴾[8]، قال مقاتل: إن خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره.

[٤٩] ثم يقال له: ﴿ ذُقْ ﴾[9]، هذا العذاب، ﴿ إِنَّكَ ﴾[10]، قرأ الكسائي (أنك) بفتح الألف، أي لأنك كنت تقول أنا العزيز الكريم، وقرأ الآخرون

---

(١) سورة الدخان آية: ٤٥.

(٢) سورة الدخان آية: ٤٥.

(٣) سورة الدخان آية: ٤٥.

(٤) سورة الدخان آية: ٤٦.

(٥) سورة الدخان آية: ٤٧.

(٦) سورة الدخان آية: ٤٧.

(٧) سورة الدخان آية: ٤٧.

(٨) سورة الدخان آية: ٤٨.

(٩) سورة الدخان آية: ٤٩.

(١٠) سورة الدخان آية: ٤٩.

بكسرها على الابتداء، ﴿ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[1]، عند قومك بزعمك، وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فتقول له هذا اللفظ خزنة النار على طريق الاستهزاء والتوبيخ.

[٥٠] ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[2]، تشكون فيه ولا وتؤمنون به. ثم ذكر مستقر المتقين، فقال:

[٥١] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾[3]، قرأ أهل المدينة والشام: (في مقام) بضم الميم على المصدر، أي في إقامة، وقرأ الآخرون بفتح الميم، أي في مجلس أمين، أمنوا فيه من الغير، أي من الموت ومن الخروج منه.

[٥٢ - ٥٤] ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسۡتَبۡرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم ﴾[4]، أي كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم ﴿ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[5] أي قرناهم بن ليس من عقد التزويج لأنه لا يقال: زوجته بامرأة، قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجا لهم كأنما يزوج النعل بالنعل، أي جعلناهم اثنين اثنين، والحور هن النساء النقيات البياض. قال مجاهد: يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن. وقال أبو عبيدة: الحور هن شديدات بياض الأعين الشديدات سوادها واحدها أحور، والمرأة حوراء، والعين جمع العيناء وهي عظيمة العينين.

---

(١) سورة الدخان آية: ٤٩.

(٢) سورة الدخان آية: ٥٠.

(٣) سورة الدخان آية: ٥١.

(٤) سورة الدخان الآيات من ٥٢ : ٥٤.

(٥) سورة الدخان آية: ٥٤.

[٥٥] ﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ﴾[١]، اشتهوها، ﴿ ءَامِنِينَ ۝٥٥ ﴾[٢]، من نفادها ومن مضرتها. وقال قتادة: آمنين من الموت والأوصاب والشياطين.

[٥٦] ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾[٣]، أي سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وقيل: إنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا من موت في الجنة لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف إلى أسباب الجنة، يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة، فكان موتهم في الدنيا كأنهم في الجنة لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدتهم إياها. ﴿ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٦ ﴾[٤].

[٥٧] ﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ﴾[٥]، أي فعل ذلك بهم فضلا منه، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٥٧ ﴾[٦].

[٥٨] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ ﴾[٧]، سهلنا القـرآن كنايـة عـن غير مذكـور، ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾[٨]، على لسانك، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ ﴾[٩]، يتعظون.

[٥٩] ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ ﴾[١]، فانتظر النصر من ربك. وقيل: فانتظر لهم العذاب، ﴿ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ۝٥٩ ﴾[٢]، منتظرون قهرك بزعمهم.

---

(١) سورة الدخان آية: ٥٥.
(٢) سورة الدخان آية: ٥٥.
(٣) سورة الدخان آية: ٥٦.
(٤) سورة الدخان آية: ٥٦.
(٥) سورة الدخان آية: ٥٧.
(٦) سورة الدخان آية: ٥٧.
(٧) سورة الدخان آية: ٥٨.
(٨) سورة الدخان آية: ٥٨.
(٩) سورة الدخان آية: ٥٨.

(٤٥) سورة الجَاثِيَة

قوله تعالى حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ إِنَ فِي السمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ...

[١ - ٤] ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ ﴾[٣]، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب (آيات) (وتصريف الرياح آيات) بكسر التاء فيهما ردا على قوله: (لآيات) وهو في موضع النصب، وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف على أن العرب تقول إن لي عليك مالا وعلى أخيك مال، ينصبون الثاني ويرفعونه، ﴿ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾[٤]، أنه لا إله غيره.

[٥] ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ ﴾[٥]، يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد، ﴿ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ ﴾[٦]

[٦] ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾[٧]، يريد هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله نقصها عليك بالحق، ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾[٨]، بعد كتاب الله،

---

(١) سورة الدخان آية: ٥٩.

(٢) سورة الدخان آية: ٥٩.

(٣) سورة الجاثية الآيات من ١ : ٤.

(٤) سورة الجاثية آية: ٤.

(٥) سورة الجاثية آية: ٥.

(٦) سورة الجاثية آية: ٥.

(٧) سورة الجاثية آية: ٦.

(٨) سورة الجاثية آية: ٦.

﴿ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾[1]، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: (تؤمنون) بالتاء على معنى قل لهم يا محمد فبأي حديث تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء.

[٧] ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ ﴾[2]، كذاب صاحب إثم يعني النضر بن الحارث.

[٨، ٩] ﴿ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ﴾[3]، قال مقاتل: من القرآن ﴿ شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ ﴾[4]، وذكر بلفظ الجمع ردا إلى كل في قوله: ﴿ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ ﴾[5].

[١٠] ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ ﴾[6]، أمامهم، ﴿ جَهَنَّمُ ۖ ﴾[7]، يعني أنم في الدنيا متعون بأموالهم ولهم في الآخرة النار يدخلونا، ﴿ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ ﴾[8]، من الأموال، ﴿ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ ﴾[9]، ولا ما عبدوا من دون الله من الآلهة، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾[10].

---

(١) سورة الجاثية آية: ٦.
(٢) سورة الجاثية آية: ٧.
(٣) سورة الجاثية الآيتان : ٨ ، ٩.
(٤) سورة الجاثية آية: ٩.
(٥) سورة الجاثية آية: ٧.
(٦) سورة الجاثية آية: ١٠.
(٧) سورة الجاثية آية: ١٠.
(٨) سورة الجاثية آية: ١٠.
(٩) سورة الجاثية آية: ١٠.
(١٠) سورة الجاثية آية: ١٠.

[١١] ﴿ هَٰذَا ﴾[(١)]، يعني هذا القرآن، ﴿ هُدًى ۖ ﴾[(٢)]، بيان من الضلالة، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ۝١١ ﴾[(٣)].

[١٢، ١٣] ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[(٤)]، ومعنى تسخيرها أنه خلقها لمنافعنا، فهو مسخر لنا من حيث إنا ننتفع به، ﴿ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾[(٥)]، فلا تجعلوا لله أندادا، قال ابن عباس: جميعا منه كل ذلك رحمة منه. قال الزجاج: كل ذلك تفضل منه وإحسان. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣ ﴾[(٦)]

قوله تعالى قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ...

[١٤] ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾[(٧)]، أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته، قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أن رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر رضي الله تعالى عنه أن يبطش به، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يعفو عنه. وقال القرظي والسدي: نزل في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال. ﴿ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا ﴾[(٨)]، قرأ

---

(١) سورة الجاثية آية: ١١.

(٢) سورة الجاثية آية: ١١.

(٣) سورة الجاثية آية: ١١.

(٤) سورة الجاثية الآيتان : ١٢ ، ١٣.

(٥) سورة الجاثية آية: ١٣.

(٦) سورة الجاثية آية: ١٣.

(٧) سورة الجاثية آية: ١٤.

(٨) سورة الجاثية آية: ١٤.

ابن عامر وحمزة والكسائي (لنجزي) بالنون، قرأ الآخرون بالياء، أي ليجزي الله، وقرأ أبو جعفر (لُيجزى) بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاي، قال أبو عمرو: وهو لحن. قال الكسائي: معناه ليجزي الجزاء قوما، ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [1].

[١٥، ١٦] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [2] التوراة، ﴿ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [3]، الحلالات يعني المن والسلوى، ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [4] أي عالمي زمانهم، قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم.

[١٧] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾ [5]، يعني العلم بمبعث محمد ﷺ وما بين لهم من أمره، ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [6].

[١٨] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ ﴾ [7]، يا محمد ﴿ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾ [8]، سنة وطريقة بعد موسى، ﴿ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ [9] من الدين، ﴿ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

(١) سورة الجاثية آية: ١٤.
(٢) سورة الجاثية الآيتان : ١٥ ، ١٦.
(٣) سورة الجاثية آية: ١٦.
(٤) سورة الجاثية آية: ١٦.
(٥) سورة الجاثية آية: ١٧.
(٦) سورة الجاثية آية: ١٧.
(٧) سورة الجاثية آية: ١٨.
(٨) سورة الجاثية آية: ١٨.
(٩) سورة الجاثية آية: ١٨.

﴿ ١٨ ﴾[1]، يعني مراد الكافرين، وذلك أنهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك.

[١٩] فقال جل ذكره: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ ﴾[2]، لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا إن اتبعت أهواءهم، ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩ ﴾[3].

[٢٠] ﴿ هَٰذَا ﴾[4]، يعني القرآن، ﴿ بَصَٰٓئِرُ ﴾[5]، معالم، ﴿ لِلنَّاسِ ﴾[6]، في الحدود والأحكام يبصرون بها، ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٢٠ ﴾[7].

[٢١] ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ﴾[8] بل حسب، ﴿ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[9]، اكتسبوا المعاصي والكفر ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[10]، نزلت في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا، ﴿ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ ﴾[11] قرأ حمزة والكسائي

(١) سورة الجاثية آية: ١٨.
(٢) سورة الجاثية آية: ١٩.
(٣) سورة الجاثية آية: ١٩.
(٤) سورة الجاثية آية: ٢٠.
(٥) سورة الجاثية آية: ٢٠.
(٦) سورة الجاثية آية: ٢٠.
(٧) سورة الجاثية آية: ٢٠.
(٨) سورة الجاثية آية: ٢١.
(٩) سورة الجاثية آية: ٢١.
(١٠) سورة الجاثية آية: ٢١.
(١١) سورة الجاثية آية: ٢١.

وحفص ويعقوب (سواء) بالنصب أي نجعلهم سواء، يعني أحسبوا أن حيـاة الكافـرين ﴿ وَمَمَاتُهُمْ ۚ ﴾ [1] كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أي محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعا، معناه المؤمن مؤمن محياه ومماته أي في الدنيا والآخرة والكافر كافر محياه ومماته في الدنيا والآخرة، ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [2]، بئس ما يقضون.

[٢٢] ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [3].

قوله تعالى أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ...

[٢٣] ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [4]، قال ابن عباس والحسن وقتادة: معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئا إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله. وقال الآخرون: معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه. قال سعيد بن جبير: كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئا أحسن من الأول رموه وكسروه، وعبدوا الآخر. قال الشعبي: إنما سُمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه في النار، ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [5]، منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه، ﴿ وَخَتَمَ ﴾ [6]، طبع، ﴿ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ ﴾ [7] فلم يسمع الهدى، ﴿

---

(١) سورة الجاثية آية: ٢١.

(٢) سورة الجاثية آية: ٢١.

(٣) سورة الجاثية آية: ٢٢.

(٤) سورة الجاثية آية: ٢٣.

(٥) سورة الجاثية آية: ٢٣.

(٦) سورة الجاثية آية: ٢٣.

(٧) سورة الجاثية آية: ٢٣.

وَقَلۡبِهِۦ ﴾ [1]، فلم يعقل الهدى، ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةٗ ﴾ [2]، قرأ حمزة والكسائي غشاوة بفتح الغين وسكون الشين، والباقون غشاوة ظلمة فهو لا يبصر الهدى، ﴿ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ ﴾ [3]، أي فمن يهديه بعد أن أضله الله، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4].

[٢٤] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ [5]، يعني منكري البعث، ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ﴾ [6]، أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، ﴿ نَمُوتُ وَنَحۡيَا ﴾ [7]، أي يموت الآباء ويحيا الأبناء، وقال الزجاج: يعني نموت ونحيا، فالواو للاجتماع، ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ [8]، أي وما يفنينا إلا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار. ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ ﴾ [9]، أي الذي قالوه، ﴿ مِنۡ عِلۡمٍۖ ﴾ [10]، أي لم يقولوه عن علم، ﴿ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [11].

---

(١) سورة الجاثية آية: ٢٣.
(٢) سورة الجاثية آية: ٢٣.
(٣) سورة الجاثية آية: ٢٣.
(٤) سورة الجاثية آية: ٢٣.
(٥) سورة الجاثية آية: ٢٤.
(٦) سورة الجاثية آية: ٢٤.
(٧) سورة الجاثية آية: ٢٤.
(٨) سورة الجاثية آية: ٢٤.
(٩) سورة الجاثية آية: ٢٤.
(١٠) سورة الجاثية آية: ٢٤.
(١١) سورة الجاثية آية: ٢٤.

[٢٥ - ٢٧] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [(١)]، أي ليوم القيامة، ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [(٢)]، يعني الكافرين هم أصحاب الأباطيل، يظهر في ذلك اليوم خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

قوله تعالى وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا...

[٢٨] ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ ﴾ [(٣)]، باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء من الله، قال سلمان الفارسي: إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إبراهيم عليه السلام ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي. ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ [(٤)]، الذي فيه أعمالها، ويقال لهم، ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [(٥)].

[٢٩] ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا ﴾ [(٦)]، يعني ديوان الحفظة. ﴿ يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [(٧)]، يشهد عليكم ببيان شاف، فكأنه ينطق. وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ. ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [(٨)]، أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي بكتبها وإثباتها

---

(١) سورة الجاثية الآيتان : ٢٥ ، ٢٦.
(٢) سورة الجاثية الآيتان : ٢٦ ، ٢٧.
(٣) سورة الجاثية آية: ٢٨.
(٤) سورة الجاثية آية: ٢٨.
(٥) سورة الجاثية آية: ٢٨.
(٦) سورة الجاثية آية: ٢٩.
(٧) سورة الجاثية آية: ٢٩.
(٨) سورة الجاثية آية: ٢٩.

عليكم. وقيل تستنسخ أي تأخذ نسخه، وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب، وقيل: الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم، والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فينسخ كتاب من كتاب. وقال الضحاك: تستنسخ أي يثبت. وقال السدي. تكتب. وقال الحسن: تحفظ.

[٣٠] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ ﴾[١]، الظفر الظاهر.

[٣١] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[٢]، يقال لهم، ﴿ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٣]، متكبرين كافرين.

[٣٢] ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا ﴾[٤]، قرأ حمزة: (والساعة) نصب عطفها على الوعد وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء، ﴿ قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا ﴾[٥]، أي ما نعلم ذلك إلا حدسا وتوهما. ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٦]، أنا كائنة.

---

(١) سورة الجاثية آية: ٣٠.
(٢) سورة الجاثية آية: ٣١.
(٣) سورة الجاثية آية: ٣١.
(٤) سورة الجاثية آية: ٣٢.
(٥) سورة الجاثية آية: ٣٢.
(٦) سورة الجاثية آية: ٣٢.

[٣٣] ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ [١] في الآخرة، ﴿ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ [٢]، في الدنيا أي جزاؤها ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٣].

[٣٤، ٣٥] ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ ﴾ [٤]، نترككم في النار، ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ [٥]، تركتم الإيمان، والعمل للقاء هذا اليوم، ﴿ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [٦]، حتى قلتم: لا بعث ولا حساب، ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ [٧]، قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء، ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٨]، لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله، لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذرا ولا توبة.

[٣٦، ٣٧] ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ ﴾ [٩] العظمة، ﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [١٠].

---

(١) سورة الجاثية آية: ٣٣.
(٢) سورة الجاثية آية: ٣٣.
(٣) سورة الجاثية آية: ٣٣.
(٤) سورة الجاثية آية: ٣٤.
(٥) سورة الجاثية آية: ٣٤.
(٦) سورة الجاثية الآيتان : ٣٤ ، ٣٥.
(٧) سورة الجاثية آية: ٣٥.
(٨) سورة الجاثية آية: ٣٥.
(٩) سورة الجاثية الآيتان : ٣٦ ، ٣٧.
(١٠) سورة الجاثية آية: ٣٧.

(٤٦) سورة الأحقاف

قوله تعالى حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَق وَأَجَلٍ مُسَمى...

[١ - ٣] ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (١)، يعني يوم القيامة وهو الأجل الذي تنتهي إليه السماوات والأرض، وهو إشارة إلى فنائهما، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ ﴾ (٢)، خوفوا به في القرآن من البعث الحساب، ﴿ مُعْرِضُونَ ۝ ﴾ (٣).

[٤] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ ﴾ (٤)، أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون، ﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ (٥)، قال الكلبي: أي بقية من علم يؤثر على الأولين، أي يسند إليهم. قال مجاهد وعكرمة ومقاتل: رواية عن الأنبياء. وقال قتادة: خاصة من علم. وأصل الكلمة من الأثر وهو الرواية، يقال: أثرت الحديث أثرا وأثارة، ومنه قيل للخبر. أثر. ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ ﴾ (٦).

---

(١) سورة الأحقاف الآيات من ١ : ٣.
(٢) سورة الأحقاف آية: ٣.
(٣) سورة الأحقاف آية: ٣.
(٤) سورة الأحقاف آية: ٤.
(٥) سورة الأحقاف آية: ٤.
(٦) سورة الأحقاف آية: ٤.

[٥] ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾[(١)]، يعني الأصنام لا تجيب عابديها إلى شيء يسألونها، ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[(٢)]، يعني أبدا ما دامت الدنيا؟ ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ ﴾[(٣)]، لأنها جماد لا تسمع ولا تفهم.

قوله تعالى وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ...

[٦] ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦ ﴾[(٤)]، جاحدين بيانه قوله: ﴿ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝٦٣ ﴾[(٥)].

[٧] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ ﴾[(٦)]، يسمون القرآن سحرا.

[٨] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ ﴾[(٧)]، محمد من قبل نفسه، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ قُلْ ﴾[(٨)]، يا محمد، ﴿ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ ﴾[(٩)]، لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذبني على افترائي، فكيفا أفتري على الله من أجلكم، ﴿ هُوَ

(١) سورة الأحقاف آية: ٥.
(٢) سورة الأحقاف آية: ٥.
(٣) سورة الأحقاف آية: ٥.
(٤) سورة الأحقاف آية: ٦.
(٥) سورة القصص آية: ٦٣.
(٦) سورة الأحقاف آية: ٧.
(٧) سورة الأحقاف آية: ٨.
(٨) سورة الأحقاف آية: ٨.
(٩) سورة الأحقاف آية: ٨.

﴿ أَعۡلَمُ ﴾ [١]، الله أعلم، ﴿ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ ﴾ [٢]، تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه إنه سحر. ﴿ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ ۖ ﴾ [٣]، أن القرآن جاء من عنده، ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨ ﴾ [٤]، في تأخير العذاب عنكم، قال الزجاج: هذا دعاء لهم إلى التوبة، معناه: إن الله ﷻ غفور لمن تاب منكم رحيم به.

[٩] ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [٥]، أي لست بأول مرسل، قد بعث قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوتي. ﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ ۖ ﴾ [٦]، اختلف العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون، فقالوا: واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يُفعل به، فأنزل الله. ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [٧]، فقالت الصحابة: هنيئا لك يا نبي الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعـالى: ﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ ﴾ [٨] الآية، وأنزل: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ ﴾ [٩]، فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم وقالت

(١) سورة الأحقاف آية: ٨.
(٢) سورة الأحقاف آية: ٨.
(٣) سورة الأحقاف آية: ٨.
(٤) سورة الأحقاف آية: ٨.
(٥) سورة الأحقاف آية: ٩.
(٦) سورة الأحقاف آية: ٩.
(٧) سورة الفتح آية: ٢.
(٨) سورة الفتح آية: ٥.
(٩) سورة الأحزاب آية: ٤٧.

جماعة. قوله ﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ [1] في الدنيا، أما في الآخرة فقد علم أنه في الجنة، وأن من كذبه فهو في النار، ثم اختلفوا فيه، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: « لما أشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر إليها، فقال له أصحابه: متى تاجر إلى الأرض التي أُريتَ فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ [2] »، أأترك في مكاني أم أخرج أنا وأنتم إلى الأرض التي رفعت لي، وقال بعضهم: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إلى ماذا يصير عاقبة أمري وأمركم في الدنيا، بأن أقيم معكم في مكانكم أم أخرج كما خرجت الأنبياء من قبلي، أم أقتل كما قتل الأنبياء من قبلي، وأنتم أيها المصدقون لا أدري تخرجون معي أم تتركون، أم ماذا يفعل بكم أيها المكذبون، أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم، أي شيء يفعل بكم، كما فعل بالأمم المكذبة؟ ثم أخبر الله ﷻ أنه يظهر دينه على الأديان، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [3]، وقال في أمته: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [4] فأخبر الله ما يصنع به وأمته ﴿ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [5] أي ما أتبع إلا القرآن ولا أبتدع من عندي شيئا، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٩﴾ ﴾ [6]

---

(١) سورة الأحقاف آية: ٩.

(٢) سورة الأحقاف آية: ٩.

(٣) سورة التوبة آية: ٣٣.

(٤) سورة الأنفال آية: ٣٣.

(٥) سورة الأحقاف آية: ٩.

(٦) سورة الأحقاف آية: ٩.

[١٠] ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ ﴾ [(١)] معناه أخبروني ماذا تقولون ﴿ إِن كَانَ ﴾ [(٢)] يعني القرآن ﴿ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ ﴾ [(٣)] أيها المشركون، ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ ﴾ [(٤)] المثل: صلة يعني عليه، أي على أنه من عند الله، ﴿ فَـَٔامَنَ ﴾ [(٥)]، يعني الشاهد، ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ ﴾ [(٦)]، عن الإيمان به واختلفوا في هذا. الشاهد قال قتادة والضحاك: هو عبد الله بن سلام، شهد على نبوة المصطفى ﷺ وآمن به، واستكبر اليهود فلم يؤمنوا. وقال الآخرون: الشاهد هو موسى بن عمران. وقال الشعبي قال مسروق في هذه الآية: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، لأن حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة، ونزلت هذه الآية في محاجة كانت من رسول الله ﷺ لقومه، ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد ﷺ على القرآن، وكل واحد يصدق الآخر. وقيل: هو نبي من بني إسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا.

[١١] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [(٧)]، من اليهود، ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ ﴾ [(٨)]، دين محمد ﷺ ﴿ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ ﴾ [(٩)]، يعني عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال قتادة نزلت في مشركي مكة، قالوا: لو كان ما يدعونا إليه محمد خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان. وقال الكلبي: الذين كفروا أسد وغطفان، قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة: لو

---

(١) سورة الأحقاف آية: ١٠.
(٢) سورة الأحقاف آية: ١٠.
(٣) سورة الأحقاف آية: ١٠.
(٤) سورة الأحقاف آية: ١٠.
(٥) سورة الأحقاف آية: ١٠.
(٦) سورة الأحقاف آية: ١٠.
(٧) سورة الأحقاف آية: ١١.
(٨) سورة الأحقاف آية: ١١.
(٩) سورة الأحقاف آية: ١١.

كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا إليه رعاء البهم: قال الله تعـالى: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ ﴾[1]، يعني بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان، ﴿ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[2]، كما قالوا أساطير الأولين.

[١٢] ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ ﴾[3] أي ومن قبل القرآن ﴿ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾[4] يعني التوراة، ﴿ إِمَامًا ﴾[5]، يقتدى به ﴿ وَرَحْمَةً ﴾[6]، من الله لمن آمن به ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ ﴾[7] أي القرآن مصدق للكتب التي قبله ﴿ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾[8]، نصب على الحال، وقيل: بلسان عربي، ﴿ لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾[9]، يعني مشركي مكة، قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب: لتنذر بالتاء على خطاب النبي ﷺ وقرأ الآخرون بالياء يعني الكتاب، ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[10]، ﴿ وَبُشْرَىٰ ﴾[11] في محل الرفع، أي هذا كتاب مصدق وبشرى.

---

(١) سورة الأحقاف آية: ١١.
(٢) سورة الأحقاف آية: ١١.
(٣) سورة الأحقاف آية: ١٢.
(٤) سورة الأحقاف آية: ١٢.
(٥) سورة الأحقاف آية: ١٢.
(٦) سورة الأحقاف آية: ١٢.
(٧) سورة الأحقاف آية: ١٢.
(٨) سورة الأحقاف آية: ١٢.
(٩) سورة الأحقاف آية: ١٢.
(١٠) سورة الأحقاف آية: ١٢.
(١١) سورة الأحقاف آية: ١٢.

[١٣- ١٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (١)

قوله تعالى وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا...

[١٥] قـولـه ﷻ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ ﴾ (٢)، يريد شدة الطلق ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ﴾ (٣) فطامه ﴿ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ (٤) يريد أقل مدة الحمل وهي ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ (٥)، نهاية قوته، وغاية شبابه واستوائه، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة، فذلك قوله: ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ (٦) وقال السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد مضت القصة. وقال الآخرون: نزلت في أبي بكر الصديق وأبيه قحافة عثمان بن عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو. قال علي بن أبي طالب: الآية نزلت في أبي بكر أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أسلم أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده، وكان أبو بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة الشام، فلما بلغ أربعين سنة ونُبئ النبي ﷺ آمن به ودعا ربه فـ ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾ (٧) ألهمني، ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

---

(١) سورة الأحقاف الآيتان : ١٣، ١٤.
(٢) سورة الأحقاف آية: ١٥.
(٣) سورة الأحقاف آية: ١٥.
(٤) سورة الأحقاف آية: ١٥.
(٥) سورة الأحقاف آية: ١٥.
(٦) سورة الأحقاف آية: ١٥.
(٧) سورة الأحقاف آية: ١٥.

﴿ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾ [1]، بالهداية والإيمان، ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ [2]، قال ابن عباس: وأجابه الله ﷻ فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضا فقال: ﴿ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾ [3]، فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعا، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي ﷺ ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [4].

[١٦] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ [5]، يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا، وكلها حسن، والأحسن بمعنى الحسن، فيثيبهم عليها، ﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [6]، فلا نعاقبهم عليها ﴿ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ ﴾ [7]، مع أصحاب الجنة، ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [8]، وهو قوله ﷻ ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [9].

---

(١) سورة الأحقاف آية: ١٥.
(٢) سورة الأحقاف آية: ١٥.
(٣) سورة الأحقاف آية: ١٥.
(٤) سورة الأحقاف آية: ١٥.
(٥) سورة الأحقاف آية: ١٦.
(٦) سورة الأحقاف آية: ١٦.
(٧) سورة الأحقاف آية: ١٦.
(٨) سورة الأحقاف آية: ١٦.
(٩) سورة التوبة آية: ٧٢.

[١٧] ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ ﴾ (١)، إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقـرار بالبعـث، ﴿ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ (٢)، وهي كلمة كراهية، ﴿ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ (٣)، من قبري حيا، ﴿ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ﴾ (٤)، فلم يبعث منهم أحد، ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ ﴾ (٥). يستصرخان ويستغيثان الله عليه ويقولان له، ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ ﴾ (٦) ما هذا الذي تدعواني إليه، ﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٧ ﴾ (٧)، قال ابن عباس والسدي ومجاهد: نزلت في عبد الله. وقيل في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى، ويقول: أحيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون، وأنكرت عائشة -رضي الله عنها- أن يكون هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر، والصحيح أنا نزلت في كافر عاق لوالديه، قاله الحسن وقتادة، وقال الزجاج: قول من قال إنا نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، يبطله قوله:

[١٨] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ (٨) الآية، أعلم الله تعالى أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب، ومعنى أولئك الذين حق عليهم القول وجب عليهم العذاب،

---

(١) سورة الأحقاف آية: ١٧.
(٢) سورة الأحقاف آية: ١٧.
(٣) سورة الأحقاف آية: ١٧.
(٤) سورة الأحقاف آية: ١٧.
(٥) سورة الأحقاف آية: ١٧.
(٦) سورة الأحقاف آية: ١٧.
(٧) سورة الأحقاف آية: ١٧.
(٨) سورة الأحقاف آية: ١٨.

﴿ فِيٓ أُمَمٍ ﴾ [1]، مع أمم، ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [2].

[١٩] ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ ﴾ [3]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يريد من سبق إلى الإسلام، فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة. قال مقاتل: ولكل فضائل بأعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم. وقيل: ولكل يعني ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين درجات، يعني منازل، ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فيجازيهم عليها. قال ابن زيد: في هذه الآية درج أهل النار تذهب سفالا، ودرج أهل الجنة تذهب علوا. ﴿ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [4]، ليكتمل لهم ثواب أعمالهم، ﴿ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [5].

[٢٠] ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [6]، فيقال لهم ﴿ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [7]، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: (أأذهبتم)، بالاستفهام، ويهمز ابن عامر همزتين، والآخرون بلا استفهام على الخبر وكلاهما فصيحان، لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فتقول: أذهبت ففعلت كذا؟ ﴿ وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا ﴾ [8]، يقول: أذهبت طيباتكم يعني اللذات وتمتعتم با ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ

(١) سورة الأحقاف آية: ١٨.
(٢) سورة الأحقاف آية: ١٨.
(٣) سورة الأحقاف آية: ١٩.
(٤) سورة الأحقاف آية: ١٩.
(٥) سورة الأحقاف آية: ١٩.
(٦) سورة الأحقاف آية: ٢٠.
(٧) سورة الأحقاف آية: ٢٠.
(٨) سورة الأحقاف آية: ٢٠.

﴿ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [1]، أي العذاب الذي فيه ذل وخزي، ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [2]، تتكبرون، ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [3]، فلما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات في الدنيا آثر النبي ﷺ وأصحابه الصالحون اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة.

قوله تعالى وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ...

[٢١] قوله ﷻ ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾ [4]، يعني هودا، ﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ [5]، قال ابن عباس: الأحقاف: واد بين عمان ومهرة. وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له: مهرة وإليها تنسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم. قال قتادة: ذكر لنا أن عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحْر. والأحقاف جمع حقف وهي المستطيل المعوج من الرمال. قال ابن زيد: هي ما استطال من الرمل، كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا، قال الكسائي: هي ما استدار من الرمال، ﴿ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [6]، مضت الرسل، ﴿ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ [7]،

---

(١) سورة الأحقاف آية: ٢٠.
(٢) سورة الأحقاف آية: ٢٠.
(٣) سورة الأحقاف آية: ٢٠.
(٤) سورة الأحقاف آية: ٢١.
(٥) سورة الأحقاف آية: ٢١.
(٦) سورة الأحقاف آية: ٢١.
(٧) سورة الأحقاف آية: ٢١.

أي من قبل هود، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ ﴾[1]، إلى قومهم، ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾[2].

[٢٢] ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا ﴾[3]، لتصرفنا، ﴿ عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾[4]، أي عن عبادتنا، ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾[5]، من العذاب، ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[6]، أن العذاب نازل بنا.

[٢٣] ﴿ قَالَ ﴾[7]، هود، ﴿ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[8]، وهو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾[9]، من الوحي ﴿ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[10].

[٢٤] ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾[11] يعني ما يوعدون به من العذاب، ﴿ عَارِضًا ﴾[12]، سحابا يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء، ﴿ مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾[1]،

---

(١) سورة الأحقاف آية: ٢١.
(٢) سورة الأحقاف آية: ٢١.
(٣) سورة الأحقاف آية: ٢٢.
(٤) سورة الأحقاف آية: ٢٢.
(٥) سورة الأحقاف آية: ٢٢.
(٦) سورة الأحقاف آية: ٢٢.
(٧) سورة الأحقاف آية: ٢٣.
(٨) سورة الأحقاف آية: ٢٣.
(٩) سورة الأحقاف آية: ٢٣.
(١٠) سورة الأحقاف آية: ٢٣.
(١١) سورة الأحقاف آية: ٢٤.
(١٢) سورة الأحقاف آية: ٢٤.

أَوۡدِيَتِهِمۡ ﴾ [1]، فخرجت عليهم سحابة سوداء من واد لهم يقال له: المغيث، وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما رأوها استبشروا، ﴿ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ ﴾ [2]، يقول الله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [3]، فجعلت الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنا جرادة.

[٢٥] ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ ﴾ [4]، مرت به من رجال عاد وأموالها، ﴿ بِأَمۡرِ رَبِّهَا ﴾ [5]، فأول ما عرفوا أنا عذاب رأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بم الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتم وأغلقوا أبوابم فجاءت الريح فقلعت أبوابم وصرعتهم، وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال، وكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام، لهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بـم في البحـر ﴿ فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ ﴾ [6]، قرأ عاصم وحمزة ويعقوب (يرى) بضم الياء (مساكنهم) برفع النون يعني لا يرى شيء إلا مساكنهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها، (مساكنهم) نصب يعني لا ترى أنت يا محمد إلا مساكنهم لأن السكان والأنعام بادت بالريح، فليم يبق إلا هود ومن آمن معه. ﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [7].

---

(١) سورة الأحقاف آية: ٢٤.

(٢) سورة الأحقاف آية: ٢٤.

(٣) سورة الأحقاف آية: ٢٤.

(٤) سورة الأحقاف آية: ٢٥.

(٥) سورة الأحقاف آية: ٢٥.

(٦) سورة الأحقاف آية: ٢٥.

(٧) سورة الأحقاف آية: ٢٥.

[٢٦] ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾[(١)]، يعني فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطول العمر وكثرة المال. قال المبرد: (ما) في قوله (فيما) بمنزلة الذي، (إن) بمنزلة ما، وتقديره: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه. ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[(٢)]

[٢٧] ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم ﴾[(٣)]، يا أهل مكة، ﴿ مِّنَ ٱلْقُرَىٰ ﴾[(٤)]، كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما، ﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ ﴾[(٥)] الحجج والبينـات، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[(٦)]، عن كفرهم فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوّف مشركي مكة.

[٢٨] ﴿ فَلَوْلَا ﴾[(٧)]، فهـلا ﴿ نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ﴾[(٨)]، يعني الأوثان التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله ﷻ القربان كل ما يتقرب به إلى الله ﷻ وجمعه قرابين، كالرهبان والرهابين، ﴿ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ ﴾[(٩)]، قال مقاتل بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب، ﴿ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ ﴾[(١٠)]، أي

(١) سورة الأحقاف آية: ٢٦.
(٢) سورة الأحقاف آية: ٢٦.
(٣) سورة الأحقاف آية: ٢٧.
(٤) سورة الأحقاف آية: ٢٧.
(٥) سورة الأحقاف آية: ٢٧.
(٦) سورة الأحقاف آية: ٢٧.
(٧) سورة الأحقاف آية: ٢٨.
(٨) سورة الأحقاف آية: ٢٨.
(٩) سورة الأحقاف آية: ٢٨.
(١٠) سورة الأحقاف آية: ٢٨.

كذبهم الذي كانوا يقولون: إنا تقربهم إلى الله ﷻ وتشفع لهم، ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَفۡتَرُونَ ۝٢٨ ﴾[1]، يكذبون أنا آلهة.

قوله تعالى وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا...

[٢٩] ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾[2]، اختلفوا في عدد ذلك النفر، فقال ابن عباس: كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم. وقال آخرون: كانوا تسعة. وروى عاصم عن زر بن حبيش: كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن. ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ ﴾[3]، قالوا: صه. قال بعضهم لبعض: أنصتوا واسكتوا لنستمع إلى قراءته، فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء، فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم، ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ ﴾[4]، فرغ من تلاوته، ﴿ وَلَّوۡا۟ إِلَىٰ قَوۡمِهِم ﴾[5]، انصرفوا إليهم، ﴿ مُّنذِرِينَ ۝٢٩ ﴾[6]، مخوفين داعين بأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

[٣٠] ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٠ ﴾[7]، قال عطاء: كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى.

---

(١) سورة الأحقاف آية: ٢٨.

(٢) سورة الأحقاف آية: ٢٩.

(٣) سورة الأحقاف آية: ٢٩.

(٤) سورة الأحقاف آية: ٢٩.

(٥) سورة الأحقاف آية: ٢٩.

(٦) سورة الأحقاف آية: ٢٩.

(٧) سورة الأحقاف آية: ٣٠.

[٣١] ﴿ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ [(١)]، يعني محمدا ﷺ ﴿ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [(٢)]، (من) صلة أي ذنوبكم، ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [(٣)] وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثا إلى الجن والإنس جميعا. قال مقاتل: لم يبعث قبله نبي إلى الإنس والجن جميعا. واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن، فقال: ليس لهم ثواب إلا نجاتم من النار، وحكى سفيان عن ليث قال: الجن ثوابم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم كونوا ترابا، وهذا مثل البهائم. وقال الآخرون. يكون لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس. وقال جرير عن الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون، وقال عمر بن عبد العزيز: إن مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها.

[٣٢] ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٤)]، لا يعجز الله فيفوته، ﴿ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ﴾ [(٥)] أنصار يمنعونه من الله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٦)].

[٣٣] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ [(٧)] لم يعجز عن إبداعهن، ﴿ بِقَـٰدِرٍ ﴾ [(٨)]، هكذا قراءة العامة، واختلفوا في وجه دخول الباء

(١) سورة الأحقاف آية: ٣١.
(٢) سورة الأحقاف آية: ٣١.
(٣) سورة الأحقاف آية: ٣١.
(٤) سورة الأحقاف آية: ٣٢.
(٥) سورة الأحقاف آية: ٣٢.
(٦) سورة الأحقاف آية: ٣٢.
(٧) سورة الأحقاف آية: ٣٣.
(٨) سورة الأحقاف آية: ٣٣.

فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتأكيد، كقوله: ﴿ تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ ﴾[1]، وقال الكسائي والفراء: العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد فتقول: ما أظنك بقائم ﴿ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

[٣٤] ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[3]، فيقال لهم، ﴿ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ ﴾[4]، أي فيقـال لـهم، ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[5].

[٣٥] ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[6]، قال ابن عباس. ذوو الحزم. وقال الضحاك: ذوو الجد والصبر. واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحزم، ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال: اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز. وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أولو عزم إلا يونس بن متى لعجلة كانت منه، ألا ترى أنه قيل للنبي ﷺ ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾[7]، وقال قوم: هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الأنعام، وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ

---

(١) سورة المؤمنون آية: ٢٠.
(٢) سورة الأحقاف آية: ٣٣.
(٣) سورة الأحقاف آية: ٣٤.
(٤) سورة الأحقاف آية: ٣٤.
(٥) سورة الأحقاف آية: ٣٤.
(٦) سورة الأحقاف آية: ٣٥.
(٧) سورة القلم آية: ٤٨.

ﮓ ﴾ [(١)]، وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين. وقيل: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى -عليهم السلام- وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء. وقال مقاتل: هم ستة: نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على البئر والسجن، وأيوب صبر على الضر. وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع، فهم مع محمد ﷺ خمسة، قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ ﴾ [(٢)]، وفي قوله تعـالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ [(٣)] الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ ﴾ [(٤)]، أي ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ي ل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال، ثم أخبر عن قرب العذاب فقال: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ ﴾ [(٥)]، من العذاب في الآخرة، ﴿ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ ﴾ [(٦)]، في الدنيا، ﴿ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ ﴾ [(٧)]، أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نار، لأن ما

(١) سورة الأنعام آية: ٩٠.
(٢) سورة الأحزاب آية: ٧.
(٣) سورة الشورى آية: ١٣.
(٤) سورة الأحقاف آية: ٣٥.
(٥) سورة الأحقاف آية: ٣٥.
(٦) سورة الأحقاف آية: ٣٥.
(٧) سورة الأحقاف آية: ٣٥.

مضى وإن كان طويلا كأن لم يكن، ثم قال: ﴿ بَلَٰغٌۚ ﴾[1]، أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم، والبلاغ بمعنى التبليغ، ﴿ فَهَلۡ يُهۡلَكُ ﴾[2]، بالعذاب إذا نزل ﴿ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾[3]، الخارجون من أمر الله، قال الزجاج: تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية .

(١) سورة الأحقاف آية: ٣٥.

(٢) سورة الأحقاف آية: ٣٥.

(٣) سورة الأحقاف آية: ٣٥.

(٤٧) سورة محمد

قوله تعالى الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدوا عَنْ سَبِيل اللهِ أَضَل أَعْمَالَهُمْ...

[١] ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝ ﴾ [(١)]، أبطلها فلم يقبلها، وأراد بالأعمال ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام، قال الضحاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ وجعل الدائرة عليهم.

[٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ [(٢)]، قال سفيان الثوري: يعني لم يخالفوه في شيء، ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [(٣)]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (الذين كفروا وصدوا) مشركو مكة، والذين آمنوا وعملوا الصالحات الأنصار. ﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ﴾ [(٤)]، حالهم، قال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا.

[٣] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَـٰطِلَ ﴾ [(٥)]، الشيطان، ﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [(٦)]، يعني القرآن ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ۝ ﴾ [(٧)]، أشكالهم، قال الزجاج: كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين، وإضلال أعمال الكافرين.

---

(١) سورة محمد آية: ١.
(٢) سورة محمد آية: ٢.
(٣) سورة محمد آية: ٢.
(٤) سورة محمد آية: ٢.
(٥) سورة محمد آية: ٣.
(٦) سورة محمد آية: ٣.
(٧) سورة محمد آية: ٣.

[٤] ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾[(١)]، نصب على الإغراء، أي: فاضربوا رقابم يعني: أعناقهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ ﴾[(٢)]، بالغتم في القتل وقهرتموهم، ﴿ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ ﴾[(٣)]، يعني في الأسر حتى لا يفلتوا منكم، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل، كما قال: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[(٤)]، ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾[(٥)]، يعني بعد أن تأسروهم فإما أن تمنوا عليهم منا بإطلاقهم من غير عوض، وإما أن تفادوهم فداء، واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة بقوله: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾[(٦)]، وبقوله: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[(٧)] قالوا: لا يجوز المن على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء، وذهب آخرون إلى أن الآية محكمة والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين، قال ابن عباس: لما كثر المسلمون واشتد سلطانم أنزل الله ﷻ في الأسارى (فَإما مَنا بَعْدُ وَإما فِدَاءً)، وهذا هو الأصح والاختيار، لأنه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده.

(١) سورة محمد آية: ٤.

(٢) سورة محمد آية: ٤.

(٣) سورة محمد آية: ٤.

(٤) سورة الأنفال آية: ٦٧.

(٥) سورة محمد آية: ٤.

(٦) سورة الأنفال آية: ٥٧.

(٧) سورة التوبة آية: ٥.

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ﴾[1]، أي أثقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر ما يحتمل الإنسان، فسمى الأسلحة أوزارا لأنا تحمل، وقيل: الحرب هم المحاربون كالشرب والركب، وقيل: الأوزار الآثام، ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند قدوم عيسى ابن مريم -عليهما السلام- وقال الكلبي: حتي يسلموا أو يسالموا، وقال الفراء: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[2]، الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار، ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾[3]، فأهلكهم وكفاكم أمرهم بغير قتال، ﴿ وَلَٰكِن ﴾[4] أمركم بالقتال، ﴿ لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾[5]، فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكفار إلى العذاب، ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[6]، قرأ أهل البصرة وحفص: (قتلوا) بضم القاف وكسر التاء خفيف، يعني الشهداء، وقرأ الآخرون، (قاتلوا) بالألف من المقاتلة، وهم المجاهدون، ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ ﴾[7]، قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل.

---

(١) سورة محمد آية: ٤.

(٢) سورة محمد آية: ٤.

(٣) سورة محمد آية: ٤.

(٤) سورة محمد آية: ٤.

(٥) سورة محمد آية: ٤.

(٦) سورة محمد آية: ٤.

(٧) سورة محمد آية: ٤.

[٥] ﴿ سَيَهۡدِيهِمۡ ﴾ (١)، أيام حياتم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات، ﴿ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ ﴾ (٢) يرضي خصماءَهم ويقبل أعمالهم.

[٦] ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦ ﴾ (٣)، أي بيّن لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطئونا ولا يستدلون عليها أحدا، كأنم سكانا منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى إلى درجته، وزوجته وخدمه إلى م له وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين، وروى عطاء عن ابن عباس: (عَرفَهَا لَهُمْ) أي طيبها لهم من العرف، وهو الريح الطيبة وطعام معرف أي مطيب.

[٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ (٤)، أي دينـه ورسـولـه، ﴿ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ (٥)، على عدوكم، ﴿ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾ (٦)، عند القتال.

[٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسًا لَّهُمۡ ﴾ (٧)، قال ابن عباس: بُعْدًا لهم. وقال أبو العالية: سقوطا لهم. وقال الضحاك: خيبة لهم. وقال ابن زيد: شقاء لهم. قال الفراء: هو نصب على المصدر، على سبيل الدعاء. وقيل: في الدنيا العثرة، وفي الآخرة التردي في النار. ويقال للعاثر: تعسًا إذا لم يريدوا قيامه، وضده لعًا إذا أرادوا قيامه، ﴿ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ﴾ (٨)، لأنا كانت في طاعة الشيطان.

---

(١) سورة محمد آية: ٥.
(٢) سورة محمد آية: ٥.
(٣) سورة محمد آية: ٦.
(٤) سورة محمد آية: ٧.
(٥) سورة محمد آية: ٧.
(٦) سورة محمد آية: ٧.
(٧) سورة محمد آية: ٨.
(٨) سورة محمد آية: ٨.

[٩] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [١] التعس والإضلال، ﴿ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [٢]، ثم خوف الكفار فقال:

[١٠] ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾ [٣]، أي أهلكهم، ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [٤]، أي لم يؤمنوا، يتوعد مشركي مكة.

[١١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [٥]، الذي ذكرت، ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [٦]، وليهم وناصرهم، ﴿ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [٧]، لا ناصر لهم، ثم ذكر مآل الفريقين فقال:

قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...

[١٢] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ ﴾ [٨]، في الدنيا، ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ [٩]، ليس لهم

(١) سورة محمد آية: ٩.
(٢) سورة محمد آية: ٩.
(٣) سورة محمد آية: ١٠.
(٤) سورة محمد آية: ١٠.
(٥) سورة محمد آية: ١١.
(٦) سورة محمد آية: ١١.
(٧) سورة محمد آية: ١١.
(٨) سورة محمد آية: ١٢.
(٩) سورة محمد آية: ١٢.

همة إلّا بطونم وفروجهم، وهم لاهون ساهون عما في غد، قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين والكافر يتمتع، ﴿ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢ ﴾ [١]

[١٣] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ﴾ [٢] أي: أشد قوة من أهل مكة، ﴿ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ [٣]، أي أخرجك أهلها، قال ابن عباس: كم رجال هم أشد من أهل مكة؟ يدل عليه قوله: ﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ [٤]، ولم يقل. أهلكناها، ﴿ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝١٣ ﴾ [٥].

[١٤] ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [٦]، يقين من دينه، محمـد والمؤمنـون، ﴿ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ۝١٤ ﴾ [٧]، يعني عبادة الأوثان، وهم أبو جهل والمشركون.

[١٥] ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [٨]، أي صفتها، ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ [٩]، آسن متغير منتن، قرأ ابن كثير (أسن) بالقصر، والآخرون بالمد، وهما لغتان يقال: أَسَنَ الماء يأسُنُ أسنًا، وآسَنَ يأسُنُ وياسن، وأجن يأجن وياجن، أسونا

(١) سورة محمد آية: ١٢.
(٢) سورة محمد آية: ١٣.
(٣) سورة محمد آية: ١٣.
(٤) سورة محمد آية: ١٣.
(٥) سورة محمد آية: ١٣.
(٦) سورة محمد آية: ١٤.
(٧) سورة محمد آية: ١٤.
(٨) سورة محمد آية: ١٥.
(٩) سورة محمد آية: ١٥.

وأجونا إذا تغير، ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ ﴾[1]، لذيذة، ﴿ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾[2]، لم تدنسها الأرجل ولم تدنسها الأيدي، ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ ﴾[3]، أي من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار، ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا ﴾[4]، شديد الحر تسعر عليه جهنم منذ خلقت، إذا أدني منهم يشوي وجوههم ووقعت فروة رءوسهم فإذا شربوه، ﴿ فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[5]، فخرجت من أدبارهم، والأمعاء جميع ما في البطن من الحوايا واحدها معي.

[١٦] ﴿ وَمِنْهُم ﴾[6]، يعني من هؤلاء الكفار، ﴿ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾[7]، وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تاونا به وتغافلا، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ ﴾[8]، يعني فإذا خرجوا من عندك، ﴿ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[9]، من الصحابة، ﴿ مَاذَا قَالَ ﴾[10] محمد، ﴿ ءَانِفًا ۚ ﴾[11]، يعنى الآن، وهو من الائتناف

---

(١) سورة محمد آية: ١٥.
(٢) سورة محمد آية: ١٥.
(٣) سورة محمد آية: ١٥.
(٤) سورة محمد آية: ١٥.
(٥) سورة محمد آية: ١٥.
(٦) سورة محمد آية: ١٦.
(٧) سورة محمد آية: ١٦.
(٨) سورة محمد آية: ١٦.
(٩) سورة محمد آية: ١٦.
(١٠) سورة محمد آية: ١٦.
(١١) سورة محمد آية: ١٦.

ويقال: ائتنفت الأمر أي ابتدأته وأنف الشيء أوله، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاءً ماذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال ابن عباس: وقد سئلـت فيمن سئـل، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾[1]، فلم يؤمنوا، ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ۝١٦﴾[2]، في الكفر والنفاق.

[١٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾[3]، يعني المؤمنين، ﴿زَادَهُمۡ﴾[4]، ما قال الرسول، ﴿هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ۝١٧﴾[5]، وفقهم للعمل بما أمرهم به، وهو التقوى، قال سعيد بن جبير: وآتاهم ثواب تقواهم.

[١٨] ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾[6] أماراتها وعلاماتها واحدها شرط، وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ۝١٨﴾[7]، فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة، نظيره: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٢٣﴾[8].

---

(١) سورة محمد آية: ١٦.
(٢) سورة محمد آية: ١٦.
(٣) سورة محمد آية: ١٧.
(٤) سورة محمد آية: ١٧.
(٥) سورة محمد آية: ١٧.
(٦) سورة محمد آية: ١٨.
(٧) سورة محمد آية: ١٨.
(٨) سورة الفجر آية: ٢٣.

[١٩] ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١)، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل: معناه فاثبتْ عليه. وقال الحسين بن الفضل: فازدد علما على علمك. وقال أبو العالية وابن عيينة. هو متصل بما قبله معناه: إذا جاءتم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها إلا إلى الله. وقيل: فاعلم أنه لا إله إلا الله أن الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله، ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ (٢)، أُمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته ﴿ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ (٣)، هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيهم ﷺ أن يستغفر لذنوبم وهو الشفيع الـاب فيهم، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ (٤)، قال ابن عباس والضحاك: متقلبكم متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا، ومثواكم مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار. وقال مقاتل وابن جرير: متقلبكم منصرفكم لأشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل. وقال عكرمة: متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم مقامكم في الأرض. وقال ابن كيسان: متقلبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم مقامكم في القبور، والمعنى: أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

قوله تعالى وَيَقُولُ الذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزلَتْ سُورَةٌ...

[٢٠] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٥) حرصا منهم على الجهاد، ﴿ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ ﴾ (٦)، تأمرنا بالجهاد، ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ ﴾ (١)، قال

---

(١) سورة محمد آية: ١٩.
(٢) سورة محمد آية: ١٩.
(٣) سورة محمد آية: ١٩.
(٤) سورة محمد آية: ١٩.
(٥) سورة محمد آية: ٢٠.
(٦) سورة محمد آية: ٢٠.

قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين، ﴿ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[2]، يعني المنافقين، ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾[3]، شزرًا بتحديق شديد، كراهية منهم للجهاد وجبنًا عن لقاء العدو، ﴿ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾[4]، نظر الشاخص بصره عند الموت، ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾[5]، وعيد وتديد، ومعنى قولهم في التهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره.

[٢١] ثم قال: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾[6]، وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره: طاعة وقول معروف أمثل، أي لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن. وقيل: مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة: طاعة، رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منّا طاعة، وقول معروف حسن. وقيل: هو متصل بما قبله واللام في قولهم بمعنى الباء، مجازه: فأولى بهم طاعة الله ورسوله، وقول معروف بالإجابة، أي لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء. ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾[7]، أي جد الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزومًا، ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ ﴾[8]، في إظهار الإيمان والطاعة، ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، وقيل: جواب إذا محذوف تقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا، ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم.

---

(١) سورة محمد آية: ٢٠.
(٢) سورة محمد آية: ٢٠.
(٣) سورة محمد آية: ٢٠.
(٤) سورة محمد آية: ٢٠.
(٥) سورة محمد آية: ٢٠.
(٦) سورة محمد آية: ٢١.
(٧) سورة محمد آية: ٢١.
(٨) سورة محمد آية: ٢١.

[٢٢] ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ ﴾ [٢]، فلعلكم، ﴿ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ [٣]، أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه، ﴿ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٤]، تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، فتفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعدما جمعكم الله بالإسلام. ﴿ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٥]، قرأ يعقوب: (وتقطعوا) بفتح التاء خفيف، والآخرون بالتشديد من التقطيع على التكثير لأجل الأرحام، قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟ وقال بعضهم: هو من الولاية. وقال المسيب بن شريك والفراء: يقول فهل عسيُتم إن وُليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم، نزلت في بني أمية وبني هاشم، يدل عليه قراءة على بن أبي طالب (تُوُليتم) بضم التاء والواو وكسر اللام، يقول إن وليتكم ولاة جائرة خرجتم معهم في الفتنة وعاونتموهم.

[٢٣] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٦] عن الحق.

[٢٤] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٧]، فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه، و (أم) بمعنى (بل).

---

(١) سورة محمد آية: ٢١.

(٢) سورة محمد آية: ٢٢.

(٣) سورة محمد آية: ٢٢.

(٤) سورة محمد آية: ٢٢.

(٥) سورة محمد آية: ٢٢.

(٦) سورة محمد آية: ٢٣.

(٧) سورة محمد آية: ٢٤.

[٢٥] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم ﴾[(١)]، رجعوا كفارا، ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ﴾[(٢)]، قال قتادة: هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم، وقال ابن عباس والضحـاك والسـدي: هم المنافقـون، ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ ﴾[(٣)]، زين لهم القبيح، ﴿ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥ ﴾[(٤)]، قرأ أهل البصرة بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، وقرأ مجاهد: بإرسال الياء على وجه الخبر من الله ﷻ عن نفسه أنه يفعل ذلك، وتروى هذه القراءة عن يعقوب، وقرأ الآخرون (وَأملى لهم) بفتح الألف أي وأملى الشيطان لهم مد لهم في الأمل.

[٢٦] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ﴾[(٥)]، يعني المنافقين أو اليهود، ﴿ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ ﴾[(٦)]، وهم المشركون، ﴿ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ ﴾[(٧)]، في التعاون على عداوة محمد ﷺ والقعود عن الجهاد، وكانوا يقولونه سرا فأخبر الله تعالى عنهم ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦ ﴾[(٨)]، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون بفتحها على جمع السر.

[٢٧] ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ٢٧ ﴾[(٩)].

---

(١) سورة محمد آية: ٢٥.

(٢) سورة محمد آية: ٢٥.

(٣) سورة محمد آية: ٢٥.

(٤) سورة محمد آية: ٢٥.

(٥) سورة محمد آية: ٢٦.

(٦) سورة محمد آية: ٢٦.

(٧) سورة محمد آية: ٢٦.

(٨) سورة محمد آية: ٢٦.

(٩) سورة محمد آية: ٢٧.

[٢٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[(١)]، أي الضرب، ﴿ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾[(٢)]، قال ابن عباس: بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ ﴿ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾[(٣)]، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان، ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾[(٤)].

[٢٩] ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[(٥)]، يعني المنافقين، ﴿ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾[(٦)]، أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرفوا نفاقهم، واحدها ضغن، قال ابن عباس: حسدهم.

قوله تعالى وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ...

[٣٠] ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ ﴾[(٧)]، أي لأعلمناكهم وعرفناكهم، ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ ﴾[(٨)]، بعلامتهم، قال الزجاج: المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها. قال أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم. ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ ﴾[(٩)]، في معناه ومقصده، واللحن: وجهان صواب وخطأ، فالفعل من الصواب لحن يلحن لحنا فهو لحن إذا فطن

---

(١) سورة محمد آية: ٢٨.
(٢) سورة محمد آية: ٢٨.
(٣) سورة محمد آية: ٢٨.
(٤) سورة محمد آية: ٢٨.
(٥) سورة محمد آية: ٢٩.
(٦) سورة محمد آية: ٢٩.
(٧) سورة محمد آية: ٣٠.
(٨) سورة محمد آية: ٣٠.
(٩) سورة محمد آية: ٣٠.

للشيء، ومنه قول النبي ﷺ ﴿ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ﴾[1]، والفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا فهو لاحن، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، والمعنى إنك تعرفهم فيما يعرضون له من تجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بم، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد خلقه وعقيدته، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَـٰلَكُمۡ ﴾[2].

[٣١] ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ ﴾[3]، ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال، ﴿ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[4]، أي علم الوجود، يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره، ﴿ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾[5]، أي نظهرها ونكشفها بإباء من يأبى القتال، ولا يصبر على الجهاد، وقرأ أبو بكر عن عاصم (وليبلونكم حتى يعلم)، ويبلو بالياء فيهن، لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَـٰلَكُمۡ ﴾[6]، وقرأ الآخرون بالنون فيهن، لقوله تعالى ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَـٰكَهُمۡ ﴾[7] وقرأ يعقوب (ونبلوا) ساكنة الواو ردا على قوله (ولنبلونكم) وقرأ الآخرون بالفتح ردا على قوله (حَتى نَعْلَمَ).

---

(١) البخاري الحيل (٦٥٦٦)،مسلم الأقضية (١٧١٣)،النسائي آداب القضاة (٥٤٠١)،أبو داود الأقضية (٣٥٨٣)،ابن ماجه الأحكام (٢٣١٧)،أحمد (٣٠٧/٦)،مالك الأقضية (١٤٢٤).

(٢) سورة محمد آية: ٣٠.

(٣) سورة محمد آية: ٣١.

(٤) سورة محمد آية: ٣١.

(٥) سورة محمد آية: ٣١.

(٦) سورة محمد آية: ٣٠.

(٧) سورة محمد آية: ٣٠.

[٣٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)]، أي: رسـول الله ﷺ ﴿ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا ﴾ [(٢)]، إنما يضرون أنفسهم، ﴿ وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٣)]، فلا يرون لها ثوابا في الآخرة، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: هم المطعمون يوم بدر، ونظيرها قوله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [(٤)].

[٣٣] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٥)]، قال عطاء: بالشك والنفاق، وقال الكلبي: بالرياء والسمعة. وقال الحسن: بالمعاصي والكبائر. وقال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فـ لت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال، وقال مقاتل: لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطلوا أعمالكم، نزلت في بني أسد وسنذكره في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى. [(٦)].

[٣٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ ﴾ [(٧)]، هم أصحاب القليب وحكمها عام.

---

(١) سورة محمد آية: ٣٢.

(٢) سورة محمد آية: ٣٢.

(٣) سورة محمد آية: ٣٢.

(٤) سورة الأنفال آية: ٣٦.

(٥) سورة محمد آية: ٣٣.

(٦) آية (١٤).

(٧) سورة محمد آية: ٣٤.

[٣٥] ﴿ فَلَا تَهِنُواْ ﴾[١]، لا تضعفوا ﴿ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ ﴾[٢]، أي لا تدعوا إلى الصلح، ابتداء منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلمـوا، ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾[٣]، الغالبون، قال الكلبي: آخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات، ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾[٤]، بالعون والنصرة ﴿ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٥ ﴾[٥]، لن ينقصكم شيئا من ثوب أعمالكم، يقال: وتره يتره وترا إذا نقص حقه، قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها.

[٣٦] ثم حض على طلب الآخرة فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ ﴾[٦]، باطل وغرور، ﴿ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾[٧]، الفواحش، ﴿ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ ﴾[٨]، جزاء أعمالكم في الآخرة ﴿ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ ﴾[٩]، ربكم ﴿ أَمۡوَٰلَكُمۡ ۝٣٦ ﴾[١٠]، لإيتاء الأجر بل يأمركم بالإيمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة، نظيره قوله: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن

(١) سورة محمد آية: ٣٥.
(٢) سورة محمد آية: ٣٥.
(٣) سورة محمد آية: ٣٥.
(٤) سورة محمد آية: ٣٥.
(٥) سورة محمد آية: ٣٥.
(٦) سورة محمد آية: ٣٦.
(٧) سورة محمد آية: ٣٦.
(٨) سورة محمد آية: ٣٦.
(٩) سورة محمد آية: ٣٦.
(١٠) سورة محمد آية: ٣٦.

رِّزۡقٖ ﴾ [1]، وقيل: لا يسألكم محمد أموالكم، نظيره: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ [2]، وقيل معنى الآية: لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات، إنما يسألانكم غيضا من فيض، ربع العشر فطيبوا بها نفسا، وقروا بها عينا وإلى هذا القول ذهب ابن عُيينة، يدل عليه سياق الآية:

[٣٧] ﴿ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ ﴾ [3]، أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسألة جميعها، يقال: أحفى فلان فلانا إذا جهده، وألحف عليه بالمسألة، ﴿ تَبۡخَلُواْ ﴾ [4]، بها فلا تعطوها، ﴿ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧ ﴾ [5]، بغضكم وعداوتكم، قال قتادة: علم الله أن في مسألة الأموال خروج الأضغان.

[٣٨] ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [6]، يعني إخراج ما فرض الله عليكم، ﴿ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ ﴾ [7]، بما فرض عليه من الزكاة، ﴿ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ [8]، عن صدقاتكم وطاعتكم، ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ ﴾ [9]، إليه وإلى ما عنده من الخير. ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا

(١) سورة الذاريات آية: ٥٧.
(٢) سورة الفرقان آية: ٥٧.
(٣) سورة محمد آية: ٣٧.
(٤) سورة محمد آية: ٣٧.
(٥) سورة محمد آية: ٣٧.
(٦) سورة محمد آية: ٣٨.
(٧) سورة محمد آية: ٣٨.
(٨) سورة محمد آية: ٣٨.
(٩) سورة محمد آية: ٣٨.

يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ [1]، بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم، قال الكلبي: هم كندة والنخع، وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: فارس والروم.

(١) سورة محمد آية: ٣٨.

(٤٨) سورة الفتح

قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...

[١] قوله ﷻ ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ ﴾ [(١)]، أي قضينا لك قضاء بيِّنًا. وقال الضحاك: إنا فتحنا لك فتحا مبينا بغير قتال، وكان الصلح من الفتح المبين، واختلفوا في هذا الفتح، عن أنس: أنه فتح مكة، وقال مجاهد: فتح خيبر، والأكثرون على أنه صلح الحديبية، ومعنى الفتح فتح المنغلق، والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذرا حتى فتحه الله -عزّ وجلّ.

[٢] ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ [(٢)] في الجاهلية قبل الرسالة، ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [(٣)] إلى وقت نزول هذه السورة. وقيل: ما تأخر مما يكون، وقال سفيان الثوري: ما تقدم مما عملت في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم تعمله، ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد، وقال عطاء الخراساني: ما تقدم من ذنبك: يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك، وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك. ﴿ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ ﴾ [(٤)] بالنبوة والحكمة ﴿ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ ﴾ [(٥)]، أي يثبتك عليه، والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة والمغفرة والهداية إلى الصراط المستقيم وهو الإسلام. وقيل: ويهديك أي يهدي بك.

[٣] ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾ [(٦)] غالبا. وقيل: معزا.

---

(١) سورة الفتح آية: ١.
(٢) سورة الفتح آية: ٢.
(٣) سورة الفتح آية: ٢.
(٤) سورة الفتح آية: ٢.
(٥) سورة الفتح آية: ٢.
(٦) سورة الفتح آية: ٣.

[٤] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾(١)، الطمأنينة والوقار ﴿ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢)، لئلا تـ عج نفوسهم لما يرد عليهم، قال ابن عباس: كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة، ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ ﴾(٣)، قال ابن عباس: بعث الله رسوله لشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد، حتى أكمل لهم دينهم، فكلما أمروا بشيء فصدقوه ازدادوا تصديقا إلى تصديقهم. وقال الضحاك: يقينا مع يقينهم. قال الكلبي: هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ ﴾(٤).

[٥] ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ ﴾(٥) عن أنس أن الصحابة قالوا لما نزل ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾(٦) هنيئا مريئا فما يفعل بنا فـ ل: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ ﴾(٧) الآية.

---

(١) سورة الفتح آية: ٤.
(٢) سورة الفتح آية: ٤.
(٣) سورة الفتح آية: ٤.
(٤) سورة الفتح آية: ٤.
(٥) سورة الفتح آية: ٥.
(٦) سورة الفتح آية: ٢.
(٧) سورة الفتح آية: ٥.

[٦] ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ﴾(١)، يريد أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة، ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ ﴾(٢)، أن لن ينصر محمدا والمؤمنين، ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ ﴾ (٣) بالعذاب والهلاك، ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ ﴾(٤).

[٧ - ٩] ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾(٥)، أي تعينوه وتنصروه، ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾(٦)، تعظموه وتفخموه هذه الكنايات راجعة إلى النبي ﷺ وهاهنا وقف، ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾(٧)، أي تسبحوا الله يريد تصلّوا له، ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ ﴾(٨) بالغداة والعشي.

قوله تعالى إِنَّ الذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ...

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾(٩)، يا محمد بالحديبية على ألا يفروا، ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾(١)، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة، ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

(١) سورة الفتح آية: ٦.
(٢) سورة الفتح آية: ٦.
(٣) سورة الفتح آية: ٦.
(٤) سورة الفتح آية: ٦.
(٥) سورة الفتح الآيات من ٧ : ٩.
(٦) سورة الفتح آية: ٩.
(٧) سورة الفتح آية: ٩.
(٨) سورة الفتح آية: ٩.
(٩) سورة الفتح آية: ١٠.

﴾ [٢]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم. وقال السدي: كانوا يأخذونه بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم في المبايعة، ﴿ فَمَن نَّكَثَ ﴾ [٣]، نقض البيعة، ﴿ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ ﴾ [٤]، عليه وباله، ﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ ﴾ [٥]، ثبت على البيعة، ﴿ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١٠ ﴾ [٦]، وهو الجنة.

[١١] ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾ [٧]، قال ابن عباس ومجاهد: يعني أعراب بني غفار ومزينة وجهينة، وأشجع وأسلم، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حربا، فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾ [٨] يعني الذين خلفهم الله ﷻ عن صحبتك، فإذا انصرفت من سفرك إليهم فعاتبهم على التخلف عنك، ﴿ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا ﴾ [٩]، يعني النساء والذراري أي لم يكن لنا

(١) سورة الفتح آية: ١٠.
(٢) سورة الفتح آية: ١٠.
(٣) سورة الفتح آية: ١٠.
(٤) سورة الفتح آية: ١٠.
(٥) سورة الفتح آية: ١٠.
(٦) سورة الفتح آية: ١٠.
(٧) سورة الفتح آية: ١١.
(٨) سورة الفتح آية: ١١.
(٩) سورة الفتح آية: ١١.

من يخلفنا فيهم ﴿ فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ ﴾[1]، تخلفنا عنك، فكذبهم الله ﷻ في اعتذارهم فقال: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ ﴾[2] من أمر الاستغفار، فإنهم لا يبالون أستغفر لهم النبي ﷺ أو لا، ﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا ﴾[3]، سوء، ﴿ أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ ﴾[4]، قرأ حمزة والكسائي: (ضرا) بضم الضاد، وقرأ الآخرون بفتحها لأنه قابله بالنفع والنفع ضد الضر، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى: إن أراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر أحد على دفعه. ﴿ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾[5]

[١٢] ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدًا ﴾[6]، أي ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون، ﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾[7]، زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم، ﴿ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ ﴾[8]

وذلك أنهم قالوا: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون معه انتظروا ما يكون من أمرهم. ﴿ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[9]، هلكى لا تصلحون لخير.

---

(١) سورة الفتح آية: ١١.
(٢) سورة الفتح آية: ١١.
(٣) سورة الفتح آية: ١١.
(٤) سورة الفتح آية: ١١.
(٥) سورة الفتح آية: ١١.
(٦) سورة الفتح آية: ١٢.
(٧) سورة الفتح آية: ١٢.
(٨) سورة الفتح آية: ١٢.
(٩) سورة الفتح آية: ١٢.

[١٣ - ١٥] ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ۝١٣ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٤ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾[1]، يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية، ﴿ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ ﴾[2]، سرتم وذهبتم أيها المؤمنون، ﴿ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ﴾[3]، يعني غنائم خيبر، ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ ﴾[4]، إلى خيبر نشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة إذ انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئا، قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾[5]، يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة، وقال مقاتل: يعني أمر الله نبيه ﷺ ألا يسير منهم أحد، قال ابن زيد: هو قول الله ﷻ ﴿ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ﴾[6]، والأول أصوب، وعليه عامة أهل التأويل، ﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾[7]، إلى خيبر، ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ ﴾[8]، أي من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب، ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ ﴾[9]، أي يمنعكم الحسد

(١) سورة الفتح الآيات من ١٣ : ١٥.
(٢) سورة الفتح آية: ١٥.
(٣) سورة الفتح آية: ١٥.
(٤) سورة الفتح آية: ١٥.
(٥) سورة الفتح آية: ١٥.
(٦) سورة التوبة آية: ٨٣.
(٧) سورة الفتح آية: ١٥.
(٨) سورة الفتح آية: ١٥.
(٩) سورة الفتح آية: ١٥.

أن نصيب معكم الغنائم، ﴿ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾[1]، لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين، ﴿ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥﴾ ﴾[2]، منهم وهو من صدق الله والرسول.

قوله تعالى قُلْ لِلْمُخَلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ...

[١٦] ﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾[3]، قال ابن عباس ومجاهد وعطاء: هم أهل فارس. وقال كعب: هم الروم. وقال الحسن: فارس والروم. وقال سعيد بن جبير: هوازن وثقيف. وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين. وقال الزهري ومقاتل وجماعة: هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب. قال زافر بن خديج: كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم. وقال ابن جريش دعاهم عمر ﷺ إلى قتال فارس. وقال أبو هريرة: لم يأت تأويل هذه الآية بعد. ﴿ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ ﴾[4]، يعني الجنة، ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ ﴾[5]، تعرضوا ﴿ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ ﴾[6]، عام الحديبية، ﴿ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦﴾ ﴾[7]، وهو النار، فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟

---

(١) سورة الفتح آية: ١٥.
(٢) سورة الفتح آية: ١٥.
(٣) سورة الفتح آية: ١٦.
(٤) سورة الفتح آية: ١٦.
(٥) سورة الفتح آية: ١٦.
(٦) سورة الفتح آية: ١٦.
(٧) سورة الفتح آية: ١٦.

[١٧] فأنزل الله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ ﴾[1]، يعني في التخلف عن الجهاد، ﴿ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٧ ﴾[2].

[١٨] ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ ﴾[3]، بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا، ﴿ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[4]، وكانت سمرة، ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾[5]، من الصدق والوفاء، ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾[6]، الطمأنينـة والرضـا، ﴿ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ ﴾[7]، يعني فتح خيبر.

[١٩] ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ ﴾[8]، من أموال يهود خيبر، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فاقتسمها رسول الله ﷺ بينهم، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٩ ﴾[9].

[٢٠] ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا ﴾[1]، وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ ﴾[2]، يعني خيبر، ﴿ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ ﴾[3]

---

(١) سورة الفتح آية: ١٧.
(٢) سورة الفتح آية: ١٧.
(٣) سورة الفتح آية: ١٨.
(٤) سورة الفتح آية: ١٨.
(٥) سورة الفتح آية: ١٨.
(٦) سورة الفتح آية: ١٨.
(٧) سورة الفتح آية: ١٨.
(٨) سورة الفتح آية: ١٩.
(٩) سورة الفتح آية: ١٩.

وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: كف أيدي الناس عنكم يعني أهل مكة بالصلح، ﴿ وَلِتَكُونَ ﴾[4]، كفهم وسلامتكم، ﴿ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]، على صدقك ويعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم، ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢٠ ﴾[6]، يثبتكم على الإسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية، وفتح خيبر.

[٢١] قوله ﷻ ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا ﴾[7] وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها، ﴿ قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ ﴾[8]، حتى يفتحها لكم كأنه حفظها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، قال ابن عباس: علم الله أنه يفتحها لكم، واختلفوا فيها، فقال ابن عباس ومقاتل: هي فارس والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالإسلام. وقال الضحاك وابن زيد: هي خيبر وعدها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يرجونا. وقال قتادة: هي مكة. وقال عكرمة: حنين. وقال مجاهد: ما فتحوا حتى اليوم، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۝٢١ ﴾[9]

(١) سورة الفتح آية: ٢٠.
(٢) سورة الفتح آية: ٢٠.
(٣) سورة الفتح آية: ٢٠.
(٤) سورة الفتح آية: ٢٠.
(٥) سورة الفتح آية: ٢٠.
(٦) سورة الفتح آية: ٢٠.
(٧) سورة الفتح آية: ٢١.
(٨) سورة الفتح آية: ٢١.
(٩) سورة الفتح آية: ٢١.

[٢٢] ﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [١]، يعني أسد وغطفان وأهل خيبر، ﴿ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ﴾ [٢]، لانهزموا، ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [٣].

[٢٣] ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ ﴾ [٤]، أي سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٥]

قوله تعالى وَهُوَ الذِي كف أيدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأيدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبطن مَكةَ مِنْ بَعْدِ أنْ أظفَرَكُمْ عَليهمْ...

[٢٤] قوله ﷻ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [٦]

[٢٥] قوله -عزّ وجلّ-: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [٧]، يعني كفار مكة، ﴿ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [٨]، أن تطوفوا به عام الحديبية، ﴿ وَٱلْهَدْىَ ﴾ [٩]، أي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة، ﴿ مَعْكُوفًا ﴾ [١٠]، محبوسا، يقال: عكفته عكفا إذا حبسته وعكوفا لازم، كما

---

(١) سورة الفتح آية: ٢٢.
(٢) سورة الفتح آية: ٢٢.
(٣) سورة الفتح آية: ٢٢.
(٤) سورة الفتح آية: ٢٣.
(٥) سورة الفتح آية: ٢٣.
(٦) سورة الفتح آية: ٢٤.
(٧) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٨) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٩) سورة الفتح آية: ٢٥.
(١٠) سورة الفتح آية: ٢٥.

يقال: رجع رجعا ورجوعا، ﴿ أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ ﴾[1]، منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم، ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ ﴾[2]، يعني المستضعفين بمكة، ﴿ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ ﴾[3]، لم تعرفوهم، ﴿ أَن تَطَـُٔوهُمْ ﴾[4]، بالقتال وتوقعـوا بـهم، ﴿ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ ﴾[5]، قال ابن زيد: معرة إثم. وقال ابن إسحاق: غرم الدية. وقيل: الكفارة لأن الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب - إذا لم يعلم إيمانه - الكفارة دون الدية، فقال: ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ ﴾[6]، وقيل: هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم، والمعرة المشقة، يقول: لولا أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم بم كفارة أو يلحقكم سبة، وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾[7]، فاللام في ليدخل متعلق بمحذوف دلّ عليه معنى الكلام، يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها، ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ ﴾[8]، لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار، ﴿ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾[9]،

---

(١) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٢) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٣) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٤) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٥) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٦) سورة النساء آية: ٩٢.
(٧) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٨) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٩) سورة الفتح آية: ٢٥.

بالسبي والقتل بأيديكم، وقال بعض أهل العلم: لعذبنا جواب لكلامين أحدهما: (لولا رجال)، والثاني: (لو تزيلوا)، ثم قال: ﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ (١)، يعني المؤمنين والمؤمنات، وقوله: (في رحمته)، أي جنته. وقال قتادة في هذه الآية: إن الله يدفع بالمؤمن عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

[٢٦] ﴿ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ ﴾ (٢) حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت عام الحديبية، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمدا رسول الله ﷺ والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة. قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونا علينا، فهذه ﴿ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ﴾ (٣)، التي دخلت قلوبم، ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٤)، حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم، ﴿ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (٥)، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كلمة التقوى "لا إله إلا الله". وروي عن أبي بن كعب مرفوعا. وقال علي وابن عمر: كلمة التقوى لا إله إلا الله والله أكبر. وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقال الزهري: هي بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا ﴾ (٦)، من كفار

---

(١) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٢) سورة الفتح آية: ٢٦.
(٣) سورة الفتح آية: ٢٦.
(٤) سورة الفتح آية: ٢٦.
(٥) سورة الفتح آية: ٢٦.
(٦) سورة الفتح آية: ٢٦.

مكة، ﴿ وَأَهْلَهَا ﴾ [1]، أي وكانوا أهلها في علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [2]

قوله تعالى لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرؤْيا بِالحَق لَتَدْخُلن المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنينَ...

[٢٧] ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [3]، وذلك أن النبي ﷺ أري في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين ويحلقون رءوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحبوا أنم داخلو مكةَ عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك، فأنزل الله هذه الآية. وروي عن مجمع بن [جارية] الأنصاري. قال ﴿ شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر، فقال بعضهم: ما بال الناس؟ فقالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ قال فخرجنا نرجف، فوجدنا النبي ﷺ واقفا على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ [4]، فقال عمر: أوفتح هو يا رسول الله؟ قال: (نعـم والـذي نفسي بيده) ﴾ [5]. ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية، وتحقق الرؤيا كان في العام

(١) سورة الفتح آية: ٢٦.
(٢) سورة الفتح آية: ٢٦.
(٣) سورة الفتح آية: ٢٧.
(٤) سورة الفتح آية: ١.
(٥) أخرجه أحمد (٤٢٠/٣)، وأبو داود (٥٢/٢)، والحاكم (١٣١/٢) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووفقه الذهبي.

المقبل، فقال جل ذكره: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾(1)، أخبر أن الرؤية التي أراه إياها في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدق وحق. قوله: (لَتَدْخُلُن) يعني وقال: لتدخلن. وقال ابن كيسان: لتدخلن من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر الله عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك، وإنما استثنى مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى، تأدبا بآداب الله، حيث قال له: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾(2). وقال أبو عبيدة: (إن) بمعنى إذ مجازه: إذ شاء الله، كقوله: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾(3)، وقال الحسين بن الفضل: يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة، ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية: (لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله)، وقيل الاستثناء واقع على الأمر لا على الدخول، لأن الدخول لم يكن فيه شك، كقول النبي ﷺ عند دخول المقبرة: ﴿ وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ﴾(4) (5). فالاستثناء راجع إلى اللحوق بأهل لا إله إلا الله لا إلى الموت. ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ ﴾(6)، كلها، ﴿ وَمُقَصِّرِينَ ﴾(7)، بأخذ بعض شعورها، ﴿ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾(8)، أن الصلاح كان في الصلح وتأخير

---

(1) سورة الفتح آية: ٢٧.

(2) سورة الكهف الآيتان : ٢٣ ، ٢٤.

(3) سورة البقرة آية: ٩١.

(4) مسلم الطهارة (٢٤٩)،أبو داود الجنائز (٣٢٣٧)،ابن ماجه الزهد (٤٣٠٦)،أحمد (٣٠٠/٢)،مالك الطهارة (٦٠).

(5) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجنائز برقم (٩٧٥) ٦٧١/٢.

(6) سورة الفتح آية: ٢٧.

(7) سورة الفتح آية: ٢٧.

(8) سورة الفتح آية: ٢٧.

الدخول، وهو قوله تعـالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ ﴾ [1] الآيـة. ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ [2]، أي من قبل دخولـكم المسجـد الـحرام، ﴿ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [3]، وهو صلح الحديبية عند الأكثرين، وقيل: فتح خيبر.

[٢٨] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [4]، على أنك نبي صادق صالح فيما تخبر.

[٢٩] ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [5]، تم الكلام هاهنا، قال ابن عباس، شهد له بالرسالة، ثم قال مبتدئا ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [6]، قالوا: وفيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين، ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ [7]، غلاظ عليهم كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة، ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [8]، متعاطفون متوادون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد، كما قال: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [9]. ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ [10]، أخبر عن كثرة صلاتم ومداومتهم عليها، ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ

---

(١) سورة الفتح آية: ٢٥.
(٢) سورة الفتح آية: ٢٧.
(٣) سورة الفتح آية: ٢٧.
(٤) سورة الفتح آية: ٢٨.
(٥) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٦) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٧) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٨) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٩) سورة المائدة آية: ٥٤.
(١٠) سورة الفتح آية: ٢٩.

﴿ ٱللَّهِ ﴾ [(١)]، أن يدخلهم الجنة، ﴿ وَرِضۡوَٰنٗاۖ ﴾ [(٢)]، أن يرضى عنهم، ﴿ سِيمَاهُمۡ ﴾ [(٣)]، أي علامتهم، ﴿ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ [(٤)]، اختلفوا في هذا السيما، فقال قوم: هو نور وبياض في وجوههم يوم القيامة يعرفون به أنهم سجدوا في الدنيا، وهو رواية عطية العوفي عن ابن عباس، قال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا. وقال شهر بن حوشب: تكون. مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقال آخرون: هو السمت الحسن والخشوع والتواضع. وهو رواية الوالبي عن ابن عباس قال: ليس بالذي ترون لكنه سيماء الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه. وهو قول مجاهد: والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي يعرفون به. وقال الضحاك: هو صفرة الوجه من السهر. وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى. قال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب على الجباه. قال أبو العالية لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب. وقال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس. ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [(٥)]، الذي ذكرت، ﴿ مَثَلُهُمۡ ﴾ [(٦)]، صفتهم ﴿ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ ﴾ [(٧)]، هاهنا تم الكلام ثم ذكر نعتهم في الإنجيل، فقال: ﴿ وَمَثَلُهُمۡ ﴾ [(٨)]، صفتهم، ﴿ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ

(١) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٢) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٣) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٤) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٥) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٦) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٧) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٨) سورة الفتح آية: ٢٩.

﴿ شَطْـَٔهُۥ ﴾ [1] أراد فراخه، يقال أشطأ الزرع فهو مشطئ إذا أفرخ، قال مقاتل: هو نبت واحد فإذا خرج ما بعده فهو شطؤه. وقال السدي. هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى. قوله: ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ [2]، قرأ ابن عامر: (فأزره) بالقصر. والباقون بالمد، أي قواه وأعانه وشد أزره، ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾ [3]، ذلك الزرع، ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ [4]، أي تم وتلاحق نباته وقام، ﴿ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [5]، صوله، ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ [6]، أعجب ذلك زراعه، هذا مثل ضربه الله ﷻ لأصحـاب محمـد ﷺ في الإنجيل أنم يكونون قليلا، ثم يزدادون ويكثرون. قال قتادة: مثل أصحاب رسـول الله ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقيل: الزرع محمـد والشطء أصحابـه والمؤمنـون، ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ ﴾ [7]، أي إنما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين. قال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هـذه الآيـة. ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم ﴾ [8]، قال ابن جرير: يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع، وهم

---

(١) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٢) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٣) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٤) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٥) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٦) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٧) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٨) سورة الفتح آية: ٢٩.

الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة، ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه، ولذلك لم يقل: منه، ﴿ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩ ﴾ [1] يعني الجنة. والله أعلم.

(١) سورة الفتح آية: ٢٩.

(٤٩) سورة الحجرات

قوله تعالى يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تُقَدمُوا بَينَ يَدَي اللهِ وَرَسُولِهِ...

[١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ (١) قرأ يعقوب: (لا تقدموا) بفتح التاء والدال، من التقدم أي لا تتقدموا، وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الدال، من التقديم، وهو لازم بمعنى التقدم، مثل بين وتبين، وقيل: هو متعد على ظاهره والمفعول محذوف، أي: لا تقدموا القول بالفعل بين يدي الله ورسوله. قال أبو عبيدة تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجل بالأمر والنهي دونه، ومعنى: بين اليدين الأمام والقدام: أي لا تقدموا بين يدي أمرهما ونيهما. واختلفوا في معناه، روى الشعبي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى، وهو قول الحسين، أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ وذلك أن ناسا ذبحوا قبل صلاة النبي، ﷺ فأمرهم أن يعيدوا الذبح، وروى مسروق عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك، أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم. وقال قتادة: نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو أنزل في كذا، وصُنع في كذا وكذا، فكره الله ذلك. وقال مجاهد: لا تفتئوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه. وقال الضحاك: يعني في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله. ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ (٢)، في تضييع حقه ومخالفة أمره، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ (٣)، لأقوالكم، ﴿ عَلِيمٞ ۝١ ﴾ (٤)، بأفعالكم.

---

(١) سورة الحجرات آية: ١.

(٢) سورة الحجرات آية: ١.

(٣) سورة الحجرات آية: ١.

(٤) سورة الحجرات آية: ١.

[٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ ﴾[١]، أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتم عنه ولا ينادونه كما ينادي بعضهم بعضا، ﴿ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾[٢]، لئلا تحبط حسناتكم. وقيل: مخافة أن تحبط حسناتكم: ﴿ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾[٣].

[٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ ﴾[٤]، يخفضون ﴿ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾[٥] إجلالا له، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾[٦]، اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه، ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ ﴾[٧].

[٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ ﴾[٨]، قرأ العامة بضم الجيم، وقرأ أبو جعفر فتح الجيم، وهما لغتان، وهي جمع الحُجَر، والحُجَر جمع الحُجْرة فهي جمع الجمع. وقال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة بن حصن وقدم بم على رسول الله ﷺ فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري، فجعلوا ينادون: يا محمد

(١) سورة الحجرات آية: ٢.
(٢) سورة الحجرات آية: ٢.
(٣) سورة الحجرات آية: ٢.
(٤) سورة الحجرات آية: ٣.
(٥) سورة الحجرات آية: ٣.
(٦) سورة الحجرات آية: ٣.
(٧) سورة الحجرات آية: ٣.
(٨) سورة الحجرات آية: ٤.

اخرج إلينا، ويصيحون، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ ﴾ (١)، وصفهم بالجهل وقلة العقل.

قوله تعالى وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ...

[٥] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ ﴾ (٢)، قال مقاتل: لكان خيرا لهم لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء، ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ (٣)، وقال قتادة: نزلت في ناس من أعراب بني تميم جاءوا إلى النبي ﷺ فنادوا على الباب: اخرج إلينا يا محمد.

[٦] قوله ﷻ ﴿ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ (٤)، الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله ﷺ فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ أن يغزوهم، وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه، وقال له: انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار، ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر ﴾ (٥) فأنزل الله تعالى: (يا أيها الذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ) يعني

---

(١) سورة الحجرات آية: ٤.

(٢) سورة الحجرات آية: ٥.

(٣) سورة الحجرات آية: ٥.

(٤) سورة الحجرات آية: ٦.

(٥) أخرجه الطبري ١٢٣/٢٦ والإمام أحمد ٢٧٩/٤ وعبد الرزاق في التفسير ٢٣١/٢.

الوليد بن عقبة، (بنبأ)، بخبر، ﴿ أَن تُصِيبُوا۟ ﴾ [1]، كي لا تصيبوا بالقتل والقتال، ﴿ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ [2]، من إصابتكم بالخطأ.

[٧] ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [3]، فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه، فإن الله يخبره ويعرفه أحوالكم فتفتضحوا، ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ ﴾ [4]، أي الرسول، ﴿ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ [5] مما تخبرونه به فيحكم برأيكم، ﴿ لَعَنِتُّمْ ﴾ [6]، لأثمتم وهلكتم، والعنت: الإثم والهلاك. ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [7]، فجعله أحب الأديان إليكم، ﴿ وَزَيَّنَهُۥ ﴾ [8]، حسنه، ﴿ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [9]، حتى اخترتموه وتطيعوا رسول الله ﷺ ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ ﴾ [10]، قال ابن عباس: يريد الكذب، ﴿ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ ﴾ [11]، جميع معاصي الله، ثم عاد من الخطاب إلى الخبر، وقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾ [12]، المهتدون.

---

(١) سورة الحجرات آية: ٦.
(٢) سورة الحجرات آية: ٦.
(٣) سورة الحجرات آية: ٧.
(٤) سورة الحجرات آية: ٧.
(٥) سورة الحجرات آية: ٧.
(٦) سورة الحجرات آية: ٧.
(٧) سورة الحجرات آية: ٧.
(٨) سورة الحجرات آية: ٧.
(٩) سورة الحجرات آية: ٧.
(١٠) سورة الحجرات آية: ٧.
(١١) سورة الحجرات آية: ٧.
(١٢) سورة الحجرات آية: ٧.

[٨] ﴿ فَضۡلٗا ﴾[1]، أي كان هذا فضـلا، ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨ ﴾[2].

[٩] قوله ﷻ ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾[3] بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما، ﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا ﴾[4]، تعدت إحداهما، ﴿ عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾[5]، وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله، ﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ ﴾[6]، ترجع ﴿ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[7]، في كتابه وحكمه، ﴿ فَإِن فَآءَتۡ ﴾[8]، رجعت إلى الحق، ﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ ﴾[9]، بحملهما على الإنصاف والرضـا بحكم الله، ﴿ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ ﴾[10] اعـدلوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ ﴾[11].

---

(١) سورة الحجرات آية: ٨.
(٢) سورة الحجرات آية: ٨.
(٣) سورة الحجرات آية: ٩.
(٤) سورة الحجرات آية: ٩.
(٥) سورة الحجرات آية: ٩.
(٦) سورة الحجرات آية: ٩.
(٧) سورة الحجرات آية: ٩.
(٨) سورة الحجرات آية: ٩.
(٩) سورة الحجرات آية: ٩.
(١٠) سورة الحجرات آية: ٩.
(١١) سورة الحجرات آية: ٩.

[١٠] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١)، في الدين والولاية، ﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾ (٢)، إذا اختلفا واقتتلا، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (٣)، فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

[١١] وقوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ (٤) أي رجال من رجال، والقوم اسم يجمع الرجال والنساء، وقد يختص بجمع الرجال، ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ (٥)، أي لا يعب بعضكم بعضا، ولا يطعن بعضكم على بعض، ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ ﴾ (٦)، التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمّي به. قال عكرمة: وهو قول الرجل للرجل: يا فاسق يا منافق يا كافر. وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني، فنهوا عنه ذلك. قال عطاء: هو أن تقول لأخيك: يا كلب يا حمار يا خ ير. وروي عن ابن عباس قال: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فُنهي أن يعير بما سلف عن عمله، ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ ﴾ (٧)، أي بئس الاسم أن يقول: يا يهودي أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب، وقيل معناه: إن من فعل ما ُنهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق، وبئس

---

(١) سورة الحجرات آية: ١٠.

(٢) سورة الحجرات آية: ١٠.

(٣) سورة الحجرات آية: ١٠.

(٤) سورة الحجرات آية: ١١.

(٥) سورة الحجرات آية: ١١.

(٦) سورة الحجرات آية: ١١.

(٧) سورة الحجرات آية: ١١.

الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق، ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ ﴾ [1] من ذلك ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [2].

قوله تعالى يَا أيها الذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظن إن بَعْضَ الظن إِثْمٌ...

[١٢] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ [3] وأراد أن يظن بأهل الخير شرا، ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [4]، قال سفيان الثوري: الظن ظنان أحدهما إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم. ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [5]، التجسس هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها، ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [6]، يقول: لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه، قال رسول الله ﷺ ﴿ أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه

---

(١) سورة الحجرات آية: ١١.
(٢) سورة الحجرات آية: ١١.
(٣) سورة الحجرات آية: ١٢.
(٤) سورة الحجرات آية: ١٢.
(٥) سورة الحجرات آية: ١٢.
(٦) سورة الحجرات آية: ١٢.

ما تقول فقد بهته ﴾ [1] [2]. ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [3]

، قال مجاهد: لما قيل لهم ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [4]، قالوا: لا، قيل: ﴿ فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [5] أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا. وقال الزجاج: تأويله: إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك، وهو ميت لا يحس بذلك، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [6].

[١٣] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [7] يعني آدم وحواء أي إنكم متساوون في النسب. ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا ﴾ [8]، جمع شعب بفتح الشين، وهي رءوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج، سموا شعوبا لتشعبهم واجتماعهم، كشعب أغصان الشجر، والشعب من الأضداد يقال: شعب أي جمع وشعب أي فرق.

﴿ وَقَبَائِلَ ﴾ [9]، هي دون الشعوب، واحدتا قبيلة وهي كبكر من ربيعة وتميم من مضر، ودون القبائل العمائر، واحدتا عمارة، بفتح العين وهي كشيبان من بكر ودارم من

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٩)،الترمذي البر والصلة (١٩٣٤)،أبو داود الأدب (٤٨٧٤)،أحمد (٣٨٤/٢)،الدارمي الرقاق (٢٧١٤).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة برقم (٢٥٨٩) ٢٠٠١/٤ والمصنف في شرح السنة ١٣٨/١٣.

(٣) سورة الحجرات آية: ١٢.

(٤) سورة الحجرات آية: ١٢.

(٥) سورة الحجرات آية: ١٢.

(٦) سورة الحجرات آية: ١٢.

(٧) سورة الحجرات آية: ١٣.

(٨) سورة الحجرات آية: ١٣.

(٩) سورة الحجرات آية: ١٣.

تميم، ودون العمائر البطون، واحدتا بطن، وهي كبني غالب ولؤي من قريش، ودون البطون الأفخاذ واحدتا فخذ وهم كبني هاشم وأمية من بني لؤي، ثم الفصائل والعشائر واحدتا فصيلة وعشيرة، وليس بعد العشيرة حي يوصف به وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل. وقال أبو روق: الشعوب من الذين لا يعتزون إلى أحد، بل ينتسبون إلى المدائن والقرى، والقبائل العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم. ﴿ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ [1]، ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده، لا ليتفاخروا. ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم فقال ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [2]: قال قتادة في هذه الآية: إن أكرم الكرم التقوى، وألأم اللؤم الفجور.

[١٤] قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ ﴾ [3]، الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على النبي ﷺ ويريدون الصدقة، ويقولون أعطنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب من جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، كانوا يقولون: آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله ﷻ هذه الآية فيهم، ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ ﴾ [4] صدقنا، ﴿

(١) سورة الحجرات آية: ١٣.
(٢) سورة الحجرات آية: ١٣.
(٣) سورة الحجرات آية: ١٤.
(٤) سورة الحجرات آية: ١٤.

قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾[1]، انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي، ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾[2]، فأخبر أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيمانا دون التصديق بالقلب والإخلاص، ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[3]، ظاهرا وباطنا سرا وعلانية. قال ابن عباس. تخلصوا الإيمان، ﴿ لَا يَلِتۡكُم ﴾[4]، قرأ أبو عمر (يألتكم) بالألف كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم ﴾[5]، والآخرون بغير ألف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم، يقال: ألت يألت ألتا ولات يليت ليتا إذا نقص، ﴿ مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ ﴾[6]، أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئا، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾[7]، ثم بين حقيقة الإيمان.

[١٥] فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾[8]، لم يشكوا في دينهم، ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾[9]، في إيمانهم. فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسـول الله ﷺ يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعرف الله غير ذلك منهم.

---

(١) سورة الحجرات آية: ١٤.
(٢) سورة الحجرات آية: ١٤.
(٣) سورة الحجرات آية: ١٤.
(٤) سورة الحجرات آية: ١٤.
(٥) سورة الطور آية: ٢١.
(٦) سورة الحجرات آية: ١٤.
(٧) سورة الحجرات آية: ١٤.
(٨) سورة الحجرات آية: ١٥.
(٩) سورة الحجرات آية: ١٥.

[١٦] فأنزل الله ﷻ ﴿ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ ﴾ [1] والتعليم هاهنا بمعنى الإعلام، ولذلك قال بدينكم وأدخل الباء فيه، يقول أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ ﴾ [2]، أي لا يحتاج إلى إخباركم.

[١٧] ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ ﴾ [3] أي بإسلامكم، ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [4]، إنكم مؤمنون.

[١٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [5]، قرأ ابن كثير بالياء وقرأ الآخرون بالتاء.

---

(١) سورة الحجرات آية: ١٦.
(٢) سورة الحجرات آية: ١٦.
(٣) سورة الحجرات آية: ١٧.
(٤) سورة الحجرات آية: ١٧.
(٥) سورة الحجرات آية: ١٨.

(٥٠) سورة ق

قوله تعالى ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ...

[١] قال ابن عباس: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة، وقيل: هو اسم من أسماء القرآن. وقال القرظي: هو مفتاح اسمه القدير، والقادر والقاهر والقريب والقابض. ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ ﴾[1]، الشريف الكريم على الله الكثير الخير. واختلفوا في جواب هذا القسم، فقال أهل الكوفة: جوابه بل عجبوا وقيل: جوابه محذوف، مجازه: والقرآن المجيد لتبعثن. وقيل: جوابه قوله ما يلفظ من قول. وقيل: قد علمنا.

[٢] ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ ﴾[2]، مخوف، ﴿ مِّنْهُمْ ﴾[3]، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، ﴿ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ ﴾[4]، غريب.

[٣] ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ﴾[5]، نبعث، ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه، ﴿ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ ﴾[6]، وغير كائن أي يبعد أن نبعث بعد الموت.

[٤] قال الله ﷻ ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ ﴾[7]، أي ما تأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء. قال السدي: هو الموت، يقول: قد

---

(١) سورة ق آية: ١.
(٢) سورة ق آية: ٢.
(٣) سورة ق آية: ٢.
(٤) سورة ق آية: ٢.
(٥) سورة ق آية: ٣.
(٦) سورة ق آية: ٣.
(٧) سورة ق آية: ٤.

علمنا من يموت منهم ومن يبقى، ﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ ﴾[1]، محفوظ من الشياطين ومن أن يدس ويتغير، وقيل: حفيظ أي حافظ لعدتم وأسمائهم.

[٥] ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾[2]، بالقرآن، ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ ﴾[3]، مختلط، قال سعيد بن جبير ومجاهد: ملتبس. قال قتادة: في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه. وقال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم. وذكر الزجاج معنى اختلاط أمرهم فقال: هو أنم يقولون للنبي ﷺ مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة معلم، ويقولون للقرآن مرة سحر، ومرة رجز، ومرة مفترى، فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم، ثم دلهم على قدرته.

[٦] فقـال: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا ﴾[4]، بغير عمـد، ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾[5]، بالكواكب، ﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ ﴾[6]، شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج.

[٧] ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾[7]، بسطناها على وجه الماء ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾[8]، جبالا ثوابت، ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ ﴾[1]، حسن كريم يبهج به، أي يسر.

---

(١) سورة ق آية: ٤.
(٢) سورة ق آية: ٥.
(٣) سورة ق آية: ٥.
(٤) سورة ق آية: ٦.
(٥) سورة ق آية: ٦.
(٦) سورة ق آية: ٦.
(٧) سورة ق آية: ٧.
(٨) سورة ق آية: ٧.

[٨] ﴿ تَبْصِرَةً ﴾(٢)، أي جعلنا ذلك تبصرة، ﴿ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ ﴾(٣)، أي ليبصروا به ويتذكر به.

[٩] ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾(٤)، كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر، ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ ﴾(٥)، يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد فأضاف الحب إلى الحصيد، وهما واحد لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع وربيع الأول. وقيل: حب الحصيد أي وحب النبت الحصيد.

[١٠] ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾(٦)، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: طوالا. يقال: بسقت النخلة بسوقا إذا طالت. وقال سعيد بن جبير: مستويات. ﴿ لَّهَا طَلْعٌ ﴾(٧) ثمر وحمل، سمي بذلك لأنه يطلع، والطلع أول ما يظهر قبل أن ينشق، ﴿ نَّضِيدٌ ۝١٠ ﴾(٨)، متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد.

[١١] ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ ﴾(٩)، أي جعلناها رزقا للعباد، ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ ﴾(١)، بالمطر، ﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ ﴾(٢)، أنبتنا فيها الكلأ ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ ﴾(٣)، من القبور.

---

(١) سورة ق آية: ٧.
(٢) سورة ق آية: ٨.
(٣) سورة ق آية: ٨.
(٤) سورة ق آية: ٩.
(٥) سورة ق آية: ٩.
(٦) سورة ق آية: ١٠.
(٧) سورة ق آية: ١٠.
(٨) سورة ق آية: ١٠.
(٩) سورة ق آية: ١١.

[١٢ - ١٤] قوله ﷻ ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٣﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ (٤) وهو تبع الحميري، واسمه أسعد أبو كرب، قال قتادة: ذم الله قومه ولم يذمه، ذكرنا قصته في سورة الدخان (٥) ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾ (٦)، أي كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل، ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ (٧)، وجب لهما عذابي، ثم أنزل جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد.

[١٥] ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ﴾ (٨) يعني أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالإعادة وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث، ويقال لكل من عجز عن شيء عيي به. ﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ ﴾ (٩)، أي في شك، ﴿ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (١٠)، وهو البعث.

---

(١) سورة ق آية: ١١.

(٢) سورة ق آية: ١١.

(٣) سورة ق آية: ١١.

(٤) سورة ق الآيات من ١٢ : ١٤.

(٥) آية (٣٧).

(٦) سورة ق آية: ١٤.

(٧) سورة ق آية: ١٤.

(٨) سورة ق آية: ١٥.

(٩) سورة ق آية: ١٥.

(١٠) سورة ق آية: ١٥.

قوله تعالى وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ...

[١٦] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ [١]، يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ [٢]، أعلم به، ﴿ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [٣] لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضًا، ولا يحجب علم الله شيء، وحبل الوريد عرق العنق، وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين، يتفرق في سائر البدن، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

[١٧] ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ [٤]، إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه، ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾ [٥] أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. ﴿ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [٦]، أي قاعد، ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، هذا قول أهل البصرة، وقال أهل الكوفة: أراد قعودا كالرسول يجعل للاثنين والجمع، كما قال الله تعالى في الاثنين: ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [٧]، قيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. قال مجاهد: القعيد الرصيد.

---

(١) سورة ق آية: ١٦.
(٢) سورة ق آية: ١٦.
(٣) سورة ق آية: ١٦.
(٤) سورة ق آية: ١٧.
(٥) سورة ق آية: ١٧.
(٦) سورة ق آية: ١٧.
(٧) سورة الشعراء آية: ١٦.

[١٨] ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ [1]، ما يتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه من فيه، ﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴾ [2]، حافظ، ﴿ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [3] حاضر أينما كان. قال الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين عند غائطه وعند جماعه.

[١٩] ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [4]، غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله، ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ [5] أي بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يئول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة. ويقال: لمن جاءته سكرة الموت، ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [6]، تميل، قال الحسن: تهرب. قال ابن عباس: تكره، وأصل الحيْد الْميل، يقال: حدتُ عن الشيء أحيد حَيْدًا ومحيدًا إذا ملت عنه.

[٢٠] ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [7]، يعني نفخة البعث، ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [8]، أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه. قال مقاتل: يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد.

[٢١] ﴿ وَجَآءَتْ ﴾ [1]، ذلك اليوم، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ ﴾ [2]، يسوقها إلى المحشر، ﴿ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [3]، يشهد عليها بما عملت، وهو عمله، قال الضحاك: السائق

---

(١) سورة ق آية: ١٨.
(٢) سورة ق آية: ١٨.
(٣) سورة ق آية: ١٨.
(٤) سورة ق آية: ١٩.
(٥) سورة ق آية: ١٩.
(٦) سورة ق آية: ١٩.
(٧) سورة ق آية: ٢٠.
(٨) سورة ق آية: ٢٠.

السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل، وهى رواية العوفي عن ابن عباس. وقال الآخرون: هما جميعا من الملائكة.

[٢٢] فيقـول الله لـها: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا ﴾ [٤]، اليوم في الدنيا، ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾ [٥]، الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعـك وبصـرك، ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٦]، نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا. وروي عن مجاهد قال: يعني نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك.

[٢٣] ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ ﴾ [٧]، الملك الموكل به، ﴿ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٨]، معد محضر، وقيل: (ما) بمعنى (من)، وقال مجاهد: يقول هذا الذي وكلتني به من ابن آدم حاضر عندك قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله.

[٢٤] فيقول الله ﷻ لقرينه: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ [٩] هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، يقولون: ويلك ارحلاها وازجراها وخذاها وأطلقاها، للواحد، قال الفراء: وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي. وقال الزجاج: هذا أمر للسائق

---

(١) سورة ق آية: ٢١.
(٢) سورة ق آية: ٢١.
(٣) سورة ق آية: ٢١.
(٤) سورة ق آية: ٢٢.
(٥) سورة ق آية: ٢٢.
(٦) سورة ق آية: ٢٢.
(٧) سورة ق آية: ٢٣.
(٨) سورة ق آية: ٢٣.
(٩) سورة ق آية: ٢٤.

والشهيد، وقيل: للمتلقيين. ﴿ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [1] معرض عن الحق. قال عكرمة ومجاهد: مجانب للحق معاند لله.

[٢٥] ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ [2]، أي للزكـاة المفروضة وكل حق وجـب في مـاله، ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ [3]، ظالم لا يقر بتوحيد الله ﴿ مُّرِيبٍ ﴾ [4]، شاكٍّ في التوحيد، ومعناه: داخل في الريب.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ [5]، وهو النار.

[٢٧] ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ ﴾ [6]، يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر، ﴿ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾ [7]، ما أضللته وما أغويته، ﴿ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [8]، عن الحق فيتبرأ منه شيطانه، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل: قال قرينه يعني الملك، قال سعيد بن جبير: يقول الكافر يا رب إن الملك زاد علي في الكتابة، فيقول الملك: ربنا ما أطغيته، يعني ما زدت عليه وما كتبتُ إلا ما قال وعمل، ولكن كان في ضلال بعيد طويل لا يرجع عنه إلى الحق.

(١) سورة ق آية: ٢٤.
(٢) سورة ق آية: ٢٥.
(٣) سورة ق آية: ٢٥.
(٤) سورة ق آية: ٢٥.
(٥) سورة ق آية: ٢٦.
(٦) سورة ق آية: ٢٧.
(٧) سورة ق آية: ٢٧.
(٨) سورة ق آية: ٢٧.

[٢٨] ﴿ قَالَ ﴾[١]، يعني يقول الله ﴿ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴾[٢]، في القرآن وأنذرتكم وحذرتكم على لسان الرسول، وقضيت عليكم ما أنا قاض.

[٢٩] ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ ﴾[٣]، لا تبديل لقولي وهو قوله: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾[٤]، وقال قوم. معنى قوله: (مَا يُبدلُ الْقَوْلُ لَدَي) أي: لا يكذب القول عندي، ولا يغير القول عن وجهه لأني أعلم الغيب. وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، لأنه قال: (مَا يُبدلُ الْقَوْلُ لَدَي) ولم يقل ما يبدل لي. ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[٥]، فأعاقبهم بغير جرم.

[٣٠] ﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ ﴾[٦]، قرأ نافع وأبو بكر بالياء، أي يقول الله لقوله: (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَي)، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ ﴾[٧]، وذلك لما سبق لها من وعده إيّاها أنه يملؤها من الجنة والناس، وهذا السؤال من الله ﷻ لتصديق خبره وتحقيق وعده، ﴿ وَتَقُولُ ﴾[٨]، جهنم، ﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾[٩]. قيل: معناه قد امتلأت فلم يبق في موضع لم يمتلئ، فهو استفهام إنكار، هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل

(١) سورة ق آية: ٢٨.
(٢) سورة ق آية: ٢٨.
(٣) سورة ق آية: ٢٩.
(٤) سورة هود آية: ١١٩.
(٥) سورة ق آية: ٢٩.
(٦) سورة ق آية: ٣٠.
(٧) سورة ق آية: ٣٠.
(٨) سورة ق آية: ٣٠.
(٩) سورة ق آية: ٣٠.

بن سليمان، وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح وعلى هذا يكون السؤال بقوله:

(هَلِ ٱمْتَلَأْتِ)، قيل دخول جميع أهلها فيها، وروي عن ابن عباس: أن الله تعالى سبقت كلمته ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[1]، فلما سيق أعداء الله إليها لا يلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء.

[٣١] ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ ﴾[2]، قربـت وأدنيت، ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3]، الشـرك، ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾[4]، ينظرون إليها قبل أن يدخلوها.

[٣٢] ﴿ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾[5]، قرأ ابن كثير بالياء والآخرون بالتاء، يقال لهم: هذا الذي ترونه ما توعدون على ألسنة الأنبياء عليهم السلام، ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾[6]، رجاع إلى الطاعة عن المعاصي، قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقال الشعبي ومجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها. وقال الضحاك: هو التواب.

وقال ابن عباس وعطاء: هو المسبح، من قوله: ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾[7] وقال قتادة: هو المصلي. ﴿ حَفِيظٍ ﴾[8]، قال ابن عباس: الحافظ لأمر الله، وعنه أيضا:

---

(١) سورة هود آية: ١١٩.
(٢) سورة ق آية: ٣١.
(٣) سورة ق آية: ٣١.
(٤) سورة ق آية: ٣١.
(٥) سورة ق آية: ٣٢.
(٦) سورة ق آية: ٣٢.
(٧) سورة سبأ آية: ١٠.
(٨) سورة ق آية: ٣٢.

هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها. قال قتادة: حفيظ لما استودعه الله من حقه. قال الضحاك: المحافظ على نفسه المتعهد لها. قال الشعبي: المراقب. قال سهل بن عبد الله: هو المحافظ على الطاعات والأوامر.

[٣٣] ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ (١)، محل (من) جر على نعت الأواب. وقيل: رفع على الاستئناف، ومعنى الآية: من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب. ﴿ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ﴾ (٢)، مخلص مقبل إلى طاعة الله.

[٣٤] ﴿ ٱدْخُلُوهَا ﴾ (٣)، أي يقال لأهل هذه الصفة: ادخلوها، أي ادخلوا الجنة. ﴿ بِسَلَـٰمٍ ۖ ﴾ (٤)، بسلامة من العذاب والهموم. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامة من زوال النعم، ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤ ﴾ (٥).

[٣٥] ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ (٦)، وذلك أنم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاءوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥ ﴾ (٧)، يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم. وقال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله الكريم.

---

(١) سورة ق آية: ٣٣.
(٢) سورة ق آية: ٣٣.
(٣) سورة ق آية: ٣٤.
(٤) سورة ق آية: ٣٤.
(٥) سورة ق آية: ٣٤.
(٦) سورة ق آية: ٣٥.
(٧) سورة ق آية: ٣٥.

قوله تعالى وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَد مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيص...

[٣٦] قولـه ﷻ ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [1]، ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا، وأصله من النقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق، ﴿ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [2]، فلم يجدوا محيصا من أمر الله. وقيل: هل من محيص: مفر من الموت؟ فلم يجدوا منه مفرا، وإنذار لأهل مكة وأنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرا عن الموت، يموتون فيصيرون إلى عذاب الله.

[٣٧] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ [3]، فيما ذكرت من العبر والعذاب وإهلاك القـرى، ﴿ لَذِكْرَىٰ ﴾ [4]، تذكرة وعظة، ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [5]، قال ابن عباس: أي عقل. قال الفراء: هذا جائز في العربية، تقول: مالك قلب وما قلبك معك، أي ما عقلك معك. وقيل: له قلب حاضر مع الله. ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾ [6]، استمع القرآن، واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره، تقول العرب: ألقِ إلي سمعكَ، يعني استمع، ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [7] ويعني حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه.

---

(١) سورة ق آية: ٣٦.
(٢) سورة ق آية: ٣٦.
(٣) سورة ق آية: ٣٧.
(٤) سورة ق آية: ٣٧.
(٥) سورة ق آية: ٣٧.
(٦) سورة ق آية: ٣٧.
(٧) سورة ق آية: ٣٧.

[٣٨] قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[1]، إعياء وتعب.

[٣٩] ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾[2]، من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد، وهذا قبل الأمر بقتالهم، ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[3]، أي صل حمدًا لله، ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ﴾[4]، يعني صلاة الصبح، ﴿ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾[5]، يعني صلاة العصر.

ورُوي عن ابن عباس قال: قبل الغروب الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾[6]، يعني صلاة المغرب والعشاء. وقال مجاهد: ومن الليل أي صلاة الليل أي وقت صلّي. ﴿ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾[7]، قرأ أهل الحجاز وحمزة: (وإدبار السجود) بكسر الهمزة، مصدر أدبر إدبار، وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر. قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن والشعبي والنخعي والأوزاعي: أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر، وقال مجاهد: قوله: (أدبار السجود) هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات.

---

(١) سورة ق آية: ٣٨.
(٢) سورة ق آية: ٣٩.
(٣) سورة ق آية: ٣٩.
(٤) سورة ق آية: ٣٩.
(٥) سورة ق آية: ٣٩.
(٦) سورة ق آية: ٤٠.
(٧) سورة ق آية: ٤٠.

[٤١] قوله ﷻ ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[(١)]، أي واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي، قال مقاتل: يعني إسرافيل ينادي بالحشر يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

[٤٢] ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ﴾[(٢)]، وهي الصيحة الأخيرة، ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾[(٣)]، من القبور.

[٤٣، ٤٤] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ۝ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾[(٤)]، جمع سريع أي يخرجون سراعا، ﴿ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا ﴾[(٥)]، جمع علينا ﴿ يَسِيرٌ ﴾[(٦)].

[٤٥] ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[(٧)]، يعني كفار مكة في تكذيبك، ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾[(٨)]، بمسلط تجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكرا، ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن

(١) سورة ق آية: ٤١.
(٢) سورة ق آية: ٤٢.
(٣) سورة ق آية: ٤٢.
(٤) سورة ق الآيتان : ٤٣ ، ٤٤.
(٥) سورة ق آية: ٤٤.
(٦) سورة ق آية: ٤٤.
(٧) سورة ق آية: ٤٥.
(٨) سورة ق آية: ٤٥.

تخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]، أي ما أوعدت به من عصاني من العذاب. قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو خوفتنا، ف لت: ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[2].

(١) سورة ق آية: ٤٥.

(٢) سورة ق آية: ٤٥.

(٥١) سورة الذاريات

قوله تعالى وَالذارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقسمَاتِ أَمْرًا...

[١] ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ ﴾ (١)، يعني الرياح التي [تذرو] التراب ذروًا، يقال: ذرت الريح التراب وأذرت.

[٢] ﴿ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ ﴾ (٢)، يعني السحاب التي تحمل ثقلًا من الماء.

[٣] ﴿ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ ﴾ (٣)، هي السفن تجري في الماء جريا سهلًا.

[٤] ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ ﴾ (٤)، هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به، أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

[٥] ثم ذكر المقسم عليه فقال: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٥)، من الثواب والعقـاب، ﴿ لَصَادِقٞ ۝٥ ﴾ (٦)

[٦] ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ (٧)، الحساب والجزاء، ﴿ لَوَٰقِعٞ ۝٦ ﴾ (٨)، لكائن.

[٧] ثم ابتدأ قسما آخر فقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧ ﴾ (٩)، قال ابن عباس وقتادة وعكرمة: ذات الخلق الحسن المستوي، يقال للنساج إذا نسج [الثوب] فأجاد: ما

---

(١) سورة الذاريات آية: ١.
(٢) سورة الذاريات آية: ٢.
(٣) سورة الذاريات آية: ٣.
(٤) سورة الذاريات آية: ٤.
(٥) سورة الذاريات آية: ٥.
(٦) سورة الذاريات آية: ٥.
(٧) سورة الذاريات آية: ٦.
(٨) سورة الذاريات آية: ٦.
(٩) سورة الذاريات آية: ٧.

أحسن [حَبْكه] قال سعيد بن جبير: ذات الزينة. قال الحسن: حبكت بالنجوم. قال مجاهد: هي المتقنة البنيان. وقال مقاتل والكلبي والضحاك: ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح، وحبك الرمل والشعر الجعد، ولكنها لا ترى لبعدها من الناس، وهي جمع حباك وحبيكة، وجواب القسم قوله في الآية التالية:

[٨] ﴿ إِنَّكُمۡ ﴾[(١)]، يا أهل مكة، ﴿ لَفِى قَوۡلٍ مُّخۡتَلِفٍ ۝٨ ﴾[(٢)]، في القرآن وفي محمد ﷺ تقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الأولين، وفي محمد ﷺ ساحر وشاعر ومجنون. وقيل: لفي قول مختلف أي مصدّق ومكذّب.

[٩] ﴿ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩ ﴾[(٣)]، يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه، يعني من حرمه الله الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن.

وقيل (عن) بمعنى: من أجل، أي يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من يصرف.

وذلك أنم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون: إنه ساحر وكاهن ومجنون، فيصرفونه عن الإيمان.

قوله تعالى قُتِلَ الْخَراصُونَ الذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ...

[١٠] ﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ﴾[(٤)]، لعن الكذابون، يقال: تخرص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الذين اقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الإسلام، وقال مجاهد: هم الكهنة.

---

(١) سورة الذاريات آية: ٨.

(٢) سورة الذاريات آية: ٨.

(٣) سورة الذاريات آية: ٩.

(٤) سورة الذاريات آية: ١٠.

[١١] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ ﴾[1]، غفلة وعمى وجهالة، ﴿ سَاهُونَ ١١ ﴾[2] لاهون غافلون عن أمر الآخرة، والسهو: الغفلة عن الشيء، وهو ذهاب القلب عنه.

[١٢] ﴿ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ ﴾[3]، يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء، يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء.

[١٣] قال الله ﷻ ﴿ يَوۡمَ هُمۡ ﴾[4]، أي يكون هذا الجزاء في يوم هم ﴿ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣ ﴾[5]، أي: يعذبون ويحرقون با كما يفتن الذهب بالنار.

وقيل: على بمعنى الباء أي بالنار، وتقول لهم خزنة النار:

[١٤] ﴿ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ ﴾[6]، عذابـكـم، ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤ ﴾[7]، في الدنيا تكذيبا به.

[١٥، ١٦] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ ﴾[8]، أعطاهم، ﴿ رَبُّهُمۡۚ ﴾[9]، من الخير والكرامة، ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ ﴾[10]، قبل دخولهم الجنة، ﴿ مُحۡسِنِينَ ١٦ ﴾[1]، في الدنيا.

---

(١) سورة الذاريات آية: ١١.
(٢) سورة الذاريات آية: ١١.
(٣) سورة الذاريات آية: ١٢.
(٤) سورة الذاريات آية: ١٣.
(٥) سورة الذاريات آية: ١٣.
(٦) سورة الذاريات آية: ١٤.
(٧) سورة الذاريات آية: ١٤.
(٨) سورة الذاريات الآيتان : ١٥ ، ١٦.
(٩) سورة الذاريات آية: ١٦.
(١٠) سورة الذاريات آية: ١٦.

[١٧] ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ (٢)، والهجوع النوم بالليل دون النهار، وما صلة، والمعنى: كانوا يهجعون قليلا من الليل أي يصلون أكثر الليل، وقيل: معناه كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلا، هذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس، يعني: كانوا قل ليلة تمر بم إلا صلوا فيها شيئا إما من أولها أو من أوسطها، ووقف بعضهم على قوله: قليلا أي كانوا من الناس قليلا، ثم ابتدأ: ﴿ مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ (٣) وجعله جحدا، أي: لا ينامون بالليل ألبتة، بل يقومون للصلاة والعبادة.

[١٨] ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ (٤)، قال الحسن: لا ينامون من الليل إلا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السحر، ثم أخذوا في الأسحار بالاستغفار.

وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل: وبالأسحار يصلون، وذلك أن صلاتم بالأسحار طلب المغفرة.

[١٩] قوله ﷻ ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ (٥)، السائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي ليس له في الغنيمة سهم، ولا يجري عليه من الفيء شيء، هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب، قال: المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي منع الخير والعطاء.

وقال قتادة والزهري: المحروم المتعفف الذي لا يسأل.

وقال زيد بن أسلم: هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته.

---

(١) سورة الذاريات آية: ١٦.

(٢) سورة الذاريات آية: ١٧.

(٣) سورة الذاريات آية: ١٧.

(٤) سورة الذاريات آية: ١٨.

(٥) سورة الذاريات آية: ١٩.

وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ ﴾[1].

[٢٠، ٢١] ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ ﴾[2]، عبر، ﴿ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ ﴾[3]، إذا ساروا فيها، من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات.

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[4]، آيات إذا كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن نفخ فيها الروح. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع.

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ ﴾[5]، قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.

[٢٢] ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ﴾[6]، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ ﴾[7]، قال عطاء: من الثواب والعقاب.

وقال مجاهد: من الخير والشر.

وقال الضحاك: وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال:

[٢٣] ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾[8]، أي: ما ذكرت من أمر الرزق لحق، ﴿ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝ ﴾[1]، فتقولون: لا إله إلا الله.

---

(١) سورة الواقعة الآيتان : ٦٦ ، ٦٧.
(٢) سورة الذاريات آية: ٢٠.
(٣) سورة الذاريات آية: ٢٠.
(٤) سورة الذاريات آية: ٢١.
(٥) سورة الذاريات آية: ٢١.
(٦) سورة الذاريات آية: ٢٢.
(٧) سورة الذاريات آية: ٢٢.
(٨) سورة الذاريات آية: ٢٣.

وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي، كما تقول: إنه لحق كما أنت ههنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة.

قال بعض الحكماء: يعني كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

[٢٤] قوله ﷻ ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٢)، وهم الملائكة الذين جاءوه بالبشرى كما في سورة هود آية (٦٩)، ﴿ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣)، قيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم.

﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٤)، وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليقة، وضيف الكرام مكرمون.

وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم، والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: خدمته بنفسه إياهم.

وروي عن ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم جاءوا غير مدعوين.

[٢٥] ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ ﴾ (٥)، إبراهيم، ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٦)، أي: غرباء لا نعرفكم، قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم.

---

(١) سورة الذاريات آية: ٢٣.
(٢) سورة الذاريات آية: ٢٤.
(٣) سورة الذاريات آية: ٢٤.
(٤) سورة الأنبياء آية: ٢٦.
(٥) سورة الذاريات آية: ٢٥.
(٦) سورة الذاريات آية: ٢٥.

وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنم دخلوا عليه من غير استئذان.

وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.

[٢٦] ﴿ فَرَاغَ ﴾ [١]، فعدل ومال، ﴿ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٢]، مشوي.

[٢٧ - ٢٩] ﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [٣]، ليأكلوا فلم يأكلوا، ﴿ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ ﴾ [٤]، أي صيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي، أي أخذت تولول كما قال الله تعالى: ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ﴾ [٥]، ﴿ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا ﴾ [٦]، قال ابن عباس: لطمت وجهها، وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا، كعادة النساء إذا أنكرن شيئا، وأصل الصك: ضرب الشيء بالشيء العريض.

﴿ وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٧]، مجازه: أتلد عجوز عقيم، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

[٣٠] ﴿ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ ﴾ [١]، أي: كما قلنا لك قال ربك: إنك ستلدين غلاما، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٢].

---

(١) سورة الذاريات آية: ٢٦.

(٢) سورة الذاريات آية: ٢٦.

(٣) سورة الذاريات آية: ٢٧.

(٤) سورة الذاريات الآيات من ٢٧ : ٢٩.

(٥) سورة هود آية: ٧٢.

(٦) سورة الذاريات آية: ٢٩.

(٧) سورة الذاريات آية: ٢٩.

قوله تعالى قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أيها الْمُرْسَلُونَ...

[٣١ - ٣٢] ﴿ ۞ قَالَ ﴾ [٣]، إبراهيم، ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ ﴾ [٤]، يعني قوم لوط.

[٣٣، ٣٤] ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً ﴾ [٥] معلمة، ﴿ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝ ﴾ [٦]، قال ابن عباس: للمشركين، والشرك أسرف الذنوب وأعظمها.

[٣٥] ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا ﴾ [٧]، أي: في قرى قوم لوط، ﴿ مَن كَانَ ﴾ [٨]، وذلك قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ [٩].

[٣٦] ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ ﴾ [١٠]، أي غير أهـل بيت ﴿ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [١١] يعني لوطا وابنتيه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

---

(١) سورة الذاريات آية: ٣٠.
(٢) سورة الذاريات آية: ٣٠.
(٣) سورة الذاريات آية: ٣١.
(٤) سورة الذاريات الآيتان : ٣١ ، ٣٢.
(٥) سورة الذاريات الآيتان : ٣٣ ، ٣٤.
(٦) سورة الذاريات آية: ٣٤.
(٧) سورة الذاريات آية: ٣٥.
(٨) سورة الذاريات آية: ٣٥.
(٩) سورة هود آية: ٨١.
(١٠) سورة الذاريات آية: ٣٦.
(١١) سورة الذاريات آية: ٣٦.

[٣٧] ﴿ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ﴾ (١)، أي في مدينة قوم لـوط، ﴿ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٢)، أي علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم.

[٣٨] ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ ﴾ (٣)، أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة.

وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٤) وفي موسى، ﴿ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٥)، بحجة ظاهرة.

[٣٩] ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ (٦)، أي فأعرض وأدبر عن الإيمان، ﴿ بِرُكۡنِهِۦ ﴾ (٧)، أي بجمعه وجنوده الذين [كان] يتقوى بهم، كالركن الذي يقوى به البنيان، نظيره قوله. ﴿ أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ ﴾ (٨)، ﴿ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٩) قال أبو عبيدة: أو بمعنى الواو.

[٤٠] ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾ (١٠)، أغرقنـاهم فيه ﴿ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١)، أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل.

---

(١) سورة الذاريات آية: ٣٧.
(٢) سورة الذاريات آية: ٣٧.
(٣) سورة الذاريات آية: ٣٨.
(٤) سورة الذاريات آية: ٢٠.
(٥) سورة الذاريات آية: ٣٨.
(٦) سورة الذاريات آية: ٣٩.
(٧) سورة الذاريات آية: ٣٩.
(٨) سورة هود آية: ٨٠.
(٩) سورة الذاريات آية: ٣٩.
(١٠) سورة الذاريات آية: ٤٠.

[٤١] ﴿ وَفِي عَادٍ ﴾[2]، أي وفي إهلاك عاد أيضـا آية، ﴿ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝٤١ ﴾[3]، وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا.

[٤٢] ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ ﴾[4]، من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم وأموالهم، ﴿ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝٤٢ ﴾[5]، كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض. إذا يبس وديس. قال مجاهد: كالتبن اليابس. قال قتادة: كرميم الشجر. قال أبو العالية: كالتراب المدقوق. وقيل: أصله من العظم البالي.

[٤٣] ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ۝٤٣ ﴾[6]، يعني وقت فناء آجالهم، وذلك أنم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا ثلاثة أيام.

[٤٤] ﴿ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾[7]، يعني بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي الموت في قول ابن عباس، قال مقاتل: يعني العذاب "والصاعقة. كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي (الصعقة)، وهي الصوت الذي يكون من الصاعقة، ﴿ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٤٤ ﴾[8]، يرون ذلك عيانا.

---

(١) سورة الذاريات آية: ٤٠.
(٢) سورة الذاريات آية: ٤١.
(٣) سورة الذاريات آية: ٤١.
(٤) سورة الذاريات آية: ٤٢.
(٥) سورة الذاريات آية: ٤٢.
(٦) سورة الذاريات آية: ٤٣.
(٧) سورة الذاريات آية: ٤٤.
(٨) سورة الذاريات آية: ٤٤.

[٤٥] ﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ ﴾[(١)]، فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض.

قال قتادة: لم ينهضوا من تلك الصرعة، ﴿ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[(٢)]، منتقمين منا.

قال قتادة: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله.

[٤٦] ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾[(٣)]، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي (وقومِ) بجر الميم، أي وفي قوم نوح، وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى، وهو أن قوله: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾[(٤)]، معناه.

أغرقناهم، كأنه قال: أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح.

﴿ مِّن قَبْلُ ﴾[(٥)]، أي من قبل هؤلاء، وهم عاد وثمود وقوم فرعون، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[(٦)]

[٤٧] ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[(٧)]، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لقادرون.

وعنه أيضا لموسعون الرزق على خلقنا.

---

(١) سورة الذاريات آية: ٤٥.

(٢) سورة الذاريات آية: ٤٥.

(٣) سورة الذاريات آية: ٤٦.

(٤) سورة الذاريات آية: ٤٠.

(٥) سورة الذاريات آية: ٤٦.

(٦) سورة الذاريات آية: ٤٦.

(٧) سورة الذاريات آية: ٤٧.

وقيل: ذو سعة، وقال الضحاك: أغنياء، دليله قوله ﷻ ﴿ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ ﴾[1]، قال الحسن: المطيقون.

[٤٨] ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا ﴾[2]، بسطناها ومهدناها لكم، ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝٤٨ ﴾[3]، الباسطون نحن.

قال ابن عباس نعم ما وطأت لعبادي.

[٤٩] ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[4]، صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والحلو والمر.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ ﴾[5]، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد.

[٥٠، ٥١] ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[6]، فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان والطاعة.

قال ابن عباس: فروا منه إليه واعملوا بطاعته.

وقال سهل بن عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٣٦.

(٢) سورة الذاريات آية: ٤٨.

(٣) سورة الذاريات آية: ٤٨.

(٤) سورة الذاريات آية: ٤٩.

(٥) سورة الذاريات آية: ٤٩.

(٦) سورة الذاريات آية: ٥٠.

﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾[1]

قوله تعالى كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ...

[٥٢] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾[2]، أي كما كذبك قومك يا محمد وقالوا: ساحر أو مجنون، كذلك ﴿ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ﴾[3]، من قبل كفار مكة، ﴿ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ ﴾[4].

[٥٣، ٥٤] قال الله تعالى: ﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ ﴾[5]، أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤوا عليه؟ والألف فيه للتوبيخ، ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ ﴾[6]، قال ابن عباس: حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك، ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾[7]، فأعرض عنهم، ﴿ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝ ﴾[8]، لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به.

قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتد ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم.

---

(١) سورة الذاريات الآيتان : ٥٠ ، ٥١.
(٢) سورة الذاريات آية: ٥٢.
(٣) سورة الذاريات آية: ٥٢.
(٤) سورة الذاريات آية: ٥٢.
(٥) سورة الذاريات آية: ٥٣.
(٦) سورة الذاريات آية: ٥٣.
(٧) سورة الذاريات آية: ٥٤.
(٨) سورة الذاريات آية: ٥٤.

[٥٥] فأنزل الله تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١]، فطابت أنفسهم.

قال مقاتل: معناه عظ بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من في علم الله أن يؤمن منهما.

وقال الكلبي: عظ بالقرآن من آمن من قومك، فإن الذكرى تنفعهم.

[٥٦] ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢]، قال الكلبي والضحاك وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس: (وما خلقت الجن والإنس -من المؤمنين- إلا ليعبدون)، ثم قال في آية أخرى.

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾[٣]، وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد بن أسلم، قال: هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلا ليعبدون أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم لعبادتي، يؤيده قوله ﷻ ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾[٤]، وقال مجاهد: إلا ليعرفوني.

وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، دليله قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٥]، وقيل: معناه إلا ليخضعوا إلي ويتذللوا.

---

(١) سورة الذاريات آية: ٥٥.

(٢) سورة الذاريات آية: ٥٦.

(٣) سورة الأعراف آية: ١٧٩.

(٤) سورة التوبة آية: ٣١.

(٥) سورة الزخرف آية: ٨٧.

ومعنى العبادة في اللغة، التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق عليه قدر ذرة من نفع أو ضرر.

وقيل إلا ليعبدون إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء.

[٥٧] ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٍ ﴾[١]، أي أن يرزقوا أحدا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم، ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ ﴾[٢] أي أن يطعموا أحدا من خلقي، وإنما أسند الطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه.

ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال:

[٥٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾[٣]، يعني لجميع خلقه، ﴿ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨ ﴾[٤] وهو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة.

[٥٩] ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[٥]، كفروا من أهل مكة، ﴿ ذَنُوبًا ﴾[٦] من العذاب، ﴿ مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ ﴾[٧]، مثل نصيب أصحابهم الذين أهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود، وأصل الذنوب في اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب ﴿ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ۝٥٩ ﴾[٨]، بالعذاب، يعني أنهم أخروا إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الذاريات آية: ٥٧.

(٢) سورة الذاريات آية: ٥٧.

(٣) سورة الذاريات آية: ٥٨.

(٤) سورة الذاريات آية: ٥٨.

(٥) سورة الذاريات آية: ٥٩.

(٦) سورة الذاريات آية: ٥٩.

(٧) سورة الذاريات آية: ٥٩.

(٨) سورة الذاريات آية: ٥٩.

[٦٠] يـدل عليـه قولـه ﷻ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠ ﴾[1]، يعني يوم القيامة، وقيل يوم بدر.

(١) سورة الذاريات آية: ٦٠.

(٥٢) سورة الطور

قوله تعالى وَالطور وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَق مَنْشُورٍ...

[١] ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ ﴾ [١]، أراد به الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة، أقسم الله تعالى به.

[٢] ﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ ﴾ [٢] مكتوب.

[٣] ﴿ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ ﴾ [٣]، الرق: ما يكتب فيه، وهو أديم المصحف، والمنشور المبسوط، واختلفوا في هذا الكتاب، قال الكلبي: هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة [وموسى يسمع صرير القلم].

وقيل: هو اللوح المحفوظ.

وقيل: هو دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله.

دليله قوله ﷻ ﴿ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ﴾ [٤].

[٤] ﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ ﴾ [٥]، بكثرة الغاشية والأهل، وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له: الضراح، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبدا.

---

(١) سورة الطور آية: ١.

(٢) سورة الطور آية: ٢.

(٣) سورة الطور آية: ٣.

(٤) سورة الإسراء آية: ١٣.

(٥) سورة الطور آية: ٤.

[٥] ﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ ﴾[١]، يعني السماء، نظيره قوله ﷻ ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفًا مَّحۡفُوظًاۖ ﴾[٢].

[٦] ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ ﴾[٣]، قال محمد بن كعب القرظي، والضحاك: يعني الموقد المحمى.

وقال مجاهد والكلبي: المسجور المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته.

وقال الحسن وقتادة وأبو العالية: هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب.

وقال الربيع بن أنس: هو المختلط العذب بالملح.

وروى الضحاك عن اا ال بن سبرة عن علي أنه قال في البحر المسجور.

هو بحر تحت العرش، سعته كما بين سبع سماوات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان. تمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحا فينبتون في قبورهم.

هذا قول مقاتل. أقسم الله بذه الأشياء.

[٧] ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ ﴾[٤]، نازل كائن.

[٨] ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ ﴾[٥]، مانع، ثم بين أنه متى يقع فقال.

[٩] ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ ﴾[٦]، أي تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة.

قال قتادة: تتحرك.

---

(١) سورة الطور آية: ٥.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٣٢.

(٣) سورة الطور آية: ٦.

(٤) سورة الطور آية: ٧.

(٥) سورة الطور آية: ٨.

(٦) سورة الطور آية: ٩.

قال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض.

وقيل: تضطرب، والمور يجمع هذه المعاني فهو في اللغة: الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب.

[١٠] ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ﴾[١]، فتزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا.

[١١، ١٢] ﴿ فَوَيْلٌ ﴾[٢]، فشدة عذاب، ﴿ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[٣]، يخوضون في الباطل يلعبون غافلين لاهين.

[١٣] ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ ﴾[٤]، يدفعون، ﴿ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ﴾[٥]، دفعا بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم، وزجا في أقفيتهم حتى يردوا النار، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها:

[١٤] ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[٦]، في الدنيا.

قوله تعالى أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ...

[١٥] ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ ﴾[٧]، وذلك أنهم كانوا ينسبون محمدا ﷺ إلى السحر، وإلى أنه يغطي على الأبصار بالسحر، فوبخوا به، وقيل لهم: ﴿ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[١].

---

(١) سورة الطور آية: ١٠.

(٢) سورة الطور آية: ١١.

(٣) سورة الطور الآيتان : ١١ ، ١٢.

(٤) سورة الطور آية: ١٣.

(٥) سورة الطور آية: ١٣.

(٦) سورة الطور آية: ١٤.

(٧) سورة الطور آية: ١٥.

[١٦] ﴿ ٱصْلَوْهَا ﴾[2]، قاسوا شدتها، ﴿ فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ﴾[3]، الصبر والجزع، ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[4].

[١٧، ١٨] ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ ﴾[5]، معجبين بذلك ناعمين، ﴿ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾[6]، ويقال لهم:

[١٩] ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا ﴾[7]، مأمون العاقبة من التخمة والسقم، ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[8].

[٢٠] ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾[9]، موضوعة بعضها إلى جنب بعض، ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[10].

[٢١] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾[11]، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان يعني أولادهم الصغار والكبار، فالكبار

---

(١) سورة الطور آية: ١٥.
(٢) سورة الطور آية: ١٦.
(٣) سورة الطور آية: ١٦.
(٤) سورة الطور آية: ١٦.
(٥) سورة الطور الآيتان : ١٧ ، ١٨.
(٦) سورة الطور آية: ١٨.
(٧) سورة الطور آية: ١٩.
(٨) سورة الطور آية: ١٩.
(٩) سورة الطور آية: ٢٠.
(١٠) سورة الطور آية: ٢٠.
(١١) سورة الطور آية: ٢١.

بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعا لأحد الأبوين.

﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [(١)]، المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم، وقال آخرون: معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم، أخبر الله ﷻ أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه، يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه، من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئا، فذلك قوله: ﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم ﴾ [(٢)] أي ما نقصناهم يعني الآباء، ﴿ مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١ ﴾ [(٣)] قال مقاتل: كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتهن في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا، لقوله ﷻ ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ ﴾ [(٤)] ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة.

[٢٢] فقال: ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ ﴾ [(٥)]، زيادة على ما كان لهم، ﴿ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ ﴾ [(٦)]، من أنواع اللحمان.

[٢٣] ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ ﴾ [(٧)]، يتعاطون ويتناولون، ﴿ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا ﴾ [(١)]، وهو الباطل.

---

(١) سورة الطور آية: ٢١.
(٢) سورة الطور آية: ٢١.
(٣) سورة الطور آية: ٢١.
(٤) سورة المدثر الآيتان : ٣٨ ، ٣٩.
(٥) سورة الطور آية: ٢٢.
(٦) سورة الطور آية: ٢٢.
(٧) سورة الطور آية: ٢٣.

وقال مقاتل بن حيان: لا فضول فيها.

وقال سعيد بن المسيب: لا رفث فيها.

وقال ابن زيد: لا سباب ولا تخاصم فيها وقال القتيبي: لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ﴿ وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، أي لا يكون منهم ما يؤثمهم.

قال الزجاج: لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا بشربة الخمر.

وقيل: لا يأثمون في شربا.

[٢٤] ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾[3]، بالخدمة، ﴿ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ ﴾[4]، في الحسن والبياض والصفاء، ﴿ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[5]، مخزون مصون لم تمسه الأيدي.

قال سعيد بن جبير: مكنون يعني في الصدف.

[٢٥] ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[6]، يسأل بعضهم بعضا في الجنة.

قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا.

[٢٦] ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا ﴾[7]، في الدنيا، ﴿ مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[8]، خائفين من العذاب.

---

(١) سورة الطور آية: ٢٣.
(٢) سورة الطور آية: ٢٣.
(٣) سورة الطور آية: ٢٤.
(٤) سورة الطور آية: ٢٤.
(٥) سورة الطور آية: ٢٤.
(٦) سورة الطور آية: ٢٥.
(٧) سورة الطور آية: ٢٦.
(٨) سورة الطور آية: ٢٦.

[٢٧] ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ﴾ [1]، بالمغفرة، ﴿ وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ ﴾ [2]، قال الكلبي: عذاب النار.

وقال الحسن: السموم اسم من أسماء جهنم.

[٢٨] ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ ﴾ [3]، في الدنيا ﴿ نَدۡعُوهُۖ ﴾ [4]، نخلص له العبادة، ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ [5]، قرأ أهل المدينة والكسائي (أنه) بفتح الألف، أي لأنه أو بأنه.

وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف، ﴿ هُوَ ٱلۡبَرُّ ﴾ [6]، قال ابن عباس: اللطيف.

وقال الضحاك: الصادق فيما وعد ﴿ ٱلرَّحِيمُ ٢٨ ﴾ [7].

[٢٩] ﴿ فَذَكِّرۡ ﴾ [8]، يا محمد بالقرآن أهل مكة ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ ﴾ [9]، برحمته وعصمته، ﴿ بِكَاهِنٖ ﴾ [10]، تبتدع القرآن وتخبر بما في غد من غير وحي، ﴿ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩ ﴾ [11]، نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر والجنون والشعر.

---

(١) سورة الطور آية: ٢٧.
(٢) سورة الطور آية: ٢٧.
(٣) سورة الطور آية: ٢٨.
(٤) سورة الطور آية: ٢٨.
(٥) سورة الطور آية: ٢٨.
(٦) سورة الطور آية: ٢٨.
(٧) سورة الطور آية: ٢٨.
(٨) سورة الطور آية: ٢٩.
(٩) سورة الطور آية: ٢٩.
(١٠) سورة الطور آية: ٢٩.
(١١) سورة الطور آية: ٢٩.

[٣٠] ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ﴾[1]، بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين.

﴿ شَاعِرٌ ﴾[2]، أي هو شاعر، ﴿ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾[3]، حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء، ويتفرق أصحابه وأن أباهُ مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه، والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت، سميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل.

[٣١] ﴿ قُلۡ تَرَبَّصُواْ ﴾[4]، انتظروا بي الموت، ﴿ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[5]، من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فتعذبوا يوم بدر بالسيف.

قوله تعالى أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ...

[٣٢] ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم ﴾[6]، عقولهم، ﴿ بِهَٰذَآۚ ﴾[7]، وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تتم لهم معرفة الحق من الباطل، ﴿ أَمۡ هُمۡ ﴾[8]، بل هم، ﴿ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[9].

---

(١) سورة الطور آية: ٣٠.
(٢) سورة الطور آية: ٣٠.
(٣) سورة الطور آية: ٣٠.
(٤) سورة الطور آية: ٣١.
(٥) سورة الطور آية: ٣١.
(٦) سورة الطور آية: ٣٢.
(٧) سورة الطور آية: ٣٢.
(٨) سورة الطور آية: ٣٢.
(٩) سورة الطور آية: ٣٢.

[٣٣] ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ ﴾[1]، أي تخلق القرآن من تلقاء نفسه، والتقول: تكلف القول، ولا يستعمل ذلك إلا في الكذب وليس الأمر كما زعموا، ﴿ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2]، بالقرآن استكبارا.

[٣٤] ثم ألزمهم الحجة فقال: ﴿ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ ﴾[3]، أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه، ﴿ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4]، أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه.

[٣٥] ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ ﴾[5]، قال ابن عباس: من غير رب، ومعناه: أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، ﴿ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[6]، لأنفسهم ذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق.

فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به، ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي.

قال الزجاج: معناه أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون؟.

وقال ابن كيسان: أخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون، فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء، أي لغير شيء، أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر؟

---

(١) سورة الطور آية: ٣٣.
(٢) سورة الطور آية: ٣٣.
(٣) سورة الطور آية: ٣٤.
(٤) سورة الطور آية: ٣٤.
(٥) سورة الطور آية: ٣٥.
(٦) سورة الطور آية: ٣٥.

[٣٦] ﴿ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ ﴾[(١)]، فيكونوا هم الخالقين، ليس الأمر كذلك، ﴿ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[(٢)].

[٣٧] ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ ﴾[(٣)]، قال عكرمة: يعني النبوة.

قال مقاتل: أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونا حيث شاءوا؟

قال الكلبي: خزائن المطر والرزق، ﴿ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾[(٤)]، المسلطون الجبارون، قال عطاء: أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمر ونهي، ويفعلون ما شاءوا.

[٣٨] ﴿ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ ﴾[(٥)]، مرقى ومصعد إلى السماء، ﴿ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ ﴾[(٦)]، أي يستمعون عليه الوحي، كقوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾[(٧)] أي عليها، أي ألهم سلم يرتقون به إلى السماء، فيستمعون الوحي ويعلمون أن ما هم عليه حق بالوحي، فهم متمسكون به كذلك؟ ﴿ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم ﴾[(٨)]، إن ادعـوا ذلك، ﴿ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴾[(٩)]، بحجة بينة.

---

(١) سورة الطور آية: ٣٦.
(٢) سورة الطور آية: ٣٦.
(٣) سورة الطور آية: ٣٧.
(٤) سورة الطور آية: ٣٧.
(٥) سورة الطور آية: ٣٨.
(٦) سورة الطور آية: ٣٨.
(٧) سورة طه آية: ٧١.
(٨) سورة الطور آية: ٣٨.
(٩) سورة الطور آية: ٣٨.

[٣٩] ﴿ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴾[١]، هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون، كقوله: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴾[٢].

[٤٠] ﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرًا ﴾[٣]، جعلا على ما جئتهم به ودعوتم إليه من الدين، ﴿ فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴾[٤]، أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم، فمنعهم ذلك عن الإسلام.

[٤١] ﴿ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ ﴾[٥]، أي علم ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل.

وقال قتادة: هذا جواب لقولهم: ﴿ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾[٦]، يقول: أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمدا ﷺ يموت قبلهم؟ ﴿ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾[٧]، قال القتيبي: فهم يكتبون أي يحكمون، والكتاب الحكم، قال النبي ﷺ للرجلين اللذين تخاصما إليه: ﴿ أقضى بينكما بكتاب الله ﴾[٨]، أي بحكم الله، وقال ابن عباس: معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؟.

---

(١) سورة الطور آية: ٣٩.

(٢) سورة الصافات آية: ١٤٩.

(٣) سورة الطور آية: ٤٠.

(٤) سورة الطور آية: ٤٠.

(٥) سورة الطور آية: ٤١.

(٦) سورة الطور آية: ٣٠.

(٧) سورة الطور آية: ٤١.

(٨) البخاري الصلح (٢٥٤٩)،مسلم الحدود (١٦٩٨)،الترمذي الحدود (١٤٣٣)،النسائي آداب القضاة (٥٤١١)،أبو داود الحدود (٤٤٤٥)،ابن ماجه الحدود (٢٥٤٩)،أحمد (١١٥/٤)،مالك الحدود (١٥٥٦)،الدارمي الحدود (٢٣١٧).

[٤٢] ﴿ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ ﴾[1]، مكرا بك ليهلكوك، ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ٤٢ ﴾[2]، أي هم المزيون بكيدهم يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم، ويحيق مكرهم بهم، وذلك أنهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا ببدر.

[٤٣] ﴿ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ ﴾[3]، يرزقهم وينصرهم، ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣ ﴾[4]، قال الخليل: ما في هذه السورة من ذكر أم كلمة استفهام وليس بعطف.

[٤٤] ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا ﴾[5]، قطعة، ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا ﴾[6]، هذا جواب لقولهم: ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[7] يقول: لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم، ﴿ يَقُولُواْ ﴾[8]، لمعاندتم هـذا ﴿ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤ ﴾[9]، بعضه على بعض يسقينا.

[٤٥] ﴿ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ ﴾[10]، يعاينوا، ﴿ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥ ﴾[1]، يموتون، أي حتى يعاينوا الموت.

---

(١) سورة الطور آية: ٤٢.
(٢) سورة الطور آية: ٤٢.
(٣) سورة الطور آية: ٤٣.
(٤) سورة الطور آية: ٤٣.
(٥) سورة الطور آية: ٤٤.
(٦) سورة الطور آية: ٤٤.
(٧) سورة الشعراء آية: ١٨٧.
(٨) سورة الطور آية: ٤٤.
(٩) سورة الطور آية: ٤٤.
(١٠) سورة الطور آية: ٤٥.

[٤٦] ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٢]، أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع.

[٤٧] ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[٣]، كفروا، ﴿ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[٤]، أي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة.

قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر.

وقال مجاهد: هو الجوع والقحط سبع سنين.

وقال البراء بن عازب: هو عذاب القبر.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٥]، أن العذاب نازل بهم.

[٤٨] ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾[٦]، إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم، ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[٧]، أي بمرأى منا قال ابن عباس: نرى ما يعمل بك.

وقال الزجاج: معناه أنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك.

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾[٨]، قال سعيد بن جبير وعطاء أي قل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيرا ازددت إحسانا، وإن كان غير ذلك كان كفارة له.

---

(١) سورة الطور آية: ٤٥.

(٢) سورة الطور آية: ٤٦.

(٣) سورة الطور آية: ٤٧.

(٤) سورة الطور آية: ٤٧.

(٥) سورة الطور آية: ٤٧.

(٦) سورة الطور آية: ٤٨.

(٧) سورة الطور آية: ٤٨.

(٨) سورة الطور آية: ٤٨.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه صل لله حين تقوم من مقامك.

وقال الضحاك والربيع، إذا قمت إلى الصلاة فقل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.

وقال الكلبي: هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن يدخل في صلاته.

[٤٩] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ ﴾ (١)، أي صل له، قال مقاتل: يعني صلاة المغرب والعشاء.

﴿ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩ ﴾ (٢)، يعني ركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الضحاك: هو فريضة صلاة الصبح.

---

(١) سورة الطور آية: ٤٩.

(٢) سورة الطور آية: ٤٩.

(٥٣) سورة النجم

قوله تعالى وَالنجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَل صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى...

[١] ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾[(١)]، قال ابن عباس - في رواية الوالبي والعوفي -: يعني الثريا إذا سقطت وغابت، وهويه مغيبه، وقال مجاهد: هي نجوم السماء كلها حين تغرب، لفظه واحد ومعناه الجمع؟ سمي الكوكب نجما لطلوعه، وكل طالع نجم يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلع.

عن ابن عباس: ما ترمى با الشياطين عند استراقهم السمع، وقيل: المراد بالنجم القرآن سمي نجما؛ لأنه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة، وسمي التفريق: تنجيما، والمفرق: منجما، والهوى: اا ول من أعلى إلى أسفل.

[٢، ٣] وجواب القسم قوله: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ ﴾[(٢)]، يعني محمدا ﷺ ما ضل عن طريق الهدى، ﴿ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾[(٣)]، يعني بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل، وذلك أنم قالوا: إن محمدا ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه.

[٤] ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾[(٤)]، ما نطقه في الدين، وقيـل: القـرآن، ﴿ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[(٥)]، يعني وحي من الله يوحى إليه.

[٥] ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾[(٦)]، وهو جبريل، والقوى جمع القوة.

[٦] ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾[(١)]، قوة وشدة في خلقه، يعني جبريل.

---

(١) سورة النجم آية: ١.
(٢) سورة النجم آية: ٢.
(٣) سورة النجم الآيتان : ٢ ، ٣.
(٤) سورة النجم آية: ٤.
(٥) سورة النجم آية: ٤.
(٦) سورة النجم آية: ٥.

قال ابن عباس: ذو مرة يعني ذو منظر حسن.

وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن.

﴿ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾[2]، يعني جبريل.

[٧] ﴿ وَهُوَ ﴾[3]، يعني محمدا ﷺ ومعنى الآية: استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج، ﴿ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ﴾[4]، وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس، وقيل: فاستوى يعني جبريل، وهو كناية عن جبريل أيضا، أي قام في صورته التي خلقه الله، وهو بالأفق الأعلى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ ﴾[5].

[٨، ٩] قوله ﷻ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾[6]، اختلفوا في معناه، فقيل: جبريل فمعنى الآية: ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فتدلى فـ ل إلى محمد ﷺ فكان منه قاب قوسين أو أدنى، بل أدنى، وقال آخرون: ثم دنـا الله ﷻ من محمـد ﷺ فتدلى، فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وقال مجاهد: دنا جبريل من ربه.

وقال الضحاك: دنا محمد ﷺ من ربه فتدلى فأهوى للسجود، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، ومعنى قوله: قَابَ قَوْسَيْنِ أي قدر قوسين، والقاب والقيب، والقاد والقيد عبارة عن المقدار، والقوس: ما يرمى به، فأخبر أنه كان بين جبريل وبين محمد ﷺ مقدار قوسين.

---

(١) سورة النجم آية: ٦.

(٢) سورة النجم آية: ٦.

(٣) سورة النجم آية: ٧.

(٤) سورة النجم آية: ٧.

(٥) سورة النجم آية: ٨.

(٦) سورة النجم آية: ٩.

[١٠] ﴿ فَأَوْحَىٰٓ ﴾ [١] أي أوحـى الله، ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [٢]، محمـد ﷺ قال ابن عباس، معناه أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى إليه ربه عز وجل.

قال سعيد بن جبير: أوحى إليه: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [٣] إلى قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [٤]، وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

[١١] ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ [٥]، قرأ أبو جعفر: ما كذب بتشديد الذال، أي: ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدقه وحققه، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ الذي رأى، بل صدقه، يقال: كذبه إذا قال له الكذب، وصدقه إذا قال له الصدق، مجازه: ما كذب الفؤاد فيما رأى، واختلفوا في الذي رآه، فقال قوم: رأى جبريل، وقال آخرون: هو الله عز وجل.

ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرأى بفؤاده، وهو قول ابن عباس، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه.

[١٢] ﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ [٦]، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (أفتمرونه) بفتح التاء بلا ألف، أي أفتجحدونه، تقول العرب: مريت الرجل

---

(١) سورة النجم آية: ١٠.

(٢) سورة النجم آية: ١٠.

(٣) سورة الضحى آية: ٦.

(٤) سورة الشرح آية: ٤.

(٥) سورة النجم آية: ١١.

(٦) سورة النجم آية: ١٢.

حقه إذا جحدته، وقرأ الآخرون: (أفتمارونه) بالألف وضم التاء، على معنى أفتجادلونه على ما يرى، وذلك أنم جادلوه حين أسري به، فقالوا: صف لنا بيت المقدس.

[١٣] ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [(١)]، يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليه نازلا من السماء نزلة أخرى.

وذلك أنه رآه في صورته مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء.

[١٤] ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [(٢)]، وعلى قول ابن عباس معنى.

﴿ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [(٣)] هو أنه كانت للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لمسألته التخفيف من أعداد الصلوات، فيكون لكل عرجة نزلة، فرأى ربه في بعضها، والسدرة شجرة النبق، وقيل لها: سدرة المنتهى لأنه إليها ينتهي علم الخلق.

[١٥] ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [(٤)]، قال عطاء عن ابن عباس: جنة المأوى جنة يأوي إليها جبريل والملائكة.

وقال مقاتل والكلبي: تأوي إليها أرواح الشهداء.

[١٦] ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [(٥)]، قال ابن مسعود: فراش من ذهب، وقال مقاتل: تغشاها الملائكة وقال السدي: من الطيور، وعن الحسن قال: غشيها نور رب العزة فاستنارت.

[١٧] ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [(١)]، أي ما مال بصر النبي ﷺ يمينا ولا شمالا وما طغى، أي ما جاوز ما رأى.

---

(١) سورة النجم آية: ١٣.

(٢) سورة النجم آية: ١٤.

(٣) سورة النجم آية: ١٣.

(٤) سورة النجم آية: ١٥.

(٥) سورة النجم آية: ١٦.

وقيل: ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبا.

[١٨] ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾[٢]، يعني الآيات العظام.

وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده.

[١٩] قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[٣]، هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونا.

[٢٠] ﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾[٤] قال قتادة: هي لخزاعة كانت بقديد، وقال ابن زيد: بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب.

قال الضحاك: مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة.

وقال بعضهم: اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونا، وأما قوله: ﴿ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[٥]، فالثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر، ومعنى الآية: أفرأيتم أخبرونا أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله، تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

[٢١، ٢٢] فقال الله تعالى منكرا عليهم: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾[٦]، قال ابن عباس وقتادة: أي قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم.

قال مجاهد ومقاتل: قسمة عوجاء.

---

(١) سورة النجم آية: ١٧.
(٢) سورة النجم آية: ١٨.
(٣) سورة النجم آية: ١٩.
(٤) سورة النجم آية: ٢٠.
(٥) سورة النجم آية: ٢٠.
(٦) سورة النجم الآيتان : ٢١ ، ٢٢.

وقال الحسن: غير معتدلة.

[٢٣] ﴿ إِنْ هِيَ ﴾[1]، ما هذه الأصنام، ﴿ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾[2]، حجة وبرهان بما تقولون إنا آلهة، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾[3]، في قولهم إنا آلهة، ﴿ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾[4]، وهو ما زين لهم الشيطان، ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾[5]، البيان بالكتاب والرسول أنا ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار.

[٢٤] ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[6]، أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الأصنام.

[٢٥] ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾[7]، ليس كما ظن الكافر وتمنى، بل لله الآخرة والأولى لا يملك أحد فيهما شيئا إلا بإذنه.

[٢٦] ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[8]، ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله، ﴿ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ﴾[9]، في الشفاعة، ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، أي من أهل التوحيد.

---

(١) سورة النجم آية: ٢٣.
(٢) سورة النجم آية: ٢٣.
(٣) سورة النجم آية: ٢٣.
(٤) سورة النجم آية: ٢٣.
(٥) سورة النجم آية: ٢٣.
(٦) سورة النجم آية: ٢٤.
(٧) سورة النجم آية: ٢٥.
(٨) سورة النجم آية: ٢٦.
(٩) سورة النجم آية: ٢٦.

قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه وجمع الكناية في قوله: شفاعتهم والملك واحد لأن المراد من قوله: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ، الكثرة فهو كقوله: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾[2].

قوله تعالى إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى...

[٢٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾[3]، أي بتسمية الأنثى حين قالوا: إنهم بنات الله.

[٢٨] ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ﴾[4]، قال مقاتل: معناه ما يستيقنون أنهم إناث، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[5]، والحق بمعنى العلم أي لا يقوم الظن مقام العلم.

وقيل: الحق بمعنى العذاب، أي أظنهم لا ينقذهم من العذاب.

[٢٩] ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾[6]، يعني القرآن.

وقيل: الإيمان، ﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[7].

[٣٠] ثم صغر رأيهم، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[8]، أي ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.

---

(١) سورة النجم آية: ٢٦.
(٢) سورة الحاقة آية: ٤٧.
(٣) سورة النجم آية: ٢٧.
(٤) سورة النجم آية: ٢٨.
(٥) سورة النجم آية: ٢٨.
(٦) سورة النجم آية: ٢٩.
(٧) سورة النجم آية: ٢٩.
(٨) سورة النجم آية: ٣٠.

وقيل: لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنا تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾[1]، أي هو عالم بالفريقين فيجازيهم.

[٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[2]، وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾[3]، فاللام في قوله: (ليجزي) متعلق بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بم جازى كلا بما يستحقه، الذين أساءوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك، ﴿ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾[4]، وحدّوا ربم بالحسنى بالجنة، وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك، ولذلك قال: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[5].

[٣٢] ثم وصفهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾[6]، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: هذا استثناء صحيح، واللمم: من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الوقعة ثم ينتهي، وأصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون له إعادة ولا إقامة عليه.

وقال آخرون: هذا استثناء منقطع مجازه لكن اللمم، ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش، ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله

---

(١) سورة النجم آية: ٣٠.
(٢) سورة النجم آية: ٣١.
(٣) سورة النجم آية: ٣١.
(٤) سورة النجم آية: ٣١.
(٥) سورة النجم آية: ٣١.
(٦) سورة النجم آية: ٣٢.

به، وقال بعضهم: هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، وقال الكلبي: اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فلذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو: الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه.

وقال سعيد بن المسيب: هو ما لم على القلب أي خطر.

وقال الحسين بن الفضل: اللمم النظرة من غير تعمد فهو مغفور، فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ ﴾[1]، قال ابن عباس: لمن فعل ذلك وتاب، تم الكلام ههنا، ثم قال: ﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾[2]، أي: خلق أباكم آدم من التراب، ﴿ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ ﴾[3]، جمع جنين، سمي جنينا لاجتنانه في البطن، ﴿ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾[4]، قال ابن عباس: لا تمدحوها.

قال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تزكوا أنفسكم، فلا تبرؤها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها ﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ ﴾[5]، أي بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى.

[٣٣] قوله ﷻ ﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ٣٣ ﴾[6]، نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد اتبع النبي ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين، وقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم؟

---

(١) سورة النجم آية: ٣٢.
(٢) سورة النجم آية: ٣٢.
(٣) سورة النجم آية: ٣٢.
(٤) سورة النجم آية: ٣٢.
(٥) سورة النجم آية: ٣٢.
(٦) سورة النجم آية: ٣٣.

قال: إني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه إن هو أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيره بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه تمامه، فأنزل الله ﷻ (أفرأيت الذي تولى) أدبر عن الإيمان.

[٣٤] ﴿ وَأَعْطَىٰ ﴾ [١]، صاحبه، ﴿ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ [٢] بخل بالباقي، ومعنى أكدى: يعني قطع، وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر، تقول العرب: أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل.

[٣٥] ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٣]، ما غاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه.

[٣٦] ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ ﴾ [٤]، لم يخبر، ﴿ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [٥]، يعني: أسفار التوراة.

[٣٧] ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [٦]، وفي صحف إبراهيم عليه السلام، ﴿ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٧]، تمم وأكمل ما أمر به.

قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة: عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه.

قال مجاهد: وفى بما فرض عليه.

قال الربيع: وفى رؤياه وقام بذبح ابنه.

---

(١) سورة النجم آية: ٣٤.

(٢) سورة النجم آية: ٣٤.

(٣) سورة النجم آية: ٣٥.

(٤) سورة النجم آية: ٣٦.

(٥) سورة النجم آية: ٣٦.

(٦) سورة النجم آية: ٣٧.

(٧) سورة النجم آية: ٣٧.

وقال عطاء الخراساني: استكمل الطاعة.

وقال أبو العالية: وفى سهام الإسلام، والتوفية الإتمام.

وقال الضحاك: وفى ميثاق المناسك.

[٣٨] ثم بين ما في صحفهما فقال: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[١]، أي لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى، ومعناه: لا تؤخذ نفس بإثم غيرها.

[٣٩] ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[٢]، أي عمل كقوله: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾[٣]، وهذا أيضا في صحف إبراهيم وموسى.

[٤٠] ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾[٤]، في ميزانه يوم القيامة، مأخوذة من: أريته الشيء.

[٤١] ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾[٥]، الأكمل والأتم أي يجزي الإنسان بسعيه، يقال: جزيت فلانا سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾[٦]، أي منتهى الخلق ومصيرهم إليه، وهو مجازيهم بأعمالهم.

وقيل: منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال.

---

(١) سورة النجم آية: ٣٨.

(٢) سورة النجم آية: ٣٩.

(٣) سورة الليل آية: ٤.

(٤) سورة النجم آية: ٤٠.

(٥) سورة النجم آية: ٤١.

(٦) سورة النجم آية: ٤٢.

[٤٣] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾ [(١)]، فهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء، قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار.

وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر.

قال عطاء بن أبي مسلم: يعني فرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء.

[٤٤] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴾ [(٢)]، أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث.

وقيل أمات الآباء وأحيا الأبناء.

وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة.

قوله تعالى وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى...

[٤٥] ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ [(٣)]، من كل حيوان.

[٤٦] ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾ [(٤)]، أي تصب في الرحم، يقال منى الرجل وأمنى وقيل: تقدر، يقال: منيت الشيء إذا قدرته.

[٤٧] ﴿ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾ [(٥)]، أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.

[٤٨] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴾ [(٦)]، قال أبو صالح: أغنى الناس بالأموال، وأقنى أي: أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية.

---

(١) سورة النجم آية: ٤٣.

(٢) سورة النجم آية: ٤٤.

(٣) سورة النجم آية: ٤٥.

(٤) سورة النجم آية: ٤٦.

(٥) سورة النجم آية: ٤٧.

(٦) سورة النجم آية: ٤٨.

قال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وأقنى بالإبل والبقر والغنم.

وقال قتادة والحسن: أقنى أخدم.

وقال ابن عباس: أغنى وأقنى: أعطى فأرضى.

قال مجاهد ومقاتل: أقنى أرضى بما أعطى وقنع.

وقال ابن زيد: أغنى: أكثر، وأقنى: أقل، وقرأ: (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)، وقال الأخفش: أقنى أفقر.

وقال ابن كيسان: أولد.

[٤٩] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[(١)]، وهو كوكب خلف الجوزاء وكانت خزاعة تعبدها.

[٥٠] ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[(٢)]، وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر فكان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى.

[٥١] ﴿ وَثَمُودَاْ ﴾[(٣)]، وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحـة، ﴿ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾[(٤)] منهم أحدا.

[٥٢] ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ﴾[(٥)]، أي أهلك قوم نوح من قبـل عاد وثمـود ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾[(٦)]، لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب.

---

(١) سورة النجم آية: ٤٩.

(٢) سورة النجم آية: ٥٠.

(٣) سورة النجم آية: ٥١.

(٤) سورة النجم آية: ٥١.

(٥) سورة النجم آية: ٥٢.

(٦) سورة النجم آية: ٥٢.

[٥٣] ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ ﴾[1]، يعني: قرى قوم لوط، ﴿ أَهْوَىٰ ۝٥٣ ﴾[2]، أسقط أي أهواها جبريل بعد ما رفعها إلى السماء.

[٥٤] ﴿ فَغَشَّىٰهَا ﴾[3]، ألبسها الله، ﴿ مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ ﴾[4]، يعني الحجارة المنضودة المسومة.

[٥٥] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ ﴾[5]، نعم ربك أيها الإنسان، وقيل: أراد الوليد بن المغيرة، ﴿ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥ ﴾[6]، تشك وتجادل، قال ابن عباس: تكذب.

[٥٦] ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ ﴾[7]، يعني محمدا، ﴿ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ ﴾[8]، أي رسول من الرسل أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم، وقال قتادة: يقول أنذر محمد كما أنذر الرسل من قبله.

[٥٧] ﴿ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝٥٧ ﴾[9]، دنت القيامة واقتربت الساعة.

[٥٨] ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ ﴾[10]، أي مظهرة مقيمة كقوله تعالى: ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾[1]، والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفة، ويجوز

---

(١) سورة النجم آية: ٥٣.
(٢) سورة النجم آية: ٥٣.
(٣) سورة النجم آية: ٥٤.
(٤) سورة النجم آية: ٥٤.
(٥) سورة النجم آية: ٥٥.
(٦) سورة النجم آية: ٥٥.
(٧) سورة النجم آية: ٥٦.
(٨) سورة النجم آية: ٥٦.
(٩) سورة النجم آية: ٥٧.
(١٠) سورة النجم آية: ٥٨.

أن تكون الكاشفة مصدرا كالخيالة والعافية، والمعنى: ليس لها من دون الله كاشف، أي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره.

وقيل: معناه ليس لها راد يعني إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد.

[٥٩، ٦٠] ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾[٢]، يعني القرآن، ﴿ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ ﴾[٣]، الاستهزاء، ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ ﴾[٤]، لما فيه من الوعد والوعيد.

[٦١] ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ ﴾[٥]، لاهون غافلون.

والسمود الغفلة عن الشيء واللهو، يقال: دع عنا سمودك أي لهوك، هذا رواية الوالبي والعوفي عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وقال الضحاك: آشرون بطرون.

[٦٢] ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢ ﴾[٦]، أي واعبدوه.

(١) سورة الأعراف آية: ١٨٧.

(٢) سورة النجم آية: ٥٩.

(٣) سورة النجم الآيتان : ٥٩ ، ٦٠.

(٤) سورة النجم آية: ٦٠.

(٥) سورة النجم آية: ٦١.

(٦) سورة النجم آية: ٦٢.

(٥٤) سورة القَمَرُ

قوله تعالى اقْتَرَبَتِ الساعَةُ وَانْشَقَ القَمَرُ...

[١] ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾[1]، دنت القيامة، ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾[2]، عن أنس بن مالك: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما [3].

[٢] ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ ۝٢ ﴾[4]، أي ذاهب وسوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر إذا ذهب، مثل قولهم: قر واستقر، هذا قول مجاهد وقتادة، وقال أبو العالية والضحاك: مستمر أي قوي شديد يعلو كل سحر، من قولهم: مر الحبل إذا صلب واشتد، وأمررته أنا إذا أحكمت فتله واستمر الشيء إذا قوي واستحكم.

[٣] ﴿ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ ﴾[5]، أي كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله ﷻ واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل، ﴿ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ ﴾[6]، قال الكلبي: لكل أمر حقيقة، ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف.

وقال قتادة: كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير، والشر مستقر بأهل الشر.

وقيل كل أمر من خير أو شر مستقر قراره، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار.

---

(١) سورة القمر آية: ١.

(٢) سورة القمر آية: ١.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار ١٨٧/٧.

(٤) سورة القمر آية: ٢.

(٥) سورة القمر آية: ٣.

(٦) سورة القمر آية: ٣.

وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب.

وقال مقاتل: لكل حديث منتهى.

وقيل: كل ما قدر كائن وواقع لا محالة.

[٤] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم ﴾ [١]، يعني أهل مكة، ﴿ مِّنَ ٱلْأَنْبَآءِ ﴾ [٢]، من أخبار الأمم المكذبة في القرآن، ﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ ﴾ [٣]، مصدر بمعنى الازدجار، أي نهي وعظة، يقال زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء، وأصله مزتجر، قلبت التاء دالا.

[٥] ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ ﴾ [٤]، يعني: القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر، ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ ﴾ [٥]، يجوز أن تكون (ما) نفيا على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهاما، والمعنى: فأي شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم، كقوله: ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١ ﴾ [٦]، والنذر جمع نذير.

[٦] ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ ﴾ [٧]، أي أعرض عنهم، نسختها آية القتال.

قيل: ههنا وقف تام.

وقيل: فتول عنهم.

---

(١) سورة القمر آية: ٤.

(٢) سورة القمر آية: ٤.

(٣) سورة القمر آية: ٤.

(٤) سورة القمر آية: ٥.

(٥) سورة القمر آية: ٥.

(٦) سورة يونس آية: ١٠١.

(٧) سورة القمر آية: ٦.

﴿ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ ﴾[(١)]، أي إلى يوم الداعي، قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس، ﴿ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ ﴾[(٢)]، منكر فظيع لم يروا مثله فينكروه استعظاما.

قوله تعالى خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ...

[٧] ﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾[(٣)] في قراءة عبد الله: (خاشعة أبصارهم) أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. ﴿ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ ﴾[(٤)]، من القبور، ﴿ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ ﴾[(٥)]، منبث حيارى، وذكر المنتشر على لفظ الـجراد، نظـيرها: ﴿ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ ﴾[(٦)]، وأراد أنم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها في بعض.

[٨] ﴿ مُّهۡطِعِينَ ﴾[(٧)]، مسرعين مقبلين، ﴿ إِلَى ٱلدَّاعِۖ ﴾[(٨)]، إلى صوت إسرافيل، ﴿ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨ ﴾[(٩)]، صعب شديد.

[٩] قوله ﷻ ﴿ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ ﴾[(١)]، أي قبل أهل مكة، ﴿ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا ﴾[(٢)]، نوحا، ﴿ وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ۝٩ ﴾[(٣)]، أي زجروه عن دعوته ومقالته

(١) سورة القمر آية: ٦.
(٢) سورة القمر آية: ٦.
(٣) سورة القمر آية: ٧.
(٤) سورة القمر آية: ٧.
(٥) سورة القمر آية: ٧.
(٦) سورة القارعة آية: ٤.
(٧) سورة القمر آية: ٨.
(٨) سورة القمر آية: ٨.
(٩) سورة القمر آية: ٨.

ومقالته بالشتم والوعيد، وقالوا: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ۝١١٦ ﴾[٤]، وقال مجاهد: معنى ازدجر أي استطير جنونا.

[١٠] ﴿ فَدَعَا ﴾[٥] نوح، ﴿ رَبَّهُۥٓ ﴾[٦]، وقال، ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ ﴾[٧]، مقهور، ﴿ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ ﴾[٨]، فانتقم لي منهم.

[١١] ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ ﴾[٩]، منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما.

[١٢] ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾[١٠]، يعني ماء السماء وماء الأرض، وإنما قال: التقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعدا لأن الماء يكون جمعا وواحدا، ﴿ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ ﴾[١١]، أي قضي عليهم في أم الكتاب.

وقال مقاتل: قدر الله أن يكون الماءان سواء فكانا على قدر.

---

(١) سورة القمر آية: ٩.
(٢) سورة القمر آية: ٩.
(٣) سورة القمر آية: ٩.
(٤) سورة الشعراء آية: ١١٦.
(٥) سورة القمر آية: ١٠.
(٦) سورة القمر آية: ١٠.
(٧) سورة القمر آية: ١٠.
(٨) سورة القمر آية: ١٠.
(٩) سورة القمر آية: ١١.
(١٠) سورة القمر آية: ١٢.
(١١) سورة القمر آية: ١٢.

[١٣] ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ ﴾[(١)]، يعني نوحا، ﴿ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾[(٢)]، أي سفينة ذات ألواح، ذكر النعت وترك الاسم، أراد بالألواح خشب السفينة العريضة، (وَدُسُرٍ) أي المسامير التي تشد بها الألواح، واحدها دسار ودسير، يقال: دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير.

وقال الحسن: الدسر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدسر الماء بجؤجئها، أي تدفع.

وقال مجاهد: هي عوارض السفينة.

وقيل: أضلاعها.

وقال الضحاك: الألواح جانباها، والدسر أصلها وطرفاها.

[١٤] ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾[(٣)]، أي بمرأى منا.

وقال مقاتل بن حيان: بحفظنا، ومنه قولهم للمودع: عين الله عليك.

وقال سفيان: بأمرنا.

﴿ جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[(٤)]، يعني فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثوابا لمن كان كفر به وجحد أمره، وهو نوح عليه السلام، وقيل: (من) بمعنى (ما) أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم، أو جزاء لما صنع بنوح وأصحابه، وقرأ مجاهد (جزاء لمن كان كفر) بفتح الكاف والفاء، يعني كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله.

[١٥] ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ﴾[(٥)]، يعني الفعلة التي فعلنا، ﴿ ءَايَةً ﴾[(١)]، يعتبر بها.

---

(١) سورة القمر آية: ١٣.

(٢) سورة القمر آية: ١٣.

(٣) سورة القمر آية: ١٤.

(٤) سورة القمر آية: ١٤.

(٥) سورة القمر آية: ١٥.

وقيل: أراد السفينة.

قال قتادة: أبقاها الله بباقر دي من أرض الجزيرة، عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾[2]، أي متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم.

[١٦] ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾[3]، أي إنذاري، قال الفراء: الإنذار والنذر مصدران، تقول العرب: أنذرت إنذارا ونذرا، كقولهم أنفقت إنفاقا ونفقة، وأيقنت إيقانا ويقينا، أقيم الاسم مقام المصدر.

[١٧] ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ﴾[4]، سهلنا، ﴿ ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ ﴾[5]، ليتذكر ويعتبر به، وقال سعيد بن جبير: يسرناه للحفظ والقراءة، وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن.

﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾[6]، متعظ بمواعظه.

[١٨، ١٩] ﴿ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا ﴾[7]، شديدة الهبوب، ﴿ فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴾[8]، شديد دائم الشؤم، استمر عليهم بنحو سنة فلم يبق منهم أحد إلا أهلكه، قيل: كان ذلك يوم الأربعاء في آخر الشهر.

---

(١) سورة القمر آية: ١٥.
(٢) سورة القمر آية: ١٥.
(٣) سورة القمر آية: ١٦.
(٤) سورة القمر آية: ١٧.
(٥) سورة القمر آية: ١٧.
(٦) سورة القمر آية: ١٧.
(٧) سورة القمر الآيتان : ١٨، ١٩.
(٨) سورة القمر آية: ١٩.

[٢٠] ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [١]، تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم.

وروي أنها كانت تنزع الناس من قبورهم، ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ ﴾ [٢]، قال ابن عباس: أصولها، وقال الضحاك: أوراك نخل.

﴿ مُّنقَعِرٖ ٢٠ ﴾ [٣]، منقلع من مكانه ساقط على الأرض وواحد الأعجاز عجز، مثل عضد وأعضاد، وإنما قال: (أعجاز نخل) وهي أصولها التي قطعت فروعها لأن الريح كانت تبين رؤوسهم من أجسادهم، فتبقى أجسادهم بلا رؤوس.

[٢١ - ٢٣] ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣ ﴾ [٤]، بالإنذار الذي جاءهم به صالح.

[٢٤] ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا ﴾ [٥]، آدميا، ﴿ مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ [٦]، ونحن جماعة كثيرة وهو واحد، ﴿ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ ﴾ [٧] خطأ وذهاب عن الصواب، ﴿ وَسُعُرٍ ٢٤ ﴾ [٨]، قال ابن عباس: عذاب.

وقال الحسن: شدة عذاب.

وقال قتادة: عناء، يقولون: إنا إذا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته.

قال سفيان بن عيينة: هو جمع سعير.

---

(١) سورة القمر آية: ٢٠.

(٢) سورة القمر آية: ٢٠.

(٣) سورة القمر آية: ٢٠.

(٤) سورة القمر الآيات من ٢١ : ٢٣.

(٥) سورة القمر آية: ٢٤.

(٦) سورة القمر آية: ٢٤.

(٧) سورة القمر آية: ٢٤.

(٨) سورة القمر آية: ٢٤.

وقال الفراء: جنون، يقال ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها.

وقال وهب: وسعر: أبعد عن الحق.

[٢٥] ﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ ﴾(١)، أأنزل، الذكر: الوحي، ﴿ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴾(٢)، بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة، والأشر المرح والتجبر.

[٢٦] ﴿ سَيَعۡلَمُونَ ﴾(٣)، قرأ ابن عامر وحمزة: (ستعلمون)، بالتاء على معنى قال صالح لهم، وقرأ الآخرون بالياء، يقول الله تعالى: ﴿ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا ﴾(٤)، حين ي ل بم العذاب.

وقال الكلبي: يعني يوم القيامة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس، يقولون: إن مع اليوم غدا، ﴿ مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴾(٥).

[٢٧] ﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ ﴾(٦)، أي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا أن يخرجها منها، وذلك أنم تعنتوا على صالح، فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء، فقال الله تعالى: ﴿ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ ﴾(٧)، محنة واختبارا لهم، ﴿ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ ﴾(٨)،

---

(١) سورة القمر آية: ٢٥.

(٢) سورة القمر آية: ٢٥.

(٣) سورة القمر آية: ٢٦.

(٤) سورة القمر آية: ٢٦.

(٥) سورة القمر آية: ٢٦.

(٦) سورة القمر آية: ٢٧.

(٧) سورة القمر آية: ٢٧.

(٨) سورة القمر آية: ٢٧.

فانتظر ما هم صانعون، ﴿ وَٱصۡطَبِرۡ ﴾ [1]، على ارتقابهم، وقيل: على ما يصيبك من الأذى.

قوله تعالى وَنَبِّئْهُمْ أن الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُل شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ..

[٢٨] ﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [2]، وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، وإنما قال: "بينهم" لأن العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم.

على البهائم، ﴿ كُلُّ شِرۡبٖ ﴾ [3]، نصيب من الماء، ﴿ مُّحۡتَضَرٞ ﴾ [4]، يحضره من كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم، وأحضر وحضر بمعنى واحد، قال مجاهد: يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة، فإذا جاءت الناقة حضروا اللبن.

[٢٩] ﴿ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ ﴾ [5]، وهو قدار بن سالف، ﴿ فَتَعَاطَىٰ ﴾ [6]، فتناول الناقة بسيفه ﴿ فَعَقَرَ ﴾ [7]، أي فعقرها.

[٣٠] ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [8]، ثم بين عذابهم.

---

(١) سورة القمر آية: ٢٧.
(٢) سورة القمر آية: ٢٨.
(٣) سورة القمر آية: ٢٨.
(٤) سورة القمر آية: ٢٨.
(٥) سورة القمر آية: ٢٩.
(٦) سورة القمر آية: ٢٩.
(٧) سورة القمر آية: ٢٩.
(٨) سورة القمر آية: ٣٠.

[٣١] فقال: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[١]، قال عطاء: يريد صيحة جبريل عليه السلام، ﴿ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١ ﴾[٢]، كيبس الشجر إذا تحطم والعرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما.

وقال قتادة: كالعظام النخرة المحترقة.

وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحائط.

[٣٢ - ٣٤] ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا ﴾[٣]، ربما ترميهم بالحصباء، وهي الحصا، قال الضحاك: يعني صغار الحصى.

وقيل: الحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكف، وقد يكون الحاصب الرامي، فيكون المعنى على هذا: أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم، يعني يرميهم بالحجارة، ثم استثنى فقال: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ ﴾[٤]، يعني لوطا وابنتيه، ﴿ نَّجَّيۡنَٰهُم ﴾[٥]، من العذاب، ﴿ بِسَحَرٖ ٣٤ ﴾[٦].

(١) سورة القمر آية: ٣١.
(٢) سورة القمر آية: ٣١.
(٣) سورة القمر الآيات من ٣٢ : ٣٤.
(٤) سورة القمر آية: ٣٤.
(٥) سورة القمر آية: ٣٤.
(٦) سورة القمر آية: ٣٤.

[٣٥] ﴿ نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ ﴾ [(١)] يعني جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجينـاهم، ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ [(٢)]، يعني كما أنعمنا على آل لوط، ﴿ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ ﴾ [(٣)]، قال مقاتل: من وحد الله لم يعذبه مع المشركين.

[٣٦] ﴿ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم ﴾ [(٤)]، لوط، ﴿ بَطۡشَتَنَا ﴾ [(٥)]، أخذنا إياهم بالعقوبة، ﴿ فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ ﴾ [(٦)]، شكوا بالإنذار وكذبوا ولم يصدقوا.

[٣٧] ﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ ﴾ [(٧)]، طلبوا أن يسلم إليهـم أضيـافه ﴿ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ ﴾ [(٨)]، وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا، قالت الرسل للوط: خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عميا يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب، فأخرجهم لوط عميا لا يبصرون.

قوله: (فَطَمَسۡنَا أَعۡيُنَهُمۡ) يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الضحاك: طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا، فلم يروهم فرجعوا.

---

(١) سورة القمر آية: ٣٥.
(٢) سورة القمر آية: ٣٥.
(٣) سورة القمر آية: ٣٥.
(٤) سورة القمر آية: ٣٦.
(٥) سورة القمر آية: ٣٦.
(٦) سورة القمر آية: ٣٦.
(٧) سورة القمر آية: ٣٧.
(٨) سورة القمر آية: ٣٧.

﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، أي ما أنذركم به لوط من العذاب.

[٣٨] ﴿ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً ﴾[2]، جاءهم وقت الصبـح، ﴿ عَذَابٌ مُّسۡتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ ﴾[3]، دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة، وقيل: عذاب حق.

[٣٩ - ٤١] ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ ﴾[4]، يعني موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: هي الآيات التي أنذرهم بها موسى.

[٤٢] ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا ﴾[5]، وهي الآيات التسع، ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُمۡ ﴾[6]، بالعذاب، ﴿ أَخۡذَ عَزِيزٖ ﴾[7]، غالب في انتقامه، ﴿ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[8]، قادر على إهلاكهم لا يعجزه ما أراد بهم، ثم خوف أهل مكة فقال:

قوله تعالى أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ...

[٤٣] ﴿ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ ﴾[9]، أشد وأقوى من الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقالا لوط وآل فرعون؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار، أي ليسوا

(١) سورة القمر آية: ٣٧.
(٢) سورة القمر آية: ٣٨.
(٣) سورة القمر آية: ٣٨.
(٤) سورة القمر الآيات من ٣٩ : ٤١.
(٥) سورة القمر آية: ٤٢.
(٦) سورة القمر آية: ٤٢.
(٧) سورة القمر آية: ٤٢.
(٨) سورة القمر آية: ٤٢.
(٩) سورة القمر آية: ٤٣.

بأقوى منهم، ﴿ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ ﴾[(١)]، من العذاب، ﴿ فِي ٱلزُّبُرِ ۝ ﴾[(٢)]، في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

[٤٤] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾[(٣)]، يعني كفار مكة، ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝ ﴾[(٤)]، قال الكلبي: نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا، والمعنى: نحن يد واحدة على من خالفنا، منتصر ممن عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي.

[٤٥] قال الله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ ﴾[(٥)]، يعني كفـار مكـة، ﴿ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ ﴾[(٦)]، يعني الأدبار فوحد لأجل رؤوس الآي، كما يقال: ضربنا منهم الرؤوس وضربنا منهم الرأس إذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع.

[٤٦] ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝ ﴾[(٧)]، قال سعيد بن المسيب: ﴿ سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: لما نزلت: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ ﴾[(٨)] كنت لا أدري أي جمع سيهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في درعـه ويقـول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝ ﴾[(٩)] ﴾[(١)] أي أعظم داهية وبلية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر.

---

(١) سورة القمر آية: ٤٣.

(٢) سورة القمر آية: ٤٣.

(٣) سورة القمر آية: ٤٤.

(٤) سورة القمر آية: ٤٤.

(٥) سورة القمر آية: ٤٥.

(٦) سورة القمر آية: ٤٥.

(٧) سورة القمر آية: ٤٦.

(٨) سورة القمر آية: ٤٥.

(٩) سورة القمر الآيتان : ٤٥ ، ٤٦.

[٤٧] ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[2]، المشركين، ﴿ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ ﴾[3]، قيل: في ضلال بعد عن الحق.

قال الضحاك: وسعر أي نار تسعر عليهم.

وقيل: في ضلال: ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة، وسعر: نار مسعرة، قال الحسين بن فضل: إن المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة.

وقال قتادة: في عناء وعذاب.

[٤٨] ثم بين عذابهم فقال: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ ﴾[4]، يجرون، ﴿ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾[5]، ويقال لهم ﴿ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ ﴾[6].

[٤٩] ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ ﴾[7]، أي ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ، قال الحسن: قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له.

[٥٠] ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠ ﴾[8]، قوله: واحدة ترجع إلى المعنى دون اللفظ، أي: وما أمرنا إلا مرة واحدة، وقيل: معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر.

وقال الكلبي عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢٥٩/٢ والطبري ١٠٨/٢٧ والإمام أحمد ٣٢٩/١.

(٢) سورة القمر آية: ٤٧.

(٣) سورة القمر آية: ٤٧.

(٤) سورة القمر آية: ٤٨.

(٥) سورة القمر آية: ٤٨.

(٦) سورة القمر آية: ٤٨.

(٧) سورة القمر آية: ٤٩.

(٨) سورة القمر آية: ٥٠.

[٥١] ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ ﴾[1]، أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة، ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝٥١ ﴾[2]، متعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر.

[٥٢] ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ ﴾[3]، يعني فعله الأشياع من خير وشر، ﴿ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ ﴾[4]، في كتاب الحفظة، وقيل: في اللوح المحفوظ.

[٥٣] ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ ﴾[5]، من الخلق وأعمالهم وآجالهم، ﴿ مُّسۡتَطَرٌ ۝٥٣ ﴾[6]، مكتوب، يقال: سطرت واستطرت وكتبت واكتتبت.

[٥٤] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ ﴾[7]، بساتين، ﴿ وَنَهَرٖ ۝٥٤ ﴾[8]، أي أنار، ووحده لأجل رؤوس الآي، وأراد أنار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل.

وقال الضحاك: يعني في ضياء وسعة، ومنه النهار.

وقرأ الأعرج: (ونر) بضمتين جمع النهار يعني لا دليل لهم.

[٥٥] ﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ ﴾[9]، في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، ﴿ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥ ﴾[10]، ملك قادر لا يعجزه شيء.

---

(١) سورة القمر آية: ٥١.
(٢) سورة القمر آية: ٥١.
(٣) سورة القمر آية: ٥٢.
(٤) سورة القمر آية: ٥٢.
(٥) سورة القمر آية: ٥٣.
(٦) سورة القمر آية: ٥٣.
(٧) سورة القمر آية: ٥٤.
(٨) سورة القمر آية: ٥٤.
(٩) سورة القمر آية: ٥٥.
(١٠) سورة القمر آية: ٥٥.

(55) سورة الرحمن

قوله تعالى الرحْمَنُ عَلمَ الْقرْآنَ خَلقَ الْإِنسَانَ عَلمَهُ الْبَيانَ...

[١] ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ ﴾ [1] نزلت حين قالوا: وما الرحمن؟ وقيل.

هو جواب لأهل مكة حين قالوا: إنما يعلمه بشر.

[٢] ﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ ﴾ [2]، قال الكلبي علم القرآن محمدا.

وقيل: علم القرآن يسره للذكر.

[٣] ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾ [3]، يعني آدم عليه السلام.

[٤] ﴿ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ [4]، أسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية.

وقال الآخرون: الإنسان اسم جنس، وأراد به جميع الناس، علمه البيان: النطق والكتابة والفهم والإفهام حتى عرف ما يقول وما يقال له، وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به.

وقال ابن كيسان: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾ [5] يعني محمدا ﷺ ﴿ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ [6] يعني بيان ما كان وما يكون؛ لأنه كان يبين عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين.

---

(١) سورة الرحمن آية: ١.

(٢) سورة الرحمن آية: ٢.

(٣) سورة الرحمن آية: ٣.

(٤) سورة الرحمن آية: ٤.

(٥) سورة الرحمن آية: ٣.

(٦) سورة الرحمن آية: ٤.

[٥] ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾ [(١)]، قال مجاهد: كحسبان الرحى يدوران في مثل قطب الرحا، قال غيره: معناه أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدونا، قاله ابن عباس وقتادة، وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني بما تحسب الأوقات والآجال، وقال الضحاك: يجريان بقدر.

[٦] ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾ [(٢)]، النجم ما ليس له ساق من النبات، والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء، وسجودهما سجود ظلهما كما قال: ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ ﴾ [(٣)] وقال مجاهد: النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه.

[٧] ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ [(٤)]، فوق الأرض، ﴿ وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ ﴾ [(٥)]، قال مجاهد: أراد بالميزان العدل، المعنى أنه أمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى:

[٨] ﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ ﴾ [(٦)]، أي لا تجاوزوا العدل.

وقال الحسن وقتادة والضحاك: أراد به الذي يوزن به ليوصل به الإنصاف والانتصاف، وأصل الوزن التقدير.

ألا تطغوا: يعني لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان.

[٩] ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ [(٧)]، بالعدل، وقال أبو الدرداء وعطاء: معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل.

---

(١) سورة الرحمن آية: ٥.
(٢) سورة الرحمن آية: ٦.
(٣) سورة النحل آية: ٤٨.
(٤) سورة الرحمن آية: ٧.
(٥) سورة الرحمن آية: ٧.
(٦) سورة الرحمن آية: ٨.
(٧) سورة الرحمن آية: ٩.

قال ابن عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب، ﴿ وَلَا تُخۡسِرُواْ ﴾[1]، ولا تنقصوا ﴿ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ ﴾[2]، ولا تطففوا في الكيل والوزن.

[١٠] ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ ﴾[3]، للخلق الذين بثهم فيها.

[١١] ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٞ ﴾[4]، يعني أنواع الفواكه، قال ابن كيسان: ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى، ﴿ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ ﴾[5]، الأوعية التي يكون فيها التمر، لأن تمر النخل يكون في غلاف ما لم ينشق، واحدها كم، وكل ما ستر شيئا فهو كم، وكمة، ومنه كم القميص، ويقال للقلنسوة كمة، قال الضحاك: ذات الأكمام أي ذات الغلف.

وقال الحسن: أكمامها ليفها.

وقال ابن زيد: هو الطلع قبل أن ينفتق.

[١٢] ﴿ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ ﴾[6]، أراد بالحب جميع الحبوب التي يقتات بها.

قال مجاهد: هو ورق الزرع.

والعصف ورق كل شيء يخرج منه الحب، وقال ابن عباس: هو التبن.

وعنه: هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه وييبس، نظيره: ﴿ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥ ﴾[7].

---

(١) سورة الرحمن آية: ٩.

(٢) سورة الرحمن آية: ٩.

(٣) سورة الرحمن آية: ١٠.

(٤) سورة الرحمن آية: ١١.

(٥) سورة الرحمن آية: ١١.

(٦) سورة الرحمن آية: ١٢.

(٧) سورة الفيل آية: ٥.

﴿ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴾ [1]، هو الرزق في قول الأكثرين، قال ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو رزق.

قال الحسن وابن زيد: هو ريحانكم الذي يشم، قال الضحاك: العصف هو التبن والريحان ثمرته.

[١٣] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [2]، أيها الثقلان يريد من هذه الأشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع، يعدد على الخلق آلاءه ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها، كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها: ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا؟ ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا؟ ألم تك خاملا فعززتك أفتنكر هذا؟ ومثل هذا التكرار سائغ في كلام العرب حسن تقريرا.

[١٤] ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴾ [3].

[١٥] ﴿ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ ﴾ [4]، وهو أبو الجن وقال الضحاك: هو إبليس، ﴿ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴾ [5]، وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه.

قال مجاهد: وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت، من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط.

---

(١) سورة الرحمن آية: ١٢.

(٢) سورة الرحمن آية: ١٣.

(٣) سورة الرحمن آية: ١٤.

(٤) سورة الرحمن آية: ١٥.

(٥) سورة الرحمن آية: ١٥.

قوله تعالى رَب الْمَشْرِقَيْنِ وَرَب الْمَغْرِبَيْنِ...

[١٦ - ١٧] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾[1]، مشرق الصيف ومشرق الشتاء.

﴿ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ﴾[2]، مغرب الصيف ومغرب الشتاء.

[١٨] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ ﴾[3].

[١٩] ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾[4]، العذب والمالح أرسلهما وخلاهما ﴿ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾[5].

[٢٠] ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾[6]، حاجز من قدرة الله تعالى، ﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾[7]، لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه.

وقال قتادة: لا يطغيان على الناس بالغرق.

[٢١] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ ﴾[8].

[٢٢] ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ﴾[9]، قرأ أهل المدينة والبصرة (يخرج) بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء، ﴿ ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]، وإنما يخرج من

---

(١) سورة الرحمن الآيتان : ١٦ ، ١٧.
(٢) سورة الرحمن آية: ١٧.
(٣) سورة الرحمن آية: ١٨.
(٤) سورة الرحمن آية: ١٩.
(٥) سورة الرحمن آية: ١٩.
(٦) سورة الرحمن آية: ٢٠.
(٧) سورة الرحمن آية: ٢٠.
(٨) سورة الرحمن آية: ٢١.
(٩) سورة الرحمن آية: ٢٢.

المالح دون العذب، وهذا جائز في كلام العرب أن يذكر شيئان ثم يخص أحدهما بفعل كما قال ﷻ ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [٢] وكان الرسل من الإنس دون الجن وقال بعضهم: يخرج من ماء السماء وماء البحر.

قال ابن جريج: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة، واللؤلؤة ما عظم من الدر، والمرجان صغارها.

[٢٣، ٢٤] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ﴾ [٣]، السفـن الكبـار، ﴿ ٱلْمُنشَـَٔاتُ ﴾ [٤]، وقرأ حمزة وأبو بكر: (المنشآت) بكسر الشين، أي المنشآت السير يعني اللاتي ابتدأن وأنشأن السير، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض.

وقيل: هي ما رفع قلعه من السفن، وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشآت.

وقيل: المخلوقات المسخرات، ﴿ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ۝٢٤ ﴾ [٥]، كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر.

[٢٥] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥ ﴾ [٦].

[٢٦] ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ [٧]، أي عـلى الأرض مـن حيـوان فـإنـه، ﴿ فَانٍ ۝٢٦ ﴾ [١]، هالك.

---

(١) سورة الرحمن آية: ٢٢.
(٢) سورة الأنعام آية: ١٣٠.
(٣) سورة الرحمن الآيتان : ٢٣ ، ٢٤.
(٤) سورة الرحمن آية: ٢٤.
(٥) سورة الرحمن آية: ٢٤.
(٦) سورة الرحمن آية: ٢٥.
(٧) سورة الرحمن آية: ٢٦.

[٢٧] ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢)، أي مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته.

[٢٨، ٢٩] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣)، من ملك وإنس وجن.

وقال قتادة: معناه لا يستغني عنه أهل السماء والأرض.

قال ابن عباس: فأهل السماوات يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق والتوبة والمغفرة.

وقال مقاتل: يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة، وتسأله الملائكة أيضا لهم الرزق والمغفرة.

﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٤)، قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئا.

قال المفسرون: من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق، ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا إلى ما لا يحصى من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء.

[٣٠، ٣١] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ (٥)، وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة، كقول القائل لأتفرغن لك، وما به شغل، وهذا قول ابن عباس والضحاك، وإنما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن.

---

(١) سورة الرحمن آية: ٢٦.

(٢) سورة الرحمن آية: ٢٧.

(٣) سورة الرحمن الآيتان : ٢٨ ، ٢٩.

(٤) سورة الرحمن آية: ٢٩.

(٥) سورة الرحمن الآيتان : ٣٠ ، ٣١.

وقال آخرون: معناه سنقصدكم بعد الترك والإمهال ونأخذ في أمركم، كقول القائل الذي لا شغل له: قد تفرغت لك.

وقال بعضهم: إن الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور، ثم قال: سنفرغ لكم مما وعدناكم، وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، فنتم ذلك ونفرغ منه، وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل.

﴿ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾[1]، أي الجن والإنس، سميا ثقلين لأنهما ثقلا على الأرض أحياء وأمواتا.

[٣٢، ٣٣] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ ﴾[2]، أي تجوزوا وتخرجوا، ﴿ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[3]، أي من جوانبهما وأطرافهما، ﴿ فَٱنفُذُواْۚ ﴾[4]، معناه إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السماوات والأرض فاهربوا واخرجوا منها.

والمعنى حيثما كنتم أدرككم الموت، كما قال جل ذكره: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾[5] وقيل: يقال لهما هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السماوات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا، ﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا

---

(١) سورة الرحمن آية: ٣١.

(٢) سورة الرحمن الآيتان : ٣٢، ٣٣.

(٣) سورة الرحمن آية: ٣٣.

(٤) سورة الرحمن آية: ٣٣.

(٥) سورة النساء آية: ٧٨.

بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]، أي: بملك، وقيل: بحجة، والسلطان: القوة التي يتسلط بها على الأمر، فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان، يريد حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني.

وروي عن ابن عباس قال: معناه: إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي ببينة من الله عز وجل.

[٣٤] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ﴾[2]

[٣٥] ﴿ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ ﴾[3]، وهو اللهيب الذي لا دخان فيه، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار، ﴿ وَنُحَاسٞ ﴾[4] قال سعيد بن جبير والكلبي: النحاس الدخان، وهو رواية عطاء عن ابن عباس، وقال مجاهد وقتادة: النحاس هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم، وهو رواية العوفي عن ابن عباس.

وقال عبد الله بن مسعود النحاس هو المهل.

﴿ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾[5]، أي فلا تمتنعان من عذاب الله ولا يكون لكم ناصر منه.

[٣٦، ٣٧] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ﴾[6]، انفرجت، ﴿ ٱلسَّمَآءُ ﴾[7]، فصارت أبوابا لـ ول الملائكة ﴿ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ ﴾[8]، أي كلون الفرس

(١) سورة الرحمن آية: ٣٣.
(٢) سورة الرحمن آية: ٣٤.
(٣) سورة الرحمن آية: ٣٥.
(٤) سورة الرحمن آية: ٣٥.
(٥) سورة الرحمن آية: ٣٥.
(٦) سورة الرحمن الآيتان : ٣٦ ، ٣٧.
(٧) سورة الرحمن آية: ٣٧.
(٨) سورة الرحمن آية: ٣٧.

الورد، وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة، ﴿ كَٱلدِّهَانِ ﴾[1]، جمع دهن، شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وهو قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع، وقال عطاء بن أبي رباح: كالدهان كعصير الزيت يتلون في الساعة ألوانا.

وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي.

وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم.

وقال الكلبي: كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه أدهنة ودهن.

[٣٨ - ٣٩] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾[2]، قال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم، لأن الله ﷻ علمها منهم، وكتبت الملائكة عليهم، وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

وعنه أيضا: لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم، دليله ما بعده، وهذا قول مجاهد.

وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[3]، قال: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا؟ وعن عكرمة أنه قال: إنها مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها.

وعن ابن عباس أيضا لا يسألون سؤال شفقة ورحمة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

وقال أبو العالية: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم.

---

(١) سورة الرحمن آية: ٣٧.

(٢) سورة الرحمن الآيتان : ٣٨ ، ٣٩.

(٣) سورة الحجر آية: ٩٢.

قوله تعالى يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ...

[٤٠ - ٤١] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ ﴾[١]، وهو سواد الوجوه وزرقة العيون، كما قال جل ذكره: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[٢] ، ﴿ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝ ﴾[٣]، تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار.

[٤٢] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ﴾[٤]

[٤٣] ثم يقال لهم ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ ﴾[٥] المشركون.

[٤٤] ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝ ﴾[٦]، قد انتهى حره.

قال الزجاج: أنى يأنى فهو آن إذا انتهى في النضج، والمعنى: أنهم يسعون بين الجحيم والحميم فإذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الحميم الآني الذي صار كالمهل، وهو قوله: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾[٧]، وقال كعب الأحبار: آن واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى بهم خلقا جديدا فيلقون في النار، وذلك قوله: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝ ﴾[٨].

---

(١) سورة الرحمن الآيتان : ٤٠ ، ٤١.
(٢) سورة آل عمران آية: ١٠٦.
(٣) سورة الرحمن آية: ٤١.
(٤) سورة الرحمن آية: ٤٢.
(٥) سورة الرحمن آية: ٤٣.
(٦) سورة الرحمن آية: ٤٤.
(٧) سورة الكهف آية: ٢٩.
(٨) سورة الرحمن آية: ٤٤.

[٤٥] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]، وكل ما ذكر الله تعالى من قوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[2] إلى ههنا مواعظ وزواجر وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنا تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية بقول ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾[3] ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه.

[٤٦] فقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾[4]، أي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة.

وقيل: قيام ربه عليه بيانه قوله: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[5]

وقال إبراهيم النخعي ومجاهد: هو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله.

وقوله: ﴿ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[6]، قال مقاتل: جنة عدن وجنة نعيم.

قال محمد بن علي الترمذي: جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته.

قال الضحاك: هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به إلى الله لا يحب أن يطلع عليه أحد.

وقال قتادة: إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار.

[٤٧] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ﴾[7]، ثم وصف الجنتين.

---

(١) سورة الرحمن آية: ٤٥.
(٢) سورة الرحمن آية: ٢٦.
(٣) سورة الرحمن آية: ٤٥.
(٤) سورة الرحمن آية: ٤٦.
(٥) سورة الرعد آية: ٣٣.
(٦) سورة الرحمن آية: ٤٦.
(٧) سورة الرحمن آية: ٤٧.

[٤٨] فقال: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨ ﴾[1]، أغصان واحدها فنن، وهو الغصن المستقيم طولا.

وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي، وقال عكرمة: ظل الأغصان على الحيطان.

قال الحسن: ذواتا ظلال.

قال ابن عباس: ألوان، وقال قتادة: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما.

[٤٩ - ٥٠] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠ ﴾[2]، قال ابن عباس: بالكرامة والزيادة على أهل الجنة.

قال الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل.

وقال عطاء: إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين.

[٥١ - ٥٢] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢ ﴾[3]، صنفان ونوعان، قيل: معناه إن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا.

قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو.

[٥٣ - ٥٤] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ ﴾[4]، جمع فراش، ﴿ بَطَآئِنُهَا ﴾[5]، جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة.

وقال الزجاج: وهي مما يلي الأرض.

---

(١) سورة الرحمن آية: ٤٨.

(٢) سورة الرحمن الآيتان : ٤٩ ، ٥٠.

(٣) سورة الرحمن الآيتان : ٥١ ، ٥٢.

(٤) سورة الرحمن الآيتان : ٥٣ ، ٥٤.

(٥) سورة الرحمن آية: ٥٤.

﴿ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [1]، وهو ما غلظ من الديباج.

قال ابن مسعود وأبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر؟ وقال ابن عباس: وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر.

﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤ ﴾ [2]، الجنى ما يجتنى من الثمار، يريد ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم.

قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا.

قال قتادة: لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك.

[55 - 56] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [3] غاضات الأعين،قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهـم ولا يـردن غيرهـم، ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ﴾ [4] لم يجامعهن ولم يفترعهن، وأصله من الدم، ومنه قيل للحائض طامث، كأنه قال لم يدمهن بالجماع، ﴿ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ ﴾ [5]، قال مقاتل: لأنهن خلقهن في الجنة.

فعلى قوله هؤلاء من حور الجنة.

وقال الشعبي: هن من نساء الدنيا لم يمسسن مند أنشئن، وهو قول الكلبي: يعني لما يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان.

---

(١) سورة الرحمن آية: ٥٤.

(٢) سورة الرحمن آية: ٥٤.

(٣) سورة الرحمن الآيتان : ٥٥ ، ٥٦.

(٤) سورة الرحمن آية: ٥٦.

(٥) سورة الرحمن آية: ٥٦.

[٥٧ - ٥٨] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾[1]، قال قتادة: صفاء الياقوت في بياض المرجان.

[٥٩ - ٦٠] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[2]، أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة.

وقال ابن عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة.

[٦١ - ٦٢] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾[3]، أي من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان.

قال ابن عباس: من دونهما في الدرج.

وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل.

وقال أبو موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين.

وقال ابن جريج: هن أربع جنان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين فيها فاكهة ونخل ورمان.

وقال الكسائي: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا ﴾[4] أي أمامهما وقبلهما، يدل عليه قول الضحاك: الجنتان الأوليان من ذهب وفضة والأخريان من يا قوت.

[٦٣ - ٦٤] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]، ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتما، لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، يقال: ادهام الزرعُ إذا علاه السواد ريا ادهيماما فهو مدهام.

---

(١) سورة الرحمن الآيتان : ٥٧ ، ٥٨.

(٢) سورة الرحمن الآيتان : ٥٩ ، ٦٠.

(٣) سورة الرحمن الآيتان : ٦١ ، ٦٢.

(٤) سورة الرحمن آية: ٦٢.

[٦٥ - ٦٦] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾[٢]، فوارتان بالماء لا تنقطعان، والنضخ فوران الماء من العين.

قوله تعالى فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمانٌ...

[٦٧ - ٦٨] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[٣]، قال بعضهم: ليس النخل والرمان من الفاكهة، والعامة على أنا من الفاكهة، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفصيل.

[٦٩ - ٧٠] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ ﴾[٤]، يعني في الجنات الأربع، ﴿ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[٥]، روى الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: «قلت لرسول الله ﷺ أخبرني عن قوله: ﴿ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[٦]، قال: "خيرات الأخلاق حسان الوجوه»[٧].

[٧١ - ٧٢] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ ﴾[٨]، محبوسات مستورات في الحجال، يقال: امرأة مقصورة وقصيرة إذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج.

وقال مجاهد: يعني قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا، ﴿ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾[١]، جمع خيمة.

---

(١) سورة الرحمن الآيتان : ٦٣ ، ٦٤.
(٢) سورة الرحمن الآيتان : ٦٥ ، ٦٦.
(٣) سورة الرحمن الآيتان : ٦٧ ، ٦٨.
(٤) سورة الرحمن الآيتان : ٦٩ ، ٧٠.
(٥) سورة الرحمن آية: ٧٠.
(٦) سورة الرحمن آية: ٧٠.
(٧) رواه الإمام الطبري في تفسيره، بإسناده مرفوعا إلى النبي ج ٩٢/٢٧.
(٨) سورة الرحمن الآيتان : ٧١ ، ٧٢.

[٧٣ - ٧٦] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾[٢]، قال سعيد بن جبير: الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة.

ويروى ذلك عن ابن عباس، واحدتا رفرفة، وقال: الرفارف جمع الجمع، وقيل: الرفرف البسط، وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي.

وروى العوفي عن ابن عباس: الرفيف فضول ا لالس والبسط، وقال الضحاك وقتادة: هي مجالس خضر فوق الفرش.

وقال ابن كيسان: هي المرافق.

وقال ابن عيينة: الزرابي.

وقال غيره: كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف.

﴿ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝ ﴾[٣]، هي الزرابي والطنافس الثخان، وهي جمع واحدتا عبقرية، وقال قتادة: العبقري عتاق الزرابي، وقال أبو العالية: هي الطنافس المخملة إلى الرقة.

وقال القتيبي: كل ثوب موشى عند العرب عبقري.

وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي.

قال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقري، ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه ﴿ فلم أر عبقريا يفري فريه ﴾[٤].[٥].

---

(١) سورة الرحمن آية: ٧٢.

(٢) سورة الرحمن الآيتان : ٧٣ ، ٧٦.

(٣) سورة الرحمن آية: ٧٦.

(٤) البخاري المناقب (٣٤٣٤)،مسلم فضائل الصحابة (٢٣٩٣)،الترمذي الرؤيا (٢٢٨٩)،أحمد (١٠٧/٢).

(٥) قطعة من حديث أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ٤١/٧، ومسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٣٩٣) ١٨٦٢/٤.

[٧٧، ٧٨] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾[1]، قرأ أهل الشام (ذو الجلال) بالواو وكذلك هو في مصاحفهم إجراء على الاسم.

(١) سورة الرحمن الآيتان: ٧٧، ٧٨.

(٥٦) سورة الواقعة

قوله تعالى إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ...

[١] ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ ﴾ (١)، إذا قامت القيامة.

وقيل: إذا نزلت صيحة القيامة، وهي النفخة الأخيرة.

[٢] ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا ﴾ (٢)، لبئها ﴿ كَاذِبَةٌ ۝ ﴾ (٣) كذب، كقوله: ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝ ﴾ (٤)، أي لغو، يعني أنا تقع صدقا وحقا.

والكاذبة اسم كالعافية والنازلة.

[٣] ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ ﴾ (٥)، تخفض أقواما إلى النار، وترفع آخرين إلى الجنة.

وقال عطاء عن ابن عباس: تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع أقواما كانوا في الدنيا مستضعفين.

[٤] ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝ ﴾ (٦)، حركت وزلزلت زلزلة، قال الكلبي: إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقا.

قال المفسرون: ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها.

وأصل الرج في اللغة التحريك، يقال: رججته فارتج.

---

(١) سورة الواقعة آية: ١.

(٢) سورة الواقعة آية: ٢.

(٣) سورة الواقعة آية: ٢.

(٤) سورة الغاشية آية: ١١.

(٥) سورة الواقعة آية: ٣.

(٦) سورة الواقعة آية: ٤.

[٥] ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ ﴾[١]، قال عطاء ومقاتل ومجاهد: فتتت فتا فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول.

قال سعيد بن المسيب والسدي: كسرت كسرا، وقال الكلبي: سيرت على وجه الأرض تسييرا.

قال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، نظيرها: ﴿ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ ﴾[٢]

قال ابن كيسان: جعلت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة.

[٦] ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾[٣] غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء.

[٧] ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[٤]، أصنافا، ﴿ ثَلَٰثَةً ۝٧ ﴾[٥].

[٨] ثم فسرها فقال: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾[٦]، هم الذين يؤخذ بم ذات اليمين إلى الجنة، وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه، وقال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي.

وقال الضحاك: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانم.

وقال الحسن والربيع: هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التابعون بإحسان، ثم عجب نبيه ﷺ فقال: ﴿ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ ﴾[١]، وهذا كما يقال: زيد ما زيد يراد زيد شديد.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٥.

(٢) سورة طه آية: ١٠٥.

(٣) سورة الواقعة آية: ٦.

(٤) سورة الواقعة آية: ٧.

(٥) سورة الواقعة آية: ٧.

(٦) سورة الواقعة آية: ٨.

[٩] ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ ﴾[٢]، يعني أصحاب الشمال، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى، ومنه يسمى الشام واليمين، لأن اليمن عن يمين الكعبة، والشام عن شمالها، وهم الذين يؤخذ بم ذات الشمال إلى النار.

وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله لهم: هؤلاء في النار ولا أبالي.

وقال الضحاك: هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم.

وقال الحسن: هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمارهم في المعاصي.

[١٠] ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ ﴾[٣]، قال ابن عباس: السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة.

وقال عكرمة: السابقون إلى الإسلام.

قال ابن سيرين: هم الذين صلوا إلى القبلتين، دليله قوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾[٤]، قال الربيع بن أنس: السابقون إلى إجابة الرسول ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى.

وقال مقاتل: إلى إجابة الأنبياء صلوات الله عليهم بالإيمان.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إلى الصلوات الخمس.

وقال الضحاك: إلى الجهاد.

وقام سعيد بن جبير: هم المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٨.

(٢) سورة الواقعة آية: ٩.

(٣) سورة الواقعة آية: ١٠.

(٤) سورة التوبة آية: ١٠٠.

قال الله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [1] ثم أثنى عليهـم فقـال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] قال ابن كيسان: والسابقون إلى كل ما دعا الله إليه.

وروي عن كعب: هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة.

وقيل: هم أولهم رواحا إلى المسجد وأولهم خروجا في سبيل الله.

وقال القرظي: إلى كل خير.

[١١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [3]، من الله.

[١٢، ١٣] ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [4]، أي من الأمم الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ والثلة: الجماعة غير محصورة العدد.

[١٤] ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [5]، يعني من هذه الأمة، قال الزجاج: الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وصدقوهم، أكثر ممن عاين النبي ﷺ.

[١٥] ﴿ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ ﴾ [6]، منسوجة كما توضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض.

قال المفسرون: هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر.

وقال الضحاك: موضونة مصفوفة.

[١٦] ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [1]، لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

---

(١) سورة الحديد آية: ٢١.

(٢) سورة المؤمنون آية: ٦١.

(٣) سورة الواقعة آية: ١١.

(٤) سورة الواقعة الآيتان : ١٢ ، ١٣.

(٥) سورة الواقعة آية: ١٤.

(٦) سورة الواقعة آية: ١٥.

قوله تعالى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ...﴾

[١٧] ﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (٢) للخــدمــة، ﴿ وِلۡدَٰنٌ ﴾ (٣) غــلمــان، ﴿ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ ﴾ (٤)، لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون.

وقال الفراء: تقول العرب لمن كبر ولمن شمط إنه مخلد.

قال ابن كيسان: يعني ولدانا لا يحولون من حالة إلى حالة.

قال سعيد بن جبير: مقرطون يقال خلد جاريته إذا حلاها بالخلد، وهو القرط.

قال الحسن: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها لأن الجنة لا ولادة فيها فهم خدم أهل الجنة.

[١٨] ﴿ بِأَكۡوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾ (٥)، فالأكواب جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا آذان لها ولا عرف، والأباريق وهي ذوات الخراطيم سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء.

﴿ وَكَأۡسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ ﴾ (٦)، خمر جارية.

[١٩] ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا ﴾ (٧)، لا تصدع رؤوسهم من شربها، ﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ ﴾ (٨)، أي لا يسكرون، هذا إذا قرئ بفتح الزاي ومن كسر فمعناه لا ينفد شرابهم.

---

(١) سورة الواقعة آية: ١٦.

(٢) سورة الواقعة آية: ١٧.

(٣) سورة الواقعة آية: ١٧.

(٤) سورة الواقعة آية: ١٧.

(٥) سورة الواقعة آية: ١٨.

(٦) سورة الواقعة آية: ١٨.

(٧) سورة الواقعة آية: ١٩.

(٨) سورة الواقعة آية: ١٩.

[٢٠] ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾[1]، يختارون ما يشتهون، يقال تخيرت الشيء إذا أخذت خيره.

[٢١] ﴿ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾[2]، قال ابن عباس: يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى، ويقال إنه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب.

[٢٢] ﴿ وَحُورٌ عِينٞ ﴾[3]، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: بكسر الراء والنون، أي وبحور عين، وقيل: معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين وقال الأخفش رفع على معنى لهم حور عين، وجاء في تفسيره في حور بيض ضخام العيون.

[٢٣] ﴿ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴾[4]، المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي.

[٢٤] ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[5]

[٢٥، ٢٦] ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلٗا ﴾[6]، أي قـولا: ﴿ سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾[7]، نصبهما اتباعا لقوله قيلا أي يسمعون قيلا سلاما سلاما.

قال عطاء: يحيي بعضهم بعضا بالسلام، ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال جل ذكره:

---

(١) سورة الواقعة آية: ٢٠.
(٢) سورة الواقعة آية: ٢١.
(٣) سورة الواقعة آية: ٢٢.
(٤) سورة الواقعة آية: ٢٣.
(٥) سورة الواقعة آية: ٢٤.
(٦) سورة الواقعة الآيتان : ٢٥ ، ٢٦.
(٧) سورة الواقعة آية: ٢٦.

[٢٧، ٢٨] ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ ﴾[١]، لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه، هذا قول ابن عباس وعكرمة.

وقال الحسن: لا يعقر الأيدي.

قال ابن كيسان: هو الذي لا أذى فيه.

قال الضحاك ومجاهد: هو الموقر حملا.

[٢٩] ﴿ وَطَلْحٍ ﴾[٢]، أي موز، واحدتا طلحة، عن أكثر المفسرين.

وقال الحسن: ليس هو بالموز ولكنه شجر لها ظل بارد طيب. قال الفراء وأبو عبيدة: الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك. وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال: قرأ رجل عند علي رضي الله عنه ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ ﴾[٣]، فقال.

وما شأن الطلح إنما هو طلح منضود ثم قرأ ﴿ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝١٤٨ ﴾[٤] قلت: يا أمير المؤمنين إنا في المصحف بالحاء أفلا تحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول، والمنضود المتراكم الذي قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليس هو سوق بارزة، قال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانا ثمر كله.

[٣٠] ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ ﴾[٥]، دائم لا تنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع ممدود.

[٣١] ﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ ﴾[٦]، مصبوب يجري دائما في غير أخدود لا ينقطع.

---

(١) سورة الواقعة الآيتان : ٢٧ ، ٢٨.

(٢) سورة الواقعة آية: ٢٩.

(٣) سورة الواقعة آية: ٢٩.

(٤) سورة الشعراء آية: ١٤٨.

(٥) سورة الواقعة آية: ٣٠.

(٦) سورة الواقعة آية: ٣١.

[٣٢، ٣٣] ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ ﴾[١]، قال ابن عباس: لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها وقال بعضهم: لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان، كما ينقطع أثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء، ولا يتوصل إليها إلا بالثمن.

وقال القتيبي: يعني لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا.

[٣٤] ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝ ﴾[٢]، قال علي رضي الله عنه ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝ ﴾[٣] على الأسرة.

وقال جماعة من المفسرين.

بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية.

وقيل: أراد بالفرش النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة، مرفوعة رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا دليل هذا التأويل قوله في عقبه:

[٣٥] ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ ﴾[٤]، خلقناهن خلقا جديدا، قال ابن عباس: يعني الآدميات العجز الشمط، يقول خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر.

[٣٦] ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ ﴾[٥]، وقال المسيب ابن شريك: هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلما آتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا.

وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا.

---

(١) سورة الواقعة الآيتان : ٣٢ ، ٣٣.
(٢) سورة الواقعة آية: ٣٤.
(٣) سورة الواقعة آية: ٣٤.
(٤) سورة الواقعة آية: ٣٥.
(٥) سورة الواقعة آية: ٣٦.

وقال مقاتل وغيره: هن الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع.

[٣٧] ﴿ عُرُبًا ﴾ [١] جمع عروب أي عواشق محببات إلى أزواجهن.

وقال أسامة بن زيد عن أبيه: عربا حسنات الكلام.

﴿ أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [٢]، مستويات في السن على سن واحد.

[٣٨] قوله ﷻ ﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٣]، يريد أنشأهن لأصحاب اليمين.

[٣٩] ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [٤]، من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الأمة.

[٤٠] ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [٥]، من مؤمني هذه الأمة، وذهب جماعة إلى أن الثلتين جميعا من هذه الأمة.

[٤١ - ٤٢] قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ ﴾ [٦]، ريح حارة، ﴿ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٧]، ماء حار.

[٤٣] ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٨]، دخان شديد السواد، تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السواد، وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٣٧.

(٢) سورة الواقعة آية: ٣٧.

(٣) سورة الواقعة آية: ٣٨.

(٤) سورة الواقعة آية: ٣٩.

(٥) سورة الواقعة آية: ٤٠.

(٦) سورة الواقعة الآيتان : ٤١ ، ٤٢.

(٧) سورة الواقعة آية: ٤٢.

(٨) سورة الواقعة آية: ٤٣.

وقال ابن كيسان: اليحموم اسم من أسماء النار.

[٤٤] ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]، قال قتادة: لا بارد المدخل ولا كريم المنظر.

وقال سعيد بن المسيب: ولا كريم: ولا حسن، نظيره ﴿ مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾[2].

وقال مقاتل: طيب.

[٤٥] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾[3]، يعني في الدنيا، ﴿ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[4]، منعمين.

[٤٦] ﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ ﴾[5]، يقيمون ﴿ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾[6]، على الذنب الكبير وهو الشرك.

وقال الشعبي: ﴿ ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾[7] اليمين الغموس.

ومعنى هذا: أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك.

[٤٧] ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[8]، قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي ويعقوب (أئذا) مستفهما، (إنا) بتركه، وقرأ الآخرون بالاستفهام فيهما.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٤٤.

(٢) سورة الشعراء آية: ٧.

(٣) سورة الواقعة آية: ٤٥.

(٤) سورة الواقعة آية: ٤٥.

(٥) سورة الواقعة آية: ٤٦.

(٦) سورة الواقعة آية: ٤٦.

(٧) سورة الواقعة آية: ٤٦.

(٨) سورة الواقعة آية: ٤٧.

قوله تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم...

[٤٨ - ٥٥] ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ (١)

و (الهيم) الإبل العطاش، قال عكرمة وقتادة: الهيام داء يصيب الإبل لا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تلك.

يقال: جمل أهيم، وناقة هيماء، والإبل هيم.

وقال الضحاك وابن عيينة: (الهيم) الأرض السهلة ذات الرمل.

[٥٦] ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ ﴾ (٢)، يعني ما ذكر من الزقوم والحميم، أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم، ﴿ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣)، يوم يجازون بأعمالهم، ثم احتج عليهم في البعث:

[٥٧] فقال تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ (٤)، قال مقاتل: خلقناكم ولم تكونوا شيئا وأنتم تعلمون ذلك، ﴿ فَلَوْلَا ﴾ (٥)، فهلا ﴿ تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٦)، بالبعث.

[٥٨] ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٧)، تصبون في الأرحام من النطف.

---

(١) سورة الواقعة الآيات من ٤٨ : ٥٥.
(٢) سورة الواقعة آية: ٥٦.
(٣) سورة الواقعة آية: ٥٦.
(٤) سورة الواقعة آية: ٥٧.
(٥) سورة الواقعة آية: ٥٧.
(٦) سورة الواقعة آية: ٥٧.
(٧) سورة الواقعة آية: ٥٨.

[٥٩، ٦٠] ﴿ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ ﴾ [1]، يعني أأنتم تخلقون ما تمنون بشرا، ﴿ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ [2]، قال مقاتل: فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا.

وقال الضحاك: تقديره إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء، فعلى هذا يكون معنى (قدرنا): قضينا.

﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٦٠ ﴾ [3]، بمغلومين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم فذلك قوله ﷻ

[٦١] ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ ﴾ [4]، يعني نأتي بخـلق مثلـكم بدلا منكـم، ﴿ وَنُنشِئَكُمۡ ﴾ [5]، نخلقكم ﴿ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦١ ﴾ [6] الصور، قال مجاهد: في أي خلق شئنا.

وقال الحسن: أي نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، يعني: إن أردنا أن نفعل ذلك ما فاتنا ذلك.

وقال سعيد بن المسيب: فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنا الخطاطيف.

وبرهوت: واد باليمن.

[٦٢] ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ [1]، الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئا.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٥٩.

(٢) سورة الواقعة الآيتان : ٥٩، ٦٠.

(٣) سورة الواقعة آية: ٦٠.

(٤) سورة الواقعة آية: ٦١.

(٥) سورة الواقعة آية: ٦١.

(٦) سورة الواقعة آية: ٦١.

﴿ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ ﴾ [2]، أني قادر على إعادتكم كما قدرت على إبدائكم.

[٦٣] ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ﴾ [3]، يعني: تثيرون من الأرض وتلقون فيها من البذر.

[٦٤] ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ ﴾ [4]، تنبتونه، ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ ﴾ [5]، المنبتون.

[٦٥] ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾ [6]، قال عطاء: نبتا لا قمح فيه، وقيل: هشيما لا ينتفع به في مطعم وغذاء، ﴿ فَظَلْتُمْ ﴾ [7]، وأصله فظللتم، حذفت إحدى اللامين تخفيفا.

﴿ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ ﴾ [8]، تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل.

وقيل: تندمون على نفقاتكم، وهو قول يـمان، نظيره: ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ [9] [الكهف: ٤٢] وقال الحسن: تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة.

وقال عكرمة: تتلاومون.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٦٢.
(٢) سورة الواقعة آية: ٦٢.
(٣) سورة الواقعة آية: ٦٣.
(٤) سورة الواقعة آية: ٦٤.
(٥) سورة الواقعة آية: ٦٤.
(٦) سورة الواقعة آية: ٦٥.
(٧) سورة الواقعة آية: ٦٥.
(٨) سورة الواقعة آية: ٦٥.
(٩) سورة الكهف آية: ٤٢.

وقال ابن كيسان: تحزنون.

قال الكسائي: هو تلهف على ما فات وهو من الأضداد، تقول العرب: تفكهت أي: تنعمت، وتفكهت أي: حزنت.

[٦٦] ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾[1]، قرأ أبو بكر عن عاصم (أئنا) بهمزتين وقرأ الآخرون على الضم، ومجاز الآية فظلتم تفكهون وتقولون إنا لمغرمون.

وقال مجاهد وعكرمة: لموقع[2]. بنا.

وقال ابن عباس وقتادة: معذبون، والغرام: العذاب.

وقال الضحاك وابن كيسان: غرمنا أموالنا وصار ما أنفقنا غرما علينا، والمغرم: الذي ذهب ماله بغير عوض وهو قوله:

[٦٧] ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾[3]، محدودون ممنوعون، أي حرمنا ما كنا نطلبه من الريع في الزرع.

[٦٨ - ٧٠] ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ ﴾[4]، السحاب، واحدتا مزنة، ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾[5] ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا ﴾[6]، قال ابن عباس: شديد الملوحة، قال الحسن: مرا. ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[7].

(١) سورة الواقعة آية: ٦٦.

(٢) في نسخة: (لمولع بنا).

(٣) سورة الواقعة آية: ٦٧.

(٤) سورة الواقعة الآيتان : ٦٨ ، ٦٩.

(٥) سورة الواقعة آية: ٦٩.

(٦) سورة الواقعة آية: ٧٠.

(٧) سورة الواقعة آية: ٧٠.

[٧١] ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[1]، تقدحون وتستخرجون من زندكم.

[٧٢،٧٣] ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ ﴾[2]، التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار، ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا ﴾[3] خلقناها يعني نـار الدنيـا، ﴿ تَذْكِرَةً ﴾[4]، للنار الكبرى إذا رآها الرائي ذكر جهنم، قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل.

وقال عطـاء: موعظة يتعظ بها المؤمن، ﴿ وَمَتَـٰعًا ﴾[5]، بلغـة ومنـفعة، ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[6]، المسافرين.

والمقوي: النازل في الأرض، وَالْقِي وَالْقَو هو: القفر الخالية البعيدة من العمران، يقال أقوت الدار إذا خلت من سكانها، والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار، فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع ويهتدي بها الضلال وغير ذلك من المنافع، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد وعكرمة: ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[7] يعني: للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد، وينتفعون بها في الطبخ والخبز.

قال الحسن: بلغة للمسافرين يتبلغون بها إلى أسفارهم، وقال ابن زيد: للجائعين تقول العرب أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئا.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٧١.

(٢) سورة الواقعة آية: ٧٢.

(٣) سورة الواقعة الآيتان : ٧٢ ، ٧٣.

(٤) سورة الواقعة آية: ٧٣.

(٥) سورة الواقعة آية: ٧٣.

(٦) سورة الواقعة آية: ٧٣.

(٧) سورة الواقعة آية: ٧٣.

قال قطرب: (المقوي) من الأضداد يقال للفقير: مُقْوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مُقْوٍ لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حالة القوة، والمعنى أن فيها متاعا للأغنياء والفقراء جميعا لا غنى لأحد عنها.

[٧٤] ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤ ﴾[١].

[٧٥] قوله ﷻ ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ ﴾[٢]، قال أكثر المفسرين: معناه أقسم و (لا) صلة، وكان عيسى بن عمر يقرأ: (فلأقسم) على التحقيق.

وقيل: قوله (لا) رد لما قاله الكفار في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، معناه ليس الأمر كما يقولون ثم استأنف القسم، فقال (أقسم بمواقع النجوم).

قرأ حمزة والكسائي: (بموقع) على التوحيد، وقرأ الآخرون (بمواقع) على الجمع.

قال ابن عباس: أراد نجوم القرآن فإنه كان نزل على رسول الله ﷺ متفرقا نجوما.

وقال جماعة من المفسرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها.

وقال عطاء بن أبي رباح: أراد منازلها.

وقال الحسن: أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة.

قوله تعالى إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ...

[٧٦ - ٧٧] ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ ﴾[٣]، يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم، ﴿ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ ﴾[٤]، عزيز مكرم لأنه كلام الله.

قال بعض أهل المعاني: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٧٤.

(٢) سورة الواقعة آية: ٧٥.

(٣) سورة الواقعة الآيتان : ٧٦ ، ٧٧.

(٤) سورة الواقعة آية: ٧٧.

[٧٨] ﴿ فِي كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾[(١)]، مصون عند الله في اللوح المحفوظ من الشياطين.

[٧٩] ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ ﴾[(٢)]، أي ذلك الكتاب المكنون، ﴿ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[(٣)]، وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة، وروى حسان عن الكلبي قال: هم السفرة الكرام البررة.

وروى محمد بن الفضل عنه: لا يقرؤه إلا الموحدون.

قال عكرمة: وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن.

قال الفراء: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به.

وقال قوم: معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات.

وظاهر الآية نفي ومعناها نهي، قالوا: لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه، وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي.

وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلاف، والأول قول أكثر الفقهاء.

[٨٠] ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[(٤)]، أي القرآن م ل من عند رب العالمين، سمي الم ل ت يلا على اتساع اللغة؟ كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق.

[٨١] ﴿ أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾[(١)]، يعني القرآن، ﴿ أَنتُم ﴾[(٢)]، يا أهـل مكـة، ﴿ مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[(٣)]، قال ابن عباس: مكذبون.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٧٨.

(٢) سورة الواقعة آية: ٧٩.

(٣) سورة الواقعة آية: ٧٩.

(٤) سورة الواقعة آية: ٨٠.

وقال مقاتل بن حيان: كافرون، نظيره: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٤]، والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق، وهو من الإدهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر، هذا أصله ثم قيل للمكذب مدهن وإن صرح بالتكذيب والكفر.

[٨٢] ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ ﴾[٥]، حظكم ونصيبكم من القـرآن، ﴿ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[٦]، قال الحسن في هذه الآية: خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به.

وقال جماعة من المفسرين: معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون.

وقال الهيثم بن عدي: إن من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان بمعنى ما شكر وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنم كانوا يقولون إذا مطروا: مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى، فقيل لهم: أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتم يعني شكر رزقكم التكذيب، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

[٨٣] قوله ﷻ ﴿ فَلَوۡلَآ ﴾[٧]، فهلا، ﴿ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٨]، أي بلغت النفس الحلقوم عند الموت.

[٨٤] ﴿ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[١]، يريد وأنتم يا أهل الميت تنظرون إليه متى تخرج نفسه.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٨١.
(٢) سورة الواقعة آية: ٨١.
(٣) سورة الواقعة آية: ٨١.
(٤) سورة القلم آية: ٩.
(٥) سورة الواقعة آية: ٨٢.
(٦) سورة الواقعة آية: ٨٢.
(٧) سورة الواقعة آية: ٨٣.
(٨) سورة الواقعة آية: ٨٣.

وقيل: معنى قوله: (تنظرون) أي إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا.

[٨٥] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾[٢]، بالعلم والقدرة والرؤية. وقيل: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[٣]، الذين حضروه.

[٨٦] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾[٤]، فهلا ﴿ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[٥]، مملوكين، وقال أكثرهم: محاسبين ومجزيين.

[٨٧] ﴿ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٦]، أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعدما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٧] وعن قوله ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[٨] بجواب واحـد، ومثالـه قولـه ﷻ ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾[٩] أجيبا بجواب واحد، معناه: إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غـيركم وهو الله ﷻ فآمنوا به، ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتم فقال:

---

(١) سورة الواقعة آية: ٨٤.
(٢) سورة الواقعة آية: ٨٥.
(٣) سورة الواقعة آية: ٨٥.
(٤) سورة الواقعة آية: ٨٦.
(٥) سورة الواقعة آية: ٨٦.
(٦) سورة الواقعة آية: ٨٧.
(٧) سورة الواقعة آية: ٨٣.
(٨) سورة الواقعة آية: ٨٦.
(٩) سورة البقرة آية: ٣٨.

[٨٨] ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ ﴾[١]، وهم السابقون.

[٨٩] ﴿ فَرَوۡحٌ ﴾[٢]، قرأ يعقوب (فروح) بضم الراء والباقون بفتحها فمن قرأ بالضم، قال الحسن معناه: تخرج روحه في الريحان، وقال قتادة: الروح: الرحمة أي له الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم، ومن قرأ بالفتح معناه: فله روح وهو الراحة، وهو قول مجاهد.

وقال سعيد بن جبير: فرح.

وقال الضحاك: مغفرة ورحمة.

﴿ وَرَيۡحَانٌ ﴾[٣]، استراحة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: رزق.

وقال مقاتل: هو الرزق بلسان حمير، يقال خرجت أطلب ريحان الله أي رزق الله.

وقال آخرون: هو الريحان الذي يشم قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه.

﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ٨٩ ﴾[٤]، قال أبو بكر الوراق: الروح النجاة من النار، والريحان دخول دار القرار.

[٩١،٩٠] ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ ﴾[٥] المتوفى، ﴿ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ ﴾[٦] أي سلامة لك يا محمد منهم فلا تتم لهم فإنهم سلموا من عذاب الله، أو أنك ترى فيهم من تحب من السلامة.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٨٨.
(٢) سورة الواقعة آية: ٨٩.
(٣) سورة الواقعة آية: ٨٩.
(٤) سورة الواقعة آية: ٨٩.
(٥) سورة الواقعة آية: ٩٠.
(٦) سورة الواقعة الآيتان : ٩٠ ، ٩١.

قال مقاتل: هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم.

وقال الفراء وغيره: فسلام لك إنهم من أصحاب اليمين، أو يقال لصاحب اليمين: سلام لك إنك من أصحاب اليمين، فألقيت إن كان الرجل يقول إني مسافر عن قليل، فتقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل، وقيل: فسلام لك أي عليك من أصحاب اليمين.

[٩٢] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[١]، بالبعث، ﴿ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾[٢]، عن الهدى وهم أصحاب المشأمة.

[٩٣] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾[٣]، فالذي يعد لهم حميم جهنم.

[٩٤] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾[٤]، وإدخال نار عظيمة.

[٩٥] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾[٥]، يعني ما ذكر من قصـة المحتضـرين، ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾[٦]، أي الحق اليقين أضافه إلى نفسه.

[٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[٧]، قيل: فصل بذكر ربك وأمره، وقيل: الباء زائدة أي فسبح اسم ربك العظيم.

---

(١) سورة الواقعة آية: ٩٢.

(٢) سورة الواقعة آية: ٩٢.

(٣) سورة الواقعة آية: ٩٣.

(٤) سورة الواقعة آية: ٩٤.

(٥) سورة الواقعة آية: ٩٥.

(٦) سورة الواقعة آية: ٩٥.

(٧) سورة الواقعة آية: ٩٦.

(٥٧) سورة الحديد

قوله تعالى سَبحَ لِلهِ مَا فِي السمَاوَاتِ وَالْأَرض وَهُوَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ...

[١- ٣] ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ ﴾ [(١)]، يعني هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن شيء موجودا، والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء، تفنى الأشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء، والباطن العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس.

وقال يمان: هو الأول القديم والآخر الرحيم، والظاهر الحليم، والباطن العليم.

وقال السدي: هو الأول ببره إذ عرفك توحيده، والآخر بجوده إذ عرفك التوبة على ما جنيت، والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له، والباطن بستره إذا عصيته فستر عليك.

وقال الجنيد: هو الأول بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن بعلم الغيوب.

وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعبا عن هذه الآية فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن. ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [(٢)]

[٤] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [(٣)]، بالعلم، ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ ﴾ [(٤)]

---

(١) سورة الحديد الآيات من ١ : ٣.

(٢) سورة الحديد آية: ٣.

(٣) سورة الحديد آية: ٤.

(٤) سورة الحديد آية: ٤.

[5] ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾ (1)

[6، 7] ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (2)، يخاطب كفار مكة، ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ ﴾ (3)، مملكين فيه يعني المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشا فكانوا في ذلك المال خلفاء ممن مضوا، ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ (4)

[8] ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ ﴾ (5) قرأ أبو عمرو (أخذ) بضم الهمزة وكسر الخاء (ميثاقكم) برفع القاف على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف، أي: أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه، قاله مجاهد.

وقيل: أخذ ميثاقكم بإقامة الحجج والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول ﷺ ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (6) يوما فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والإعلام ببعثة محمد ﷺ ونزول القرآن.

(1) سورة الحديد آية: 5.
(2) سورة الحديد الآيتان : 6 ، 7.
(3) سورة الحديد آية: 7.
(4) سورة الحديد آية: 7.
(5) سورة الحديد آية: 8.
(6) سورة الحديد آية: 8.

[٩] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ﴾[١]، محمد ﷺ ﴿ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾[٢]، يعني بالقرآن، ﴿ لِّيُخْرِجَكُم ﴾[٣]، الله بالقرآن، ﴿ مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾[٤]، وقيل: ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾[٥]

[١٠] ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[٦]، يقول: أي شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم، ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله وبالجهاد فقـال: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ﴾[٧]، يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين، وقال الشعبي: هو صلح الحديبية، ﴿ وَقَٰتَلَ ۚ ﴾[٨]: لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[٩]، أي كلا الفريقين وعدهم الله الجنة.

قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها.

---

(١) سورة الحديد آية: ٩.
(٢) سورة الحديد آية: ٩.
(٣) سورة الحديد آية: ٩.
(٤) سورة الحديد آية: ٩.
(٥) سورة الحديد آية: ٩.
(٦) سورة الحديد آية: ١٠.
(٧) سورة الحديد آية: ١٠.
(٨) سورة الحديد آية: ١٠.
(٩) سورة الحديد آية: ١٠.

وقرأ ابن عامر (وكل) بالرفع، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ﴾ [1]

قوله تعالى يَوْمَ تَرى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...

[١١ - ١٢] ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم ﴾ [2]، يعني على الصراط، ﴿ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم ﴾ [3]، يعني عن أيمانهم.

قال بعضهم: أراد جميع جوانبهم فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتي نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتي نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورا من نوره أعلى إبهامه فيطفأ مرة وَيَقِدُ مرة.

وقال الضحاك ومقاتل: يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم يريد أن كتبهم التي أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم، وتقول لهم الملائكة. ﴿ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾ [4]

[١٣] ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا ﴾ [5]، قرأ الأعمش وحمزة: (أنظرونا) بفتح الهمزة وكسر الظاء يعني أمهلونا.

وقيل: انتظرونا.

---

(١) سورة الحديد آية: ١٠.

(٢) سورة الحديد الآيتان : ١١ ، ١٢.

(٣) سورة الحديد آية: ١٢.

(٤) سورة الحديد آية: ١٢.

(٥) سورة الحديد آية: ١٣.

وقرأ الآخرون بحذف الألف في الوصل وضمها في الابتداء وضم الظاء، تقول العرب: انظرني وأنظرني يعني انتظرني.

﴿ نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ [1] نستضيء من نوركم، وذلك أن الله تعالى يعطي المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم، وهو قوله ﷻ (وهو خادعهم)، بينما هم يمشون إذا بعث الله عليهم ريحا وظلمة فأطفأت نور المنافقين، فذلك قوله: ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا ﴾ [2] مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين.

وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم، ﴿ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ ﴾ [3]، قال ابن عباس: يقول لهم المؤمنون، وقال قتادة: تقول لهم الملائكة: ارجعوا وراءكم من حيث جئتم، ﴿ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا ﴾ [4]، فاطلبوا هناك لأنفسكم نورا فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين، وهو قوله: ﴿ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ ﴾ [5]، أي سور، والباء صلة يعني بين المؤمنين والمنافقين، وهو حائط بين الجنة والنار، له أي لذلك

---

(١) سورة الحديد آية: ١٣.

(٢) سورة التحريم آية: ٨.

(٣) سورة الحديد آية: ١٣.

(٤) سورة الحديد آية: ١٣.

(٥) سورة الحديد آية: ١٣.

السور، ﴿ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ ﴾[1]، أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة ﴿ وَظَٰهِرُهُۥ ﴾[2]، أي خارج ذلك السور، ﴿ مِن قِبَلِهِ ﴾[3]، أي من قبل ذلك الظاهر، ﴿ ٱلۡعَذَابُ ١٣ ﴾[4] وهو النار.

[١٤] ﴿ يُنَادُونَهُمۡ ﴾[5] يعني: ينادون المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجب بينهم بالسور وبقوا في الظلمة: ﴿ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ ﴾[6]، في الدنيا نصلي ونصوم: ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾[7]، أهلكتموها بالنفاق والكفر، واستعملتموها في المعاصي والشهوات، وكلها فتنة، ﴿ وَتَرَبَّصۡتُمۡ ﴾[8]، بالإيمان والتوبة.

وقال مقاتل: وتربصتم بمحمد ﷺ وقلتم يوشـك أن يمـوت فنستريـح منـه، ﴿ وَٱرۡتَبۡتُمۡ ﴾[9]، شككتم في نبوته وفيما أوعدكم به، ﴿ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ ﴾[10]، الأباطيل وما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين، ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾[11]، يعني

(١) سورة الحديد آية: ١٣.
(٢) سورة الحديد آية: ١٣.
(٣) سورة الحديد آية: ١٣.
(٤) سورة الحديد آية: ١٣.
(٥) سورة الحديد آية: ١٤.
(٦) سورة الحديد آية: ١٤.
(٧) سورة الحديد آية: ١٤.
(٨) سورة الحديد آية: ١٤.
(٩) سورة الحديد آية: ١٤.
(١٠) سورة الحديد آية: ١٤.
(١١) سورة الحديد آية: ١٤.

الموت، ﴿ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[1]، يعني الشيطان، قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار.

[١٥] ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ ﴾[2] بدل وعوض بأن تفدوا أنفسكم من العذاب، ﴿ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾[3]، يعني المشركين، ﴿ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[4] صاحبكم وأولى بكم لما أسلفتم من الذنـوب ﴿ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[5].

[١٦] قوله ﷻ ﴿ ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾[6]، قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾[7] فأخبرهم أن القرآن أحسن قصصا من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾[8] فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية.

---

(١) سورة الحديد آية: ١٤.
(٢) سورة الحديد آية: ١٥.
(٣) سورة الحديد آية: ١٥.
(٤) سورة الحديد آية: ١٥.
(٥) سورة الحديد آية: ١٥.
(٦) سورة الحديد آية: ١٦.
(٧) سورة يوسف آية: ٣.
(٨) سورة الزمر آية: ٢٣.

فعلى هذا تأويل قوله: ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾[1]، يعني في العلانية وباللسان.

وقال الآخرون: نزلت في المؤمنين.

قال عبد الله بن مسعود: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾[2] إلا أربع سنين".

وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشر من نزول القرآن، فقال: ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ ﴾[3] ألم يحن للذين آمنوا أن تخشع ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله، ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[4]، وهو القرآن، ﴿ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ ﴾[5]، وهم اليهود والنصارى، ﴿ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ ﴾[6]، الزمان بينهم وبين أنبيائهم، ﴿ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ ﴾[7]، قال ابن عباس: مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله، والمعنى أن الله ﷻ ينهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر.

﴿ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ﴾[8]، يعني الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الحديد آية: ١٦.

(٢) سورة الحديد آية: ١٦.

(٣) سورة الحديد آية: ١٦.

(٤) سورة الحديد آية: ١٦.

(٥) سورة الحديد آية: ١٦.

(٦) سورة الحديد آية: ١٦.

(٧) سورة الحديد آية: ١٦.

(٨) سورة الحديد آية: ١٦.

[١٧ - ١٨] وقوله ﷻ ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٧ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ ﴾ (١)، قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم: بتخفيف الصاد فيهما من التصديق أي المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدهما، أي المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في الصاد، ﴿ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾ (٢)، بالصدقة والنفقة في سبيل الله ﷻ ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمۡ ﴾ (٣)، ذلك القرض ﴿ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ۝١٨ ﴾ (٤)، ثواب حسن وهو الجنة.

قوله تعالى وَالذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصديقُونَ وَالشهَدَاءُ عِنْدَ رَبهِمْ...

[١٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ ﴾ (٥)، والصديق الكثير الصدق، قال مجاهد: كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الآية.

قال الضحاك: هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته.

﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (٦)، اختلفوا في نظم هذه الآية منهم من قال: هي متصلة بما قبلها والواو واو النسق، وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين.

وقال الضحاك: هم الذين سميناهم.

(١) سورة الحديد الآيتان : ١٧ ، ١٨.

(٢) سورة الحديد آية: ١٨.

(٣) سورة الحديد آية: ١٨.

(٤) سورة الحديد آية: ١٨.

(٥) سورة الحديد آية: ١٩.

(٦) سورة الحديد آية: ١٩.

وقال مجاهد: كل مؤمن صديق شهيد، وتلا هذه الآية، وقال قوم: تم الكلام عند قوله: ﴿ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ [1] ثم ابتدأ فقال: والشهداء عند ربهم، والواو واو الاستئناف، وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة، ثـم اختلفوا فيهم فقال قوم: هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مقاتل بن حيان.

وقال مقاتل بن سليمان: هم الذين استشهدوا في سبيل الله، ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ [2]، بما عملوا من العمل الصالح، ﴿ وَنُورُهُمْ ﴾ [3]، على الصراط ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ [4].

[٢٠] قوله ﷻ ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [5]، أي الحياة الدنيا، (ما) صلة أي إن الحياة في هذه الدار، ﴿ لَعِبٌ ﴾ [6]، باطل لا حاصل له، ﴿ وَلَهْوٌ ﴾ [7]، فرح ثم ينقضي، ﴿ وَزِينَةٌ ﴾ [8]، منظر تتزينون به ﴿ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ ﴾ [9]، يفخر به بعضكم على بعض، ﴿ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ [10]، أي مباهاة بكثرة الأموال

(١) سورة الحديد آية: ١٩.
(٢) سورة الحديد آية: ١٩.
(٣) سورة الحديد آية: ١٩.
(٤) سورة الحديد آية: ١٩.
(٥) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٦) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٧) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٨) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٩) سورة الحديد آية: ٢٠.
(١٠) سورة الحديد آية: ٢٠.

والأولاد، ثم ضرب لها مثلا فقال ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ ﴾[1]، أي الزراع، ﴿ نَبَاتُهُۥ ﴾[2]، ما نبت من ذلك الغيث، ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾[3] ييبس، ﴿ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ﴾[4]، بعد خضرته ونضرته، ﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾[5]، يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى، ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[6] قال مقاتل: لأعداء الله، ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ﴾[7] لأوليائه وأهل طاعته، ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ٣٠ ﴾[8]، قال سعيد بن جبير: متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

[٢١] ﴿ سَابِقُوٓاْ ﴾[9]، سارعوا، ﴿ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[10]، لو وصل بعضها ببعض، ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢١ ﴾[11] فبين أن أحدا لا يدخل الجنة إلا بفضل الله.

---

(١) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٢) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٣) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٤) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٥) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٦) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٧) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٨) سورة الحديد آية: ٢٠.
(٩) سورة الحديد آية: ٢١.
(١٠) سورة الحديد آية: ٢١.
(١١) سورة الحديد آية: ٢١.

[٢٢] قوله ﷻ ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[(١)]، يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار، ﴿ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾[(٢)]، يعني الأمراض وفقد الأولاد، ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ ﴾[(٣)]، يعني اللوح المحفوظ، ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ ﴾[(٤)]، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس.

قال ابن عباس: من قبل أن نبرأ المصيبة.

وقال أبو العالية: يعني النسمة، ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ ﴾[(٥)]، أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل.

[٢٣] ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ ﴾[(٦)]، تحزنوا، ﴿ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا ﴾[(٧)] من الدنيـا، ﴿ تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ ﴾[(٨)]، قرأ أبو عمرو بقصر الألف لقوله ﴿ وَلَا ﴾[(٩)]، فجعل الفعل له، وقرأ الآخرون (آتاكم) بمد الألف، أي: أعطاكم.

﴿ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ﴾[(١٠)] متكبر بما أوتي من الدنيا، ﴿ فَخُورٍ ﴾[(١١)] يفخر به على الناس.

---

(١) سورة الحديد آية: ٢٢.
(٢) سورة الحديد آية: ٢٢.
(٣) سورة الحديد آية: ٢٢.
(٤) سورة الحديد آية: ٢٢.
(٥) سورة الحديد آية: ٢٢.
(٦) سورة الحديد آية: ٢٣.
(٧) سورة الحديد آية: ٢٣.
(٨) سورة الحديد آية: ٢٣.
(٩) سورة الحديد آية: ٢٣.
(١٠) سورة الحديد آية: ٢٣.
(١١) سورة الحديد آية: ٢٣.

[٢٤] ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ [(١)]، قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال.

وقيل: هو رفع بالابتداء وخبره فيما بعده.

﴿ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ [(٢)]، أي يعرض عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [(٣)]

قوله تعالى لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...

[٢٥] قوله ﷻ ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ [(٤)]، بالآيـات والحجـج، ﴿ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾ [(٥)]، يعني العدل.

وقال مقاتل بن سليمان: هو ما يوزن به أي ووضعنا الميزان كما قال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ [(٦)] بأن وضع الميزان ﴿ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [(٧)]، ليتعاملوا بينهم بالعدل، ﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ ﴾ [(٨)]، قال أهل المعاني معنى قوله: (أنزلنا الحديد)، أنشأنا وأحدثنا، أي أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه.

وقال قطرب: هذا من النزل كما يقال أنزل الأمير على فلان نزلا حسنا فمعنى الآية أنه جعل ذلك نزلا لهم.

---

(١) سورة الحديد آية: ٢٤.

(٢) سورة الحديد آية: ٢٤.

(٣) سورة الحديد آية: ٢٤.

(٤) سورة الحديد آية: ٢٥.

(٥) سورة الحديد آية: ٢٥.

(٦) سورة الرحمن آية: ٧.

(٧) سورة الحديد آية: ٢٥.

(٨) سورة الحديد آية: ٢٥.

ومثله قوله: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٍۚ ﴾ [1].

﴿ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ ﴾ [2]، قوة شديدة يعني السلاح للحرب.

قال مجاهد: فيه جنة وسلاح يعني آلة الدفع وآلة الضرب ﴿ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [3]، مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة، ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ﴾ [4]، أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله، ﴿ مَن يَنصُرُهُۥ ﴾ [5]، أي دينه، ﴿ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴾ [6]، أي قام بنصرة الدين لم ير الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥ ﴾ [7]، قوي في أمره عزيز في ملكه.

[٢٦، ٢٧] ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ [8] على دينه ﴿ رَأۡفَةٗ ﴾ [9]،

---

(١) سورة الزمر آية: ٦.

(٢) سورة الحديد آية: ٢٥.

(٣) سورة الحديد آية: ٢٥.

(٤) سورة الحديد آية: ٢٥.

(٥) سورة الحديد آية: ٢٥.

(٦) سورة الحديد آية: ٢٥.

(٧) سورة الحديد آية: ٢٥.

(٨) سورة الحديد الآيتان : ٢٦ ، ٢٧.

(٩) سورة الحديد آية: ٢٧.

وهي أشد الرقة، ﴿ وَرَحۡمَةً ﴾ [1]، كانوا متوادين بعضهم لبعض، كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ (رحماء بينهم)، ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا ﴾ [2]، من قبل أنفسهم وليس هذا بعطف على ما قبله وانتصابه بفعل مضمر كأنه قال: وابتدعوا رهبانية أي جاءوا بها من قبل أنفسهم، ﴿ مَا كَتَبۡنَٰهَا ﴾ [3]، أي ما فرضناها، ﴿ عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ [4]، يعني ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية، وتلك الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الجبال، ﴿ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ ﴾ [5]، أي لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهيب، وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمدا ﷺ فآمنوا به، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ ﴾ [6]، وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة، ﴿ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧ ﴾ [7]، وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام.

[٢٨] فقال الله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [8] الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى، يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقـوا الله في محمـد ﷺ ﴿

(١) سورة الحديد آية: ٢٧.

(٢) سورة الحديد آية: ٢٧.

(٣) سورة الحديد آية: ٢٧.

(٤) سورة الحديد آية: ٢٧.

(٥) سورة الحديد آية: ٢٧.

(٦) سورة الحديد آية: ٢٧.

(٧) سورة الحديد آية: ٢٧.

(٨) سورة الحديد آية: ٢٨.

﴿ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾[1] محمد ﷺ ﴿ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ ﴾[2] نصيبين، ﴿ مِن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾[3]، يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام والإنجيل، وبمحمد ﷺ والقرآن، وقال قوم: انقطع الكلام عند قوله (رحمة) ثم قال: ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان، فما رعوها يعني الطاعة والملة حق رعايتها كناية عن غير مذكور، فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم، وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون، وهم الذين ابتدعوا الرهبانية، وإليه ذهب مجاهد.

معنى قوله: ﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾[4] على هذا التأويل: ما أمرناهم وما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وما أمرنا لهم بالترهب.

﴿ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾[5]، قال ابن عباس ومقاتل: يعني على الصراط، كما قال: ﴿ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[6] ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النور هو القران.

وقال مجاهد: هو الهدى والبيان، أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به، ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٨ ﴾[7]

(١) سورة الحديد آية: ٢٨.
(٢) سورة الحديد آية: ٢٨.
(٣) سورة الحديد آية: ٢٨.
(٤) سورة الحديد آية: ٢٧.
(٥) سورة الحديد آية: ٢٨.
(٦) سورة التحريم آية: ٨.
(٧) سورة الحديد آية: ٢٨.

[٢٩] ثم قال: ﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [(١)]، قال قتادة: حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [(٢)]، قال مجاهد: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلما خـرج مـن العرب كفروا به، فأنزل الله تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [(٣)] أي ليعلم و (لا) صلة، ﴿ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)]، أي ليعلم الذين لم يؤمنوا أنـهم لا أجر لهم، ولا نصيب لهم في فـضل الله، ﴿ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾ [(٥)]

(١) سورة الحديد آية: ٢٩.
(٢) سورة الحديد آية: ٢٩.
(٣) سورة الحديد آية: ٢٩.
(٤) سورة الحديد آية: ٢٩.
(٥) سورة الحديد آية: ٢٩.

(٥٨) سورة المجادلة

قوله تعالى قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِن اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ...

[١] ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ [(١)]، الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم فأرادها فأبت، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: « يا رسول الله إن زوجي ظاهر مني، وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه، فقال رسول الله ﷺ "حرمت عليه" فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ [(٢)] » الآيات [(٣)] ومعنى قوله ﴿ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ ﴾ [(٤)] وتخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها، ﴿ وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ [(٥)]، مراجعتكما الكلام، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ [(٦)]، سميع لما تناجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه.

[٢] ثم ذم الظهـار فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ ﴾ [(٧)]، أي مـا اللواتي يجعلونـ مع زوجاتهم كالأمهات، المعنى ليس هن بأمهاتهم، ﴿

(١) سورة المجادلة آية: ١.

(٢) سورة المجادلة آية: ١.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٧٧ وصححه الحاكم ٢/٤٨١ وانظر تفسير ابن كثير ٤/٣١٩.

(٤) سورة المجادلة آية: ١.

(٥) سورة المجادلة آية: ١.

(٦) سورة المجادلة آية: ١.

(٧) سورة المجادلة آية: ٢.

إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [(١)]، أي ما أمهاتم، ﴿ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [(٢)]، لا يعرف في شرع ﴿ وَزُورًا ۚ ﴾ [(٣)]، كذبا، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ ﴾ [(٤)]، عفا عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم.

[٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [(٥)] اختلف أهل العلم في العود فقال أهل الظاهر: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبي العالية، وقال: ﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ ﴾ [(٦)] أي إلى ما قالوا، أي أعادوه مرة أخرى، فإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه، وذهب قوم إلى أن الكفارة تجب بنفس الظهار والمراد من العود هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار، وهو قول مجاهد والثوري.

وقال قوم: المراد من العود الوطء، وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري، وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها، وقال قوم هو العزم على الوطء، وهو قول مالك وأصحاب الرأي، وفسر ابن عباس العود بالندم، فقال.

يندمون فيرجعون إلى الألفة ومعناه هذا.

قال الفراء: يقال عاد فلان لما قال أي فيما قال: وفي نقض ما قال، يعني رجع عما قال، قوله: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ﴾ [(٧)] والمراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر عنها ما لم يكفر سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو

(١) سورة المجادلة آية: ٢.
(٢) سورة المجادلة آية: ٢.
(٣) سورة المجادلة آية: ٢.
(٤) سورة المجادلة آية: ٢.
(٥) سورة المجادلة آية: ٣.
(٦) سورة المجادلة آية: ٣.
(٧) سورة المجادلة آية: ٣.

بالإطعام، وعند مالك: إن أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس وقال في الإطعام: ﴿ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ﴾ [(١)] ولم يقل: ﴿ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ ﴾ [(٢)] وعند الآخرين الإطلاق في الطعام محمول على المقيد في العتق والصيام.

﴿ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ ﴾ [(٣)]، تؤمرون به، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ ﴾ [(٤)].

[٤] ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ ﴾ [(٥)] يعني الرقبة، ﴿ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ﴾ [(٦)] يعني المظاهر إذ لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكينا، ﴿ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ ﴾ [(٧)]، لتصدقوا ما أتى به الرسول ﷺ من الله عز جل، ﴿ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ ﴾ [(٨)]، يعني ما وصف من الكفـارات في الظهـار، ﴿ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ ﴾ [(٩)]، قال ابن عباس: لمن جحده وكذب به.

(١) سورة المادلة آية: ٤.
(٢) سورة المادلة آية: ٤.
(٣) سورة المادلة آية: ٣.
(٤) سورة المادلة آية: ٣.
(٥) سورة المادلة آية: ٤.
(٦) سورة المادلة آية: ٤.
(٧) سورة المادلة آية: ٤.
(٨) سورة المادلة آية: ٤.
(٩) سورة المادلة آية: ٤.

[٥] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾(١)، أي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما، ﴿ كُبِتُواْ ﴾(٢)، أذلوا وأخزوا وأهلكوا، ﴿ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ﴾(٣)، إليك، ﴿ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٥ ﴾(٤).

قوله تعالى ألَمْ تَرَ أن اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إلا هُوَ رَابِعُهُمْ...

[٦ - ٧] ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾(٥)، حفظ الله أعمالهم، ﴿ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾(٦)، أي من سرار ثلاثة يعني من المسارة، أي: ما من شيء يناجي به الرجل صاحبيه، ﴿ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾(٧)، بالعلم، وقيل: معناه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا إلا هو رابعهم بالعلم يعلم نجواهم ﴿ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧ ﴾(٨).

(١) سورة المادلة آية: ٥.
(٢) سورة المادلة آية: ٥.
(٣) سورة المادلة آية: ٥.
(٤) سورة المادلة آية: ٥.
(٥) سورة المادلة آية: ٦.
(٦) سورة المادلة الآيتان : ٦ ، ٧.
(٧) سورة المادلة آية: ٧.
(٨) سورة المادلة آية: ٧.

[٨] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ (١)، نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك عليهم وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم ألا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ (٢) أي المناجاة ﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ (٣)، أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ (٤)، وذلك أن النبي ﷺ كان قد ناهم عن النجوى فعصوه، ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (٥)، وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ (٦) السام عليك، والسام الموت وهم يوهمونه أنهم يقولون السلام عليك، وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول: "عليكم " فإذا خرجوا قالوا: ﴿ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ ﴾ (٧) يريدون لو كان نبيا حقا لعذبنا الله بما نقول، قال الله ﷻ ﴿ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٨ ﴾ (٨).

---

(١) سورة المجادلة آية: ٨.

(٢) سورة المجادلة آية: ٨.

(٣) سورة المجادلة آية: ٨.

(٤) سورة المجادلة آية: ٨.

(٥) سورة المجادلة آية: ٨.

(٦) سورة المجادلة آية: ٨.

(٧) سورة المجادلة آية: ٨.

(٨) سورة المجادلة آية: ٨.

[٩] فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾(١)، أي كفعل المنافقين واليهود، وقال مقاتل أراد بقوله: (آمنوا) المنافقين أي آمنوا بلسانهم.

قال عطاء: يريد الذي آمنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، ﴿ وَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩ ﴾(٢)

[١٠] ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ ﴾(٣)، أي من تزيين الشيطان، ﴿ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾(٤)، أي إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين، ﴿ وَلَيۡسَ ﴾(٥)، التناجي، ﴿ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا ﴾(٦)، وقيل: ليس الشيطان بضارهم شيئا، ﴿ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠ ﴾(٧)، قال رسول الله ﷺ ﴿ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه ﴾(٨).

[١١] قولـه ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَـٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ ﴾(٩)، أي توسعوا في المجلس، قرأ الحسن وعاصم: في المجالس لأن الكل جالس

---

(١) سورة المجادلة آية: ٩.
(٢) سورة المجادلة آية: ٩.
(٣) سورة المجادلة آية: ١٠.
(٤) سورة المجادلة آية: ١٠.
(٥) سورة المجادلة آية: ١٠.
(٦) سورة المجادلة آية: ١٠.
(٧) سورة المجادلة آية: ١٠.
(٨) البخاري الاستئذان (٥٩٣٠)،مسلم السلام (٢١٨٣)،أبو داود الأدب (٤٨٥١)،ابن ماجه الأدب (٣٧٧٦)،أحمد (٩/٢)،مالك الجامع (١٨٥٦).
(٩) سورة المجادلة آية: ١١.

مجلسا معناه ليتفسح كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون (في المجلس) على التوحيد لأن المراد منه مجلس النبي ﷺ ﴿ فَٱفۡسَحُواْ ﴾ [1]: أوسعوا، يقول فسح يفسح فسحا إذا وسع في المجلس، ﴿ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ [2]، يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيهـا، ﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ [3] أي ارتفعوا، قيل: ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لإخوانكم، وقال مجاهد وأكثر المفسرين: معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا، ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ ﴾ [4]، بطاعتهم لرسوله ﷺ وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم، ﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ [5]، من المؤمنين بفضل علمهم وسـابقتهم، ﴿ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [6]، قال الحسن: قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم في العلم فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [7] المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات.

---

(١) سورة المجادلة آية: ١١.
(٢) سورة المجادلة آية: ١١.
(٣) سورة المجادلة آية: ١١.
(٤) سورة المجادلة آية: ١١.
(٥) سورة المجادلة آية: ١١.
(٦) سورة المجادلة آية: ١١.
(٧) سورة المجادلة آية: ١١.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...﴾

[١٢] قولـه ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ ﴾[١]، أمام مناجاتكم، ﴿ صَدَقَةٗۚ ﴾[٢]، قال ابن عباس: وذلك أن الناس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيه ويثبطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول ﷺ ﴿ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾[٣]، يعني تقديم الصدقة على المناجاة، ﴿ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ﴾[٤]، يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به معفو عنهم.

[١٣] ﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ ﴾[٥]، قال ابن عباس: أبخلتم؟ والمعنى: أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم، ﴿ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ ﴾[٦]، ما أمـرتم به، ﴿ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ ﴾[٧]، تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وقيل: الواو صلة مجازه فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم تجاوز عنكم وخفف عنكم، ونسخ الصدقة.

قال مقاتل بن حيان: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ.

وقال الكلبي: ما كانت إلا ساعة من نهار.

---

(١) سورة المجادلة آية: ١٢.

(٢) سورة المجادلة آية: ١٢.

(٣) سورة المجادلة آية: ١٢.

(٤) سورة المجادلة آية: ١٢.

(٥) سورة المجادلة آية: ١٣.

(٦) سورة المجادلة آية: ١٣.

(٧) سورة المجادلة آية: ١٣.

﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1]، المفروضـة، ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[2]، الواجبـة، ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[3]

[١٤] ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾[4]، نزلت في المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم وأراد بقوله: ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾[5] اليهود، ﴿ مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ ﴾[6]، يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود والكافرين، كما قال: ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[7]، قال السدي ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسـول الله ﷺ في حجرة من حجراته إذ قال: « يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين، فقال النبي ﷺ علام تشتمني أنت وأصحابك؟! فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، » فأنزل الله ﷻ هذه الآيات[8] فقال: ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون أنم كذبة.

---

(١) سورة الادلة آية: ١٣.
(٢) سورة الادلة آية: ١٣.
(٣) سورة الادلة آية: ١٣.
(٤) سورة الادلة آية: ١٤.
(٥) سورة الادلة آية: ١٤.
(٦) سورة الادلة آية: ١٤.
(٧) سورة الادلة آية: ١٤.
(٨) ذكره الواحدي في أسباب الا ول ص٧٦١، وقال ابن حجر في الكافي: "لم أجده هكذا"، ثم ذكر نحوه من رواية سماك عن ابن جبير عن ابن عباس، وقد أخرجه أحمد والبزار والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم.

[١٥ - ١٦] ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٥ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ ﴾ (١)، الكاذبة، ﴿ جُنَّةً ﴾ (٢) يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم، ﴿ فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٣)، صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم، ﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٦ ﴾ (٤)

[١٧ - ١٨] ﴿ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ ﴾ (٥)، يوم القيامة، ﴿ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝١٧ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ ﴾ (٦)، ما كانوا مشركين، ﴿ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ ﴾ (٧)، في الدنيا ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ﴾ (٨) من أيمانهم الكاذبة، ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ۝١٨ ﴾ (٩).

[١٩ - ٢٠] ﴿ ٱسْتَحْوَذَ ﴾ (١٠)، غلب واستولى، ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝١٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ

---

(١) سورة المجادلة الآيتان : ١٥ ، ١٦.
(٢) سورة المجادلة آية: ١٦.
(٣) سورة المجادلة آية: ١٦.
(٤) سورة المجادلة آية: ١٦.
(٥) سورة المجادلة آية: ١٧.
(٦) سورة المجادلة الآيتان : ١٧ ، ١٨.
(٧) سورة المجادلة آية: ١٨.
(٨) سورة المجادلة آية: ١٨.
(٩) سورة المجادلة آية: ١٨.
(١٠) سورة المجادلة آية: ١٩.

وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]، الأسفلين أي هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَن أنا وَرُسُلِي إن الله قوي عَزِيزٌ...

[٢١] ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾[2]، قضى الله قضاء ثابتا، ﴿ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ ﴾[3] نظيره قوله: ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[4] قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة.

[٢٢] قوله ﷻ ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴾[5]، الآية أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار وأن من كان مؤمنا لا يوالي من كفر، إن كان من عشيرته، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾[6]، أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصة.

وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه.

﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾[7]، قواهم بنصر منه، قال الحسن: سمى نصره إياهم روحا لأن أمرهم يحيا به.

---

(١) سورة المجادلة الآيتان : ١٩ ، ٢٠.

(٢) سورة المجادلة آية: ٢١.

(٣) سورة المجادلة آية: ٢١.

(٤) سورة الصافات الآيتان : ١٧١ ، ١٧٢.

(٥) سورة المجادلة آية: ٢٢.

(٦) سورة المجادلة آية: ٢٢.

(٧) سورة المجادلة آية: ٢٢.

وقال السدي: يعني بالإيمان.

وقال الربيع: يعني بالقران وحججه، كما قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾ (1) وقيل: برحمة منه.

وقيل: أمدهم بجبريل عليه السلام.

﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (2)

(1) سورة الشورى آية: 52.

(2) سورة المجادلة الآيتان : 21 ، 22.

(٥٩) سورة الحشر

قوله تعالى سَبحَ لِلهِ مَا فِي السمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرض وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ...

[١ - ٢] ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[(١)]، يعني بني النضير، ﴿ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾[(٢)]، التي كانت بيثرب، قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير بعد مرجع النبي ﷺ من أحد، وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان.

﴿ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ ﴾[(٣)]، قال الزهري: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله ﷻ قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبم في الدنيا.

قال ابن عباس: من شك أن الحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر إلى الشام، قال لهم النبي ﷺ (اخرجوا) قالوا: إلى أين؟ قال: "إلى أرض المحشر" ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام، وقال الكلبي: إنما قال لأول الحشر لأنم كانوا أول مع أجلي من أهل الكتاب من جريرة العرب، ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال مرة الهمداني: كان أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام في أيام عمر.

وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ﴿ مَا ظَنَنتُمْ ﴾[(٤)]، أيها المؤمنـون، ﴿ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ ﴾[(٥)]، من المدينة لعزتم ومنعتهم، وذلك أنم كانوا أهل حصون وعقار

---

(١) سورة الحشر الآيتان : ١ ، ٢.

(٢) سورة الحشر آية: ٢.

(٣) سورة الحشر آية: ٢.

(٤) سورة الحشر آية: ٢.

(٥) سورة الحشر آية: ٢.

ونخيل كثيرة، ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[1]، أي وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله، ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]، أي أمر الله وعذابه، ﴿ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ ﴾[3]، وهو أنه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك، ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ ﴾[4]، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف، ﴿ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[5]، قال الزهري: وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الإبل كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إبلهم، ويخرب المؤمنون باقيها.

قال ابن زيد: كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى الأوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا.

قال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم في أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ فذلك قوله ﷻ ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ ﴾[6]، فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم، ﴿ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾[7]، يا ذوي العقول والبصائر.

---

(١) سورة الحشر آية: ٢.

(٢) سورة الحشر آية: ٢.

(٣) سورة الحشر آية: ٢.

(٤) سورة الحشر آية: ٢.

(٥) سورة الحشر آية: ٢.

(٦) سورة الحشر آية: ٢.

(٧) سورة الحشر آية: ٢.

قوله تعالى وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ لَعَذَبَهُمْ فِي الدنْيا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النار...

[٣ - ٤] ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴾ [(١)]، الخـروج من الوطـن، ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ﴾ [(٢)]، بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة، ﴿ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝ ذَٰلِكَ ﴾ [(٣)]، الذي لحقهم، ﴿ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ﴾ [(٤)].

[٥] ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ [(٥)] الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخليهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟ فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض، فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا، واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا.

وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله هذه الآية، بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم، أخبر الله في هذه الآية أن ما قطعتموه وما تركوه فبـإذن الله، ﴿ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ ﴾ [(٦)]، واختلفوا في اللينة فقال قوم: النخل كلها لينة ما خلا العجوة، وقال مجاهد وعطية: هي النخل كلها من غير استثناء، وقال سفيان: هي كرام النخل.

---

(١) سورة الحشر آية: ٣.
(٢) سورة الحشر آية: ٣.
(٣) سورة الحشر الآيتان : ٣ ، ٤.
(٤) سورة الحشر آية: ٤.
(٥) سورة الحشر آية: ٥.
(٦) سورة الحشر آية: ٥.

وقال مقاتل: هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون، وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس، وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف، وأحب إليهم من وصيف، فلما رأوهم يقطعونا شق ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين: إنكم تكرهون الفساد في الأرض وأنتم تفسدون، دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه، فأخبر الله تعالى أن ذلك بإذنه.

[٦] ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [(١)]، أي: رده على رسوله، يقال: فاء يفيء أي رجع وفاءها الله، ﴿ مِنْهُمْ ﴾ [(٢)]، أي من يهود بني النضير، ﴿ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ ﴾ [(٣)]، أوضعتم، ﴿ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ [(٤)] يقال: وجف الفرس والبعير يجف وجيفا وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم.

وذلك أن بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم، كما فعل بغنائم خيبر، فبين الله تعالى في هذه الآية أنا فيء لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حربا.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ ﴾ [(٥)] فجعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة.

---

(١) سورة الحشر آية: ٦.

(٢) سورة الحشر آية: ٦.

(٣) سورة الحشر آية: ٦.

(٤) سورة الحشر آية: ٦.

(٥) سورة الحشر آية: ٦.

[٧] قوله ﷻ ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ [(١)]، يعني من أموال كفار أهل القرى، قال ابن عباس: هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة: ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [(٢)]، قد ذكرنا في سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفيء: أن مال الفيء كان لرسول الله في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقى مجعل مال الله، ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ ﴾ [(٣)]، قرأ العامة بالياء ﴿ دُولَةَۢ ﴾ [(٤)] نصب أي لكيلا يكون الفيء دولة، وقرأ أبو جعفر (تكون) بالتاء (دولة) بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الأمر إلى دولة، وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحينئذ لا خبر له والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم، ﴿ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ ﴾ [(٥)]، يعني بين الرؤساء والأقوياء، معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الأغنياء والأقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وهو المرباع، ثم يصطفي منها بعد المرباع ما شاء، فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه فيما أمر به، ثم قال ﴿ وَمَآ ءَاتَـٰكُمُ ﴾ [(٦)] أعطاكم، ﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾ [(٧)]، من الفيء والغنيمة، ﴿ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمۡ عَنۡهُ ﴾ [(٨)] من

---

(١) سورة الحشر آية: ٧.
(٢) سورة الحشر آية: ٧.
(٣) سورة الحشر آية: ٧.
(٤) سورة الحشر آية: ٧.
(٥) سورة الحشر آية: ٧.
(٦) سورة الحشر آية: ٧.
(٧) سورة الحشر آية: ٧.
(٨) سورة الحشر آية: ٧.

الغلول وغيره، ﴿ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [1]، وهذا نازل في أموال الفيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ﴾ [2] ثم بين من له الحق في الفيء فقال:

[٨] ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً ﴾ [3]، رزقا ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [4] أي أخرجوا إلى دار الهجرة طلبا لرضا الله ﷻ ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝ ﴾ [5] في إيمانهم.

قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة.

[٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [6] وهم الأنصار تبوءوا الدار توطنوا الدار، أي المدينة اتخذوها دار الهجرة والإيمان، ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [7]، أي أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين.

ونظم الآية والذين تبوءوا الدار من قبلهم أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان تبوأ، ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً ﴾ [8]، حزازة وغيظا وحسدا، ﴿ مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ [1]، أي مما أعطى المهاجرين

---

(١) سورة الحشر آية: ٧.
(٢) سورة الحشر آية: ٧.
(٣) سورة الحشر آية: ٨.
(٤) سورة الحشر آية: ٨.
(٥) سورة الحشر آية: ٨.
(٦) سورة الحشر آية: ٩.
(٧) سورة الحشر آية: ٩.
(٨) سورة الحشر آية: ٩.

دونهم من الفيء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط منها الأنصار فطابت أنفس الأنصار بذلك، ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٢)، أي يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم، ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٣)، فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموا ديارهم وأموالهم، ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٤)، الشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل.

وفرق العلماء بين الشح والبخل.

قال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له، وقال سعيد بن جبير: الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة.

وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم.

قوله تعالى وَالذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوَانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...

[١٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ (٥)، يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة، فقال: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا ﴾ (٦) غشا وحسدا وبغضا، ﴿ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(١) سورة الحشر آية: ٩.
(٢) سورة الحشر آية: ٩.
(٣) سورة الحشر آية: ٩.
(٤) سورة الحشر آية: ٩.
(٥) سورة الحشر آية: ١٠.
(٦) سورة الحشر آية: ١٠.

﴿١٠﴾ ﴾[1]، فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم، فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية، لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل، المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين.

قال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل: المهاجرين، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم، فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه المنازل، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم! سمعت نبيكم ﷺ يقول: « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها »[2] وقال مالك بن مغول: قال عمر بن شراحيل الشعبي: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ فقالت: أصحاب موسى عليه السلام، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: حواري عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم! أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم، وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة[3] قال مالك بن أنس: من يبغض أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾[4] حتى أتى على هذه الآية.

---

(١) سورة الحشر آية: ١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢٥/١٥، ويشهد له ما أخرجه في التفسير عن عروة قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي فسبوهم.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٤٦١/٨٥، وذكره ابن تيمية في منهاج السنة ٢٣/١-٢٦ وقال: هذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضا.

(٤) سورة الحشر آية: ٧.

[١١] قوله ﷻ ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾ [(١)] أي أظهروا خلاف ما أضمروا يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه، ﴿ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [(٢)]، وهم اليهود من بني قريظة والنضير جعل المنافقين إخوانهم في الدين؛ لأنهم كفار مثلهم.

﴿ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ ﴾ [(٣)]، مـن المديـنة، ﴿ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا ﴾ [(٤)]، يسألنا خذلانكم وخلافكـم، ﴿ أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ ﴾ [(٥)]، يعني المنافقين، ﴿ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ ﴾ [(٦)]

[١٢] ﴿ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ ﴾ [(٧)]، وكان الأمر كذلك، فإنهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم، قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ ﴾ [(٨)] أي لو قدر وجود نصرهم.

قال الزجاج: معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين، ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ ﴾ [(٩)]، يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرهم.

---

(١) سورة الحشر آية: ١١.
(٢) سورة الحشر آية: ١١.
(٣) سورة الحشر آية: ١١.
(٤) سورة الحشر آية: ١١.
(٥) سورة الحشر آية: ١١.
(٦) سورة الحشر آية: ١١.
(٧) سورة الحشر آية: ١٢.
(٨) سورة الحشر آية: ١٢.
(٩) سورة الحشر آية: ١٢.

[١٣] ﴿ لَأَنتُمۡ ﴾[1]، يا معشـر المسلمـين، ﴿ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾[2]، أي يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[3]، أي ذلك الخوف منكم، ﴿ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣ ﴾[4]، عظمة الله.

[١٤] ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾[5]، يعنى اليهود، ﴿ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ ﴾[6]، أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران، وهو قوله: ﴿ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ ﴾[7]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو (جدار) على الواحد، وقرأ الآخرون (جدر) بضم الجيم والدال على الجمع.

﴿ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ ﴾[8]، أي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة.

وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله ﴿ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ﴾[9]، متفرقة مختلفة، قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهادتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق.

---

(١) سورة الحشر آية: ١٣.
(٢) سورة الحشر آية: ١٣.
(٣) سورة الحشر آية: ١٣.
(٤) سورة الحشر آية: ١٣.
(٥) سورة الحشر آية: ١٤.
(٦) سورة الحشر آية: ١٤.
(٧) سورة الحشر آية: ١٤.
(٨) سورة الحشر آية: ١٤.
(٩) سورة الحشر آية: ١٤.

وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ۝١٤ ﴾[1]

[١٥] ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[2]، يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم، ﴿ قَرِيبٗاۖ ﴾[3]، يعني مشركي مكة، ﴿ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ ﴾[4]، يعني القتل ببدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير، قاله مجاهد.

وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع.

وقيل: مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١٥ ﴾[5].

ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود جميعا في تخادعهم.

قوله تعالى كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ...

[١٦] فقال: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾[6] أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانم كمثل الشيطان، ﴿ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦ ﴾[7].

---

(١) سورة الحشر آية: ١٤.
(٢) سورة الحشر آية: ١٥.
(٣) سورة الحشر آية: ١٥.
(٤) سورة الحشر آية: ١٥.
(٥) سورة الحشر آية: ١٥.
(٦) سورة الحشر آية: ١٦.
(٧) سورة الحشر آية: ١٦.

[١٧] ﴿ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ ﴾[(١)]، يعني الشيطان وذلك الإنسان ﴿ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[(٢)]، قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ بإجلاء بني النضير عن المدينة فدس المنافقون إليهم، وقالوا: لا تجيبوا محمدا إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فإن قاتلكم فإنا معكم وإن أخرجكم خرجنا معكم، فأجابوهم ودربوا على حصونم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين، حتى جاءهم النبي ﷺ فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرؤوا منهم.

[١٨] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ ﴾[(٣)]، يعني ليوم القيامة، أي لينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[(٤)]

[١٩] ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[(٥)]، تركوا أمر الله، ﴿ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ ﴾[(٦)]، أي حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا، ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[(٧)]

---

(١) سورة الحشر آية: ١٧.
(٢) سورة الحشر آية: ١٧.
(٣) سورة الحشر آية: ١٨.
(٤) سورة الحشر آية: ١٨.
(٥) سورة الحشر آية: ١٩.
(٦) سورة الحشر آية: ١٩.
(٧) سورة الحشر آية: ١٩.

[٢٠] ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1].

[٢١] قوله ﷻ ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[2]، قيل: لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزانته، حذرا من أن لا يؤدي حق الله ﷻ في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عما فيه من العبر كأن لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

[٢٢] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ ﴾[4]، الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه، والشهادة ما شاهدوه وما علموه، ﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[5].

[٢٣] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾[6]، الطاهر من كل عيب المـ ه عما لا يليق به، ﴿ ٱلسَّلَـٰمُ ﴾[7]، الذي سلم من النقائص، ﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾[8]، قال ابن عباس: هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه، وهو من الأمان

(١) سورة الحشر آية: ٢٠.
(٢) سورة الحشر آية: ٢١.
(٣) سورة الحشر آية: ٢١.
(٤) سورة الحشر آية: ٢٢.
(٥) سورة الحشر آية: ٢٢.
(٦) سورة الحشر آية: ٢٣.
(٧) سورة الحشر آية: ٢٣.
(٨) سورة الحشر آية: ٢٣.

الذي هو ضد التخويف كما قال: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[1] وقيل: معناه المصدق لرسله بإظهار المعجزات، والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، والكافرين بما وعدهم من العقاب ﴿ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾[2]، الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشيء، وقيل: هو في الأصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء، كقولهم أرقت وهرقت، ومعناه المؤمن، وقال الحسن: الأمين.

وقال الخليل: هو الرقيب الحافظ وقال ابن زيد: المصدق.

وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي.

وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله.

﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ﴾[3]، قال ابن عباس: الجبار هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وهو على هذا القول صفة ذات الله، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت الكسر والأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويصلح الكسير.

وقال السدي ومقاتل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد.

وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال: هو القهار الذي إذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز.

﴿ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾[4]، الذي تكبر عن كل سوء.

وقيل: المتعظم عما لا يليق به وأصل الكبر والكبرياء الامتناع.

وقيل: ذو الكبرياء وهو الملك، ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة قريش آية: ٤.

(٢) سورة الحشر آية: ٢٣.

(٣) سورة الحشر آية: ٢٣.

(٤) سورة الحشر آية: ٢٣.

[٢٤] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ﴾ [٢]، المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنْۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [٣]، ﴿ ٱلْبَارِئُ ﴾ [٤]، المنشىء للأعيان من العدم إلى الوجود ﴿ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [٥]، الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض.

هذه صورة الأمر أي مثاله، فأولا يكون خلقا ثم برءا ثم تصويرا. ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٦].

(١) سورة الحشر آية: ٢٣.
(٢) سورة الحشر آية: ٢٤.
(٣) سورة الزمر آية: ٦.
(٤) سورة الحشر آية: ٢٤.
(٥) سورة الحشر آية: ٢٤.
(٦) سورة الحشر آية: ٢٤.

(٦٠) سورة الممتحنة

قوله تعالى يَا أيهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَتخِذُوا عَدُوي وَعَدُوكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلقُونَ إِليهِمْ بِالْمَوَدةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَق...

[١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [(١)] قال المفسرون: نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ﴿ يا حاطب ما هذا؟" قال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ "أما إنه قد صدقكم" فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: "إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾ [(٢)] فأنزل الله هذه السورة [(٣)] ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [(٤)]، قيل: أي المودة، والباء زائدة كقوله: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ ﴾ [(٥)] وقال الزجاج: معناه كقوله إليهم أخبار النبي ﷺ وسره بالمودة التي بينكم وبينهم، ﴿ وَقَدْ كَفَرُواْ ﴾ [(٦)]، الواو للحال أي وحالهم أنهم كفروا، ﴿ بِمَا جَآءَكُم

(١) سورة الممتحنة آية: ١.
(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٨٤٥)،مسلم فضائل الصحابة (٢٤٩٤)،الترمذي تفسير القرآن (٣٣٠٥)،أبو داود الجهاد (٢٦٥٠)،أحمد (٨٠/١).
(٣) أخرجه البخاري في الجهاد ١٤٣/٦ ومسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٤٩٤) ١٩٤١/٤.
(٤) سورة الممتحنة آية: ١.
(٥) سورة الحج آية: ٢٥.
(٦) سورة الممتحنة آية: ١.

﴿ مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ (١)، يعني القـرآن ﴿ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ ﴾ (٢)، من مكة، ﴿ أَن تُؤۡمِنُواْ ﴾ (٣)، أي لأن آمنتم، كأنه قال يفعلون ذلك لإيمانكم، ﴿ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ ﴾ (٤)، هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾ (٥)، قال مقاتل بالنصيحة، ﴿ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ ﴾ (٦)، من المودة للكفار ﴿ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ ﴾ (٧)، أظهرتم بألسنتكم، ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ ﴾ (٨)، أخطأ طريق الهدى.

[٢] ﴿ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ ﴾ (٩)، يظفروا بكم ويروكم، ﴿ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ (١٠)، بالضرب والقتل، ﴿ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (١١)، بالشتم، ﴿ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢ ﴾ (١٢)، كما كفروا.

---

(١) سورة الممتحنة آية: ١.
(٢) سورة الممتحنة آية: ١.
(٣) سورة الممتحنة آية: ١.
(٤) سورة الممتحنة آية: ١.
(٥) سورة الممتحنة آية: ١.
(٦) سورة الممتحنة آية: ١.
(٧) سورة الممتحنة آية: ١.
(٨) سورة الممتحنة آية: ١.
(٩) سورة الممتحنة آية: ٢.
(١٠) سورة الممتحنة آية: ٢.
(١١) سورة الممتحنة آية: ٢.
(١٢) سورة الممتحنة آية: ٢.

يقول: لا تناصحوهم فإنم لا يناصحونكم ولا يوادونكم.

[٣] ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ ﴾[1]، معناه لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم التي بمكة إلى خيانة الرسول ﷺ والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم، ﴿ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ ﴾[2]، الذين عصيتم الله لأجلهم، ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ ﴾[3]، فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ ﴾[4]

[٤] ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ ﴾[5]، قدوة ﴿ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾[6]، من أهل الإيمان ﴿ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ ﴾[7]، من المشركين، ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ ﴾[8]، جمع بريء، ﴿ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾[9]، جحدنا وأنكرنا دينكم، ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[10]، يأمر حاطبا والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، والذين معه.

(١) سورة الممتحنة آية: ٣.
(٢) سورة الممتحنة آية: ٣.
(٣) سورة الممتحنة آية: ٣.
(٤) سورة الممتحنة آية: ٣.
(٥) سورة الممتحنة آية: ٤.
(٦) سورة الممتحنة آية: ٤.
(٧) سورة الممتحنة آية: ٤.
(٨) سورة الممتحنة آية: ٤.
(٩) سورة الممتحنة آية: ٤.
(١٠) سورة الممتحنة آية: ٤.

من المؤمنين في التبرؤ من المشركين، ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾[1]، يعني لكم أسوة حسنة في إبراهيم وأموره إلا في استغفاره لأبيه المشرك، فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان قد قال لأبيه: لأستغفرن لك، ثم تبرأ منه على ما ذكرناه في سورة التوبة ﴿ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾[2]، يقول إبراهيم لأبيه: ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به، ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ﴾[3]، يقول إبراهيم ومن معه من المؤمنين، ﴿ وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ ﴾[4].

[٥] ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[5]، قال الزجاج: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا.

وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك. ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ ﴾[6].

قوله تعالى لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ...

[٦] ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ ﴾[7]، أي في إبراهيم ومن معه ﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾[8]، هذا بدل من قوله لكم، وبيان أن هذه الأسوة لمن يخاف

(١) سورة الممتحنة آية: ٤.
(٢) سورة الممتحنة آية: ٤.
(٣) سورة الممتحنة آية: ٤.
(٤) سورة الممتحنة آية: ٤.
(٥) سورة الممتحنة آية: ٥.
(٦) سورة الممتحنة آية: ٥.
(٧) سورة الممتحنة آية: ٦.
(٨) سورة الممتحنة آية: ٦.

الله ويخاف عذاب الآخرة، ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾[1]، يعرض عن الإيمان ويوال الكفار، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾[2]، عن خلقه، ﴿ ٱلۡحَمِيدُ ۝٦ ﴾[3]، فوالى أولياءه وأهل طاعته.

قال مقاتل: فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة، ويعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله:

[٧] ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم ﴾[4] أي من كفار مكة، ﴿ مَّوَدَّةٗۚ ﴾[5]، ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخوانا وخالطوهم وناكحوهم، ﴿ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٧ ﴾[6]، ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال:

[٨] ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ ﴾[7]، أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم، ﴿ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾[8]، تعدلوا فيهم بالإحسان والبر، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ ﴾[9]، قال ابن عباس: نزلت في خزاعة كانوا قد صالحوا النبي ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا، فرخص الله في برهم ثم ذكر الذين ناهم عن صلتهم فقال:

---

(١) سورة الممتحنة آية: ٦.
(٢) سورة الممتحنة آية: ٦.
(٣) سورة الممتحنة آية: ٦.
(٤) سورة الممتحنة آية: ٧.
(٥) سورة الممتحنة آية: ٧.
(٦) سورة الممتحنة آية: ٧.
(٧) سورة الممتحنة آية: ٨.
(٨) سورة الممتحنة آية: ٨.
(٩) سورة الممتحنة آية: ٨.

[٩] ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ ﴾[1]، وهم مشركو مكة، ﴿ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2].

قوله تعالى يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُن...

[١٠] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ﴾[3] قال ابن عباس: امتحانها أن تستحلف ما خرجت لبغض زوجها ولا عشقا لرجل من المسلمين، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحديث أحدثته، ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحبا لله ورسوله.

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ ﴾[4]، أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهن، ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ ﴾[5]، ما أحل الله مؤمنة لكافر، ﴿ وَءَاتُوهُم ﴾[6]، يعني أزواجهم الكفار، مَا أَنفَقُوا، عليهن يعني المهر الذي دفعوا إليهن، ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ ﴾[7] أي مهورهن، أباح الله نكاحهن للمسلمين، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر

---

(١) سورة الممتحنة آية: ٩.
(٢) سورة الممتحنة آية: ٩.
(٣) سورة الممتحنة آية: ١٠.
(٤) سورة الممتحنة آية: ١٠.
(٥) سورة الممتحنة آية: ١٠.
(٦) سورة الممتحنة آية: ١٠.
(٧) سورة الممتحنة آية: ١٠.

لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار، ﴿ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ ﴾ [(١)]، والعصم جمع العصمة وهي ما يعتصم به من العقد والنسب، والكوافر جمع الكافرة، ونهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، يقول من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها، فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما.

قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب ﷺ امرأتين كانتا له بمكة مشركتين ﴿ وَسۡـَٔلُواْ ﴾ [(٢)] أيها المؤمنون، ﴿ مَآ أَنفَقۡتُمۡ ﴾ [(٣)]، أي إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاسألوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجـها منهـم، ﴿ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ ﴾ [(٤)]، يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم ﴿ مَّآ أَنفَقُواْۚ ﴾ [(٥)]، من المهر ممن تزوجها منكم، ﴿ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠ ﴾ [(٦)]، قال الزهري: لولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرد الصداق، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله ﷻ وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمروا من أداء نفقات المسلمين على نسائهم.

---

(١) سورة الممتحنة آية: ١٠.
(٢) سورة الممتحنة آية: ١٠.
(٣) سورة الممتحنة آية: ١٠.
(٤) سورة الممتحنة آية: ١٠.
(٥) سورة الممتحنة آية: ١٠.
(٦) سورة الممتحنة آية: ١٠.

[١١] فأنزل الله ﷻ ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ ﴾ [(١)]، أيها المؤمنون، ﴿ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ [(٢)]، فلحقن بم مرتدات، ﴿ فَعَاقَبْتُمْ ﴾ [(٣)]، قال المفسرون: معناه غنمتم أي غزوتم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة، وقيل: ظهرتم وكانت العاقبة لكم، وقيل: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم ﴿ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم ﴾ [(٤)]، إلى الكفار منكم، ﴿ مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾ [(٥)]، عليهن من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار.

وقيل: فعاقبتم المرتدة بالقتل ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝١١ ﴾ [(٦)].

[١٢] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ [(٧)]، الآية، وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبايعهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله ﷺ أن يعرفها، فقال رسول الله ﷺ ﴿ أبايعهن ﴾ ﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ (٨)، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ ﴿ وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ

---

(١) سورة الممتحنة آية: ١١.

(٢) سورة الممتحنة آية: ١١.

(٣) سورة الممتحنة آية: ١١.

(٤) سورة الممتحنة آية: ١١.

(٥) سورة الممتحنة آية: ١١.

(٦) سورة الممتحنة آية: ١١.

(٧) سورة الممتحنة آية: ١٢.

(٨) سورة الممتحنة آية: ١٢.

﴿ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ ﴾ [1]، وهي أن تقذف ولدا على زوجها ليس منه، قالت هند: والله إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: ﴿ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ ﴾ [2]، قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء.

فأقر النسوة بما أخذ عليهن، قوله: ﴿ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ ﴾ [3] أراد وأد البنات الذي كان يفعل أهل الجاهلية، قوله: ﴿ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ ﴾ [4]: ليس المراد منه نهيهن عن الزنا لأن النهي عن الزنا قد تقدم ذكره، بل المراد منه أن تلتقط مولودا وتقول لزوجها هذا ولدي منك، فهو البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن، لأن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها، قوله ﴿ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ ﴾ [5]: أي في كل أمر وافق طاعة الله.

قال بكر بن عبد الله المزني: في كل أمر فيه رشد.

وقال مجاهد: لا تخلو المرأة بالرجال.

وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد: هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه، ولا تحدث المرأة الرجال إلا ذا محرم، ولا تخلو برجل غير ذي محرم، ولا تسافر إلا مع ذي محرم.

---

(١) سورة الممتحنة آية: ١٢.

(٢) سورة الممتحنة آية: ١٢.

(٣) سورة الممتحنة آية: ١٢.

(٤) سورة الممتحنة آية: ١٢.

(٥) سورة الممتحنة آية: ١٢.

قوله: ﴿ فَبَايِعْهُنَّ ﴾[1]، يعني إذا بايعنك فبايعهن، ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[2] عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ﴿ لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾[3] قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها »[4].

[١٣] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[5]، وهم اليهود وذلك أن أناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتوصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم، فنهاهم الله عن ذلك، ﴿ قَدْ يَئِسُواْ ﴾[6]، يعني هؤلاء اليهود، ﴿ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ ﴾[7]، بأن يكون لهم فيها ثواب وخير، ﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾[8]، أي كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظ وثواب في الآخرة.

---

(١) سورة الممتحنة آية: ١٢.
(٢) سورة الممتحنة آية: ١٢.
(٣) سورة الممتحنة آية: ١٢.
(٤) أخرجه البخاري في الأحكام ٢٠٣/١٣ ومسلم في الإمارة برقم (١٨٦٦) ١٤٨٩/٣.
(٥) سورة الممتحنة آية: ١٣.
(٦) سورة الممتحنة آية: ١٣.
(٧) سورة الممتحنة آية: ١٣.
(٨) سورة الممتحنة آية: ١٣.

(٦١) سورة الصف

قوله تعالى سَبحَ لِلهِ مَا فِي السمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض وَهُوَ العَزيزُ الحَكِيمُ...

[١ - ٢] ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ ﴾ [١]، قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأنـزل الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا ﴾ [٢] فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين، فأنزل الله تعالى ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ ﴾ [٣] وقال محمد بن كعب: لما أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بثواب الشهداء بدر، قالت الصحابة: لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه وسعنا، ففروا يوم أحد فعيرهم الله بذه الآية.

وقال قتادة والضحاك: نزلت في شأن القتال، كان الرجل يقول: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، فـ لت هذه الآية.

قال ابن زيد: نزلت في المنافقين كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون.

[٣] ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ ﴾ [٤]، قوله: ﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾ [٥] في موضع رفع، فهو كقولك بئس رجلا أخوك، ومعنى الآية أي عظم ذلك في المقت والبغض عند الله، أي إن الله يبغض بغضا شديدا أن تقولوا ﴿ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ ﴾ [٦]، أي تعدوا من أنفسكم شيئا ثم لم تفوا به.

---

(١) سورة الصف الآيتان : ١ ، ٢.

(٢) سورة الصف آية: ٤.

(٣) سورة الصف آية: ٢.

(٤) سورة الصف آية: ٣.

(٥) سورة الصف آية: ٣.

(٦) سورة الصف آية: ٣.

[٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ (١)، أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم، ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ ﴾ (٢)، قد رص بعضه ببعض أي ألزق بعضه ببعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل.

وقيل: أحكم بالرصاص.

[٥] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ (٣)، من بني إسرائيل، ﴿ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي ﴾ (٤)، وذلك حين رموه بالأدرة، ﴿ وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ ﴾ (٥)، والرسول يعظم ويحترم، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ ﴾ (٦)، عدلوا عن الحق، ﴿ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ (٧)، أمالها عن الحق، يعني أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عن الحق، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ (٨) قال الزجاج: يعني لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق.

---

(١) سورة الصف آية: ٤.

(٢) سورة الصف آية: ٤.

(٣) سورة الصف آية: ٥.

(٤) سورة الصف آية: ٥.

(٥) سورة الصف آية: ٥.

(٦) سورة الصف آية: ٥.

(٧) سورة الصف آية: ٥.

(٨) سورة الصف آية: ٥.

قوله تعالى وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ...

[٦] ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (١)، والألف فيه للمبالغة في الحمد، وله وجهان أحدهما أنه مبالغة من الفاعل أي الأنبياء كلهم حمادون لله ﷻ وهو أكثر حمدا لله من غيره، والثاني أنه مبالغة من المفعول أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مناقبا وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد با ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾ (٢).

[٧، ٨] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ ﴾ (٣)

[٩] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝ ﴾ (٤)

[١٠] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم ﴾ (٥)، قرأ ابن عامر: تنجيكم بالتشديد والآخرون بالتخفيف، ﴿ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ ﴾ (٦)، نزل هذا حين

---

(١) سورة الصف آية: ٦.

(٢) سورة الصف آية: ٦.

(٣) سورة الصف الآيتان : ٧ ، ٨.

(٤) سورة الصف آية: ٩.

(٥) سورة الصف آية: ١٠.

(٦) سورة الصف آية: ١٠.

قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ لعملناه، وجعل ذلك به لة التجارة لأنهم يربحون فيها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار، ثم بين تلك التجارة فقال:

[١١ - ١٢] ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ (١)

[١٣] ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ ﴾ (٢)، ولكم خصلة أخرى تحبونا في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ ﴾ (٣)، قال الكلبي: هو النصر على قريش، وفتح مكة.

وقال عطاء: يريد فتح فارس والروم.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٤)، يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين.

[١٤] فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ ﴾ (٥)، أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام، ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ (٦)، أي من ينصرني مع الله، ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ

---

(١) سورة الصف الآيتان : ١١ ، ١٢.
(٢) سورة الصف آية: ١٣.
(٣) سورة الصف آية: ١٣.
(٤) سورة الصف آية: ١٣.
(٥) سورة الصف آية: ١٤.
(٦) سورة الصف آية: ١٤.

أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ ﴾ [1]، قال ابن عباس: يعني في زمن عيسى عليه السلام، وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالوا: كان الله فارتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه الله إليه وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا ﷺ فظهرت المؤمنة على الكافرة، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [2]، غالبين، وروى مغيرة عن إبراهيم قال: فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه.

---

(١) سورة الصف آية: ١٤.

(٢) سورة الصف آية: ١٤.

(٦٢) سورة الجمعة

قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ...﴾

[١ - ٢] ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ [١] يعني العرب كانت أمة أمية لا تكتب ولا تقـرأ ﴿ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [٢]، يعني محمدا ﷺ نسبُه نسبُهم، ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾ [٣]، أي ما كانوا قبل بعثة الرسول إلا في ضلال مبين يعبدون الأوثان.

[٣] ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ [٤] أي المؤمنين الذين يدينون بدينهم؛ لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، فإن المسلمين كلهم أمة واحدة، واختلف العلماء فيهم فقال قوم: هم العجم وقال عكرمة ومقاتل: هم التابعون.

وقال ابن زيد: هم جميع من دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ ﴿ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾ [٥]، أي لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم.

وقيل: لما يلحقوا بم أي في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شـأو الصحـابة ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ﴾ [٦].

---

(١) سورة الجمعة الآيتان : ١ ، ٢.

(٢) سورة الجمعة آية: ٢.

(٣) سورة الجمعة آية: ٢.

(٤) سورة الجمعة آية: ٣.

(٥) سورة الجمعة آية: ٣.

(٦) سورة الجمعة آية: ٣.

[٤] ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[(١)]، يعني الإسلام والهداية ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[(٢)].

[٥] قوله ﷻ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾[(٣)]، أي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها، ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾[(٤)]، لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها، ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾[(٥)]، أي كتبا من العلم واحدها سفر، قال الفراء: هي الكتب العظام يعني كما أن الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها، كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها، ﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [(٦)] الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء يعني من سبق في علمه أنه لا يهديهم.

[٦] ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾[(٧)]، محمد ﷺ وأصحابه، ﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ ﴾[(٨)]، فادعوا بالموت على أنفسكم، ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[(٩)]، أنكم أبناء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه.

---

(١) سورة الجمعة آية: ٤.
(٢) سورة الجمعة آية: ٤.
(٣) سورة الجمعة آية: ٥.
(٤) سورة الجمعة آية: ٥.
(٥) سورة الجمعة آية: ٥.
(٦) سورة الجمعة آية: ٥.
(٧) سورة الجمعة آية: ٦.
(٨) سورة الجمعة آية: ٦.
(٩) سورة الجمعة آية: ٦.

[٧ - ٨] ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (١)

قوله تعالى يَا أيهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللهِ...

[٩] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾ (٢)، أي في يوم الجمعة وأراد بذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣)، أي: فامضوا إليه واعملوا له، وليس المراد من السعي الإسراع إنما المراد منه العمل والفعل، كما قال: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٤) وقال: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (٥) وكان عمر بن الخطاب يقرأ: (فامضوا إلى ذكر الله) وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود.

وقال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع.

وعن قتادة في هذه الآية: فاسعوا إلى ذكر الله، قال: فالسعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها ﴿ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٦) أي الصلاة، وقال سعيد بن المسيب: ﴿ فَٱسْعَوْاْ

(١) سورة الجمعة الآيتان : ٧ ، ٨.
(٢) سورة الجمعة آية: ٩.
(٣) سورة الجمعة آية: ٩.
(٤) سورة البقرة آية: ٢٠٥.
(٥) سورة الليل آية: ٤.
(٦) سورة الجمعة آية: ٩.

﴿ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [1] قال هو موعظة الإمام، ﴿ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ﴾ [2]، يعني البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعا.

وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني، وقال الزهري: عند خروج الإمام.

وقال الضحاك: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء، ﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ [3]، الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ [4]، من المبايعة، ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ ﴾ [5] مصالح أنفسكم، واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان فتجب على كل من جمع العقل والبلوغ والحرية والذكورة والإقامة إذا لم يكن له عذر فمن تركها استحق الوعيد، أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما، لأنهما ليسا من أهل أن يلزمهما فرض الأبدان لنقصان أبدانهما، ولا جمعة على النساء بالاتفاق.

[١٠] قوله ﷻ ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [6]، أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم ﴿ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [7] يعني الرزق وهذا أمر إباحة كقوله: ﴿ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ ﴾ [8]، قال ابن عباس: إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر، وقيل: فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله.

---

(١) سورة الجمعة آية: ٩.

(٢) سورة الجمعة آية: ٩.

(٣) سورة الجمعة آية: ٩.

(٤) سورة الجمعة آية: ٩.

(٥) سورة الجمعة آية: ٩.

(٦) سورة الجمعة آية: ١٠.

(٧) سورة الجمعة آية: ١٠.

(٨) سورة المائدة آية: ٢.

وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول: ﴿ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [1] هو طلب العلم ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [2].

[١١] قوله ﷻ ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ ﴾ [3] الآية، عن جابر بن عبد الله قال: « أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ فثار الناس إلا اثني عشر رجلا فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [4] » [5] وأراد باللهو الطبل.

وقيل: كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق.

وقوله: ﴿ ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [6] رد الكناية إلى التجارة لأنها أهم.

وقال علقمة: « سئل عبد الله بن عمر: أكان النبي ﷺ يخطب قائما أو قاعدا؟ قال: أما تقرأ: ﴿ وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ ﴾ [7] » وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله، هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعا، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشافعي، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه.

---

(١) سورة الجمعة آية: ١٠.

(٢) سورة الجمعة آية: ١٠.

(٣) سورة الجمعة آية: ١١.

(٤) سورة الجمعة آية: ١١.

(٥) أخرجه البخاري في التفسير (٦٤٣/٨)، ومسلم في الجمعة (٥٩٠/٢ رقم ٨٦٣).

(٦) سورة الجمعة آية: ١١.

(٧) سورة الجمعة آية: ١١.

وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة، وهو مأمور بالخطبة ﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ ﴾ [1]، أي ما عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبي ﷺ خير من اللهو ومن التجارة ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١ ﴾ [2]، لأنه موجد الأرزاق فإياه فاسألوا ومنه فاطلبوا.

(١) سورة الجمعة آية: ١١.

(٢) سورة الجمعة آية: ١١.

(٦٣) سورة المنافقون

قوله تعالى إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنكَ لَرَسُولُ اللهِ...

[١] ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ ﴾[١]، يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه، ﴿ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١ ﴾[٢]، لأنم أضمروا خلاف ما أظهروا.

[٢] ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾[٣]، سترة ﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[٤]، منعوا الناس عن الجهاد والإيمان بمحمد ﷺ ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ﴾[٥].

[٣] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ﴾[٦]، أقروا باللسان إذا رأوا المؤمنين، ﴿ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾[٧]، إذا خلوا إلى المشركين ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[٨]، بالكفر، ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ﴾[٩] الإيمان.

[٤] ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ ﴾[١٠]، يعني أن لهم أجساما ومنـاظر، ﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ ﴾[١]، فتحسب أنه صدق، قال عبد الله بن عباس: كان

---

(١) سورة المنافقون آية: ١.
(٢) سورة المنافقون آية: ١.
(٣) سورة المنافقون آية: ٢.
(٤) سورة المنافقون آية: ٢.
(٥) سورة المنافقون آية: ٢.
(٦) سورة المنافقون آية: ٣.
(٧) سورة المنافقون آية: ٣.
(٨) سورة المنافقون آية: ٣.
(٩) سورة المنافقون آية: ٣.
(١٠) سورة المنافقون آية: ٤.

عبد الله بن أبيّ جسيما فصيحا ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله: ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ (٢) أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام ﴿ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ (٣) ممالة إلى جدار من قولهم أسندت الشيء إذا أملته، وأراد أنا ليست بأشجار تثمر ولكنها خشب مسندة إلى حائط، ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ (٤)، أي لا يسمعون صوتا في العسكر إن نادى مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة إلا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم أنم يرادون بذلك وظنوا أنم قد أتوا، لما في قلوبم من الرعب.

وقيل: ذلك لكونم على وجل من أن ي ل الله فيهم أمرا يهتك أستارهم ويبيح دماءهم ثم قال: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾ (٥)، هذا ابتداء وخبره، ﴿ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ (٦)، ولا تأمنهم، ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ (٧)، لعنهم الله ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٨)، يصرفون عن الحق.

---

(١) سورة المنافقون آية: ٤.

(٢) سورة المنافقون آية: ٤.

(٣) سورة المنافقون آية: ٤.

(٤) سورة المنافقون آية: ٤.

(٥) سورة المنافقون آية: ٤.

(٦) سورة المنافقون آية: ٤.

(٧) سورة المنافقون آية: ٤.

(٨) سورة المنافقون آية: ٤.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾...

[٥] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ ﴾[١]، أي عطفوا وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ﴿ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ ﴾[٢]، يعرضون عما دعوا إليه، ﴿ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ۝٥ ﴾[٣]، متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم.

[٦] ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ ﴾[٤]، يا محمد، ﴿ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٦ ﴾[٥] قيل لعبد الله بن أبي ابن سلول في مرض موته: اذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فآمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم! فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ ﴾[٦] الآية.

[٧] ونزل: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ ﴾[٧]، يتفرقوا، ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٨] فلا يعطي أحد أحدا

---

(١) سورة المنافقون آية: ٥.
(٢) سورة المنافقون آية: ٥.
(٣) سورة المنافقون آية: ٥.
(٤) سورة المنافقون آية: ٦.
(٥) سورة المنافقون آية: ٦.
(٦) سورة المنافقون آية: ٥.
(٧) سورة المنافقون آية: ٧.
(٨) سورة المنافقون آية: ٧.

شيئا إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ ﴾ [1] أن أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

[٨] ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [2]، عن غـزوة بني المصطلـق، ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3]، فعزة الله قهره من دونه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [4] ذلك، ولو علموا ما قالوا هذه المقالة.

[٩] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ ﴾ [5] لا تشغلكم ﴿ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [6] قال المفسرون: يعني الصلوات الخمس نظيره قوله ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ [7] أي من شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ ﴾ [8].

[١٠] ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ [9]، قال ابن عباس: يريد زكـاة الأمـوال، ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [1]، فيسأل الرجعة، ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ

(١) سورة المنافقون آية: ٧.
(٢) سورة المنافقون آية: ٨.
(٣) سورة المنافقون آية: ٨.
(٤) سورة المنافقون آية: ٨.
(٥) سورة المنافقون آية: ٩.
(٦) سورة المنافقون آية: ٩.
(٧) سورة المنافقون آية: ٩.
(٨) سورة الأعراف آية: ١٧٨.
(٩) سورة المنافقون آية: ١٠.

﴿ أَخَّرْتَنِىٓ ﴾[2]، هلا أخرتني أمهلتني، وقيل: (لا) صلة فيكون الكلام بمعنى التمني أي لو أخرتني، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾[3]، فأتصدق وأزكي مالي، ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[4]، أي من المؤمنين، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ ﴾[5] هذا قول مقاتل وجماعة، وقالوا: نزلت الآية في المنافقين.

وقيل: نزلت الآية في المؤمنين.

والمراد بالصلاح هنا الحج، وروى الضحاك وعطية عن ابن عباس أنه قال: ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت، وقرأ هذه الآية.

[١١] ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾[6]، قرأ أبو بكر (يعملون) بالياء وقرأ الآخرون بالتاء.

---

(١) سورة المنافقون آية: ١٠.

(٢) سورة المنافقون آية: ١٠.

(٣) سورة المنافقون آية: ١٠.

(٤) سورة المنافقون آية: ١٠.

(٥) سورة الرعد آية: ٢٣.

(٦) سورة المنافقون آية: ١١.

(٦٤) سورة التغابن

قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...

[١ - ٢] ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ ﴾ [(١)]، قال ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمنا وكافرا يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا، وقال جماعة: معنى الآية إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا، لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم، فقال ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ ﴾ [(٢)] ثم اختلفوا في تأويلها، فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال.

فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة.

وقال عطاء بن أبي رباح: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب.

وقيل فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه وهو مذهب الدهرية، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه.

وجملة القول فيه أن الله خلق الكافر، وكفره فعلا له وكسبا، وخلق المؤمن، وإيمانه فعلا له وكسبا، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته، فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلم منه، والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه، وهذا طريق أهل السنة والجماعة من سلكه أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر.

---

(١) سورة التغابن الآيتان : ١ ، ٢.

(٢) سورة التغابن آية: ٢.

[٣] ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[1]

[٤ - ٥] ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴾[2]، يخاطب كفار مكة، ﴿ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾[3]، يعني الأمم الخالية، ﴿ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾[4]، يعني ما لحقهم من العذاب في الدنيـا، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[5]، في الآخرة.

[٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [6] العذاب، ﴿ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾[7]، ولم يقل: يهدينا لأن البشر وإن كان لفظه واحدا فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه، وواحده إنسان، ومعناه ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا، ﴿ فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ ﴾[8]، عن إيمانهم، ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ ﴾[9]، عن خلقه، ﴿ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾[10]، في أفعاله، ثم أخبر عن إنكارهم البعث.

---

(١) سورة التغابن آية: ٣.
(٢) سورة التغابن الآيتان : ٤ ، ٥.
(٣) سورة التغابن آية: ٥.
(٤) سورة التغابن آية: ٥.
(٥) سورة التغابن آية: ٥.
(٦) سورة التغابن آية: ٦.
(٧) سورة التغابن آية: ٦.
(٨) سورة التغابن آية: ٦.
(٩) سورة التغابن آية: ٦.
(١٠) سورة التغابن آية: ٦.

[٧ - ٨] فقال جل ذكره: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ ﴾[(١)]، يا محمد، ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ ﴾[(٢)]، وهو القرآن، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٨ ﴾[(٣)].

[٩] ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ﴾[(٤)]، يعني يوم القيامة يجمع فيه أهل السماوات والأرض، ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾[(٥)]، وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد، فالمغبون من غبن عن أهله ومنازله في الجنه فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمـن بتقصيره في الإحسـان، ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩ ﴾[(٦)].

قوله تعالى وَالذِينَ كفرُوا وَكذبوا بِآيَاتنا أولئكَ أصْحَابُ النارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ المَصِيرُ...

[١٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٠ ﴾[(٧)]

(١) سورة التغابن آية: ٧.
(٢) سورة التغابن الآيتان : ٧ ، ٨.
(٣) سورة التغابن آية: ٨.
(٤) سورة التغابن آية: ٩.
(٥) سورة التغابن آية: ٩.
(٦) سورة التغابن آية: ٩.
(٧) سورة التغابن آية: ١٠.

[١١] ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)]، بإرادته وقضائه، ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ [(٢)]، فيصدق أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [(٣)]، يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضائه، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١ ﴾ [(٤)]

[١٢] ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢ ﴾ [(٥)].

[١٣] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٣ ﴾ [(٦)]

[١٤] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ [(٧)]، قال ابن عباس.

هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا إلى المدينة فمنعهم أزواجهم وأولادهم، وقالوا صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم فأطاعوهم، وتركوا الهجرة، فقال تعالى: ﴿ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ [(٨)] أن تطيعوهم وتدعو الهجرة، ﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟

---

(١) سورة التغابن آية: ١١.

(٢) سورة التغابن آية: ١١.

(٣) سورة التغابن آية: ١١.

(٤) سورة التغابن آية: ١١.

(٥) سورة التغابن آية: ١٢.

(٦) سورة التغابن آية: ١٣.

(٧) سورة التغابن آية: ١٤.

(٨) سورة التغابن آية: ١٤.

وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[1]، هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر فإذا هاجر رأى الذين سبقوه بالهجرة وقد فقهوا في الدين هم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة، وإن لحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير، فأمرهم الله عز وجل بالعفو عنهم والصفح.

[١٥] ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾[2]، بلاء واختبار وشغل عن الآخرة، يقع بسببها الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام، ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ ﴾[3]، قال بعضهم.

لما ذكر الله العداوة أدخل فيه من للتبعيض، فقال.

﴿ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ ﴾[4] لأن كلهم ليسوا بأعداء، ولم يذكر "من" في قول: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾[5] لأنا لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب.

[١٦] ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[6]، أي أطقتم، هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[7]، ﴿ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾[8]، الله ورسوله، ﴿ وَأَنفِقُواْ

(١) سورة التغابن آية: ١٤.
(٢) سورة التغابن آية: ١٥.
(٣) سورة التغابن آية: ١٥.
(٤) سورة التغابن آية: ١٤.
(٥) سورة التغابن آية: ١٥.
(٦) سورة التغابن آية: ١٦.
(٧) سورة آل عمران آية: ١٠٢.
(٨) سورة التغابن آية: ١٦.

خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ ﴾ [1]، أي أنفقوا من أموالكم خـيرا لأنفسكـم، ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ ﴾ [2] حتى يعطي حق الله من ماله ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾ [3].

[١٧ - ١٨] ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ [4]

(١) سورة التغابن آية: ١٦.

(٢) سورة التغابن آية: ١٦.

(٣) سورة التغابن آية: ١٦.

(٤) سورة التغابن الآيتان : ١٧ ، ١٨.

(٦٥) سورة الطلاق

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ...

[١] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ (١) نادى النبي ﷺ ثم خاطب أمته لأنه السيد المقدم، فخطاب الجميع معه، وقيل: مجازه يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء، أي إذا أردتم تطليقهن، كقوله ﷻ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ (٢) أي إذا أردت القراءة.

﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ (٣)، أي لطهرهن بالذي يقضينه من عدتهن ﴿ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ﴾ (٤)، أي عدد أقرائها فاحفظوها، قيل: أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثا.

وقيل: للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ ﴾ (٥)، أراد به إذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لا يجوز أن يخرجها منه، ﴿ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾ (٦)، ولا يجوز لها أن تخرج ما لم تنقض العدة، فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثمت ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ (٧)، قال ابن عباس: الفاحشة المبينة أن تبذأ على أهل زوجها فيحل إخراجها، وقال جماعه: أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها، ثم ترد إلى

(١) سورة الطلاق آية: ١.
(٢) سورة النحل آية: ٩٨.
(٣) سورة الطلاق آية: ١.
(٤) سورة الطلاق آية: ١.
(٥) سورة الطلاق آية: ١.
(٦) سورة الطلاق آية: ١.
(٧) سورة الطلاق آية: ١.

م لها، ويروى ذلك عن ابن مسعود، وقال قتادة: معناه إلا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها، والفاحشة: النشوز.

وقال ابن عمر والسدي: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة.

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾[1]، يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها، ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١ ﴾[2]، يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين، وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات، ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى إذا ندم أمكنته المراجعة.

[٢] ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾[3]، أي قربن من انقضاء عدتن، ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾[4]، أي راجعوهن، ﴿ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾[5]، أي اتركوهن حتى تنقضي عدتن فتبين منكم، ﴿ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[6]، على الرجعة أو الفراق أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق، ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾[7]، أيها الشهود، ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾[8]، قال عكرمة والشعبي والضحاك: ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا إلى الرجعة، وأكثر المفسرين قالوا: نزلت في عوف بن مالك

(١) سورة الطلاق آية: ١.
(٢) سورة الطلاق آية: ١.
(٣) سورة الطلاق آية: ٢.
(٤) سورة الطلاق آية: ٢.
(٥) سورة الطلاق آية: ٢.
(٦) سورة الطلاق آية: ٢.
(٧) سورة الطلاق آية: ٢.
(٨) سورة الطلاق آية: ٢.

الأشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى مالكا فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أسر العدو ابني وشكا إليه أيضا الفاقة، فقال له النبي ﷺ ﴿ اتق الله واصبر وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله ﴾ ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلا وجاء إلى أبيه [1].

[٣] ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [2]، ما ساق من الغنم.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن مسعود: هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه.

وقال الربيع بن خثيم: ﴿ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾ [3] من كل شيء ضاق على الناس.

وقال أبو العالية: ﴿ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾ [4] من كل شدة.

وقال الحسن: ﴿ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾ [5] عما ناه الله عنه.

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [6]، يتق الله فيما: نابه كفاه ما أهمه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ [7] أي منفذه أمره، ممض في خلقه قضاءه.

---

(١) أورد الواحدي بغير سند، وأورده السيوطي في الدر (٢٣٣/٦) من رواية ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس، وكذا أخرجه الثعلبي من هذا الوجه كما في الكافي الشافي لابن حجر، وأخرجه الطبري من طريق سالم بن أبي الجعد مرسلا، ووصله الحاكم عن جابر، وفي سنده عبيد الله بن كثير تركه الأزدي، ورواه الخطيب في تاريخه من طريق جويبر (متروك) عن الضحاك.

(٢) سورة الطلاق آية: ٣.

(٣) سورة الطلاق آية: ٢.

(٤) سورة الطلاق آية: ٢.

(٥) سورة الطلاق آية: ٢.

(٦) سورة الطلاق آية: ٣.

(٧) سورة الطلاق آية: ٣.

﴿ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾[1]، أي جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلا ينتهي إليه.

[٤] قوله ﷻ ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾[2]، فلا يرجون أن يحضن، ﴿ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ ﴾[3]، أي شككتم فلم تدروا ما عدتن، ﴿ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾[4]، يعني الصغار اللائي لم يحضن فعدتن أيضا ثلاثة أشهر، وهذا كله في عدة الطلاق، أما المتوفى عنها زوجها فعدتا أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض، وأما الحامل فعدتا بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنـها ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ﴾[5] أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[6]، يعني ما ذكر من الأحكام، ﴿ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥ ﴾[7]

قوله تعالى أَسْكِنُوهُن مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُن لِتُضَيقُوا عَلَيْهِن...

[٦] ﴿ أَسۡكِنُوهُنَّ ﴾[8]، يعني مطلقات نسائكم ﴿ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم ﴾[9]، (من) صلة أي أسكنوهن حيث سكنتم ﴿ مِّن وُجۡدِكُمۡ ﴾[1]، سعتكم

(١) سورة الطلاق آية: ٣.
(٢) سورة الطلاق آية: ٤.
(٣) سورة الطلاق آية: ٤.
(٤) سورة الطلاق آية: ٤.
(٥) سورة الطلاق آية: ٤.
(٦) سورة الطلاق آية: ٥.
(٧) سورة الطلاق آية: ٥.
(٨) سورة الطلاق آية: ٦.
(٩) سورة الطلاق آية: ٦.

وطاقتكم يعني إن كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيرا فعلى قـدر الطاقـة، ﴿ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ ﴾ [٢]، لا تؤذوهن، ﴿ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ ﴾ [٣]، مساكنهن فيخرجن، ﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾ [٤]، فيخرجن من عدتهن.

﴿ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ ﴾ [٥]، أي أرضعن أولادكم، ﴿ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [٦]، على إرضاعهن، ﴿ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ ﴾ [٧]، ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف، وقال الكسائي: شاوروا، قال مقاتل: بتراضي الأب والأم على أجر مسمى، والخطاب للزوجين جميعا، يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن، ولا يقصدوا الضرار، ﴿ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ ﴾ [٨]، في الرضاع والأجرة فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرتها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعا غير أمه وذلك قوله: ﴿ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [٩].

(١) سورة الطلاق آية: ٦.
(٢) سورة الطلاق آية: ٦.
(٣) سورة الطلاق آية: ٦.
(٤) سورة الطلاق آية: ٦.
(٥) سورة الطلاق آية: ٦.
(٦) سورة الطلاق آية: ٦.
(٧) سورة الطلاق آية: ٦.
(٨) سورة الطلاق آية: ٦.
(٩) سورة الطلاق آية: ٦.

[٧] ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ ﴾[1]، على قدر غناه، ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ ﴾[2]، من المـال، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا ﴾[3]، في النفقـة، ﴿ إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ ﴾[4]، أعطاها من المال، ﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾[5]، بعد ضيق وشدة غنى وسعة.

[٨] قوله ﷻ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ ﴾[6]، عصت وطغت، ﴿ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ ﴾[7]، أي وأمر رسله، ﴿ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا ﴾[8]، بالمعاقبة والاستقصاء، قال مقاتل: حاسبها بعملها في الدنيا فجـازاها بالعـذاب، وهو قـوله: ﴿ وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨ ﴾[9]، منكرا فظيعا وهو عذاب النار، لفظهما ماض ومعناهما الاستقبال، وقيل: في الآية تقديم وتأخير مجازها: فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر البلايا وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا.

[٩] ﴿ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا ﴾[10]، جزاء أمرها، وقيـل: ثقل عاقبـة كفرهـا، ﴿ وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩ ﴾[1]، خسرانا في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الطلاق آية: ٧.
(٢) سورة الطلاق آية: ٧.
(٣) سورة الطلاق آية: ٧.
(٤) سورة الطلاق آية: ٧.
(٥) سورة الطلاق آية: ٧.
(٦) سورة الطلاق آية: ٨.
(٧) سورة الطلاق آية: ٨.
(٨) سورة الطلاق آية: ٨.
(٩) سورة الطلاق آية: ٨.
(١٠) سورة الطلاق آية: ٩.

[١٠] ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ ﴾ (٢)، يعني القرآن.

[١١] ﴿ رَّسُولٗا ﴾ (٣) بدلا من الذكر، وقيل: أنزل إليكم قرآنا وأرسل رسولا وقيل مع الرسول، وقيل: الذكر هو الرسول.

وقيل: ذكرا أي شرفا، ثم بين ما هو فقال ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ١١ ﴾ (٤)، يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

[١٢] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ ﴾ (٥)، في العــدد، ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ ﴾ (٦)، بالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى، قال أهل المعاني: هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره في ل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء، ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاتا وينقلها من حال إلى حال.

وقال قتادة: في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه وخلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه.

---

(١) سورة الطلاق آية: ٩.

(٢) سورة الطلاق آية: ١٠.

(٣) سورة الطلاق آية: ١١.

(٤) سورة الطلاق آية: ١١.

(٥) سورة الطلاق آية: ١٢.

(٦) سورة الطلاق آية: ١٢.

﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[1]، فلا يخفى عليه شيء.

(١) سورة الطلاق آية: ١٢.

(٦٦) سورة التحريم

قوله تعالى يَا أيهَا النبِي لِمَ تُحرمُ مَا أحَل اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ...

[١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ (١) يعني العسل ومارية ﴿ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾ (٢) وأمر أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته، فقال:

[٢] ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ ﴾ (٣)، أي بين وأوجب أن تكفروها إذا حنثتم وهي ما ذكر في سورة المائدة، ﴿ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ ﴾ (٤)، وليكم وناصركم، ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾ (٥)، واختلف أهل العلم في لفظ التحريم، فقال قوم: ليس هو بيمين فإن قال لزوجته: أنت علي حرام أو حرمتك، فإن نوى به طلاقا فهو طلاق، وإن نوى به ظهارا فظهار، وإن نوى تحريم ذاتا أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ، وإن قال ذلك لجاريته: فإن نوى عتقا عتقت، وإن نوى تحريم ذاتا أو أطلق، فعليه كفارة اليمين، فإن قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه، وهذا قول ابن مسعود وإليه ذهب الشافعي، وذهب جماعة إلى أنه يمين، فإن قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربا، كما لو حلف أن لا يطأها، وإن حرم طعاما فهو كما لو حلف ألا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل، يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة رضي الله عنه.

---

(١) سورة التحريم آية: ١.

(٢) سورة التحريم آية: ١.

(٣) سورة التحريم آية: ٢.

(٤) سورة التحريم آية: ٢.

(٥) سورة التحريم آية: ٢.

[٣] ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾ [١]، وهو تحريم فتاته على نفسه، وقوله لحفصة: ﴿ لا تخبري بذلك أحدا ﴾ [٢].

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة.

قال.

الكلبي: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي.

وقال ميمون بن مهران: أسر إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي.

﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ ﴾ [٣]، أخبرت به حفصةُ عائشةَ، ﴿ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ﴾ [٤]، أي أطلع الله تعالى نبيه على أنا أنبأت به، ﴿ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ ﴾ [٥]، قرأ عبد الرحمن السلمي والكسائي (عرف) بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سره، أي غضب من ذلك عليها وجازاها به، من قول القائل لمن أساء إليه لأعرفن لك ما فعلت، أي لأجازينك عليه، وجازاها به عليه بأن طلقها، فلما بلغ ذلك عمر قال: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ فجاء جبريل وأمره بمراجعتها، واعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرا وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخيير.

وقال مقاتل بن حيان: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة وإنما هم بطلاقها فأتاه جبريل عليه السلام، وقال: لا تطلقها فإنا صوامة قوامة وإنا من جملة نسائك في الجنة، فلم يطلقها.

---

(١) سورة التحريم آية: ٣.

(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٦٢٨)،مسلم الطلاق (١٤٧٤).

(٣) سورة التحريم آية: ٣.

(٤) سورة التحريم آية: ٣.

(٥) سورة التحريم آية: ٣.

وقرأ الآخرون (عرف) بالتشديد أي عرف حفصة بعد ذلك الحديث، أي أخبرها ببعض القول الذي كان منها، ﴿ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ [١]، يعني لم يعرفها إياه، ولم يخبرها به.

قال الحسن: ما استقصى كريم قط، قال الله تعالى: ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ [٢]، وذلك أن النبي ﷺ لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يترضاها فأسر إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنها، وأطلع الله تعالى نبيه عليه، عرف حفصة وأخبرها ببعض مما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة، كره رسول الله ﷺ أن ينتشر ذلك في الناس، ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ ﴾ [٣]، أي أخبر النبي ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه، ﴿ قَالَتْ ﴾ [٤]، حفصة، ﴿ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ﴾ [٥]، أي من أخبرك بأني أفشيت السر؟ ﴿ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ ﴾ [٦]

[٤] ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [٧]، أي من التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء يخاطب عائشة وحفصة ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [٨]، أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة.

(١) سورة التحريم آية: ٣.
(٢) سورة التحريم آية: ٣.
(٣) سورة التحريم آية: ٣.
(٤) سورة التحريم آية: ٣.
(٥) سورة التحريم آية: ٣.
(٦) سورة التحريم آية: ٣.
(٧) سورة التحريم آية: ٤.
(٨) سورة التحريم آية: ٤.

قال ابن زيد: مالت قلوبكما بأن سرهما ما ذكره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته.

قوله: ﴿ وَإِن تَظَـٰهَرَا ﴾ [1]، أي تتظاهرا وتتعاونا على أذى النبي ﷺ قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء، والآخرون بتشديدها، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ ﴾ [2]، أي وليه وناصره.

قوله: ﴿ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3] روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب: (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما -، وقال الكـلبي: هـم المخلصون الذي ليسوا بمنافقين.

قوله: ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ ﴾ [4] أي: أعوان للنبي ﷺ وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجمع، كـقوله ﴿ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ﴾ [5].

[5] ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ ﴾ [6]، أي واجب من الله إن طلقكـن رسـوله، ﴿ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ ﴾ [7] خاضعات لله بالطاعـة، ﴿ مُّؤْمِنَـٰتٍ ﴾ [8]، مصدقـات بتوحـيد الله، ﴿ قَـٰنِتَـٰتٍ ﴾ [9]، طائعات، وقيل: داعيات، وقيل: مصليات، ﴿ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ﴾ [10] صائمات، وقـال زيـد

---

(١) سورة التحريم آية: ٤.
(٢) سورة التحريم آية: ٤.
(٣) سورة التحريم آية: ٤.
(٤) سورة التحريم آية: ٤.
(٥) سورة النساء آية: ٦٩.
(٦) سورة التحريم آية: ٥.
(٧) سورة التحريم آية: ٥.
(٨) سورة التحريم آية: ٥.
(٩) سورة التحريم آية: ٥.
(١٠) سورة التحريم آية: ٥.

بن أسلـم: مهاجرات. وقيل- يسحن معه حيثما ساح، ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥ ﴾[1]، وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال: ﴿ إِن طَلَّقَكُنَّ ﴾[2] وقد علم أنه لا يطلقهن وهذا كقوله: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨ ﴾[3]، وهذا إخبار عن القدرة، لا في الوجود أمة هم خير من أمة محمد ﷺ.

[٦] قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[4]، قال عطاء عن ابن عباس: أي بالانتهاء عما ناكـم الله - تعالى - عنه والعمل بطاعته، ﴿ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾[5]، يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر، وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك نارا، ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ ﴾[6] يعني خزنة النار ﴿ غِلَاظٞ ﴾[7]، فظاظ على أهل النار ﴿ شِدَادٞ ﴾[8]، أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهـم الرحمـة، ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[9].

(١) سورة التحريم آية: ٥.
(٢) سورة التحريم آية: ٥.
(٣) سورة محمد آية: ٣٨.
(٤) سورة التحريم آية: ٦.
(٥) سورة التحريم آية: ٦.
(٦) سورة التحريم آية: ٦.
(٧) سورة التحريم آية: ٦.
(٨) سورة التحريم آية: ٦.
(٩) سورة التحريم آية: ٦.

قوله تعالى يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا...

[٧ - ٨] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ [١] أي توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه، واختلفوا في معناه قال عمر وأبي ومعاذ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب، كما لا يعود اللبن إلى الضرع. قال الحسن: هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ألا يعود فيه. قال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن. قال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم. قال القرظي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيئ الإخوان.

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ ﴾ [٢] أي لا يعـذبهم الله بدخـول النـار. ﴿ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَـٰنِهِمۡ ﴾ [٣]، على الصراط، ﴿ يَقُولُونَ ﴾ [٤]، إذ طفئ نور المنافقين ﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨ ﴾ [٥]

[٩] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٩ ﴾ [٦] ثم ضرب الله مثلا للصالحين والصالحات من النساء.

---

(١) سورة التحريم الآيتان : ٧ ، ٨.

(٢) سورة التحريم آية: ٨.

(٣) سورة التحريم آية: ٨.

(٤) سورة التحريم آية: ٨.

(٥) سورة التحريم آية: ٨.

(٦) سورة التحريم آية: ٩.

[١٠] فقال - جل ذكره -: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ ﴾ [(١)] واسمها واعلة، ﴿ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ [(٢)]، اسمها واهلة، وقال مقاتل: والعـة ووالـهة، ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ ﴾ [(٣)] وهما نوح ولوط - عليهما السلام -، ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [(٤)] قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة، وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على أضيافه، إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف، وقال الكلبي، أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان: ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [(٥)] لم يدفعا عنهما مع نبوتما، عذاب الله، ﴿ وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [(٦)]. قطع الله بذه الآية طمع كل من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره، ثم أخبر أن معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعا.

[١١] فقال: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ [(٧)] وهي آسية بنت مزاحم، قال المفسرون: لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون، ولما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس، قال سلمان: كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها ظلتها الملائكة: ﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي

---

(١) سورة التحريم آية: ١٠.

(٢) سورة التحريم آية: ١٠.

(٣) سورة التحريم آية: ١٠.

(٤) سورة التحريم آية: ١٠.

(٥) سورة التحريم آية: ١٠.

(٦) سورة التحريم آية: ١٠.

(٧) سورة التحريم آية: ١١.

عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [1] فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رأته: ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ [2]، قال مقاتل: وعمله يعني الشرك. وقال أبو صالح عن ابن عباس: وعمله، قال: جماعة: ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [3] الكافرين.

[١٢] ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ ﴾ [4]، أي في جيب درعها، ولذلك ذكر الكناية، ﴿ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا ﴾ [5] يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته اه لة ﴿ وَكُتُبِهِۦ ﴾ [6] أراد الكتب التي أنزلت على إبراهيم وموسى وداود وعيسى - عليهم السلام -.

﴿ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [7]، أي من القوم القانتين المطيعين لربا ولذلك لم يقل من القانتات، وقال عطاء: من القانتين أي من المصلين، ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتا فإنم كانوا أهل صلاح مطيعين لله.

---

(١) سورة التحريم آية: ١١.
(٢) سورة التحريم آية: ١١.
(٣) سورة التحريم آية: ١١.
(٤) سورة التحريم آية: ١٢.
(٥) سورة التحريم آية: ١٢.
(٦) سورة التحريم آية: ١٢.
(٧) سورة التحريم آية: ١٢.

(٦٧) سورة الملك

قوله تعالى تَبَارَكَ الذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ...

[١ - ٢] ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ ﴾ [(١)]، قال عطاء عن ابن عباس: يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة، وقال قتادة: أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا وجعل الله الدنيا دار حياة وفناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء: قيل: إنما قدم الموت لأنه إلى القهر أقرب. وقيل: قدمه لأنه أقدم، لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما، ثم طرأت عليها الحياة: ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ ﴾ [(٢)]، فيما بين الحياة إلى الموت: ﴿ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [(٣)]، روي عن ابن عمر مرفوعا (أحسن عملا) أحسن عقلا وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله، وقال الفضيل بن عياض: أحسن عملا أخلصه وأصوبه، وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا، فالخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة، وقال الحسن: أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها وقال الفراء: لم تقع البلوى على أي إلا وبينهما إضمار، كما تقول: بلوتكم لأنظر أيكم أطوع، ومثله سلهم أيهم بذلك زعيم أي سلهم وانظر أيهم ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [(٤)]، في انتقامه ممن عصاه، ﴿ ٱلۡغَفُورُ ۝ ﴾ [(٥)]، لمن تاب إليه.

---

(١) سورة الملك الآيتان : ١ ، ٢.

(٢) سورة الملك آية: ٢.

(٣) سورة الملك آية: ٢.

(٤) سورة الملك آية: ٢.

(٥) سورة الملك آية: ٢.

[٣] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ ﴾ [(١)]، طبقا على طبق بعضها فوق بعض.

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ ﴾ [(٢)]، معناه. ما ترى يا بن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض، بل هي مستقيمة مستوية وأصله من الفوت وهو أن يفوت بعضها بعضا لقلة استوائها، ﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ ﴾ [(٣)]، كرر النظر، معناه: انظر ثم ارجع، ﴿ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ﴾ [(٤)]، شقوق وصدوع.

[٤] ﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ﴾ [(٥)]، قال ابن عباس: مـرة بعـد مـرة، ﴿ يَنقَلِبۡ ﴾ [(٦)] ينصرف ويرجع ﴿ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا ﴾ [(٧)] صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى، ﴿ وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ ﴾ [(٨)] كليل منقطع لم يدرك ما طلب.

[٥] ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [(٩)]، أراد الأدنى من الأرض وهي التي يراها الناس. وقوله: (بمصابيح) الكواكب، واحدها مصباح، وهو السراج سمي الكوكب مصباحا لإضاءته، ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا ﴾ [(١٠)] مرامي، ﴿ لِّلشَّيَٰطِينِۖ ﴾ [(١١)]، إذا

---

(١) سورة الملك آية: ٣.
(٢) سورة الملك آية: ٣.
(٣) سورة الملك آية: ٣.
(٤) سورة الملك آية: ٣.
(٥) سورة الملك آية: ٤.
(٦) سورة الملك آية: ٤.
(٧) سورة الملك آية: ٤.
(٨) سورة الملك آية: ٤.
(٩) سورة الملك آية: ٥.
(١٠) سورة الملك آية: ٥.
(١١) سورة الملك آية: ٥.

استرقوا السمع، ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ ﴾ [1] في الآخرة، ﴿ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾ [2]، النار الموقدة.

[٦، ٧] ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا ﴾ [3]، وهو أول نيق الحمار وذلك أقبح الأصوات، ﴿ وَهِىَ تَفُورُ ۝ ﴾ [4] تغلي كغلي المرجل، وقال مجاهد: تفور بم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل.

[٨] ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ ﴾ [5]، تتقطع، ﴿ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ ﴾ [6]، من تغيظها عليهم، قال ابن قتيبة، تكاد تنشق غيظا على الكفار ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ [7]، جماعة منهم، ﴿ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ ﴾ [8]، سؤال توبيخ، ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ ﴾ [9]، رسول ينذركم.

[٩] ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا ﴾ [10] للرسل ﴿ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝ ﴾ [11]

---

(١) سورة الملك آية: ٥.
(٢) سورة الملك آية: ٥.
(٣) سورة الملك الآيتان : ٦ ، ٧.
(٤) سورة الملك آية: ٧.
(٥) سورة الملك آية: ٨.
(٦) سورة الملك آية: ٨.
(٧) سورة الملك آية: ٨.
(٨) سورة الملك آية: ٨.
(٩) سورة الملك آية: ٨.
(١٠) سورة الملك آية: ٩.
(١١) سورة الملك آية: ٩.

[١٠] ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ ﴾ [١] من الرسل ما جاءونا به، ﴿ أَوۡ نَعۡقِلُ ﴾ [٢] منهم، وقال ابن عباس: لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به، ﴿ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [٣]، قال الزجاج: لو كنا نسمع سمع من يعي ويتفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار.

[١١] ﴿ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا ﴾ [٤] بعدا، ﴿ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [٥].

قوله تعالى وَأَسِروا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدُورِ...

[١٢ - ١٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [٦] قال ابن عباس: نزلت في المشركين، كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا: فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد.

[١٤] فقال الله - جل ذكره -: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ ﴾ [٧] ألا يعلم ما في الصدور من خلقها، ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [٨]، لطيف علمه في القلوب، الخبير بما فيها من السر والوسوسة. وقيل: (من) يرجع إلى المخلوق، أي ألا يعلم الله مخلوقه.

---

(١) سورة الملك آية: ١٠.

(٢) سورة الملك آية: ١٠.

(٣) سورة الملك آية: ١٠.

(٤) سورة الملك آية: ١١.

(٥) سورة الملك آية: ١١.

(٦) سورة الملك الآيتان : ١٢ ، ١٣.

(٧) سورة الملك آية: ١٤.

(٨) سورة الملك آية: ١٤.

[١٥] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً ﴾ [(١)]، سهلا لا يمتنع المشي فيها بالحزونة، ﴿ فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ [(٢)] قال ابن عباس وقتادة: في جبالها. وقال الضحاك: في آكامها. وقال مجاهد: في طرقها وفجاجها. قال الحسن: في سبلها. وقال الكلبي: في أطرافها. وقال مقاتل: في نواحيها. قال الفراء: في جوانبها. والأصل في الكلمة الـجانب ﴿ وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [(٣)]، مما خلقه رزقا لكم في الأرض، ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [(٤)] أي: وإليه تبعثون من قبوركـم.

[١٦] ثم خوف الكفار فقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [(٥)] قال ابن عباس: أي عذاب من في السماء إن عصيتموه، ﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾ [(٦)]، قال الحسن: تتحرك بأهلها. وقيل: تهوي بهم، والمعنى: أن الله - تعالى - يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تلقيهم إلى أسفل، تعلو عليهم وتمر فوقهم. يقال: مار يمور إذا جاء وذهب.

[١٧] ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [(٧)] ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط. ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ [(٨)]، في الآخرة وعند الموت، ﴿ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [(١)] أي إنذاري إذا عاينتم العذاب.

---

(١) سورة الملك آية: ١٥.
(٢) سورة الملك آية: ١٥.
(٣) سورة الملك آية: ١٥.
(٤) سورة الملك آية: ١٥.
(٥) سورة الملك آية: ١٦.
(٦) سورة الملك آية: ١٦.
(٧) سورة الملك آية: ١٧.
(٨) سورة الملك آية: ١٧.

[١٨] ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [٢] يعني كفار الأمـم الماضية، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ ﴾ [٣]، أي إنكاري عليهم بالعذاب.

[١٩] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ ﴾ [٤] تصف أجنحتها في الهواء، ﴿ وَيَقْبِضْنَ ۚ ﴾ [٥]، أجنحتهن بعد البسط ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ [٦]، في حال القبض والبسط أن يسقطن، ﴿ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [٧].

[٢٠] ﴿ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾ [٨] استفهام إنكار. قال ابن عباس: أي منعة لكم، ﴿ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ ﴾ [٩]، يمنعكـم من عذابه ويدفع عنكم ما أراد بكم. ﴿ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [١٠] أي في غرور من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا يـ ل بم.

---

(١) سورة الملك آية: ١٧.
(٢) سورة الملك آية: ١٨.
(٣) سورة الملك آية: ١٨.
(٤) سورة الملك آية: ١٩.
(٥) سورة الملك آية: ١٩.
(٦) سورة الملك آية: ١٩.
(٧) سورة الملك آية: ١٩.
(٨) سورة الملك آية: ٢٠.
(٩) سورة الملك آية: ٢٠.
(١٠) سورة الملك آية: ٢٠.

[٢١] ﴿ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ ﴾ [١]، أي من الذي يرزقكم المطر إن أمسك الله عنكم، ﴿ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ ﴾ [٢]، تمادوا في الضلال، ﴿ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [٣]، تباعد من الحق.

[٢٢] ثم ضرب مثلا فقال: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ ﴾ [٤]، راكبا رأسه في الضلالة والجهالة أعمى العين والقلب لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر. قال قتادة: راكبا على المعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة، ﴿ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا ﴾ [٥]، معتدلا يبصر الطريق وهو، ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٦] وهو مؤمن. قال قتادة: يمشي يوم القيامة سويا.

قوله تعالى قُلْ هُوَ الذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السمْعَ وَالْأَبصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ...

[٢٣] ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٧]، قال مقاتل: يعني أنهم لا يشكرون رب هذه النعم.

[٢٤ - ٢٧] ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا

---

(١) سورة الملك آية: ٢١.
(٢) سورة الملك آية: ٢١.
(٣) سورة الملك آية: ٢١.
(٤) سورة الملك آية: ٢٢.
(٥) سورة الملك آية: ٢٢.
(٦) سورة الملك آية: ٢٢.
(٧) سورة الملك آية: ٢٣.

﴿ رَأَوْهُ ﴾ [1]، يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد: يعـني العـذاب ببـدر، ﴿ زُلْفَةً ﴾ [2]، أي قريبا وهو اسم يوصف به المصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع، ﴿ سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [3]، اسودت وعلتها الكآبة، فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد، يقال ساء الشيء يسوء فهو سيئ إذا قبح، وسيئ يساء إذا قبح، ﴿ وَقِيلَ ﴾ [4] لها أي قال لهم الخزنة، ﴿ هَـٰذَا ﴾ [5]، أي هذا العذاب، ﴿ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [6]، تفتعلون من الدعاء أي أن تدعوه وتتمنوه أنه يجعله لكم، وقرأ يعقوب: تدعون بالتخفيف، وهي قراءة قتادة ومعناهما واحد مثل تذكرون وتذكرون.

[٢٨] ﴿ قُلْ ﴾ [7]، يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك، ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ ﴾ [8]، من المؤمنين، ﴿ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ [9] فأبقاها إلى منتهى آجالنا، ﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [10]، فإنه واقع بم لا محالة. وقيل: معناه أرأيتم إن أهلكني الله فيعذبني ومن معي أو رحمنا فيغفر لنا، فنحن مع إيماننا خائفون أن

---

(١) سورة الملك الآيات من ٢٤ : ٢٧.
(٢) سورة الملك آية: ٢٧.
(٣) سورة الملك آية: ٢٧.
(٤) سورة الملك آية: ٢٧.
(٥) سورة الملك آية: ٢٧.
(٦) سورة الملك آية: ٢٧.
(٧) سورة الملك آية: ٢٨.
(٨) سورة الملك آية: ٢٨.
(٩) سورة الملك آية: ٢٨.
(١٠) سورة الملك آية: ٢٨.

يهلكنا بذنوبنا، لأن حكمه نافذ فينا، فمن يجير الكافرين فمن يجيركـم ويمنعكـم مع عذابه وأنتم كافرون، وهذا معنى قول ابن عباس.

[٢٩] ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ [١]، الذي نعبده، ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ [٢]، قرأ الكسائي بالياء، وقرأ البـاقون بالتـاء. ﴿ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٣]، أي ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال منا أنحن أم أنتم؟

[٣٠] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ [٤]، أي غائرا ذاهبا في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء، قال الكلبي ومقاتل: يعني ماء زمزم، ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٥]، ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء. وقال عطاء عن ابن عباس: معين أي جار.

---

(١) سورة الملك آية: ٢٩.
(٢) سورة الملك آية: ٢٩.
(٣) سورة الملك آية: ٢٩.
(٤) سورة الملك آية: ٣٠.
(٥) سورة الملك آية: ٣٠.

(٦٨) سورة القلم

قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون...

[١] ﴿ نٓۚ ﴾ [(١)] اختلفوا فيه فقال بعضهم: إن نون آخر حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال الحسن وقتادة والضحاك: النون الدواة. وقيل: هو قسم أقسم الله به. وقيل: فاتحة السورة ﴿ وَٱلْقَلَمِ ﴾ [(٢)]، هو الذي كتب الله به الذكر ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ [(٣)]، يكتبون أي ما تكتب الملائكـة الحفظة من أعمال بني آدم.

[٢] ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ ﴾ [(٤)]، بنبوة، ﴿ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ ﴾ [(٥)]، هذا جواب لقولهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ ﴾ [(٦)] فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الأعمال أي: إنك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة. وقيل: بعصمة ربك. وقيل: هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله. وقيل: معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك، كقولهم: سبحانك اللهم وبحمدك أي والحمد لك.

[٣] ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ ﴾ [(٧)]، أي منقوص ولا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك.

[٤] ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [(١)]، قال ابن عباس ومجاهد: دين عظيم لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام. وقال الحسن: هو آداب القرآن، وقال

---

(١) سورة القلم آية: ١.
(٢) سورة القلم آية: ١.
(٣) سورة القلم آية: ١.
(٤) سورة القلم آية: ٢.
(٥) سورة القلم آية: ٢.
(٦) سورة الحجر آية: ٦.
(٧) سورة القلم آية: ٣.

قتادة: هو ما كان يأمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله، والمعنى إنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن. وقيل: سمى الله خلقه عظيما لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ (٢) [الأعراف: ١٩٩] الآية.

[٥] قوله ﷻ ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ ﴾ (٣)، فسترى يا محمد ويرون يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب.

[٦] ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ ﴾ (٤)، قيل معناه بأيكم المجنون. فالمفتون مفعول بمعنى المصدر، وقيل: الباء بمعنى (في) مجازه: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أم في فريقهم؟ وقيل: بأيكم المفتون وهو الشيطان الذي فتن بالجنون، وهذا قول مجاهد. وقال آخرون: الباء فيه زائدة معناه: أيكم المفتون؟ أي المجنون الذي فتن بالجنون، وهذا قول قتادة.

[٧، ٨] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ ﴾ (٥)، يعني مشركي مكة فإنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه فنهاه أن يطيعهم.

[٩] ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ ﴾ (٦)، قال الضحاك: لو تكفرون فيكفرون. وقال الكلبي: لو تلين لهم فيلينون لك. قال الحسن: لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم. قال زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي فينافقون.

---

(١) سورة القلم آية: ٤.

(٢) سورة الأعراف آية: ١٩٩.

(٣) سورة القلم آية: ٥.

(٤) سورة القلم آية: ٦.

(٥) سورة القلم الآيتان : ٧ ، ٨.

(٦) سورة القلم آية: ٩.

[١٠] ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾[(١)]، كثير الحلف بالباطل. قال مقاتل: يعني الوليد بن المغيرة. وقيل. الأسود بن عبد يغوث: وقال عطاء: الأخنس بن شريق. قوله: ﴿ مَّهِينٍ ۝ ﴾[(٢)]، ضعيف حقير قيل: هو فعيل من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز. وقال ابن عباس: كذاب، وهو قريب من الأول لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه.

[١١] ﴿ هَمَّازٍ ﴾[(٣)]، مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة، وقال الحسن: هو الذي يغمز بأخيه في اللس، كقوله (همزة) ﴿ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝ ﴾[(٤)]، قتات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم.

[١٢] ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ ﴾[(٥)]، بخيل بالمال، قال ابن عباس: مناع للخير أي للإسلام يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام، يقول: لئن دخل واحد منكـم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدا. ﴿ مُعۡتَدٍ ﴾[(٦)]، ظلوم يتعدي الحق، ﴿ أَثِيمٍ ۝ ﴾[(٧)]، فاجر.

[١٣] ﴿ عُتُلِّۭ ﴾[(٨)]، العتل: الغليظ الجافي. وقال الحسن: هو الفاحش الخلق، السيئ الخلق. قال الفراء: هو الشديد الخصومة في الباطل. وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكل شديد عند العرب عتل، وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف ﴿ بَعۡدَ

(١) سورة القلم آية: ١٠.

(٢) سورة القلم آية: ١٠.

(٣) سورة القلم آية: ١١.

(٤) سورة القلم آية: ١١.

(٥) سورة القلم آية: ١٢.

(٦) سورة القلم آية: ١٢.

(٧) سورة القلم آية: ١٢.

(٨) سورة القلم آية: ١٣.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [1]، أي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به، ﴿ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [2]، وهو الدعي الملصق بالقوم، وليس منهم، قال عطاء كن ابن عباس: يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم. قال مرة الهمداني: إنما ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة. وقيل: الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: نعت من لا يعرف حتى قيل: زنيم فعرف، وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها. قال ابن قتيبة: لا نعلم أن الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة، فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

[١٤] ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [3]، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب (أأن) بالاستفهام وقرأ الآخرون: بلا استفهام على الخبر، فمن قرأ بالاستفهام فمعناه: ألأن كان ذا مال وبنين.

[١٥] ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [4]، أي جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا. وقيل: معناه ألأن كان ذا مال وبنين تطيعه. ومن قرأ على الخبر فمعناه: لا تطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين، أي لا تطعه لماله وبنيه، ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [5]

---

(١) سورة القلم آية: ١٣.
(٢) سورة القلم آية: ١٣.
(٣) سورة القلم آية: ١٤.
(٤) سورة القلم آية: ١٥.
(٥) سورة القلم آية: ١٥.

قوله تعالى سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ...

[١٦] ثم أوعده فقال: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦ ﴾[1]، الخرطوم الأنف. قال أبو العالية ومجاهد: أي نسود وجهه فنجعل له علما في الآخرة يعرف به وهو سواد الوجه. قال الفراء: خص الخرطوم بالسمة وأنه في مذهب الوجه لأن بعض الشيء يعبر به عن كله. وقال ابن عباس: سنحطمه بالسيف، وقد فعل ذلك يوم بدر. وقال قتادة: سنلحق به شيئا لا يفارقه، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوسم على الخرطوم. وقال الضحاك والكسائي: سنكويه على وجهه.

[١٧ - ١٨] ﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ ﴾[2]، يعني اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع، ﴿ كَمَا بَلَوْنَآ ﴾[3]، ابتلينا، ﴿ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾[4] بستان باليمن ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا۟ ﴾[5]، حلفوا، ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ ﴾[6]، ليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين، ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨ ﴾[7]، لا يقولون: إن شاء الله.

[١٩] ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ ﴾[8]، عذاب ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾[1]، ليلا ولا يكون الطائف إلا بالليل، وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها، ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ ﴾[2].

(١) سورة القلم آية: ١٦.
(٢) سورة القلم آية: ١٧.
(٣) سورة القلم آية: ١٧.
(٤) سورة القلم آية: ١٧.
(٥) سورة القلم آية: ١٧.
(٦) سورة القلم آية: ١٧.
(٧) سورة القلم آية: ١٨.
(٨) سورة القلم آية: ١٩.

[٢٠] ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠ ﴾[3]، كالليل المظلم الأسود، الأسود بلغة خزيمة.

[٢١] ﴿ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ۝٢١ ﴾[4]، نادى بعضهم بعضا لما أصبحوا.

[٢٢] ﴿ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾[5] يعني الثمار والزروع والأعناب، ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝٢٢ ﴾[6]، قاطعين للنخل.

[٢٣] ﴿ فَٱنطَلَقُواْ ﴾[7]، مشوا إليها، ﴿ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ ﴾[8]، يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا.

[٢٤، ٢٥] ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾[9]، الحرد في اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب، قال الحسن وقتادة وأبو العالية: على جد وجهد. وقال القرظي ومجاهد وعكرمة: على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم، وهذا على معنى القصد لأن القاصد إلى الشيء جاد مجمع على الأمر. وقال أبو عبيدة والقتيبي: غدوا من بيتهم على منع المساكين، وقال الشعبي وسفيان: على حنق وغضب من المساكين. وعن ابن عباس: على قدرة، ﴿ قَٰدِرِينَ ۝٢٥ ﴾[10]، عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينها وبينهم أحد.

---

(١) سورة القلم آية: ١٩.
(٢) سورة القلم آية: ١٩.
(٣) سورة القلم آية: ٢٠.
(٤) سورة القلم آية: ٢١.
(٥) سورة القلم آية: ٢٢.
(٦) سورة القلم آية: ٢٢.
(٧) سورة القلم آية: ٢٣.
(٨) سورة القلم آية: ٢٣.
(٩) سورة القلم الآيتان : ٢٤ ، ٢٥.
(١٠) سورة القلم آية: ٢٥.

[٢٦] ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾ (١)، أي لما رأوا الجنة محترقة قالوا: إنا لمخطئون الطريق أضللنا مكان جنتنا ليست هذه بجنتنا.

[٢٧] فقال بعضهم: ﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾ (٢)، حرمنا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء.

[٢٨] ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ ﴾ (٣)، أعدلهم أعقلهم وأفضلهم، ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (٤)، هلا تستثنون، أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم ليصرمنها مصبحين، وسمي الاستثناء تسبيحا لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته. وقيل: هلا تسبحون الله وتقولوا. سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم. وقيل: هلا تستغفرونه من فعلكم.

[٢٩] ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ (٥)، نزهوه عن أن يكون ظالما فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ (٦)، بمنعنا المساكين.

[٣٠] ﴿ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾ (٧)، يلوم بعضهم بعضا في منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل.

[٣١] ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ (١)، في منعنا حق الفقراء. وقال ابن كيسان: طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل.

---

(١) سورة القلم آية: ٢٦.
(٢) سورة القلم آية: ٢٧.
(٣) سورة القلم آية: ٢٨.
(٤) سورة القلم آية: ٢٨.
(٥) سورة القلم آية: ٢٩.
(٦) سورة القلم آية: ٢٩.
(٧) سورة القلم آية: ٣٠.

[٣٢] ثـم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرًا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]، قال عبد الله بن مسعود: بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان.

[٣٣] ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ ﴾[3]، أي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[4].

[٣٤] ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال: ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾[5]، فقال المشركون: إنا نعطى في الآخرة أفضل مما تعطون. فقال الله تكذيبا لهم.

[٣٥- ٣٧] ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٌ ﴾[6]، نزل من عند الله، ﴿ فِيهِ ﴾[7]، في هذا الكتاب، ﴿ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[8]، تقرءون.

[٣٨] ﴿ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ ﴾[9]، في ذلك الكتاب، ﴿ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[10]، تختارون وتشتهون.

---

(١) سورة القلم آية: ٣١.
(٢) سورة القلم آية: ٣٢.
(٣) سورة القلم آية: ٣٣.
(٤) سورة القلم آية: ٣٣.
(٥) سورة القلم آية: ٣٤.
(٦) سورة القلم الآيات من ٣٥ : ٣٧.
(٧) سورة القلم آية: ٣٧.
(٨) سورة القلم آية: ٣٧.
(٩) سورة القلم آية: ٣٨.
(١٠) سورة القلم آية: ٣٨.

[٣٩] ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ ﴾[1]، عهود ومواثيق، ﴿ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ ﴾[2]، مؤكدة عاهدناكـم عليها، فاستوثقتم بها منا فلا تنقطع، ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[3] الخير والكرامة عند الله.

[٤٠] ثم قال لنبيه ﷺ ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[4]، كفيل أي أيهم يكفل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين.

[٤١] ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ ﴾[5]، أي عندهم شركاء لله أرباب تفعل هذا. وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه. ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾[6].

[٤٢] ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[7]، قيل: عن أمر فظيع شديد، قال ابن عباس: هو أشد ساعة في القيامة. قال سعيد بن جبير: يوم يكشف عن ساق: عن شدة الأمر. وقال ابن قتيبة: تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه، ويقال إذا اشتد الأمر في الحرب: كشفت الحرب عـن سـاق. قوله ﷻ ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[8]، يعني الكفار والمنافقون، تصير أصلابهم كـصياصي البقر فلا يستطيعون السجود.

(١) سورة القلم آية: ٣٩.
(٢) سورة القلم آية: ٣٩.
(٣) سورة القلم آية: ٣٩.
(٤) سورة القلم آية: ٤٠.
(٥) سورة القلم آية: ٤١.
(٦) سورة القلم آية: ٤١.
(٧) سورة القلم آية: ٤٢.
(٨) سورة القلم آية: ٤٢.

قوله تعالى خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ...

[٤٣] ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾[١]، وذلك أن المؤمنين يرفعون رءوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين: ﴿ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ ﴾[٢]، يغشاهم ذل الندامة والحسرة، ﴿ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾[٣]، قال إبراهيم التيمي: يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة. وقال سعيد بن جبير: كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون، ﴿ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٤]، أصحاء فلا يأتونه، قال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا عن الذين يتخلفون عن الجماعات.

[٤٤] ﴿ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ ﴾[٥]، أي فدعني والمكـذبين بالقرآن، وخل بيني وبينهم. قال الزجاج: معناه لا تشغل قلبك به وكله إلي فإني أكفيك أمره، ﴿ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم ﴾[٦]، سنأخذهم بالعـذاب، ﴿ مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٧]، فعذبوا يوم بدر.

---

(١) سورة القلم آية: ٤٣.
(٢) سورة القلم آية: ٤٣.
(٣) سورة القلم آية: ٤٣.
(٤) سورة القلم آية: ٤٣.
(٥) سورة القلم آية: ٤٤.
(٦) سورة القلم آية: ٤٤.
(٧) سورة القلم آية: ٤٤.

[٤٥ - ٤٨] ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾[1]، أصبر على أذاهم لقضاء ربك، ﴿ وَلَا تَكُن ﴾[2]، في الضجر والعجلة، ﴿ كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ﴾[3]، وهو يونس بن متى، ﴿ إِذۡ نَادَىٰ ﴾[4]، ربه وهو في بطـن الحوت، ﴿ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ ﴾[5]، مملوء غما.

[٤٩] ﴿ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ ﴾[6]، أدركه ﴿ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[7]، حين رحمه وتاب عليه، ﴿ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ ﴾[8]، لطرح بالفضاء من بطن الحوت، ﴿ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ ﴾[9]، يذم ويلام بالذنب.

[٥٠ - ٥١] ﴿ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾[10]، اصطفاه، ﴿ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾[11]، وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين فنظروا إليه قوم من قريش، وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه، قال ابن

---

(١) سورة القلم الآيتان : ٤٥ ، ٤٨.
(٢) سورة القلم آية: ٤٨.
(٣) سورة القلم آية: ٤٨.
(٤) سورة القلم آية: ٤٨.
(٥) سورة القلم آية: ٤٨.
(٦) سورة القلم آية: ٤٩.
(٧) سورة القلم آية: ٤٩.
(٨) سورة القلم آية: ٤٩.
(٩) سورة القلم آية: ٤٩.
(١٠) سورة القلم آية: ٥٠.
(١١) سورة القلم الآيتان : ٥٠ ، ٥١.

عباس: معناه ينفذونك، يقال: زلق السهم إذا أنفذ، قال السدي: يصيبونك بعيونهم. قال النضر بن شميل: يعينونك. وقيل: يزيلونك. وقال الكلبي: يصرعونك. وقيل: يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة. قال ابن قتيبة: ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء، يكاد يسقطك. وقال الزجاج: يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن لصرعوك، وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل: نظر إلي نظرا يكاد يصرعني، ونظرا يكاد يأكلني، يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن. وهو قوله: ﴿ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ [1]، وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون إليه النظر بالبغضاء، ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝ ﴾ [2]، أي ينسبونه لجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن.

[٥٢] فقال الله - تعالى -: ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ [3]، يعني القرآن، ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝ ﴾ [4]، قال ابن عباس: موعظة للمؤمنين. قال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية.

---

(١) سورة القلم آية: ٥١.

(٢) سورة القلم آية: ٥١.

(٣) سورة القلم آية: ٥٢.

(٤) سورة القلم آية: ٥٢.

(٦٩) سورة الحاقة

قوله تعالى الحاقة ما الحاقة...

[١] ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ ﴾ [(١)] يعني القيامة سميت حاقة لأنا حقت فلا كاذبة لها. وقيل: لأن فيها حواق الأمور وحقائقها، ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال، أي يجب، يقال: حق عليه الشيء إذا وجب يحق حقوقا.

[٢] ﴿ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ ﴾ [(٢)] هذا استفهام معناه التفخيم لشأنا، كما يقال: زيد ما زيد، على التعظيم لشأنه.

[٣] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ ﴾ [(٣)]، أي أنك لا تعلمها إذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الأهوال.

[٤] ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ ﴾ [(٤)]، قال ابن عباس وقتادة: بالقيامة، سميت قارعة لأنا تقرع قلوب العباد بالمخافة. وقيل: كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بم فقرع قلوبم.

[٥] ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ ﴾ [(٥)]، أي بطغيانم وكفرهم. قيل: هي مصدر، وقيل: نعت، أي بأفعالهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد، كما قال: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ۝١١ ﴾ [(٦)] وقال قتادة: بالصيحة الطاغية، وهي التي جاوزت مقادير الصياح فأهلكتهم.

---

(١) سورة الحاقة آية: ١.
(٢) سورة الحاقة آية: ٢.
(٣) سورة الحاقة آية: ٣.
(٤) سورة الحاقة آية: ٤.
(٥) سورة الحاقة آية: ٥.
(٦) سورة الشمس آية: ١١.

[٦] ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ ﴾ [(١)]، عتت على خزانا فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها.

[٧] ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [(٢)]، أرسلها عليهم. وقـال مقاتل: سلطـها عليهـم.

﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ [(٣)]، قال وهب: هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة. قيل: سميت عجوزا لأنا عجز الشتاء. وقيل: سميت بذلك لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح، فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب.

﴿ حُسُومًا ﴾ [(٤)]، قال مجاهد وقتادة: متتابعة ليس فيها فترة، فعلى هذا هو حسم الكي، وهو أن يتابع على موضع الداء بالمكوة حتى يبرأ، ثم قيل لكل شيء توبع: حاسم، وجمعه حسوم، مثل شاهد وشهود، وقال الكلبي ومقاتل: حسوما دائمة. وقال النضر بن شميل: حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم، والحسم: القطع والمنع ومنه حسم الداء. قال الزجاج: أي تحسمهم حسوما تفنيهم وتذهبهم. وقال عطية: شؤما كأنا حسمت الخير عن أهلها.

﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا ﴾ [(٥)]، أي في تلك الليالي والأيام، ﴿ صَرْعَىٰ ﴾ [(٦)]، هلكى جمع صريع، ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ ﴾ [(٧)]، ساقطة، وقيل: خالية الأجواف.

---

(١) سورة الحاقة آية: ٦.

(٢) سورة الحاقة آية: ٧.

(٣) سورة الحاقة آية: ٧.

(٤) سورة الحاقة آية: ٧.

(٥) سورة الحاقة آية: ٧.

(٦) سورة الحاقة آية: ٧.

(٧) سورة الحاقة آية: ٧.

[٨] ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ ﴾ [١]، أي من نفس باقية يعني لم يبق منهم أحد.

قوله تعالى وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ...

[٩] ﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ ﴾ [٢]، قرأ أهل البصرة والكسائي: بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه، وقرأ الآخرون: بفتح القاف وسكون الباء. أي ومن قبله من الأمم الكافرة، ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ ﴾ [٣]، يعني أي قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات. وقيل: يريد الأمم الذين ائتفكوا بخطيئتهم، ﴿ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ ﴾ [٤]، أي بالخطيئة والمعصية وهي الشرك.

[١٠] ﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ [٥]، يعني لوطا وموسى، ﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ ﴾ [٦]، نامية، قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: شديدة. وقيل: زائدة على عذاب الأمم.

[١١] ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾ [٧]، أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه يعني زمن نوح عليه السلام، ﴿ حَمَلْنَٰكُمْ ﴾ [٨]، أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم، ﴿ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ ﴾ [١]، في السفينة التي تجري في الماء.

(١) سورة الحاقة آية: ٨.
(٢) سورة الحاقة آية: ٩.
(٣) سورة الحاقة آية: ٩.
(٤) سورة الحاقة آية: ٩.
(٥) سورة الحاقة آية: ١٠.
(٦) سورة الحاقة آية: ١٠.
(٧) سورة الحاقة آية: ١١.
(٨) سورة الحاقة آية: ١١.

[١٢] ﴿ لِنَجْعَلَهَا ﴾ [٢]، أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه، ﴿ لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ [٣]، عبرة وعظة ﴿ وَتَعِيَهَآ ﴾ [٤] أي تحفظها، ﴿ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [٥]، أي حافظة لما جاء من عند الله. قال قتادة: أذن سمعت وعقلت ما سمعت. قال الفراء: لتحفظها كل أذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتي بعد.

[١٣] ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [٦]، وهي النفخة الأولى.

[١٤] ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ [٧]، رفعت أماكنها، ﴿ فَدُكَّتَا ﴾ [٨]، كسـرتا، ﴿ دَكَّةً ﴾ [٩] كسرة، ﴿ وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ ﴾ [١٠]، فـصارتا هباء منثورا.

[١٥] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ [١١]، قامت القيامة.

[١٦] ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [١٢]، ضعيفة قال الفراء. وهيها تشققها.

---

(١) سورة الحاقة آية: ١١.
(٢) سورة الحاقة آية: ١٢.
(٣) سورة الحاقة آية: ١٢.
(٤) سورة الحاقة آية: ١٢.
(٥) سورة الحاقة آية: ١٢.
(٦) سورة الحاقة آية: ١٣.
(٧) سورة الحاقة آية: ١٤.
(٨) سورة الحاقة آية: ١٤.
(٩) سورة الحاقة آية: ١٤.
(١٠) سورة الحاقة آية: ١٤.
(١١) سورة الحاقة آية: ١٥.
(١٢) سورة الحاقة آية: ١٦.

[١٧] ﴿ وَٱلۡمَلَكُ ﴾ [(١)]، يـعني الملائكـة، ﴿ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ ﴾ [(٢)]، نواحيها، وأقطارها ما لم ينشق منها، وأحدها رجا وتثنيته رجوان. قال الضحاك: تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فيـ لون فيحيطون بالأرض ومن عليها. ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ ﴾ [(٣)]، أي فوق رءوسهم يعني الـحملة، ﴿ يَوۡمَئِذٖ ﴾ [(٤)]، يوم القيامة، ﴿ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧ ﴾ [(٥)]، أي ثمانية أملاك. وروي عن ابن عباس أنه قال: فوقهم يومئذ ثمانية أي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله.

[١٨] ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ ﴾ [(٦)]، على الله، ﴿ لَا تَخۡفَىٰ ﴾ [(٧)]، قرأ بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨ ﴾ [(٨)]، أي فعلة خافية. قال الكلبي: لا يخفى على الله منكم شيء. قال أبو موسى: يعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله.

[١٩] وذلك قـولـه ﷻ ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ ﴾ [(٩)]، الهاء في ﴿ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ ﴾ [(١٠)] هاء الوقف.

---

(١) سورة الحاقة آية: ١٧.

(٢) سورة الحاقة آية: ١٧.

(٣) سورة الحاقة آية: ١٧.

(٤) سورة الحاقة آية: ١٧.

(٥) سورة الحاقة آية: ١٧.

(٦) سورة الحاقة آية: ١٨.

(٧) سورة الحاقة آية: ١٨.

(٨) سورة الحاقة آية: ١٨.

(٩) سورة الحاقة آية: ١٩.

(١٠) سورة الحاقة آية: ١٩.

[٢٠] ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ ﴾[1]، علمت وأيقنت، ﴿ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ ﴾[2] أي أحاسب في الآخرة.

[٢١] ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ ﴾[3]، يعني حالة من العيش، ﴿ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ ﴾[4]، مرضية.

[٢٢] ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ ﴾[5]، رفيعة.

[٢٣] ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ ﴾[6]، ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطعون كيف شاءوا.

[٢٤] ويقال لهم: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ ﴾[7]، قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة، ﴿ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ ﴾[8]، الماضية يريد أيام الدنيا.

[٢٥] ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ﴾[9]، قال ابن السائب: تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقيل: تـ ع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى

---

(١) سورة الحاقة آية: ٢٠.

(٢) سورة الحاقة آية: ٢٠.

(٣) سورة الحاقة آية: ٢١.

(٤) سورة الحاقة آية: ٢١.

(٥) سورة الحاقة آية: ٢٢.

(٦) سورة الحاقة آية: ٢٣.

(٧) سورة الحاقة آية: ٢٤.

(٨) سورة الحاقة آية: ٢٤.

(٩) سورة الحاقة آية: ٢٥.

كتابه. ﴿ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]، يتمنى أنه لم يؤت كتابه لما يرى فيه من قبائح أعماله.

[٢٦ - ٢٧] ﴿ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2]، يقول: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها، والقاطعة للحياة، فلم أحي بعدها. والقاضية موت لا حياة بعدها، يتمنى أنه لم يبعث للحساب. قال قتادة: يتمنى الموت وإن لم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت.

[٢٨] ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ ﴾[3]، لم يدفع عني من عذاب الله شيئا.

[٢٩] ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ ﴾[4]، ضلت عني حجتي، عن أكثر المفسرين، وقال ابن زيد: زال عني ملكي وقوتي. قال مقاتل: يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك. يقول الله لخزنة جهنم:

[٣٠] ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ﴾[5]، اجمعوا يده إلى عنقه.

[٣١] ﴿ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ﴾[6]، أي أدخلوه الجحيم.

[٣٢] ﴿ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾[7]، فأدخلوه فيها. قال ابن عباس: سبعون ذراعا بذراع الملك، فيدخل في دبره ويخرج من منخره. وقيل: يدخل في فيه ويخرج من دبره.

---

(١) سورة الحاقة آية: ٢٥.
(٢) سورة الحاقة الآيتان : ٢٦ ، ٢٧.
(٣) سورة الحاقة آية: ٢٨.
(٤) سورة الحاقة آية: ٢٩.
(٥) سورة الحاقة آية: ٣٠.
(٦) سورة الحاقة آية: ٣١.
(٧) سورة الحاقة آية: ٣٢.

[٣٣ - ٣٤] ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣٤ ﴾[1]، لا يطعم المسكين في الدنيا ولا يأمر أهله بذلك.

قوله تعالى فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ...

[٣٥] ﴿ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ۝٣٥ ﴾[2]، قريب ينفعه ويشفع له.

[٣٦] ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ۝٣٦ ﴾[3]، وهو صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم. قال الضحاك والربيع: هو شجر يأكله أهل النار.

[٣٧] ﴿ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧ ﴾[4]، أي الكافرون. ٣٨،

[٣٩] ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾[5]، (لا) رد لـكـلام المشركين كأنه قال: ليس كما يقول المشركون أقسم، ﴿ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ ﴾[6]، أي بما ترون وبما لا ترون. قال قتادة: أقسم بالأشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات. وقال: أقسم بالدنيا والآخرة. وقيل: ما تبصرون ما على وجه الأرض وما لا تبصرون ما في بطنها. وقيل: ما تبصرون من الأرواح. وقيل: ما تبصرون: الإنس وما لا تبصرون: الملائكة والجن. وقيل: النعم الظاهرة والباطنة. وقيل: ما تبصرون: ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم، وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحدا.

---

(١) سورة الحاقة الآيتان : ٣٣ ، ٣٤.

(٢) سورة الحاقة آية: ٣٥.

(٣) سورة الحاقة آية: ٣٦.

(٤) سورة الحاقة آية: ٣٧.

(٥) سورة الحاقة آية: ٣٨.

(٦) سورة الحاقة الآيتان : ٣٨ ، ٣٩.

[٤٠] ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ [(١)]، يعني القرآن، ﴿ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ ﴾ [(٢)]، أي تلاوة رسول كريم يعني محمدا ﷺ.

[٤١، ٤٢] ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [(٣)]، قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (يؤمنون، ويذكرون) بالياء فيهما، وقرأ الآخرون: بالتاء، وأراد بالقليل نفي إيمانهم أصلا كقولك لمن لا يزور: قلما تأتينا، وأنت تريد لا تأتينا أصلا.

[٤٣، ٤٤] ﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ ﴾ [(٤)] تخرص واختلق، ﴿ عَلَيۡنَا ﴾ [(٥)]، محمد، ﴿ بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [(٦)]، وأتى بشيء من عند نفسه.

[٤٥] ﴿ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [(٧)]، قيل (من) صلة، مجازه: لأخذناه وانتقمنا منه باليمين أي بالحق، كقوله: (كنتم تأتوننا عن اليمين)، أي من قبل الحق. وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة والقدرة، وقيل: معناه لأخذنا بيده اليمنى، وهو مثل معناه. لأذللناه، وأهناه كالسلطان، إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه، يقول لبعض أعوانه: خذ بيده فأقمه.

(١) سورة الحاقة آية: ٤٠.
(٢) سورة الحاقة آية: ٤٠.
(٣) سورة الحاقة الآيتان : ٤١ ، ٤٢.
(٤) سورة الحاقة الآيتان : ٤٣ ، ٤٤.
(٥) سورة الحاقة آية: ٤٤.
(٦) سورة الحاقة آية: ٤٤.
(٧) سورة الحاقة آية: ٤٥.

[٤٦] ﴿ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ ﴾[1]، قال ابن عباس: أي نياط القلب، وهو قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد: الحبل الذي في الظهر. وقيل: هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

[٤٧] ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ ﴾[2]، مانعين يحجزوننا عن عقوبته، والمعنى: أن محمدا لا يتكلف الكذب لأجلكم، مع علمه بأنه لو تكلمه لعاقبناه، ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه، وإنما قال: ﴿ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ ﴾ [3] بالجمع وهو فعل واحد ردا على معناه كقوله: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾[4].

[٤٨] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾[5]، يعني القرآن، ﴿ لَتَذۡكِرَةٌ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨ ﴾[6]، أي لعظة لمن اتقى عقاب الله.

[٤٩، ٥٠] ﴿ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ﴾[7]، يوم القيامة يندمون على ترك الإيمان به.

[٥١] ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١ ﴾[8]، أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

[٥٢] ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٥٢ ﴾[9].

---

(١) سورة الحاقة آية: ٤٦.
(٢) سورة الحاقة آية: ٤٧.
(٣) سورة الحاقة آية: ٤٧.
(٤) سورة البقرة آية: ٢٨٥.
(٥) سورة الحاقة آية: ٤٨.
(٦) سورة الحاقة آية: ٤٨.
(٧) سورة الحاقة الآيتان : ٤٩ ، ٥٠.
(٨) سورة الحاقة آية: ٥١.
(٩) سورة الحاقة آية: ٥٢.

(٧٠) سورة المعارج

قوله تعالى سَأَلَ سَائِلٌ بعذاب واقع...

[١] ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ ﴾ [(١)]، قرأ أهل المدينة والشام (سال) بغير همز وقرأ الآخرون: بالهمز، فمن همز فهو من السؤال، ومن قرأ بغير همز قيل: هو لغة في السؤال، يقال: سال يسال مثل خاف يخاف، وقيل: هو من السيل، وسال واد من أودية جهنم، يروى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والأول أصح. واختلفوا في الباء في قوله: ﴿ بِعَذَابٖ ﴾ [(٢)]، قيل: هي بمعنى (عن) كقوله: ﴿ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩ ﴾ [(٣)] أي عنه خبيرا، ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب، ﴿ وَاقِعٖ ۝١ ﴾ [(٤)]، نازل كائن على من ينزل، ولمن ذلك العذاب.

[٢] فقال الله مبينا مجيبا لذلك السائل: ﴿ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [(٥)]، وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي ﷺ بالعذاب قال بعضهم لبعض: من أهل العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمدا فسألوه فأنزل الله: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [(٦)] أي هو للكافرين، هذا قول الحسن وقتادة. وقيل: التاء صلة ومعنى الآية: دعا داع وسأل سائل عذابا واقعا للكافرين أي على الكافرين، اللام بمعنى على، وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه

---

(١) سورة المعارج آية: ١.

(٢) سورة المعارج آية: ١.

(٣) سورة الفرقان آية: ٥٩.

(٤) سورة المعارج آية: ١.

(٥) سورة المعارج آية: ٢.

(٦) سورة المعارج الآيتان : ١ ، ٢.

وسأل العذاب، فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، الآية، فـ ل به ما سأل يوم بدر فقتل صبرا. وهذا قول ابن عباس ومجاهد. ﴿ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ ﴾ [1].

[٣] ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [2]، أي بعذاب من الله، ﴿ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ ﴾ [3]، قال ابن عباس: أي ذي السماوات، سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها. وقال سعيد بن جبير: ذي الدرجات. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، ومعارج الملائكة.

[٤] ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ [4]، يعني جبريل عليه السلام، ﴿ إِلَيۡهِ ﴾ [5] أي إلى الله ﷻ ﴿ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ ﴾ [6]، من سني الدنيا. قال عكرمة وقتادة: هو يوم القيامة. وقال الحسن أيضا: هو يوم القيامة. وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا. وقيل: معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل.

[٥] ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ ﴾ [7]، يا محـمد على تكذيبهم، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

[٦، ٧] ﴿ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ ﴾ [1]، يعني العذاب، ﴿ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ ﴾ [2]، لأن ما هو آت قريب وهو يوم القيامة.

---

(١) سورة المعارج آية: ٢.
(٢) سورة المعارج آية: ٣.
(٣) سورة المعارج آية: ٣.
(٤) سورة المعارج آية: ٤.
(٥) سورة المعارج آية: ٤.
(٦) سورة المعارج آية: ٤.
(٧) سورة المعارج آية: ٥.

[٨] ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝ ﴾[3]، كعكر الزيت. وقال الحسن. كالفضة إذا أذيبت.

[٩] ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝ ﴾[4]، كـالـصـوف المصبوغ. ولا يقال عهن إلا للمصبوغ. وقال مقاتل: كالصوف المنفوش.

[١٠] ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝ ﴾[5]، قرأ البزي عن ابن كثير (لا يسأل) بضم الياء أي لا يسأل حميم عن حميم، أي لا يقال له: أين حميمك؟ وقرأ الآخرون: بفتح الياء، أي لا يسأل قريب قريبا لشغله بشأن نفسه.

قوله تعالى يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ...

[١١] ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾[6]، يرونهم وليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسأله، ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه. قال ابن عباس: يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده. وقيل: يبصرونهم يعرفونهم أي يعرف الحميم حميمه حتى يعرفه، ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه. ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ ﴾[7]، يتمنى المشرك، ﴿ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ ﴾[8].

---

(١) سورة المعارج آية: ٦.

(٢) سورة المعارج آية: ٧.

(٣) سورة المعارج آية: ٨.

(٤) سورة المعارج آية: ٩.

(٥) سورة المعارج آية: ١٠.

(٦) سورة المعارج آية: ١١.

(٧) سورة المعارج آية: ١١.

(٨) سورة المعارج آية: ١١.

[١٢ - ١٣] ﴿ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ﴾[١]، عشيرته التي فصل منهم. وقال مجاهد: قبيلته. وقال غيره: أقربائه الأقربين. ﴿ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ ﴾[٢]، أي تضمه ويأوي إليها.

[١٤] ﴿ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ ﴾[٣]، يود لو يفتدي بهم جميعا، ﴿ ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ ﴾[٤]، ذلك الفداء من عذاب الله.

[١٥] ﴿ كَلَّآ ﴾[٥]، لا ينجيه من عذاب الله شيء، ثم ابتدأ فقال: ﴿ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ ﴾[٦]، وهي اسم من أسماء جهنم. وقيل: هي الدركة الثانية، سميت بذلك لأنها تتلظى أي تتلهب.

[١٦] ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ ﴾[٧] وهي الأطراف: اليدان، والرجلان، والأطراف. وقال مجاهد: لجلود الرأس. وروى إبراهيم بن المهاجر عنه: اللحم دون العظام. قال مقاتل: تنزع النار الأطراف فلا تترك لحما ولا جلدا. وقال الضحاك: تنزع الجلد واللحم عن العظام.

[١٧] ﴿ تَدْعُواْ ﴾[٨]، النار إلى نفسها، ﴿ مَنْ أَدْبَرَ ﴾[١]، عـلى الإيمان، ﴿ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ ﴾[٢]، عن الحق فتقول إلي يا مشرك، إلي يا منافق، إلي إلي. قال ابن

(١) سورة المعارج الآيتان : ١٢ ، ١٣.
(٢) سورة المعارج آية: ١٣.
(٣) سورة المعارج آية: ١٤.
(٤) سورة المعارج آية: ١٤.
(٥) سورة المعارج آية: ١٥.
(٦) سورة المعارج آية: ١٥.
(٧) سورة المعارج آية: ١٦.
(٨) سورة المعارج آية: ١٧.

عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب.

[١٨] ﴿ وَجَمَعَ ﴾ (٣)، أي جمع المال، ﴿ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨ ﴾ (٤)، أمسكه في الوعاء ولم يؤد حق الله منه.

[١٩] ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ ﴾ (٥)، روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: الهلوع الحريص على ما لا يحل له. وقال سعيد بن جبير: شحيحا. وقال عكرمة: ضجورا. وقال الضحاك والحسن: بخيلا. وقال قتادة: جزوعا. وقال مقاتل: ضيق القلب. والهلع. شدة الحرص، وقلة الصبر. وقال عطية عن ابن عباس: تفسيره ما بعده.

[٢٠، ٢١] وهو قوله: ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ ﴾ (٦)، يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أصابه المال لم ينفق.

[٢٢] ثم استثنى فقال: ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ﴾ (٧)، استثنى الجمع من الواحد لأن الإنسان في معنى الجمع.

[٢٣] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ ﴾ (٨). يقيمونا في أوقاتا يعني الفرائض.

---

(١) سورة المعارج آية: ١٧.
(٢) سورة المعارج آية: ١٧.
(٣) سورة المعارج آية: ١٨.
(٤) سورة المعارج آية: ١٨.
(٥) سورة المعارج آية: ١٩.
(٦) سورة المعارج الآيتان : ٢٠ ، ٢١.
(٧) سورة المعارج آية: ٢٢.
(٨) سورة المعارج آية: ٢٣.

قوله تعالى وَالذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَق مَعْلُومٌ لِلسائِل وَالْمَحْرُومِ...

[٢٤- ٣٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ ﴾ [١] أي يقومون فيها بالحق ولا يكتمونا ولا يغيرونا.

[٣٤ - ٣٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥ ﴾ [٢].

[٣٦] ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [٣]، أي فما بال الذين كفروا، كقوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ ﴾ [٤]، ﴿ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦ ﴾ [٥]، مسرعين مقبلين إليك مادي أعناقهم ومديمي النظر إليك متطلعين نحوك، نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه، فقال الله - تعالى -: ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون.

[٣٧] ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧ ﴾ [٦]، حلقا وفرقا.

---

(١) سورة المعارج الآيات من ٢٤ : ٣٣.

(٢) سورة المعارج الآيتان : ٣٤ ، ٣٥.

(٣) سورة المعارج آية: ٣٦.

(٤) سورة المدثر آية: ٤٩.

(٥) سورة المعارج آية: ٣٦.

(٦) سورة المعارج آية: ٣٧.

[٣٨] ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨ ﴾[(١)]، قال ابن عباس: معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذب نبي؟

[٣٩] ﴿ كَلَّآ ﴾[(٢)]، لا يدخلها، ثم ابتدأ فقـال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ ﴾[(٣)]، أي من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، نبه الناس على أنم خلقوا من أصل واحد وإنما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة.

[٤٠ - ٤١] ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾[(٤)]، يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه، ﴿ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾[(٥)]، على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١ ﴾[(٦)].

[٤٢] ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ ﴾[(٧)]، فـي باطلهم، ﴿ وَيَلْعَبُواْ ﴾[(٨)]، في دنياهم، ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ ﴾[(٩)]، نسختها آية القتال.

[٤٣] ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾[(١)]، أي القبور، ﴿ سِرَاعًا ﴾[(٢)]، إلى إجابة الداعي، ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ ﴾[(٣)] قرأ ابن عامر وحفص (نصب) بضم النون

---

(١) سورة المعارج آية: ٣٨.
(٢) سورة المعارج آية: ٣٩.
(٣) سورة المعارج آية: ٣٩.
(٤) سورة المعارج آية: ٤٠.
(٥) سورة المعارج الآيتان : ٤٠ ، ٤١.
(٦) سورة المعارج آية: ٤١.
(٧) سورة المعارج آية: ٤٢.
(٨) سورة المعارج آية: ٤٢.
(٩) سورة المعارج آية: ٤٢.

والصاد، وقرأ الآخرون: بفتح النون وسكون الصاد، يعنون إلى شيء منصوب، يقال: فلان نصب عيني. وقال الكلبي: إلى علم وداية. ومن قرأ بالضم قال مقاتل والكسائي: يعني إلى أوثانم التي كانوا يـعبدونا من دون الله. قال الحسن: يسرعون إليها أيهم يستلمها أولا ﴿ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٤]، أي يسرعون.

[٤٤] ﴿ خَٰشِعَةً ﴾[٥]، ذليلة خاصعة ﴿ أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ﴾[٦]، يغشاهم هوان، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٧]، يعني يوم القيامة.

(١) سورة المعارج آية: ٤٣.

(٢) سورة المعارج آية: ٤٣.

(٣) سورة المعارج آية: ٤٣.

(٤) سورة المعارج آية: ٤٣.

(٥) سورة المعارج آية: ٤٤.

(٦) سورة المعارج آية: ٤٤.

(٧) سورة المعارج آية: ٤٤.

(٧١) سورة نوح

قوله تعالى إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك...

[١] ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ ﴾[(١)]، بأن أنذر قومك، ﴿ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ ﴾[(٢)]، المعنى: إنا أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا.

[٢] ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ ﴾[(٣)]، أنذركم وأبين لكم.

[٣ - ٤] ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾[(٤)]، (من) صلة أي يغفر لكم ذنوبكم. وقيل: يعني ما سلف من ذنوبكم إلى وقت الإيمان، وذلك بعض ذنوبهم، ﴿ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾[(٥)]، أن يعافيكم إلى منتهى آجالهم فلا يعاقبكم، ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤ ﴾[(٦)]، يقول آمنوا قبل الموت، تسلموا من العذاب، فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولا يمكنكم الإيمان.

[٥ - ٦] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ ﴾[(٧)]، نفارا وإدبارا عن الإيمان والحق.

[٧] ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ ﴾[(١)]، إلى الإيمان بك، ﴿ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ ﴾[(٢)]، لئلا يسمعوا دعوتي، ﴿ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ ﴾[(٣)]، غطوا بها وجوههم

---

(١) سورة نوح آية: ١.
(٢) سورة نوح آية: ١.
(٣) سورة نوح آية: ٢.
(٤) سورة نوح الآيتان : ٣ ، ٤.
(٥) سورة نوح آية: ٤.
(٦) سورة نوح آية: ٤.
(٧) سورة نوح الآيتان : ٥ ، ٦.

لئلا يروني، ﴿ وَأَصَرُّواْ ﴾(٤)، على كفرهم، ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾(٥)، عن الإيمان بك، ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ﴾(٦).

[٨] ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ﴾(٧)، معلنا: بالدعاء. قال ابن عباس: بأعلى صوتي.

[٩] ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ ﴾(٨)، أي كررت الدعاء معلنا، ﴿ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ ﴾(٩)، قال ابن عباس: يريد الرجل بعد الرجل، أكلمه سرا بيني وبينه، أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك.

قوله تعالى يُرْسِلِ السمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَموَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَناتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنهَارًا...

[١٠ - ١١] ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ ﴾(١٠)، وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أولادهـم وأموالهم ومواشيهم، فقال لهم

---

(١) سورة نوح آية: ٧.

(٢) سورة نوح آية: ٧.

(٣) سورة نوح آية: ٧.

(٤) سورة نوح آية: ٧.

(٥) سورة نوح آية: ٧.

(٦) سورة نوح آية: ٧.

(٧) سورة نوح آية: ٨.

(٨) سورة نوح آية: ٩.

(٩) سورة نوح آية: ٩.

(١٠) سورة نوح الآيتان : ١٠ ، ١١.

نوح: استغفروا ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد، يرسل السماء عليكم مدرارا.

[١٢، ١٣] ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ [(١)]، قال عطاء: يكثر أموالكم وأولادكم ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ ﴾ [(٢)]، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترون لله عظمة. وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته. وقال الكلبي: لا تخافون الله حق عظمته. والرجاء: بمعنى الخوف، والوقار. العفة، اسم من التوقير وهو التعظيم. قال: الحسن: لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة. قال ابن كيسان: ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركـم إياه خيرا.

[١٤] ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ ﴾ [(٣)]، تارات، حال بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق.

[١٥] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [(٤)] قال الحسن: يعني في السماء الدنيا، كـما يقال: أتيت بني تميم وإنما أتى بعضهم، وفلان متوار في دور بني فلان وهو في دار واحدة.

[١٦] ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ ﴾ [(٥)]، مصباحا مضيئا.

---

(١) سورة نوح آية: ١٢.

(٢) سورة نوح الآيتان : ١٢ ، ١٣.

(٣) سورة نوح آية: ١٤.

(٤) سورة نوح الآيتان : ١٥ ، ١٦.

(٥) سورة نوح آية: ١٦.

[١٧] ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾[1] أراد مبدأ خلق أبي البشر آدم خلقه من الأرض، والناس ولده، قوله: (نباتا) اسم جعل في موضع المصدر أي نباتا قال الخليل: مجازه: أنبتكم فنبتم نباتا.

[١٨] ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا ﴾[2]، بعد الموت، ﴿ وَيُخۡرِجُكُمۡ ﴾[3] منها يوم البعث أحياء ﴿ إِخۡرَاجٗا ﴾[4].

[١٩] ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴾[5]، فرشها وبسطها لكم.

[٢٠] ﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾[6]، طرقا واسعة.

[٢١] ﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي ﴾[7]، يعني لم يجيبوا دعوتي، ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴾[8] يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين هم لم يزدهم كثرة المال والولد إلا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة.

[٢٢] ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾[9]، أي كبيرا عظيما، يقال: كبير وكبار، بالتخفيف، وكبار بالتشديد، شدد المبالغة، كلها بمعنى واحد كما يقال: أمر عجيب وعجاب بالتشديد أشد في المبالغة، واختلفوا في مكرهم. قال ابن عباس: قالوا قولا عظيما.

---

(١) سورة نوح آية: ١٧.
(٢) سورة نوح آية: ١٨.
(٣) سورة نوح آية: ١٨.
(٤) سورة نوح آية: ١٨.
(٥) سورة نوح آية: ١٩.
(٦) سورة نوح آية: ٢٠.
(٧) سورة نوح آية: ٢١.
(٨) سورة نوح آية: ٢١.
(٩) سورة نوح آية: ٢٢.

قال الضحاك: افتروا على الله وكذبوا رسله. وقيل. منع الرؤساء أتباعهم عن الإيمان بنوح وحرشوهم على قتله.

[٢٣] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ [(١)] لهم، ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ [(٢)] أي عبادتها ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ﴾ [(٣)] قرأ أهل المدينة بضم الواو والباقون بفتحها، ﴿ وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٤)] هذه أسماء آلهتهم. قال محمد بن كعب: هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بم ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صورتم صورهم كان أنشط لكـم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكـم كانوا يعبدونم فعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بذه الأسماء لأنم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين.

[٢٤] ﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ ﴾ [(٥)]، أي ضل بسبب الأصنـام كثير من النـاس كقوله ﷿ ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ﴾ [(٦)]، وقال مقاتل: أضل كبراؤهم كثيرا من الناس. ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [(٧)]، هذا دعاء عليهم بعدما أعلم

---

(١) سورة نوح آية: ٢٣.
(٢) سورة نوح آية: ٢٣.
(٣) سورة نوح آية: ٢٣.
(٤) سورة نوح آية: ٢٣.
(٥) سورة نوح آية: ٢٤.
(٦) سورة إبراهيم آية: ٣٦.
(٧) سورة نوح آية: ٢٤.

الله نوحا أنم لا يؤمنون، وهو قوله: ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾[1].

[٢٥] ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ ﴾[2]، أي من خطيئاتم، (وما) صلة، وقرأ أبو عمرو (خطاياهم) وكلاهما جمع خطيئة، ﴿ أُغْرِقُوا۟ ﴾[3]، بالطوفان، ﴿ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾[4]، قال الضحاك: هي في حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب، وقال مقاتل: فأدخلوا نارا في الآخرة، ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾[5]، لم يجدوا أحدا يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار.

[٢٦] ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾[6]، أحدا يدور في الأرض فيذهب ويجيء من الدوران، وقال القتيبي: إن أصله من الدار أي نازل دار.

[٢٧] ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ ﴾[7] قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه، ﴿ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[8]، قال محمد بن

(١) سورة هود آية: ٣٦.
(٢) سورة نوح آية: ٢٥.
(٣) سورة نوح آية: ٢٥.
(٤) سورة نوح آية: ٢٥.
(٥) سورة نوح آية: ٢٥.
(٦) سورة نوح آية: ٢٦.
(٧) سورة نوح آية: ٢٧.
(٨) سورة نوح آية: ٢٧.

كعب ومقاتل والربيع وغيرهم: إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم، وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة. وقيل: سبعين سنة، وأخبر الله نوحا أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعاءه، وأهلكهم كلهم.

[٢٨] ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾[(١)]، واسم أبيه لمك بن متوشلخ واسم أمه سمحاء بنت أنوش وكانا مؤمنين، ﴿ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ ﴾[(٢)]، داري ﴿ مُؤْمِنًا ﴾[(٣)]، وقال الضحاك والكلبي: مسجدي. وقيل: سفينتي. ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[(٤)]، هذا عام في كل من آمن بالله وملائكته وصدق الرسل، ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ۝٢٨ ﴾[(٥)]، هلاكا ودمارا فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم.

---

(١) سورة نوح آية: ٢٨.

(٢) سورة نوح آية: ٢٨.

(٣) سورة نوح آية: ٢٨.

(٤) سورة نوح آية: ٢٨.

(٥) سورة نوح آية: ٢٨.

(٧٢) سورة الجن

قوله تعالى قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا...

[١] ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [(١)] وكانوا تسعة من جن نصيبين. وقيل: سبعة، استمعوا قراءة النبي ﷺ ذكرنا خبرهم في سورة الأحقاف. ﴿ فَقَالُوٓاْ ﴾ [(٢)]، لما رجعوا إلى قومهم، ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ ﴾ [(٣)] قال ابن عباس: بليغا أي قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته.

[٢] ﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ [(٤)] يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان، ﴿ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝ ﴾ [(٥)]

[٣] ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [(٦)] جلال ربنا وعظمته، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة، يقال: جد الرجل أي عظم، ومنه قول أنس: إذا كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا، أي عظم قدره، وقال السدي: ﴿ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [(٧)] أي أمر ربنا. وقال الحسن: غنى ربنا. ومنه قيل للجد: حظ، ورجل مجدود. وقال ابن عباس: قدرة ربنا. قال الضحاك: فعله. وقال القرظي: آلاؤه ونعماؤه على خلقه. وقال الأخفش: علا ملك ربنا. ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ ﴾ [(٨)]. قيل: تعالى جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبة وولدا.

---

(١) سورة الجن آية: ١.

(٢) سورة الجن آية: ١.

(٣) سورة الجن آية: ١.

(٤) سورة الجن آية: ٢.

(٥) سورة الجن آية: ٢.

(٦) سورة الجن آية: ٣.

(٧) سورة الجن آية: ٣.

(٨) سورة الجن آية: ٣.

[٤] ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾[١]، هو إبليس، ﴿ عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝ ﴾[٢]، كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد.

[٥] ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ ﴾[٣] حسبنا ﴿ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾[٤] قرأ يعقوب (تقول) بفتح الواو وتشديدها ﴿ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝ ﴾[٥]، أي كنا نظنهم صادقين في قولهم: إن لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن.

[٦] قال الله ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾[٦] وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في الوادي قال: أعوذ بسيد سفهاء قومه، فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح ﴿ فَزَادُوهُمْ ﴾[٧] يعني زاد الإنسان الجن باستعاذتهم بقادتهم ﴿ رَهَقًا ۝ ﴾[٨]، قال ابن عباس: إثما. وقال مجاهد: طغيانا. وقال مقاتل: غيا. وقال الحسن: شرا. وقال إبراهيم: عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا، يقولون: سدنا الجن والإنس، والرهق في كلام العرب الإثم وغشيان المحارم.

---

(١) سورة الجن آية: ٤.
(٢) سورة الجن آية: ٤.
(٣) سورة الجن آية: ٥.
(٤) سورة الجن آية: ٥.
(٥) سورة الجن آية: ٥.
(٦) سورة الجن آية: ٦.
(٧) سورة الجن آية: ٦.
(٨) سورة الجن آية: ٦.

[٧] ﴿ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ ﴾[1]، يقول الله - تعالى -: إن الجن ظنوا، ﴿ كَمَا ظَنَنتُمۡ ﴾[2]، يا معشر الكفار من الإنس ﴿ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ۝٧ ﴾[3]، بعد موته.

[٨] ﴿ وَأَنَّا ﴾[4]، يقول الجن، ﴿ لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾[5]، قال الكلبي: السماء الدنيا، ﴿ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا ﴾[6] من الملائكة ﴿ وَشُهُبٗا ۝٨ ﴾[7]، من النجوم.

[٩] ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا ﴾[8] من السماء، ﴿ مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ ﴾[9] أي كنا نستمع، ﴿ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ۝٩ ﴾[10] أرصد له ليرمي به، قال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون في بعض الأحوال، فلما بعث النبي ﷺ منعوا من ذلك أصلا. ثم قالوا:

---

(١) سورة الجن آية: ٧.
(٢) سورة الجن آية: ٧.
(٣) سورة الجن آية: ٧.
(٤) سورة الجن آية: ٨.
(٥) سورة الجن آية: ٨.
(٦) سورة الجن آية: ٨.
(٧) سورة الجن آية: ٨.
(٨) سورة الجن آية: ٩.
(٩) سورة الجن آية: ٩.
(١٠) سورة الجن آية: ٩.

[١٠] ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1]، برمي الشهب، ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ ﴾[2].

[١١] ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[3] دون الصالحين. ﴿ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ ﴾[4]، أي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة، والقدة: القطعة من الشيء، يقال: صار القوم قددا إذا اختلفت حالاتم، وأصلها من القد وهو القطع، قال مجاهد: يعنون مسلمين وكافرين، وقيل: أهواء مختلفة وقال ابن كيسان: شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كأهواء الناس. وقال سعيد بن جبير: ألوانا شتى. وقال أبو عبيدة: أصنافا.

[١٢] ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ ﴾[5]، علمنا وأيقنا، ﴿ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[6]، أي لن نفوته إن أراد بنا أمرا، ﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢ ﴾[7]، إن طلبنا.

[١٣] ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[8]، القرآن وما أتى به محمد، ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا ﴾[9]، نقصانا من عمله وثوابه، ﴿ وَلَا رَهَقًا ۝١٣ ﴾[10]، ظلما. وقيل: مكروها يغشاه.

---

(١) سورة الجن آية: ١٠.
(٢) سورة الجن آية: ١٠.
(٣) سورة الجن آية: ١١.
(٤) سورة الجن آية: ١١.
(٥) سورة الجن آية: ١٢.
(٦) سورة الجن آية: ١٢.
(٧) سورة الجن آية: ١٢.
(٨) سورة الجن آية: ١٣.
(٩) سورة الجن آية: ١٣.
(١٠) سورة الجن آية: ١٣.

قوله تعالى وَأنا مِنا الْمُسْلِمُونَ وَمِنا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأولئِكَ تَحَروْا رَشَدًا...

[١٤] ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ ﴾[(١)]، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ ﴿ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ﴾[(٢)] الجائرون العادلون عن الحق. قال ابن عباس: الذين جعلوا لله ندا، يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط، وقسط إذا جار فهو قاسط. ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ۝١٤ ﴾[(٣)] أي قصدوا طريق الحق وتوخوه.

[١٥] ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ﴾[(٤)]، الذين كفروا، ﴿ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥ ﴾[(٥)] كانوا وقود النار يوم القيامة.

[١٦] ثـم رجع إلى كفار مكـة فقال: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم ﴾[(٦)]، اختلفوا في تأويلها، فقال قوم. لو استقاموا على طريق الحق والإيمان والهدى فكـانوا مؤمنين مطيعين، ﴿ مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ ﴾[(٧)]، كثيرا، قال مقاتل: وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين. وقالوا: معناه لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا، وضرب الماء الغدق مثلا لأن الخير والرزق كله في المطر، كما قال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن

(١) سورة الجن آية: ١٤.
(٢) سورة الجن آية: ١٤.
(٣) سورة الجن آية: ١٤.
(٤) سورة الجن آية: ١٥.
(٥) سورة الجن آية: ١٥.
(٦) سورة الجن آية: ١٦.
(٧) سورة الجن آية: ١٦.

فَوْقِهِمْ ﴾ (١) الآية. وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (٢) الآية.

[١٧] وقولـه - تعالى -: ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ ﴾ (٣) أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا. وقال آخرون: معناها وأن لو أستقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم كما قال الله: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (٤) الآية.

﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ (٥) قال ابن عباس: شاقا، والمعنى ذا صعيد أي ذا مشقة. قال قتادة. لا راحة فيه. وقال مقاتل: لا فرح فيه. قال الحسن: لا يزداد إلا شدة. والأصل فيه أن الصعود يشق على الإنسان.

[١٨] ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ (٦)، يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكـر الله، ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ (٧) قال قتادة. كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها المساجد كلها. وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها

---

(١) سورة المائدة آية: ٦٦.
(٢) سورة الأعراف آية: ٩٦.
(٣) سورة الجن آية: ١٧.
(٤) سورة الأنعام آية: ٤٤.
(٥) سورة الجن آية: ١٧.
(٦) سورة الجن آية: ١٨.
(٧) سورة الجن آية: ١٨.

مسجدا للنبي ﷺ وقال سعيد بن جبير: قالت الجن للنبي ﷺ كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناءون؟ فنزلت: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ (١)

وروي عن سعيد بن جبير أيضا: أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة: الجبهة واليدان والركبتان والقدمان، يقول: هذه الأعضاء التي تقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره. فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها مسجد بكسر الجيم، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم.

[١٩] ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾ (٢) يعني النبي ﷺ ﴿ يَدۡعُوهُ ﴾ (٣) يعني يعبده ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، ﴿ كَادُواْ ﴾ (٤) يعني الجن، ﴿ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩ ﴾ (٥) أي يركب بعضهم بعضا، ويزدحمون حرصا على استماع القرآن، هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير عنه: هذا من قول النفر الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به، ويطفئوا نور الله فأبى الله ألا أن يتم نوره، ويتم هذا الأمر وينصره على سق ناوأه، وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه وتلبد الشعر إذا تراكـم.

(١) سورة الجن آية: ١٨.
(٢) سورة الجن آية: ١٩.
(٣) سورة الجن آية: ١٩.
(٤) سورة الجن آية: ١٩.
(٥) سورة الجن آية: ١٩.

[٢٠] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى ﴾[(1)]، قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة (قل) على الأمر، قرأ الآخرون (قال) يعني رسول الله ﷺ إنما أدعو ربي، قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك، فقال لهم: إنما أدعو ربي، ﴿ وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾[(2)].

[٢١] ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ﴾[(3)]، لا أقدر أن أدفع عنكم ضررا، ﴿ وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾[(4)] أي لا أسوق لكم أو إليكم رشدا، أي خيرا، يعني أن الله يملكه.

[٢٢] ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ﴾[(5)] لن يمنعني منه أحد عصيته. ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾[(6)] ملجأ أميل إليه. ومعنى الملتحد أي المائل، قال السدي: حرزا. وقال الكلبي: مدخلا في الأرض مثل السرب.

[٢٣] ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ ﴾[(7)] ففيه الجوار والأمن والنجاة، قاله الحسن. قال مقاتل: ذلك الذي يجيرني من عذاب الله، يعني التبليغ. وقال قتادة: إلا بلاغا من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه. وقيل: لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا من الله فإنما أنا مرسل به لا أملك إلا ما ملكت. ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[(8)] ولم يؤمن، ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾[(1)].

---

(١) سورة الجن آية: ٢٠.
(٢) سورة الجن آية: ٢٠.
(٣) سورة الجن آية: ٢١.
(٤) سورة الجن آية: ٢١.
(٥) سورة الجن آية: ٢٢.
(٦) سورة الجن آية: ٢٢.
(٧) سورة الجن آية: ٢٣.
(٨) سورة الجن آية: ٢٣.

[٢٤] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ ﴾ [٢]، يعني العـذاب يـوم القيـامـة، ﴿ فَسَيَعۡلَمُونَ ﴾ [٣] عند نزول العذاب، ﴿ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ٢٤ ﴾ [٤] أهم أم المؤمنين.

[٢٥] ﴿ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ ﴾ [٥]، أي ما أدري، ﴿ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ [٦] من العذاب وقيل. يوم القيامة، ﴿ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥ ﴾ [٧].

[٢٦ - ٢٧] ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [٨] رفع على نعت أجلا وغاية تطول مدتا يعني: أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه إلا الله. قوله (ربي)، وقيل: هو عالم الغيب، ﴿ فَلَا يُظۡهِرُ ﴾ [٩] لا يطلع، ﴿ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ [١٠] إلا من يصطفيه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة التي تخبر عن الغيب، ﴿ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ ﴾ [١١] ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصدا أي يجعل بين يديه وخلفه من الملائكة يحفظونه من

---

(١) سورة الجن آية: ٢٣.
(٢) سورة الجن آية: ٢٤.
(٣) سورة الجن آية: ٢٤.
(٤) سورة الجن آية: ٢٤.
(٥) سورة الجن آية: ٢٥.
(٦) سورة الجن آية: ٢٥.
(٧) سورة الجن آية: ٢٥.
(٨) سورة الجن آية: ٢٦.
(٩) سورة الجن آية: ٢٦.
(١٠) سورة الجن الآيتان : ٢٦ ، ٢٧.
(١١) سورة الجن آية: ٢٧.

الشياطين أن يسترقوا السمع، ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى الكهنة. قال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذره، وإذا جاءه ملك قالوا له: هذا رسول ربك.

[٢٨] ﴿ لِّيَعْلَمَ ﴾ (١) قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء أي ليعلم الناس، ﴿ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ ﴾ (٢) وقرأ الآخرون: بفتح الياء أي ليعلم الرسول أن الملائكـة قد أبلغـوا، ﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ (٣) أي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء، ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨ ﴾ (٤) قال ابن عباس: أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق فلم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل، ونصب (عددا) على الحال، وإن شئت على المصدر، أي عد عددا.

---

(١) سورة الجن آية: ٢٨.

(٢) سورة الجن آية: ٢٨.

(٣) سورة الجن آية: ٢٨.

(٤) سورة الجن آية: ٢٨.

(٧٣) سورة المزمل

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا...﴾

[١] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ [(١)]، أي الملتفف بثوبه، وأصله (المتزمل) أدغمت التاء في الزاي، ومثله (المدثر) أدغمت التاء في الدال، يقال: تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى به. وقال السدي: أراد يا أيها النائم قم فصل قال الحكماء: كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة، ثـم خوطب بعد بالنبي والرسول.

[٢] ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ ﴾ [(٢)] أي للصلاة، (إلا قليلا)، وكان قيام الليل فريضة في الابتداء ثم بين قدره فقال:

[٣] ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ ﴾ [(٣)] إلى الثلث.

[٤] ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ [(٤)] على النصف إلى الثلثين، وخيره بين هذه المنازل، فكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على هذه المقادير، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان، فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ ﴾ [(٥)] الآية، فكان بين أول السورة وآخرها سنة، وقال مقاتل وابن كيسان: كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس، ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝٤ ﴾ [(٦)]، قال ابن عباس:

---

(١) سورة المزمل آية: ١.

(٢) سورة المزمل آية: ٢.

(٣) سورة المزمل آية: ٣.

(٤) سورة المزمل آية: ٤.

(٥) سورة المزمل آية: ٢٠.

(٦) سورة المزمل آية: ٤.

بينه بيانا. قال الحسن: اقرأه قراءة بينة. قال مجاهد: ترسل فيه ترسلا. قال قتادة: تثبت فيه تثبتا. وعن ابن عباس أيضا: اقرأه على هينتك ثلاث آيات أو أربعا أو خمسا.

[٥] ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [١]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: شديدا. قال الحسن: إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل با ثقيل. قال قتادة: ثقيلا هو والله فرائضه وحدوده. قال مقاتل: ثقيل لما فيه من الأمر والنهي والحدود. قال أبو العالية: ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام. وقال محمد بن كعب: ثقيل على المنافقين. قال الحسين بن الفضل: قولا خفيفا على اللسان ثقيلا في الميزان. قال الفراء: ثقيلا ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا. قال ابن زيد: هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة.

[٦] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ [٢] أي ساعاته كلها، وكل ساعة منه ناشئة، سميت بذلك لأنا تنشأ أي تبدو، ومنه نشأت السحابة إذا بدت، وكل ما حدث بالليل وبدأ فقد نشأ فهو ناشئ، والجمع ناشئة. وقال ابن أبي مليكة: سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا: الليل كله ناشئة. وقال سعيد بن جبير وابن زيد: أي ساعة قام من الليل فقد نشأ، وهو بلسان الحبش القيام، يقال: نشأ فلان أي قام. وقالت عائشة: الناشئة القيام بعد النوم. وقال ابن كيسان: هي القيام من آخر الليل. وقال عكرمة. هي القيام من أول الليل. وقال الحسن: كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل. وقال الأزهري: ناشئة الليل قيام الليل، مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو. ﴿ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾ [٣]، قرأ ابن عامر وأبو عمر: وطاء بكسر الواو ممدودا بمعنى المواطأة والموافقة، يقال وطأت فلانا مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان، بالليل تكون أكثر مما يكون

---

(١) سورة المزمل آية: ٥.

(٢) سورة المزمل آية: ٦.

(٣) سورة المزمل آية: ٦.

بالنهار. وقرأ والآخرون: بفتح الواو وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار، لأن الليل للنوم والراحة. وقال قتادة: أثبت في الخير وأحفظ للقراءة. وقال الفراء: أثبت قياما أي أوطأ للقيام وأسهل للمصلي من ساعات النهار، لأن النهار خلق لتصرف العبادة، والليل للخلوة فالعبادة فيه أسهل. وقيل: أشد نشاطا. وقال ابن زيد: أفرغ له قلبا من النهار لأنه لا تعرض فيه حوائج. وقال الحسن: أشد وطأ في الخير وأمنع من الشيطـان. ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝ ﴾ (1) وأصوب قراءة وأصح قولا لهدأة الناس وسكون الأصوات. وقال الكلبي: أبين قولا بالقرآن، وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطا وأتم إخلاصا وأكثر بركة وأبلغ في الثواب.

[٧] ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ۝ ﴾ (2)، أي تصرفا وتقلبا وإقبالا وإدبارا في حوائجك وأشغالك، وأصل السبح سرعة الذهاب، ومنه السباحة في الماء. وقيل: سبحا طويلا أي فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل، وقرأ يحيى بن يعمر (سبخا) بالخاء المعجمة أي استراحة وتخفيفا للبدن.

[٨] ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ (3)، بالتوحيد والتعظيم، ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۝ ﴾ (4)، قال ابن عباس وغيره: أخلص إليه إخلاصا. قال الحسن: اجتهد. وقال ابن زيد: تفرغ لعبادته. وقال سفيان: توكل عليه توكلا. وقيل. انقطع إليه في العبادة انقطاعا، وهو الأصل في الباب، يقال: تبتلت الشيء أي قطعته، والتبتيل: تفعيل، منه يقال: بتلته فتبتل، المعنى: بتل إليه نفسك، ولذلك قال: تبتيلا. قال ابن زيد: التبتل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله - تعالى -.

---

(١) سورة المزمل آية: ٦.

(٢) سورة المزمل آية: ٧.

(٣) سورة المزمل آية: ٨.

(٤) سورة المزمل آية: ٨.

[٩] ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [(١)] أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص (رب) برفع الباء على الابتداء، وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب في قولـه: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ [(٢)]، ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ ﴾ [(٣)]، قيما بأمورك ففوضها إليه.

[١٠] ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ ﴾ [(٤)] نسختها آية القتال.

[١١] ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ ﴾ [(٥)]، نزلت في صناديد قريش المستهزئين. وقال مقاتل بن حيان: نزلت في المطعمين ببدر فلم يكن إلا يسير حتى قتلوا ببدر.

[١٢] ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ ﴾ [(٦)] عـنـدنا فـي الآخـرة، ﴿ أَنكَالًا ﴾ [(٧)]، قيودا عظاما لا تنفك أبدا، واحدها نكل. قال الكلبي: أغلالا من حديد، ﴿ وَجَحِيمًا ۝١٢ ﴾ [(٨)].

[١٣] ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ [(٩)] غير سائغة يأخذ بالحق لا ي ل ولا يخرج وهو الزقوم ﴿ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ ﴾ [(١)].

---

(١) سورة المزمل آية: ٩.
(٢) سورة المزمل آية: ٨.
(٣) سورة المزمل آية: ٩.
(٤) سورة المزمل آية: ١٠.
(٥) سورة المزمل آية: ١١.
(٦) سورة المزمل آية: ١٢.
(٧) سورة المزمل آية: ١٢.
(٨) سورة المزمل آية: ١٢.
(٩) سورة المزمل آية: ١٣.

[١٤] ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ ﴾[2]، أي تتزلزل وتتحرك، ﴿ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤ ﴾[3]، رملا سائلا، قال الكلبي: هو الرمل الذي أخذت منه شيئا تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلا إذا حركت أسفله حتى انال من أعلاه.

[١٥] ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ ﴾[4]

[١٦] ﴿ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ ﴾[5] شديدا ثقيلا، يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوف كفار مكة.

[١٧] ﴿ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ ﴾[6]، أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكـم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة، وقيل: معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة، وبأي شيء تتحصنون منه إذا كفرتم؟ ﴿ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ﴾[7] شمطا من هوله وشدته، وذلك حين يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك.

---

(١) سورة المزمل آية: ١٣.

(٢) سورة المزمل آية: ١٤.

(٣) سورة المزمل آية: ١٤.

(٤) سورة المزمل آية: ١٥.

(٥) سورة المزمل آية: ١٦.

(٦) سورة المزمل آية: ١٧.

(٧) سورة المزمل آية: ١٧.

[١٨] ثم وصف هول ذلك اليوم فقال: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ ﴾ [(١)]، متشقق لنزول الملائكة به أي: بذلك المكان. وقيل: الهاء ترجع إلى الرب أي بأمره وهيبته، ﴿ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨ ﴾ [(٢)]، كائنا.

[١٩] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ [(٣)]، أي آيات القرآن ﴿ تَذۡكِرَةٞۖ ﴾ [(٤)] تذكير وموعظة ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩ ﴾ [(٥)] بالإيمان والطاعة.

قوله تعالى: إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك...

[٢٠] ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ ﴾ [(٦)] أقل ﴿ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾ [(٧)] يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه، ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ ﴾ [(٨)] قال عطاء: يريد لا يفوته علم ما تفعلون، أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل، ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ ﴾ [(٩)] قال الحسن: قاموا حتى انتفخت أقدامهم، فنزل: (علم أن لن تحصوه)، لن تطيقوه. وقال مقاتل: كان الرجل يصلي الليل كله، مخافة ألا يصيب ما أمر به من القيام، فقال: علم أن لن تحصوه:

---

(١) سورة المزمل آية: ١٨.
(٢) سورة المزمل آية: ١٨.
(٣) سورة المزمل آية: ١٩.
(٤) سورة المزمل آية: ١٩.
(٥) سورة المزمل آية: ١٩.
(٦) سورة المزمل آية: ٢٠.
(٧) سورة المزمل آية: ٢٠.
(٨) سورة المزمل آية: ٢٠.
(٩) سورة المزمل آية: ٢٠.

لن تطيقوا معرفة ذلك. ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ [(١)] فعـاد عليكـم بالعفو والتخفيـف، ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [(٢)] يعني في الصلاة، قال الحسن: يعني في صلاة المغرب والعشاء. قال قيس بن حازم: صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة، ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة، ثم ركـع، فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال: إن الله ﷻ يقول. فاقرءوا ما تيسر منه.

قوله ﷻ ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [(٣)]، يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله، ﴿ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)] لا يطيقون قيام الليل، روى إبراهيم عن ابن مسعود قال: أيما رجل جلب شيئا ما إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله به لة الشهداء، ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [(٥)] أي ما تيسر عليكم من القرآن. قال أهل التفسير كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس، وذلك قـوله ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [(٦)]، قال ابن عباس: يريد ما سوى الزكاة من صلة الرحم، وقري الضيف. ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

---

(١) سورة المزمل آية: ٢٠.
(٢) سورة المزمل آية: ٢٠.
(٣) سورة المزمل آية: ٢٠.
(٤) سورة المزمل آية: ٢٠.
(٥) سورة المزمل آية: ٢٠.
(٦) سورة المزمل آية: ٢٠.

عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرًا ﴾[1]، تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتم، ﴿ وَأَعۡظَمَ أَجۡرًاۚ ﴾[2]، من الذي أخرتم، ولم تقدموه ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ ﴾[3] لذنوبكم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠ ﴾[4].

---

(١) سورة المزمل آية: ٢٠.

(٢) سورة المزمل آية: ٢٠.

(٣) سورة المزمل آية: ٢٠.

(٤) سورة المزمل آية: ٢٠.

(٧٤) سورة المدثر

قوله تعالى ﴿يَا أَيهَا الْمُدثرُ قُمْ فَأَنذِرْ...﴾

[١ - ٢] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ [(١)] أي أنذر كفار مكة.

[٣] ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾ [(٢)] أي عظمه عما يقوله عبدة الأوثان.

[٤] ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ [(٣)]، قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهر من الذنب، فكنى عن النفس بالثوب، وهو قول إبراهيم والضحاك والشعبي والزهري. وقال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ [(٤)] فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدر. وروى أبو روق عن الضحاك معناه: وعملك فأصلح. قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحا إنه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجرا إنه لخبيث الثياب. وقال سعيد بن جبير: وقلبك ونيتك فطهر. وقال الحسن والقرظي: وخلقك فحسن. وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها، وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابم. وقال طاوس: وثيابك فقصر لأن تقصير الثياب طهرة لها.

[٥] ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ [(٥)] المراد بالرجز الأوثان، قال: فاهجرها ولا تقربا. وقيل: الزاي فيه منقلبة عن السين، والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجهما، ودليل هذا التأويل قوله: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ ﴾ [(٦)]، وروي عن ابن عباس أن معناه. اترك المآثم. وقال أبو العالية والربيع: الرجز بضم الراء الصنم، وبالكسر النجاسة

---

(١) سورة المدثر الآيتان : ١ ، ٢.

(٢) سورة المدثر آية: ٣.

(٣) سورة المدثر آية: ٤.

(٤) سورة المدثر آية: ٤.

(٥) سورة المدثر آية: ٥.

(٦) سورة الحج آية: ٣٠.

والمعصية. قال الضحاك: يعني الشرك. وقال الكلبي: يعني العذاب، ومجاز الآية: اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال.

[٦] ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ [1]، أي لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه، وهذا قول أكثر المفسرين. وقال قتادة: لا تعط شيئا طمعا لمازاة الدنيا، يعني أعط لربك وأرد به الله. وقال الحسن: معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره، قال الربيع: لا يكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل. وروى خصيف عن مجاهد: ولا تضعف أن تستكثر من الخير، من قولهم: حبل منين إذا كان ضعيفا، دليله قراءة ابن مسعود (ولا تمنن أن تستكثر من الخير)، وقال ابن زيد معناه: لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجرا أو عرضا من الدنيا.

[٧] ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ [2] قيل: فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله. وقال مجاهد: فاصبر لله على ما أوذيت فيه. وقال ابن زيد. معناه حملت أمرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عز وجل. وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله.

[٨] ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ [3] أي نفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل يعني النفخة الثانية.

[٩] ﴿ فَذَلِكَ ﴾ [4] أي النفخ في الصور، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ [1] يعني يوم القيامة، ﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ [2] شديد. ١٠) ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [3] يعسر فيه الأمر عليهم، ﴿ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [4]، غير هين.

(١) سورة المدثر آية: ٦.
(٢) سورة المدثر آية: ٧.
(٣) سورة المدثر آية: ٨.
(٤) سورة المدثر آية: ٩.

[١١] قوله ﷻ ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [5] أي خلقته في بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد، نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي كان يسمى الوحيد في قومه.

[١٢] ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالاً مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ ﴾ [6] أي كثيرا. قيل: هو ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة.

[١٣] ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ ﴾ [7] حضورا بمكة لا يغيبون عنه وكانوا عشرة، قاله مجاهد وقتادة. وقال مقاتل: كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس، أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة.

[١٤] ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ﴾ [8]، أي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا. وقال الكلبي: يعني المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش.

[١٥] ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ ﴾ [9] يرجو، ﴿ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾ [10]، أي أن أزيده مالا، وولدا، وتمهيدا.

---

(١) سورة المدثر آية: ٩.
(٢) سورة المدثر آية: ٩.
(٣) سورة المدثر آية: ١٠.
(٤) سورة المدثر آية: ١٠.
(٥) سورة المدثر آية: ١١.
(٦) سورة المدثر آية: ١٢.
(٧) سورة المدثر آية: ١٣.
(٨) سورة المدثر آية: ١٤.
(٩) سورة المدثر آية: ١٥.
(١٠) سورة المدثر آية: ١٥.

[١٦] ﴿ كَلَّآ ﴾ (١) لا أفعل ولا أزيده، قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ ﴾ (٢)، معاندا.

[١٧] ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾ (٣) سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها.

قوله تعالى إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُم قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ...

[١٨] ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ ﴾ (٤) في محمد والقرآن ﴿ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٥) في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن.

[١٩] ﴿ فَقُتِلَ ﴾ (٦)، لعن، وقال الزهري: عذب، ﴿ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٧) على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ. ٢٠ ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٨)، كرره للتأكيد، وقيل: معناه لعن على أي حال قدر من الكلام، كما يقال لأضربنه كيف صنع أي على أي حال صنع.

[٢١] ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٩)، في طلب ما يدفع به القرآن ويرده.

[٢٢] ﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١)، كلح وقطب وجهه ونظر بكراهية شديدة كالمهتم المتفكر في شيء.

---

(١) سورة المدثر آية: ١٦.
(٢) سورة المدثر آية: ١٦.
(٣) سورة المدثر آية: ١٧.
(٤) سورة المدثر آية: ١٨.
(٥) سورة المدثر آية: ١٨.
(٦) سورة المدثر آية: ١٩.
(٧) سورة المدثر آية: ١٩.
(٨) سورة المدثر آية: ٢٠.
(٩) سورة المدثر آية: ٢١.

[٢٣] ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ ﴾ [٢]، عن الإيمان ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٣] تكبر حين دعي إليه.

[٢٤] ﴿ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ ﴾ [٤] ما هذا الذي يقرأه محمد، ﴿ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٥]، يروى ويحكى عن السحرة.

[٢٥] ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٦] يعني يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما. وقيل: يرويه عن مسلمة صاحب اليمامة.

[٢٦] قال الله - تعالى -: ﴿ سَأُصْلِيهِ ﴾ [٧] سأدخله ﴿ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٨]، وسقر اسم من أسماء جهنم.

[٢٧، ٢٨] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [٩] أي لا تبقي ولا تذر فيها شيئا إلا أكلته وأهلكته. وقال مجاهد: لا تميت ولا تحيي يعني لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا، كلما احترقوا جددوا. وقال السدي: لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما. وقال الضحاك: إذا أخذت فيهم لم تبق منهم شيئا وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم، ولكل شيء ملالة وفترة إلا جهنم.

---

(١) سورة المدثر آية: ٢٢.
(٢) سورة المدثر آية: ٢٣.
(٣) سورة المدثر آية: ٢٣.
(٤) سورة المدثر آية: ٢٤.
(٥) سورة المدثر آية: ٢٤.
(٦) سورة المدثر آية: ٢٥.
(٧) سورة المدثر آية: ٢٦.
(٨) سورة المدثر آية: ٢٦.
(٩) سورة المدثر الآيتان : ٢٧ ، ٢٨.

[٢٩] ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ [١]، مغيرة للجلد حتى تجعله أسود، يقال: لاحة السقم والحزن إذ غيره، قال مجاهد: تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل. وقال ابن عباس وزيد بن أسلم: محرقة للجلد. وقال الحسن وابن كيسان: تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا.

[٣٠] ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [٢]، أي على النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر.

[٣١] ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ [٣]، لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة؟ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ ﴾ [٤] أي عددهم في القلة، ﴿ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [٥]، أي ضلالة لهم ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [٦]، لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر، ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [٧]، يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد ﷺ إذا وجدوا ما قاله موافقا لما في كتبهم، ﴿ وَلَا يَرْتَابَ ﴾ [٨] لا يشك، ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٩] في عـددهـم، ﴿

(١) سورة المدثر آية: ٢٩.
(٢) سورة المدثر آية: ٣٠.
(٣) سورة المدثر آية: ٣١.
(٤) سورة المدثر آية: ٣١.
(٥) سورة المدثر آية: ٣١.
(٦) سورة المدثر آية: ٣١.
(٧) سورة المدثر آية: ٣١.
(٨) سورة المدثر آية: ٣١.
(٩) سورة المدثر آية: ٣١.

﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[1]، شك ونفاق، ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2] مشركو مكة ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ ﴾[3] أي شيء أراد بذا الحديث. " وأراد بالمثل الحديث نفسه ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾[4]. أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق، كذلك ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾[5]، قال مقاتل: هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلا تسعة؟ قال عطاء: وما يعلم جنود ربك إلا هو يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتم إلا الله والمعنى أن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعـلمهم إلا الله ﷻ ثم رجع إلى ذكر سقر فقال: ﴿ وَمَا هِيَ ﴾[6]، يعني النار، ﴿ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ۝٣١ ﴾[7]، إلا تذكرة وموعظة للناس.

[٣٢] ﴿ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ۝٣٢ ﴾[8]، هذا قسم يقول حقا.

[٣٣] ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ ﴾[9] دبر الليل وأدبر إذا ولى ذاهبا.

[٣٤] ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤ ﴾[10]، أضاء وتبين.

---

(١) سورة المدثر آية: ٣١.
(٢) سورة المدثر آية: ٣١.
(٣) سورة المدثر آية: ٣١.
(٤) سورة المدثر آية: ٣١.
(٥) سورة المدثر آية: ٣١.
(٦) سورة المدثر آية: ٣١.
(٧) سورة المدثر آية: ٣١.
(٨) سورة المدثر آية: ٣٢.
(٩) سورة المدثر آية: ٣٣.
(١٠) سورة المدثر آية: ٣٤.

[٣٥] ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ ﴾ [1]، يعني أن سقر لإحدى الأمور العظام، وواحد الكبر كبرى، قال مقاتل والكلبي: أراد بالكبر كانت جهنم وهي سبعة: جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية.

[٣٦] ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ ﴾ [2] يعني النار نذيرا للبشر. قال الحسن: والله ما أنذر الله بشي أدهى منها.

[٣٧] ﴿ لِمَن شَآءَ ﴾ [3]، بدل من قوله للبشر ﴿ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ ﴾ [4]، في الخير والطاعة،، ﴿ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧ ﴾ [5]، عنها في الشر والمعصية، المعنى: أن الإنذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر.

قوله تعالى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ...

[٣٨] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ ﴾ [6] مرتهنة في النار بكسبها مأخوذة بعملها.

[٣٩] ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ ﴾ [7] فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم. قال قتادة علق الناس كـلهم إلا أصحاب اليمين. واختلفوا فيهم روي عن علي ﷺ أنهم أطفال المسلمين وروى أبو ظبيان عن ابن عباس: هم الملائكة. وقال مقاتل: هم أصحاب الجنة الذين كانوا على يمين أدم يوم الميثاق، حين قال الله لهم: (هؤلاء

---

(١) سورة المدثر آية: ٣٥.

(٢) سورة المدثر آية: ٣٦.

(٣) سورة المدثر آية: ٣٧.

(٤) سورة المدثر آية: ٣٧.

(٥) سورة المدثر آية: ٣٧.

(٦) سورة المدثر آية: ٣٨.

(٧) سورة المدثر آية: ٣٩.

في الجنة ولا أبالي) وعنه أيضا: هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم، وعنه أيضا: هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم. وقال الحسن: هم المسلمون المخلصون. وقال القاسم: كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من اعتمد على الفضل، وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به، ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به.

[٤٠، ٤١] ﴿ فِي جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ ﴾ [١] المشركين.

[٤٢] ﴿ مَا سَلَكَكُمْ ﴾ [٢] أدخلكم، ﴿ فِي سَقَرَ ۝ ﴾ [٣]، فأجابوا.

[٤٣] ﴿ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ﴾ [٤]، لله.

[٤٤-٤٧] ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ ﴾ [٥]، في الباطل، ﴿ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝ ﴾ [٦] وهو الموت.

[٤٨] قال الله ﷻ ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ۝ ﴾ [٧] قال ابن مسعود: تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين، فلا يبقى في النار إلا أربعة، ثم تلا: ﴿ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ﴾ [٨] إلى قوله: ﴿ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ [٩]، قال عمران بن الحصين: الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون.

(١) سورة المدثر الآيتان : ٤٠ ، ٤١.
(٢) سورة المدثر آية: ٤٢.
(٣) سورة المدثر آية: ٤٢.
(٤) سورة المدثر آية: ٤٣.
(٥) سورة المدثر الآيتان : ٤٤ ، ٤٥.
(٦) سورة المدثر الآيات من ٤٥ : ٤٧.
(٧) سورة المدثر آية: ٤٨.
(٨) سورة المدثر آية: ٤٣.
(٩) سورة المدثر آية: ٤٦.

[٤٩] ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[(١)]، عن مواعظ القرآن معرضين نصب على الحال، وقيل صاروا معرضين.

[٥٠] ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ ﴾[(٢)]، جمع حمار، ﴿ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[(٣)]، قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها، فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة، ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة، يقال: نفر واستنفر بمعنى واحد، كـما يقال عجب واستعجب.

[٥١] ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾[(٤)]، قال مجاهد وقتادة والضحاك: القسورة جماعة الرماة لا واحد لها من لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير: هم القناص وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال زيد بن أسلم: من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة. وعن أبي المتوكل قال: هي لغط القوم وأصواتم. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هي حبال الصيادين. وقال أبو هريرة: هي الأسد، وهو قول عطاء والكلبي وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركين إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه. قال عكرمة: هي ظلمة الليل، ويقال لسواد أول الليل قسورة.

[٥٢] ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾[(٥)] قال المفسرون: إن كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك لرسوله نؤمر فيه باتباعك. قال الكلبي: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن الرجل

---

(١) سورة المدثر آية: ٤٩.
(٢) سورة المدثر آية: ٥٠.
(٣) سورة المدثر آية: ٥٠.
(٤) سورة المدثر آية: ٥١.
(٥) سورة المدثر آية: ٥٢.

من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبا عند رأسه ذنبه وكفارته، فأتنا بمثل ذلك، والصحف الكتب وهي جمع الصحيفة ومنشرة منشورة.

[٥٣] فقال الله - تعالى -: ﴿ كَلَّا ۖ ﴾ [١]، لا يؤتون الصحف. وقيل: حقا وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه ﴿ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [٢]، أي لا يخافون عذاب الآخرة، والمعنى أنم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة.

[٥٤] ﴿ كَلَّآ ﴾ [٣] حقا ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ [٤] يعني القرآن ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [٥] موعظة.

[٥٥] ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ ﴾ [٦] اتعظ به.

[٥٦] ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ ﴾ [٧] قرأ نافــع ويعقوب: تذكرون بالتاء والآخرون بالياء، ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [٨]، قال مقاتل: إلا أن يشاء الله لهم الهدى. ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٩]، أي أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه.

(١) سورة المدثر آية: ٥٣.
(٢) سورة المدثر آية: ٥٣.
(٣) سورة المدثر آية: ٥٤.
(٤) سورة المدثر آية: ٥٤.
(٥) سورة المدثر آية: ٥٤.
(٦) سورة المدثر آية: ٥٥.
(٧) سورة المدثر آية: ٥٦.
(٨) سورة المدثر آية: ٥٦.
(٩) سورة المدثر آية: ٥٦.

(٧٥) سورة القيامة

قوله تعالى لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ...

[١] ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ ۝١ ﴾ [(١)] قرأ القواس عن ابن كثير (لأقسم) الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة.

[٢] ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ [(٢)] بالألف، وكذلك قرأ عبد الرحمن الأعرج، على معنى أنه أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة، والصحيح أنه أقسم بما جميعا و (لا) صلة فيهما أي أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة. وقال أبو بكر بن عياش: هو تأكيد كقولك لا والله. وقال الفراء: (لا) رد لكلام المشركين المنكرين، ثم ابتدأ فقال: أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ [(٣)] قال سعيد بن جبير وعكرمة: تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء. قال قتادة: اللوامة: الفاجرة. قال مجاهد: تندم على ما فات وتقول: لو فعلت ولم أفعل. قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن صانت عملت خيرا قالت: هلا ازددت، وإن عملت شرا قالت: ليتني لم أفعل. قال الحسن: هي النفس المؤمنة قال: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي ما أردت بكلامي. وإن الفاجر يمضي قدما، يحاسب نفسه ولا يعاتبها. قال مقاتل: هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا.

[٣] ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَـٰنُ ﴾ [(٤)] يعني الكافر ﴿ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ ﴾ [(١)]، بعد التفرق والبلى فنحييه، قيل: ذكر العظام، وأراد نفسه لأن العظام قالب النفس لا يستوي

---

(١) سورة القيامة آية: ١.

(٢) سورة القيامة آية: ٢.

(٣) سورة القيامة آية: ٢.

(٤) سورة القيامة آية: ٣.

الخلق إلا باستوائها. وقيل: هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقـوله: ﴿ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ ﴾ (٢).

[٤] ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ ﴾ (٣) أي نقدر يريد بل قادرين على أكثر من ذا، مجاز الآية: بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو: ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾ (٤) أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار، فلا يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة وغيرها، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الزجاج وابن قتيبة: معناه ظن الكـافر أنا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها فنؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر.

[٥] ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ ﴾ (٥)، يقول: لا جهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قدما في معاصي الله ما عاش راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي. وقال سعيد بن جبير: ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول: سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله. وقال الضحاك: هو الأمل يقول: أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وأصل الفجور الميل وسمي الفاسق والكافر فاجرا لميله عن الحق.

---

(١) سورة القيامة آية: ٣.
(٢) سورة يس آية: ٧٨.
(٣) سورة القيامة آية: ٤.
(٤) سورة القيامة آية: ٤.
(٥) سورة القيامة آية: ٥.

[٦] ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦ ﴾ [(١)] أي متى يكون ذلك، تكذيبا به.

[٧] قال الله - تعالى -: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ ﴾ [(٢)]، قال قتادة ومقاتل: شخـص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. قيل: ذلك عند الموت. وقال الكلبي: عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار. وقال الفراء والخليل: برق بالكسر أي فزع وتحير لما يرى من العجائب، وبرق بالفتح أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ.

[٨] ﴿ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ ﴾ [(٣)]، أظلم وذهب نوره وضوءه.

[٩] ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ ﴾ [(٤)] صارا أسودين مكورين كأنما ثوران عقيران. وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء. وقال كعطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى. وقيل: يجمعان ثم يقذفان في النار. وقيل: يجمعان فيطلعان من المغرب.

[١٠] ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ [(٥)] أي الكافر المكذب ﴿ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ ﴾ [(٦)] أي المهرب وهو موضع الفرار. وقيل: هو مصدر أي أين الفرار.

[١١] قال الله - تعالى -: ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ ﴾ [(١)]، لا حصن ولا حرز ولا ملجأ. وقال السدي: لا جبل وكانوا إذا فزعوا لجئوا إلى الجبل فتحصنوا به. وقال - تعالى -: لا جـبل يومئذ يمنعهم.

---

(١) سورة القيامة آية: ٦.
(٢) سورة القيامة آية: ٧.
(٣) سورة القيامة آية: ٨.
(٤) سورة القيامة آية: ٩.
(٥) سورة القيامة آية: ١٠.
(٦) سورة القيامة آية: ١٠.

[١٢] ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ [٢] أي مستقر الخلق. وقال عبد الله بن مسعود: المصير والمرجع نظيره قـوله – تعـالى -. ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ [٣]، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [٤] وقال السـدى: المنتهى نظـيره: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٥].

[١٣] ﴿ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾ [٦] قال ابن مسعود وابن عباس: بما قدم قبل الموت من عمل صالح وسيئ، وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل با. وقال عطية عن ابن عباس: بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة. وقال قتادة: بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه. وقال مجاهد: بأول عمله وآخره. وقال عطاء: قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره. وقال زيد بن أسلم بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلفه للورثة.

[١٤] ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [٧] قال عكرمة ومقاتل والكلبى: معناه بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله، وهي سمعه وبصره وجوارحه، ودخل الهاء في البصيرة لأن المراد بالإنسان هنا جوارحه، ويحتمل أن يكون معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة، يعني لجوارحه، فحذف حرف الـجر

---

(١) سورة القيامة آية: ١١.

(٢) سورة القيامة آية: ١٢.

(٣) سورة العلق آية: ٨.

(٤) سورة آل عمران آية: ٢٨.

(٥) سورة النجم آية: ٤٢.

(٦) سورة القيامة آية: ١٣.

(٧) سورة القيامة آية: ١٤.

كقـوله: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ ﴾ [1] أي لأولادكـم، ويجوز أن يكون نعتا لاسم مؤنث، أي بل الإنسان على نفسه عين بصيرة. وقال أبو العالية وعطاء: بل الإنسان على نفسه شاهد وهي رواية العوفي عن ابن عباس. والهاء في بصيرة للمبالغة، دليل هذا التأويل قوله ﷻ ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [2].

[١٥] ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [3] يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه، كما قال ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ [4]. وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء. قال الفراء: ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره، ومعنى الإلقاء: القول كـما قال: ﴿ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [5]. وقال الضحاك والسدي: ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [6] يعني ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب، وأهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير، ومعناه على هذا القول: وإن أسبل الستر ليخفي ما كان يعمل فإن نفسه شاهدة عليه.

[١٦] وقوله ﷻ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ [7]، ﴿ كان رسول الله ﷺ إذ نزل جبريل بالوحي كان يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه ﴾ [1] فأنزل الله ﷻ هذه الآية [2]

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٣٣.

(٢) سورة الإسراء آية: ١٤.

(٣) سورة القيامة آية: ١٥.

(٤) سورة غافر آية: ٥٢.

(٥) سورة النحل آية: ٨٦.

(٦) سورة القيامة آية: ١٥.

(٧) سورة القيامة آية: ١٦.

[١٧] ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾[٣]، قال: علينا أن نجمعه في صدرك، وقرآنه.

[١٨] ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾[٤]، فإذا أنزلناه فاستمع.

[١٩] ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾[٥]، علينا أن نبينه بلسانك، ﴿ وكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ﷻ. ﴾[٦]

قوله تعالى كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ...

[٢٠ - ٢١] ﴿ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾[٧] أي يختارون الدنيا على العقبى ويعملون لها يعني كفار مكة.

[٢٢ - ٢٣] ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ ﴾[٨]، يوم القيامة ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾[٩] قال ابن عباس: حسنة، وقال مجاهد: مسرورة. وقال ابن زيد: ناعمة. وقال مقاتل: بيض يعلوها النور. وقال السدي: مضيئة. وقال يمان: مسفرة. وقال الفراء: مشرقة بالنعيم. يقال: نضر الله وجهه ينضر نضرا، ونضره الله، وأنضره، ونضر وجهه، ينضر، نضرة، ونضارة. قال

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٦٤٥)،مسلم الصلاة (٤٤٨)،الترمذي تفسير القرآن (٣٣٢٩)،النسائي الافتتاح (٩٣٥)،أحمد (٣٤٣/١).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير (٦٨٢/٨)، ومسلم في الصلاة رقم (٤٤٨) (٢٣٠/١).

(٣) سورة القيامة آية: ١٧.

(٤) سورة القيامة آية: ١٨.

(٥) سورة القيامة آية: ١٩.

(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٦٤٥)،مسلم الصلاة (٤٤٨)،الترمذي تفسير القرآن (٣٣٢٩)،النسائي الافتتاح (٩٣٥)،أحمد (٣٤٣/١).

(٧) سورة القيامة الآيتان : ٢٠ ، ٢١.

(٨) سورة القيامة آية: ٢٢.

(٩) سورة القيامة آية: ٢٢.

الله - تعالى -: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [1]، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [2]، قال ابن عباس وأكثر الناس: تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب. قال الحسن: تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق.

[٢٤] ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ [3]، عابسة كالحة مغبرة مسودة.

[٢٥] ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [4]، تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب، والفاقرة: الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فقار الظهر. قال سعيد بن المسيب: قاصمة الظهر. قال ابن زيد: هي دخول النار. وقال الكلبي: هي أن يحتجب عن رؤية الرب عز وجل.

[٢٦] ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ﴾ [5]، يعني النفس كناية عن غير مذكور، ﴿ التَّرَاقِيَ ﴾ [6]، فحشرج بها عند الموت، والتراقي جمع الترقوة، وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف على الموت.

[٢٧] ﴿ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴾ [7]، أي قال من حضره الموت: هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته أو دوائه، وقال قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا. وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان: هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض: من يرقى بروحه فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

---

(١) سورة المطففين آية: ٢٤.
(٢) سورة القيامة آية: ٢٣.
(٣) سورة القيامة آية: ٢٤.
(٤) سورة القيامة آية: ٢٥.
(٥) سورة القيامة آية: ٢٦.
(٦) سورة القيامة آية: ٢٦.
(٧) سورة القيامة آية: ٢٧.

[٢٨] ﴿ وَظَنَّ ﴾[١]، أيقن الذين بلغت روحه التراقي، ﴿ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ۝٢٨ ﴾[٢]، من الدنيا.

[٢٩] ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ ﴾[٣]، قال قتادة: الشدة بالشدة. قال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة. قال سعيد بن جبير: تتابعت عليه الشدائد. قال السدي: لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه. قال ابن عباس: أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقال مجاهد: اجتمع فيه الحياة والموت، وقال الضحاك: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه. وقال الحسن: هما ساقاه إذا التفا في الكفن. وقال الشعبي: هما ساقاه إذا التفا عند الموت.

[٣٠] ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠ ﴾[٤]، أي مرجع العباد إلى الله يساقون إليه.

[٣١] ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ ﴾[٥]، يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولا صلى لله.

[٣٢] ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ﴾[٦]، عن الإيمان.

[٣٣] ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾[٧]، رجـع إليهم، ﴿ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣ ﴾[٨]، يتبختر ويختال في مشيه، قيل: أصله يتمطط أي يتمدد، والمط هو المد.

---

(١) سورة القيامة آية: ٢٨.

(٢) سورة القيامة آية: ٢٨.

(٣) سورة القيامة آية: ٢٩.

(٤) سورة القيامة آية: ٣٠.

(٥) سورة القيامة آية: ٣١.

(٦) سورة القيامة آية: ٣٢.

(٧) سورة القيامة آية: ٣٣.

(٨) سورة القيامة آية: ٣٣.

[٣٤ - ٣٥] ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ﴾ [(١)] هذا وعيد على وعيد من الله ﷻ لأبي جهل، وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد. وقال بعض العلماء: معناه إنك أجدر بذا العذاب وأحق وأولى به، تقال للرجل حيث يصيبه مكروه يستوجبه. وقيل: هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه. وأصلها من الولي وهو القرب، قال الله - تعالى -: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾ [(٢)].

[٣٦] ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ ﴾ [(٣)] هملا لا يؤمر ولا ينهى، قال السدي: معناه المهمل وإبل سدى إذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع.

[٣٧] ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝ ﴾ [(٤)] تصب في الرحم، قرأ حفص عن عاصم: (يمنى) بالياء وهي قراءة الحسن، وقرأ الآخرون: بالتاء لأجل النطفة.

[٣٨] ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ ﴾ [(٥)]، فجعل فيه الروح وسوف خلقه.

[٣٩] ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝ ﴾ [(٦)]، وخلق من مائة أولادا ذكورا وإناثا.

[٤٠] ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ ﴾ [(٧)]، الذي فعـل هـذا، ﴿ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝ ﴾ [(٨)].

---

(١) سورة القيامة الآيتان : ٣٤ ، ٣٥.
(٢) سورة التوبة آية: ١٢٣.
(٣) سورة القيامة آية: ٣٦.
(٤) سورة القيامة آية: ٣٧.
(٥) سورة القيامة آية: ٣٨.
(٦) سورة القيامة آية: ٣٩.
(٧) سورة القيامة آية: ٤٠.
(٨) سورة القيامة آية: ٤٠.

(٧٦) سورة الإنسان

قوله تعالى هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا...

[١] ﴿ هَلۡ أَتَىٰ ﴾ [(١)]، قد أتى، ﴿ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾ [(٢)]، يعني آدم عليه السلام، ﴿ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾ [(٣)] قبل أن ينفخ فيه الروح، ﴿ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ ﴾ [(٤)] لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، يريد: كان شيئا ولم يكن مذكورا، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح.

[٢] ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ [(٥)] يعني ولد آدم، ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ ﴾ [(٦)] يعني مني الرجل ومني المرأة. ﴿ أَمۡشَاجٖ ﴾ [(٧)]، أخلاط واحدها مشج ومشيج، مثل خدن وخدين، قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع: يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد، وقال الضحاك: أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء، وقال يمان: كل لونين اختلطا فهو أمشاج، وقال قتادة: هي أطوار الخلق: نطفة، ثم علقة ثم مضغة، ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر. ﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ [(٨)] نختبره بالأمر والنهي، ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا

---

(١) سورة الإنسان آية: ١.
(٢) سورة الإنسان آية: ١.
(٣) سورة الإنسان آية: ١.
(٤) سورة الإنسان آية: ١.
(٥) سورة الإنسان آية: ٢.
(٦) سورة الإنسان آية: ٢.
(٧) سورة الإنسان آية: ٢.
(٨) سورة الإنسان آية: ٢.

﴿ بَصِيرًا ۝٢ ﴾[1]، قال بعض أهل العربية: وفيه تقديم وتأخير، مجازه: فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه، لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة.

[٣] ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾[2] أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر. ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾[3]، إما مؤمنا سعيدا وإما كافرا شقيا. وقيل: معنى الكلام الجزاء يعني بينا له الطريق إن شكر أو كفر.

[٤] ثم بين ما للفريقين فقال: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ ﴾[4] يعني في جهنم، ﴿ وَأَغْلَٰلًا ﴾[5] يعني في أيديهم تغل في أعناقهم، ﴿ وَسَعِيرًا ۝٤ ﴾[6]، وقودا شديدا.

[٥] ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ ﴾[7] يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم، ﴿ يَشْرَبُونَ ﴾[8]، في الآخرة، ﴿ مِن كَأْسٍ ﴾[9] فيه شراب ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ ﴾[10]، قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك، قال عكرمة: مزاجها طعمها، وقال أهل المعاني: أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده، لأن الكافور لا

---

(١) سورة الإنسان آية: ٢.
(٢) سورة الإنسان آية: ٣.
(٣) سورة الإنسان آية: ٣.
(٤) سورة الإنسان آية: ٤.
(٥) سورة الإنسان آية: ٤.
(٦) سورة الإنسان آية: ٤.
(٧) سورة الإنسان آية: ٥.
(٨) سورة الإنسان آية: ٥.
(٩) سورة الإنسان آية: ٥.
(١٠) سورة الإنسان آية: ٥.

يشرب، وهو كقوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا ﴾ [1] أي كنار، وهذا معنى قول مجاهد ومقاتل ومجاهد: يمازجه ريح الكافور. وقال ابن كيسان: طيبت بالكافور والمسك والزنجبيل. قال عطاء والكلبي: الكافور اسم لعين ماء في الجنة.

قوله تعالى عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا...

[٦] ﴿ عَيْنًا ﴾ [2] نصب تبعا للكافور وقيل: نصب على المدح. وقيل: أعني عينا. وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى من عين، ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ [3] قيل: يشربا والباء صلة. وقيل: بها أي منها، ﴿ عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [4] قال ابن عباس: أولياء الله، ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ ﴾ [5] أي يقودونا حيث شاءوا من منازلهم، وقصورهم، كمن يكون له نهر يفجره ههنا إلى حيث يريد.

[٧] ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ [6]، هذا من صفاتهم في الدنيا: أي كانوا في الدنيا كذلك، قال قتادة: أراد يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة، وغيره من الواجبات، ومعنى النذر الإيجاب. وقال مجاهد وعكرمة: إذا نذروا في طاعة الله وفوا به، ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ ﴾ [7] فاشيا ممتدا، يقال: استطار الصبح إذا امتد وانتشر. قال مقاتل: كان شره فاشيا في السموات، فانشقت وتناثرت الكواكب،

---

(١) سورة الكهف آية: ٩٦.
(٢) سورة الإنسان آية: ٦.
(٣) سورة الإنسان آية: ٦.
(٤) سورة الإنسان آية: ٦.
(٥) سورة الإنسان آية: ٦.
(٦) سورة الإنسان آية: ٧.
(٧) سورة الإنسان آية: ٧.

وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض: فنسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء.

[٨] ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [١] أي على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه، وقيل على حب الله، ﴿ مِسْكِينًا ﴾ [٢]، فقـيرا لا مـال لـه، ﴿ وَيَتِيمًا ﴾ [٣]، صغيرا لا أب له ﴿ وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [٤]، قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء: هو المسجون من أهل القبلة. وقال قتادة: أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك. وقيل: الأسير المملوك. وقيل المرأة، يقول النبي ﷺ ﴿ اتقوا الله في النساء فإنن عندكم عوان ﴾ [٥] [٦] أي أسراء.

[٩] ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [٧] والشكور مصدر كالعقود والدخول والخروج. قال مجاهد وسعيد بن جبير: إنم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبم، فأثنى عليهم.

[١٠] ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا ﴾ [٨] تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته، ونسب العبوس إلى اليوم، كما يقال: يوم صائم وليل نائم. وقيل: وصف اليوم بالعبوس لما

---

(١) سورة الإنسان آية: ٨.

(٢) سورة الإنسان آية: ٨.

(٣) سورة الإنسان آية: ٨.

(٤) سورة الإنسان آية: ٨.

(٥) مسلم الحج (١٢١٨)،أبو داود المناسك (١٩٠٥)،ابن ماجه المناسك (٣٠٧٤)،الدارمي المناسك (١٨٥٠).

(٦) قطعة من حديث أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٢١٢/٣) والترمذي في أبواب الرضاع (٣٢٦/٤) قال: " حسن صحيح " وابن ماجه في النكاح برقم (١٨٥١) ٥٩٤/١.

(٧) سورة الإنسان آية: ٩.

(٨) سورة الإنسان آية: ١٠.

فيه من الشدة، ﴿ قَمْطَرِيرًا ۝١٠ ﴾[1]، قال قتادة ومجاهد ومقاتل: القمطرير الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس. وقال الكلبي: العبوس الذي لا انبساط فيه، والقمطرير: الشديد، قال الأخفش: القمطرير: أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء، يقال: يوم قمطرير وقماطر إذا كان شديدا كريها.

[١١] ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ ﴾[2] الذي، يخافون، ﴿ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةً ﴾[3]، حسنا في وجوههم، ﴿ وَسُرُورًا ۝١١ ﴾[4]، في قلوبم.

[١٢] ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ ﴾[5] على طاعة الله واجتناب معصيته، وقال الضحاك: على الفقر. وقال عطاء: على الجوع ﴿ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ ﴾[6]، قال الحسن: أدخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير.

[١٣] ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ ﴾[7] نصب على الحال، ﴿ فِيهَا ﴾[8] في الجنة ﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ ﴾[9]، السرر في الحجال، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا، ﴿ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا

---

(١) سورة الإنسان آية: ١٠.

(٢) سورة الإنسان آية: ١١.

(٣) سورة الإنسان آية: ١١.

(٤) سورة الإنسان آية: ١١.

(٥) سورة الإنسان آية: ١٢.

(٦) سورة الإنسان آية: ١٢.

(٧) سورة الإنسان آية: ١٣.

(٨) سورة الإنسان آية: ١٣.

(٩) سورة الإنسان آية: ١٣.

شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [(١)]، أي صيفا ولا شتاء. قال مقاتل: يعني شمسا يؤذيهم حرها ولا زمهريرا يؤذيهم برده، لأنما يؤذيان في الدنيا. والزمهرير: البرد الشديد.

[١٤] ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ [(٢)]، أي قريبة منهم ظلال أشجارها، ونصب (دانية) بالعطف على قوله: (متكئين)، وقيل: على موضع قوله: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [(٣)] ويرون (دانية)، وقيل: على المدح. ﴿ وَذُلِّلَتْ ﴾ [(٤)] سخرت وقربت، ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ [(٥)] ثمارها ﴿ تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ [(٦)] يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين، ويتناولونا كيف شاءوا على أي حال كانوا.

[١٥ - ١٦] ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ ﴾ [(٧)]، قال المفسرون: أراد بياض الفضة في صفاء القوارير، فهي من فضة في صفاء الزجـاج، يرى ما في داخلها من خارجها، ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [(٨)] الكأس على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص، أي قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونا ثم يسقون.

---

(١) سورة الإنسان آية: ١٣.

(٢) سورة الإنسان آية: ١٤.

(٣) سورة الإنسان آية: ١٣.

(٤) سورة الإنسان آية: ١٤.

(٥) سورة الإنسان آية: ١٤.

(٦) سورة الإنسان آية: ١٤.

(٧) سورة الإنسان الآيتان : ١٥ ، ١٦.

(٨) سورة الإنسان آية: ١٦.

[١٧] ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ ﴾[1]، يشوق ويطرب، والزنجبيل: مما كانت العرب تستطيبه جدا، فوعدهم الله - تعالى - أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة. قال مقاتل: لا يشبه زنجبيل الدنيا. قال ابن عباس: كل ما ذكره الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا مثل. وقيل: هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل. قال قتادة: يشربها المقربون صرفا، ويمزج لسائر أهل الجنة.

[١٨] ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾ ﴾[2]، قال قتادة: سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا، قال مجاهد: حديدة الجرية. قال أبو العالية ومقاتل بن حيان: سميت سلسبيلا لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان، وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك. قال الزجاج: سميت سلسبيلا لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق، ومعنى قوله: (تسمى) أي توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلا صفة لا اسم.

[١٩] ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[3] قال عطاء: يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط، كان أحسن منه منظوما. وقال أهل المعاني: إنما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة، فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم.

[٢٠] ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾[4]، أي إذا رأيت ببصرك ونظرت به ثم يعني في الجنة، ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا ﴾[5]، لا يوصف، ﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾[1]، وهو أن أدناهم منزلة

(١) سورة الإنسان آية: ١٧.
(٢) سورة الإنسان آية: ١٨.
(٣) سورة الإنسان آية: ١٩.
(٤) سورة الإنسان آية: ٢٠.
(٥) سورة الإنسان آية: ٢٠.

ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه. قال مقاتل والكلبي: هو أن رسول رب العزة من الملائكـة لا يدخل عليه إلا بإذنه. وقيل: ملكا لا زوال له.

[٢١] ﴿ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ ﴾ [٢]، قرأ أهل المدينة. وحمزة (عاليهم) ساكنة الياء مكسورة الهاء، فيكون في موضع رفع بالابتداء، وخبره ثياب سندس، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على الصفة، أي فوقهم، وهو نصب على الظرف، ثياب سندس ﴿ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ ﴾ [٣]، قيل: طاهرا من الأقذار والإقذاء لم تدنسه الأيدي والأرجل كخمر الدنيا. وقال أبو قلابة وإبراهيم: إنه لا يصير بولا نجسا ولكنه يصير رشحا في أبدانهم، كريح المسك، وذلك أنهم يؤتون بالطعام فيأكلون، فإذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الأذفر، وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم. وقال مقاتل: هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد.

[٢٢] ﴿ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢ ﴾ [٤]، أي ما وصف من نعيم الجنة كان لكم جزاء بأعمالكم، وكان سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله مشكورا، قال عطاء: شكرتكم عليه وأثبتكم أفضل الثواب.

[٢٣] قوله ﷻ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣ ﴾ [٥]، قال ابن عباس: متفرقا آية بعد آية، ولم ي ل جملة واحدة.

---

(١) سورة الإنسان آية: ٢٠.

(٢) سورة الإنسان آية: ٢١.

(٣) سورة الإنسان آية: ٢١.

(٤) سورة الإنسان آية: ٢٢.

(٥) سورة الإنسان آية: ٢٣.

[٢٤] ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ﴾[١]، يعـني من مشـركي مكـة، ﴿ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ﴾[٢]، يعني وكفورا، والألف صلة.

قوله تعالى وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا...

[٢٥ - ٢٦] قـولـه ﷻ ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ ﴾[٣]، يعني صلاة المغرب والعشاء، ﴿ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾[٤]، يعني التطوع بعد المكتوبة.

[٢٧] ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[٥]، يعني كفار مكة ﴿ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴾[٦]، أي الدار العاجلة وهي الدنيا. ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ ﴾[٧]، يعني أمامهم، ﴿ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾[٨]، شديدا وهو يوم القيامة. أي يتركون فلا يؤمنون به ولا يعملون له.

[٢٨] ﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ ﴾[٩]، قوينا وأحكمنا، ﴿ أَسۡرَهُمۡۖ ﴾[١٠] قال مجاهد وقتادة ومقاتل: أسرهم أي خلقهم، يقال رجل حسن الأسر أي الخلق، وقال الحسن: يعني أوصالهم شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والعصب. وروي عن مجاهد في

(١) سورة الإنسان آية: ٢٤.
(٢) سورة الإنسان آية: ٢٤.
(٣) سورة الإنسان الآيتان : ٢٥ ، ٢٦.
(٤) سورة الإنسان آية: ٢٦.
(٥) سورة الإنسان آية: ٢٧.
(٦) سورة الإنسان آية: ٢٧.
(٧) سورة الإنسان آية: ٢٧.
(٨) سورة الإنسان آية: ٢٧.
(٩) سورة الإنسان آية: ٢٨.
(١٠) سورة الإنسان آية: ٢٨.

تفسير الأسر قال: الفرج يعني موضع مصرفي البول والغائط إذا خرج الأذى انقبضا.

﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] أي إذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم.

[٢٩] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾[2]، يعني هذه السورة، ﴿ تَذْكِرَةٌ ۖ ﴾ [3]، تذكير وعظة، ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴿٢٩﴾ ﴾ [4]، وسيلة للطاعة.

[٣٠، ٣١] ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [5] أي لستم تشاءون إلا بمشيئة الله ﷻ لأن الأمر إليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [6]، أي المشركين. ﴿ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [7].

---

(١) سورة الإنسان آية: ٢٨.

(٢) سورة الإنسان آية: ٢٩.

(٣) سورة الإنسان آية: ٢٩.

(٤) سورة الإنسان آية: ٢٩.

(٥) سورة الإنسان آية: ٣٠.

(٦) سورة الإنسان الآيتان : ٣٠ ، ٣١.

(٧) سورة الإنسان آية: ٣١.

(٧٧) سورة المرسلات

قوله تعالى وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا...

[١] ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ ﴾[(١)]، يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس. وقيل: عرفا أي كثيرا، تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثروا، هذا معنى قول مجاهد وقتادة، قال مقاتل: يعني الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود.

[٢] ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ ﴾[(٢)]، يعني الرياح الشديدة الهبوب.

[٣] ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ ﴾[(٣)]، يعني الرياح اللينة. وقال الحسن: هي الرياح اللينة. وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشرا بين يدي رحمته. وقيل: هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر. وقال مقاتل: هم الملائكة ينشرون الكتب.

[٤] ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ ﴾[(٤)]، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل. وقال قتادة والحسن: هي آي القرآن تفرق بين الحلال والحرام. وروي عن مجاهد قال: هي الرياح تفرق السحاب وتبدده.

[٥] ﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ ﴾[(٥)]، يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء، نظيرها: ﴿ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ ﴾[(٦)].

[٦] ﴿ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ ﴾[(١)]. أي للإعذار والإنذار.

---

(١) سورة المرسلات آية: ١.
(٢) سورة المرسلات آية: ٢.
(٣) سورة المرسلات آية: ٣.
(٤) سورة المرسلات آية: ٤.
(٥) سورة المرسلات آية: ٥.
(٦) سورة غافر آية: ١٥.

[٧] ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝ ﴾[٢]، من أمر الساعة والبعث، ﴿ لَوَاقِعٌ ۝ ﴾[٣]، لكائن ثم ذكر متى يقع.

[٨] فقال: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ ﴾[٤]، محي نورها.

[٩] ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝ ﴾[٥]، شقت.

[١٠] فقال: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝ ﴾[٦]، قلعت من أماكنها.

[١١] ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝ ﴾[٧] جمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم.

[١٢] ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝ ﴾[٨]، أي أخرت، وضرب الأجل لجمعهم فعجب العباد من ذلك اليوم.

[١٣] ثم بين فقال: ﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝ ﴾[٩]، قال ابن عباس: يوم فصل الرحمن بين الخلائق.

[١٤- ١٦] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ﴾[١]، يعني الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم.

---

(١) سورة المرسلات آية: ٦.
(٢) سورة المرسلات آية: ٧.
(٣) سورة المرسلات آية: ٧.
(٤) سورة المرسلات آية: ٨.
(٥) سورة المرسلات آية: ٩.
(٦) سورة المرسلات آية: ١٠.
(٧) سورة المرسلات آية: ١١.
(٨) سورة المرسلات آية: ١٢.
(٩) سورة المرسلات آية: ١٣.

[١٧] ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[٢]، السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب، يعني كفار مكة بتكذيبهم محمدا ﷺ.

قوله تعالى أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ...

[١٨- ٢٠] ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[٣]، يعني النطفة.

[٢١] ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾[٤]، يعني الرحم.

[٢٢] ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[٥]، وهو وقت الولادة.

[٢٣] ﴿ فَقَدَرْنَا ﴾[٦]، قرأ أهل المدينة والكسائي (فقدرنا) بالتشديد من التقدير، وقرأ الآخرون: بالتخفيف من القدرة، لقوله: ﴿ فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٧]، وقيل: معناهما واحد، وقوله: (فنعم القادرون) أي المقدرون.

[٢٤، ٢٥] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾[٨]، وعاء، ومعنى الكفت: الضم والجمع، يقال: كفت الشيء إذا ضمه وجمعه. وقال الفراء: يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا في بطنها، أي تحوزهم.

---

(١) سورة المرسلات الآيات من ١٤ : ١٦.

(٢) سورة المرسلات آية: ١٧.

(٣) سورة المرسلات الآيات من ١٨ : ٢٠.

(٤) سورة المرسلات آية: ٢١.

(٥) سورة المرسلات آية: ٢٢.

(٦) سورة المرسلات آية: ٢٣.

(٧) سورة المرسلات آية: ٢٣.

(٨) سورة المرسلات الآيتان : ٢٤ ، ٢٥.

[٢٦، ٢٧] وهو قوله: ﴿ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾[1]، جبالا. ﴿ شَٰمِخَٰتٍ ﴾[2]، عاليات، ﴿ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝ ﴾[3]، عذبا.

[٢٨] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ﴾[4]، قال مقاتل: وهذا كله أعجب من البعث الذي تكذبون به، ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة:

[٢٩] ﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ ﴾[5]، في الدنيا.

[٣٠] ﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝ ﴾[6]، يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق. وقيل: يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث: نور ودخان ولهب، فأما النور فيقف على رءوس المؤمنين، والدخان يقف على رءوس المنافقين، واللهب الصافي يقف على رءوس الكافرين.

[٣١] ثم وصف ذلك الظل فقال: ﴿ لَّا ظَلِيلٍ ﴾[7]، يظل من الحر ﴿ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝ ﴾[8]، قال الكلبي: لا يرد لهب جهنم عنكم، والمعنى أنم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب.

[٣٢] ﴿ إِنَّهَا ﴾[1]، يعني جهنم، ﴿ تَرْمِى بِشَرَرٍ ﴾[2]، وهو ما تطاير من النار، واحدها شررة. ﴿ كَٱلْقَصْرِ ۝ ﴾[3]، وهو البناء العظيم، قال ابن مسعود: يعني

---

(١) سورة المرسلات الآيتان : ٢٦ ، ٢٧.

(٢) سورة المرسلات آية: ٢٧.

(٣) سورة المرسلات آية: ٢٧.

(٤) سورة المرسلات آية: ٢٨.

(٥) سورة المرسلات آية: ٢٩.

(٦) سورة المرسلات آية: ٣٠.

(٧) سورة المرسلات آية: ٣١.

(٨) سورة المرسلات آية: ٣١.

الحصون. وقال عبد الرحمن بن عباس عن قوله: (إنا ترمي بشرر كالقصر) قال: هي الخشب العظام المقطعة.

[٣٣] ﴿ كَأَنَّهُۥ ﴾ [٤] رد الكناية إلى اللفظ، ﴿ جِمَٰلَتٌ ﴾ [٥]، قرأ حمزة والكسائي وحفص (جمالة) على جمع الجمل مثل حجر وحجارة، وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف، أراد الأشياء العظام الموعة، وقرأ الآخرون (جمالات) بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - وسعيد بن جبير: هي حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض، حتى يكون كأوساط الرجال، ﴿ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٦]، جمع الأصفر، يعني لون النار، وقيل: الصفر معناه السود لأنه جاء في الحديث: « إن شرر نار جهنم أسود كالقير »، والعرب تسمي سود الابل صفرا لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال لبيض الظباء: أدم، لأن بياضها يعلوه كدرة.

[٣٤، ٣٥] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٧]، أي في القيامة لأن فيها مواقف، ففي بعضها يختصمون ويتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون.

[٣٦] ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [١]، قال الجنيد: أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه.

---

(١) سورة المرسلات آية: ٣٢.
(٢) سورة المرسلات آية: ٣٢.
(٣) سورة المرسلات آية: ٣٢.
(٤) سورة المرسلات آية: ٣٣.
(٥) سورة المرسلات آية: ٣٣.
(٦) سورة المرسلات آية: ٣٣.
(٧) سورة المرسلات الآيتان : ٣٤ ، ٣٥.

[٣٧، ٣٨] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٧ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾[٢]، بين أهل الجنة والنار، ﴿ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨ ﴾[٣]، يعني مكذبي هذه الأمة والأولين الذين كانوا أنبياءهم.

[٣٩] ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩ ﴾[٤]، قال مقاتل: إن كانت لكم حيلة فاحتلوا لأنفسكم.

[٤٠،٤١] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٠ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ ﴾[٥]، جمع ظل أي في ظلال الشجر، ﴿ وَعُيُونٍ ۝٤١ ﴾[٦] الماء.

[٤٢] ﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ ﴾[٧].

[٤٣] ويقال لهم: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ ﴾[٨]، في الدنيا بطاعتي.

[٤٤، ٤٥] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٤٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٥ ﴾[٩].

[٤٦] ثم قال لكفار مكة: ﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا ﴾[١]، في الدنيا، ﴿ إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ۝٤٦ ﴾[٢]، مشركون بالله ﷻ مستحقون للعذاب.

---

(١) سورة المرسلات آية: ٣٦.
(٢) سورة المرسلات الآيتان : ٣٧ ، ٣٨.
(٣) سورة المرسلات آية: ٣٨.
(٤) سورة المرسلات آية: ٣٩.
(٥) سورة المرسلات الآيتان : ٤٠ ، ٤١.
(٦) سورة المرسلات آية: ٤١.
(٧) سورة المرسلات آية: ٤٢.
(٨) سورة المرسلات آية: ٤٣.
(٩) سورة المرسلات الآيتان : ٤٤ ، ٤٥.

[٤٧، ٤٨] ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ ﴾ [٣]، يعني صلوا، ﴿ لَا يَرۡكَعُونَ ۝٤٨ ﴾ [٤] لا يصلون، وقال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- : إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

[٤٩، ٥٠] ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ ﴾ [٥]، أي بعد القرآن، ﴿ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [٦]، إذا لم يؤمنوا به.

---

(١) سورة المرسلات آية: ٤٦.

(٢) سورة المرسلات آية: ٤٦.

(٣) سورة المرسلات الآيتان : ٤٧ ، ٤٨.

(٤) سورة المرسلات آية: ٤٨.

(٥) سورة المرسلات الآيتان : ٤٩ ، ٥٠.

(٦) سورة المرسلات آية: ٥٠.

(٧٨) سورة النبأ

قوله تعالى عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ...

[١] ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ ﴾[(١)]، أي عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون، وذلك أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد ﷺ.

[٢] ثم ذكر أن تساؤلهم عماذا فقال: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ﴾[(٢)]، قال مجاهد والأكثرون: هو القرآن، ودليله قوله: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ ﴾[(٣)]، وقال قتادة: هو البعث.

[٣ - ٤] ﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ ﴾[(٤)]، فمصدق ومكذب، ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾[(٥)]، كلا نفي يقول: هم سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور.

[٥] ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾[(٦)]، وعيد لهم على إثر وعيد.

ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيده.

[٦] فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ ﴾[(٧)]، فراشا.

[٧] ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ ﴾[(٨)]، للأرض حتى تميد.

(١) سورة النبأ آية: ١.
(٢) سورة النبأ آية: ٢.
(٣) سورة ص آية: ٦٧.
(٤) سورة النبأ آية: ٣.
(٥) سورة النبأ آية: ٤.
(٦) سورة النبأ آية: ٥.
(٧) سورة النبأ آية: ٦.
(٨) سورة النبأ آية: ٧.

[٨] ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ ﴾ [1] أصنافا ذكورا وإناثا.

[٩] ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ ﴾ [2]، أي راحة لأبدانكم.

[١٠] ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ ﴾ [3]، غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته.

[١١] ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ ﴾ [4]، المعاش: العيش وكل ما يعاش فيه فهو معاش، أي جعلنا منها سببا للمعاش والتصرف في المصالح.

[١٢] ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ ﴾ [5]، يريد سبع سموات.

[١٣] ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا ﴾ [6] يعني الشمس، ﴿ وَهَّاجًا ۝١٣ ﴾ [7]، مضيئا منيرا.

[١٤] ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ﴾ [8] يعني الرياح التي تعصر السحاب، وقال أبو العالية: المعصرات هي السحاب، ﴿ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ ﴾ [9]، أي صبابا. وقال قتادة: متتابعا يتلو بعضه بعضا.

[١٥] ﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ ﴾ [10]، أي بذلك الماء، ﴿ حَبًّا ﴾ [1]، وهو ما يأكله الناس، ﴿ وَنَبَاتًا ۝١٥ ﴾ [2]، ما تنبته الأرض مما تأكله الأنعام.

---

(١) سورة النبأ آية: ٨.
(٢) سورة النبأ آية: ٩.
(٣) سورة النبأ آية: ١٠.
(٤) سورة النبأ آية: ١١.
(٥) سورة النبأ آية: ١٢.
(٦) سورة النبأ آية: ١٣.
(٧) سورة النبأ آية: ١٣.
(٨) سورة النبأ آية: ١٤.
(٩) سورة النبأ آية: ١٤.
(١٠) سورة النبأ آية: ١٥.

[١٦] ﴿ وَجَنَّـٰتٍ أَلۡفَافًا ۝١٦ ﴾[3]، ملتفة بالشجر.

[١٧] ﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ ﴾[4]، يوم القضاء بين الخلق، ﴿ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝١٧ ﴾[5]، لما وعد الله من الثواب والعقاب.

[١٨] ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا ۝١٨ ﴾[6]، زمرا زمرا من كل مكان للحساب.

[١٩] ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾[7]، أي شقـت ل ول الملائكة، ﴿ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبًا ۝١٩ ﴾[8]، أي ذات أبواب. وقيل: تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبوابا وطرقا.

[٢٠] ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ ﴾[9]، عن وجه الأرض، ﴿ فَكَانَتۡ سَرَابًا ۝٢٠ ﴾[10]، أي هباء منبثا لعين الناظر كالسراب.

[٢١]: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادًا ۝٢١ ﴾[11]، طريقا وممرا فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار. وقيل: كانت مرصادا أي معدة لهم، وقيل: هو من رصدت الشيء

---

(١) سورة النبأ آية: ١٥.
(٢) سورة النبأ آية: ١٥.
(٣) سورة النبأ آية: ١٦.
(٤) سورة النبأ آية: ١٧.
(٥) سورة النبأ آية: ١٧.
(٦) سورة النبأ آية: ١٨.
(٧) سورة النبأ آية: ١٩.
(٨) سورة النبأ آية: ١٩.
(٩) سورة النبأ آية: ٢٠.
(١٠) سورة النبأ آية: ٢٠.
(١١) سورة النبأ آية: ٢١.

أرصده إذا ترقبته، والمرصاد فيه العدو. وقوله: (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا)، أي ترصد الكفار.

[٢٢] ﴿ لِّلطَّٰغِينَ ﴾ [(١)]، للكافرين، ﴿ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [(٢)]، مرجعا يرجعون إليه.

[٢٣] ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٣)]، جمع حقب، والحقب الواحد: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم ألف سنة. قال الحسن: إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: (لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا) فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود.

[٢٤] ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [(٤)]، قال الحسن وعطاء: لا يذوقون فيها بردا أي روحا وراحة. قال مقاتل: لا يذوقون فيها بردا ينفعهم من حر ولا شرابا ينفعهم من عطش.

[٢٥] ﴿ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ [(٥)]، الغساق: الزمهرير يحرقهم ببرده. وقيل: صديد أهل النار.

[٢٦] ﴿ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [(٦)]، أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم.

[٢٧] ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [(٧)]، لا يخافون أن يحاسبوا، والمعنى: أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون.

---

(١) سورة النبأ آية: ٢٢.
(٢) سورة النبأ آية: ٢٢.
(٣) سورة النبأ آية: ٢٣.
(٤) سورة النبأ آية: ٢٤.
(٥) سورة النبأ آية: ٢٥.
(٦) سورة النبأ آية: ٢٦.
(٧) سورة النبأ آية: ٢٧.

[٢٨] ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾[١]، أي بما جاء به الأنبياء، ﴿ كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾[٢]، يعني تكذيبا.

[٢٩] ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾[٣]، أي وكل شيء من الأعمال بيناه في اللوح المحفوظ.

[٣٠] ﴿ فَذُوقُواْ ﴾[٤]، أي يقال لهم فذوقوا، ﴿ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾[٥].

قوله تعالى إِن لِلْمُتقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا...

[٣١] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾[٦]، فوز ونجاة من النار، وقال الضحاك: مت ها.

[٣٢] ﴿ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ ﴾[٧]، يريد أشجار الجنة وثمارها.

[٣٣] ﴿ وَكَوَاعِبَ ﴾[٨]، جواري نواهد قد تكعبت ثديهن، واحدتا كاعـب، ﴿ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾[٩]، مستويات في السن.

---

(١) سورة النبأ آية: ٢٨.
(٢) سورة النبأ آية: ٢٨.
(٣) سورة النبأ آية: ٢٩.
(٤) سورة النبأ آية: ٣٠.
(٥) سورة النبأ آية: ٣٠.
(٦) سورة النبأ آية: ٣١.
(٧) سورة النبأ آية: ٣٢.
(٨) سورة النبأ آية: ٣٣.
(٩) سورة النبأ آية: ٣٣.

[٣٤] ﴿ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴾[١]، قال ابن عباس والحسن: مترعة مملوءة. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: متتابعة. قال عكرمة: صافية.

[٣٥] ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا ﴾[٢]، باطلا مـن الكلام، ﴿ وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾[٣]، تكذيبا، لا يكذب بعضهم بعضا.

[٣٦] ﴿ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴾[٤]، أي جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا، يقال: أحسبت فلانا أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي.

[٣٧] ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴾[٥]، قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه. وقال الكلبي: لا يملكون شفاعة إلا بإذنه.

[٣٨] ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾[٦]، أي في ذلك اليوم، ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ ﴾[٧]، واختلفوا في هذا الروح، قال الشعبي والضحاك: هو جبريل. وقال عطاء عن ابن عباس: الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا، وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح: الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا، وقـال الحسن: هم بنـو آدم،

---

(١) سورة النبأ آية: ٣٤.
(٢) سورة النبأ آية: ٣٥.
(٣) سورة النبأ آية: ٣٥.
(٤) سورة النبأ آية: ٣٦.
(٥) سورة النبأ آية: ٣٧.
(٦) سورة النبأ آية: ٣٨.
(٧) سورة النبأ آية: ٣٨.

﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[1]، في الدنيا، أي حقا وقيل: قال: لا إله إلا الله.

[٣٩] ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ﴾[2]، الكائن الواقع يعني يوم القيامة، ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾[3]، مرجعا وسبيلا بطاعته، أي فمن شاء رجع إلى الله بطاعته.

[٤٠] ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾[4]، يعني العذاب في الآخرة، وكل ما هو آت قريب. ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾[5]، أي كل امرئ يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتا في صحيفته، ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾[6]، يتمنى ذلك.

---

(١) سورة النبأ آية: ٣٨.

(٢) سورة النبأ آية: ٣٩.

(٣) سورة النبأ آية: ٣٩.

(٤) سورة النبأ آية: ٤٠.

(٥) سورة النبأ آية: ٤٠.

(٦) سورة النبأ آية: ٤٠.

(٧٩) سورة النازعات

قوله تعالى وَالنازِعَاتِ غَرْقًا وَالناشِطَاتِ نَشْطًا...

[١] ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ ﴾[(١)]، يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد، والمراد بالإغراق: المبالغة في المد.

[٢] ﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ ﴾ [(٢)] هي الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي تحل حلا رفيقا فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير، أي يحل برفق.

[٣] ﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ ﴾[(٣)]، هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا، ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرفق به. وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر، قال الله - تعالى -: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾[(٤)]، وقال عطاء: هي السفن.

[٤] ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ ﴾[(٥)]، قال مجاهد: هى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. وقال قتادة: هي النجوم يسبق بعضها بعضا في السير. وقال عطاء: هي الخيل.

[٥] ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ ﴾[(٦)]، قال ابن عباس: هم الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله ﷻ العمل بها.

---

(١) سورة النازعات آية: ١.

(٢) سورة النازعات آية: ٢.

(٣) سورة النازعات آية: ٣.

(٤) سورة يس آية: ٤٠.

(٥) سورة النازعات آية: ٤.

(٦) سورة النازعات آية: ٥.

وجواب هذه الأقسام محذوف على تقديره: لتبعثن ولتحاسبن. وقيل: جوابه قوله: إن في ذلك لعبرة لمن يخشى. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: يوم ترتجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقا.

[٦] قوله ﷻ ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ ﴾[1]، يعني النفخة الأولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق.

[٧] ﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝ ﴾[2]، وهي النفخة الثانية ردفت الأولى وبينهما أربعون سنة. قال قتادة: هما صيحتان فالأولى تميت كل شيء والأخـرى تحيي كل شـيء بإذن الله ﷻ. وقال مجاهد: وأصل الرجفة: الصوت والحركة.

[٨] ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ ﴾[3]، خائفة قلقة مضطربة.

[٩] ﴿ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝ ﴾[4]، ذليلة كقوله: ﴿ خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾[5] الآية.

[١٠]. ﴿ يَقُولُونَ ﴾[6]، يعني المنكرين للبعث إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: ﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝ ﴾[7] أي إلى أول الحال وابتداء الأمر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا.

[١١] ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝ ﴾[1] بالية.

(١) سورة النازعات آية: ٦.
(٢) سورة النازعات آية: ٧.
(٣) سورة النازعات آية: ٨.
(٤) سورة النازعات آية: ٩.
(٥) سورة الشورى آية: ٤٥.
(٦) سورة النازعات آية: ١٠.
(٧) سورة النازعات آية: ١٠.

[١٢] ﴿ قَالُواْ ﴾[٢]، يعني المنكرين، ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾[٣]، رجعة خائبة، يعني إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت.

[١٣] قال الله ﷻ ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ ﴾[٤]، يعني النفخة الأخيرة، ﴿ زَجْرَةٌ ﴾[٥]، صيحة، ﴿ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾[٦]، يسمعونا.

[١٤] ﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾[٧]، يعني وجه الأرض أي صاروا على وجه الأرض بعد ما كانوا في جوفها.

قوله تعالى هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقدس طُوًى...

[١٥] قوله ﷻ ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾[٨]، يقول قد جاءك يا محمد حديث موسى.

[١٦] ﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾[٩].

[١٧] فقال يا موسى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[١٠]، علا وتكبر وكفر بالله.

---

(١) سورة النازعات آية: ١١.
(٢) سورة النازعات آية: ١٢.
(٣) سورة النازعات آية: ١٢.
(٤) سورة النازعات آية: ١٣.
(٥) سورة النازعات آية: ١٣.
(٦) سورة النازعات آية: ١٣.
(٧) سورة النازعات آية: ١٤.
(٨) سورة النازعات آية: ١٥.
(٩) سورة النازعات آية: ١٦.
(١٠) سورة النازعات آية: ١٧.

[١٨] ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [1] قرأ أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي: أي تتزكى وتتطهر من الشرك، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي تسلم وتصلح، قال ابن عباس: تشهد أن لا إله إلا الله.

[١٩] ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [2]، أي أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده فتخشى عقابه.

[٢٠] ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [3]، وهي العصا واليد البيضاء.

[٢١] ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ [4]، بأنها من الله ﴿ وَعَصَىٰ ﴾ [5].

[٢٢] ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ ﴾ [6]، تولى وأعرض عن الإيمان ﴿ يَسْعَىٰ ﴾ [7]، يعمل بالفساد في الأرض.

[٢٣] ﴿ فَحَشَرَ ﴾ [8]، فجمع قومه وجنوده، ﴿ فَنَادَىٰ ﴾ [9]، لما اجتمعوا.

[٢٤] ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [10]، فلا رب فوقي. وقيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربكم وربها.

---

(١) سورة النازعات آية: ١٨.
(٢) سورة النازعات آية: ١٩.
(٣) سورة النازعات آية: ٢٠.
(٤) سورة النازعات آية: ٢١.
(٥) سورة النازعات آية: ٢١.
(٦) سورة النازعات آية: ٢٢.
(٧) سورة النازعات آية: ٢٢.
(٨) سورة النازعات آية: ٢٣.
(٩) سورة النازعات آية: ٢٣.
(١٠) سورة النازعات آية: ٢٤.

[٢٥] ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾[1]، أي في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار.

[٢٦] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾[2]، الذي فعـل بفرعـون حين كـذب وعصـى، ﴿ لَعِبۡرَةً ﴾[3]، عظة، ﴿ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴾[4]، الله ﷻ.

[٢٧] ثم خاطب منكري البعث فقال: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ ﴾[5]، يعني أخلقكم بعد الموت أشد عندكـم وفي تقديركم أم السماء؟ وهما في قدرة الله واحد، ثم وصف من خلق السماء فقال: ﴿ بَنَىٰهَا ﴾[6].

[٢٨] ﴿ رَفَعَ سَمۡكَهَا ﴾[7]، سقفها ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾[8]، بلا شقوق ولا فطور.

[٢٩] ﴿ وَأَغۡطَشَ ﴾[9]، أظلم، ﴿ لَيۡلَهَا ﴾[10]، والغطش والغبش الظلـمة، ﴿ وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾[1]، أبرز وأظهر نارها ونورها، وأضافهما إلى السماء لأن الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء.

---

(١) سورة النازعات آية: ٢٥.
(٢) سورة النازعات آية: ٢٦.
(٣) سورة النازعات آية: ٢٦.
(٤) سورة النازعات آية: ٢٦.
(٥) سورة النازعات آية: ٢٧.
(٦) سورة النازعات آية: ٢٧.
(٧) سورة النازعات آية: ٢٨.
(٨) سورة النازعات آية: ٢٨.
(٩) سورة النازعات آية: ٢٩.
(١٠) سورة النازعات آية: ٢٩.

[٣٠] ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ﴾[2]، بعد خلق السماء، ﴿ دَحَىٰهَآ ٣٠ ﴾[3]، بسطها، والدحو: البسط.

[٣١-٣٤] ﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ ﴾[4]، يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقامت القيامة، وسميت القيامة طامة لأنا تطم على كل هائلة من الأمور فتعلو فوقها وتغمر ما سواها، والطامة عند العرب: الداهية التي لا تستطاع.

[٣٥] ﴿ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ ﴾[5]، ما عمل في الدنيا من خير وشر.

[٣٦] ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ ﴾[6]، قال مقاتل: يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق.

[٣٧] ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ ﴾[7]، في كفره.

[٣٨] ﴿ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ ﴾[8]، على الآخرة.

[٣٩، ٤٠] ﴿ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ ﴾[9] عن المحارم التي تشتهيها.

---

(١) سورة النازعات آية: ٢٩.
(٢) سورة النازعات آية: ٣٠.
(٣) سورة النازعات آية: ٣٠.
(٤) سورة النازعات الآيات من ٣١ : ٣٤.
(٥) سورة النازعات آية: ٣٥.
(٦) سورة النازعات آية: ٣٦.
(٧) سورة النازعات آية: ٣٧.
(٨) سورة النازعات آية: ٣٨.
(٩) سورة النازعات الآيتان : ٣٩ ، ٤٠.

[٤١-٤٢] ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ ﴾[1]، متى ظهورها وثبوتها.

[٤٣] ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ ﴾[2]، لست في شيء من علمها وذكرها، أي لا تعلمها.

[٤٤] ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝ ﴾[3]، أي منتهى علمها عند الله.

[٤٥] ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝ ﴾[4]، أي إنما ينفع إنذارك من يخافها.

[٤٦] ﴿ كَأَنَّهُمْ ﴾[5]، يعني كفار قريش، ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَهَا ﴾[6]، يعاينون يوم القيامة، ﴿ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ ﴾[7]، في الدنيا وقيل: في قبورهم، ﴿ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝ ﴾[8]، معناه آخر يوم أو أوله.

---

(١) سورة النازعات الآيتان : ٤١ ، ٤٢.

(٢) سورة النازعات آية: ٤٣.

(٣) سورة النازعات آية: ٤٤.

(٤) سورة النازعات آية: ٤٥.

(٥) سورة النازعات آية: ٤٦.

(٦) سورة النازعات آية: ٤٦.

(٧) سورة النازعات آية: ٤٦.

(٨) سورة النازعات آية: ٤٦.

(٨٠) سورة عبس

قوله تعالى عَبَسَ وَتَوَلى أنْ جَاءَهُ الأعْمَى...

[١] ﴿ عَبَسَ ﴾ [١] كلح، ﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ ﴾ [٢]، أعرض بوجهه.

[٢] ﴿ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾ [٣] وهو ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح الفهري، ﴿ وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف، وأخاه أمية يدعوهم إلى الله، يرجو إسلامهم، فقال ابن أم مكتوم: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآية، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: "مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ﴾ [٤]

[٣] ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ ﴾ [٥]، يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك.

[٤] ﴿ أَوۡ يَذَّكَّرُ ﴾ [٦]، يتعظ، ﴿ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ ﴾ [٧]، الموعظة.

---

(١) سورة عبس آية: ١.
(٢) سورة عبس آية: ١.
(٣) سورة عبس آية: ٢.
(٤) انظر أسباب النزول للواحدي (ص ٥١٧)، وقال ابن حجر في الكافي الشافي (ص١٨١): "ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرج ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه، وذكره الطبري من رواية سعيد عن قتادة.
(٥) سورة عبس آية: ٣.
(٦) سورة عبس آية: ٤.
(٧) سورة عبس آية: ٤.

[٥] ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ ﴾[1]، قال ابن عباس: عن الله وعن الإيمان بما له من المال.

[٦] ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ ﴾[2]، تتعرض له وتقبل عليه وتصغي إلى كلامه.

[٧] ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ ﴾[3]، ألا يؤمن ولا يهتدي، إن عليك إلا البلاغ.

[٨] ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ ﴾[4]، يمشي يعني ابن أم مكتوم.

[٩] ﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ ﴾[5]، الله ﷻ.

[١٠] ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾[6]، تتشاغل وتعرض عنه.

[١١] ﴿ كَلَّآ ﴾[7]، زجر أي لا تفعل بعدها مثلها، ﴿ إِنَّهَا ﴾[8]، يعني هذه الموعظة ﴿ تَذْكِرَةٌ ۝١١ ﴾[9]، موعظة وتذكير للخلق.

[١٢] ﴿ فَمَن شَآءَ ﴾[10]، من عباد الله ﴿ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ ﴾[11]، أي اتعظ به.

ثم أخبر عن جلالته عنده فقال:

---

(١) سورة عبس آية: ٥.

(٢) سورة عبس آية: ٦.

(٣) سورة عبس آية: ٧.

(٤) سورة عبس آية: ٨.

(٥) سورة عبس آية: ٩.

(٦) سورة عبس آية: ١٠.

(٧) سورة عبس آية: ١١.

(٨) سورة عبس آية: ١١.

(٩) سورة عبس آية: ١١.

(١٠) سورة عبس آية: ١٢.

(١١) سورة عبس آية: ١٢.

[١٣] ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝١٣ ﴾[1]، يعني اللوح المحفوظ. وقيل: كتب الأنبياء، دليله قوله - تعالى -:: (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى).

[١٤] ﴿ مَرْفُوعَةٍ ﴾[2]، رفيعة القدر عند الله ﷻ. وقيل: مرفوعة يعني في السماء السابعة. ﴿ مُطَهَّرَةٍ ۝١٤ ﴾[3] لا يمسها إلا المطهرون، وهم الملائكة.

[١٥] ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ ﴾[4]، قال ابن عباس ومجاهد: كتبة، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، وقال الآخرون: هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير، وهو الرسول، وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح.

[١٦] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ ﴾[5]، أي كرام على الله بررة مطيعين جمع بار.

[١٧] قوله ﷻ ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ ﴾[6]، أي لعن الكافر ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧ ﴾[7]، ما أشد كفره مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده، على طريق التعجب.

ثم تبين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه.

[١٨] فقال: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ ﴾[8]، لفظة استفهام ومعناه التقرير.

---

(١) سورة عبس آية: ١٣.

(٢) سورة عبس آية: ١٤.

(٣) سورة عبس آية: ١٤.

(٤) سورة عبس آية: ١٥.

(٥) سورة عبس آية: ١٦.

(٦) سورة عبس آية: ١٧.

(٧) سورة عبس آية: ١٧.

(٨) سورة عبس آية: ١٨.

[١٩] ثم فسره فقال: ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾[1]، أطوار: نطفة ثم علقة إلى آخر خلقه.

[٢٠] ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾[2]، أي طريق خروجه من بطن أمه، وقال الحسن ومجاهد: يعني طريق الحق والباطل سهل له العلم به: وقيل: يسر على كل أحد ما خلقه له وقدر عليه.

[٢١] ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴾[3]، جعل له قبرا يوارى فيه.

[٢٢] ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾[4] أحياه بعد موته.

[٢٣] ﴿ كَلَّا ﴾[5] رد عليه أي ليس كما يقول ويظن هذا الكافر، ﴿ لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾[6]، أي لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه، ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر.

[٢٤] فقال: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾[7]، كيف قدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته.

[٢٥] ثم بين فقال: ﴿ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴾[8]، يعني المطر.

[٢٦] ﴿ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴾[1]، بالنبات.

---

(١) سورة عبس آية: ١٩.
(٢) سورة عبس آية: ٢٠.
(٣) سورة عبس آية: ٢١.
(٤) سورة عبس آية: ٢٢.
(٥) سورة عبس آية: ٢٣.
(٦) سورة عبس آية: ٢٣.
(٧) سورة عبس آية: ٢٤.
(٨) سورة عبس آية: ٢٥.

[٢٧] ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ ﴾[2]، يعني الحبوب التي يتغذى بها.

[٢٨] ﴿ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ ﴾[3]، وهو القت الرطب، سمي بذلك لأنه يقضب في كل الأيام أي يقطع.

[٢٩] ﴿ وَزَيۡتُونٗا ﴾[4]، وهو ما يعصر منه الزيت، ﴿ وَنَخۡلٗا ٢٩ ﴾[5]، جمع نخلة.

[٣٠] ﴿ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ ﴾[6]، غلاظا، وقال مجاهد ومقاتل: الغلب الشجر الملتفة بعضها في بعض.

[٣١] ﴿ وَفَٰكِهَةٗ ﴾[7]، يريد ألوان الفواكه، ﴿ وَأَبّٗا ٣١ ﴾[8]، يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس، مما يأكله الأنعام والدواب. قال عكرمة: الفاكهة ما يأكل الناس، والأب ما يأكله الدواب.

[٣٢] ﴿ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ ﴾[9]، منفعة لكم يعني الفاكهة، ﴿ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢ ﴾[10]، يعني العشب.

---

(١) سورة عبس آية: ٢٦.
(٢) سورة عبس آية: ٢٧.
(٣) سورة عبس آية: ٢٨.
(٤) سورة عبس آية: ٢٩.
(٥) سورة عبس آية: ٢٩.
(٦) سورة عبس آية: ٣٠.
(٧) سورة عبس آية: ٣١.
(٨) سورة عبس آية: ٣١.
(٩) سورة عبس آية: ٣٢.
(١٠) سورة عبس آية: ٣٢.

[٣٣] ثم ذكر القيامة فقال: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾[١]، يعني صيحة القيامة سميت بذلك لأنا تصخ الأسماع أي تبالغ في أسماعها حتى تكاد تصمها.

[٣٤-٣٦] ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾[٢]، لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله بنفسه.

[٣٧] ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾[٣]، يشغله عن شأن غيره.

[٣٨] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[٤]، مشرقة مضيئة.

[٣٩] ﴿ ضَاحِكَةٌ ﴾[٥]، بالسرور، ﴿ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[٦]، فرحة بما نالت من كرامة الله ﷻ.

[٤٠] ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[٧]، سواد وكآبة مما يشاهدونه من الغم والهم.

[٤١] ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾[٨]، تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف.

[٤٢] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾[٩]، الذين يصنع بم هذا، ﴿ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾[١]، جمع الكافر والفاجر.

---

(١) سورة عبس آية: ٣٣.
(٢) سورة عبس الآيات من ٣٤ : ٣٦.
(٣) سورة عبس آية: ٣٧.
(٤) سورة عبس آية: ٣٨.
(٥) سورة عبس آية: ٣٩.
(٦) سورة عبس آية: ٣٩.
(٧) سورة عبس آية: ٤٠.
(٨) سورة عبس آية: ٤١.
(٩) سورة عبس آية: ٤٢.

(٨١) سورة التكوير

قوله تعالى إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ...

[١] ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ ﴾ (٢) أصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض، فمعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها.

[٢] ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ ﴾ (٣)، أي تناثرت من السماء وتساقطت.

[٣] ﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ ﴾ (٤)، على وجه الأرض فصارت هباء منبثا.

[٤] ﴿ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ ﴾ (٥)، وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر، واحدتا عشراء لما جاءهم من أهوال يوم القيامة.

[٥] ﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ ﴾ (٦)، يعني دواب البر، ﴿ حُشِرَتۡ ۝٥ ﴾ (٧)، جمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض.

[٦-٧] ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ ﴾ (٨)، قال ابن عباس: أوقدت فصارت نارا تضطرم. وقال مجاهد ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض العذب والملح، فصارت البحور كلها بحرا واحدا. وقيل: صارت مياهها بحرا واحدا من الحميم لأهل النار. وقال الحسن:

---

(١) سورة عبس آية: ٤٢.
(٢) سورة التكوير آية: ١.
(٣) سورة التكوير آية: ٢.
(٤) سورة التكوير آية: ٣.
(٥) سورة التكوير آية: ٤.
(٦) سورة التكوير آية: ٥.
(٧) سورة التكوير آية: ٥.
(٨) سورة التكوير آية: ٦.

يبست. ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ ﴾[1]، يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، وهذا قول عكرمة. وقال الحسن وقتادة: ألحق كل امرئ بشيعته، اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني، وقال عطاء ومقاتل: زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين. وروي عن عكرمة قال: وإذا النفوس زوجت ردت الأرواح في الأجساد.

[٨] ﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ ﴾[2]، وهي الجارية المدفونة حية.

[٩] ﴿ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ ﴾[3]، ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنا تقول: قتلت بغير ذنب.

[١٠] ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ ﴾[4]، يعني صحائف الأعمال تنتشر للحساب.

[١١] ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ ﴾[5]، قال الفراء: نزعت فطويت. وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف. وقال مقاتل: تكشف عمن فيها. ومعنى الكشط رفعك شيئا عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام.

[١٢] ﴿ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ ﴾[6]، قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم (سعرت) بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف أي أوقدت لأعداء الله.

[١٣] ﴿ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ ﴾[7]، قربت لأولياء الله.

---

(١) سورة التكوير آية: ٧.
(٢) سورة التكوير آية: ٨.
(٣) سورة التكوير آية: ٩.
(٤) سورة التكوير آية: ١٠.
(٥) سورة التكوير آية: ١١.
(٦) سورة التكوير آية: ١٢.
(٧) سورة التكوير آية: ١٣.

[١٤] ﴿ عَلِمَتۡ ﴾ [١] عنـد ذلـك كـل ﴿ نَفۡسٌ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤ ﴾ [٢]، من خير أو شر، وهذا جواب لقوله: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ ﴾ [٣] وما بعدها.

[١٥ - ١٦] قوله ﷻ ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾ [٤]، معناه أقسم بالخنس، قال قتادة: هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتخفى فلا ترى، وقال ابن زيد: معنى الخنس أنا تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخيرا تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع، تخنس عنه بتأخرها. والكنس أي تكنس بالنهار فلا ترى.

[١٧] ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ ﴾ [٥]، قال الحسن: أقبل بظلامه. وقال الآخرون: أدبر: تقول العرب: عسعس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلا اليسير.

[١٨] ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ [٦]، أقبل وبدا أوله وقيل امتد ضوؤه وارتفع.

[١٩] ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ [٧]، يعني القرآن، ﴿ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ﴾ [٨]، يعني جبريل أي نزل به جبريل عن الله - تعالى -.

[٢٠] ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ ﴾ [٩]، فـي الم لة.

(١) سورة التكوير آية: ١٤.
(٢) سورة التكوير آية: ١٤.
(٣) سورة التكوير آية: ١.
(٤) سورة التكوير الآيتان : ١٥ ، ١٦.
(٥) سورة التكوير آية: ١٧.
(٦) سورة التكوير آية: ١٨.
(٧) سورة التكوير آية: ١٩.
(٨) سورة التكوير آية: ١٩.
(٩) سورة التكوير آية: ٢٠.

[٢١] ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [1]، أي في السماوات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السماوات ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله، (أمين) على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه.

[٢٢] ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [2]، يقول لأهل مكة وما صاحبكم يعني محمدا ﷺ بمجنون. وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمدا ليس كما يقوله أهل مكة، وذلك أنهم قالوا إنه مجنون، وما يقول من عند نفسه.

[٢٣] ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ ﴾ [3]، يعني رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته، ﴿ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [4]، وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق.

[٢٤] ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ [5] يعني محمدا ﷺ ﴿ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [6]، أي الوحي، وخبر السماء وما أطلع عليه مما كـان غائبا عنه من الأنباء والقصـص، ﴿ بِضَنِينٍ ﴾ [7] إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليهم بل يعلمكـم ويخبركـم به، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا.

[٢٥] ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ [8] يعني القرآن، ﴿ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ [1]، قال الكلبي: يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش.

---

(١) سورة التكوير آية: ٢١.
(٢) سورة التكوير آية: ٢٢.
(٣) سورة التكوير آية: ٢٣.
(٤) سورة التكوير آية: ٢٣.
(٥) سورة التكوير آية: ٢٤.
(٦) سورة التكوير آية: ٢٤.
(٧) سورة التكوير آية: ٢٤.
(٨) سورة التكوير آية: ٢٥.

[٢٦] ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [٢]، أي أين تعدلون عن هذا القرآن، وفيه الشفاء والبيان، قال الزجاج: أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكـم.

[٢٧] ثم بين فقال: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ [٣]، أي ما القرآن، ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [٤]، موعظة للخلق أجمعين.

[٢٨] ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ [٥]، أي يتبع الحق ويقيم عليه.

[٢٩] ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦]، أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وفيه إعلام أن أحدا لا يعمل خيرا إلا بتوفيق الله ولا شرا إلا بخذلانه.

---

(١) سورة التكوير آية: ٢٥.

(٢) سورة التكوير آية: ٢٦.

(٣) سورة التكوير آية: ٢٧.

(٤) سورة التكوير آية: ٢٧.

(٥) سورة التكوير آية: ٢٨.

(٦) سورة التكوير آية: ٢٩.

(٨٢) سورة الانفطار

قوله تعالى إِذَا السمَاءُ انفَطَرَتْ وَإِذَا الكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ...

[١] ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ ﴾ [(١)] انشقت.

[٢] ﴿ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ ﴾ [(٢)]، تساقطت.

[٣] ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ ﴾ [(٣)]، فجر بعضها في بعض، واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا.

[٤] ﴿ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ ﴾ [(٤)]، بحثت وقلب ترابا وبعث من فيها من الموتى أحياء.

[٥] ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥ ﴾ [(٥)]، قيل: ما قدمت من عمل صالح أو سيئ، وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة. وقيل: ما قدمت من الصدقات وأخرت من التركات.

[٦] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ﴾ [(٦)]، ما خدعك وسول لك الباطل حتى أضعت ما وجب عليك، والمعنى: ماذا أمنك من عقابه؟

[٧] ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ ﴾ [(١)] قرأ أهل الكوفة بالتخفيف فصرفك وأمالك إلى أي صورة شاء حسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا. وقرأ الآخرون: بالتشديد أي قومك وجعلك معتدل الخلق والأعضاء.

---

(١) سورة الانفطار آية: ١.

(٢) سورة الانفطار آية: ٢.

(٣) سورة الانفطار آية: ٣.

(٤) سورة الانفطار آية: ٤.

(٥) سورة الانفطار آية: ٥.

(٦) سورة الانفطار آية: ٦.

[٨] ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[2]، قال مجاهد: في أي شبه من أب أو أم أو عم، وذكر الفراء قولا آخر، إما طويلا أو قصيرا أو حسنا أو غير ذلك.

[٩] ﴿ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾[3]، بـالـجـزاء والحساب.

[١٠] ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴾[4]، رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم.

[١١] ﴿ كِرَامٗا ﴾ [5] على الله، ﴿ كَٰتِبِينَ ﴾[6]، يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

[١٢] ﴿ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[7]، من خير أو شر.

[١٣] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴾[8]، الأبرار الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله ﷻ واجتناب معاصيه.

[١٤، ١٥] ﴿ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ يَصۡلَوۡنَهَا ﴾[9]، يخلونها، ﴿ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ [10] يوم القيامة.

[١٦] ﴿ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة الانفطار آية: ٧.

(٢) سورة الانفطار آية: ٨.

(٣) سورة الانفطار آية: ٩.

(٤) سورة الانفطار آية: ١٠.

(٥) سورة الانفطار آية: ١١.

(٦) سورة الانفطار آية: ١١.

(٧) سورة الانفطار آية: ١٢.

(٨) سورة الانفطار آية: ١٣.

(٩) سورة الانفطار الآيتان : ١٤ ، ١٥.

(١٠) سورة الانفطار آية: ١٥.

[١٧] ثم عظم ذلك اليوم، فقال: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ﴾[٢]، كرر تفخيما لشأنه.

[١٨، ١٩] فقال: ﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[٣]، قال مقاتل: يعني لنفس كافرة شيئا من المنفعة، ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾[٤]، أي يوم لا يملك الله في ذلك اليوم أحدا شيئا كما ملكهم في الدنيا.

---

(١) سورة الانفطار آية: ١٦.

(٢) سورة الانفطار آية: ١٧.

(٣) سورة الانفطار الآيتان : ١٨ ، ١٩.

(٤) سورة الانفطار آية: ١٩.

(٨٣) سورة المطففين

قوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ...﴾

[١] ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾[1]، يعني الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس.

[٢] ثم بين المطففين من هم فقال ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ ﴾[2]، وأراد إذا اكتالوا من الناس أي أخذوا منهم، و (من)، و (على) يتعاقبان.

[٣] ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ ﴾[3]، أي كالوا لهم أو وزنوا لهم أي للناس، وقوله: (يُخْسِرُونَ) أي ينقصون.

[٤، ٥] ﴿ أَلَا يَظُنُّ ﴾[4]، يستيقن، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾[5]، الذين يفعلـون ذلك، ﴿ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ ﴾[6]، يعني يوم القيامة.

[٦] ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ ﴾[7] من قبورهم، ﴿ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾[8]، أي لأمره ولجزائه ولحسابه.

---

(١) سورة المطففين آية: ١.

(٢) سورة المطففين آية: ٢.

(٣) سورة المطففين آية: ٣.

(٤) سورة المطففين آية: ٤.

(٥) سورة المطففين آية: ٤.

(٦) سورة المطففين الآيتان : ٤ ، ٥.

(٧) سورة المطففين آية: ٦.

(٨) سورة المطففين آية: ٦.

[٧] قوله ﷻ ﴿ كَلَّآ ﴾ [١]، ردع أي ليس الأمر على ما هم عليه فليرتدعوا، وتمام الكلام هاهنا، وقال الحسن: كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا، ﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ ﴾ [٢]، الذي كتبت فيه أعمالهم، ﴿ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ ﴾ [٣]، قال عبد الله بن عمرو: (سجين) هي الأرض السابعة السفلي فيها أرواح الكفار. وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السفلي، وفيها إبليس وذريته، وقال وهب: هي آخر سلطان إبليس، وقال عكرمة: ﴿ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ ﴾ [٤] أي لفي خسار وضلال. وقال الأخفش. هو فعيل من السجن، كما يقال: فسيق وشريب، معناه لفي حبس وضيق شديد.

[٨] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ ﴾ [٥]، قال الزجاج: أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

[٩] ﴿ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩ ﴾ [٦]، ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: ﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ ﴾ [٧] أي هو كتاب الفجـار مرقوم، أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقـم في الثوب، لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به.

[١٠ - ١٣] ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ ﴾ [٨].

(١) سورة المطففين آية: ٧.
(٢) سورة المطففين آية: ٧.
(٣) سورة المطففين آية: ٧.
(٤) سورة المطففين آية: ٧.
(٥) سورة المطففين آية: ٨.
(٦) سورة المطففين آية: ٩.
(٧) سورة المطففين آية: ٧.
(٨) سورة المطففين الآيات من ١٠ : ١٣.

[١٤] ﴿ كَلَّا ﴾ (1)، قال مقاتل: أي لا يؤمنون، ثم استأنف فقال: ﴿ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (2).

قـال رسـول الله ﷺ ﴿ إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكـر الله في كتابه ﴾ (3) (4).

وأصل الرين الغلبة، يقال: رانت الخمر على عقله ترين رينا وريونا إذا غلبت عليه حتى سكر، ومعنى الآية: غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب. قال ابن عباس: ﴿ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ (5): طبع عليها.

[١٥] ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (6)، قال ابن عباس: كلا: يريد لا يصدقون، ثم استأنف فقال. (إِنهُمْ عَنْ رَبهمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)، قال بعضهم: عن كرامته ورحمته ممنوعون. وقال قتادة: هو ألا ينظر إليهم ولا يزكيهم. وقال أكثر المفسرين: عن رؤيته.

ثـم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال:

---

(١) سورة المطففين آية: ١٤.

(٢) سورة المطففين آية: ١٤.

(٣) الترمذي تفسير القرآن (٣٣٣٤)،ابن ماجه الزهد (٤٢٤٤)،أحمد (٢٩٧/٢).

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير (٢٥٣/٩) وقال: (حديث حسن صحيح)، والنسائي في التفسير (٥٠٥/٢) وفي عمل اليوم والليلة (ص ٣١٧)، وابن ماجه في الزهد برقم (٤٢٤٤) (١٤١٨/٢)، والإمام أحمد في المسند (٢٩٧/٢)، والطبري (٩٨/٣٠)، وصححه الحاكم (٥١٧/٢)، وابن حبان برقم (١٧٧١) والمصنف في شرح السنة (٨٩/٥).

(٥) سورة المطففين آية: ١٤.

(٦) سورة المطففين آية: ١٥.

[١٦] ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[1]، لداخلو النار.

[١٧] ﴿ ثُمَّ يُقَالُ ﴾[2]، أي تقول لهم الخزنة، ﴿ هَٰذَا ﴾[3]، أي هذا العذاب، ﴿ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[4].

قوله تعالى كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين...

[١٨] ﴿ كَلَّآ ﴾[5] قال مقاتل: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه.

ثم بين محل كتاب الأبرار فقال: ﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾[6]، ﴿ عِلِّيِّينَ ﴾[7] في السماء السابعة تحت العرش، وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه، وقال كعب وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى. وقال عطاء عن ابن عباس: هو الجنة. وقال الضحاك: سدرة المنتهى، وقال بعض أهل المعاني: علو بعد علو وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون.

[١٩، ٢٠] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴾[8]، ليس هذا بتفسير عليين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: ﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾[9]، أي مكتوب أعمالهم كما ذكرنا في كتاب الفجار.

---

(١) سورة المطففين آية: ١٦.
(٢) سورة المطففين آية: ١٧.
(٣) سورة المطففين آية: ١٧.
(٤) سورة المطففين آية: ١٧.
(٥) سورة المطففين آية: ١٨.
(٦) سورة المطففين آية: ١٨.
(٧) سورة المطففين آية: ١٨.
(٨) سورة المطففين الآيتان : ١٩ ، ٢٠.
(٩) سورة المطففين آية: ١٨.

[٢١] ﴿ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[١]، يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب، أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين.

[٢٢، ٢٣] ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾[٢]، إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة، وقال مقاتل: ينظرون إلى عدوهم كيف يعذبون.

[٢٤] ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾[٣]، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض.

[٢٥] ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ ﴾[٤]، خمر صافية طيبة، ﴿ مَّخْتُومٍ ﴾[٥]، ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار. وقال مجاهد: (مَّخْتُومٍ) أي مطين.

[٢٦] ﴿ خِتَـٰمُهُۥ ﴾[٦]، أي طينه، ﴿ مِسْكٌ ﴾[٧]، كأنه ذهب إلى هذا المعنى، قال ابن زيد: ختامه عند الله مسك وختام خمر الدنيا طين ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴾[٨]، فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله ﷻ.

[٢٧] ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾[٩]، شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم، وأصل كلمة السنام من العلو، يقال للشيء المرتفع: سنام، ومنه سنام البعير.

---

(١) سورة المطففين آية: ٢١.
(٢) سورة المطففين الآيتان : ٢٢ ، ٢٣.
(٣) سورة المطففين آية: ٢٤.
(٤) سورة المطففين آية: ٢٥.
(٥) سورة المطففين آية: ٢٥.
(٦) سورة المطففين آية: ٢٦.
(٧) سورة المطففين آية: ٢٦.
(٨) سورة المطففين آية: ٢٦.
(٩) سورة المطففين آية: ٢٧.

[٢٨] ﴿ عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨ ﴾[1]، (عينا) نصب على الحال، (يشرب بها) أي منها، وقيل: يشرب بها المقربون صرفا.

[٢٩] قوله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ ﴾[2]، أشركـوا يعني كفـار قريش، ﴿ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[3] من فقراء المؤمنين ﴿ يَضۡحَكُونَ ٢٩ ﴾[4]، وبهم يستهزءون.

[٣٠] ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ ﴾[5]، يعني مر المؤمنون بالكفار، ﴿ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ ﴾[6]، والغمز الإشارة بالجفن والحاجب، أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاء.

[٣١] ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ ﴾[7]، يعني الكفار، ﴿ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ ﴾[8]، معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم.

[٣٢] ﴿ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ ﴾[9]، رأوا أصحاب النبي ﷺ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ ﴾[10]، يأتون محمدا ﷺ يرون أنهم على شيء.

---

(١) سورة المطففين آية: ٢٨.
(٢) سورة المطففين آية: ٢٩.
(٣) سورة المطففين آية: ٢٩.
(٤) سورة المطففين آية: ٢٩.
(٥) سورة المطففين آية: ٣٠.
(٦) سورة المطففين آية: ٣٠.
(٧) سورة المطففين آية: ٣١.
(٨) سورة المطففين آية: ٣١.
(٩) سورة المطففين آية: ٣٢.
(١٠) سورة المطففين آية: ٣٢.

[٣٣] ﴿ وَمَآ أُرۡسِلُواْ ﴾ (١)، يعني المشركين، ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (٢)، يعني على المؤمنين، ﴿ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٣) أعمالهم، أي لم يوكلوا بحفظ أعمالهم.

[٣٤] ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ﴾ (٤)، يعني في الآخرة، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٥)، إذا اطلعوا من الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا.

[٣٥] ﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ ﴾ (٦)، من الدر والياقوت، ﴿ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٧)، إليهم في النار.

[٣٦] ﴿ هَلۡ ثُوِّبَ ﴾ (٨)، هل جوزي، ﴿ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٩)، أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام هاهنا: التقرير. وثوب وأثيب وأثاب بمعنى واحد.

---

(١) سورة المطففين آية: ٣٣.
(٢) سورة المطففين آية: ٣٣.
(٣) سورة المطففين آية: ٣٣.
(٤) سورة المطففين آية: ٣٤.
(٥) سورة المطففين آية: ٣٤.
(٦) سورة المطففين آية: ٣٥.
(٧) سورة المطففين آية: ٣٥.
(٨) سورة المطففين آية: ٣٦.
(٩) سورة المطففين آية: ٣٦.

(٨٤) سورة الانشقاق

قوله تعالى إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ...

[١] ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ ﴾[(١)]، انشقاقها من علامات القيامة.

[٢] ﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا ﴾[(٢)]، أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته، من الأذن وهو الاستماع، ﴿ وَحُقَّتۡ ۝٢ ﴾[(٣)]، أي وحق لها أن تطيع ربها.

[٣] ﴿ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ ﴾[(٤)]، مد الأديم العكاظي، وزيد في سعتها.

[٤] ﴿ وَأَلۡقَتۡ ﴾[(٥)]، أخرجت، ﴿ مَا فِيهَا ﴾[(٦)]، من الموتى والكنوز، ﴿ وَتَخَلَّتۡ ۝٤ ﴾[(٧)]، خلت منها.

[٥] ﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ ﴾[(٨)]، واختلفوا في جواب (إذا) قيل: جوابه محذوف تقديره: إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الثواب والعقاب.

[٦] وقيل جوابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا ﴾[(٩)]، ومجازه ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ ﴾[(١٠)] لقي كل كادح ما عمله. وقيل: جوابه

---

(١) سورة النشقاق آية: ١.

(٢) سورة النشقاق آية: ٢.

(٣) سورة النشقاق آية: ٢.

(٤) سورة النشقاق آية: ٣.

(٥) سورة النشقاق آية: ٤.

(٦) سورة النشقاق آية: ٤.

(٧) سورة النشقاق آية: ٤.

(٨) سورة النشقاق آية: ٥.

(٩) سورة النشقاق آية: ٦.

(١٠) سورة النشقاق آية: ١.

وأذنت، وحينئذ تكون الواو زائدة ومعنى قوله: (كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا)، أي ساع إليه في عملك، والكدح: سعي الانسان وجهده في الأمر من الخير والشر حتى يكدح ذلك فيه، أي يؤثر ﴿ فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ ﴾[1]، أي ملاقي جزاء عملك خيرا كان أو شرا.

[٧، ٨] ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ ﴾[2]، ديوان أعماله، ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾[3] قال النبي ﷺ ﴿ من حوسب عذب " قالت عائشة - رضي الله عنها -: يا رسول الله أوليس يقول الله ﷻ (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)؟ فقال: "إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش في الحساب يهلك ﴾[4] [5].

[٩] ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾[6]، يعني في الجنة من الحـور العين والآدميـات، ﴿ مَسْرُورًا ۝٩ ﴾[7]، بما أوتي من الخير والكرامة.

[١٠] ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ ﴾[8]، فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

[١١] ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ ﴾[1]، ينادي بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه يقول: يا ويلاه يا ثبوراه.

---

(١) سورة النشقاق آية: ٦.

(٢) سورة النشقاق آية: ٧.

(٣) سورة النشقاق الآيتان : ٧ ، ٨.

(٤) البخاري العلم (١٠٣)،مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٦)،الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٢٦)،أبو داود الجنائز (٣٠٩٣)،أحمد (١٨٥/٦).

(٥) أخرجه البخاري في العلم (١٩٦/١) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٧٦) (٢٢٠٤/٤).

(٦) سورة النشقاق آية: ٩.

(٧) سورة النشقاق آية: ٩.

(٨) سورة النشقاق آية: ١٠.

[١٢، ١٣] ﴿ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ ﴾[٢]، يعني في الدنيا باتباع هواه وركوب شهوته.

[١٤] ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ ﴾[٣]، أن لن يرجع إلينا ولن يبعث.

[١٥] ثم قال: ﴿ بَلَىٰٓ ﴾[٤]، أي ليس كما ظن بل يحور إلينا ويبعث ﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥ ﴾[٥]، خلقه إلى أن بعثه.

[١٦] قوله ﷻ ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ ﴾[٦]، قال مجاهد: هو النهار كله. وقال عكرمة: ما بقي من النهار، وقال ابن عباس وأكثر المفسرين: هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس. وقال قوم: هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة.

[١٧] ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ ﴾[٧]، أي جمع وضم يقال: وسقته أسقه وسقا أي جمعته، واستوسقت الإبل إذا اجتمعت وانضمت، والمعنى: والليل وما جمع وضم ما كان بالنهار منتشرا من الدواب، وذلك أن الليل إذا أقبل آوى كل شيء إلى مأواه.

[١٨] ﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ ﴾[٨]، اجتمع واستوى وتم نوره وهو في الأيام البيض.

---

(١) سورة النشقاق آية: ١١.
(٢) سورة النشقاق الآيتان : ١٢ ، ١٣.
(٣) سورة النشقاق آية: ١٤.
(٤) سورة النشقاق آية: ١٥.
(٥) سورة النشقاق آية: ١٥.
(٦) سورة النشقاق آية: ١٦.
(٧) سورة النشقاق آية: ١٧.
(٨) سورة النشقاق آية: ١٨.

[١٩ - ٢٠] ﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴾[1]، قرأ أهل مكة وحمزة والكسائي (لَتَرْكَبَن) بفتح الباء، يعني لتركبن يا محمد. قال الشعبي ومجاهد: سماء بعد سماء، قال الكلبي: يعني تصعد فيها. ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله - تعالى - والرفعة، قال ابن عباس: (لَتَرْكَبُن طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) حالا بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ. وقيل: أراد به السماء تتغير لونا بعد لون، فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل، فتنشق بالغمام مرة وتطوى أخرى.

وقرأ الآخرون: بضم الباء لأن المعنى بالناس أشبه لأنه ذكر من قبل: فأما من أوتي كتابه بيمينه، وشماله وذكر من بعده ﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[2]، وأراد لتركبن حالا بعد حال وأمرا بعد أمر في موقف القيامة، يعني الأحوال تنقلب بهم فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا. و (عن) بمعنى بعد، وقال مقاتل: يعني الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة. وقال عطاء: مرة فقيرا ومرة غنيا. وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس: يعني الشدائد والأهوال والموت، ثم البعث ثم العرض. وقال عكرمة: حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ ﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[3] استفهام إنكار.

[٢١] ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴾[4]، لا يصلون.

[٢٢] ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴾[5]، بالقرآن والبعث.

---

(١) سورة النشقاق آية: ١٩.

(٢) سورة النشقاق آية: ٢٠.

(٣) سورة النشقاق آية: ٢٠.

(٤) سورة النشقاق آية: ٢١.

(٥) سورة النشقاق آية: ٢٢.

[٢٣] ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ ﴾[1]، في صدورهم من التكذيب. قال مجاهد: يكتمون.

[٢٤، ٢٥] ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ۝٢٥ ﴾[2]، غير مقطوع ولا منقوص.

(١) سورة النشقاق آية: ٢٣.

(٢) سورة النشقاق الآيتان : ٢٤ ، ٢٥.

(٨٥) سورة البروج

قوله تعالى وَالسمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوج وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ...

[١ - ٢] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ ﴾ [(١)]، هو يوم القيامة.

[٣] ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشۡهُودٍ ۝٣ ﴾ [(٢)] الأكثرون: أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. وروي عن ابن عمر: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. قال سعيد بن المسيب: الشاهد يوم التروية، والمشهود يوم عرفة. وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة، ثم تلا: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١ ﴾ [(٣)] وقال: ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ۝١٠٣ ﴾ [(٤)]. وقال عبد العزيز بن يحيى: الشاهد محمـد ﷺ والمشهـود الله ﷻ بيانه قوله: ﴿ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١ ﴾ [(٥)]. وعن مجاهد قال: الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة. وقال عكرمة: الشاهد الإنسان والمشهود يوم القيامة، وعن ابن عباس: الشاهد هو الله ﷻ والمشهود يوم القيامة. وقال الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم، وقيل: الشاهد أعضاء بني آدم، بيانه: ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم ﴾ [(٦)].

[٤] ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ﴾ [(٧)]، أي لـعـن، والأخدود: الشق المستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه أخاديد.

---

(١) سورة البروج الآيتان : ١ ، ٢.

(٢) سورة البروج آية: ٣.

(٣) سورة النساء آية: ٤١.

(٤) سورة هود آية: ١٠٣.

(٥) سورة النساء آية: ٤١.

(٦) سورة النور آية: ٢٤.

(٧) سورة البروج آية: ٤.

[٥] ﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ ﴾[١]، بدل من الأخدود، قال الربيع بن أنس: نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم.

[٦] ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ ﴾[٢]، أي عند النار جلوس يعذبون المؤمنين. قال مجاهد: كانوا قعودا على الكراسي عند الأخدود.

[٧] ﴿ وَهُمْ ﴾[٣]، يعني الملك وأصحابه الذين خدوا الأخدود، ﴿ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤]، من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم، ﴿ شُهُودٌ ۝ ﴾[٥]، حضور.

[٨] ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ ﴾[٦]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ما كرهوا منهم، ﴿ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾[٧]، قال مقاتل: ما عابوا منهم. وقيل: ما علموا فيهم عيبا. قال الزجاج: ما أنكروا عليهم ذنبا إلا إيمانهم بالله ﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ﴾[٨].

[٩] ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[٩]، من أفعالهم، ﴿ شَهِيدٌ ۝ ﴾[١٠].

---

(١) سورة البروج آية: ٥.
(٢) سورة البروج آية: ٦.
(٣) سورة البروج آية: ٧.
(٤) سورة البروج آية: ٧.
(٥) سورة البروج آية: ٧.
(٦) سورة البروج آية: ٨.
(٧) سورة البروج آية: ٨.
(٨) سورة البروج آية: ٨.
(٩) سورة البروج آية: ٩.
(١٠) سورة البروج آية: ٩.

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ﴾[1]، عذبوا وأحرقوا، ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾[2]، يقال: فتنت الشيء إذ أحرقته، نظيره: ﴿ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴾[3]، ﴿ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾[4]، بكفرهم، ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴾[5]، بما أحرقوا المؤمنين. وقيل: ولهم عذاب الحريق في الدنيا، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا با المؤمنين، وارتفعت إليهم من الأخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي.

[١١] ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[6] واختلفوا في جواب القسم فقال بعضهم. جوابه ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾[7]، يعني لقد قتل. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج. وقال قتادة: جوابه:

[١٢] ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾[8]، قال ابن عباس: إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد، كقوله: ﴿ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾[9].

[١٣] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴾[10]، أي يخلقهم أولا في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت.

[١٤] ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ﴾[1]، لـ ذنوب المؤمنين، ﴿ ٱلۡوَدُودُ ﴾[2] المحب لهم.

---

(١) سورة البروج آية: ١٠.

(٢) سورة البروج آية: ١٠.

(٣) سورة الذاريات آية: ١٣.

(٤) سورة البروج آية: ١٠.

(٥) سورة البروج آية: ١٠.

(٦) سورة البروج آية: ١١.

(٧) سورة البروج آية: ٤.

(٨) سورة البروج آية: ١٢.

(٩) سورة هود آية: ١٠٢.

(١٠) سورة البروج آية: ١٣.

[١٥] ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ ﴾[٣]، قرأ حمزة والكسائي (الـيد) بالجر على صفة العرش أي السرير العظيم. وقيل: أراد حسنه فوصفه بالـد كما وصفه بالكرم، فقال: ﴿ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ ﴾[٤]، ومعناه الكمال، والعرش: أحسن الآشياء وأكملها، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش.

[١٦] ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦ ﴾[٥]، لا يعجزه شيء يريده وللايمتنع منه شيء طلبه.

[١٧] قوله ﷻ ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ ﴾[٦]، قد أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء، ثم بين من هم؟

[١٨، ١٩] فقال: ﴿ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[٧]، من قومك يا محمد، ﴿ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ ﴾[٨]، لك وللقرآن كدأب من قبلهم، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار.

[٢٠] ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ ﴾[٩]، عالم بم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يقدر أن يـ ل بم ما أنزل بمن كان قبلهم.

[٢١] ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ ﴾[١٠]، كريم شريف كثير الخير، ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة.

---

(١) سورة البروج آية: ١٤.

(٢) سورة البروج آية: ١٤.

(٣) سورة البروج آية: ١٥.

(٤) سورة المؤمنون آية: ١١٦.

(٥) سورة البروج آية: ١٦.

(٦) سورة البروج آية: ١٧.

(٧) سورة البروج الآيتان : ١٨ ، ١٩.

(٨) سورة البروج آية: ١٩.

(٩) سورة البروج آية: ٢٠.

(١٠) سورة البروج آية: ٢١.

[٢٢] ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]، قرأ نافع محفوظ بالرفع على نعت القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2]، وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ، وهو أم الكـتاب، ومنه تنسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان.

(١) سورة البروج آية: ٢٢.

(٢) سورة الحجر آية: ٩.

(٨٦) سورة الطارق

قوله تعالى وَالسمَاءِ وَالطارِق وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطارِقُ...

[١] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ ﴾[١]، وهذا قسم، والطارق النجـم يظهر بالليل، وما أتاك ليلا فهو طارق.

[٢] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ﴾[٢].

[٣] ثم فسره فقال: ﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾[٣]، أي المضيء. المنير، قال مجاهد: المتوهج.

[٤] ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٍ ﴾[٤]، جواب القسم، ﴿ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ ﴾[٥]، كل نفس عليها حافظ من ربا يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير وشر. قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة.

[٥] ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾[٦]، أي فليتفكر من أي شيء خلقه ربه، أي فلينظر نظر المتفكر.

[٦] ثم بين فقال: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ ﴾[٧]، مدفوق أي مصبوب في الرحم، وهو المني، فاعل بمعنى مفعول كقوله: ﴿ عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١ ﴾[٨]، والدفق الصب وأراد ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما، وجعله واحدا لامتزاجهما.

---

(١) سورة الطارق آية: ١.
(٢) سورة الطارق آية: ٢.
(٣) سورة الطارق آية: ٣.
(٤) سورة الطارق آية: ٤.
(٥) سورة الطارق آية: ٤.
(٦) سورة الطارق آية: ٥.
(٧) سورة الطارق آية: ٦.
(٨) سورة الحاقة آية: ٢١.

[٧] ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ ﴾[1]، يعني صلب الرجل وترائب المرأة والترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر والنحر.

[٨] ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ ﴾[2]، قال مجاهد: على رد النطفة في الإحليل. وقال عكرمة: على رد الماء في الصلب الذي خرج منه. وقال الضحاك: إنه على رد الإنسان ماء كما كان من قبل لقادر، وقال قتادة: إن الله - تعالى - على بعث الانسان وإعادته بعد الموت قادر. وهذا أولى الأقاويل.

[٩] لقوله: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ ﴾[3]، وذلك يوم القيامة، تبلى السرائر تظهر الخفايا. قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال، كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة، فإنا سرائر بين الله - تعالى - وبين العبد، فلو شاء العبد لقال: صمت ولم يصم، وصليت ولـم يصل.

[١٠] ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ ﴾[4]، أي ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع با من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله.

[١١] ثـم ذكر قسما آخر فقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝ ﴾[5]، أي ذات المطر لأنه يرجع كل عام ويتكرر. وقال ابن عباس: هو السحاب يرجع المطر.

[١٢] ﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝ ﴾[6]، أي تصدع وتنشق عن النبات والأشجار والأنار.

---

(١) سورة الطارق آية: ٧.
(٢) سورة الطارق آية: ٨.
(٣) سورة الطارق آية: ٩.
(٤) سورة الطارق آية: ١٠.
(٥) سورة الطارق آية: ١١.
(٦) سورة الطارق آية: ١٢.

[١٣] وجواب القسم قوله: ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ [١]، يعني القرآن، ﴿ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [٢]، حق وجد يفصل بين الحق والباطل.

[١٤] ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ [٣]، باللعب والباطل.

[١٥] ثم أخبر عن مشركي مكة فقال: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾ [٤]، يخافون النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه.

[١٦] ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [٥]، وكيد الله استدراجهم إياهم من حيث لا يعلمون.

[١٧] ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [٦]، قال ابن عباس: هذا وعيد من الله ﷻ لهم، ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [٧]، قليلا ومعنى مهل وأمهل انظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر، ونسخ الإمهال بآية السيف.

---

(١) سورة الطارق آية: ١٣.

(٢) سورة الطارق آية: ١٣.

(٣) سورة الطارق آية: ١٤.

(٤) سورة الطارق آية: ١٥.

(٥) سورة الطارق آية: ١٦.

(٦) سورة الطارق آية: ١٧.

(٧) سورة الطارق آية: ١٧.

(٨٧) سورة الأعلى

قوله تعالى سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى...

[١] ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾[(١)]، يعني قل سبحان ربي الأعلى، وقال قوم: معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه به الملحدون، وقال آخرون: نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت معظم ولذكره محترم.

[٢] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ ﴾[(٢)]، قال الكلبي: خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين. قال الزجاج: خلق الإنسان مستويا، ومعنى سوى: عدل قامته.

[٣] ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾[(٣)] قال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتعها. وقال مقاتل والكلبي: قدر لكل شيء مسلكه فهدى، عرفها كيف يأتي الذكر الأنثى. وقيل: قدر الأرزاق فهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش. وقيل: خلق المنافع في الأشياء وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها.

[٤] ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ ﴾[(٤)]، أنبت العشب وما ترعاه النعم. من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض.

[٥] ﴿ فَجَعَلَهُۥ ﴾[(٥)]، بعد الخضرة، ﴿ غُثَآءً ﴾[(٦)]، هشيما باليا، كالغثاء الذي تراه فوق السيل. ﴿ أَحۡوَىٰ ۝٥ ﴾[(٧)]، أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس اسود.

---

(١) سورة الأعلى آية: ١.
(٢) سورة الأعلى آية: ٢.
(٣) سورة الأعلى آية: ٣.
(٤) سورة الأعلى آية: ٤.
(٥) سورة الأعلى آية: ٥.
(٦) سورة الأعلى آية: ٥.
(٧) سورة الأعلى آية: ٥.

[٦، ٧] ﴿ سَنُقۡرِئُكَ ﴾[1]، سنعلمك بقراءة جبريل عليك، ﴿ فَلَا تَنسَىٰٓ ۞ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾[2]، أن تنساه وما نسخ الله تلاوته من القرآن، ﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ ﴾[3]، من القول والفعل، ﴿ وَمَا يَخۡفَىٰ ۞ ﴾[4]، منهما، والمعنى: أنه يعلم السر والعلانية.

[٨] ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۞ ﴾[5]، قال مقاتل: نون عليك عمل الجنة، وهو معنى قول ابن عباس: نيسرك لأن تعمل خيرا، واليسرى عمل الخير. وقيل: نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة.

[٩] ﴿ فَذَكِّرۡ ﴾[6]، عظ بالقرآن، ﴿ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۞ ﴾[7]، الموعظة والتذكير، والمعنى: نفعت أو لم تنفع.

[١٠] ﴿ سَيَذَّكَّرُ ﴾[8]، سيتعظ، ﴿ مَن يَخۡشَىٰ ۞ ﴾[9]، الله ﷻ.

[١١] ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ﴾[10]، أي يتجنب الذكرى ويتباعد عنها، ﴿ ٱلۡأَشۡقَى ۞ ﴾[11]، الشقي في علم الله.

[١٢] ﴿ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۞ ﴾[12]، العظيمة والفظيعة لأنا أعظم وأشد حرا من نار الدنيا.

---

(١) سورة الأعلى آية: ٦.

(٢) سورة الأعلى الآيتان : ٦ ، ٧.

(٣) سورة الأعلى آية: ٧.

(٤) سورة الأعلى آية: ٧.

(٥) سورة الأعلى آية: ٨.

(٦) سورة الأعلى آية: ٩.

(٧) سورة الأعلى آية: ٩.

(٨) سورة الأعلى آية: ١٠.

(٩) سورة الأعلى آية: ١٠.

(١٠) سورة الأعلى آية: ١١.

(١١) سورة الأعلى آية: ١١.

(١٢) سورة الأعلى آية: ١٢.

[١٣] ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾[1]، فيستريح، ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾[2]، حياة تنفعه.

[١٤] ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[3]، تطهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله، وقال الحسن: من كان عمله زاكيا. وقال آخرون: هو صدقة الفطر.

[١٥] ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[4]، قال: خرج إلى العيد فصلى صلاته، وقيل: الصلاة هاهنا الدعاء.

[١٦] ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ ﴾[5].

[١٧] ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾[6]، قال عرفجة الأشجعي: كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا: أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا: لا، قال: لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابا ونساؤها ولذاتا وبجتها، وأن الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل.

[١٨] ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ﴾[7]، يعني ما ذكر من قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[8]، إلى أربع آيات، ﴿ لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[9]، أي الكتب الأولى التي أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المتزكي والمصلي وإيثار الخلق الحياة الدنيا على الآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى.

---

(١) سورة الأعلى آية: ١٣.
(٢) سورة الأعلى آية: ١٣.
(٣) سورة الأعلى آية: ١٤.
(٤) سورة الأعلى آية: ١٥.
(٥) سورة الأعلى آية: ١٦.
(٦) سورة الأعلى آية: ١٧.
(٧) سورة الأعلى آية: ١٨.
(٨) سورة الأعلى آية: ١٤.
(٩) سورة الأعلى آية: ١٨.

[١٩] ثم بين الصحف فقال: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾[1]، قال عكرمة والسدي: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى.

(١) سورة الأعلى آية: ١٩.

(٨٨) سورة الغاشية

قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ...

[١] ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾ [1]، قد أتاك حديث القيامة تغشى كل شيء بالأهوال.

[٢] ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ ﴾ [2]، يعني يوم القيامة، ﴿ خَٰشِعَةٌ ﴾ [3]، ذليلة.

[٣] ﴿ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ﴾ [4]، قال عطاء عن ابن عباس: يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة، ومعنى النصب الدأب في العمل بالتعب، وقال عكرمة والسدي: عامدة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في الآخرة في النار، وقال الحسن: لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار.

[٤] ﴿ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ﴾ [5]، قال ابن عباس: قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله.

[٥] ﴿ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ﴾ [6]، متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها وردا عطاشا. قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت، هذا شرابهم، ثم ذكر طعامهم فقال:

[٦ - ٧] ﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ﴾ [7]، قال مجاهد: هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض، تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموها الضريع، وهو أخبث طعام وأبشعه،

---

(١) سورة الغاشية آية: ١.

(٢) سورة الغاشية آية: ٢.

(٣) سورة الغاشية آية: ٢.

(٤) سورة الغاشية آية: ٣.

(٥) سورة الغاشية آية: ٤.

(٦) سورة الغاشية آية: ٥.

(٧) سورة الغاشية آية: ٦.

قال ابن زيد: أما في الدنيا فإن الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار ﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ ﴾[1].

[٨] ثم وصف أهل الجنة فقال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ ﴾[2]، قال مقاتل: في نعمة وكرامة.

[٩] ﴿ لِّسَعْيِهَا ﴾[3] في الدنيا، ﴿ رَاضِيَةٌ ۝٩ ﴾[4]، في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها.

[١٠ - ١١] ﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ ﴾[5]، لغوا وباطلا.

[١٢- ١٤] ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ ﴾[6]، عندهم.

[١٥] ﴿ وَنَمَارِقُ ﴾[7]، وسائد ومرافق، ﴿ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ ﴾[8]، بعضها بجنب بعض واحدتا نمرقة بضم النون.

[١٦] ﴿ وَزَرَابِىُّ ﴾[9]، يعني البسط العريضة ﴿ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ ﴾[10]، مبسوطة، وقيل: متفرقة في االس.

---

(١) سورة الغاشية آية: ٧.

(٢) سورة الغاشية آية: ٨.

(٣) سورة الغاشية آية: ٩.

(٤) سورة الغاشية آية: ٩.

(٥) سورة الغاشية الآيتان : ١٠ ، ١١.

(٦) سورة الغاشية الآيات من ١٢ : ١٤.

(٧) سورة الغاشية آية: ١٥.

(٨) سورة الغاشية آية: ١٥.

(٩) سورة الغاشية آية: ١٦.

(١٠) سورة الغاشية آية: ١٦.

[١٧] ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾[1]، قال أهل التفسير: لما نعت الله - تعالى - في هذه السورة ما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه، فذكر لهم الله - تعالى - صنعه فقال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾[2] وكانت الإبل أعظم عيش العرب، لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لأهل الجنة فيها ما صنع.

[١٨] ﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴾[3]، عن الأرض حتى لا ينالها شيء بغيرها.

[١٩] ﴿ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴾[4]، على وجه الأرض مرساة لا تزول.

[٢٠] ﴿ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾[5]، بسطت، قال عطاء عن ابن عباس: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الأرض غيري؟

[٢١ - ٢٢] ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾[6]، بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الإيمان، نسختها آية القتال.

[٢٣] ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ ﴾[7]، استثناء منقطع عما قبله معناه لكن مـن تـولى، ﴿ وَكَفَرَ ﴾[8]، بعد التذكير.

---

(١) سورة الغاشية آية: ١٧.

(٢) سورة الغاشية آية: ١٧.

(٣) سورة الغاشية آية: ١٨.

(٤) سورة الغاشية آية: ١٩.

(٥) سورة الغاشية آية: ٢٠.

(٦) سورة الغاشية الآيتان : ٢١ ، ٢٢.

(٧) سورة الغاشية آية: ٢٣.

(٨) سورة الغاشية آية: ٢٣.

[٢٤] ﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، وهو أن يدخله النار. وإنما قال الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسر.

[٢٥] ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾[2]، رجوعهم بعد الموت، يقال: آب يئوب أوبا وإيابا.

[٢٦] ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[3]، يعني جزاءهم بعد المرجع إلى الله ﷻ.

(١) سورة الغاشية آية: ٢٤.
(٢) سورة الغاشية آية: ٢٥.
(٣) سورة الغاشية آية: ٢٦.

(٨٩) سورة الفجر

قوله تعالى وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشفْعِ وَالْوَتْرِ...

[١] ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ ﴾ [(١)] أقسم الله ﷻ بالفجر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصبح كل يوم. وهو قول عكرمة، وقال عطية عنه: صلاة لصبح، وقال قتادة: هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة. وقال الضحاك: فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر.

[٢] ﴿ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ ﴾ [(٢)]، روي عن ابن عباس: أنا العشر الأول من ذي الحجة، وقال أبو روق عن الضحاك: هي العشر الأول من شهر رمضان. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: هي العشر الأواخر من شهر رمضان. وقال يمن بن رباب: هي العشر الأول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء.

[٣] ﴿ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ ﴾ [(٣)] اختلفوا في الشفع والوتر، قيل: الشفع الخلق، قال الله - تعالى -: ﴿ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨ ﴾ [(٤)] والوتر: هو الله ﷻ وقال مجاهد ومسروق: الشفع الخلق كله، والوتر هو الله، قال الله - تعالى -: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [(٥)]، قال الحسن وابن زيد: الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر. وروى قتادة عن الحسن قال: هو العدد منه شفع ومنه وتر. وقال قتادة: هما الصلوات منها شفع ومنها وتر.

[٤] ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ ﴾ [(٦)]، أي إذا سار وذهب كما قال: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ ﴾ [(٧)]، وقال قتادة: إذا جاء وأقبل وأراد كل ليلة.

---

(١) سورة الفجر آية: ١.

(٢) سورة الفجر آية: ٢.

(٣) سورة الفجر آية: ٣.

(٤) سورة النبأ آية: ٨.

(٥) سورة الإخلاص آية: ١.

(٦) سورة الفجر آية: ٤.

(٧) سورة المدثر آية: ٣٣.

[٥] ﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ ﴾ [(١)]، أي فيما ذكرت، ﴿ قَسَمٌ ﴾ [(٢)]، أي مقنع ومكتفى في القسم، ﴿ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ ﴾ [(٣)]، للذي عقل سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي، وأصل الحجر المنع وجواب القسم قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤ ﴾ [(٤)]، واعترض بين القسم وجوابه قوله ﷻ

[٦ - ٧] ﴿ أَلَمۡ تَرَ ﴾ [(٥)]، قال الفراء: ألم تخبر. وقال الزجاج: ألم تعلم ومعناه التعجب. ﴿ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ﴾ [(٦)]، يخوف أهل مكة يعني كيف أهلكهم، وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة من هؤلاء، واختلفوا في إرم فقال سعيد بن المسيب: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ﴾ [(٧)] دمشق، وبه قال عكرمة، وقال القرظي: هي الإسكندرية، وقال مجاهد: هي أمة.

وقيل: معناه القديمة. وقال قتادة ومقاتل: هم قبيلة من عاد.

[٨] ﴿ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ ﴾ [(٨)]، وسموا ذات العماد لهذا لأنم كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة، وقال بعضهم: سموا ذات العماد لطول قامتهم. قال ابن عباس: يعني طولهم مثل العماد. وقوله: (لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهم الذين قالوا: ﴿ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [(٩)]، وقيل: سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم.

---

(١) سورة الفجر آية: ٥.
(٢) سورة الفجر آية: ٥.
(٣) سورة الفجر آية: ٥.
(٤) سورة الفجر آية: ١٤.
(٥) سورة الفجر آية: ٦.
(٦) سورة الفجر الآيتان : ٦ ، ٧.
(٧) سورة الفجر آية: ٧.
(٨) سورة الفجر آية: ٨.
(٩) سورة فصلت آية: ١٥.

[٩] ﴿ وَثَمُودَ ﴾ [(١)]، أي وبثمود، ﴿ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ ﴾ [(٢)]، قطعوا الحجر، ﴿ بِٱلْوَادِ ۝٩ ﴾ [(٣)]، يعني وادي القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتا.

[١٠] ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ﴾ [(٤)]، سمي بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد، وقد ذكرناه في سورة ص [(٥)].

[١١] ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ ﴾ [(٦)]، يعني عادا وثمود وفرعون عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا.

[١٢ - ١٣] ﴿ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ ﴾ [(٧)]، قال قتادة: يعني لونا من العذاب صبه عليهم، قال أهل المعاني: هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب، فجرى ذلك لكل نوع من العذاب. قال الزجاج: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب.

[١٤] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾ [(٨)]، قال ابن عباس: يعني بحيث يرى ويسمع ويبصر ما تقول وتفعل وتجس به العباد. قال الكلبي: عليه طريق العباد لا يفوته أحد. قال مقاتل: ممر الناس عليه، والمرصاد والمرصد: الطريق. وقيل: مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم. وقال الحسن وعكرمة: يرصد أعمال بني آدم. والمعنى: أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من هو بالمرصاد.

---

(١) سورة الفجر آية: ٩.

(٢) سورة الفجر آية: ٩.

(٣) سورة الفجر آية: ٩.

(٤) سورة الفجر آية: ١٠.

(٥) آية (١٢).

(٦) سورة الفجر آية: ١١.

(٧) سورة الفجر الآيتان : ١٢ ، ١٣.

(٨) سورة الفجر آية: ١٤.

[١٥] ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ ﴾[(١)]، امتحنه، ﴿ رَبُّهُۥ ﴾[(٢)]، بالنعمة، ﴿ فَأَكْرَمَهُۥ ﴾[(٣)]، بالمال، ﴿ وَنَعَّمَهُۥ ﴾[(٤)]، بما وسع عليه، ﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ ﴾[(٥)]، بما أعطاني.

[١٦] ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ ﴾[(٦)]، بالفقر، ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾[(٧)]، أي ضيق عليه رزقه. وقيل: قدر بمعنى قتر وأعطاه قدر ما يكفيه. ﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ۝١٦ ﴾[(٨)]، أذلني بالفقر، وهذا يعني به الكافر تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته.

قوله تعالى كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ...

[١٧] فقال: ﴿ كَلَّا ۖ ﴾[(٩)]، لم أبتله بالمغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرزق، ولكن الفقر والغنى بتقديره فيوسع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه، إنما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته، ﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ ﴾[(١٠)]، لا تحسنوا إليه. وقيل: لا تعطونه حقه.

(١) سورة الفجر آية: ١٥.
(٢) سورة الفجر آية: ١٥.
(٣) سورة الفجر آية: ١٥.
(٤) سورة الفجر آية: ١٥.
(٥) سورة الفجر آية: ١٥.
(٦) سورة الفجر آية: ١٦.
(٧) سورة الفجر آية: ١٦.
(٨) سورة الفجر آية: ١٦.
(٩) سورة الفجر آية: ١٧.
(١٠) سورة الفجر آية: ١٧.

[١٨] ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾[1]، أي لا تأمرون بإطعامه، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة (تَحَاضونَ) بفتح الحاء وألف بعدها أي لا يحض بعضكم بعضا عليه.

[١٩] ﴿ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ ﴾[2]، أي الميراث، ﴿ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴾[3]، شديدا يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم. قال ابن زيد: الأكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام، ويأكل الذي له ولغيره.

[٢٠] ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾[4]، أي كثيرا يعني يحبون جمع المال ويولعون به، يقال: جم المال في الحوض إذا كثر واجتمع.

[٢١] ﴿ كَلَّآ ﴾[5]، ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر. وقال مقاتل: أي لا يفعلون ما أمروا به من إكرام اليتيم وإطعام المسكين، ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم، فقال عز من قائل: ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴾[6]، مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شيء.

[٢٢] ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾[7]، قال عطاء: يريد صفوف الملائكة، وأهل كل سماء صف على حدة. قال الضحاك: أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفا مختلطين بالأرض ومن فيها فيكون سبع صفوف.

---

(١) سورة الفجر آية: ١٨.
(٢) سورة الفجر آية: ١٩.
(٣) سورة الفجر آية: ١٩.
(٤) سورة الفجر آية: ٢٠.
(٥) سورة الفجر آية: ٢١.
(٦) سورة الفجر آية: ٢١.
(٧) سورة الفجر آية: ٢٢.

[٢٣] ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ ﴾[١]، يعني يوم يجاء بجهنم، ﴿ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾[٢]، يتعظ ويتوب الكافر، ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾[٣]، قال الزجاج: يظهر التوبة ومن أين له التوبة.

[٢٤] ﴿ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾[٤]، أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة، أي لآخرتي التي لا موت فيها.

[٢٥، ٢٦] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[٥]، بفتح الذال والثاء على معنى لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ، ولا يوثق كوثاقه يومئذ، وقيل: هو رجل بعينه، وهو أمية بن خلف، يعني لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد، بكسر الذال والثاء، أي لا يعذب أحد من الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كوثاقه أحد، يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب، والوثاق وهو الإسار في السلاسل والأغلال.

[٢٧] قوله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾[٦]، إلى ما وعد الله المصدقة بما قال الله.

[٢٨] ﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾[٧]، إلى الله، ﴿ رَاضِيَةً ﴾[٨]، بالثواب، ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾[٩]، عنك.

---

(١) سورة الفجر آية: ٢٣.
(٢) سورة الفجر آية: ٢٣.
(٣) سورة الفجر آية: ٢٣.
(٤) سورة الفجر آية: ٢٤.
(٥) سورة الفجر الآيتان : ٢٥ ، ٢٦.
(٦) سورة الفجر آية: ٢٧.
(٧) سورة الفجر آية: ٢٨.
(٨) سورة الفجر آية: ٢٨.
(٩) سورة الفجر آية: ٢٨.

[٢٩] ﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ ﴾[1]، أي مع عبادي في جنتي. وقيل: في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين.

[٣٠] ﴿ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾[2].

(١) سورة الفجر آية: ٢٩.

(٢) سورة الفجر آية: ٣٠.

(٩٠) سورة البلد

قوله تعالى لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌ بِهَذَا الْبَلَدِ...

[١] ﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾ [(١)]، يعني أقسم، ﴿ بِهَـٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ ﴾ [(٢)]، يعني مكة.

[٢] ﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ ﴾ [(٣)]، أي حلال، ﴿ بِهَـٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ [(٤)]، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم، أحل الله لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح، حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابة وغيرهما، فأحل دماء قوم وحرم دماء قوم، والمعنى: أن الله - تعالى - لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها من حرمتها فوعد نبيه ﷺ أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله ﷻ بأن يحلها له.

[٣] ﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾ [(٥)]، يعني آدم عليه السلام وذريته.

[٤] ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ ﴾ [(٦)]، روى الوالبي عن ابن عباس: في نصب. قال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وقال قتادة: في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا. وقال سعيد بن جبير: في شدة. وقال عطاء عن ابن عباس: في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه، وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته.

[٥] ﴿ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ ﴾ [(٧)]، أي يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله - تعالى -.

---

(١) سورة القيامة آية: ١.

(٢) سورة البلد آية: ١.

(٣) سورة البلد آية: ٢.

(٤) سورة البلد آية: ٢.

(٥) سورة البلد آية: ٣.

(٦) سورة البلد آية: ٤.

(٧) سورة البلد آية: ٥.

[٦] ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ ﴾[(١)]، يعني أنفقت، ﴿ مَالاً لُّبَدًا ۝٦ ﴾[(٢)]، أي كثيرا بعضه على بعض من التلبيد في عداوة محمد ﷺ.

[٧] ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾[(٣)]، قال سعيد بن جبير وقتادة: أيظن أن الله لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه؟

[٨، ٩] فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ ﴾[(٤)]، قال قتادة: نعم الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر.

[١٠] ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾[(٥)]، قال أكثر المفسرين: طريق الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلالة، وقال محمد بن كعب عن ابن عباس: وهديناه النجدين قال: الثديين، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك، والنجد: طريق ارتفاع.

[١١] ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ ﴾[(٦)]، يقول: فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام السغبان، فيكون خيرا له من إنفاقه على عداوة محمد ﷺ هذا قول ابن زيد وجماعة، وقيل: فلا اقتحم العقبة أي لم يقتحمها ولا جاوزها. والاقتحام: الدخول في الأمر الشديد، وذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، تقول لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة ولا طعام، وهذا معنى قول قتادة. وقيل: إنه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها، وروي عن ابن عمر: أن هذه العقبة جبل في جهنم، وقال الحسن وقتادة: عقبة شديدة في النار دون الجسر، فاقتحموها

---

(١) سورة البلد آية: ٦.

(٢) سورة البلد آية: ٦.

(٣) سورة البلد آية: ٧.

(٤) سورة البلد الآيتان: ٨ ، ٩.

(٥) سورة البلد آية: ١٠.

(٦) سورة البلد آية: ١١.

بطاعة الله - تعالى -. وقال ابن زيد: يقول فهلا سلك الطريق التي فيها النجاة ثم بين ما هي فقال:

[١٢- ١٤] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ ﴾ [(١)] أراد بفك الرقبة إعتاقها وإطلاقها، ومن أعتق رقبة كانت الرقبة فداءه من النار، وقال عكرمة قوله: (فك رقبة) يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة. ﴿ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٍ ذِي مَسۡغَبَةٍ ۝١٤ ﴾ [(٢)]، مجاعة، يقال: سغب يسغب سغبا إذا جاع.

[١٥] ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ ﴾ [(٣)]، أي ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة.

[١٦] ﴿ أَوۡ مِسۡكِينًا ذَا مَتۡرَبَةٍ ۝١٦ ﴾ [(٤)]، قد لصق بالتراب من فقره وضره. وقال مجاهد عن ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء. والمتربة مصدر ترب يترب تربا ومتربة إذا افتقر.

[١٧] ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [(٥)]، ثم بين أن هذا القرب إنما تنفع مع الإيمان، وقيل: (ثم) بمعنى الـواو، ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ ﴾ [(٦)]، أوصـى بـعـضهـم بـعضا، ﴿ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [(٧)]، على فرائض الله وأوامره، ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ ﴾ [(٨)]، برحمة الناس.

[١٨- ٢٠] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٌ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠ ﴾ [(١)]، مطبقة عليهم أبوابا لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غـم، يقال: أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته.

---

(١) سورة البلد الآيات من ١٢ : ١٤.
(٢) سورة البلد آية: ١٤.
(٣) سورة البلد آية: ١٥.
(٤) سورة البلد آية: ١٦.
(٥) سورة البلد آية: ١٧.
(٦) سورة البلد آية: ١٧.
(٧) سورة البلد آية: ١٧.
(٨) سورة البلد آية: ١٧.

(٩١) سورة الشمس

قوله تعالى وَالشمْس وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا...

[١] ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ ﴾[٢]، قال مجاهد والكلبي: ضوؤها، والضحى: حين تطلع الشمس، فيصفو ضوؤها. قال قتادة: هو النهار كله. وقال مقاتل: حرها، كقوله في طه: ﴿ وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[٣]، يعني لا يؤذيك الحر.

[٢] ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ ﴾[٤] تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس، تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور. وقال الزجاج: وذلك حين استدار يعني كمل ضوؤه فصار تابعا للشمس في الإنارة وذلك في الليالي البيض.

[٣] ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ ﴾[٥]، يعني إذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفا.

[٤] ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾[٦]، يعني يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

[٥] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾[٧]، قال الكلبي: ومن بناها وخلقها، وقال عطاء: يريد والذي بناها. وقال الفراء والزجاج: (ما) بمعنى المصدر، أي وبنائها كقوله: ﴿ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى ﴾[٨].

[٦] ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾[٩]، بسطها.

---

(١) سورة البلد الآيات من ١٨ : ٢٠.
(٢) سورة الشمس آية: ١.
(٣) سورة طه آية: ١١٩.
(٤) سورة الشمس آية: ٢.
(٥) سورة الشمس آية: ٣.
(٦) سورة الشمس آية: ٤.
(٧) سورة الشمس آية: ٥.
(٨) سورة يس آية: ٢٧.
(٩) سورة الشمس آية: ٦.

[٧] ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ ﴾ [١]، عدل خلقها وسوى أعضاءها، قال عطاء: يريد جميع ما خلق من الجن والإنس.

[٨] ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ ﴾ [٢]، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: بين لها الخير والشر. وقال في رواية عطية: علمها الطاعة والمعصية. وروى الكلبي عن أبي صالح عنه: عرفها ما تأتي وما تتقي. وقال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها. قال ابن زيد: جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور. واختار الزجاج هذا، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان، وهذا يبين أن الله ﷻ خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور.

[٩] ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ ﴾ [٣]، وهذا موضع القسم أي فازت وسعدت نفس زكاها الله، أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة.

[١٠] ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ [٤]، أي خـانـت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها. وقال الحسن: معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طـاعة الله ﷻ (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَساهَا) أهلكها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس، ودساها أصله: دسسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأبدلت السين الثانية يا ء، والمعنى هاهنا: أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية.

[١١] قوله ﷻ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝ ﴾ [٥]، بطغيانا وعدوانا أي الطغيان حملهم على التكذيب.

---

(١) سورة الشمس آية: ٧.

(٢) سورة الشمس آية: ٨.

(٣) سورة الشمس آية: ٩.

(٤) سورة الشمس آية: ١٠.

(٥) سورة الشمس آية: ١١.

[١٢] ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾[1]، أي قام، والانبعاث: هو الإسراع في الطاعة للباعث، أي كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا لما انبعث أشقاها وهو قدار بن سالف، وكان أشقر أزرق قصيرا قام لعقر الناقة.

[١٣] ﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾[2]، صالح، ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴾[3]، أي احذروا عقر ناقة الله. وقال الزجاج: منصوب على معنى ذروا ناقة الله، ﴿ وَسُقۡيَٰهَا ﴾[4]، شربا أي ذروا ناقة الله وذروا شربا من الماء، فلا تعرضوا للماء يوم شربا.

[١٤ - ١٥] ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾[5]، يعني صالحا، ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾[6]، يعني الناقة. ﴿ فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم ﴾[7]، قال عطاء ومقاتل: فدمر عليهم ربهم فأهلكهم. قال المدرج: الدمدمة الهلاك باستئصال. ﴿ بِذَنۢبِهِمۡ ﴾[8]، بتكذيبهم الرسول وعقرها الناقة، ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾[9]، فسوى الدمدمة عليهم جميعا، وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد. وقال الفراء: سوى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها، يعني سوى بينهم، ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴾[10]، عاقبتها. قال الحسن: معناه لا يخاف الله من أحد تبعة في إهلاكهم. وهي رواية عن ابن عباس، وقال الضحاك والسدي والكلبي: هو راجع إلى العاقر في الكلام تقديم وتأخير تقديره: إذا انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها.

---

(١) سورة الشمس آية: ١٢.
(٢) سورة الشمس آية: ١٣.
(٣) سورة الشمس آية: ١٣.
(٤) سورة الشمس آية: ١٣.
(٥) سورة الشمس آية: ١٤.
(٦) سورة الشمس آية: ١٤.
(٧) سورة الشمس آية: ١٤.
(٨) سورة الشمس آية: ١٤.
(٩) سورة الشمس آية: ١٤.
(١٠) سورة الشمس آية: ١٥.

(٩٢) سورة الليل

قوله تعالى وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى...

[١] ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ ﴾ [(١)]، أي يغشى النهار بظلمة فيذهب بضوئه.

[٢] ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ [(٢)]، بأن وظهر من بين الظلمة.

[٣] ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ ﴾ [(٣)]، يعني ومن خلق، وقيل: هي (ما) المصدرية أي خلق الذكر والأنثى. قال مقاتل والكلبي: يعني آدم وحواء.

[٤] قوله ﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴾ [(٤)]، إن أعمالكـم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها.

[٥] ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ ﴾ [(٥)]، (أعطى) ماله في سبيل الله، (واتقى) ربه.

[٦] ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ ﴾ [(٦)]، قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك: وصدق بلا إله إلا الله، وهي رواية عطية عن ابن عباس: وقال مجاهد: بالجنة. دليله قوله - تعالى - : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [(٧)] يعني الجنة. وقيل: صدق بالحسنى أي بالخلف، أي أيقن أن الله - تعالى - سيخلفه. وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعود الله ﷻ الذي وعده أي يفي به.

[٧] ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ ﴾ [(٨)]، فسنهيئه في الدنيا، ﴿ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ ﴾ [(١)]، أي للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله ﷻ.

---

(١) سورة الليل آية: ١.

(٢) سورة الليل آية: ٢.

(٣) سورة الليل آية: ٣.

(٤) سورة الليل آية: ٤.

(٥) سورة الليل آية: ٥.

(٦) سورة الليل آية: ٦.

(٧) سورة يونس آية: ٢٦.

(٨) سورة الليل آية: ٧.

[٨] ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ ﴾ [٢] بالنفقة في الخير، ﴿ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ ﴾ [٣]، عن ثواب الله فلم يرغب فيه.

[٩، ١٠] ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾ [٤]، سنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله، فيستوجب به النار. قال مقاتل: نعسر عليه أن يأتي خيرا.

[١١] ﴿ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ ﴾ [٥] الذي بخل به، ﴿ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ ﴾ [٦] قال مجاهد: إذا مات. وقال قتادة وأبو صالح: هوى في جهنم.

[١٢] ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ ﴾ [٧]، يعني البيان. قال الزجاج: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال، وهو قول قتادة، قال: على الله بيان حلاله وحرامه. قال الفراء: يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله، كقوله - تعالى -: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [٨]، يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد.

[١٣] ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ ﴾ [٩]، فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق.

[١٤] ﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ ﴾ [١]، يا أهل مكة ﴿ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ ﴾ [٢]، أي تتلظى يعني تتوقد وتتوهج.

---

(١) سورة الليل آية: ٧.
(٢) سورة الليل آية: ٨.
(٣) سورة الليل آية: ٨.
(٤) سورة الليل الآيتان : ٩ ، ١٠.
(٥) سورة الليل آية: ١١.
(٦) سورة الليل آية: ١١.
(٧) سورة الليل آية: ١٢.
(٨) سورة النحل آية: ٩.
(٩) سورة الليل آية: ١٣.

[١٥ - ١٦] ﴿ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ ﴾[٣]، الرسـول، ﴿ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ ﴾[٤]، عن الإيمان.

[١٧] ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ﴾[٥]، يريد بالأشقى الشقي، وبالأتقى التقي.

[١٨] ﴿ ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ ﴾[٦]، يعطي ماله، ﴿ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ ﴾[٧]، يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا رياء ولا سمعة، يعني أبا بكر الصديق، في قول الجميع، قال ابن الزبير: كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال أبوه: أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك؟ قال: منع ظهري أريد، فـ ل: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ﴾[٨] إلى آخر السورة.

[١٩] ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ ﴾[٩]، يد يكافئه عليها.

[٢٠] ﴿ إِلَّا ﴾[١٠]، لكن ﴿ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ ﴾[١١]، يعني لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده، ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الأعلى في الدار الآخرة.

[٢١] ﴿ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١ ﴾[١٢] بما يعطيه الله ﷻ في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل.

---

(١) سورة الليل آية: ١٤.
(٢) سورة الليل آية: ١٤.
(٣) سورة الليل الآيتان : ١٥ ، ١٦.
(٤) سورة الليل آية: ١٦.
(٥) سورة الليل آية: ١٧.
(٦) سورة الليل آية: ١٨.
(٧) سورة الليل آية: ١٨.
(٨) سورة الليل آية: ١٧.
(٩) سورة الليل آية: ١٩.
(١٠) سورة الليل آية: ٢٠.
(١١) سورة الليل آية: ٢٠.
(١٢) سورة الليل آية: ٢١.

(٩٣) سورة الضحى

قوله تعالى وَالضحَى وَاللَّيلِ إِذَا سَجَى مَا وَدعَكَ رَبكَ وَمَا قَلَى...

[١] قوله ﷻ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾[(١)]، أقسم بالضحى وأراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل إذا سجى، نظيره قوله: ﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى ﴾[(٢)]، أي نارا. وقال قتادة ومقاتل: يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار في الحر والبرد والصيف والشتاء،

[٢] ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾[(٣)]، قال الحسن: أقبل بظلامه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، وقال الوالبي عنه: إذا ذهب، قال عطاء والضحاك: غطى كل شيء بالظلمة. وقال مجاهد: استوى. وقال قتادة وابن زيد: سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك. يقال: ليل ساج وبحر ساج إذا كان ساكنا.

[٣] ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[(٤)] هذا جواب القسم: أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك.

[٤ - ٥] ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[(٥)]، قال عطاء عن ابن عباس: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى، وهو قول علي والحسن، قيل: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبكَ) من الثواب. وقيل: من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين، (فَتَرْضَى).

ثم أخبره الله ﷻ عن حالته التي كان عليها قبل الوحي، وذكره نعمه فقال - جل ذكره -:

---

(١) سورة الضحى آية: ١.

(٢) سورة الأعراف آية: ٩٨.

(٣) سورة الضحى آية: ٢.

(٤) سورة الضحى آية: ٣.

(٥) سورة الضحى الآيتان : ٤ ، ٥.

[٦] ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ ﴾[١]، ألم يجدك يتيما صغيرا فقيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى، فجعل لك مأوى تأوي إليه، وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة.

[٧] ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾[٢]، يعني ضالا عما أنت عليه فهداك للتوحيد والنبوة: قال الحسن والضحاك وابن كيسان: (وَوَجَدَكَ ضَآلًّا) عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلا عنها، فهداك إليها، وقيل: ضالا في شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب.

[٨] ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾[٣] أي فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم، وقال مقاتل: فرضاك بما أعطاك من الرزق واختاره الفراء. وقال: لم يكن غنيا عن كثرة المال ولكن الله رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى. ثم أوصاه باليتامى والفقراء.

[٩] فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ ﴾[٤]، قال مجاهد: لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما. وقال الفراء والزجـاج: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه، وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم.

[١٠] ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾[٥]، قال المفسرون: يريد السائل على الباب، يقول: لا تنهره لا تزجره إذا سألك، فقد كنت فقيرا فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردا لينا، يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره. قال قتادة: رد السائل برحمة ولين، وروي عن الحسن في قوله: (أما السائل فلا تنهر)، قال: طالب العلم.

---

(١) سورة الضحى آية: ٦.

(٢) سورة الضحى آية: ٧.

(٣) سورة الضحى آية: ٨.

(٤) سورة الضحى آية: ٩.

(٥) سورة الضحى آية: ١٠.

[١١] ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[1]، قال مجاهد: يعني النبوة، وقال الليث عن مجاهد: يعني القرآن وهو قول الكلبي، أمره أن يقرأه، وقال مقاتل: أشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدي بعض الضلالة والإغناء بعد العيلة، والتحدث بنعمة الله شكرا.

(١) سورة الضحى آية: ١١.

(٩٤) سورة الشرح

قوله تعالى أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ...

[١] ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ ﴾ [(١)] ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة؟

﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ﴾ [(٢)]، قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك: حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، وقال الحسين بن الفضل: يعني الخطأ والسهو. وقيل: ذنوب أمتك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بهم.

[٣] ﴿ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ ﴾ [(٣)]، أثقل ظهرك فأوهنه حتى سمع له نقيض أي صوت. وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة: يعني خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها.

[٤] ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤ ﴾ [(٤)]، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ ﴿ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)، قال: قال الله - تعالى -: "إذا ذكرت ذكرت معي ﴾ [(٥)] وعن الحسن قال: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) إذا ذكرت ذكرت. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو أن عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء، ولـم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء، وكان كافرا. ثـم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة، وذلك أنه كان بمكة في شدة.

[٥ - ٦] فقال. ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦ ﴾ [(٦)] أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا

---

(١) سورة الشرح آية: ١.

(٢) سورة الشرح آية: ٢.

(٣) سورة الشرح آية: ٣.

(٤) سورة الشرح آية: ٤.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣٥/٣٠) وأبو يعلى في المسند (١٣١/٢) وابن حبان برقم (١٧٧٢) ص ٤٣٩ من موارد الظمآن وفيه ابن لهيعة وقد اختلط، وروايات دراج عن أبي الهيثم فيها ضعف.

(٦) سورة الشرح الآيتان : ٥ ، ٦.

للحق الذي جئتهم به، إن مع العسر يسرا كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء. وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسـول الله ﷺ «أبشروا قد جاءكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين» [1].

[٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [2]، أي فاتعب والنصب: التعب، قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي: فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة يعطك. وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال: إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسألة. وقال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل. وقال الشعبي: إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك. وقال الحسن وزيد بن أسلم: إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك. وقال منصور عن مجاهد: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصل. وقال حيان عن الكلبي: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب، أي: استغفر لذنبك وللمؤمنين.

[٨] ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [3]، قال عطاء: تضرع إليه راهبا من النار راغبا في الجنة. وقيل: فارغب إليه في جميع أحوالك. قال الزجاج: أي اجعل رغبتك إلى الله وحده.

---

(١) مالك الجهاد (٩٧٨).

(٢) سورة الشرح آية: ٧.

(٣) سورة الشرح آية: ٨.

(٩٥) سورة التين

قوله تعالى وَالتينِ وَالزَّيْتون وَطُورِ سِينِينَ...

[١] ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ ﴾ (١)، قال ابن عباس: هو تينكم الذي تأكلونه وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت. وقيل: خص التين بالقسم لأنها فاكهة مختصة لا عجم فيها، شبيهة بفواكه الجنة. والزيتون شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو تمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح. وقال عكرمة: هما جبلان. قال قتادة: التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس لأنهما ينبتان التين والزيتون. وقال الضحاك: هما مسجدان بالشام. قال ابن زيد: التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس. وقال محمد بن كعب: التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا.

[٢] ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾ (٢)، يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وذكرنا معناه عند قوله: ﴿ وَشَجَرَةً تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ ﴾ (٣).

[٣] ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ ﴾ (٤)، أي الآمن، يعني مكة يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام، هذه أقسام والمقسم عليه قوله:

[٤] ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ﴾ (٥)، أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكبا على وجهه إلا الانسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعقل والتمييز.

[٥] ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ (١)، يريد إلى الهرم وأرذل العمر، فينقص عقله ويضعف بدنه، والسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال، فالشيخ الكبير من هؤلاء

(١) سورة التين آية: ١.

(٢) سورة التين آية: ٢.

(٣) سورة المؤمنون آية: ٢٠.

(٤) سورة التين آية: ٣.

(٥) سورة التين آية: ٤.

جميعا، وأسفل سافلين نكرة تعم الجنس وفي مصحف عبد الله (أسفل السافلين). وقال الحسن وقتادة ومجاهد: يعني ثم رددناه إلى النار، يعني إلى أسفل السافلين، لأن جهنم بعضها أسفل من بعض.

[٦] ثم استثنى فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[٢]، فإنهم لا يردون إلى النار. ومن قال بالقول الأول قال: رددناه أسفل سافلين، فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم، فلا يكتب لهم حسنة إلا الذين آمنوا. ﴿ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٣]، فإنه يكتب لهم بعد الهرم، والخرف، مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾[٤]، غير مقطوع لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل. قال الضحاك: أجر بغير عمل ثم قال: إلزاما للحجة.

[٧] ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾[٥]، أيها الإنسان ﴿ بَعْدُ ﴾[٦]، أي بعد هذه الحجة والبرهان، ﴿ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾[٧]، بالحساب والجزاء والمعنى، ألا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني، فما الذي يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج.

[٨] ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾[٨]، بأقضى القاضين، قال مقاتل: يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد.

(١) سورة التين آية: ٥.
(٢) سورة التين آية: ٦.
(٣) سورة التين آية: ٦.
(٤) سورة التين آية: ٦.
(٥) سورة التين آية: ٧.
(٦) سورة التين آية: ٧.
(٧) سورة التين آية: ٧.
(٨) سورة التين آية: ٨.

(٩٦) سورة العلق

قوله تعالى اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...

[١] ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ (١)، أكثر المفسرين: على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله: ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (٢) والمعنى: اذكر اسمه، أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا، ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ (٣) قال الكلبي: يعني الخلائق ثم فسره فقال:

[٢] ﴿ خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ﴾ (٤) يعني ابن آدم، ﴿ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ (٥)، جمع علقة.

[٣] ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ (٦)، كرره تأكيدا، ثم استأنف فقال: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ (٧)، فقال الكلبي: الحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة.

[٤] ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ (٨)، يعني الخط والكتابة.

[٥] ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (٩)، من أنواع الهدى والبيان. وقيل: علم آدم الأسماء كلها. وقيل: الإنسان هاهنا محمد ﷺ بيانه: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ (١٠).

---

(١) سورة العلق آية: ١.

(٢) سورة العلق آية: ٥.

(٣) سورة العلق آية: ١.

(٤) سورة العلق الآيتان : ١ ، ٢.

(٥) سورة العلق آية: ٢.

(٦) سورة العلق آية: ٣.

(٧) سورة العلق آية: ٣.

(٨) سورة العلق آية: ٤.

(٩) سورة العلق آية: ٥.

(١٠) سورة النساء آية: ١١٣.

[٦] ﴿ كَلَّآ ﴾ [١]، حقا ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ ﴾ [٢]، ليتجاوز حده ويستكبر على ربه.

[٧] ﴿ أَن ﴾ [٣]، لأن، ﴿ رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [٤]، أن رأى نفسه غنيا، قال الكلبي: يرتفع عن م لة إلى م لة في اللباس والطعام وغيرهما.

[٨] ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ ﴾ [٥]، أي المرجع في الآخرة.

[٩، ١٠] ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾ [٦]، نزلت في أبي جهل نى النبي ﷺ عن الصلاة، ومعنى أرأيت هاهنا تعجيب للمخاطب، وكرر هذه اللفظة للتأكيد.

[١١] ﴿ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ ﴾ [٧]، يعني العبد المنهي، وهو محمد ﷺ.

[١٢] ﴿ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ ﴾ [٨]، يعني بالإخلاص والتوحيد.

[١٣] ﴿ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ ﴾ [٩]، يعني أبا جهل، ﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ ﴾ [١٠]، عن الإيمان، وتقدير نظم الآية: ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾ [١١] وهو على الهدى، وأمر بالتقوى، والناهي مكذب متول عن الإيمان، فما أعجب من هذا !

---

(١) سورة العلق آية: ٦.

(٢) سورة العلق آية: ٦.

(٣) سورة العلق آية: ٧.

(٤) سورة العلق آية: ٧.

(٥) سورة العلق آية: ٨.

(٦) سورة العلق الآيتان : ٩ ، ١٠.

(٧) سورة العلق آية: ١١.

(٨) سورة العلق آية: ١٢.

(٩) سورة العلق آية: ١٣.

(١٠) سورة العلق آية: ١٣.

(١١) سورة العلق الآيتان : ٩ ، ١٠.

[١٤] ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم ﴾ (١)، يعني أبا جهل، ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ (٢)، ذلك فيجازيه به.

[١٥] ﴿ كَلَّا ﴾ (٣)، لا يعلم ذلك، ﴿ لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ ﴾ (٤)، عن إيذاء محمد ﷺ وتكذيبه، ﴿ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ (٥)، لنأخذن بناصيته فلنجرنه من النار، كما قال: ﴿ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴾ (٦)، يقال: سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذبا شديدا، والناصية: شعر مقدم الرأس.

[١٦] ثم قال على البدل: ﴿ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴾ (٧)، أي صاحبها كاذب خاطئ، قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ فقال أبو جهل: أتنتهرني؟ فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلا جردا ورجالا مردا.

[١٧] قال الله ﷻ ﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴾ (٨)، أي قومه وعشيرته، أي فليستنصر بهم.

[١٨] ﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ (٩)، جمع زبنى مأخوذ من الزبن، وهو الدفع، قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم سموا بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها، قال الزجاج: هم الملائكة الغلاظ الشداد، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله.

---

(١) سورة العلق آية: ١٤.
(٢) سورة العلق آية: ١٤.
(٣) سورة العلق آية: ١٥.
(٤) سورة العلق آية: ١٥.
(٥) سورة العلق آية: ١٥.
(٦) سورة الرحمن آية: ٤١.
(٧) سورة العلق آية: ١٦.
(٨) سورة العلق آية: ١٧.
(٩) سورة العلق آية: ١٨.

[١٩] ثم قال: ﴿ كَلَّا ﴾[(١)]، ليس الأمر على ما عليه أبو جهل، ﴿ لَا تُطِعۡهُ ﴾[(٢)]، في ترك الصلاة، ﴿ وَٱسۡجُدۡ ﴾[(٣)]، صل لله، ﴿ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩ ﴾[(٤)]، من الله.

(١) سورة العلق آية: ١٩.

(٢) سورة العلق آية: ١٩.

(٣) سورة العلق آية: ١٩.

(٤) سورة العلق آية: ١٩.

(٩٧) سورة القدر

قوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر...

[١] ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾ [(١)]، يعني القرآن كناية عن غير مذكور، أنه أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فوضعه في بيت العزة، ثم كان ي ل به جبريل عليه السلام نجوما في عشرين سنة.

[٢] ثم عجب نبيه فقال: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ ﴾ [(٢)]، سميت ليلة القدر لأنا ليلة تقدير الأمور والأحكام، يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة، كقوله - تعالى -: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ ﴾ [(٣)] واختلفوا في وقتها فقال بعضهم: إنا كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت، وعامة الصحابة والعلماء على أنا باقية إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: هي ليلة من ليالي السنة، والجمهور من أهل العلم: على أنا في شهر رمضان، واختلفوا في تلك الليلة، قال أبو رزين العقيلي: هي أول ليلة من شهر رمضان. وقال الحسن: ليلة سبع عشرة، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر. والصحيح والذي عليه الأكثرون: أنا في العشر الأواخر من شهر رمضان، أبم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها.

[٣] ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ ﴾ [(٤)]: معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

---

(١) سورة القدر آية: ١.

(٢) سورة القدر آية: ٢.

(٣) سورة الدخان آية: ٤.

(٤) سورة القدر آية: ٣.

[٤] قوله ﷻ ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾[(١)]، يعني جبريل عليـه السلام معـهم، ﴿ فِيهَا ﴾[(٢)]، أي في ليلة القدر، ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ ﴾[(٣)]، أي بكل أمر من الخير والبركة، كقوله: ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾[(٤)] أي بأمر الله.

[٥] ﴿ سَلَٰمٌ ﴾[(٥)]، قال عطاء: يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته. قال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر. قال الكلبي: الملائكة ي لون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ ﴾[(٦)] ثم ابتدأ فقال: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ ﴾[(٧)] أي ليلة القدر سلام وخير كلها، ليس فيها شر. قال الضحاك: لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي إلا السلامة. وقال مجاهد: يعني أن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا، ولا أن يحدث فيها أذى، ﴿ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾[(٨)]، أي إلى مطلع الفجر.

---

(١) سورة القدر آية: ٤.
(٢) سورة القدر آية: ٤.
(٣) سورة القدر آية: ٤.
(٤) سورة الرعد آية: ١١.
(٥) سورة القدر آية: ٥.
(٦) سورة القدر آية: ٤.
(٧) سورة القدر آية: ٥.
(٨) سورة القدر آية: ٥.

(٩٨) سورة البينة

قوله تعالى لَمْ يَكُنِ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكينَ حَتى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ...

[١] ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[(١)]، وهم اليهـود والنصـارى، ﴿ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[(٢)]، وهم عبدة الأوثان، ﴿ مُنفَكِّينَ ﴾[(٣)]، زائلين منفصلين، يقال: فككت الشيء فانفك أي انفصل، ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ ﴾[(٤)]، لفظه مستقبل ومعناه الماضي أي حتى أتتهم الحجة الواضحة، يعني محمدا ﷺ أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإسلام والإيمان، فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين، أخبر أنم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة.

[٢] ثم فسر البينة فقال: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ ﴾[(٥)]، يقرأ، ﴿ صُحُفًا ﴾[(٦)]، كتابا، يريد ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب، قوله: ﴿ مُّطَهَّرَةً ۝٢ ﴾[(٧)]، من الباطل والكذب والزور.

[٣] ﴿ فِيهَا ﴾[(٨)]، أي في الصحف، ﴿ كُتُبٌ ﴾[(٩)]، يعني الآيات والأحكام المكتوبة فيها، ﴿ قَيِّمَةٌ ۝٣ ﴾[(١)]، عادلة مستقيمة غير ذات عوج.

---

(١) سورة البينة آية: ١.
(٢) سورة البينة آية: ١.
(٣) سورة البينة آية: ١.
(٤) سورة البينة آية: ١.
(٥) سورة البينة آية: ٢.
(٦) سورة البينة آية: ٢.
(٧) سورة البينة آية: ٢.
(٨) سورة البينة آية: ٣.
(٩) سورة البينة آية: ٣.

[٤] ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ (٢)، في أمر محمد ﷺ ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ ﴾ (٣)، أي البيان في كتبهم أنه نبي مرسل. قال المفسرون: لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله، فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا، فآمن به بعضهم، وكفر آخرون. ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال:

[٥] ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ ﴾ (٤)، يعني هؤلاء الكفار، ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ (٥) يعني إلا أن يعبدوا الله، ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٦)، قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ (٧)، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٨)، المكتوبة في أوقاتها ﴿ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (٩)، عند محلهـا، ﴿ وَذَٰلِكَ ﴾ (١٠)، الذي أمروا به، ﴿ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ (١١)، أي الملة والشريعة المستقيمة. وقيل: القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها، أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمر به.

---

(١) سورة البينة آية: ٣.
(٢) سورة البينة آية: ٤.
(٣) سورة البينة آية: ٤.
(٤) سورة البينة آية: ٥.
(٥) سورة البينة آية: ٥.
(٦) سورة البينة آية: ٥.
(٧) سورة البينة آية: ٥.
(٨) سورة البينة آية: ٥.
(٩) سورة البينة آية: ٥.
(١٠) سورة البينة آية: ٥.
(١١) سورة البينة آية: ٥.

[٦] ثم ذكر ما للفريقين فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ ﴾ [1].

[٧ - ٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [2]، وتناهى عن المعاصي، وقيل: الرضا ينقسم إلى قسمين رضا به ورضا عنه، فالرضا به: ربا ومدبرا، والرضا عنه: فيما يقضي ويقدر.

(١) سورة البينة آية: ٦.

(٢) سورة البينة الآيتان : ٧ ، ٨.

(٩٩) سورة الزلزلة

قوله تعالى إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا...

[١] ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (١)، حركت الأرض حركة شديدة لقيـام السـاعـة، ﴿ زِلْزَالَهَا ۝١ ﴾ (٢)، تحريكها.

[٢] ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ ﴾ (٣)، موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها.

[٣] ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣ ﴾ (٤)؟ قيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره:

[٤] ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾ (٥)، فيقول الإنسان ما لها، أي تخبر الأرض بما عمل عليها.

[٥] ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾ (٦) أي أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها.

[٦] قوله - تعالى -: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ ﴾ (٧)، يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض، ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ (٨)، متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار ﴿ لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ ﴾ (٩)، قال ابن عباس: ليروا جزاء أعمالهم، والمعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرقا ليـ لوا منازلهم من الجنة والنار.

---

(١) سورة الزلزلة آية: ١.

(٢) سورة الزلزلة آية: ١.

(٣) سورة الزلزلة آية: ٢.

(٤) سورة الزلزلة آية: ٣.

(٥) سورة الزلزلة آية: ٤.

(٦) سورة الزلزلة آية: ٥.

(٧) سورة الزلزلة آية: ٦.

(٨) سورة الزلزلة آية: ٦.

(٩) سورة الزلزلة آية: ٦.

[٧] ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [1]، وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل. ﴿ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾ [2]

[٨] ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [3]، قال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا في الدنيا إلا أراه الله له يوم القيامة، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته.

(١) سورة الزلزلة آية: ٧.

(٢) سورة الزلزلة آية: ٧.

(٣) سورة الزلزلة آية: ٨.

(١٠٠) سورة العاديات

قوله تعالى وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا...

[١] ﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ ﴾[(١)] هي الخيل العادية في سبيل الله تضبح، والضبح صوت أجوافها إذا عدت، "قوله: (ضَبْحًا) نصب على المصدر، مجازه: والعاديات تضبح ضبحا. وقال علي: هي الإبل في الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى.

[٢] ﴿ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ ﴾[(٢)] هي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة، يعني والقادحات قدحا يقدحن بحوافرهن، وقال مجاهد وزيد بن أسلم: هي مكر الرجال، يعني رجال الحرب، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأقدحن لك ثم لأورين لك.

[٣] ﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ ﴾[(٣)]، هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح، هذا قول أكثر المفسرين. وقال القرظي: هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى، والسنة ألا تدفع حتى تصبح والإغارة سرعة السير.

[٤] ﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ ﴾[(٤)]، أي هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لأن المعنى مفهوم، ﴿ نَقۡعٗا ۝٤ ﴾[(٥)]، غبارا والنقع الغبار.

[٥] ﴿ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ ﴾[(٦)]، أي دخلن به وسط العدو، قال القرظي: يعني جمع منى أقسم الله بهذه الأشياء.

---

(١) سورة العاديات آية: ١.

(٢) سورة العاديات آية: ٢.

(٣) سورة العاديات آية: ٣.

(٤) سورة العاديات آية: ٤.

(٥) سورة العاديات آية: ٤.

(٦) سورة العاديات آية: ٥.

[٦] ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ ﴾[1]، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: لكنود لكفور جحود لنعم الله - تعالى -. قال الكلبي: هو بلسان مضر وربيعة: الكفور، وبلسان كندة وحضرموت: العاصي. وقال الحسن: هو الذي يعد المصائب وينسى النعم. وقال عطاء: هو الذي لا يعطي في النائبة مع قومه. وقال أبو عبيدة: هو قليل الخير، والأرض الكنود التي لا تنبت شيئا.

[٧] ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ ﴾[2]، قال أكثر المفسرين: وإن الله على كونه كنودا لشاهد. وقال ابن كيسان: الهاء راجعة إلى الإنسان أي إنه شاهد على نفسه بما يصنع.

[٨] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾[3]، يعني الانسان ﴿ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ ﴾[4]، أي لحب المال، ﴿ لَشَدِيدٌ ۝٨ ﴾[5] أي لبخيل، أي إنه من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد. وقيل: معناه وإنه لحب الخير لقوي أى شديد الحب للخير، أي المال.

[٩] ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ ﴾[6]، هذا الإنسان، ﴿ إِذَا بُعْثِرَ ﴾[7]، أثير وأخرج، ﴿ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ ﴾[8].

[١٠] ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ ﴾[9]، أي ميز وأبرز ما فيها من خير أو شر.

---

(١) سورة العاديات آية: ٦.
(٢) سورة العاديات آية: ٧.
(٣) سورة العاديات آية: ٨.
(٤) سورة العاديات آية: ٨.
(٥) سورة العاديات آية: ٨.
(٦) سورة العاديات آية: ٩.
(٧) سورة العاديات آية: ٩.
(٨) سورة العاديات آية: ٩.
(٩) سورة العاديات آية: ١٠.

[١١] ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ ﴾ [1]، جمع الكناية لأن الإنسان اسم الجنس، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١ ﴾ [2]، عالـم، قال الزجاج: الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم.

---

(١) سورة العاديات آية: ١١.

(٢) سورة العاديات آية: ١١.

(١٠١) سورة القارعة

قوله تعالى الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ...

[١] ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ ﴾[1]، اسم من أسماء القيامة لأنا تقرع القلوب بالفزع.

[٢] ﴿ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ ﴾[2]، تهويل وتعظيم.

[٣- ٤] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ ﴾[3]، الفراش الطير التي تراها تتهافت في النار والمبثوث المفرق. وقال الفراء: كغوغاء الجراد شبه الناس عند البعث بما يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من الهول كما قال: ﴿ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ ﴾[4].

[٥] ﴿ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥ ﴾[5]، كالصوف المندوف.

[٦ - ٧] ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ ﴾[6]، رجحت حسناته، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ ﴾[7]، مرضية في الجنة. قال الزجاج: ذات رضا يرضاها صاحبها.

[٨] ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ ﴾[8]، رجحت سيئاته على حسناته.

[٩] ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ ﴾[9]، مسكنه النار سمي المسكن أما لأن الأصل في السكون إلى الأمهات، والهاوية اسم من أسماء جهنم، وهو الهواة لا يدرك قعرها، وقال قتادة: وهي

---

(١) سورة القارعة آية: ١.

(٢) سورة القارعة آية: ٢.

(٣) سورة القارعة الآيتان : ٣ ، ٤.

(٤) سورة القمر آية: ٧.

(٥) سورة القارعة آية: ٥.

(٦) سورة القارعة آية: ٦.

(٧) سورة القارعة آية: ٧.

(٨) سورة القارعة آية: ٨.

(٩) سورة القارعة آية: ٩.

كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، يقال: هوت أمه. وقيل: أراد أم رأسه يعني أنم يهوون في النار على رءوسهم، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح.

[١٠] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾ [1] يعني الهاوية وأصلها ما هي أدخل الهاء فيها للوقف ثم فسرها.

[١١] فقال: ﴿ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾ [2]، أي حارة قد انتهى حرها.

---

(١) سورة القارعة آية: ١٠.

(٢) سورة القارعة آية: ١١.

(١٠٢) سورة التكاثر

قوله تعالى ألْهَاكُمُ التكَاثُرُ حَتى زُرْتُمُ المَقابِرَ...

[١] ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ﴾[(١)]، شغلتكم المباهات والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه.

[٢] ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾[(٢)]، حتى متم ودفنتم في المقابر، ثم رد الله عليهم فقال:

[٣] ﴿ كَلَّا ﴾[(٣)]، ليس الأمر بالتكاثر، ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾[(٤)]، وعيد لهم، ثم تكرره تأكيدا فقال:

[٤] ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾[(٥)]، قال الحسن ومقاتل: هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقال الضحاك: (كلا سوف تعلمون) يعني الكفار، (ثم كلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يعني المؤمنين وكان يقرأ الأولى بالتاء والثانية بالياء.

[٥] ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ ﴾[(٦)]، أي علما يقينا فأضاف العلم إلى اليقين كقوله: ﴿ لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ ﴾[(٧)]، وجواب (لو) محذوف أي لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر. قال قتادة: كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت.

---

(١) سورة التكاثر آية: ١.

(٢) سورة التكاثر آية: ٢.

(٣) سورة التكاثر آية: ٣.

(٤) سورة التكاثر آية: ٣.

(٥) سورة التكاثر آية: ٤.

(٦) سورة التكاثر آية: ٥.

(٧) سورة الواقعة آية: ٩٥.

[٦] ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ﴾[1]، قرأ ابن عامر والكسائي (لَتُرَوُن) بضم التاء من أريته الشيء، وقرأ الآخرون: بفتح التاء أي ترونا بأبصاركم من بعد.

[٧] ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا ﴾[2]، مشاهدة ﴿ عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ﴾[3].

[٨] ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾[4] عن ابن مسعود رفعه قال: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾[5] قال: "الأمن والصحة". وقال قتادة: إن الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه. وروي عن ابن عباس قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد فيم استعملوها، وهو بذلك منهم، قال عكرمة: عن الصحة والفراغ والمال، قال محمد بن كعب: يعني عما أنعم عليكم بمحمد ﷺ. وقال أبو العالية: عن الإسلام والسنن. وقال الحسين بن الفضل: تخفيف الشرائع وتيسير القرآن.

---

(١) سورة التكاثر آية: ٦.

(٢) سورة التكاثر آية: ٧.

(٣) سورة التكاثر آية: ٧.

(٤) سورة التكاثر آية: ٨.

(٥) سورة التكاثر آية: ٨.

(١٠٣) سورة العصر

قوله تعالى وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ...

[١] ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ ﴾[1]، قال ابن عباس: والدهر. قيل: أقسم به لأن فيه عبرة للناظر. وقيل: معناه ورب العصر، وكذلك في أمثاله. وقال ابن كيسان: أراد بالعصر الليل والنهار، يقال لهما العصران. وقال الحسن: من بعد زوال الشمس إلى غروبها. وقال قتادة: آخر ساعة من ساعات النهار. وقال مقاتل: أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى.

[٢] ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ ﴾[2]، أي خسران ونقصان، قيل: أراد به الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين، والخسران ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي، وهما أكبر رأس ماله.

[٣] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[3]، فإنهم ليسوا في خسران، ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ ﴾[4]، أوصى بعضهم بعضا، ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾[5]، بالقرآن قاله الحسن وقتادة، وقال مقاتل: بالإيمان والتوحيد، ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[6]، على أداء الفرائض وإقامة أمر الله. وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع إلا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم.

---

(١) سورة العصر آية: ١.

(٢) سورة العصر آية: ٢.

(٣) سورة العصر آية: ٣.

(٤) سورة العصر آية: ٣.

(٥) سورة العصر آية: ٣.

(٦) سورة العصر آية: ٣.

(١٠٤) سورة الهمزة

قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده...

[١] ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾(١)، قال ابن عباس: هم المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت، ومعناهما واحد وهو العياب. وقال مقاتل: الهمزة الذي يعيبك في الغيب، واللمزة الذي يعيبك في الوجه. وقال أبو العالية والحسن: بضده، وقال سعيد بن جبير وقتادة: الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة الطعان عليهم. وقال ابن زيد: الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم. وقال سفيان الثوري: ويهمز بلسانه ويلمز بعينيه. ومثله قال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يومض بعينه ويشير برأسه، ويرمز بحاجبه. وهما لغتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس، وأصل الهمز: الكسر والعض على الشيء بالعنف.

[٢] ثم وصفه فقال: ﴿ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ ﴾(٢)، أحصاه، وقال مقاتل: استعده وادخره وجعله عتادا له، يقال: أعددت الشيء وعددته إذا أمسكته.

[٣] ﴿ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ ﴾(٣)، في الدنيا يظن أنه لا يموت مع يساره.

[٤] ﴿ كَلَّاۖ ﴾(٤) رد عليه أن لا يخلده ماله، ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ ﴾(٥)، ليطرحن، ﴿ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ ﴾(٦)، في جهنم، والحطمة من أسماء النار مثل سقر ولظى سميت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها.

---

(١) سورة الهمزة آية: ١.

(٢) سورة الهمزة آية: ٢.

(٣) سورة الهمزة آية: ٣.

(٤) سورة الهمزة آية: ٤.

(٥) سورة الهمزة آية: ٤.

(٦) سورة الهمزة آية: ٤.

[٥- ٧] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ ﴾[1]، أي التي بلغ ألمها ووجعها إلى القلوب، والاطلاع والبلوغ التطلع بمعنى واحد، يحكى عن العرب متى طلعت أرضنا أي بلغت، ومعنى الآية: أنا تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، قاله القرظي والكلبي.

[٨] ﴿ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ ﴾[2]، مطبقة مغلقة.

[٩] ﴿ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩ ﴾[3]، قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم با الأبواب، وقال قتادة: بلغنا أنا عمد يعذبون با في النار. وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، أي أنا مطبقة عليهم بأوتاد ممددة وهي في قراءة عبد الله (بعمد) بالباء، قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتف عليهم باب ولا يدخل عليهم ريح، والممددة من صفة العمد، أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة.

---

(١) سورة الهمزة الآيات من ٥ : ٧.

(٢) سورة الهمزة آية: ٨.

(٣) سورة الهمزة آية: ٩.

(١٠٥) سورة الفيل

قوله تعالى ألَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبكَ بِأصْحَابِ الْفِيلِ...

[١] ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ [(١)] أبرهة بالعنش بن الصياح وأتباعه الذين قصدوا هدم الكعبة".

[٢] ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ [(٢)]، كيدهم يعني مكرهم وسعيم في تخريب الكعبة. وقوله: في تضليل عما أرادوا، ضلل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة، وإلى ما أرادوه بكيدهم. وقال مقاتل: في خسارة وقيل: في بطلان.

[٣] ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [(٣)]، كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا. وقيل: أقاطيع كالإبل المؤبلة. قال أبو عبيدة: أبابيل جماعات في تفرقة، يقال. جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا. قال ابن عباس: كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب. وقال عكرمة: لها رؤوس كرؤوس السباع. قال الربيع: لها أنياب كأنياب السباع. وقال سعيد بن جبير: خضر لها مناقير صفر. وقال قتادة: طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا تصيب شيئا إلا هشمته.

[٤] ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [(٤)]، قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة فبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتا شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره.

[٥] ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [(١)]، كزرع وتين أكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث. قال مجاهد: العصف ورق

---

(١) سورة الفيل آية: ١.

(٢) سورة الفيل آية: ٢.

(٣) سورة الفيل آية: ٣.

(٤) سورة الفيل آية: ٤.

الحنطة. وقال قتادة: هو التبن. وقال عكرمة: كالحب إذا أكل فصار أجوف. وقال ابن عباس: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له.

(١) سورة الفيل آية: ٥.

(١٠٦) سورة قريش

قوله تعالى لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ...

[١] ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ ﴾ (١) عد بعضهم سورة الفيل. " وهذه السورة واحدة لا فصل بينهما وقالوا: اللام في ﴿ لِإِيلَٰفِ ﴾ (٢) تتعلق بالسورة التي قبلها، وذلك أن الله - تعالى - ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، وقال: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ ﴾ (٣) وقال الزجاج: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي هلك أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف. وقال مجاهد: ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف. والعامة على أنهما سورتان، واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله: (لإيلاف) قال الكسائي والأخفش: هي لام التعجب، يقول: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب البيت. وقال الزجاج: هي مردودة إلى ما بعدها تقديره: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. وقال ابن عيينة: لنعمتي على قريش، وقريش هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي، ومن لم يلده النضر فليس بقرشي.

[٢] قوله - تعالى -: ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ ﴾ (٤)، بدل من الإيلاف الأول، ﴿ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ ﴾ (٥)، ﴿ رِحۡلَةَ ﴾ (٦) نصب على المصدر، أي ارتحالهم رحلة الشتاء والصيف، كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام. وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت

---

(١) سورة قريش آية: ١.

(٢) سورة قريش آية: ١.

(٣) سورة قريش آية: ١.

(٤) سورة قريش آية: ٢.

(٥) سورة قريش آية: ٢.

(٦) سورة قريش آية: ٢.

قريش تعيش بتجارتم ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء، كانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته، فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة وأمرهم الله بعبادة رب البيت فقال:

[٣] ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ﴾ [(١)]، أي الكعبة.

[٤] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ [(٢)] أي من بعد جوع بحمـل الميرة إلى مكـة، ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾ [(٣)]، بالحرم وكونم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم.

(١) سورة قريش آية: ٣.

(٢) سورة قريش آية: ٤.

(٣) سورة قريش آية: ٤.

(١٠٧) سورة الماعون

قوله تعالى أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ...

[١] ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ ﴾ [(١)]، أي بالجزاء والحساب.

[٢] ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ ﴾ [(٢)]، يقهره ويدفعه عن حقه، والدع: الدفع بالعنف والجفوة.

[٣] ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ ﴾ [(٣)]، لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء.

[٤ - ٥] ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ [(٤)]، سئل رسول الله ﷺ عن (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)، قال: "إضاعة الوقت " [(٥)] قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونا في العلانية إذا حضروا.

[٦] لقوله - تعالى -: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ ﴾ [(٦)]، وقال في وصف المنافقين: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [(٧)]، وقال قتادة: ساه عنها لا يبالي صلى أم لم يصل. قيل: لا يرجون لها ثوابا إن صلوا ولا يخافون عقابا إن تركوا. وقال مجاهد: غافلون عنها يتهاونون با. وقال الحسن: هو الذي إن صلاها صلاها رياء، وإن فاتته لم يندم. وقال أبو العالية: لا يصلونا لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها.

---

(١) سورة الماعون آية: ١.

(٢) سورة الماعون آية: ٢.

(٣) سورة الماعون آية: ٣.

(٤) سورة الماعون الآيتان : ٤ ، ٥.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن (٢١٤/٢) مرفوعا وموقوفا، وأبو يعلى في المسند موقوفا (٣٣٦/١) والطبري (٣١١/٣٠) والمصنف في شرح السنة (٢٤٦/٢).

(٦) سورة الماعون آية: ٦.

(٧) سورة النساء آية: ١٤٢.

[٧] ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ [1]، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هي الزكاة. وقال عبد الله بن مسعود: الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك. وقال مجاهد: الماعون العارية. وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المعروفة، وأدناها عارية المتاع. وقيل: الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار.

(١) سورة الماعون آية: ٧.

(١٠٨) سورة الكوثر

قوله تعالى إنا أعْطيْناكَ الْكَوْثَرَ...

[١] ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ [(١)] عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه. قال الحسن: هو القرآن. قال عكرمة: النبوة والكتاب. والمعروف: أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث.

[٢] قوله ﷻ ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ ﴾ [(٢)]، قال محمد بن كعب: إن أناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يصلي وينحر لله ﷻ. وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: فصل الصلوات المفروضة بجمع، وانحر البدن بمنى.

[٣] قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ [(٣)]، عدوك ومبغضك، ﴿ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾ [(٤)]، هو الأقل الأذل المنقطع دابره.

---

(١) سورة الكوثر آية: ١.

(٢) سورة الكوثر آية: ٢.

(٣) سورة الكوثر آية: ٣.

(٤) سورة الكوثر آية: ٣.

(١٠٩) سورة الكافرون

قوله تعالى قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ...

[١ - ٢] ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ ﴾ [(١)]، في الحال.

[٣ - ٥] ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ ﴾ [(٢)]، في الحال، ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ ﴾ [(٣)]، في الاستقبال ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ ﴾ [(٤)]، في الاستقبال، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنم لا يؤمنون، وذلك أنم قالوا: إن سرك أن ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما، فـ لت هذه السورة.

[٦] ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ [(٥)]، في الشرك، ﴿ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ [(٦)] الإسلام.

---

(١) سورة الكافرون الآيتان : ١ ، ٢.

(٢) سورة الكافرون آية: ٣.

(٣) سورة الكافرون آية: ٤.

(٤) سورة الكافرون آية: ٥.

(٥) سورة الكافرون آية: ٦.

(٦) سورة الكافرون آية: ٦.

(١١٠) سورة النصر

قوله تعالى﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ...

[١] ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾ [(١)] يا محمد على من عاداك وهم قريش، والفتح فتح مكة.

[٢] ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ ﴾ [(٢)]، زمرا وأرسالا القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال. قال الحسن: لما فتح الله ﷻ مكة على رسوله قالت العرب بعضها البعض: إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا، واثنين اثنين.

[٣] ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ [(٣)]، فإنك حينئذ لاحق به، قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نعيت إليه نفسه. قال الحسن: أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح. قال قتادة ومقاتل: عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سبعين يوما.

---

(١) سورة النصر آية: ١.

(٢) سورة النصر آية: ٢.

(٣) سورة النصر آية: ٣.

(١١١) سورة المسد

قوله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب...

[١] ﴿ تَبَّتْ ﴾ [١] أي خابت وخسرت ﴿ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾ [٢] أي هو، أخبر عن يديه والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله. وقيل: اليد صلة، كما يقال: يد الدهر ويد الرزايا والبلايا. وقيل: المراد به ماله وملكه، يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال والثياب والخسار والهلاك. وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ واسمه عبد العزى وتب أبو لهب، وقرأ عبد الله: وقد تب. قال الفراء: الأول دعاء، والثاني خبر، كما يقال: أهلكه الله، وقد فعل.

[٢] ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ ﴾ [٣] أي ما يغني، وقيل: أي شيء عنه ماله، أي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال؟ وكان صاحب مواش ﴿ وَمَا كَسَبَ ۝ ﴾ [٤] قيل: يعني ولده لأن ولد الإنسان من كسبه كما جاء في الحديث: « أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه، وأن ولده من كسبه » [٥]. [٦].

[٣] ثم وعده بالنار فقال: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ ﴾ [٧]، أي نارا تلتهب عليه.

---

(١) سورة المسد آية: ١.

(٢) سورة المسد آية: ١.

(٣) سورة المسد آية: ٢.

(٤) سورة المسد آية: ٢.

(٥) الترمذي الأحكام (١٣٥٨)،النسائي البيوع (٤٤٥٢)،أبو داود البيوع (٣٥٢٨)،ابن ماجه التجارات (٢١٣٧)،أحمد (٦/١٢٧)،الدارمي البيوع (٢٥٣٧).

(٦) حديث صحيح روي من طرق بألفاظ متقاربة أخرجه أبو داود في الإجارات (٥/١٨٢)، والترمذي في الأحكام (٤/٥٩٢)، وقال: حديث حسن، والنسائي في البيوع (٧/٢٤١)، وابن ماجه في التجارات برقم (٢٢٩٠- ٢/٧٦٨)، والدارمي في البيوع (٢/٢٤٧)، وصححه ابن حبان ص ٢٦٨ من موارد الظمآن.

(٧) سورة المسد آية: ٣.

[٤] ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ ﴾[(١)]، أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ ﴾[(٢)]، قال زيد والضحاك: كانت تحمل الشوك والعضاه فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ وأصحابه لتعقرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال قتادة ومجاهد والسدي. كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث فتلقي العداوة بين الناس، وتوقد نارها كما توقد النار الحطب، يقال: فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به.

[٥] ﴿ فِى جِيدِهَا ﴾[(٣)]، في عنقها، وجمعه أجياد، ﴿ حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝ ﴾[(٤)]، واختلفوا فيه قال ابن عباس وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل في فيها وتخرج من دبرها، ويكون سائرها في عنقها وأصله من المسد وهو الفتل، والمسد ما فتل وأحكم من أي شيء كان، يعني السلسلة التي في عنقها ففتلت من الحديد فتلا محكما. وروى الأعمش عن مجاهد: من مسد أي من حديد. قال ابن زيد: حبل من شجر ينبت باليمن يقال له مسد، قال قتادة: قلادة من ودع. وقال الحسن: كانت خرزات في عنقها.

---

(١) سورة المسد آية: ٤.

(٢) سورة المسد آية: ٤.

(٣) سورة المسد آية: ٥.

(٤) سورة المسد آية: ٥.

(١١٢) سورة الإخلاص

قوله تعالى قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصمَدُ...

[١] ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[(١)]، روى أبو العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فأنزل الله - تعالى - هذه السورة (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) أي واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد.

[٢] ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾[(٢)]، قال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير: الصمد الذي لا جوف له. قال الشعبي: الذي لا يأكل ولا يشرب. وقيل تفسيره ما بعده. روى أبو العالية عن أبي بن كعب، قال: الصمد الذي لم يلد ولم يولد، لأن من يولد سيموت ومن يرث يورث منه. قال أبو وائل شقيق بن سلمة: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده. وعن ابن عباس قال: هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد. وعن سعيد بن جبير أيضا: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقيل: هو السيد المقصود في الحوائج. وقال قتادة: الصمد الباقي بعد فناء خلقه. وقال عكرمة: الصمد الذي ليس فوقه أحد. وقال الربيع: الذي لا تعتريه الآفات. قال مقاتل بن حيان: الذي لا عيب فيه.

[٣ - ٤] ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[(٣)]، قرأ حمزة وإسماعيل (كُفْوًا) ساكنة الفاء مهموزا، وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزا، وكلها لغات صحيحة، ومعناه: المثل أي هو أحد، وقيل: هو على التقديم والتأخير مجازه: لم يكن له أحد كفوا أي مثلا. قال مقاتل: قال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل.

---

(١) سورة الإخلاص آية: ١.

(٢) سورة الإخلاص آية: ٢.

(٣) سورة الإخلاص الآيتان : ٣ ، ٤.

(١١٣) سورة الفلق

قوله تعالى قُلْ أَعُوذُ بِرَب الْفَلَق مِنْ شَر مَا خَلَقَ...

[١] ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ ﴾[(١)]، أراد بالفلق الصبح، وهو قول أكثر المفسرين، وروي عن ابن عباس: أنه سجن في جهنم. وقال الكلبي: واد في جهنم. وقال الضحاك: يعني الخلق، والأول هو المعروف.

[٢ - ٣] ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾ [(٢)] المراد به القمر إذا خسف واسود: وقب أي دخل في الخسوف أو أخذ في الغيبوبة وأظلم. وقال ابن عباس: الغاسق الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شيء وأظلم، والغسق الظلمة، يقال غسق الليل وأغسق إذا أظلم، وهو قول الحسن ومجاهد، يعني: الليل إذا أقبل ودخل، والوقوب: الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس قال مقاتل: يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار. وقيل: سمي الليل غاسقا لأنه أبرد من النهار، والغسق البرد.

[٤] ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ ﴾[(٣)]، يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها. قال أبو عبيدة: هن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ.

[٥] ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾[(٤)]، يعني اليهود فإنهم كانوا يحسدون النبي ﷺ.

---

(١) سورة الفلق آية: ١.

(٢) سورة الفلق الآيتان : ٢ ، ٣.

(٣) سورة الفلق آية: ٤.

(٤) سورة الفلق آية: ٥.

(١١٤) سورة الناس

قوله تعالى قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ...

[١- ٤] ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ﴾(١)، يعني الشيطان يكون مصدرا واسما، قال الزجاج: يعني الشيطان ذا الوسواس، الخناس الرجاع، وهو الشيطان جاثم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس. قال: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس. ويقال: رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه، فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر رجع فوضع رأسه.

[٥] فذلك ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾(٢)، بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع.

[٦] ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾(٣)، يعني يدخل في الجني كما يدخل في الإنسي، ويوسوس الجني كما يوسوس الإنسي، قاله الكلبي، وقوله: فِي صُدُورِ الناسِ أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجنة والناس، فسمى الجن ناسا كما سماهم رجالا، فقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾(٤). والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الناس الآيات من ١ : ٤.

(٢) سورة الناس آية: ٥.

(٣) سورة الناس آية: ٦.

(٤) سورة الجن آية: ٦.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس